مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ / ٩٠٥٥٠٩

الجزء الأول — السنة السابعة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٥ هـ — فبراير سنة ١٩٧٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هجرة الكرام .. الأحرار

للأستاذ عبد الرحيم فودة

يطالع المسلمون في هلال المحرم بداية عهد جديد وتاريخ مجيد . اذ يذكرون به هجرة النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه من مكة الى المدينة ، وكيف انتقل بها الاسلام الى أرض أخصب وأفق أرحب . وجو أطيب ، ثم أخذ نوره يشرق ويتألق ويزحف وراء ظلام الشرك والأفك في كل اتجاه . حتى أتم الله به نعمته على الناس ، ونزل قوله تعالى على رسوله «صلى الله عليه وسلم اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ..

ولم يمض غير قليل من الزمن حتى كانت رايته تخفق عزيزة قوية فوق ربوع الشام . واليمن . وبلاد فارس ، وحتى صار البحر الأبيض بحيرة اسلامية ، وآلت الى المسلمين مقادة العالم في كل شيء كان يعرفه العالم ، ووصلوا الى القمة التي لم تصل اليها أمة . وتبوأوا مكانة الزعامة والأمامة كما

يقول الله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» .

٢ - ولو بقى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى مكة - مع ما كانوا يقاسونه ويعانونه من ظلم وبغى وطغيان - لبقى الاسلام معهم يعيش مختنقا فى صدورهم بين شعاب مكة وهضابها ، ولكان أقصى ما يرجى له من بقاء أن يحيا بهم وينطفىء نوره بانطفاء حياتهم ، ولكن الله شاء له أن يبقى ويرقى وأن تمتد حياته وحياة الناس به كما يقول سبحانه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وكما يفهم ان قوله : يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » . ومن ثم كانت الهجرة مبدأ انطلاق النور الذى احتبس فى الصدور ، ومبدأ التحول فى تاريخ الوجود كله ، اذا انتقل العرب من عبادة الأوثان الى عبادة الله . وانتقل العالم كله كما يقول العقاد رحمه الله : من سكون الى حركة . ومن فوضى الى نظام . ومن مهانة حيوانية الى كرامة انسانية .

٣ - وكان المهاجرون من مكة كما يقول الله فيهم: «الذين أخرجو من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » وكان الأنصار فى المدينة كما يقول عنهم : « الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقد تألف من هؤلاء وأولئك أعظم رعيل جليل عرفته الانسانية فى تاريخها الطويل ، وأشادت بهم قبل وجودهم التوراة والانجيل كما يقول الله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوهم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

٤ - فالغرض من الهجرة كان نصرة الله واعلاء كلمته ولم يكن

ضيقا بأرض مكة وهي أحب أرض الله الى الله والى رسوله كما قال صلى الله عليه وسلم وهو يودعها: « والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » ، وكما يفهم من قول الله في المتخلفين عنها : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

٥ ــ وقد عاد المهاجرون والأنصار ليحرروا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ويطهروا مكة « الظالم أهلها » من دنس الشرك والافك والوثنية ولينشروا دين الله في كل ما يحيط بها من بقاع واصقاع . ثم يتابعوا جهادهم في كل مكان يقف فيه الكفر ليحول دون الايمان ، وكان الله معهم بعونه ونصره . كما يقول جل شأنه : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

عبد الرحيم فوده

احفظ الله يحفظك

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ..

من حديث شريف

دراسات قرآنية ·

العرب والتاريخ القمري .. الأشهر الحرم

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » (١) .

وقال الله سبحانه : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » (٢) .

البيان

كان التاريخ عند العرب يدور على الشهور القمرية ، وانهم ليسوا أهل زراعة حتى يعتمدوا على الشهور الشمسية ، ومع اعتمادهم عليها فانهم لم يكونوا يبدأون تاريخهم بسنة معينة بل كانوا يؤرخون بالوقائع الشهيرة ، مع ذكر الليلة التى حدث فيها ما يؤرخون له ، منسوبة بعددها الى الشهر القمرى ، فكانوا يقولون مثلا : حدث كذا لخمس خلون من شعبان ، أو لثلاث بقين من رجب عام الفيل أو سنة موت هشام بن المغيرة .

ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون حدث كذا عام الاذن بالهجرة ، ونحو ذلك ، واستمروا على هذا النمط حتى خلافة عمر رضى الله عنه ، ثم غيره ، فجعل الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ، باعتبارها أهم حدث تغيرت به مسيرة الاسلام ، وانتقلت به خطواته من وئيدة متعثرة ، الى متتابعة متوثبة .

وسبب ذلك أنه رفعت اليه وثيقة تاريخ حلولها شعبان ، فقال : أى شعبان هو ؟ ثم قال : ان الأموال قد كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت ،

---

(١) سورة البقرة : ١٨٩

(٢) سورة التوبة : ١٣٦

فكيف التوصل الى ضبطه ، فقال له ملك الأهواز : وكان أسيرا بالمدينة ـ ان للعجم حسابا يسمونه (ماهروز) يسندونه الى من غلب من الأكاسرة ، ثم شرحه وبين كيفيته ، فقال عمر رضى الله عنه : ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه ، وتضبط أوقاتهم به ، فذكروا له تاريخ اليهود وغيرهم ، فلم يوافق على ما عرضوه ، وجعل الهجرة مبدأ لتاريخ السنين ، كما جعل المحرم مبدأ للسنة القمرية ، ولم يكن أولها مقررا عند العرب ولا محددا على التحقيق ، فانهم كانوا يعرفون أسماء الشهور القمرية متتابعة ، ولكنهم لم يضبطوا أو العام ، لعدم حاجتهم اليه ، نظرا لتوقيتهم بالوقائع الشهيرة .

ولعل السبب فى اختيار عمر الشهر المحرم ، ليكون مبدأ للعام الجهرى ، أنه كان يريد جعل آخر شهر فى موسم الحج ـ وهو ذو الحجة ـ ختاما للعام ، فيكون آخره شهر عبادة يجتمع لها المسلمون من شتى الأقطار، يبتغون بها غفران الذنوب ، ويتعرفون فيها الى اخوانهم من المشارق والمغارب ، ويألفون ويؤلفون ، وينزعون من قلوبهم البغضاء والاحن ، ليفتتحوا بعده بالمحرم صفحة جديدة نظيفة ، يستقبلون بها العام الجديد .

ومعلوم أن الهجرة النبوية الشريفة كانت فى ربيع الأول ، وكان من الممكن أن يجعله أول العام القمرى فى التاريخ الهجرى ، ولكنه فيما يبدو تأثر بهذا المعنى الذى ذكرناه ، فجعل المحرم أول العام .

وقد أقر الله التوقيت القمرى بقوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » .

الأشهر الحرم والحج

جعل الله تعالى أربعة أشهر قمرية ذات حرمة خاصة ، وأوجب فيها الكف عن القتال ، لعلها تكون سببا فى الصلح بين المتقاتلين ، بعد أن يدركوا الخسارة التى أحدثتها الحرب بينهم ، وقد توارثت العرب احترامها منذ شريعة ابراهيم عليه السلام ، ومن بعده ولده اسماعيل جد العرب عليه السلام ، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

وكان العرب يطلقون على رجب منصل الأسنة ـ أى مخرجها من أماكنها ـ فانهم كانوا ينزعون أسنة

الرماح ونصال السهام عند قدومه ، كفا للنفس عن الرغبة فى سفك الدماء •

روى البخارى عن أبى رجاء العطاردى قال . « كنا نعبد الحجر ، فاذا وجدنا حجرا هو خيرمنه ، ألقيناه وأخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ، ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة ، فلم ندع رمحا فيه حديدة ، ولا سهما فيه حديدة الا نزعناها فألقيناه » •

وقد كان العرب يحافظون على حرمة هذه الشهور ، فلا يقاتل فيها بعضهم بعضا ، حتى كان الرجل يظفر بقاتل أبيه أو أخيه فلا ينتقم منه ، ولهذا شرع الله الحج فى هذه الأشهر منذ شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، حتى يطمئن من يحج على نفسه وماله ، فلا يزعجه خصم ، ولا يعتدى عليه شرير •

النسىء

ظلت الأشهر الحرم على ما كانت عليه منذ عهد ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — من القداسة والحرمة ، حتى أحدث العرب النسىء ، فأخلوا بمواضعها ، وان التزموها أربعة فى العام •

والنسىء فعيل من نسأه اذا أخره ، فقد كانوا يعمدون الى تأخير حرمة المحرم مثلا اذا أرادوا القتال فيه ، وينقلون هذه الحرمة الى صفر — ليكون القتال مباحا فى المحرم •

وسبب ذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات ، وكانوا يرتزقون من هذه الغارات ، فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها ، ويقولون : لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن •

واختلف فى أول من فعل ذلك ، فقيل هو رجل من كنانة اسمه القلمس ، يروى أنهم كانوا اذا صدروا من منى ، يقوم هذا الرجل فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء ، فيقولون له : أنسأنا شهر المحرم — مثلا — أى أخر حرمته الى صفر ، فيجيبهم الى ما طلبوا ، وكانوا يفعلون ذلك مع جميع الأشهر الحرم ، حتى دار التحريم على السنة كلها •

وكان الذى يلى النسىء من له رياسة فى العرب ، بقول شاعرهم مفتخرا : ومنا ناسىء الشهر القلمس .

ويقول الكميت :

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

وقال الكلبى : أول من فعل النسىء رجل كنانى اسمه نعيم بن ثعلبة ، وكان اذا هم بالصدر من الموسم ، يقوم فيخطب ويقول : لامرد لما قضيت ، وأنا الذى لاأعاب ولاأجاب ، أى لايعاب فى حكم ، ولا يجاب فيه بالرد ، بل يسلم ما يقول ، فيقول له المشركون : لبيك ، ويسألون أن ينسأهم شهرا يغيرون فيه ، فيقول : ان صفر العام حرام – يعنى أنه حرام بدلا عن المحرم – فاذا قال ذلك حلوا الأوتار فيه ، ونزعوا الأسنة والأزجة ، وان أحله وأعاد الحرمة الى المحرم ، عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا .

وقيل : هو جنادة بن عوف الكنانى ، وكان مطاعا فى الجاهلية ، وكان يركب جملا فى موسم الحج ، وينادى بأعلى صوته : ان آلهتكم أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم يقوم فى العام القابل فيقول : ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه ، فينفذ كلامه ، وقيل غير ذلك ، ولعل منشأ ذلك الخلاف تعدد الناسئين فى أزمان مختلفة .

وكما كان النسىء يحدث بتأخير حرمة الأشهر الحرم كما ذكرنا ، فانه كان يحدث بزيادة أشهر السنة القمرية ، فان النسىء يكون أيضا بمعنى الزيادة ، قال الطبرى : النسىء بالهمز الزيادة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » فمعنى ينسأ له فى أثره ، يزاد له فى أجله .

وكان وقت حجهم يختلف تبعا لتأخير الأشهر الحرم ، أو لزيادة شهر أو أكثر على السنة ، ولما حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس فى السنة التاسعة ، كان ذلك فى ذى القعدة ، ولما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع ، كان ذلك فى ذى الحجة ، كما كان على عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فان الزمان كان قد استدار ، بعد نقل الشهور بعضها محل بعض ، حتى رجع ذو الحجة فى حجة الوداع الى مكانه الذى جعله الله فيه .

ولقد أبطل الكتاب والسنة زيادة الشهور القمرية فى السنة عن اثنى عشر شهرا ، قال تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض » اذ أنها منوطة بمنازل القمر أثناء العام الشمسى بفصوله الأربعة ، وهى لا تتعدى هذا العدد ، ثم يزيد العام الشمسى على القمرى أحد عشر يوما تكون من شهر قمرى ثالث عشر ، وهذه الزيادة سبب فى عدم مسايرة السنة القمرية للشمسية فى الفصول الأربعة ، وحددت هذه الآية الكريمة كون الأشهر الحرم من الاثنى عشر شهرا ، فى قوله تعالى : « منها أربعة حرم » فلا يجوز أن تخرج عنها الى الشهر الثالث عشر أو الرابع عشر ـ كما كانوا يفعلون ـ

وقال صلى الله عليه وسلم فى ابطال زيادة السنة القمرية عن اثنى عشر شهرا وابطال النسىء : فيما رواه ابن عمر عنه فى خطبة حجة الوداع « يأيها الناس : ان الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ،وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر ـ بين جمادى وشعبان ـ وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » أخرجه الامام أحمد ـ كما أخرجه أصحاب السنن بمعناه •

بهذا البيان النبوى تحددت أشهر السنة القمرية باثنى عشر شهرا ، كما تحددت الأشهر الحرم بأسمائها فى مواضعها كما كانت قبل أن يدخلها النسىء •

وأضيف رجب الى مضر ، لأنهم كانوا يحافظون على اسمه وموضعه بين جمادى وشعبان ، بخلاف ربيعة ، فانهم كانوا يحرمون رمضان ويسمونه رجب •

وقد حرم القرآن النسىء بنوعيه ، قال تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله •• » الآية •

القتال فى الأشهر الحرم

كان عطاء بن أبى رباح يحلف أنه لا يحل للمسلمين أن يغزوا فى الحرم ولا فى الأشهر الحرم ، حتى يقاتلهم سواهم ، لأن حرمة القتال فيها لم

تنسخ ، وحجته فى حرمة البدء بالقتال فيها قوله تعالى : « منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » أى لا تظلموها ببدء القتال فى تلك الأشهر .

وحجته فى اباحته فيها دفاعا ، قوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ... » الآية ، أى الحرمات يجرى فيها القصاص ، فاذا كان العدو هو البادىء ، فهو المعتدى بهتك هذه الحرمة ، فيحل قتاله قصاصا ، والجزاء من جنس العمل .

والجمهور على أن حرمة القتال المستفادة من قوله تعالى : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » منسوخة ، وحجتهم فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين ، وثقيفا بالطائف ، وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعدة الحرام ، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجيز للمسلمين قتال أعدائهم فى الأشهر الحرم وان لم يبدأوهم .

والحق أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم وحصاره لهم ، كان ردا على اعتداآتهم ، فانه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ، ولا ناهية له عنا ، فلنغزه قبل أن يغزونا ، وارتضوا على القبيلتين أميرا للحرب - مالكا النصرى - فحشد للمسلمين خلقا كثيرا من مختلف القبائل الذين اجتمعوا عليه ، وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ، ثم الابل فالبقر فالغنم ، ليدافع كل مقاتل عن نفسه وأهله وماله ولا يفر ، فقال دريد بن الصمة - وكان مشهورا بأصالة الرأى - وهل يرد المهزوم شىء ، ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، فلم يقبل مشورته .

ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم باستعدادهم لحربه ، ذهب بجيشه الذى فتح مكة ، وانضم اليه ألفان من أهل مكة ، حديثو عهد بالاسلام ، وفيهم ثمانون مشركا ، فكانوا جميعا اثنى عشر ألفا ، وقد أعجبتهم كثرتهم ، فلم تغن عنهم شيئا ، فان مقدمة المسلمين لما توجهت نحو العدو ، خرج لها كمين من شعاب الوادى ، ونضحهم بنبل كالجراد ، فهزمت المقدمة ، ولما رآهم من خلفهم يهزمون ، انهزموا مثلهم ، وثبت النبى

صلى الله عليه وسلم ، وقليل من المهاجرين والأنصار .

وبلغت هزيمة بعض الفارين مكة ، فأمر الرسول عمه العباس أن ينادى الأنصار ، فناداهم قائلا : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان ، فأسمع من فى الوادى ، فأقبلوا سراعا نحوه صلى الله عليه وسلم فلما اجتمع حوله عدد عظيم ،كروا على أعدائهم ، تؤازرهم ملائكة من عند الله لم يروها ، فانهزموا أمام المسلمين هزيمة نكراء ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون ، فبلغت غنائمهم نحو أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، وذهب كثير ، ولما تجمع من بقى من ثقيف وهوازن بالطائف ، وتحصنوا بحصونها ، أراد الرسول أن يقضى على بقيتهم ، حتى لا يثيروا متاعب للمسلمين فى المستقبل ، فلهذا حاصرهم ثمان عشرة ليلة ، وكانوا يضربون المسلمين من حصونهم بالنبال ، ولم ينفع مع حصونهم العالية المنيعة ، المنجنيق ولا الدبابات التى أعدها المسلمون - لينقبوا وهم فيها - تلك الحصون ، فقد كانوا يقذفون المسلمين بالحديد المذاب حتى أرجعوهم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقطع نخيلهم وأعنابهم ، فقطع المسلمون فيهاقطعا ذريعا ، فناداه أهل الحصن : أن اتركها لله وللرحم ، فأمر المسلمين بالكف عنها .

ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن تمنعهم شديد ، وأن الله تعالى لم يأذن بالفتح ، استشار نوفل ابن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام ، فقال يا رسول الله : ثعلب فى جحر ، ان أقمت أخذته ، وان تركته لم يضرك ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالرحيل عنهم ، فطلب منه بعض أصحابه أن يدعو عليهم ، فأبى وقال : اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ، وقد استجاب الله دعاءه ، فقد جاءه وفد من هوازن بعد بضع عشرة ليلة من ترك الحصار ، واعتذر له صلى الله عليه وسلم ، وطلب منه أن يرد عليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم ، وأسلم منهم كثير ، فأجابهم الى ما سألوا ، وأمر عليهم مالك بن عوف النصرى ، الذى كان قائد هذه الحرب ضد المسلمين ، بعد أن أسلم ، ثم جاءه وفد من ثقيف تائبين معتذرين وأسلموا ، وطلبوا أن يعين لهم من

يؤمهم ، فعين لهم عثمان بن أبى العص .

فمما سبق نعلم أن حصار الرسول وقتاله لهؤلاء ، لا يتم الاستدلال به على جواز البدء بالقتال فى الأشهر الحرم ، فانهم هم البادئون كما شرحنا .

والأفضل أن يستدل لذلك بقوله تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » فالآية تدل بعمومها على جواز أن نبدأ بالقتال فى الشهر الحرام وغيره ـ ان علمنا أن أعداءنا بيتوا النية على غزونا ، أو أى نوع من أنواع الخيانة التى تضر بمصالح المسلمين ولا شك أن ذلك موضع اجماع من المسلمين ، لا يجادل فيه عطاء ولا غيره ، لأن من الخيانة على الدين والوطن ، أن نترك أعداءنا يحرزون فضل المبادرة ومزية المفاجأة وهذه جريمة دينية لا تغتفر ، وناحية ضعف حربية لا يصح أن توجد فى المسلمين ، فان لمفاجأة العدو بالضربة القاصمة ، أثرا كبيرا فى سرعة احراز النصر (١) .

وقد اختلف العلماء فى حكم من قتل فى الشهر الحرام ، هل تغلظ ديته أم لا ، فالأوزاعى يقول : بتغليظها الى دية وثلث ، وروى هذا عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وسالم بن عبد الله وغيرهما ،وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : تغلظ الدية فى النفس وفى الجراح ، وقال مالك وابن أبى ليلى : حكم القتل فى الشهر الحرام كغيره ، فلا تغليظ فيه ، وهو قول جماعة من التابعين ،وحجتهم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين الديات ، ولم يذكر فيها مخالفة الشهر الحرام لغيره فى حكمها .

وأجمعوا على أن من قتل فى الشهر الحرام لا تغلظ كفارته ، فكذا ديته قياسا عليها ، والله تعالى أعلم

مصطفى محمد الطير

---

(١) أكثر العلماء على أن حرمة القتال فى الأشهر الحرم المفهومة من قوله تعالى :«يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » منسوخة بقوله تعالى : « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فان المراد بالأشهر الحرم أشهر معينة ابيح للمشركين السياحة فيها بقوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض اربعة أشهر » وليس المراد بها الأشهر الحرم من كل سنة .

طلع البدر علينا :
نشيد الهجرة

للأستاذ السيد حسن قروت

فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول شهدت الصحراء موكبا نبيلا يؤم يثرب تتجاذبه قوتان متباينتان أشد التباين ، أما الأولى فانها تود تدميره ، والقضاء عليه ، وأما الأخرى فانها تحبه وتريده وتفديه ، وقد نجا من الأولى بعزيمة صاحب الموكب القوية التى لا تعرف الضعف والتردد ، وبحسن تصرفه الذى يجيء الهاما وذكاء وتوفيقا من الله . انه محمد ابن عبد الله رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين . وقد كان مستقبلوه فى ضاحية يثرب من المهاجرين والأنصار يترقبون وصوله ، ويقلقون من عنت أعدائه ومكرهم ، ويتلهفون على تنسم أخباره ، ومعرفة جل أموره ، وقد حكى الذين انتظروه عن مبلغ تطلعهم لقدومه وتشوقهم لرؤية طلعته ،وروى الرواة عنهم قولهم (١) : « لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ،وتوكفنا « ترقبنا » قدومه كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فاذا لم نجد ظلا دخلنا بيوتنا ، وذلك فى أيام حارة ، حتى اذا كان فى اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنا كنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قيلة (٢) ، هذا جدكم (٣) قد جاء ... »

---

(١) الطبرى جـ ٢

(٢) الأوس والخزرج .

(٣) حظكم .

وفعلت صرخة اليهودى فعلهـا ، فانجفل الناس صوبها ، وسابقوا الريح نحوها يستقبلون رسولهم المهاجر اليهم ، حدثت ضجة كبيرة ، تلتها نداءات كثيرة ، شملت جميع الأنحاء ، وارتفعت الى أعنان السماء ، يقولون فى هتاف صاخب ، النبى قد جاء كل يمضى ، كل يطير ، المهاجرون والأنصار فى فرحة غامرة ، وبهجة ظاهرة ، ولقاء حافل ، واستبشار بمستقبل وضىء مضىء ، والنساء والصبيان والاماء ينشدون :

طلع البـدر علينـا
من ثنيـات الوداع
وجب الشكر علينـا
ما دعـا للـه داع
أيهـا المبعوث فينـا
جئت بالأمـر المطاع

بهذا النشيد الصادق تبدت مظاهر الاستقبال ، يا له من نشيد صاف واف يملأ القلوب أنسا وسرورا ، والوجوه تبلجا وحبورا ، انك تهتز لسماعه ، وتأخذك الأريحية لجماله وجلاله ، ويروعك بنبضه وانبثاقه ، وتدفقه وانطلاقه ، وصدقه وانبساطه ، كلمات عفوية تبلغ حد السذاجة ، ولكنها عميقة كالآبار ، ثرية كالبحار ، وكيف لا تكون كذلك وهى من نبع الايمان العميق تفور ، ومن الحب الوثيق تمور ؟ تندفع من الحنايا ، ويخفق بها الوجدان ، وتشدو بها الحناجر والثغور ، نشيد خالد تجاوبت به جواء المدينة بوفائها ، وأصغت اليه السماء فى عليائها ، ورفت عليه أجنحة الملائكة ، وتنقلته الأفواه ، ورن صداه فى الصحراء ، وغنى به المنشد ، وحداية الحادى ، وردده التاريخ .

انه أول شعر اسلامى أنشد لاستقبال ، كما أن أول شعر تحدث عن هجرة الرسول هو الشعر الذى قيل بعد أن غادر موكب النبى (خيمة أم معبد) ومنه :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
همـا نزلا بالبر وارتحـلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمـد
فيال قصى ما زوى الله عنـكم
به من فعـال لا يجازى وسؤدد

ان قصيا وقريشا كلها فى فزع وجزع ، وقلق وأرق ، واضطراب واكتئاب ، لقـد فاتهم محمد ، ورد

كيدهم الى نحورهم ، فلم تغن عنهم دار الندوة شيئا ، وما دبروه لم يحققوه ، وأنى لهم تنفيذ ما دبروا وعين الله ساهرة تحفظ الرسول ورسالته .

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » سورة التوبة آية ٤٠

لقد فاتهم وتركهم يتخبطون ، واتجه الى قوم يحبونه أكثر ، حبهم أنفسهم ، ينصرونه ويمنعونه ، وينشرون رسالته ، قوم قال فيهم أحدهم ممن شهد (بيعة العقبة الآخرة) بيعة الحرب ، يارسول الله بايعنا ، فنحن أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر . لقد آن لقريش أن تستقبل أياما شدادا تبلوها فى مالها ورجالها ، وفى مكرماتها وعزها ، وتمتحنها فى غدوها ورواحها ، فى رحلتها الى الشام صيفا ، ورحلتها الى اليمن شتاء ، وآن لأصنامها أن يصيبها ما أصاب أمثالها على يد أبى الأنبياء ابراهيم ، ان ما توقعوه وخافوه وجدوه ، فليصح النائم ، ولينبه الغافل ، وليرشد المخدوع ، فلم يبق لحياة الجاهلية مقام ؟ فلقد انتقلت الدعوة الاسلامية الى مأمنها ، الى من هداهم الله ليكونوا أنصارها ، فينالوا شرف الدنيا ونعيم الآخرة ، انهم أنصار الله وشيعة رسول الله ، وحماة العقيدة ، وهم بعد هذا كله أهل الحلقة ورثوها كابرا عن كابر . لقد طلع البدر عليهم ، وسطع نوره بينهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . فما أحلى نشيدهم ، وماأجله عزا وخلودا ، ان كل كلمة منه تحمل معنى وسيما كريما لا يحيد ولايميد ، طلع البدر ، وكلمة « طلع » لم تأت عفوا من الفطرة السليمة فحسب ، ولكن لها جذورا وفروعا وأغصانا وثمارا ، انها من نبع التبشير بالنبى المنتظر ، فكم بشر يهود يثرب بهذا الطلوع ، وكم استفتحوا به يخيفون أعداءهم من غطفان وغيرها ، ولابد لتبشيرهم أن يبلغ أسماع من يخالطونهم ويباشرونهم من الأوس والخزرج ، ومن القبائل الضاربة حول المدينة .

قال (١) ابن عباس : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة ، فلما ولد رسول الله قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة « هذا الكوكب قد طلع » فلما تنبى قالوا : قد تنبى أحمد « قد طلع الكوكب الذى يطلع ... » فطلع البدر ليست خيالا من خيال الشعراء ، ولكنها حقيقة من حقائق التاريخ . وهى من الخيال الأصيل بمكان ، فمحمد كوكب درى أنار سماء الأنصار ، وطلع عليهم من أقرب منازله ، من ثنية الوداع ولم يدر فى خلد من وفقه الله لهذا النشيد أن البدر الذى طلع عليهم صادف فى طريقه مصاعب ومتاعب لايتحملها الا أولو العزم من الرسل ، متاعب الغدر به فى منزله لو تمكنوا منه ، ومتاعب الغار ووحشته ، والصائحين حوله بأيديهم أدوات الدمار ، ووحشة الطرق غير المسلوكة ، وانما طلع من ثنية الوداع وهذا الكوكب الذى طلع من ثنيات الوداع واجب شكره (٢) فى كل حين ، لأنه هداهم الى الطريق المستقيم ، لأنه أنار عقولهم ووصلها بالخالق الرازق المحيى المميت الذى بيده ملكوت السموات والأرض لأنه ملأ قلوبهم بالتقوى ، وبشرهم بالحسنى ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، واجب شكره ما دعا داع الى الايمان والاحسان ، وراض البشرية على جميل السلوك ، والارتفاع عن المادة وزهرة الحياة الدنيا ، شكر لايصوره شاعر كما صوره هذا النشيد الذى لا يعرف قائله ، وهل ترى قولا يبلغ القلوب فيملؤها بالايمان حتى تفيض ، وبالبشرى حتى تنتشى وتستزيد مثل قوله :

أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

فالمبعوث والأمر المطاع يشدانك الى ميادين واسعة تمتد وتمتد حتى تشمل الشام حيث أسرى به والحجاز كله بما فيه مكة والطائف والمدينة وحراء وثور على مدى ثلاثة عشر عاما من الجهاد بالقرآن ، ليهدى المبعوث قوما ما أتاهم هاد من قبله ، وليرتفع بهم عن عبادة الأصنام ، وليجعلهم هداة الأنام ، ولكنهم يعرضون ، وترى

---

(١) الطبقات جـ ١

(٢) أثرنا هذا الفهم على فهم لا يدفع : شكر الله ودعائه .

تفسك تلو قول الله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » الآيات ٢ و٣ و٤ من الجمعة فماذا بعد هذا ؟ فمن حق مستقبلى البدر الذى سطع نوره ، والكوكب الذى طلع أن يعتدوا ويعتزوا وينشدوا « أيها المبعوث فينا » فهم رأوه وحيوه ، ونعموا بنوره ، فحق لهم أن يحملوا لواءه ، ويجيبوا نداءه ، ويطلبوا من الناس جميعا أن يشاركوهم نعمتهم ، ففيها حياتهم ، وحق لهم أن ينشروا تعاليم دينه من عقيدة صحيحة ، وقوانين رفيعة ، وأحكام عادلة ، وفى مقدمة ذلك الشورى ومكارم الأخلاق ، وعليهم أن يرسوا أسس الحضارة فى الشرق والغرب • ألم تكن أول سورة تلقاها المبعوث الكريم « اقرأ » ؟ فلا مناص اذن من أن يكونوا الهداة الرعاة ، والعلماء والحكماء والصالحين الربانيين ، والشهداء المستبشرين ، وهم ـ بعد ـ خير أمة أخرجت للناس، فيأمرون بالمعروف ،وينهون عن المنكر تلبية للأمر المطاع • وسر الرسول بلقائهم ونشيدهم ، فما ان حط رحاله فى بنى عمرو بن عوف حتى كان أول كلام سمع منه : « يا أيها الناس ، أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، وادخلوا الجنة بسلام » ، وكان أول فعل قام به بناء مسجد قباء ، ومكث بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج منه بأمر ربه يوم الجمعة : ليكون مقامه داخل المدينة ، وكأن الأيام التى قضاها فى بنى عمرو ابن عوف للراحة والاستجمام ، ليستأنف حياة الجهاد والكفاح ،وكان يوما مشهودا التف حوله أصحابه شاهرى السلاح ، فأدى صلاة الجمعة فى بنى سالم ثم ركب ناقته القصواء ، والناس من عن يمين وشمال ، فاعترضه الأنصار ، لا يمر بدار من دورهم الا قالوا : هلم يانبى الله الى القوة والمنعة والثروة ، فيسمعهم ما يسرهم ، ويقول : « انها مأمورة فخلوا سبيلها » قال ذلك لبنى سالم ، وقاله لبنى الحارث بن الخزرج ، وقاله لبنى عدى ، والناقة تسير نحو هدفها لا تخطئه حتى بركت حيث

أمرها الله ، ومن عجيب أمرها أنها نهضت بعد أن بركت فسارت غير بعيد ، ثم عادت الى مبركها الأول ، فبركت ولم تنهض ، وحمل الرحل أبو أيوب الأنصارى • فقال الرسول: « المرء مع رحله » فنزل على أبى أيوب وتكفل بالناقة أسعد بن زرارة •

ومن منزل أبى أيوب بعث صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة ليحضرا أسرته ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ، فذهبا ثم عادا اليه بفاطمة وأم كلثوم ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك ، وأمسك بزينب زوجها بمكة فلم تهاجر •

وتنظر فترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى بناء مسجده ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار فى أرض لبنى النجار ، ويصبح المسجد من يومئذ أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها ، ويجعله الامام مالك فى مقدمتها ، فهو منارة الهدى ، ومنبع التقوى ، ومركز الدعوة ، ومدرسة المسلمين ، وكم شهد ذلك المسجد من الأعمال والأمجاد ما تضيق ببسطه الصفحات ، فقامت الدولة الاسلامية من ساحته ، وتم للمسلمين أركان الاسلام الخمسة فيه •

وكانت الهجرة مبدأ تاريخهم ، لأنها كانت فارقا بين الحق والباطل ، والقوة والضعف ، والأمن والخوف ، وفيها يجد المسلمون غذاءهم من العظة والاعتبار والاقتداء والاهتداء ، فيعرفون أن الحياة جهاد ، وأن العقيدة تزداد قوة بالاضطهاد ، وقد ضرب لنا رسول الله أعظم المثل فى التحمل والصبر ، وفى التمسك بالحق والحرص على الأجر ، وفى البذل والفداء ، ولا تقوم الدعوة وتنتشر ، ولا تتقدم الأمة وتزدهر الا بكل أولئك •

لقد بعث الله رسولا أميا فى الأميين فما زال بهم يعلمهم القرآن ويبين لهم السنة حتى هداهم من ضلال ،وقومهم

من اعوجاج وجمعهم تحت راية واحدة بعد تفرق وشتات ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فعلينا نحن فى هذا العصر أن نسلك ذلك الطريق ، ونفعل مثل ما فعلوا ، ولنا فى ذكرى الهجرة عون وملاذ اذا تأملناها ، ووعينا عطاءها ، وما أجمل أن ننشد ما أنشد من استقبلوا خير الأنام فى حب وصدق ووئام :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع

لنرشد ونسعد ،ونحلم بغد أمجد ، تحقيقه يسير على من اقتدى ونفذ ؟

السيد حسن قرون

استطلاع الغيب

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : « اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله ، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به ، قال : ويسمى حاجته » أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى • الاستخارة فى الأمور : طلب الخيرة فيها واستعلام ما عند الله فيها ، أستقدرك بقدرتك ، يقال : أستقدرك لكذا أطلب منك أن تقدرنى عليه • أقدره لى : أى هيئه لى يقال : قدرت الشىء أقدره أى قدرته وهيأته •

الانسان طلعة مشغوف بأن يعرف كل شىء ويخبر كل شىء ، وقد استطاع بتلك الخاصية أن يعمر الكون ويستعمر الدنيا ، وينشىء الحضارات والحضارات فى جملتها أفكار ومعارف اكتشفها الانسان على مر الأجيال بما وهبه الله من العقل وبخاصية التطلع ، وضم بعضها الى بعض ونسق بعضها مع بعض حتى استكملت له وأخذ ينعم فى ظلالها بحياة السعة والدعة وما زال الانسان يواصل سعيه وراء

المجهـول فى الكون ويستنطق الغيب ويظفر بالجديد والعجيب ويضيفه الى ما علم من قبـل ليطور حضـارته ويستزيد من متـاعه ورفهـه • وقد عرف الانسان مذ كان بهذه الخاصية أعنى خاصية التطلع الى المجهـول وكشف الأسـتار عن مخبـوء الغيب وخاصة فيما يتعلق بشئون نفسه وأمر معاشه ومستقبل حيـاته ، ولكن كان منصفا لنفسه حين اعترف بالعجز عن بلوغ ما يريد من ذلك ، وحـين اعترف بالحيرة فى اسـتبانة الخـير فيما يهمه ليمضى على بصيرة من أمره فيما اعتزمه وأخذ يلتمس الوسائل الى ذلك وتشـعبت بالنـاس المذاهب ولم تخل أمة من الأمم من معـاناة التسلط على الغيب ومحـاولة التعـرف عـلى ما انطوى عليه رغم اسـتحالته عليهـم ورغم تكرار فشلهم فى معاناتهم •

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصـا
ولا زاجرات الطـير ما الله صـانع

ولقد كان لكل أمة وكل جمـاعة أسبابها ووسائلها الى التعرف على الغيب واشتهر العرب بممارسة كثـير منها ، اشتهروا بالعيافة ، والقيافة ، والعرافة، وزجر الطير، وطرق الحصا، والخط على الرمل، والاستقسام بالأزلام وغير ذلك من أعمال أو صناعات استخدموها للتعرف على الغيب واستجلاء ما يضمر من خير أو شر •

وما زالت الأمم حتى الاسلامية منها تمـارس بعض هـذه الأعمـال لهذا الغرض بل تضيف اليهـا جديدا رغم استنكار الاسـلام لها وبغضـه اياها بنصـوص القـرآن والسـنة ، ورغم تحقق زيفهـا وثبوت بطلانهـا بتكرر فشلها كما ذكرنا وقد أبطلها الاسلام لأنهـا خرافات وأوهام وتعلق بمـا لا يجدى فى استجلاء الغيب ، فالغيب كما نعـلم مما حجبه الله عن خلقـه وجعله من حماه فلا يملكه الا هو كما قال جل شأنه : «لايعلم الغيب الا الله» وقال : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » •

ولقد أبطل الاسلام هذه الوسائل بكل صورها لأنها عديمة الجدوى فى حياة الناس ولا تصلح أن تكون وسائل الى الأعمـال الجادة المثمرة ولا تزيد المتعلق بهـا الا بلبلة وحيرة وترددا كما تضـاعف من شـكه وعنائه فى مواقف البت والحسم •

وفى بعضها ما يشوب عقيدة المؤمن فى ربه كالاستقسام بالأزلام فى ساحة الأصنام كما كان يفعل العرب فى جاهليتهم •

لكل ما ذكرنا أبطل الاسلام الاشتغال بها ولم يغض الطرف عما طبع عليه الانسان من خاصية التطلع الى الغيب واعترافه بالعجز عن الوصول اليه والتطلع الى الاستعانة بما يزيل الحيرة فى اختيار ما يرجح جانب الخير فيه فأبدله بوسيلة من الوسائل التى ترضى تطلعه وتكون فى الوقت نفسه خالصة مما يمس عقيدته وتحتسب له فى جانب القربات والعبادات وسن له الاستخارة لكن ليست الاستخارات بالسبح ، والورق ، والحصا ، وأهداب الملاحف ، وحساب الجمل وغير ذلك من المبتدعات ولكن الاستخارة بصلاة خاصة ودعاء خاص بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك الخ » يعنى يصلى ركعتين ويقرأ فى الأولى سورة الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص كما قال الفقهاء وبعد الفراغ منهما يدعو بما ورد فى الحديث الذى قدمناه فى أول هذه الكلمة ، الا أنه يقول : بدل هذا الأمر : حاجته التى يستخير الله فيها وبعد أن يتم الصلاة والدعاء يرى أن قلبه قد انشرح لهذا الأمر الذى سماه أو انقبض عنه فلينظر الى الذى سبق اليه قلبه فيمضى فيه •

تلك هى صورة الاستخارة التى رضيها الاسلام للمسلمين وكان النبى يعلمهم اياها كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، دون الذى كان عليه الجاهليون ودون الذى عليه كثرة من المسلمين الآن وهى كما نرى صورة مملوءة بالثناء والدعاء والاستعانة بقدرة من يملك القدر واستخيار من يملك الخير •

قال بعض فقهاء التفسير فى تفسيره :

لما كانت الدلائل والبينات فى بعض الأمور والترجيح بينها متعذرا فى بعض الأحيان فيريد الانسان الشىء فلا

يستبين له : الاقدام عليه خير أم تركه ؟ فيقع في الحيرة جعلت له السنة مخرجا من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره ولا تطول غمته ، وذلك المخرج هو الاستخارة وهي عبارة عن التوجه الى الله عز وجل والالتجاء اليه بالصلاة والدعاء بأن يزيل الحيرة وييسر ويهيىء للمستخير الخير وجدير هذا بأن يشرح الصدر لما هو خير الأمرين وهذا هو اللائق بأهل التوحيد أن يأخذوا بالبينة والدليل الذى جعله الله مبينا للخير والحق فان اشتبه على أحدهم أمر التجأ الى الله تعالى فاذا شرح صدره لشيء أمضاه وخرج به من حيرته ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

النيابة فى الحج

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كان الفضل رديف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر ، فقالت : ان فريضة الله أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : نعم ، وذلك في حجة الوداع ، متفق عليه ، ورواه أبو داود ، ومالك فى الموطأ .

البيان :

تضمن المقال السابق التعريف براوى الحديث ، وشرح الكلمات اللغوية ـ وعند بيان أهداف الحديث ذكرت ما امتازت به الشريعة المحمدية من العموم والخلود ـ وقلت : ان هذا يرجع الى عدة أمور ، اقتصرت فيها على ايضاح أمرين :

الأول : يرجع الى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى تلقينا عنه هذه الشريعة ، حيث منحه الله تعالى من الكمالات البشرية ما جعله للناس كافة أسوة حسنة ، وقدوة شاملة فى جميع المحامد والمكارم .

الثانى : يرجع الى الشريعة ذاتها حيث هى وافية بجميع حاجات البشر ، وقامت على مبدأ اليسر ورفع الحرج ، ورعاية حال المكلفين فى كل شأن من الشئون ، وفى هذا المقال نحاول أن نتم البيان لأهداف الحديث فنقول :

هـذان الأمـران اللذان لهمـا كبـير الأثر فى عمـوم الشريعة المحمـدية وخلودها يتجليـان فى الحديث الذى نحن بصـدده ، فقـد أخبرنا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهمـا أن النبى صلى الله عليه وسـلم ـ عنـدما كان يركب راحلته فى أدائه لحجة الوداع ـ كان الفضـل بن العباس رضى الله عنهما يركب خلفه .

ووجود هذه الصـورة الرائعة فى مشهد الحج يعلن فى صراحة ووضوح عن مدى ما كان يتحـلى به الرسـول عليه الصلاة والسلام من لين الجانب وسماحة النفس ، وكريم التواضع ، والعناية بغيره من الناس ، والتطبيـق العملى لمبـدأ المسـاواة فى الاسـلام ، فليس أدل على تحقيق هذا المبـدأ من أن يرى الناس جميعا أن أحد المسلمين يركب مع نبى الاســـلام على دابة واحدة ، وهذا يقرر أمام العالم أجمع أن مجده عليه الصلاة والسـلام ليس كمجد الملوك وأصـحاب السـلطان الذين يعتزون بمظاهر الحياة الدنيـا وما فيها من زينـة وجاه ـ وانمـا هو مجد من نوع آخر بلغه عليه الصـلاة والسلام بسبب أن الله تعالى أتم عليه نعمته ، واصطفاه للرسـالة العظمى ، وجمع له أطراف الفضائل الانسانية ، وأثنى عليـه ثنـاء مسـتطابا مؤكدا ، ومنحه وسـاما رفيعـا خالدا فقال جل شأنه : « وانك لعلى خلق عظيم » (١)

وفى أثناء أدائه صلوات الله وسـلامه عليـه لمناسـك الحج جاءته امرأة من قبيلة خثعم وكانت وسيمة جميلة ، كما كان الفضل أيضا وسيما جميلا ـ يدل على هذا رواية أخـرى للحديث جاء فيها : (وكان الفضل رجلا وضيئا ـ أى جميلا ـ وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة) فأخذ الفضـــل ينظر اليهـا وتنظر اليه معجبـا كل منهما بجمـال الآخر وحسنه ، فلما التفت النبى صلى الله عليـه وسـلم ، وعرف ذلك بادر فحول وجه الفضل الى الجانب الآخر الذى لا توجد فيه المرأة ليمنـع هـذا النظر اتقاء للفتنة ، وصيانة من الاثم ، وحسـما لمـادة الشر ، واغلاقا لمنـافذ الشيطان ، كما يفهـم هـذا من رواية أخرى للحديث علل فيها النبى صـلى الله عليه وسـلم هذا التصرف الحازم

---

(١) سورة القلم آية رقم ٤

بقوله : (رأيت غلاما حدثا ، وجارية حدثة ، فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان) .

وهذا الاجراء النبوى يدل على سداد فى الرأى ، ونفاذ فى البصيرة ، وبعد فى النظر ، وبصر بالعواقب ، وحكمة فى التوجيه ، واشفاق على المؤمنين ، وحرصا على هدايتهم الى الصراط السوى ، ووقايتهم من الاثم والانحراف ، وصدق الله تعالى حيث يقول فى شأن رسوله الكريم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (١) .

جاءت هذه المرأة تسأل عن أمر أبيها ، فذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم : أن عبادة الحج التى فرضها الله على عباده ، قد وجبت على أبيها شيخا كبيرا ، اذ أسلم فى سن متقدمة ، وهو بحال من الضعف الصحى لايستطيع معه أداء هذه الفريضة بنفسه ، فانه لايقوى على الاستمساك على الراحلة ، ويخشى عليه من ركوبها ـ كما ثبت ذلك فى بعض روايات أخرى للحديث ، فقد جاء فى بعضها : (ان شددته ـ أى على الراحلة ـ خشيت أن يموت ـ وجاء فى بعض آخر : (ان شددته بالحبل على الراحلة خشيت أن أقتله) وبعد أن بينت حال أبيها للنبى صلى الله عليه وسلم ، قالت له : أفأحج عنه ؟ ـ أى أيجوز لى أن أقوم بالحج نيابة عنه ؟ فأفتاها عليه الصلاة والسلام بمشروعية ذلك » .

الجمع بين روايات للحديث مختلفة الظواهر :

أفادت الرواية التى معنا أن المرأة من خثعم هى التى سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن حكم أبيها ـ ولكن جاء فى رواية أخرى مايفيد أن السائل عن أبيه رجل ، فقد أخرج النسائى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما : أن رجلا من خثعم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان أبى شيخ كبير ، لايستطيع الركوب ، وأدركته فريضة الله فى الحج ، فهل يجزىء أن أحج عنه ؟ قال : أنت أكبر ولده ؟ قال : نعم ، قال : أرأيت

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨

لو كان على أبيك دين ، أكنت تقضيه ؟ قال : نعم ، قال : فحج عنه .

وأخرج النسائى رواية أخرى أن الرجل استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمه ، وقد جمع صاحب « فتح البارى » بين هذه الروايات بأن السائل رجل ، وكانت ابنته معه .

ويبدو رجحان مذهب الجمهور ، فانه فضلا عما تقدم من وجوه الترجيح تشهد له النصوص التى تثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فسألت أيضا النبى صلى الله عليه وسلم ، والمسئول عنه أبو الرجل وأمه جميعا .

فعلى هذا فقول المرأة : ان أبى أدركته الخ ... أرادت به جدها ، لأن أباها كان معها ، ويبدو أن أباها أمرها أن تسأل عن أبيه النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم سأل هو بعد ذلك عن أبيه ، وسأل أيضا عن أمه ـ واسم هذا الرجل : حصين بن عوف الخثعمى (١) .

النيابة فى أداء الحج :

لما كان الحديث متعلقا بالنيابة فى أداء الحج ـ رأيت من المفيد أن أعطى القارىء فكرة موجزة عن بعض الأحكام التى ذكرها الفقهاء فى هذا الموضوع ، فأقول :

اتفق العلماء على أن من وجب عليه الحج ، ويقدر على أدائه بنفسه لا يجزئه أن يحج عنه غيره ، قال موفق الدين بن قدامة فى كتابه المغنى ج ٣ ص ١٨٠ ط المنار :

ولا يجوز أن يستنيب فى الحج الواجب من يقدر على الحج بنفسه اجماعا ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن من عليه حجة الاسلام ، وهو قادر على أنه يحج لا يجزىء عنه أن يحج غيره عنه ا هـ .

وأما من وجدت فيه شرائط وجوب الحج ، وكان عاجزا عن أدائه بنفسه ، بأن كان مريضا مرضا لا يرجى شفاؤه ، أو شيخا كبير السن لا يستمسك على الراحلة ـ فعند الجمهور يلزمه الحج ، وعليه أن يستنيب غيره فى الأداء متى وجد من ينوب عنه ،

---

(١) فتح البارى بتصرف .

وحتى وجد مالا يستنيبه به ، ويجزىء أداء النائب عن المحجوج عنه .

وعند مالك لايلزم الحج العاجز الا أن يستطيع بنفسه .

الأدلة :

استدل مالك رضى الله عنه بما يأتى :

١ ـ ان الله تعالى قد شرط لوجوب الحج الاستطاعة ، فقال : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) ـ والعاجز عن أداء الحج بنفسه غير مستطيع ، فلا يجب عليه .

٢ ـ قياس عبادة الحج على عبادة الصوم والصلاة ، فكل منهما لاتدخله النيابة فى حال القدرة والعجز ، فكذلك عبادة الحج ـ وهى وان كان فيها جانب مالى الا أنه مغلوب عليه ، فلا يتعلق به حكم ـ وانما يتعلق الحكم بالغالب ، وهو الجانب البدنى ، فلا تجوز النيابة فى الحج ، واستدل الجمهور بالأدلة الآتية :

١ ـ ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من حديث المرأة الخثعمية الذى هو موضوع المقال .

٢ ـ ما روى عن أبى رزين أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، ان أبى شيخ كبير ، لايستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (٢) ، قال : (حج عن أبيك واعتمر) (٣) .

٣ ـ الحج عبادة مركبة يشترك فى فعلها البدن والمال ، فانه فيه الخضوع لله تعالى بالطواف والسعى وغيرهما من الأعمال ، وفيه أيضا انفاق المال فى هذا السبيل .

فباعتبار الجانب المالى يقبل الحج النيابة ، ويكون فيه فعل النائب قائما مقام فعل من ناب عنه كالزكاة .

مناقشة دليلى مالك رضى الله عنه :

يتجه الى الدليل الأول أن الاستطاعة التى هى شرط لوجوب عبادة الحج يمكن أن تشمل القدرة على انابة الغير فى فعل العبادة ، ويتجه

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٧
(٢) أى السفر .
(٣) رواه ابو داود ، والنسائى ، والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

الى الدليل الثانى أن قياس الحج على الصلاة والصوم قياس مع الفـارق ، فان عبادة الحج تتوقف على جانب مالى ، بخلاف الصلاة والصوم .

وهذا الجانب ـ وان سلم أنه مغلوب ـ فاننا نصحح جعله مناطا لجواز النيابة فى الحج ترجيحا لوجود العبادة على عدمها .

ويتجه الى هـذا الدليل أيضا أن القول : بأن الحج لايقبل النيابة قول غير سديد ، اذ أنه عبادة تجب الكفارة بافسادها ، وفى الكفارة معنى النيابة على أداء هذه العبادة .

ويتجه اليه ـ زيادة على ما تقدم ـ أن جعل الصوم أصلا مقيسا عليه الحج فى عدم قبول النيابة ـ ممنوع ، فان الفدية بالنسبة للعاجز عن الصيام فيها معنى النيابة عن فعل هذه العبادة .

ويبدو رجحان مذهب الجمهور ، فانه فضلا عما تقدم من وجوه الترجيح تشهد له النصوص التى تثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

واليك ما جاء عن هـذه المسألة فى كتاب المغنى لابن قدامة على مختصر الخرقى ج ٣ ص ١٧٧ ـ ١٧٨

مسـألة :

قال : أى الخرقى ـ (فان كان مريضا لايرجى برؤه ، أو شيخا لايستمسك على الراحلة أقام من يحج عنه ويعتمر ، وقد أجزأ عنه وان عوفى) .

وجملة ذلك أن من وجدت فيه شرائط وجوب الحج ، وكان عاجزا عنه لمانع مأيوس من زواله كزمانه ، أو مرض لايرجى زواله ، أو كان نضو الخلق (١) لايقدر على الثبوت على الراحلة الا بمشقة غير محتملة ، والشيخ الفانى ، ومن كان مثله متى وجد من ينوب عنه فى الحج ومالا يستنيبه به لزمه ذلك ـ وبهـذا قال أبو حنيفة والشافعى ، وقال مالك : لا حج عليه الا أن يستطيع بنفسه ، ولا أرى له ذلك ، لأن الله تعالى قال : « من استطاع اليه سبيلا » وهذا غير مستطيع ـ ولأن هذه عبادة لا تدخلها النيابة مع القدرة ، فلاتدخلها مع العجز كالصوم والصلاة .

(١) نضو الخلق بكسر النون ، اى مهزول الجسم .

ولنا حديث أبى رزين ، - وروى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله ، ان فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا ، لايستطيع أن يثبت على الراحلة ، افأحج عنه ؟ قال : (نعم) وذلك فى حجة الوداع ، متفق عليه - وفى لفظ لمسلم قالت : يارسول الله ، ان أبى شيخ كبير عليه فريضة الله فى الحج ، وهو لايستطيع أن يستوى على ظهر بعيره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (فحجى عنه) •

وسئل على رضى الله عنه عن شيخ لا يجد الاستطاعة ، قال : يجهز عنه•

ولأن هذه عبادة تجب بافسادها الكفارة ، فجاز أن يقوم غير فعله فيها مقام فعله كالصوم اذا عجز عنه افتدى - بخلاف الصلاة - ا هـ •

ولموضوع النيابة فى الحج أحكام تفصيلية ، تكفلت بها كتب الفقه ، فارجع اليها ان شئت •

ما يرشد اليه الحديث :

يرشد الحديث الى أمور نقتصر فيها على ما يأتى :

١ - مشروعية النيابة فى الحج ، وأنه يقع عن المستنيب •

٢ - الاستطاعة للحج كما تكون بالنفس تكون بالغير •

٣ - تواضع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنزلة الفضل بن عباس منه •

٤ - حكمته عليه الصلاة والسلام فى التوجيه الى الاستقامة ، ومجانبة أسباب الفتنة والفساد •

٥ - البر بالوالدين ، والعناية بأمرهما ، وتوفير راحتهما •

٦ - حرص المرأة الصحابية على التفقه فى الدين •

٧ - احرام المرأة فى وجهها ، فيجوز لها كشفه فى حال الاحرام بالحج أو العمرة •

٨ - جواز سماع الرجال لصوت المرأة ما دام لايخشى منه الفتنة •

٩ - فى جواز انابة المرأة عن أبيها فى أداء الحج مظهر من مظاهر تكريم الاسلام لها ، حيث سوى بينها وبين الرجل فى النيابة عن الرجال •

١٠ ـ بيان يسر الدين ، وابتنائه على مبدأ الترفق بالمكلفين ، ورعاية حالهم .

١١ ـ جواز الارتداف اذا كانت الدابة تطيق ذلك .

١٢ ـ الافادة بما ركب فى الآدمى من الشهوة ، وجبل طبعه عليه من النظر الى الصور الحسنة ، والاعجاب بها .

١٣ ـ وجوب غض البصر عن المرأة الأجنبية عند خشية الافتتان .

١٤ ـ تجوز النيابة فى السؤال عن العلم حتى من المرأة عن الرجل .

منحنا الله تعالى حسن القصد ، واستقامة السلوك ، وهدانا الى ما هو أزكى عاقبة ، وأوفى جزاء ؟

منشاوى عثمان عبود

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

كثر اللغط فى الأيام الأخيرة حول صحيح أبى عبد الله البخارى واقترن اللغط بغمز السنة المطهرة والنيل منها بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، ويصرف أصحاب هذه البدعة ، الآيات القرآنية الى أوجه تخل بمعناها وتبعث الاضطراب والخلل فى جسم الشريعة القائمة على الأصلين الكتاب والسنة ، فتارة تسمع قائلا يقول : « القرآن وكفى » وقائلا آخر يزعم أن الاسرائيليات دست فى صحيح البخارى والآية التى يستشهدون بها هى قوله تعالى : « أولم يكفهم أنا أنزلنا اليك الكتاب يتلى عليهم » وكأن الخطاب الموجه الى من يشغبون على القرآن ولا يؤمنون به يوجه الى من يؤمن به ويتعلق بتفسير من نزل عليه ويستمسك به لأنه أحق من غيره بتفسيره وتأويله ، وما السنة الا مفسرة للكتاب مفصلة لمجمله موضحة لمبهمه ، وهم بأعمالهم للآية فى مثل هذا المقام كأنما يقولون لا تتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بل اتبعوا رب محمد صلى الله عليه وسلم ولا شأن لنا بمحمد ولا بما يقوله محمد وانما نحن نتبع القرآن لأنه ما فرط الله فيه من شىء .

وأصحابنا هؤلاء جانبهم الصواب من أوجه :

(الوجه الأول) عدم معرفتهم لطبيعة القرآن ككتاب نزل منجما حسب الحوادث والمناسبات التى استوعبتها السنة وأتت بها على اختلاف ألوانها وطرقها التى توصل المحققين الى تصور الجو الذى نزلت فيه كل آية .

(الوجه الثانى) جرأتهم على الاستقلال فى فهم القرآن دون أن

يستأنسوا بمن نزل عليه القرآن ثم من نزل فيهم القرآن من أصحابه وحوارييه المقربين ، الذين صحبوه وخدموه ولزموا الاستماع منه ممن شرح الله صدورهم لدعوته فاستلانوا الوعر واستأنسوا القفر ، وقطعوا فى سبيل الدعوة الى الله أرحامهم وهذا من أبلغ أنواع المجافاة للمنطق السديد •

(الوجه الثالث) جهلهم بمناهج النقد عند المحدثين ـ والانسان عدو ما يجهل تلك المناهج التى تتضاءل حيالها أحدث مناهج النقد المعاصرة •

(الوجه الرابع) عدم معرفتهم بمنهج البخارى فى تصنيف جامعه الأمر الذى يجعلهم يحكمون أحكاما فجة على أمور لا ذنب للبخارى فيها الا جهلهم بمنهجه وتخطيطه المحكم فى سوق المتابعات والشواهد بعد الأحاديث المصدرة وترتيب الأحاديث بحسب رواتها ومراتبهم من الجرح والتعديل •

(الوجه الخامس) فشو الأمية فى قواعد التحديث الأمر الذى يجعل غير المتمكنين يضعون مواصفات للصحة والضعف متناقضة مضطربة ليس لها دقة الجمع والمنع التى اشتملت عليها تعريفات السلف الصالح رضى الله عنهم ولأضرب لذلك مثلا من كتاب صدر أخيرا أحدث فتنه وهو أخطر نص شنعوا عليه وعلى البخارى به فقد جاء فى أول الجز الذى خصصه لنقض مائة وعشرين حديثا صحيحا يجترىء عليها قوله « الحديث رقم ١ » فى خبر يقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم حاول الانتحار ثم يتناول قطعة من حديث أورده البخارى فى كتاب التعبير زاعما أنه قمة الكذب وأنه من الاسرائيليات وأنه يناقض القرآن الكريم • والخبر أورده البخارى هكذا فى باب التعبير من الجزء التاسع : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، وحدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهرى : فأخبرنى عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فكان يأتى حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده

لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ قال النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له : ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق ، حتى بلغ : ما لم يعلم • فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال : يا خديجة مالى ؟ وأخبرها الخبر وقال : قد خشيت على نفسى فقالت له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امرءا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة : أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة : ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه كى يتردى من رءوس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له الملك فقال له مثل ذلك » ا هـ •

ومحل الشبهة على البخارى هى قوله : « حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا » الى آخر الخبر •

وهؤلاء الذين يثيرون هذه الشبهة وأولهم محمد على الزعيم الهندى المعروف وجماعته نوجه اليهم الكلام .

١ ـ ان البخارى أورد هذا الخبر ـ أعنى خبر عائشة من أوله الى قولها : وفتر الوحى ـ فى بدء الوحى وهو أول كتابه الجامع الصحيح ولم يورد الباقى من « حتى حزن الخ » ومعنى هذا أن هذه الزيادة لم يعتبرها البخارى من بدء الوحى .

٢ ـ ساق البخارى الخبر مع هذه الزيادة فى كتاب التعبير لاحتمال أن تكون هذه الزيادة اذا صح وقوعها قد وقعت مناما .

٣ ـ هذه العبارة ليست من كلام عائشة ، لأن عائشة لا تقول : بلغنا وانما قائل هذه العبارة هو طارق بن شهاب الزهرى .

٤ ـ بلاغات البخارى ـ ومثل هذا النص يسمى عند المحدثين (بلاغا) ـ ليست من موصولاته وانما تجرى مجرى المعلقات غير المؤكدة .

٥ ـ طارق بن شهاب الزهرى بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم هشام وأبوه عروة وعائشة خالة عروة .

فهو من الناحية الحديثية لايحتسب على البخارى وكأن البخارى أورده ليرد به على من أورده موصولا كأنه يقول : يا أهل العلم لم يصح عندى هذا الخبر الا بلاغا فاحذروه .

هذه هى الشبهة التى شنعوا بها وأقاموا الدنيا وأقعدوها وأثاروا غبارها فى وجه البخارى المضىء « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » ونعود الى الخبر لننظر اليه من وجهة أخرى بعد أن سقنا العلة الواضحة التى أبرزها البخارى رضى الله عنه فى هذا البلاغ فنقول :

١ ـ ان هذا الحدث لو فرضنا صحته فانه وقع قبل أن تنقدح الرسالة فى صدر النبى صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك قول ورقة « لئن يدركنى يومك » .

٢ ـ لو فرضنا جدلا أن معانى الرسالة ومعالمها قد اكتملت له صلى الله عليه وسلم وفرضنا معها جدلا

أيضا وقوع هذا الحدث فانه لايقدح فى العصمة لأن الهم بالفعل مع عدم تنفيذه وامضائه لرؤية الملك المبشر له بالرسالة له شاهد يسبغه من الكتاب العزيز وهو قوله تعالى . « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » فهو قد هم حتى ظهر له الملك وهو برهان ابه فلم يفعل وهذا هو الفرق بين النبوة وغيرها وهذه هى العصمة التى يعصم الله بها أنبياءه اقرأ قوله تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » .

على أن البخارى فيه من المتون الموصولة بدون تكرار ألفان وستمائة واثنان من الأحاديث ، وفيه من المتون المعلقة مائة وتسعة وخمسون من المرفوع وجميع ما فيه من المكرر والبلاغات والمعلقات والمتابعات والشواهد عدا الموقوف على الصحابة وأقوال التابعين تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا هكذا ورد هذا الحصر فى هدى السارى لترجمان البخارى وأحفظ من مشى على الأرض لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ذلك هو الحافظ ابن حجر العسقلانى .

ويؤخذ على هؤلاء أنهم ينطوون على أنفسهم بما يجمجمون به من كل ما يحيك فى صدورهم حتى يصدر منهم اما باستقلال منهم أو بدافع من عناصر مريبة غير مستقيمة القصد صيحات تبلغ حد العواء والمواء يسمونها الأضواء ، ولو أنهم اتسعت صدورهم وانشرحت لقبول الحق ضمائرهم لواجهوا أهل العلم والمتخصصين ذوى الاشتغال والانتاج فى حقل السنة بما يجول فى خواطرهم قبل أن تكون فتنة يمرقون فيها من الاسلام اما تحت تأثير المكابرة والعناد بعد أن سجلوا ما يودى بهم الى مهاوى الهلاك واما بحكم أهل العلم والاتقان والصلاح عليهم ويا هول المصير بين المقصين وصدق الله العظيم « ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

وقد شغب هؤلاء على حديث « انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا ، واذا رفع فارفعوا ، واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا » متفق عليه وجاء فى ذلك الكتاب المشبوه كيف يقتدى المأموم بالامام فى مرضه ، وقالوا كلاما فى الطعن فى الحديث ونسبوه الى الاسرائيليات .

وما أيسر هذه التهمة على ألسنة مستهترة وعقول فارغة ، ولو استشموا رائحة العلم ما أخرجوا هذا القيء من أفواههم .

ونعود الى تفنيد الشبهة فنقول :

هذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته وهو شاك فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما فأشار اليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال : انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا واذا رفع فارفعوا واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا » وكذلك أخرجاه من حديث أنس بن مالك قال : « سقط النبى صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما قضى الصلاة قال : انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا سجد فاسجدوا واذا رفع فارفعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد ، واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعون » وقد أخرجه أحمد فى مسنده من حديث أنس وكذا أخرجه أصحاب السنن جميعا والمعاجم من حديث أنس وأخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله كما أخرجه أيضا من حديث جابر أبو داود وابن ماجه والنسائى ولفظ مسلم وابن ماجه والنسائى « اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع تكبيره فالتفت فرآنا قياما فأشار الينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعودا فلما سلم قال : ان كنتم آنفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم أن صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا » ورواه أيضا مسلم من رواية عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى عن أبى الزبير عن جابر ورواه أبو داود من رواية الأعمش عن أبى سفيان عن جابر ، ولفظ أبى داود « ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا بالمدينة فصرعه على جذم نخلة فانفكت قدمه فأتيناه نعوده فوجدناه فى مشربة لعائشة يسبح جالسا قال : فقمنا خلفه فأشار الينا فقعدنا فلما قضى الصلاة قال : اذا صلى الامام جالسا فصلوا جلوسا واذا صلى قائما فصلوا قياما ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها » وقد علل

النبى صلى الله عليه وسلم الأمر بمتابعة الامام فى جلوسه بعدم تشبه المصلين بمجالس الجبابرة والأكاسرة ، وقد أخذ بمتابعة الامام فى قعوده وقيامه وان لم يكن المأمون معذورا أحمد ابن حنبل واسحاق بن راهوية والأوزاعى وابن المنذر وداود بن على وبقية أصحابه ومالك بن أنس وقال ابن جزم امام المعقول والمنقول : وبهذا نأخذ الا فيمن يصلى الى جنب الامام يذكر الناس ويعلمهم تكبير الامام فانه يتخير بين أن يصلى قاعدا وبين أن يصلى قائما كما فعل أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : وبمثل قولنا يقول جمهور السلف والخلف. ثم رواه عن جابر وأبى هريرة وأسيد بن الحضير قال : ولا مخالف لهم يعرف فى الصحابة ، ورواه عن عطاء وروى عن عبد الرازق أنه قال : ما رأيت الناس الا على أن الامام اذا صلى قاعدا صلى من خلفه قعودا قال : وهى السنة عن غير واحد . وقد حكاه ابن حبان أيضا عن الصحابة الثلاثة ، المذكورين وعن قيس بن قهد من الصحابة وعن أبى الشعثاء جابر بن زيد ، وحكاه أيضا عن مالك بن أنس وأبى أيوب سليمان بن داود الهاشمى وأبى خيثمة وابن أبى شيبة ومحمد بن اسماعيل البخارى ومن تبعهم من أصحاب الحديث . ثم قال ــ أعنى ابن حيان : وهو عندى ضرب من الاجماع ا هـ .

فهل يتصور عاقل أن هؤلاء جميعا بدلوا دين الله واندست عليهم صلاة المأموم قاعدا بقعود امامه من يهود ؟!

حتى الذين خالفوا هذا القول كالشافعى وأبى حنيفة لم يتهموا العاملين بهذا بالدس والخيانة واتباع الاسرائيليات ، بل قالوا بنسخ القعود يعنى بعد أن استقر فى النفوس جو المساواة ، وانتفعت أسباب هذه الطبقة الطاغية وبواعث التأليه البشرى ، والحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ومادام النبى صلى الله عليه وسلم قد علل النهى عن القيام بمشابهة الأعاجم فى تعظيمهم لعلوجهم ، ثم استقر الاسلام فى نفوسهم ، ورسخت مبادؤه فى

قلوبهم فلا خوف عليهم بعد ذلك من الصلاة من قيام • هذا قول القـائلين بالنسخ وهم الشـافعى وأبو حنيفـة ، وهذه هى آداب الاجتهاد والخـلاف بين علماء أمة محمد صلى الله عليـه وسلم ، فمن أخرج الخلاف عن دائرته النقية ولج به فى شقاقه وفتنه جنى ثمرة قصده ونيته وبقيت سنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم وديوانهـا الجامع الصحيح لأبى عبدالله البخارى رضى الله عنه وأرضاه خالدة •

محمد نجيب المطيعى

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي (٣)

للأستاذ حسن حسب الله

تكلمنا فى العدد الماضى عن السلطة التشريعية فى كل من النظامين الاسلامى والانجليزى ، ونتكلم فى هذا العدد عن مصادر القواعد القانونية فى كلا النظامين .

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى كل شىء بتقدير خاص ووضع له نظاما خاصة به ونظاما خاصا بعلاقته مع غيره « انا كل شىء خلقناه بقدر » القمر ٤٩ .

وان نظرة واحدة لتركيب الماء والهواء والكواكب والأفلاك وعلاقة بعضها ببعض لتوضيح صدق ذلك .

وكما نظم الله علاقة كل هذه الأشياء بعضها ببعض لتسير سيرا دائما منتظما ، نظم أيضا علاقة الانسان بخالقه سبحانه وتعالى وعلاقته بأخيه الانسان لتنتظم حياة الجميع على سطح هذه الأرض ، وأرسل الرسل لابلاغ هذا التنظيم للأمم المختلفة ، وختم رسالاته بالرسالة الكاملة الخالدة ، رسالة الاسلام الموجهة لكل بنى الانسان فى كل زمان ومكان ، وتشرف بحملها وتوضيحها سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ـ الأعراف ١٥٨) وذلك لتنظيم حياة الفرد عبادة ومعاملة ، وتنظيم حياة المجتمع الاسلامى بوصفه وحدة كاملة تجاه باقى وحدات المجتمع الانسانى فى هذا الكون العظيم .

وان المصدرين الرئيسيين للأحكام الموضوعية فى النظام القانونى الاسلامى هما : القرآن والسنة النبوية الصحيحة ويجب عدم الخلط بين المصادر التى نلجأ اليها للتعرف على أحكام الشريعة الاسلامية وطرق استنباط هذه الأحكام ، فمصادر التعرف على أحكام

الشريعة الاسلامية تنحصر فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، أما طرق استنباط هذه الأحكام فهى مختلفة ومتعددة تبعا لاجتهادات الفقهاء ومجال تفصيل ذلك هو علم أصول الفقه •

ثم أن نصوص القرآن الكريم كلها نصوص مقطوع بصحتها وثبوتها مافى ذلك أى شك ، فلا يوجد أكثر من قرآن واحد وهو المصحف الموجود بأيدينا الآن والذى تكفل الله بحفظه الى يوم القيامة كما يفهم من قوله تعالى: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الحجر ٩) •

ومن هذه النصوص مالا يحتمل أكثر من معنى واحد محدد لايمكن أن يختلف فيه اثنان مثل آيات المواريث (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ـ النساء ١١) وآية تحريم لحم الخنزير (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ـ المائدة ٣) فالأنصبة المحددة فى آيات المواريث لا يمكن أن تتغير ولا يمكن أن يعاد النظر فيها فى أى وقت من الأوقات ولأى سبب من الأسباب ، ولا يمكن القول بأن مبدأ المساواة بين المرأة والرجل يتعارض مع توريث الرجل ضعف نصيب المرأة ، كما لا يمكن القول بأن تحريم لحم الخنزير كان بسبب أكله للقاذورات ، أما وهو يربى الآن فى حظائر نظيفة • ويلقى من العناية ما يلقاه الأطفال عند تربيتهم فلا يكون هناك داع لتحريمه ، فكل ذلك كلام لا يصح أن يقال ولا يصح أن يناقش اطلاقا فالنصوص القطعية فى دلالتها على معانيها نصوص أبدية التطبيق • لاتخضع للبحث عن الحكمة منها ولا للمناقشة فى مغزاها ، ولا ننظر فى تطبيقها فى أى عصر الى المقارنة بين وقت نزولها ووقت تطبيقها ولا فيمن نزلت وعلى من تطبق • فهى نصوص لا يقترن تطبيقها بوقت معين ولا بقوم معينين من أقوام المسلمين •

وهناك من نصوص القرآن الكريم ما يحتمل لفظه أكثر من معنى واحد ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء ونشأت المذاهب والمدارس الفقهية المتعددة وما تبع ذلك ابتداء من القرن الثالث الهجرى من تعصب كل مجموعة من الفقهاء لامام معين ، ومن هذه المذاهب ، والمدارس الفقهية المالكية والحنفية ، والشافعية ، والحنابلة والظاهرية ، والشيعة الزيدية والشيعة

الامامية أو الاثنا عشرية • وقد انقسم المسلمون الى عدة فرق كل فريق منهم يدين بمذهب من هذه المذاهب وان كانت فى مجموعها تبدو متقاربة فيما عدا الشيعة الامامية ، وقد فشا التعصب المذهبى وكثرت المقارنات بين مذهب وآخر بهدف الوصول الى أن ما فى هذا المذهب هو الأصح وهو الأرجح • وامتد هذا التعصب الى القول بأن كل مسلم يجب أن يسير فى كل أموره على وفق مذهب واحد • وهو قول لا يمليه الا هذا التعصب الممقوت وانحصار اجتهاد الفقهاء فى حدود هذه المذاهب • والحق أنه وان كانت هذه المذاهب قد قدمت الكثير من الحلول لأغلب ما يعرض للمسلم فى كل عصر من أمور الحياة بسبب ما كانت تفترضه من مسائل وما تضعه لها من حلول الا أنها مع ذلك ليست لها القدسية التى تحجر الاجتهاد وأنها مجرد افهام لأصحابها ومقلديهم ، وقد يكون من علماء عصرنا هذا من يخالفونهم فى افهامهم نتيجة للتقدم العلمى الذى أعقب الفترة التى عاش فيها هؤلاء الأئمة العظام والثروة الفقهية التى أصبحت تحت أيديهم الآن والتى لم تتح لأى امام من هؤلاء الأئمة وليس هذا مجال التفصيل فى مناقشة هذا الموضوع فمجاله علم أصول الفقه ، الا أننا نرى أنه اذا كان لنا مخالفة أقوالهم وأفهامهم والبدء من جديد فان علينا من باب أولى أن نختار من هذه الأفهام ما نراه معقولا وقريبا الى العمل فى هذه الأيام بشرط ألا يحل حراما أو يحرم حلالا وهذا هو المقصود بكمال النظام القانونى الاسلامى وملاءمته لكل عصر من العصور (ما فرطنا فى الكتاب من شىء ـ الأنعام ٣٨) (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ـ النحل ٨٩) فتفسير أئمة عصر من العصور لهذه النصوص لا يلزم من يليهم اطلاقا فاذا وجد من بعدهم أن هذا التفسير لم يعد ملائما وان هناك تفسيرا آخر لايتعارض مع أصول الدين ويؤدى الى وضع ملائم للعصر الذى نعيش فيه وجب عليهم طرح الحكم السابق الذى وصل اليه الأولون • والأخذ بالحكم الذى وصلوا هم اليه ووجدوه أكثر ملاءمة للعصر واتفاقا مع أسس العقيدة الاسلامية • ونضرب لذلك مثلا حالة (المفقود) ـ وهو الغائب الذى لايدرى مكانه ولا تعلم حياته ولا وفاته ـ فاذا أخذنا بفهم الامام أبى حنيفة فى هذا

الموضوع لظلت زوجة المفقود على ذمته مدة قد تصل الى السبعين عاما حتى يمكنها بعد ذلك أن تتزوج بآخر فهل مثل هذا الفهم يصلح فى عصرنا هذا ، واذا أخذنا بمذهب مالك اكتفينا بأربع سنوات • وقد أظهر العمل فى بعض الحالات خطأ الأخذ بالمذهب المالكى فى ذلك ولا يوجد فى الدين مايعارض اعادة البحث وأن تترك هذه المسألة مثلا لتقدير القاضى وفق ظروف كل حالة على حدة دون التقيد بمدة زمنية محددة مقدما •

هذا من ناحية نصوص القرآن الكريم فاذا ما انتقلنا الى السنة النبوية وجدنا انها لا تعتبر جميع نصوصها قطعية الثبوت ، بل ان بعض هذه النصوص الموضوعة اشترك فى وضعها بعض اليهود وبعض المسلمين ، حيث حاول كل فريق الاستعانة بالسنة لتأييد رأيه بل وصل الأمر الى أن اعترف بعض المسلمين بوضع الأحاديث للترغيب فى قراءة سور معينة من القرآن الكريم وقالوا انهم وضعوا هذه الأحاديث حسبة لله تعالى • هذا من ناحية نصوص السنة النبوية فيما يتصل بثبوت ألفاظها ، أما من ناحية معناها فهى تشارك القرآن الكريم فى أن بعض هذه النصوص قطعى فى الدلالة على معناه فلا يحتمل النص الا معنى واحد مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « أطعموا الجدة السدس » فهو قاطع فى الدلالة على أن حصة الجدة فى الميراث عندما ترث هى السدس وبعض هذه النصوص يحتمل أكثر من معنى واحد •

وأمر آخر يجب أن نعطيه أهمية كبيرة عند البحث فى السنة النبوية وهو أن ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال ومن أفعال ومن تقريرات شمل نواح ثلاث منها ما صدر عنه بوضعه بشرا يعيش بين سائر البشر وان كان سيدهم جميعا كطريقة سيره أو تناوله غذائه وغير ذلك من أمور الحياة الخاصة ومنها ما صدر عنه لعلاج أمور وقتية مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من قريش » فهذا لا يعنى أبدا أنه أراد أن يضع تشريعا يقضى بأن يكون حكام المسلمين فى جميع العصور والأقطار من أصل قريش ، ومنها ما صدر عنه فى مقام الهداية والتشريع وهذا هو الملزم للمسلمين فى كل العصور

فرجم الزانى المحصن قد ثبت بالسنة النبوية والالتزام برجم الزانى المحصن كعقوبة اسلامية أمر لا يجب أن يخضع للمناقشة أو للتقدير فى أى عصر من العصور فلا يأتى أحد ويقول : نستبدل بهذه العقوبة البشعة فى نظره عقوبة الاعدام شنقا مثلا لأنها تحقق نفس الهدف وهو ازهاق روح الزانى فمثل هذا القول غير جائز ولا تجب مناقشته اطلاقا فما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى ينفذ وبالكيفية التى قرر تنفيذه بها •

هذا من ناحية مصادر التعرف على الأحكام الموضوعية للنظام القانونى الاسلامى •

أما بالنسبة للقانون الانجليزى فقد سبق أن قلنا أن المصدر الأساسى للقانون الانجليزى هو أحكام القضاء ، ثم التشريع أى أعمال البرلمان الانجليزى ، وتفسير التشريع يكون فى الحدود التى يرسمها له القضاء لا الأعمال التحضيرية ولا المناقشات البرلمانية وهناك مصدر ثالث ولكن أهميته أدنى بكثير من المصدرين السابقين وهو العرف Custom وقد اندمجت معظم القواعد القانونية العرفية فى أحكام المحاكم ، فأصبحت بذلك قواعد قانونية مصدرها القضاء لا العرف ولم يبق للعرف فى القانون الانجليزى سوى مجال محدود جدا لأنه يشترط لتطبيقه اثبات وجود القاعدة العرفية منذ سنة **١١٨٩** والذى حدد هذا التاريخ القانون الصادر فى سنة **١٢٦٥** وهو لا يزال ساريا حتى الآن فاذا ثبت أن هذا العرف الذى يدعى به أحد المتقاضين لم يكن من الممكن أن يوجد فى سنة **١١٨٩** فانه لا يطبق •

وقد وجه الانجليز عناية كبيرة نحو نشر الأحكام القضائية نظرا لأنها هى المصدر الرئيسى للتعرف على القواعد القانونية للقانون الانجليزى ، ولهذا بدأت الحكومة الانجليزية منذ سنة **١٨٦٥** فى اصدار أربعة مجموعات رسمية لهذا الغرض وهذه المجموعات هى كما يلى :

١ ـ مجموعة أحكام مجلس اللوردات والمجلس الخاص ويرمز لها بالحرفين A.C. وهى باختصار
Appeal cases-for the house of lords and privy council.

٢ ـ مجموعة أحكام دائرة الملك ويرمز لها بالحرفين K.B. وهى

اختصار Kingo bench أو دائرة الملكة G.B وهى اختبصار Gucen's bench (بحسب شخص رئيس الدولة هل هو رجل أو امرأة) •

٣ ـ مجموعة أحكام دائرة قاضى القضاة ويرمز لها بالحرف C.H وهى اختصار لكلمة Chancery

٤ ـ مجموعة أحكام دائرة الوصايا والطلاق والبحرية ويرمز لها بالحرف P. وهو اختصار Probate, Divorce, and admiralty

وهناك أيضا مجموعة تنشر فيهـــا جميـع القواعد القانونيـة فى انجلترا يرمز لها بالحروف All E R وهى اختصار All ergland reports.

كما تصدر نشرات أسبوعية لنفس الغرض يرمز لها بالحروف W.L.R وهى اختصار Weekly law Reporte. وهذه المجموعات تنشر القضايا والأحكام التى صدرت فيهـــا وهذه الأحكام هى التى تعتبر قواعد قانونية تلتزم بها المحكمة التى أصدرتها والمحاكم التى تليها فى الدرجة وسنعود الى تفصيل ذلك عند الكلام عن النظام القضائى •

ويشار الى القضايا فى هذه المجموعات بالرموز الآتية فمثلا :

Carlisle Bar.ki .g Co. V. Bragg (I9II) — I.K.B.489.

فان ذلك يعنى أن قضية شركة بنك كارليسل ضد براج منشورة فى صفحة ٤٨٩ من الجزء الأول من مجمـــوعة الأحـكام الصـادرة من دائرة الملك (K. B) فى سنة ١٩١١

أما القوانين التى يصدرها البرلمـان الانجليزى فيشار اليها بصفة عامة بدون تحديد رقم لها وبدون تحديد تاريخها باليوم والشهر وبعنوان قصير يدل على الغرض منها مثال ذلك (قانون الملكية ـ ١٩٢٥) Law of property I925 فان ذلك يعنى أن هذا القانون خاص بتنظيم الملكية وأنه صـدر سنة ١٩٢٥ ومواد القانون يشار اليها بالحرف .S اختصار كلمة Section واذا كانت المـادة الواحدة تشـــمل عدة فقرات فلكل فقرة رقم وتبدأ بالحروف .Subs اختصار كلمة .Subsection

هذا ونظرا لأنه لا يمكن عرض جميع أوجه المقارنة بين القواعد القانونية الموضوعية لكل من النظامين الاسلامى والانجليزى فى بضع مقالات محدودة الصفحات .

لذلك فاننا سنقوم بعرض الملامح الرئيسية التى تميز القواعد القانونية لكلا النظامين عن باقى الأنظمة القانونية المعروفة حاليا ثم نختار بعد ذلك بعض الموضوعات الهامة للكلام عنها بشىء من التفصيل فنتكلم عن العقد والمسئولية المدنية ونظام الملكية والجرائم والعقوبات ونظام الحكم .

والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله .

حسن حسب الله

أثر الإسلام في أوربا في العصر الوسيط

للمستشرق مونتجمري وات

عرض وتحليل وتقييم
الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

مونتجمرى وات مستشرق معروف معاصر ، وهو أستاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة أدنبرة فى اسكتلندا • وله عدة مؤلفات عن الاسلام والفكر الاسلامى ، من أهمها ما يلى :

١ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) فى مكة •

٢ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة •

٣ ـ محمد الرسول ورجل الدولة •

٤ ـ ما الاسلام ؟

٥ ـ الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام •

٦ ـ الفكر السياسى الاسلامى •

٧ ـ مشكلة الجبر والاختيار فى صدر الاسلام •

وللاستاذ مونتجمرى وات اهتمام خاص بالامام الغزالى ، فقد ألف عنه دراسة هامة بعنوان : « مفكر مسلم » كما قام بترجمة « المنقذ من الضلال » الى الانجليزية •

والكتاب الذى نعرض له فى هذا المقال قد نشر حديثا فى سلسلة

(Islomic Surveys) رقم ٩ (أدنبرة ١٩٧٢) • وهو فى الأصل مجموعة من المحاضرات كان قد القاها المؤلف فى باريس سنة ١٩٧٠•

والمؤلف يبذل جهدا واضحا فى هذا الكتاب ليكون موضوعيا فى دراسته ، فهو يحاول مخلصا أن ينصف الاسلام والمسلمين ، ويشيد بالحضارة الاسلامية واسهامها فى بناء الحضارة الأوروبية •والحق يقال انه قد حقق الكثير من الموضوعية ومن الانصاف ، ولكنه لم يستطع أن يتخلص تماما من التحامل والتعسف ، كما سنشير اليه فى حينه •

ويقرر المؤلف أن هذه الدراسة لها ما يبررها فى الوقت الحاضر ، حيث يزداد التقارب بين المسلمين والمسيحيين ، وبين الأوروبين والعرب فى هذا « العالم الواحد » • ويشير الى أن الكتاب المسيحيين فى العصور الوسطى قد رسموا صورة مشوهة جدا عن الاسلام ، ولكن بعض الباحثين الأوروبين المحدثين قد بدأوا يعطون صورة أكثر موضوعية • ويعترف المؤلف بصراحة بان أوروبا مدينة ثقافيا وحضاريا للاسلام ، وان كان الأوروبيون يقللون من أهمية هذه الحقيقة ، أو يتجاهلونها تماما • فاذا شاء الأوروبيون أن يقيموا علاقات طيبة مع العرب والمسلمين فعليهم الاعتراف بهذه الحقيقة ، لأن اخفاءها أو انكارها ما هو الا دليل زهو كاذب •

* * *

يقدم المؤلف بعد ذلك عرضا تاريخيا موجزا للحقبة ما بين سنة ٧١١ م (حين فتح المسلمون أسبانيا) وسنة ١٤٩٢ م حين انتهى الوجود الاسلامى هناك • يلى ذلك استعراض تاريخى لاحتلال المسلمين لجزيرة صقلية •

الفصل الأول
الوجود الاسلامى فى أوروبا

فى افتتاحية هذا الفصل يبين المؤلف هدف الكتاب ، وهو القاء نظرة شاملة على أثر الاسلام فى أوروبا ، ومدى استجابة أوروبا لهذا الأثر • ويعلن أن وجهة نظره عن وجود المسلمين فى أوروبا تختلف عن وجهة نظر المؤرخين الأوربيين فهو لا يعتبر المسلمين فى أوروبا مجرد غزاة دخلاء ، بل يعتبرهم ممثلى حضارة لها انجازات عظيمة شملت رقعة فسيحة من سطح الأرض •

دوافع التوسع الاسلامى :

يرى المؤلف أن هـذا التوسع استمرار طبيعى للجهاد الاسلامى • وهنا يتحامل ويتعسف تعسفا شديدا فيحاول أن يفسر الجهاد فى الاسلام بأنه تطور عن الغارات القبلية فى الجاهلية ، وأن دوافعه فى معظمها كانت دوافع مادية من أجل الغنائم • وكل الفرق – فى رأيه – بين الجهاد والغارات القبلية هو فى التخطيط فقط (!) : فالمجتمع المسلم الأول فى المدينة ، بل وفى الجزيرة العربية كلها ، ما هو الا « اتحاد قبلى » كبير وجهت طاقاته – التى كانت قبل الاسلام عوامل تمزق داخلى – الى التوسع الخارجى •

وهـذا فى رأى المؤلف – ليس معناه أن الاسلام قد انتشر بالسيف ، فالمسلمون لم يرغموا سكان البلاد التى فتحوها على اعتناق الاسلام ، وانما فرضوا عليهم الجزية مقابل حمايتهم • وتحت هـذه الحماية كفلت لهم حرياتهم الدينية ، كما سمح لهم بتولى مناصب هامة فى ادارة الدولة الاسلامية • فالجهاد قد أدى الى التوسع فى الأرض ، ولكنه لم يؤد مباشرة الى انتشار الاسلام •

وواضح ما فى رأى المؤلف هنا من تناقض ، بقدر ما فيه من بعد عن الحقيقة ، بل تشويه لها •

فالمجتمع الاسلامى لم يكن مجرد « اتحاد قبلى » ، ولم تكن الرابطة بين المسلمين رابطة قبلية بأية صورة من الصور • وانما كانت رابطة جديدة هى رابطة الأخوة فى الله وفى العقيدة ، مهما اختلفت القبيلة أو الشعب أو الجنس • والا فكيف توحدت قبائل كثيرة فى ظل الاسلام كانت متعادية قبله ؟

والمؤلف يناقض نفسه مرة أخرى حين يقيم عمل المؤرخين الذين يعتبرون العرب مجرد غزاة لأوروبا مثل غيرهم من غزاتها الجرمان والسلافيين • فهؤلاء الأخيرون – فى رأى المؤلف – كانت مجتمعاتهم قبلية فى أساسها ، بينما كان المسلمون عند فتح الأندلس يمثلون حضارة المدن • كما أن الحضارة الاسلامية قد أصبحت فى مدى حوالى قرنين من فتح الأندلس حاملة وممثلة لأرقى ثقافات العالم فى ذلك العصر •

الفصل الثانى
التجارة والتكنولوجيا

ان وجود المسلمين فى أسبانيا وصقلية منذ القرن الثامن الميلادى ، ووجود الأوروبيين فى العالم الاسلامى خلال الحروب الصليبية قد أدى الى انتشار الثقافة الاسلامية • وأن مهارة العرب فى التجارة قد أدى الى انتشار هذه الثقافة خارج البلاد الاسلامية أيضا •

والتجارة ــ فى رأى المؤلف ــ لها مكانة خاصة فى الحضارة الاسلامية، وهنا يطلق المؤلف حكما عاما غريبا وغير صحيح وهو : أن الاسلام ليس دين بدو ، ولا دين فلاحين (أى ليس دين مجتمع زراعى) ، وانما هو أولا وقبل كل شىء دين تجار (؟ !) •

وهنا يفند المستشرق المعاصر الفكرة التى أشاعها رينان وغيره من المستشرقين فى القرن التاسع عشر ، وهى الفكرة القائلة بأن عقيدة التوحيد الصارمة فى الاسلام كان مبعثها شعور الانسان بتفاهته وسط الصحراء الشاسعة الرهيبة •

فهذه الفكرة منه ليس لها أساس متين •

فالمسلمون الأوائل لم يكونوا بدوا، وانما كانوا من مكة التى كانت مركزا تجاريا هاما ، أو من المدينة التى كانت واحة زراعية • صحيح أن الذين قاموا بالفتوحات الأولى جاءوا من الصحراء ، ومن الممكن أن يقال أيضا أن الأخلاق الاسلامية تشمل فضائل الصحراء (والمؤلف لا يخبرنا بالتحديد:ما هى فضائل الصحراء ؟!) تلك الفضائل التى اتخذت فى الاسلام صورة تناسب حياة المدن كذلك استعمل التجار العرب الصحراء كمعبر كما استعمل تجار البندقية وايطاليا البحر كمعبر •

والدليل على ذلك ــ فى رأى المؤلف ــ أن الاسلام قد تبنى التقويم القمرى (٣٥٤ يوما فى السنة) لا التقويم الشمسى ، مع أن الأول غير نافع للفلاحين ولنظام الزراعة ومواسمها (؟!) •

وبينما أهمل الاسلام الفلاحين والبدو فانه قد هيأ جوا ملائما جدا للتجارة :

١ ـ فمكة ـ مهد الاسلام ـ كانت مركزا تجاريا هاما .

٢ ـ وانتشار الاسلام فى شرق وغرب أفريقيا ، وفى جنوب شرقى آسيا ، كان على أيدى التجار ورجال الأعمال المسلمين ، وذلك عن طريق الاختلاط والتزاوج مع سكان البلاد الأصليين الوثنيين .

وعلى هذا فانتشار الاسلام يصحبه انتعاش فى التجارة ، وانتعاش التجارة يصحبه انتشار الثقافة الاسلامية .

ان ما سبق هو مثال واضح على تخبط المستشرقين وتعصبهم ضد الاسلام :

فمرة يقولون : أن الاسلام دين البدو أو دين الصحراء .

ومرة يقولون : بل هو دين التجارة ورجال الأعمال ..

فاذا كان الاسلام دين البدو فقط، لا يصلح الا لهم ، فلماذا اعتنقه أهل الحضر؟ وكيف أنتج حضارة المدن؟!

واذا كان دين الحضر فقط فلماذا اعتنقه ملايين الفلاحين ؟ !

واذا كان دين الفلاحين فقط فلماذا اعتنقه ملايين العمال ؟ !

واذا كان دين العامة فقط فلماذا اعتنقه كبار المفكرين والفلاسفة ؟

أليست كل هذه الطوائف من البشر قد وجدت فى هذا الدين ما يرضيها ؟ !

فمتى ينصفون ويقولون الحق : وهو ان الاسلام دين الانسانية جمعاء ؟

ومن الثابت تاريخيا أن الاسلام قد انتشر بطرق كثيرة وليس عن طريق التجار فقط : فقد انتشر عن طريق التربية ، وعن طريق المساجد، وعلى أيدى الوعاظ والمتصوفة ، والمتكلمين والفقهاء . كما انتشر على أيدى المجاهدين، والحجاج، ومعلمى القرآن .. ولا شك أن التجار قد أسهموا بدور كبير فى نشر الاسلام، ولكن ذلك كان بالدرجة الأولى لأنهم مسلمون لا لأنهم تجار ..

بعد ذلك يستعرض المؤلف العلاقات التجارية بين أوروبا الغربية والعالم الاسلامى •

ثم يذكر ما أفاده الأوروبيون من المسلمين فى النواحى التالية :

الملاحة والبحرية :

وخاصة من اختراع المسلمين للشراع المثلث الشكل واشتراكهم(؟) فى اختراع البوصلة البحرية •

الجغرافيا :

اطلع الأوروبيون على معلومات غزيرة قيمة عن العالم ، وذلك عن طريق الجغرافيين المسلمين وخاصة الشريف الادريسى (١١٠٠ – ١١٦٦ م) •

الزراعة :

تقدمت الزراعة كثيرا فى أسبانيا المسلمة بسبب ما أدخله المسلمون من وسائل الرى الجديدة،وما أدخلوه من تحسينات على الوسائل الموجودة• هذا بالاضافة الى ما جلبوه من النباتات التى تحتاج الى رى مثل : قصب السكر ، والأرز ، والبرتقال ، والليمون ، والقطن • وكذلك ما أدخلوه من تحسينات على الزراعات الموجودة فعلا ، وخاصة الاستفادة من زراعة التوت فى صناعة الحرير • وهناك كلمات زراعية كثيرة فى اللغة الأسبانية واللغات الأوروبية الأخرى مأخوذة من كلمات عربية (١) •

فن الحياة الراقية :

استخدم المسلمون التقدم المادى الناتج عن ازدهار الزراعة والتجارة وغيرها فى جعل الحياة فى أسبانيا الاسلامية حياة حافلة بالمسرات • ولم تقتصر هذه المسرات على الطبقة العليا من المجتمع ، بل شاركتها فيها الطبقات الأخرى • وأن السائح الحديث فى أسبانيا ليدرك مدى ما كان من ترف ورقى فى الأندلس عندما يشاهد قصر

---

(١) « من المعروف أن العرب حولوا وديان اسبانيا المجدبة الى حدائق وغياض زاهرة ، ونقلوا اليها مختلف الغراس من المشرق ، وانشأوا بها القناطر العظيمة » .

انظر المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « دولة الاسلام فى الأندلس » أربعة أجزاء – القاهرة ، ١٩٤٩ – ١٩٥٥ ج ٢ ص ١٣٢

الحمراء وقصر أشبيلية مثلا • ودارس الأدب يدرك كذلك لمحات من جمال تلك الحياة الراقية من خلال القصائد والقصص •

ومن ثم فليس غريبا أن تزدهر فى أسبانيا المسلمة عدة صناعات لانتاج أدوات الترف والزينة ومنها : المنسوجات الجميلة من الحرير والصوف، وصناعة الفراء، والعطور، وصناعة القيشانى المزخرف ، (وفن الصناعات المعدنية) ، (وقد أصبحت قرطبة مركزا للجواهر والذهب والفضة) هذا الى صناعة العاج ، وتطعيم الخشب واستعمال الجلود للزينة • وقد كانت قرطبة مركزا هاما لصناعة الجواهر والذهب والفضة •

ان اطار هذه الحياة الراقية يتضح فى فن البناء والعمارة الاسلامية فى الأندلس • وهناك كلمات أسبانية كثيرة فى هذا المجال مأخوذة من اللغة العربية ، ومنها كلمات : « العمارة » و « البناء » و « القصر » و « القلعة » و « القبة » •••• الخ •

هذا النوع من الحياة ما كان يمكن أن يوجد ما لم يكن قد سبقه تحقق مستوى عال رفيع من تذوق الحياة ، وخاصة بين الطبقة العليا فى المجتمع • وهنا نلمس تأثير المدن الكبرى فى الشرق الاسلامى وخاصة مدينة بغداد : فمنها وفدت الى أسبانيا تأثيرات ثقافية كثيرة •

ومن مظاهر تلك الحياة الراقية كذلك اقتناء الكتب • وقد أصبح هذا الاقتناء سهلا فى الحضارة الاسلامية بفضل ادخال صناعة الورق فى بغداد حوالى سنة ٨٠٠ م على يد هارون الرشيد ووزيره جعفرالبرمكى • وقد أدخلت صناعة الورق الى أوروبا عن طريق أسبانيا المسلمة وصقلية •

هذه الحياة الراقية تمثل فى أساسها حضارة المدن ، حيث يسود القانون والنظام ، وحيث يتعايش فى سلام وتعاون أقوام مختلفو الأجناس والأديان والثقافات •

ولأن هذه الحياة الراقية تمثل حضارة المدن نجد كثيرا من الكلمات الأسبانية عن الادارة والبلدية والقضاء وما يتصل بها ، مأخوذة من اللغة العربية •

تأثير الثقافة الاسلامية فى أوروبا الغربية :

أدى اختلاط المسيحيين بالمسلمين فى أسبانيا الى انتشار الثقافة الاسلامية بين المسيحيين ، والى تأثر اللغة الأسبانية باللغة العربية • وقد تأثر المسيحيون تحت الحكم الاسلامى بالثقافة الاسلامية لدرجة كبيرة حتى سموا بالمستعربين • وهنا يورد المؤلف اقتباسا مشهورا يرجع الى سنة ٨٥٤ م ، وفيه يشكو الأسقف « الفنار » من أن الشبان المسيحيين فى ذلك الوقت كانوا شديدى الاعجاب بالشعر العربى لدرجة أنهم هجروا دراسة اللاتينية وفضلوا دراسة اللغة العربية •

وقد تحسنت كذلك أحوال اليهود تحت الحكم الاسلامى ، وأثرت الثقافة الاسلامية فى جميع مظاهر حياتهم ، ما عدا الدين •

وقد ظلت الثقافة الاسلامية فى طليطلة مثلا تلعب دورها التأثيرى على حياة أوروبا العقلية حتى بعد نهاية الحكم الاسلامى فى تلك المدينة وسقوطها سنة ١٠٨٥ م •

ثم يبين المؤلف تأثير الشعر العربى على الشعر الأوروبى الغنائى ، وخاصة فى شعر البروفانس (١) وشعر التروبادور (٢) •

---

(١) شعر البروفانس : نسبة الى مقاطعة بروفانس فى جنوب فرنسا . ولغة البروفانس كانت لغة جنوب فرنسا ، كما كانت اللغة الأدبية لشعراء التروبادور . وأدب البروفانس فى تلك الحقبة كان يتكون اساسا من الشعر الغنائى الذى كان يؤلفه وينشده شعراء التروبادور فى شمال اسبانيا وايطاليا وخاصة شعر الغزل الرقيق الذى انتشر من هناك الى اقطار أوروبا الغربية كلها . انظر مادة : Provencal, in the oxford companion to english literature 4 th ed. oxfard, 1967.

(٢) شعر التروبادور : من المرجح جدا ان أصل كلمة « التروبادور » أصل عربى : (الطرب دور أو الطراب دور أى . دور الطرب او دور الطراب) .

وقد ظهر شعراء التروبادور فى شمال اسبانيا وايطاليا وجنوب فرنسا فى خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وكانوا شعراء متجولين يؤلفون وينشدون شعرا غنائيا بلغة البروفانس ، وخاصة فى موضوع الغزل والفروسية (انظر مادة « Troubadours » فى المرجع المذكور فى الهامش السابق) . والمشابهة بين الغزل فى هذا الشعر والغزل العربى ، وكذلك المشابهة بين بعض أوزانه وأوزان الموشحات والأزجال العربية ، مما يؤكد القول بأن أصله عربى .

ويشير الى ترقى فنى التوشيح والزجل فيالشعر العربى فىالأندلس والى تطوير العرب للموشحات حتى بلغت درجة كبيرة من الرقى الفنى ، كما يشير الى المشابهة ـ التى تكاد تكون مطابقة بين شعر الزجل العربى والشعر الرومانى الأوروبى •

أما تأثير الثقافة العربية الاسلامية فى صقلية فهو أوضح ما يكون فى حياة الملكين : روجر الثانيوفريدريك الثانى • فقد عاش هذان الملكان حياة راقية مشابها لحياة قرطبة ، وكانا يرتديان الملابس العربية • ويتخذان مستشارين وموظفين مسلمين ، كما شجعا على استقدام العلماء المسلمين من سوريا وبغداد ، وكان الاهتمام بالشعر العربى احدى مظاهر الحياة فى القصر الملكى فى عهدهما • وقد شجع فردريك بوجه خاص مناقشة الفلسفة والعلوم فى قصره •

وقد انتشرت هذه الثقافة العربية الاسلامية الراقية بالتدريج من أسبانيا وصقلية الى أوروبا الغربية ، وذلك عن طريق العلاقات التجارية والوجود السياسى •

ويعترف المؤلف بأنه بالرغم من العلاقات الوثيقة بين أوروبا وبيزنطة فان أوروبا أخذت عن العرب والمسلمين أكثر مما أخذت عن بيزنطة •

ويختتم المؤلف هذا الفصل بثلاث نتائج هامة :

(١) ان اسهام العرب والمسلمين فى حياة أوروبا الغربية كان فى أكثر الأمر عن طريق « ترقية الحياة » وتحسين مستواها المادى •

(٢) ان معظم الأوروبيين لم يكونوا على وعى بالشخصية العربية الاسلامية التى كانوا يتأثرون بها •

(٣) ان الحياة الراقية للعرب والمسلمين فى أسبانيا ، والأدب الذى صاحب تلك الحياة ـ قد أثار خيال أوروبا ، وخاصة فى ناحية العبقرية الشعرية الرومانسية •

(يتبع)

د • احمد عبد الحميد غراب

العودة إلى الحكم بالإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

ليس بيننا وبين اقامة دين الله فى هذه البلاد عائق •••

وليس هناك أى مانع ، الا أن نقبل على الله ونستجيب لدعوته •

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ••• »

فان الدستور ينص صراحة على خضوع النظام القانونى للشريعة الاسلامية •

وبذلك فان الدولة ترحب بالجهود التى تبذل فى هذا السبيل وتشجعها

وهذه الجهود على نوعين :

١ ـ الجهود العلمية التى يبذلها رجال الشريعة والقانون لاعداد المشروعات والدراسات اللازمة لتطبيق الشريعة الاسلامية فعلا فى هذا العصر •

٢ ـ جهود التوعية التى يبذلها رجال الدعوة الاسلامية ورجال التوعية الاجتماعية والنفسية لامكان تمكين العادات الاسلامية ••

فانه بالرجوع الى الدستور نجده صريحا فى اعلان المشروعية الاسلامية وجعلها مشروعية عليا للنظام المصرى وهذا الفهم الأصيل يلقى ظله على جميع أحكام الدستور ونظام البلاد ويقرها •

فان أحكام الدستور فى قيمتها تنقسم الى أقسام بعضها أعلى من بعض :

فقمة الأحكام الدستورية : هى ما تعلق بالدولة (مادة ١ الى ٦) فان هذه الأحكام هى الاطار الأعلى الذى

يحكم كل ما جاء من سائر النصوص أيا كانت مكانتها •

ثم تليها الأحكام المتعلقة بمقومات المجتمع الأساسية والحريات والواجبات والحقوق (المواد من ٧ الى ١٣) والأحكام المتعلقة بسيادة القانون (من ٦٤ الى ٧٢) فهذه نتيجة للنوع الأول وفرتين علما •

ثم الأحكام المتعلقة بتنظيم السلطات على تدرج بينها كما هو معروف فيما يقع أصلا فى النطاق التشريعى دستوريا الا من حيث شكله •

وفى القسم الأول المتعلق بالدولة نصت المادة (٢) على أن :

« الاسلام دين الدولة •• ومبادىء الشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع » :

وهذه المادة يجب أن تفسر حرفا حرفا بكل حرص وبميزان الذهب لوقوعها فى هذا القسم الأول من أحكام الدستور •

١ ــ فمعنى « دين الدولة » أى عقيدتها التى تفنى فى سبيلها وتضحى من أجلها بكل ما عداها • لأن الدين هو العقيدة الراسخة التى يذهب فى سبيلها الانسان الى أقصى حدود التضحية والتفانى •

وهذا التعبير يقابله فى الفقه الحديث أن الجماعات هى وحدات نظامية لها غايات نهائية وتتألف من جماعة متماسكة حول هذه الغايات التى تعتبر أغراضا اجتماعية لها • ولها سلطة تحكمها وفقا لقيم تنظيمية معينة (كتاب رينار فى نظرية المنظمة موجود فى مكتبة مجلس الدولة ومقالنا فى نظرية القطاع بمجلة مجلس الدولة ــ وكتاب بيردو فى النظرية العامة للعلوم السياسية بصفة عامة وخاصة الجزء الأول منه ومقال المستشار نعيم عطيه جرجس فى الخطوط العريضة لفلسفة هوريو) وبدون هذا الفهم الجديد للأصول الدستورية ــ وبعد الأفكار الدستورية التى أخنى عليها الدهر والمتشبعة بالأفكار الرأسمالية الليبرالية القديمة، لن تيسر لنا مواكبة الفهم الدستورى الحديث وتظل الأفكار الدستورية لدينا موسومة بالتخلف •

وليس فوق نص الدستور على أن « الاسلام دين الدولة » عبارة أبلغ ولا أفرح من أنه غاية الغايات ونهايتها في النظام المصرى هو اعلاء العقيدة الاسلامية وحمايتها والتقدم بها .

ولما كانت الأشخاص القانونية تختلف عن الأشخاص الطبيعية في مقوماتها ، فانه يفهم من « دين الدولة » أنه شرائعها ونظامها ومنهجها في الحياة ، تماما كما اتفق على أن القانون الجنائي يطبق على هذه الأشخاص بما يوافق طبيعتها ، بتوقيع العقوبات المناسبة لها دون ما لا يناسبها كالحبس . هذا فضلا عن دين الأغلبية الساحقة هو دين الدولة ، لأن الشعب مصدر السلطات . ولن يرتضى المسلمون غير الاسلام دينا . وأما غير المسلمين فقد ارتضوا أحكام الاسلام لأنها تحميهم وصار نظامهم جزءا منها خاصة أن اخواننا المسيحيين لا شريعة لهم ويعتمدون على الشريعة الاسلامية في كثير من أمورهم وقد عشنا سويا قرابة الألف سنة في ظل الاسلام في وئام لم يشاهده شعب آخر .

وهنا يتعين علينا أن نقرر أن الدين ليس علاقة بين الانسان وربه فقط . هذا فهم خاطىء من أساسه .

فان الدين في الحقيقة يقوم به نظام اجتماعى شامل .

هذه الحقيقة لانجدها عند المسيحيين في الدور الأول عندما دأبت الدولة الرومانية على اضطهاد المسيحيين الأوائل خاصة في عهد دقلديانوس . ولما اعتنق قسطنطين والأباطرة من بعده الديانة المسيحية فاتخذت أحكامها نظاما اجتماعيا وعلى مر السنين كون فقهاء الكنيسة قانونا كنسيا على أسس من العدالة واعترفوا بوجود قانون الهى ، يجرى تشريع القوانين الوضعية (القانون الانسانى) على نسقه ومن أهم من قال بذلك : القديس أوغسطين والقديس توماس الأكوينى ولكن كفر الناس بالدين فاستبدلوا بالقانون الالهى قانونا طبيعيا زعموا وجوده ثم أنكر فلاسفة القرن الثامن عشر الدين وبلغت ذروة ذلك أن أعلنت الثورة الفرنسية الالحاد . وللأسف الشديد أخذ كثيرين من المثقفين غير المسلمين يتمسكون الآن بما يسمونه « العلمانية » والفصل بين الدين والدولة .

وكذلك الاسلام : فقد قال الامام البخارى فى صحيحه : ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا من استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان .. والفرائض هى الواجبات التى يعاقب الانسان على تركها ويثاب على فعلها ، والشرائع هى النظم الاجتماعية والحدود هى الموانع (عموما وليست الجرائم السبعة المعروفة) والسنن هى مناهج الحياة ، وقد سار الامام البخارى بعدها فى كتاب الايمان من صحيحه على تفضيل هذه العبارة وتوضيحها (كتاب صحيح البخارى المفسر الحديث) وما بعده (هذا الكتاب موجود بمكتبة مجلس الدولة)

وعلى هذا المنوال من الفهم المذهبى الذى يسيطر على القانون الدستورى الحديث تفهم النظم المدنية ، سواء فى ذلك النظم الديموقراطية الشعبية أو النظم الأخرى التى تقتبس من هذه النظم الشعبية ولو أن بعض الدول المذهبية تتخذ مذاهب غير دينية ولكن الشكل الدستورى واحد فى جميع النظم المذهبية .

٢ ـ ومعنى أن مبادىء الشريعة مصدر رئيسى للتشريع : أى أصول الشريعة ـ أى الأحكام الثابتة التى لا تتطور ـ هى المصدر الرئيسى وغيرها مصدر ثانوى . فلا يجوز تخطى الرئيسى والاقتباس من الثانوى . ومعنى التشريع هنا لا يقتصر على القانون المكتوب ، بل كل قاعدة تنظيمية سواء أقرها العرف أو وضعها القضاء لمبدأ . وهى فى ذلك ليست مصدرا تاريخيا فقط بل مصدر تفسيرى أيضا لعامل الانسجام العام فى ترابط المعنى التشريعى .

وهذه المادة لها خلفية تاريخية لابد من شرحها :

وهى أنه لما شرعت البلاد فى وضع دستور ١٩٧١ انهالت البرقيات على مجلس الشعب ومشيخة الأزهر مطالبة بأن تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع فأصدر الامام الأكبر شيخ الأزهر بيانا تاريخيا نشرته الصحف فى ١٩٧١/٦/٢ بذلك وأصدر مجلس الشعب ثم المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى قرارا بأن تكون الشريعة هى المصدر الأساسى للتشريع . ولكن لجنة الصياغة صاغت المادة على الوجه السالف . وهو لا يغير من معناها الأصلى طبعا ، ولكنه يحتاط فقط

لما تلمسه من الحاجة الى استكمال الصياغة فى الفروع ، ولجان تقنين الشريعة دائبة على عملها • ولا تملك لجنة الصياغة بطبيعة الحال أن تخرج على ارادة السلطة التأسيسية فى قراراتها • وانما يفسر النص الذى وضعته فى ضوء هذه الارادة لأنها مصدر السلطة ومهمة لجنة الصياغة هى التحرير فقط وليست لها ارادة ذاتية فى سن الدستور •

وكلمة « مبادىء الشريعة » لا مفهوم لها فى المصطلح الاسلامى • وانما تعرف الشريعة الاسلامية مايسمى بالأصول ومايسمى بالفروع •

واجمال ذلك ـ كما أورده الثقات ـ أن علوم الأحكام الشرعية تنقسم الى قسمين :

عقائد ، وشرائع أو فقه •

وأن الشرائع تنقسم الى قسمين : أصول وفروع الفقه ، وفروعه •

فصار مفهوم « مبادىء الشريعة » أى العقائد وأصول الفقه •

وفى ذلك يقول الامام السعد على العقائد النسفية فى بيان أن الأحكام الشرعية تنقسم الى عقائد وشرائع :

« ان الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية أو عملية »

« ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام ، لأنها لا تستفاد الا من جهة الشرع ، ولا يسبق الفهم عند اطلاق الأحكام الا اليها (يعنى عندما يقال : أحكام ـ يتبادر الى الذهن كلمة : شرائع وأحكام) وبالثانية (أى والعلم المتعلق بالثانية ـ يسمى) علم التوحيد والصفات لأن ذلك أشهر مباحثه ••• »

كما يقول الامام البيضاوى فى منهاج الوصول بيانا لأقسام الفقه ، وانه ينقسم الى أصول وفروع • أصول الفقه هو معرفة دلائل الفقه (أدلته) اجمالا ، وكيفية الاستفادة منها ، وحال المستفيد يعنى بحوث الأهلية وعيوب الرضا) • والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من « أدلتها التفصيلية •• » أى أن الأصول تتعلق بالأدلة ونحوه ، والفروع تتعلق بالتطبيق العملى •

وصار من اللزوم طبقا للدستور أن تستمد الأحكام من هذه المبادىء أو الأصول ريثما تقنن الفروع وهو

منطق • وبذلك زالت التهمة عن لجنة الصياغة ورفع الاصر عنها والحمد لله رب العالمين •

وبذلك فقد أصبح فرض عين على المحكمة وعلى رجال العلم أن يعلموا الشريعة وأن يقضوا بها وهذا الفرض يعاقب الله على تركه •، وقياما بهذا الفرض سأعمل باذن الله على تزويد المحكمة بوجهة النظر الشرعية فيما أعرضه مستقبلا من التقارير •

ثم ان هذه الأصول ثابتة والفروع ذات مرونة وتقبل التغيير بقدر • ولذلك صلح أن يربط الدستور الأحكام بالأصول دون الفروع التى ما زالت تحتاج لمطابقة مستحدثات الزمان خاصة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد مما لم يكن معروفا بمصطلحه العصرى ومفهومه كما يجىء مثلا فى الكلام على حرية العقيدة •

وأفضل ما أورده تبسيطا لذلك ما قاله الامام الشافعى فى الموافقات :
وهو أن الأصول التى لا تتبدل هى النصوص : الكتاب والسنة المعتمدة ، وما يقاس عليهما • وانه فيما عدا ذلك تستنبط المقاصد الشرعية من خمسة أمور : هى المحافظة على الدين ، والنفس،والنسل،والعقل ،والمال (على خلاف فى ترتيب العلاقة الأخيرة) وذلك على وجه الضرورة ، ورفع المشقة والحرج وتحقيق التحسينات وان الضرورات تتعلق بالغرائز أو العادات الجبلية وهى لا تقبل التغيير والتطوير وأما الحاجيات (المتعلقة برفع الحرج) والتحسينات فهى مرنة تقبل التغيير والتطوير لتعلقها بوسائل تحقيق الغرائز وكيفياتها ونسبها وسرعتها ونحو ذلك ومن ثم فانه فى علوم أصول أحكام الشريعة الاسلامية وفروعها يستفاد فى ذلك لتعرف ثبات الشريعة ومرونتها وقابليتها لأن تظل اطارا حافظا للمجتمع من الأمراض الاجتماعية وفى الوقت ذاته تقدر على مماشاة الزمان ومواجهة احتياجاته والله هو العليم الخبير ، ومن أعلم منه وأخبر ؟

وفى مكتبة مجلس الدولة كتاب عن النظام الدستورى الاسلامى وآخر فى المشروعية الاسلامية فيه تكملة لهذا الاقتصاد •

وكلمة « مصدرا أساسيا » تعنى أن غير الشريعة ليس مصدرا أساسيا •

لأن المذهبية لا تحتمل مصدرين أساسيين لضرورة وحدة الفكر • فاذا عنت الحاجة للاقتباس من نظم أخرى فان ذلك يكون فى اطار المصدر الأساسى وبما لا يعارضه • وبذلك يمكننا الاستعانة بالنظم الأجنبية دون مجافاة للشريعة أو خروج عليها •

أما موضوع المشروعية الاشتراكية :

فان ما تنص عليه المادة (٤) من الدستور من أن الأساس الاقتصادى لجمهورية مصر العربية هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات •• فانه ـ من الواقع ـ يقتضى مشروعية جزئية قاصرة على الأساس الاقتصادى فقط محددا فى أمرين محصورين هما : الكفاية ، والعدل بما يحول دون الاستغلال ، وتذويب الفوارق بين الطبقات •

وهذه الأغراض جزئية بالنسبة للمشروعية الاسلامية الشاملة لنواحى الحياة الأخرى ، فى المسائل الدولية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والثقافية ، والخلقية وعلاقات الأسرة ، والحوار، وغير ذلك كثير وليس صحيحا أبدا ما قيل من أن الاقتصاد هو الدافع الأول فى الحياة فالاقتصاد وسيط لغيره ، وعلماء النفس اتفقوا على صدور تصرفات الانسان من غرائز أعمق • فهذا قول فاسد نشأ عن الانحراف نحو عبادة المادة ومدح المثل والقيم •

ومن الملاحظ أن الميثاق قد غاير الماركسية باحترامه الأديان والملكية الخاصة وان قبوله قد تقيد بالنص على أنه « ايمانا بالله وشريعته » ـ وبذلك فالادارة الشعبية واضحة تماما فى تقييد الاشتراكية ـ عند قبول الميثاق ـ بالدين والشريعة الاسلامية •

ولما حاولت مراكز القوى جر البلاد الى الاشتراكية الماركسية أجرى الرئيس أنور السادات حركة التصحيح فى ١٥ مايو التى أعقبها وضع الدستور بنصوصه السابقة الذكر •

وكل ذلك لا يجدى ما لم يقم أهل العلم ـ والقضاة منهم ـ بتحقيق مبادىء الشريعة بالعلم والعمل • فهذا هو معنى «العلم والايمان» : أن يكون العلم فى خدمة الايمان بأن يرسم

مناهجه وطرق تخطيطه وتطبيقه ، والا ظل شعارات جوفاء لا قيمة لها .

وان لم يفعلوا فقد حاق بهم خزى في الحياة الدنيا والأخرى ولهم عذاب أليم .

وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (الأنفال : ٢٧٠) .

وقال أيضا : « يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

لقد انقضى الزمان الذى كنا نشكو فيه من أن الحكومة تعرض عن الشريعة .. ولم يعد لنا حجة نتمحل بها فى ذلك .

بل ان حجتنا الآن هى التقاعد والتكاسل وهبوط الهمة عن هذا الواجب المقدس . وتحرى العادات الاسلامية فى حياتنا ، والمعاملات الاسلامية فى أعمالنا .. وأن يقبل علماء الدين والقانون متعاونين فى توحيد الأمرين فيصير ديننا هو قانوننا، وقانوننا هو ديننا .. وعند ذلك تستمد الأحكام من الشرع الشريف ولا نجد حاجة للالتجاء للتشريعات الأجنبية .

فلا نكون كمن قال فيه الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

د . مصطفى كمال وصفى

من أسرار بلاغة القرآن
ووجوه إعجازه

للأستاذ أحمد محمد الإمام

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير • نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة منجما حسب الحوادث والأحوال ـ لا ريب فيه هدى للمتقين ـ المتعبد بتلاوته ، المعجز بمعناه ولفظه ، بلغ ذروة الفصاحة ، وانتهى الى الدرجة العليا من البلاغة ، حيث روعيت فيه جميع مقتضيات الأحوال ، فهو كتاب عزيز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » • وتزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لينذر به قوما لدا ، في عصر توافرت فيه دواعي البلاغة العربية عند العرب ، فكان منهم خطباء مصاقع وشعراء فحول ، أصحاب مفاخرات ومنافرات ومصاولة في القول ، ومطاولة في البيان ، البلاغة سجية فيهم ، والفصاحة سر من أسرار لسانهم • وحين قالوا انه مفترى قال لهم : « فأتوا بعشر سور من مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » • ثم تنزل معهم الى سورة واحدة فقال : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » • وكان قد أعلن تحديهم أن يأتوا بمثله ، فقال للرسول عليه الصلاة والسلام : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » •

وليست قريش وحدها هي المتحداة بالقرآن ، وليس العرب جميعا ، وانما

تحدى جميع البشر والجن وأعلن أنهم لا يأتون بمثله ولا يأتون بعشر سور مثله ولا بسورة واحدة من مثله وقريش والعرب المكذبون لم ينهضوا لمواجهة هذا التحدى فثبت أنه ليس مفترى وأنه من عند الله كما يفهم من قوله تعالى : « فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون » .

بل ان زعماء قريش والمتقدمين فيهم سجدوا لفصاحته وحلاوة ألفاظه وسحر بيانه ، وبلاغة معناه ، فهذا الوليد بن المغيرة عظيم احدى القريتين يسمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيملؤه اعجابا ورهبة ويشاع ذلك فى الملأ من قريش فتوجس من ذلك خيفة ، فيسعى اليه أبو جهل قائلا : « يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا كيلا تأتى محمدا تتعرض لما يقول ، فقال له : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا . قال قل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له . فقال وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ، والله مايشبه الذى نقول شيئا من هذا ، ووالله ان لقوله الذى يقول لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته . فقال أبو جهل لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال دعنى أقدر وأفكر . ثم قال عن القرآن انه أمر خارق للعادة يستولى على القلوب وانه ارتفع فوق الكلام الذى يصدر عن فصحائهم ومدارهم فليس من جنسه وان كانت الحروف المكونة للألفاظ والأساليب هى الحروف المتعارفة لديهم فقال : (انه سحر يأثره عن غيره) . ولقد صور القرآن الكريم هذا الحادث ببلاغته التى ليست فى طوق البشر ، فقال فى آيات مسجوعة ذات فقرات قصار لتمثيل المعنى المراد تمام التمثيل ، مبتدئة بهذا التهديد تترادف بعده النعم المؤذنة بزوال ورحيل فى الوقت الذى كان يطمع فيه من المزيد ، ثم تصور الآيات فى سرعة جريانها سرعة ما كان يتواثب عليه من خواطر حيرى ، وأفكار مضطربة ، لا تستقر فى نفسه خاطرة حتى تسرع اليه أخرى وهو غريق فى لجج من التقدير والتفكير يحدج بنظره فيما حوله لجد شيئا يقوله يرضى به عناده وعناد قومه ،

فلا يجد فتعلو وجهه كآبة ترتسم على صفحته أسارير عابسة ، ثم يحاول أن يخرج من حيرة نفسه ، واضطراب فكره . ولو بالرجوع الى الوراء حيث سدت أمامه مسالك التفكير والتقدير ، فيصطنع الاستكبار ويرفع رأسه شامخا ، وكأنه عثر على مايقوله لقريش لا ما يقوله لنفسه لأنه غير مقتنع بما يقول . لقد سمع قرآنا عجبا يتحدر الى القلوب فيملؤها خشية وجلالا فيه أسرار خفية لايعرف مأتاها ولا من أين ابتدأت والى أين انتهت .

اذن هو السحر الذي يحسن تأثيره ولا يعرف سببه ، لقد وجدها اذن فليقل : « انه سحر يأثره عن غيره » وليس عنده غير ذلك .

ولنستمع الى القرآن الكريم يصور هذه الحادثة في بعض من جوانبها فيقول :

« ذرنى ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر » ولا تكتفى الآيات بالوعيد فى حياته الدنيا ، بل تستطرد لبيان ما هو أخزى وأكبر فجاءت الآيات بعد ذلك تتلاحق وكأنها لهيب النيران ينتقل بسرعة من مكان الى مكان ، وكانت هذه الفقرات المكونة من كلمتين ، الكلمة الثانية متحركة كأنها أمواج البحر الهائج فى ظلمة الليل المخيف ، أو مواقع المقامع المتوالية فى نار جهنم من غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون « سأصليه سقر . وماأدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر . عليها تسعة عشر » (١) .

(٢)

ومنذ زمن بعيد والعلماء يكتبون ، ويؤلفون فى اعجاز القرآن . والقرآن الى الآن وبعد الآن لا تنقضى عجائبه ، وكلما تقدم العقل واستتبع ذلك التقدم فى العلوم النفسية والكونية ، كشفت هذه العلوم عما فى كتاب الله الكريم من أسرار وآيات باهرات فى الآفاق وفى الأنفس لينادى كل جيل فى أى عصر من العصور ، انه الحق ، فلامعدل

---

(١) الآيات من سورة المدثر .

عنه ولا محيص ، الا الى ضلالات باطلة ، ومعتقدات فاسدة ، وقوانين جائرة ، وشهوات طاغية ، تهوى بالانسان الى تدمير نفسه ، وكأنه الباحث عن حتفه بظلفه •

والذين يسعدون بقراءة القرآن وتدبير آياته تنكشف لهم وجوه الاعجاز فى أمور كثيرة •منها ما أودعه الله فيه من أسرار التشريع ، ليكفل للانسان حياة أسرية سعيدة متكافلة أبرز مظاهرها المودة والرحمة بين الزوجين والاستقرار لجميع أفراد الأسرة الأب والأم والأبناء • وفى آيات معدودات من سورة البقرة مثلا نرى هذا التشريع الخالد فى نظم محكم يمتزج فيه « التقنين » والتشريع بالعواطف الكريمة والأخلاق المثالية الرفيعة حتى حين الطلاق ، وقطع عرى الوفاق • يقول الله سبحانه وتعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » (١) •

ومثل التشريع للأسرة التشريع للمجتمع فى مرافقه المتعددة فى الحرب والسلام والحكم والسياسة والمعاهدات والمهادنات والعمل والاقتصاد ، ومثل الأحوال المدنية والجنائية كالبيع والشراء والمداينات والرهون والقتل والقصاص وغير ذلك مما يدخل فى باب الحسبة والقضاء ، ويحتاجه الانسان المدنى المتحضر فى معاملاته وفى صلته بغيره مما لم يكن موجودا قبل نزول القرآن فى المجتمع العربى ولا فيما جاور العرب من مجتمعات كالفرس والروم ، فهو أمد بعيد لم تصل اليه الا اذا جعلت هدفها فى كل
تصل اليه الا اذا جعلت هدبها فى كل
ذلك وفى غير ذلك كتاب الله الخالد الذى أنزله من يعلم السر فى السموات والأرض ، وصدق الله العظيم : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » •

ومن دلائل اعجازه • أنه سبق الحوادث فأخبر عن أمور تقع فى المستقبل فجاءت صادقة مثل فلق الصبح ، وفى ذلك ارشاد وتوجيه للمؤمنين به أن يستفيدوا من حركات التاريخ فيرصدوا أيامه التى تعلو وتهبط بالأمم والشعوب ، وبذلك يأخذوا طريقهم الى الحياة القوية العزيزة عن تبصرة ووعى مستفدين من هذا الصراع الذى يدور من حولهم والذى سيؤدى قطعا بالغالب والمغلوب•

---

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

يقول الحق تبارك وتعالى : « ألم • غلبت الروم • فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » • (١) فالروم غلبت فى أدنى الأرض ، وبعد بضع سنين ستكون هى الغالبة لا عن قوة وانما لضعف من غلبها من قبل • والذى يجب أن يستفيد من هذا الصراع بين دولتين دب بينهما داء الأمم من الترف المهلك ، والظلم المدمر المبير انما هى دولة الاسلام الفتية التى تقوم على أساس من العدل المطلق تستمد قوتها وسلطانها ونظام الحكم فيها من كتاب الله الذى يضع بصرها على مواطن العزة والكمال • وليتأمل المتأمل فى قوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله عقب ايراد الخبر بهزيمة الدولتين معا ، وفى هذا التذييل العجيب الذى ختمت به الآية وهو العزيز الرحيم • فلم يفرح المؤمنون يوم ينتصر الرومان على الفرس ، ألأن الروم أهل كتاب والفرس مجوس يعبدون النار ، ولاشك أن الكتابيين أقرب وشيجة من المجوس وان كانوا على ضلال ؟ أو لأن الكفر والشك صنوان ، وقد هزم الكفر اليوم وسيهزم الشرك بعد حين ، وذلك نصر أى نصر لدولة العرب التى ستزيل هذا الركام الفاسد من الشرك والظلم والطغيان ، وتبنى على أساس من هدى السماء دولة ذات أمجاد على عمد راسخة من هدى القرآن ، قد يكون هذا وقد يكون ذاك وأيما يكون فالله هو العزيز الغالب بيده الأمر من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء وقد أطاح بالفساد ، وسيطيح بجذوره بعد حين ، وهو جل شأنه الرحيم بخلقه فأراحهم من ظلم وطغيان القيصرية التى استذلت العباد وسيريحهم من ضلال وثنية المجوسية التى تعبد النار ، ورحم الله أحمد شوقى الذى يصور العالم قبل البعثة النبوية فى ثلاثة أبيات ، اذ يقول مخاطبا الحضرة النبوية :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم

مسيطر الفرس يبغى فى رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمى

---

(١) الآيات أول سورة الروم .

يعذبان عبـــاد الله فى شـــبه
ويذبحان كمــا ضحيت بالغنم

ومن وجوه اعجازه ما حكاه عن الأمم الماضية مما لم يعهد للعـرب ولا لغيرهم فى ذلك الحـــين . قال سبحانه مخاطبا نبيه صـلى الله عليـه وسلم بعد أن قص طرفا من قصــة مريم ابنة عمران : « وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفـل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » (١) . وقال سبحانه بعد أن تحدث عن يوسف عليه السلام فى سورة طويلة مخاطبا النبى عليه الصلاة والسلام: «ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون »(٢). وتحدث القرآن عن حياة موسى عليه السلام بافاضة ووصوله الى شـعيب فى مدين ، ثم قال مخاطبا النبى عليه الصلاة والسلام .

« وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الىموسى الأمر وماكنت منالشاهدين. ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهـل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولــكن رحمــة من ربك لتنـذر قوما ما آتاهم مننذير منقبلكلعلهم يتذكرون»(٣).

(٣)

ومن اعجازه أيضــا اشارته الى ما تظهره الكشوف العلمية والفلكيـة فى الحين بعد الحين وذلك فى آياته الكثيرة التى تدعو الى النظر والتـأمل فى آفاق الكون سمائه وأرضه وفى رحاب النفس وسراديب عواطفهــا ودواخـل وجدانها وشتى غرائزها ، مصداقا لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . (٤) ومن قديم الزمان والعلم ما زال يكشف عن بعض أسرار القرآن التى لم تـكن معروفة وهى مبثوثة كثيرة فى ملكوت الســموات والأرض يمر عليها الناس وهم غافلون

---

(١) الآية ٤٤ من سورة آل عمران .
(٢) الآية ١٠٢ من سورة يوسف .
(٣) الآيات من سورة القصص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦
(٤) من آخر سورة فصلت .

عنها لايعرفون لها سببا،والقرآن يشير اليها داعيا الى التأمل فيها ، فاذا ما أثبتها العلم بوسائله الحديثة عجب الناس من أمر هـذا الكتاب وليس لهم أن يعجبوا لأن الله قد أودع فيه من أسرار الكون ما يجعله على طول الأمد الى أن تنتهي هـذه الحياة بلاغا لأولى الألبٰب وحجة على الناس أجمعين •

وقد سأل الصحابة النبى عليه الصلاة والسلام لم يبدو القمر هلالا صغيرا ثم يتدرج فى الكبر الى أن يصير بدرا ثم يأخذ فى الصغر والاضمحلال ؟ فأجابهم القرآن جواب الحكيم عن فائدة الأهلة ، وجاءت بعد ذلك الكشوف الفلكية تبين ارتباط القمر بالأرض ودورانه حولها وكان يكفى يومئذ كما هو كاف الآن أن يعلم السائلون أن الأهلة مواقيت للناس والحج وأن الله قدرها منازل ليعلموا عدد السنين والحساب • قال تعالى : « يسألونك عن الأهلة » • والآيات التى نقدمها الآن من الكتاب العزيز تحث على النظر فى الظواهر الكونية وتدعو الى العلم بها والبحث وراء أسرارها وخفاياها للاستفادة منها فيما ينفع الناس • وقد تتناقض قضايا العلم وقد تختلف وينفى لا حق لها سابق ، ولكن القرآن لايختلف ولا يتناقض ــ وحاشاه ذلك ــ ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن كتاب هداية وارشاد وتشريع وأحكام يحل الحلال ويحرم الحرام ويدعو الى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما فى السموات والأرض فليس هو كتاب طب ولا كتاب تاريخ أو جغرافيا أو هندسة أو فلك أو غير ذلك من العلوم • والآيات الكونية التى جاءت فيه انما كانت أدلة وبراهين على مظاهر قدرة الله وبديع صنعه فى ملكوته يتوصل منها العقلاء وأهل النظر الى ما وراء هذا الكون من تدبير محكم وقدرة باهرة وعلم لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ــ وكثير من هذه الآيات يعقب بما وراء هذه الحياة الدنيا من حياة أخرى وما يتبعها من بعث ونشور وحساب وجزاء • قال تعالى :

« وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من

كل زوج بهيج • ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور»(١) وقال سبحانه : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير » (٢) •

ولكن على المسلمين أن يتنبهوا الى ما نبههم الله اليه فلا يقعدوا وركب الحضارة تحدده الكشوف العلميـة والفلكيـة حتى لقد وصل العلم الآن الى غزو الفضاء وانما عليهم أن يسهموا فى هذه النهضة العلمية وبذلك يجمعون بين علـوم الدين وعلـوم الدنيـا ويتحصنون بهما معا والا كانوا فريسة لغيرهم من طغاة الغرب وملاحدة الشرق وما أشبه الليلة بالبارحة يوم كان على الدنيـا كسرى وقيصر ولا شيء غير كسرى وقيصر •

وسـنورد بعض الايات التى رأى فيها الباحثون أن بها اشارات الى أمور كانت خافية حتى دل عليها العلم فكان القرآن مصدقا له فيما جاء به : يقول تعالى مبينا حال المسلم وما هو عليه من طمأنينـة نفس ، وانشراح صـدر ، وهدوء بال واهتداء بالحق • وما عليه المشرك من قلق واضطراب وضـيق صـدر وضـلال يخبط بسـببه فى دياجير الظلمات : « فمن يرد الله أن يهـديه يشرح صـدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صـدره ضيقا حرجا كأنما يصـعد فى السماء » ، والذى لفت نظر العلماء فى الاية هو هذا التشبيه الرائع « كأنما يصعد فى السماء » (٣) •

وذلك ان العلم الحـديث قد أثبت أن الانسـان كلما ارتفع فى طبقات الجو العليا ضاق صدره وتعسر تنفسه ويكاد أن يختنق بل هو اذا واصـل سيره الى أعلى اما أن يختنق قبل ان ينبثق الدم من جسده واما ان ينبثق الدم من جسده قبل ان يختنق ، وذلك لعدم وجود الاكسجين فى الهـواء فى الطبقات العليا ولأن الانسان كلما علا كلما خف الضغط الجوى من حوله

(١) الآيات ٥ و ٦ و ٧ من سورة الحج .
(٢) الآية ٣٩ من سورة فصلت .
(٣) الآية ١٢٥ من سورة الانعام .

فلا يكون هناك توازن بين ضغط جسمه الداخلي والضغط الخارجي ولذلك ينبق الدم من وجهه ومن سائر جسمه ـ ولولا الأجهزة التي يستعملها الطيارون والصعدون في طبقات الجو لماتوا حين يصلون الى قدر معلوم من الارتفاع • والتشبيه هنا بديع غريب،فان الحيران المضطرب الذي يسلك حياته في ضلال الوثنية وظلمات الشرك يكون ضيق الصدر لا يملك الا أن يتنفس الصعداء ازاحة للغمة وتفريجا للكربة ، ولكن أنى له ذلك وهو كلما أمعن في الضلال كان في حرج وشدة مثله تماما مثل الذي يصعد في السماء •

وهذه الآية كما قلنا ليست نظرية في الضغط الجوى وليست تجربة لبيان أن الهواء في الطبقات العليا يقل فيه عنصر الاكسجين حتى ينتهي ولكنها تشرح حالة المؤمن الرضى النفس وحالة المشرك المضطرب القلب ، فاذا اشارت الى شيء قد كشف عنه العلم بوسائله واستفاد منه الناس قلنا ان ذلك من اعجاز القرآن وانه من عند الله وعلى المسلمين أن يبادروا الى ما أشار اليه القرآن فيبحثوا وراءه ليستفيدوا منه في حياتهم وفي دينهم لأن من وراء ذلك القوة المادية وهي التي تصون الأمم من الضياع وتحفظها من الأعداء •

ونعود فنقول هل كان العرب يوم نزل القرآن يعرفون نظرية الضغط الجوى أو يعرفون تجربة تقول ان عنصر الأكسجين يقل في الأماكن المرتفعة وكلما ارتفع الانسان ضاق صدره ولحقته الشدة والحرج الى أن يموت خنقا ؟ ما كان العرب يعرفون ذلك ولا أمة الفرس والروم تعرف ذلك ولكنه القرآن كتاب الله المقروء يشرح ويفسر ما في الكون وهو كتاب الله المنظور ليكون للعالمين نذيرا جيلا بعد جيل وقرونا متطاولة في أثر قرون •

وقال سبحانه وتعالى في سورتي الاعراف والنور ملقيا الضوء على مظاهر القدرة الباهرة والعلم الواسع المحيط الذي لا حدود له في ظاهرة من الظواهر الجوية يلفت اليها الانظار ولتكون وسيلة للعبرة والاستبصار ، وهاتان الآيتان تبين كيف تكون السحب في السماء وكيف تزجيها الرياح وكيف ينزل المطر في أسلوب رائع اختلطت فيه حقائق العلم بروعة

البيان وجلال الايمان ، وكيف تتكون جبال البرد وكتل الجليد فى الطبقات العليا من الجو ، وكيف يستمد المطر ماءه من مياه المحيطات والبحار - فتكون هذه الدورة المائية العجيبة بين الأرض والسماء - ليكون بعدها المطر ماء عذبا فراتا سائغا شرابه • شمس تسلط بحرارتها على مسطحات واسعة من مياه المحيطات فتثيره بخرا يتصاعد الى السماء ويكون سحابا مسخرا بين الأرض والسماء تزجية الرياح الى حيث يريد السميع العليم فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يخرج به من الأرض ملحا اجاجا ويعود اليها عذبا فراتا تجرى به الأنهار حلوا طهورا ويسلكه ينابيع فى الأرض « لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا »(١) ومن وراء ذلك جنات تزكو بيانع الثمار ، وتزهو بأنواع حالية من الرياحين والازهار ، «وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لأيات لقوم يعقلون » (٢) •

قال تعالى من سورة الأعراف: «وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت وأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » • « (٣) الآية مملوءة بالآيات والظواهر الطبيعية ، ارسال الرياح من مكان الى مكان وهبوبها من جهة الى أخرى مختلفة عنها كالماء واليابسة ، وحملها للسحب الثقال المحملة بالمياه على هيئة بخار ، وازجاء الرياح لهذه السحب وسوقها بأمر الله المعبر عنه بـ « سقناه » وأنزل الماء على بلد ميت لا نبات فيه واخراج الثمار المتنوعة الاشكال والطعوم من زرع وشجر يروى بهذا الماء - ثم البرهان والقياس على أن من يفعل كل ذلك وأنتم ترونه بأعينكم وتأكلونه فى بطونكم ويأخذ عليكم سمعكم وأبصاركم كل حين قادر على أن يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء

---

(١) الآية ٤٩ من سورة الفرقان .
(٢) الآية ٤ من سورة الرعد .
(٣) الآية ٥٧ من سورة الاعراف .

للحساب والجزاء : « كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » .

هذه القضايا التى اشتملت عليها هذه الآية لا ينبغي أن تمر تحت سمع وبصر المؤمنين من غير أن يستفيدوا منها حتى اذا كمل لهم العلم بها زادتهم ايمانا على ايمانهم ، وكانت مقدمات للنتيجة التى يجب أن يذعن لها ويؤمن بها القارىء لكتاب الله المتدبر لما جاء فيه ، ومثل هذه الآية مثل اختها فى سورة النور ، وهى قوله تعالى : « الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » (١) .

ان كمال العبرة أن تدرس هذه الظواهر الجوية ويتعرف عليها أهل القرآن فهم أولى من غيرهم ومن المؤلم حقا أن القوم فى الغرب أو الشرق لم تنزل عليهم هذه الآيات البينات تدعوهم الى الايمان بخالقها وموجدها ولكنهم درسوها ولموها وتعلموها وعلموها واستفادوا منها ، ونحن فى غفلة عنها معرضون .

ولقد كان علماء النبات ــ بناء على التجربة والمشاهدة العلميــة يستدلون بالآية الكريمة التى جاءت فى سورة الحجر وهى قوله تعالى: « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » (٢) يستدلون بها مؤتنسين لنظريتهم التى تقول ان الرياح تلقح الأشجار والنبات بما تنقله من ذرات من الذكر الى الأنثى فى عالم النبات ولم يكن ذلك مستساغا لدى علماء اللغة العربية حيث رتبت الآية انزال المــاء على تلقيح الرياح فعطفت الجملة الثانيه بفاء السببية على الجملة الأولى « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء » حتى اكتشف العلم حديثا أن الرياح تزجى السحب لتؤلف بينها فتكون متراكمة بعضها على بعض ثم ترتفع فى طبقات الجو العليا فيتجمد بخارها الى جبال من البرد وكتل من الجليد

(١) الآيتان ٤٣ ، ٤٤ من سورة النور .
(٢) الآية ٢٢ من سورة الحجر .

يتداخل بعضها في بعض بفعل الجاذبية الكهربية السالبة والموجبة فيكون ما يرى وما يسمع من برق ورعد يسبح بحمد الله العلى القدير ، ثم يخرج من خلالها الودق مطرا طيبا وذلك بمشيئة الله وقدرته وسوق الرياح التى كانت سببا فى تلقيح السحب بعضها من بعض . ولعل أهل صناعة النحو واللغة لا يحتاجون الى تقديرات وتخريجات فى كلمة لواقح بعد هذا الكشف العلمى الذى يرتب انزال الماء على ارسال الرياح لواقح .

ويظهر اعجاز القرآن واضحا جليا فيما يرسم للناس فى هذه الحياة من طرائق السعادة ، ووسائل العيش الكريم فى ظلال وارفة من الأمن والدعة والسلام مترسمين صراطه المستقيم ثم ما أخبر به عن مشاهد القيامة وأحوال الآخرة ، وأهوالها ونعيمها . وما أعده الله لعباده الصالحين من نعيم مقيم وما توعد به العصاة والكفرة من عذاب أليم ، ولقد أفاض القرآن فى هذه وتلك فى أسلوب قوى يأخذ بمجامع الألباب .

يقول سبحانه وتعالى مبينا الأسلوب الكريم الذى يجب أن يمشى عليه المؤمن فى حياته ليجتازها معافى الى آخرته :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » (١) صدق الله العظيم .

ويقرأ القارىء من قوله تعالى فى سورة الاسراء : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو

---

(١) الآيات من سورة الأنعام ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣

كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » الى قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا • ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها • ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » •

ليقرأ ذلك وليعرف بأى دستور يعيش الناس الحياة ، انه الدستور الالهى الذى شرعه الله لاسعاد البشر ليعيشوا على المحبة والوئام اخوة متعاونين متساندين لا يبغى قوى على ضعيف ولا يأكل غنى حق فقير • لقد جرب هذا الدستور الالهى حقبة من الزمن فنعم الناس جميعا فى ظلاله آمنين مطمئنين المسلم والذمى على سواء •

أما الدساتير التى من صنع البشر ، فياويل للانسانية منها ، انها شرعة الذئاب المفترسة للحملان الوادعة • ولن يرى هذا الكوكب الأرضى سلاما الا اذا آوى الى شرعة الاسلام التى لا تتعصب لجنس أو لون والتى تجعل للفقير فى مال الغنى ما يحيا به الفقير والغنى معا فى أمن وسلام •

ويقول سبحانه وتعالى عارضا مشاهد القيامة فى آيات من آخر سورة الكهف :

« وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا • الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا » • الى أن يقول سبحانه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » •

والآيات فى هذين الغرضين كثيرات جدا •

على أن القرآن الكريم مأدبة الله يتناول منها الخاص والعام فيأخذ كل ما يتفق مع ثقافته وما هو عليه من استعداد فطرى أو مكتسب فيشبع ويقنع ولا يطلب مزيدا من غيره • يتلو آياته العالم الضليع المتخصص فيأخذ بعقله وفكره الى سبحات النفس وملكوت السموات والأرض فيزداد

ايمانا على ايمانه • ويقرؤه أو يسمعه ذو الثقافة المتوسطة أو العامى فيزداد كل منهما ايمانا على ايمانه أيضا ويملأ قلبيهما اجلالا وخشية ويسلك بهما أقوم الطرق وأهداها الى الحياة الطيبة فى طلب العيش الكريم •

على أن الأيام ما زالت تكشف عن أسرار هذا الكتاب الحكيم وصلته بالحياة وما فيها ومن فيها مبينة أنه كتاب الدهر المتجدد على مر الأعوام وكر الدهور لا تفنى عجائبه ولا تنقضى غرائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد من قال به صدق ومن حكم به عدل قوله الفصل ليس بالهزل ، وهو الذى حين سمعته الجن : « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا • يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » (١) •

وفى الحق ان اعجاز القرآن يشمل كل هذه الوجوه التى قدمناها وأكثر من هذه الوجوه ، والذين يعنون بدراسة علم الأخلاق وعلم النفس ويلتمسون السلوك المستقيم والمنهج القويم فى العادات والأخلاق والطباع أو انحراف النفس عن الجادة ، وسلوكها العثار وغير ذلك من الأخلاق الذميمة معللين لهذا أو لذاك يرون فى القرآن الكريم الزاد الذى لا ينفد والعلم الذى لا يضطرب ولا يتزلزل •

والذين يدرسون البلاغة والأدب يعنيهم من اعجاز القرآن صحة مفرداته وفصاحة ألفاظه وقوة أساليبه ووضوح معانيه فالى المقال التالى ان شاء الله •

والله الموفق للخير والمعين عليه ، وهو ولينا فنعم المولى ونعم النصير ؟

أحمد محمد الامام

---

(١) الآية ١ ، ٢ أول سورة الجن .

هل فى القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور على العمارى

٨ - الفاء • فى قوله تعالى : « هذا وان للطاغين لشر مآب•جهنم يصلونها فبئس المهاد • هـذا فليذوقوه حميم وغساق » (١) •

قـال فى المغنى عن الفـــاء : تكون زائدة ، دخولها فى الكلام كخروجها ، وهـذا لا يثبتـه سـيبويه ، وأجـاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقا •• وحمل عليه الزجاج : « هذا فليذوقوه حميـم » • وقال ابن برهـان : تزاد الفاء عند أصحابنا جميعا •

(يريد بأصـحابه البصريين ما عدا سيبويه) •

والمانعون لزيادة الفاء قالوا فى الآية ان الخبر حميم ، وما بينهما معترض ، أو هذا منصـوب يفسره فليـذوقوه ، مثـل : واياى فارهبـــون ، وعلى هذا فحميم بتقدير هو حميم •

قال الدمامينى فى التخريج **الأول** : ولا تكون زائدة لئلا يقع فيما فرمنه ، ولا للعطف على جملـة : هذا حميـم لئلا يلزم عطف الانشـاء على الخبر ، وتقـــدم المعطوف على بعض المعطوف عليه ، فتكون رابطة لشرط محذوف ، والشرط والجـزاء معتـرض ، أى • واذا كان كذلك فليذوقوه •

قال الأمير فى حاشيته بعد أن أورد كلام الدمامينى : ولعـل الأوضح أن التقدير : ان لم يؤمنوا الآن فليذوقوه يوم القيامة •

ثم قال ابن هشام : الفاء فى نحو : « بل الله فاعبد » زائدة عند الفارسى وفيه بعد •

وصنيع الزمخشرى فى تفسـير آية (ص) يشير الى أنه لا يرى الا أصالة الفاء ، فقد ذكر لها تخريجات كلهـا

---

(١) سورة ص ـ ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧

تشعر بأنها أصلية . قال : (هذا حميم فليذوقوه ، أو العذاب هذا فليذوقوه) ثم ابتدأ فقال : هو (حميم وغساق) ، أو هذا فليذوقوه بمنزلة فاياى فارهبون ، أى ليذوقوا هذا فليذوقوه)

٩ ـ فى . فى قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها » .

ذكر ذلك ابن هشام فى المغنى ، ونسبه الى (بعضهم) .

وصنيع الرازى يشير الى الأمرين وان كان أقرب الى القول بالزيادة للسر البلاغى الذى ذكره ، قال : (ولفظه « فى » فى قوله : (اركبوا فيها) لا يجوز أن تكون من صلة الركوب ،لأنه يقال : ركبت السفينة ، ولا يقال : ركبت فى السفينة ، بل الوجه أن يقال : مفعول اركبوا محذوف ، والتقدير : اركبوا الماء فى السفينة .

وأيضا يجوز أن تكون فائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا فى جوف الفلك لا على ظهرها ، فلو قال : اركبوها : لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة) .

ولم يعرض الزمخشرى للفظ «فى» فى هذه الآية .

أما المفسر أبو السعود فكلامه يرد على الرازى ، وان لم يذكره ، فانه قال : (الركوب يتعدى بنفسه ، واستعماله ههنا بكلمة « فى » ليس لأن المأمور به كونهم فى جوفها لا فوقها كما ظن) .

وهذا رد صريح لكلام الرازى .

وحجة أبى السعود أن أشهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها فى البطن الأسفل ، والأنعام فى الوسط ، وركب هو ومن معه فى الأعلى .

وذكر أن معنى الركوب العلو على شىء له حركة ، فان كانت الحركة ارادية كما هى فى الحيوان تأتى المادة على أصلها ، فيقال : ركبت الفرس ، وعليه قوله تعالى : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها » وان كانت غير ارادية يلوح بمحلية المفعول بكلمة (فى) ، فيقال : ركبت فى السفينة ، وعليه الآية الكريمة ، وقوله عز قائلا : (فاذا ركبوا فى الفلك) وقوله

تعالى : « فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها » •

وتفرقته بين النوعين جميلة ، ولكن يسأل : لم خص النوع الثانى بفى ؟ فلا يوجد سر بلاغى الا ما قاله الرازى •

ثم ما هذه الروايات التى يعتمد عليها فى رد تخريج بلاغى جميل ؟ وما مبلغها من الصحة ؟

ان مثل هذه الروايات ما لم يأت بها خبر صحيح لا قيمة لها ، وهى زيادة على ما فى النص الكريم ، فرفضها أولى من قبولها •

١٠ ــ الكاف فى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (١)

وقد قيل كلام كثير حول هذه الآية الكريمة فى القديم وفى الحديث •

والقائلون بزيادة الكاف يحتجون بأن القول بأصالتها يلزم عليه المحال ، وهو ثبوت مثل لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبأنه يلزم عليه التناقض لأن الله مثل مثله ، ولذلك قال الأكثرون : التقدير ليس شىء مثله • قال ابن جنى : وانما زيدت لتوكيد نفى المثل لأن زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة ثانيا •

وقال جماعة من العلماء بأصالة كاف التشبيه • واختلفوا بعد ذلك فى تفسير الآية الكريمة فقال فريق ان لفظة مثل زائدة لئلا تتصل الكاف بالضمير ، والمراد ليس كهو شىء أى ليس كالله شىء ونظروا بقوله تعالى : (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) (٢) أى بما آمنتم به ، فلفظة مثل زائدة فى الآيتين •وقد ذكر ذلك جمع من المفسرين ، ولكن ابن هشام فى المغنى رد هذا القول محتجا بأن زيادة الاسم لم تثبت ، وبأن القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم •

ومع أنه نقل أن زيادة (مثل) فى قوله تعالى « بمثل ما آمنتم به » تؤيدها قراءة ابن عباس : « بما آمنتم به » ذكر لها تأويلات • ان يراد بالمثل

(١) سورة الشورى ١١
(٢) سورة البقرة ١٣٧

محمد صلى الله عليه وسلم ،أو أن الباء زائدة ، أى آمنوا ايمانا مثل ايمانكم • وقيل (مثل) للقرآن ، و (ما) للتوراة ، ويكون المعنى : « فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم » •

ومن التخريجات فى قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » أن يكون مثل بمعنى ذات أو بمعنى صفة •

وعند الزمخشرى أنه طالما المقصود بهذا التعبير الكناية ، فسواء قيل ليس كمثله شيء ، أو قيل ليس كالله شيء ، فالمعنى واضح ، ونص عبارته ــ كما فى الكشاف : « قالوا مثلك لا يبخل ، فنفوا البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربى : العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذمم ، ومنه قولهم : أيفعت لداته ، وبلغت أترابه يريدون ايقاعه وبلوغه ••• فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ، ليس كالله شيء ، وليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد ، وهو نفى المماثلة عن ذاته ، ونحوه قوله عز وجل : « بل يداه مبسوطتان » فإن معناه : بل هو جواد من غير تصور يد ، ولا بسط لها ، لأنها وقعت عبارة عن الجود ، لا يقصدون شيئا آخر ، حتى انهم ، استعملوها فيمن لا يد له ، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له » (1) •

وأشار الزمخشرى أيضا الى القول بزيادة الكاف لكنه صدره بقوله : (ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتوكيد) وواضح من هذا الأسلوب أنه لا يرى زيادة الكاف لكنه ــ فى الحقيقة ــ لم يتعرض لأصل المشكلة ، وهى أن القول بأصالة الكاف يثبت مثلا لله تعالى ، الأمر الذى دعا أكثر العلماء الى القول بزيادة الكاف •

ولا يكفى أن يقول الزمخشرى انه لا فرق بين أن تقول ليس كالله شيء وبين أن تقول ليس كمثله شيء ، لأنه

---

(1) جـ ٣ ص ٣٩٩ : الطبعة الأولى •

يقال : المقارنة تكون بين ليس كالله شيء وليس مثله شيء أما ليس كمثله ، فهى موضع الاشكال .

وكأن المفسر أبا السعود تنبه الى ما فى كلام الزمخشرى من الاجمال فقال : (اذا نفى عما يناسبه كان نفيه عنه أولى) ولكن هذا أيضا لم يزد على أن ردد نفس التعبير ، فان قوله عمن يناسبه اثبات لمناسب له .. وهو موضوع المسألة ـ كما يقولون ـ .

وقد حاول بعض الكتاب المحدثين (١) أن يلقى ضوءا على فهم الآية ، بعد أن لخص المسألة فى أنها تنحصر فى القول بزيادة الكاف ، وهذا قول أكثر أهل العلم ، فرارا من المحال العقلى ، اذا رأوا أنها حينئذ تكون نافية الشبيه عن مثل الله ، فتكون تسليما بثبوت المثل له سبحانه .

قال : (وقليل منهم) من ذهب الى أنه لا بأس ببقائها على أصلها ، لأن نفى مثل المثل يتبعه فى العقل نفى المثل أيضا .

ويقول : لو كان هنا مثل لله لكان لهذا المثل مثل قطعا ، وهو الاله الحق نفسه فان كل متماثلين يعد كلاهما مثلا لصاحبه ، واذا لا يتم انتفاء مثل المثل الا بانتفاء المثل . وهو المطلوب .

وفى هذا الكلام مغالطة واضحة ، ذلك أن المطلوب ليس هو انتفاء مثل المثل بانتفاء المثل ، وانما المطلوب هو أن نفى مثل المثل يستلزم نفى المثل .

وأما قوله : لو كان هنا مثل لله لكان لهذا المثل مثل قطعا ، وهو الاله الحق نفسه فلا يتجه لأن الذى هنا أصل ، ومثل لهذا الأصل ، ولا معنى للرجوع بالقول ان الأصل مثل لمثله .

ولا يزال الاشكال قائما وهو أن نفى مثل الله يثبت هذا المثل ولا ينفيه وهو المحال العقلى الذى دعا (أكثر أهل العلم) الى القول (بوجوب زيادة الكاف) هنا .

لكن هذا المؤلف عاد فوضح وجوب بقاء هذا الحرف على أصالته من طريقين :

الأول : أنه لو قيل : (ليس مثله شيء) لكان ذلك نفيا للمثل المكافىء ،

---

(١) هو المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه (النبأ العظيم) ص ١٢٧ وما بعدها .

وهو المثل التام المماثلة فحسب ، واذا لدب الى النفس دبيب الوساوس والأوهام أن لعل هناك رتبة لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها ، وأن عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء ... فكان وضع هذا الحرف اقصاء للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة ، وما يدنو منها .

وهذا كلام يفترض أن من الكلمات اللغوية ما هو غير محدد المعنى ، فنحن نعرف أن مثل الشيء هو المماثل له في كل شيء ، فاذا كان مماثلا له في بعض الصفات قيل هو مثله في كذا ، ولا يطلق الكلام الا اذا أريد المبالغة ، فاذا نفى المثل كان معناه نفى المماثل من جميع الوجوه ، ولا يدخل فيه توهم أن هناك مماثلا في صفات خاصة ، أو في أشياء خاصة .

يبين ذلك أن القرآن الكريم حين تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله لم يدخل في وهم أحد أنه يجوز أن يجيئوا بسورة تقرب منه في البلاغة ولا تماثله مماثلة تامة ، فلفظ (المثل) معروف المعنى عند العرب .

ثم كيف كان هذا الحرف دالا على أنه (ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلا لله ، فضلا عن أن يكون مثلا له على الحقيقة) ؟ لم يبين لنا الكاتب وجه هذه الدلالة ، فكل ما يدل عليه هذا الحرف على القول بأصالته أن الآية نفى لمثل مثل الله تعالى ، كأنه قيل : ليس مثل مثل الله شيء أما انه (باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى) فغير ظاهر الدلالة .

الثاني : أنه ليس المقصود من الآية نفى المثل عن الله تعالى ، بل لها مع ذلك دلالة أخرى هي أن تلفت الى وجه حجة هذا الحكم ، وطريق برهانه العقلي .

وقولنا : (ليس كالله شيء) و(ليس مثله شيء) لا يفي بهذا الغرض .

وهنا عاد الى قول الزمخشري ليفصله . وهذا نص كلامه لنتبين ما فيه من المغالطة .

قال : (ألا ترى أنك اذا أردت أن تنفي عن امرىء نقيصة في خلقه فقلت : « فلان لا يكذب ولا يبخل » أخرجت كلامك عنه مخرج الدعوى المجردة عن دليلها ، فاذا زدت فيه كلمة فقلت : « مثل فلان لا يكذب ولا يبخل » لم تكن بذلك مشيرا الى

شخص آخر يماثله مبرأ من تلك النقائص ، بل كان هذا تبرئة له هو ببرهان كلى ، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كذلك ، لوجود التنافى بين طبيعة هذه الصفات ، وبين ذلك النقص الموهوم •

على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الحكيمة قائلة : (مثله تعالى لا يكون له مثل) تعنى أن من كانت له تلك الصفات الحسنى ، وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه ، ولا يتسع الوجود لاثنين من جنسه ، فلا جرم جىء فيها بلفظين ، كل واحد منهما يؤدى معنى المماثلة ليقوم أحدهما ركنا فى الدعوى ، والآخر دعامة لها وبرهانا) •

ووجه المغالطة فى هذا الكلام أنه ذكر أولا أن (ليس مثله شىء) لا يفيد الحكم ببرهانه العقلى ، ثم حين لجأ الى المثال ذكر أن قولك : (مثل فلان لا يكذب ولا يبخل) تبرئة للشخص ببرهان كلى •

ثم ان هذا هو المعروف من أساليب العرب • قال الشيخ عبد القاهر :

(ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل) و (غير) فى نحو قوله :

مثلك يثنى المزن عن صوبه
ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس : مثلك رعى الحق والحرمة ، وكقول الذى قال له الحجاج : لأحملنك على الأدهم • يريد القيد • فقال على سبيل المغالطة : ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بمثل الى انسان سوى الذى أضيف اليه ، لكنهم يعنون أن كل من كان مثله فى الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب العرف ــ والعادة أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل ، ومن أجل أن المعنى كذلك قال :

ولم أقل مثلك أعنى به
سواك يا فردا بلا مشبه (١)

وهذا ليس موضع خلاف بين أحد من علماء العربية ، فتقديم كلمة مثل

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٧ . والبيتان للمتنبى .

فى مثل هـذه الأساليب يراد منه الكناية .

والمؤلف نفسه قد اعترف بذلك عند التمثيل ، وان أنكره حين نفى عن (ليس مثل الله شىء) أن يكون يؤدى معنى الكناية .

واذن فهذا المعنى الكنائى لا يتوقف على أن تقول : (ليس مثل الله مثل) فليبحث الباحثون عن تخريج آخر يتجه معه القول بأصالة الكاف .

ومما أنكرته على هذا الأستاذ الفاضل عليه رحمة الله أنه فى الوقت الذى يقول فيه أن (أكثر أهل العلم قد ترادفت كلمتهم على زيادة الكاف ، بل على وجوب زيادتها فى هذه الجملة) . يقول فى الصفحة المقابلة : (دع عنك هذا وذاك - يريد القول فى بعض كلمات القرآن انها مقحمة أو انها زائدة - فان الحكم فى القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها انما هو ضرب من الجهل - مستورا أو مكشوفا - بدقة الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن .

وخذ نفسك أنت بالغوص فى طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح فان عمى عليك وجه الحكمة فى كلمة منه أو حرف ، فاياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون ، ولكن قل قولا سديدا هو أدنى الى الأمانة والانصاف . قل : الله أعلم بأسرار كلامه ، ولاعلم لنا الا بتعليمه) [1] .

وهى نصيحة غالية ولا شك ، ولكن الذى لا نفهمه ولا نقره ، أن يصف هذا العالم الفاضل (أكثر أهل العلم) بأنهم جاهلون بدقة الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن ، وبأنهم (ظانون) وبأنهم فى قولهم بالزيادة بعدوا عن (الأمانة والانصاف) .

(يتبع)

د. على العمارى

---

(١) النبأ العظيم ص ١٢٦ . مطبعة السعادة .

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٣ —

قلنا في باديء الأمر ونحن نتصدى للحديث عن النزعة الاسلامية في شعر شوقي انه كان يقيم هذه الاسلاميات على ركائز يعتقد اعتقادا جازما أنها دعائم لها • يرتفع عليها البناء ، ويتحقق بها الأساس الضروري • وقد انتهينا الى أن تلك الركائز منها ما يكون من صميم التاريخ الوطني الذي يعتبره المصلحون الاجتماعيون تراث الأمم من المجد والعظمة ، والحضارة والرقي • والتقدم والازدهار ، وهو الى حد ما يشبه أعراض الناس التي يذودون عنها ، ويدافعون لأجلها ، ويريدون لها — دائما أبدا — أن تكون نقية طاهرة ، لايدنسها غبار ، ولا يشوه صورتها جسم غريب ، ولما كانت الأخلاق هي السطور الناصعة في هذا التاريخ كانت عنايته بالدعوة اليها ، والتحلي بها ، تشغل باله ، وتأخذ جل اهتمامه ، ولا نعني بالأخلاق ذلك السلوك الفردي الذي يكون في الحياة الخاصة للأفراد مما يحببهم الى الناس ويدنيهم من قلوبهم أو عواطفهم ووجداناتهم ، وانما كنا نعني — كذلك — هذا النوع العام الذي يجب أن يتوفر للجماعة لتظهر بها الشعوب في شكل من المثالية المحترمة التي تتحلى بالتماسك والقوة فلا يتسرب اليها تخاذل ولا تفكك ، ولا يدب فيها وهن أو ضعف ، ولا تكون في المجتمعات الانسانية الا صورة طيبة تشرئب اليها الأعناق ، وتتفتح عليها الأنظار ، وعلى الرغم من أن هذه الأخلاق ، أو ذلك النوع منها ، لا يعدم القاريء أن يجده في ثنايا شعره المختلف الأغراض والموضوعات ، فاننا نستطيع أن نقول انه كان يهتم به اهتماما خاصا ، ويجعله — هو وحده — غرضا قائما بذاته ، وربما كان من

الأدباء المشغلين بالمسرح أو أدب القصة من لا ينكر عليه أنه كان فى هـذا النوع الذى عرف به فى آخر مطافه والذى كان يهدف الى هـذا الغرض يعمل جهد ما يستطيع على أن يخدم به هذا السلوك الانسانى العام الذى نسميه نحن باسم الأخلاق الاجتماعية الا أنه لم يكتف بهذا اللون من الأدب الذى كان يرجو من ورائه أن يدعو الى الأخلاق الاجتماعية التى يجب أن يتحلى بها المجتمع الذى يريد أن يكون متماسكا قويا • وفى هذه المقطوعات النثرية الحلوة فى كتابه المعروف باسم « أسواق الذهب » نماذج رائعة لهذه الأخلاق • يقول فيها بعنوان «الأمومة» « الأمومة هى رسالة المرأة على هـذه الأرض ، وشأنها الأول فى الحياة ، وهى حجـر الأساس فى الأسرة ، وقواعـد المجتمع وأركانه الى يوم ينفض ، وكأن الأمومة الملكة فى الخلية ، أو العذراء فى البيعة •• فيا أيتهـا الفتاة المدلة بصباها ، المزهوة بحسنها ، المترقبة من ورائهما لذة الحب ، وفيض السعادة • اذكرى أن الجمال حـر طليق الا من قيدين كلاهمـا أجمـل منه ، الشرف والعفـاف ، اذا انسـل منهما عثر فى خطاه الأولى ، وذوى فى ابان النضرة ، وسلى ذوات الشعر الأبيض ممن حـولك من غـوانى أمس •• هل دولة الحسن الا كدولة الزهر ، وهل عمر الصبا الا أصـيل أو سحـر ، وهل غير الأمـومة تاج للمرأة تلبسه من مختلف الشـعر ألوانا ، جمال الأمومة لمحة من جمال الحياة ، وشعاع من عبقريتها ، وهو أحفل أياما ، وأطول مقاما ، وأصدق أحلاما ، ولعمرى لو أن أقدر كاتب ، أو أضخم شاعر ، أو أكبر واعظ ، أراد أن يصور للمرأة الأمومة التى هى رسالتها الأولى تصويرا يحببهـا اليها ، أو يرغبها فيها ، ويحملها حملا عنيفا على أن تجد فى طلبها ، وتحرص على السعى اليها ، والتمسك بها ، ماكان له مهما كان بيانه الذى يسـعفه ، ولسانه الذى يساعده ، أن يصل الى هذه الروعة البلاغية ، وهو لا يصرفها عن هذا الجمال ، ولا يزهدها فى ذلك الحسن ، وهو يعلم أنها لاتدل بهما ، ولا تعتمد عليهما ، الا وهى تعلم أنهما رأس مال عظيم ، وثروة لا تتـطاول اليها ثروات الملوك والسلاطين ، لكنه مع التسليم بذلك كله يأخـذ بيـدها الى الطريق الذى به يكون هـذا الجمال ، وذلك الحسن ، هنالك فى

قمة شامخة من الاعتزاز والمباهاة ، والدلال والكبرياء «الشرف والعفاف» ولا أظن امرأة تنكر على انسان حديثا يحتفظ لها بالجمال الذى تتربع على عرشه ، وبخاصة اذا كان يفتح لها الباب الذى تتمكن منه على هذا العرش ، فاذا كان يدلها على مظهر أجمل تتحلى به ، وتعلق عن مفاتنها فيه ، كان أولى منها بالاصغاء ، وأجدر بالالتفات ، وأدعى الى أن يكون عندها مجاب الدعوات ، وهذا هو الذى فعله شوقى وهو يقول : « جمال الأمومه لمحة من جمال الحياة » ولا نريد أن ننقل اليك الكتاب كله لتتصفح أوراقه وسطوره ، لتؤمن الايمان الذى لاشك فيه ، أن الرجل كان ضخم العبقرية ، عظيم التفكير ، بعيد النظر ، قدير الى أبعد حدود القدرة على أن يكون فى أدبه ناجحا فى هذه الأستاذية التى لا يستطيعها سواه ، وانما نريد أن نقول انه كان هكذا فى كل موضوع عرض له ، ونضيف الى أسواق الذهب من أدب هذا اللون من الأخلاق كتابه فى الحكم والأمثال ، وهو مجموعة طريفة من شعره الذى أجراه على ألسنة الطيور والحيوانات ، كما صنع عبد الله بن المقفع فى كتابه الذى سماه « كليلة ودمنة » .. ونود أن نقول ان كثيرا من الأدباء ــ ولاسيما المتعشقين للأدب الغربى ــ يعتقدون أن هذا اللون لم يكن معروفا قبل لافونتين ــ من أدباء فرنسا ــ وأن شوقى انما التفت اليه حينما كان يتلقى العلم هنالك ، ورأى بعض الأدباء يترجمونه ، ويحاولون أن يترسموا خطاه ، وهنالك كان لابد له أن يجرى فى هذا المضمار كغيره من الناس ، وعلى هذا فان فضله فى ذلك لا يعدو أن يكون فضل المترجم لا أكثر ولا أقل ، على أن هؤلاء الذين يعتقدون هذا الاعتقاد لا ينكرون أن لافونتين كان متأثرا بكليلة ودمنة الذى ترجم الى لغات متنوعة لا يبعد أن يكون فى مقدمتها لغة لافونتين ــ الفرنسية ــ ويتحتم على أولئك القوم ــ من غير شك ــ أن يقولوا ان لافونتين لم يكن له هو أيضا الا فضل النقل أو التقليد أو الترجمة على أن الذى يتتبع الأدب العربى فى الجاهلية وصدر الاسلام الى ما قبل العصر العباسى الأول الذى عاش فيه صاحب كتاب كليلة ودمنة صاحب هذا المذهب فى الأدب ، سوف لا يعدم أن يجد فيه النماذج المتنوعة للشعر العربى الذى يجرى على ألسنة الطيور

والحيوانات لقصد العظة والعبرة ، والتهذيب والارشاد أو غير ذلك من الموضوعات والأغراض .. وكلنا يذكر هذا الحديث الذى أجراه النابغة الذبيانى على لسان الحمامة ، ونحا به منحى القصة ، وحوار الشعراء مع الحمام يبثونه اللوعة والصبابة ، والفراق والهجر ، كان يأخذ فراغا واسعا ، وحيزا لا بأس به ، وللحطيئة - من الشعراء الاسلاميين - قصة تدور على ألسنة حمر الوحش التى قدمها لضيفانه الذين نزلوا عليه ، فلم يجد بدا من أن يطعمهم من لحمها وهى من أروع شعره وأحسنه ، وكذلك للفرزدق مع الذئب .... ونحن نسوق هذا ليكون دليلا على أن شوقى لم يكن مترجما ولا متأثرا كما يظن هؤلاء الذين ينسبون ذلك الى وجوده فى فرنسا وأخذه عن أدبائها ، أو أن اتصاله بالأدب الغربى ، كان صاحب الفضل عليه فى وجود هذا اللون من الشعر فى أدبه ، وقد يدهش أصحاب هذه الدعوى اذا فاجأناهم بلون من ألوان الترجمة عن لافونتين ليقارنوا بينه وبين هذا الشعر الذى سجله أمير الشعراء على ألسنة الحيوانات ، وهم واجدون لا محالة بونا واسعا ، وفرقا شاسعا ، لا فى البلاغة والتصوير ، ودقة البيان ، وروعة الفكرة ، ولكن - كذلك - فى تنسيق الموضوع وجمال عرضه ، وتماسك أجزائه ، وفحولة فحواه ، وجزالة مضمونه ،وهكذا مما يدل دلالة لاشك فيها على شاعرية خلاقة ،وذوق ناضج، وخيال خصب ، وعقل صقلته تجارب الحياة صقلا جعله يطل من قمة عالية، وبرج عاجى ، على عقول الناس وأفكارها ، فلا يراها فى ضآلتها ، أو صغرها ، الا فى طفولتها الأولى ، لا تتطاول الى أن تجرى فى مضماره ، أو تزاحمه فى الطريق ..

وقد أتيح لى أن أعثر لبعض التراجم التى نقلت الى العربية أفكار هذا الرجل ، من شعر شاعر معاصر لايقصر به بيانه ، ولا يخونه لسانه ، ولا تتأخر به مكانته ، عن غيره من أصحاب هذه الحلبة ، ذلك هو الأستاذ « يوسف نحاس » الذى سمى كتابه « تطريب العندليب » وهو فى جملته باقة من الزهر الحلو الذى جمع الى طيب الشذى ، حسن الصورة ، وروعة التنسيق ، لكنه لايعدو أن يكون صدى حاكيا ، أو صوتا مكرورا ، أما صاحبنا فانه لا يكتفى من الحكمة يجريها على

لسان الطير أو الحيوان بنقلها تاركا ماوراء ذلك كله للقارىء يكفيه بالكيف الذى يراه ، والصورة التى يتخيلها ، وانما يعطيه اياها فى ثوب قصصى أخاذ ، وصورة شعرية رائعة ، فيها الفكاهة الحلوة ، والحكمة التى تملك على المرء لبه ، والبلاغة التى تصعد به الى سماء عالية من الاعجاز ، واذا كان أجمل ما فى الطاوس ذيله - كما يقولون - فإن هذا الشاعر قد سن لنفسه أسلوبا بلغ غاية الملاحة والظرف فى تلك القصص التى يعرضها على ألسنة هذه الطيور والحيوانات ، ذلك أنه يذيل الحكاية التى يحكيها ، أو القصة التى يرويها ، بحكمة خلابة جذابة ، لايسع القارىء الا أن يملأ بها حافظته ، ويحشو بها ذهنه ، ويحرص الحرص كله على أن يضن بها على الضياع ، ويبخل بها على النسيان ، ويعمل بكل ما فى وسعه من جهد على أن تظل معه دون أن تفارقه ، والى جانب تلك الحكمة التى يختم بها رحلته مع القصة ، أومسيرته مع الحكاية ، تجد المتعة التى لا نظير لها وهو يسوق لك المطرفة المستملحة ، والنكتة البارعة ، وهذا مثل من هذا اللون من الأدب لا بأس أن نذكره لك ، لتدفع به ما عساه أن يكون قد اعتراك من ملالة وسأم :

سقط الحمار من السفينة فى الدجى
فبكى الرفاق لفقده وترحموا

حتى اذا طلع النهار أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم

قالت خذوه كما أتانى سالما
لم أبتلعه لأنه لا يهضم

ألا ترى فى هذه الأبيات الثلاثة قصة للحيوانية التى تنزل الى الحضيض بجهلها المقيت ، وغبائها البغيض ، وتجردها من الادراك ، وخلوها من المعرفة ، وفقرها الى الاحساس ، وحاجتها الى التمييز ، كيف يلفظها المجتمع ، وتنفر منها الانسانية ، وتتبرأ منها البيئة ، وهكذا كان شوقى فى شعره الذى كان يقوله على ألسنة الحيوانات والطيور ، والذى أراد به أن يبرهن للناس على أن أدبنا العربى لا يمكن أن يكون متخلفا عن آداب الشعوب الأخرى ؛ لأن لغته الخصبة تساعد أهلها على أن يكون لهم فى كل ميادين البلاغة والبيان والسبق والتفوق ، وهنا يخطر بالبال سؤال مهم الى حد بعيد جدا ، وهو هل البلاغة والبيان وحدهما كانا ذلك

السلاح الذى تسلح به شوقى ، أو بعبارة أخرى هل كان سحر الكلمة وحده ، تلك القوة التى جعلت منه هذا الرجل الذى سبق جيله ، وامتاز على أقرانه من فرسان هذه الحلبة ، ونحن نستطيع أن نقول ان المعاصرين له كان فيهم أمثال محمد عبد المطلب ومحرم والكاشف وكثير من هؤلاء الذين كانوا لا يقلون فى الشاعرية والبيان عنه ، الا أن الفارق بينهم وبينه أنه استطاع أن ينتفع بشاعريته ، وأن يستخدم بيانه ، على النحو الذى جعل له هذه الصدارة دونهم ، وضمن له من الخلود ما لم يكن لهم ، وكان فى مقدمة ذلك كله تلك الميادين التى جرى فيها ، وتلك الأبواب التى دخل منها ، والدروب التى سلكها ، والتى جعلته يحس من داخل نفسه أنه مخلوق لمهمة لا تتطاول هممهم اليها ، حتى ليخيل اليه فى بعض الأوقات أنه مسئول عن تهذيب الجيل ، والذود عنه ، والسمو به ، والأخذ بيده ، والسير به فى الطريق المستقيم ، الذى يقتضيه أن يحافظ على دينه وعرضه وخلقه وأوطانه وحريته ، فهو لهذا لا يكتفى بأن يقدم له الخير من جهة واحدة ، أو باب واحد ، وانما يقيم له الحصون فى الدين والأخلاق والاجتماع والتاريخ .. وهذا كله بعض أسرار خلود هذا الرجل ، وجعل حياته كتابا لا يزال الناس مع تقليب صفحاته يتشوقون منها الى المزيد ؟

د. ابراهيم على أبو الخشب

حكم الهجرة فى العصر الحديث

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغلى

لا بد لمعرفة حكم من الأحكام أن نتعرف على كل ما ورد بشأنه من آيات وأحاديث وأفعال أو تقريرات ، فقد يكون بعض الأحاديث خاصا بحالة دون أخرى • وضم الأحاديث والأفعال والتقريرات بعضها لبعض يبين الحكم فى الحالات المختلفة • ونحن اذا استعرضنا الآيات أو الأفعال أو التقريرات التى تتصل بموضوع الهجرة ، نجد أنفسنا أمام ثلاثة أنواع من الهجرة •

النوع الأول :

تكون الهجرة فيه من دار يحس فيها المسلم بالخطر على دينه ، ويحس فيها بأنه ان استمر مقيما فى هذه الدار فانه يتعرض لفتنة غالبة على عقيدته ، وانه قد يعجز أمام ما يتعرض له من ايذاء شديد ومحنة قاسية عن التمسك بواجبات دينه وفرائضه •

فى هذه الحالة يكون الخطر على الدين محققا ، والمكث فى هذه الدار غير ذى فائدة على أى حال من الأحوال •

هنا تكون الهجرة من هذه الدار الى دار أخرى تتحقق فيها السلامة والفائدة للدين ، أمرا يدعو اليه القرآن ويدعو اليه الرسول صلى الله عليه وسلم •

وفى مثل هذه الحالة جاء قوله تعالى :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا • الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا •

ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة .. »

فهذه الآيات تدل على وجوب الهجرة على من يخاف على عقيدته ودينه فى أرض الكفر ، وتعد بالعفو عمن لا يستطيع حيلة تمكنه من الهجرة ، ولا سبيل يهتدى اليه فيها ، وهى مع ذلك تعد الشجعان الذين يقدمون على الهجرة - بما تنطوى عليه من مشقة وأهوال - بالتيسير والتوفيق ..

وفى هذه الحالة أيضا جاءت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى الامام أحمد فى مسنده بسنده عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لتكونن هجرة بعد هجرة الى مهاجر أبيكم ابراهيم عليه السلام » .

وأخرج الامام أحمد - أيضا - والطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل » .

وروى أبو داود والنسائى بسندهما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

وأخرج النسائى أيضا عن عبد الله ابن وقدان السعدى قال : « وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلنا نطلب حاجة ، وكنت آخرهم دخولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله انى تركت من خلفى وهم يقولون ان الهجرة قد انقطعت قال : « لن تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » .

ومن هنا كان الاذن بالهجرة الى الحبشة لما اشتد العذاب بالمسلمين بمكة قبل الهجرة الى المدينة ، وكان فيمن هاجر أعلام من المسلمين الأولين ، مثل عثمان بن عفان وزوجته رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر بن أبى طالب ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم .

وفى هذا يقول العلماء :

« أما الهجرة عن المواضع التى لا يتأتى فيها أمر الدين فهى واجبة اتفاقا »

(الامام العينى فى شرحه لصحيح البخارى) .

اما النوع الثانى من الهجرة :

فانها تكون كذلك من دار يتحقق فيها الخطر على الدين . لكنها تكون الى دار لا يتحقق فيها السلامة فحسب ، كما فى النوع الأول ، وانما تكون فوق ذلك مقدمة الى نصر شامل على أعداء الدين فى كل مكان .

انها أشبه ما تكون بحركة فى ميدان القتال ، يرجع فيها الجيش خطوة أو يتحيز الى فئة لينطلق بعد ذلك فى طريق النصر .. وهكذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة الى المدينة .

لم تكن هجرة للسلامة .

ولكنها هجرة للقتال والجهاد والكفاح .

كانت بدءا لمرحلة جديدة من الجهاد فى سبيل الله ، ومن هنا كان تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار عند قدومهم الى مكة يطلبون الحلف من قريش ، فدعاهم الى الاسلام أفسد بذلك حلفا محتملا للأعداء ، وأنشأ حلفا محققا لصالح الدعوة الاسلامية ، فكانت بيعة العقبة الأولى ، مع اثنى عشر رجلا من الأنصار ، وأرسل معهم الى المدينة من يعلمهم القرآن والشرائع وهناك انتشر الاسلام فلم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها مسلمون رجالا ونساء ، ثم كانت بيعة العقبة الثانية وكان المبايعون فيها لرسول اللى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين بايعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم وأن يرحل وأصحابه اليهم . وكان ذلك تمهيدا للهجرة بين الغرض منها . لم يكن الغرض مجرد السلامة ، ولكنه التحفز لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الاسلامية .

ومن هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة فخرجوا اليها أرسالا ، وانتظر الرسول بمكة محتجزا معه أبا بكر وعليا رضى الله عنهما حتى أذن له بالخروج فكانت الهجرة بأحداثها ، ونتائجها .

كانت انتقالا من مشقة الى مشقة .

وكانت بدءا لقتال تتابعت غزواته ، ضد المشركين الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم .

وكانت بزوغا لشمس الاسلام ، بعد أن ظهر فجره فى مكة •

وكانت ظهورا للمجتمع الاسلامى بعد أن كون أفراده فى مرحلة الدعوة المكية •

وكانت حجر الأساس فى ظهور الدولة الاسلامية التى حملت عبء الدعوة ، ونشرت الاسلام فى الجزيرة العربية كلها ثم فى أرجاء العالم من بعد •

فهذا النوع من الهجرة ليس فرارا •

وليس ايثارا للسلامة •

وليس ايثارا للراحة •

وانما هو انتقال من مشقة الى مشقة ، ومن جهاد الى جهاد ، وهو واجب حيثما توفرت دواعيه ، وتحققت أسبابه وترو قبت نتائجه فى النصر •

وهذا نوع من الهجرة تنطبق عليه الأحاديث التى ذكرناها سابقا والتى منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل » •

انها ليست هربا من القتال ولكنها اعداد له • وفى هذا النوع من الهجرة جاءت الآيات الكثيرة التى ترفع من قدر المهاجرين ومنها قوله تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » •

أما النوع الثالث من الهجرة :

فتكون من دار يمكن للانسان أن يحتفظ فيها بعقيدته ودينه وشعائره الى دار أخرى تفضلها فى ذلك كله • تكون من دار يحدث فيها للانسان شىء من الأذى يناله من المنافقين أو من أعداء الدين لكنه أذى محتمل ، الى دار أخرى • يستريح فيها من ذلك كله ، ويستمتع فيها بقوة المجتمع الاسلامى وغلبة الدولة الاسلامية •

مثل هذه الهجرة لا فائدة منها للدين ، انما هى تستهدف الراحة والدعة ، وفيها فرار من تبعات الدعوة والجهاد فى بيئة تفيد فيها الدعوة ويفيد فيها الجهاد •

مثل هذه الهجرة هى ما كان يطلبه بعض المسلمين بعد فتح مكة ، كانوا يطلبون الهجرة من مكة الى المدينة ، فلم يأذن الرسول لهم فى ذلك ، وانما طلب اليهم الاستمرار فى أماكنهم مستمسكين بدينهم ، عاملين على نشره

وتوكيده فيمن حولهم ، مستعدين للقتال عندما يدعون اليه .

فى هذا النوع من الهجرة جاء قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بسنده عن مجاشع بن مسعود السلمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الهجرة قد مضت لأهلها ، ولكن على الاسلام والجهاد والخير » .

وفى هذا النوع من الهجرة ، جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » .

(النسائى)

واذن فان الحكم يختلف باختلاف المقصود من الهجرة وظروفها .

اذا كانت تستهدف الفرار بالدين من دار يتحقق فيها الخطر عليه فهى واجبة وهكذا كانت هجرة المسلمين الى الحبشة .

واذاكانت تستهدف الاعداد لنوع جديد من الجهاد فى سبيل الله ، والتمهيد لنصر حاسم على الأعداء فهى واجبة .وهكذا كانت هجرة المسلمين الى المدينة .

واذا كانت تستهدف الراحة والتخلص من مشقة الجوار مع المنافقين أو من هم أقل درجة فى الاسلام ، فتلك هى الهجرة التى منعها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يحيى هاشم حسن فرغل

من أعلام القضاء في الإسلام

سوّار بن عبد الله القاضي ١٨٢-٢٤٥ هـ

الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي

سوار بن عبد الله بن سوار التميمي الغبري البصري القاضي ، ولد سنة ١٨٢ هـ ، وتولى قضاء الرصافة ببغداد ، وهو الجانب الشرقي من مدينة السلام عام ٢٣٧ هـ ، وظل على قضائها حتى توفي في شوال سنة ٢٤٥ هـ (١) .

وكان سوار فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا عظيم اللحية ، وكان قد فقد بصره قبل وفاته بأيام .

وكان قد اشتغل بالحديث ورواه ومن شيوخه أبوه عبد الله بن سوار وعبد الوارث بن سعيد ، ومعتمر بن سليمان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويزيد بن زريع ، وبشر بن المفضل ، ومعاذ بن معاذ ، وعبد الوهاب الثقفي .

وكانت له حلقة يحدث بها في بغداد ، فقد روى الخطيب في تاريخه أن ابن صاعد يحيى بن يحيى قال انه حدثهم ببغداد سنة ٢٤٢ هـ ، ومن تلاميذه الذين رووا الحديث عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعلى ابن سهل البزار ، والعباس بن أحمد البرتى ، وأبو داود الطيالسى (٢) وأبو داود الترمذى ، وأبو زرعة الدمشقى ، وأبو بكر المروزى القاضي والنسائي وقال عنه أحمد بن حنبل : ما بلغني عنه الا خيرا ، وقال عنه النسائي : ثقة ، وذكره في أسماء شيوخه وعده ابن حبان في الثقات .

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٠ .

(٢) راجع تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٠ ، وتهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٦٨

وهو من أسرة عريقة فى القضاء ، اذ تولى جده وسميه سوار بن عبد الله ابن قدامة قضاء البصرة لأبى جعفر المنصور سنة ١٣٨ هـ وبقى حتى توفى سنة ٢٥٦هـ وهو أمير البصرة وقاضيها وله أخبار مشهورة فى العدل والورع ، وهو وابن أبى ليلى أول من سأل بينة على كتاب القاضى (١) وسنورد أخباره بعدما نأتى على أخبار حفيده .

وكان جانب الأدب والشعر يغلب على سوار ويكون صلاته بالناس ومخالطته لهم ولذلك تجد فى أخباره روح الأديب الشاعر يغطى على جانب القضاء ومجالسه وأحكامه .

وكان له مقام عند الولاة والحكام وذوى الجاه والسلطان وكانت قدرته على التعبير الجميل والقول الحسن تفتح له أبوابهم وتدعوهم الى الاستماع اليه والاستجابة لما يقصدهم من أجله ـ فقد روى صاحب تاريخ بغداد قال : دخل سوار بن عبد الله القاضى على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ، انى جئتك فى حاجة رفعتها الى الله قبل رفعها اليك ، فان قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وان لم تقضها حمدنا الله وعذرناك . فقضى جميع حوائجه (٢) .

وقد أورد صاحب العقد هذا الخبر بصورة أخرى يتجلى فيها ولع سوار بالأدب والشعر أكثر منه هنا ، ولا بأس من ايراد الخبر كما جاء به صاحب العقد ففيه متعة قد يرضاها القارىء الى جانب ما تصوره من بعض جوانب الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر وصلاة الناس بعضهم ببعض .

يقول صاحب العقد : دخل سوار القاضى على عبد الله بن طاهر ، صاحب خراسان ، فقال : أصلح الله الأمير :

لنا حاجة والعذر فيها مقدم
حقيق بمعناها مضعفة الأجر
فان نقضها فالحمد لله وحده
وان عاق مقدور ففى أوسع العذر

قال له : ما حاجتك أبا عبد الله ؟

قال : كتاب لى ، ان رأى الأمير أكرمه الله أن يتخذه فى خاصته كتب

---

(١) تهذيب جـ ٤ ص ٢٦٩
(٢) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٠ .

الى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقى .

قال : أو غير ذلك أبا عبد الله ، تعجلها لك من أرزاقنا اذا وددت مخيرا بين أن تأخذ أو ترد ؟

فأنشد سوار يقول :

فبابك أيمن أبوابهم
ودارك مأهولة عامرة

وكفك حين ترى المجتد
ين أندى من الليلة الماطرة

وكلبك آنس بالمعتفيش
من الأم بابنتها الزائرة (١)

وروى الزبير بن بكار أن سوارا كان قد خامر قلبه شيء من الوجد فقال أبياتا مطلعها :

سلبت عظامى لحمها فتركتها ...

ولهذه الأبيات قصة طريفة أوردها صاحب تاريخ بغداد عن الجرحى قال : دخلت حماما فى درب الثلج ، فاذا فيه سوار بن عبد الله القاضى ، فى البيت الداخل ، قد استلقى وعليه المئزر ، فجلست بقربه ، فساكتنى ساعة ثم قال : قد أحشمتنى يارجل ، فاما أن تخرج أو أخرج .

فقلت : جئت أسألك عن مسألة .

قال : ليس هذا موضع المسائل .

فقلت : انها من مسائل الحمام .

فضحك وقال : هاتها .

فقلت : من الذى يقول :

سلبت عظامى لحمها فتركتها
عوارى مما نالها تتكسر

وأخليت منها مخها فتركتها
قوارير فى أجوافها الريح تصفر

اذا سمعت ذكر الفراق تراعدت
مفاصلها خوفا لما تنتظر

خذى بيدى ثم ارفعى الثوب تنظرى
بلى جسدى لكننى أتستر

فقال سوار : أنا والله قلتها .

قلت فانه يغنى بها ويجود .

فقال : لو شهد عندى الذى يغنى بها لأجزت شهادته (٢) .

---

(١) العقد الفريد جـ ١ ص ١٨٦ تحقيق الأستاذ سعيد العريان .

(٢) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١١

ويورد صاحب الأغانى لهذه الأبيات قصة طريفة ويزيد فيها بيتا على خلاف يسير فى روايتها عما هنا حيث نسبت الى عبد الله بن العباس الربيعى المغنى أنه قال : لقينى سوار بن عبد الله القاضى وهو سوار الأصغر ، فأصغى الى وقال : لى اليك حاجة فأتنى فى خفى ضجته .

فقال : لى اليك حاجة قد أنست بك فيها لأنك لى كالولد ، فان شرطت لى كتمانها أفضيت بها اليك .

فقلت : ذلك للقاضى على شرط واجب .

فقال : انى قلت أبياتا فى جارية لى أميل اليها ، وقد قلتنى وهجرتنى وأحببت أن تصنع فيها لحنا وتسمعنيه ، وان أظهرته وغنيته بعد أن لا يعلم أحد أنه شعرى ، فلست أبالى ، أتفعل ذلك ؟

قلت : نعم حبا وكرامة .

فأنشدنى :

سلبت عظامى لحمها فتركتها
عوارى فى أجلادها تتكسر

وأخليت منها مخها فكأنها
أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

اذا سمعت باسم الفراق ترعدت
مفاصلها من هول ما تتحذر

خذى بيدى ثم اكشفى الثوب فانظرى
بلى جسدى لكننى أتستر

وليس الذى يجرى من العين ماؤها
ولكنها روح تذوب فتقطر

فصنعت فيه لحنا ثم عرفته خبره فى رقعة كتبتها اليه ، وسألته وعدا يعدنى به للمصير اليه .

فكتب الى نظرت فى القصة فوجدت هذا لا يصلح ، ويتكتم على حضورك وسماعى اياك ، وأسأل الله أن يسرك ويبقيك .

فغنيت الصوت وظهر حتى تغنى به الناس .

فلقينى سوار فقال : يا ابن أخى قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بعد كأنا لم نسمع القصة فيه (١) .

وعلى الرغم مما يروى عن سوار من هزه تعروه للقول الجميل والشعر

(١) الأغانى جـ ١٧ ص ١٣٨ ساس .

النقى واللحن الآسر فانه لم يكن يتساهل فى أمر من أمور القضاء أو يتسامح فى عدالة الشهود ، ومن ذلك ما يروى أنه رد شهادة رجل لأنه كان يشرب النبيذ على الرغم من أن كثيرين ممن ينتسبون الى العلم فى العراق كان يروى عنهم تعاطيه ، وكان الرجل الذى رده سوار يتعاطى الشعر فقال :

أما الشراب فانى غير تاركه
ولا شهادة لى ما عاش سوار (١)

ودخل اعرابى من بنى العنبر على سوار القاضى فقال : ان أبى مات فتركنى وأخا لى - وخط خطين - ثم قال : وهجينا (٢) - ثم خط خطا ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم المال بيننا ؟ .

فقال : المال بينكم أثلاثا ان لم يكن وارث غيركم .

فقال له : لا أحسبك فهمت ، انه تركنى وأخى وهجينا لنا .

فقال سوار : المال بينكم سواء .

فقال الأعرابى فى دهشة : أيأخذ الهجين كما آخذ ويأخذ أخى ؟

قال : أجل .

فغضب الأعرابى وقال : ما علمت والله أنك قليل الخالات بالدهناء (٣) .

قال سوار : لا يضرنى ذلك عند الله شيئا .

وكان سوار اذا سئل حاجة عنده قال : نعم فان لم يكن عنده كان جوابه : يقضى الله تحرزا من قول لا :

ما قال : لا قط الا فى تشهده
لولا التشهد لم تسمع له لا لا

هذه أخبار سوار الحفيد رحمه الله

أما جده فقد كانت له خصومات مع السيد الحميرى الشاعر حتى انه لم يستطع أن ينسى له رده لشهادته فلم يعفه الموت من هجوه له بعد الممات

---

(١) العقد جـ ٣ ص ٣٦٨ عيون الأخبار جـ٤ ص ٦١ .
(٢) الهجين هو الذى أمه ليست عربية .
(٣) يشير بهذا الى أن سوارا ليس عربى الأم .
(٤) العقد الفريد جـ ٨ ص ٨٦

وقد بدأت الخصومة بين سوار الجد وبين السيد الحميرى حينما دعاه رجل ليؤدى شهادة أمام سوار فاستعفاه السيد الحميرى وبذل له مالا فلم يعفه ، فلما تقدم الى سوار وأدلى بشهادته .

قال : ألست المعروف بالسيد ؟

قال : بلى .

قال : أستغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندى ، قم لا أرضى بك ، فقام مغضبا من مجلسه ، وكتب الى سوار رقعة يقول فيها :

قم بنا يا صاح واربع
بالمغانى الموحشات
يأمين الله يامنصور
يا خير الولاة
ان سوار بن عبد الله
من شر القضاة
نعثلى جملى لكم
غير موات
جده سارق عنز
فجرة من فجرات
لرسول الله والقا
ذفة بالمنكرات
وابن من كان ينادى
من وراء الحجرات
يا هناة أخرج الينا
اننا أهل هنات
مدحنا المدح ومن
نرم يصب بالزفرات
فاكفنيه ، لا كفاه
الله شر الطارقات

فلما قرأها سوار وثب من مجلسه قاصدا أبا جعفر المنصور فوجد السيد الحميرى قد سبقه الى المنصور وأنشده :

قل للامام الذى ينجى بطاعته
يوم القيامة من بحبوحة النار
لا تستعن جزاك الله صالحة
يا خير من دب فى حكم ـ بسوار
لا تستعن بخبيث الرأى ذى صلف
جم العيوب عظيم الكبر جبار
تضحى الخصوم لديه من تجبره
لا يرفعون اليه لحظ ابصار
تيها وكبرا ولولا ما رفعت له
من ضبعه كان عين الجائع العارى

ودخل سوار : فلما أبصره المنصور تبسم ، وقال أما بلغك خبر اياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود ، فما أحوجك للتعرض للسيد ولسانه ثم أمر السيد بمصالحته والاعتذار اليه ، ولكن

سوارا رفض قبول اعتذاره فهاج من غضب السيد الحميرى وهجاه هجاء أقذع وأرجع من الأول حيث قال :

أتيت دعى بنى العنبر
أروم اعتذارا فلم أعذر

فقلت لنفسى وعاتبتها
على اللؤم فى فعلها أقصرى

أيعتذر الحر مما أتى
الى رجل من بنى العنبر

أبوك ابن سارق عنز النبى
وأمك بنت أبى جحدر

ونحن على رغمك الرافضون
لأهل الضلالة والمنكر (١)

وقد اشتد حنق سوار عليه وأخذ يتحين الفرص للايقاع به حتى بلغ السيد أن سوارا أعد جماعة ليشهدوا عليه بالسرقة فيقطعه ، فشكاه الى أبى جعفر فدعا سوارا وقال له قد عزلتك عن الحكم للسيد أو عليه فما تعرض له حتى مات ولم يعرض له السيد بهجاء طوال حياته استجابة لنهى المنصور ولكن الاحن فى قلب السيد لم تهدأ على سوار ولم تخفف الأيام ما به من غيظ فما كاد يعرف بوفاته ، وتصادف أن وقع حفر قبره فى موضع كنيف فاستغلها السيد فى التشنيع عليه وقال من قصيدة يرثى بها عباد بن حبيب المهلب ودفعها الى نوائح الأزد ومنها :

يا من غدا حاملا جثمان سوار
من داره ظاعنا منها الى النار

لا قدس الله روحا كان هيكلها
فقد مضت بعظيم الخزى والعار

حتى هوت قعر برهوت معذبة
وجسمه فى كنيف بين أقذار

لقد رأيت من الرحمن معجبة
فيه وأحكامه تجرى بمقدار

فاذهب عليك من الرحمن بهلته
يا شر حى براه الخالق البارى (٢)

---

(١) الاغانى جـ ٧ ص ١٦
(٢) الاغانى جـ ٧ ص ١٩

ولم يكن السيد هو الذى تعرض لسوار بهذا الهجاء المقذع فقط ، فلم يكن حظه من الأعراب خيرا من حظه مع السيد ، فقد جاءه أعرابى فلم يجد منه ما يحب ، فقال فيه :

رأيت لى رؤيا وعبرتها
وكنت للأحلام عبارا
بأننى أخبط فى ليلتى
كلبا ، فكان الكلب سوارا

وهذه سنة القضاة دائما مبتلون بذوى الألسنة السليطة والهجاء المقذع .

د . محمد ابراهيم الجيوشى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٤ —

٥١ — ويقــولون لمن يأمرونه ببر والده : بر والدك بكسر الباء ، وهذا خطأ بين ، والفصيح أن يقــال : بر والدك بالفتح ، لأنه مفتوح فى قولك: يبر ..

وبيان ذلك أن حركة أول فعــل الأمر يجب أن تكون من جنس حركة ثانى الفعل المضارع اذا كان متحركا : فتفتــح البـاء فى قولك : بر والدك لانفتاحها فى قولك يبر ، وتضم الميـم فى قولك : مد الحبـل لانضمامها فى قولك يمد ، وتكسر الخاء فى قولك : خف فى عملك لانكسارها فى قولك يخف .

٥٢ — ويقــولون : انضــاف الشىء اليــه ، وانفســد الأمر عليــه ، وكلا التعبيرين معيرة لصاحبه ووجه الكلام أن يقال : أضيف الشىء اليــه ، وفسد الأمر عليه ، والعلة فى امتناع انفعــل منهما أن فعــل المطاوعة المصوغ على انفعل يجب ألا يأتى الا من الثــلاثى المتعدى ، مثل سكبت المـاء فانسكب ، وجذبت الغصــن فانجـذب ، وقـدت البعير فانقاد ، وسقته فانساق .

وضاف ، وفســد اذا عديا بهمــزة النقل فقيــل : أضاف ، وأفسد صـارا رباعيين ، فلهذا امتنع صــوغ الفعــل المطاوع منهما .

فان قيل : قد نقل عن العرب ألفاظ من أفعال المطاوعة بنــوها من الأفعــال الرباعية فقالوا : انزعج من أزعجته ، وانطلــق من أطلقتــه ، وانقحم من

أفحمته ، وانحجر من أحجرته ، فالجواب أن هذه الأفعال شذت عن القياس المطرد ، كما شذ قولهم : انسرب الماء من سرب وهو فعل لازم ، والشواذ تقصر على السماع والنقل ، ولا يقاس عليها .

٥٣ — ويقولون للمعرض عنهم : هو يلهو عما يسمع من كلامنا ، والصواب أن يؤدى هذا المعنى بقولنا هو يلهى ، لأن العرب تقول : لهى عن الشيء كرضي يلهى لهيا ، ولهيانا بضم اللام وكسرها اذا سلا عنه وأضرب وترك ذكره ، وفي الحديث « اذا استأثر الله بشيء فاله عنه » بفتح الهاء أي اتركه ، وكذا قوله عليه السلام « اذا وجدت البلل بعد الوضوء فاله عنه » أي أعرض عنه .

وكان ابن الزبير اذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه ، أي تركه وانصرف عنه .

مما تقدم استبان أن الفعل الذي يعبر به عن المعنى الذي يقصدون اليه هو لهى يلهى من باب رضى أما يلهو فهو من اللهو بمعنى اللعب ، تقول لها بالشيء من باب عدا يلهو لهوا اذا لعب به ، وتلهى به مثله ، واللهو أيضا الأنس بالشيء ، تقول : لهت المرأة الى حديث زوجها اذا أنست به وأعجبها .

٥٤ — ويقولون : سررنا برؤياك ، يقصدون أنه سرهم مرآه ، وهذا خطأ شائع يقع فيه كثير من الخاصة ، وهذا هو ذا أبو الطيب المتنبي — على جلالة قدره — قد وقع فيه ، حينما قال لبدر ابن عمار وقد سامره ذات ليلة الى قطع من الليل .

مضى الليل والفضل الذي لايمضي
ورؤياك أحلى فيالعيون من الغمض

وكان الواجب عليه أن يقول : ورؤيتك أحلى من الغمض ، لأنالعرب تجعل الرؤية لما يرى بالعين في اليقظة ، والرؤيا لما يرى كالخيال في المنام ، قال تعالى : « يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون » . وقال « لاتقصص رؤياكعلى اخوتك» .

٥٥ — ويقولون : تتابعت المصائب على فلان ، فيخطئون في قولهم ،

والصواب أن يقال : تتايعت المصائب بالياء بدلا من الباء ، لأن التتابع انما يكون فى الصلاح والخير ، أما التتايع فيختص بالشر والمنكر ، تقول : فلان يتتايع فى الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير أن يتثبت ، وتتايع الناس فى الشر اذا تهافتوا عليه ، والأتيع المتتابع فى الحمق ، وفلان تيعان بشد الياء أى متسرع الى الشر ، وفى الحديث « مايحملكم على أن تتايعوا فى الكذب كما يتتايع الفراش فى النار » وروى أنه لما كثر شرب الخمر فى عهد عمر رضى الله عنه ، جمع الصحابة وقال : انى أرى الناس قد تتايعوا فى شرب الخمر واستهانوا بحدها •

٥٦ ـ ويقولون : ما كان ذلك فى حسابنا ، يعنون أن ذلك لم يكن فى ظنهم ، وهذا خطأ ، والفصيح أن يقال : ما كان ذلك فى حسباننا بكسر الحاء ، لأن المصدر من حسبت بمعنى ظننت هو حسبان •

وأما الحساب فهو الشىء المحسوب المعدود ، تقول : حسبت الشىء من بابى نصر وكتب ، وحسابا أيضا والمصدر كذلك من حسبت الشىء بمعنى عددته حسبان بالضم ، ومنه قوله تعالى : «الشمس والقمر بحسبان» أى بحساب •

وقد جاء الحسبان بمعنى العذاب ، كما فى قوله جل شأنه : « ويرسل عليها حسبانا من السماء » وأصله السهام الصغار يرمى بها عن القسى ، الواحدة حسبانة •

٥٧ ـ ويقولون : سلمه أجره أو مكافأته ، فيوهمون اذ يجعلون هذا الفعل متعديا الى مفعولين وهذا خطأ ، لأن الفعل المذكور له حالتان •

احداهما : أن يكون متعديا لمفعول واحد ، كما فى قوله تعالى : « فلاجناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » وعلى هذا ينبغى أن يقال : سلم اليه أجره فتسلمه ، أى أعطاه أجره فأخذه ، وكذا سلم له أجره •

والأخرى أن يكون لازما ، وذلك اذا كان بمعنى التحية والمصافحة ، وهى الافضاء باليد الى اليد كما فى قولك : سلمت على الضيفان ، وقوله تعالى : « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » •

هذا فى الفعل الرباعى المضعف ، أما الرباعى المزيد بالهمزة فله حالتان أيضا •

احداهما : أن يتعدى الى مفعول واحد ، كما فى قولك : أسلم له أجره ، وقوله تعالى : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » •

والأخرى أن يكون لازما ، وذلك اذا كان بمعنى الانقياد والطاعة ، كما فى قولك : أسلم فلان اسلاما ، أى انقاد وصار مسلما ، ومن هذا قوله تعالى : « قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم » وأما الثلاثى فهو لازم دائما ، تقول : سلم المسافر يسلم من باب تعب سلامة اذا خلص ونجا فهو سالم ، وهذا مما يؤكد أن الفعلين المضعف والمهموز اذا تعديا فلا يتعديان الا الى مفعول به واحد •

٥٨ ـ ويقولون : لفلان خاتم من (الماس) وكلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : خاتم من السامور كما فى شفاء الغليل •

وقول صاحب القاموس فى مادة (موس) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجوزة ـ وهم ، لأنه كثيرا ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط •

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة ، فيقال : فلان ماس اذا كان لاينفع فيه عتاب ، أو كان طياشا خفيفا ، أو لايلتفت الى موعظة أحد •

٥٩ ـ ويقولون : فلان جيد ، يعنون أنه كريم ، ويجمعونه على جيدين ، ومنه قولهم المشهور ما بين الجيدين حساب ، وكل هذا غلط ، والصواب أن يقال للسخى والسخية جواد ، والجمع أجواد ، وأجاويد ، وجود بالضم ، قال :

ففيهن فضل قد عرفنا مكانه
فهن به جود وأنتم به بخل

ويقال : فرس جواد بين الجودة بالضم اذا كان رائعا ، جمعه جياد ، وأجود الرحل اذا صار ذا جواد أما الجيد وزان كيس فهو ضد الردىء ، جمعه جياد ، وجيائد ، تقول : جاد الشىء يجود جودة بالفتح ، وجودة بالضم اذا صار جيدا ، وأجاد فلان اذا أتى بالجيد ، فهو مجيد بالضم ومجواد بالكسر ، والجمع مجاويد ، ويقال : أجادت فلانة اذا ولدت ولدا جوادا •

عباس أبو السعود

فى حب الله (قصيدة)

للأستاذ محمد كمال هاشم

طاف بالعطر قلت : هات نصيبى ياحبيبى وجـدد الترتيـلا
رن صـوت يقول للروح : انا سـوف نلقى عليـك قولا ثقيلا
قالت الروح : هاته فهـو زادى ليتنى أنهـل الشراب الجميـلا
ليتنى أرشف الصـفاء فأحيـا ليتنى مثلكم شـددت الرحيلا
شـفنى الوجـد يارفاق فهاتوا نفحـة الذكر أسكرونى طويلا
ذوبونى فى غمـرة النـور انى كدت من فرط نوره أن أسيلا
اننى قطـرة من الحب لـكن أينمـا سرت كنت وقعـا جميلا
فاذكروا الله كلمـا جن ليـل ان ليـل الصـفاء أمسى قليـلا
واذا أشرقت على الأرض شمس فاحمدوا الله بكرة وأصـيلا
يا الهى •• علوت قـدرا كبيرا ما وجدنا لمـا خلقت مثيـلا
قد نظمت الوجود عقـدا فريدا وبعثت الهـدى الينـا رسـولا
يا الهى •• تفتح الزهر حولى وسـقى النحـل بالرحيق بليلا
صور من بدائع الحسـن تترى نعم لا تزول جيـلا فجيـلا
ونجـوم سـيارة وسـماء وشموس تدور عرضـا وطولا
وعـلوم تجـد فى كـل يوم ما علمنـا الا قليـلا قليـلا
يا الهى •• لقـد أتانا كتـاب كان للنـاس هاديا ودليـلا

صار نبراس كل قلب ســليم وبشــيرا لمن يروم الوصــولا
فتعــالوا الى حمــاه قــلوبا وتســاموا على هــداه عقــولا
واعــلموا أنه اذا قال أوفى انمــا كان وعــده مفعــولا
تاهت الفـلك يا الهى وبحرى وافر وا الخليـل يبكى الخليلا
لست أبغى سـوى رضاك عطاء لست أرضى سوى هداك سبيلا
فأنا قطرة من الحب يا ربى ولــــن أرتضى بحــبى بديــلا

محمد كمال هاشم

صفحات من تاريخ القاهرة (٢)

باب اللوق - ابن تعلب - المدرسة الشريفية

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

خلف البنك الأهلى بشارع قصر النيل شارع صغير باسم ابن ثعلب ٠ ولم يطلق هذا الاسم على المكان اعتباطا بل بناء على اعتبارات تاريخية ترتبط بتخطيط القاهرة وتاريخها ٠

وقبل أن نتكلم عن ابن ثعلب الذى نسب اليه هذا الشارع نريد أن نوجز كلمة عن تاريخ هذا المكان ٠

فعند الفتح الاسلامى سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) لم يكن النيل يجرى فى مجراه الحالى بل كان يجرى فى موقع واتجاه شارعى عماد الدين ومحمد فريد الحالين تقريبا ٠

وكان جامع عمرو بن العاص وحصنى بابليون بالفسطاط يقعان وقتذاك على النيل مباشرة والآن يبعدان عن النيل ٥٢٥ مترا تقريبا بالنسبة لجامع عمرو و ٢٥٠ مترا تقريبا بالنسبة لحصنى بابليون ٠ كما كان النيل يجرى غربى موقع مسجد السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر والآن يبعد غربا منه بحوالى ١٣٠٠ متر ٠ وعند تقاطع شارعى عماد الدين و ٢٦ يوليو بعد النيل عن مجراه السابق بحوالى ١٣٠٠ متر ٠

وكان النيل يسير فى موقع واتجاه شارع عماد الدين تقريبا حتى ميدان رمسيس ثم فى اتجاه شارع الترعة البولاقية حتى شبرا المظلات ٠

وكان مسجد أولاد عنان بشارع الجمهورية الحالى الذى هدم أخيرا ليقام مكانه مسجد جديد باسم مسجد الفتح - يقع على النيل مباشرة ٠ وكان هناك الميناء النهرى لمدينة القاهرة ٠ وكان الخلفاء الفاطميون يحتفلون هناك

بتوديع الأسطول الخارج للغزو • فكن يخرج من هناك الى فرع دمياط حتى البحر الأبيض • وكان الأسطول المصرى فى أوائل عهد الدولة الفاطمية مكونا من ٦٠٠ قطعة •

وبعد الفتح الاسلامى بدأ النيل يتحول غربا ، حتى اذا كان القرنان السادس والسابع الهجريان (= ١٢ و ١٣ م) ظهرت أراضى نعرفها الآن بأسماء فم الخليج والمنيرة والقصر العينى وجاردن سيتى وميدان التحرير وسليمان باشا وقصر النيل • وفى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) تكون ساحل جديد للنيل شمال كوبرى أبى العلا بحى بولاق وفى القرن الثالث عشر الهجرى (= ١٩ م) ظهرت ضاحية روض الفرج التى بدىء فى البناء عليها سنة ١٨٧٠ م •

ولما ظهرت أراضى اللوق فى أواخر عهد الدولة الأيوبية أنشأ الصالح نجم الدين أيوب فيها سنة ٦٤٣ هـ (= ١٢٤٥ م) ميدانا للعب الأكرة والفروسية والرماية وما أشبه ذلك • وأنشأ قنطرة على الخليج المصرى عند ميدان باب الخلق ليعبر عليها الى هذا الميدان •

وكان هذا الميدان يشرف على النيل من غربيه • وكان موقعه كما حدده المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ١٩٨) من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار • وجامع الطباخ موجود للآن بميدان باب اللوق • وقنطرة قدادار كانت على الخليج الناصرى أمام الجامعة الأميريكية وخلف محل استرا • وقدادار المنسوبة اليه القنطرة كان والى القاهرة فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون • وهناك فى موقع القنطرة تقريبا شارع بهذا الاسم للآن (شارع قدادار) •

وكان لميدان الصالح نجم الدين أيوب سور وباب ، وقال المقريزى : وما زال هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى ما بعد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) فأدخله صلاح الدين بن المغربى فى قيسارية الغزل التى أنشأها • ولأجل هذا الباب قيل لهذا الخط باب اللوق • أ هـ •

وابن المغربى المذكور هو القاضى صلاح الدين يوسف بن المغربى من أعيان مصر فى القرن الثامن الهجرى • وكان شارع عدلى الحالى – (نسبة لعدلى باشا يكن رئيس الوزارة ومؤسس حزب الأحرار الدستوريين

وممن كان لهم دور بارز فى السياسة المصرية فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩) – اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المغربى . لأن ابن المغربى المذكور أنشأ هنـاك جامعـا . ورتب فيه درسا وقراءا . وبنى بجانبه قبة دفن فيها . وكان الجامع عامرا بعمار ما حوله . فلما خرب خط بركة قرموط (كما كان اسم الجهة التى بها الجامع) تعطل . وقال المقـريزى : وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره . ولم يصح ظن المقـريزى . فقد بقى الجامع للآن وان كان قد تضاءل الى زاوية صغيرة فى مدخل عمارة كبيرة بشارع عدلى على يسار المتجه الى شارع سليمان باشا بينه وبين شارع شريف . ووجودها لا يلفت النظر ولا تعرف الا اذا سألت عنها أحد البوابين هناك .

وأرض اللوق هى التى تغمـرها المياه ثم تنحسر عنها فتتركها لينة لا تحتاج للحرث . فتبذر فيها البذور . ولا تحتـاج للـرى حتى نضـج المحصـول . وهى الطريقـة المعروفة بالتلـويق والزراعة البعـلى بأرض الحياض . وقيل انها من اللق . وهو المرتفع من الأرض . فقد قال عبد الملك ابن مروان الخليفة الأموى للحجاج ابن يوسف (لا تترك لقا ولا خقا من الأرض الا زرعته) . والخق : هو ما انخفض من الأرض .

ومنطقة اللوق كانت تغطى مساحة من عابدين شرقا الى مجرى النيـل الحالى غربا ومن حى المنيرة جنوبا الى موقع شارع ٢٦ يوليه شمالا .

وكانت مدابغ الجلود فى القـاهرة فى أوائل القرن الماضى بجهة حوش الشرقاوى وسوق العصر جنوبى ميدان باب الخـلق . فتضرر النـاس من الروائح الكريهة . فنقلت الى اللوق . ثم نقلت من اللوق الى جوار الفسطاط تقريبا بموقعها الحـالى سنة ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ) فى عهـد اسماعيل . وشارع شريف الحالى الذى يبدأ من شـارع ٢٦ يولية حتى مبنى جريدة الأهرام القـديم كان اسمه شـارع المدابغ .

وكان فى موقع ميدان الصالح نجم الدين أيوب بسـتان كبير للشريف اسـماعيل بن ثعلب (الذى كان أميرا للحجاج والزائرين فى دولة العادل بن أيوب وتوفى سنة ٦١٣ هـ . وينتهى نسبه الى عبد الله بن جعفـر بن أبى طالب والسـيدة زينب بنت الامام على

ابن أبى طالب • ولذلك يقـال لهذا الفـرع من الأشراف مـن آل البيت النبوى الكريم الجعفريون والزينبيون)

وكان بستان ابن ثعلب كبيرا يصل شمالا الى موقع شارع قصر النيـل الحالى • فاشترى الصالح نجم الدين أيوب هذا البسـتان من ابنه • وأنشأ فى جزء منه الميدان المذكور •

وكان الشريف اسماعيل بن ثعلب يسكن دارا قال المقـريزى عنها أنهـا بدرب كركامة عـلى رأس حـارة الجودرية بالقاهرة الفاطمية •وموقعها الآن من داخـل حـارة المحروقى فى الحد الجنوبى للجودرية والفحامين • وقد حـول الشريف ابن ثعلب داره المذكورة الى مدرسة عرفت بالمدرسـة الشريفية •

وقد اندثرت هذه المدرسـة الآن • وفى مكان جزء منهـا لا تزال زاوية صغيرة باسم زاوية ابن العربى •ولكن نذكر المدرسة الشريفـة لمـا كان فى وقفها من خبر يدل على ما كان يتمتع به العلماء من شـجاعة أدبيـة وحرية رأى • وما كان عنـد الحـاكمين من رهبة واحترام لحكم المنطق والشرع :

لمـا طمعت نفس العادل بن أيوب الى نزع الملك لنفسـه من المنصـور حفيد أخيه صلاح الدين سنة ٥٩٦ هـ أحضر الناس للحلف والبيعة • وكان من جملتهـم ضـياء الدين بن الوراق الامام والمدرس بمسجد الرصد (عند القلعـة) • فلمـا شرع الناس فى الحلف للبيعـة • قال ضـياء الدين : ما هـذا الحلف ؟ بالأمس حلفتـم للمنصور • فاذا كانت تلك الأيمـان صـحيحة فهـذه باطلـة • وان كانت باطلة فهذه أيضا باطلة •

فقال الصاحب ابن شـكر ــ وكان وزيرا للعادل ــ لقد أفسد عليك هذا الفقيه الأمر •

وغضب العـادل • وأمر بالحوطة على جميـع موجـودات ضياء الدين وأمـلاكه • وهـو ما نسـميه الآن بوضعه تحت الحراسـة • كما أمر باعتقـاله بالرصـد تحت الترسيم أى تحديد اقامته •

ومكث ضياء الدين بن الوراق بهذا الوضع بضع سنين • ثم وجد غرة من الحراس فانتهزها وخـرج وذهب الى دار الوزارة بالقاهرة الفاطمية • ولم

تكن انتقلت بعد الى القلعة (حيث لم تنتقل الىالقلعة الا فى عهد الكامل بن العادل) • وطلب مقابلة العادل • فلما قابله قال له ضياء الدين : اعلم والله أنى ما حاللتك ولا أبرأتك • أنت تتقدمنى الى الله وأنا بعدك أطالبك بين يديه تعالى •

وتركه وعاد الى معتقله •

وكان الشريف اسماعيل بن ثعلب من خاصة العادل والمقربين اليه • فدخل عليه بعد ذلك • فوجد العادل متألما حزينا • وحكى له ما حصل • فقال الشريف : لا تبتئس • رد عليه ما وقعت عليه الحوطة منماله مع ريعه فى هذه المدة •

وصرح العادل بذلك • فأخذه الشريف وذهب الى ضياء الدين ليبشره •

وكان ضياء الدين رأى فى تلك الليلة رؤيا أن خلاصه يكون على يد شريف صحيح النسب • وحدث بها الحاضرين معه • فلما قدم الشريف ابن ثعلب حدثوه بالرؤيا •

فقال الشريف : اشهدوا أن جميع ما أملك وقف وصدقة شكرا لله تعالى على هذه الرؤيا (التى حققت صحة نسبه) وخرج من جميع أملاكه • ومنها هذه المدرسة التى كانت دار سكنه •

والخبر عن وقف جميع ما يملك لعله يقصد من عقارات دون الأطيان والا ما كان بستان اللوق يظل فى ملكه حتى يبيعه ابنه للصالح أيوب •

وتمت المدرسة الشريفية سنة ٦١٢ هـ • ومات العادل سنة ٦١٥ هـ • ومات ضياء الدين بعده بمدة دون أن يحالله أو يبرأه • أما الشريف بن ثعلب فقد توفى سنة ٦١٣ هـ •

وسبحان الحى الباقى ؟

محمد كمال السيد محمد

يوم الجمعة .. يوم سعد ويمن وعيد

للأستاذ على الجندى

يعتقد كثير من الناس : أن فى يوم الجمعة ساعة نحس ، ومن الغريب أن يعتنق المسلمون هذه العقيدة وبخاصة سكان القرى ، وبخاصة النساء منهن ، حتى لأعرف سيدة ريفية لا تسمح لأولادها أن يسافروا فى هذا اليوم المبارك ، ولا أن يقوموا بعمل ذى شأن •

وسبب ذلك الاعتقاد ، وقوع بعض كوارث مشهورة فى يوم الجمعة من باب المصادفات المحضة ، كما وقع فى غيرها من الأيام ، فقد جاء فى الحديث :

« لاتعاد الأيام فتعاديك »

ويحلو لنا بمناسبة ذلك أن نذكر بعض خصائص هذا اليوم الميمون •

الجمعة فى اللغة والتاريخ :

الجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها ـ حكاهن الفراء والواحدى وغيرهما • وقد وجهوا فتح الميم : بأن الناس يكثرون فيها ، كما يقال : همزة ولمزة : بفتح الزاء ـ لكثير الهمز واللمز •

وكان يوم الجمعة يسمى فى الجاهلية : « العروبة » بفتح العين ، فسماه كعب بن لؤى « الجمعة » •

وكان يجمع قريش فى هذا اليوم ، فيخطبهم ، ويبشرهم ببعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه من ولده ، ويحثهم على الايمان به ـ كما جاء فى « الروض الأنف » •

فتسميته جمعة ، لاجتماع الناس فيه ، والاجتماع يمن ، والتفرق شؤم ، ولكل مسمى من اسمه نصيب • فهذا أول فضائله •

الجمعة فى القرآن الكريم :

وقد سميت احــدى السور فى « التنزيل الحكيم » باسم الجمعة ، وآياتها احدى عشرة . وقد جاء فى السورة : « يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسـعوا الى ذكر الله وذروا البيــع ذلكم خـير لـكم ان كنتم تعلمــون فاذا قضـيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضــل الله واذكــروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

فحرم ـ سبحانه وتعالى ـ الاشتغال بأمور الدنيا ، وكل صارف عن السعى الى الجمعة ! تعظيما لهذا اليوم ، الذى عظم الله به الاســلام ، وخص به المســلمين ـ كمــا يقول الغزالى فى الاحياء .

الجمعة فى الحديث :

جاء فى الحديث الشريف : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة »

« ليس من أعياد أمتى عيد أفضــل من يوم الجمعة »

«اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام» .

« ان أفضـــل أيامكم يوم الجمعة » وأفضل الأيام عند الله يوم الجمعة » .

« ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرين ساعة لله ـ تعالى ـ يعتق فى كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار ، كلهم قد استوجبوا النار » .

« كان اذا كانت ليـلة الجمعـة ، قال : « هــذه ليــلة غراء ، ويوم أزهر » (١) .

تسمية يوم الجمعة :

سمى الرسول ـ صلى الله عليــه وسلم ـ يوم الجمعة : باليوم الأزهر وسمى ليلتها « بالليلة الغراء ، وليلة العتق والمغفرة » .

وجاء فى الآثار : تسمية الملائكة فى الســماء يوم الجمعـة : « بيوم المزيد » .

فضل يومها وليلتها على غيرها :

جاء فى الحديث الذى رواه سعد بن عبادة : « ان يومها أعظم من يوم النحر والفطر» ! وقال السيد عبدالقادر

---

(١) الغراء : البيضاء السعيدة الصبيحة . وازهر : منير مشرق .

الكيلانى فى « الغنية » رجح جماعة من العلماء تفضيل ليلة الجمعة على ليلة القدر ، لأنها تتكرر فيكون ثوابها أكثر .

قال ابن الملقن : وهذه رواية عن الامام أحمد .

ما وقع فى يوم الجمعة من احداث مهمة :

جاء فى الخبر « أن آدم خلق يوم الجمعة ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه تزوج موسى « صفورا بنت شعيب » وتزوج سليمان بلقيس ، وتزوج محمد « عائشة » .

وقد أفرد كل من النسائى ، وابن أبى الصيف اليمنى والسيوطى ، فضائل هذا اليوم بمؤلف .

فضيلة صلاة الجمعة :

جاء فى الحديث : « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر ، طبع الله على قلبه » ! .

ورواه أحمد .

وفى لفظ آخر « فقد نبذ الاسلام وراء ظهره » .

ورواه البيهقى .

وفى حديث آخر : « من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ، ثم سمعه فلم يأتها ، طبع الله على قلبه ، وجعل قلبه قلب منافق » .

وعن أبى هريرة وابن عمر : أنهما سمعا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول على أعواد منبره » .

«لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

رواه مسلم .

من سنن الجمعة :

من سنن الجمعة : **الاغتسال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الغسل يوم الجمعة ، ليستل (١) الخطايا من أصول الشعر استلالا » .

رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن سلمان ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهره ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ماكتب

(١) يستل .

له ، ثم ينصت اذا تكلم الامام ، الا غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى» .

رواه أحمد والبخارى .

وكان الشافعى يقول : ما تركت غسل الجمعة حضرا ولا سفرا !

وذكر الغزالى : أنه كان اذا تساب الرجلان من أهل المدينة ، يقول أحدهما للآخر ـ أنت أشر ممن لم يغتسل يوم الجمعة !

ومن السنن كذلك أن يتطيب بأطيب مما عنده ! وأن يلبس أحسن اللباس ، وأفضله البياض .

« وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا استحدث ثوبا ، لبسه يوم الجمعة » .

ومن السنن أيضا : التبكير الى المسجد لصلاتها ! وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها .

ودخل عثمان المسجد ، وعمر يخطب يوم الجمعة ـ رضى الله عنهما ـ فقال عمر : أفى هذه الساعة ؟ ينكر عليه ترك البكور !

فقال عثمان : مازدت بعد أن سمعت الأذان ، على أن توضأت وخرجت ! فقال عمر والوضوء أيضا ! قد علمت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأمرنا بالغسل !

ترك التبكير :

وكانت ترى الطرقات فى القرن الأول ، فى السحر ، وبعد الفجر مملوءة من الناس ، يمشون فى السرج ، ويزدحمون بها الى الجامع ، كأيام العيد حتى اندرس ذلك ، فقيل : أول بدعة حدثت فى الاسلام ، ترك التبكير الى الجامع !

ويقول الغزالى فى ذلك : وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى ؟ وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ، وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة به ؟ .

ساعة سعد لا ساعة نحس :

من الأمور العجيبة التى تلفت النظر ، توارد الأحاديث الكثيرة : على أن فى يوم الجمعة ساعة ميمونة مسعودة ، فهل كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم بطريق

الوحى ؟ : أن بعض أهل الجهالة من أمته فى زمن من الأزمان ، سيحدث بينهم الاعتقاد : بأن ساعة من ساعات هذا اليوم الذى يفضل جميع أعياد المسلمين - كما مر - تحمل الشؤم والنحس للبشر !

لئن صح ذلك ، فان هذه الأحاديث تعد من المعجزات الباهرة ، للصادق المصدوق - صلوات الله وسلامه عليه .

من هذه الأحاديث التى أشرنا اليها :

قوله - صلى الله عليه وسلم - : « فيه - يعنى يوم الجمعة - ساعة ، لايسأل العبد فيها الله شيئا الا أعطاه اياه ما لم يسأل اثما أو قطيعة » .

وعن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ذكر يوم الجمعة ، فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه له » .

وأشار بيده يقللها ، يريد أنها لحظة لطيفة خفيفة .

وزاد مسلم : وهى ساعة خفيفة .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يستغفر الله الا غفر له » .

زمن هذه الساعة :

وقد اختلف العلماء فى هذه الساعة ، فقيل : انها عند طلوع الشمس . وقيل : عند الزوال . وقيل مع الأذان . وقيل: اذا قام الناس الى الصلاة . وقيل : اذا صعد الامام المنبر ، فأخذ فى الخطبة .

وفى صحيح مسلم : هى ما بين أن يجلس الامام ، الى أن تقضى الصلاة .

وقيل هى آخر وقت العصر ، وقبل غروب الشمس ، أخذا من الحديث الذى رواه السيوطى فى « الجامع الصغير » : « التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة ، بعد العصر الى غيبوبة الشمس » .

وكانت السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام - : تراعى ذلك الوقت ، وتأمر خادمتها أن تنظر الى الشمس ، فتأذنها ببدء سقوطها ! فتأخذ فى الدعاء والاستغفار الى أن تغرب الشمس .

وكانت تخبر : أن تلك الساعة هى المنتظرة ، وتؤثره عن أبيها - صلى الله عليه وسلم - وعليها ، وعلى ذريتها !

حمق بعض المسلمين

فانظر كيف يبدل حمقى المسلمين - وما أكثرهم - اليمن شؤما ، والسعد نحسا ، والمعروف منكرا ، والاقبال ادبارا ، والصعود هبوطا ، والنور ظلاما ! ولا تصرفهم أقوال نبيهم المعصوم ، عن اعتناق هذا الزور والافك والبهتان !

مصدر هذه الخرافة الاسلامية :

ولكن من أين جاءتهم هذه الخرافة الغريبة ، التى تخالف الأحاديث النبوية الصادقة ؟ !

جاءتهم دخيلة عليهم من المسيحية ! فالمسيح - عليه السلام - وقع صلبه فى اعتقاد المسيحيين فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة فكانت ساعة نحس عندهم طبعا ووضعا ، لأن الصلب دعامة المسيحية !

وقد أخذ عنهم المسلمون هذه العقيدة مسلمة . كما أخذوا كثيرا من الاعتقادات الفرعونية واليهودية ، بلا تبصر ولا تدبر ! والله الهادى الى سواء السبيل .

على الجندى
رحمه الله

منذ متى كانت سيناء غير مصرية ؟

للأستاذ عبد الفتاح خليفة الفرنواني

هذا السؤال رد على السؤال الاستفزازي الذي طرحه الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في زيارته لمصر من أجل الفصل بين القوات في سيناء .

ونحن الآن على أبواب صراع فكري وسياسي مقنن بعد الجولة المسلحة التي خاضتها القوات المصرية الباسلة في العاشر من رمضان الماضي ، محطمة الموانع الجبارة ومعرية الادعاءات الصهيونية العالمية .

ولقد تعودنا من الصهيونية وعودتنا أن تثير شكوكا وأوهاما خاطئة فنهمل نحن الردود عليها ثم ما نلبث أن نرى هذه الشكوك والأوهام تقوم قضايا مسلمة عند الخصم وبعض قطاعات الرأي العام العالمي ؟ من ذلك التشكيك هذا السؤال :

منذ متى كانت سيناء غير مصرية ؟

ويومها كانت أكثر القطاعات العالمية التي تساند الصهيونية تعتبر هذا التساؤل وجيها شكلا وموضوعا .

وكنت أظن أن الأقلام المصرية والعربية تهب لتأخذ دورها في الدفاع عن مصرية سيناء أولا . وعروبتها ثانيا . كما هبت الآلاف من الجنود والملايين من الطلقات المحرقة لتدافع عن مصرية سيناء وعروبتها .وللأسف كانت الردود قليلة جدا حتى أن أولها كان شفهيا .

وقد طاشت باقي الأقلام في مصرية سيناء والبرهنة الحقيقية على تبعيتها لمصر .

فالرد الشفهي كان من أحد الكتاب الكبار في مصر ومفاده :

أن هناك (برديات) قديمة تحكى قصة حب وغرام بين ضابط مصرى فى سيناء ومحبوبته فى مصر .

والرد الثانى مفاده :

أن الخديوى عباس حلمى غضب من الباب العالى فى تركيا لما وجد (فرمان) توليه عرش مصر خال من ولايته على سيناء . ورفض التنازل عنها مما اضطر الصدر الأعظم جواد باشا الى أن يبرق للخديوى فى ٨ أبريل سنة (١٨٩٢ م) بأن ولايته على سيناء قائمة كما كانت فى زمن جده محمد على .

وأصحاب هذه الردود وان كان لهم فضل السبق والدفاع عن قطعة من أرض الوطن . الا أنها ليست مسلمة وقاطعة .

فكون ضابط مصرى أرسل لمحبوبته خطابا من سيناء لا يثبت مصريتها وربما كان هذا الضابط مستعمرا .

فقد أقام ضباط كثيرون فى سيناء من فرس ورومان وانجليز وكتبوا لزوجاتهم من هناك . وكون الخديوى غضب من تصرفات آل عثمان فى محاولة اقتطاع سيناء من مصر . لايقيم دليلا قاطعا على مصريتها لأن آل عثمان كانوا غزاة مستعمرين .

والحدود الوطنية لأى دولة لا تقوم ولاتسقط ولاتتعدل بقرارات الغزاة .

وبعد ، فنقول للمشككين فى مصرية سيناء :

ان مصرية سيناء لاشك فيها وليست فيها أدنى شبهة ؛ فعند بعض الدول كان يحصل بينهما اشتباه فى الحدود تكون فيه بين أخذ ورد وحروب ومشاورات سياسية فمثلا : مسألة الأراضى الواقعة بين فرنسا وألمانيا (الالزاس واللورين) فكانت الحدود الطبيعية لهذه الأراضى من أملاك فرنسا ؛ لأنها كانت تحد حدودها فى هذه المنطقة بنهر (الراين) واللغة الألمانية والجنس الجرمانى يجعلان تبعيتها الألمانية شيئا طبيعيا .

فقبل الحرب العالمية الأولى ضمت هذه الأراضى بموجب معاهدة صلح (فرانكفورت) سنة (١٨٧٠ م) وتنازلت فيها فرنسا لألمانيا عن الالزاس واللورين وفى أواخر الحرب العالمية الأولى استعادت فرنسا هذه الأرض بموجب معاهدة (فرساى) فى ٢٨

يونيـــه سنة (١٩١٩ م) التى قضت أحكامها بانكماش حدود ألمانيـــا من الشرق والغرب وليست سيناء من هذا النوع .

وبحثنا فى مصرية سيناء يدور أمره فى ثلاثة عناصر هى :

١ ـ سيناء قبل الفتح العربى .

٢ ـ سيناء بعد الفتح العربى .

٣ ـ سيناء فى تراثنا .

ولا سبيل أمامنا فى تحقيق مصرية سيناء فى العنصر الأول والثانى .. الا كتب التاريخ ، ومنها نوع يسمى عند العلماء بكتب (الخطط) وهى الكتب التى اختصت وتخصصت فى تحـديد حدود الوطن ومسح أرضه ، ووصف عمـــرانه ومعـــالمه وقيـاس أطواله وتقسيماته الادارية .

ويمتـــاز المؤرخـون المصريون بكثرتهم فى التخصص فى هذا الفـن ـ كتـــابة الخطـط ـ حتى يصعب حصرهم . ومنهم من لهـم شـهرة مرموقة تبعث على الثقة فى كتبهـم بين دوائر الشرق والغرب .

ومن أشهر هؤلاء : ابن عبد الحكم والمسـعودى . وأبو عمر الكندى . والقضاعى . والمقريزى . وابن المتوج والقلقشندى وغيرهم كثير .

١ ـ سيناء قبل الفتح العربى :

يذكر الســيوطى نقــلا عن ابن عبد الحكم الرواية المشهورة فى فتح مصر فيقول :

ان عمر بن الخطاب قال لعمــرو ابن العـــاص : سر لفتـح مصر وأنا مستخير الله فيك وسيأتيك كتـــابى سريعا ان شاء الله فان أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبـل أن تدخلهـــا أو شـيئا من أرضهـا فانصرف . وان أنت دخلتها قبـل أن يأتيك كتابى فامض لوجهـك واستعن بالله . فسار عمـرو بن العاص وكان معـــه جيش قـــوامه ثلاثة آلاف وخمســمائة من أهل عك (عكا) . واستخار الخليفــة الله فكأنه تخوف على المسلمين . وفى رواية ـ أن عثمان ابن عفان قال للخليفة :

يا أمير المؤمنين ان عمـرا لجرىء وفيــه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يعرض المسلمين للهلكة . فندم عمــر وكتب الى عمرو بن العاص ، أن ينصرف

بمن معه من المسلمين عن فتح مصر • فأدرك الكتاب عمرا وهو (برفح) فتخوف عمرو بن العاص ان هو آخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الأمر بالانصراف فلم يأخذ الكتاب من الرسول حتى نزل قرية بين العريش ورفح فسأل عنها أهل جيشه فقيل له• انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه وقال لمن معه ألستم تعلمون أن هذه من من مصر ؟

قالوا : بلى • قال : فان أمير المؤمنين عهد الى وأمرنى ان لحقنى كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع •

ولم يلحقنى كتابه حتى دخلتها فسيروا وامضوا على بركة الله •

فهذه الرواية صريحة فى الآتى :

١ ــ ان عمرا لم يأخذ كتاب الخليفة الا بعد أن توغل فى أرض مصر وجاوز حدودها •

٢ ــ ان الذين شهدوا على حدود مصر من أهل عكا من فلسطين وهم جيران مصر وشهادة الجار فى مثل هذا أوثق •

٣ ــ ان حدود مصر كانت تضم سيناء بما فى ذلك رفح والعريش قبل الفتح العربى •

٢ ــ سيناء بعد الفتح العربى :

وعن حدود مصر بعد الفتح الاسلامى وهو الذى قد أعاد صياغة المنطقة حضاريا وفكريا ، مما جعل عصرنا الحاضر يشكل امتدادا له • تجمع كل هذه الجمهرة من كتاب الخطط المصريين على أن أرض سيناء أرض مصرية ، ويدخلون ايلات ورفح ضمن حدود مصر الشرقية ، وعلينا أن تنقل عبارة أحد الذين كتبوا فى الخطط من غير المصريين حتى تكون عبارتهم أبعد عن الشبه وأوثق فى التحديد •

أولا ــ ابن حوقل :

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى •

التاجر الرحالة المؤرخ المتوفى سنة (٣٦٧ هـ) فى كتابه (المسالك والمفاوز والمهالك) طبع مرارا فى أوربا وعليه اعتماد علماء الاستشراق فى وصف جدول الدول فيقول : اعلم أن حد ديار مصر الشمالى بحر الروم (الأبيض

المتوسط) ورفح من العريش ممتدا على الجفار الى الفرما الى الطينة الى دمياط الى ساحل رشيد الى الاسكندرية وبرقة على الساحل آخذا جنوبا الى ظهر الواحات الى حدود النوبة .

والحد الجنوبي من حدود النوبة المذكورة آخذا شرقا الى أسوان الى بحر القلزم (الأحمر) والحد الشرقي من بحر القلزم قبالة أسوان الى عيذاب الى القصير الى القلزم الى تيه بني اسرائيل ثم يعطف شمالا الى بحر الروم الى رفح الى حيث ابتدأنا .

وهذه شهادة مؤرخ عراقي محايد في حدود مصر من جميع الجهات .

ثانيا ــ عبارة صاحب كتاب (مباهج الفكر) :

وهو : محمد بن عبد الله الكتبي المصري المعروف بالوطواط المتوفي سنة (٧١٨ هـ) وقد اخترته عن غيره من مؤرخي المصريين لأنه :

كتب خططه بعد التعديل الداخلي في مسح أرض مصر في عهد الناصر محمد بن قلاوون في التعديل الذي أطلق عليه المؤرخون وكتاب الخطط في مصر (بالروك الناصري سنة ٧١٥ هـ) يقول : حد مصر طولا من أسوان وهو تجاه النوبة الى العريش وهو مدينة على البحر الرومي ومسافة ذلك ثلاثون مرحلة وحدة عرضا من مدينة برقة التي على ساحل البحر الرومي الى آيلة (ايلات) التي على بحر القلزم ومسافة ذلك عشرون مرحلة . ثم يحصر عدد (الكور) في مصر بأربع وعشرين كورة . والكورة بلغة عصرنا يعني (محافظة أو بندر) .

ثم يصف الكور فيقول :

وقد جعل لكل كورة والى حرب وقاض وعامل خراج . ويذكر الكور الموجودة في سيناء فيقول : ومما هو معدود في كور اقليم مصر كورة القلزم وكورة فاران . وكورة الطور . وكورة آيلة (١) .

ومن هنا نعلم أن ايلات ورفح من الشرق ضمن أرض مصر . وان ايلات كانت تدار سياسيا بوالى حرب وقاض وعامل خراج من مصر .

(١) راجع حسن المحاضرة للسيوطي جـ ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨

سيناء فى تراثنا :

وهــذا العنصر الأخير لا نذكره دليلا على تحقيق مصرية سيناء فذلك سبيله كتب الخطط كما ذكرنا وانمـا نذكره للاستئناس لأن تراث أى أمة شاهد على كيانهـا ومعنى سـيناء فى تراثنا :

أن نلتمس أدبا • شعرا • نثرا • أو عبارات تؤيد ما حققناه وقد اخترت من ذلك كتابين من كتب تفسير القرآن الكريم •

الأول :

أقدم كتاب فى التفسير المنســوب لابن عباس فهو أقدم تراث فى هـذا الفن من غيره ـ يقول عند تفســير قوله تعالى :

(ولمـا فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال : فصلت العير خرجت من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان •

الثـانى :

أحدث تفسير بعد ابن عباس عبر تسـعة قرون وهو تفســير الجلالين يقول :

ولمـا فصلت العير خرجت من عريش مصر متوجهــة الى أرض كنعـــان فسيناء اذن مصرية منذ أن عرف الوطن المصرى وقبل أن يعرف العالم الشعوب والأوطان التى ينتمى اليهـــا أولئـك المتشككون فى مصرية سيناء •

عبد الفتاح خليفه الفرنوانى

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبدالله السمان

● **شهيد المحراب .. عمر بن الخطاب:**

للأستاذ : عمر التلمسانى المحامى

هذا الكتاب الذى نشرته دار مصر الدولى بالقاهرة ، يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف ، الأستاذ عمر التلمسانى المحامى بالقاهرة ، من الرعيل المناضل الذى عاصر الحركة الوطنية فى مصر مسهما فيها ، ثم هجر السياسة ، بعد أن اختار الاسلام طريقا أمثل للنضال ، وقد قضى بين جدران السجن سبعة عشر عاما من أجل العقيدة ، رافق خلالها شخصية عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – عاش مع سيرته بكل أحاسيسه وجوارحه .. ثم حول كل انطباعاته عن هذه الشخصية الفذة الى هذا الكتاب القيم الذى بين أيدينا .

ولقد كتب مقدمة مسهبة فى أربعين صفحة ، وهى – والحق يقال – مقدمة ممتعة ذهنيا وروحيا ، أشار فيها ، الى أن العاطفة هى التى تهيمن على ما يكتب قبل الخضوع لقيود العقل .. انه يمضى مع عاطفته يشرق ان شرقت ، ويغرب ان غربت ، والفارق كبير بين العقل والعاطفة ، فالعقل يدعو الى التضحية بمقابل ، والعاطفة تحلق فوق هذا المستوى الجامد ، لأنها تدفع الى التضحية حبالها دون نظر الى مقابل ، كذلك أشار فى المقدمة الى أنه لا يكتب عن عمر لذات عمر ، فالأمر عنده أجل وأكبر ، بل لمكانته عند رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – ولفهمه الممتاز فى دينه ..

وقد تركنا المؤلف يجول جولات ممتعة شهية ، مع هذه الشخصية الفذة ، فى مجالات سبعة : عمر قبل اسلامه ، عمر والذين معه ، عمر والقرآن ، عمر الخليفة ، عمر وخالد بن الوليد ، عمر وأرض الخراج ، ثم المجال

السابع والأخير : استشهاد عمر ، وفى هذه المجالات كانت جولاتنا سريعة باستثناء المجال الرابع « عمر الخليفة » الذى استغرق أكثر من نصف الوقت ، وفى هذا المجال الواسع الخصب ، يحدثنا المؤلف عن عمر كحاكم ليبين ما يفعل الايمان وخشية اللهفى تصرف الحكام ، فيشير الى أنه ما مر بالعالم كله على طول تاريخه ووفرة حكامه بعد عمر — من ساواه أو داناه فى أية ناحية من نواحى الانسان كحاكم أو غير حاكم ، حتى لقد كان بعض من بهرهم عمر ، يزعمون أنه أسطورة اخترعها بعض أذكياء المسلمين ، حيث لا يمكن لبشر أن يكون على هذا الغرار المذهل العجيب ، فقد يبرز حاكم فى ناحية من نواحى الحكم المتعددة — كما يقول المؤلف — فيبدو فى التاريخ علما ، اما أن تتم كل مقومات الحكم الناجح فى حاكم واحد ، فهذا هو الفضل الذى لا يعرف لغير عمر ..

وبعد — فالكتاب وجبة ذهنية وروحية ، ودسمة شهية ، وما أكثر ما كتب عن سيرة عمر رضى الله عنه ، ولذا كانت الكتابة عنه مهمة شاقة صعبة لمن يحاول أن يكتب جديدا ، ولقد تجنب المؤلف السرد للقصص المألوفة عن عمر ، والتى نكاد نحفظها عن ظهر قلب ، فجاء الكتاب دراسة تحليلية عميقة ، ومن خلالها ، ابرز جوانب الشخصية المشرقة ، وقد كانت كلها مشرقة ، ولم يقف المؤلف عند هذا ، بل حرص على أن يصحح بعض المفاهيم الاسلامية التى علقت خطأ بالأذهان ، ويمكن أن نقول :

ان المؤلف استطاع أن يبرز الاسلام فى صورته المشرقة فى شخصية عمر ، وأن يبرز الصورة المثالية للحاكم فى اطار توجيهات الاسلام الرشيدة ، ويجب أن نضيف هنا شيئا له تقديره ، فالمؤلف عاش مع عمر سبعة عشر عاما بين جدران السجن : لذلك كان كتابه تسجيلا لانطباعات صادقة بها طاقة كبرى من الروحية الصافية ..

وقد يكون من حقنا — بعد ذلك — أن نبدى ملاحظتين على هذه الدراسة الطيبة الممتعة :

— الأولى : هى أن المؤلف أغفل ذكر المراجع والمصادر ، وبخاصة فيما يتصل بالأحاديث النبوية التى استشهد بها ، وهى كثيرة فى الكتاب .

ـ الثانية : هي أن في الكتاب كثيرا من الأخطاء المطبعية وغير المطبعية ..

وملاحظة ثالثة ، ليست هامشية ، فقد خلا الكتاب من الفهرست ، فليس معقولا أن يخلو كتاب من الفهرست ، بلغت صفحاته ٣٢٥ صفحة ..

● **لمن المال ؟**

للعلامة السيد حامد المحضار .

هذه الدراسة الموجزة التي نشرتها مكتبة المطيعي بالقاهرة لعالم كبير من علماء اليمن ، تقع في زهاء سبعين صفحة من القطع الكبير ، وهي دراسة لها أهمية في هذه الآونة بالذات ، بعد أن أخذت الأفكار الأجنبية المستوردة تشكل خطرا في أذهان الشبيبة المسلمة ، ملفوفة في شعارات خادعة براقة ، تحمل معاول الهدم للاسلام ، ان موضوع المال في الاسلام دقيق للغاية ، وما أكثر الذين كتبوا فيه ، لكن ما أقل الذين أنصفوا الاسلام بصدده ، لأن الكتابات الكثيرة التي كتبت عن المال في الاسلام ، تأثر معظمها بالاتجاهات السياسية ، والحق أن المؤلف العلامة من تلك القلة التي أنصفت الاسلام في موضوع المال ، فقد نهج نهجا يساير روح الاسلام وغايته ، ولبه وحكمته ـ كما يقول الأستاذ المطيعي الذي قدم للبحث ـ فاعتبر الزكاة ـ التي هي حق المال ـ المرحلة الأولى من مراحل التدرج في البذل ، بل لا يعد المعطى باذلا ولا معطيا ، وانما هو أمر طبيعي أن يكف يده عما ليس من ماله ، وهو قدر الزكاة ، أما النزول عن المال ، ورفع اليد عن الملكية فهي مما يلي ذلك من أوجه البذل والعطاء ..

لقد أجاب المؤلف في هذا البحث عن أسئلة عن آية الكنز : « والذين يكنزون الذهب والفضة .. » الآية : أهي منسوخة ؟ واذا لم تكن منسوخة فهل فيها ما يدل على أن في المال حقا للمحتاجين سوى الزكاة ؟ وهل ثمة آيات محكمات تشد أزر آية الكنز ؟ وهل ورد في الأحاديث النبوية مايشهد لما تدل عليه الآية ؟ وهل قال به أحد من الصحابة وأئمة الهدى من بعدهم؟

ويجيب المؤلف بعقلية العالم وفقه الفقيه وأفق الباحث ، بأن آية الكنز محكمة ، وبأنها لمن أقوى الأدلة على أن في المال حقا غير الزكاة ، ويقرر

المؤلف ضمن ما يقرر : أنه اذا ماكان للدولة ما يقوم بحاجة المستظلين برايتها ، فلا يجوز لأحد أن يتطلع الى مال الرعية ، وليس للدولة نفسها سبيل اليه ، ما دامت تجد فى مواردها مايسد الحاجة دون ما رجوع الى مال رعيتها ، وقد عرض المؤلف لمذهب أبى ذر رضى الله عنه ، فليس فيما ذهب اليه متمسك للشيوعيين ومن حذا حذوهم فمذهبه مذهب اسلامى صرف ، وهو أن يصرف ما زاد عن الحاجة من المال فى سبيل الله .. والشيوعيون لايعرفون سبيل الله ، ولا يسيرون عليه ، ولا يبحثون عنه .. ويختتم المؤلف بحثه القيم بعبارات مؤمنة صادقة ، فيشير الى أن من شر ما أصيبت به بعض البلاد العربية وأرهقت به ، وتمزقت قواها وضعفت لسببه معنوياتها ، حتى كادت تفقد الرجاء فى الحياة الأفضل ذلكم الحاكم الساحر المستهزىء بالشرائع السماوية والأرضية فارضا نفسه أو هواه معطيا سيفه حق التشريع والتأهيل والتفريع .

وبعد ـ فالحق الذى لامجاملة فيه ، أن القارىء لهذا البحث القيم ، يجد نفسه مع عالم كبير وفقيه محقق ، بل يجد نفسه أمام علم يقرأ ، وفقه يستوعب ، وبحث له تقديره العلمى .

● **علوم القرآن :**

للأستاذ أحمد عادل كمال .

هذا الكتيب الذى نشرته دار المختار الاسلامى بالقاهرة ، يقع فى زهاء مائة وخمسين صفحة من القطع الصغير ، وهو دراسة مركزة الكلمات مستفيضة المعانى ، فيها بحث عن تنزيل القرآن ، وبحث عن أسباب النزول ، وبحث عن جمع القرآن وتدوينه ، تناول الصحف والمصاحف ورسم المصحف ومزايا الرسم العثمانى ، ودستور عثمان فى كتابة المصحف وبحث عن المكى والمدنى تناول فيه معنى الآية ومعنى السور ، وأسماء السور وترتيب الآيات والسور ، وبحث عن الأحرف السبعة ، وبحث عن الناسخ والمنسوخ ، وبحث عن آداب قارىء القرآن وحامله ، وبحث عن الحروف المفردة فى أوائل السور ، ثم بحث عن أحكام التلاوة والتجويد .

وبعد .. فان علوم القرآن من العلوم التى نالت قسطا كبيرا من الاهتمام لدى العلماء القدامى والمحدثين على السواء ، ولكن دراسة المؤلف هذه

والتى طبعت للمرة الرابعة ، امتازت بالتركيز والايضـــاح ، وســـهولة الأسلوب • مما ييسر مشبابنا المســلم استيعاب علوم القرآن فى سهولة ••

● الجنس المستورد :

ليس من حق أية دولة أن تعترض على دولة أخرى ، فى مجال ما تنشر من صحف ، حتى ولو كانت هـذه الصحف صحفا جنسية فى اطار من الدعارة المتبجحة الوقحة ، ولكن من حق أية دولة أن تحول بين هـــذه الصحف الجنســـية العــارية ، وبين شبابها المراهق ، وفى هذه الأيام نلمس سيلا عارما من هـذه الصحف يتدفق علينا ، وبالرغم من أسعارها الجنونية الا أن الاقبال عليها فى تزايد مستمر ، والذى يتصفح مثلا مجلة الموعد التى تصدر من بيروت يصاب بأزمة نفسية ، فهى من أول صفحة الى آخر صفحة تزكم الأنوف برائحة الجنس الوقح ، والفضائح الخلقية الذميمة ، والصور العارية الداعرة •• والمؤلم الممض ، أن المــادة الممولة لمثل هذه المجلات الفاضحة ، هى من خفايا الشــذوذ والانحراف اللذين ينسبان الى مايسمون بالفنانين والفنانات، ومعظمهم من القاهرة ، ويبدو أنه ليس من حقنا أن نتساءل : هل الرقابة التى لا تزال تقف بالمرصـاد للمجـــلات الاسلامية ، لم تسمع بعد بالصحف الداعرة التى تتدفق علينا من بيروت •؟ ويبدو ثانيا أن الرقابة لدينا تتجاهل أننا لم نزل فى معركة • !!

● قراءات :

« يا معشر بنى تميم : لا تسرعوا الى الفتنة ، لأن أسرع الناس الى القتال أقلهـم حياء من الفرار ، وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيــوب جمة فتأمل عيابا •• فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب » •

« الأحنف بن قيس »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

١ – السؤال من رجل سافر الى اليونان وعاد ولم يذكر اسمه .

اختلف المشايخ في اليونان فى تارك الزكاة فيقول البعض انه فاسق ، ويقول الآخرون انه كافر مستدلين بقوله تعالى : « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » الآن فأيهما أصح ؟

(ج) ان تارك الزكاة وهو معتقد لوجوبها فهو فاسق ولا يحكم عليه بالكفر والآية لا تدل على كفره فانها فى الكافر وهو لا يعتقد وجوبها ولا يؤمن بالآخرة بخلاف من اعتقد فرضيتها وامتنع عن أدائها فانه سليم العقيدة مقصر فى العمل .

٢ – السؤال من زوجة شهيد لا ترتد ذكر اسمها .

استشهد رجل فى معارك أكتوبر سنة ١٩٧٣ فصرف لزوجته وأولاده الصغار تعويض فهل تجب فيه الزكاة؟

(ج) تفيد اللجنة بأن القدر الذى تستحقه زوجة الشهيد فى التعويض المدفوع لها ولأولادها يجب فيه الزكاة اذا حال عليه الحول وكان أكثر من ١٣ جنيها وللقدر الذى يعتبر زكاة هو ربع العشر من نصيبها هى واذا كان هناك مال آخر يخصها فيضم كله الى بعضه ويخرج عنه كله ربع العشر ، أما ما يخص الأطفال فلا زكاة فى نصيبهم لأنهم صغار وليس عليهم زكاة كما هو مذهب الامام أبى حنيفة وهو ما تفتى به اللجنة .

٣ – السؤال من السيدة م.ع.ل.

اقتنى كلبا فى شقتى للحراسة وقد يتبرز فى الشقة وأضطر أحيانا الى رفع هذا البراز بيدى من على الأرض وأنا متوضئة فهل أعيد الوضوء أم أخص اليد بطهارة وحدها .

(ج) ــ تفيد بأن على هذه السيدةأن تطهر يديها طهارة عادية بالماء ثم اذا أرادت الوضوء فتتوضأ وتصلى ولاشىء عليها .

واذا كانت متوضئة ورفعت نجاسة الكلب بيدها ثم طهرت اليد بالماء فوضوؤها باق على ما هو عليه ولها أن تصلى بهذا الوضوء والله تعالى أعلم .

٤ ــ السؤال من الحاج فريدحلاوة ناظر مدرسة كفر ميت الحارون .

اذا لحس الكلب أحدا أو لمسه وهو مبلول ولم يغسل محل اللحس واللمس مقلدا الامام مالك رضى الله عنه فى طهارته وطهارة ريقه ويتوضأ ويصلى على مذهب الامام الشافعى ويقلد من يجوز التلفيق فى القضيتين فهل يجوز ذلك ؟

(ج) ــ مسألة طهارة الكلب من المسائل التى ليس فيها نص قاطع بل هى من المسائل الفرعية الاجتهادية التى اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم ، فمنهم من رأى طهارته ومنهم من رأى نجاسته وقد ذهب كل منهم الى رأيه لدليل ترجح عنده .

وعن تلفيق المصلى فى الحادثة المسئول عنها وأخذه من كل مذهب شيئا من أحكامه فهو جائز على الراجح من مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

٥ ــ السؤال من السيد محمد السيد رزق :

مرضت زوجتى وهى الآن تحت العلاج ، وقد طلب منى الأطباء المختصون كتابة تعهد لاجراء عملية استئصال الرحم لها مع الاحاطة بأن لى ثلاثة أولاد منها .

فما حكم الشرع فى الموضوع ؟

وتجيب على هذا السؤال لجنة الفتوى بالأزهر فتقول : انه اذا كان استئصال الرحم لغرض التعقيم فقط فانه لا يجوز وان كان ذلك لأن حياتها تتوقف على هذه العملية بقول الطبيب العدل الحاذق يقينا أو ظنا فانه لابأس باجرائها حينئذ محافظة على صحة الزوجة وحياتها والله أعلم .

٦ ـ السؤال من عدد من الزراع والمستهلكين :

١ ـ ماحكم قطع الفول الأخضر والذرة الخضراء قبل نضجها فهل تجب فيهما الزكاة ؟

٢ ـ هل الطماطم الخضراء التى تباع بالأسواق للاستهلاك المحلى فيها زكاة ؟

٣ ـ هل فى الموالح والفاكهة زكاة ؟

مع الاحاطة بأن من الناس من يزرع هذه الأشياء ويبيعها لحسابه ومن الناس من يزرع ويبيع لتاجر الجملة .

وتجيب لجنة الفتوى على هذه الأسئلة فتقول : أما عن الأول فان ما يبيعه الزراع من الفول الأخضر والذرة الخضراء تجب الزكاة فى ثمنه بنسبة نصف العشر ان كان سقيه بالآلة وما يأكله الزراع أو يهد به فتجب نصف عشر قيمته وان كان سقيه بالآلة كذلك .

وعن الثانى فان الطماطم لا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء وتزكى عند أبى حنيفة وتخرج الزكاة من ثمنها على ما تقدم فى السؤال الأول .

وعن الثالث بأن الموالح والفاكهة تأخذ حكم الطماطم فتزكى عند أبى حنيفة ولا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء .

هذا بالنسبة للزراع أما التاجر فان عليه زكاة التجارة فى كل ما يتجر فيه فيقوم تجارته فى آخر العام ويخرج من قيمتها ربع العشر متى بلغت نصابا والله أعلم .

٧ ـ السؤال من رجل لم يذكر اسمه .

لقد تعودت اخراج الزكاة من القمح بعد حصاده مباشرة كل عام ولكنى فى هذا العام أخرجت نصف المفروض وسافرت الى جهة أخرى وبعد عودتى من السفر وجدت أن القمح قد نفذ فهل يصح اخراج النصف الباقى من الذرة .

وتجيب لجنة الفتوى فتقول : لايجوز اخراج الذرة عن القمح اذ لا يجزى جنس عن جنس ولكن يجوز اخراج قيمة النصف الباقى من القمح نقدا .

٨ ـ السؤال من فهيمة اسماعيل محمد .

اعتادت الأرياف أن يعطى شخص لآخر ماشية لتربيتها نظير نصف الربح ونصف النتاج فهل فى هذه الشركة زكاة ؟

وتجيب اللجنة فتقول : ان هذه الشركة لا زكاة فيها لأن شرط الزكاة فى الماشية الأسامة وهذه لا تسام وانما تعلف كما لا تجب فيها زكاة التجارة اذ لا تجارة فيها .

والله أعلم .

من السيد الأستاذ محمد أبو ركبة عضو المؤتمر القومى :

س ١ ـ هل القرآن الكريم يفى بما يتطلبه العصر ؟

س ٢ ـ ما هو موقف السنة النبوية من القرآن الكريم وهل هى مكملة أم موضحة .

س ٣ ـ ما معنى الأمر بكتابة الدين الذى ورد فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » .

ويجيب على هذه الاستفسارات فضيلة الأستاذ الشيخ محمد ساموں رئيس لجنة الفتوى بالأزهر فيقول :

قال الله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

وللاجابة عن الاستفسار الأول بعد أن نجعل هذه الآية الكريمة ماثلة أمام أعيننا : يجب أن نتساءل عن معنى ما يتطلبه العصر فان كان المراد به ما يقف عند هذه الحدود التى حدها الله تعالى ولا يتجاوزها فانا نقول ان القرآن الكريم بانضمام السنة النبوية اليه باعتبارها مكملة له وموضحة له لقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » .

بهذا الاعتبار نقرر بكل تأكيد أن القرآن يفى بما يتطلبه العصر محققا الخير لهم فى دينهم ودنياهم .

وان أريد به معنى أوســـع بحيث لا يقف عند هــذه الحدود ويتخطاها غير عابىء بهـا فطبعا يكون ما يتطلبــه العصر فى واد والدين فى واد آخـر وفى ذلك كل البلاء •

وبعبـارة أخرى اذا ما أريد بيـان الارتباط بين ما يتطلبه العصر والقرآن وتشريعه فان كان الارتباط هو تطويع ما يتطلبه العصر للقرآن على معنى أن ما وافق القـرآن يعمـل به وما خالفه يجب تجنبه يكون القـرآن وتشريعه وافيـا بتحقيـــق متطلبات العصر على الوجه الأكمل محققا الخير والرفاهية بأوسع مدى للناس دينـا ودنيـا وان أريد تطويع القرآن وتشريعه لما يتطلبه العصر بحيث أن ما وافق هذه المتطلبات نقبله ونقول به وأن ما خالفها يجب أن نتأول فيــه ونفتــح باب التـأويل على مصراعيــه بالحق وبالبـاطل فان ذلك يكون منافيا لمـا نزل به القرآن لأجل هداية الناس وتبصـيرهم فى معاشــهم ومعـــادهم بما يكفــل لهم الفــلاح والنجاح •

ولنضرب عـدة أمثلـة يـكون من ورائها أن تتجلى الحقيقة واضحة كل الوضوح لا شك فيها ولا لبس •

يزعم بعض المتشـــدقين بالمدنيـــة الكاذبة والحضارة الزائفة أن قطع يد الســـارق تتجـافى كل المجـافاة عن الانسانية وكرامتها وأعموا أبصـارهم عما يقع من الاعتــداءات المتكررة فى كل يوم وساعة على الأموال سواء أكان ذلك فى البيوت أم فى الطرقات أم فى وسـائل النقـل العـام أو الخاص أم مصالح الحكومة •

ونظرة واحدة تبين تفاهة العقـاب الذى استبدل به حد الله فاننا نراه غير رادع عن هذه الجريمة الشنعاء بل قد يحمل على معاودتها لأن مداه أن يزج بهم فى السجن يأكلون ويشربون •

وبالمقـارنة بين ما كان فى الأراضى الحجازية قبل نشأة المملكة السعودية وبعـدها نرى أنها كانت فى المـــاضى مضرب الأمثـال فى السـلب والنهب والقتل وكان لا يقصد الحج فى ذلك الوقت الا الطاعنـــــون فى الســـن المستسلمون للمـوت آخـذين معهـم أكفانهم •

وبعد أن طبق عليهم حد الله فى السارق وهو قطع اليد انقطعت هذه الجريمة وأصبحت الآن مضرب الأمثال فى الأمن والأمان وحتى أصبح التاجر يذهب الى الصلاة ويترك حانوته مفتوحا فلا يتعرض له أحد ولو بحث عن عدد من قطعت أيديهم لما زاد عن العقد الأول فى العدد •

بهذه المقارنة يتجلى واضحا أن ما شرعه الله من الحدود والقصاص هو ما تتطلبه المدنية الحقة والحضارة الصحيحة من ورائها يعيش المجتمع هادئا مطمئنا سعيدا بحاضره ومستقبله•

وما يتشدق به المتمدينون الكاذبون أن المدنية تدعوا الى اختلاط الجنسين وقد جرت هذه البدعة أن تتخذ الأسرة صديق عائلة يداخلهم ليلا ونهارا مجتمعين ومنفردين وقد ترتب على ذلك ما ترتب من تشتيت الأسرة وانحلالها وتمزقها ، وأقسام الشرطة أكبر دليل على ذلك •

ومما أهمل فيه حد الله السكران فهو يقترف جريمته على مرآى ومسمع من الجمهور والحكومة ويسير فى الطرقات معربدا ويذهب الى بيته وهو مخمور ينازع أهله وينازعونه وقد يترتب على ذلك ما يترتب فلو أنه أقيم حد الله لاستقام الأمر واطمأنت البيوت وعادت اليها السكينة والطمأنينة •

وأما الجواب عن الاستفسار الثانى فقد تبين مما قلناه فى الجواب عن الأول أن السنة مكملة وموضحة للقرآن ولو أننا لم نلتزم بهذا وقلنا أن هناك مغايرة فنقول ان منزلة السنة من القرآن أنها تكون مبينة ومكملة فتبين ما خفى معناه وتخصص العموم وتقيد الاطلاق وتأتى بأحكام أخرى لم يتعرض لها القرآن •

وأما الجواب عن الثالث فنقول : الدين حق للدائن فكتابته توثيق لحقه ومن حقه أن يتمسك به وله أن يتنازل عنه ولذلك ذهب عامة المفسرين الى أن الأمر فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » للارشاد ، وقال الشوكانى فى تفسيره فتح القدير : أن الأمر للوجوب •

والله تعالى أعلم ؟

أنبـــاء و آراء

للأستاذ إبراهيم حامد النويهى

*** الاحتفال بالعام الهجرى :**

احتفلت جمهـورية مصر العربيـة والعالم الاسلامى بمطلع العام الهجرى الجديد ١٣٩٥ هـ وبالذكرى السنوية للهجرة النبوية المجيـدة ، التى كانت بداية تحول كبير فى مسار الدعوة الاسلامية ، وانطلاقا ظافرا من الحياة الضيقة المضطهدة الى حياة رحبة آمنة تتنفس فيها الدعوة وتعلو كلمة الحق .

وفى هذه الذكرى الخالدة يعـود المسلمون كل عام عبر رحلة طويلة ، يرون فيهـا عظمة الاسلام ومجده ، ويدرسـون مواقف النضال الصـامدة لسيد الخلق محمد صـلى الله عليـه وسـلم ، ويستلهمون منهـا العظـة والارشاد والنصيحة ، لتكون لهم معالم على طريق النصر فى جهادهم المعاصر .

فتهنئة للمسلمين بالعـام الهجرى الجـديد ، ودعاء بأن يجعلـه الله عام يمن وبركة ونصر وفتح ، وأن يعيده على الأمة الاسلامية والعربيـة ، وقد تحـررت جميــع الأرض وتخلصت المقدسات ، بقيادة القائد المؤمن محمد أنور السادات ..

*** استئناف الامام الأكبر لعمله :**

اســتأنف فضـيلة الامام الأكبـر الدكتور عبد الحليم محمــود شيـخ الأزهر عمله بمكتبه يوم الاثنين ٢٥ من ذى القعــدة ١٣٩٤ هـ ـ ٨ من ديسـمبر ١٩٧٤ م ، وذلك استجابة لتوجيهـات الرئيس محمــد أنور السادات ..

وألقى فضيلته كلمـة فى مستقبليه ومهنئيه قال فيهـا : « ان موضـوع الأزهر أصـبح الآن أمانة بين يدى الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، وأن الرئيس يبدى اهتمـاما كبيرا بالأزهر ، وقد استأنفت عملى استجابة لتوجيهـاته .. وقال لى الرئيس : انه لولا الأزهر لمـا كان انتشار الاسـلام شرقا وغربا ...

وقد بعث فضيلته ببرقية الى الرئيس محمد أنور السادات بهذه المناسبة قال فيها : « لقد أعز الله بكم دينه ، ونصر بكم الحق ، وأجرى على يديكم الخير ، ورد بجهودكم وجهادكم على العرب وعلى المسلمين عزتهم وكرامتهم ، فرفعتم رأس كل عربى وكل مسلم ، بما بذلتم وما قدمتم عطاء مشكورا ومقدورا من الله ومن الناس ..

وانه ليطيب لى وأنا أعود الىالأزهر الشريف استجابة لتوجيهكم الكريم أن أبعث اليكم بتحية التقدير والمحبة والتأييد ، وان الأزهر الشريف الذى أراده الله حفيظا على العلوم الاسلامية والعربية ، والذى جعل أفئدة المسلمين من أنحاء العالم تهوى الى مصر ، والذى حظى بعطفكم وحبكم وتودون له الخير ، ليأمل يا سيادة الرئيس أن يصل فى عهدكم المجيد وعلى أيديكم الأمينة الى المستوى الذى تأملونه ، ويأمله كل مسلم .

والله أسأل أن يتم عليكم نعمة التوفيق ، وأن يكون لكم فى جهادكم خير رفيق ..

ثم بعث الرئيس محمد أنور السادات الى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بالبرقية التالية ردا على برقية فضيلته : « تلقيت بالامتنان برقيتكم الرقيقة التى بعثتم بها الى ، وانى لأقدر لكم ما عبرتم عنه من خالص المشاعر ، وأصدق التمنيات .. اننا نعتز كل الاعتزاز بالأزهر الشريف ، ورسالته السامية فى نشر العلم والدين ، راجين أن تصلوا به الى أشرف مكانة وأسمى منزلة ..

والله أسأل أن يوفقنا جميعا الى ما فيه رفع منارة الاسلام وخير العرب والمسلمين وعزتهم ، ومع تقديرى لجهودكم المحمودة أبعث اليكم بأجمل الشكر ، مقرونا بأطيب أمانى لكم بكل السداد والتوفيق » .

*** حول ظهور الصحابه فى السينما :**

نشرت صحيفة الأخبار حوارا مع فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى يوم الجمعة ١٥ من ذى القعدة ١٣٩٤ هـ - ٢٩ من نوفمبر ١٩٧٤ م حول ظهور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السينما ، فقال فضيلته عن هذا فى مطلع الحوار : « ان ظهور أصحاب رسول الله وصواحبه فى السينما اما أن يؤدى الى الاعتداء عليهم أو الاعتداء على التاريخ ، فالصحابة

رضوان الله عليهم عاشوا فى صدر الاسلام عيشة متقشفة ، الأمر الذى يجعل ظهورهم بهذه الصورة اعتداء على ما يكون لهم من وقار وجلال ، واما أن نظهرهم فى هندام جميل وثياب طيبة وهيئة حسنة وهذا اعتداء على التاريخ » •

*** مكتبة هدية من مصر لاندونيسيا :**

أهدت جمهورية مصر العربية الى مكتبة المركز الاسلامى الاندونيسى فى العاصمة جاكرتا مكتبة اسلامية ضخمة تبلغ حوالى خمسة آلاف كتاب تبحث فى شئون الدين والتاريخ ودروس اللغة العربية ••

*** كتاب عن القرآن الكريم :**

يقوم الدكتور بوكيه الطبيب والعالم الفرنسى الذى زار مصر فى شهر نوفمبر سنة ١٩٧٤ م بتأليف كتاب عن الاعجاز العلمى للقرآن أثبت فيه : « أن القرآن كتاب سماوى ، وما فيه من نظريات علمية لا يمكن أن تكون من صنع البشر ، وأنه سبق العلم الحديث منذ أربعة عشر قرنا فى كثير من النظريات العلمية السائدة فى العالم » •

*** مركز اسلامى فى غينيا بيساو :**

تم الاتفاق على انشاء مركز اسلامى فى غينيا بيساو ، يضم مسجدا ومستشفى ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وملاعب رياضية ، ومكتبة وقاعة للمحاضرات •

*** مسجد بلجيكا الرئيسى :**

يعاد بناء المسجد الرئيسى الذى يقع فى قلب بروكسل ببلجيكا وتتسع مساحته لألف وخمسمائة شخص وتتكلف اعادة بنائه ٢ مليون دولار وسينتهى العمل فيه عام ١٩٧٦ ان شاء الله •

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول
ورئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٦٠٠٢-١٩٧٤س١٣٨٨٩

out of his post. Umar was superior in his characters and his ruling the country where justice and equality prevailed.

Umar died on the 23rd year of Hijra at the age of 63, the same age of the prophet and Abu Bakr.

His Caliphate period was 10 years and 6 months.

He paved the way for his successors to more conquests and to widen the Islamic State. May God bless him !

dark roads of the city at night, he suspected voices beyond a wall of a house. Then he climbed that wall and got into the house. Then he was inside it, he found a man and a woman drinking wine. "O, bad sinners, you hide yourselves for fear of the people and you ignored that God had seen you" Umar said.

"If we had done one sin, you have done three. First you spied and God forbade spying. Second, you came in our house by its back and God forbade that and said that houses should be entered by the doors and not by the backs as you had done. Third, you did not give us peace when you came in." Replied the man.

"Would you forgive me, may God forgive us all", said the Caliph.

If we look at his plans and strategy of war we shall see that he was a great general as well as he was a statesman. Let's have a look at his orders to the commander of the army sent to Persia. He wrote to Saad Ebn Abi Wakas :

"Be kind towards the Muslims when they march. Evade hardships and obstacles until they come in contact with the enemy who is residing comfortably and having much arms and provision. Give all men a rest of 24 hours every weekk to put off their arms and the other articles they have. So they may regain their strength after that rest. When you are in the enemy land, send your men everywhere so that you can have the fresh news about his movements. set up castles to protect your men and to be as posts of observance".

On the part of justice, he appointed judges whom he trusted in all Islamic regions for the first time. Not only did he give orders about their job, but also he put the rules to be followed in all cases.

when he gave orders, he and his family were the first to obey them to give the people the best example of the ruler.

Although he was just, powerful and learned, he was simple in his dress. This simplicity was clear when Hormozan the major of the persians in Syria met him in Damascus and he did not recognize him among his men who were simplydressed like him. He did not care of appearances and considered them wordly falsehood. He was perfectly pious and always reciting the Holy Quran.

He hated seeing anyone whatever his rank or society position overcame or yielded the people to humility or frightfulness. He then would punish him and dismiss him

a Coptic Egyptian complained Amr's son to the Caliph. Umar brought them before him and after he had investigated the matter, he punished the two (Amr and his son) and gave the Egyptian his rights.

He used to go through the streets to know the state of the people and to decide any case he saw.

It was related that while Umar was crossing a city square, he saw a tent and a man was sitting beside it. As he approached the tent he saluted him and asked him from where he had come and what for. The man said that he came from the desort wishing the Caliphs help. While they were speaking Umar heard a groan in the tent. Then he asked the man about it. The man replied that his wife was a gravid and she was about to born a baby.

When the Caliph heard that, he got up and went home. He told his wife Om Kolthoum to prepare what necessary in such cases and to bring a pot, fat and food. When they reached the tent, the Caliph's wife went to the gravid woman and helped her until she born her baby. Then Umar's wife called out, O'Caliph tell your friend that his wife had born a boy. When the Arab man knew that Umar and his wife assisted him and his wife, he became frightened but the Caliph calmed him and told him to come to his residence the next day and ordered him a good help.

This is a superb example of Omar's mercy and kindness towards the people. It shows us the superiority of his characters and manners.

Certainly he was a great man, unequalled to any ruler of his times or afterwards. He was kind and merciful towards the needy, the weak, the sick, the children and the women. He was simple with no pride but his personality was striking.

Umar intended to visit the different regions of the country to see by himself the status of their peoples and how they were ruled by his agents. His wish was to stay two months during which he could inspect and investigate the affairs of the officials. Also he gave great interest in tax collection and in the behaviour of the collectors and their superiors. Owing to the importance of this group of officials he had the habit to know the wealth ofeveryone of them before his appointment and after he left the work. If there would be an increase in it he would confiscate it and add it to the state finance for the welfare of the people unless the official proved the legal source of his income.

It is said that the Caliph Umar while proking his way through the

Omar had the favour to prevent a conflict that was about to rise between the two groups of Medina, the Ansar and the immigrants about the Caliphate after prophets death. Not only did he save the Moslems from a certain clash, but also his graciousness made them agree to elect Abu Bakr a Caliph. Abu Bakr estemated highly Umar's ability, wit and wide knowledge of Islawic legislation and religion, so he appointed him a judge. In his last few days of life, he advised the wise and the common people to elect Umar, his succesor and name him a Caliph.

When Umar became Caliph he marched the armies westward and eastward. In his days these armies conquered persia, Syria, Palestine Egypt and Barka (Libya). These parts became Islamic regions. Thus the Arab world extended widely and Islam spread rapidly among their peoples.

Umar was superior in statescraft and he was the first ruler who set up the state political system and organized its administrations. His efforts to let the nomad tribes settled and be an agricultural groups were obvious. He also tried hard to combine a united nation. This new nation replaced the Persian and the Roman empires. It had a great wealth. This wealth was common and should be justly distributed among the peoples. After he had studied the financial system of persia, he founded a tax collection administration. He also regulated the income and the expenditive of the new state. Equality and justice prevailed.

Another outstanding work of his, is the establishment of the army administration where the names of the soldiers and their salaries were registered.

He memorized the prophet's migration by using its date in the state affairs and called it the Hijra year. This migration was a great event and a desicive factor in the Islamic history and resulted the spread and extention of the Islamic Mission.

As the country widened, he divided it into administrative regions to be essily ruled and to control its various financial sources. In every region he appointed a vice Caliph to be responsible before him. The vice-Caliphs were held the legislative and the political authorities.

During the feast of pilgrimage he used to held regular meetings with the groups of the different regions and asked them how his vice was ruling them and if they had any complaint against him. If there was any complaint he did not hesitate to punish him and any other man as he did with his vice Amr Ebn El As and his son when

hurried to his sister's hosue where there was with the couple a man named Khabab Ebn El Arat who was reading new verses of the Quran. When Umar approached the house he heard the reading and opened the door. The reader escaped and hid himself somewhere. Umar asked his sister what was that he had heard.

"You heard nothing" she said.
"I heard the reading and I insist on knowing it". Umar said harshly.

As his sister was determing not to let him know anything about the matter and there was no use of the discussion, he became frenzy and kicked his sister's husband. The wife hastened to defend him, Umar slapped her in anger.

As soon as Umar saw the blood shed on his sister's cheeks, he blamed himself and repented his husty. Then he apologised her and begged her pardon. The sister accepted his apology and told him that if he wished to sea the written page he would have to bathe to be pure. When he did so, she gave him the page. After he had read it he said admiringly. "I have never read or heard such verses, they are not written by a human being, they are Godly done. These words are highly esteemed".

The man who was hiding came back when he heard what Umar had said. Umar urged him to tell him where he could find the prophet. The man told him where the place was. Umar set off to the house where the prophet was in a company of his followers. Umar knocked at the door. One of the company looked through a hole in the door and told the prophet that the comer was Umar with his sword. The prophet permitted him to enter and stood up and met him in the centre of the room. The prophet hold Umar tightly by his gown and asked him about the reason of his coming.

I have come to tel you that I want to be a Muslim and I declare that there is no God but Allah and I witness that you are His prophet. Answered Omar.

The prophet said in a loud voice, Allah Akbar. O'the Almighty God. Then everyone know that Umar became a Moslem. Umar was the first man who migrated plainly whereas all who preceded him did that secretly. He went to the Kaaba with his sword, bow and arrows. He prayed and roamed around the holy house and went out to the yard where there a group of men. He said loudly "I am going to Medina and he who has any objection to this migration has to follow me beyond this place".He waited a little and started his journey. No one dared to follow him. This action done by Umar incouraged all Moslems apecialy the weak to migrate and pray plainly.

PERSONAGES OF ISLAM :

2.—UMAR IBN EL KHATTAB

By

A. MOHAMMAD AL-ASWAR

Umar Ebn El Khattab is one of the great men of Islam whose superiority of characters and strictness had the great effect on the extension of the Islamic call in the neighbouring lands of Arabia. He was a Qureishean nobleman. His family was relative to that of the prophet Muhammad. He was born in Mecca 30 years before the Muhammedan mission.

He was known from his youth, by courage, eloquence, truth, frankness and rightness. In his boyhood he was a shephered to his father.

When he gren up he practoced commerce and went to Syria. This practice and his frequentation to a foreign land gave him knowledge and experience that had great effect on his future life.

At the beginning of Muhammad's mission he was a violent opponent to the new religion. He was cruel to all Muslims. He beat his maid servant Lobaina who became a Muslim woman. Abu Bakr bought her and liberated her. He also beat his sister Fatma and her husband who became Muslims. The prophet Mohammad was eager to see Omar a Moslem and prayed God to realize his aim and God answered him. But how Umar became a Muslim ?

It is said that one day Umar took hold of his sword and went to kill Muhammad. On his way he met a certain Noaim Ebn Abdullah who asked him why he was holding his sabre and where he was going to. "I am going to kill Muhammad and get rid of him because he humbled us and insulted our idols by his claim to be a prophet and preached a new religion." Umar replied.

"If the matter is so, you should have to lookafter your family at first". said Noaim.

Umar became furious and shouted angerily to the man. "Whom do you mean by my family ?"

"Your sister Fatima and her husband." said the man Umar

Quran and Hadith, also bears evidence of the fact that the idea of the enforcement of Islam by the sword is entirely foreign to the conception of Islamic warfare. If the wars, during the time of the Holy Prophet or early Caliphate, had been prompted by the desire of propagating Islam by force, this object could easily have been attained by forcing Islam upon prisoners of war who fell into the hands of the Muslims. Yet this the Holy Quran does not allow, expressly laying down that they must set free : "So when you meet the disblievers in battle, smite the necks until when you have overcome them, make them prisoners, and afterwards either set them free as a favour or let them ransom themselves, until the war lays down its weapons (47 : 4) It will be seen from this that the taking of prisoners was alowed only so long as war conditions prevailed ; and even the prisoners are taken, they cannot be kept permanently as slaves, but must be set free either as a favour or at the utmost by taking ransom. The Holy Prophet carried this injunction into practice in his lifetime. In the battle of Hunain six thousand prisoners of the Hawazin tribe were taken and they were all set free simply as an act of favour. A hundred families of Bani Mustaliq were taken as prisoners in the battle of Muraisi', and they were also set free without any ransom being paid. Seventy Prisoners were taken in the battle of Badr, and it was only in this case that ransom was exacted, but the prisoners were granted their freedom while war with the Quraish was yet in progress. The form of ransom adopted in the case of some of these prisoners was that they should be entrusted with some work connected with teaching. When war ceased and peace was established all war-prisoners would have to be set free, according to the verse quoted above.

This verse also abolishes slavery for ever. Slavery was generally brought about through raids by stronger tribes upon weaker ones. Islam did not allow raids or the making of prisoners by mans of raids. Prisoners could only be taken after a regular battle, and even then could not be retained for ever. It was obligatory to set them free, either as a favour or after taking ransom. This state of things could last only so long as war conditions exist. When war was over, no prisoners could be taken.

(to be continued)

wars) "(Bu 56 : 147, 148). Hadith relating to this prohibition are repeated very often in all collections of Hadith. Now if the wars of Islam had been undertaken with the object of forcing Islam upon a people, why should women and children have been exepted ? It would rather have been the easier task to win them over to Islam, by holding the sword over their heads because women and children naturally have not the power to resist, like men who can fight. The fact that there is an express direction against killing three-fourths of the population, as women and children must be in every community, shows that the propagation of religion was far from being the object of these wars. In some hadith, the word 'asif is added to women and children, showing that there was also a prohibition against killing people who were taken along with the army as "labour units". There is yet another hadith prohibiting the killing of shaikh fany (very old man) who is unable to fight. Monks were also not to be molested. It was only in a night attack that the Holy Porphet excused the chance killing of a woman or a child, saying, "They are among them" ; what he meant was that it was a thing which could not be avoided, for at night children and women could not be distinguished from the soldiers.

The above examples may be supplemented by some others taken from Sayyid Amir 'ali's Spirit of Islam. The following instructions were given to the troops dispatched against the Byzantines by the Holy Prophet : "In avenging the injuries inflicted upon us, molest not the harmless immates of domestic seclusion ; spare the weakness of the female sex ; injure not the infant at the breast, or those who are ill in bed. Abstain from demolishing the dwellings of the unresisting inhabitants ; destroy not the means of their subsistence, nor their fruit trees ; touch no the palm" Abu Bakr gave the following instructions to the commander of an army in the Syrian battle :" When you meet your enemies quit yourselves like men, and do not turn your backs ; and if you gain the victory, kill not the little children, nor the old people, nor women. Destry no palm trees, nor burn any fields of corn. Cut down no fruit trees, nor do any mischief to cattle, only such as you kill for the necessity of subsistence. When you make any convenant or arcticle, stand to it, and be as good as your word. As you go on, you will find some religious persons that live retired in monastries, who propose to themselves to serve God that way. Let them alone, and neither kill nor destry their monasteries".

The treatment of prisoners of war, as laid down in the Holy

The only question that remains is whether the Muslim soldiers invited their enemies to accept Islam ; and whether it was an offence if they did so ? Islam was a missionary religion from its very inception, and every Muslim deemed it his birth right to invite other people to embrace Islam. The envoys of Islam, whereever they went, looked upon it as their first duty to spread the message of Islam, because they felt that Islam imparted a new life and vigour to humanity, and offered a real solution of the problems of every nation. Islam was offered, no doubt, even to the fighting enemy, but it is a distortion of facts to say that it was offered at the point of the sword, when there is not a single instance on record of Islam being enforced upon a prisoner of war ; nor of Muslims sending a message to a peaceful neighbouring state to the effect that it would be invaded if it did not embrace Islam. All that is recorded is, that in the midst of war and after defeat had been inflicted on the enemy in several battles, when there were negotiations for peace, the Muslims in their zeal for the faith related their own experience before the enemy chiefs. They stated how they themselves had been deadly foes to Islam and how, ultimately, they were undeceived and found Islam to be a blessing and a power that had raised the Arab race from the depths of degradation to great moral and spiritual heights, and had welded their warring elements into a solid nation. In such words did the Muslim envoys invite the Persians and the Romans to Islam, not before the declaration of war, but at the time of the negotiations for peace. If the enemy then accepted Islam, there would be no conditions for peace, and the two nations would live as equals and brethren. It was not offering Islam at the point of the sword, but offering it as a harbinger of peace, of equality and of brotherhood. Not once in the wars of the early Caliphate did the Muslims send a message to a peaceful neighbour that if it did not accept Islam, the Muslim forces would carry fire and sword into its territory. Wars they had to wage, but these wars were due to reasons other than zeal for the propagation of Islam. And they could not do a thing which their Master never did, and which their only guide in life, the Holy Quran, never taught them.

The directions given to his soldiers by the Holy Prophet, also show that his wars were not due to any desire to enforce religion. "'Abd-Allah ibn 'Umar reports that in a certain battle fought by the Holy Prophet, a woman was discovered among the slain. On this, the Holy Prophet forbade the killing of women and children (in

has no property, but earns more than is necessary to maintain himself. The Muslim was, apparently, more heavily taxed, for he had to pay at the rate of 2½ per cent., of his savings, and in addition, to perform military service. The jizya was levied in a very sympathetic spirit, as the following anecdote will show. The Caliph 'Umar once saw a blind Dhimmi (non-Muslim) begging, and finding on enquiry that he had to pay jizya, he not only exempted him but, in addition, ordered that he be paid a stipend from the state -treasury, issuing further orders at the same time that all Dhimmis in similar circumstances should be paid stipends.

Another myth concerning the early Caliphate wars may be removed in connection with the discussion of jizya. It is generally thought that the Muslims were out to impose their religion at the point of the sword, and that the Muslim hosts were over-running all lands with the message of Islam, jizya or the sword. This is, of course, quite a destorted picture of what really happened. If the Muslims had really been abroad with this message, and in this spirit, how was it possible for non-Muslims to fight in their ranks. The fact there were people who never became Muslims at all, nor ever paid jizya, and yet were living in the midst of the Muslims, even fighting their battles, explodes the whole theory of the Muslims offering Islam or jizya or the sword. The truth of the matter is that the Muslims finding the Roman Empire and Persia bent upon the dubjugation of Arabia and the extirpation of Islam, refused to accept terms of peace without a safeguard against a repitition of aggression; and this safeguard was demanded in the form of jizya or a tribute, which would be an admission of defeat on their part. No war was ever started by the Muslims by sending this message to a peaceful neighbour; history belies such an assertion. But when a war was undertaken on account of the enemy's aggression — his advance on Muslims territory or help rendered to the enemies of the Muslims state — it was only natural that the Muslims did not terminate the war before bringing it to a successful issue. They were willing to avoid further bloodshed after inflicting a defeat on the enemy, only if he admitted defeat and agreed to pay a tribute, which was only a token tribute as compared with the crushing war indemnities of the present day. The offer to terminate hostilities of payment of jizya was thus an act of mercy towards a vanquished foe. But if the payment of a token tribut was unacceptable to the vanquished power, the Muslims could do nothing but have recourse to the sword, until the enemy was completely subdued.

offering to pay zakat, which was a heavier burden, instead of the jizya. "The liberality of 'Omar" says Muir in his Caliphate, "allowed the concession ; and the Beni Taghlib enjoyed the singular privilege of being assessed as Christians at a 'double Tithe', instead of paying the obnoxious badge of subjuation". Military service was also accepted, in place of jizya, in the time of 'Umar, from Jurjan. Shahbaraz, an Armenian chief, also concluded peace with the Muslims on the same terms.

The manner too, in which the jizya was lenied shows that it was a tax for exemption from military service. The following classes were exempt from jizya : all females, males who had not attained majority, old people, people whom disease had crippled (zamin), the paralyzed, the blind, the poor (faqir) who could not work for themselves (ghair .mu'tamil). the slaves, slaves who were working for their freedom, mudbirs, and the monks. And besides this, "in the first century... many persons were entirely exempt from taxation, though we do not know why "(En. Is.). It has already been shown that certain non-Muslim tribes that had agreed to do military service, were also exempted from jizya, and these two facts — the exemption of non-Muslims unfit for military service and of the able-bodied who agreed to military service — taken together lead to but one conclusion, namely that the jizya was a tax paid by such Dhimmis as could fight, for exemption from military service.

A study of the items of the expenditure of jizya leads to the same conclusion, for the jizya was spent for strengthening of the frontiers or obstructing the frontier approaches (saddal-thagur), for the building of bridges, payment to judges and gevernors and the maintenance of the fighting forces and their children.

In spite of exemptions on so vast scale, the rate of jizya was very low, being orginally one dinar per head for a whole year. Later on, the rate was raised in the case of rich people, who had to pay four dinars or forty-eight dirhams anually, or four dirhams monthly, next came those who paid two dinars annually, or two dirhams per month ; : the lowest rate being one dinar, at which all were originally assessed. This is according to Hanafi law, while Shafi'i retrained the original rate of one dinar per head in all cases (H.). The three grades are defined thus : (1) the rich man (al-sahir al-ghina, or he whose wealth is manifest who owns abundant property, so that he needs not work for his livelihood ; (2) the middle class man who owns property, but in addition thereto needs to earn money to make a living ; and (3) the poor man who

enjoying complete protection and the benefits of a settled rule they had to pay a very mild tax, the jizya.

It may, however, be said that the Muslim state made a discrimination between the Muslim and the non-Muslim, and that it was this feture of jizya which gave it a religious colouring. A discrimination was indeed made, but it was not in favour of the Muslim but in that of the non-Muslim. The Muslim had to do compulsory military service and to fight the battles of the state, not only at home but also in foreign countries, and in addition had to pay a tax heavier that which the non-Muslim was required to pay, as I will presently show. The non-Muslim was entirely exempt from military service on account of the jizya he paid, and half a guinea or a dinar a year is certainly cheap for exemption from military service. So the Muslim had to pay zakat, a far heavier tax than jizya, and do military service, while the non-Muslim had only to pay a small tax for the privelege of enjoying all the benefits of a settled rule.

The very name ahl al-dhimma (lit., people under protection) given to the non-Muslim subjects of a Muslim state, or to a non-Muslim state under the protection of Muslim rule, shows that the jizya was paid as a compensation for the protection afforded; in other words it was a contribution of the non-Muslims towards the military organisation of the Muslim state. There does not exist a state to-day that does not stand in need of putting a similar burden on its subjects for its military expenses. There are cases on record in which the Muslim state returned the jizya, when it was unable to afford protection to the people under its care. Thus, when the Muslim forces under Abu 'Ubaida were engaged in a struggle with the Roman Empire, they were compelled to beat a retreat at Hims, which they had previously conquered. When the decision was taken to evacuate Hims, Abu 'Ubaida sent for the chiefs of the place and returned to them the whole amount which he had realized as jizya, saying that as the Muslims could no longer protect them, they were not entitled to the jizya.

It further appears that exemption from military service was granted to such non-Muslims as wanted it, for where a non Muslim people offered to fight the battles of the country, they were exempted from jizya. The Bani Taghlib and the people of Najran, both Christians, did not pay the jizya (En. Is.), Indeed the Bani Taghlib fought alongside the Muslim forces in the battle of Buwaib in 13 A.H. Later on in the year 17 A.H., they wrote to the Claiph 'Umar

JIHAD - ITS MEANING AND SIGNIFICANCE - IV

By

MAULANA MUHAMMAD ALI

European writers on Islam have generally assumed that, while the Holy Quran offered only one of the two alternatives, Islam or death, to other non-Muslims, the Jews and the Christians were given a somewhat better position, since they could save their lives by the payment of jizya. This conception of jizya, as a kind of religious tax whose payment entitled certain non-Muslims to security of life under the Muslim rule, is as entirely opposed to the fundamental teachings of Islam as is the myth that the Muslims were required to carry on an aggressive war against all non-Muslims till they accepted Islam. Tributes and taxes were levied before Islam, and are levied to this day, by Muslim as well as non-Muslims states, yet they have nothing to do with the religion of the people affected. The Muslim state was as much in need of finance to maintain itself as any other state on the face of this earth, and it resorted to exactly the same methods as those employed by other states. All that happened in the time of the Holy Prophet was, that certain small non-Muslim states were, when subjugated, given the right to administer their own affairs, but only if they would pay a small sum by way of tribute towards the maintenance of the central government at Madina. It was an act of great magnanimity on the part of the Holy Prophet to confer complete autonomy on a people after conquering them, and a paltry sum of tribute (jizya) in such conditions was not a hardship but a boon. There was no military occupation of their territories, no interference at all with their administration, their laws, their customs and usages, or their religion ; and, for the tribute paid, the Muslim state undertook the responsibility of protecting these small states against all enemies. Were the civilized powers of to-day to follow the example of the Founder of Islam, more than half the nations of the world would be freed from the burden of a foreign yoke. In the later conquests of Islam, while it became necessary for the Muslims to establish their own administration in the conquerred territories, there was still as little interference with the usages and religion of the conquered people as was possible, and for

off from their kith and kin. The Hijra was a voluntary exile. If a community suffers voluntary exile on account of persecution and oppression, and some of its weaker brethern stay behind, holding fast to faith but not prepared for the higher sacrifice, the exiles have still a duty to help their weaker brethern. The exiles, being at open war against those who oppressed them, would be free to fight against such oppressors.

After his entry to the Medina the first step the Prophet took, was to build a mosque for the worship, and to educate the people. Also some houses for the accommodation of the emigrants were soon erected. When the Prophet and his Companions settled at 'Yathrib', this city became known as 'Medina Munawwara' — the illusminated city — or in short, Medina — the city. It was then ruled by two Arab tribes namely 'Aws' and 'Khazraj'. These two tribes were constantly quarrelling among themselves. After the Hijra, the tribes, forgetting entirely their old fueds, were united together in the bond of Islamic fraternity. Their old divisions vere soon effaced, and the 'Ansar' (the helpers) became the common title of all the Medinites. The Prophet, in order to unite both the Muhajireen and Ansar in closer bonds, established between them a 'brotherhood' which liked them together as children of the same parents, and admitted them into the univeral brotherhood of Islam.

The Hijra was a part of the Movement in itself. At all stages of the migrations — the early migration to Abyssinia, then to Medina, before the Prophet himself left his home in Makka, and went to Medina, and the migration of those who followed him — the approval or the advice of the Prophet was always obtained, either specifically or generally. The Hijra is entitled to the highest honour, in this world and Hereafter, when it fulfills the two conditions : (1) it must be in the Cause of God, and (2) after such an oppression as forces the sufferer to chose between God and man, and good and evil.

The following veres refers to the necessary conditions of a meritorious and honourable Hijra :

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوانهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون . (النحل ٤١) .

It means : "And those who became fugitives for the cause of Allah after they had been oppressed, We verily shall give them goodly lodging in the world, and surely the reward of the Hereafter is greater, if they but knew." (16 : 41).

It means : "Lo ! as for those whom the angels take (in death) while they wrong themselves, (the angels) will ask : In what way were ye engaged ? They will say : We were oppressed in the land. (The angels) will say : Was not Allah's earth spacious that ye could have migrated therein ? As for such, their habitation will be hell, and evil journey's end ; Except the feeble among men, and the women, and the children, who are unable to devise a plan and are not shown a way. As for such, it may be that Allah will pardon them. Allah is ever Clement, Forgiving. Whoso migrateth for the cause of Allah will find much refuge and abundance in earth, and whoso forsaketh his home, a fugitive unto Allah and His messenger, and death overtaketh him, his reward is then incumbent on Allah. Allah is ever Forgiving, Merciful". (IV : 97-100).

It is obvious that the duty of Muslims was to leave such places, even if it involved forsaking their homes, and join and strengthen the Muslim community among whom they could live in peace, and with whom they could help in fighting the evils around them. The above verses clearly indicate that they must organise a position includes not only local position, but moral and material position, and God's earth is spacious enough for this purpose.

Another significance of the Hijra was that it led to the formation of the nucleus of the new community at 'Medina'. The Holy Quran says :

والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهمورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم . (التوبة ١٠٠) .

It means : "And the first to lead the way, of the Muhajireen and the Ansar, and those who followed them in goodness — Allah is well pleased with them and they are well pleased with Him, and He hath made ready for them Gardens under-neath which rivers flow, wherein they will abide forever. That is the supreme triumph." (9 : 100).

This verse mentioned all who took part in the foundation of the Pivot of the first Muslim Community — the Muhajireen (those who migrated to Medina), the Ansar (the helpers, the citizens of Medina who invited them, welcomed them, and gave them aid) and then those who followed them in good deeds.

Under the magnetic personality of the Prophet the 'Muhajireen' and the 'Ansar' (the emigrants and the helpers) became like blood-brothers, and they were so treated in matters of inhabitance during the period when they were cut

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Muharram 1395	ENGLISH SECTION	FEBRUARY 1975

HIJRA - THE MIGRATION OF THE VANGUARD OF ISLAM

By

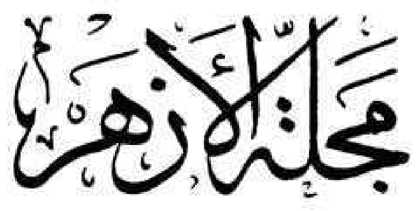
DR. MOHIADDIN ALWAYE

Islam requires a constant, unceasing struggle against evil. For such struggle it may be necessary to forsake home and unite and organise and join their brethern in an effort to overthrow the fortress of evil. The duty of the Muslim is not only to enjoin good but to prohibit evil. According to the teachings of the Holy Quran the Muslims must shun evil company where they cannot put it down, but organise a position from which they can put it down.

The Vanguard of Islam — those in the first rank — are those who dare and suffer for the Cause, and never give up. The first historical examples are the 'Muhajireen' (Those who forsook their homes in 'Makka' and migrated to 'Madina'). The Prophet Muhammad, (peace be upon him) was the last to leave the post of danger. The Islamic calander dates from the Hijra of the Prophet, which accomplished in the thirteenth year of his mission (622 A.D.).

In fact the Hijra was not a flight nor an act of weakness. Referring to this wider meaning of Hijra the Holy Quran says :

ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما (النساء ٩٧ ـ ١٠٠)



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
ادارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثاني — السنة السابعة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٥ هـ — مارس سنة ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يسار ولا يمين

للأستاذ عبد الرحيم فودة

كانت كلمة اليسار - كما قيل - تطلق على المعارضين للحكومة في فرنسا ، وكلمة اليمين تطلق على المؤيدين لها من النواب وممثلي الشعب ، ثم اتسع استعمالها وانتقل من هذين المعنيين ، فأصبح مفهوم اليسار يصدق على المؤيدين للشيوعية ومفهوم اليمين يصدق على المؤيدين للرأسمالية ، وبين هذين المذهبين مذاهب تختلف في قربها من أحدهما وبعدها عن الآخر وتختلف أسماؤها باختلاف نظمها ومناهجها ومقاصدها .

فما موقف مصر والأمة العربية والعالم الاسلامي من هذه المذاهب وتلك الاتجاهات ؟ انه لا جواب على هذا السؤال عند من يدينون بالاسلام ، ويؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، الا القول الفصل الذي نطالعه في القرآن الكريم حيث يقول الله فيه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ، وحيث يقول جل شأنه : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون

لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

ومعنى الضلال يصدق على الهلاك والضياع والبعد عن طريق الحق والخير كما يفهم من قوله تعالى : « وقالوا أاذا ضللنا فى الأرض أانا لفى خلق جديد » وقوله : « ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » فالانحراف عن الوسط الى اليسار أو اليمين بمفهوميهما الجديدين ضلال بين ، وضياع مهلك وبعد عن صراط الله المستقيم . وجريمة فى حق هذه الأمة التى كرمها الله بالاسلام ، وشرفها بالدعوة اليه والجهاد فى سبيله . وأحلها منزلة وسطا بين غيرها من الأمم ، لتكون كالفضيلة وسطا بين رذيلتين ، بل لتكون كما يقول الله فيها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وكما يقول تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

واذا كان بعض العلماء والكتاب قد كتب أو تحدث عن اشتراكية الاسلام أو الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام . فيجب أن يفهم من ذلك أن الغرض منه كان جذب المنحرفين المخدوعين ببريق الأسماء العصرية الى النظر فيما اشتمل عليه هذا الدين القيم من تشريع أسلم ، يهدى للتى هى أقوم ، ويكفل للناس الحياة الطيبة ، والكرامة الانسانية والمصلحة العامة ، ويحقق بينهم التعاون على البر والتقوى ، ليعتصموا به ، ويحرصوا عليه . ولا ينخدعوا بما يجلب اليهم من الشرق أو الغرب ، كما يقول الله لهم : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وكما يقول لرسوله اليهم : « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خط بيده خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط عن يمين هذا الخط وعن شماله عدة خطوط وقال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه

شيطان يدعو اليه . وقرأ عليه السلام الآية الكريمة : « وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه » .. الخ وذلك يفهم منه أن كل طـريق غير الطريق الذى شرعه الله وأمر المؤمنين باتباعه والسير فيه يفضى الى الشر والضلال ، ويدعو اليه الشيطان وهو كما يقول الله فيه : « ان الشـيطان لـكم عدو فاتخـذوه عدوا انمـا يدعو حـزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . نقـول هذا لننبه الأذهان الى الظاهرة التى بدأت تظهر فيما يكتب وينشر فى بعض الصحف والمجـلات من دعوات الى اليسـار أو اليمين دون مبـالاة بالدسـتور الذى ينص على أن دين الدولة الاسلام وأن الشريعة الاسلامية مصـدر القوانين ، ودون مبــالاة ـ حـتى بالمنطــق الديمقـراطى ـ الذى يقضى باحترام رأى الأكثرية . والخضوع لحكمهـا والاذعان لارادتها ومشيئتها ..

فليعرف المسـلمون واجبهـم تجاه هؤلاء المنحرفين الى اليسـار أو اليمين وليذكروا قـول ربهـم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وقوله لرسـوله صـلى الله عليـه وسـلم : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمـان ولكن جعلناه نورا نهـدى به من نشاء من عبـادنا وانك لتهـدى الى صراط مستقيم » .

وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحيم فودة

حرمة الدماء فى الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها .. » الآية ٩٣ من سورة النساء
« وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله .. » الآية ٩٢من سورة النساء .

البيان

لم يكن للدماء قبل الاسلام حرمة ، كالتى حظيت بها بعد الاسلام ، فكم من قبيلة أبادتها قبيلة ،وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكم من برىء قتل جهرة أو غيلة .

وربما كان ذلك من أجل شاة رعت حول الحمى ، أو مستجير فر من عقوبة يستحقها ، أو غير ذلك من الأسباب الحقيقية أو الموهومة .

فلما شرف الله البشرية بالاسلام ، حقن دماء المسلم الا بحق ، وحقن دماء الكافر ، ما لم يكن منه عدوان .

جريمة القتل العمد فى الاسلام

لا تجد دينا سماويا حرم سفك الدماء عمدا وظلما مثل الاسلام ، فقد حرم تلك الجريمة فى صراحة وحزم ، وتوعد عليها بأشد العقوبات ، وأوجب فيها القصاص الرادع ، فاستمع الى القرآن الكريم اذ يقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

فهل تجد عقوبة أشد من الخلود فى النار ، مع غضب الله ولعنه ، واعداد عذاب يصفه الآله الجبار بأنه عظيم ، وذلك اذا لم يقتص منه ، فان علم القاتل وثبتت عليه جريمة القتل ، وجب القصاص منه ، وفاء بحق القتيل ،

وتنفيذا لقوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » وقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » .

فان اقتص منه عفا الله عنه فى الآخرة ، ورأى آخرون أنه مع القصاص يعاقب يوم القيامة ، لأن النص المتضمن للقصاص ، لم يشتمل على رفع العذاب الأخروى عنه ، ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء ، هل الحدود جوابر للذنب وسبب لغفرانه ، أو زواجر لمن يفكر فى القتل ، فالأولون قالوا : انها جوابر وزواجر معا ، والآخرون قالوا : انها زواجر وليست جوابر للجريمة يوم القيامة .

حدثنى بربك : هل تجد نصا أبرع وأروع وأسمى هدفا من قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » انه كما يوجب القصاص فى القتل يجعله سببا لحياة المجتمع كله ، بحكم عموم الخطاب ، فكأنه يقول : ولكم أيها الناس جميعا فى القصاص حياة لكم .

ألست معى أيها القارىء الكريم فى أنه لو نفذ القصاص فى القاتل عمدا ، ولم ينقذه من مصيره هذا صاحب نفوذ ، أو محام مسترزق لا يرعى حرمة للدماء ، لقلت حوادث القتل ، ولأفلست حياة الجريمة ؟

ألست معى فى أن هذا النص الفائق ، تضمن دستورا للحياة السليمة المستقيمة فى أبلغ وأقصر عبارة ، ولا عجب فهو من القرآن العظيم الذى قال الله فيه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

رأى ابن عباس فى القتل العمد

كان الامام ابن عباس — رضى الله عنهما — يرى أن القاتل المتعمد ، لو تاب لا تقبل توبته ، فقد كان يقول : وأنى له توبة ، سمعت نبيكم يقول : « يجىء المقتول متعلقا بالقاتل ، تشخب أوداجه — أى تسيل عروق عنقه دما — فيقول : أى رب : سل هذا فيم قتلنى ؟ » ثم قال ابن عباس : لقد نزلت وما نسخها شىء — يعنى قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » الآية ، وكان يرى أن آية (الفرقان) « الا من تاب » نزلت فى توبة المشركين ، فانها مكية ، وان آية النساء مدنية متأخرة عنها ، ولم ينسخها شىء .

لكن جمهور العلماء سلفا وخلفا ، يرون أن له توبة ان صـلح حـاله واستقام ، لقـوله تعـالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفـر ما دون ذلك لمن يشاء » وقوله سبحانه : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » وفى هذا الرأى فتـح لبـاب الخـير والأمل لمن يقلع بصـدق عن اجرامه وذنوبه .

القتل الخطأ فى الاسلام

ثم استمع الى القـرآن العظيـم اذ يقول : « وما كانلمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » أى وما صح ولا استقام أن يقتـل المـؤمن أخـاه المؤمن الا أن يكون ذلك القتل خطأ ، فلا ذنب عليه فى قتله ، لأنه حدث بغير قصده تنفيذا لقدر الله الذى كتب عليه ذلك ، فقد كتب الموت على كل حى ، وقـدر له سبب موته ، ومثال القتـل الخطأ أن يطلق بندقيته نحو طائر ،فتصيب مقتلا من آخر لم يكن يراه حين أطلقهـا ، أو ينظف بندقيـة نسى أن يؤمنهـا ، فخرجت منها رصاصة أصابت عزيزا لديه ، وكان هـذا وذاك بغير قصـد القتل ، وفى العفو عن مثل ذلك يقول الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطـأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ومع كون الخطأ لا جريمة فيه ولا ذنب لعدم العمد ، لم يعف صاحبه من الدية والجزاء ، تعويضا لأهل القتيل الذين حرمهم منه ، واعظـاما لحرمة الدماء ، قال تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا » .

قتل غير المؤمن

وليست حرمة الدماء فى الاسلام ، قاصرة على قتل المؤمن ، بل تتعداه الى قتل الكافر من أهل الكتاب والمشركين الذين بيننا وبينهم عهد ، قال تعـالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » وقال صلى الله عليه وسلم فى حق أهل الكتاب المسالمين : « لهم مالنا وعليهم ما علينا » وقال فى شأن أهل العهد من المشركين : « من قتل نفسا معاهدا ، لم يرح ريح الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » .

والمعاهد هو المشرك الذى دخل دار الاسـلام بأمان ، فيحرم على المسلمين قتله ، وعليهم أن يرجعوه الى مأمنه ، قال تعـالى : « وان أحد من المشركين

استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » وهذا أقصى ما يطلب فى المحافظة على العهد مع مشرك .

وبلغ من حرمة الدماء جميعا فى الاسلام ،أن الله تعالى جعل قتل الفرد الواحد ظلما قتلا للناس جميعا ، وجعل المحافظة على حياته ابقاء للناس جميعا ، قال تعالى : « ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

وذلك لأن فى قتل النفس الواحدة اعتداء على البشرية كلها ، وحفزا لمن طبيعتهم الاجرام ، على الاستهانة بالدماء والاجتراء على نشر القتل والفساد بين الخلائق ، وقد ورد فى السنة أن الله تعالى قضى على ابن آدم (قابيل) الذى قتل أخاه (هابيل) بأن يتحمل نصيبا من اثم كل قتل يحدث فى البشرية الى أن تقوم الساعة ، لأنه أول من سن القتل ، وجاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

وبلغ من عظم شأن الدماء أنها أول ما يقضى فيه من قضايا العباد ، قال صلى الله عليه وسلم : « أول مايحاسب به العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء » رواه الخمسة .

تحريم الانتحار

ومن رحمة الشريعة الاسلامية ، أنها منعت الانسان من الانتحار ، مع أن نفسه ملكه ، ففى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ (١) بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » رواه الأربعة .

وروى الامام مسلم فى كتاب (الايمان) عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى ، أتى النبى صلى الله عليه

---

(١) اى يطعن بها فى بطنه .

وسلم فقال : يارسـول الله : هل لك فى حصن حصين ومنعة ، فأبى النبى صلى الله عليه وسلم ، للذى ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، هاجر اليها الطفيـل بن عمـــرو ورجل من قومه ، فمـرض الرجل فقطع براجمـه بمشـاقص (١) فشخبت يداه حتى مات ، فرآه الطفيل فى منامه بهيئة حسنة ، مغطيـا يديه ، فقال : ما صنع ربك بك ؟ قال غفر لى بهجرتى الى نبيه ، فقـال : ما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال : قيل لى لن نصلح منك ما أفسدت ، فقصها الطفيـل على النبى صلى الله عليه وسـلم ، فقـال : اللهم وليديه فاغفر ، (٢) .

وروى الشـيخان عن أبى هريرة قال : (شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل ممن يدعى الاسلام : هذا من أهل النـار ، فلمـا حضر القتال ، قاتل ذلك الرجل قتالا شـديدا ، فأصـابه جراح ، فقيـل : يارسول الله : الذى قلت آنفا من أهل النار ، قد قاتل قتالا شديدا وقد مات ، فقال صلى الله عليه وسلم : الى النار ، فكاد بعض الناس أن يرتاب ، فبينمـا هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ، ولكن به جراحة شديدة ، فلمـا كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فأخذ ذباب سيفه ، فتحامل عليه فقتل نفسه ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله أكبر . أشهد أنى عبد الله ورسوله ، ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : أنه لا يدخـل الجنـة الا نفس مسـلمة ، وان الله ليؤيد هـذا الدين بالرجل الفاجر » .

وأخرج الشيخان عن جندب البجلى عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : كان ممـن قبلـكم رجل به جرح ، فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعـالى : بادرنى عبدى بنفسـه ، حرمت عليـه الجنة » .

فانظر كيف حرم الله قتل النفس حتى مات صاحبها .

---

(١) البراجم : مفاصل الأصابع ، والمشاقص : السهام عريضة النصل

(٢) المصدر : جامع الأصول .

القصـــاص

ومبالغـة فى حمـــاية الانسان من القتـل ، أوجب الله القصـــاص من القاتل ، مهماكانت منزلته فى المجتمع، سواء أكان المقتول رفيعا أم وضيعـا ، فكل الناس لآدم ، وآدم من تراب ، وكان النبى صـلى الله عليـه وسـلم يقتص من الرجل للمرأة ، ومن المرأة للرجل ، ومن المتماثلين ، مثال الأول عن أنس : « أن يهـــوديا رض رأس جارية بين حجرين ، فقيـل لها : من فعل بك هـذا ؟ فلان أو فلان ، حتى سـمى اليهودى ، فأومأت برأسـها ، فجىء باليهـودى فاعترف ، فأمر النبى صلى الله عليه وسـلم فرض رأسـه بحجرين » رواه الخمسة .

وتفصيل ذلك أن رجـلا يهوديا ، رأى عـلى جـارية أوضـاحا (١) من الفضـة ، فأوقعهـــا فى حفرة وشدخ رأسها بين حجرين ، فجىء بها للنبى صلى الله عليه وسلم فى حال النزع ، فلما ذكرت لهـا أسـماء المشتبه فيهم وجىء باسم الجانى ، أومأت برأســها أن نعم ، فلمـا جىء به واعترف أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يفعل به مثل ما فعل بالجارية ، حتى قتـــل متأثرا بما فعل به كالذى حدث للجارية تماما .

ومثال النوع الثـانى ، أن أخت الربيـع أم حارثة جرحت انســانا ، فاختصموا الى النبى صلى الله عليـه وسلم ، فقال : «القصاص القصاص»، فقـالت أم الربيع : يا رسـول الله : أتقتص من فـلانة ؟ والله لا يقتص منها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: سبحان الله يا أم الربيع : القصـاص كتبه الله ، قالت والله لا يقتص منها أبدا ، قال : فمـا زالت حتى قبلوا الدية ، فقال النبى صـلى الله عليـه وسـلم : « ان من عباد الله من لو أقســم على الله لأبره » أخرجـه الشيخان .

ومثال الثالث أن ابنة النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتهـا ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص ، أخرجه البخـارى ـ والثنيـة احدى مقدم الأسنان .

---

(١) الأوضاح جمع وضح وهو الحلى من الفضة ، والخلخال .

منع الحدود بالشبهات

ومبالغة فى هذه الحماية شرع النبى صلى الله عليه وسلم قاعدة (ادرأوا الحدود بالشبهات) فلا يقام حد مع وجود شبهة تقتضى النجاة منه ، ولهذا أوجب الشرع الشريف شروطا لاقامته فى جريمة الزنا يكاد يتعذر تحقيقها ، وذلك أن يشهد أربعة شهود عدول بأن جريمة الزنا حدثت أمامهم تماما ، ولا يكاد يتأتى الحصول على هؤلاء جميعا وقت الحادث ، ليدركوه بتفاصيله ، ولو لم يتيسر للمدعى أولئك الشهود أقيم عليه حد القذف ان لم يلاعن ، وحد القذف ثمانون جلدة .

عدول الزانى عن اقراره

معلوم أن الزانى اذا لم يسبق له زواج يجلد مائة جلدة ، وأن الزانى الذى سبق له الزواج يطل دمه ، فيرجم حتى يموت ، وذلك اذا ثبت زناهما بأربعة شهود عدول أو باقرارهما .

فاذا ثبت زناهما باقرارهما فحسب، فلهما العدول عن الاقرار ، فقد يكون للاقرار بواعث لا يعلمها القاضى ، كالاكراه أو الرغبة فى التشنيع وهدم كرامة البيوت ، أو الاكراه ، أو ظن أن المباشرة بدون جماع زنا كما سيأتى . ومن جملة مقاصد الشريعة فى قبول العدول عن الاقرار ، عدم اهدار دم الزانى المحصن بدون استيقان من صحة واقعة الزنا فان فى عدول المقر عن اقراره شبهة فى عدم حصول زناه ، وأنه انما أقر لسبب خفى لا يعلمه القاضى .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يحب أن لا يقر الزانى أمام القاضى ، ليتوب فيما بينه وبين الله تعالى ، ومن ذلك أنه جاء ماعز الأسلمى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى زنيت ، فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء من شقه الآخر ، فكرر اقراره بالزنى ، فأعرض النبى عنه ، ثم جاء من شقه الآخر فاعترف مرة ثالثة بزناه ، فأمر به فى الرابعة فأخرج الى الحرة فرجم بالحجارة ، فلما وجد مس الحجارة فر يشتد ، فلقيه

رجل معه لحي(١) بعير ، فضربه به ، وضربه النـاس حتى مات ، فذكروا ذلك للنبى صـلى الله عليـه وسـلم فقال : « هلا تركتموه » .

فأنت ترى أن النبى صلى الله عليه وسـلم ، كان يعرض عن اسـتماع اقراره ، حتى لا يؤاخـذ به ، ولم يكتف بذلك ، بل انه لام الذين كانوا يرجمونه حينما فر من الرجم ، ولم يتركوه ينجو بنفسه .

ومما روى تكملة لهذا الحادث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمـاعز بعد اقراره بالزنى : (أبك جنون ؟) لعله يعدل عن اقراره ، فقال : (لا) وفى رواية أنه قال له : « لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت » أى لعلك جعلت ذلك زنى فأقررت بالزنى ، يريد الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك التلويح له بالعدول عن اقراره ، ولكنـه أصر على اقراره ، وقال انه متزوج ، فأمر النبى صـلى الله عليه وسلم برجمه .

ولقد اختلفت الصـحابة فى أمر نجاته من عذاب يوم القيامة ، فقـال صلى الله عليه وسلم : « لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتهم » .

وقد حدث مثل هذا الاقرار من امرأة جهنية كانت متزوجة ، وعرض النبى لها لتعدل عن اقرارها ، ولكنها أصرت وقالت زنيت وأنا حبـلى ، فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تذهب حتى تضع حملها ، كيلا تقتل معها نفس بريئة ، فلما وضعت جاءته صلى الله عليه وسلم ليقيم عليها الحد ، فلم يشأ أن يحرم الوليد من لبن أمه ورعايتها أثناء مدة رضاعه ، فأمرها أن ترضعه حتى تفطمه ، ففعلت ، وجاءت به وفى يده كسرة ، فأمر بها فأقيم عليها حد الرجم ، ولو هربت منـه لكان هذا أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كما تقدم فى قصة ماعز الأسلمى ــ فانظر ياأخى القارىء الى عظيم رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته ، وحرصه على ترك المذنب حتى يتوب الى ربه فيما بينـه وبين الله ، مع ما فى ذلك من ستر الأعراض ، وعدم اشاعة الفاحشة بين الناس .

(١) اللحى العظم الذى تنبت تحته اللحية ، وللانسان لحيان ، تنبت فوقهما الأسنان ، وتحتهما اللحية ، وقد شـاع اطـلاق اللحى على العظمين المذكورين ، وان لم ينبت تحتهما لحية ، كما هو الشـأن فى الحيوان ، ومن ذلك لحى البعير المذكور .

وهاك مثـلا آخر يدل على عظيم شـفقته بالخاطئين والخاطئات : أمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يقيم الحد على جارية زنت ، ولم يكن يعلم أنها نفساء ، فلما ذهب على ليقيم عليها الحد علم أنها نفساء ، فأخر اقامة الحد عليها حتى تطهر من نفاسها خشية أن تموت ان جلدها فى نفاسها حيث تكون المرأة ضـعيفة لا تحتمل الجلد ، فلما أخبر النبى صلى الله عليـه وسـلم بذلك استحسنه ، ومعلوم أن حد الرقيق الجلد ولو كان متزوجا .

متى يحل دم المسلم ؟

لا يحل دم امرىء مسلم الا فيما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسـول الله ، الا باحـــدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفيما عدا ذلك فالقتل من السبع الموبقـات التى وردت فى صحاح السنة .

موقف السنة من سفك الدماء

كما بين القرآن الكريم عظم جريمة القتل عمدا ، جاءت السنة الشريفـة تبين فداحتها ، وسوء مصير مرتكبها ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الانسان بنيان الله ، ملعون من هـدمه » وقوله : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمـة ، جاء يوم القيـامة مكتوبا بين عينيه ، آيس من رحمـــة الله » وقوله : « اذا التقى المؤمنان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، فقيل : هذا القـاتل فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه » .

أيها الاخوة المسلمون ، احرصوا على السلام فيما بينكم ، وتجنبوا سفك الدماء بدون حق ، واجعلوا القضـاء فاصـلا فيما شجر بينكم ، واحذروا سوء المصير ان هدمتم الانسان الذى هو بنيان الله ، وقاكم الله شر الفتن ما ظهر منها وما بطن « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

فكرة الشيطان بين الإنكار والإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن سبرة بن أبي فاكهة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه : قعد في طريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ فعصاه وأسلم ، وقعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في طوله فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » . أخرجه النسائي .

يشعر المرء على الدوام بتصارع قوى الخير والشر في نفسه ويعاني من ذلك ؛ سيما اذا زكت نفسه واستنارت بصيرته ورق شعوره وحسه وقد شغل البحث عن هذه القوى فكر الانسان منذ وجد وأحس وأدرك وتشعبت به المسالك للكشف عن أسرار هذه القوى وانتهى به البحث الى نتائج هي الى الحدس والتخمين أقرب منها الى العلم واليقين واتخذت كل جماعة شعارا لهذه القوى ترمز اليها وتدل عليها ، وظل الانسان يخبط في هذا الميدان حتى استنار بنور الأديان فكشفت له عما خفي عليه من الصواب في هذا الشأن وأرشدته الى أن هناك في نفس كل انسان قوتين توجهانه وتتنازعانه وتتصارعان في الظفر به ، وفي استطاعته وبجهاده وتأييد الله أو خذلانه أن ينتصر ، أو ينهزم أمامهما وسمت الأديان القوة الداعية الى الشر في النفس الانسانية شيطانا والقوة الداعية الى الخير ملكا فما يجده الانسان من ميل الى الخير فهو من لمسة الملك ووحيه ، وما يجده

من ميل الى الشر هو من نخس الشيطان ونزغه ولأمر ما وكل الله الشياطين بالمؤمنين وجعل لكل منهم قرينا منهما وجعل رسالته الوسوسة والاغراء بالشر وبدأ الشيطان رسالته مع آدم أبى البشر فوسوس اليه وزين له فخالف ما نهى عنه فأزله وزوجه وأغواهما حتى أخرجهما مما كانا فيه وسيظل الشيطان قائما برسالته حفيا بها حريصا عليها حتى تنتهى قضية الوجود الانسانى الأرضى كما قال تعالى حكاية عن الشيطان :

« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين • قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين • قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين • قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين • قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » •

وابتلاء المؤمنين بالشياطين واختفاء حكمته على الانسان كان على مدى التاريخ فتنة لعقول بعض الناس ضلوا بها عن سواء القصد كما ضلوا بغيرها من فكر الغيوب فباءوا بالوزر والجحود ، ولقد تغلبت فكرة انكار الشياطين على عقول بعض مفسرى القرآن من المؤمنين فاعتسفوا الطريق فى تفسير بعض الآيات التى وردت فيها هذه الفكرة وذهبوا بها الى غير ما فهمه جمهور المفسرين والعلماء فتارة يفسرون الشياطين بأنها الهوام والحشرات والجراثيم ، وتارة يجعلون الحديث عن الشياطين من قبيل التمثيل والتشبيه ، وهذه تأويلات تأباها ظواهر نصوص القرآن وتخالف مذاهب جماهير علماء المسلمين ، ولا تدرى كيف توسوس الحشرات والجراثيم فى صدور الناس كما أخبر القرآن ، وكيف تجرى من الناس مجرى الدماء كما أخبرت السنة وكيف تزين المعاصى للناس وكيف تغريهم بالخطايا ، وكيف يتأتى التمثيل فى صريح اللفظ فى حوار الشيطان والانسان فى مثل قوله تعالى :

« وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم » ولماذا ننكر أو نستبعد وجود الشياطين وما هم الا خلق من خلق الله كالملائكة يروننا من حيث لا نرهم فنؤمن بوجود الملائكة وسفارتهم بين السماء والأرض ولا نؤمن بوجود الشياطين وقد تحدث القرآن عن الشياطين بأكثر مما تحدث به عن الملائكة • ان فكرة وجود الشيطان فكرة دينية صحيحة ، وحقيقة الشيطان حقيقة مقررة بعدها عن الأذهان أنها من حقائق الغيب لا من حقائق المشاهدة وانها ليقربها الايمان ويبعدها الجحود والكفران ، ولقد أخبر القرآن فى عشرات من آياته بوجوده وتسلطه على المؤمن بالوسوسة والتزيين والاغواء وأنه عدو للصالحين وولى للضالين ، وحذر المؤمنين من نزعه وكيده ومكره وانه شديد العداوة واسع الحيلة يزيف الحق ويزين الباطل فيشتبه الحق بالباطل والخير بالشر والطاعة بالمعصية، والضلالة بالهدى ، ويحاول أن يأخذ على المؤمنين كل الطرق كما حكى الله عنه فى قوله تعالى : « لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين » •

وللشيطان الى قلب المؤمن مداخل كثيرة ظاهرة وخفية فمداخله عن طريق الحواس ظاهرة ومداخله عن طريق الشهوة والخيال والحسد والحقد خفية ، وكل حسنة يهم بها المؤمن يبادره الشيطان اليها ليخوفه عواقبها ويصرفه عنها • ولقد ضرب لنا هذا الحديث أمثلة مما يستدرج به الشيطان ليصرف المؤمن عما يهم به من الحسنات ، وأول هذه الأمثلة أنه قعد لبعض المؤمنين فى طريقهم الى الاسلام وخوفهم من عواقب اسلامهم ، ووسوس اليهم أنهم باسلامهم يفارقون دين آبائهم وأجدادهم وهو عبادة الأصنام ـ وعار أن يخالف المرء ما وجد عليه آباءه وأجداده ولكن الشيطان لم يفلح فى كيده ولم يصرف المؤمن عما شرح الله صدره له فخالف الشيطان وأسلم • ومن هذه الأمثلة أنه قعد فى طريق من أراد أن يهاجر ليسلم له دينه وأخذ يثنيه عن عزمه ويقول له : كيف تهاجر وتترك وطنك وأهلك ؟ والخير أن تبقى فى وطنك

لا تتعرض لذل الغربة ولا تعـرض نساءك لذل الفقر والحاجة وبهجرتك تفقـد حريتـك وتكون كالفرس فى طوله أى ـ حبله الذى يربط به ـ محدود الحركة والنشاط وقد فشل الشيطان مع هذا أيضا كما فشل مع من قبله ، ومن هذه الأمثلة أنه يقعد لمن يريد الجهاد فيخوفه بما يلقاه من الجهـــد وبذل النفس والمـال وأنه يعرض نســـاءه للسبى والوقوع فى أيدى الأعداء يصنعون بهن ما يشاءون ويعرض أمواله للضياع ولا فائدة له من جهـاده ، ولـكن المؤمن الموفق للخير يلقى بهـــذه الوسـاوس فى موطىء نعله ويمضى فى طريقه متغلبا بالايمان على وساوس الشيطان ، وهذه الأمثلة ما هى الا نماذج من مداخل الشـيطان الى الانسـان كمـا قررها القرآن وكررها فى كل سياق دعا فيه الى الخير ليكون المؤمن على ذكر منها فى كل ما يتم به من طاعة ولتتغلب داعية الخير فى نفسه حتى يكون من حـزب الله ألا ان حـزب الله هم المفلحون ؟

ابو الوفا المراغى

روى الجـاحظ عن ابن أبى ليـلى قال : انى لأساير رجلا من وجوه أهل الشام اذ مر بجمال معه رمان فتنـاول منه رمانة اختلاسا فجعلهـا فى كمه ، فعجبت من ذلك ، ثم رجعت الى نفسى وكذبت بصرى حتى مر بسائل فقـير فأخرجها فناوله اياها • فقلت له رأيتك فعلت عجبـا ، قـال : وما هو ؟ قلت : رأيتك تسرق رمانة من جمال وأعطيتها سـائلا ، قال : أتنـكر على ذلك ؟ أما علمت أنى أخذتهـا وكانت سـيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات • قلت : يا مسكين ، انك أخذتهـا فكانت سيئة وأعطيتها فلم تقبل منك ؟

من هدى السنة :

سلامة الأمة فى مقاومة المنحرفين من أبنائها

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) • رواه البخارى والترمذى •

تعريف بالراوى :

هو أبو عبد الله النعمان بن بشير ابن سعد بن ثعلبة بن جلاس [1] الخزرجى الأنصارى ، صحابى ابن صحابى ، وأمه عمرة بنت رواحه أخت عبد الله بن رواحه صحابية أيضا ، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة ، وكان من أخطب الناس وأفصحهم ، وكان قاضى دمشق ، ثم أميرا على حمص فى عهد معاوية وابنه يزيد ، وقتل بقرية من قرى حمص سنة ٦٤ هـ ، وكان من رواة الحديث ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٤ حديثا ، وروى عنه ابنه محمد ، ومولاه حبيب بن سالم ، والشعبى ، وطائفة ، رضى الله عنه وأرضاه •

اللغة :

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها) المثل الصفة والحال العجيبة ، وجمعه أمثال ، كعلم وأعلام ، والحدود جمع حد ، وتدور مادة

---

(١) جلاس بضم الجيم وتخفيف اللام ، كذا قيده عبد الغنى المقدسى وغيره ، وقال ابن ماكولا : هو خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام — انظر دليل الفالحين .

الحد فى الاستعمال اللغوى على المنع ، فيطلق على الحاجز بين الشيئين ، وفيه منع أحدهما عن الاتصال بالآخر ، ويراد بحد الشىء منتهاه ، ففيه المنع عن اختلاطه بغيره ، ويقال : حد الدار من باب رد ، وحددها أيضا تحديدا اذا عينها بذكر جهاتها ، وفى هذا معنى المنع من اختلاطها بسواها ، ويقال للبواب : حداد ، لأنه يمنع غير أهل الدار من الدخول فيها ـ ويقال : أحدت المرأة فهى محد ومحدة ، وكذا حدت تحد ـ بضم الحاء وكسرها حدادا بالكسر ، فهى حاد ـ بغير هاء ـ اذا امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها ـ فالمنع يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة : حداد ، والحد فى اصطلاح الفقهاء : عقوبة مقدرة وجبت حقا لله تعالى ـ وسميت بذلك لأنها تمنع من ارتكاب المعاصى والجرائم .

والمراد بحدود الله فى الحديث : أحكام الشريعة الغراء ـ ومناسبة هذا المعنى للغة أن هذه الأحكام فيها المنع من الشر والفساد ـ ومعنى القيام عليها : التزامها والعمل بها ـ كما أن معنى الوقوع فيها مخالفتها وترك العمل بها .

(استهموا على سفينة) أى اقترعوا فى قسمتها ، وأخذ كل فريق سهما بالقرعة .

(أصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها) (أصاب) : نال وأدرك ، والأعلى ضد الأسفل ، والعلو بضم العين وكسرها مع سكون اللام ضد السفل بضم السين وكسرها مع سكون الفاء .

(اذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم) الاستسقاء طلب السقى والشرب ـ والمراد من الجملة : أن من كانوا فى أسفل السفينة اذا أرادوا الحصول على الماء مروا على من كان فى أعلاها .

(فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا) الواو فى : (وما أرادوا) تفيد المصاحبة ، أى لو ترك أهل العلو أهل السفل مصاحبين لما أرادوا من خرق السفينة ـ من غير منع من الخرق ـ غرقت السفينة وهلك كل من فيها .

(أخذوا على أيديهم) منعوهم مما أرادوا من الخرق .

(نجوا) أى سلم الآخذون من الغرق بسبب منع غيرهم من خرق السفينة .

(ونجوا) بتشديد الجيم ، أى كما أنقذ الآخذون أنفسهم من الغرق أنقذوا منه المأخوذ على أيديهم فسلم الجميع .

البيان :

اقتضت حكمته تعالى أن يرفع شأن الأمة الاسلامية ، فجعلها خير الأمم ، وأناط بها رسالة جليلة القدر ، عظيمة الأثر ، كما قال سبحانه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (١) ووعدها جلت قدرته ـ بالاستخلاف فى الأرض ، والتمكين للدين الذى ارتضاه لها ، وتوفير أمنها وطمأنينتها ، كما قال عز من قائل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (٢)

ولكن لن تحتفظ هذه الأمة بمكانتها ، ولن تقوى على النهوض بأعباء رسالتها ، ولن تظفر بانجاز وعده تعالى الا اذا كانت متينة الدعائم ، راسخة القواعد ، قوية اللبنات ، محكمة البناء ، متماسكة الروابط ، وثيقة الصلات ، يتحلى أفرادها باليقظة والتفتح ، والوعى والنضوج ، والايمان بوحدة الغاية والمصير ، والاعتقاد بأن حياة كل منهم وهناءته تابعتان لحياة غيره وهناءته ، والتضامن فى الشعور بالمسئولية وتحمل التبعات، فيحس كل واحد أنه مسئول عن سلامة غيره كما هو مسئول عن سلامة نفسه ، وأن عليه أن يوفر الأمن والطمأنينة لسواه كما يوفر هذا لشخصه ، وأن يتعاونوا على رعاية أمتهم وصيانتها ، ونشر الأمان فى ربوعها ، واسعادها لتظل دائما مرفوعة الهامة ، عزيزة الجانب ، قوية البأس ، مرهوبة السلطان ، آمنة من الأحداث والأخطار ـ وأما اذا انحرف بعض أبنائها ، فطغت عليهم الأنانية والأثرة ، وطاشت أحلامهم ،وساءت تصرفاتهم ،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.
(٢) سورة النور آية رقم ٥٥

ولم يجدوا من الراشدين انكارا ولا مدافعة ـ فان سوء هذا الصنيع يكون شؤما على الأمة كلها ومعول هدم فى جسمها يتصدع منه بناؤها ، ويأتى عليه من القواعد ، فيصبح هشيما تذروه الرياح ، هذا والحديث الذى نحن بصدده يجلى ما يترتب على مقاومة المنحرفين والمفسدين من عظيم الخير ، وجليل الأثر ، وما ينشأ عن اغفالهم من سوء المصير ووخيم العاقبة .

فقد شبه صلوات الله وسلامه عليه حال العاملين بالشريعة والمخالفين لها بحال قوم لهم سفينة ، وأرادوا قسمتها ليختص كل فريق بنصيب فيها ، وأجروا القرعة فيما بينهم لتحديد هذا النصيب ، فكان أعلى السفينة من نصيب بعضهم ، وأسفلها من نصيب البعض الآخر وبقرب أهل العلو من الماء تيسر لهم الاستسقاء منه كلما أرادوا من غير أن يمسوا أحدا بضر ، وأما أهل السفل فكانوا يلقون نوعا من المشقة فى الوصول الى الماء ، والحصول عليه ، فاذا حملوه مروا به على أهل العلو فتأذوا منهم ـ كما ثبت ذلك فى رواية أخرى للحديث جاء فيها : (فتأذوا به) أى بالمار بالماء عليهم حالة السقى ـ ففكر أهل السفل فى وسيلة يحصلون بها على الماء بطريق سهل عليهم ، وليس فيه ايذاء لمن فوقهم ، فرأوا أن الذى يحقق غرضهم هو خرق السفينة فاتجهوا اليه بحجة أن أسفلها خالص نصيبهم ، فلهم حرية التصرف فيه .

والذى جعل هذا الرأى يظهر ويطلع عليه أهل العلو أن بعض أهل السفل شرع ينفذ خطته فأخذ فأسا ، فجعل يضرب بها فى أسفل السفينة ليخرقها ـ كما ورد ذلك فى رواية أخرى للحديث جاء فيها (فتأذوا به ، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالك ؟ قال : تأذيتم بى ولا بد لى من الماء) .

فان سكت أهل العلو عن هؤلاء وتركوهم يتمون تنفيذ ما اتجهوا اليه ـ غرقت السفينة وغرق كل من فى أعلاها ، ومن فى أسفلها ـ وان حالوا بينهم وبين ما أرادوا من هذا الشر المستطير أنقذ أهل العلو أنفسهم من الغرق ، وأنقذوا منه أهل السفل ، وأنقذوا السفينة ، فشملت السلامة الجميع .

ولنستكمل فى أذهاننا الصورة البيانية للحديث يحسن أن نعرض لذكر ما تضمنه من أنواع التشبيه ، فقد حوى ثلاثة تشبيهات :

الأول : تشبيه القائمين على حدود الله الذين يحلون الحلال ، ويحرمون الحرام ، ويأمرون بالمعروف ،وينهون عن المنكر بمن يركبون أعلى السفينة بجامع العلو فى كل •

الثانى : تشبيه الواقعين فى حدود الله التاركين للأمر بالمعروف ، وفعله ، المقترفين للمنكر بمن يركبون أسفل السفينة بجامع الانخفاض فى كل •

الثالث : تشبيه ضمنى ، وهو تشبيه أحكام الشريعة السمحة بالسفينة ، فكما أن السفينة متى أحسن ركابها تصريفها ، وسددوا قيادتها وصلت بهم الى شاطىء السلامة ، ونالوا بها ما يبتغون ، كذلك الشريعة الغراء اذا التزمها أهلها ، واستمسكوا بهديها ، خاضوا معترك الحياة ، وهم فى أمن من الخطر ، ومنجاة من الزلل ، وبلغوا ما تطمح اليه نفوسهم من عز الدنيا وسعادة الآخرة •

ولا يصح أن تكون هذه التشبيهات من قبيل التشبيه المتعدد ،لأن ذلك انما يستقيم حيث يمكن استقلال كل تشبيه بمعنى صحيح مقصود على حدته ـ وليس هذا بمراد هنا ، وانما المراد أن يكون المسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا ، وألا يسكتوا عن العصاة ، بل الواجب أن يدعوهم الى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالتشبيه فى الحديث من قبيل التشبيه المركب ، وهو تشبيه حال المسلمين القائم منهم على الحدود والواقع فيها ، والساكت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحال قوم شركاء فى سفينة تنازعوها فاستهموا على قسمتها الى آخر ما ذكر فى الحديث ، والجامع هو الهيئة المنتزعة من اجتماع نافع وضار فى محل واحد •

وفى هذا الحديث أرشد الرسول الحكيم صلوات الله وسلامه عليه القائمين على حدود الله أن يضربوا على أيدى المعتدين على أحكام الشريعة ، وأن يأمروهم بالمعروف ، وينهوهم عن المنكر ، وألا يسمحوا للفاحشة أن تشيع بينهم ، ولا يأذنوا للفساد أن يستشرى فى مجتمعهم ، ولا لأصحاب العقائد المنحرفة ، والمبادىء الهدامة أن يذيعوا أفكارهم ،

وينشروا سمومهم ، ولا للسفهاء والطائشين أن يعبثوا بنظام الدولة ، ويهددوا أمنها وسلامتها .

فان فعلوا ذلك ، وكفوا أيدى الأشرار عن العبث فى الأرض فسادا أنجوا أنفسهم ،وقاموا بالواجب عليهم من الدعوة للحق ، ونصرة الفضيلة ، ونجوا غيرهم ، وفاز الجميع بسعادة الدارين ، فكان مثل الراشدين ــ وقد قاموا بما فرض عليهم ــ مثل من فى أعلى السفينة ــ اذا أخذوا على أيدى من فى أسفلها ، وقد هموا أن يخرقوا فيها خرقا ليحصلوا على الماء من طريق سهل عليهم ، ولا يؤذوا غيرهم ــ فى زعمهم ــ وهم لا يعلمون ما ينشأ عن هذا العمل من هلاك جميع من فى السفينة .

وأما اذا لم يقم هؤلاء الراشدون بما افترض عليهم من المحافظة على حدود الله ، وتركوا العابثين وما أرادوا فلا بد أن تدرك عقوبة الله الجميع : الفاسقين بفسقهم وظلمهم ، والراشدين بسكوتهم على المنكر ، قال عليه الصلاة والسلام : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) (١)

ومن عقاب الله تعالى على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يسلط الأشرار ، فاذا دعا الأخيار ــ فى هذا الحال ــ بكشف الضر ورفع البلاء لم يقبل دعاءهم ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم) (٢)

ما يرشد اليه الحديث :

يرشد الحديث الى أمور نجتزىء منها بما يأتى :

(١) الانتباه والتيقظ لعمل المخربين والمفسدين لمقاومتهم ، والقضاء على فتنتهم قبل أن يستعصى أمرهم .

(٢) استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبان فى الصحيح عن ابى بكر رضى الله عنه .

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) للانسان حرية التصرف فيما يخصه بشرط عدم الاضرار بغيره •

(٤) جواز قسمة العقار المتفاوت بالقرعة •

(٥) على الجار الصبر على أذى جاره القليل ،ومنعه من احداث الضرر الشديد به •

(٦) التنويه بفضل الشريعة الاسلامية وأثرها فى النجاة من المخاوف والأخطار •

(٧) ينبغى للمؤمن أن يحرص على سلامة غيره كما يحرص على سلامة نفسه •

(٨) التوجيه الى بعد النظر ، واستحضار عاقبة التصرفات لفعل الحسن منها ، واجتناب القبيح •

(٩) للمرشد أو المصلح أن يستعمل التشبيه والتمثيل فى بيانه لايضاح المعنى ، وتركيزه فى أذهان المخاطبين •

زادنا الله تعالى فقها فى الدين ، وقوة فى اليقين ، وصلابة فى الحق ، وتوفيقا للعمل به ، والدعوة اليه ، انه سبحانه ولى الهداية والسداد ؟

منشاوى عثمان عبود

روى أبو القاسم الوراق : أن الطبرى صاحب التفسير والتاريخ المشهورين قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة : فقالوا هذا مما يفنى الأعمار ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : أتنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحوا مما ذكره فى التفسير فأجابوا بمثل ذلك ، فقال انا لله ماتت الهمم ، ثم قام بالأمر وحده فوضع تاريخه المشهور ؟

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

— ٣ —

لماذا يتعرض الشباب فى مرحلة المراهقة بالذات أكثر من أى مرحلة من مراحل العمر للانحراف سواء فى اتجاهاته الدينية أو الفكرية أو السلوكية ؟.. ولماذا نراه يقع بسهولة وسرعة فى براثن المفسدين والمضللين ودعاة الاستعمار الفكرى الذين يسعون الى تحطيم عقائد الشباب وزلزلة ايمانهم وتقويض دعائم بنيانهم العقلى والنفسى والاجتماعى ؟

الواقع أن الدراسات النفسية والاجتماعية تفسر لنا هذا الأمر بكل وضوح .

ومما لا شك فيه أن أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية يبنون خططهم بكل احكام على تلك الدراسات النفسية والاجتماعية ، فهم أولا : على علم تام بخصائص وسمات مراحل النمو والنضج فى حياة الانسان ومن ذلك يدركون أن مرحلة المراهقة هى أنسب تلك المراحل لتحقيق أغراضهم .

وثانيا : هم على علم تام بالاتجاهات النفسية وكيف تتكون ومتى يتم تكوينها .

وثالثا : هم على علم تام بأساليب الدعاية والاعلام والحرب النفسية ومختلف فنون التأثير على العقول والعواطف والاتجاهات .

فاذا كانت هذه الدراسات النفسية والاجتماعية لا تخفى على أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية فنراهم يتصيدون الشباب فى هذه السن بالذات بتخطيط محكم ومدروس لتحقيق أغراضهم فان على الآباء والمصلحين والمربين الغيورين على الدين وعلى الأمة وعلى شبابها عدة المستقبل — من باب أولى — أن يكونوا مستعدين بالخطط الوقائية الواعية

التى تحمى شبابنا وتحمى عقائدنا وتفوت على الأعداء غرضهم ، وهذا الأمر من ألزم الواجبات التى لا يصح أصلا التهاون فيها لشدة خطرها وعظم مسئوليتها قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » أخرج عبد الرازق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وغيرهم من حديث على رضى الله عنه فى معنى الآية قال : « علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم » وأخرج ابن جرير وابن المنذر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى فذلك وقاية لكم ولهم من النار » وروى ابن ماجة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » فهذا الحديث الشريف أوجب على الآباء مراقبة الأولاد مراقبة دقيقة وتأديبهم أحسن الأدب .

أما عن سمات المراهقة التى أشرنا اليها والتى تشكل مناخا صالحا للتيارات الانحرافية فأبرزها النزعة القوية الى التحرر ، والرغبة فى تأكيد الذات ، وفورة الغرائز وميل كل جنس الى الجنس الآخر والعناية بالمظهر والتأنق ، وزيادة الولاء للجماعة والأصدقاء والتأثر بهم من الناحية الخلقية ، والميل الى البحث فى مسائل الدين والعقائد وزيادة الاهتمام بالمناقشة والرغبة فى الكشف عن الأسباب مما قد يصل الى مستوى الشك .

وأما عن الاتجاهات النفسية فان علماء النفس يعرفونها بأنها ميل عام مكتسب وثابت نسبيا يؤثر فى دوافع الفرد ويوجه سلوكه ، كالميل الى أشياء أو موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها أو يرحب بها أو يعرض عنها ويرفضها . واتجاه التدين مثل من أمثلة الاتجاهات النفسية .

وبمعنى آخر فان الاتجاهات النفسية تمثل مجموعة المعتقدات

والمشاعر والميول السلوكية التى يحملها الفرد تجاه موضوع معين ولذلك نرى السلوك الاجتماعى للانسان فى كافة مظاهره وأشكاله انما يتأثر ويتحدد بمجموعة اتجاهاته .

ويبدى كثير من علماء النفس اقتناعهم بأن الاتجاه يتكون من عناصر ثلاثة هى :

- العنصر الفكرى أو العقيدة .
- العنصر العاطفى أو المشاعر .
- الميل للتصرف والسلوك بشكل معين .

وتتكون الاتجاهات النفسية بطرق كثيرة نذكر منها :

١ - التقليد أو تقبل المعايير الاجتماعية وغيرها دون نقد أو مناقشة ويكون ذلك عن طريق الايحاء ؛ فالطفل يكتسب أغلب اتجاهاته عن الأسرة التى نشأ فيها . وتؤكد أبحاث علم النفس أهمية الأسرة فى تكوين الاتجاهات .

٢ - الانفعالات الحادة ؛ وهذه يكون أثرها قويا فى تكوين الاتجاهات ، فقد يؤدى أسلوب التربية الخاطىء مثلا الى تعريض المراهق لخبرات انفعالية حادة تحوله عن اتجاه التدين .

٣ - وتتكون الاتجاهات فى أثناء محاولة الفرد اشباع حاجاته المختلفة .

٤ - وتتكون الاتجاهات أيضا وتتشكل طبقا للمعلومات التى تتوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة .

٥ - وتتأثر اتجاهات الفرد بطبيعة الجماعات التى يتفاعل معها مثل : الأسرة وجماعة العمل وجماعات الأصدقاء .

ولعل أهم ما يهمنا معرفته هو أن الاتجاهات لا تتكون عادة قبل سن المراهقة لأن اكتسابها يتطلب نضوجا عقليا وهذا لا يتوافر فى مرحلة الطفولة .

فاتجاه التدين الحق الذى ينبع من أغوار النفس لا يقع بهذه الصورة فى عهد الطفولة المستكينة المقلدة وانما يظهر فى مرحلة المراهقة ؛ مرحلة الحرية والاستقلال العقلى .

ولقد أثبتت الأبحاث النفسية أن ظهور اتجاه التدين وبدايته القوية الصحيحة يكون فى مرحلة المراهقة .

فقد أثبت العالم كووجس بعد دراسة **١٧٨٤** حالة أن العمر العادى الذى تحدث فيه ظاهرة التحول الدينى الحق هى سن السادسة عشرة ، وقام العالم استانلى هول بدراسة أكثر من أربعة آلاف حالة وانتهى الى ما انتهى اليه سابقه •

والنتائج العامة للدراسات النفسية فى هذا الصدد تتفق على أن الفترة بين العاشرة والعشرين هى الوقت الذى تحدث فيه اليقظة الدينية بأعلى النسب وأكبر الأعداد ، أما قبل هذه الحقبة أو بعدها فعدد الحالات صغير نسبيا ••

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول النبى عليه الصلاة والسلام : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » ففى الحديث تأكيد لضرورة أن يتعلق الولد بالصلاة فى تلك المرحلة السنية الهامة ••

والطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة ؛ كالتربية الدينية لا يتم عن طريق النصح والارشاد وانما تكون الاتجاهات بالطرق الآتية :

١ ـ الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعى فى البيئة المنزلية والمدرسية وغيرها وأثناء الرحلات بما فيها من أنشطة مختلفة حيث يمارس الفرد ما يستهدف تحقيقه من اتجاهات •

٢ ـ الترغيب ؛ ويعتبر من أهم أساليب خلق الاتجاهات ، فالرغبة فى الشىء تعتبر من أهم الدوافع اليه •

٣ ـ القدوة الطيبة ••

وهكذا يتضح لنا من دراسة السمات المميزة لمرحلة المراهقة ومن حقيقة أن الاتجاهات النفسية تتكون وتتشكل فيها ، أن المراهق لو ترك وشأنه فى هذه المرحلة الحرجة والخطيرة فسوف يكون وحيدا فى مهب الرياح والعواصف الهوجاء التى تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكرى ودينى فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والأفكار الضالة التى لا يكاد عقله الناشىء يتلقاها منها حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وتطبيقا لمبـــدأ : الوقاية خير من العلاج ؛ فانه يتحتم على الآباء والمربين أن يدركوا أن تلك المرحلة هي الأوان الحقيـقي لجهـــدهم الواعي المكثف والعمـــل الموصول للتربيـة الدينيـة والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى شـبابنا ووقايتهـم من الانحراف بكل أشكاله .

ولعـل هذا هو بعض ما يفهـم من قول الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلم : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . حقا ان من شب على شيء شاب عليه ، ونفس المراهق كما قدمنا تتأثر بالخير كمـا تتأثر بالشر وتنطبع فيهـا الأخـلاق الحسنة كمـا تنطبع فيهـا الأخلاق السيئة ، فاذا وجد في هـذه المرحلة الحرجة من يحـكم تربيتـه ويحسن تأديبـه ويسلك به سـبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال شب حسن الأخـلاق طيب النفس متعلقـا بآداب الفضيلة مستمسكا بحبل الهدى والرشد ، مترفعا عن الرذائل والخطايا ويعتصم بالله « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » ...

محمد جمال الدين محفوظ

قال ابن المعتز :

لا تسـتخف بشريف ، ولا تميلن الى سـخيف ، ولا تقـولن هجـرا ، ولا تفعـلن نكرا ، فمـن اسـتخف بشريف دل على لآمة أصله ، ومن مال الى سخيف أبان عن ضـعف عقلـه ، ومن قال هجرا هجـره الناس ، ومن فعل نكرا قبح ذكره وكل يهرب من ضده ، ويرغب في مثله ، ويفزع الى أرومته ويعمل على شاكلته .

لم نفسك على قبيح مقالك ، وسوء فعالك قبل أن يلومك صديق ناصح ، أو عدو كاشح .

العقاد الناقد في مطلع شبابه

للأستاذ السيد حسن قرون

في (١٢ من مارس ١٩٦٤) أسلم عباس[١] محمود العقاد روحه الى بارئها بعد أن صال وجال في ميادين العلم والأدب من : شعر ونثر ونقد ، وشغل الناس على مدى نصف قرن من الزمان أو يزيد ، وقد تعودنا — ونحن شباب — أن نقرأ ما يكتب في الصحف والكتب والمجلات يوميا ، ثم صرنا في أواخر أيامه نقرأ يومياته أسبوعيا ، ثم اختفى وغاب ، وخلف في نفوسنا لواعج أسى لا تنجاب . وبدا لي أن أكتب عنه في ذكراه ، فوجدت أمامي أكثر من ثمانين كتابا له في عالم الفكر والروح ، فهالني ما اليه تصدت ، وفكرت في أمر العقاد من مطلع حياته الأدبية الى ساعة أن ألقى القلم ، فتوقفت عند أيامه الأولى ، أيام شرخ الشباب حين كان يشق طريقه بين الصخور والأشواك ، فقلت ، فليكن لك هنا كلام ، ورحت أعد نفسي لرحلة شاقة أجمع فيها ما تركه في الصحف والمجلات في العقد الأول من القرن العشرين اذ أنه بدأ الكتابة في الصحف سنة ١٩٠٧ ، وأجرى حديثا صحفيا مع الزعيم سعد زغلول ١٩٠٨ يوم كان وزيرا للمعارف ، وضعفت عن تنفيذ ما أردت ، والانسان لا يعدم حيلة حين يعزم على أمر ، فيممت شطر كتبه التي أصدرها في شبابه المبكر ، فكان كتاب (خلاصة اليومية) رائدي في هذا الشأن — وهو أول كتاب أخرجه للناس — وقد صدر سنة ١٩١٢ ، وما من شك في أن بحوثه وموضوعاته فيه تمتد من يوم أن ظهر مفكرا يقول الشعر ويكتب المقال أي سنة ١٩٠٧ ، وفي الكتاب اشارات

---

(١) ولد في أسوان يونيه ١٨٨٩

الى ذلك ، فأرجوزة (أسحار أيار) جاء في التمهيد لها : « نشرت هذه الأرجوزة في العدد (٩٧٦) من (الجريدة) الصادرة في ٢٦ مايو ١٩١٠ » فمادة الخلاصة اليومية عرفها القراء ، والعقاد لم يتجاوز العشرين من عمره ، وفي هذه الخلاصة سمات العقاد كاتبا وشاعرا وناقدا ، وصاحب رأى ، وفيها من معالم شخصيته الكثير حتى اعتداده بنفسه وأدبه تراه في مقدمة ذلك الكتاب ،وهي لا تزيد على عشرة سطور قصار ، يقول : « من كان يقرأ ليقتنع أكثر مما يقرأ ليرضى فاياه عنيت بنشر هذه اليوميات » كذلك وجدت ضالتي في التعرف على العقاد ناقدا للشعر ، وصاحب مدرسة فيه ، ففيه ملامح مما جاء في كتاب (الديوان في النقد والأدب) لمؤلفيه العقاد والمازني سنة ١٩٢١ ، ورحت أنظر في تلك الخلاصة ، وأنعم النظر في محتواها ، وأتتبع عنوانات حديثه عن الشعر ونقده وهو أديب يحتفل بأثر قلمه الى درجة أنه يدون نتاجه ولو كان جملة واحدة ، فكل كلمة عنده عمل كبير ، وتوجيه خطير . فاقتنعت الى حد ما الى أن الخلاصة لم يفتها ماقاله العقاد في صباه ، ولم يعد الأمر يحتاج الى رحلة بين عالم الصحف والمجلات في ذلك الحين ، فماذا قال العقاد في الشعر والشعراء في الخلاصة اليومية ؟ تجيب الخلاصة أنه سجل رأيه في : التشبيه الشعري ، وفي الشعر والألفاظ ، والكلام والأوزان ،والقول والقائل ، وشعر حافظ ثم الالياذة ، و« سائلو بطرس » ، وابن حمديس، والكاتب والشاعر ، ومستقبل الشعر ، وبماذا يشقى الشعراء ؟ وهذه العنوانات تعطيك صورة عن كلف العقاد بالشعر وصناعته وأربابه ، وأنا لا أقيد نفسي بترتيبها حسب ما جاءت في الخلاصة ، ولا بالحديث عنها جميعها ، فذلك يحتاج الى أكثر من مقال ، وسأقدم ما هو أولى بالتقديم ، لأنه كلي وغيره جزئي ، وقد يجيء الجزئي تطبيقا وتمثيلا للنظرة العامة ، وأول مانستهل به « الشعر والألفاظ » وقد عرف العقاد كعادته الشعر ، وله في كل ديوان من دواوينه (١) الشعرية تعريف ، فقال : « الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام» ويعني بالكلام الألفاظ التي تشكل منها التعبيرات ، فعلى الشاعر أن يكون

---

(١) له عشرة دواوين .

خبيرا بهذه الصناعة ، وله أساليبه التى يستطيع بها اثارة المشاعر ، وأن يكون له حسه اللغوى فى اختيار الألفاظ المناسبة لتوليد العواطف حتى يبلغ التأثير فى القارىء والسامع ، وهو لا يعترف بالمترادفات اذ « الألفاظ نوع من اختزال المعانى تشير الى مالا يمكن وروده منها على اللسان ، أو هى رموز يقترن كل منها بخاطر وملابسات تتيقظ فى الذهن متى طرقه ذلك اللفظ ، ولا يشترك معه فيها لفظ آخر ، وان ترادفا فى ظاهر المعنى ، فالمترادفات لا تتشابه فى المدلولات » فالكلمة عنده لها قيمتها ، ويجب أن تحل مكانها عن طريق الدقة فى اختيارها ، فاهدار قيمة الكلمة يكون بحشدها دون طلب لها أو وضعها غير مشعة بين أخواتها ، ويستمر العقاد فيما ينتهجه فيضع شروطا للشاعر المجيد ، منها : الاستعداد الفطرى ، والالمام بأسرار النفس ، والاطلاع على نخبة من قوالب الشعراء (١) الفحول ممثلة لأحاسيسهم ، ليوازن الشاعر بينها ، ويهتدى الى مواطن التأثير فى العاطفة المخاطبة بالشعر • ثم يقول :

« ولا يحتاج الأمر فى الشعر الى الجلاء والابانة كما هو فى النثر ، فانه كما تقدم يقصد به التأثير ولا يقصد به الاقناع ، والعواطف قد تتأثر بالعبارة المفاجئة أشد من تأثرها بالعبارة ذات القضايا المرتبة والمعانى الجلية » وهى نظرة صحيحة للشعر لفظا ومعنى ، وهذا الذى قاله فى صباه ولما يستو ناقدا وموجها هو الذى قننه وقعده فى كتبه المتنوعة من كتاب الديوان الى ما بعد « بعد الأعاصير » حين وضع مقاييس الشعر على مذهبه الجديد من وحدة القصيدة « فالقصيدة (٢) الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى عنه غيره فى موضعه الا كما تغنى الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة » ثم الصدق فى الأداء ، وأن يكون الشاعر معبرا عن نفسه وعصره ، والكون الذى يحيط به ، والبعد عن الزخارف اللفظية فهى زينة لا تجعل الدميم وسيما ، وقد نقد ثلاثة من الشعراء فى ضوء منهجه فى الخلاصة ، اثنان يعاصرانه : شوقى ، وحافظ ، وثالثهم شاعر قديم هو

---

(١) هنا يوافق ابن خلدون فى مقدمته .

(٢) الديوان ، تحت عنوان : التفكك .

ابن حمديس ، فقد أعجب به وان عاب عليه سرقاته من شعر المشارقة ، وبلغ من اعجابه به أنه قال : « ولكن هذا الشاعر المجهول قد زاد بديوانه على ثروة اللغة العربية ذخيرة أضاعها التفريط ، وأودع ألفاظها من المعانى ما لم يضمنها شاعر آخر » وتراه يفضله على المتنبى والبحترى وابن أبى حفصة وابن هانىء وغير هؤلاء من محترفى الشعر ، ولم يستثن ابن الرومى الذى حظى منه بكتاب رائد هو « ابن الرومى ؟ حياته من شعره » ويمضى فيقول فى ابن حمديس : هذا الذى لا يذكره قراء اللغة العربية الا كما يذكرون شعراء الفرس والصين، ولولا (ابن) قبل حمديس لما درى أكثرنا ان كان اسم رجل أو اسم مكان » وقد تخالف العقاد أو توافقه فتلك طريقته حين يعجب وحين يدافع . وله قدرة على التحليل والتعليل والتمثيل ؟ وقد أورد لابن حمديس شعرا فى المدح والوصف والرثاء ، والوطنية أيضا يستدل به على منزلته الفنية ، ثم سما به على شعراء الشرق والغرب : حديثا وقديما ، وما اختاره من شعره هو من صميم الشعر الذى يرضاه ، فهو يعنيه الصدق فى الأداء ، والقصد فى القول ، وتجلية الموقف وتماسك القصيد ،ومما أعجبه رثاء ابن حمديس فى جارية له غرقت فماتت فبكاها ومنه :

عانقها الموت ثم فارقها
عن ضمة فاض روحها فيها

ويلى من الماء والتراب ومن
أحكام تدين حكمنا فيها

أماتها ذا ، وذاك غيرها
كيف من العنصرين أفديها

ويعلق العقاد على هذا الرثاء قائلا : « فهل رأيت أهدأ من هذا تفجعا ؟ لو كانت هذه الجارية لسيف الدولة ، أما كان المتنبى يكسف الشمس ويخسف القمر ، وينثر الكواكب شذر مذر ؟ » وانه لتعليق يذكرنا بنقده شوقى فى الديوان حين تعرض لقصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل التى مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما فى مأتم والدانى

وأنا هنا لا أتعرض لتلك القصيدة مستحسنا أو مستهجنا انما يعنينى ماجاء فى (الخلاصة) لأنى بصدد أن أتبين جذور نقد الشعر عند العقاد حين كان

يخطو فى عالم الأدب بخطى واسعة ، وفى الخلاصة حديث عن شوقى وعن فن الرثاء عنده وكثير من القراء يحسب أن العقاد لم يتعرض للشوقيات الا فى (الديوان) وما بعده من كتبه ، فتعال معى نقرأ تلك السطور له تحت عنوان « سائلو بطرس باشا » ويعنى به طلاب فضله ، والمترددين عليه لنيل عطائه ، يقول : « ليت شعرى ماذا كان يعنى شوقى بك بقوله على قبر بطرس باشا :

القوم حولك يابن غالى خشع
يقضون حقا واجبا وذماما
يتسابقون الى ثراك كأنه
ناديك فى عهد الحياة زحاما
يبكون موئلهم ، وكهف رجائهم
والأريحى المفضل المقداما

أكان يريد أن يقول : ان زائرى قبر الرجل وفيهم ساداته الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء ، وفيهم نائب مولاه الأمير ووكلاء الدول ، وأكابر السراة والوجهاء ؟ أكان يريد أن يقول : ان هؤلاء كلهم ممن كانوا يقصدون من نادى ابن غالى موئلا وكهف رجاء يستعطون من أريحية ساكنه الجواد ويستدرون من أفضاله ؟ أم أراد أن يقول كما قال الناس فى هذا المعنى فأخطأ التقليد ؟ أم لعله كان لايريد أن يقول شيئا ؟ أم تراه يحسب أنهم ملكوا عليه حتى دموع عينيه وأنه نائحة المعية أعد ليرثى كل من يموت من خدامها بلا مقابل ؟ » .

ألا ترى أن ذلك الفتى فى الخلاصة هو ذلك العملاق فى الديوان ؟ فهذا النقد لهذا الرثاء بذور منتقاة ، وغرس متعهد سيأتى أكله بعد حين ، فشوقى فى تلك الأبيات يراه العقاد نائحة غير مأجورة أو مأمورة بأن تبكى وتنتحب وهى لا تحس فقدا ولا أسى ، ومغزى هذا أن الشعر غير صادق ، وأن شوقى لا يظهر مكنون جنانه حين ينظم ، وانما يملى عليه فينفذ ، ومن ثم لا شخصية له ، ولهذا جاء الحديث عن زائرى قبره مجافيا للواقع ، ومتباعدا عن حياتنا الحديثة ، فليس ثمة عفاة ولا ناد ولا عطاء ، وهى نظرة صائبة صارت فيما بعد « المذهب الجديد » الذى حمل لواءه العقاد وصاحباه : شكرى والمازنى ، وان اختلف الزعماء ، وانشق بعضهم على بعض ، فصار العقاد والمازنى حزبا ، وشكرى حزبا آخر ، بل العجب أن يحمل المازنى على زميله شكرى

حملة شعواء فى (الديوان) نفسه ولم يهتم تلاميذ هذه المدرسة باختلاف زعمائها ، فتعهدوها وأضافوا اليها وصارت من معالم النقد فى الأدب العربى المعاصر • والواقع أن شوقى وشعراء النهضة بوجه عام سلكوا مسلك البارودى فى تلقى الشعر القديم وجعله النموذج الذى يحتذى، فمدحوا ورثوا وهجوا ، وان تطوروا مع الموضوعات الحديثة ، ومطالب الوطن والمجتمع والسياسة ، وقد ترك شوقى معارضات الشعراء القدامى بعد مبايعته بامارة الشعر سنة ١٩٢٧ ، واتجه الى اضافة الشعر التمثيلى وأشباه الملاحم الى الشعر العربى ، وقد يكون لمدرسة الديوان أثر فى تغيير مجرى شعر أمير الشعراء •

وللتشبيه الشعرى عند العقاد نظرات عميقة تابعها على مدى حياة نقده ، فهو لايتناول التشبيه كما تناوله الامام عبد القاهر الجرجانى ، ولا كما تناوله السكاكى ومن جاء بعده من العناية بأغراضه وأركانه ، ومفصله ومجمله ، ومحسوسه ومعقوله ، وانما اتجه اتجاها آخر رجع به الى عمق الشعور ، وجمال التعبير ، فربطه باحساس الشاعر ربطا أمينا ، وفى الخلاصة يقول : « ملكة التشبيه تقوى حين تضيق دائرة الأشياء ، فان المتكلم يحاول أن يقرب الى سامعيه ما لا يعرفه (وهو كثير) بتشبيهه بشىء مما يعرفه (وهو قليل) ومن ثم كان البدو والريف أقدر على التشبيه من الحضريين وسكان الأمصار • ولقد كان الشاعر دائما أسبق من العالم فى التاريخ ، فان الانسان يحس أولا ثم يفتكر ، فنسخوا القرائح فى عهد البداوة ، وينبغ الشعراء فى الانحاء التى لم يستبحر فيها العمران أكثر مما ينبغون فى غيرها •

وفى هذه المقولة فكرتان : فكرة القدرة على التشبيه عند البدو دون أهل الحضر ، وفكرة سبق الشعر للنثر ، ونحن نوافقه فى الأخيرة ، ونخالفه فى الأولى ، لأن التعبير وليد الثقافة ، والثقافة لاتتقيد بمعرفة الكتابة والقراءة فما دام الشاعر يمارس الحياة مفتوح القلب والذهن ، ويتلقف هموم عصره ، ويقرأ الطبيعة وهى كتاب مفتوح ـ ويروى للشعراء الذين سبقوه ، فلابد أن يحصل على معارف تعينه على قرض الشعر واجادته ، وفى مقدمة ذلك التشبيه ، والشاعر لايتخذه للشرح والتحليل وتوصيل الحقائق

الى الأذهان ، وانما يقوله لنقل شعوره الى سامعيه وهو مذهب العقاد فيما بعد، فقد جلاه حين تعرض لشعر شوقى فى رثاء محمد فريد ، فوضع التشبيه موضعه فى مسيرة الأداء والتأثير . قال يخاطب شوقى : « اعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها ، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ، وانما مزيته أن يقول ما هو ، ويكشف لك عن لبابه ، وصلة الحياة به ، وليس هم الناس من القصيد أن يتسابقوا فى أشواط السمع والبصر ، وانما همهم أن يتعاطفوا ، ويودع أحسهم وأطبعهم فى نفس اخوانه زبدة ما رآه وسمعه ، وخلاصة ما استطابه أو كرهه ، واذا كان كدك من التشبيه أن تذكر شيئا أحمر ، ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله فى الاحمرار فما زدت على أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء حمراء بدل شيء واحد، ولكن التشبيه أن تطبع فى وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع فى ذات نفسك ... » ثم يقول: « وصفوة القول أن المحك الذى لا يخطيء فى نقد الشعر هو ارجاعه الى مصدره ، فان كان لا يرجع الى مصدر أعمق من الحواس فذلك شعر القشور والطلاء ، وان كنت تلمح وراء الحواس شعورا حيا ووجدانا تعود اليه المحسوسات كما تعود الأغذية الى الدم ، ونفحات الزهر الى عنصر العطر فذلك شعر الطبع القوى والحقيقة الجوهرية » ولقد راق هذا الرأى مؤلفى كتب النقد والبلاغة والأدب للمرحلة الثانوية فلم يخل كتاب منه . وانما ذكرته هنا لأبين مدى تطور مفهوم التشبيه عند العقاد من (خلاصته اليومية) الى (الديوان) .

ويتعرض العقاد فى خلاصته اليومية لشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم فيخزه وخزا أليما . وان بدا لأول وهلة مسا رحيما مع أنه فى كتاب (شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى) جعله وسطا فى كل شيء . وسطا بين شاعر القرون الوسطى وشاعر القرن العشرين ، أو بعبارة أخرى بين شاعر المجالس المؤنس بحديثه الفكه ، وشاعر المطبعة الذى يخاطب قراءه من وراء الصحف المطبوعة ، ووسطا بين شاعر الحرية القومية وشاعر الحرية الشخصية ، أما الحرية القومية فتتجلى فى كلامه عن اللغة الفصحى وعن السفور

والحجاب وعن فاجعة دنشواى وعن أزمات المال والسياسة وعن مضاربات الأغنياء فى سوق القطن وأضرار الشركات بالبلاد • وأما الحرية الشخصية فتتجلى فى شكواه وهزله وخمرياته ومساجلاته وما يبدو خلال قصائده الاجتماعية من ميول نفسه وخلجات طبعه • ووسطا بين المطلعين على الآداب العربية وحدها ، والمتوسعين فى قراءة الآداب الأوربية • ووسطا بين مبالغة الأقدمين وقصد المحدثين ولا سيما فى المديح • وهو نقد مبنى على دراسة متأنية واستقصاء لما جال فيه حافظ من مجالات ، ولكنه فى الخلاصة يرميه بالجهل والحرمان من ثمرات الفنون فيقول : « يعجبنى من حافظ جلاله فى شعره ••• وان كنت أعتقد أن الجلال الظاهر لا يتطلب من شعرائه سموا فى المشاعر أو أفضليته لها على شعراء الجمال ، فعندى أن ادراك الجمال ينبغى له تهذيب فى النفس ، ودقة فى الذوق لا تكتسبان الا مع العلم ، ومعاينة ثمرات الفنون ، وذلك الى استقامة الفطرة وسلامة الذوق » ومفاد ذلك ـ كما هو ظاهر ـ أن حافظا شاعر ألفاظ وجلجلة يروع ولا يمتع ، فليس له عالم الجمال الذى لا يدخله الا من حمل العلم والفن ، وهى نظرة تتصادم مع نظرته فى كتاب (شعراء مصر) فقد جعله وسطا فى كل شىء كما قدمنا ، أما فى الخلاصة فقد جرده من الشاعرية الممتعة الداعية الى التأمل (١) والاستغراق ، وهو لا يكتفى برأيه هو ، بل يؤيده برأى غيره من النقاد ، فيقول : « شعر حافظ كما قال فيه الدكتور شميل ـ ولم يرد أن يطريه ـ كالبنيان المرصوص متين لا تجد فيه متهدما ، فهو يعتمد على متانة التركيب وجودة الأسلوب أكثر مما يعتمد على الابتداع أو الخيال » وخلاصة (الخلاصة) أن الشعر عند العقاد فن يقتضى من الشاعر وسائل كثيرة من العلوم والفنون والآداب مع الموهبة الملهمة ، والذوق السليم ، وفهم مهمة الشاعر فى العصر الحديث ، فليس الشعر للايناس والمنادمة

---

(١) كان من هنا نظرية « الشعر المهموس » للدكتور مندور •

ولا حديثا عن الحياة اليـومية ، وانما هو صورة الكون والحياة كما يعانيهما الشاعر الموهوب الذى يحسن وضـع الكلمة .

لقد كان العقاد مجددا من يوم أن أمسك بالقلم الى أن فارقه متشـبثا به مرغما على فراقه .

يا ليت (١) كل مجـدد
فى هـذه الدنيا يجـــدد

ولـكن لا سـبيل الى ما تتمنى ، فليـكن لنـا من آثار قلمـه ذكرى وتجديد ؟

السيد حسن قرون

اشتهر أبو علقمة اللغوى النحـوى بكنيته حتى جهل اسمه ، كما اشتهر بالتقعر فى كلامه واسـتعماله غريب الألفاظ حتى عدت أحاديثه من النوادر التى يتفكه بها ، ونقلهـا الكثيرون فى كتب اللغة ، ونحن نختار منها أقلهـا غرابة فى اللفظ .

قال أبو علقمة لغـلام له : خذ من غريمنا (يعنى مدينا له) هذا كفيلا ، ومن الكفيل أمينا ،ومن الأمين زعيما ، ومن الزعيم غريمـا ، فقـال الغـلام للغـريم : مولاى كثـير الكلام فمعك شىء ؟ فأرضاه ، فخلاه الغلام ، فلمـا انصرف قال أبو علقمة : يا غلام مافعل غريمنا ؟ فقال : سـقع ، قال : ويلك ما سـقع ؟ قال : بقع ، قـال : ويلك ما بقع ؟ قال : اسـتقلع ، قال : ويلك ما استقلع ؟ فقال انقلع . قال : ويلك لم طولت على ؟؟ قال : منك تعلمت .

وقـال يومـا لغـلامه : أصـقعت العتاريف ؟؟ فقـال الغـلام : زقفيلم . فقال أبو علقمة : وما زقفيلم ؟ فقـال الغلام : وما معنى صقعت العتاريف ؟ قال : قلت لك أصاحت الديوك ؟ فقال الغـلام : وأنا قلت لك لم يصح منهـا شىء ؟

(من معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ١٢ ص ٢٠٥) .

---

(١) من شعر محمود عماد فى العقاد لمـا بلغ السبعين .

من أعلام القضاء فى الإسلام :

بكار بن قتيبة

١٨٢ - ٢٧٠ هـ

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى

المحتسب الصابر التقى الورع العالم المحدث الثقة الفقيه القاضى بكار بن قتيبة بن عبدالله بن أسد بن أبى بردعة ينتهى نسبه الى أبى بكرة الثقفى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم القاضى البصرى الحنفى أبو بكرة ولد بالبصرة سنة ١٨٢ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٢٧٠هـ عن عمر ناهز السابعة والثمانين قال فى النجوم الزاهرة : هو أحد الأئمة الأعلام ، كان عالما فقيها محدثا صالحا ورعا عفيفا ثقة مات وهو أعلم أهل زمانه بالديار المصرية •

ولاه المتوكل قضاء مصر فى جمادى الآخرة سنة ٢٤٦ هـ فحل بها يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر •

وكان بكار يذهب الى رأى أبى حنيفة ، تعلم الشروط بالبصرة من هلال بن يحيى الرامى (١) وسمع الحديث من أبى داود الطيالسى وأقرانه (٢) • وكان بكار معجبا بأبى ابراهيم المزنى صاحب الشافعى ويحب أن يسمع كلامه وينصت لحجاجه ، فقد روى ابن زدلاق أن بكارا اجتمع والمزنى يوما فى جنازة ، فأشار بكار الى أبى جعفر التل أن يسأل المزنى عن مسألة ، فقال التل موجها حديثه الى المزنى : ما رأيت أعجب من أصحابنا الشافعين ، لهم أحاديث فى تحريم قليل النبيذ ، ولنا أحاديث فى تحليله •

فمن جعلهم أولى بأحاديثهم منا بأحاديثنا ؟

---

(١) القضاة والولاة ص ١٤٩

(٢) العبر فى أخبار من غبر ج ٢ ص ٤٤ تحقيق المرحوم فؤاد السيد.

فقال المزنى : ليس يخلو أن تكون أحاديثكم قبل أحاديثنا أو بعدها ، فان كانت قبلها فهكذا نقول ، انها كانت محللة ثم حرمت فما نحتاج الى أحاديثكم ، وان كانت أحاديثكم بعد أحاديثنا فهذا لا يقوله أحد ، لأنها كانت حلالا ثم صارت محرمة ثم حللت . فقال فيه بكار : سبحان الله! ان يكن كلام أدق من الشعر فهذا (١).

وكان القاضى بكار متحريا للعدل عفيفا جميل الطريقة محمود السيرة ورعا مستشعرا المسئولية الملقاة على عاتقه ، وما يترتب على قضائه من نيل الحقوق أو ضياعها ولذلك كان شديد التحرى والمحاسبة لما يقول ويفعل ، وكان اذا فرغ من الحكم خلا بنفسه واستعرض وقائع القضايا التى حكم فيها وما حكم به ثم يأخذه البكاء ويخاطب نفسه قائلا : يابكار تقدم اليك رجلان فى كذا ، وتقدم اليك خصمان بكذا ، وحكمت بكذا ، فما يكون جوابك غدا (٢) » .

وكان اذا تقدم اليه الخصوم وأرادوا اليمين يتلو عليهم قول الله تعالى : « ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٣) » .

وكان يدقق كثيرا فى أمر الشهود ولايسمح لصلات القربى أو الصداقة والمودة أن يكون لها مجال عند تقديره لعدالة الشهود وجرحهم ، فيروى ابن أخيه أنه قدم على عمه من البصرة رجل له علم ونسك وزهادة ، فأكرمه وأدناه وقربه ، وذكر صحبته له فى المكتب ، ثم انقضت فترة من الزمن جاء بعدها الرجل للشهادة فى احدى القضايا ومعه شاهد آخر ، وكانت دهشة ابن أخى بكار بالغة حينما رآه يرد شهادة صديقه ويقبل شهادة الرجل الآخر ، فأقبل عليه يسأله : هذا رجل زاهد وأنت تعرفه ؟ فقال بكار : يا ابن أخى ، ماردت شهادته،

(١) النجوم الزاهدة الهامش جـ ٣ ص ٣٩

(٢) ابن خلكان جـ ٣ ص ٦٥ نشر الرفاعى .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٧٧

الا أنه كنا صغارا ، وكنا على مائدة عليها أرز وفيها حلو ، فنقبت الأرز بأصبعى ، فقال : « أخرقتها لتغرق أهلها » . فقلت له : أتهزأ بكتاب الله على الطعام ؟ ثم أمسكت عن كلامه مدة ، وما أقدر على قبول قوله ، وأنا أذكر ذلك منه (١) » .

حكى جار لبكار اسمه أحمد بن سهل الهروى قال : كنت لا ألازم غريما لى الا بعد صلاة العشاء الآخرة ، وكنت ساكنا فى جوار بكار بن قتيبة ، فانصرفت ليلة الى منزلى فسمعت بكارا يقرأ : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢) » . فوقفت وقوفا طويلا وأنا أسمعه يكررها ، ثم انصرفت فقمت فى السحر على أن أصير الى منزل الغريم فاذا بكار يقرأ الآية ، ويرددها ويبكى ، فعلمت أنه قضى ليله بقراءتها .

وكان بكار بن قتيبة من البكائين التالين لكتاب الله وكان كثيرا مايردد:

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها
ليعيبنى فى نفسى عن الناس شاغل(٣)

وكان الى جانب قيامه بالقضاء يعقد مجلسا يحدث الناس فيه بالمسجد ، وكان ابن طولون يعظمه ويعرف قدره ، ويذهب الى حلقته فى المسجد يسمع منه وهو يملى الحديث ومجلسه مملوء بالناس ، ويتقدم الحاجب قائلا لا يتغير أحد من مكانه ، فما يشعر القاضى بكار الا وابن طولون الى جانبه ، فيقول له : أيها الأمير ، ألا تركتنى حتى كنت أقضى حقك ، وأؤدى واجبك أحسن الله جزاءك وتولى مكافأتك (٤) » .

وظل الأمر بين القاضى بكار والأمير أحمد بن طولون يجرى على خير ما يكون من الاجلال والاحترام والمودة والتقدير وكان ابن طولون يجرى عليه مرتبه مضيفا اليه ألف دينار يقدمها له فى كيس كل عام

(١) ابن خلكان جـ ٣ ص ٦٦
(٢) سورة ص ، آية رقم ٢٦
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٣ ص ٢٨٢
(٤) النجوم الزاهدة جـ ٣ ص ١٩

حتى فسد الأمر بين المعتمد وأخيه الموفق وانحاز ابن طولون الى جانب المعتمد وكان الموفق هو رجل الدولة الفعلى وطلب ابن طولون من العلماء أن يفتوا بخلع الموفق من ولاية العهد، ولكن القاضى بكار بن قتيبه امتنع عن ذلك ، فحاول معه مرات فلم يجد منه استعدادا للاستجابة لرغبته فبدأ الأمر يفسد بينهما •

وهناك روايتان • تقول احداهما ان ابن طولون طلب من القاضى بكار أن يلعن الموفق فتوقف فى ذلك فغضب ابن طولون فلما تبين ذلك بكار من ابن طولون ، وظهرت له موجدته عليه قال له : ألا لعنة الله على الظالمين « فقيل لابن طولون انه انما قصدك بهذا ، هذه رواية كتاب القضاة (١) ، أما غيره فيقول : ان ابن طولون جمع القضاة والفقهاء والأشراف وسيرهم الى دمشق فاجتمعوا بها ، وخلع الموفق ، وأن الفقهاء أفتوا بخلعه الا بكار بن قتيبة ، فانه قال له : أنت أوردت على كتابا من المعتمد أن الموفق ولى عهده • فأورد على كتابا منه بخلعه •

فقال ابن طولون : هو الآن مقهور مغلوب ، وأنا أحبسك حتى يرد كتابه بالخلع (٢) •

وسواء كان السبب الرواية الأولى أو الثانية فان ابن طولون أمر بحبس بكار فى دار أعدها له، وطلب إليه أن يعيد الجوائز التى قدمها له خلال السنوات الماضية ظنا منه أنه تصرف فيها وأراد أن يعجزه بردها ولكن بكارا كان يحتفظ بها مختومة كما تسلمها ولذلك كان رده أنها كما تسلمها فى داره وأن ابن طولون يستطيع أن يستعيدها وكان عددها ثمانية عشر كيسا أو ستة عشر فى كل منها ألف دينار ، فاستحيا ابن طولون من استرداد الأكياس ، ولكن ذلك لم يصرفه عن استمرار اعتقال بكار وطلب اليه أن يسلم القضاء الى محمد ابن شاذان الجوهرى ، فكان يتصرف فى القضاء طوال اعتقال بكار كنائب عنه (٣) •

---

(١) القضاة الذين ولوا مصر ص ١٤٩
(٢) ابن خلكان جـ ٣ ص ٦٣
(٣) ابن خلكان ، والنجوم الزاهرة ، وتهذيب تاريخ دمشق .

وكان بكار يتهيأ لصلاة الجمعة كل يوم جمعة فيغتسل عند حلول الوقت ثم يلبس أحسن ثيابه ثم يخرج الى السجان ، فيقول له السجان : الى أين تريد ؟

فيقول بكار : أريد صلاة الجمعة ، فيقول له السجان : لا سبيل الى ذلك فيرجع بكار ويقول : الله المستعان [1]

ولما سجن بكار انقطع مجلس الحديث فضج أصحاب الحديث وشكوا الى ابن طولون انقطاع اسماع الحديث من بكار ، وسألوه أن يأذن لهم فى تلقى الحديث عنه فاستجاب ، وكان بكار يحدث من داخل سجنه من طاق فيه والناس فى الخارج يتلقون عنه ، فيالها من صورة رائعة تجبر الحكام على الخضوع لسلطان العلم والتطامن أمام عظمته وكم شهد تاريخ المسلمين من عظماء أملوا كتبهم من داخل جدران السجون فلم يمنع ذلك طلاب المعرفة أن يسعوا اليهم ويأخذوا عنهم ، وحسبنا أن تعلم فى هذا المقام أن السرخسى أملى كتابه المبسوط على تلاميذه من خلف أسوار السجن فهى وان منعت اتصال الأجسام فلم تمنع نور المعرفة أن ينفذ من خلال جدرانها السميكة فيضىء عقول الطلاب ويهدى قلوبهم .

وقد ظل بكار فى سجنه حتى اعتل ابن طولون ودنا منه الموت فبعث الى بكار يعرض عليه أن يعيده الى أحسن مما كان عليه من المنزلة والجاه والسلطان ، فما كان من بكار الا أن رد عليه رد العالم الوقور الجلد الصبور المؤمن الواثق فى عدل الله سبحانه وكان هذا الرد الذى عبرت عنه كلمات بكار أشد هولا على نفس ابن طولون من كل الشدائد ، فقد قال للرسول الذى جاءه : قل له : شيخ فان ، وعليل مدنف ، والملتقى عن قريب بين يدى الله ، والقاضى الله عز وجل ، فأبلغ الرسول ذلك ابن طولون ، فأطرق ساعة ، ثم أقبل يقول : شيخ فان وعليل مدنف

---

(١) القضاة ص ١٥٠

والملتقى قريب والقاضى الله ، وكرر ذلك الى أن غشى عليه (١) •

وفضل بكار بعد موت ابن طولون أن يبقى بالدار التى حبس بها قائلا انه ألفها وتعهد بدفع ايجارها ثم توفى فى نفس العام بعد أربعين يوما من وفاة ابن طولون عن ٨٧ سنة فرحمه الله وأكرم مثواه ؟

د• محمد ابراهيم الجيوشى

خلع السلطان نور الدين محمود ابن زنكى على الحسن بن صافى النحوى الملقب بملك النحاة ، خلعة ثمينة ، ونزل الحسن يقصد داره • فوجد فى الطريق جمعا حول رجل معه تيس • ويقول الرجل انه علم التيس استخراج الخبايا ومعرفة ما يقول له من غير اشارة ، فلما وقف عليه ملك النحاة قال الرجل لذلك التيس : فى حلقتى رجل عظيم القدر، شائع الذكر ، ملك فى زى سوقة ، أعلم الناس وأكرم الناس وأجمل الناس ، فأرنى اياه ، فشق ذلك التيس الحلقة وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلقة ووهبها لصاحب التيس •

وبلغ الأمر نور الدين فعاتب ملك النحاة أن استخف بخلعته ووهبها لسوقى • فاعتذر قائلا : يامولاى ، عذرى فى ذلك واضح ، لأن فى هذه المدينة زيادة عن مائة ألف تيس مافيهم من عرف قدرى الا هذا التيس ، فجازيته على ذلك ، فضحك منه نور الدين وسكت ؟

(من معجم الأدباء ج ٧ ص ١٢٥)

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٨

هل فى القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور على العمارى

— ٣ —

١١ ـ الواو فى قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (١) .

وفى قوله سبحانه : « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به (٢) .

وفى قوله تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا » (٣)

وفى قوله تعالى : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا » (٤)

وممن قال بزيادة (واو النسق) ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن) ومثل ببعض هذه الآيات ، ونقله الطبرى عن بعض نحاة البصرة ، وذكر صاحب المغنى أن زيادة الواو مذهب الكوفيين والأخفش ، وجماعة .

ولكن جرى جمع من المفسرين على أنها غير زائدة فى بعض هذه الآيات التى ذكرت .

ونحن نود بكل ما فى قلوبنا من ايمان ، وبكل ما ندرك من البلاغة العالية فى القرآن الكريم أن نجد وجها للحكم على حرف من القرآن الكريم بالأصالة ، ورفض القول بزيادته لفائدة كما عليه (أكثر أهل العلم) ،ولكننا نرى أن التكلف يفسد أكثر مما يصلح ، وأن القول بالزيادة مع توضيح الفائدة منها أولى من الابعاد فى التأويلات مما يغمض فهم المعانى ، أو مما يجعلها غير مستساغة .

---

(١) الزمر آية ٧١

(٢) آل عمران آية ٩١

(٣) الصافات آية ١٠٣ ـ ١٠٥

(٤) سورة يوسف آية ١٥

والزيادة وردت فى كلام العرب ، والقرآن جاء بلغتهم ، ونهج نهج أساليبهم فلا ضير أن تكون فيه حروف مزيدة لتأكيد المعنى ، أو حتى لتحسين اللفظ - كما يرى بعض العلماء - .

فقالوا فى آية الزمر ان جواب (اذا) محذوف ، والتقدير : (حتى اذا فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها .

ومن هؤلاء الزمخشرى ، ونص عبارته : (حتى - هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية ، الا أن جزاءها محذوف ، وانما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة ،فدل بحذفه على أنه شىء لا يحيط به الوصف ، وحق موقعه ما بعد خالدين ، وقيل : (حتى اذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها) .

فالزمخشرى لم يقدر جواب الشرط ، ولكنه تركه مبهما لما تركته الآية لأنه (شىء لا يحيط به الوصف) هذا فى الجواب الأول ، أما فى الثانى فقد قدره (جاءوها) .

والضعف واضح فى هذا التقدير الثانى .

وتبع الفخر الرازى وأبو السعود الزمخشرى فى الجواب الأول ، الا أن الفخر جوز أيضا أن تكون الواو فى (وفتحت) واو الحال ، كما جوز أن تكون الواو فى (وقال لهم خزنتها) زائدة ، وهذه الجملة هى جواب (اذا) .

وأيد الطبرى (النحاة) فى القول بزيادة الواو فى قوله تعالى : (وناديناه أن يا ابراهيم) وجعل هذه الجملة هى جواب (لما) .

وذهب جماعة من المفسرين فى آية (يوسف) منهم الزمخشرى والرازى مذهبهم فى آية الزمر ، أى أن جواب (لما) فيها محذوف تقديره : فعلوا به من الأذى ما فعلوا .

أما آية (آل عمران) . (ولو افتدى به) ، فقد كفانا مئونة البحث عما قيل فيها فضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق فى بحث عنوانه : (درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز) الذى نشرته مجلة الأزهر ابتداء من

عدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ الى عدد ربيع الأول ١٣٨٨ هـ وهو بحث جيد، وان كانت لنا عليه بعض ملاحظات .

وقد خص (الواو) التى قيل انها زائدة ببحث ضاف نشر فى ثلاثة أعداد وفيه ذكر ما قاله جمهرة المفسرين فى آية آل عمران ، وقد ناقش هذه الأقوال مناقشة علمية واعية ، وخلص الى ترجيح رأى من الآراء التى ذكرها يخرج الآية الكريمة على أصالة الواو ، بعد أن أبطل كل قول بزيادتها .

نقل عن الفخر الرازى ثلاثة وجوه فى تفسير الآية على أن الواو أصلية ، الثالث منها ، وهو وجه خطر ببال الفخر كما يقول ان سبحانه لا يقبل من الكفار ملء الأرض ذهبا ، ولو كان واقعا على سبيل الفدية تنبيها على أنه لما لم يكن مقبولا بهذا الطريق فبأن لا يكون مقبولا منه بسائر الطرق أولى .

وقد فهم الشيخ أن الفخر يجعل الواو عاطفة ما بعدها على شرط مقدر هو نقيض ذلك المذكور بعدها ، وأولى منه بالحكم المصرح به ، فيكون تقدير الآية أن الكفار الذى ماتوا على الكفر لن يقبل من أحد منهم ملء الأرض ذهبا لو لم يجعله فدية له من العذاب ، بل لو جعله فدية .

وفسر الشيخ عبارة (لو لم يجعله فدية) بأن يكون قد تصدق به ، أو قدمه قربة ، أو وجهه فى أى وجهة من الوجوه غير مريد به الافتداء من العذاب .

والمراد طبعا تقديمه صدقة أو قربة فى الآخرة ، بدليل الآية الأخرى : « ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (١) » .

وبدليل قوله تعالى : « ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة » (٢) .

فالكفار انما يتطلعون الى تقديم أموالهم يوم القيامة حين يرون العذاب ومن هنا قال ابن جرير فى تفسير آية آل عمران (ولو افتدى به) : (فلن

---

(١) سورة المائدة آية ٣٦

(٢) سورة الزمر آية ٤٧

يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ، ولا جعل على العفو عنه) .

فالتقديم انما يكون فى الآخرة فاهذه واحدة .

الثانية أن الشيخ تاج ، وهو يمهد لهذا البحث قال ان المقابل المسكوت عنه أولى بالحكم المصرح مع المنطوق من هذا المنطوق نفسه ، وأعاد هذا المعنى نفسه عندما تحدث عن الآية التى معنا حيث قال : (مع ملاحظة أن أحد الطرفين منطوق والآخر مسكوت عنه ثابت له الحكم بالطريق الأولى).

ثم قال فى آخر عبارته التى نقلناها : (فاذا كان لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا لو أراد الافتداء به كما صرحت الآية فأولى ألا يقبل منه فى غير ذلك من الوجوه) .

فاذا دققنا النظر وجدنا أن الأمر على خلاف ذلك ، فانه لو كان قدمه صدقة ، أو فى أية قربة ربما كان جديرا بأن يقبل منه ، ذلك أن الحكم المصرح به فى هذه الآية هو (عدم القبول) وليست الصدقة مثلا أولى بهذا الحكم من الفدية ، ولو قيل فاذا لم يقبل منه حين يقدمه صدقة فأولى ألا يقبل منه حين يقدمه فدية ، لأن الفدية أقل عند الله تعالى من الصدقة .

ثم كيف يقدمه يوم القيامة صدقة ، أو قربة ، هل يتصور أن يفعل ذلك هناك ، أو هو مجرد افتراض .

ان الشيخ مشكور أن يبذل أقصى الطاقة ليبعد عن حرف واحد من القرآن شبح الزيادة ، ولكن لابد أن يكون التخريج سليما ، والا وقعنا فيما فررنا منه .

فتخريج هذا الحرف على الزيادة ليس له وجه واضح، وتخريجه على الأصالة ليس له وجه سليم ، فلم يبق الا أن نذكر هنا بكلمة الفخر الرازى التى كتبها ، وهو يفسر قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا » ، من سورة العنكبوت ، قال الرازى : (ما من حرف ولا حركة فى القرآن الا وفيه فائدة ، ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى أكثرها ، وما أوتى البشر من العلم الا قليلا) .

١٢ ــ من فى قوله تعالى : « ولقد جاءك من نبأى المرسلين (١) وفى قوله

(١) الأنعام آية ٣٤

سبحانه : « ما أريد منهم من رزق » (١) وفى قوله عز قائلا : « وما تسقط من ورقة الا يعلمها » (٢) وقوله عز وجل : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » (٣) وفى قوله العلى القدير : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله » (٤) .

وقال أبو البقاء فى قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (٥) من زائدة ، وشىء فى موضع المصدر .

الى آيات آخر حكم فيها بزيادة (من) .

أما الآية الأولى فقد جعل الزمخشرى (من) فيها بمعنى بعض ، وقال : (بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين) . فهى - عنده - أصلية . وكذلك فعل أبو السعود ولكن كان أصرح من الزمخشرى حيث قال : (والجار والمجرور فى محل الرفع على أنه فاعل ، أما باعتبار مضمونه أى بعض نبأ المرسلين ، أو بتقدير الموصوف أى بعض من نبأ المرسلين) .

ورويت الزيادة فى هذه الآية عن الأخفش ، ونظرها بقولهم : أصابنا من مطر ، أى أصابنا مطر . ولكن يبدو أن المفسرين لم يأخذوا بهذا الرأى - وهم يوافقون (سيبويه) الذى لا يجيز زيادة (من) فى الاثبات .

وسكت الزمخشرى عن (من) فى الآية الثانية ، وكذلك فعل أبو السعود والنسفى لأنهما يترسمان كثيرا خطى الزمخشرى ، ويمكن أن نستنتج من صنيع كل هؤلاء أن (من) زائدة ، ولكنهم لم يروا أن يصرحوا بهذا الرأى .

وفى الآية الثالثة يشير صنيع الزمخشرى الى أن (من) زائدة ، وذلك حيث يقول : (وقرىء ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع ، وفيه وجهان : أن يكون عطفا على محل (من ورقة) ، وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين) . وكذلك فعل أبو السعود ، أما النسفى فقد قال : (من للاستغراق) ويفهم

(١) الداريات آية ٥٧
(٢) الأنعام آية ٥٩
(٣) الملك آيه ٣
(٤) المؤمنون آية ٦١
(٥) الأنعام آية ٣٨

من هـذا أنهـا زائدة ، وقد ذكر ابن هشام هذا حين قال فى بيـان أوجه (من) (الرابع عشر التنصيص على العمـوم ، وهى الزائدة فى نحـو : ما جاءنى من رجل ، فانه قبل دخولها يحتمل نفس الجنس ، ونفى الوحدة ، ولهذا يصح أن يقـال : بل رجلان ، ويمتنع ذلك بعد دخول (من) .

وصرح رشيد رضا فى المنار باسقاط (من) ، فقـال : (أى وما تسـقط ورقة) ويبدو أنه ليس هنا وجه للقول بأصالة من فى هذه الآية .

وفى الآية الرابعة ، وقـد دخلت (من) على ما هو مفعول فى الحقيقة . وقـد سـكت كثير من المفسرين عنها : الزمخشرى والفخر الـرازى وأبو السعود والنسفى والخازن . كل أولئك سكتوا ولم يشيروا أية اشارة الى (من) فى قولـه سـبحانه (من تفاوت) و (من فطور) .

وقد ذكر ابن هشام فى المغنى أن (من) تزاد فى المنصـوب وفى المرفـوع وذكر أن لزيادتهـا ثلاثـة شروط . أولها : تقـدم نفى أو نهى أو استفهام ، ومثل مع هذا الشرط بهذه الآية الكريمة من سورة تبارك ، والثانى : تنكير مجرورها ، والثالث : كونه فاعلا،أو مفعولا به أو مبتدأ(١) . وهذه الشروط الثلاثة متوفرة فى هذه الآية الكريمة .

١٣ ـ ما فى قوله تعـالى : « فبما رحمـة من الله لنت لهم (٢) وقوله سبحانه « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله .. » (٣) وقوله جل شأنه: « ممـا خطيـآتهم أغرقوا فأدخلـوا نارا » (٤) .

وذكر ابن قتيبه أن (ما) قد تزاد كقـوله : « عمـا قليـل ليصبحن نادمين » (٥) و « أيا ما تدعـو فله الأسـماء الحسنى » (٦) . (تأومل مشكل القرآن ص ١٩٦) .

وأورد ابن هشام فى المدنى قولـه تعالى : « ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » ونقل عن

---

(١) المغنى جـ ٢ ص ١٦
(٢) آل عمران آية ١٥٩
(٣) النساء آية ١٥٥
(٤) نوح آية ٢٥
(٥) المؤمنون آية ٤٠
(٦) الاسراء آية ١١٠

الزجاج قوله :(ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود ».

وذكر لما هذه عدة تخريجات .

قيل (ما) اسم نكرة صفة لمثلا ، أو بدل منه ، وبعوضة عطف بيان على ما والأكثرون على أن ما (ما) موصولة أى الذى هو بعوضه .

واختار الزمخشرى كون (ما) استفهامية ، مبتدأ وبعوضة خبرها ، والمعنى : أى شيء البعوضة فما فوقها فى الحقارة . هكذا ذكر ابن هشام فى المغنى .

غير أن الزمخشرى اختار هذا الوجه اذا كانت بعوضة مرفوعة ، أما على قراءة النصب فيرى الزمخشرى أن (ما) هذه ابهامية ، قال : وهى التى اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما ، وكقولك : اعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان . أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله : فبما نقضهم ميثاقهم ، كأنه قيل : لا يستحيى أن يضرب مثلا حقا ، أو ألبته . هذا اذا نصبت .

وكأن الزمخشرى يرى أن ما الابهامية ليست زائدة بدليل عطف كلمة (صلة) عليها ، وهكذا فهم أبو السعود ، فقال : وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا .. كأنه قيل : مثلا ما من الأمثال أى مثل كان فهى صفة لما قبلها .

لكن صاحب (الانتصاف) ناصر الدين بن المنير ، صاحب التعليق على الكشاف يرى أنها حرفية زيدت لغرض الابهام والعموم .

فيلخص أن (ما) فى قراءة نصب بعوضة حرفية مزيدة .

وقد سبق قول الزمخشرى أن (ما) فى (فبما نقضهم ميثاقهم) مزيدة للتوكيد واعترف الرازى بزيادة (ما) فى (فبما نقضهم ميثاقهم) مزيدة (مما) خطيئاتهم) ما صلة ، كقوله « فبما نقضهم » . « فبما رحمة » ،

والمعنى : من خطاياهم أى من أجلها وبسببها) .

وذكر الزمخشرى فى (أيا ما تدعو) أن (ما) صلة للابهام المؤكد لما فى أى ، فصرح هنا بأن (ما) الابهامية صلة ، وهى لاتكون صلة حتى تكون حرفا .

وكذلك عاد أبو السعود هنا وذكر أنها (مزيدة لتأكيد ما فى أى من الابهام) .

وذكر ابن هشام أن (ما) تزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو: « أينما تكونوا يدرككم الموت » (١) . « واما تخافن » (٢) أو غير جازمة نحو : « حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم » (٣) .

د . على العمارى

ادعى بعضهم بدين على أحمد بن محمد بن عبد الله بن هارون العسكرى النحوى ، (توفى بعد سنة ٣٦٩ هـ - ٩٧٩ م) ، واختصما عند أحد القضاة ، فقال المدعى عليه : ما له عندى حق ، فقال القاضى : من هذا ؟ فقالوا: ابن هارون النحوى العسكرى . فقال القاضى : فاعطه ما أقررت له به ، وهذا اعتماد على ما يذكره النحاة أن (ما) فى هذه الحالة ليست نافية ، ولكن بمعنى (الذى) ، فيكون جواب ابن هارون : الذى له عندى حق ؟

(من معجم الأدباء لياقوت جـ ٤ ص ٢٣١)

---

(١) النساء آية ٧٨
(٢) الأنفال آية ٥٨
(٣) فصلت آية ٢٠

دفع شبهات حول أحاديث صحيحة

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

اولا ــ رهن درعه صلى الله عليه وسلم عند يهودى :

يثير بعض ذوى المقاصد الحسنة من ضيقى الأفق وقليلى البضاعة من علوم السنة شكوكا حول هذا الحديث ، كما يثير ذوو المقاصد الملتوية والضمائر الغوية الزوبعة العاصفة على الحديث بدعوى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فى حاجة الى استجداء القرض من عدوه اليهودى وعنده خيبر وفدك يؤول اليه ريعهما وكذا كل ما يوجف المسلمون عليه من خيل أو ركاب وأنه كان لا يرضى أن يصلى اماما على من مات مدينا فكيف به وقد مات هو مدينا ليهودى على ثلاثين صاعا • ونعود الى الحديث فنقول : أخرج البخارى والنسائى وابن ماجه وأحمد عن أنس قال: « رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعا عند يهودى بالمدينة وأخذ منه شعيرا لأهله » وأخرج الشيخان من حديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى الى أجل ورهنه درعا من حديد » وأخرجا عنها بلفظ « أنه صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير » وأخرج مثله أحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس • وقد أخرجه الشافعى فى الأم من طريق جعفر الصادق عن أبيه « أن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعا له عند أبى الشحم اليهودى رجل من بنى ظفر فى شعير » •

ومن مجموع هذه الطرق يتبين لنا أن اليهودى المرتهن عنده الدرع اسمه أبو الشحم حليف بنى ظفر قبيلة من العرب للقاعدة المعروفة من حمل المجهول على المعلوم • كما يتبين لنا أن الرهن الوارد فى القرآن لا يكون

الا فى سفر لأنه وثيقة بالدين لعدم وجود الكاتب وذلك فى قوله تعالى : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » وليس فى القرآن ما يدل على مشروعية الرهن فى الحضر • فجاء هذا الحديث وسجل حكم مشروعيته فى الحضر • قال القرطبى فى جامعه : قال جمهور من العلماء الرهن فى السفر بنص القرآن وفى الحضر ثابت بسنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا صحيح وقد بينا جوازه فى الحضر من الآية بالمعنى ، اذ قد تترتب الأعذار فى الحضر ، ولم يرو عن أحد منعه فى الحضر سوى مجاهد والضحاك وداود متمسكين بالآية ، ولا حجة فيها ، لأن هذا الكلام وان خرج مخرج الشرط فالمراد به غالب الأحوال • وليس كون الرهن فى الآية فى السفر مما يحظر فى غيره اهـ وقال ابن حزم فى المحلى : ان شرط المرتهن الرهن فى الحضر لم يكن له ذلك ، وان تبرع به الراهن جاز • وحمل الحديث على ذلك •

على أن الذى نستخلصه من هذا الحديث من كمال التشريع وتمام فقه الأحكام ما يجعل هذه الواقعة كانت ضرورية ليتضح من خلالها ما يلى

١ ـ جواز الرهن لأن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه •

٢ ـ جواز الرهن فى الحضر لأن ذلك تم بالمدينة وكان موطن البنى صلى الله عليه وسلم •

٣ ـ جواز معاملة من فى ماله حلال وحرام اذا لم يعلم عين الحلال والحرام ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم عامل اليهودى ، ومعلوم أن اليهود يستحلون ثمن الخمر ويربون •

٤ ـ عدم انفساخ الرهن بموت الراهن لأن النبى صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة •

٥ ـ أن الابراء يصح وأن يقبل المبرأ ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعدل عن معاملة مياسير الصحابة رضى الله عنهم مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما من أثرياء الصحابة الا لأنه كان يعلم أنه لو استقرض منهم أبرأوه • فلو كانت البراءة لا تصح الا بقبول المبرأ لكان لا تقبل البراءة فعدل النبى صلى الله عليه وسلم الى اليهودى الذى يعلم أنه يطالبه بحقه ، ولأنه وثيقة فى السفر

فجازت في الحضر كالضمان والشهادة .

ومما تقدم يتضح أن خبر الرهن صحيح من حيث الاسناد ،وصحيح من حيث المتن بل ان الأحكام التي يعطيها هذا من الخصوبة الفقهية والمرونة الانسانية التي يوحيها هذا الخبر بالمكان العظيم .

ثانيا ـ الرقيا بفاتحة الكتاب :

واعترض بعض من لاأنس له بالعلم على حديث الرقيا بفاتحة الكتاب الذي أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله اني لأرقي ، والله لقد استضفناكم فلم يضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ : الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشي وما به قلبة قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم : اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم اقسموا واضربوا لي سهما معكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد أنكر هؤلاء الجاحدون أن يكون للفاتحة أي تأثير في الشفاء وقالوا كلاما تنزه الصحائف عن نقله أو الاشارة اليه لما يحمل من سخرية وازدراء بالحديث وأهله ونحن لن ندخل لهم الا من طريق المسلمات عندهم وعندنا فنقول :

ان الفاتحة قراءتها من أجل القربات الى الله تعالى ، وان التوسل الى الله تعالى بالأعمال الصالحة أمر مجمع على جوازه بل استحبابه بين المسلمين ، والصورة التي تمت هي قراءة الفاتحة من صحابي وناهيك بالفاتحة من ثنايا

صحابى ، وفى الصحيح القدسى : « قسمت الفاتحة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل » وهو حين يتمثل باليقين الجازم المطابق للواقع أن الله تبارك وتعالى يبادله الفاتحة ويشطرها معه تشطيرا قدسيا علويا ويكون العبد من الشفافية والسمو والاتصال والقرب فانه اذا توسل اليه بهذا العمل الصالح، لاسيما اذا استهدف مع هذا العمل الدعوة الى الله بترك أثر من بركة القرآن فى نفوس هؤلاء لعل الله أن يشرح بعد ذلك صدورهم فيكونوا من أهل الجود بالروح بعد أن بخلوا باللقم،فان الاجابة محققة لقوله تعالى : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » وقوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » وان قراءة الصحابى الكريم الفاتحة متوسلا بها حين كان يمر يده الشريفة على مكان الداء ، انما كانت أنفاسه الطاهرة تصعد الى السماء تصعد البخور من مجامر الطيب أو العطور من نوافح الروض ، وناهيك بطهر رجل يعطى من المال كل ما يشاء فيتعفف عنه ويتورع أن تمتد يده اليه ، لأن المال الذى وضع يده عليه لم يأت ثمرة مفاوضة عينيه وانما هى ثمرة دعاء مستجاب ووسيلة وجيهة عند الذى يخلق ويهدى ويسقم ويشفى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله (وانما شفاء العى السؤال) فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن أجازهم حتى أمرهم بأن يضربوا له سهما معهم لتقر أعينهم وتطمئن نفوسهم .

وقال العلماء : ان موضع الرقية منها انما هو (اياك نعبد واياك نستعين) وقيل : انها كلها رقية لقوله عليه السلام (وما أدراك أنها رقية ؟) ولم يقل (أن فيها رقية)

وان استجلاب الشفاء واستنزال الغيث بالعبادة والدعاء وصلاة الاستسقاء انما هى من الأمور التى لا يزيغ عنها الاهالك نسأل الله حسن العاقبة .

ثالثا ـ تحاجت الجنة والنار حتى يضع الجبار قدمه على النار الخ :

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لايدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم ، قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار : انما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل

واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلىء ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقا » أخرجه البخارى ومسلم ورواه البخارى عن أبى هريرة وروى آخره عن أنس ورواه مسلم من طرق عدة ورواه أيضا عن أبى سعيد وروى آخر عن أنس ، فهو من حيث ثبوته لاينكره أهل العلم والفهم أما الاعتراضات التى ساقها ذلك البعض فهى :

١ - كيف يصف النبى ربه فيجعل له قدما وليس فى القرآن صفة كهذه .

٢ - كيف يخلق الله تعالى النار أوسع مما هو مطلوب وهو القائل (انا كل شىء خلقناه بقدر) .

٣ - أيخلق الجنة خالية فى بعض أركانها ؟ ويرد عليها ما يرد على خلق النار ؟

فنقول : ليس هناك فرق بين ماأثبته القرآن من اليد والعين وما أثبتته السنة من الأصبع والقدم كلها ألفاظ نفوض أمرها وننزه الله تعالى عن مسمياتها بالنسبة للمخلوقات ، فنحن نؤمن بها كما جاءت فان قلنا من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل فهو مذهب السلف ، وان ذهبنا الى تفسير التنزيه بالتأويل فهو مذهب الخلف (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ونحب أن نهمس فى أذن أولئك الذين يدعون أنهم أعداء التأويل وأنهم يدينون بمذهب السلف : أليس فى صرف اللفظ عن ظاهره نوع من التأويل ؟ فلم يعادى بعضنا بعضا من أجل خلافات لفظية ؟ . وقال العلامة القسطلانى فى شرحه على البخارى : (القدم والرجل فى هذا الحديث صفات الله تعالى المنزهة عن التكييف والتشبيه ،فالايمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدى من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه (ليس كمثله شىء) .

ثم تنزوى النار وتجتمع وتلتقى على من فيها ولا يخلق لها خلقا لأنه تبارك وتعالى لا يظلم من خلقه أحدا . أما الجنة فانه سبحانه ينشىء لها خلقا ، فيسكنهم ليعلمنا أن فضله عظيم وأن الثواب ليس موقوفا على العمل فقد يعمل العبد عملا يسيرا ويكون الثواب عليه جزيلا ،وقد لايعمل شيئا - كهذا

الخلق - وينزله الله منازل الأبرار فلا معقب لحكمه ،ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون •

أما الاعتراض بخلو بعض الأماكن واتساع رقعتها فانه سبحانه هو العليم بالحكمة من ذلك والاعتراض عليه افتئات على مقام الألوهية ، فاذا كنا لا نستطيع الاعتراض على خلو القمر من الحياة ، ولا وجود الصحراء الكبرى ، ولا الربع الخالى،ولا صحراء تيفادا ، ولا مجاهل سيبريا ولا كون ثلاثة أرباع الكرة الأرضية بحارا والربع يابسا فكيف نتطاول حتى نصل الى الجنة والنار ؟

وللامام أبى بكر البيهقى بحث فى كلمة القدم،وقد ذكر الروايات بطرقها المختلفة عن أبى هريرة وأنس وأبى سعيد الخدرى الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير اضافة فقال : (حتى يضع فيها قدما) قال : قال أبو سليمان الخطابى رحمه الله فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل أو ترك الاضافة انها تركها تهيبا لها وطلبا للسلامة من خطأ التأويل فيها •وقال أبو عبيد وهو أحد أئمة أهل العلم : نحن نروى هذه الأحاديث ولا نريغ لها المعانى ثم تكلم عن انقسام أهل العلم بسبب دخول الفلسفة وعلم الكلام والاعتزال وهؤلاء هم الذين يكذبون العلماء الذين رووا هذه الأحاديث وهم أئمة الدين ونقلة السنن والواسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والطائفة الأخرى مسلمة للرواية فيها ذاهبة فى تحقيق الظاهر مذهبا يكاد يفضى الى التشبيه ونحن نرغب عن الأمرين معا ، ولا نرضى بواحد منهما مذهبا ،فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث اذا صحت من طريق النقل والسند تأويلا يخرج على معانى أصول الدين ومذاهب العلماء ، ولا نبطل الرواية فيها أصلا اذا كانت طرقها مرضية ونقلتها عدولا • قال أبو سليمان : وذكر القدم هنا يحتمل أن يكون المراد من قدمهم الله للنار من أهلها فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار •وكل شىء قدمته فهو قدم كما قيل لما هدمته هدم ،ولما قبضته قبض • ومن هذا قوله عز وجل : (وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقا) فاتفق المعنيان أن كل واحد من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفى به عدة أهلها فتمتلىء عند ذلك •

قال الشيخ : وفيما كتب الى أبو نصر من كتاب أبى الحسن ابن مهدى الطبرى عن النضر بن شميل أن معنى قوله (حتى يضع الجبار فيها قدمه) أى من سبق فى علمه أنه من أهل النار • قال أبو سليمان : قد تأول بعضهم الرجل على نحو من هذا قال : والمراد استيفاء عدد الجماعة الذين استوجبوا دخول النار • قال : والعرب تسمى جماعة الجراد رجلا كما سموا جماعة الظباء سربا وجماعة النعام خيطا وجماعة الحمير عانة • قال : وان كان هذا اسما خاصا لجماعة الجراد فقد يستعار لجماعة الناس على سبيل التشبيه • والكلام المستعار والمنقول من موضعه كثير ، والأمر فيه عند أهل اللغة مشهور • وفيه وجه آخر وهو أن هذه الأسماء مثل يراد بها اثبات معان لاحظ لظاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة ، وانما أريد بوضع الرجل عليها نوع من الزجر لها والتسكين من غربها كما يقول القائل للشىء يريد محوه وابطاله : جعلته تحت رجلى ووضعته تحت قدمى • وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فقال : (ألا ان كل دم ومأثرة فى الجاهلية فهو تحت قدمى هاتين الا سقاية الحاج وسدانة البيت) يريد محو تلك المآثر وابطالها وما أكثر ما تضرب العرب الأمثال فى كلامها بأسماء الأعضاء وهى لا تريد أعيانها كما تقول فى الرجل يسبق منه القول أو الفعل ثم يقدم عليه : قد سقط فى يده — أى ندم — وكقوله رغم أنف الرجل ، اذا ذل • وعلا كعبه ، اذا جل • وجعلت كلام فلان دبر أذنى ، وكقول امرىء القيس فى وصف الليل :

فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف اعجازا وناء بكلكل

وليس هناك صلب ولا عجز ولا كلكل • انما أمثال ضربها لما أراد من بيان طول الليل (١) والله تعالى أعلم ؟

محمد نجيب المطيعى

---

(١) راجع الأسماء والصفات للبيهقى •

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٤ —

حينما أردنا أن نديرالحديث عن اسلاميات شوقي ما كان يدور بخلدنا تلك الناحية المحدودة من شعره في المناسبات الدينية ، أو الشخصيات الاسلامية التي سجلها في كتابه « دول العرب وعظماء الاسلام » أو تلك المقطوعات النثرية الرائعة من « أسواق الذهب » كقوله فيها عن الصوم : « حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى اذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه اذا لذع » أو قوله في شاهد الزور : « يا شاهد الزور ، أنت شر موزور ، ضللت القضاة ، وحلفت كاذبا بالله ، ونلت الأبرياء بالأذاة ، وحلت بين القصاص والجناة، والله يقول : « ولكم في القصاص حياة » أو قوله في الصلاة : « لو لم تكن رأس العبادات ، لعدت من صالح العادات ، رياضة أبدان ، وطهارة أردان ، وتهذيب وجدان ، وشتى فضائل يشب عليها الجوارى والولدان ، أصحابها الصابرون ، والمثابرون ، وعلى الواجب هم القادرون ، عودتهم البكور ، وهو مفتاح باب الرزق ، وخير ما يعالج به العبد مناجاة الرازق ، وأفضل ما يرود به المخلوق التوجه الى الخالق ، ولهم اليها بعد البكور رواح ، فاذا هي تصرفهم عن دواعي الليل ومغرياته ، وتعصمهم فيه من عوادى الفراغ ومغوياته ، والليل خلوات وشهوات ، وبيت الغوايات ، أنظر جلال الجمع ، وتأمل أثرها في المجتمع ، وكيف ساوت العلية بالرفع ـ الرعاع ـ

مست الأرض الجباه ، فالناس أكفاء وأشباه ، الرعية والولاة ، شرع فى عتبة الله ، خر الجمع للمناخر ، فالصف الأول كالآخر ، لم يرفع المتصدر تصدره ، ولم يضع المتأخر تأخره ، وهكذا من الموضوعات التى يظن أنه يقصر جهده عليها ،أو يجعل حديثه لا ينحرف الا اليها .. وانما كنا نعنى تلك الروح الطيبة التى كانت تهيمن على أحاسيسه ووجداناته فى كل غرض يحاوله ، أو هدف يولى وجهه له ، وهى ظاهرة أقل ما تدل عليه من معنى أنه لم يكن يتاجر بهذه العاطفة ، أو يشترى بها ضمائر هؤلاء الملايين من المسلمين الذين يقبلون عليه بقلوبهم وأفئدتهم ، ويرون فى شعره مرآة صادقة لعقيدة المؤمن الذى هذبه الايمان ، وصقله الدين وحلقت روحه فى أفق علوى ، بعيد عن سفاسف الالحاد والزيف ، والشك والتردد ، وغيرها من الأفكار النازلة التى تعودها الناس من هؤلاء الذين يزعمون أنهم يعيشون فى الأبراج العاجية ، أو وادى عبقر الذى ينسبون اليه كل خارج عن طوق الناس وقد كنت أخذت نفسى بمبدأ لا أحيد عنه ــ اذا أردت الكتابة فى موضوع من الموضوعات ــ وهو أن أضع أفكار غيرى جانبا ، وألا ألتزم بأسلوب سبقنى به كاتب أو باحث ، ولهذا لم أجعل المنار الهادى لنفسى سوى النص الذى تدور عليه الرحى ، وأعنى به ديوان الشاعر أتصحفه قصيدة بعد أخرى ، وبيتا فى اثر بيت ، لأرى مدى هذا الاشعاع المنبثق فى نفس هذا الرجل ، وكان دهشى عظيما وأنا أتنقل مع هذا الانسان الكبير ، اذ رأيت « اسلامياته » التى تتناثر منه فى ثنايا شعره فى الأغراض أعظم شأنا ، وأكثر روعة ، وأفخم بيانا ، وأعلى صوتا ، وأنفذ الى الضمائر والأفئدة ، من تلك التى تكون فى هذا الجو الدينى ، أو المناسبة الخاصة ، أو المجال الذى تعارف الناس على ألا يستمعوا الى هذا اللون من الشعر الا فيه ، وما كان يظن أحدا أن قصيدة يستقبل بها الشاعر وطنه الذى أرغمته الظروف القاسية على الارتحال عنه ، والترك له ، وفيه أهله وخلانه ، وآماله وأحلامه ، ومراتع صباه ، وأمجاده وتاريخه ، ما كان يظن أحد أن فرحة اللقاء لهذا الوطن تقترن بها تلك الأحاسيس النبيلة لدينه وهى التى امتزجت به ، وعقيدته وهى التى سيطرت عليه ،الا أن ذلك هو ما كان، وفى مقدمة تلك القصيدة ــ فى الجزء

الأول من الشوقيات - « كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكرا لها ، وعرفانا بجميلها ، ثم انتقل الى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التى كانت - حينئذ - شغل البلاد الشاغل ، وقد أنشدت هذه القصيدة فى اجتماع لجان التموين بالأوبرا الملكية سنة عشرين ، وأنت ترى أن حديثه عن نفسه ، وارتياحه لعودته من المنفى بعد تلك الغيبة الشاقة ..

ويا وطنى لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا

ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا

أدير اليك قبل البيت وجهى
اذا فهت الشهادة والمتابا

وقد سبقت ركائبى القوافى
مقلدة أزمتها طرابا

تجوب الدهر نحوك والفيافى
وتقتحم الليالى لا العبابا

وتهديك الثناء الحر تاجا
على تاجيك مؤتلفا عجابا

فصفحا للزمان لصبح يوم
به أضحى الزمان الى نابا

وحيا الله فتيانا سماحا
كسوا عطفى من فخر ثيابا

ملائكة اذا حفوك يوما
أحبك كل من تلقى وهابا

تلقونى بكل أغر زاه
كأن على أسرته شهابا

ترى الايمان مؤتلفا عليه
ونور العلم والكرم اللبابا

وتلمح من وضاءة صفحتيه
محيا مصر رائعة كعابا

وما أدبى لما أسدوه أهل
ولكن من أحب الشىء حابا

وأنت ترى الكلمات التى تنضح بالتدين ، وتنم عن القلب العامر بالايمان ، وعن الروح المسلمة التى تسيطر عليها نزعة الاعتقاد الصحيح فى رسالة هذا النبى الذى بعث به ربه هاديا ونذيرا ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ولا تكاد تردد قوله : « ولو أنى دعيت لكنت دينى » أو قوله: «ملائكة اذا حفوك» أو قوله : « ترى الايمان مؤتلفا عليه » الا رأيت أنك فى جو مملوء بجلال الشريعة

ونفحاتها ، كأنك فى بيت من بيوت الله تزدحم فيه القلوب بالتقوى ، والأفئدة بالخشوع ، والضمائر بالشوق الى جنة عرضها السماوات والأرض ، فاذا تجاوزت ذلك الى هذا المعنى الذى يأخذ على جماهير المحتشدين تفكيرهم الحاد ، وبلبالهم المتيقظ ، وهمهم الذى كان يقوم بهم ويقعد ، وهو غلاء الأسعار الذى اجتمعوا لدراسته ، ووضع الحلول لمشاكله القائمة ، دوى فى أذنيك هذا الصوت الموسيقى الحلو وهو يقول :

شباب النيل ان لكم لصوتا
ملبى حين يرفع مستجابا

فهزوا العرش بالدعوات حتى
يخفف عن كنانته العذابا

أمن حرب البسوس الى غلاء
يكاد يعيدها سبعا صعابا

وهل فى القوم يوسف يتقيها
ويحسن حسبة ويرى صوابا

عبادك رب قد جاعوا بمصر
أنيلا سقت فيهم أم سرابا

حنانك واهد للحسنى تجارا
بها ملكوا المرافق والرقابا

ورقق للفقير بها قلوبا
محجرة وأكبادا صلابا

أمن أكل اليتيم له عقاب
ومن أكل الفقير فلا عقابا

أصيب من التجار بكل ضار
أشد من الزمان عليه نابا

يكاد اذا غذاه أو كساه
ينازعه الحشاشة والاهابا

وتسمع رحمة فى كل ناد
ولست تحس للبر انتدابا

أكل فى كتاب الله الا
زكاة المال ليست فيه بابا

ولم أر مثل سوق الخير كسبا
ولا كتجارة السوء اكتسابا

ولا كأولئك البؤساء ساء
اذا جوعتها انتشرت ذئابا

وهو فى هذه الأبيات من القصيدة ـ كما ترى ـ لا تهزه عاطفة الدين وكفى ، وانما تهزه ـ كذلك ـ عاطفة المروءة التى لا تدعه ليغمض عينيه على القذى ، كما يغمض غيره من الناس الذين يعللون أنفسهم بالظاهر من قول الله جل جلاله : « عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم » وانما تلح عليه أن ينصح غير متهيب ما تجره عليه عقبى هذا النصح ، ولا نهاية تلك الجرأة ، والحرب العالمية الأولى كانت

تأكل الأخضر واليابس - حتى من الرجال والأقوات - فى الوقت الذى لم يكن لنا من وراء ذلك كله مغنم ولا فائدة ، وانما المغنم والفائدة لهذا المستعمر الجاثم على صدورنا ، ومثل هذا القول الذى يقوله الشاعر : « أمن حرب البسوس الى غلاء » والأبيات بعده التى تجرد الحكم من الصلاحية والحزم والكياسة فى التوزيع العادل بين الناس : « وهل فى القوم يوسف يتقيها » وقوله كذلك بعد هذا وهذا :

عبادك رب قد جاعوا بمصر
أنيلا سقت فيهم أم سرابا

يدل دلالة واضحة على أن الرجل كان من هؤلاء الأفذاذ الذين لا يتكرر وجودهم ، ولا يجود بهم الزمن الا قليلا ، ونحن اذا لاحظنا أن هذا الموقف الجرىء لم يقفه أبطال السياسة ،ولا صناديد الوطنية ،لم يدر بخلدنا شك - أى شك - فى أن النزعة الدينية وحدها هى التى جعلت منه تلك الصلابة النادرة فى اعلان كلمة الحق عالية مدوية ولا مواربة فيها ولا نفاق ، وكيف ينافق أمير الشعراء الذى انتهينا من التحليل النفسى له أنه شىء آخر غير هؤلاء المعاصرين له من الأقران والأنداد ، ونعنى بهذا الشىء الآخر - فيما نعتقد - هذا المخلوق الذى يجعل لنفسه حق الوصاية على سواه ، يتعب له ، ويكد من أجله ويسهر لراحته ، ويشقى لاسعاده ، ويسعى بكل ما يملك من جهد ليوفر له العيش الطيب ، والجو الصالح ، والحياة الآمنة المطمئنة ، وهذا هو فرق ما بينه وبين الشعراء ، أو بعبارة أخرى فرق ما بين الشاعر الخالد ، والشاعر الذى يسحب عليه الزمن ثوب النسيان ، وشوقى لم يكن من هذا الطراز الذى يعيش لنفسه ، وانما كان من هذا الطراز الذى يعيش فى ضمائر الناس وأفئدتهم ، وربما ملأ هذا المعنى قلبه الى حد أن كان يحمله على الزهو والخيلاء ، ولذلك تراه يقول فى القصيدة التى يرد بها على وفود الشعراء الذين اجتمعوا لمبايعته على امارة الشعر فى آخر الجزء الثانى من « الشوقيات » :

رب جار تلفتت مصر توليـ
ـه سؤال الكريم عن جيرانه

بعثتنى معزيا بمآقى
وطنى أو مهنئا بلسانه

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق وكان العزاء فى أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجر
ح وأن نلتقي على أشجانه

كلما أن بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه في عمانه

وعلينا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث في قضبانه

نحن في الفكر بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانه

وإذا كان التدين في نظر رجل الدين بعد الأخذ بتعاليمه ، والخضوع لأوامره ، والالتزام لحدوده ، والعمل على مقتضى هديه ـ في الحلال والحرام ـ وامتزاج حبه بلحمه ودمه ، وهو يدعو اليه ، ويدافع عنه ، ويجاهد في سبيل اعلاء كلمته ، فانه هو لا يكتفي بذلك حتى يضيف اليه الاعداد الاجتماعي الواعي الذي يرسم خطوطه بلباقة ومهارة ، وحنكة وكياسة ، وحزم ودهاء ، وذوق وأدب ، حملة الأقلام ، وأرباب البيان ، ودهاقين البلاغة ، من الكتاب أو الشعراء ، الذين يستطيعون بما لهم من القدرة على سحر القول أن يتلاعبوا بالأفئدة ، وأن يقودوها الى شاطىء الأمان ، وبر السلامة ، وهذا هو الذي كان يعمل له مدى حياته ، والذي استطاع به أن يعيش في قلوب الناس ، وصفحات التاريخ ، ونازع به الدهر الخلود ؟

دكتور/ ابراهيم على ابو الخشب

تنبيـه :

وقع سهوا في عدد المحرم ١٣٩٥ هـ
الجزء الحادي عشر وصحته الجزء الأول

المجلة

صفحات من تاريخ القاهرة

باب اللوق - ابو تعلب - المدرسة الشريفية

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٣ —

كلنا نعرف شارع القصر العينى . وهو منسوب الى قصر العينى الذى به الآن جزء من المستشفى الجامعى لكلية الطب بجامعة القاهرة .

فما هو هذا القصر ؟؟ ومن الذى أنشأه ؟؟

هذا القصر أنشأه سنة ١٤٦٦ م (٨٧١ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن قاضى قضاة الحنفية بدر الدين محمود العينى . أى منذ أكثر من خمسة قرون .

وجده قاضى القضاة بدر الدين المذكور أصله من عين تاب أو عينتاب (شمال حلب بسوريا وهى من الجمهورية التركية الآن) . ولعل العينى نسبة اليها . ولو أنها نسبة على غير القياس . تولى الحسبة أو قضاء الحنفية بمصر عدة مرات سنة ٨٠١ هـ بدلا من المؤرخ المقريزى . وتبادل تولى الحسبة مع المقريزى أكثر من مرة . وظل يتولى الحسبة أو القضاء حتى سنة ٨٤٦ هـ . وكان يعزر السوقة بذهاب المال (أى المصادرة) فمن وجد فى بضاعته غشا يرسلها الى من فى الحبوس (البحوث) فيأكلها المحبوسون .

والحسبة وظيفة اسلامية هامة . من اختصاصها مراقبة الأسواق والأسعار . وسلامة المعروضات من الغش . وصحة الموازين والمكاييل . والآداب العامة . وغير ذلك . وكانت وظيفة المحتسب أقرب لوظيفة مدير الأمن الآن بالنسبة لهذه الجرائم . ويمتاز عنه بتوقيع العقوبات التى يراها مناسبة فورا . وكان هذا يسمى بالتعزير . وهو غير الحدود المنصوص عنها فى الشريعة .

وتوفى بدر الدين محمـود العينى سنة ٨٥٥ هـ • ودفن فى مدرسـته التى أنشأها سنة ٨١٤ باسم المدرسـة العينية • ولا تزال المدرسـة موجودة للآن بشـارع محمـد عبـده خلف الجامع الأزهر •

ولم يذكر المقريزى المدرسةالعينية فى خططه ضمن المدارس والزوايا • مـع أن المقريزى توفى سـنة ٨٤٥ والمدرسـة منشأة من سنة ٨١٤ هـ • ولعـل هـذا للتنافس بين الاثنين على وظيفـة الحسبـة • وهى سـقطة من المقريزى •

وكانت الحارة التى بها المدرسـة تعرف بالعينيـة : كما ورد فى تاريخ الجبرتى • وكانت تعرف فى عهـد المقريزى بحـارة كتامة • نسبـة الى احدى القبائل التى ناصرت الفاطميين فى المغرب • وكانت عماد الدولة ولها التقدم فى صـدر الدولة الفاطمية • حتى نكبها الحاكم بأمر الله بقتـل كبيرها ابن عمار • وحل محـل ابن عمار فى الوساطة (الوزارة تقريبا) برجوان • وهوخصى من خدم العزيز بالله والد الحاكم كان أوصاه عليه • ثم قتل الحاكم برجوان هذا بعد ذلك وحارة برجوان التى تصل تقريبا بين شارعى مرجوش والخرنفش نسـبة اليه حيث كان هناك سكنه •

وممن دفن بالمدرسـة العينية مـع بدر الدين العينى شهاب الدين أحمد ابن محمد القسطلانى صاحب (ارشاد السـارى لشرح صحيح البخـارى) توفى سنة ٩٢٣ هـ •

ولبدر الدين العينى من المؤلفـات (تاريخ عقد الجمان فى أخبار الزمان) فى عشرين جـزءا بعض أجـزائه ناقصة• واختصره الى ثمانية• ويعرف بالتـاريخ العينى • ولا يزال مخطوطا بدار الكتب • وذكره ابن اياس فى بدائع الزهور باسم التاريخ البدرى • وله (عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى) فى أحد عشر جزءا طبـع فى الآستانة سنة ١٣١٠ هـ (١٩٨٢م) و (كشف اللثام فى شرح السـيرة النبوية لابن هشام) وشرح لجزء من سنن ابن داود فى الحديث فى جزأين (موجـود منـه نسخة بخط المؤلف بدار الـكتب) • وغيرهـا كثير من الشروح فى العلوم الدينية واللغوية •

وتزوج ابنه عبدالرحيم بابنة خوند الأحمدية • وهي ربيبة السلطان خوشقدم الذي وصل للسلطنةفمابعد (٨٦٥ – ٨٧٢ هـ) • فولدت له شهاب الدين أحمد منشىء القصر العيني • ولذلك كان يطلق عليه سبط السلطان خوشقدم • والحقيقة أن أمه ربيبة السلطان أي بنت زوجته • وتوفيت أمه سنة ٨٦٧ هـ •

وعلا شأن شهاب الدين أحمد العيني في عهد السلطان خوشقدم • فأنعم عليه سنة ٨٦٩ بتقدمة ألف • وهي اعلى الرتب العسكرية • ومن حامليها يختار للوظائف الكبرى مثل الاستدارية والجاشنكيرية والنيابة في الأقاليم مثل نيابة دمشق ونيابة حلب وغيرهما •

والاستدار أصلها – كما ذكر القلقشندي في صبح الأعشى – استذار • مركبة من كلمتين : استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك • وهو الذي يتولى قبض مال السلطان وصرفه وتمثيل أوامره فيه • وذكرت دائرة المعارف الأسلامية أنها من أستاذ • ومعناها الرئيس والمعلم ورب الصنعة • وأن العامة اختصرت لفظ أستاذ الى أوستى أو أسطى بمعنى حوذي • وهذا المعنى من دائرة المعرف غير دقيق فالناس لا يقصدون من لفظ أوسطى الحوذي فقط ولكن يقصدون رئيس الحرفة •

والجاشناكير فارسية مركبة من كلمتين جاشنا بمعنى الذوق وكير سعنى المتعاطي • وهو الذي يتصدى لتذوق الطعام والشراب قبل السلطان خوفاً أن يكون مسموما •

وعين أحمد العيني أميرا للحج • وحجت جدته لأمه –زوجة السلطان– في هذه السنة فبالغ أحمد العيني في التجمل والظهور • حتى جعل كراز الماء من الذهب الخالص المرصع بالياقوت والزبرجدوالفيروز (والكراز والكراز القارورة أو الكوز الضيق الرأس والجمع كرزان) • وخرج من القاهرة في موكب عظيم – وجدته في محفة زركش – وأمامه الأمراء والمباشرون • وعاد سنة ٨٧٠ هـ من الحج فكان موكبه في العودة لا يقل عظمة وأبهة عن موكبه فيالخروج • وتوفيت جدته في نفس السنة بعد عودتها من الحج •

وفي سنة ٨٧١ عين أمير أخور • وهي من الوظائف الكبرى•فهو الذي

يتولى مباشرة اصطبلات السلطان بما فيها من الخيل والابل وغيرها • وهى مركبة فى كلمتين احداهما عربية (أمير) • والثانية (أخور) فارسية ومعناها المعلف أى مكان العلف غذاء الدواب • ونلاحظ التشابه فى اللفظ مع الدلالة على نفس المعنى بين أخور و (ecurie) الفرنسية • وبين اصطبل و (stable) الانجليزية •

وقال ابن اياس فى بدائع الزهور : فتزايدت عظمته وأصبحت له حرمة وافرة وكلمة نافذة • وهو الذى أنشأ القصر العظيم المطل على البحر بمنشية المهرانى • ولما كملت عمارة القصر نزل السلطان (أى من القلعة) وأقام هناك الى بعد العصر فتفرج فى ذلك اليوم على البحر • وكان يوما سلطانيا • ا هـ •

ومنشاة المهرانى نسبة الى الأمير بلباى المهرانى فى دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦) هـ • وهو أول من عمر بها بعد ظهور أراضيها نتيجة لتحول النيل غربا وكان موقعها ما بين فم الخليج ، والقصر العينى حاليا •

ثم أنعم عليه برتبة الامارة • وأصبح هو القائم بتدبير المملكة مع خير بك •

وتوفى السلطان خوشقدم سنة ٨٧٢ هـ • وتولى بعده الظاهر بلباى المعروف بالمجنون • ثم الظاهر تمر بغا • ومكث كل منهما فى الحكم ما يقرب من الشهرين •

وعين بلباى أحمد العينى أمير مجلس • وأمير مجلس هو من يتولى مجلس السلطان فى ترتيب الدخول والجلوس وغير ذلك •

وكان العينى يطلق عليه لقب عزيز مصر • ووصل الى درجة من الطموح حتى خيل اليه أنه يصل الى السلطنة بعد خلع الظاهر تمربغا •

ولكن ما طار طير وارتفع الا وهبط كما ارتفع • فلما تولى الأشرف قايتباى سنة ٨٧٢ هـ قبض على خيربك وأحمد العينى • وخير بك هذا هو الذى لقب بسلطان ليلة • لأنه لما خلع الظاهر تمر بغا أعلن نفسه سلطانا وعين المقربين اليه فى الوظائف المختلفة • وكان هذا ليلا • فلما أصبح الصباح كان الأمر استقر لقايتباى • وقبض عليه •

وتنكر الحظ للعيني ، فتقررت عليه الغرامات ، وضربه قايتباى بيده عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه ، وأغمى عليه ، ونهب بيته أثناء القبض عليه حتى قيل أنه ضاع له من الموجودات ما قيمته أكثر من خمسين ألف دينار .

وأفرج عنه ثم أعيد القبض عليه وتقررت عليه غرامات أخرى ، ثم أفرج عنه ، وظل بعيدا عن الوظائف ولكن مقربا من السلطان بصفته أحد الأعيان ، فسافر معه الى الاسكندرية سنة ٨٨٤ هـ ، وهى المرة الثانية التى سافر اليها قايتباى ، لمعاينة البرج الذى أقامه فى الميناء ، وكان أمر به فى المرة السابقة ، وقلعة قايتباى موجودة بالاسكندرية للآن .

وتوفى قايتباى سنة ٩٠١ هـ ، وخلفه ابنه الناصر محمد ، وكان لأحمد العينى ولد اسمه أيضا الناصر محمد ، فعينه السلطان الناصر فى وظيفة نظر الجوالى (والجوالى هى الجزية وهى ما كان يؤخذ من أهل الذمة من ضريبة على كل انسان) ، ثم عزله بعد شهرين ، وحج الناصر بن العينى سنة ٩٠٢ هـ وعاد فتوفى سنة ٩٠٣ هـ ، وأثرت وفاته على والده كثيرا .

واضطرب الحكم بعد قايتباى لطيش ونزق وصغر سن ابنه الناصر محمد ، الذى خلع سنة ٩٠٤ هـ ، وتولى مكانه خاله الظاهر قانصوه بن قانصوه فأمر بالقبض على أحمد العينى وقرر عليه مبلغا من المال ، ولكن أحمد العينى تمكن من الهروب الى مكة .

وتوالى السلاطين فى مصر ، فلم يمكث الظاهر قانصوه طويلا وخلع سنة ٩٠٥ هـ ، وتلاه الأشرف جان بلاط فخلع وقتل بعد حكم قصير يزيد قليلا عن الستة شهور ، وتلاه العادل طومان باى فخلع وقتل بعد حوالى الثلاثة شهور ، وتولى بعد الأشرف قانصوه الغورى سنة ٩٠٦ هـ .

وفى سنة ٩٠٨ هـ ثارت فتنة بمكة ، ونهبت خلالها دار العينى بمكة فهرب الى المدينة ، وأرسل الغورى مع المحمل قوة لاخماد الفتنة وتأديب العصاة ، وأمرها بالقبض على العينى واحضاره لمصر مقيدا بالحديد .

ولكن الله كان قد أراح أحمد العينى وكفاه شر هذه المحنة الجديدة ، فلما عادت القوة فى ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ أخبروا أن شهاب الدين أحمد ابن العينى توفى بالمدينة ودفن بالبقيع .

وبالبقيع مقابر أهل المدينة ، وبها قبور كثير من الأعلام ، منهم ابراهيم ابن الرسول (صلى الله عليه وسلم) . والعباس بن عبد المطلب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) . والخليفة عثمان بن عفان ، والامام الحسن ابن على بن أبى طالب ، والامام مالك ابن أنس ، وغيرهم .

وبخروج العينى من مصر ثم بوفاته أصبح قصر العينى من أملاك الدولة .

وكان الوالى العثمانى والبكوات المماليك فى عهد العثمانيين الذين استولوا على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) يستعملون قصر العينى أحيانا للنزهة ، وأحيانا دارا للضيافة . وأحيانا أخرى عندما يعزل الأمراء الوالى ينزلونه من القلعة الى أحد البيوت بالمدينة أو فى القصر العينى حيث يظل حتى يرد أمر من استنبول بمحاسبته وسفره .

وآخر حكم البكوات المماليك كان ابراهيم بك الكبير ينزل فيه أغلب وقته ، حتى قدم نابليون سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨ م) .

وكان بجوار القصر العينى من جهته الجنوبية تكية ، وهى مكان لخلوة فقراء الصوفية الأعجام ويسمون بالدراويش للتفرغ للعبادة وتجرى عليهم الأرزاق بما يلزمهم من كسوة ومأكل وغيره من أوقاف خاصة .

وقد ذكر على مبارك أنها كانت موجودة فى وقته (طبعت الخطط التوفيقية سنة ١٣٠٦هـ - سنة١٨٨٨ م) وأنها على شط فم الخليج عند منيل الروضة . وبها قبتان مفروشتان بالرخام الترابيع ، باحداهما سبيل منقوش على رخامه (صاحب الخيرات والحسنات حسين قبودان فى ١٥ رمضان سنة ١١٩٧ هـ) والثانية لعمل الذكر كل ليلة بعد العشاء ، والحضرة (أى اجتماع الصوفية فى شبه حفلة دينية) تعقد كل يوم جمعة . وقال : وبها ضريح الشيخ العينى !! . وبها مساكن علوية لسكنى الصوفية ولها مرتب من الروزنامجة (الخزانة العمومية تقريبا) غير ايراد أوقافها . ولها بستان نضر ، وكانت تعرف بتكية البكتاشية لأنها كانت موقوفة على طائفة الأعجام المعروفة بالبكتاشية .

وقال فى مكان آخر أنه بجوار التكية غيط معروف باسم غيط خيار شنبر . ويفهم من قوله أن مكان هذا الغيط أو الحقل حاليا المبانى بين

شارع كورنيش النيل وشارع القصر العيني والتي منها : مستشفى الأمراض المتوطنة ، ومستشفى فم الخليج ومستشفى الكلب ، ومعهد السرطان وغيرها حتى فم الخليج • وخيار شنبر تمر في أشجار معمرة أشبه بقرون الخروب ومعروف عند العطارين كعلاج طبى لأمراض الصدر والمعدة•

واستعمل الفرنسيون فترة وجودهم بمصر القصر العيني كمستشفى لجنودهم • ولما قتل كليبر دفنوه فى حديقة القصر • ثم نقلوا جثمانه معهم عند جلائهم عن القاهرة فى ١٥/٧/١٨٠١ م •

وكان من مشروعات محمد على الاصلاحية نشر التعليم بمصر • فأرسل البعثات الى أوربا •منها ٢٨ طالبا من سنة ١٨١٣ – ١٨٢٥ ، ٢٩١ طالبا من سنة ١٨٢٦ – ١٨٤٨ م •

ونبغ من رجال البعثات الأولى فى الفنون الحربية عثمان نور الدين فأنشأ فى القصر العيني سنة ١٨٢٥ المدرسة الحربية • وكان عدد تلاميذها ٥٠٠ ، وهذا علاوة على مدرسة أركان الحرب بالخانكة • وتعين أحد زملائه (أحمد خليل) ناظرا للمدرسة الحربية المذكورة •

وكان عثمان نور الدين عضوا فى اللجنة التى تشكلت سنة ١٨٢٢ لوضع نظام التعليم العسكرى ، وكان من أعضائها أيضا سليمان أغا الفرنساوى (سليمان باشا وكان أصل اسمه الكولونيل سيف) •

وكان التعليم جميعه له الطابع العسكرى ، كما كانت الوظائف الحكومية فى كافة النواحى ذات رتب عسكرية ، وكان النجباء من تلاميذ المكاتب الأهلية بالقرى والمدن ينتحبون ويحضرون الى القصر العيني حيث يمضون عدة سنوات •ثم ينتقلون منها الى مدرسة الطب بأبى زعبل أو المهندسخانة (الهندسة) بأبى زعبل أو – بعد ذلك الى المهندسخانة ببولاق – وينتخب منهم أعضاء البعثات للخارج •

وكان محمد على أنشأ بأبى زعبل مارستان (أى مستشفى) به ١٥٠٠ سرير ، ومدرسة للطب بها ١٠٠ طالب ، وافتتح المدرسة والمستشفى فى ٢٨/٢/١٨٢٧

وفى سنة ١٨٣١ صدر أمر محمد على بالحاق شخصين من أغوات الحريم من ذوى الدراية بالقراءة

والكتابة بمدرسة الطب لتعليمهما الطب والجراحة بمعرفة كلوت بك (وهذا لخدمة سيدات الأسرة الحاكمة) •
وفى نفس الأمر أن تشترى عشر جوار سودانيات صغيرات السن منتخبات بمعرفة كلوت بك واعطاؤهن اليه لتلقى صناعة الطب والجراحة والولادة • وفتحت لهن مدرسة الولادة ، وألحقت بمدرسة الطب البشرى بأبى زعبل •

ولا أريد أن أسترسل فى ذكر تقدم حركة التعليم فى مصر • فهو موضوع ليس هنا مكانه ، ولكنى أقصر الكلام هنا على القصر العينى وما مر به من تطورات •

غير أنه قد يكون من الطريف أن أذكر أن أول وصول البنج من أمريكا واستعماله فى العمليات الجراحية فى مصر كان سنة ١٨٤٦ ، فقد استعمله كلوت بك فى عمليتين جراحيتين احداهما سرطان فى العين ، كما استعمله المسيو فرانق (أصلها فرانك وقلبوا الكاف قافا لتصبح عربية !!) حكيم ابراهيم باشا فى حالة بتر رجل، وكتب بهذا تقريرا محمد أفندى الشافعى البكباشى وكيل المدرسة الى ديوان المدارس •

ومحمد الشافعى المذكور هو الدكتور محمد بك الشافعى أصله من طلبة الأزهر • ودرس بمدرسة الطب بأبى زعبل ، وأرسل فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٢٦ ، وعاد سنة ١٨٣٨، فعين مدرسا للأمراض الباطنية بأبى زعبل ، ثم مدرسا للطب فى القصر العينى ، ثم ناظرا عليها ، وهو أول طبيب مصرى تولى رئاستها (افتتحت مدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٥٦ كما سيأتى ذكره باذن الله وتولى كلوت بك رئاستها لغاية سنة ١٨٥٨ ، وتلاه الدكتور محمد بك الشافعى ، وتوفى كلوت بك سنة ١٨٦٨ م) •

وتوفى الدكتور محمد بك الشافعى سنة ١٨٦٠ ، وله من المؤلفات العلمية (أحسن الأعراض فى التشخيص لمعالجة الأمراض) و (السراج الوهاج فى التشخيص والعلاج) ، وترجم عن الفرنسية (الدرر الغوال فى معالجة الأطفال) لمؤلفه كلوت بك •

وتوجد حارة صغيرة بالقرب من محلات عمر أفندى بشارع عبد العزيز تصل ما بين شارعى عبد العزيز

والجمهورية ، وتمتد شمال مسرح الجمهورية الحالى ، اسمها حارة شافعى ، حيث كان منزله هناك ، وكان رحمه الله جديرا بمكان أكبر لتخليد ذكراه ، أو على الأقل تذكره اللافتة بلقبه العلمى باسم حارة الدكتور شافعى للتعريف والذكرى .

وتدهورت صحة محمد على فاعتزل الحكم سنة ١٨٤٨ ، وتولى مكانه ابنه ابراهيم باشا ، ولم تطل أيام ابراهيم فتوفى فى نفس السنة (وتوفى محمد على فى سبتمبر سنة ١٨٤٩) ، وتولى بعد ابراهيم عباس حلمى الأول ابن أحمد طوسون بن محمد على بحكمه أكبر أفراد أسرة محمد على سنا .

وكان حكم عباس حلمى الأول نكبة على البلاد وتضييعا لما بذله محمد على فى القيام بمرافقها ، وأخص هذه النكبات كان على التعليم .

فقد ألغى أغلب المدارس وحصرها فى مدرسة واحدة لها ناظر واحد وتجمع هذه المدرسة كل المدارس ، وبلغت نفقات التعليم فى آخر سنة من حكمه ٥٠٠٠ جنيه بعد أن كانت فى آخر عهد محمد على ٨٨٠٠٠ جنيها .

وكان يتصيد الأسباب لالغاء المدارس ورفت المتخرجين منها ، فبعد شهرين تقريبا من ولايته أصدر قرارا بالغاء مدرسة الطب البيطرى ، وهذا نص القرار (مستغن عن التفصيل والبيان أن المتخرجين من مدرسة الطب البيطرى والمعينين فى تفاتيش الحكومة لاصلاح جنس الحيوانات ومداواتها قد تسببوا فى خسارات جسيمة وتلفيات عدة من الحيوانات المودعة تحت أمانتهم ، فضلا عن ذلك تسببوا فى تلف الجوادين الكريمين السقلاوى والأحمرانى الواردين هدية من طرف حضرة شريف مكة لابننا الكبير . كما أنهم تسببوا فى مرض الجواد عسيان الأحمر المقدم لنا من طرف فيصل بمرض السقاوى ، وظهر حقيقة هذا بمشاهدتنا الجواد المريض المذكور ، فبناء عليه ثبت أن كل التعب والمشقة والمصاريف الوافرة التى صرفت لهؤلاء الأطباء البيطريين من صغر سنهم الى اليوم ذهبت هباء . فاستخدامهم اليوم مضر بالخزينة بالنسبة للمرتبات التى يتناولونها ، وبحيوانات التفاتيش بالنسبة لعدم مبالاتهم وعنايتهم بها ، فعندما يصل أمرى اليكم عليكم أن تبطلوا وتلغوا مدرسة الطب البيطرى ، وتنزعوا وتب

ونياشين الحكماء البيطرية المستخدمين فى الحكومة كبيرا كان أو صغيرا ، ومن ضمنهم عشماوى أفندى ، وافصلوهم ، واطردوهم من جميع الوظائف الحكومية ، وقد حررنا هذا لكم لتبادروا بتنفيذه) أ هـ .

وفى سنة ١٨٥١ مر بمدينة المنيا فلم يعجبه حال المهندسين فيها فرفتهم جميعا وأمر بنزع نياشينهم ، وحرم شغلهم ثانية بوظائف الحكومة ، وأرسل لمدير المدارس يهدد بالغاء ديوان المدارس كلية (وديوان المدارس كان يقوم مقام وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالى الحاليتين) .

وفى سنة ١٨٥٤ ألغى مدرسة الألسن ، ونفى ناظرها رفاعة بك رافع الذى ظل ناظرا لها ١٥ سنة وتخرج منها على يديه العشرات من رواد النهضة الحديثة بمصر ، نفاه ليكون مدرسا بمدرسة الخرطوم الابتدائية ، ونفى معه الكثيرين من مدرسى مدرسة الألسن المذكورة وكذلك مدرسين بمدرسة المهندسخانة ليكونوا مدرسين بمدرسة الخرطوم الابتدائية ، وظلوا بالخرطوم حتى استرجعهم سعيد باشا سنة ١٨٥٦

ونفى بعض العلماء المشهود لهم بالنبوغ والصلاح ، بحجة أن من يمهد فيهم الصلاح من ذوى النبوغ سحرة ويخشى منهم .

وقتل عباس حلمى الأول سنة ١٨٥٤ وتولى بعده عمه سعيد باشا ابن محمد على .

وفى سنة ١٨٥٦ صدر قرار بانشاء مجلس خصوصى للطب ، وبعده صدر الأمر بانشاء مدرسة الطب فى القصر العينى ملحقة باستبالية القصر العينى لتعليم الطب والجراحة والعلوم الطبية والاجزائية (الصيدلة) ، وتقرر فتحها فى أول سبتمبر سنة ١٨٥٦ (غرة المحرم سنة ١٢٧٣ هـ) ويكون (تلاميذها ممن يحسنون القراءة والكتابة ، ويعرفون القواعد الأصلية للحساب ، ويكون سنهم نحو ١٥ سنة واذا لم يوجد من يعرف الحساب يرتب خوجه (مدرس) حساب ومبادىء هندسة ، وكذلك خوجه للغة الفرنسية ، وهذا وقتيا لحين انتاج تلامذة من المدرسة التجهيزية بالقلعة لتدريس الحساب والفرنساوى)

وكانت المدرسة التجهيزية بالقلعة قد صدر الأمر بانشائها قبل هذا بشهر تقريبا .

وتقرر أن يكون (تلاميذ) مدرسة الطب بالقصر العينى ٨٠ ، منهم ٦٠ لتعليم (يعنى تعلم) علوم الطب والجراحة ليكونوا حكماء ، و ٢٠ لتعليم العلوم الطبية والأجزاء ليكونوا اجزائية ، (ولا تزال كلمة أجزخانة أى مكان الاجزاء تجرى على ألسنة الناس بمبنى الصيدلية) .

وتوضح بالأمر المذكور كيفية معاملة (التلاميذ) من حيث الكساوى والمأكولات والاقامة والفسحة (الاجازة) والخروج عند انتهاء التعليم بالتدريج على خمس سنين وربط ماهية لكل تلميذ ٧٥ قرشا شهريا ، قابلة للزيادة والترقى ، وسمح لمن يرغب من الأهالى فى الانضمام الى المدرسة زيادة عن العدد المذكور ، ويعاملون نفس المعاملة .

وفى أكتوبر سنة ١٨٥٦ صدر أمر باعتماد لائحة مقدمة من كلوت بك وأقرها مجلس الطب الخصوصى من ٣٩ بندا عن (ترتيب وادارة مدرسة تعليم الطب وضبطها وربطها) .

وتشمل اللائحة على كيفية قبول التلامذة ودخولهم المدرسة وبيان الدروس وتقسيمها على الفصول والأيام والساعات والسنين، ومدتها ، وتنبيهات التعليم ، وما يجب على المعلمين والمساعدين من الملاحظة والمباشرة والدراسة وتحرى أحوال التلامذة ، وتمييز درجاتهم وطبقاتهم ، وحصول الامتحان العمومى السنوى فى النصف الأخير من شعبان (كانت مصالح الحكومة تعطل فى شهر رمضان لغاية بعد أيام عيد الفطر) ليحصل امتياز ذوى الفلاح عمن سواهم ، واجراء ضبط المدرسة على قانون العسكرية ، ووضع حدود للجزاءات المتنوعة حسب الأحوال .

وفيها ما هو مقتضى من الصنايعية والشغالة من ايجاد صانع موكل بحفظ وتصليح الآلات الطبية والكيمياء ، ونفر سكاكينى لحفظ وتصليح آلات الجراحة ، وبخشونجى (جناينى) واثنين مساعدين له لحفظ حديقة النباتات .

وفيها أيضا ما تقرر لكل تلميذ من الكساوى بما يفيد ترتيب كسوة (بدلة) واحدة من جوخ أزرق وكسوتين بفتة لكل تلميذ سنويا وطربوش وحزام ومركوبين وثلاثة ألبسة وثلاث طواقى ويتميز الخوجات (المدرسون) بألوان الرقبة والأكمام .

كمـا اشـتملت على ترتيب الأغذية والنوم ليلا والنظافة • وما تقـرر من ايجاد صندوق يدخر فيه خمسـة فى المـئة من مرتب كل تلميذ ، فضـلا عما يتحصل من الغرامات فى المخالفات المختلفة ، ويسـتعمل هذا المدخر فى شراء كتب أو أشياء مما لا تصرف الا بأثمانها •

كمـا نصـت أن لمجلس الطـب الخصـوصى الادارة والاشراف على المدرسة والمستخدمين فيها •

ونرى أنها لائحة وافيـة بالنسـبة لأغراضها فى ذلك الوقت ولكن شتان بين ما كان وما هو الآن ، فقد رأينـا أنه كان يكفى الطـالب للالتحـاق بمدرسة الطب مجرد معرفة القـراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، ثم تنفـق عليه الدولة وترتب له المسكن والغذاء والكساء والمصروف ، والآن لا يلتحق بكلية الطب الا المتفوقين فى امتحانات الثانوية العامة ، وبينما بدأت دراسـة الطب بمائة تلميذ بمدرسة أبى زعبل وبستين تلميذا بمدرسة الطب بالقصر العينى كما ذكرنا نجد الآن أن كليات الطب بهـا أكثر من ١٥٠٠٠ طالب ، فضلا عن طلبة طب الأسنان والصيدلة ومعاهد التمريض وغيرها •

وخرجت مدرسـة الطب بالقصر العينى ـ على بسـاطة نظمها ـ المئات الذين أفادوا وطنهم ومواطنيهم ، ونبغ منهم الكثيرون ، وجمعوا من مهنتهـم الثروات الطـائلة ، وخلدت لافتـات الشوارع أسـماء الكثيرين منهم كمـا ذكرنا وسنذكر باذن الله •

واهتم بعضهـم بتأليف وترجمـة الكتب الطبيـة لحـاجة التـدريس بالمدرسة ، وكانت كتبهـم تجمـع بين العـلم والأدب كروح العصر ، ممـا نجده واضحا فى أسماء هذه الكتب ، وقد ذكرنا مؤلفات الدكتور محمد بك الشـافعى ، ولا بأس أن نورد أيضـا بعض الأمثلة الأخرى لهذه الأسماء •

(روضـة النجـاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى) و (غرر النجاح فى أعمال الجراح) لمؤلفهمـا محمد على البقلى •

وهو الدكتور محمد على باشا البقلى كان طالبا بمدرسة الطب بأبى زعبل ، ثم أرسل فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٣٢ ولما عاد عين حكيمباشى (طبيب أول) (باسـتالية) القصر العينى • وكانت أنشئت قبل المدرسـة ، ثم نقله عباس حلمى الأول الى أحد أثمان العاصمة

(الثمن هو قسم البوليس حيث كانت العاصمة مقسمة الى ثمانية أثمان) . ثم عين مدرسا بالقصر العينى بعد انشاء مدرسة الطب ، ثم ناظرا عليها ، ثم سافر الى الحبشة رئيسا للأطباء فى الحملة التى أرسلها الخديوى اسماعيل بقيادة ابنه عزيز حسن ، واستشهد هناك سنة ١٨٧٦

وابنه أحمد حمدى باشا البقلى تخرج من مدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٦١ ، وأتم دراسته فى فرنسا سنة ١٨٦٩ ، وعين رئيسا لقسم الجراحة بالقصر العينى ، ثم مفتشا عاما لمصلحة الصحة (وزارة الصحة أنشئت سنة ١٩٣٥ وكانت مصلحة فقط قبل ذلك ، أما الأصل فقد تأسس مجلس الصحة والاسبتالية سنة ١٨٢٧ وظل بهذا الاسم لغاية سنة ١٨٣٥ حيث تسمى باسم مجلس الصحة العمومية) . وتوفى سنة ١٨٩٩ ، وله مؤلفات بالعربية والفرنسية منها (تحفة الجيب فى العمليات الجراحية والأربطة والتعصيب) و (الراحة فى أعمال الجراحة) ورسالة بالفرنسية عن (داء الفيل عند العرب) .

وزاوية البقلى قرية بالمنوفية أخرجت العشرات فى العصر الحديث ممن نبغوا فى الطب والهندسة والعلوم العسكرية والدينية . وجميعهم لقبهم البقلى نسبة للقرية . ولكنهم ليسوا من أسرة واحدة . وان كانت تربطهم رابطة القرابة كالمعتاد فى القرى من ارتباط أغلب عائلتها بروابط النسب والقرابة .

ومن الكتب الطبية فى ذلك الوقت (نزهة المحافل فى معرفة المفاصل) و (المنحة لطالبى الصحة) و (ونفحة القلم فى أمراض القدم) تأليف وتعريب الدكتور محمد عبد الفتاح من بعثة سنة ١٨٢٦

وأيضا (الروضة البهية فى الأمراض الجلدية) و النيرين فى مداواة العين) و (بهجة الرؤساء فى أمراض النساء) و (نزهة الأقبال فى مداواة الأطفال) و (عمدة المحتاج فى علمى الأدوية والعلاج) لمؤلفها الدكتور السيد أحمد حسن الرشيدى .

وفى هذه الأسماء ما يدل على أن التخصص فى فرع واحد من فروع الطب لم يكن معروفا . و (الدر الثمين فى فن الأقربازين) للدكتور حسين الرشيدى .

والدكتور أحمد حسن الرشيدى درس بالأزهر • ثم اشتغل مصححا للكتب الطبية بمدرسة أبى زعبل • ثم سافر فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٣٢ — وعاد سنة ١٨٣٨ فعين مدرسا للعلوم الطبية بمدرسة الطب بأبى زعبل الى أن عطلت • وتوفى سنة ١٨٦٥ وله مؤلفات أخرى غير ماذكر •

أما حسين الرشيدى فهو الدكتور حسين غانم الرشيدى كان أيضا من مصححى الكتب بأبى زعبل وسافر لفرنسا فى البعثة المذكورة وعاد لمصر سنة ١٨٤٥

وقد أسمت البلدية شارعا باسم شارع الرشيدى متفرعا من شارع القصر العينى أمام القصر العينى ولا أدرى هل هو تخليد لذكرى الأول أو الثانى •

ولم يكن السجع قاصرا على أسماء الكتب الطبية بل فى كل العلوم • فنجد مثلا فى الهندسة (نزهة الغايات فى حساب المثلثات) لاحمد دقلة • وفى الجيولوجيا (الأقوال المرضية فى علم الطبقات الأرضية) لأحمد ندا • وفى النبات (النور اللامع فى النبات ومافيه من الخواص والمنافع) لأنطون • وغيرها من الأمثلة •

وفى عهد الاحتلال الانجليزى أصبحت اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية بجانب اللغة العربية • بعد أن كانت التركية ثم الفرنسية • وبذلك أصبحت الدراسة بمدرسة الطب بالقصر العينى باللغة الانجليزية • وأصبحت مراكز الاستاذية وقفا على الأطباء الانجليز • ولكن جاهد بعض المصريين حتى وصلوا الى مراكز الأستاذية •

وبعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى اعترفت فيه انجلترا — مع أربعة تحفظات — بمصر دولة مستقلة ذات سيادة — نظم خروج الموظفين الانجليز من خدمة الحكومة المصرية • بتعويضات مبالغ فيها • وكانت دراسة الطب فى مصر قد تقدمت بما سمح للمصرين أن يشغلوا وظائف التدريس محل الانجليز بجدارة واستحقاق •

وفى سنة ١٩٢٥ أعلن انشاء جامعة القاهرة باسم جامعة فؤاد الأول • وكانت الجامعة المصرية موجودة منذ سنة ١٩٠٨ بمجهود واشراف

الأهلين • ولكن للدراسات النظرية فقط • فأصبحت بذلك جامعة رسمية تحت اشراف الحكومة • وانضمت مدرسة الطب بالقصر العينى للجامعة • وأصبحت كلية الطب بجامعة فؤاد الأول •

وفى سنة ١٩٢٩ شعرت الحكومة بعدم كفاية الكلية والمستشفى • فخصصت مساحة ٤٤ فدانا بالجهة البحرية بجزيرة الروضة لأقامة مستشفى وكلية جديدتين • وأسمت المستشفى باسم فؤاد الأول • وكان للمرحوم على باشا ابراهيم أثناء ادارته للجامعة (توفى سنة ١٩٤٧) الفضل فى جعل المستشفى والكلية على أحدث طراز • ولكن لغاية سنة ١٩٥٢ لم يكونا قد تمتا • وتمتا فى عهد الثورة •

وغلب الاسم القديم فأصبحت المبانى الجديدة تعرف بالقصر العينى الجديد

وتوالى انشاء الجامعات • وفى كل جامعة منها كلية للطب • فأنشئت جامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ باسم جامعة فاروق • وأنشئت جامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ باسم جامعة ابراهيم تملقا للأسرة المالكة وقتذاك•وأنشئت جامعة أسيوط سنة ١٩٥٧ • وتطورت الدراسة بالأزهر بالقانون ١٠٣/١٩٦١ الذى أقره مجلس الأمة فى ٦١/٦/٣٠ فأنشئت كلية الطب بالجامعة الأزهرية كما أنشئت بعدها كلية الطب بطنطا والمنصورة نواة لأنشاء جامعتين بهما •

هذا هو تاريخ قصر العينى • أو القصر العينى • ونحن الآن لا نتذكر شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى • منشىء القصر • وما مر عليه فى حياته من رفقة وخمول • وما كان فيها من عبرة وعظات ولكن اذا ذكرنا القصر العينى فأنما نتذكر الداء والدواء • وأن فيه شفاءا للناس ؟

محمد كمال السيد محمد

الشفعة على أقارب البائع في الشريعة والقانون

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

الشـــفعة على اقارب البـــائع فى الشريعة والقانون :

اتفق الفقهاء الذين يعتد باتفاقهم على ثبوت الشفعة على أقارب البائع كثبوتها على غير أقاربه .

فاذا باع ابن لأبيه نصيبه في عقار أو باع أب لابنه أو باع زوج لزوجته أو باع أخ لأخته فتثبت الشفعة على المشترى مهما كانت درجة قرابته من تحقق سبب الشفعة وهو اتصال الملك بالشركة أو الجوار ، وانتقـــال ملك الجار أو حصة الشريك بمعاوضته كالبيع ويدل لذلك عموم النصـوص المثبتة للشفعة فانها تفيد ثبوت الشفعة بدون تفريق بين مشتر قريب ومشترى غير قريب فالمشفوع عليه هو من انتقل اليه الملك بوصف كونه مشتر لا غير .

وخالـــف فى ذلك بعض فقهاء الاباضية فقالوا: لعدم ثبوت الشفعة فيما يبيعه الوالد لولده أو الولد لوالده ، أو أحد الزوجين للآخر لاتصال المنافع بين المتبايعين فى هذه الحالة واحتمال تأثير ذلك فى الثمن المحدد للعقار .

وذهب عبد الله حميد بن سلـوم السالمى من فقهاء الاباضية ـ فى كتابه جواهـر النظام فى علمى الأديـان والأحكام ـ الى ثبوت الشفعة فيما باعه الأب لأبنه والى عدم ثبوتها فيما باعه الابن لأبيه والى عدم ثبوت الشفعة فيما اشتراه الزوج من زوجته أو اشترته الزوجة من زوجها .

الشفعة على اقارب البائع فى الشريعة والقانون الوضعى :

نصت المـادة (٩٣٩) فقرة أولى بند (١) مدنى على أنه « لايجوز لأخـذ بالشـــفعة اذا وقع البيع بين الأصـول والفروع ، أو بين الزوجين أو بـين الأقارب لغاية الدرجة الرابعة ، أو بين

الأصهار لغاية الدرجة الثالثة فاذا كان المشترى واحدا من هؤلاء الأقارب المذكورين فى النص فان الشفعة ضده لا تجوز ، والحكمة فى هذا المنع أن البيع الذى يقع لواحدة من هؤلاء تراعى فيه اعتبارات تتعلق بشخص المشترى ، وغالبا ما تكون هذه الاعتبارات هى التى دفعت الى التصرف على نحو معين لهذا الشخص دون غيره من الأشخاص ، الأمر الذى لا يجوز معه أن تباح الشفعة لشخص آخر لا تتوافر بالنسبة اليه هذه الاعتبارات.

ولهذا فان الشفعة لاتجوز فى مثل ذلك البيع .ولو كان طالب الشفعة أقرب الى البائع من المشترى ، ويتضح من النص أن المنع يسرى على البيع الذى يقع بين الأقارب فى الحدود الآتية :

أولا : البيع بين الأصول والفروع حيث لا تجوز الشفعة فى هذا البيع أيا كانت درجة القرابة بين البائع والمشترى ، كما لو باع الأب لابنه أو باع الجد لحفيده ، ويستوى أن يكون البائع هو الأصل أو يكون هو الفرع .

ثانيا : البيع بين الزوجين : فلا تجوز الشفعة فى هذا البيع ما دام يقع أثناء قيام الزوجية: أما البيع السابق على قيام الزوجية أو اللاحق لها فتجوز الشفعة فيه .

ثالثا : البيع بين الأقارب لغاية الدرجة الرابعة : والمقصود بهؤلاء هم الأقارب الذين تجمع بينهم قرابة الحواشى لا القرابة المباشرة ، فهم غير الأصول والفروع وأن هؤلاء ذكرهم النص دون قيد من حيث درجة القرابة ، فلا تجوز الشفعة فى البيع الذى يقع بين الأقارب الحواشى لغاية الدرجة الرابعة ، وتحسب الدرجة طبقا لما تقضى به المادة (٣٦) مدنى بأن تعد الدرجات صعودا من الفرع للأصل المشترك ثم نزولا منه الى الفرع الآخر ، وكل فرع فيما عدا الأصل المشترك يعتبر درجة ، كالبيع الذى يصدر للأخ أو الأخت ، والبيع الذى يصدر لابن الأخ ،أو لابن الأخت أو العم ، أو العمة ، أو للخال ، أو للخالة والبيع الذى يصدر لابن العم أو لابن العمة أو لابن الخال أو لابن الخالة حيث يعتبر البيع الأول بين أقارب فى الدرجة الثانية ، ويعتبر البيع الثانى بين أقارب فى الدرجة الثالثة ويعتبر البيع الثالث بين أقارب فى الدرجة الرابعة ، أما اذا ازدادت

درجة القرابة عن ذلك فان الشفعة تجوز .

رابعا : البيع بين الأصهار لغاية الدرجة الثانية : والأصهار هم أقارب أحد الزوجين بالنسبة الى الزوج الآخر ، فلا تجوز الشفعة فى البيع الذى يقع بين الأصهار لغاية الدرجة الثانية ، وتحسب درجة القرابة بينهم طبقا لما تقضى به المادة (٣٧) مدنى « بأن يعتبر أقارب أحد الزوجين وفى نفس القرابة والدرجة بالنسبة الى الزوج الآخر كالبيع الذى يصدر لأب الزوج أو الزوجة أو لأم الزوج أو الزوجة ،أو لزوج البنتأو لزوجة الابن ، والبيع الذىيصدر لأخ الزوج أو الزوجة ، أو لأخت الزوج أو الزوجة ، حيث يعتبر البيع الأول بين أصهار فى الدرجة الأولى . ويعتبر البيع الثانىبين أصهار فىالدرجة الثانية

أما اذا زادت الدرجة عن ذلك ، كما لو صدر البيع من أحد الزوجين لعمزوج الآخر أو ابنأخيه فانالشفعة تجوز عليه .

هذا : وان المتأمل فيما قرره الفقهاء والقانون الوضعى فى الشفعة للأقارب يتضح له أن القانون الوضعى قد وافق ما ذهب اليه بعض فقهاء الاباضية فى الجملة . وان ما ذهب اليه الفقهاء من ثبوت الشفعة على أقارب البائع مهما كانت قرابتهم هو الراجح لأن عدم جواز الشفعة يوجب التضييق فى رخصة تضييقا لا يدفع الضرر بل يوجبه هذا فضلا عما تفيده النصوص التى يقوى بعضها بعضا من تأكيد القول بعدم الفرق بين الأقارب وغيرهم فى رخصة الشفعة .

الشفعة للذمة على المسلم :

اتفق بعض الفقهاء على ثبوت الشفعة للذمى على الذمى وللمسلم على الذمى كثبوتها للمسلم على المسلم اذا تحقق سببها ، وهو اتصال الملك بالشركة أو الجوار ، وانتقال الملك الى الشريك الحادث أو الجار الحادث ثم اختلفوا فى ثبوتها للذمى على المسلم على قولين :

القول الأول : تثبت الشفعة للذمى على المسلم ، ذهب الى ذلك الحنفية والمالكية والشافعية وشريح وعمر بن عبد العزيز والنخعى .

القول الثانى : لا تثبت الشفعة للذمى على المسلم ، ذهب الى ذلك الحنابلة والحسن والشعبى وابن أبى ليلى .

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول على ثبوت الشفعة للذمى على المسلم بالسنة والاجماع والقياس .

أما السنة : فعموم الأحاديث الواردة فى ثبوت الشفعة ، كالحديث الذى رواه مسلم عن جابر – رضى الله عنه – أن النبى صلى الله عليه وسلم : « قضى بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ، ربعة أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فان شاء أخذ وان شاء ترك فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به » .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن لفظ « شريكه » من صيغ العموم لأنه اسم جنس مضاف الى معرفة ، فيعم كل شريك ، سواء أكان مسلما أم كان غير مسلم فتثبت الشفعة للذمى على المسلم كما تثبت للمسلم على الذمى وللمسلم على المسلم .

وأما الاجماع : فقد روى عن شريح أنه قضى بالشفعة للذمى على المسلم وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فأجازه وكان بمحضر من الصحابة – رضى الله عنهم – ولم ينكر أحد عليه ، فكان ذلك اجماعا على ثبوت الشفعة للذمى على المسلم .

وأما القياس : فقالوا : ان الذمى كالمسلم فى السبب والحكمة وهما اتصال الملك بالشركة أو الجوار ، ودفع الضرر عن الشريك أو الجار ، فكما جازت الشفعة للمسلم على المسلم فكذلك تجوز للذمى على المسلم .

واستدل أصحاب القول الثانى : على عدم ثبوت الشفعة للذمى على المسلم بالسنة والمعقول .

أما السنة : فما رواه الدارقطنى – فى كتاب العلل – عن أنس – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم – أنه قال : «لا شفعة لنصرانى» فهذا الحديث نص فى عدم ثبوت الشفعة للذمى على المسلم فيخصص عموم الأحاديث الواردة فى الشفعة ويقصر ثبوتها للمسلم على المسلم وللمسلم على الذمى ، ويخرج من العموم الذمى فلا يكون شفيعا على مسلم .

ورد هذا الاستدلال بأن هذا الحديث ضعيف لا يصلح حجة على ثبوت الشفعة للذمى على المسلم ، فقد

عده البيهقى فى السنن الكبرى من الأحاديث المنكرة فهو لا يصلح مخصصا لعموم الأحاديث الواردة فى ثبوت الشفعة للمسلم والذمى على السواء •

وأما المعقول : فهو أن الشريعة انما قصدت الرفق بتشريع الشفعة ، والرفق لا يستحقه الا من أقر بها وعمل بمقتضاها ، والذمى لم يقربها ولم يعمل بمقتضاها ، فلا يستحق المقصود بتشريع الشفعة فلا تثبت له الشفعة على المسلم •

ورد هذا الاستدلال : بأن الشريعة جعلت للذميين ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » بمقتضى عقد الذمة ، ما لم يوجد دليل بخلافه ، والشفعة من الحقوق التى تثبت للمسلمين ، فتثبت للذميين اذ لا دليل على اختصاص المسلمين بها ، فتثبت الشفعة للذمى على المسلم كما تثبت للمسلم على المسلم وللمسلم على الذمى •

القول المختار : والمختار هو القول بثبوت الشفعة للذمى على المسلم لقوة دليله ولأن اضرار الذمى بعدم ثبوت الشفعة له على المسلم يتنافى وما التزمناه له بمقتضى عقد الذمة من معاملته معاملة حسنة ما دام يوفى بعهده ، ولأن فى الرفق به اظهار لسماحة الاسلام وأنه ليس دين عنف وتفرقة بل هو دين يؤكد الحرية والمساواة ، والوفاء بالعهود والذمم ويمنع من الاضرار بين الناس « لا ضرر ولا ضرار » •

هذا : والقانون الوضعى قد وافق أصحاب القول الأول فى ثبوت الشفعة للذمى على المسلم ، لأنه لم يصرح باشتراط الاسلام فى الشفيع ، فتثبت الشفعة للشريك أو الجار مطلقا سواء أكان مسلما أم ذميا ، والله أعلم بالصواب ؟

د • ابراهيم دسوقى الشهاوى

آراء الفقهاء في المرتد عن الإسلام

للدكتور محمد جمال الدين عواد

الاسلام منهج كامل للحياة فهو: دين ودولة ، وعبادة ، وقيادة ، ومصحف وسيف ، وروح ومادة ، ودنيا وآخرة وهو مبنى على العقل والمنطق ، وقائم على الدليل والبرهان،وليس فى عقيدته ولا شريعته ما يصادم فطرة الانسان أو يقف حائلا دون الوصول الى كماله المادى والأدبى ، ومن دخل فيه عرف حقيقته وذاق حلاوته فاذا خرج عنه بعد دخوله فيه وادراكه له كان خارجا على الحق والمنطق متنكرا للدليل والبرهان وحائدا عن العقل السليم والنظرة المستقيمة متمردا على المجتمع والانسان حين يصل الى هذا الحد لا ينبغى المحافظة على حياته ولا الحرص على بقائه لأن حياته ليست لها غاية كريمة ولا مقصدا نبيلا ثم ان الاسلام من حيث أنه منهج عام للحياة ونظام شامل للسلوك الانسانى لا غنى له عن سياج يحميه ودرع يقيه اذ من الواضح أن أى نظام لا قيمة له الا بالحماية والوقاية والمحافظة عليه من كل ما يهز أركانه ويزعزع بنيانه ، ومن المعروف أنه لا شىء أقوى من حماية النظام ووقايته من منع الخارجين عليه لأن الخروج عليه يهدد كيانه ويعرضه للخطر والتداعى بل هو ثورة عليه ليس لها من جزاء الا الجزاء الذى اتفقت عليه القوانين الوضعية فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة ومن ثم فانه يصبح متهما بالخيانة العظمى لبلاده والخيانة العظمى جزاؤها الاعدام ــ وحينئذ فالاسلام فى تقريره عقوبة الاعدام للمرتدين منطقى مع نفسه متفق مع غيره من النظم .

هذا ولقد فصل الفقهاء أمر الاعتداء على الدين فقالوا : انه يكون بالردة عن الاسلام تصريحا أو بلفظ يفيد معنى

الردة أو بفعل يتضمن ذلك،أو بانكار ما علم من الدين بالضرورة أو بارتكاب ما يدل على التكذيب والاستخفاف أو بسب لله تعالى أو الملائكة أو الأنبياء أو بتضليل الأمة أو تكفير الصحابة الى غير ذلك من الأمور التى ذكرها الفقهاء فى كتبهم (١) والاسلام قبل أن يقيم الحد على المرتدين يمنحهم فرصة تقدم فيها الأدلة والبراهين التى تعيد الايمان الى القلب واليقين الى النفس وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك ومن ثم كان من الواجب أن يستتاب المرتد ثلاثا ويمهل فترة زمنية قدرها ثلاثة أيام يراجع فيها نفسه ويفند فيها وساوسه وتناقش فيها أفكاره ، فان عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته ورجع الى الاسلام وأقر بالشهادتين واعترف بما كان ينكره وبرىء من كل دين يخالف دين الاسلام قبلت توبته والا أقيم عليه الحد (٢) ونقل ابن القاسم عن مالك أن من سب الله تعالى يقتل بدون استتابة (٣) .

ثم ان الذين رأوا تقدير امهال المرتد ثلاثة أيام للتوبة اعتمدوا على ما روى مالك عن عبد الرحمن بن محمد القارى أنه قال : قدم على عمر ابن الخطاب رجل من قبل أبى موسى الأشعرى فسأله عن الناس فأخبره ثم قال له عمر هل كان فيكم من معربة (يعنى عندكم خبر من بلاد بعيدة) .. قال نعم رجل كفر بعد اسلامه فقال عمر ما فعلتم به قال قربناه فضربنا عنقه قال هلا حبستموه فى بيت ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله : اللهم انى لم أحضر ولم آمر ولم أرض اذ بلغنى (٤) وقال صاحب المغنى من الحنابلة:ولو لم تجب استتابته لما برىء من فعلهم لأنه أمكن استصلاحه فلم يجز اتلافه قبل استصلاحه (٥) . وأما من ذهب الى عدم تقدير المدة بثلاثة أيام استدل بما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبا موسى على اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل فوجد عنده رجلا مقيدا فى الحديد فقال

---

(١) حاشيتا قليوبى وعميره على المنهاج جـ ٤ ص ١٧٤ ، ١٧٥
(٢) المغنى جـ ٨ ص ٣٨٥
(٣) تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام جـ ٢ ص ١٨٤
(٤) الزرقانى على موطأ مالك جـ ٤ ص ١٥ ، ١٦
(٥) المغنى جـ ٨ ص ١٢٥

ما هـذا ؟ قال كان يهوديا فأسـلم ثم ارتد • فقـال معـاذ : لا أنزل حتى يقتل : ذلك قضاء رسول‌الله صلى الله عليـه وسـلم ولكن هـذا الحديث لا حجـة فيـه لأنه روى أن أبا موسى استتابه شهرين وجمهور الفقهـاء على الاستتابة على الخلاف فى قدرها،وذهب النخعى الى أن المرتد يستتاب الى آخر حياته • ولكن هذا القول يفضى الى أن لا يقتـل أبدا وهو مخـالف للسـنة والاجمـاع (١) ومع كون هذا الرأى نقل عن النخعى فقد نقـل ابن قدامة فى كتابه المغنى عن النخعى عدم قتـل المرتد حتى يستتاب ثلاثا وعـلى ذلك يكون النخعى متفقا مع سائر الفقهاء فى أن المرتد يقتل متى لم يتب •

ويرى بعض الفقهـاء أن استتابة المرتد لا تجب وانمـا تستحب ومن القـائلين بذلك أحمـد فى رواية عنه وعبيد بن عمير وطاوس ويروى ذلك الحسن رضى الله عنه لقول‌النبى صلى الله عليـه وسـلم : (من بدل دينـه فاقتلوه) ولم يذكر استتابة (٢) • هذا ويرى جمهور فقهـاء الأمصـار أنه لا فـرق بين الرجل والمرأة فى اقامة حد الردة على كل منهما •قال صاحب المغنى : روى ذلك عن أبى بكر وعلى رضى الله عنهما واستدلوا بما يلى : أولا بأن المرأة مكلفة داخلة فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم : (من بدل دينه فاقتلوه) ثانيا ـ بأنهـا داخلة فى عموم الحديث المتفق عليـه وهو قوله صـلى الله عليـه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى،والنفس بالنفس ،والتارك لدينه المفارق للجماعة) ثالثا ـ بمـا جاء فى حديث معاذ لمـا بعثه النبى صـلى الله عليه وسلم الى اليمن قال وأيما رجل ارتد عن الاسـلام فادعه فان عاد والا فاضرب عنقه •

وأيما امرأة ارتدت عن الاسـلام فادعها فان عادت والا فاضرب عنقهـا وسـنده حسن • ويرى أبو حنيفـة وأصحابه أن المرتد يقتل لقوله تعالى : (فاقتلوا المشركين)•• الآية ، وذلك من غير قيد الامهال وكذلك‌لقوله صلى الله عليه وسلم:(من بدل دينه فاقتلوه) ولأن المرتد كافر حربى بلغته الدعوة فيقتل للحال من غير استمهال ـ وأما المرتدة فلا تقتـل وانمـا تحبس أبدا حتى تسـلم أو تمـوت ، ويروى عن أبى حنيفة أنها تضرب فى كل الأيام

---

(١) المغنى جـ ٨ ص ١٢٦
(٢) المغنى جـ ٨ ص ٢٣

وعن الحسن أنها تضرب كل يوم تسعة وثلاثين سوطا الى أن تموت أو تسلم ـ وقد استدل أبوحنيفة على عدم قتل المرتدة بأن النبى صلى الله عليه وسلم (نهى عن قتل النساء) ولأن الأصل تأخير الأجزية الى الدار الآخرة فالدنيا دار أعمال والآخرة دار جزاء ولكن سائر الفقهاء قد خالفوا ذلك الرأى كما تقدم فى استدلالهم وأجابوا عن دليل أبى حنيفة بأنه خاص بالكافرة الأصلية فانه قال ذلك حين رأى امرأة مقتولة وكانت كافرة أصلية ولذلك نهى الذين بعثهم الى ابن أبى الحقيق عن قتل النساء ولم يكن فيهم مرتد .

رأينا

بعد بسط وجهات النظر فيما تقدم نرى ونرجح ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من أن ردة المرأة كردة الرجل سواء وأنها تقتل كما يقتل هو بلا فرق فالاسلام لابد له من سياج يحميه ودرع يقيه فمن خرج عليه فقد استبيح اراقة دمه ـ وان التساهل فى جريمة الردة يؤدى الى زعزعة النظام الاجتماعى ومن ثم عوقب عليها بأشد العقوبات استئصالا للمجرم من المجتمع وحماية للدين والنظام الاجتماعى من ناحية ومنعا للجريمة وزجرا عنها من ناحية أخرى ـ وان الاسلام ليقرر هذا الجزاء الرادع العادل صيانة للدين من الانحدار ومحافظة عليه من الضياع وفتكا بالمجرمين الذين هم جرثومة فى قلب المجتمع فلا استقرار ولا ضمان ولا سلامة له الا ببترهم والقضاء عليهم ـ على أن القرآن الكريم قد ذكر أن المرتدين عن الاسلام يعاقبون بالخلود فى النار ، قال تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) وقد ذهب الشافعى مستدلا بهذه الآية على أن الردة تحبط الأعمال اذا مات الانسان عليها (٢) .

وقانا الله واياكم كل سيىء ومكروه وجعلنا من المهتدين بهديه وشريعته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د . محمد جمال الدين على عياد

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧ .

(٢) تفسير الألوسى : جـ٢ ص ٩٥ .

أثر الإسلام في أوربا في العصر الوسيط

للمستشرق مونتجمري وات

عرض وتحليل وتقييم
الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

— ٢ —

الفصـــل الثالث :

انجازات المسلمين (١)
فى الفلسفة والعلوم

الى أى مدى كان المسلمون مجرد نقلة للتراث اليونانى فى الفلسـفة والعلوم ؟ والى أى مدى أسهموا فيـه اسهاما أصيلا ؟ .

للرد على هـذا السـؤال يعترف المؤلف بأن كثـيرا من المستشرقين يعالجون هذا الموضوع بتعصب ضـد المسلمين . بل انه حتى أولئك الذين يثنون على المسلمين فانهم يفعلون ذلك بحقد !! ويضرب مثلا على ذلك بمقال لكارا دى فو عن « الفلك والرياضة » عنـد المسـلمين فى كتـاب « تراث الاسلام » حيث يبدأ الكاتب مقـاله بتقرير أن العرب (المسلمين) لا تتوقع منهم نفس العبقرية ، ولا نفس موهبة الخيال العلمى ، ولا نفس الحماسة ، ولا نفس الأصـالة الفـكرية ـ التى نجدها عند اليونان !! .. فما العـرب (المسلمون) الا تلاميـذ اليونان ، وما علومهم الا استمرار لعـلوم اليونان . ولكن مؤلف المقال يناقض نفسه بعـد قليل ، فيعترف بأن المسلمين قد حققوا انجازات عظيمة فى العلوم ، وخاصـة فى الجبر وحساب المثلثـات والرياضة والهندسة التحليلية والفلك .

ويمضى الأستاذ مونتجمـرى وات فيقرر أن التعصب ضد العرب مرتبط لا شك بالتعصب ضد الاسلام .

ولأجـل أن يبين مدى انجـازات المسلمين فى الفلسفة والعلوم يستعرض أولا : حركة الترجمة فى العصر العباسى

---

(١) يستعمل المؤلف كلمة العرب ، ومن الواضح ان كلمة «المسلمين» ادق فى هذا المجال ، فهى تشمل العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية التى اسهمت فى تقدم العلوم .

للعلوم والفلسفة اليونانية ، ثم يبين انجازات المسلمين فى مختلف العلوم كما يلى :

الرياضيات والفلك :

الخوارزمى : (ت بعد سنة ٨٤٦ م) ـ يذكر المؤلف انجازاته فى عمل الجداول الفلكية ، وفى وصف الجزء المعمور من الأرض وفى اختراع علم الجبر ، واستعمال الأعداد العشرية • وقد ترجمت مؤلفاته الىاللغة اللاتينية•

وهناك علماء مسلمون آخرون فى الرياضة والفلك ترجمت مؤلفاتهم الى اللاتينية ومنهم :

النيريزى (ت ٩٢٢ م ؟)

وابن الهيثم (ت ١٠٣٩ م) وهو عالم البصريات المشهور ، وصاحب المؤلفات الكثيرة فىهذا الميدان وخاصة كتاب المناظر الذىترجم الى اللاتينية ، وفيه عارض نظرية أقليدس وبطليموس التى تقول بأن شعاع الابصار ينتقل من العين الى المرئى ، وأثبت أنه ينتقل بالعكس ، أى من المرئى الى العين • وكان يتبع المنهج التجريبى فى بحوثه ، فقام بتجارب كثيرة علىالمرايا العاكسة للضوء ، وعن طريق انعكاس الضوء فى وسط شفاف استطاع أنْ يصل الى تقرير مدى ارتفاع الغلاف الجوى للأرض ، وكاد يكتشف مبدأ العدسات المكبرة •

ومن انجازات الفلكيين المسلمين أيضا أنهم اكتشفوا ضعف النظام الفلكى البطليموسى وانتقدوه •

ومعظم أعمال الفلكيين المسلمين ترتبط بعمل الجداول الفلكيّة التى كانت أكثر دقة من جداول الاغريق والهنود والفرس • ومن المشهورين فى عمل جداول فلكية فى منتهى الدقة :

البتانى : (ت حوالى ٩٠٠ م) وقد ظلت ملاحظاته الدقيقة عن كسوف الشمس تستعمل فى أوروبا حتى سنة ١٧٤٩ م •

وقد اتصل الأوروبيون بالرياضيين والفلكيين المسلمين فى الأندلس ، ومنهم مسلمة المجريطى الذى عاش فى قرطبة وتوفى سنة ١٠٠٧ م •

وفى النصف الأول من القرن الحادى عشر كان هناك علماء مشهورون فى الفلك والرياضة مثل : ابن السمح ، وابن الصفار ، وابن أبى رجال •

وفى منتصف القـــرن الثانى عشر ونهايته ظهر علماء آخرون فى أشبيلية مثل : جابر بن أفلح وهو مشهور فى حساب المثلثـات ، والبطروجى ، وقد انتقد نظريات بطليموس الفلكية •

الطب :

منذ بداية القرن التاسع الميـلادى (الثـالث الهجرى) أخذ الخلفـــاء والوزراء والأغنياء المسـلمون ينشئون المستشفيات وخاصة فى بغداد والرى والقـاهرة وغيرها من حواضر العـالم الاسلامى • وكان بكل مستشفى أطباء متخصصون ،وأجنحة خاصة للأمراض المختلفـة ، وللجراحة ، ولهـا ادارة وسجلات •

ولما درس المسلمون المؤلفـــات الطبية لجالينوس وبقراط ظهر منهم أطباء عديدون بلغوا مستوى أطبـــاء اليونان ، ولم يعـــد الطب احتـكارا للنصارى كما كان من قبل • وقد حقق الأطباء المسلمون ذلك بدراسات نظرية وتجريبية واسعة صـاحبتها ممارسـة عملية للطب فى المستشفيات •

وخلال القرون الخمسة ما بين سنة ٨٠٠ ـ ١٣٠٠ م نجد مؤلفـات طبيـة عربية لأكثر من سبعين طبيبا ، معظمهم مسلمون ، وقليل منهم نصارى ويهود ، ومن أشهر أطباء المسلمين :

أبو بكر الرازى : (ولد سنة ٨٦٥ بالرى قرب مدينـــة طهـران الحالية وتوفى هناك أو فى بغداد ما بين ٩٢٣ و ٩٣٢ م) •

كان أول رئيس لمستشفى بغداد • وقد ألف فى كل فروع الفلسفة وفى كل العـــلوم المعروفة فى ذلك الوقت وخاصـــة فى الطب • وقد بقى مـن مؤلفاته الطبية أكثر من خمسين مؤلفا، من أهمهـا : مؤلفـات عن الجدرى، والحصبة ، وقد ترجمت الى اللغـات اللاتينيـــة واليونانيـــة والانجليـزية والفرنسية • وأعظم مؤلفاته هو كتاب « الحـــاوى » فى الطب وهـــو دائرة معارف طبية واسعة أكملها تلاميذه بعد وفاته • وهو يقـدم لنـا آراء الأطبـاء اليونان والهنـــود والسريان والفرس والعــرب ثم يتبعهـا بملاحظاته ورأيه الخـــاص وذلك عن كل مرض من الأمراض التى تحدث عنهـا فى هـذا الكتاب •

وقد ترجمت أقسام الكتـاب (التى حفظت من الضياع) الى اللغة اللاتينية فى القرن الثالث عشر •

وهناك كتاب آخر هو كذلك دائرة معارف ولكنه أكثر تركيزا وأقل تطويلا من كتاب الحاوى ، وذلك هو كتاب الكناش الملكى ، ألفه الطبيب على بن العباس (ت ٩٩٤ م) وقد ترجم كذلك الى اللاتينية . وكان على ابن العباس طبيبا للسلطان عضد الدولة .

ابن سينا : (ت ١٠٣٧ م) .

ألف فى كل العلوم الموجودة فى عصره وخاصة فى الفلسفة والطب . وكتابه « القانون » فى الطب يعد ذروة المؤلفات الطبية العربية . وقد ترجم الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر وسيطر على دراسة الطب فى أوروبا حتى نهاية القرن السادس عشر على الأقل . وقد طبع الكتاب ست عشرة طبعة فى القرن الخامس عشر . وعشرين طبعة فى القرن السادس عشر ، وأكثر من عشرين طبعة فى القرن السابع عشر . وكتبت عليه عدة شروح وتعليقات باللاتينية والعبرية .

وفى الأندلس ظهر الطبيب الجراح أبو القاسم الزهراوى (ت بعد ١٠٠٩ م (ومؤلفاته فى الجراحة والآلات الجراحية هى اسهام عربى اسلامى عظيم فى هذا الفرع العام من فروع الطب (١) .

وقد كان عدد من الفلاسفة المسلمين فى الأندلس أطباء كذلك ومنهم : الفيلسوف المشهور ابن رشد : (ت ١١٩٨ م) وابن زهر الأشبيلى : (ت ١١٦١ م) ، (وقد تأثر موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودى بفلسفة المسلمين وعلومهم) .

وحتى القرن الرابع عشر نجد أطباء مسلمين فى أسبانيا يؤلفون عن الوباء الذى شاهدوه فى غرناطة وغيرها ، وهم يدركون تماما طبيعته المعدية .

---

(١) قام الدكتور جفرى لويس الأستاذ بجامعة اكسفورد ، بتحقيق القسم الخاص بالجراحة من كتاب «التصريف» لأبى القاسم الزهراوى ونشرته مطبعة جامعة اكسفورد سنة ١٩٧١

وقد أتيح لى أن أقرأ النص العربى عن الجراحة قبل نشره ، والمؤلف المسلم يشرح كلامه برسومات كثيرة لآلات جراحية متنوعة ، لا يكاد الباحث الحديث يصدق أن المسلمين عرفوها منذ أكثر من ألف سنة .

العلوم الاخرى :

ومن أهم العلوم التى أسهم فيها العرب والمسلمون اسهاما أصيلا العلوم التالية :

الكيمياء : بذل المسلمون محاولات فى هذا العلم لفهم تركيب المادة ـ وقد اعتقد بعض الكيميائيين المسلمين فى امكانية تحويل العناصر ـ ومهما يكن من أمر فان الكيميائى المسلم كان يعالج من حيث الجوهر نفس المسائل التى يعالجها الكيميائى الحديث ، وكذلك كان يتبع نفس المنهج التجريبى الحديث .

ومن أشهر الكيميائيين المسلمين :

جابر بن حيان : عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وان كانت بعض المؤلفات الكيميائية فى القرنين التاسع والعاشر تنسب اليه . وعلى أية حال فان هذه المؤلفات تعالج الكيمياء كعلم تجريبى له منهجه وله آلاته الخاصة . وقد ترجمت هذه المؤلفات الى اللغة اللاتينية ، ومنها انتقلت عدة مصطلحات عربية كيمائية الى اللغات الأوروبية .

وقد كان من علماء الكيمياء المسلمين علماء فى علوم أخرى كذلك ، ومنهم أبو بكر الرازى الطبيب الذى كتب عدة مؤلفات فى الكيمياء .

أما الفرض القائل بتحول العناصر فقد رفضه علماء مسلمون مثل: ابن سينا والبيروونى (ت ١٠٤٨ م) .والبيرونى خبير بحضارة الهند وتاريخها الاجتماعى والدينى . وهو كذلك عالم كبير فى الفلك والكيمياء والجغرافيا والتاريخ.

علوم النبات والحيوان والمعادن :

ان المؤلفات العربية الاسلامية فى هذه العلوم قد وصفت وصنفت مختلف النبات والحيوان والمعادن والأحجار الكريمة .وبعض هذه العلوم (خاصة علم النبات) له فائدة علمية من حيث : علاقته بالصيدلة والأدوية الطبية .

ومن أعظم المؤلفين فى علم النبات المؤرخ أبو حنيفة الدينورى : (ت ٨٩٥ م) صاحب كتاب « النبات » . وقد اقتبس ابن البيطار المالقى : (ت ١٣٤٨م) فى مؤلفاته الشاملة أهم ما فى كتاب الدينورى . وكان ابن البيطار عالما بالصيدلة ، ولكنه أسهم كذلك فى علم النبات .

أما مؤلفات المسلمين فى علم الحيوان فانها ـ وان كانت أدبية الطابع ـ تحتوى على ملاحظات علمية أصيلة .

المنطق والالهيات :

اذا كانت العلوم الطبية والفلكية هى التى حظيت باهتمام المسلمين فى أول الأمر ، فان الموضوعات الفلسفية قد كان لها بعد ذلك الأثر الأكبر فى الفكر الاسلامى .

وقد كان المسلمون يعدون العلوم الفلسفية علوما أجنبية ، ومن ثم لم تدخل ضمن المناهج العادية للتعليم العالى فى العالم الاسلامى .

فالتربية الاسلامية كانت تتألف من دراسة العلوم الدينية وخاصة الفقه والعلوم الاسلامية الأخرى مثل : علوم القرآن والحديث والكلام واللغة والأدب .

أما العلوم الفلسفية فكانت تدرس فى المعاهد العليا كمدارس الطب ، أو تدرس دراسات خاصة (أى دراسات مقصورة على أفراد معينين مثل : الفلاسفة والمفكرين) .

ولهذا فان العالم المسلم العادى – فى رأى المؤلف – لم يكن يعرف الا قليلا عن العلوم الفلسفية ، وذلك فيما عدا بعض الأفكار الفلسفية التى أخذت طريقها الى علم الكلام ، وخاصة على أيدى المعتزلة .

ويقرر المؤلف أن المسلمين قد اقتنعوا بضرورة معرفة الفلسفة اليونانية عن طريق مناقشاتهم ومجادلاتهم الكلامية مع النصارى ، ولهذا بدأ المتكلمون المسلمون يستعملون حججا فلسفية للدفاع عن الاسلام ، وخاصة متكلمو المعتزلة ، مثل ضرار بن عمر الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى (أى قبل ترجمة الفلسفة اليونانية) .

وهنا يصدر المؤلف حكما غريبا جدا عن المعتزلة ، فيربط بين تأثرهم بالثقافة الهلينية وبين أصولهم الخمسة . مع أنه من الواضح كل الوضوح أن هذه الأصول الخمسة للمعتزلة هى أصول اسلامية بحتة وهى : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . كما أن منهجهم العقلى يعتمد أساسا على القرآن الكريم : ففى القرآن اتجاه واضح الى استعمال الحجج والبراهين العقلية لاثبات وجود الله ووحدانيته ، ولاثبات صلاحية الاسلام وتشريعاته للانسانية – وفى القرآن كذلك حث واضح للانسان على استعمال العقل والتفكير .

وفي القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ظهر أول فيلسوف مسلم وهو يعقوب بن اسحاق الكندى : (ت بعد سنة ٨٧٠ م) •

ولم يتحدث المؤلف عن الكندى وأصالته واسهامه العظيم فى تقدم الفلسفة والعلوم فى عصره ، كما لم يتحدث عن مدرسته وتلاميذه الذين خلفوه • وقد كان الانصاف يوجب على المؤلف أن يوفى الكندى ومدرسته حقهما فى هذا المجال (١) •

وبعد هذا التأثر المبدئى بالفكر اليونانى استقل المتكلمون والفلاسفة كل فريق بطريقته الخاصة ، واستمر ذلك لمدة تبلغ نحو قرنين •

وقد ظهر بعد ذلك فيلسوفان مسلمان يمكن أن يوضعا فى مستوى الفلاسفة العالمين وهما : أبو نصر الفارابى (ت ٩٥٠ م) وابن سينا (ت ١٠٣٧ م) •

وهنا يناقض المؤلف نفسه ويردد حكما طالما ردده المستشرقون وهو أن فلسفة الفارابى وابن سينا انما هى فى جوهرها صورة (لم يقل مشوهة !!) من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة • مع أنه من الواضح أن هذين الفيلسوفين قدما كثيرا من الأفكار والعناصر الجديدة التى لا توجد فى الفلسفة اليونانية القديمة ولا فى الأفلاطونية الحديثة • (وقد وضحت هذا بالتفصيل فى مقالى عن : مفهوم الفلسفة فى الاسلام) (٢) •

---

(١) قام بعض الباحثين بدراسة الكندى ومدرسته وآثاره دراسة موضوعية منصفة ، ومن هؤلاء : الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة الذى نشر « رسائل الكندى الفلسفية » فى جزئين بالقاهرة ١٩٥٠ — ١٩٥٣ مع مقدمة قيمة عن حياة هذا الفيلسوف وفلسفته . انظر أيضا الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : « الكندى فيلسوف العرب » (سلسلة أعلام العرب رقم ٢٦ — القاهرة ١٩٦٤) .

وانظر مقدمتنا لتحقيق كتاب « الاعلام بمناقب الاسلام » لأبى الحسن العامرى (القاهرة ١٩٦٧) ، ومقالنا عن مفهوم الثقافة الاسلامية فى مجلة « المجلة » بالقاهرة يونية ١٩٦٧ ومقالنا بعنوان : « التصور الفلسفى للاسلام عند مدرسة الكندى » •

وما زالت دراسات المستشرقين للكندى تحتاج الى مزيد من الانصاف • انظر • مثلا دى بور : « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » ترجمة الدكتور أبو ريدة — القاهرة • ١٩٥٤ م •

وانظر ايضا : Richard Walzer : Greekinto Arabic, oxford; 1962

(٢) كان من الممكن للدارس أن يعطى مختصرا لما وضحه فى مقاله فى مقامنا هذا حتى يستطيع القارىء تحصيل (مفهوم) واضح للأمور دون رده الى مراجع يعثر أولا يعثر عليها المجلة •

وكذلك يردد المؤلف فكرة استشراقية أخرى وهى أن فكر الفيلسوفين قد تأثر بكتب منسوب خطأ الى أرسطو بعنوان : كتاب « الربوبية » أو أوثولوجيا أرسطو طاليس ، وهذا الكتاب فى الحقيقة يرجع أساسا الى أفلوطين • (من الثابت فى تاريخ الفلسفة الاسلامية أن كثيرا من الفلاسفة المسلمين وعلى رأسهم الكندى ومدرسته لم ينسبوا هذا الكتاب قط الى أرسطو) •

ويعود المؤلف فيعترف بأن الفارابى وابن سينا يختلفان عن أفلوطين فى أنهما لم يقبلا قط فكرة تعدد الآلهة ، وانما أصرا دائما على التوحيد •

وقد عدهما بعض أهل السنة ملحدين لقولهما بقدم العالم (قول الفارابى وابن سينا بنظرية الفيض انما يعنى الخلق التدريجى للعالم ولا يعنى قدمه ، وقد قال الفارابى صراحة بحدوث العالم • وكذلك قرر الكندى ومدرسته حدوث العالم وأثبتوا ذلك بالأدلة العقلية) •

ثم يذكر المؤلف دراسة الغزالى للفلسفة دراسة موضوعية (وذلك فى كتابه : « مقاصد الفلاسفة ») ثم هجومه عليها (فى كتابه : « تهافت الفلاسفة ») •

وبعد الغزالى قبل المتكلمون المسلمون منطق أرسطو كمنهج عقلى (وهذا حكم عام غير صحيح ، فكثير من المتكلمين المسلمين ـ قبل الغزالى وبعده ـ انتقدوا منطق أرسطو ، وخاصة الفخر الرازى وابن تيمية وغيرهما (١) •

ثم بدأ اهتمام المسلمين يقل تدريجيا بالفلسفة والعلوم •

ثم يذكر المؤلف ظهور فلاسفة الاسلام فى الأندلس والمغرب وخاصة ابن باجة (ت ١١٣٨ م) وابن طفيل (ت ١١٨٥ م) وابن رشد (ت ١١٩٨ م) •

ويعتبر المؤلف ابن رشد مجرد « شارح عظيم لأرسطو » وأنه حول الفكر الفلسفى الاسلامى من الاتجاه الأفلاطونى الى الاتجاه الأرسطوطاليسى ولكن ابن رشد ظهر متأخرا ، فلم يكن لفلسفته تأثير على المشرق الاسلامى •

---

(١) وقد زاد الفلاسفة الاسلاميين تعقيبات على منطق أرسطو وغيره اثبتها د/على سامى النشار وحسبنا فى ذلك علم الأصول ـ المجلة•

ويكفى للرد على المؤلف أن نقرر أن ابن رشد فيلسوف له أصالته المستقلة عن أرسطو • وتبدو هذه الأصالة بوجه خاص فى مؤلفاته ذات الموضوعات التى لا علاقة لها بفلسفة أرسطو مثل كتابه : « فصل المقال فى تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الايصال » وكتابه : « مناهج الأدلة فى عقائد الملة » • وفى الكتاب الأول يعالج موضوع العلاقة بين الدين والفلسفة ، وفى الثانى يعالج اثبات العقائد الاسلامية بمنهج قرآنى عقلى واضح •

ويختم المؤلف هذا الفصل بأن يقرر أنه لولا المسلمون لما كان من الممكن أن تتطور الفلسفة والعلوم عند الأوروبيين فى الوقت الذى تطورت فيه •

وأن المسلمين لم يكونوا مجرد نقلة للفكر اليونانى بل حافظوا على هذا الفكر ووسعوا مجالاته •

وعندما بدأ الأوروبيون يهتمون بما عند أعدائهم المسلمين من فلسفة وعلوم كانت هذه قد بلغت قمتها عند المسلمين ، وكان على الأوروبيين ـ قبل أن يستطيعوا احراز أى تقدم فى العلوم ـ أن يتعلموا من أساتذتهم المسلمين •

الفصل الرابع :

حروب الاستعادة والحروب الصليبية

يتحدث المؤلف فى الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب (الفصول ٤ ، ٥ ، ٦) عن ردود الفعل لدى أوروبا المسيحية عن الوجود الاسلامى فى الأندلس •

وفى هذا الفصل الرابع يتحدث عن رد الفعل الأوروبى من الناحية الحربية •• فيقدم موجزا لحروب استعادة أسبانيا من المسلمين فى الغرب ، وكذلك الحروب الصليبية فى الشرق •

ويعتبر المؤلف دوافع حروب الاستعادة بأنها لم تكن ـ فى أول الأمر ـ دوافع دينية مسيحية ، نبعت من حماسة السكان للدفاع عن الكاثوليكية • ويعزز افتراضه هنا بأن المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جميعا فى سلام حياة مشتركة لفترة طويلة فى الأندلس •

ومما زاد فى ضعف الشعور الدينى ـ فى رأيه ـ التزاوج بين المسلمين

والمسيحيين ، وقبول السكان - على الأقل سكان المدن - للثقافة الاسلامية، واصطباغ هذه الثقافة الى نهاية القرن العاشر بصبغة علمانية دنيوية أكثر من الصبغة الدينية • ومن ثم لم يفكر المسيحيون هناك فى أن يحاربوا هذه الثقافة بعاطفة دينية •

صحيح أن المسيحيين هناك كانوا يعتقدون أنهم مؤيدون بعون الهى فى حربهم ضد المسلمين ، ولكن هذا لا يعنى - فى رأى المؤلف - أنهم كانوا يعتبرون المسلمين أعداء للمسيحية •

ولكن بمرور الزمن ، وبارتباط المقاومة الأسبانية بالدين المسيحى ، اكتسبت هذه المقاومة صبغة دينية • والمؤلف لا يستطيع أن يحدد : متى بدأ اعتبار المسلمين فى أسبانيا أعداء للمسيحية •

ومهما يكن من أمر فان هذا الشعور الدينى « العدائى » ظهر عند المسيحيين أولا ، ثم أدى ذلك الى ظهوره عند المسلمين •

فدوافع المسلمين لفتح أسبانيا لم تكن فى أساسها دوافع دينية ، بل كانت - فى رأى المؤلف - دوافع مادية ، أى للرغبة فى الغنائم (!؟) (أنظر ردنا على هذه النقطة فيما سبق) •

كذلك كان الحكم الأموى فى الأندلس حكما عربيا أكثر منه حكما اسلاميا • فكان الشعر العربى - لا الشعر الدينى الاسلامى - هو السائد، وكان الافتخار بالأصل العربى منتشرا هناك •

واستمر ذلك حتى نهاية القرن العاشر الميلادى، وعندئذ بدأ المسلمون يوجهون اهتمامهم لدراسة العلوم الاسلامية (أى علوم القرآن والحديث والفقه والكلام) • والواقع أن نمو الوعى المسيحى ، وتوسع الدويلات المسيحية - أدى بالعرب الى أن يعتبروا أنفسهم « مسلمين » يدافعون عن « أرض اسلامية » • وبالرغم من ذلك فان المسلمين - الى نهاية الصراع - لم يكونوا جميعا متحدين ضد المسيحيين • وكذلك كان المسيحيون متفرقين • ولكن عندما بدأوا يعتبرون أنفسهم « مسيحيين » يقاتلون « أعداء المسيحية » بدأت جهودهم الحربية ضد المسلمين تتوحد • فلم يعودوا يفكرون فى أنهم مجرد سكان هذه

المدينة أو تلك،هذه الدويلة أو تلك ، وانما على أنهم حماة « الكاثوليكية » • وقد أدى هذا فى النهـاية الى وحدة أسبانيا السياسية فى ظل الكاثوليكيـة (كما هو الحال الآن) •

وبالرغم من ذلك فان أسبانيا اكتسبت طابعا عربيـا اسـلاميا ، بالرغم من مسيحيتها ، وبالرغم من انكارها لهـذا الطابع •

وبعد ذلك يقـدم المؤلف موجزا لمجرى الحروب الصليبيـة وما انتهت اليه من فشل ذريع •

اهمية الحروب الصليبية لاوروبا الغربية :

يعرض المؤلف هنا لنقطتين هامتين:

(أ) تشـويه صورة الاسـلام فى أوروبا خـلال الحروب الصـليبية ، وخاصة خـلال الفترة الواقعـة بين القرن الثانيعشر والقرن الرابععشر• وقد استمرت هذه الصورة المشـوهة للاسلام تسيطر على التفكير الأوروبى منذ تلك الفترة حتى الآن •

(وستكون هذه النقطة موضـوع الفصل الأخير من الكتاب) •

(ب) الدوافع التىأدت بالأوروبيين الى الاقـدام على الحروب الصليبيـة بالرغم من الأخطـار الجسـام التى اكتنفتها • ومن أهم هـذه الدوافـع مثلا :ـ

١ ـ الحماسة الدينية •

٢ ـ المطامع التجارية لمدنايطاليا•

٣ ـ توجيه البابا لطاقات الاقطاعيين الأوروبيين الذين كان يقاتل بعضهم بعضـا ـ الى عـدو خـارجى وهو الاسلام •

وأهم من هذه الدوافع كلها ـ فى رأى المؤلف ـ أن الاسلام كان يعتبر عدوا لدودا لأوروبا المسيحيـة لقرون طويلة مضت ، فقدكان الاسلام يسيطر علىالبحر المتوسط منأسبانيا الى سوريا كماكان ينتشرشرقا وجنوبا بلاتوقف! وحتى بعـد سنـة ١١٠٠ م كان الأوروبيون يعتقـدون أن الاسـلام يسيطر على أكثر من نصف الـكرة الأرضـية • وكذلك كان كثير منهم يشعر بسمو الثقافة العربية الاسلامية وبثقة المسلمين ثقة قوية ـ ولكنها ثقة هادئة لا استعـلاء فيهـا ـ بأفضـلية دينهم •

وبالختصار فان الأوروبيين الغربيين كانوا يشعرون تجاه المسلمين بمزيج من الخوف والاعجاب •

وبمجيئى سنة ١٠٩٥ م كان هـذا الشعور بالخوف والاعجاب قد زال ، وذلك بسبب وقوع عدة أحداث هامة قبل تلك السنة ومنها :ـ

١ ـ سقوط طليطلة سنة ١٠٨٥م

٢ ـ فتـح الفرسان النورمانديين لجزيرة صقلية سنة ١٠٩١م •

٣ ـ انتشار فكرة الفارس البطـل « عدو المسلمين » فى الأغانى الشعبية ، وخاصة فى شمال فرنسا •

وأهميـة الحروب الصليبية ـ فى رأى المؤلف ـ هى أنها أدت بأوروبا الغربية الى أن تعثر على روحهـا • وهذا أهم بكثير من الفشل السياسى والعسكرى الذى أنتهت اليـه • وقد استمر تقدم أوروبا الغربية بالرغم من هذا الفشل • هـذا فى الوقت الذى ضعفت فيه المسيحية الشرقية وانتهت بخضوعها للأتراك العثمانيين •

وهنا يكرر المؤلف ما قرره من قبل من أن التأثير المادى والعقلى للاسلام على أوروبا انما أتى اليها أساسا عن طريق أسبانيا وصقلية أكثر مما أتى عن طريق الحروب الصليبية •

ولـكن الحـروب الصليبية أثارت روح الاستكشاف عنـد الأوروبيين ، ممـا أدى الى اكتشـافهم لأمـريكا ، والوصول الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، كما تحققوا أن هناك بلادا كثـيرة لا تدين بالاســـــلام ولا بالمسيحية !

وبينما كانت الحروب الصليبيةذات أهمية بالغة بالنسبة لأوروبا المسيحية، لم تكن هــذه الحـروب تعتبر عند المســلمين أكثر من حــوادث على الحدود !!

حدود العالم الاسلامى •••

يتبع

د • احمد عبد الحميد غراب

الشيخ علي الصعيدي

إمام المحققين وعمدة المتقين

للأستاذ أحمد نصار القوصي

العلماء فى كل جيل هم خيره ونوره ، يهتدى بهم أهل عصرهم فى كل مكان الى ما فيه خيرهم وصلاح حالهم ، دنيا وأخرى • وهم ان عاشوا فهم أمناء الله على خلقه ، وان تركوا الدنيا فذكرهم باق على مدى الزمان ، فيمن تعلموا منهم أو نقلوا عنهم ، وفيما نشر بين الأنام من مؤلفاتهم التى يستفيد منها على الدوام الخاص والعام • وهذا هو ذخرهم النفيس ، ومفخرتهم الحقة ، ومجدهم الباقى بقاء الزمان • وقد صدق الشاعر الذى قال :

العلم أنفس شيء أنت ذاخره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

وخاصة العلماء هم الأفذاذ المتميزون ، الذين يتصدرون الأقران ، وتحسب بمآثرهم الأزمان • وفى المقدمة من هؤلاء الخالدين ، الامام الهمام شيخ مشايخ الاسلام ، علم العلماء الأعلام ، امام المحققين وعمدة المتقين — على ما وصفه به معاصروه — الشيخ على بن حمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى المالكى ، رضى الله تعالى عنه •

ولد — كما أخبر عن نفسه — ببنى عدى بمحافظة أسيوط ، سنة اثنتى عشرة ومائة وألف من الهجرة ، واشتهر بالشيخ على الصعيدى ، ويقال له أيضا المنسفيسى ، لأن أصوله من منسفيس احدى بلاد محافظة المنيا • وكلا البلدين ينسب اليها جماعة من كبار العلماء والأولياء •

قدم الى القاهرة ، والتحق بالأزهر الشريف كعبة العلم والدين ، والمنفرد فى ذلك الزمان بالتعليم فى مصر المحروسة • وحضر الدروس على كبار مشايخ العصر كالشيخ عبد الوهاب

الملوى ، والشيخ شلبى البرلسى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ عبد الله المغربى ، والسيد محمد السلمونى ، والسيد محمد الصغير ، والشيخ ابراهيم الفيومى الذى بشره بالعلم ــ على ما قال ــ حين قبل يده وهو صغير ، والشيخ محمد ابن ذكرى ، والشيخ محمد السجينى ، والشيخ ابراهيم شعيب المالكى ، والشيخ أحمد الملوى ، والشيخ أحمد الديربى ، والشيخ عيد النمرسى ، والشيخ مصطفى العزيزى ، والشيخ محمد العشماوى ، والشيخ محمد بن يوسف ، والشيخ أحمد الاسقاطى ، والبقرى ، والعماوى ، والسيد على السيواسى ، والمدابغى ، والدفرى ، والبليدى ، وشيخ الاسلام أبو الأنوار الحفنى ، رضى الله عنهم أجمعين .

وكان يحكى عن نفسه ، أنه طالما كان يبيت فى مبدأ اشتغاله بالعلم طاويا ، وكان لا يجد ثمن الورق ، ومع ذلك كان اذا وصله مال تصدق به عن طيب خاطر ، شأنه فى ذلك شأن العلماء المتوكلين ، الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .
ولما أكمل دورته ، وانتهى الى آخر الشوط فى التلقى ، وبلغ المقام

الشوط فى التلقى وبلغ المقام

الملحوظ ، شهد له شيوخه وأجازوه، فأخذ مكانه وألقى دروسه على طلابه فى الأزهر الشريف وملحقاته .
ومرت الأعوام فثبت قدمه ، وعلا شأنه ، وظهرت مكانته ، وكان له السبق فى العلم والعمل . ثم ولى آخر الأمر وجهه نحو المنهل العذب ، لتصفية النفس وترقية الروح،ليحصل غاية ما يرجوه من أسباب الكمال ، فتلقن الطريقة الأحمدية ، عن الشيخ على بن محمد الشناوى . وقد بارك الله فى طلابه ومريديه ، فى علوم الشريعة وفى دائرة الحقيقة ، والتفت حوله الجماهير ، لسعة علمه وحق تقواه ، وشدته فى الحق ، وجاهه العريض ، فقد كان مسموع الكلمة عند ولى الأمر ، يخفف عن الناس ، ويقضى مصالحهم ، ويرفع عنهم المظالم .

وكان الشيخ على الصعيدى ممن لهم البشرى فى الحياة الدنيا قبل الآخرة ، وقد تكرر له ذلك ، فكان يرى الرؤيا بنفسه ،ويراها له غيره من خيرة العلماء . وكان اذا حكى شيئا منها اعتذر بقوله : هكذا كان الامام مالك يخبر أصحابه بالرؤيا ويقول : الرؤيا تسر ولا تضر .

قال العارف بالله الشيخ محمود الكردى : أنه رأى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام يثنى على الشيخ الصعيدى . ورأى غيره النبى ، صلى الله عليه وسلم ، يأمره بالحضور عليه ، ورأى آخر مالكا والشافعى فى مجلس تدريسه .

ورأى بعض الصلحاء من معاصريه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام ، فى محراب الأزهر ، والطلبة تعرض عليه تقايد الأشياخ ، فلما رأى ما قيد عن الشيخ صار يقول معجبا : يا على ويكررها .

ورأى الشيخ نفسه فى المنام يقول للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، أجزنى ، فقال له أجزتك . وأمثال هذا كثير .

وشهد له بالتفوق جمهرة العلماء فى عصره . وقال العلامة الشيخ محمد الأمير : « سمعت شيخنا عبد الوهاب العفيفى ، رضى الله عنه ، فى مرض موته يقول : الشيخ تاج والذى يحضر عليه تاج ، أو كلاما هذا معناه » .

وخلف الشيخ جلة من أفاضل العلماء من تلاميذه ، فى مقدمتهم أبو البركات الشيخ أحمد الدردير الغنى عن التعريف ، خليفته على امامة المالكية ومشيخة رواق الصعايدة بالأزهر الشريف ، وكذلك الشيخ محمد الأمير ، وهو من هو فى العلم والفضل ، ومن ترك لنا تراثا عظيما مفيدا فى علوم الشريعة ولغة القرآن الكريم .

وللشيخ على الصعيدى مؤلفات كثيرة ، تدل على فضله وسبقه وعلو كعبه ، منها : فى فقه المالكية : حاشية على ابن تركى ، وأخرى على الزرقانى على العزية ، وأخرى على شرح أبى الحسن عى الرسالة فى مجلدين ضخمين ، وأخرى على الخرشى ، وأخرى على شرح الزرقانى على المختصر ، وأخرى على الهدهدى على الصغرى .

وفى التوحيد : حاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى .

وفى مصطلح الحديث : حاشية على شرح شيخ الاسلام على الفية المصطلح للعراقى .

وفى المنطق : حاشية على الأخضرى على السلم .

وله حاشية على ابن عبد الحق على بسملة شيخ الاسلام ، وغير ذلك .

وهذا غير ما كتبه عنه بعض تلاميذه فى مسائل متفرقة •

ولم تكن المالكية تعرف الحواشى على شروح كتبهم الفقهية ، فهو أول من خدم تلك الكتب بها •

وكان ، رضى الله عنه ، شديد الشكيمة فى الدين ، يصدع بالحق ، ويأمر بالمعروف ، واقامة الشريعة ، ويحب الاجتهاد فى طلب العلم ، وكان قاسيا فى النهى عن شرب الدخان وخصوصا فى حضرة أهل العلم تعظيما لهم ، وكان لا يجرؤ أحد مهما علا شأنه ولو كان الوالى على أن يشرب الدخان فى مجلسه ، فكانوا عندما يرونه مقبلا من بعيد ينبه بعضهم بعضا ويرفعوا شبكاتهم واقصابهم التى كانوا يشربون فيها الدخان أو يخفوها عنه، حتى أن الوالى على بك الكبير فى أيام امارته ، كان اذا دخل عليه الشيخ فى حاجة أو شفاعة اخبروه قبل وصوله الى مجلسه ، فيرفعوا الشبك من يده ويخفوه ، وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره •

واتفق أن الشيخ دخل على على بك الكبير فى وقت ما ، فتلقاه على عادته وقبل يده ، وجلس الشيخ فسكت الأمير مفكرا فى أمر من الأمور ، فظن الشيخ اعراضه عنه ، فأخذته الحدة وقال مخاطبا للأمير فى غلظة : يا من هو ، غضبك ورضاك على حد سواء ، بل غضبك خير من رضاك ، وكرر ذلك وقام لينصرف • فأخذ الأمير يطيب خاطره ويقول : أنا لم أغضب من شىء ويستعطفه والشيخ لا يجيب ، ولم يجلس ثانيا وخرج • ثم سأل الأمير بعد ذلك عن القضية التى أتى الشيخ بسببها فأخبروه ، فأمر بقضائها

واستمر الشيخ مقاطعا للأمير ، حتى مر على منزل على بك مصادفة مع أحد شيوخه الذين لا تسعه مخالفتهم ، فعرج الأستاذ ليدخل منزل الأمير وطلب من الشيخ أن يصحبه فقبل بعد رجاء استاذه وتشدده ، فسر الأمير تلك الليلة بلقائه سرورا عظيما •

ولما استقل محمد بك أبو الدهب بامارة مصر بعد على بك ، كان يجل الشيخ ويحبه ولا يرد شفاعته فى شىء أبدا • وشاع فى الناس ذلك ، فكل من تعسر عليه قضاء حاجته ذهب الى الشيخ وأنهى اليه قصته ، ثم يجمع الشيخ قائمة بمطالب الناس ، ثم يذهب الى الأمير ، وعندما يستقر فى المجلس

يخرج القائمة من جيبه ، ويسرد ما فيها على الأمير واحدة بعد واحدة ، ويأمره بقضائها ، فلا يسع الأمير الا قضاؤها . وفى أثناء ذلك يذكره الشيخ بالموت ويوم القيامة ، ويقول : يسألنا الرب عن تأخرنا عن نصحك ، وها نحن قد نصحناك وخرجنا من العهدة . واذا تلكأ فى شئ صرخ وقال له : اتق النار وعذاب جهنم ، ثم يمسك يده ويقول له أنا خائف على هذه اليد (الكويسة) من النار وأمثال ذلك .

وكان الشيخ على قدم السلف فى الاشتغال والقناعة ، وشرف النفس ، وعدم التصنع ، والتقوى ، ولا يركب الا الحمار تواضعا ، ويواسى أهله وأقاربه ، ويرسل اليهم فى بلده الصلات والأكسية بأنواعها للرجال والنساء فى المواسم وغيرها من المناسبات .

ولم يزل مواظبا على الاقراء والافادة وقضاء الحاجات محافظا على شدته على الولاة والأمراء ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا سطوة جبار ، حتى مرض بخراج فى ظهره ، لم يمهله الا أياما قليلة ، توفى بعدها فى العاشر من رجب من سنة ١١٨٩ هـ وصلى عليه بالأزهر الشريف بمشهد عظيم ، ودفن بالقرافة الكبرى قريبا من قبة قايتباى ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، ونفعنا بعلمه وتقواه ، انه سميع مجيب ؟

أحمد نصار القوصى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٧ —

٦٠ – وقد شاع على ألسنتهم وأسلات أقلامهم قولهم : ان جنودنا الشجعان تكاتفوا على صد الأعداء عن ديارنا ، وهؤلاء العمال يتكاتفون تكاتفا مذهلا على تطهير قناة السويس مما وضعه الأعداء فيها من وسائل الدمار ، يعنون التعاون والمؤازرة بين كل من هؤلاء وأولئك ، وهذا خطأ ، اذ لم يرد فى لغتنا العربية تفاعل ولا يتفاعل من الكتف أما ما ورد عن العرب منها (١) فهو قولها : كتف الرجل خادمه اذا ضرب كتفه ، وكتف السرج الدابة اذا جرح كتفها ، وفلان أكتف اذا كان عظيم الكتف ، والأنثى كتفاء والكتاف بضم الكاف هو وجع الكتف .

وقولها أيضا : كتفه كتفا من باب ضرب اذا شد يديه الى خلف كتفيه بالكتاف ، فهو مكتوف ، والكتاف بالكسر هو الحبل تشد به اليدان على النحو المذكور .

ويشدد الفعل للمبالغة فيقال : كتف الجنود اللصوص تكتيفا فهم مكتفون ، ويقال فى هذا المعنى : شدوهم كتافا .

ومن المجاز قولك : كتف الخادم الباب اذا ضببه ، فهو مكتوف بالكتيفة وهى الضبة ومن مجاز المجاز قولهم : فى قلب فلان كتيفة وكتائف أى حقد وأحقاد .

ومما لا صلة له بالكتف قول العرب : ان الكتف وزان العدل هو المشى الرويد يحرك الانسان فيه منكبيه ، تقول : كتف الولد كتفا اذا مشى رويدا ، وكذلك هو الرفق فى الأمر ، تقول : كتف القاضى كتفا اذا كان رفيقا فى أموره .

(١) منها : اى من الكتف لانها انثى .

أما الكتفان بالتحريك فهو سرعة المشي ، وأما الكتفان وزان عثمان ويكسر فهو الجراد حينما يطير أول طيرانه ، الواحدة كتفانه بالهاء ، وسمى بذلك لأنه يتكتف فى مشيه أى ينزو ويثب •

٦١ ـ ويقولون : العقاب قاصر على المذنبين ، والمكافآت قاصرة على المجدين بصيغة اسم الفاعل فيهما ، والصواب أن يستبدل باسم الفاعل اسم المفعول فيقال : العقاب مقصور على المذنبين ، والمكافآت مقصورات على المجدين ، لأن أصل التعبير الأول : قصر القاضى العقاب على المذنبين فالقاضى قاصر والعقاب مقصور ، وأصل التعبير الثانى : قصرت الحكومة المكافئات على المجدين ، فالحكومة قاصرة والمكافئات مقصورات وفى التنزيل : « حور مقصورات فى الخيام » أى محبوسات وتقول : قصرت نفسى على هذا الأمر اذا لم تطمح الى غيره فأنت قاصر ، وقصرت الطرف اذا لم ترفعه الى ما لا ينبغى ، فأنت قاصر وهى قاصرة وهن قاصرات الطرف اذا قصرنه على أزواجهن قال تعالى : « وعندهم قاصرات الطرف عين » ، وتقول : قصرت الصلاة ومن الصلاة فأنت قاصر وهى مقصورة ، وقصر عن الوجع أو الغضب اذا سكن فهو قاصر ، وأقصر أخى عن الباطل اذا كف عنه وهو يقدر عليه فهو مقصر ، وقصر عنه قصورا اذا عجز عنه ولم ينله فهو قاصر •

ويقال : أقصرت المرأة اذا ولدت قصارا فهى مقصر ، وفى الحديث : « ان الطويلة قد تقصر وان القصيرة قد تطيل » •

٦٢ ـ ويقولون : أثرنا على فلان ، ولنا عليه تأثير عظيم ، وهذا خطأ ، لأن هذا الفعل لا يتعدى بعلى ، وانما تعديته لا تكون الا بفى ، تقول : أثرت فى الشىء تأثيرا ، أى جعلت فيه أثرا وعلامة ، فتأثر هو أى قبل الأثر ، قال تعالى : « كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض » ومثل أثر فى معناه الفعل حاك ، تقول : ضربته بالسيف فما حاك فيه ، أى ما أثر فيه ، وكلمته فما حاك فيه كلامى ، وفلان لا يحيك فيه النصح ، ولا يحيك فيه الملام ، أى لم يؤثر فيه ، قال عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك » أى أثر فيها •

٦٣ ـ ويقولون : هذه امرأة شيباء ، قياسا منهم على قول العرب : رجل أشيب والفصيح أن توصف المرأة بالشمط وهو بياض شعر الرأس

يخالط سواده ، فيقال : امرأة شمطاء وقالوا ان شمط الرجل فى لحيته ، وشمط المرأة فى رأسها .

أما أشيب فقد ورد هكذا عن العرب على غير قياس ، لأن الوصف على أفعل انما يكون من فعل بزنة فرح بشرط أن يكون دالا على العيوب أو الألوان ، كأعمى وأعرج ، وأحمر وأخضر .
قال الشهاب الخفاجى ـ تعليلا لصحة أشيب ـ انه على وزن الوصف من المصائب الخلقية فعدوه من العيوب ، وقال الزوزنى :

كفى الشيب عيبا أن صاحبه اذا
أردت به وصفا قلت أشيب

وكان قياس الأصل لو قلت شائبا
ولكنه فى جملة العيب يحسب

وكلمة شائب قليلة جدا ولم يستعملها بالمعنى المعروف الا مختار الصحاح ، وانما تستعمل فى المبالغة ، تقول : شيب شائب ، كليل لائل ، وشغل شاغل ، قال :

عجائز يطلبن شيئا ذاهبا
يخضبن بالحناء شيبا شائبا
يقلن كنا مرة شبائبا

وجمع الأشيب شيب بالكسر كما فى قوله تعالى : « يوما يجعل الولدان شيبا » ويجمع أيضا على شيب وشيب ككتب ، ولا يقال للمرأة شائبة ، وانما هى واحدة الشوائب ، ومعناها الأقذار والأدناس تقول : شاب الرجل يشيب شيبا ، وشيبة : قال تعالى : « واشتعل الرأس شيبا » وقال : « ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » .

٦٤ ـ ويقولون لأولادهم خوفا عليهم ونصحا لهم : لا تسيروا فى الطريق الا على الرصيف والفصيح أن يقال : الا على الطوار ، بفتح الطاء وكسرها ، وطوار الطريق هو ما انقاد معه من طوله ، وللطريق طواران : أحدهما : عن يمين السائر فيه والآخر : عن يساره ، وطوار الدار ما يمتد معها من فنائها .

أما الرصيف : فله معنى آخر لا صلة له بهذا المعنى ، تقول : فلان رصيف اذا كان محكم الأعمال ، وجواب رصيف ، وعمل رصيف أى محكم رصين ، جمعه رصف بضمتين .

٦٥ ـ ويقولون : حل المحرم من احرامه يحل حلا بكسر الحاء فى كل من المضارع والمصدر اذا خرج منه ،

فهو حال بصيغة اسم الفاعل ، وعلى الرغم من أن هذا هو القياس فلم يسمع من العرب ولم ينقلعنها ، وانما قالت : حل المحرم من احرامه فهو حلال ، أى صار خروجه من الاحرام حلالا ، وقالت أيضا فهو حل بالكسر ، كما قالت فهو حرم وحرام اذا كان محرما .

وكذلك يقال : حلت المرأة للزواج اذا زال المانع الذى كانت متصفة به ، كانقضاء العدة ، فهى حلال ، أى صار زواجها حلالا .

ويقال : أحل المحرم بالألف فهو محل بصيغة اسم الفاعل ، وحل أيضا تسمية بالمصدر ، وحل لفلان الافطار فى رمضان فهو حل وحلال .

أما الذى يقال فيه حال فنوعان : أحدهما : الدين ، تقول : حل الدين يحل حلولا اذا انتهى أجله فهو حال ، والنوع الآخر : النزول بالمكان ، تقول : حل فلان بديارنا ، أو حل ديارنا يحل ويحل بضم الحاء وكسرها حلا بالفتح ، وحلولا بالضم اذا نزل بها فهو حال .

ويقال : حل العذاب يحل بكسر الحاء حلولا اذا وجب ، ويحل بضمها حلولا اذا نزل ، وقرىء بهما قوله تعالى : « فيحل عليكم غضبى » وأما قوله سبحانه : « أو تحل قريبا من دارهم » فبالضم أى تنزل . وحل الهدى يحل حلة بكسر الحاء فيهما ، وحلولا اذا وصل الى الموضع الذى يحل فيه نحره ، ومن ذلك قوله جل شأنه : « حتى يبلغ الهدى محله » .

ويقال : هؤلاء حى حلة بكسر الحاء أى حالون نازلون فى مكان ، ومن ذلك قول الشاعر :

لقد كان فى شيبان لو كنت عالما
قباب وحى حلة ودراهم

ومثل ذلك قولهم : حى حلال بالكسر أى حالون كما فى قول زهير ابن أبى سلمى :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم
اذا طرقت احدى الليالى بمعظم

٦٦ – ويقولون : تأكد الطالب من نجاحه تأكدا ، وهذا التعبير فاسد ، لأنهم جعلوا الطالب فاعلا للتأكد وهو لم يفعله ، ووجه الكلام أن يقال : تأكد نجاح الطالب ، اذ أنك تقول : أكدت نجاح الطالب تأكيدا ، فتأكد نجاحه تأكدا ، وتأكد فعل مطاوع لأكد ، ومن هذا استبان أن فاعل أكد

المتعـدى هو المتـكلم ، أما فاعل تأكد المطاوع فهو النجاح .

والتوكيد والتأكيد معنـاهما واحد هو التقوية ، وتوكد وتأكد المطاوعان بمعنى واحد هو تقـوى ، أى قويت الشيء فتقوى ، بيد أن الواوى أفصح فى الاستعمال من أخيه المهموز فى كل ما ذكرنا .

٦٧ - ويقولون : ليهنك الفارس ، والصـواب أن يقال : ليهنئك الفارس بهمزة سـاكنة ، أو ليهنيـك الفارس بابدال الهمـزة ياء ، أما حذفهـا فهو عامى كما قال صاحب المصباح .

والمعنى : سرنى الفـارس ، فهو هانىء .

وتقول : هنـأت فلانا بالنجاح تهنئة وتهنيئا ، وهنأته هنئا بالفعل الثلاثى اذا قلت له : ليهنئك .

عباس أبو السعود

كان الخليـل بن أحمـد اماما فى اللغـة والنحو ، أخذ عنـه الأصمعى وسـيبويه وغيرهما ، عالما بالحـديث والسنة . ومن الزهاد المنقطعين الى الله تعالى ، يحج سنة ويغـزو سنة ، وهو الذى وضـع قواعد علم العـروض ، روى عنه أنه كان يقطع بيتا من الشعر ، فدخـل عليـه ابنـه فى تلك الحالة ، فخـرج الى الناس وقال : ان أبى قد جن ، فدخل الناس عليـه وهو يقطع البيت فأخبروه بما قاله ابنه ، فقال له :

لو كنت تعـلم ما أقول عذرتنى
أو كنت تعـلم ما تقـول عذلتكا
ولـكن جهلت مقـالتى فعذلتنى
وعلمت أنك جـاهل فعـذرتكا

توفى الخليل بن أحمـد سنة ١٦٠ أو ١٧٠ هـ وله من العمـــر أربـع وسبعون سنة ؟

(من معجم الأدباء ليـاقوت جـ ١١ ص ٧٥) .

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **التسعير في الاسلام :**
للأستاذ البشرى الشوربجى

هـذا الكتـاب الذى نشرته دار المعارف يقع فى أكثر من مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة وتأصيل لقضـية التسـعير الجبرى فى الفقه الاسلامى ، مع اشارات مقـارنة بالقانون الوضعى ، والمؤلف وكيـل أول للنيابة المالية بمحافظة الاسكندرية ومن المهتمين اهتماما كبيرا بالدراسـات المقـارنة بين التشريع الاسـلامى والتشريعات الوضعية ، وهذه الدراسة القيمة التى بين أيدينا تقع فى فصلين ، عرض فى الفصل الأول للتسـعير بين التحريم والوجوب مشيرا الى آراء كل فريق ، من حيث الاستناد الى الكتاب والسنة وآراء الفقهـاء ، ثم فى نهـاية الفصل بحث تضمن الموازنة والتقريب بين الرأيين المتقابلين ..

أما الفصل الثانى : فقد عرض فيه لتنظيم التسعير فى الفقـه الاسـلامى : متى يجب التسعير ؟ وماذا يجب فيه ؟ وكيف ينبغى أن يكون ، كما عرض لرقابة الأسعار فى الاسلام ، وأشار الى أن المحتسب رقيب على الأسعار ، كما أشار الى التقرير على مخالفة الأسعار ، ومقداره ، وفى نهاية الفصل بحث عن أخبار المحتسب فى مصر مستعينا بمـا أورده الجبـرتى فى تاريخـه عن المحتسب فى مصر فى أوائل القـرن المـاضى ...

يرى المـؤلف : أن للدراسـة الشرعية لهـذا الموضـوع ، ولسـائر الموضـوعات التى تعـرض التنظيم القانونى أهمية لا تخفى ، بل ان أهمية الدراسة على بساط البحث الاسـلامى لتزداد بعـد أن أصبحت مبـادىء الشريعة الاسـلامية مصـدرا رئيسيا للتشريع فى مصر وغيرها من البـلاد العربية ، كما يرى أن الكتاب والسنة

وما فيهما من أصول ومبادىء ، يواجهان الحياة العامة للاسلام فى كل عصوره .. وعندما كان القرآن دستور المسلمين فى العصر الأول ، كان المسلمون أولى قوة وأولى بأس ، وذوى مدنية راقية ..

والمؤلف من خلال هذه الدراسة يقف الى جانب الرأى القائل بجواز التسعير تحقيقا للنفع العام ، وقد ناقش أدلة المانعين مرتبا أنها لا تنقض المبادىء العامة فى الشريعة ، لذلك يرجح الرأى القائل بالجواز ، بل الوجوب عند الضرورة .

وبعد .. فالحق أن المؤلف بذل جهدا طيبا فى هذه الدراسة القيمة ، وعرض لشتى الآراء الفقهية فى دقة وأمانة ، الا أننا كنا نود أن يعنى تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجاتها ، غير مكتف بالاشارة الى مصادرها فى أمهات المراجع ، كذلك كنا نود أن لا يقف فى أخبار المحتسب فى مصر عند أوائل القرن الماضى ، تاركا أخباره فى العصور الاسلامية السابقة .. ويبقى بعد ذلك تقديرنا للمؤلف الشاب الذى اتجه الى القضايا المهمة يعرضها من وجهة الشريعة الاسلامية والتشريعات الوضعية ، ليتضح لأولئك الذين لا يهتمون بالتشريع الاسلامى ، قيمة هذه الشريعة التى جعلناها اليوم خلف ظهورنا .. !

● **مع الالحاد وجها لوجه**
للدكتور عبد الرحمن عميرة
مدرس بجامعة الأزهر ـ أسيوط

هذا كتيب صغير فى كمه اذ يقع فى زهاء أربعين صفحة من القطع المتوسط ، لكنه والحق يقال : كبير فى قدره ، فهو يتناول ـ على ايجازه ـ قضية كبرى من القضايا المعاصرة ، والخطيرة التى تواجه الاسلام نظاما وفكرا ، فالالحاد التى هبت أعاصيره على العالم الاسلامى مع المبادىء الزائفة المستوردة ، يسعى جاهدا الى استقطاب شبابنا المسلم ولا سيما المثقف بين جدران الجامعات ..

والمؤلف يناقش الالحاد ليضيق عليه الخناق ، بمنطق وفكر ، لم يجنح الى أسلوب الوعظ والخطابة .

يعرض المؤلف هذا السؤال : أين الله ؟ ثم يجيب : هل الله غائب حتى نفتش عنه ؟ وهل هو بعيد عنا حتى نقطع الأميال سعيا اليه ؟ ان الله معنا دائما ، نحسه فى داخل شعورنا ، وفى داخل كياننا .. أم أننا نريد أن نعرف

كنه ذاته وحقيقة صفاته ؟ ان كان ذلك كذلك فالرسول عليه السلام يقول : تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا ..

لقد طاف بنا المؤلف فى جولة ممتعة مع الفلاسفة الاسلاميين ، ومع الفلاسفة والمفكرين من غير الاسلاميين الذين عرفوا الحق عن طريق المعرفة الأصيلة ، كذلك مع الفلاسفة والمفكرين الذين انحرفوا عن الجادة . يفند آراءهم ويتعقب أفكارهم ، وفى نهاية البحث تساءل المؤلف فى مرارة وأسى ، وذلك بعد أن أبرز قيمة المبادىء الاسلامية : اذا كانت مبادىء الاسلام بهذه السماحة . فلماذا ابتعد الاسلام عن موضع الصدارة ؟ ومن المسئول عن تنحيته عن حقل الحياة ؟ أهم الشباب ؟ أهم الحكام ؟ أهم علماء الدين ؟ ثم قال : نحن الآن فى دولة العلم والايمان .. لن يكون للمعوقين فيها موضع ، ولا للملحدين مكان .. دولة العلم والايمان كفيلة بنقل الشاردين الى مرفأ الايمان ، وأن تعيد التائهين الى واحة الاطمئنان ..

والذى أود أن أقوله مع المؤلف : انه لا معنى لدولة العلم والايمان .. بلا رجال رواد من العلماء والمفكرين العاملين ...!!

● **المسلم المعاصر :**

هذا هو العدد الأول من مجلة .. المسلم المعاصر . . صدر فى بيروت منذ اسابيع ، وصاحب الامتياز ورئيس التحرير هو الدكتور جمال الدين عطية المحامى ، وسوف تصدر المجلة ان شاء الله تباعا كل ثلاثة شهور .. اذن فالمجلة فصلية فكرية ، تعالج شئون الحياة المعاصرة على ضوء الشريعة الاسلامية ، ورئيس التحرير يشير فى مقدمة العدد الى منهج المجلة التى ستسير عليه ، فهى تعمل فى ميادين ثلاثة : الفكر ، والاصلاح ، والسياسة ، ويعنى بالميدان الفكرى أوجه النشاط العلمى والفكرى سواء فى ذلك البحوث النظرية أو التطبيقية ، كما يعنى بالميدان الاصلاحى أوجه النشاط الاعلامى والتربوى والاجتماعى ، وما الى ذلك مما يستهدف نقل الافكار الى حيز التطبيق ، كذلك يعنى بالميدان السياسى تطوير النظم السياسية والقانونية من حين الى آخر لتكون محققة لما تتبناه القاعدة الشعبية التى هى مصدر السلطات ...

في هـذا العـدد بحـوث جديرة بالتقـدير منها : السنة التشريعية وغير التشريعية للدكتور محمد سليم العوا ، ونظرة عابرة على حقـوق الانسـان الأسـاسية للمودودى ، وفي التفسـير الاسلامي للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل ، ثم المسـلم في عالم الاقتصـاد للدكتور جمـال الدين عطية ، كذلك في المجلة باب «خدمات مكتبية» والحق أنه باب جديد له أهميته ..

وبعـد : فنحن نرحب بمجـلة « المسلم المعاصر » لأنها مجلة فـكرية على مستوى رفيع ، والحق أنها سدت فراغا في مجال الفـكر الاسـلامى ، وأرجو أن تهتم المجلة مستقبلا بنوع من الدراسـات جدير بالعنـاية كل العناية ، أقصد الدراسـات المقـارنة ، وبنوع آخر لا يقل عن سابقه ، وأقصد الدراسـات التى تواجه التحـديات العنيفـة التى تصوب على الاسلام من الشرق والغرب ، يروج لهـا كتـاب مسلمون بحكم شـهادات مواليدهم ، فلسنا في حاجة الى مجلة أكاديمية ، ولا الى مجلة وعظية ، وانما نحن في أمس الحاجة الى مجلة حركية تعرض الاسلام عرضا سليما من ناحية ، ومن ناحية أخرى تتصدى لتيارات الالحاد التى أصحبت تتحدى الاسلام في عقر دياره في غير ما خوف ولا حياء ..

نحن نعلم أن صـاحب هذه المجلة جندى من جنود الفكرة الاسـلامية ، الذين أبلوا في سبيلها بلاء حسـنا ، وله من قدراته الثقافية ، ما يؤهله لأن يخرج للمكتبـة الاسـلامية شـيئا له قيمته ، ان شاء الله تعالى .. !

قراءات :

« أما بعـد ـ فانى أوصيك بتقوى الله الذى لا بد لك من تقاته .. وأتقدم اليك عن الله عز وجل ، وأذكـرك مكر الله فيمـا دبت به اليك سـاعات الليـل والنهـار .. فلا تخدعن عن دينك ، فانهـا لو ظفرت بذلك منك وجـدت الله عز وجل أسرع فيـك مكرا ، وأنفذ فيك أمرا .. ووجدت ما مكرت به في غير ذات الله غير راد عنك يد الله .. ولا مانع لك من أمر الله » ..

« من كتاب أبى العتاهية الى سـهل ابن هارون » ..

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

الزكاة فى الأسهم والسندات

السؤال :

ما مقدار الزكاة فى المسائل الآتية :

اسهم جمعية البترول التى تحولت الى شهادات استثمارية متزايدة القيمة واشترط ألا تسدد قيمتها الا فى حدود ٥٠ جنيها لمدة ثلاث سنوات يمكن بعدها الاسترداد بلا شروط وكذلك أسهم الشركة القومية لانتاج الأسمنت التى تحولت الى شهادات استثمار والمدخرات بكل من صندوق التوفير والمدخرات النقدية .

الجواب

ان الزكاة فى أسهم كل من جمعية البترول والشركة القومية للأسمنت واجبة وقيمتها ربع العشر عن سنة واحدة فقطفيما مضى ، وأما المدخرات من صندوق التوفير فتجب الزكاة فيها عن سنة واحدة فقط وقيمتها كما تقدم من أصل المبلغ المدخر .

أما المدخرات فتجب فيها الزكاة عن المدة كلها لأن المال لا يعتبر دينا بل هو مال مقدور عليه فى كل وقت .

السؤال من السيد / الدكتور محمد ابراهيم رجب

هل من الأفضل اقامة مسجد بقرية رغم ما يكفى سكانها من مساجد أم اقامة مصنع يضم أبناء الشهداء ، حيث أن أبناء الشهداء يزيد عددهم عن مائتين ويستحقون الرعاية والنفقة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن اقامة مصنع لايواء

أولاد الشهداء وتعليمهم من الصناعات مايضمن لهم الحياة الطيبة فيحاضرهم ومستقبلهم ونظرائهم المحتاجين الى العون والرعاية اذا اتسع دخل المصنع لذلك أفضل من انشاء مسجد فى بلدة بها من المساجد ما يكفى أهلها • والله تعالى أعلم •

السؤال من الاستاذ محمد عبد الرحمن عبد القادر ماذون كفر دميرة القديم دقهلية •

عقدت عقدا وجعلت العصمة بيد الزوجة ثم حدث الطلاق الرجعى ، فهل للزوج الحق فيمراجعة زوجته؟ أم ما زال الحق فى يد الزوجة كما كان • أم لا تجوز الرجعة اطلاقا ؟

الجواب

نعم يجوز للزوج مراجعة زوجته اذا كان قد فوض اليها أمر طلاق نفسها اما اذا كان قد وكلها فى طلاق أمر نفسها فتكون مطلقة طلاقا بائنا وحيث أنها طلقت نفسها طلقة رجعية فللزوج مراجعتها • والله أعلم •

السؤال من السيد / عثمان درامى (من غينيا) :

من العرف فى بلدنا أنه اذا حان وقت حصاد الزرع ، يتقدم بعض الناس لمعونة الزراع فىنظير جزء من المحصول يقدمه صاحب الزرع لهذا المعاون من غير أن يطلبه المعاون وقد أصبحت هذه العادة ضرورية وصارت تشبه الأجرة •

فهل يجوز احتساب هذه الهدية التى من المحصول للمعاون من الزكاة المستحقة على صاحب الزرع ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه ما دام العرف قد جرى على أن ما يأخذه المعاون من المحصول فى نظير معاونته فى الحصاد فيكون أجرة ولا يجوز اعتباره من الزكاة والله تعالى أعلم •

السؤال من السيد / على الحصنى (سوريا)

تاجر عليه ديون تجارية ، وله ديون على الغير ، وعنده سلع هى رأسماله التجارى • فكيف يخرج الزكاة المستحقة عليه ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه أولا يخصم الدين من رأس المال الذى هو السلع والدين الذى له على غيره ويزكى الباقى منهما •

وكيفية زكاة السلع أنها تقوم ويخرج عن القيمة ربع العشر ، وكيفية زكاة الدين الذى له على الغير أنه يؤدى عن كل قسط يقبضه الزكاة بمقدار ربع العشر •

أما الموجودات من بيوت أو عقار فلا زكاة عليها لذاتها وانما تكون على ما ينتج منهما فالبيوت المؤجرة اذا تجمع من الأجرة نصاب يزيد عن حاجته ويحول عليه الحول فانه يزكى عنه والأرض المؤجرة كالبيوت المؤجرة •

أما الأرض المزروعة فيخرج عنها زكاة الزروع •

والله تعالى أعلم •

السؤال من السيدة / الحاجة فاطمة حسين عبد الغنى

عند عودتى من الأراضى الحجازية ، أعطتنى زميلة لى ٢٧ دولارا ذهبيا ، لتوصيلهم الى أحد أقاربها أو الاحتفاظ بهم لحين حضورها الى القاهرة ، وعند وصولى الى مطار القاهرة ، قام المسئولون بمصادرة هذه الدولارات بجانب مصادرة أمتعتى ، وقيدت جريمة تهريب ، انتهت الى أن أدفع مبلغ ١٩٨ جنيها عن الدولارات و١٠٠ جنيه عن أمتعتى ، ولما كنت فى ضائقة مالية قمت ببيع هذه الدولارات بسعر ٣٦ جنيها كل واحد وكان ثمنه فى السعودية ٢٢ جنيها و ٥٠٠ مليما • وأرجو بيان مايجب على أداءه لصاحبة هذه الدولارات ؟

الجــواب

ان مقدار الدولارات الذهبية التى حملتها السيدة المسافرة الى القاهرة لتوصيلها الى أقارب المرسلة أو تحفظها عندها حتى تسلمها المرسلة نفسها هى وديعة كان واجبا عليها أن

تحفظهـا كمـا هي حتى توصلها الى محلها وحيث اضطرت في أثناء طريقها الى صرف بعض المـال للمحافظة عليها والى أن تستبـدلها من عملة القاهرة فان كل هذا لا يعطيها الحق في أخذ شيء من فرق العملة ويجب عليها أن ترد الباقي من الثمن الذي باعت به في القاهرة بعد خصم ما صرفته على الوديعة من رسوم جمركية وغرامات ومصاريف انتقال والله تعالى أعلم .

سطور من كتب التراث

كان أحمـد بن محمـد النحاس المصري من علماء اللغة ، له مؤلفـات عديدة تقرب من العشرين وكان لئيم الطبع بخيلا شديد التقتير على نفسه . وجلس يوما على درج مقياس النيـل بجزيرة الروضة ـ والنيـل في أيام زيادته ـ وهو يقطع بالعروض شيئا من الشـعر . فرآه بعض العـوام ، فاعتقد أنه يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار ويسوء الحال ، فدفعـه برجله في النيـل فلم يوقف له على خبر .

وكان هـذا في سـنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) في دولة بني الأخشيد .

ويشـبه هـذا ما ذكر عن الحاكم بأمر الله الفاطمي ما بلغه عن جنـادة ابن محمد الهروي اللغوي النحوي ـ وكان يقرأ بجامع المقياس ، اذ توقف النيـل عن الزيادة في بعض السنين ، فقيل للحاكم ان جنادة رجل مشؤوم ، يقعد بالمقياس ويلقي النحو ويعزم على النيل . فلذلك لم يزد . فأمر الحاكم بقتله في ذي الحجة سنة ٣٩٩ هـ ؟

أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

● **بيان شيخ الأزهر فى عيد الهجرة :**

أعلن فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة قال فيـه :

(••• ان الهجرة الى الله سبحانه وتعالى ، والى رسوله صلى الله عليه وسلم لم تنته •• ولن تنتهى •• ذلك أن واجب المسلم أن يكون فى هجرة دائمة الى الله تعالى ، والى رسـوله صلى الله عليه وسلم •••) •

ثم قال فضيلته :

(••• وما من شك أيضا فى أن من ألوان الهجرة الحتمية المفروضـة فى عامنا الجـديد أن نستخلص بيت المقـــدس ، ان ذلك فرض على كل الأقطار الاسـلامية ، البعيـد منها والقريب ، انه فرض على الأفراد وعلى الجماعات ، انه فرض لانزول فرضيته بالبعـــد عن مكان المعـركة ، فرض بالأمـوال وبالأنفس ، انه الجهـــاد المقدس •••) •

● **رائد الفضاء الامريكى يقول لشيخ الأزهر :**

قال جيمس ايروين رائد الفضـاء الأمريكى فى رحلة أبوللو ١٥ لفضيلة الامام الأكبر الدكتـــور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ــ أثنـاء الزيارة التى قام بهـا لفضيلته بمكتبـه بادارة الأزهر يوم السبت ٢٨ من ذى الحجة ١٣٩٤ هـ ــ ١١ من يناير ١٩٧٥ م ــ :

(اننى سعيد بلقـــاء شيخ الأزهر ورؤية المسلمين) ••

ثم قال :

(اننى صعدت على سطح القمـــر وشعرت بوجود الله •• ورأيت أشياء كثـيرة تدل على وجـود الله وقدرته

وعظمته ... ان ايمــاني بالله ازداد وقوى بعد صعودي للقمر وهبـوطي على سطحه ... انني أتمنى أن يصل كل انسان الى القمر ليزداد ايمـانه بقدرة الله) .

وعرض على فضيلته ـ أثناء الزيارة ـ مجموعة من الصور لسطح القمر ، وصخرة طبيعية من صخور القمـر ، واستمع فضيلته للشرح الذى قام به الرائد على الصـور ، ثم أكد فضيلته له : أنه لا تعـارض فى الاسـلام بين العـلم والدين بل ان الاسـلام يدعو للعلم ويحرض عليه .

وفى ختـام الزيارة أهدى الرائد لفضيلة الامام الأكبر صـورة كبـيرة بالألوان من صور الرائد على سـطح القمر ...

● فروع للأزهر بالولايات المتحدة :

وافق فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمـود شيخ الأزهر على انشاء فروع للأزهر بالولايات المتحدة الأمريكيـة التى توجد بهـا جاليـات اسـلامية على أن تقـوم الجاليـات الاسلامية بالتمويل ويقـوم الأزهر بالاشراف على الناحية الفنيـة ، وذلك بامداد الفـرع الذى ينشأ بالمدرسـين والمؤلفات العلمية والكتب .

وقد بحث هذا فضيلة الامام الأكبر مع الدكتـور أحمـد الأبيض أستاذ الهندســة بجامعــة بردو بالولايات المتحدة الأمريكية أثنـاء الزيارة التى قام بها لفضيلته بمكتبـه بادارة الأزهر يوم الاثنـين ٢٣ مـن ذى الحجـة ١٣٩٤ هـ ـ ٦ من يناير ١٩٧٥ م .

● مؤتمر علماء مصر من الآن حتى سنة ٢٠٠٠ :

عقد بالقاهرة فى شـهر ديسمبر المـاضى مؤتمر علمـاء مصر من الآن حتى سنة ٢٠٠٠ واشـترك فيه ٤٠٠ عالم مصرى منهم من يعمل فى مصر ومنهـم من يعمــل فى الخارج وقد حضروا خصيصـا للاشـتراك فى هذا المؤتمـر وعرض بحوثهم ، ومناقشـة مشـكلات مصر ومسـتقبلها حتى سنة ٢٠٠٠

ومن الموضوعات الهامة التى كانت موضع مناقشة المؤتمـر : الاسـكان والصحة ، والعلوم، والطبيعة ،والتعليم والغذاء ،والزراعة ،وموضوعات الطاقة والبيئـة ، والتنميـة الاقتصــادية ، وتكنولوجيا الحاسبات الالكترونية .

ومن أهم التوصيات التى أصدرها المؤتمر : بحث الطرق المختلفة لاستمرار الاتصال المنظم مع العلميين بالخارج ـ تزويد العلميين بالخارج بالخطوط الرئيسية لخطة التنمية حتى يمكن فى ضوئها القيام بدراسة فعالة تخدم هذه الخطة ـ توجيه الشركات الأجنبية والهيئات الدولية الى تفضيل الاستعانة بالعلميين المصريين بالخارج ـتشجيع العملين المصريين على تكوين روابط جمعيات علمية •

● **مسجد قرطبة :**

عزمت أسبانيا مع الرياسة الدينية فى البلاد على اعادة الصيغة الاسلامية لمسجد قرطبة الشهير •

وينتظر أن يقام احتفال كبير يدعى اليه رجال الديانتين الاسلامية والمسيحية لتسليم المسجد ورده الى أصله •

● **القدس مفتاح السلام فى الشرق الأوسط :**

من بيروت قال اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى الأمم المتحدة وصاحب القرار الشهير رقم ٢٤٢حول قضية الشرق الأوسط عام ١٩٦٧ :

(ان مدينة القدس تعتبر فى رأيه مفتاح السلام فى الشرق الأوسط ، لأنه بدون حل لها فلن تكون هناك جدوى من مؤتمر جنيف أو أى مؤتمر آخر) •

● **متحف لأمجاد الاسلام منذ غزوة بدر حتى معارك العبور :**

سيقام أكبر متحف فى مصر الى جانب مسجد الفتح فى ميدان رمسيس بالقاهرة •

وسيضم المتحف نماذج من التراث الاسلامى تمثل أمجاد الاسلام منذ غزوة بدر حتى معارك العبور فى ١٠ من رمضان المبارك عام ١٣٩٣ هـ ـ ٦ من أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣ م •

كما سيضم مكتبة صوتية عن علوم القرآن والحديث والفقهومكتبة أخرى تضم زخائر الكتب والمراجع الأساسية الاسلامية ونسخا نادرة من المصحف الشريف فى العصور المختلفة •

● **الاعتراف بالدين الاسلامى رسميا فى بلجيكا :**

تم الاعتراف رسميا فى بلجيكا بالدين الاسلامى وقد نشر فى الصحيفة الرسمية لبلجيكا وهى صحيفة « مونيتار » مشروع قانون الاعتراف بالدين الاسلامى الذى صوت عليه البرلمان البلجيكى بالموافقة فى وقت سابق •

● **المركز الاسلامى بلندن :**

يجرى العمل الآن فى اقامة المبنى الجديد للمركز الاسلامى بلندن ، وسيتكلف مليون ونصف مليون جنيه استرلينى ويضم مسجدا كبيرا وقاعة للمكتبة والمحاضرات .

ويعمل مجلس ادارة المركز – وهو مكون من سفراء الدول – على أن يتم افتتاح المبنى فى العام القادم فى الموعد الذى حدد لاقامة المهرجان الاسلامى الأول بلندن .

● **مكافآت مالية لحفظ القرآن الكريم :**

قررت وزارة الأوقاف المصرية منح مكافآت مالية لحفظة القرآن الكريم فى حلقات حفظ القرآن التى تقيمها الوزارة بمساجدها بمختلف أنحاء الجمهورية .

وسيعقد امتحان بين أعضاء هذه الحلقات يمنح الممتازون فى القراءة هذه الجوائز ...

● **فى جامعة الأزهر :**

وافق مجلس جامعة الأزهر فى اجتماعه برياسة الدكتورمحمد حسين فايد رئيس الجامعة على ترشيح الدكتور أحمد خيرى كاظم عميد كلية التربية لحضور اجتماعات المجلس القومى للعلوم التربوية وتعيين الدكتور عبد العزيز السيد أستاذا غير متفرغ بكلية التربية واعتماد منح ١٣ درجة دكتوراه بكليات الجامعة و ٢٥ درجة ماجستير ، وتغيير قسم الفسيولوجيا بكلية الطب الى قسم الفسيولوجيا والفسيولوجيا التطبيقية ..

ابرهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٦٠٠٢-١٩٧٥/١١٤٥

the Holy Quran), and he used to wrtie the Holy Quran for the Holy Prophet. He then went over to Christianity again, and he used to say, Muhammed does not know anything except what I wrote for him. Then Allah caused him to die and they buried him" (Bu. 61 : 25). The hadith goes on to say how his body was thrown out by the earth. This was evidently at Madina after the revelation of the second and third chapters of the Holy Quran, when a Muslim state was well-established, and yet the man who apostatized was not even molested, though he spoke of the Holy Prophet in extremely deroagtory terms and gave him out as an impostor who knew nothing except what he (the apostate) wrote for him.

It has already been shown that the Holy Quran speaks of apostate joining a tribe on friendly terms with the Muslims, and of others who withdrew from fighting altogether, siding neither with the Muslims nor with their enemies, and it states that they were to be left alone (4 : 90). All these cases show that the hadith relating to the killing of changers of religion applied only to those who fought against the Muslims.

Turning to Fiqh, we find that the jurists first lay down a principle quite opposed to the holy Quran, namely that the life of a man may be taken on account of his apostasy. Thus in the Hidaya : "The murtadd (apostate) shall have Islam presented to him whether he is a free man or a slave ; if he refuses, he must be killed" (H.I., P. 576). But this principle is contradicted immediately afterwards when the apostate is called "an unbeliever at war" whom the invitation to Islam has already reached" (H.I., P. 577). This shows that even in Fiqh, the appostate forfeits his life because he is considered to be an enemy at war with the Muslims. And in the case of an apostate woman, the rule is laid down that she shall not be put to death, and the following argument is given : "Our reason for this is that the Holy Prophet forbade the killing of women, and because originally rewards (for belief or unbelief) are deferred to the latter abode, and their hastening (in this life) brings disorder, and a departure from this (principle) is allowed only on account of an immediate mischief and that is hirab (war), and this cannot be expected from women on account of the unfitness of their constitution" (H.I, P. 577).

(to be concluded)

with the Muslims. It is only by placing this limitation on the meaning of the hadith that it can be reconciled with other hadith or with the principles laid down in the Holy Qur'an. In fact, its words are so comprehensive that they include every change of faith, from one religion to any other whatesoever ; thus even a non-Muslim who becomes a Muslim, or a Jew who becomes a Christian, must be killed. Evidently, such a statement cannot be ascribed to the Holy Prophet. So the hadith cannot be accepted, without placing a limitation upon its meaning.

Another hadith relating to the same subject throws further light on the significance of that quoted above. In this hadith it is stated that the life of a Muslim may only be taken in three cases, one of which is that "he forsakes his religion and separates himself (al-tarik) from his community (li-l-jama'a)" (Bu. 87 : 6). According to another version, the words are "who forsakes (al-mufariq) his community." Evidently separation from the community or the forsaking of it, which is here added as a necessary condition, means that the man leaves the Muslims and joins the enemy camp.

Thus the words of the hadith show that it relates to war time ; and the apostate did not forfeit his life for changing his religion, but for desertion.

An instance of a simple change of religion is also contained in the Bukhari. "An Arab of the desert came to the Holy Prophet and accepted Islam at his hand ; then fever overtook him while he was still in Madina ; so he came to the Holy Prophet and said, Give back my pledge ; and the Holy Prophet refused ; then he came again and said, Give me back my pledge ; and the Holy Prophet refused; then he came again and said, Give me back my pledge; and the holy Prophet refused ; then he went away" (Bu. 93 : 48). This hadith shows that the man first accepted Islam, and the next day on getting fever he thought that it was due to his becoming a Muslim, and so he came and threw back the pledge. This was a clear case of apostsy yet it is nowhere related that anyone killed him. On the other hand, the hadith says that he went away unharmed.

Another example of a simple change of religion is that of a Christian who became a Muslim and then apostatized and went over to Christianity, and yet he was not put to death ; "Anas says there was a Christian who became a Muslim and read the Baqara and Al Imran (2nd and 3rd chapters of

these headings speak for themselves. The heading of the first book clearly shows, that only such apostates are dealt with in it as fight against the Muslims, and that of the second associates the apostates with the enemies of Islam. That is really the crux of the whole question, and it is due to a misunderstanding on this point that a doctrine was formulated which is quite contrary to the plain teachings of the Holy Qur'an. At a time when war was in progress between the Muslims and the unbelievers, it often happened that a person who apostatized went over to the enemy and joined hands with him in fighting against the Muslims. He was treated as an enemy, not because he had changed his religion but because he had changed sides. Even then there were tribes that were not at war with the Muslims, and if an apostate went over to them, he was not touched. Such people are expressly spoken of in the Holy Qur'an : "Except those who reach people between whom and you there is analliance, or who come to you or fighting their own people shrinking from fighting you, or fighting their own people; and if Allah has pleased He would have given them power over you so that they should have fought you ; therefore if they withdraw from you and do not fight you and offer you peace, then Allah has not given you a way against them" (4:90).

The only case of the punishment of apostates, mentioned in trustworthy hadith, is that of a party of the tribe of 'Ukul, who accepted Islam and came to Medina, but found that the climate of the town did not agree with them; so that Holy Prophet sent them to a place outside Madina where the state milch-camels were kept, so that they might live in the open air and drink of milk. They got well and then killed the keeper of the camels and drove away the animals. This being brought to the knowledge of the Holy Prophet, a party was sent in pursuit of them and they were put to death (Bu 56:152).

The report is clear on the point that they were put to death not because of their apostays, but because they had killed the keeper of the camels.

Much stress is laid on a hadith which says : "Whoever changes his religion, kill him" (Bu. 88 : 1). But in view of what the Bukhari itself has indicated by describing apostates as fighters or by associating their name with the name of the enemies of Islam, it is clear that only those changers of faith are meant, who join hands with the enemies of Islam and fight

The third chapter, revealed in the third year of Hijra, speaks again and again of people who had reverted to unbelief after becoming Muslims, but always speeks of their punishment in the Hereafter : "How shall Allah Guide a people who disbelieved after their believing and after they had borne witness that the Apostle was true» (3:85) ; "Their reward is that on them is the curse of Allah" (3:86) ; "Except those who repent after that and amend" (3:88) ; "Those who disbelieve after their believing, then increase in disbelief, their repentance shall not be accepted" (3:89).

The most convincing argument that death was not the punishment for apostasy is contained in the Jewish plans, conceived while they were living under the Muslim rule in Madina : "And a party of the followers of the Book say, Avow belief in that which has been revealed to those who believe, in the first part of the day, and disbelieve at the end of it" (3:71). How could people living under a Muslim government conceive of such a plan to throw discredit on Islam, if apostasy was punishable with death? The Maida is one of the chapters revealed towards the close of the Holy Prophet's life, and yet even there the murtadd is free from any punishment in this life : "O you who believe ! should one of you turn back from his religion, then Allah will bring a people whom He shall love and they too shall love Him (5:54). Therefore as far as the Holy Qur'an is concerned, there is not only no mention of a death — sentence for apostates but such a sentence is negatived by the verses speaking of apostasy, as well as by that magna charta of religious freedom, the 256th verse of the second chapter, la ikraha fi-l-din, "There is no compulsion in religion".

Let us now turn to Hadith, for it is on this authority that the fiqh books have based their death-sentence for apostates. The words in certain hadith have undoubtedly the reflex of a later age, but still a careful study leads us to the conclusion that apostasy was not punishable unless combined with other circumstances which called for punishment of offenders. Bukhari, who is undoubtedly the most careful of all collectors of Hadith, is explicit on this point. He has two "Books" dealing with the apostates, one of which is called 'Kitab al-muharibin min ahl alkufr wa-l-ridda or "the Book of those who fight (against the Muslims) from among the unbelievers and the apostates", and the other is called Kitab istitaba al-mu'anidin wa-l-murtaddin wa quitalihim, or "The book of calling to repentance of the enemies and the apostates and fighting with them." Both

not allow the taking of life of a person on the score of religion, and this had already been shown to be the basic principle of Islam, it is immaterial whether unbelief has been adopted after being a Muslim or not, and therefore so far as the sacredness of life is concerned, the unbeliever (kafir) and the apostate (murtadd) are on a par.

The Holy Quran is the primary source of Islamic laws and therefore we shall take it first. In the first place, the Holy Qura'n speaks nowhere of a murtadd by implication. Irtidad consists in the expression of unbelief or in the plain denial of Islam, and is not be assumed, because a certain person who professes Islam, expresses an opinion or does an act which in the opinion of a learned man or a legist, is un-Islamic. Abuse of a prophet or disrespect towards the Holy Qura'n are very often made false excuses for treating a person as murtadd, though he may avow in the strongest terms that he is a believer in the Qura'n and the Prophet. Secondly, the general impression that Islam condemns an apostate to death does not find the least support from the Holy Qur'an. Heffeming begins his article on murtadd, in the Encyclopedia of Islam, with the following words : "In the Kur'an the apostate is threatened with punishment in the next world only". There is mention of irtidad in one of the late Makka revelations : "He who disbelieves in Allah after having believed, not he who is compelled while his heart is at rest on account of faith, but he who opens his breast for disbelief — on these is the wrath of Allah, and they shall have a grievous chastisement" (16: 106). Clearly the murtadd is here threatened with punishment in the next life, and there is not the least change in this attitude in later revelations, when Islamic government had been established, immediately after the Holy Prophet reached Madina. In one of the early Madina revelations, apostasy is spoken of in , connection with the war which the unbelievers had waged to make the Muslims apostates by force : "And they will not cease fighting with you until they turn you back from your religion, if they can : and whoever of you turns back from his religion (yartadda from irtidad), then he dies while an unbeliever — these it is whose works shall go for nothing in this world and the Hereafter, and they are the inmates of the fire : therein shall abide" (2 : 217). So if a man becomes apostate, he will be punished-not in this life, but in the Hereafter on account of the evil deeds to which he has reverted, and his good works, done while he was yet a Muslim, become null because of the evil course of life which he was adopted.

empire under the Caesar. Evidently the concluding words "And he called war a deception" explain how the Chosroes and the Caesar shall perish. War is a deception, in the sense that sometimes a great power makes war upon a weaker power thinking that it will soon crush it, but such war proves a deception and leads to the destruction of the great aggressive power itself. This was what happened in the case of the wars of Persia and Rome against the Muslims. They both had entered upon an aggressive war against the Arabs, thinking that they would crush the rising power of Arabia in a little time. They began by helping the tribes on the frontiers of Arabia to overthrow the Muslim power, and were thus drawn into a war with the Muslims which ultimately crushed their own power. This is the explanation given in Bukari's famous commentary, the 'Aini : "Whoever is deceived in it once (i.e. overthrown or defeated), he is exhausted and perishes and is unable to return to his former condition". Ibn Athir gives three explanations, according as the word is read 'khad'a or khud'a or khuda'a, and in all three cases the meaning is almost the same as given in 'Aini. Taking the first reading which it calls the most correct and the best, the significance is thus explained: "In the first case the meaning is that the affair of the war is decided with an overthrow ; when the fighter is overthrown once, then he finds no respite". In the case of the third reading "the meaning is that war deceives people ; it gives them hopes but does not fulfil them". It is only imperfect knowledge of the Arabic language which was led some people to think that the hadith means that it is lawful to practise deception in war. The Islamic wars were in fact purified of all that is unworthy when the Muslims were plainly told that a war fought for any gain (which includes acquisition of wealth or territory) was not in the way of Allah (Bu 56:15). The Holy Qur'an puts it more clearly still: "Let those fight in the way of Allah who sell this world's life for the Hereafter" (4:74).

The word 'irtidad' is the measure of ifti'a'l from radd which means turning back. Ridda and irtidad both signify turning back to the way from which one has come, but ridda is specially used for going back to unbelief, while irtidad is used in this sense as well as in other senses, and the person going back to unbelief in Islam is called murtadd (apostate). There is as great a misconception on the subject of apostasy as on the subject of jihad, the general impression among both Muslims and non-Muslims being that Islam punishes apostasy with death. If Islam does

It will be seen from what has been stated above concerning the injunctions relating to war and peace, that war is recognized by Islam as a struggle between nations — though a terrible struggle — which is sometimes necessitated by the conditions of human life ; and when that struggle comes, a nation is bound to acquit itself of its responsibility in the matter in an honourable manner, and fight it to the bitter end whatever it is. Islam does not allow its followers to provoke war, nor does it allow them to be aggressors, but it commands them to put their whole force into the struggle when war is forced on them. If the enemy wants peace after the struggle has begun, the Muslims should not refuses, even though there is doubt about the honesty of his purpose. But the struggle, so long as it exists, must be carried on to the end. In this struggle, honest dealing is enjoined even with the enemy, throughout the Holy Quran : "And let not hatred of a people — because they hindered you from the Sacred Mosque —incite you to exceed the limits; and help one another in goodness and do not help one another in sin and aggression" (5 : 2) ; "And let not hatred of a people incite you not to act equitably ; act equitably, that is nearer to piety" (5:8). This is in a chapter which was revealed towards the close of the Holy Prophet's life., Hadith too enjoins honest dealing in war : "Fight and do not exceed the limits and be not unfaithful and do not mutilate bodies and do not kill children" (M 32:2). Such are some of the directions given which purify war of the elements of barbarity and dishonesty in which warring nations generally indulge. Neither inhuman nor immoral practices are allowed.

A hadith is sometimes cited as allowing deceit in war. This is due to misinterpretation of the words of the hadith. Deceit and lying are not allowed under any circumstances. The hadith runs thus :

"The Holy Prophet said, Chosroes shall perish and there shall be no Chosroes after him, and the Ceacer shall perish and there shall be no Ceacer after him, and their treasures shall be distributed in the way of Allah, and he called war a deception (khad at-an)" (Bu. 56 : 157). These words were uttered by the Holy Prophet, when he received the news that the Chosroes had torn his letter to pieces and ordered his arrest; and the words contain a clear prophecy that the power of both the Chosroes and the Caesar shall depart in their wars with the Muslims, so that there shall be neither a Persian empire under the Chosroes, nor a Roman

JIHAD-ITS MEANING AND SIGNIFICANCE—V

By

MAULANA MUHAMMAD ALI

The name applied to prisoners of war is 'ma malakat aimanukum', lit., what your right hands possess. What one's' right hand possesses means that which one has obtained by superior power, and prisoners of war given this name because it was by superior power in war that they were reduced to subjection. The name 'abd (slave) was also applied to them, because they had lost their freedom. Slavery may have been abolished by civilization in name but, in fact, it exists even to-day, for nations which are subjugated and ruled by other nations are as a matter of fact in a state of slavery. The treatment accorded to prisoners of war or slaves in Islam is unparalleled. No other nation or society can show a similar treatment even of its own members when they are placed in the relative position of a master and a servant. The slave or the prisoner was, no doubt, required to do a certain amount of work, but the condition in which it was ordained that he should be kept, freed him of all object feelings. The golden rule of treating the slave like a brother was laid down by the Holy Prophet in clear words : "Ma'rur says, I met Aba Tharr in Rabdha and he wore a dress and his slave wore a similar dress. I questioned him about it. He said, I abused a man (i.e. his slave) and found fault with him on account of his mother (addressing him as son of a Negress). The Holy Prophet said to me, O Aba Tharr ! thou findest fault with him on account of his mother, surely thou art man in whom is ignorance ; your slaves are your brethren, Allah has placed them under your hands ; so whoever has his brother under his hand, let him give him to eat whereof he himself eats, and let him give to wear what he himself wears, and do not impose on them which they are not able to do, and if you give such a work, then help them in the execution of it" (Bu. 2:22). The prisoners were distributed among the various Muslim families because no arrangements for their maintenance by the state existed at the time, but they were treated honourably. A prisoner of war states that he was kept in a family whose people gave him bread while they themselves had to live on dates. Prisoners of war were therefore not only set free but so long as they were kept prisoners, they were kept honourably.

It is a recognized fact that the food which a man uses, nay even his dress, effects not only his constitution but also the building of his character. Hence, in a complete code of life, it was necessary that people should be taught ways of clean eating, clean drinking, clean dressing and clean habits of all kinds, through recommendatory and often obligatory regulations.

---

tain course for spiritual development.

Prohibition of pork comes under dietary instructions. The more they follow those instructions the greater will be their spiritual progress.

The advance of human nature into its purest form does not end in the abstinence from eating pork. The eating of flesh of creatures which die a natural death or in the course of fighting, be it a cow, a goat or hen, is equally forbidden by Islam. Scientifically, the flesh or the dead animals may be harmful. The muslims also do not eat the flesh of animals of prey such as the lion, the tiger, the leopard, the snake, the cat, the dog, and the rat, etc. This prohibition is based on the fact that when the food is consumed, it does not only enter the intestines and later is excreted, it is also absorbed into the blood system and circulated to all parts of the human body, including the brain.

As we have said before, even the Westerners have come to know of the dangers and illnesses and diseases the flesh of the swine causes in man's body. In a recent issue of The "Washington Post" of Washington, America, Dr. Glen Shephard wrote the following :

'One in six people in the United States of America and Canada have germs in their muscles from eating pork, and that is the Trichinosis, which infects the human body with worms. Many people so infected show no symptoms. Most of those who do have the symptoms recover slowly ; some others die, and some are reduced to permanent invalids. All were careless pork eaters. No-one who eats pork is immune from this disease and there is no cure. Neither antibiotics nor drugs nor vaccines effect these tiny deadly worms. The worms remain alive in the human body for up to 40 years, curled up, in lemon Shaped indivisible tiny capsules between muscle fibres".

That which dies of itself and that which was torn by beasts was also forbidden by the law of Moses ; so was blood and the flesh of swine. The Jews held the swine in great detestation, and the mention of the animal in the Gospels shows that Jesus Christ held it in equal abhorrence which proves that he too regarded the animal as impure. Neither does he appear to have broken the Jewish law in this respect. However, the uncleanness of the swine consists in its pernicious effect upon the intellectual, the physical, and the moral systems of human body.

Jaundice of the pig is due to a number of causes - mechanical obstruction in the bile ducts, and various infections which prevent the gall bladder or liver from working properly. Obstruction in the bile-ducts is often due to worms.

When pigs are between 6 and 16 weeks old, they are most commonly affected with paratyphoid. They fail to grow, become scruffy, with wrinkled skins and large heads. There is generally diarrhoea, and when opened at post-mortem the bowel is lined with thick layer of caseous (cheese-like) material.

It is admitted that the pig is a constant victim to various ills and diseases more than any other animal. To quote the words of 'Black's Veterinary Dictionary" : "The pig, as seen by research workers, is the fastest growing of the animals prone to heart troubles, parasital ills and diseases of the arteries, greatly affected in body by mental stress."

The universal aversion of the Muslim world against the eating of pork is well-known. Right from the cradle, a Muslim child is conditioned by his society to dislike it. In the Muslim countries there is no need to convince them of the de-merits of the flesh of swine for human consumption. They are already convinced of it.

It is very significant to note that all religions before Islam had stretched the list of the do's and dont's to such lengths that life had become miserable for the adherents of those religions. Islam has redeemed humanity by assuring that "God desires ease for you, and He desires not hardship for you" (2 : 185) and by declaring "This day (all) good things are made lawful for you. And the food of those who have been given the Book is lawful for you and your food is lawful for them" (5 : 5).

What Muslims have been told in Islam, is that the eating of pork is not good for their health and, therefore, not conductive to their spiritual well-being". Incidentally, there is nothing to show that Muslims should hate the animal in the same way as, for example, the Jews do.

Apart from the above mentioned medical reasons, there is one very great reason why Muslims do not eat pork. By declaring themselves as Muslims they accept a certain discipline. No doubt it is a self-imposed discipline. But it does not mean that they are entitled to accept that part of the discipline which suits their whim and reject that part which does not.

Is is very much like a sick person who is prescribed a medicine by a doctor with certain dietary instructions. Islam has prescribed a cer-

as "Unclean" for human consumption. It says :

قل لا اجد فى ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحـا او لحم خنزير فانه رجس .. (الأنعام ١٤٥)

It means : "Say : I find not in that which is revealed to me, ought forbidden for an eater to eat thereof, except that it be what dies of itself, or blood poured forth, or flesh of swine, for that surely is unclean" (6 : 146).

According to the Quran, there are animals suitable for eating. Likewise, there are others which are neither suitable nor beneficial for man's eating.

The pig has been emphatically stated as unfit. This uncleanliness spoken of is not surprisingly consistent with a modern scientific study of the pig. We are astonished even further when we note that the Quran proclaimed this truth, not today, or yesterday, but fourteen centuries ago.

The "Black's Veterinary Dictionary" has this to say about pigs : "Half the bacon pigs examined at an abattoir were found to have external parasites - mange, ites, lice, or forage mites; and a recent survey made at the Department of Veterinary Medicine University of Edinburgh suggests that 29% of pedigree pigs and piggeries in Britain are infested with Sarcoptic mange mites."

To trace the life of a pig is like treading on a path of disease. For right from the days pigs are born, the poor animals are attacked by such ugly diseases as Septic Arthritis, Necrotic Enteritis, Canker (the blockage of ears with bacteria), Haematoma, which is the interior bleeding of the ears. There is Agelactia, Anaemia, Anthrax, Anjesky's, Brine Poisoning, Clostridial Enteritis Encephalonyelites of pigs, and lens of other dangerous diseases.

A description of a few of the diseases which this filthy and unfortunate animal suffers from will give us a glimpse into their true nature.

Septic Arthritis "Is not a new condition. It is only recently that it has been associated with Streptococcus. The source of infection of this disease is not known for certain."

Head shaking another disease, is a "condition which occurs when the mange or lice parasites have got deep into the pig's ear, thus causing irritation."

Gastric Enteritis occurs when "the surface of the pig's stomach and bowels become congested with blood. Germs are then able to penetrate into the blood system and cause what is known as Septicaemia. Some germs of this disease will respond to treatment and the animal will recover. At other times no cure is possible."

a lower type of people. The European reformers have already realised that alcohols are their worst enemy and they are continually warning their people against their danger. A large number of people die of alcohol in these countries and even their womenfolk have become addicted.

In a lecture delivered at the Albert Hall in London, in 1945, Miss. Muriel G. Heath, a famous British social worker, said : "The pest of modern civilisation is alcohol. He that abondons himself to drink is like a car broken from its fastening which no longer obeys; it can neither control nor be controlled. He is like a house without a beam; the main support is being missing. In the last fifty years, the relationship between men and women has undergone a change, and in most countries, there is a partnership between the sexes in work, in sport, and war. Many of the old retraints have been removed thereby, and men and women may be seen drinking together in public. While millions of people go to bed hungry every night, the destruction of food goes on to make wines, beer and spirits. The idea fostered by the manufacturers of alcohols that alcoholic drinks are nourishing is totally false. Alcohol is a cell of poison for human beings; it first destroys every organ of the body which becomes less healthy throughout the taking of even a small dose; larger repeated doses may couse complete breakdown, severe, even fatal illness". Continuing, Miss Heath said, "Alcohol is responsible for 23 to 30% of male admission to mental hospitals. Dr. Herlich, of Lausanne, found that out of 86 epilepsy cases, 50 had alcoholic heredity; 60% of all motor accidents admitted into larger hospitals during the evening and over the weekend involved drivers who had taken alcohols. Cells of the brain which are effected by alcohol shrink 20% of their normal size." No statement is more convincing.

No worries are overcome by drinking alcohols. On the contrary, they increase them and deprive man of every power to make sound thinking. Alcohols effect the mind and in most cases give man or woman false courage and make anyone of them wrong approaches. Islam wanted tc inspire true courage into its followers and disliked the reckless daring which man shows under the influence of intoxicating liquors and which has so often led to acts of crimes.

Eating Of Pork :

The flesh of the pig is one of the specifically mentioned forbidden foods in the Quran, be it under the brand of bacon, pork or ham. It is declared by the Quran

It is further related in a Hadith, reported by Imam Muslim that :

كل مسكر خمر وكل خمر حرام

(every intoxicant is Khamr and every Khamr is prohibited). The second point is that when a beverage or any other thing becomes intoxicant, even a small quantity of it, that could not intoxicate, is not allowed. It is reported in a Hadith quoted by Abu Dawud in his 'Sunan' :

ما اسكر كثيره حرم قليله

(That of which a large quantity intoxicates, even a small quantity of it is prohibited).

The change which the prohibition of intoxicants brought about in Arabia, will always remain a riddle to the social reformer. The constant fighting of Arab tribes, one against the other, had made the habit of drink second nature to the Arab, and wine was one of the very few objects which could furnish a topic to the mind of an Arab poet. Intoxicating liquors were the chief feature of their feasts, and the habit of drink was not looked upon as an evil, nor had there ever been a temperance movement among them, the Jews and the Christians being themselves addicted to this evil. Human experience with regard to the habit of drink is that of all evils it is the most difficult to be uprooted. Yet but one word of the Holy Quran was suffiecient to blot out all traces of it from among a whole nation, and afterwards from the whole of the country as it came over to Islam. History cannot present another instance of a wonderful transformation of this magnitude brought about so easily, yet so thoroughly. It is to be added here that the remark that the moderate use of wine is allowed and wholesome and that only drinking to excess is prohibited, according to some people, is absolutely without foundation. The Prophet's Companions never made use of a drop of wine after the prohibition was made known, and the Prophet is reported to have said : "A small quantity of anything of which large quantity is intoxicating is prohibited."

Some people may pretend that intoxicants warm up the body in cold climates. The intoxicants may warm the body but for a short period after which the body returns to its normal temperature. The temperature goes up as a result of the alcohol contained in the liquor and no-one can run temperature unless he is ill.

There is no doubt that alcohols are the main cause of all sins and crimes. The civilised world had come to realise this fact, and a glimpse on the advanced countries will show how the spirits have degenerated the society there and how their nations have sunk from former excellence and reverted to

'Khamr' was forbidden when there was not in Madina any 'Khamr' of grapes. The beverage of its inhabitants being prepared only from dates, and it is sometimes prepared from grains. The wider sense of 'Khamr', as prepared from other things besides grapes, is clear from the 'Hadith' quoted by Al-Bukhari (4 : 74) from Umar (May God be gracious to him) which says : "........................ Khamr, when prohibited, was made of five things; grapes, dates, wheat, barley and honey".

The prohibition of intoxicants came in four stages : In the first stage it was spoken of in deprociatory terms towards the close of the Makka Period, when the Quran stated :

ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ... (النحل ٦٧)

It means : "And from the fruits of the date palms and the grapes you obtain intoxication and goodly provision" (16 : 67). Intoxication is here spoken of in contrast with goodly provision.

The second stage in the prohobition, contained in the first long chapter revealed at Madina :

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما . (البقرة ٢١٩)

It means : "They ask you about intoxicating liquors and games of chance. Say, in both of them is great sin and some advantages for people, and their sin is greater than their advantages" (2 : 219). It was more of a recommentatory nature as it only says that the advantages of the use of intoxicating liquors preponderate over their advantages.

The third stage was that in which the Muslims were prohibited from going to prayer while drunk. On this point the Quran says :

ياايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ... (النساء ٤٢)

It means : "O you who believe ! Do not approach the prayer when you are intoxicated until you know what you say ......" (4 : 43).

In the fourth and the final stage intoxicating liquors were definitely and totally forbidden, by the proclamation quoted in the first paragraph of this article. (5 : 90). It is reported by 'Bukhari' that the people who heard the proclamation emptied their stores of liquors immediately, so that liquors flowed in the streets of Madina.

Hence, there are two important points to be cleared in this connection : The first point is that Khamr is prohibited on account of its intoxication, and other intoxicating things are therefore also forbidden. It is stated in a 'Hadith', reported by Bukhari :

كل مسكر حرام :

(every intoxicant is prohibited).

MAJALLAT'UL AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

SAFAR 1395 | ENGLISH SECTION | MARCH 1975

ISLAM PROHIBITS INTOXICANTS AND EATING OF PORK

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

Proclaiming the definite and final prohibition of intoxicants and alcoholic drinks the Holy Quran says :

يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون (المائدة ٩٠ ـ ٩١)

It means : "O, you who believe ! Intoxicants and gambling (games of chance), and sacrificing to stones set up and dividing by arrows are only an uncleanness, the devil's work; so shun it that you may succeed. The devil wants only to create enmity and hatred among you by means of intoxicants and gambling (games of chance), and hinder you from the rememberance of Allah and from prayer. Will you not then abstain ?" (5 : 90-91).

The forbidden intoxicants and alcoholic drinks spoken of here as 'khamr'. According to Arabic lexicology the root word of 'Khamara' means 'veiled' or covered or concealed a thing. From the same root is 'Khimar' which means a woman's head-covering. The intoxicating liquor is called 'Khamr' because it veils the intellect. It has a common application to any fermented juice of anything, and by further analogy it applied to any intoxicating liquor or drug that clouds or obscures the intellect.

The intoxicating liquor prohibited in the Holy Quran allows no distinction between the wine or the fermented juice of the grapes, and the intoxicating expressed juice of anything, or any intoxicating thing that obscures the intellect. Because



مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث ـ السنة السابعة والأربعون ـ ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ ـ إبريل سنة ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك أيها النبي

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ ـ بهذه التحية الزكية يتجه المسلمون بمشاعرهم الى محمد صلى الله عليه وسلم فى كل صلاة يؤدونها لله ، ويخاطبونه حاضرا غير غائب ، وحيا فى قلوبهم وفيما بعد هذه الحياة من حياة أخرى كبرى أعظم وأكرم ، لأن الله أمرهم بذلك ، وأخبرهم أنه وملائكته يصلون عليه ، فقال تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، وبذلك يجتمع على الثناء عليه والاشادة به ، وتعظيم قدره ، كل عاقل مؤمن في السموات والأرض من الملائكة والانس والجن ، وفوق هؤلاء وهؤلاء ثناء من خلقه • وخلقهم جميعا • وقال له ، وقوله الحق : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » •

٢ ـ وقد اقترن مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأحداث وأحاديث كثيرة ، فصلتها كتب السيرة ، ثم

فسرتها وقائع التاريخ فيما بعد بما يؤكد يمن مولده على العرب وعلى الناس جميعا ، ويؤيد أنه كان كما قال لمن سأله عن مبدأ أمره : «دعوة أبى ابراهيم • وبشرى عيسى بى • ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » أما دعوة ابراهيم فنطالعها فى قول الله يحكى دعاءه ودعاء ابنه اسماعيل عند بناء البيت : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ، وأما بشرى عيسى به فنطالعها فى قوله تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ، وأما النور الذى رأته أمه قبل مولده يتألق ويشرق فوق ربوع الشام ، فهو الاسلام الذى بعث به عليه الصلاة والسلام • كما يفهم من قوله تعالى :« أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » وقوله جل شأنه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقوله سبحانه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » •

٣ ـ وكانت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخصب حياة فى تاريخ الوجود والأحياء فاتسعت لمختلف ألوان النشاط المحمود والعمل الصالح بحيث يجد فيه الناس على اختلاف مراتبهم ومناصبهم وأعمالهم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ، ومن ثم وضعه الله منهم حيث يقول فيه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، وحيث يقول جل شأنه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » بل انه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان فى كل ما يصدر عنه من أقوال وأعمال ، وفى كل ما كان يتصف به من سجايا وأخلاق التطبيق الحى الدقيق لما فى القرآن من توجيه وارشاد ، حتى ليمكن أن يقال ان حياته نفسها معجزة أخرى كبرى تضاف الى أوجه الاعجاز فى القرآن ، ولا يبعد ذلك

عن بعض ما يفهم من قول الله فيه : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

٤ ـ فاذا حرص المسلمون على الاحتفال بذكرى مولده فى شهر ربيع الأول من كل عام فذلك تقليد حميد يمليه عليهم ايمانهم به ، وحبهم له ، وشعورهم بشرف الانتماء اليه والى الدين الذى بعثه الله به ، واذا شاركهم فى الاحتفال به غيرهم ممن لا يدينون بدينهم فذلك انصاف تمليه الطبائع السوية ، والفطر النقية ، والفضائل الانسانية ، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ـ كما يقول العقاد رحمه الله : وحسبنا من كتاب « عبقرية محمد » أن يقيم البرهان على أن محمدا عظيم فى كل ميزان ، عظيم فى ميزان الدين ، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ، ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية الا أن يرين العنت على الطبائع فتنحرف عن السواء وهى خاسرة بانحرافها ولا خسارة على السواء .

٥ ـ السلام عليك أيها النبى فى ذكرى مولدك ، وفى كل يوم وساعة من الأيام والساعات التى مرت بك وتمر بعدك حتى نحظى بلقائك فى دار السلام .

وصلى الله عليك وعلى أنبيائه ورسله من قبلك ، وعلى آلك وأصحابك وكل من اتبعك . وانتفع بهديك ـ يا رسول الله وخاتم النبيين؟

عبد الرحيم فودة

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن اضطهاد علماء المسلمين فى الصومال

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ٦ من فبراير سنة ١٩٧٥ م .

ونظر أحداث الصومال الأخيرة وما يسام به علماء المسلمين من تعذيب وتشريد وازهاق لأرواحهم ، لدفاعهم عن الحق والدين ولمعارضتهم الدعوة الى اهدار أحكام الشريعة الاسلامية .

ونسخ القرآن ومساواة المرأة بالرجل فى الميراث وقد ترتب على معارضتهم هذه أن نفذت الحكومة القائمة هناك حكم الاعدام فى عدد كبير منهم .

وقد أصدر المجمع البيان التالى :

بيـــــان

ان مجمـــع البحوث الاســـلامية بالأزهـر الشريف ليهولنه أن يوجد فيمن ينتسب الى الاسلام من يطعن في كتابه فيزعم فى خطبة علنية أن نصفه منسوخ أومتناقض وقد بطل العمل به وانه لم يعرف للمرأة حقـوقها فحال دون مســـاواتها بالرجل فيمـا يجب للانسان من حقوق ، ولم يسو بينهـا وبين الرجل فى الميراث •

وزعم أن ما نزل به القرآن انمـا رؤى فيه بيئة نزوله بما كان فيها من مشاكل •

تلك هى الصيحة الآثمـــة الباطلة التى رمى بها الأسلام وكتـابه ، وهو الكتاب الحق الذى يقـول الله فيه : « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق•• آية ١٧٦ من ســورة البقرة ، وهـو الكتاب الذى أحـكم بيـانه وفصلت أحكامه » « كتب أحـكمت آياته ثم فصلت ••• آية ١ هود ، وانه الحق الذى لا مرية فى صدقه ولا اعتراض عليه » « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » •• آية ٢ البقـــرة ، وان اللجـــاجة صفة الجـــاحدين له مع علمهم بصدقه » « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» •• أية ٣٣ الأنعام •

ولقد نفى الله الايمـــان عمن لم يؤمن به ويحتـكم لمـا جاء فيه ولقـد أقسم رب العزة على ذلك اذ يقـول . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمـا شـــجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفســهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليما » ٦٥ ـ النساء ، فمـا يدعيـه الكافرون به والجاحدون له من نسخ وتغيير وتبديل لكلمات الله وتكذيب لقول الله تعالى : « لا تبديل لكلمات الله » •

ان هـذه الدعوة كفر بكتـاب الله وكفـــر ببعض ما أشـارت اليه آياته الكريمة والله يقول : « أفغير دين الله يبغــون » •• الآية ٨٣ من ســورة آل عمران ، ويقـول : « ومن يبتـغ غير الاسلام دينا فلن يقبـل منه وهو فى الآخـرة من الخاسرين » آية ٨٥ من سورة آل عمران •

ان الاسلام بما جـاء به كتابه من آيات بينات ليكرم الانسان من حيـث هو انســـان دون تفـرقة بين رجاله ونسائه • ذلك مصداق قوله تعـالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملنـاهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبـــات

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » آية ٧٠ من سورة الاسراء ، ويسوى بين الرجال والنساء فيقول : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » آية ٩٧ من سورة النحل ٠

كما سوى بينهم فى جميع الحقوق تسوية راعى فيها طبيعة كل من النوعين ، وما لكل منهما من قدرة وكفاية ، وما تتطلبه الحياة من مهام وزعت بينهما على حسب خلقتهما وطبائعهما ٠

وتلك هى المساواة الحقة المثمرة لما يطلب منها من ثمرات جنية وعيشة راضية ، وحياة سليمة مرضية ، وليست التسوية مع اختلاف الطبائع والقدرات الا ظلما وجورا يتمثل فى اعطاء الانسان مالا يحسن ومطالبته بما لا يستطيع والا انحرافا ونكوصا عن سبل الهدى ووسائل العمل المثمر والاحسان ، وتفرقة ينأى عنها الوزن السليم والنظر الراجح ٠ لذلك لم يسو بينهما فى الميراث والنفقة مما يتصل بالتفرقة بين طبيعة كل منهما ومهمته فى الحياة ٠

وان علماء الاسلام فى الصومال حين يعارضون تلك الدعوة الأثيمة ويناهضون من يدعو اليها ويقتلون فى سبيلها انما يقاتلون أعداء الله ويدافعون عن دين الله ويستشهدون فى الدعوة الى الله ٠

وان مشيخة الأزهر لتهيب بالعالم الاسلامى بل بكل مسلم ان ينصب نفسه لاتقاء هذه الآثام ومدافعة هذه الشرور وانقاذ أرواح علماء الصومال الذين يسامون الخسف فى الدفاع عن دينهم وأرواحهم ٠٠ وانا لنشهد ونشهد الله أن موقفهم فى ذلك لهو الجهاد المقدس ، وان نصرتهم لواجبة على المسلمين أفرادا وجماعات شعوبا وحكومات ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ٠

الامام الأكبر
شيخ الأزهر ورئيس المجمع
(دكتور عبد الحليم محمود)

دراسات قرآنية :

الخلق العفيف والمسلك النظيف فى الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسـوة حسـنة » .

سورة الأحزاب : ٢١

البيـــان :

ان للاسلام فضلا على البشرية فيما غرس فيها من مكارم الأخلاق ومعالى السجايا .

ومن أكرمها وأعمها نفعا صفة التسامح والتعايش السلمى مع جميع الخلائق ، مؤمنهم وكافرهم ، ولقد اعترف المنصفون من فلاسفة الأديان المخالفة ، اعترفوا بذلك فيما ألفوه من كتب .

ومن ذلك ما قاله القس ميشـون الفرنسى : ان المسـيحين تلقـوا عن المسلمين روح التسامح ، وفضـائل حسن المعـاملة ، وهى أقدس قواعد الرحمـة والاحسـان عند جميـع الشعوب :

أجـل : لقـد تعـلم المسلمون عن دينهم صفة التسامح ، وطبقوها جيدا فى معـاملاتهم مع من يخالفونهـم فى دينهـم ، عند حكمهـم لهم ، فقـد تركوهم أحرارا فى معابدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأموالهم وأولادهم ، ولم يفرضـوا عليهـم من الضرائب ـ اذا كانوا تحت حكمهـم ـ أكثر ممـا يفرضـونه على المسـلمين ، ولو أنك قارنت بين الزكاة المفروضـة عـلى المسـلمين ، وبين الجزية المفروضـة عليهم دفاعا عنهم ،لوجدت أن الجزية أقل كثـيرا من الزكاة التى يدفعهـا المسلمون ، والله سـبحانه قد بسـط أكناف العفو ولم يخصـه بالمسـلمين يقول الله تعالى : « والعافين عن الناس والله يحب المحسـنين » فالله جـل جلاله أطلق فى هذا الدستور ـ العفو والاحسان ـ فجعلهما شاملين لجميع

الناس ، بدون فرق بين الأجنـاس ، كمـا أطلق العفو والصفح فى قوله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألاتحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

التسامح مع المشركين

يقول الله تعالى فى اسداء المعروف للوالدين المشركين : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

ولما حدثت المجاعة لقريش التى أخرجت الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه من مكة ، وآذتهم وصادرت حريتهم وهم بمكة مقيمون، وصادرت أموالهم وهم بالمدينة مهاجرون ، لما حدثت المجاعة لقريش بعد الهجرة ، بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أبى سفيان بخمسمائة دينار ، ليفرقها على فقراء المشركين الجائعين ، كى يشتروا بها طعاما يسد رمقهم ، ولما فتح مكة عفا عن أهلها ، وقال كلمته المشهورة : أذهبوا فأنتم الطلقاء .

التسامح مع اهل الكتاب

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من آذى ذميا فقد آذانى » ويقول : « لهم مالنا وعليهم ما علينا » ويقول الله تعالى فى الحكم بينهم : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله » ويقول فى حريتهم الدينية : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .

وجاء أحد بنى سالم بن عوف ـ واسمه الحسين ـ وقال : يارسول الله ان لى ولدين نصرانيين يأبيان الدخول فى دين الله ، وانى لمجبرهما على ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ومن الحقائق التاريخية أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أعطى وفد نجران المسيحى حين قدم المدينة . نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية ، وهذا أمر لايحدث مثله فى أى دين آخر .

تطبيق الأمراء للتسامح والاحسان

اقرأوا وصية أبى بكر ـ وهو يزود جيش أسامة بن زيد بالنصائح ، حين بعث به ليؤدب قبائل قضاعة الضاربين بالشام مما يلى مؤتة ، لمظاهرتهم الروم على جيش المسلمين المحارب للروم فى غزوة مؤتة ،

بقيادة أبيه زيد بن حارثة ـ وقد قتل زيد فى هذه الغزوة •

قال أبو بكر رضوان الله عليه فى وصيته : لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولاتقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم فحصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولهامثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا : ثم قال : اندفعوا على اسم الله •

فانظر يارعاك الله الى أبى بكر ، وهو يوصى بما أوصى به الاسلام ، من عدم الخيانة والغدر ، والابقاء على الشيوخ والأطفال من أعدائهم ، وعدم الافساد فى أرض العدو بالاحراق وقطع الأشجار وذبح الأنعام ، ومن ترك العابدين فى صوامعهم بلا ايذاء ولا ازعاج ، وعدم التعرض الا لمن يناجزونهم من أهل الشر والبغى والعدوان •

وقارن بين هذا وما يصنعه المستعمرون من أهل الكتاب ، من القاء القنابل والصواريخ المدمرة ، والقذائف المحرقة ، وغيرها من أسباب الدمار ، بين الوادعين الآمنين ، فى قديم الزمان وحديثه •

وانظر الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ اذ ينصف مسيحيا من مصر ، من ابن أمير البلاد ، روى أنس قال : بينما أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قاعدا ، اذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال ياأمير المؤمنين : هذا مقام العائذ بك ، فقال عمر : لقد عذت بمجيب فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص ـ وهو يومئذ أمير على مصر ـ فجعل يقمعنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرا أباه ، فخشى أن آتيك ، فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج ـ وهو قاعد مع الناس وعمرو ابن العاص وابنه الى جانبه ـ قام المصرى ، فرمى اليه عمر رضى الله

عنه بالدرة (١) قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول له : اضرب ابن الأكرمين ، قال : ياأمير المؤمنين : قد استوفيت واشتفيت ، قال : ضعها فى صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين: ضربت الذى ضربنى ، قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد ، حتى تكون أنت الذى تنزع ، ثم قال : ياعمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : انى لم أشعر بهذا » .

فهل ترى حاكما فى أمة غير مسلمة يطبق العدالة والتسامح والاحسان ، مع من يخالفه فى الدين ، بمثل هذا الأسلوب الذى عالج به عمر تلك المشكلة الصغيرة التى لا يلقى باله لمثلها حاكم اقليم صغير ، لقد عالجها أمير المؤمنين بنفسه ، وهو أمير المسلمين جميعا ، وبطريقة عديمة النظير ، ولا غرابة فهو ربيب المدرسة المحمدية ، رضيع لبان القرآن والسنة، انه عمر الفاروق ، والصورة الوضاءة للحاكم المسلم .

أنصف الناس من نفسك

على المسلم أن ينصف الناس من نفسه ، حاكما كان أو محكوما ، فكما تحب من غيرك أن يكون معك منصفا ، فأحبب من نفسك أن تكون منصفا مع الخلائق ، ففى الحديث الشريف: « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الانفاق من الاقتار، والانصاف من نفسه ، وبذل السلام » .

وذكر صاحب العقد الفريد للملك السعيد أن أحمد بن طولون كان يأخذ نفسه بالانصاف مع شدة جبروته فى تنفيذ ما يراه حقا ، وكان يجلس للمظالم ويحضر مجلسه القاضى بكار بن قتيبة ، والربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعى ، وغيرهما من الفقهاء وأهل العلم ، وكان يمكن للمظلوم من أن يتحدث بحريته عن ظلامته ، ويجلسه بين يديه مقربا له .

قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقية : اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدى سلامة ـ يقصد أن هذه الضيعة صودرت ـ فخاطبت أحمد بن طولون فى شأنها ،

---

(١) الدرة عصا صغيرة .

فاحتج على بحجج كثيرة ، واجبته بما لزمه الرجوع اليه ، ثم ناظرنى مناظرة الخصوم بغيرانتهار وأنا أجيبه، حتى اذا لم تبق له حجة قال : ان الحجة قد ظهرت لك ولكن أمهلنى ثلاثة أيام لعلى أجد حجة لى والا سلمتك ضيعتك فقمت منصرفا فلما خرجت قال ابن طولون للحاضرين : ما أقبح ما أشهدتكم على نفسى ، أقول لرجل من رعيتى • ظهرت حجتك فأمهلنى ثلاثة أيام حتى أجد لى حجة ، من يمنعنى اذا وجبت لى حجة أن أحضره وألزمه اياها ؟ هذا والله الغصب ، وأنتم رسلى اليه بأنى قد ألزمت حجته ، وأزلت الاعتراض عن ضيعته ، وقد قال رسول الله عليه وسلم (ان الله لا يقدس أمة لا يؤخذ الحق لضعيفها من قويها) فعلم الطحاوى من الحاضرين ذلك ، وأخذ كتابا من الديوان ، يزيل الاعتراض عن ضيعته، ثم ذهب وتسلمها وكانت هذه من مناقبه •

تباعد عن مواطن التهم

على المسلم أن يتقى مواطن التهم ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه ، فمر به رجل ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يافلان • هذه زوجتى صفية ، فقال : يارسول الله ، من كنت أظن فيه ، فانى لم أكن أظن فيك ، فقال : ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » وكانت صفية تزوره بالمسجد وهو معتكف فى العشر الأخير من رمضان •

وقال عمر : من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن ، ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة (١) ، فقال : ياأمير المؤمنين انها امرأتى ، فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس •

تودد الى الناس واصطنع المعروف معهم

ومن الأخلاق الكريمة • أن تتودد الى الناس ، وتصنع المعروف معهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « رأس العقل بعد الدين ، التودد الى الناس• واصطناع المعروف الى كل بروفاجر » وقال « ان الله يحب السهل الطلق الوجه » •

---

(١) اى أراد أن يضربه بها .

ومن ذلك اكرام كريم القوم . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته،فدخل عليه أصحابه حتى دحس وامتلأ ، فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، ولم يجد مكانا فقعد على الباب ، فلف النبى صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف فألقاه اليه ، وقال له اجلس على هذا ، فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفه ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى ، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال : (اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) .

ومن ذلك اكرام من له حق قديم عليك : روى أن ظئر (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ، جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال : مرحبا بأمى ، ثم أجلسها على الرداء ، ثم قال لها : اشفعى تشفعى وسلى تعطى ، فقالت قومى (٢) فقال لها : أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك ، فقام الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يا رسول الله (٣) : ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بخيبر (٤) ، فبيع ذلك من عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ بمائة ألف درهم (٥) .

وروى أن خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أغارت على هوازن، فأخذوا الشيماء بنت حليمة ، وكانت أخته من الرضاع ، فقالت أنا أخت صاحبكم ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا محمد أنا أختك ، فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه ، وقال لها : ان أحببت فأقيمى عندى مكرمة محببة ، وان أحببت أن ترجعى الى قومك وصلتك ، قالت : بل أرجع الى قومى ، فأسلمت وأعطاها النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء (٦) .

---

(١) أى مرضعة ، وهى حليمة السعدية .
(٢) هم بنو سعد بن هوازن ، وكانت خيل النبى صلى الله عليه وسلم قد اغارت عليهم .
(٣) أى وحقنا هبة لها أيضا .
(٤) أى اسهمه فى مغانم خيبر ، وكانت ارضا .
(٥) بيعت له فى أيام خلافته .
(٦) الشاء بالهمز الغنم .

ومن ذلك اصطناع المعروف الى أهل الشر والفجور ، بالبشاشة ، والقول اللين ، اتقاء لشرهم ، وتلييناً لطباعهم ، قال تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وقال : « ويدرأون بالحسنة السيئة » أى يدفعون بالسلام والمداراة الشر والأذى ـ كما فسرها ابن عباس وفى الأثر : (خالطوا الناس بأعمالكم ، وزايلوهم بالقلوب) أى خالطوهم باحسان العمل معهم واتركوهم بقلوبكم نحوهم ، فان كانوا خيرين ارتضيتم خيرهم ، وان كانوا شريرين دعوتم الله بهدايتهم وقلوبكم مبغضة لهم من أجل شرهم لا لذاتهم .

وقال محمد بن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا ، حتى يجعل الله له منه فرجا : وقال عبد الله بن عمران : البر شيء هين ، بشاشة وقول لين .

فاصطناع المعروف الى الشرير من الحكمة : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » ، ولذا قال أبو الدرداء : انا لنبش فى وجوه القوم وان قلوبنا تلعنهم ـ أى تبغضهم لشرهم ـ وفى هؤلاء يقول النبى صلى الله عليه وسلم (ان شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه) .

ومن اصطناع المعروف مخالطة المساكين ، حتى لا يشعروا بانحطاطهم عن المجتمع ، كما أنه يحسن اليهم ـ ويعطيهم حقهم عنده ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين) .

ومنه أيضا التلطف بالصغار ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفره ، يتلقاه الصبيان ، فيقف لهم ، ويأمر بهم فيرفعون اليه ، فيجعل منهم بين يديه ومن خلفه ، ويأمر بأصحابه أن يفعلوا مثل ذلك .

ومن الأخلاق الكريمة الائتمار بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى الله عنه ، والتمسك بسنة النبى صلى الله عليه وسلم .

الوفاء بالوعد

ومن الأخلاق الكريمة الوفاء بالوعد ، قال صلى الله عليه وسلم :

« العدة عطية » وقال : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » .

المسلم من سلم المسلمون منه

ومن الأخلاق الكريمة أن تكف أذاك عن أخيك ، قال صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وينبغى أن تزيل من طريقه ما يؤذيه من ممتلكاتك أو غيرها ، ففى الحديث : « رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة - أى بسبب شجرة - قطعها عن الطريق كانت تؤذى المسلمين » .

وقد كان السلف الصالح يصلون فى هذا الى حد بعيد ، فقد كان فى بيت بعضهم فيران ، فأشار بعض أصحابه أن يقتنى هرة ، فقال : أخشى أن تهرب الفيران من الهرة الى بيوت الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما كرهت لنفسى .

ومن ايذاء أخيك أن تهجره فوق ثلاثة أيام ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

واذا التقى المسلمون بآلات الحرب فخير الفريقين من يبدأ بالمصالحة وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، حفاظا على وحدة المسلمين ، ومنعا لتمزقهم وضعفهم ، وطمع الأعداء فيهم ، فما أصاب الأندلس من الكارثة الكبرى ، الا بسبب تمزق المسلمين فيها شيعا وأحزابا ، ومحاربة دويلاته - بعضهم لبعض - واستعانة بعضهم على بعض بأعداء الاسلام ، حتى حدثت تلك المحنة الكبرى التى يدمى لها قلب كل مسلم ، وكذلك ما أصاب الأمم الاسلامية من غزو الدول الاستعمارية واحتلالها ، الا بسبب هذا التمزق وعدم تعاونهم وتماسكهم .

نبذة من أخلاق الرسول

وانى أعطر هذا المقال ، بزهرات من روضة أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، أختتم بها حديثى هذا مع القراء الكرام .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعف الناس ، لم تمس يده يد امرأة ، الا من ملك عصمتها أو رقها ،

وكان يبايعهن بالكلام بدون مس ، وكان أسمى الناس ، ولهذا كان يبيت وليس عنده دينار ولا درهم ، وان فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل ، لم يأو الى منزله حتى يعطيه الى من يحتاج اليه ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، يأكل مما حضر ، ان وجد تمرا دون خبز أكله ، أو وجد خبز بر أو شعير أكله ، وان وجد حلوا أو عسلا أكله ، ولا يأكل متكئا ولا على خوان ، ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى ، ايثارا لغيره على نفسه وزهدا ، ولو أراد لفعل ، لأن الله فتح عليه من الأموال آخر عمره مالا يحصى ، وأخرجها كلها فى سبيل الله ، يعود المرضى ويشهد الجنائز ، ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس ، أشد الناس تواضعا وأسكنهم فى غير كبر ، حج على رحل عليه قطيفة رثة لاتساوى أربعة دراهم ، وقال : اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة ، وفى فتح مكة دخل ساجدا على ناقة ، ولم يدخل مزهوا بانتصاره على أعدائه ، ولما بايعه رجل وكانت فرائصه ترتعد ، قال له : هون عليك ، فما أنا الا رجل من قريش ، أمه كانت تأكل القديد بمكة .

أيها المسلم الكريم : تلك طائفة من اخلاق الرسول الشذية ، فاقتد به فيما استطعت منها : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفيه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر » . متفق عليه

راوى الحديث

سبق التعريف به فى عدد ربيع الآخر من العام الماضى .

اللغة :

(بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش) (بين) ظرف زمان متعلق ب (اشتد) و (ما) زائدة و (رجل) وصفه محذوف ، تقريره : ممن قبلكم ، وحذف لعلمه من السياق ، لأنه فى مقام القصص ، والباء فى (بطريق) بمعنى فى ، والطريق يذكر فى لغة نجد ، وبه جاء القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا » (١) ويؤنث فى لغة الحجاز ، والجمع طرق بضمتين ، وجمع الطرق طرقات وقد جمع الطريق على لغة التذكير أطرقة، وتقدير الجملة : اشتد العطش فى وقت على رجل ممن قبلكم يمشى فى طريق .

---

(١) سورة طه آية رقم ٧٧ .

(كلب يلهث) يخرج لسانه من شدة العطش ، وهذا أمر خاص بالكلب دون غيره من الحيوان ، يقال : لهث بفتح الهاء كفتح ، وكسرها كعلم يلهث بفتحها لهثا ، والاسم اللهاث بضم اللام ، ورجل لهثان ، أى عطيش ، وامرأة لهثى أى عطشى .

(يأكل الثرى) أى التراب الندى ، فان لم يكن نديا فهو تراب ، ولا يقال حينئذ ثرى ، وأل فى (الثرى) للعهد العلمى ، والمراد الثرى الذى حول البئر ، لأن التراب لايكون نديا عادة فى مثل تلك الأماكن الموحشة الا حول البئر - ويدل على هذا رواية أخرى للحديث جاء فيها : (بينما كلب يطيف بركية قد كان يقتله العطش) ومعنى (يطيف) يدور ، و (الركية) البئر ، أى يلف ويدور حولها محاولا تسكين ظمئه .

(لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى) أى أن هذا بلغ بسبب العطش الى حالة أليمة قاسية مثل التى كنت أعانيها قبله ، (رقى) أى صعد ، يقال : رقى بكسر القاف على اللغة الفصيحة يرقى من باب تعب رقيا على وزن فعول ، ورقيا أيضا مثل فلس ، ويقال فى الماضى أيضا : رقى بفتح القاف ، وهى لغة طىء .

(فشكر الله له) الشكر من الله لعبده بمعنى القبول ، فمعنى (شكر الله له) قبل عمله ، وأثابه بالجنة عليه .

(وان لنا فى البهائم أجرا ؟) أى بسبب البهائم،والبهائم جمع بهيمة ، وهى كل ذات أربع من دواب البحر والبر ، وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة ، (فى كل كبد رطبة أجر) يقال : رطب الشىء بضم الطاء رطوبة ندى ، وهو خلاف اليابس الجاف ، والرطب أيضا الشىء الرخص أى اللين من الغصن وغيره ، وشىء رطب ورطيب اذا كان مبتلا ، أو رخصا لينا - ورطوبة الكبد كناية عن الحياة ، فان الميت يجف جسمه فالمراد بالجملة : فى سقى كل حيوان حى ثواب وجزاء .

البيـان :

المؤمن ينبغى أن تعمر الرحمة قلبه ، وأن تظهر آثار هذه الرحمة فى سلوكه وتصرفاته بالنسبة لخلق الله جميعا ، فان هذا وسيلة لأن يظفر برحمة الله ورضوانه ، ومن لايرحم

خلق الله فليس أهلا لأن تناله رحمة الله ، قال عليه الصلاة والسلام : (مـن لا يرحم لا يرحم) (١) وليست الرحمة مقصورة على الولد والزوجة والأهل والأحبة ، بل ليست مقصورة على الناس ، وانما هي واسعة الأفق ، فسيحة المجال ، شاملة لجميع الخلق ، فتعم البهائم والدواب .

والحديث الشريف يقص علينا واقعة ممن قبلنا كان يسير في طريق فاشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل اليها ، وشرب منها ، ثم خرج ففوجىء بكلب تبدو عليه أعراض الظمأ الشديد ، يخرج لسانه ، يأكل الثرى الذى حول البئر بسبب العطش ، محاولا أن يطفىء نار ظمئه ، ولكن لم يغن عنه ذلك شيئا ، فتذكر الرجل حالته التى شعر فيها بقسوة العطش ، وهياج ثورته ، وأنه لم يطق الصبر عليها ، فعرف أن الكلب يعانى مثل الحالة التى مر هو بها ، فعزم على أن يخلصه منها بسقيه مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة ، وأدرك أن الوسيلة الى تحقيق هذه الغاية انما تكون بنقل الماء من البئر الى الكلب ، ولما لم يتيسر له اناء يحمل فيه الماء أسرع نازلا الى البئر ومعه خفه ، فملأه ، ثم أمسكه بفمه ، ثم رقى فسقى الكلب ، ويكفى لتصور مشقة هذا الصنيع أن الرجل لم يكن معه غير خفه الذى يلبسه فى رجله ، وملؤه بالماء يحدث فيه شيئا من التلف ، ومع هذا نزعه من رجله ليملأه ماء للكلب ، ثم ان امساكه بفيه حين صعوده يدل على عسر المرتقى ، لأنه لم يحتج الى امساكه بفيه الا ليساعد نفسه بيديه عند الصعود ـ وتحمل الرجل هذا كله رحمة بكلب ضال لا صاحب له فلم يفعل ما فعل مجاملة لصاحب الكلب ، أو رئاء الناس ، لأنه فى موضع لا يطلع عليه فيه الا علام الغيوب .

لهذا استحق هذا الرجل أن يشكر الله له حسن صنيعه ، ويجزيه عليه أكرم الجزاء ، فيدخله الجنة ، وكفى بها جزاء للرحماء المحسنين .

بعد أن عرف الصحابة رضوان الله عليهم جزاء هذا الرجل خاطبوا

---

(١) رواه البخارى .

الرسـول صلى الله عليه وسلم مستفهمين عن استحقاق الأجر لهم بسبب البهائم ، فأجابهم بثبوت الأجر بارواء كل حيوان حي .

وينبغي أن يعلم ـ أخذا من نصوص الشريعة ـ أن هذا خاص بالحيوان الذي لا ضرر منه ، ولم نؤمر بقتله ـ فكل حيوان غير ضار يحصل بسقيه والاحسان اليه الأجر والثواب .

وأما الحيوان الضار كالثعبان والعقرب ، والكلب العقور فانه يقتل دفعا لأذاه ، ووقاية من شره ، واستجابة لتوجيه الشارع الحكيم .

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

(أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق (١) في الحل والحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور) ، وذكر الخمسة في هذا الحديث لا يدل على نفي القتل عما سواها فقد ثبتت زيادة الحية في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وفي حديث رواه مسلم أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي حديث رواه الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وثبتت أيضا زيادة الذئب في حديث مرسل أخرجه ابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور وأبو داود من طريق سعيد بن المسيب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يقتل المحرم الحية والذئب) .

ورجاله ثقات (٢) .

لذا كان الحكم المقرر عند محققي العلماء ثبوت القتل في كل حيوان يتأتى منه الافساد والايذاء والاضرار .

واليك ما ذكره الحافظ ابن حجر في هذا الموضوع عند شرحه للحديث

---

(١) أصل الفسق لغة : الخروج ، ومنه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، وسميت الفواسق بذلك لخروجها عن غيرها من الحيوان بالايذاء والافساد .

(٢) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٥ مع اختصار .

الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور)

قوله : (خمس) التقيد بالخمس وان كان مفهومه اختصاص المذكورات بذلك ، لكنه مفهوم عدد ، وليس بحجة عند الأكثر ، وعلى تقدير اعتباره فيحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم أولا ، ثم بين بعد ذلك أن غير الخمس يشترك معها في الحكم .

ثم ساق ابن حجر من الروايات ما يفيد الزيادة على الخمسة ، فقد جاء فى رواية زيادة الحية ، وفى رواية زيادة الأفعى ،وفى رواية زيادة السبع ، وفى رواية زيادة الذئب والنمر .

وقال عند ايضاح المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : (من الدواب) بتشديد الموحدة ، جمع دابة ، وهو مادب من الحيوان ، وقد أخرج بعضهم منها الطير ، لقوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه » الآية (١) وهذا الحديث يرد عليه ، فانه ذكر فى الدواب الخمس : الغراب والحدأة ، وذكر عند بيان العلة فى الحاق غير الخمسة بها فى الحكم ـ اختلاف العلماء فى هذا ، فبين أن بعضهم يقول : لكونها مؤذية ، فيقتل كل مؤذ ، وبعضهم يقول : لكونها مما لا يؤكل ، فيلحق بها غيرها مما لا يؤكل ، ثم نقل عن ابن دقيق العيد ـ فى ترجيح التعليل بالأذى ـ قوله : والتعدية بمعنى الأذى الى كل مؤذ قوى بالاضافة الى تصرف أهل القياس ، فانه ظاهر من جهة الايمان بالتعليل بالفسق ، وهو الخروج عن الحد ، وأما التعليل بحرمة الأكل ففيه ابطال لما دل عليه ايماء النص من التعليل بالفسق ، ا هـ (٢) .

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٣٨ .

(٢) فتح البارى باختصار وتصرف جـ ٤ من ص ٣٥ الى ص ٤٠ ط السلفية .

وبعد ما تقدم يظهر لنا رجحان التعليل بالايذاء ، فان النبي صلى الله عليه وسلم رتب حكم القتل على الفسق ، وهو الخروج عن الحد ، والفسق وصف مناسب لتشريع القتل ، فيكون علة له ، اذ العلة ـ كما يقول الأصوليون : هي الوصف المنضبط المشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم •

فكل حيوان حصل منه ايذاء يلحق بهذه الخمسة في استحقاق القتل ـ كما ذكرنا سابقا ـ

الحديث موصول

منشاوى عثمان عبود

من خير معايش المسلمين

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من خير معايش الناس لهم ، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانه أو رجل في غنيمة في شعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا في خير . أخرجه البخاري .

الهيعة : الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو . عنان الفرس : لجامه ومتنه ظهره . الشعاف جمع شعفة وشعفة كل شيء أعلاه . الغنيمة تصغير غنم والمراد الطائفة القليلة منه . واليقين هنا الموت .

تختلف الأحوال بالجماعات والأمم كما تختلف بالأفراد ، فرخاء وشدة وفرج وضيق وأمن وخوف ، وقلق واستقرار ، وتلك نتيجة لتصارع الناس وتنازعهم في الحياة بباعث الهوى والطمع والتنافس على الجاه والنفوذ والسيادة وهذا واقع الحياة وسنة الوجود في كل الأمكنة وفي جميع العصور ، وقد حكم الله بأن الناس لا يزالون مختلفين الا من رحم ولذلك خلقهم ، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

تتصارع الأمم وتتصارع الجماعات وينبغي أن يكون للمسلم موقفه من هذا التصارع سواء كان التصارع عاما بين أمته وأعداء أمته ، أم خاصا بين جماعته وأعداء جماعته من أمته ، فقد تختلف الأمة الواحدة جماعات لكل منها هدفه وغايته ورأيه واتجاهه ويدفع كلا منها الحرص والطمع الى سلوك ما يمكن من الطرق واتخاذ ما يتاح من الوسائل ليبلغ غايته وينال طلبته وفي غمار هذا تتأزم الأمور

وتلتبس وجـــوه الصـــواب وتلبس الخلافات أثواب الفتن ، والفتنــة بين جمـــاعات الأمة أبغض ما تكون الى الاسلام لأنها تقوض أركانها وتزلزل بنيـانها وتستنزف حولهـا وسـلطانها وتوهنهـا أمام أعدائهـا ، وقد شـدد الاسلام فى علاج الفتنة بين الجماعات ودعـا الى أخـذ المعتـــدى بأقصى العقوبات .

وقد رسم الاسلام للمسلم موقفـه من كلتا الفتنتين العامة والخاصة أعنى فتنـــة الأمـة عامة بأعدائهـــا الذين يتربصون بها ويهددونهـا فى دينهـا وكيانها ، وفى ديارها وأموالها والفتنة الخاصة أعنى الفتنة باختلاف جماعات الأمة وتصارعهم ، ففى حال فتنة الأمة بأعدائها أوجب الاسلام على المسلم أن يكون متأهبـا لملاقاة الأعداء وجنـديا مستعدا بما يتاح من السلاح لا يشغله عن هذا الواجب شـاغل ، وأن يكون قوى الايمان بالنصر والظفر بالأعداء واستلاب ما يمكن استلابه من معداتهم وأحوالهم ويكون نثقته بالنصر كأنه ضامن للحصول على مغانم يتمون بهـا ويعيش عليها ، وكلما لاحت فى الأفق بوادر الخطر ، استكمل اســتعداده واســتبق الى المعركة متعرضـا لأحد احتمالين كلاهما خير له وأبقى عند ربه ، فاما قتل فى سبيل الله هو شهادة قاطعـة بالجنـة وانخراطه فى زمرة الأبرار والصديقين والشهداء واما ظفر بالأعداء يدفع عن الاســـلام والوطن الاسلامى خطرهم وكيدهم ليبقى الدين خالصا لله ويبقى الوطن بما ميزه الله به من النعم خالصا للمسلمين ، وظاهر الحديث يجمل موقف المسلم من قتال أعداء الاسلام اجمالا يوحى بالتراخى فى قتالهم ومجاهدتهم فعبارة : من خير معاش الناس لهم رجل ... الخ وان كانت تدل على تمام استعداد المسـلم لجهاد الأعداء والحرص على مواجهتهم وملاقاتهم الا أنهـا لاتوحى بفـرضية الجهاد وتأكيده على المسلم كما تنص على ذلك الآيات والأحاديث المستفيضة . فمـوقف المسلم فى فتنـة الأمة عامة بقتال أعدائها يجب أن يكون موقفـا ايجابيا ذا قيمة مؤثرة ، هـو موقف الاسـهام والمشـــاركة وهـو موقف العزة التى ارتضـــاها الله للمؤمنين أما موقف المســـلم تجـــاه فتنـــة جماعات المسلمين بعضهم ببعض وهو الأمر الثانى الذى تناوله الحديث فانه يخالف الموقف الأول وتوحى عبارته لأولى النظر باسـتنكار هـذه الفتنـة واعتزالها واتقاء الخوض فى غمارها ،

لأن الاشتراك فيها يؤجج نارها ويزكى أوارها ويجلب على المسلمين الضر والشر والبوار والدمار ، وقد حرص الاسلام على وجوب الاسراع باطفاء نار الفتنة بين جماعات المسلمين تقديرا لمغبتها وتلافيا لأخطارها فأمر الله تعالى بالاصلاح بينها فقال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين ، انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »

فموقف المسلم من الفتنة الخاصة وجوب الاسهام فى المصالحة بينها والوقوف بجانب الحق والعدل كما رسم الاسلام وذلك ان كان ذا رأى وخطر يمكن أن يكون له أثر فى توجيه الأمور واستقرار الأحوال وهذا أحد وجهى موقف المسلم فيها كما قرره القرآن ، أما الوجه الآخر، فان على المسلم حين تتقد نار الفتنة بين جماعات المسلمين ويحس من نفسه العجز عن أن يكون ذا أثر فى علاجها، أن يفر منها بدينه ونفسه فيرتاد المواطن البعيدة عنها سواء فى أعلى جبل من الجبال أو فى بطن واد من الأودية يقوم بفرائض الله من صلاة وصيام وزكاة ويتخذ له بعض أغنام يقتات بألبانها ولحومها ويكتسى بأصوافها ويظل على ذلك حتى ينقضى أجله خشية أن تلفحه بشرورها وشررها ، ولقد انتهج هذا النهج بعض الصحابة والتابعين حين نزلت بالمسلمين الفتن الشهيرة عبر تاريخهم وشوهت بمآسيها وما جرى فيها أمجادهم ومناقبهم وكانت موضع الطعن والمؤاخذة من أعداء الاسلام ولم يقو الزمن على محو آثارها وطى صفحاتها ، ويرى بعض السلف من المسلمين وخاصة المتصوفين أن العزلة عن الناس هى الموقف الملائم للمسلم دائما لما فيها من السلامة من الآفات فى الدنيا والدين وفارس الميدان فى الحديث عن موضوع العزلة والاختلاط هو الامام الغزالى فى كتابه احياء الدين وهو فيه مشبع ممتع ؟

أبو الوفا المراغى

العلل القادحة في الحديث

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

لم يدع علماء هذا الفن الجليل ـ أعنى فن التحديث ـ فى منهجهم ثغرة ينفذ منها الطاعن أو نقطة ضعف يرتكز عليها أو يتمحك بها شانىء أو مخالف، فقد نهضوا بهذا العلم بكل وسيلة تصونه عن دواعى الخلل ، أو بواعث الزلل • وكان من أهم ما عنوا به العلل الخفية التى تنتاب الحديث من جهتيه أو احداهما : المتن أو السند •

وأول ما نبدأ به ما استدركوا على أنفسهم أن يتسرب اليهم خطأ لغوى فى اطلاق كلمة معلول على الحديث الذى به علة قادحة • فنبه الى ذلك الامام تقى الدين أبوعمرو الشهرزورى المعروف بابن الصلاح صاحب المقدمة المتوفى سنة ٦٤٥ فقال (النوع الثامن عشر معرفة الحديث المعلل) ويسميه أهل الحديث المعلول وذلك منهم ومن الفقهاء فى قولهم فى باب القياس : العلة والمعلول مرذول عند أهل العربية واللغة • ١ هـ •

وعندما نظم الحافظ زين الدين العراقى ألفيته فى الحديث قال نظما لهذه العبارة :

ورسم ما بعلة مشمول
معللا ولا تقل : معلول

ولم يمنعهم عن هذا الاستدراك أن يكون الامام حافظ الأمة وحبر الأئمة محمد بن اسماعيل البخارى أو الامام الحافظ أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع وكذا الأصوليون فى باب القياس حيث قالوا : العلة والمعلول والمتكلمون بل وأبو اسحق الزجاج فى المتقارب من العروض • لأن المعلول من : عله بالشراب ، اذا سقاه مرة بعد أخرى • ومنه : من جزيل عطائك المعلول وقد يعتذر عن صنيع البخارى والترمذى والأصوليين والمتكلمين بما فعله الزجاج باستعماله له وهو العالم اللغوى • ونص جماعة كابن القوطية فى الأفعال على أنه ثلاثى فانه قال :

عل الانسان الانسان علة مرض • والشيء أصابته العلة ، قال الحافظ السخاوى : ومن ثم سمى شيخنا كتابه الزهر المطلول فى معرفة المعلول،ولكن الأعرف أن فعله من الثلاثى المزيد تقول : أعله الله فهو معل ، ولا يقال معلل ، فانهم انما يستعملونه من علله بمعنى ألهاه بالشيء وشغله به ، ومنه تعليل الصبى بالطعام وما يقع من استعمال أهل الحديث له حيث يقولون علله فلان فعلى طريق الاستعارة • وكذلك وجهها قطرب فيما حكاه اللبلى والجوهرى فى الصحاح والمطرزى فى المغرب وقد أنكره غير واحد من أهل اللغة كابن سيده والحريرى فى درة الغواص • ويقول الحافظ العراقى فى شرح المقدمة :

والتعبير بالمعلول موجود فى كلام كثير من أهل الحديث فى كلام الترمذى فى جامعه ، وفى كلام الدارقطنى وأبى أحمد بن عدى وأبى عبد الله الحاكم وأبى يعلى الخليلى ، ورواه الحاكم فى التاريخ وفى علوم الحديث أيضا عن البخارى فى قصة مسلم مع البخارى وسؤاله عن حديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه » الحديث فقال البخارى : هذا حديث مليح ولا أعلم فى الدنيا فى هذا الباب غير هذا الحديث الواحد الا أنه معلول حدثنا به موسى بن اسماعيل حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله •

قال البخارى:هذا أولى فانه لا يذكر لموسى بن عقبة سماع من سهيل • فقام اليه مسلم وقبل يده • وهكذا أعل الحاكم فى علومه هذا الحديث بهذه الحكاية قال الحافظ العراقى : والغالب على الظن عدم صحتها ، وأنا أتهم بها أحمد بن حمدون القصار راويها عن مسلم فقد تكلم فيه ، وهذا الحديث قد صححه الترمذى وابن حبان والحاكم ويبعد أن البخارى يقول : انه لا يعلم فى الدنيا فى هذا الباب غير هذا الحديث مع أنه قد ورد من حديث جماعة من الصحابة غير أبى هريرة وهم أبو برزة الأسلمى ورافع ابن خديج جبير بن مطعم والزبير ابن العوام وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك والسائب بن يزيد وعائشة • قال

العراقى : وقد بينت هذه الطرق كلها فى تخريج أحاديث الاحياء للغزالى والله أعلم .

والعلة القادحة فى الحديث هى التى تخفى لسلامة ظاهره . فقد تكون العلة فى الاسناد الجامع لشروط الصحة مع عدم القدح فى المتن . ومن أمثلة ما وقعت العلة فى اسناده من غير قدح فى المتن ما ضربه ابن الصلاح مثلا بقوله : ما رواه الثقة يعلى بن عبيد عن سفيان الثورى عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار » الحديث . فهذا الاسناد متصل بنقل العدل عن العدل وهو معلل غير صحيح والمتن على كل حال صحيح والعلة فى قوله عن عمرو بن دينار انما هو عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر . هكذا رواه الأئمة من أصحاب سفيان عنه فوهم يعلى بن عبيد وعدل عن عبد الله بن دينار الى عمرو بن دينار وكلاهما ثقة وقد نظمها العراقى فقال :

وهى تجىء غالبا فى السند
تقدح فى المتن بقطع مسند
أو وقف مرفوع وقد لا تقدح
كالبيعان بالخيار صرحوا
بوهم يعلى بن عبيد أبدلا
عمرا بعبد الله حين نقلا

وقد تكون العلة فى المتن ومثاله ما انفرد مسلم باخراجه من حديث أنس من اللفظ المصرح بنفى قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) فعلل قوم رواية اللفظ المذكور لما رأوا الأكثرين انما قالوا فيه فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين من غير تعرض لذكر البسملة وهو الذى اتفق البخارى ومسلم على اخراجه فى الصحيح . ورأوا أن من رواه باللفظ المذكور رواه بالمعنى الذى وقع له . ففهم من قوله : كانوا يستفتحون بالحمد لله أنهم كانوا لا يبسملون فرواه على ما فهم وأخطأ لأن معناه أن السورة التى كانوا يفتتحون بها من السور هى الفاتحة وليس فيه تعرض لذكر البسملة . قال الشافعى رضى الله عنه : يعنى يبدأون بقراءة أم القرآن قبل ما يقرأ بعدها ولا يعنى أنهم يتركون بسم الله الرحمن الرحيم .

وقد نعى الحافظ العراقى على ابن الجوزى قوله : ان الأئمة اتفقوا على صحته وقال : أفلا يقدح كلام هؤلاء فى الاتفاق الذى نقله . ثم ساق

الحافظ العراقى بيان علل الرواية التى فيهـا نفى البسـملة من حيث صـيغة الاسناد •

وقد أفردت كتب برمتها فى بيان علل الحـــديث ، وهو فن من أعظم فنونها وأجلها خطرا وأعلاها موضعا • وأول من صـنف فى علل الحـديث الامام مســـلم بن الحجاج القشيرى صاحب الجامع المتوفى سنة ٢٦١ ثم جاء بعده الحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ فمحص علل نحو ثلاثة آلاف حديث ذاكرا فى كل واحد منها اسم الراوى الذى جاءت علة الحديث من ناحيته ، وقد أخـذ ذلك عن الحافظين الكبيرين والده أبى حاتم وشيخه أبى زرعة الرازى ، وممن ألف بعدهما فى العلل الامام الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ والامام الدار قطنى المتوفى ســـنة ٤٨٥ قال المرحوم العلامة محب الدين الخطيب فى مقـدمته على كتاب علل الحـديث لابن أبى حاتم :

قال شيخنا العـلامة الشـيخ طاهر الجزائرى فى جزء شعبان سنة ١٣٣٣ من تذكرته الشـهيرة « كتاب العلل للحــافظ أبى الحسن على بن عمــر الدراقطنى فى خمس مجلـدات وسـطى ، اطلعت عليـه فرأيته جمع الفائدة ، الا أن كتاب العلل لابن أبى حاتم أحسن ترتيبا وأقرب لاسـتفادة أكثر الناس منه ثم ان هناك كتبا فى شرح أحاديث الأحكام تعد ـ لتوفرها على ايضاح علل الأحاديث ـ من كتب انعلل • ومنها كتاب المجموع شرح المهذب الذى صـنف الامـام النووى ٩/٢٠ منه والامام تقى الدين السبكى ٢/٢٠ والفقير كاتب هذا ٩/٢٠ مجموعها عشرون مجلدا ، ولا يعتد بما زيفه النـاشرون من طبعات ، فيهـا حشو وزيف واحتيال • وما الى نسب منه فأنا منه برىء •

وابن أبى حاتم الرازى صـاحب كتاب علل الحـديث ولد سـنة ٢٤٠ بدرب حنظلة بمدينـة الرى ومن ثم كان نسبه الى الرى (الرازى) وهكذا النسبة الى الرى بزيادة الزاى كالنسبة الى (مرو) مروزى الا أن هـــذه الأخيرة لا ينسب اليها هكذا الا الانسان أما الأشـياء فبغير زاى فيقال : ثيـاب مرويه وخيل مرويه وسيوف مرويه •

ومن الأمثلة على عظمة فن العلل وتـكاثر خطـره واحتيـــاج دارس

الحديث الى الأخذ به والتمرس عليه ما نهجه ابن أبى حاتم قال :

سألت أبى عن حديث رواه شادان عن أبى بكر بن عباس عن عبد الملك عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حى ستير فاذا اغتسل أحدكم فليستتر • قلت لأبى وقد رأيته عن أحمد عن يونس عن أبى بكر عن عبد الملك عن عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا قلت لأبى : هذا المتصل محفوظ قال • ليس بذاك •

ومعنى هذا أن أبا حاتم يرى ترجيح رواية الارسال على رواية الاسناد ويرى أنها المحفوظة وأن المتصلة شاذة بروايتها من طريق شادان وأن المرسلة محفوظة من رواية أحمد بن يونس • والقاعدة أنه اذا تفرد راو برواية تخالف رواية من هو أوثق منه وأحفظ كانت الأولى شاذة والأخرى محفوظة فالشاذ ضده المحفوظ ، كما أن الحديث المعروف ضده الحديث المنكر ويقول :

سألت أبى وأبا زرعة عن حديث رواه مصعب بن المقدام عن الثورى عن أبى الزبير عن جابر قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يمس الرجل ذكره بيمينه فقالا : هذا خطأ انما هو الثورى عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قلت : الوهم ممن هو ؟ قالا : من مصعب بن المقدام • ويقول :

سألت أبى وأبا زرعة عن حديث رواه سعيد بن مسروق وسلمه بن كهيل ومنصور بن المعتمر والحسن ابن عبيد الله كلهم روى عن ابراهيم التيمى عن عمرو بن ميمون عن أبى عبد الله الجدلى عن خزيمة بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المسح على الخفين • ورواه الحكم بن عتيبة وحماد بن أبى سليمان وأبو معشر وشعيب بن الحبحا والحارث العكلى عن ابراهيم النخعى عن أبى عبد الله الجدلى عن خزيمة عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحيح من حديث النخعى عن أبى عبد الله الجدلى بلا عمرو بن ميمون • قال أبى عن منصور مختلف ، جرير الضبى وأبو عبد الصمد يحدثان به يقولان عن ابن التيمى عن عمرو بن ميمون

عن أبى عبد الله الجدلى عن خزيمة ، وأبو الأحوص يحدث به لا يقول فيه عمرو بن ميمون .

ومن الصور التى يحكم فيها الناقد التاريخ وهو الدليل المادى الذى ينضبط به الاتصال والافتراق واللقاء واستحالته فيقول :

سألت أبى عن اختلاف حديث عمار ابن ياسر فى التيمم وما الصحيح منها فقال رواه الثورى عن سلمة عن أبى مالك الغفارى عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار عن النبى صلى النبى صلى الله عليه فى التيمم ، ورواه شعبة عن الحكم عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه شعبة عن سلمة عن ذر عن ابن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه حصين عن أبى مالك قال : سمعت عمارا يذكر التيمم موقوف . قل أبى : الثورى أحفظ من شعبة . قلت لأبى فحديث حصين عن أبى مالك ؟ قال : الثورى أحفظ ويحتمل أن يكون سمع أبو مالك من عمار كلاما غير مرفوع ويسمع مرفوعا من عبد الرحمن بن أبزى عن عمار عن النبى صلى الله عليه وسلم القصة . قلت : فأبو مالك سمع من عمار شيئا ؟ قال : ما أدرى ما أقول لك قد روى شعبة عن حصين عن أبى مالك سمعت عماراً ولو لم يعلم شعبة أنه سمع من عمار ماكان شعبة يرويه وسلمة أحفظ من حصين . قلت : ما تنكر أن يكون سمع من عمار وقد سمع من ابن عباس ؟ قال : بين موت ابن عباس وبين موت عمار قريب من عشرين سنة .

ان مدرسة الحديث ولا سيما الاشتغال بعلله الخفية من أجل الفنون وأدقها وأصعبها على فئة المطلة الكسلة الذين يكتفون بالتطاول على السنة بغير علم أو دراية أو كتاب منير

محمد نجيب المطيعى

تربية المراهق فى المدرسة الإسلامية (٤)

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

من دراستنا النفسية لمرحلة المراهقة عرفنا أنها هى المرحلة الحرجة والأوان الحقيقى للجهد الواعى والمستنير من جانب الآباء والمربين والمصلحين للتربية الدينية والخلقية وتكوين الاتجاهات القومية لدى شبابنا ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله •

وأهم ما يجب على المربى أن يضعوه فى اعتبارهم وهم يخططون لتلك المهمة العظمى أن يذكروا أمرين ، الأول أنهم يواجهون تحدى خصائص المراهقة بفورة غرائزها وعنادها والميل الى مقاومة توجيه الآباء والمربين والنزعة الاستقلالية والميل الى المناقشة والجدل وخاصة فى مسائل الدين الى حد الشك ، والثانى أنهم يواجهون مع هذا تحدى الجانب الذى يعمل فى الاتجاه المضاد ويحاول جذب المراهق بعيدا عن الدين والقيم والتقاليد مستخدما من أساليب التشويق ما يسحر ألباب الناشئين الغضة ويزين لها طريق الغواية والانحراف •

ومن ثم يقوم التخطيط لهذه المهمة على أساس العمل لمواجهة التحدى فى هذين الجانبين •

ولعل أول ما يهتم المربون بتحقيقه هو توليد الرغبة والدافع وتحرى الاقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة بالتوبيخ ، فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتمل ذلك منه ، ألا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذى نشأ فى عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ، وما ذلك الا لندرة هذا النمط فى الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه ، ويؤكد هذا المعنى أيضا ما جاء فى حديث آخر « عجب ربك من شباب ليس له صبوة » ومن أجل هذا كان الشباب فى كل المجتمعات وفى العصور دائما موضع الملاحظة بالنظر الى ظروفه النفسية والعقلية فى فورة

النضج التى أشرنا اليها حتى قال الشاعر :

فان يك عمر قد قال جهلا
فان مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يانبى الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قربوه ، أدن . فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتحبه لأمك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، وقال كذلك الناس لا يحبونه لا مهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، اتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا، جعلنى الله فداءك ، فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، وأغفر ذنبه وحصن فرجه ، فلم يكن شىء أبغض اليه منه ، يعنى الزنا .

فهذه هى الحكمة فى الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وانا لا نكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته فى اللطف وتحرى الاقناع بالرفق واللين ، ومن أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن هنا نعلم السر فى جعل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل الناس عقولا ، وأصفاهم أرواحا وأحسنهم أخلاقا .

والقرآن الكريم يرشد الى التلطف فى القول والرفق فى المعاملة مع تحرى الاقناع قال تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . وهناك قصة رمزية تحكى عن جدل دار بين الريح والشمس أدعت فيه كل منهما أنهاأقوى من الأخرى وفى تلك الأثناء كان هناك رجل يسير فى الطريق فاتفقتا على أن من تجعل منهما ذلك الرجل يخلع سترته تكون هى الأقوى وبذلك يحسم الجدل . فبدأت الريح تهب شديدة قاسية لكن الرجل لما هبت الريح أخذ بأطراف السترة ولفها حول نفسه، وكلما اشتد الريح كلما زاد تمسكا بأطرافها .. وهكذا فشلت الريح وجاء دور الشمس فسلطت

أشعتها الحارة نحو الرجل حتى اذا سرت حرارتها فى جسده وتصبب منه العرق خلع سترته وهكذا نرى الرجل قد قاوم أسلوب العنف والارغام الذى مثلته الريح ، بينما استجاب لاقناع الشمس بأن الجو حار فخلع سترته بمحض ارادته وحده .

ان حرية الانسان هى حق طبيعى وحيوى وحقيقة بداهية فى المدرسة الاسلامية ،وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بأن تكون للانسان الحريةفى التفكير، لأن تعطيل حريته أو مصادرتها يتناقض مع مصلحته فى الحياة ومع معنى العبادة التى خلقه لأجلها ومع التكاليف التى أمره بها ولا سيما فى اتباع مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها.قال تعالى : «لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وقال تعالى : « قل يا أيهاالناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » .

والأمر الجدير بالتأمل حقا والذى لا يصح ألا يخفى علينا هو أن دعاة الالحاد والتحلل من التقاليد والقيم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال فى الرأى تلك المعانى التى تصادف هوى لدى المراهق على وجه الخصوص وتتفق تماما مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته فتراه ـ لأن نضجه العقلى والنفسى لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر .

انما تنجح المقالة فى المرء
اذا صادفت هوى فى الفؤاد

فيجدر بالمصلحين والمربين أن يجعلوا أسلوبهم فى التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الانسان التى قال الله تعالى فيها : « وهديناه النجدين » وقال : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) .

وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحياة والموت والجبر والاختيار والفناء والخلود والمادة والروح والبعث والجزاء وبالرسالات السماوية وشرائعها والتطور البشرى ومقتضياته ، والنظم

الاجتماعية والسياسية وفلسفتهاالى غير ذلك ، فان كمال العلم فى الحلم ،ولين الكلام مفتاح القلوب فيستطيع المربى أن يعالج أمراض النفوس وهو هادىء النفس مطمئن القلب لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق وحسبنا فى هذا قول الله تعالى لامام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» .

فالداعى والمصلح الذى يضيق صدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم الساخنة سوف يدفعهم الى الانصراف من حوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بأنوار دينهم ويعرضهم للوقوع فى براثن أعداء الدين والأخلاق .

ولو تأملنا فى أسلوب القرآن فى الترغيب والترهيب لوجدنا خير المناهج على الاطلاق فى التربية الدينية قال تعالى: « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » .

ففى هذه الآية بيان لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ، فالترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوبة ، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله تعالى ، وانذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم ان الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما ، والوعيد كذلك يشمل نفسهما وشقاءهما .

فبالوعد ساق الطائعين الى الجد فى الطاعة ، وبالوعيد وقف العاصين عند حدود الأدب .

قال تعالى ترغيبا في جنس الطاعات: « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

وقال جل شأنهم ترغيبا فى صالح العمل : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وقال ترغيبا فى التقوى : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » .

وقال ترغيبا فى التمسك بالدين : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ـ « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » أى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه .

وفى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له المحبة فى الأرض » . وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أكثر ما يدخل الجنة : « تقوى الله وحسن الخلق » ولسنا هنا بصدد ذكر ما جاء فى القرآن والسنة من آيات وأحاديث فى الترغيب فى جنس الطاعات أو أنواعها أو الأخلاق الفاضلة وانما سقنا أمثلة لبيان الأسلوب ومغزاه الجذاب الذى يولد الدافع النفسى الى الطاعة ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيبا فى الصدقة : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

أما عن الترهيب الذى جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف ، فان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما أعلمهم به من نواميس ربوبيته ، وأقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفسدة والأخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه فى الآخرة والأولى ، وهو فى كل حال حاكم عادل « ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

قال تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » وقال جل شأنه: « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » ومن أساليب الترهيب أن يقرر المربى فى أذهان الشباب أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب ، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جنايته التى صدرت منه ، فالشباب ونضجه العقلى لم يكمل بعد

قد يتساهل فى أمر الآخرة ويستخفه ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر وخاصة انه يخطو خطواته الأولى نحو بناء مستقبله ، فينبغى أن يخوف بعقوبة الله فى الدنيا وبأن الذنوب يعجل شئومها فى الدنيا غالبا ، قال تعالى : «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى النـاس ليـذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعـون » وقال جـل شـأنه : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقـوا لفتحنا عليهم بركات السـماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بمـا كانوا يكسبون » وقال عليـه الصـلاة والسلام : « خمس تعـاجل صاحبهن بالعقوبة : البغى ، والغدر ، وعقـوق الوالدين ، وقطعية الرحم ، ومعروف لا يشكر » .

وروى الحاكم باستناد صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ». وقد يتفق مع طبيعة المراهقة من حيث الرغبـة فى تأكيـد الذات المجـاهرة بالمعاصى أمام أقرانه من قبيل المبـاهاة وعدم المبالاة وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من ذلك حين قال: « كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان من المجـانة أن يعمـل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يافلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه البخارى ومسلم.

فى هذا الحديث يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يمن بفضله ومغفرته على من يخطىء من أتباعه وأمتـه ، سـوى أولئك الذين يتوقحون فاذا ارتكبوا معصية لم يكتفوا بمـا ارتكبوا بل راحوا يعلنون عمـا ارتكبـوا ، كأنهم لا يعنيهم حساب ، ولا يخيفـهم عقـاب ، ولا يردعهـم وازع من خلق أو حياء .

ولا شك أن الانسان اذا زلت قدمه بهفوة ثم سترها وخاف من اعلانها ، دل بهذا على وجود الحياء عنده ، فهو يستحى أن يظهرها ، وهذا يستتبع أنه يعدها شئيا قبيحا لا يليق به ولا يجمل منه وهذا يستدعى أن يفكر فى الاقلاع عنهـا والفرار منها فكأن ستر المعصية أو عدم المجاهرة بها أسلوب من أساليب مقاومتها فى نفس صاحبها .

وهو فى الوقت نفسه أسلوب من أساليب حصر المعصية فى أضيق نطاق ، لأن سـترها عند الذين وقوعوا فيها

بالفعل لا يجعل الكثيرين يطلعون عليها ، ولو أطلعوا عليها لاستمرآها منهم من يستمرىء وتجرأ عليها من يتجرأ ، فتشيع الفاحشة بين المسلمين ، والقرآن المجيد يقول : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون».

وينبغى أن يفهم شبابنا أن الله تبارك وتعالى انما يعفو عن مرتكب الخطيئة المستورة اذا ندم عليها ، وتاب منها واستغفر ربه بعدها ، واستشعر أنه قد أخطأ فى ارتكابها ، وأما اذا أتاها متعمدا لها ، وعاودها مصرا عليها ، فانه لا يكون معافى ، حتى ولو كانت معصيته مخفية مستورة عن عيون جميع الناس

محمد جمال الدين محفوظ

سطور من كتب التراث

تزوير اليهود .. من قديم :

افتعل بعض اليهود كتابا نسبوه الى الرسول عليه الصلاة والسلام باسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة ، وأنه بخط على بن أبى طالب .

وعرض الكتاب على أبى بكر الخطيب البغدادى (مؤلف تاريخ بغداد وخمسة وخمسين مؤلفا غيره . توفى سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م) فقال هذا مزور . فقيل له من أين لك ذلك ؟ قال : فى الكتاب شهادة معاوية ابن أبى سفيان ، ومعاوية أسلم يوم الفتح (سنة ٨ هـ) ، وخيبر كانت فى سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وكان قد مات يوم الخندق فى سنة خمس هجرية .

فتزوير اليهود للتاريخ قديم ؟

(من معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ١٨) .

اليتيم .. الرحمة المهداة

للأستاذ عبد الغنى أحمد ناجى

شاء الله لقلب الصغير أن يعتصره ألم اليتم ، وشاء له أن يأسى كما يأسى سائر الناس بالرغم من أنه أحب خلقه ومصطفاه وكان المتوقع فى معايير الناس ومقاييسهم العابرة غير الفاحصة - أن يعيش أحب خلق الله الى الله بمنأى عن الأسى والالتياع ، وأن يحيا حياة مترفة باذخة لاتشوبها شائبة ألم أو شظف ، ولكن ذلك لم يكن لأن هذا المصطفى من خلق الله سيغدو الرحمة المهداة ، والأسوة الحسنة ، والسراج المنير لأمة سيكون من بينها - شأن سائر الأمم - من ستضغط عليهم بأساء الحياة وضراؤها ، وهم فى بأسائهم تلك سيتطلعون الى من يمسح على قلوبهم بيد رحيمة ، ولا يفعل ذلك الا من عاش ظروفهم وأسى كما يأسون ، ولقى ما يلقون من كل ما يصيب النفس البشرية عبر حياتها بشىء من الأسى والألم .

وليس ألم لنفس غضة كبرعم صغير - من فقد الوالد أو الوالدين ، فبفقدهما يشعر الصغير كأن منافذ الرحمة فى الوجود قد أوصدت أمامه : « ...

« هذان فى الدنيا هما الرحماء » .

وشاء الله تعالى أن يجمع لديه فقد الأب والأم ، وهو بعد غض نضير لا يقوى على تحمل الأسى ، ولا يطيق فؤاده فراق مصادر الرحمة والحنان ، ولكن الله الذى شاء له ذلك كان يهيئه تهيئة جذرية - ان صح هذا الاستعمال - لأجل رسالة ، وأعظم عمل ؛ ليكون هداية ورحمة للعالمين ، فالعمل من الخطورة بحيث يستدعى التهيئة المبكرة ، حتى لكأنه بيتمه فى صغره يوضع مواضع الرجال ، بحيث يواجه مآسى الحياة من فجر وعيه حتى يستجمع طاقاته الموهوبة ، وحتى يحصر استعانته على الخطوب فى الله وحده : « ... واياك نستعين » فاليتم

المبكر كما أشعره بالأسى ليكون رحمة للعالمين ـ مرنه على ان يتجه فى استقامته الى الله وحده ، اذ لا والد ولا والدة منذ نعومة الظفر ، وحتى لا يذكر فى كبره عندما يجابه اعراض المعارضين أو صد الصادين ـ معونة أب أو أم ، فلكم سمعنا ، ونسمع كبارا يقولون فى معترك الحياة ، وعند ضغط الشدائد والخطوب : « أين أبى ، وأين أمى ؟ » ان من يقول ذلك ـ ولو كان رجلا كبيرا ـ هو قطعا انسان عاش فى كنف الوالدين بين الترف والتدليل ، وكان دائما يهرع الى الوالدين كلما حزبه أمر من أمور حياته الصغيرة ، فنشأ لا يعرف ملجأ وملاذا الا هذين الوالدين .. وشاء الله أن يكون فقد الوالد قبل أن يرى الصغير النور ، ربما ـ والله أعلم ـ ليعيش فجر عمره فى كنف ينبوع الرحمة ... فى كنف الأم ؛ اذ أنه يعد ليكون رحيما : « .. وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

ثم نخطو معه بعض مراحل عمره بما كان فيها من صبر على الشدائد ولجوء الى الله ، وانقطاع اليه فى أيام تحنثه وتعبده الليالى ذوات العدد ـ حتى نقف لدى رحمته المنداحة التى تفجرت ينابيعها بصورة لم يعهدها تاريخ البشرية من قبل ؛ لندرك ان مراحله الأولى بما اكتنفها من صنوف الأسى ، وبخاصة اليتم ـ لم تكن الا تهيئة لتلك الرحمة الشاملة التى لم تدع ذا كبد رطبة الا عمته فى رحابها الفسيحة الندية ، فهو الذى كان يمسح على رأس اليتيم ـ أى يتيم ـ ثم يقول : « أنا وكافل اليتيم كهذين فى الجنة » ويشير الى السبابة والوسطى ، لأنه كابد ألم اليتم ، فوجه رحمته الى من شاركه هذا الأسى ، وهو الذى كان يغسل الطفل الصغير بيديه الشريفتين ، ثم يرفعه الى صدره ، ويقبله فى عطف غامر ، وحنان دافق لا يعدلهما الا حنان الأم وعطفها ، ثم يقول لمن يعجب من ذلك (وهو الأقرع بن حابس) : « من لا يرحم لا يرحم » . حتى أدنى الأذى يصاب به المسلم فيحسه رسول الله الرحيم ، ويألم له ، وينهى عنه ، وكأنه ذاق منه ، فلقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر معه ، فأخذ بعضهم من أخيه حبلا وهو نائم ، فاستيقظ ، ففزع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. لا يحل لمسلم أن يروع مسلما »

وينظر صلى الله عليه وسلم فيرى نماذج من الناس غير اليتيم والصغير وضعتهم ظروف الحياة مواضع تستدعي البر والرحمة فيفيض عليهم من رحمته توجيها وعملا ، انهم الخدم الذين تكاد نفوسهم تنفطر ، وقلوبهم تتقطع أسى ولوعة حينما يجدون بشرا مثلهم في قمة الحياة بذخا ونعيما ، وهم دونهم بمراحل ولن يسرى عنهم ، أو يرضيهم بمكانتهم الا يد رحيمة تمسح على قلوبهم ، وبسمة ندية ترف على ثغر انسان رحيم يفتح لهم صدره ، ويشعرهم بانسانيتهم ، اذ ما ذنبهم في وضعهم ، وهنا نجد اليتيم الرحيم ـ محمدا صلى الله عليه وسلم ـ يولى هذه الطوائف من البشر رحمة وعناية ترتفعان بهم الى مصاف اخوانهم الذين يفوقونهم في حظوظ الحياة ، فعن أبي ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : « سابت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟! انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » • ونجده صلى الله عليه وسلم لا يدع نمطا من البشر يحتاج الى الرحمة الا رحمه ، وأوصى برحمته والبر به ، فالنساء قديما ، وقبل الاسلام كن يعاملن في مجتمعهن معاملة تدعو الى الرحمة التي تنقذهم من هذا الجور والاعنات ، وهن مخلوقات ضعيفات ، فكانت وصاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهن نداء نديا : « استوصوا بالنساء خيرا » ، ويقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » • ورحمته صلى الله عليه وسلم رحمة انسانية لا تفرق بين جنس وجنس ، أو لون ولون ، ومن ثم لم يحرمها أصحاب الديانات الأخرى حتى ولو كانوا من الأعداء ما داموا في وضع يستدعى العطف والاشفاق ، فلقد كان يوصى جنده بالأسرى خيرا ، حتى لقد كان ينهاهم عن أن يأسروا الأم دون الولد ، أو الولد دون الأم حتى لا يسبب لقلبيهما حزنا أو أسى ، وهو القائل في هذا المجال : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة !! » • وتتداح رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتبسط جناحيها على كل ذى كبد رطبة ، فالحيوان الأعجم له في رحمته أوفى نصيب ، فعن أبي هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ ، فقال : نعم ، فى كل ذات كبد رطبة أجر » (رواه الشيخان) .

والأم من الطير تهز رحمته فيحس أساها حينما يعتدى صحابى على فراخها ، فيأمر برد فراخها اليها ، وكأنه يذكر ألم الفراق بين أشد المخلوقات تعلقا والتصاقا : بين الوالدين والأبناء ، فيستشعر آسى عصفورة خطف فرخاها ، فعن عبد الله (رضى الله تعالى عنه) قال : « كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى سفر ، فانطلقت لحاجتى ، فرأيت حمرة معها فرخان ، فأخذت فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تعرش فجاء النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : من فجع هذه بولدها ؟ ، ردوا ولدها اليها .

من هذا التطواف العابر السريع فى رياض رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن تذكر تاريخ مولده وأحواله فى نشأته – ندرك أن الله سبحانه وتعالى وضع نبيه ومصطفاه فى ظروف من الحياة تجعله يحس – حينما يقوى على العمل – مآسى من وضعوا فى ظروفه ، أما كونه – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين من جهة مجيئه بخير دين أضاء ظلام النفوس ، وأنقذ من آمن به الى الشاطىء الأمين فى خضم الحياة – فهذا أمر معروف من الدين بالضرورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يفى بتجليته مقال .

وبعد ، فما أحرانا – نحن المسلمين – أن نسير على نهج النبى الرحيم فى جانب رحمته وأريحيته ، ذاكرين أن التراحم أقوى دعائم السعادة التى كان ينشدها الرسول الكريم لأمته : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ؟

عبد الغنى احمد ناجى

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي (٤)

للأستاذ حسن حسب الله

انتهينا في العدد الماضي من الكلام عن المصادر التي نلجأ اليها للتعرف على الأحكام الموضوعية لكل من الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزي وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه الأحكام تتكلم في هذا العدد عن المعالم الرئيسية التي تميز كلا من الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزي عن باقي الأنظمة القانونية المعروفة •

نستطيع أن نقول : ان القوانين عموما تنقسم الى قسمين رئيسيين : قوانين تحكم عمل وعلاقات كل الكائنات فيما عدا الانسان ، وقوانين تحكم الانسان وعلاقاته بغيره • وكل هذه القوانين وضعها الله لينظم بها حياة الانسان في الدنيا وفي الآخرة وما حدث هو أن الانسان لا يستطيع أن يغير أو يبدل في القوانين الأولى والتي يطلق عليها علماء الغرب اصطلاح « قوانين الطبيعة »
Laws of ratuze
فلم يملك الانسان الا الخضوع والاستسلام لها ، ولم يتمكن من الخروج عليها أو تطويعها وفق ارادته ، ولكنه استطاع بانحرافه وجهله وهواه أن يخرج على القوانين الثانية التي فرضها الله لصالحه فمقدار غاز الأوكسجين الموجود في الهواء مثلا أوجده الله بنسبة معينة الى باقي عناصر الهواء • ولا يستطيع الانسان أن يزيد أو ينقص من هذه النسبة لأن الله خلق كل شيء بتقدير وحساب ، ولو فرضنا جدلا أنه أمكن للانسان زيادة هذه النسبة لترتب على ذلك عدم اطفاء أي حريق ينشب ولقد أثبت الطب الحديث أن المريض اذا زادت نسبة ما يعطى له من غاز الاكسيجين عن قدر معين فان ذلك يصيب عدسة العين فلا تبصر •

وأظهر خصائص القانون الاسلامي أنه من صنع الله صانع الانسان والعليم الخبير بعباده ، وهو قانون لا يتغير ولا يتبدل وفق المصالح الشخصية والأهواء المختلفة لأنه قد تكفل مقدما بتحقيق كل المصالح الحقيقية لكل فرد ولكل جموع المسلمين بل ولكل بني

الانسان والقانون الاسلامى هو أكمل الشرائع الالهية التى نزلت لأن القرآن الكريم هو خاتم كتب الله وأى عاقل يتبع احدث طبعة من الكتاب ولا يأخذ بأول طبعة له ولذلك كان لا بد من طرح كل ما سبق على القرآن جانبا واتباع ما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وتطبيقه على الجميع بما فيهم من كانوا يدينون بالكتب الأولى . وكون القانون الاسلامى من صنع الله يخضع له جميع بنى الانسان يجعل النفس تطمئن الى العدالة المطلقة التى يتسم بها هذا القانون والتى تكفل للجميع حياة كريمه مطمئنة وينأى بالبشر عن هذا التناحر وهذه الانقسام الى رأسمالية وشيوعية ودكتاتورية وديمقراطية وغير ذلك من المذاهب الفردية والجماعية التى تسعى فيها كل فئة الى الاستيلاء على الحكم بأية صورة وبأى أسلوب لتحقيق ما ترى أنه فى مصلحة المجموع ، ولكن تكون النتيجة العملية تحقيق مصالح العدد المحدود الذى يسيطر على الحكم ، والحروب التى نشبت والدماء التى سفكت والمظالم التى ارتكبت أكبر دليل على فساد كل ما انفرد بوضعه الانسان من نظم وقوانين فلم يسعد العالم فى ظل القانون الرومانى ، ولافى ظل القانون الفرنسى ، ولا فى ظل القانون الانجليزى كما لم يستقر العالم فى ظل النظام الملكى ، ولا فى ظل النظام الجمهورى ، ولا فى ظل النظام النازى ، ولا فى ظل النظام الفاشى ، ولا فى ظل النظام الرأسمالى ، ولافى ظل النظام الشيوعى ، ولا فى ظل النظم الاشتراكية التى تعددت بتعدد الحكام ولم تصل الى مدلول محدد لها حتى الآن ، ولذلك كانت حكمة الله سبحانه وتعالى فى أن يضع بنفسه قانونا واحدا أبديا لحكم الناس حتى لا ينشأ بينهم هذا الخلاف وحتى لا يصاب الناس بالجمود ان وضعوا قواعد وظلوا خاضعين لهارغم تطور وتغير الظروف التى يعيشون فيها واختلافها عن الظروف التى وضعت فيها تلك القواعد كما هوظاهر حاليافى القانون الفرنسى . وكذلك حتى لا يكون التطور المتلاحق السريع فى القواعد القانونية مدعاة لعدم الاستقرار وما ينتج عن ذلك من آثار نحن فى غنى عن ذكرها فالكل يلمسها والكل قاسى منها . والنتيجة الأولى لظاهرة أن القانون الاسلامى هو قانون من صنع الله خالق الانسان وصانعه أن هذا القانون أتى بأحكام لا

تتعارض اطلاقا مع غرائز الانسان وفطرته ، ولذلك نجد أن القانون الاسلامى لم يحرم شيئا من الطيبات وانما حرم الخبائث وهى محدودة جدا وقد أباح بعضها عند الضرورة بالقدر الذى يحفظ على الانسان حياته وأباح القانون الاسلامى الطلاق وتعدد الزوجات لان حظر الطلاق ومنع تعدد الزوجات لا يتفق مع غرائز بعض الناس ومع ما يطرأ على حياتهم من ظروف تحتم ذلك ، فالقانون الاسلامى يتفق مع الواقع العملى للحياة الانسانية ويفرض من القيم والأنظمة ما يستطيع التقيد به أى انسان فى أية بيئة ولا يفرض نظما تهدف الى تحقيق قيم أو مثل خيالية لا يقوى على الالتزام بها بعض الناس ، ولذلك لم يحرم الاسلام الزواج على رجال الدين ولم يمنعهم من تملك الأموال. ولم يجعل من حرم نفسه من ملذات الحياة فى درجة أفضل ممن تمتع بها وكل ما اشترطه القانون الاسلامى فى هذه الحالة أن يتم اشباع حاجات الانسان بطريقة مشروعة تتفق مع أحكام القانون الاسلامى فقط .

وينفرد القانون الاسلامى دون سائر النظم القانونية بما فيها القانون الانجليزى بأنه القانون الوحيد الذى يحقق المساواة الكاملة بين الخاضعين له ، فلا فرق بين رئيس الدولة وبين أقل فرد فيها ، ونقصد بالمساواة هنا المساواه فى القيمة الانسانية للفرد وكيانه لا ما يعطى له كغذاء أو كساء فالمساواة فى الغذاء والكساء أن تحققت مع أهدار الكرامة الانسانية أصبحت مساواة بين الانسان والحيوان ولم تصبح مساواة انسان بانسان . فالقانون الاسلامى لايعرف لرئيس الدولة ذاتا مصونة لا تمس كما تنص على ذلك دساتير كل الدول الملكية ، ولا يمنح حصانة معينة لأى شخص يمتاز بها عن غيره مهما كانت الوظيفة التى يشغلها ومهما كان مركزه الاجتماعى ، ولا يفرق فى العقوبة بين الجريمة التى تقع من أو على شخص يقال أنه عظيم وشخص لا يتصف بذلك الوصف ، ولا يفرق فى التعويض عن قتل النفس بين قتيل وقتيل فالكيان الانسانى واحد بالنسبة للجميع لا يمتاز فيه شخص عن آخر والمخالفة واحدة بالنسبة للجميع لا تصغر ولا تكبر حسب من ارتكبها أو من ارتكبت ضده ، ولايضاح هذا المبدا السامى الذى لم يصل ليه ولن يصل اليه أى

تشريع آخر نسوق بعض الأمثلة وهى قليل جدا من كثير •

قتل أمير المؤمنين وفارس الاسلام على بن أبى طالب فلم يعاقب على هذه الجريمة غير قاتله ولم ينفذ فيه حكم الاعدام الا بعد أن مات أمير المؤمنين فعندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم قال الامام على لولده الحسن « احسنوا اساره فان عشت فأنا ولى دمى وان مت فضربة كضربتى » ولقد كان رضى الله عنه هو ومن سبقه من الخلفاء الراشدين يستمعون الى نقد الناقدين ولومهم فلا ينتقمون منهم لأنهم لم يجعلوا لأنفسهم منزلة فوق منزلة الناس ولم يجعلوا أنفسهم فوق النقد واللوم •

وشهد عمر بن الخطاب وقت أن كان أميرا للمؤمنين رجلا يرتكب الفاحشة ، ولم يشهد ذلك معه أحد وعرض الأمر على الحاضرين بعد خطبة الجمعة فقيل له أن لم تأت معك بثلاثة شهود أقيم عليك الحد تنفيذا للآية الكريمة : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة — النور ٤ » فلم يجعلوا شهادة أمير المؤمنين مميزة عن شهادة أى فرد آخر من عامة المسلمين •

وعندما سرقت المرأة المخزومية واستجار قومهابأسامة بن زيد ليشفع لها عندرسول الله غضب النبى صلى الله عليه وسلم من أسامة وقال قولته المشهورة : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ والذى نفسى بيده لوأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها • انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » •

كذلك ينفرد القانون الاسلامى دون غيره من الشرائع بأنه يقوم على أساس العقيدة الاسلامية وحدها دون مراعاة للجنس أو اللون أو اللغة أو الاقليم فالقانون الاسلامى يخضع له المسلم التركى والعربى والعراقى والايرانى والصينى والهندى والمصرى ••• الخ ويخضع له المسلم الأبيض والمسلم الأسود والمسلم الأصفر فالقانون الاسلامى قانون مفتوح لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات ولقد سبقت تجربة ذلك من الناحية العملية وساهم الجميع فى انتصار

الاسلام وفى بناء الحضارة الاسلامية ، ولم توصف هذه الحضارة يوما بأنها عربية أو تركية أو مصرية وانما كانت دائما اسلامية كما لم يشعر أى منهم بأنه أقل مكانة من أى عربى ، والتقسيم الذى ينبنى عليه القانون الاسلامى هو تقسيم الناس الى ثلاثة أقسام : يضم القسم الأول المسلمين ، ويضم القسم الثانى أهل الذمة أى المسالمين للمسلمين،ويضم القسم الثالث أعداء الاسلام والخائفين منه ولذلك تنقسم الأرض فى نظر الاسلام الى دار اسلام تضم أهل القسمين الأولين ودار حرب تضم أهل القسم الثالث ، ويطبق القانون الاسلامى بطبيعة الحال فى دار الاسلام دون دار الحرب ، ودار الاسلام هى المكان الذى تقوم فيه الدولة الاسلامية الخاضعة لشريعة الله وحده ولا يشترط أن تكون دولة واحدة أو أن يكون لها حاكم واحد بالمعنى الحديث ، لأن الوحدة هنا تتحقق بوحدة التشريع ويكفل تحقيق هذه الوحدة القانون الاسلامى فحيثما اتجه المسلم أو الذمى من اقليم اسلامى الى اقليم اسلامى آخر سيجد الحكم واحدا وهو حكم الله وان اختلف الاقليم واختلفت اللغة واختلفت الألوان والأجناس ، فهو فى كل مكان اسلامى آمن على نفسه وماله ضد طغيان الحكام وأهوائهم وما يشرعونه من تشريعات تخضع لهذه الأهواء ويقدمونها باسم بعض النظريات ، وهذه الوحدة فى القانون الذى يخضع له الأفراد على اختلافهم فى الجنسية أو الموطن هو ما بدأت تسعى اليه المجتمعات الحديثة وخاصة الأوروبية منها ولم تصادف فى تحقيق هذا الهدف نجاحا يذكر رغم كل الجهود ورغم وحدة الجنس ووحدة الدين ووحدة اللون وتقارب اللغات والعادات والتقاليد ، اذ أن وحدة القانون هى مصدر الأمان والاستقرار لكل تعامل وما يترتب على ذلك من توفير الرخاء الاقتصادى نتيجة انتقال الأفراد والخبرات ورءوس الأموال من مكان الى مكان وهى لا تنتقل الا اذا عرفت مقدما أى قانون تخضع له وضمنت مقدما عدم تغير هذا القانون ولذلك كانت حكمة الله سبحانه وتعالى فى أن يشرع للناس جميعا تشريعا كاملا ملائما لحاجاتهم فى كل زمان ومكان ولو طبق القانون الاسلامى لما كانت هناك حاجة الى كل هذه الجهود التى بذلت وباءت بالفشل لحل المشاكل الناتجة عن تنازع القوانين واختلاف التشريعات الوضعية من بلد لآخر

الأمر الذى ما زال يعوق حركة الانسان من بلد لآخر وما ترتب على ذلك من احتكار بعض الشعوب للثراء واختصاص بعض الشعوب بالفقر رغم وحدة دينها ولغتها وغير ذلك من مظاهر الوحدة التى تدعيها هذه الشعوب .

كذلك من خصائص القانون الاسلامى أنه لا يسير وفق نظريات معينة تدور فى إطارها كل أحكامه مثل الشرائع الوضعية التى تتقيد مقدما فى كل ما يصدر من قوانين بالشيوعية أو الرأسمالية أو الاشتراكية أو بنظام الحزب الواحد أو الأحزاب المتعددة وقد تقف هذه النظريات ضد أى تعديل ولو كانت حاجة الاصلاح تدعو اليه بالحاح . وانما يراعى الاعتبارات العملية والظروف التى يعيش فيها الانسان وغرائزه وفطرته فلا ينكر القانون الاسلامى الملكية ولا يطلب الحجر على الحرية الشخصية والفكرية ولكنه فى نفس الوقت لا يقبل الحرية المطلقة الخالية من أى تنظيم ، وفى سبيل ذلك لا يفرض من القيود الا أخفها وأيسرها فلا يفرض قيدا لا تحتمله النفس ، كما نرى فى المذاهب الجماعية الحالية وما تحمله قوانينها من قسوة وارهاب وجاسوسية ولا يطلب من الانسان أن يحيا فى ظل نظم وقواعد مثالية لا تتفق مع غرائزه وفطرته فالقانون الاسلامى محوره الانسان فى حياته الواقعية الفعلية ، ولذلك لن نجد فى القانون الاسلامى حكما لحالة لم تحدث فعلا ولا حكما لفرض لا يتحقق ، فالقانون الاسلامى أحكامه الموضوعية عبارة عن نصوص مكتوبة واردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وهذه النصوص عبارة عن قواعد محددة لمواجهة حركة الانسان وأفعاله فى هذه الحياة الدنيا وهذه القواعد لم تتم صياغتها وفقا لنظريات معينة ، انما هى منهج شامل وكامل ومستقل بذاته ولذلك فمن الخطأ الفاحش ما حاوله البعض من القول بأن الاسلام دين الاشتراكية أو أن هناك نظريات جديدة وصل اليها علماء القانون وصل اليها الاسلام قبلهم مثل نظرية الاثراء بلا سبب أو الفضالة أو مبدأ سلطان الارادة ... الخ فالواقع أنه لا يمكن الحاق النظام القانونى الاسلامى فى أحكامه الموضوعية بأى نظام سياسى أو اقتصادى من الأنظمة الحديثة مهما ظهر فيها من محاسن ومهما دافع عنها المدافعون وهيأوا لها من فرص النجاح

فجميع هذه النظم قد فشلت فشلا ذريعا فى تحقيق الحياة الطيبة لمجموع بنى الانسان وان نجح بعضها فى تحقيق جزء ظاهرى من الحياة الطيبة لعدد محدود جدا من الشعوب وكان هذا النجاح نتيجة اباحتهم ظلم وسرقة واستغلال باقى الشعوب وهذه النظرة تختلف اختلافا كليا عن نظرة القانون الاسلامى الذى يمنع الظلم والسرقة والاستغلال والمصادرة فى كافة صورها بل يمنع الاستيلاء على أموال الناس بمقابل أقل من قيمتها الحقيقية مهما كان سبب الاستيلاء •

وتتميز أحكام القانون الاسلامى بأنها تأخذ بالنزعة الموضوعية تحقيقا للاستقرار ولذلك يهتم القانون الاسلامى بالأعمال الظاهرة فعلا ولا ينظر الى البواعث والحوافز والنوايا غير الظاهرة لأنها مسائل لا يعلم حقيقتها الا الله فمن ضرب شخصا بآلة تستخدم للقتل حوسب على أنه كان قاصدا قتله لأن النية الحقيقية لا يمكن للبشر الكشف عنها ولا يمكن لأحد أن يتحلل من بيع أبرمه بحجة أنه كان هازلا أو غير جاد فى هذا البيع •

ويأخذ بهذه النزعة الموضوعية أيضا كل من القانون الانجليزى والقانون الألمانى والاستقرار فى التعامل التجارى فى هذين البلدين نتيجة الأخذ بهذه النزعة الموضوعية ليس فى حاجة الى تعليق على عكس البلاد التى تأخذ بالنزعة الذاتية التى تقضى بضرورة التحرى عن الارادة الحقيقية للفرد واتباعها والحكم بمقتضاها ،وهى أمور يصعب الوصول الى حقيقتها مما يسهل لكل متعاقد طريق التنصل من التزاماته بحجة أن ارادته الحقيقية تخالف أعماله الظاهرية أو أنه لم يحسن التعبير عن ارادته الباطنة وسنعرض لذلك تفصيلا عند الكلام على « العقد » فى المقالات القادمة •

اذا ما انتقلنا بعد ذلك الى القانون الانجليزى فاننا نجد أنه يتميز أيضا ببعض الخصائص التى لا يشترك معه فيها غيره من الأنظمة القانونية الوضعية المعاصرة •

فالقانون الانجليزى ينفرد بأنه قانون من صنع القضاة وقد سبق لنا شرح معنى ذلك تفصيلا فى المقالات السابقة • ونتيجة لأن هذا القانون من صنع القضاة فان القاعدة القانونية

توضع على مستوى القضية أو النزاع المطروح وهذا مما يجعله قانونا منبثقا من الواقع العملى ومرتبطا ومتلائما مع الأحداث الجرية فعلا طبقا لعادات وتقاليد القوم ، ولذلك لا نجد فى القانون الانجليزى أثرا للتجريد أو المذاهب الفلسفية أو النظريات العامة التى يصل اليها الفقهاء فى الأنظمة الأخرى ، وذلك لأن القاضى الانجليزى لا تقتصر مهمته على مجرد تطبيق نص قانونى ولو أدى ذلك التطبيق الى نتائج غير معقولة وانما مهمته الأولى هى الوصول الى حل عادل ومعقول للنزاع المطروح والتشريع الذى يصدر لا يطبق الا وفقا للمعنى الذى يعطيه له القاضى فالقانون الانجليزى فى بنائه الأساسى مشيد حكما حكما بواسطة المحاكم وهو بذلك يعتبر أساسا عملا عقليا معبرا عن فكرة العدالة والملائمة فالقانون الانجليزى نظام مفتوح وليس مجرد قواعد موضوعية يجب فى كل الأحوال ن تطبق بصرف النظر عن نتائج التطبيق ولة كانت ظالمة أو غير معقولة أو لم تعد ملائمة بسبب تغير الظروف التى وضعت فيها .

ومن نتائج صياغة القانون الانجليزى بهذا الشكل أن الانجليز يكونون دائما فى مأمن من انحرافات الحكام أو المفكرين واستغلالهم القانون كأداة لتحقيق أهدافهم وعقائدهم الشخصية كما حدث لكثير من شعوب شرق أوروبا وغيرها وبذلك يقترب القانون الانجليزى من القانون الأسلامى فى هذه الناحية التى لا تجعل القانون مجرد وسيلة للتعبير عن رأى الحاكم سواء كان شخصا أو حزبا واملاء ارادته على الجماهير ولو كانت غير راضية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر وفى أكثر من دولة وفى أكثر من عصر فكم قاست شعوب بأكملها من انحرافات حكامها واستغلالهم وظلمهم لها وكانت وسيلتهم فى ذلك هى اصدار قوانين تحمل الأفراد على تنفيذ ما يشاءونه هم ولو كان غير ملائم أو غير معقول فى نظر الجماهير والويل لمن لا يطيع لأنه فى هذه الحالة قد خرج على « القانون » واستحق العقاب القاسى بموجب « القانون » .

والقانون الانجليزى لا يعرف هذه التقسيمات السائدة حاليا الى قانون عام وقانون خاص ولا يعرف التقسيمات

الفرعية الى قانون مدنى وقانون تجارى وغيرها ولا يمكن جمعه فى تقنينات على الطريقة الفرنسية فالتقسيم الأساسى فى النظم القانونية السائدة الى قنون عام وقانون خاص لا وجود له فى انجلترا والمراجع القانونية فى انجلترا لا تتضمن مرجعا يعالج القانون المدنى أو القانون الادارى أو المرافعات المدنية أو الاجراءات الجنائية أو القانون التجارى أو القانون البحرى وانما نجد هذه المراجع تحمل عناوين مثل: العقد ـ الترست ـ بيع البضائع ـ الافلاس ـ السيد والخادم ـ الأخطاء ـ الملكية الشخصية ... وهكذا .

وأمر آخر يتميز به القانون الانجليزى وهو أنه لا يمكن ترجمة المصطلحات القانونية الانجليزية الى أية لغة أخرى ولو أجريت أية ترجمة حرفية لها لنتج عن ذلك معنى مشوها تماما فمثلا الاصطلاح الانجليزى Trust يعبر عن نظام فى الملكية شبيه بنظام الوقف فى القانون الاسلامى والترجمة الحرفية لهذه الكلمة لأية لغة لا يمكن أن تؤدى اطلاقا الى هذا المفهوم ولا الى أى مفهوم قريب منه فمعناها الحرفى باللغة العربية مثلا « ثقة » وشتان بين هذا المعنى وبين المعنى الحقيقى لهذا الاصطلاح .

ويمتاز القانون الانجليزى عن كثير من النظم القانونية المعاصرة بهذا المستوى الرفيع من مراعاة الجانب الخلقى فى مسائل المعاملات فمثلا اذا استغل أحد الأفراد الظروف السيئة التى وجد فيها فرد آخر وحقق من وراء ذلك نفعا خاصا له ما كان يمكنه الوصول اليه لولا وجود الطرف الآخر فى هذه الظروف كما لو اشترى بعض حاجياته منه بثمن بخس لا يتفق مع قيمتها الحقيقية فان معظم التشريعات الحديثة كالقانون المصرى والقانون الفرنسى والقانون السويسرى والقانون الايطالى تعتبر ذلك مجرد عيب فى رضاء البائع فى هذه الحالة وترتب على ذلك امكان قيامه برفع دعوى لطلب ابطال هذا العقد وتترك له زمنا قصيرا لرفع هذه الدعوى والا سقط حقه فى طلب الابطال ويظل العقد صحيحا وملزما له حتى صدور الحكم بابطاله أما القانون الانجليزى فالحل فيه مختلف تماما فهو يعتبر الطرف الذى استفاد من الظروف

السيئة التى وجد فيها الطرف الآخر قد ارتكب عملا مخالفا للأخلاق ويعتبر هذا العقد باطلا من أصله وغير ملزم للطرف المغبون دون حاجة لرفع دعوى لطلب الأبطال وذلك عقابا للمستغل على سوء نيته وعدم نقاء سريرته ومخالفته لقواعد الأخلاق والضمير النقى • كذلك يقضى القانون الانجليزى بحبس المدين المماطل والقادر على سداد دينه على عكس جميع التشريعات وهو فى هذا يماثل القانون الاسلامى تمام المماثلة •

هذه هى الملامح الرئيسية التى تميز القواعد الموضوعية لكلا القانونين الاسلامى والانجليزى عن غيرهما من النظم القانونية والتى تشير بوضوح الى سر عظمتها وتحقيقهما لأكبر قدر من العدالة والاستقرار وما ترتب على ذلك من تقدم وعزة ورخاء عاش فى ظلالها المسلمون الأوائل واستمتع بالعيش فى ظلالها أيضا الشعب الانجليزى •

والى اللقاء فى العدد القادم انشاء الله حيث نبدأ الكلام عن (العقد) فى كل من القانون الاسلامى والقانون الانجليزى •

حسن حسب الله

الايمان باليوم الآخر وأثره في السلوك

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الايمان باليوم الآخر أصل من أصول الايمان ، وركن من أركان السعادة ، وأساس من أسس الخير والبر والفلاح ، لقد سأل جبريل عليه السلام – رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشهد من الصحابة رضوان الله عليهم – عن الايمان ، فأجابه صلوات الله وسلامه عليه بقوله : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره (١) » فلا يصح ايمان العبد ، ولا يعتد به عند الله تعالى حتى يعتقد اعتقادا جازما بأن وراء الموت بعثا ونشورا ، وسؤالا وحسابا ، وثوابا وعقابا .

وفي منطق الحق أن الموت ليس نهاية المطاف ، ولا خاتمة الطريق ، ليس الموت فناء محضا ، ولا عدما مطلقا ، وانما هو انتقال من دار الى دار ، وتحول من حال الى حال .

لا يقبل الله ايمانا من أحد حتى يعتقد موقنا من قلبه اعتقادا لا يداخله شك ولا ريب – أن الله يجمع الأولين والآخرين ، والجن والانس ، والخلائق جميعا في يوم عظيم ، وموقف رهيب (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم (٢)) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (٣)) وهنالك يحاسبهم الله على أعمالهم ، ويجازيهم على أفعالهم التي قدموها في الحياة الدنيا ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر « فأما من طغى .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الشعراء .

(٣) من الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى •وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهـوى فان الجنـة هى المـأوى (١) » •

ان عقيـدة البعث والجزاء ، والثواب والعقاب ـ هى عقيدة الحق والعـدل والانصاف ، هى العقيدة التى يشـهد لها العقل ، ويوحى بها الفكر ، وتنطق بها الفطرة ، ان هـذا الذى يجحد البعث ، وينكر يوم الدين ـ انما يجعل الحياة (عبثا) لا معنى لهـا ، ليست فى نظره غير اخلاد للشهوات ، ولونا من ألوان معيشـة الحشرات ؛ أكل وشرب ، وبغى من القـوى على الضعيف ، ثم فناء ، وكأن لم يكن بنو الانسان شيئا مذكورا « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم (٢) » •

لا • لا • ان نتيجة الجحود بيوم الجزاء لأشد فسادا من هـذا ، فهى تجعل الحيوان والحشرة أسعد حالا من الانسان ؛ اذ ليس للحيوان فكر ، ولا تأمل ، ولا عقـل يشـقى به ، ولو تسـاوى الانسـان والحيوان والحشرة ، وانتهت جميعا الى الفناء ـ لكان الانسان أشقى من الحيوان بعقله ، وأتعس من الحشرة بتأمله وفكره •

انا نرى كثيرا من المصـلحين يلاقون فى الدنيـا أنواعا من الأذى والاضطهاد ، ونرى كثيرا من الأبرياء ، بل من الأنبياء والمرسلين ـ قـد قتل بغير ذنب ، واضطهد بغير جرم ، وعذب بدون جريرة ، فأين يلقى المجرمون جزاءهم ـ ان لم يكن بعث ولا جزاء؟ كيف يفلت السـفاحون والقتلة والظالمون من العدل الالهى ان لم يلقوا جزاءهم فى الحياة الأخرى ؟ « أفنجعل المسـلمين كالمجرمين • ما لكم كيف تحكمون (٣) » « أم حسـب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنو وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمـون (٤) » « أم

---

(١) الآيات من ٣٧ الى ٤١ من سورة النازعات •
(٢) الآيتان ١١٥ و ١١٦ من سورة المؤمنون •
(٣) الآيتان ٣٥ و ٣٦ من سورة القلم
(٤) آية ٢١ من سورة الجاثية •

نجعل الذين آمنو وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (١) » •

ان الحياة الدنيا لا تصلح أن تكون دار جزاء ؛ فهى دار زوال وفناء ، بمالها وما عليها ، والآخرة هى دار الدوام والبقاء ، وبذا كانت الدنيا دار العمل ، والآخرة دار الجزاء ، كانت الدنيا دار زرع ، والآخرة دار حصاد؛ فمن يزرع اليوم يحصد غدا ، ومن يزرع وردا يقطف وردا ، ومن يزرع الحنظل لا يجنى سوى المر والعلقم•

من يزرع الشر يحصد فى عواقبه
ندامة ، ولحصـــــد الزرع ابان

لقد أجمعت الشرائع الالهية كلها على تقرير عقيدة البعث والجزاء ، فليست تلك العقيدة بدعا فى شرعة الاسلام ، وانما هى شريعة الله التى أوحاها الى أنبيائه ورسله من قديم الزمان •

لما أهبط الله آدم وزوجه من الجنة قال لهما ما حدث به القرآن الكريم : « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى • ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (٢) » •

ومن قول ابراهيم عليه السلام ـ لقومه ـ فى ثنائه على ربه : « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين (٣) » •

وهكذا نجد أن هذه العقيدة تغلغلت فى الناس جيلا بعد جيل ، وقررتها شرائع السماء شريعة بعد شريعة ، حتى من الله على العالم ببعثة خاتم الأنبياء ، وسيد الرسل : سيدنا محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فكان من أول المبادىء التى دعا الى الايمان بها توحيد الله تبارك وتعالى ، والايمان بجميع الأنبياء والمرسلين،والتصديق بالبعث والجزاء، كما عنى به القرآن الكريم ؛ فقد أشار القرآن الى سر البعث وحكمته ،

---

(١) آية ٢٨ من سورة ص •
(٢) الآيتان ١٢٣ و ١٢٤ من سورة طه •
(٣) الآية ٨٢ من سورة الشعراء •

كما أشار الى يسره على الله وسهولته، وأقـام من البراهين ما فيـه اقنـاع للعاقلين ، وكفاية للمنصفين .

لقـد أفاض القـرآن الـكريم فى ذكر مشاهد القيامة ، وأهوال الحشر والنشر، وصور العذاب الأليم ، والنعيم المقيـم ، حتى لا يذهـل البشر وراء مأربهم ومطالبهم عن يوم الحساب ، وحتى لا يستغرقوا فى آلامهم وآمالهم، فينسوا المستقبل الضخم الذى ينتظرهم عند الله ؛ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعيم مقيم ، وأما الذين كفروا وكذبوا بلقاء الله فلهم النار بما فيهـا من جحيم ، وعذاب اليم ، ولا شـفاعة هنـاك ، ولا فدية من العذاب ، ولا اختلال قيد شـعرة فى ميزان العـدالة الدقيق ، ويومئذ لا يمكن تـدارك ما فـات ، ولا ينفع بيع ولا شراء ، ولا حسب ولا نسب ، ولا صـداقة ولا محبـة « يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة (١) » وانما هى الحسنات والسيئات « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمـــل مثقال ذرة شرا يره (٢) » يوم «لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جـاز عن والده شيئا (٣) » .

ولمـا دعـا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ـ الى تلك العقيدة ـ قابله المشركون بالسخرية والاستهزاء ، ولم يكن أمامهم من دليل الا مجرد الاستبعاد ، أو حب التمرد والعناد ، فكانوا يقولون : « أئذا متنا وكنا ترابا وعظـاماأئنـا لمبعـوثون. أو آباؤنا الأولون (٤) » ؟ كيف نعود الى الحياة بعد أن صرنا ترابا ، وبليت أجسامنا ؟ وتفرقت أجزاؤنا ، وتفتت عظامنا ، أئذا متنا وكنا ترابا نرجع الى الحياة مرة أخرى ؟ ذلك رجع بعيد ، فرد الله عليهم بأن الذى خلقهم أول مرة قادر على اعادتهم مرة أخـرى ، فان الاعادة ـ فى نظر العقل ـ أسهل من البدء ، « وهو الذى يبـدأ الخلق ثم

---

(١) من آية ٢٥٤ من سورة البقرة .
(٢) الآيتان الأخيرتان ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .
(٣) من آية ٣٣ من سورة لقمان .
(٤) الآيتان ٤٧ و ٤٨ من سورة الواقعة .

يعيــــده وهو أهون عليــه وله المثــل الأعلى في السـموات والأرض وهــو العزيز الحكيم (١) » ٠

جاء المشرك أبي بن خلف ـ الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ـ بعظم بال ، وجعل يفته بيده ، ويقول: يا محمد ، أترى الله يحيى هذا بعد مارم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، ويبعثك ويدخلك جهنم، ونزل قول الله عز وجل : « أو لم ير الانســان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • وضرب لنـا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم• قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم • الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نـارا فاذا أنتم منـه توقدون•أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقـادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • انمـا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون• فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون (٢) » ٠

كذلك وضح القرآن العظيم أن الله تعالى القـادر على احياء الأرض الميتة بالنبـات ـ قادر على احيـاء الأموات « ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد•والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعبـاد وأحيينا به بلدة ميتـا كذلك الخـروج (٣) » « والله الذى أرســل الرياح فتثير سحابا فسـقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعدموتها كذلك النشور (٤)» « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمتــه حتى اذا أقلت سـحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنـا به المـاء فأخرجنا به من كل الثمـرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (٥) » ٠

سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما مررت بوادي قومك ممحلا (جدبا)؟ قال : بلى ، قال : ثم مررت به يهتز خضرا ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك

---

(١) آية ٢٧ من سورة الروم ٠

(٢) الآيات من ٧٧ ـ الى ٧٧ ـ الى ٨٣ من آخر سورة يس ٠

(٣) الآيات من ٩ الى ١١ من سورة ق ٠

(٤) الآية ٩ من سورة فاطر .

(٥) الآية ٥٧ من سورة الاعراف

يحيى الله الموتى ، وذلك آيتـه فى خلقه •

نرى فى القرآن الكريم ـ وبخاصة فى الآيات والسـور المكية ـ آن الله تعالى يلفت أنظارنا فى الكون الى آيات قدرته ، وأدلة علمه وحكمه ورحمته؛ ان الله تبارك وتعالى يوجد أمام أعيننا فى كل ساعة خلقا جديدا من النبات والانســان والحيوان ، فكيف يرى العاقل ذلك ، ثم يتردد فى أمر البعث؟ « أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد (١) » ان أمامنا فى واقع الحيـاة ما هو أعظم من احيـاء الموتى ، ألا وهو خلق السـموات والأرض ، فكيف يسلم المنصف بقدرة الله على ذلك ، ثم يجادل فى شـأن البعث • « لخلق السموات والأرض أكبر من خـلق النـاس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢) » •

ان الايمان بالبعث والجزاء والثواب والعقـاب ـ يدفع العبـد الى عمـل الخيرات ، ويحول بينه وبين ارتكاب المنكرات ، ان هذه العقيدة هى مفتاح كل خير ، ومصدر كل سعادة ، وسبب لهداية الأفراد والجماعات ؛ لأنها تدفع المؤمن الى أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسـب ، وأن يزن عمله قبل أن يوزن عليـه ، انهـا تجعل فى قلب المؤمن ، رقابة دائمة ، وضميرا يقظا ، وأملا واسعا ، وحذرا مستمرا ، انها تدفعه الى العلم النافع ، والعمل الصالح « أم من هو قانت آناء الليـل سـاجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمـة ربه قل هل يسـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انمـا يتذكر أولو الألباب (٣) » •

لا شـك أن هـذه العقيـدة تهب المؤمنين سموا فى المقاصد ، وفناء فى سـبيل المجـد ، وتعـلمهم الصـبر والاحتمال ، وتدفع بهم فى صـدور الأحداث •

لقد انتصر المسلمون على أعدائهم بفضـل هـذا الايمان والاعتقاد ، مع ما كان عليـه أعداؤهم فى كثير من الغزوات والحروب من كثرة، أو قوة،

---

(١) الآية ١٥ من سورة ق .
(٢) الآية ٥٧ من سورة غافر •
(٣) آية ٩ من سورة الزمر •

فالأمر الذى كان للمسلمين وحدهم وقد فقده أعداؤهم ـ قد كان مركزه فى قلوبهم ، فى ايمانهم،فى عقائدهم: عقائد تهيب بهم الى احدى الحسنيين: اما حياة ماجدة عزيزة ، واما موت ، فلقاء لربهم ، واستبشار بما أعده لهم فى جناته .

ولننظر ما خلقت العقيدة الصالحة من «عمر بن الخطاب رضى الله عنه» . لقد كان ناشئا على القسوة والعنف ، حتى لقد وأد بنتا من بناته فى الجاهلية، فلما أسلم ، وخالطت العقيدة شغاف قلبه صار من أرأف الناس، وأرحمهم بعباد الله ، فهو ينضج الطعام للأطفال الجياع ، وينفخ النار لامرأة فقيرة .

أما الذين لا يؤمنون بالآخرة فانهم يكونون مصدرا للشر والبلاء فى هذا العالم ، فهم لا يعطفون على أحد ، ولا يرحمون أحدا ، ولماذا يعطفون على البائسين ، أم لماذا يرحمون المساكين ؟ أيخافون من لقاء الله وهم يجحدونه ، أم يطمعون فى رحمة الله وهم ينكرونها ؟ « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين (١) » انهم يكفرون بربهم ؟ اذ يتهمونه بالعجز والقصور ، ويتخبطون فى حياتهم ، فيرون الباطل حقا ، والحق باطلا « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون (٢) » .

انهم لا يصدقون فى قول ، ولا يخلصون فى عمل،أو لا يؤتمنون على وظيفة ، ولا يصلحون لبيع ولا شراء ، ولا أخذ ولا عطاء « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين (٣) » .

---

(١) الآيات الثلاث الأولى من سورة الماعون .
(٢) الآيتان ٤ ، ٥ من سورة النمل .
(٣) الآيتان الست الأولى من سورة المطففين .

ألا انهـا العقـائد والايمان تذكى النفوس ، وتشفى العالم من أمراضـه الاجتماعية ، وتدفع أصحابها الى حيث معاقل المجـد ، الى حيث العزة التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله : «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (١)» .

ان صاحب العقيدة ليرسل عقيـدته فى أقطار الدنيا ، وهو يهتف :

ولست أبالى حين أقتـل مسـلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وان صاحب العقيدة ليأتى بجلائل الأعمـال ، ويقتحم ميادين البطولة ، وهو يرتل :

« قـل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنـا هو مولانا وعـلى الله فليتـوكل المؤمنون (٢) » ؟

عنتر احمد حشاد

(١) من آية ٨ من سورة المنافقون .
(٢) آية ٥١ من سورة التوبة .

الشرك الخفى

للأستاذ على عبد العظيم

ان الديانات السماوية جميعها جاءت للقضاء على عبادة الأصنام والأوثان ، وللدعوة الى عبادة الله الواحد القهار ، دون شريك أو مثيل؛ ولما جاء الاسلام بقوته الروحية وحيويته الدافقة ، وحجته الدامغة قضى القضاء الأخير على عبادة الأصنام، وأعلن الوحدانية فى أسمى معانيها وأنقى مجاليها ، وأروع صورها ، فأعلن تنزيه الله عن الشريك والمثيل ، وعن الوالدية والولد ؛ فانه سبحانه « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » وهو جل وعلا الصمد الذى « لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

والتوحيد لا يتم الا بالاعتقاد الصادق بأن الله وحده هو القائم على كل نفس بما كسبت ، وأن بيده النفع والضر والموت والحياة . وأن زمام الكائنات جميعها بيده . فهى منه واليه ، وأنه لا حول الا حوله . ولا قوة الا قوته ، ولا طول الا طوله ، وأنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويرزق من يشاء بغير حساب وأنه لا مانع لما يعطى ولا معطى لما يمنع ، وأنه عنده « مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » ؛ « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » .

واذا امتلأ قلب المؤمن بعقيدة التوحيد وجه عبادته الى الله وحده هاتفا بقلبه ولسانه : « ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب

للعالمين • لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين » •

وكما تتسلل الجراثيم الفتاكة الى الجسم فتسلبه صحته ،تتسرب الأوهام الخداعة الى النفس فتفسد عليها عقيدتها ، وتشوب ايمانها بالضعف ، واخلاصها بالريب والشكوك الا من عصم الله والايمان الصادق العميق لا يتم الا بمحبة الله والاخلاص له وحده بحيث لا يماذج حبه لله حب الدنيا أو السلطة والجاه أو المال والزوجة والأبناء قال تعالى : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »ومحبة الله تستدعى محبة رسوله الذى أرشدنا اليه وبلغنا عنه ، وعلمنا كيف نعبده ونستعين به ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » رواه الشيخان كما رويا عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان فى قلبه : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » • ومن تمام محبته لله أن يحب اخوته فى الايمان فقد ورد فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ؛ وبهذا تكون محبة الله مصدر كل حب ، ومنبع كل عاطفة روى أبو داود والضياء عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » •

وعلامة الايمان الكامل أن ينتج عملا صالحا ، فان العمل الصالح هو ثمرة الايمان الصادق ، ولهذا جاءا متلازمين فى معظم آيات القرآن ، قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقال جل شأنه : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » وقال عز من قائل : « والعصر • ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » •

فاذا تسلل حب الذات أوحب المال الى قلب المؤمن ذكر قول الله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، وملك عليه عقله ووجدانه قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » ، واذا شغلته أمواله وأولاده عن أداء حق الله ذكر قوله تعالى :« يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم » وتدبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصيته لابن عباس : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك. واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وعلى المؤمن أن يعلم أن الايمان لابد أن يتعرض للفتنة والاختبار فاذا ثبت أمام الشدائد والمحن كان قويا عميقا مباركا فيه ، واذا انهار أمام الفتن والأحداث كان ايمانا مدخولا وعقيدة مدعاة ، قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

ولقد أعطانا القرآن الكريم أمثلة رائعة للايمان الصادق القوى العميق فيما سرده علينا من تاريخ الأنبياء. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ومن هذه الصور المثالية العليا موقف ابراهيم عليه السلام حينما رزقه الله على الكبر بابنه اسماعيل عليه السلام فانشرح به صدره ، وقرت به عينه ، ورأى فيه امتدادا لحياته ، وذكرا باقيا بعد وفاته ، واذا بأمر من العلى الأعلى يدعوه الى أن يحمل ابنه وزوجته ـ وهما أحب اليه من نفسه ـ ويضرب بهما أشهرا فى جوف الصحراء حتى يلقى بهما فى واد غير ذى زرع لا طعام فيه ولا ماء ولا أى مصدر من مصادر الحياة ، فلم يتردد ، ولم يتلكأ ، ولم يراجع ربه فيما أمره

به ، بل نفذ أمر ربه ، وتركهما فى هذا المكان المقفر عرضة للموت ظمأ وجوعا . أو لافتراس حيوان كاسر أو وحش ضار وهما الضعيفان المستضعفان . وبعد سنوات أمره الله أن يعود ليراهما وقد هيأ الله لهما سبل الحياة والأمان فأطعمهما من جوع ، وآمنهما من خوف ، فى ظل قبيلة جرهم التى استبشرت بهما خيرا بسبب تفجير بئر زمزم تحت قدمى الطفل النجيب فأقامت الى جوارهما فى هذا المكان ، ثم صدر توجيه آخر من العلى الأعلى يوحى الى ابراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه بيديه ليفصل رأسه عن جسمه فما تردد ولا تلكأ ولا راجع ربه وأعد السكين والحبل وأسرع لينفذ أمر ربه ،وكاد يذبح ابنه دون مراجعة أو اشفاق ، ومن العجيب أن يوصى الطفل أباه بتنفيذ مشيئة الله هاتفا به : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » . والتزم الأدب فعلق وقوع الصبر بمشيئة الله .

وهكذا نجد فى حياة كل رسول مواقف رائعة فى رسوخ العقيدة وقوة الايمان « أولئك الذين هدى فبهداهم اقتده » . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجه : « أشد الناس بلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه ، فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » .

وعلى المؤمن أيضا أن يعرف أن الذنوب تراكم على القلوب فاذا لم يبادر أصحابها بالتوبة والانابة وتطهير النفوس انطمست معالم الايمان فى قلوبهم وران عليها الضلال فيصبحون ممن قال الله فيهم : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون » روى أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم عن النبى صلى الله عليه وسلم: « ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء ، فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه ، وهو الران الذى ذكر الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

وإذا كان المرض يتسلل الى الصحيح ، والضعف الى القوى ، والخطأ الى الذكى فان ظلال الشرك وسحب الضلال قد تتسرب الى ضياء الايمان فتحجبه وتتراكم فتبدده ، ولما نزل قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » فزع الصحابة الى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلين : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «ليس بالذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (ان الشرك لظلم عظيم) انما هو الشرك » فالشرك اذا تسلل الى الايمان عاث فيه وأفسده ، ومن هنا كان الايمان فى النفوس الضعيفة كثيرا ما يلتبس بالشرك كما قال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فمن المؤمنين من يصلى ومن يصوم ومن يزكى ويحج ولكن أهواءه تتغلب على ايمانه ، وشهواته تفسد عليه يقينه ، وحب الدنيا ومتاعها يضعف عقيدته ، ولهذا نبهنا القرآن الكريم فى كثير من آياته البينات الى أن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » — « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » .

ولقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من تسلل الشرك الخفى الى ايماننا فقال — فيما رواه الامام أحمد والطبرانى — : « يأيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل » وروى ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف على أمتى الاشراك بالله ، أما انى لست أقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ، ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية » وروى أحمد والبيهقى وابن أبى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر : قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل : اذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا » وروى ابن ماجه والحاكم والبيهقى عن النبى صلوات الله وسلامه عليه « اليسير من الرياء شرك » وتذاكر بعض الصحابة أمر المسيخ الدجال فقال صلى الله

عليه وسلم : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيخ الدجال ؟ » فقلنا بلى يارسول الله فقال : « الشرك الخفى ، أن يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل اليه » رواه ابن ماجه والبيهقى .

واذا كانت الأصنام قد انتهى زمانها فقد بقيت لدينا أصنام عديدة تستهوى ضعاف الايمان فتفتنهم وتخرجهم من ربقة الايمان الصادق العميق ، ولا يزال يصدق فيهم ما حكاه القرآن الكريم : « أأفكا آلهة دون الله تريدون » ؟ فهناك صنم اسمه : المال : وصنم اسمه : المنصب والجاه ، وصنم اسمه المرأة ، وصنم اسمه حب الشهرة ، وهناك من يعبد ذاته ، ومن يعبد جماعته ، ومن يعبد رؤساءه ، ومن يعبد لذاته وشهواته ،ومن يعبد مذهبا من المذاهب الهدامة ، أو جماعة من الجماعات المنحلة ، وسنتحدث عن بعض هذه الأصنام المعبودة والآلهة المزعومة فى الأحاديث التالية ان شاء الله ؟

للحديث بقية .

على عبد العظيم

هل فى القرآن حروف زائدة ؟ (٤)

للدكتور على حسن العمارى

١٤ ـ اللام (لام الجر) تزاد هذه اللام فى مواضع جاء منها فى القرآن الكريم قوله تعالى « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » (١) .

ويسمون هذه اللام (لام التقوية) فهى مزيدة لتقوية عامل ضعف بتأخره ومن هذا القبيل اللام فى قوله تعالى : « ان كنتم للرؤيا تعبرون » (٢) .

وقد تزاد لتقوية عامل ضعف بسبب كونه فرعا فى العمل نحو قوله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم » (٣) ونحو قوله سبحانه « نزاعة للشوى » (٤) وقد اجتمع التأخر والفرعية فى قوله تعالى : « وكنا لحكمهم شاهدين » (٥) .

واختلف فى قوله تعالى : « أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون » (٦) فقيل : اللام زائدة وما فاعل : وقيل : الفاعل ضمير مستتر راجع الى البعث أو الاخراج فاللام للتبيين ، وقيل : هيهات مبتدأ بمعنى البعد والجار والمجرور خبر (٧) .

---

(١) الاعراف ١٥٤
(٢) يوسف من آية ٤٣
(٣) البقرة ١٠١
(٤) المعارج ١٦
(٥) الأنبياء من آية ٧٨
(٥) المؤمنون ٣٥ ـ ٣٦
(٧) مغنى اللبيب ج ١ ص ١٨٥

كما اختلف فى اللام فى قوله تعالى : « قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون » [1] فقال المبرد ووافقه على رأيه جماعة : أنها زائدة .وخالفه الجمهور. المبرد فسر (ردف) بتبع ولحق ، والآخرون ضمنوا ردف معنى اقترب .

وقد ذكر الزمخشرى الوجهين فى هذه الآية ، قال : (ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى (ولا تلقوا بأيديكم) ، أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم ، وأزف لكم ، ومعناه تبعكم ولحقكم .

ولم يرجح أحد الوجهين على الآخر .

وعبارة ابن هشام فى المغنى تفيد أنه لا يقول بالزيادة ، وهو رأى حسن ، فطالما أمكن تخريج الآية على أصالة الحرف فان المصير الى ذلك أولى وأجمل .

وذكر الزمخشرى فى قوله تعالى : (ان كنتم للرؤيا تعبرون) وجوها :

١ - أن تكون اللام زائدة (لأن العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه ، فعضد بها كما يعضدد اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة .

٢ - يجوز أن يكون (للرؤيا) خبر كان ، كما تقول : كان فلان لهذا الأمر، اذا كان مستقلا به متمكنا منه ، وتعبرون خبر آخر ، أو حال .

ويبدو أن هذا التوجيه يجعل العبارة مفككة ، فالذى يتبادر الى الذهن منها ، هو تعبير الرؤيا ، وأما ان كنتم للرؤيا ، فغير معهود ، ولا سيما أن الكلام لو اقتصر عليه لم يفد المراد منه ، فكان الخبر الثانى ضرورى وليس كذلك الكلام اذا تعددت فيه الأخبار فمن التكلف الشديد قبول هذا الوجه .

٣ - أن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا .

وهذا الوجه أيضا ظاهر التكلف .

---

(١) النحل ٧٢ .

٤ ـ أن تكون (للرؤيا) للبيان كقوله : « وكانوا فيه من الزاهدين »

واقتصر الفخر الرازى على وجهين من هذه الوجوه : نسب الى البعض القول بزيادة اللام ، ونقل عن الزمخشرى القول بأن (الرؤيا) خبر كان ونظر بقولهم : كان فلان لهذا الأمر اذا كان مستقلا به ، متمكنا منه .

ومع ذلك فهذا الوجه غير مقبول لما ذكرته آنفا .

والقول بالزيادة فى مثل هذا التعبير لا ينشأ عنه أى محذور ، فهذا صنيع العرب فى كلامهم ، وتقوية العامل اذ ضعف بحرف الجر مما يحفظ على العامل قدرته على العمل .

وعلى هذه الآية يقاس : (هم لربهم يرهبون) ولم يذكر فيها الزمخشرى وجها غير القول بزيادة اللام ، ومن عجب أنه قال : ونحوه للرؤيا تعبرون أى فى دخول اللام لتقدم المفعول ، لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا (وهذه عبارته) .

وزاد أبو السعود أن تكون لام العلة ، والمفعول محذوف ، أى يرهبون المعاصى لأجل ربهم لا للرياء والسمعة .

وهو أيضا من باب التكلف ، لأن (يرهبون) فعل متعد ، ومفعوله موجود ، فما معنى أن نبحث عن مفعول آخر ، ونحمل الكلام على معنى يبدو **أنه لم يسق لأدائه** .

١٥ ـ لا . قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) : (وقد تزاد لا فى الكلام ، والمعنى : طرحها لاباء فى الكلام أو جحد ، كقول الله عز وجل : « ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك » (١) أى ما منعك أن تسجد فزاد فى الكلام (لا) لأنه لم يسجد .

وقوله سبحانه : « وما يشعركم أنها اذا جاءت لايؤمنون » (٢) يريد : وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون ، فزاد (لا) لأنهم لا يؤمنون اذا جاءت .

ومن قرأها بكسر (ان) فانه يجعل الكلام تاما عند قوله : (وما يشعركم) ثم يبتدىء فيقول : **« انهم لا يؤمنون »**

---

(١) الاعراف ١٢ .
(٢) الانعام ١٠٩

وقوله سبحانه : « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » (١) يريد : أنهم يرجعون ، فزاد (لا) لأنهم لا يرجعون .

وقوله سبحانه : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله » (٢) يريد : ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون ، فزاد (لا) فى أول الكلام ، لأن فى آخر الكلام جحدا .

وأما زيادة (لا) فى قوله : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » وقوله : « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق » و «لا أقسم بهذا البلد » فانها زيدت فى الكلام على نية الرد على المكذبين ،كما تقول : لا ، والله ، وما ذاك كما تقول ، ولو قلت : والله ما ذاك كما تقول لكان جائزا غير أن ادخالك (لا) فى الكلام أولا أبلغ فى الرد .

وكان بعض النحويين يجعلها صلة ، ولو جاز هذا لم يكن بين خبر فيه الجحد ، وخبر فيه الاقرار فرق .

وقد اختلف العلماء كثيرا فى القول بزيادة (لا) وبخاصة فى هذه الآيات التى ذكرتها ، وقد نسب القول بالزيادة الى الكسائى والفراء والزجاج وأكثر النحاة .

وفيما نقلته عن ابن قتيبة ما يشير الى هذه الخلافات .

والقائلون بالزيادة وأكثرهم من علماء النحو يرون أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، والعرب يفعلون ذلك ، ودائما يلتمسون معنى للحرف الزائد لأنه لا قائل منهم بأن فى القرآن حرفا جىء به لغير فائدة .

والذين يمنعون الزيادة بعامة يرون أن هذا صنيع ينبغى أن ينزه عنه القرآن الكريم .

والذين يمنعونها فى لا ، وخاصة فى بعض المواضع التى قيل بالزيادة فيها يقولون انه ينبغى أن ننزه القرآن أن يذكر حرف الجحد ، وهو يريد الاثبات .

---

(١) الأنبياء ٩٥

(٢) الحديد ٢٩

وقد خصص الشيخ تاج أكثر بحثه الذى أشرت اليه آنفا لنفى زيادتها ، وذكر فيه أكثر ما قاله النحاة والمفسرون ، وناقش أقوالهم مناقشة جادة مفيدة ، ولكن أحببت ـ هنا ـ أن أقف فى موضعين :

الموضع الاول :

فى الكلام على زيادة (لا) فى قوله تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد » .

١ ـ فقد ذكر تخريج الطبرى وجماعة من المفسرين وهو أن هنا فعلا محذوفا يصح معه المعنى ، ويدل عليه المقام ، والتقدير : ما منعك من السجود فأحوجك ألا تسجد .

٢ ـ والفخر الرازى أطال القول فى زيادة هذا الحرف ، وقد قال عند النظر فى هذه الآية : (ظاهر الآية يقتضى أنه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود ، وليس الأمر كذلك ، فان المقصود طلب ما منعه من السجود ،وقد عبر الرازى عن هذا بأنه اشكال اختلف فى طريق حله العلماء .

وحل الرازى لهذا الاشكال أن (منع هنا بمعنى (دعا) ، فكأنه قيل : (ما دعاك الى أن لا تسجد) .

وهذا ما ردده السكاكى فى باب المجاز المرسل حيث قال : (وللتعلق بين الصارف عن فعل الشىء وبين الداعى الى تركه يحتمل عندى أن يكون « منعك » فى قوله علت كلمته : « ما منعك ألا تسجد » مرادا به : ما دعاك الى أن لا تسجد وأن يكون (لا) غير صلة ، قرينة للمجاز ، ونظيره : « ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى » [1] .

ووضح ذلك المفسر أبو السعود حين قال : وقيل الممنوع عن الشىء مصروف الى خلافه ، فالمعنى : ما صرفك الى أن لا تسجد .

وواضح أن الكلام حينئذ من قبيل المجاز المرسل الذى علاقته الضدية .

واختار الشيخ تاج هذا الوجه غير أنه رأى العدول عن القول بالمجاز الى القول بالتضمين الذى هو ـ فى رأيه ـ من أقوى ما امتازت به بلاغة القرآن وأجمله وأبرعه .

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .

فالفعل (منع) أشرب معنى الفعل حمل أو بعث .

وبهذا الذى سماه الشيخ التضمين، وكان يسميه من قبله المجاز حل الاشكال فى آية : « ما منعك ألا تسجد » . وفى آية : « ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن » .

ولكن ألا يمكن أن يقال : ان القول بأن (منع) بمعنى (حمل) سواء كان مجازا أو تضمينا لا يخرجنا من الاشكال ؟!

ذلك أن الذين رفضوا القول بالزيادة احتجوا بأنه لا يمكن أن يجىء الاثبات فى صورة النفى ، فيقال لهم : وهل يصح أن يذكر الفعل الذى يدل على النفى ، ويراد به الفعل الذى يدل على الاثبات .

واذا سلمنا لكم أن منع هنا معناها حمل أمكننا أن نأتى لأى فعل فى القرآن فنقول : المراد به ضده ، ويكون قولنا هذا كقولكم .

وأيضا . نسأل : ما الحكمة فى هذا المجاز ؟ أو فى هذا التضمين ؟ ولماذا لم يقل القرآن الكريم : (ما حملك) ، وهل هناك سر بلاغى لهذا العدول عن اللفظ الى ضده .

ان السكاكى نفسه حين ذكر الاستعارة ، والتشبيه اللذين يستعمل فيهما اللفظ فى ضده من مثل قول الشاعر :

نقريهم لهذميات تقد بها
ما كان خاط عليهم كل زراد

وفى قول الآخر :

تحية بينهم ضرب وجيع .

ذكر أن هذا يقصد به التهكم .

فما الذى قصد من المعانى البلاغية باستعمال (منع) مكان (حمل) ، سواء كان ذلك من قبيل المجاز أم من قبيل التضمين ؟

ثم ان الذى نعرفه فى أساليب التضمين التى جاءت فى كلام العرب أو فى القرآن الكريم أن الفعل يضمن معنى فعل يناسبه ـ كتضمين (يخالفون) معنى يخرجون فى قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والمخالفة والخروج معنيان متلازمان .

اما أن يضمن الفعل معنى فعل مضاد له فلا نكاد نعرفه .

هذا .وقد ذكر الخطيب القزوينى فى الايضاح بعد أن نقل كلام السكاكى هذا ـ نقلا عن الراغب الأصفهانى ـ أن بعض المفسرين قال : ان معنى « ما منعك » ما حماك ، وجعلك فى منعة منى فى ترك السجود ، أى فى معاقبة تركه .

قال : وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيب بأن يقول أنا خير منه ، فان ذلك ليس بجواب على ذلك الوجه ، وانما هو جواب من قيل له : « ما منعك أن تسجد » .

ويمكن أن يقال فى جواب ذلك : ان ابليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلا الى الجواب عنه ، اذ لم يكن له من كالىء يحرسه ويحميه عدل عما كان جوابا كما يفعل المأخوذ بكظمه فى المناظرة (١) انتهى كلام الراغب .

قلت : ورأى هذا المفسر وجيه ، والاعتراض عليه محل نظر ، والاجابة عنه مجرد محاولة فيها بعض الطرافة .

وما المانع أن نقول أن قول ابليس : (أنا خير منه) جواب عن سؤاله (ما حماك) ؟ .

وكأنه قال : ان اعتقادى فى فضلى عليه جعلنى فى منعة وعزة ، والاعتزاز بالنفس ، والكبرياء ، واعتقاد التفرد عند الانسان تحميه فى ظنه من أن يخضع لعدوه ، فهى ـ فى نظره ـ سلاح قوى ، يحارب به فى ميدان (الحروب النفسية) .

فاذا كان لابد من القول بأصالة (لا) فى هذا الموضع فأحسن ما يقال ـ فى رأيى ـ هو تخريج هذا المفسر ذلك لأنه يتمسك بمعنى لغوى صحيح متجنبا المجاز والتضمين ، وما يوجه اليهما من سؤالات .

الموضع الثانى :

الذى أحببت أن أقف فيه مع الشيخ تاج هو حديثه عن زيادة لا وعدم زيادته فى قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » .

فقد قال كثير من العلماء بزيادة (لا) الثانية فى هذا الموضع ، وقد

(١) الايضاح فى علوم البلاغة ص ٢٧٦ جـ ٢ مطبعة السنة المحمدية .

استعرض فضيلة الشيخ تاج أقوال العلماء في ذلك ، ثم وقف عند رأى للزمخشري يقول بأصالتها وخلاصته أن المراد بالحسنة ــ هنا ــ الجنس ، وكذلك المراد بالسيئة ، فكأن القرآن الكريم يقول : ولا تستوى الحسنات، ولا تستوى السيئات ، أي أن الحسنات في ذاتها متفاوتة ، وكذلك السيئات متفاوتة في ذاتها ،ويجيء بالأولى عدم تساوى الحسنات والسيئات .

وهو ملحظ قد يلحظ ، ولكنه غير المتبادر من التعبير ، فان الذى يسمع هذه العبارة من أرباب اللغة يتبادر الى فهمه أن المراد نفي استواء الحسنة والسيئة .

وقد يقال : من أين حكم أن نفي استواء الحسنات في ذاتها ، ونفي استواء السيئات في ذاتها ، يتبعه بالأولى نفي استواء الحسنة والسيئة ؟ ان هذا الأولى نفهمه نحن استنادا الى ما يتبادر الى أذهاننا من التعبير .

فمثلا : لو قال انسان : لا يستوى الطلاب ولا تستوى الطالبات على معنى أن الطلاب في ذواتهم متفاوتون ، والطالبات في ذواتهن متفاوتات . هل يفهم من ذلك أنه لا يستوى الطالب والطالبة ؟

ان التعبير في ذاته اذا أريد منه ما قاله الزمخشري ، وأيده فيه الشيخ تاج لا يعطي هذه الأولوية ، وانما يعطي حكمين منفصلين : الحسنات متفاوتة ، والسيئات متفاوتة . فاذا أردنا الحكم بأفضلية الحسنة على السيئة لزمنا تعبير آخر .

ثم ان الشيخ رأى أن يستعين بهذا الفهم في قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (١) .

فرأى أن (لا) لم تكرر في الجزء الأول من الآية لأنه لا يراد نفي استواء الأعمى في نفسه ، ولا نفي استواء البصير في نفسه ، ولذلك لم يصرح بالنفي في المقابل مادام المقصود هو مجرد نفي التساوى بين الأمرين المتقابلين .

---

(١) فاطر ١٩ ــ ٢٢ .

أما بقية هذه الآيات فهى على نحو ما قيل فى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) .

وذلك أنه اذا كان فيها تقابل بين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، وكان مرادا أن ينفى الاستواء بين كل متقابلين ، فان هناك معنى آخر يقتضيه التصريح بالنفى فى ثانى المتقابلين ، وهو معنى لا يعارض ذلك المراد ، بل يتبعه بالطريق الأولى .

وذلك أن الظلمات الحقيقية الحسية متعددة متفاوته بالقوةوالضعف والشدة والخفة ، وكذلك الظلمات المعنوية التى جعلت تلك تمثيلا لها — وهى الضلالات هى أنواع متفاوتة من غير شك .

وكل من النور الحسى المعهود ، والمعنوى الذى هو الهداية والرشاد له أفراد متفاوتة أيضا بالقوة والضعف .

ومثل ذلك يقال فى الظل والحرور ، وهما تمثيل للثواب والعقاب ، وكذلك الحال فى الأحياء والأموات ،وما جعل الأحياء والأموات تمثيلا لهم ، وهم المؤمنون والكفار .

واذن فالمراد نفى استواء كل واحد من هذه المتقابلات فى نفسه ، ثم نفى استوائه ومقابله بالأولى .

وقد عاب الشيخ على الزمخشرى أنه لم يعرض هنا لرأيه الذى ذكره فى آية : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » .

والزمخشرى أدق نظرا من الشيخ .وهو رجل ذو ذوق وبيان فى العربية ولعله أدرك أن ما صار اليه الشيخ مزق الآيات تمزيقا فجعل المراد من الأولى نفى الاستواء بين المتقابلين ، وفى باقى الآيات نفى تساوى كل من المتقابلات فى ذاته أولا .

واذاكان الأعمى والبصير لا تتفاوت أفرادهما الحسية ، فان أفرادهما المعنوية متفاوتة ، فعلى طريقة الشيخ : المراد من الأعمى هنا الضال ، ومن البصير المهتدى ، ولا شك أن أفراد الضال والمهتدى متفاوتة .

وهل لو قيل لا يستوى العميان ولا يستوى البصراء يعجزنا القول ان أفراد كل منهما متفاوتة .

والعمى أنواع ، وكذلك البصر أنواع .

أعمى ضعيف الاحساس بالأشياء ، وأعمى قوى الاحساس وبينهما درجات في القدرة على الاحساس بالحياة .

وفي البصراء الأعشى والأعور وزرقاء اليمامة .

وكذلك فعل الشيخ في قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء » فقد جعل نفى التساوى في أول الآيتين بين المتقابلين ، ثم جعله بين كل من المتقابلين في النفى ، فعرض الآية للتمزيق ، وهو ما يأباه الذوق العربى .

وعندى أن القول بزيادة الحرف أولى من هذا التكلف الذى يفتح أبوابا للاعتراض .

هذا . ولعلنا من هذا العرض قد وضح لدينا آراء بعض العلماء في القول بالزيادة وعدمها ، ومع ذلك نزيد الأمر ايضاحا فنذكر ما وقفنا عليه من وجهات نظر بعض العلماء في هذه القضية .

د . على حسن العمارى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

٦١ - ولا يفرقون بين البغاء بضم البـاء ، والبغـاء بكسرها ، والبغى بفتحها ، وكلها مصادر للفعل بغى .

فالأول معناه : الطلب ،تقول : بغيت الشيء أبغيه بغاء ، وبغية بضمهما ، وبغية بالكسر اذا طلبته ، فأنت باغ ، وهم بغاة ، وبغيان بضمهما ، كراع ، ورعاة ، ورعيان ومنه قوله جل شأنه: « قل أغير الله أبغى ربا » .

أما الثانى فمعناه : الفجور والزنى: تقـول : بغت الجارية تبغى بغـاء فهى بغى وزان غنى اذا كـانت طلـوبا للرجال ، وهن بغايا ،ومنه قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وأما الثالث فهو : الاستطالة والظلم والعـدول عن الحق ، ومنـه قوله سـبحانه : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهـم » ، وقوله : « انمـا بغيكم على أنفسكم » .

٦٢ - ولا يفـرقون بين السـين وسوف ، وكلتاهما مختصة بالدخول على المضارع ، وتخلصه للاستقبال .

والفرق بينهما هو أن سوف تنفرد عن السين بدخول اللام عليها ، تقول : لسـوف أقابلك وقتما تعـود من بلاد الحجـاز ، ومن هـذا قوله تعـالى : « ولسـوف يعطيـك ربك فترضى » وقـوله : « انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون » .

وتنفرد أيضا بأنها قد تفصل بالفعل الملغى كما فى قول زهير :

وما أدرى وسوف اخال أدرى
أقـوم آل حصـن أم نسـاء ؟

قال صاحب الصحاح : ولا يفصل بينها وبين الفعل ، لأنها بمنزلة السين فى سيفعل، ولهذا لا يجوز أن يقال : سوف لا أفعل كذا كما يقول كثير من الخاصة .

ولاصلاح هذا التعبير يجب أن يقال : لن أعمل كذا ، أو لا أعمل كذا ،لأن المضارع يتخلص بعد (لا) للاستقبال عند الأكثرين •

٦٣ ـ ولا يفرقون بين ترب الثلاثى ، وأترب الرباعى ، وبين معنيهما تناقض وتضاد ، تقول من الأول : ترب الرجل من باب تعب اذا افتقر ، كأنه لصق بالتراب ، فهو ترب وقوله عليه السلام لمن استشاره فيمن تصلح للنكاح « عليك بذات الدين تربت يداك » فيه جملة تربت يداك من الجمل التى وردت عن العرب صورتها دعاء ، ولا يراد بها الدعاء ، بل المراد الحث والتحريض •

وتقول من الثانى : أترب الرجل اذا استغنى ، كأنه صار له من المال قدر التراب •

ويقال لمن افتقر بعد الغنى : ترب فلان بعد ما أترب •

٦٤ ـ ولا يفرقون بين أبصر المزيد بالهمز ، وبصر وزان كرم ،وبصر المزيد بالتضعيف وتبصر بتشديد الصاد •

والحق أن لكل منها معنى خاصا به فمن الأول تقول أبصر فلان الشىء اذا رآه بالبصر وهو حس العين ، ومنه قوله تعالى : « فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » وقد يأتى لازما على سبيل المجاز كما فى قولك : أبصر الطريق اذا استبان ووضح •

ومن الثانى نقول : بصر بالشىء وبصارة من باب ظرف اذا علم به ، فهو بصير به ، وهم بصراء ، وفى التنزيل : « انه كان بعباده خبيرا بصيرا » وهذا الفعل يتعدى بالباء فى اللغة الفصحى كما فى قوله عز شأنه : « بصرت بما لم يبصروا به » وقوله : « فبصرت به عن جنب » •

وتقول : اجعلنى بصيرا على هؤلاء القوم أى رقيبا ، كقولك فلان عين عليهم •

والبصيرة العبرة كما فى قولك : أما لك بصيرة فى هذا ؟ أى عبرة ، جمعها بصائر ، قال قس بن ساعدة الأيادى :

فى الذاهبين الأولـ ـين من القرون لنا بصائر

وهى أيضا الحجة كما فى قوله تعالى : «بل الانسان على نفسه بصيرة» قال الأخفش : جعله هو البصيرة كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك

ومن المجاز قولك : لفلان فراسة ذات بصيرة أي فراسة صادقة .

ومن الثالث تقول : بصره بكذا تبصيرا اذا عرفه به وعلمه اياه ، وقد يأتي لازما كما في قولك بصر الرجل تبصيرا اذا أتى البصرة بفتح الباء وتكسر ، كما تقول : كوف اذا أتى الكوفة ، قال ابن أحمر :

أخبر من لاقيت أني مبصر
وكائن ترى من الناس بصرا

ومن معاني التبصير الضرب بالسيف ، تقول : بصرته بالسيف اذا ضربته فبصر بحاله وعرف قدره ، قال :

فلما التقينا بصر السيف رأسه
فأصبح منبوذا على رأس صفصف(١)

ومن الرابع تقول : تبصر فلان اذا فكر وتأمل، ومن هذا قول زهير :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
تحملن(٢) بالعلياء من فوق جرثم (٣)

٦٥ - ولا يفرقون في المعنى بين التعبيرين : بخرت لنا ، وبخرت علينا تبخيرا ، كلاهما بالفعل المضعف فالتعبير الأول معناه أنه طيب لهم الجو برائحة البخور ، أما الثاني فمعناه أنه أنتن الجو برائحة البخر الذي يخرج من فمه ، والبخر بالتحريك هو الرائحة النتنة التي تخرج من الفم ، ولذا يقال : أردت أن تبخر لنا فبخرت علينا ، تقول : بخر الفم يبخر بخرا من باب تعب اذا أنتنت ريحه ، فالذكر أبخر والأنثى بخراء والجمع لهما بخر بالضم ، ومن كلام الدؤلي : لا يصلح للخلافة من لا يصبر على سرار (٤) الشيوخ البخر .

٦٦ - ولا يفرقون بين السكر بفتحتين ، والسكر وزان الضرب ، والسكر وزان العلم ، والسكور بالضم ، والتساكر ، والتسكير .

فهو بالتحريك قد يكون مصدرا معناه زوال العقل وغيابه ، تقول :

---

(١) الصفصف : المستوى من الأرض .
(٢) تحملن : ارتحلن .
(٣) جرثم وزان قنفذ : علم على ماء .
(٤) السرار بالكسر : المسارة ، تقول سارة مسارة وسرارا اذا تحدث اليه سرا .

سكر من الشراب يسكر سكرا من باب طرب اذا غاب عقله ، والاسم السكر بالضم ، فهو سكر كطرب ، وسكران ، وهو مسكير بالكسر ، وسكور بالفتح اذا كان كثير شرب الخمر ، وهو سكير بكسرتين ثانيتهما مشددة اذا كان دائم السكر .

ويقال : هي سكرى ، وفي لغة بني أسد سكرانة ، وهم وهن سكارى بفتح السين وضمها ، وفي التنزيل : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » .

والسكر قد يكون اسما لشراب يتخذ من التمر والعنب ، ومنه قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » فالسكر الخمر ، والرزق الحسن هو التمر والزبيب .

وقد يكون اسما للغضب الشديد والغيظ كما في قول الشاعر :

فجاءونا لهم سكر علينا
فأجلى اليوم والسكران صاحى

وأما السكر وزان الضرب فهو السد ، تقول : سكرت النهر من باب نصر سكرا اذا سددت فاه ، وكل شق سد فقد سكر .

وأما السكر بالكسر فهو اسم ذلك السداد .

وأما السكور بالضم فمعناه السكون والفتور كالسكران بالتحريك ، تقول سكرت الريح تسكر سكورا وسكرانا اذا سكنت بعد الهبوب ، وليلة ساكرة أى ساكنة الريح ، قال أوس بن حجر :

تزاد ليالى فى طولها
فليست بطلق ولا ساكرة

ويقال : سكر الحر اذا فتر ، وكذلك الطعام ، والماء الحار اذا سكنت فورته ، تقول : اصبر حتى يسكر ، وسكر الماء سكورا فهو ساكر أى ساكن لا يجرى ، قال :

أأن غردت يوما بواد حمامة
بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر

تغنى الضحى والعصر فى مرجحنة(١)
نياف (٢) الأعالى تحتها الماء ساكر

(١) المرجحنة : السحابة الثقيلة .
(٢) نياف الاعالى : طويلة فى ارتفاع ، والاصل نواف ، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها .

وأما التساكر فهو أن يرى الانسان من نفسه أنه سكران ، وليس به سكر ، أنشد سيبويه للفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة اذ هجا
تميما بجوف الشام أم متساكر

وأما التسكير فهو الحبس كما فى قوله تعالى : « انما سكرت أبصارنا » أى حبست عن النظر وحيرت ، وقيل غطيت وغشيت ، وقرأها الحسن مخففة ، وفسرها بقوله سحرت ، ويؤيد هذا كلمة مسحورون فى آخر الآية .

٦٧ ـ ولا يفرقون بين المنى بفتح الميم والنون ، والمنى بضم الميم وفتح النون ، ومنى بالكسر مع التنوين ، فالأول معناه القدر ، تقول : منى الله الخير اذ قدره ، وأنا راض بمنى الله أى بقدره ، وما تدرى ما يتمنى لك المانى ، أى ما تدرى ما يقدر لك الله ، قال :

ولا تقولن لشىء لست أفعله
حتى تبين ما يمنى لك المانى

ويقال : ساقه المنى الى درك المنى ، قال :

لعمر أبى عمرو لقد ساقه المنى
الى جدث(١) يزوى له بالأهاضب(٢)

وقال :

سأعمل نص العيس(٣) حتى يكفنى
غنى المال يوما أو منى الحدثان

والمنى أيضا الابتلاء والاختبار ، تقول : مناه يمنوه اذا ابتلاه واختبره والمنى كيل أو ميزان ، ويقال فى تثنيته منوان ومنيان ، وجمعه أمناء .

ويقال : البيت المعمور منى مكة أى بحذائها .

أما الثانى فهو جمع منية بالضم ، وهى ما يتمناه الانسان كالأمنية وجمعها الأمانى ، والأمانى بالتخفيف والتشديد ، ومن الأخيرة قوله تعالى : « تلك أمانيهم » .

وأما منى بالكسر فاسم لموضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال ، وهو مذكر

(١) الجدث : القبر .
(٢) الأهاضيب : جمع أهضوبة وهى المطرة .
(٣) العيس : الابل البيضاء .

مصروف ، وسمى بهذا الاسم لما يمنى فيه من الدماء ويراق ، وقيل لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم ،قال له : تمن قال : أتمنى الجنة ،فسمى منى لأمنية آدم ، تقول : أمنى فلان ، وامتنى اذا أتى منى أو نزله .

٦٨ - ولا يفرقون بين التعبيرات الأربعة الآتية ، وكلها يفيد معنى الموت :

١ - خفت فلان خفوتا ، وخفاتا بضمهما .

٢ - قضى الرجل نحبه .

٣ - احتضر الشاب بالبناء للمجهول .

٤ - مات الجندى حتف أنفه .

والتعبير الأول : يفيد أنه مات فجأة ، مأخوذ من خفت اذا سكت فلم يتكلم وأخذ السكات والخفات ، وذلك اذا سكن وانقطع كلامه .

والثانى يفيد أنه مات أو قتل فى سبيل الله ، وأصل النحب النذر ، تقول : هو نحب عليه أى نذر ، قال حسان بن ثابت :

مساميح أبطال يرجون للندى
يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وفى التنزيل : « فمنهم من قضى نحبه » أى مات فى سبيل الله فجأة ، كأن الموت نذر فى عنقه .

والثالث : يشير الى أنه مات فتيا ، مأخوذ من قولهم : اختضر النبات اذا أكل أخضر ، واختضرت الفاكهة اذا أكلت قبل ادراكها ، واختضر الرجل الشجر اذا قطعه أخضر .

وأما الرابع : فانه يدل على أنه مات على فراشه من غير قتل ، ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وانما خص الأنف بذلك ، لأنهم أرادوا أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه ، والجريح من جراحته .

٦٩ - ولا يفرقون بين العرف بفتح العين ،والعرف بضمها ، والعرف بكسرها فمعناه بالفتح : الريح طيبة أو منتنة ، وأكثر استعماله فى الطيبة.

تقول : لهذه الزهرة عرف ذكى ، وما أطيب عرف هذه الوردة .

وكذلك هو مصدر عرف فى قولك : عرف الرجل الفرس عرفا اذا جز عرفه .

ومعنـاه بالضم : الجود والمعروف كالعارفة ، تقـول : أوليت فلانا عرفا أى معـــروفا ، وهو كذلك اسم من الاعتراف ، تقول : لفـلان على ألف عرفا أى اعترافا ، وهو أيضا التابع ، تقـول : طار القطـا عرفا أى بعضهـا خلف بعض ، وجاء القـوم عرفا عرفا أى متابعين ، ومنه قوله جل شـأنه : « والمرسلات عرفا » .

وعرف الديك لحمة مستطيلة فى أعلى رأســه ، وعرف الفـرس هو الشعر النابت فوق رقبته ، وقد تضـم راؤه .

وأما مكسور العين فمعناه الصبر ، تقول : يمتاز فلان بحسن العرف أى الصبر ، قال :

قل لابن قيس أخى الرقيـات
ما أحسن العرف فى المصيبـات

وهو أيضا المعرفة ،ومنه قول بعض العرب : ما عرف عرفى الا بأخرة أى ما عرفنى الا أخيرا .

٧٠ ـ ولا يفرقون بين الاعتراف ، والاستعراف ، والتعريف ، والتعارف فالأول معناه : الاستخبار،تقول : اذهب الى هؤلاء فاعترفهم أى استخبرهم ، قال بشر :

أسـائلة عميرة عن أبيهـا
خلال الجيش تعترف الـركابا

أى تستخبرهم وتسألهم عن أبيها .

وكذلك هـو الاقـرار بالشىء ، تقول : اعترف فلان بذنبه ، أو بمـا عليه من الدين اعترافا اذا أقر به .

أما الثانى فمعناه : تعريف الانسان بنفسه ، تقـول : أتيت فلانا متنكرا ثم استعرفت ، قال مزاحم العقيلى :

فاســتعرفا ثم قـولا ان ذا رحـم
هيمان (١) كلفنا من شـأنكم عسرا

فان بغت آية تســتعرفان بهـا
يوما فقولا لها العود الذى اختضر(٢)

وأما الثالث فمعناه : الاعلام ،وانشاد الضالة ، والتطييب من العرف ، وقيل

---

(١) الهيمان : العطشان ، تقول : جمل هيمان وابل هيام بالكسر اى عطاش ، وقوم هيم بالكسر عطاش أيضا .

(٢) اختضر : تقول : اختضر العود او النبات بالبناء للمجهول اذا اخذ او اكل طريا غضا

فى قوله تعالى : « ويدخلهم الجنة عرفها لهم » أى طيبها لهم .

والتعريف أيضا الوقوف بعرفات ، تقول : عرف القوم تعريفا اذا وقفوا بعرفات كما يقال : عيدوا تعييدا اذا حضروا العيد ، وجمعوا تجميعا اذا شهدوا الجمعة .

وأما التعارف فهو أن يعرف بعض الناس بعضا كما فى قوله تعالى : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، وقوله : « كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم » ؟

عباس ابو السعود

حفص بن غياث أبو عمر النخعي الكوفي القاضي

١١٧ - ١٩٤ هجرية

للدكتور محمد ابراهيم الجيوشي

ولد حفص بالكوفة سنة ١١٧ هـ ونشأ وتربى بها وتعلم أولا بها وتلقى عن رجالها ثم أخذ العلم عن شيوخ عصره وأعلامه الثقات من أمثال هشام ابن عروة واسماعيل بن أبي خالد وسليمان الأعمش وأبي اسحاق الشيباني وجعفر بن محمد بن على وسفيان الثورى ومن فى طبقتهم .

وتلقى عنه أعلام مشهود لهم بالورع والتقى والصلاح والاستقامة ، من أمثال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى واسحق بن راهويه وعامة الكوفيين .

وكان حفص كثير الحديث حافظا له ، ثبتا فيه ، وكان مقدما عند المشايخ الذين سمع منهم الحديث ، وكان يحدث بالكوفة وبغداد من حفظه لم يخرج كتابا وكتبوا عنه أربعة آلاف حديث من حفظه .

وكانت تربطه صداقة ومودة وزمالة علمية بكل من عبد الله بن ادريس ووكيع بن الجراح وقد بلغ ثلاثتهم فى العلم والعمل شأوا بعيدا حتى أصبحوا ممن يشار اليهم بالبنان ، وكان ثلاثتهم ممن وقع عليهم اختيار الرشيد من رجل دولته ليسند اليهم القضاء ، **أما صاحباه فاحتال كل منهما للتخلص من مسئولية القضاء وأما غياث فأسند اليه القضاء أما قصة عرض القضاء عليهم فيوردها ابن الجوزى فى صفوة الصفوة عن بعض** المحدثين قال : سألت وكيعا عن مقدمه هو وابن ادريس وحفص على هارون الرشيد فقال : كان أول من دعى به أنا ، فقال لى هارون : يا وكيع : ان أهل بلدك طلبوا منى قاضيا ، وسموك لى فيمن سموا ، وقد رأيت أن أشركك فى أمانتى .

فقلت : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير واحدى عينى ذاهبة والأخرى ضعيفة .

فقال هارون : اللهم غفرا ، خذ عهدك أيها الرجل وامض .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، والله لئن كنت صادقا انه لينبغى أن يقبل منى ، ولئن كنت كاذبا فما ينبغى أن تولى القضاء كذابا .

فقال : أخرج . فخرجت .

ودخل ابن ادريس ، فسمعنا وقع ركبتيه على الأرض حين برك ، وما سمعناه يسلم الا سلاما خفيا .

فقال له هارون : أتدرى لم دعوتك ؟

قال : لا .

قال : ان أهل بلدك طلبوا منى قاضيا وأنهم سموك فيمن سموا ، وقد رأيت أن أشركك فى أمانتى وأدخلك فى صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة فخذ عهدك وامض .

فقال له ابن ادريس : لست أصلح للقضاء .

فنكث هارون بأصبعه وقال : وددت أنى لم أكن رأيتك .

فقال له ابن ادريس : وأنا وددت أنى لم أكن رأيتك . فخرج .

ثم دخل حفص فقبل عهده . وكان ذلك عام ١٧٧ وكانت سنه ستين سنة .

فأتى خادم معه ثلاثة أكياس فى كل كيس خمسة آلاف .

فقال لى : ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول لكم ، قد لزمتكم فى شخوصكم مئونة ، فاستعينوا بهذه فى سفركم .

قال وكيع : فقلت له : اقرىء أمير المؤمنين السلام ، وقل له : قد وقعت منى بحيث يحب أمير المؤمنين ، وأنا مستغن عنها .

وأما ابن ادريس فصاح به : مر من ها هنا ، وقبلها حفص

وخرجت الرقعة الى ابن ادريس من بيننا : عافانا الله واياك ، سألناك أن تدخل فى أعمالنا فلم تفعل ، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل ، فاذا جاءك ابنى المأمون فحدثه ان شاء الله .

فقـال للرسـول : اذا جاءنا مع الجمـاعة حدثنـاه ان شاء الله ، ثم مضينا فلمـا صرنا الى الياسرية التفت ابن ادريس الى حفص فقـال : قد علمت أنك ستبلى ، والله لا أكلمك حتى تموت فما كلمه حتى مات (١) .

وكان ابن ادريس قد لاحظ وهم فى طريقهم الى بغداد لملاقاة الخليفـة أن حفصا قد طرى خضابه حين قرب من بغداد ، فالتفت الى وكيع وقال: أما هذا فقد قبـل (٢) وقد كان من دأب الصـالحين أن يتحرزوا عن قبـول القضاء ما كانت لهم مندوحة ويبـدو أن حفصا لم يقبل القضـاء راغبـا فيه ولا متطلعا الى مكانة أو رياسة أو جاه ، وانما ألجأه الى ذلك قسـوة الحيـاة وثقل تبعـاتها وحاجة أهله وولده ، ولذلك يروى عنه أنه قـال : ما قبلت القضاء حتى حلت لى الميتـة .. يعنى أنه كان مضطـرا الى ذلك ، وقـال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت (٣) وكان يقول : لو رأيت أنى أسر بما أنا فيه لهلكت ، وجاء رجل يسأله عن مسائل القضاء ، فقال له : لعلك تريد أن تكون قاضـيا ؟ لأن يدخل الرجل اصبعه فى عينه فيقتلعها فيرمى بها خير له من أن يكون قاضيا (٤) .

ولا تصـدر هذه الكلمـات الا عن رجل يستشعر مسـئوليته أمام ربه ويدرك عظم الخطر الذى أقدم عليـه من توليه مثل هذا المنصب الخطـير ، ولذلك كان ادراكه هذا حاجزا له أن ينغمس فيما ينغمس فيه طلاب المجـد والشهرة والجاه أو أن يبالى على من يحكم ما دام قد وضح الحق أمامه .

ولعلنا ندرك مدى ما امتاز به حفص طوال مدة قضائه من النزاهة وتحرى الحق والقيام بالعدل حينما نستحضر ما روى منسـوبا الى أبى يوسف من أنه قال لأصـحابه حين ولى حفص : تعالوا نكتب نوادر حفص، فلما وردت أحكامه وقضـاياه على أبى يوسف ، قال له أصـحابه : أين النـوادر التى زعمت نكتبها ؟

قال : ويحكم ، ان حفصا أراد الله فوفقه ، وفى رواية أخرى ما أصنع بقيام الليل ، يريد أن الله وفقه ببركة قيام الليل فى الحكم .

---

(١) صفوة الصفوة جـ٣ ص ١٠٠
(٢) تاريخ بغداد جـ٨ ص ٨٩
(٣) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٨٩
(٤) تاريخ بغداد جـ٨ ص ٨٩

ويبدو أن حفصا كان شديد المراقبة لنفسه مستشعرا لخطر ما هو فيه ، ولذلك كان واثقا من اكرام الله له ،وكان لا يبالى على من يقع حكمه ، فيروى ابنه وكان صالحا عالما فيقول : لما حضرت أبى الوفاة أغمى عليه ، فبكيت عند رأسه ، فأفاق ، فقال : ما يبكيك ؟ .

قلت أبكى لفراقك ، ولما دخلت فيه من هذا الأمر - يعنى القضاء - .

فقال : لا تبك ، فانى ما حللت سراويلى على حرام قط ، ولا جلس بين يدى خصمان فباليت على من توجه الحكم منهما (١) .

وولى حفص قضاء بغداد عامين ثم ولى قضاء الكوفة ثلاثة عشر عاما كان فيها مثال النزاهة والاستقامة والحرص على اقامة العدل وحفظ كرامة القاضى ونزاهة القضاء ، وقد روى أنه كان جالسا فى الشرقية (شرق بغداد) للقضاء ، فجاء اليه رسول الخليفة يدعوه ، فقال له : حتى أفرغ من أمر الخصوم اذ كنت أجيرا لهم ، وأجير الى أمير المؤمنين ، ولم يقم حتى تفرق الخصوم (٢)

وكان يرى أنه لا يستحق مرتبه اذا لم يجلس للقضاء حتى ولو كان امتناعه عن الجلوس للقضاء بسبب المرض ، فقد حدث غنام بن حفص قال : مرض حفص بن غياث خمسة عشر يوما ، فدفع الى مائة درهم ، فقال : امض بها الى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوما لم أحكم فيها بين المسلمين لاحظ لى فيها (٣) .

ووقف حفص منتصرا لرجل من خراسان ضد وكيل أم جعفر زوج هارون الرشيد وألقى به فى الحبس حتى يعطى للرجل حقه ولم يبال اذا كان حكمه هكذا سيجر عليه غضب الخليفة أولا بل أنه تعمد أن ينتهى من انفاذ الحكم قبل أن يتخذ الخليفة أمرا بعزله أو نقله الى مكان آخر ، وقصة هذا الحكم الذى وقف فيه حفص وجها لوجه يتحدى مكانة زوج الرشيد بحبس وكيلها تتلخص فى أن رجلا من خراسان باع جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسى وكيل أم

(٣،٢،١) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ١٩٠

جعفر ، فمطله بثمنها وحبسه فطال ذلك على الخراسانى ، فأتى ببعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره .
فقال : اذهب اليه ، فقل له اعطنى ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقى وأخرج الى خراسان ، فن فعل هكذا فالقنى حتى أشير عليك ، ففعل الرجل ، وأتى مرزبان ، فأعطاه ألف درهم ، فرجع الى الرجل فأخبره ، فقال : عد اليه ، فقل له : اذا ركبت غدا فطريقك على القاضى تحضر وأوكل رجلا يقبض المال وأخرج .

فاذا جلس القاضى ، فادع عليه ما بقى لك من المال .

فاذا أقر ، حبسه حفص وأخذت مالك .

فرجع الى مرزبان فسأله ، فقال : انتظرنى بباب القاضى ، فلما ركب من الغد وثب اليه الرجل ، فقال : ان رأيت أن تنزل الى القاضى حتى أوكل بقبض المال وأخرج .

فنزل مرزبان ، فتقدما الى حفص ابن غياث ، فقال الرجل :

أصلح الله القاضى لى على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم .

فقال حفص : ما تقول يا مجوسى ؟

قال : صدق ، أصلح الله القاضى .

قال : ما تقول يارجل ، فقد أقر لك ؟

قال : يعطينى مالى ، أصلح الله القاضى .

فأقبل حفص على المجوسى فقال : ما تقول ؟

قال : هذا المال على السيدة .

قال : أنت أحمق ، تقر ثم تقول على السيدة .

ما تقول يارجل ؟

قال أصلح الله القاضى ، ان أعطانى مالى والا حبسته .

قال حفص : ما تقول ، يامجوسى ؟

قال : المال على السيدة .

قال : حفص ، خذوا بيده الى الحبس .

فلما حبس بلغ الخبر أم جعفر فغضبت ، وبعثت الى السندى وجه الى مرزبان ، وكانت القضاة تحبس الغرماء فى الحبس ، فعجل السندى باخراجه ، وبلغ حفصا الخبر .

فقـــال : أحبس أنـا ، ويخرج السندى ؟ لا جلست مجلسى هذا أو يرد مرزبان الى الحبس .

فجاء السندى الى أم جعفر فقال : الله الله فى أنه حـفص بن غيـاث ، وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لى بأمر من أخرجته ؟ رديه الى الحبس ، وأنا أكلم حفصا فى أمره .

فأجابته فرجع مرزبان الى الحبس .

فقـالت أم جعفـــر : يا هارون ، قاضيك هذا أحمق ، حبس وكيلى ، واستخف بـه ، فمره لا ينظر فى الحكم ، وتولى أمره الى أبى يوسف .

فأمر لها بالكتاب .

وبلغ حفصا الخبر ، فقال للرجل ، أحضر لى شهودا ، حتى أسجل لك على المجوسى بالمـال ، فجلس حفص فسجل على المجوسى .

وورد كتاب هارون مع خادم له .

فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين .

قال : مكانك ، نحن فى شىء حتى نفرغ منه .

فقال : كتاب أمير المؤمنين .

قال : انظر ما يقال لك .

فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه .

فقـــال : اقرأ على أمير المؤمنـين السلام ، وأخبره أن كتابه ورد وقد نفذت الحكم فقال الخادم : قد والله عرفت ما صنعت ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ ممـا تريد ، والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت .

فقال حفص : قل له ما أحببت .

فجـاء الخـادم ، فأخبر هـارون فضحك ، وقال للحاجب : مر لحفص ابن غياث بثلاثين ألف درهم .

فركب يحيى بن خالد ، فاسـتقبل حفصـا منصرفا من مجلس القضـاء فقال : أيها القاضى ، لقد سررت أمير المؤمنين اليوم ، وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، فما كان السبب فى هذا ؟

قال : تمم الله سرور أمير المؤمنين ، وأحسن حفظه وكلاءته ، مازدت على ما أفعل كل يوم ، ثم قال : على ذاك ما أعلم الا أن يكـون سـجلت على مرزبان المجوسى بما وجب عليه .

فقال يحيى بن خالد : فمن هـذا سر أمير المؤمنين .

فقال حفص : الحمد لله كثيرا (١)٠

وهذا موقف محمود من حرصه على اقامة العدل ورد الحقوق الى أصحابها مهما كان الغريم صاحب سلطان وجاه ، والموقف الأكثر نبلا هو موقف هارون الذى أعجبه تمسك قاضيه بالعدل وحرصه على نزاهة الحكم واستقلاله فلم تأخذه العزة بالاثم ولم تغلبه نشوة السلطان حين تجرأ قاض فأخر استلام كتابه حتى ينفذ حكمه وهو يعلم أن كتابه هذا يتعلق بالحكم الذى قام القاضى بتسجيله متحديا بذلك رغبة الخليفة غير مبال بسلطان أم جعفر ، أعجب هذا الموقف الشجاع هارون وسره أن يكون فى دولة الخلافة من يصرح بكلمة الحق حتى ولو كانت ضد بيت الخليفة نفسه ، وعبر عن سروره هذا بالمكافأة السخية التى صرفها الى القاضى المعتز برأيه المتمسك بحقه فى الاستقلال واصدار الرأى وجن جنون أم جعفر ، وزاد حنقها على حفص وألحت على هارون فى عزله ، وهددته بفساد العلاقة بينهما ان لم يعزله قائلة : لا أنا ولا أنت الا أن تعزل حفصا ، وهو يأبى عليها وهى تلحف عليه ٠

ولكن جعفرا لايريد أن يحرم دولته من رجل له كفاءة حفص وشجاعته وقدرته على الجهر بالحق ، فأسند اليه قضاء الكوفة حيث بقى قاضيا بها ثلاثة عشر عاما حتى لقى ربه راضيا مرضيا ٠

وقد استحوز حفص على اعجاب رجال الدولة بما طبع عليه من أدب راق وتعبير نقى وحسن بصر بالأمور ، فهذا معاذ بن معاذ يقول مثنيا عليه : ما كان أحد من القضاة يأتينى كتابه أحب الى من كتاب حفص بن غياث ، كان اذا كتب الى كتابا كان فى كتابه : أما بعد : أصلحنا الله واياك بما أصلح به عباده الصالحين ، فانه هو الذى أصلحهم ، وكان ذلك يعجبنى منه ٠

ومات يوم مات ولم يخلف درهما ، وخلف عليه تسعمائة درهم دينا ، وكان يقال ختم القضاء بحفص ابن غياث ٠

ولما مات زميله بن ادريس أصيب بالفالج ثم لم يلبث أن توفى فى عشر ذى الحجة سنة ١٩٤ هـ فرحمه الله رحمة واسعة ؟

د ٠ محمد ابراهيم الجيوشى

---

(١) تاريخ بغداد جـ٨ ص١٩١ ــ ١٩٢

صفحات من تاريخ القاهرة (٤)

جاردن سيتى - الإسماعيلية - قصر النيل - الزمالك

للأستاذ محمد كمال السيد

ذكرنا فى مقال سابق أن لما انحسر النيل غربا فى القرنين السادس والسابع الهجريين (= ١٢ - ١٣ م) ظهرت أراضى نعرفها الآن بأسماء باب اللوق وفم الخليج والمنيرة وجاردن سيتى وميدان التحرير وشارع سليمان باشا وشارع قصر النيل وغيرها •

كما ذكرنا أن أرض اللوق كانت تغطى مساحة فى عابدين شرقا الى مجرى النيل الحالى غربا • ومن حى المنيرة جنوبا الى موقع شارع ٢٦ يولية شمالا (فؤاد الأول سابقا) •

كما ذكرنا أن الصالح نجم الدين أيوب أنشأ سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) ميدانا للعب الأكره وألعاب الفروسية والرماية وما أشبه ذلك • محله الآن تقريبا ميدانا باب اللوق والأزهار الحاليان • وكان لهذا الميدان سور وباب • ومن هنا جاء اسم باب اللوق•

ثم ألغى الظاهر بيبرس (حكم فى ٦٥٨- ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ -١٢٧٧م) هذا الميدانوأنشأ آخر غربا منه موقعه الآن ميدان التحرير والجزء الشمالى من جاردن سيتى • وظل هذا الميدان الأخير حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون (حكم فى ٦٩٣ - ٧٤١ هـ خلع فى فترتين كل منها مدتها خمس سنوات تقريبا) •

وحين استتب الأمر للناصر محمد ابن قلاوون فى سلطنته الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١ هـ) ألغى هذا الميدان الذى أنشأه الظاهر بيبرس • وجعل مكانه بستانا زرع فيه متنوع الأصناف من الفواكه والزهور • وجلب كثيرا من الأصناف من الشام • وكان البستان يشرف على النيل غربا •

ولما زادت مكانة الأمير قوصون (منشىء الجامع بشارع القلعة أمام

الحلمية الجديدة الذى تحرف العامة اسمه الى جامع قيسون) أقطعه الناصر هذا البستان • فأنشأ فيه زريبة تطل على النيل • وعرف المكان باسم خط زريبة قوصون •

والزريبة مكان لتربية الخيول والماشية • وكان يحاط بزربى من البوص أو الغاب ويشد بالحبال • ثم يطين بالطين ليزداد تماسكا •

وظهرت فى ذاك الوقت فى النيل شمال جزيرة الروضة جزيرة عرفت باسم جزيرة أروى • بنت فيها الناس الدور • وكانت من متنزهات القاهرة• وكان الفرع الشرقى جنوبى موقع كوبرى قصر النيل وغربى جاردن سيتى والقصر العينى يجف أحيانا فينحسر الماء عن جزيرة أروى فتتصل أرضا بخط زريبة قوصون • وفى أيام الفيضان كانت المياه تعمر شوارع الجزيرة فتتنقل المراكب الصغيرة بين الدور ـ مثل البندقية •

ثم ظهرت جزيرة أخرى شمال جزيرة أروى سنة ٧٣٤ هـ (١٣٧٢م) عرفت بجزيرة حليمة • وعرفت جزيرة أروى عند ذلك بالجزيرة الوسطى • وأقبل الناس على جزيرة حليمة • فبنوا الأخصاص وتأنقوا فيها • وزرعوا حولها الزهور والمقاتى (البطيخ والشمام والخيار والقثاء ونحوها) واتجه أرباب الخلاعة والمجون اليها • وتهتكوا بأنواع المحرمات • فارتفعت قيمة الأرض حتى بلغت أجرة القصبة الرابعة (١٢٫٦ متر مربع تقريبا) عشرين درهما • فكان ايجار الفدان ٨٠٠٠ درهم (الفدان وقتذاك كان ٤٠٠ قصبة والآن ٣٣٣ قصبة وثلث مع الاختلاف فى طول القصبة) وهذا عن ستة شهور فقط هى التى ينحسر فيها الماء تماما عن الجزيرة •

ولما زاد التهتك والفساد أمر السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون (حكم ٧٤٦ ـ ٧٤٧ هـ) بحرق الأخصاص واراقة الخمور واتلاف ما بها من موجودات•

واتصلت الجزيرتان ـ أروى وحليمة ـ وأصبحتا جزيرة واحدة اسماها الفرنسيون عند دخولهم مصر جزيرة بولاق وأيضا جزيرة القرطية ونعرفها الآن باسم جزيرة الزمالك •

والزمالك أعجمية معناها الاخصاص وهى بيوت من غاب • والقرط هو البرسيم الأخضر الذى ترعاه الماشية •

فلعل اسم القرطية منه أو هو منسوب الى محمد باشا قورط الوالى العثمانى (تولى على مصر ١٠٠٣ - ١٠٠٤ هـ = ١٥٩٥ - ١٥٩٦ م) .

وأنشأ الناصر محمد بن قلاوون - بدلا من ميدان الظاهر الذى ألغاه وتحول الى زريبة قوصون كما ذكرنا ميدانا آخر موقعه كان بالجزء الجنوبى من موقع جاردن سيتى وبموقع القصر العينى . وأنشأ بجانبه زريبة حفر لأجلها البركة الناصرية (موقعها بحى الناصرية غربى حى الحنفى بالقرب من السيدة زينب) لاستعمال طينها فى عمل الزريبة والبناء .

ولما حفر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى (كان يبدأ من النيل شمال موقع القصر العينى ويسير فى اتجاه شارع القصر العينى وسليمان باشا حتى ميدان رمسيس ثم فى حى الفجالة والظاهر حتى يلتقى مع الخليج المصرى عند غمره) ازداد عمران هذه الجهة . وأصبحت عامرة بالدور والقصور . وتسير المراكب فى مجرى الخليج الناصرى مزينة بالنهار . مشعة فى الليل بالأنوار . تتجاوب فيها أصوات الموسيقى والغناء . وظلت هكذا حتى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) فأصابها ما أصاب العاصمة من تدهور . وخربت الدور وتداعت القصور . وأصبحت خرائب وكيمان واستمر خرابها حتى العصر الحديث .

وفى عهد الخديوى اسماعيل شرع فى تنظيم منطقة الاسماعيلية .

والاسماعيلية اسم كان يطلق على مساحة واسعة حددها على مبارك بأن الحد البحرى شارع بولاق (الذى سمى بعد ذلك فؤاد الأول ثم أخيرا ٢٦ يولية) والقبلى شارع القصر العالى والخليج المصرى (أى تصل جنوبا لفم الخليج) والغربى بعض ساحل النيل وبعض ترعة الاسماعيلية (عند ما كان فمها شمال قصر النيل عند فندق هيلتون تقريبا) والشرقى سور البلد القديم .

وهو يعنى السور الغربى لمدينة مصر القاهرة الذى بناه قره قوش الأسدى فى عهد صلاح الدين الأيوبى عندما أراد عمل سور يحتوى القاهرة الفاطمية والفسطاط وما بينهما بما فى ذلك القلعة . وهذا السور الغربى قد اندثر تماما الآن ولكن يمكن أن نقول فى المراجعات المختلفة أنه كان يبعد

عن النيل الحالى بحوالى ألف متر تقريبا .

وهذه المساحة التى حددها على مبارك طولها فى أبعد مسافاتها ٢٥٠٠ متر وعرضها ١٠٠٠ متر تقريبا وتساوى ٦٠٠ فدان اذا أخذنا بالأقصى فى الحدين المذكورين . ولكن على مبارك ذكر أن مساحة الاسماعيلية ٣٥٩ فدانا .

وكان ميدان التحرير الحالى اسمه لغاية ثورة سنة ١٩٥٢ ميدان الاسماعيلية .

هذه المساحة بعد أن ازدهرت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ومن تلاه من السلاطين المماليك البحرية أخذت تتدهور ويلحقها الخراب حتى أصبحت كيمانا وبركا ومستنقعات وبعض المزارع هنا وهناك .

فأعيد تخطيطها فى شوارع مستقيمة متقاطعة على زوايا قائمة . فى أغلب الأحيان . وأنشئت فيها عدة ميادين . وجعل على جانبى الشوارع والحارات استطرافان (تلتواران) للمارة . وجعل الوسط للعربات والحيوانات . ومدت فيها مواسير المياه لرش أرضها وسقى بساتينها . ونصبت فيها فنارات الغاز لانارتها واضاءتها فسكنها الأمراء والعظماء والأعيان .وأصبحت ولا تزال - سرة المدينة وبها أهم مرافقها من دور الحكومة والبنوك والشركات وكبرى المحلات التجارية وغيرها .

وما كان شرقى شارع القصر العينى عرف أخيرا بالانشاء والمنيرة (وتتكلم عنهما فى قال آخر بأذن الله) وماكان غربى شارع القصر العينى عرف أخيرا بجاردن سيتى والقصر العينى .

جاردن سيتى - مدينة الحدائق :

وأنشأ أعضاء أسرة محمد على في موقع جاردن سيتى القصور .

فبنى ابراهيم باشا بن محمد على القصر العالى . وكان يطل غربا على النيل ويصل جنوبا الى الطريق بينه وبين القصر العينى . وشمالا الى الحى المعروف باسم الشيخ يوسف بجاردن سيتى (سيرد ذكره فيما بعد) وشرقا الى شارع القصر العينى الحالى تقريبا .

وفى أواخر سنه ١٨٦٣ م (١٩ رجب سنة ١٢٨٠ هـ) تنازل الخديوى اسماعيل بن ابراهيم لوالدته عن القصر العالى المذكور والأراضى والابنية الملحقة به • وهو محدود فى التنازل المذكور : غربا ساحل النيل • وشرقا بالطريق الموصل الى بولاق ومصر القديمة (أى شارع القصر العينى الحالى) وجنوبا الطريق الفاصل أرض القصر العالى عن القصر العينى وشمالا قصر أخيه أحمد باشا (توفى فى حادث انقلاب قطار السكك الحديدية عند كفر الزيات قبل تولى اسماعيل الحكم) •

وفى أغسطس سنة ١٨٧١ (٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ)صدر أمر اسماعيل : قد اقتضت ارادتنا أن الأراضى والأملاك التى صار مشتراها بجزيرة العبيط التى حدها البحرى طريق كوبرى قصر النيل (كان العمل بالكوبرى على وشك الانتهاء وافتتح رسميا للمرور ١٨٧٢/٢/١٠ والقبلى جنينة المرحوم أحمد باشا • والشرقى طريق الشيخ يوسف الموصل للقصر العالى ومصر القديمة• والغربى البحر الأعظم (أى نهر النيل) • جميع ذلك يكتب به حجة (اى مستند تمليك) باسم ٣ جى (أو جينجى) حرمنا (أى زوجته رقم ٣) ويجرى بناء السراى المستجدة هناك •

ومن الأمرين المذكورين يتضح أن قصر أحمد باشا أخى اسماعيل كان بين سراى الاسماعيلية والقصر العالى •

يعنى أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة • جميعها تطل غربا على النيل • ولكل منها حديقة كبيرة : القصر العالى ويصل جنوبا الى الطريق بينه وبين القصر العينى • ثم شمالا منه قصر أحمد باشا أخى اسماعيل •ثم الثالث سراى الاسماعيلية وكانت تصل شمالا الى كوبرى قصر النيل • وأن الأرض مكان سراى الاسماعيلية كانت تعرف بجزيرة العبيط • وان كان بالجانب الشرقى من سراى الاسماعيلية الحى المعروف بالشيخ يوسف •

وذكر على مبارك أنه بعد شراء ما كان بجزيرة العبيط من المنازل والقصور • شرع فى بناء سراى الاسماعيلية الكبيرة • وقد كان فى نية اسماعيل بناء قصرين • ثم اكتفى

بواحد • فأوقف العمل فى السراى الكبيرة بعد أن صرف على جدرانها ٣٨٨٢٠ جنيها • وتكلفت سراى الاسماعيلية الصغيرة ٢٠١٢٦٠ جنيها•

ونعجب كيف تكون صغيرة وقد تكلفت هذا المبلغ مع رخص الأسعار فى ذلك الوقت • ويزول العجب ونفهم معنى الوصف اذا قارنا هذا المبلغ بما تكلفته باقى السرايات التى أنشأها اسماعيل • فقد تكلفت سراى الجيزة ١٣٩٣٣٧٤ جنيها • وسراى الجزيرة ٨٩٨٦٩١ جنيها • وسراى عابدين ٦٦٥٥٧٠ جنيها • وباقى السرايات ٢٣٣١٦٧٩ جنيها الجملة ما يقرب من الخمسة ملايين من الجنيهات •

وذكر على مبارك أن جزيرة العيبط هى جزيرة أروى • وأعتقد أن أروى هى الجزء الجنوبى من جزيرة الزمالك الذى عرف بالجزيرة الوسطى ـ لتوسطها بين جزيرة الروضة وجزيرة حليمة السابقة • قبل أن تتصل جزيرة أروى بجزيرة حليمة وتكونان جزيرة الزمالك الحالية • وأن جزيرة العيبط سميت جزيرة تجوزا لانحصارها بين مجرى النيل ومجرى الخليج الناصرى• كما نقول الجزيرة العربية وهى فقط شبه جزيرة •

وموقع سراى الاسماعيلية منه الآن المجمع لمصالح الحكومة بميدان التحرير وما أمامه من فضاء ومتنزهات حتى الشارع المؤدى الى كوبرى قصر النيل •

وذكرنا على مبارك أن مسجد الشيخ العيبط من داخل السور الغربى لسراى الاسماعيلية الصغرى (قرب قناطر النيل المسماه بالكوبرى) فى شرقى الجامع الطيبرسى المعروف الآن بالأربعين • وليس به (يعنى جامع العيبط) مطهرة • وقال وبه ضريح الشيخ العيبط والشيخ زيدان ولم يترجمهما •

وموقع جامع العيبط الآن هو جامع عمر مكرم والشارع غربى الجامع كان اسمه شارع الشيخ العيبط والآن اسمه جامع عمر مكرم •

وغربى الشارع المذكور سراى وزارة الخارجية • التى كان أصلها قصر كمال الدين حسين بن السلطان

حسين كامل بن اسماعيل • وقد ضمت وزارة الخارجية الى القصر المذكور قصرا آخر فى الجهة الغربية منه كانت تملكه السيدة قوت القلوب بنت عبد الرحيم باشا الدمرداش • وكان هذا القصر الأخير بميدان كوبرى قصر النيل الذى كان اسمه ميدان الهامى (نسبة الى الهامى بن عباس حلمى الأول وهو جد عباس حلمى الثانى لوالدته) • كما أن الشارع غربى وزارة الخارجية بوضعها المذكور أى بينها الآن وبين فندق سميراميس كان اسمه الشيخ بركات والآن اسمه كمال الدين صلاح •

وسنعود لذكر كلمات عن هذه الأسماء باذن الله •

وكان جنوبى وزارة الخارجية على يمين المار بشارع الشيخ بركات المذكور متجها الى ميدان كوبرى قصر النيل جامع الشيخ بركات • ولم يذكره على مبارك ضمن المساجد أو الزوايا • وعلى يسار المار بالشارع المذكور خلف فندق سميراميس الجامع الذى ذكره على مبارك باسم جامع الطيبرسى وقال عنه أنه المعروف الآن بالشيخ الأربعين •

ورفض الناس تسميته الجامع المذكور بالطيبرسى سليم • فهذا الموقع كان من ميدان الظاهر بيبرس الذى ألغاه الناصر محمد بن قلاوون وحوله الى بستان ثم أصبح زريبة قوصون كما ذكرنا • أما جامع الطيبرسى فقد كان جنوبى القصر العينى كما يفهم من وصف المقريزى لموقع الجامع المذكور • وجنوبى القصر العينى الآن شارع أسمه جامع الطيبرسى فى موقع الجامع المذكور تقريبا يصل بين شارعى القصر العينى وكورنيش النيل •

ترجمة الطيبرسى :

والطيبرسى المذكور هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى أحد المماليك رأى مناما للسلطان لاجين أنه سيصير سلطانا على مصر (حكم فى سنة ٦٩٦ ـ سنة ٦٩٨ هـ) أنه سيصير سلطانا على مصر • وكان لاجين وقتها نائبا على الشام• فوعده ان تحقق هذا أن يقدمه ويرقيه • فلما تملك لاجين فيما بين سلطة الناصر محمد بن قلاوون الأولى والثانية ـ ولاه نقابة الجيش

سنة ٦٩٧ (١٢٩٨ م) فباشرها بأمانة زائدة وعفة مفرطة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير . وكان واسع الغنى . وله فى الآثار الجامع والبستان بأراضى بستان الخشاب المطله على النيل خارج القاهرة . (بستان الخشاب كان جنوبى القصر العينى بالقرب من فم الخليج وهناك الآن شارع متفرع من القصر العينى بهذا الاسم) . وهو أول من عمر ببستان الخشاب . ومن آثاره أيضا المدرسة بجوار الجامع الأزهر وهى المدرسة التى أدخلها عبد الرحمن كتخدا مع المدرسة الأقبغاوية فى أواخر القرن ١٢ هـ (١٨ م) ضمن الجامع الأزهر والأولى على يمين الداخل من باب الأزهر الكبير والثانية على يساره وبها الآن مكتبة الجامع الأزهر .

ولم يزل طيبرس فى نقابة الجيش حتى توفى سنة ٧١٩هـ ودفن بمدرسته المذكورة .

ومما قيل عنه أنه لما أحضرت اليه أوراق حساب هذه المدرسة بعد اتمامها أمر بطست ماء وأسقط فيه الأوراق ليمحو الكتابة عليها دون أن يطلع عليها . وقال : شىء خرجنا عنه لله تعالى فلا نحاسب عليه .

وقال المقريزى أن الطيبرس هذا كان يعتريه الجنون . ولا يفهم هذا من هذه الترجمة .

الشيخ الأربعين :

ولكن تسميته الأربعين تستوقف النظر . فنجد اسم الأربعين لكثير من الأضرحة فى أنحاء العاصمة وفى بلدان الجمهورية . وقد ذكر على مبارك فى الجزء السادس من خططه أربعة عشرة ضريحا وزاوية باسم الأربعين فى أنحاء القاهرة وحدها . وربما أغفل ذكر البعض كما أغفل ذكر بعض المساجد وهى أكبر شأنا من الزوايا والأضرحة . وربما جد بعده غيرها .

ولى رأى فى هذا لعله لا يكون بعيدا عن الصواب .

فتسميته الأربعين ترجع الى الطرق الصوفية . فمراتب الوصول عند الصوفية درجات. فقالوا ان لكل بلاد رجال . ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله . وقالوا ان النقباء

ثلثمائة • والنجباء سبعون • والأبدال أربعون • والأخيار سبعة • والعمد أو الأقطاب أربعة • والغوث واحد •

وقالوا ان الأخيار سياحون فى الأرض وأن الأقطاب الأربعة فى زوايا الأرض الأربع • وأن الغوث مقره مكة •

والشائع بين عامة الصوفية فى مصر أن الأقطاب الأربعة هم : السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ - ٧٥٠ هـ) توفى ودفن بأم عبيد بالعراق ، السيد عبد القادر الجيلى (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) مدفون ببغداد ، السيد أحمد البدوى مدفون بطنطا ،السيد ابراهيم الدسوقى (٦٣٣ - ٦٧٦ هـ) مدفون بدسوق.

فكلما توفى من تعتقد فيه الولاية أو الوصول اعتبر من الأبدال الأربعين وبنوا له ضريحا ينتفع من نذوره الأقربون له الى التنبيه اليه ورفع مقامه.

قصر الدوبارة :

وقصر الدوبارة كان قصرا للأميرة أمينة بنت الهامى بن عباس حلمى الأول - وهى زوجة الخديوى توفيق ووالدة عباس حلمى الثانى • وكانت تعرف بأم المحسنين وهى من ضمن من أقيمت لزفافهم أفراح الأنجال - يعنى أنجال اسماعيل - وسنتكلم عن هذه الأفراح فى مقال لاحق باذن الله •

وكان موقع القصر المذكور المربع الذى فيه فندق شبرد الحالى ووزارة الصناعة • يطل غربا على النيل وجنوبا على الشارع بينه وبين السفارة الانجليزية • وكان يعرف بشارع لاظ أوغلى (سنذكر ترجمته فيما بعد) وشرقا فى المربع المذكور الشارع الذى يفصله عن السفارة الأميريكية • وكان اسمه شارع الوالدة - يعنى والدة عباس حلمى الثانى - وأصبح اسمه الآن شارع أمريكا اللاتينية • لتكون الصلة مرتبطة بينه وبين ميدان سيمون بوليفار (ميدان قصر الدوبارة سابقا) الذى ينتهى اليه الشارع المذكور • وشمالا الشارع الآن بين فندقى شبرد وسميراميس •

وبيعت منقولات قصر الدوبارة فى الأربعينات من هذا القرن فى مزاد • وقسمت أرضه فبنيت فيه عمارتا ايزيس وأوزوريس فى الجزء الجنوبى منه • كما أنه بعد حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ بنىء فى

الجزء الغربى منه على النيل فندق شبرد الحالى • بعد أن احترق فندق شبرد القديم وكان على ناصيته شارعى الجمهورية والألفى • ثم بنيت وزارة الصناعة شرقا من الفندق المذكور •

وكان بجاردن سيتى شارع اسمه شارع الوالدة باشا تميزا له عن شارع الوالدة المذكور • والوالدة باشا المقصود بها والدة الخديوى اسماعيل واسم شارع الوالدة باشا الآن شارع عائشة التيمورية • وربما كان هذا الشارع هو الحد الفاصل بين القصر العالى وقصر أحمد أظى اسماعيل •

ولكن لما توفى اسماعيل فى ١٢ مارس سنة ١٨٩٥ فى استنبول (ثم نقل جثمانه الى القاهرة حيث دفن فى مسجد الرفاعى بالقرب من القلعة) ظهر فى وصيته أن القصر العالى •وان كان باسمه • ولكنه ملك لزوجاته الثلاث : شهرت ، وجنانيار ، وجشم آفت • كما أنه أوقف عليهن تفتيش حلوان • وكانت هذه الوصية سببا لخلاف بين ورثته •

وكان لاسماعيل زوجة رابعة اسمها تريمى • وكان يستعمل الرمز بالأرقام فى ذكرهن • فمثلا فى أمر منه فى جمادى سنة ١٢٨٨ هـ(يقتضى أن تربتوا (أى تربطوا) الى كلا (كل) من الهوانم حرمنا الأربعة برنجى وايكنجى واوجينجى ودورتينجى (أى الأولى والثانية والثالثة والرابعة) ٣٠٠٠ كيسة سنويا) أى ١٥٠٠٠ جنيه لأن الكيسة كانت خمسة جنيهات •

عائشة التيمورية :

والسيدة عائشة التيمورية التى أطلق اسمها على شارع الوالدة باشا هى الشقيقة الكبرى للمرحوم العالم أحمد باشا تيمور المعروف بتحقيقاته الأسلامية والتاريخية وصاحب المكتبة العظيمة بدار الكتب • وعمة الأديبين الكبيرين المرحومين محمد تيمور ومحمود تيمور • أديبة وشاعرة بالعربية والتركية والفارسية • ولدت سنة ١٨٤٠ • تزوجت المرحوم توفيق الاسلامبولى • وسافرت معه الى استانبول • ثم عادت لمصر بعد وفاته • ولها ديوان بالعربية اسمه حلية الطراز وتوفيت سنة ١٩٠٢

سمون بوليفار :

وسيمون بوليفار الذى أطلق اسمه على ميدان الهامى سابقا هو أحد المناضلين فى سبيل الحرية عاش من ١٧٨٣ - ١٨٣٠ • وحارب اسبانيا لتحرير أمريكا اللاتينية • وأمكنه تحرير كولومبيا وفنزويلا واكوادور وبنما • وجعل من الأربعة جمهورية واحدة باسم كولومبيا العظمى • كما سعى فى تنظيم بيرو وبوليفيا • وكانتا تحررتا أيضا فى الحكم الأسبانى • ثم طغى وأنشأ حكما ديكتاتوريا • فاضطرب الحكم واضطر للاستقالةفى سنة ١٨٣٠ • ومات بعد قليل فى آخر السنة وحيدا مكروها لطغيانه • ثم تنوسى طغيانه • وأقيم له تمثال سنة ١٨٤٠ فى بوجوتا عاصمة كولومبيا • تذكارا لمن أقام استقلالها • وأصبح ينظر اليه كمحرر لأمريكا اللاتينية •

ومع احترامى لنضال الثائر • ومع الاغضاء عما نسب اليه من طغيان فانى أرى فى أبطال تاريخنا وأمجادنا الاسلامية والعربية والفرعونية من هم أجدر بأسماء شوارع وميادين عاصمتنا خصوصا فى مكان له حساسيته بجوار وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية والسفارات الأجنبية • وحبذا لو اخترنا أسماء من أمجاد العرب فى أسبانيا مثل طارق بن زياد - أو قرطبة أو غرناطة - أو عبد الرحمن الناصر أو ابن رشد - أو ابن زهر - أو غير ذلك من الأمجاد التاريخية والعلمية • فمن نافذة الأندلس أطلت الحضارة العربية الاسلامية على أوربا وكانت هى الدعامة الأولى فى تقدمها •

وما أرخص هذا الثمن - أى اطلاق الأسماء على الشوارع - اذا كنا نظن أنه يكسبنا ولاء وصداقةدول أمريكا اللاتينية فى معترك السياسة الدولية المبنى على المصالح فقط •

كمال الدين صلاح :

وكمال الدين صلاح الذى حل اسمه محل شارع الشيخ بركات هو الشهيد المجاهد الذى اغتالته يد أثيمة مأجورة فى الصومالفى ١٩٥٧/٤/١٦ •

وذكر الأستاذ أبو الحجاج حافظ فى ترجمته له أن أباه كان قاضيا شرعيا عرف بالعدل والتقوى والأفق الواسع • وأنه كانت له مكتبة تحوى أكثر من ألفى كتاب مكنت ابنه كمال

الدين من الاطلاع وتنمية معلوماته • وكان أبوه قدوة صالحة فى حسن السلوك •

وتنقل كمال الدين فى المدارس مع تنقل والده تبعا لوظيفته - بين الخديوية الثانوية ثم بنى سويف الثانوية ثم المنصورة الثانوية • حيث حصل على البكالوريا (كانت تعادل الثانوية العامة) • وكان ترتيبه الثانى • وكان أول دفعته زميله وصديقه الأستاذ فتحى رضوان المحامى والوزير السابق والأديب المعروف •

والتحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة • وظل يمارس هواياته من الرماية والركوب وحب الرحلات •

وكان وزميله فتحى رضوان أثناء الدراسة يدعوان الى عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين - ولم تكن فكرة القومية العربية نبتت بعد • فتألفت لجنة تحضيرية من أعضائها الزعيم السورى شهبندر • عبد الحميد الثعالبى التونسى ومنصور باشا فهمى وعبد الرزاق باشا السنهورى وفتحى رضوان وكمال الدين صلاح • وسافر الأخيران بتكليف اللجنة الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين يلقيان الخطب منددين بالاستعمار الانجليزى والفرنسى •

وعين سكرتيرا لمشروع القرش • وهو من المشروعات الوطنيه الناجحة • دعا اليه الأستاذ أحمد حسين المحامى • وكان طلبا بالحقوق وقتذاك • وكان قوام المشروع أن يتبرع كل مواطن بقرش واحد • ومن حصيلة هذه القروش أمكن انشاء مصنع للطرابيش وكانت تستورد من النمسا - ومن أرباح مصنع الطرابيش أنشىء مصنع لنسيج الصوف •

كما اشترك مع جماعة المنديل المحلاوى بالجامعة • وكانت تدعو لاستعمال المنديل المحلاوى لربطة العنق (كرافات) • والمحلاوى نسبة الى المحلة الكبرى التى كانت لها شهرة - (من قبل انشاء شركة مصر للغزل والنسيج) - فى صناعة النسيج على أنوال يدوية • وكان للمنديل المحلاوى شهرة شعبية •

وتخرج كمال الدين من مدرسة الحقوق سنة ١٩٣٢ • واشتغل بالمحاماة • ثم التحق بالسلك السياسى

فعين بالقدس سنة ١٩٣٦ وكانت الثورة الفلسطينية ضد الاحتلال الانجليزى الذى يمكن لليهود فى أعلى مراحلها • فشارك فيها بوجدانه وخطاباته • فنقل الى اليابان • ثم الى بيروت أثناء الحرب العالمية الثانية • وكانت انجلترا وفرنسا الحرة (بقيادة دى جول) تتهيآن لغزو لبنان المحتل بجيش حكومة فيشى الفرنسية ـ الخاضعة للألمان • فعمل على توحيد الأحزاب فى لبنان فنقل الى القاهرة • ثم أريد به الصاق تهمة الاشتراك فى اغتيال أحمد ماهر (رئيس الوزارة الذى اغتيل فى مجلس النواب ـ مجلس الشعب حاليا ـ فى ١٩٤٥/٢/٢٤ ولم تثبت عليه التهمة فأفرج عنه • رعين فى اليونان ـ ثم فى الأردن ليشهد من هناك الحرب الأولى بين العرب واسرائيل • ثم نقل الى تشيكسلوفاكيا ليشهد بها الانقلاب الى الشيوعية • ثم الى دمشق ليشهد حكم الششكلى • ثم الى استكهلم • حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ بمصر • فعين قنصلا فى مرسيليا • وكانت مركزا هاما للثوار الجزائريين • ثم نقل الى الصومال سنة ١٩٥٤

وكان تقرر بعد الحرب تصفية الامبراطورية الايطالية التى أنشأها موسولينى • ثم رأت الدول الغربية أن تستعمل بعض الاعتدال مع ايطاليا لما بدأت روسيا تظهر العداء للغرب • فقررت وضع الصومال الايطالى تحت وصاية الامم المتحدة وادارة ايطاليا له لمدة عشر سنوات نهايتها ١٩٦٠/١٢/١ مع انشاء مجلس استشارى من مصر وكولومبيا والفلبين • ومجلس اقليمى يستشيره الحاكم الايطالى •

وكانت الدول الاستعمارية تتمنى فشل الوصاية فى فترة الانتقال • ليعوق هذا الفشل استقلاله • فأخذ كمال الدين يجوب القرى والمدن ويخطب فى المجتمعات منددا بخطط الاستعمار • كاشفا أساليبه • ثلاث سنوات أحرج فيها المستعمرين • حتى انتهى الأمر باغتياله فى ١٩٥٧/٤/١٦ اذ طعنه شاب صومالى مأجور بسكين عدة طعنات • فسقط صريعا • ونقل الى المستشفى حيث أسلم الروح • وذهب مع الشهداء • رحمه الله •

الشيخ يوسف ـ الشيخ صالح أبو حديد :

ذكرنا أن الحد الشرقى للقصور الثلاثة بجاردن سيتى : القصر العالى

وقصر أحمد باشا سراى الاسماعيلية كان بعض طريق بولاق - مصر القديمة . وبعض الحى المعروف بالشيخ يوسف .

ولا بأس انْ نذكر هنا حكاية رواها على باشا مبارك عن الشيخ يوسف الذى ظل اسمه علما على المكان . وكان له شارع كبير باسمه أصبح اسمه الآن شارع عبد القادر حمزه باشا . فقال على مبارك فى ترجمة الشيخ صالح أبى حديد المنسوب له الجامع بالقرب من جامع الحنفى بحى الحنفى والناصرية غربى الخليج ما ملخصه :

أنهم كانوا ثلاثة لصوص وقاطعى طريق . أحدهم كان بدرب سعادة بقرب باب الخلق وكان يرتدى زى الدراويش وللناس فيه اعتقاد كبير ويقبلون يده . وكان يجلس هناك على شاطىء الخليج الى الليل . فاذا مر شخص بمفرده . قال : ياواحد !! فيخرج أنصاره ويحيطون بالمار ويدخلونه المنزل قسرا . ويسلبون ما معه . ثم يقتلونه .

وظلوا هكذا مدة طويلة حتى اكتشف أمرهم . وأمكن المشرطة بكمين دبروه أن يقبضوا عليه وعلى بعض أنصاره متلبسين . ولما عذبوهم أقر الشيخ على زميليه : الشيخ يوسف والشيخ صالح أبى حديد .

اما هذا الشيخ بدرب سعادة فقد قتل .

وكان الشيخ يوسف يلوذ بلاظ أوغلى كتخدا مصر فى عهد محمد على فوقع عليه . فعفا عنه .

وأما الشيخ صالح أبو حديد فقد احتمى بامرأة مغنية مشهورة فى ذلك الوقت . فادعت أنه مجنون . ووضعت فى رجليه قيدا . وكان الرجل فعلا قد عقل لسانه من الخوف . فتركوه ثم شاع أن ينبىء بالمغيبات بنطق وتعبير من حوله . فقصده الأمراء والأعيان والنساء . وازدحم بيته بالزوار . وأتحفوه بالهدايا والنذور . وهو ملقى على الفراش لا يتكلم . وفى رجليه قيود الحديد . وعند رأسه امرأة بمروحة تروح بها عليه . ويخرج من فيه أصواتا غريبة ليست مفهومة . فتقول المرأة للحاضرين : الشيخ يقول كذا كذا .. فلانة تتزوج الغائب يحضر . القضية تكسب أو تخسر وغيرها هذا مما يفسره كل انسان من الحاضرين اجابة لمضمون نفسه . واستمروا كذلك الى أن مات .

وبنى له الخديوى اسماعيل هـذا الجامع • وهو جامع عظيم لـم يبنى لغـيره من الأفاضـل ذوى العـلوم والمعارف الذين انتفع الكثيرون بعلومهم ومعارفهم (وهذه غمزة من على مبارك ولعـله يعـنى نفســه) كما أوقف اسماعيل سنة ١٨٧١ على هذا الجامع ومدرسة بجواره ٤٠٠ فدان بمديرية (محافظة) الجيزة • وعدة دكاكـين أنشأها بجوار الجامع •

ولما خططت أراضى جاردن سيتى للبناء • وأطلق الانجلـيز على هـذا التقسيم اسم جاردن سيتى ـ أى مدينة الحدائق • جعل مـيدان باسم الشيخ يوسف حده الشرقى شـارع القصر العينى • وكان بالميدان ضريح الشيخ يوسف قريبا من شارع القصر العينى ثم بنى فى الفـراغ حـول الضريح عمارتان تطـلان على شـارع القـصر العينى هما بالتحديد رقما ٩٨ و ١٠٠ من الشارع المذكور • وترك فـراغ بين العمارتين به مدخل الى الضريح فتحول الميدان الى ثلاثة شوارع تحيط بالعمارتين بخلاف شارع القصر العينى ومع ذلك احتفظت الشـوارع الثلاثة باسم ميدان الشيخ يوسف •

ويوجد مع ضريح الشيخ يوسف ضريح لاظ أوغلى •

محمد بك لاظاوغلى وتمثاله :

محمد بك لاظ أوغلى كتخدا مصر فى عهـد محمـد على • وأوغـلى معناها آل (أى من أسرة) •وكتخدا معـناها الوكيل وقد حرفتها العامة الى كخيا • وكان لـكل أمـير كتخـدا • وكان وكيل الباشـا الوالى العثمانى يقال له كتخدا بك• واختصاصه قريب من وظيفة رئيس الوزراء حاليا •

وكان محمد لاظ أوغلى من أقرب المقربين الى محمد على وموضع سره • وهو الذى أسس الدواوين ومصالح الحكومة • وكان مطلق التصرف فى الشؤون الادارية •

وذكر أمين باشا سـامى صـاحب تقويم النيل أنه كان يرتب الجواسيس يدخلون المقاهى وبيوت الأعيان بأزياء وحجج مختلفة وينقلون اليه الأخبار • فى رسائل يضعونها فى فتحة باب بيت بجهة السيدة زينب • كل منهم يضع رسالته فى وقت معين •

وكانت تقيم فى هذا البيت سـيدة تعرف العربية والتركية كان أحضرها

محمد على لتعليمه مبادىء اللغة العربية والقراءة والكتابة . فتحمل الخطابات الى القلعة . فتجد الشيخ يوسف فتسلمها له . ويسلمها الشيخ يوسف للاظ أوغلى .

ولما أرادت الحكومة اقامة تماثيل لمحمد على وابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى ومحمد لاظ أوغلى. لم تجد صورة للاظ أوغلى . فحتمت على محافظ القاهرة أحمد باشا الدرملى سنة ١٨٦٩ ايجاد صورة له فتصادف وجود المحافظ ومحمد باشا ثابت — (وصل الى نظارة المعارف والأوقاف سنة ١٨٧٥ واليه تنسب قنطرة ثابت باشا كانت على الخليج المصرى بالقرب من باب الخلق أمام بيته شمال دار الكتب العمومية) ، ذات يوم بخان الخليلى فوجد سقاء حريم بشبه محمد بك لاظ أوغلى كل الشبه . فكلفه المحافظ بالحضور للمحافظة فى اليوم التالى . وفصلوا له بدلة وقلدوه السيف . وأخذ له صورة فوتوغرافية عمل التمثال على مقتضاها . فالتمثال الموجود الآن بميدان لاظ أوغلى هو تمثال السقاء المذكور .

كوبرى قصر النيل :

ذكرنا أن الحد الشمالى لسراى الاسماعيلية كان الطريق الى كوبرى قصر النيل . أو كتعبير على مبارك قناطر النيل المسماة بالكوبرى . فيحسن أن نذكر شيئا عن كوبرى قصر النيل فهو أقدم الكبارى التى أنشئت فى العاصمة على النيل .

وقد تم العمل فى كوبرى قصر النيل القديم وافتتح رسميا للمرور فى عهد اسماعيل فى ١٠/٢/١٨٧٢ . وكان عرضه ١٠ أمتار منها ٣ أمتار للأفريزين . وحمولته ٦ أطنان . وبلغت تكاليفه ١١٣٨٥٠ جنيها وأقيم على مدخليه أربعة سباع من البرونز بلغ ثمنها وتكاليف نقلها من أوربا للاسكندرية ٨٤٢٥ جنيها .

رسم الكوبرى سنة ١٩٢٠

وفى أول أبريل سنة ١٩٣١ منع المرور عليه لخلله وعدم كفايته لحاجة المدينة . وأنشىء بدله الكوبرى الجديد الحالى . وعرضه ٢٠ مترا . منها ٥ أمتار للافريزين وطوله ٣٨٢٫٢٠ مترا . وبلغت تكاليفه ٢٩١٩٥٥ جنيها . وافتتح رسميا للمرور فى ٥/٣/١٩٣٣ فى عهد

فؤاد الأول بن اسماعيل وأطلق عليه كوبرى الخديوى اسماعيل •

ووضعت الأربعة سباع البرونزعلى مدخليه • ولكن علىقواعد أقل ارتفاعا من السابقة •

وعرض الكوبرى يدل على قصر نظر بالنسبة لتطور المدينة واحتياجاتها مما أدى الى انشاء عدة كبارى أخرى على النيل فى عهد الثورة • منها كوبرى الجامعة (١٩٥٦ - ١٩٥٨) وكوبرى سراى النيل • كوبرى فم الخليج • وكوبرى الجيزة (عباس سابقا) الذى فتح للمرور سنة ١٩٧١ وجارى الآن العمل بكوبرى رمسيس فوق النيل بفرعيه وفوق جزيرة الزمالك •

وعندما أفتتح كوبرى قصر النيل للمرور سنة ١٨٧٢ تقرر رسم للمرور عليه على الانسان والحيوان وعربات النقل • فالفرد من الرجال أو النساء يدفع ١/٤ قرش • والواحد من الجمال والحمير والجاموس والبقر يدفع رسما يتراوح بين ٣/[illegible] قرش (أى ١٥ بارة لأن القرش كان ٤٠ بارة) وقرشين يختلف حسبما كان الحيوان صغيراأو كبيرا• ومحملا أو فارغا • ويدفع رسم عن عربات النقليتراوح بين ثلاثة قروش وقرش واحد يختلف حسب نوعها • وحسبما تكون محملة أو فارغة • والأغنام والماعز والكلاب وباقى الحيوانات يدفع عن الواحد منها ١/٤ قرش •

ويعافى من الرسمالأطفال لغاية سن ست سنوات • وكذلك صنف الغزال

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أطلق على الكوبرى اسم كوبرى التحرير • ثم أطلق عليه بعد ١٩٧٠/٩/٢٨ اسم كوبرى عبد الناصر تخليدا لذكرى الرئيس جمال عبد الناصر •

ولكن ظل الاسم القديم كوبرى قصر النيل غالبا على ألسنة الناس •

كوبرى الجلاء أو كوبرى البحر الأعمى :

ويقابل كوبرى قصر النيل من الناحية الأخرى من جزيرة الزمالك على الفرع الغربى للنيل كوبرى نعرفه الآن باسم كوبرى الجلاء • ولكن يعرف قديما باسم كوبرى البحر الأعمى •

فقد أنشىء هذا الكوبرى بعد كوبرى قصر النيل لتحقق الفائدة من انشاء هذا الأخير • وفتح للمرور فى نوفمبر سنة ١٨٧٧ • والسبب فى اسم البحر الأعمى أن جزيرة الزمالك لم تصبح جزيرة بالمعنى الصحيح الا فى الربع الأخير من القرن الماضى فلغاية سنة ١٨٧٣ لم يكن الفرع الغربى للنيل موجودا على الدوام بل كان يمتلىء أثناء الفيضان • ثم يفيض ويجف • ولذلك سمى البحر الأعمى فالبحر اذا فقد الماء كان كالعين اذا فقدت الابصار • ثم حفر بعد ذلك وأقيم عليه الكوبرى •

وفى سنة ١٩١٤ أنشىء بدله كوبرى آخر عرضه ١٩ مترا منها ٧ أمتار للأفريزين • وطوله ١٤٥ مترا وعرف بكوبرى الانجليز • لوجود معسكر لهم هناك أثناء الحرب العالمية الأولى•ثم أشتهر بكوبرى بديعة لوجود كازينو للفنانة بديعة مصابنى بالميدان غربى الكوبرى محله الآن فندق شيراتون •

وظل هذا الاسم شائعا حتى سنة ١٩٥٢ فأطلق عليه كوبرى الجلاء ليقابل كوبرى التحرير •

قصر النيل :

واسم قصر النيل يرجع الى قصر بناه محمد على لابنته نازلى على النيل شمال موقع كوبرى قصر النيل الحالى ثم هدم سعيد باشا بن محمد على هذا القصر وأنشأ مكانه ثكنات للجيش المصرى • وكانت مقر وزارة – أو نظارة كما كانت تسمى – الحربية عند قيام الثورة العرابية •

ولما احتل الانجليز مصر احتلوها واستعملوها ثكنات لجيش الاحتلال •

ولما جلا الانجليز عنها هدمت • وبنيت مكانها جامعة الدول العربية وفندق هيلتون وغيرهما من المبانى • وأدخل جانب من الفراغ شرقى الثكنات فى ميدان التحرير •

وكان لثكنات الجيش البريطانى خط سكة حديد خاص يمر فى شارع فم الترعة البولاقية (الذى أصبح الآن شارع الجلاء) حتى يتصل بالسكة الحديد العمومية عند السبتية ؟

محمد كمال السيد محمد

حظ الرسول من حرية الرأى

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

كان للرسول صلى الله عليه وسلم الحرية كل الحرية فى أن يستفيد بثمار رأيه ونتائج فكره فى أمور الشريعة المتجددة التى تتوارد عليه آناء الليل وأطراف النهار مما لم يسبق فيها اليه وحى قاطع .. أو علم يقينى ومع استعماله لتلك الحرية الفكرية فى استنباط الأحكام الشرعية ، والبت فى أمور الدين والشريعة .. فهو لم يخرج عن اطار الوحى الذى يدور دائما فى فلكه ، ويعمل لزوما فى أضواء ارشاده وتوجيهه .. من حيث ان الوحى فى النهاية لا يقره على خطأ وان ترك له فى البداية امكانية الوقوع فيه ففى أصول البزدوى : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد يوم الأحزاب أن يصالح المحاربين من المشركين على أن يعطيهم شطر ثمار المدينة ليفكوا الحصار الذى ضربوه وأحكموا حلقته من حول المدينة ، وليخلص المسلمين من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات ، باجتماع العرب باسرهم ضد الاسلام والمسلمين .. ولكن سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضى الله عنهما قاما يتحدثان بلسان أهل المدينة فقالا : ان كان هذا عن وحى فسمعا وطاعة ، وان كان عن رأى فلا نعطيهم الا السيف .. قد كنا نحن وهم فى الجاهلية بلا دين ، وكانوا لا يطعمون من ثمار المدينة الا بشراء أو قرى (أى ضيافة) ، فاذا أعزنا الله تعالى بالدين أنعطيهم ثمار المدينة ؟ .. لا نعطيهم الاالسيف فقال عليه الصلاة والسلام : « انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، فأردت أن أصرفهم عنكم فاذا أبيتم فذاك » ثم قال عليه الصلاة والسلام لوفد الصلح : « اذهبوا فلا نعطيهم الا السيف » .. وواضح من هذا مدى تجاوب الرسول مع أصحابه فى مضمار الرأى الحر ، والفكرة الشخصية ، وأن مسائل التشريع رغم

خطورتها وقداستها لم تأخذ طابع « الدكتاتورية » فى الحكم ، ولا الاستبداد بالرأى ، وانما أتاح الله تعالى لرسوله ولها فرصة المد والجزر والأخذ والعطاء ، والنقض والابرام على بساط الرأى المطروح والكلمة المتجاذبة الحرة .. وواضح أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصدر فى هذه الحادثة بدىء ذى بدء عن وحى حاسم ، أو أمر الهى صارم .. والا لما وسعه التحول عنه الى رأى السعدين رضى الله عنهما .. وانما صدر عن حقه المشروع فى اصدار الحكم حين يعز عليه طلبه من جهة أعلى ، واستعداده مع ذلك للمناقشة والمجادلة ، وتبادل الحجة والمنطق مع أربابه ، وتهيؤه بعد كل ذلك للعودة الى الرأى الصائب ، والقول السديد أيا كان مصدره ، وكيفما كان اتجاهه .

بيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسارع الى رأيه الحر فى غير ما هوادة وأناة ، ولا يلجأ الى حريته الفكرية فى لهفة وعجلة .. ولكنه مأمور بانتظار الوحى أولا ، والتريث فترة يحددها استعداده الخاص ، لما عساه ينزل فى الحادثة المعروضة من حكم سماوى بلسان الملك المعهود له .. او باشارة ذلك الملك بالحكم المنشود ولو لم يحدثه فيه حديثا مسموعا وهى ما تسمى « خاطر الملك » أو بما تبدى لقلبه بلا شبهة بالهام من الله تعالى له مباشرة عن طريق الرؤية بنور من عنده جل وعلا .. فاذا ما انتهت فترة الانتظار هذه بدون ما يرجو نزوله ، وخاف الفوت فى الحادثة ، ورأى أنه قد جاء الدور المناسب للافادة برأيه ، واستعمال عقليته .. لم يتردد فى تصفح وجوه الرأى بينه وبين أصحابه والأخذ بما يقع عليه الاختيار الحر سواء من رأيه هو أو من رأى غيره وفى هذه الحال التى يتمخض فيها رأيه أو رأى غيره عن حكم من الأحكام يكون الاجتهاد وما ترتب عليه وما استند اليه من حكم ظهر له بالاجتهاد وحيا لانطقا عن الهوى ولا مجرد تطييب لقلوب أصحابه واستمالته لهم فحسب .. اذ لو كان الهدف من استشارة أصحابه التطيب والاستمالة لكان فى رده لرأيهم أحيانا مستهزئا بهم أو مؤذيا لهم (١) .. وحينئذ لا

(١) التلويح على التوضيح جـ ٢ ص ٢٧٦ .

يجوز لأحد كائنا من كان أن يخرج على رأيه صلى الله عليه وسلم الذى ينتهى اليه بعد عملية الاستفتاء الفكرى التى كان كثيرا ما يلجأ اليها مع أصحابه .. حتى ولو كان الرأى الأخير لغيره .. اذ أنه بعد ابرامه للحكم ، والفراغ من استنباطه يخرج عن كونه اجتهادا شخصيا .. أو رأيا فرديا .. الى كونه حكما من أحكام الله تعالى حيث لم ينزل تصويب له من جانب الوحى .

وقد أعطى القرآن الكريم لكل من توفرت فيه أهلية النظر فى الأحكام أن يستفيد بنظره وينتفع باجتهاده وذلك فى قوله تعالى : « فاعتبروا ياأولى الأبصار (١) » والرسول عليه الصلاة والسلام هو امام أهل النظر ، بلا شك ، .. على أن الاجتهاد الشخصى قد سبق به التاريخ مع غيره من الأنبياء والمرسلين الذين أمره الله بالأسوة بهم ، والنهج على طريقهم بقوله تعالى: « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٢) فوقوعه من الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الأعمال ولا غريبة من الغرائب ففى أيام داود عليه السلام وقعت غنم قوم ليلا فى زرع جماعة فأفسدته وتحاكموا الى داود فحكم بدفع الغنم لصحب الزرع وكان ابنه سليمان عليه السلام بالمجلس فقال : غير هذا أرفق بالفريقين .. أرى أن تدفع الغنم الى أهل الزرع ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها ، وأن يدفع الزرع الى أرباب الغنم يصلحونه حتى يعود كهيئته يوم فسد ثم يترادون .. فقال داود ، وقد سمع من منطق سليمان لحسن الحق : القضاء ما قضيت ، وأمضى الحكم بذلك .. وغنى عن البيان أن لكلٍّ وجهة فيما أصدر من حكم ، وما ارتأى من اجتهاد .. فداود رأى أن الضرر وقع بالغنم فسلمت الى المجنى عليه كما فى العبد الجانى ، ورأى سليمان أن الأوفق والأرفق الانتفاع بالغنم ازاء ما فات من الزرع ، من غير زوال ملك أصحابه عنه كما أوجب على أصحاب الغنم العمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان (٣) .

---

(١) سورة الحشر : ٢

(٢) سورة الأنعام : ٩٠

(٣) التوضيح فى الأصول جـ٢ ص ٢٧٥

على هذا الدرب سار رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو المكمل للرسالات من قبله ، والمتمم للشرائع السابقة عليه ، والمصدق لما بين يديه وما تقدمه من الكتب لا يترك منها شيئا الا بدليل خاص تقتضيه الحكمة الالهية وتوجبه نواميس التطور العام لظروف المكان ، ونوعية الزمان .. فقد روى أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله: ان فريضة الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة .. أفيجزينى أن أحج عنه فقال عليه الصلاة والسلام : « أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته .. أكان يقبل منك ؟ قالت نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقبل » (١) .. فهذا الحديث الشريف يعكس صورة قياسية فى استنباط الأحكام .. تعتمد على الحاق الفروع بالأصول ، والأشباه بالنظائر بعد اشتراكهما فى معنى واحد وعلة مشتركة .. فهو بطبيعة اتصاله بالملأ الأعلى ، وبحكم وضعه التشريعى فى الدين .. يعتبر أسبق الناس الى العلم بالأسرار الشرعية ، والعلل الجامعة للأحكام الكثيرة .. فهو يعلم المتشابه ، والمجمل .. وقد يخفى ذلك على الراسخين فى العلم ، فاذا وضح له الوجه المشترك بين أصل محكوم فيه ، وبين فرع بدون حكم ، لزمه الحاق الفرع بأصله ، والعمل على وفق ذلك .. وسواء قلنا بامكان علمه سلفا بالوحى ثم بلورته للناس بطريق القياس تقريبا لافهامهم .. أم قلنا انه اهتدى اليه باجتهاده الحر ، وتفكيره المبتدأ .. فان النتيجه واحدة .. وهى لزوم الحكم بعد الفراغ منه ، وعدم تصويبه من جانب الوحى .. بالنسبة الى كل من بلغه ذلك .. ونجد صورة أخرى قريبة مما تقدم عرضه .. ان لم تماثله تماما تدل على براعة التنظير النبوى بين المسائل المتشابهة لاستخراج حكم موحد من خلال هذا التنظير ، وذلك فيما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم فقال عليه الصلاة والسلام : « أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته .. أكان يضرك ؟ » (٢) ومعنى ذلك أن الصائم المتمضمض بالماء اذا ألقى الماء خارجا مع الحرص على عدم وصول شيء

(١) التوضيح جـ٢ ص ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق .

منه الى الجوف لا يضره ذلك فى صيامه .. فكذلك من يقبل زوجته فى نهار رمضان مع حرصه على ألا يزيد الأمر على مجرد القبلة لا يضره ذلك فى الصيام أيضا ..

ولئن كانت هاتان الصورتان تحكيان نموذجا شخصيا لحرية الرسول صلى الله عليه وسلم فى تفكيره ومعايير نظره.. ومقاييس آرائه .. مع احتمال سبق علمه بالحكم من الوحى .. فان استشارته لأصحابه ، ومناقشته لهم ، وتقبله منهم ، وتنازله عن رأيه لرأيهم يلقى لنا ضوءا أقوى على خط الرسول فى حرية رأيه ، وأنه كان يعمل فيه منطلقا من كل قيد الا قيد انتظاره ريثما ينزل حكم فى المسألة .. فاذا ما أصبح فى حل من هذا الانتظار نظر فى المسائل والأحكام بملء حريته وبكل امكانيات تفكيره ، يبدو ذلك واضحا فيما روى [1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن أبى طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال : قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية يتقوى بها أصحابك ، .. وقال عمر: كذبوك ، وأخرجوك، فقدمهم واضرب أعناقهم ، فان هؤلاء أئمة الكفر ، وان الله أغناك عن الفداء .. مكن عليا من عقيل وحمزة من عباس ، ومكنى من فلان لنسيب له ، فلنضرب أعناقهم . فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأى أبى بكر ، وكان ذلك هو الرأى عنده ، فمن عليهم ، حتى نزل قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » [2] أى لولا حكم الله الذى سبق فى لوحه المحفوظ من أنه لايعاقب مخطئا فى اجتهاده لعقوبتهم فدل هذا على وقوع الخطأ فى اجتهاده صلى الله عليه وسلم ابتداء ، وان كان لا يقر عليه انتهاء ، وسبب الخطأ تقدير النفع باستبقائهم ، وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم.. فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لو نزل بنا عذاب ما نجا الا عمر» .. وأمثال هذا كثير يضيق عنه المقال ، ولا يتسع له المقام .. وحسبنا من ذلك أن نلمح من خلاله نظرات الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) التوضيح ج ٢ ص ٢٧٥
(٢) الأنفال : ٦٨

الفاحصة الباحثة وهى تتألق ذكاء وألمعية بحثا عن الحقائق الحكمية ، وتنقيبا عن وجوه الآراء الخفية وأنه كان يدرب أصحابه على اقتحام أسوار الاجتهاد المنيعة ،ويبين لهم من شخصيته يسر هذا الأمر وسلاسته لكل من توسم فيه أهلية الصواب والسداد ، وأنه كان يشجعهم على ارتياد دروب الحرية الفكرية .

وبعد

فمما تقدم يتضح أنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم وحيان (١) : أحدهما : ظاهر ، وثانيهما : باطن أما الظاهر فثلاثة أنواع : أولها ما جاء على لسان الملك وسمعه ووعاه بعد قطعه بشخصه المبلغ والقرآن من هذا القبيل ، ثانيها : ما تجلى له باشارة الملك من غير تحديث كما قال عليه الصلاة والسلام : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » والروع : القلب ويسمى هذا « خاطر الملك » وثالثها : ماظهر لقلبه بنور الله والهامه بلا شبهة فى ذلك كما قال تعالى : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » وكل ذلك حجة مطلقا .

وأما الوحى الباطن : فهو ما ينال بالاجتهاد واعمال الرأى ، والتصرف فى اطار الفكر الذى يتمتع به كبشر مثلنا له حرية الرأى ، وامكانية الرأى المنطور على بصيرة ووعى كامل وهو بعد اتمامه والفراغ من ابرامه ،وعدم اعتراض الوحى عليه أو تصويبه له يعتبر حجة على ما ذهب اليه جماهير العلماء ؟

د . محمد محمد الشرقاوى

---

(١) التوضيح جـ٢ ص٢٧٤

إسلاميات شوقي (٥)

للدكتور ابراهيم علي أبو الخشب

للخلافة الاسلامية ـ في تركيا ـ وقد كانت تضم شتات المسلمين ، وتؤلف بين قلوبهم ، وتدافع عن حقوقهم ، وتجمع كلمتهم ،وتداوى عللهم ، وتطب لأوجاعهم ، وتربط ما بينهم بخيوط من الود الخالص ، والمحبة الصادقة ، قداسة واحترام ، يحملانه في كثير من الأحايين على الغيرة عليها من الغبار المتطاير ، والهواء الذي يجيء من هاهنا وهناك ، وربما لذ لبعض الحاقدين عليه أن ينسبوا هذه العاطفة المشبوبة والهوى الحار أو الوجدان المؤلم « الى جريان الدم التركي في شرايينه ، وانتهاء دوحته الى ذلك العنصر من هؤلاء الذين كانت الخلافة في بلادهم ، متمثلة في انسان منهم ، ولكن الذي يتابع مواقفه الشعرية التي تتناول الخليفة أو الخلافة وبخاصة بعد هذا الصنيع الذي صنعه زعيم الثورة هنالك « مصطفى كمال » لايسعه بعد قراءة القصائد التي تخلفت عن غضبه لهذه الأحداث التي جرت بها المقادير هنالك ، الآن يحكم بأن أحاسيسه عنها ، وشعوره بها ، وبكاءه لما أصابها أو نزل بها ، كان تعبيرا صادقا عن آماله فيها، وتصوره عنها ، وتقديره لها ، ومقدار خيبة أمله بما نزل بها ، وبخاصة من هذا الانسان الذي كان معجبا بانتصاراته وزحفه ، وفتوحاته وتقدمه ، وكأن العاطفة الحيرى التي كانت تتجاذبه الى مدح القائد المظفر ، ثم تسوقه للعتب عليه ، أو اللوم له ، قد أتعبت خاطره ، وأقضت مضجعه ، وأكدت نفسه ، ونغصت عليه وجدانه وشعوره ، وحال كهذه من شأنها أن تتعب صاحبها الى أبعد حدود التعب ، وتقلق خاطره الى أقصى مايكون الاقلاق ، وهي مع هذا ربما جعلت في الرجل الذي يعاني منها ، ويقاسي من

وبلاتها، شيئا من التناقض والاضطراب في تسجيله لهذا الشعور . أو حديثه عنه ، كما هو الشأن فيمن ينصبون من أفئدتهم هدفا للشيء وضده ، أو المعنى ونقيضه ، وقد كان من روعة هذه العاطفة أنها لم تنحرف بصاحبها عن الجادة ، أو تمل به عن القصد الصحيح ،لأنه لم يكن متحيزا ولا مغرضا ، ولأصحاب هوى خاص يحمله على المدح أو القدح والتقريظ أو العتب .. واذا كان له أن يمدح الخليفة فى موقف من المواقف أو ظرف من الظروف ، فان هذا المدح لم يكن لشخص الخليفة ، وانما كان لشخص الخلافة ذاتها ، على اعتبار أنها اليعسوب الذى يكون به قوام الخلية ، وامتداد حياتها ، وتحقيق الفائدة المرجوة منها ، وقد حدث أن اعتدى آثم على الخليفة فألقى عليه قذيفة يحاول بها موته ولكن الله كان قد أراد له أن يسلم من هذا الاعتداء وينجو من ذلك الغدر المبيت ، وهنالك يقول شاعرنا :

هنيئا أمير المؤمنين فانما
نجاتك للدين الحنيف نجاة
هنيئا لطه والكتاب وأمة
بقاؤك ابقاء لها وحياة
أخذت على الأقدار عهدا وموثقا
فلست الذى ترقى اليه أذاه
ومن بك فى برد النبى وثوبه
تجزه الى أعدائه الرميات
يكاد يسير البيت شكرا لربه
اليك ويسعى هاتفا عرفات
فلولاك ملك المسلمين مضيع
ولولاك شمل المسلمين شتات
نجت أمة لما نجوت ودوركت
بلاد وطالت للسرير حياة

وهى على هذا النمط من البيان ، وذلك الأسلوب من البلاغة ، الا أنه بيان ينبع من القلب ، وبلاغة تنضج بالعقيدة القوية ، والايمان الراسخ والشعور الذى لا يشوبه الشك فى أن هذا الانسان الذى ترفرف حوله قلوب الملايين من المسلمين بالولاء والطاعة ، والاخلاص والحب والأمل والرجاء ، وهى انما تعطيه ذلك كله عن طواعية واختيار ، لأنها ترى فيه الكثير من معانى اعتزازها وعزتها ، وكبريائها وعظمتها ، ولا يضير شاعرنا هذا أن يكون الناس لا يشاركونه هذا الشعور ، ويوافقونه فى ذلك الاعتقاد لأنه يسجل ما ينبض به قلبه ، وتمتلىء به جوانحه ، وتهتف به أحاسيسه

ولهذا كانت فاجعته التى ليس قبلها ولا بعدها حين سرى الى نفسه نبأ الغائها ، وبين دمعه الذى بذله ، وألمه الذى أبداه ، وعويله الذى أعلنه الى الدنيا كلها ، يظهر مدى اخلاصه فى ذلك ، وصدق شعوره :

عادت أغانى العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه
ودفنت عند تبلج الاصباح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحى من الأرض الخلافة ماح
وأتت لك الجمع الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الأنواح
يا للرجال لحرة موءودة
قتلت بغير جريرة وجناح
ان الذمن أست جراحك حربهم
قتلتك سلهمو بغير جراح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم
موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة
ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالى دونه
قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها
كانت أبر علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم
فى كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة وتلك فتنة عابث
بالشرع عربيد القضاء وقاح
من قائل للمسلمين مقالة
لم يوحها غير النصيحة واح
عهد الخلافة فى أول ذائد
عن حوضها ببراعة نضاح
انى أنا المصباح لست بضائع
حتى أكون فراشة المصباح

الا أن هذه الدموع التى يذرفها ، والعبرات التى يسكبها ، والحسرة التى يبديها ، واللوعة التى كانت تملأ جوانحه ، والأسى والأسف الذى أطار نومه ، وأقض مضجعه ، وجعل ليله طويلا ، وويله الذى يعانيه جليلا ، لم يكن حائلا بينه وبين تلك العاطفة النبيلة التى كان يضمرها فى نفسه لهذا الانتصار الرائع الذى أحرزه الثوار الأتراك فى حربهم ضد العدو، وقد حمله ذلك كله الى أن يعلن الى كمال أتاتورك اعجابه به ، وثناءه عليه ، وحبه له الحب الذى كان يصل الى حد القداسة والاحترام ، ويبدو

ذلك فى أجلى مظاهره ، وأبدع صوره ، اذ يقول له من هذه القصيدة التى ينعى فيها سقوط الخلافة ..

هو ركن مملكة وحائط دولة
وقريع شهباء وكبش نطاح
أأقول من أحيا الشريعة ملحد
وأقول من رد الحقوق اباحى

ولهذا كله ظل يتابع أخباره ، ويتغنى بانتصاراته ، ويفاخر بزحفه ، ويردد الحديث عنه ، والمديح لخطواته التى يخطوها ، وضرباته التى يسددها ، واذا كان أبو تمام يقول للمعتصم العباسى وقد فتح عمورية بعد أن ملأ المنجمون قلبه باليأس من النصر .

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

فانه يقول لهذا الرجل الذى استحوذ على نفسه بالاعجاب ، وعلى قلبه بالتقدير ، وعلى فؤاده بالاكبار والاجلال ، وكأنه المثل الأعلى للقواد ، والصورة الرائعة لمن يتقدمون الصفوف ، ومن – بعده – أولى بأن يكون أبا تمام ، ومن كذلك بعد صاحبه أولى أن يكون المعتصم أو خالد بن الوليد .

الله أكبر كم فى الفتح من عجب
ياخالد الترك جدد خالد العرب
صلح عزيز على حرب مظفرة
فالسيف فى غمده والحق فى النصب
أتيت مايشبه التقوى وان خلقت
سيوف قومك لا ترتاح للقرب
ولا أزيدك بالاسلام معرفة
كل المروءة فى الاسلام والحسب
فقل لبان بقول ركن مملكة
على الكتائب يبنى الملك لا الكتب
وما السلاح لقوم كل عدتهم
حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب
ولا المصائب اذ يرمى الرجال بها
بقاتلات اذا الأخلاق لم تصب
أخرجت للناس من ذل ومن فشل
شعبا وراء العوالى غير منشعب
لما أتيت ببدر من مطالعها
تلفت البيت فى الأستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة
الى المنورة المسكية الترب
ومست الدار أزكى طيبها وأتت
باب الهول فمست أشرف العتب
وأرج الفتح أرجاء الحجاز وكم
قضى الليالى لم ينعم ولم يطب

وهى ـ كما ترى ـ صورة من من الثناء الصادق ، والمديح الخالص ، تذكرنا بمواقف كانت لفحول الشعراء ، مع فحول القواد والفاتحين ، وتجعلنا نرجع الى الوراء فى التاريخ الذى كان الأدب فيه حافلا بأزهى عصوره ، وأحسن أيامه ، وأكثر أوقاته فحولة وجزالة ، اذ كان المتنبى فى ظل سيف الدولة الحمدانى يقول

وما الدهر الا من رواة قصائدى
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وتنتقل الدولة الجديدة بعاصمة الملك من الآستانة الى أنقرة ويهزه هذا الانتقال لأنه حدث من أحداث الثورة التى تعيش فى كيانه ، وتستقر فى خاطره ، وتأخذ من اغتباطه وجذله ، وارتياحه وفرحه ، الكثير من عواطفه ووجداناته ، لكن ذلك كله لا ينسيه صنيعه الخلافة ، وأفول نجمها ، وذهاب دولتها ، وسكوت نأمتها ، وصيرورة تاريخها فى خبر كان .

قل للخلافة قول باك شمسها
بالأمس لما آذنت بدلوك

ياجذوة التوحيد هل لك مطفىء
والله جل جلاله مذكيك

خلت القرون وأنت حرب ممالك
لم يغف ضدك أو ينم شانيك

يرميك بالأمم الزمان وتارة
بالفرد واستبداده يرميك

عودى الى ما كنت فى فجر الهدى
عمر يسوسك والعتيق يليك

ان الذين توارثوك على الهوى
بعد ابن هند طالما كذبوك

لم يلبسوا برد النبى وانما
لبسوا طقوس الروم اذ لبسوك

والذى نلاحظه فى حديث شوقى عن الخلافة ـ باكيا أو شاكيا ـ أنه وهو يراها مظهرا من مظاهر قوة المسلمين ، والتئام شملهم ، وضم شتاتهم ، وجمع كلمتهم ، واتحاد أهدافهم ، لم يتخذ لنفسه فيها موقف المصلح الذى يضع الدواء فى موضع العلة ، كما كنا نراه فى كثير من المشاكل التى يعالجها بالبحث . أو يدلى بدلوه فيها مع الخائضين فى خضمها . وربما كان عذره فى ذلك أنه لم يجعل نفسه من هؤلاء الذين يليق بهم أن يكونوا من القضاة الذين يعطيهم مركزهم الاجتماعى أو الثقافى

والعلمى هذا الوضع ، أو أنه كان من هؤلاء الذين لايرون أنها فريضه محكمة لابد للمسلمين من الأخذ بها ، والعمل بنظامها ، وقد عاصر هذا التاريخ اجتهاد انحدر اليه بعض العلماء فى كتاب له بعنوان « الاسلام وأصول الحكم » كان يرى فيه أنها أسلوب من أساليب الحكم الذى يأخذ الناس به ـ فى أمور دنياهم ـ لاتخضع لنص فى كتاب الله وسنة رسوله ٠ وليس هنالك دستور ينزل المسلمين على رأيه ،ويلتزمون هديه ، الا أن يكون أمرهم شورى ـ كما نطق بذلك القرآن الكريم ـ لكن لون هذه الشورى أو شكلها وكيفيتها ومدى الرضا بها لم يتحدد بعد كأنه من المتشابه على الناس الذى لم يتعرض الدين له بالبيان الشافى ، وقد كان نظام الحكم الذى كانت عليه الدولة الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستقر على حال واحدة ، اذ كان أمرها على عهد أبى بكر رضى الله عنه مخالفا لأمرها على عهد عمر وهكذا حتى كانت خلافة معاوية فكان ما كان من جعلها ملكا عضودا فى عقبه وأهله ، ولذلك كله كثرت الصراعات عليها ، والقتال من أجلها ، ونحن وان كنا نرى أن المسلمين بحاجة ماسة الى جمع الكلمة ، ورأب الصدع ، وضم الصفوف ، الا أننا نرى أنهم لا يستطيعون أن يجدوا من صفوفهم من يرضون عنه الرضا الكامل من ناحية ورعه وزهده وعلمه وعدله ونزاهته وطهارة عرضه ليجعلوا زمام أمرهم اليه ٠٠ وقد حاولوا هذه المحاولة أكثر من مرة ثم تبين لهم أنهم لم يستطيعوا ذلك ٠ وأنهم يغلبون ـ حين يحاولون هذه المحاولة ـ جانب السياسة على جانب الكياسة ، والغرض والهوى ٠ على الواجب والمصلحة ، وأنا أنصح للمسلمين هنا وهنالك أن يجعلوا الخليفة الذى يضم الصفوف ، ويوحد القلوب ، ويقرب المسافات ،ويقوى الجانب ،ويمكن للعدل والحق والأمن والسلامة والاطمئنان ، هو الدستور الالهى ، والهدى النبوى، وليس بعد علاج رب العالمين علاج ؟

د ٠ ابراهيم على أبو الخشب

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى

للدكتور رءوف شلبى

هذه الدراسة الواسعة الشاملة عن : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها •• للدكتور رءوف شلبى المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر ، والتى قام بنشرها مجمع البحوث الاسلامية ، تقع فى أكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير •• وقدم لها بمقدمة موجزة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر •

قسم المؤلف دراسته الى قسمين :

الباب الأول : مناهج الدعوة فى عهدها المكى • وقد استوعب هذا القسم أكثر من أربعمائة صفحة وقد جاء فى أربعة فصول : الأول : منهج اثبات وحدانية الله تعالى ، والثانى : منهج العمل مع الجماعة ، والثالث : مراحل الدعوة • أما الرابع فهو : معالم فى طريق الدعوة ، والباب الثانى : الغايات •• وقد استوعب هذا القسم زهاء مائتى صفحة ، وجاء فى ثلاثة فصول : الأول : فى العقيدة الاسلامية ، والثانى : فى التشريع والأخلاق والجماعة الاسلامية ، أما الثالث والأخير ، فهو خاتمة العهد المكى ••

يقرر المؤلف فى مقدمته ـ ونحن موافقون له ـ أن مادة الدعوة الاسلامية ، لم تحظ من قبل بتقعيد علمى لموضوعاتها ، كما حظى الفقه والأصول ، وعلوم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا ، وما اليها ، فأصبح من الواجب الذى يثاب عليه بالأداء ، ويعاقب عليه بالترك أن

تبذل جهود جمة لابراز موضوعات الدعوة الاسلامية فى اطار أكاديمى، علمى ••

كذلك يقرر المؤلف : أن المنهج الذى التزمه فى هذه الدراسة ، يقوم على ركيزة خاصة هى : والذاتية الاسلامية وهى ـ كما يقول المؤلف ـ ليست مفهوما يصور فى حد أو رسم منطقى أو فلسفى » ولكنها سلوك عملى قدم له الرعيل الأول فى اطاره الذى يعيه العقل المسلم وتطبقه الجوارح الخاشعة •• ومن أوليات هذا الالتزام عند المؤلف ، التجرد من التبعية مطلقا فى الفكر والمنهج والقصد ••

الحق أن المؤلف كتب دراسة شاملة متكاملة عن : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى » غلب عليها بعض الاستيعاب التاريخى الذى تميزت به معظم سائر المؤلفات فى السيرة المحمديه ، وان كان نصيب التحليل فيها غير قليل » •

والمؤلف استطاع أن يحافظ ـ على وجه التقريب ـ على التزام المنهج الذى اختاره ، ولا سيما فيما يتصل بابراز الذاتية الاسلامية ، فى الدراسة وفى جعل الدراسة ذاتها أقرب ماتكون من الدراسات المنهجية••ونحن نتفق مع المؤلف ـ فى أن الدعوة الاسلامية لم تنل حظها من الاهتمام كسائر العلوم الأخرى ، الا أنه يرى أن مكمن التقصير هو أن الدعوة الاسلامية لم تحظ من قبل بتقعيد علمى لموضوعاتها ، ولسنا ندرى ماذا يقصد بالتقعيد العلمى ؟ كان من الأولى أن يكون مكمن التقصير » فى أن الدعوة لم تحظ ـ كما ينبغى ـ بما يحولها من سرد تاريخى الى دراسة منهجية جديرة بالبحث والمناقشة ، فالدعوة الاسلامية ليست علما كالهندسة والجغرافيا والطبيعة •• وانما هى فكرة ربانية يقوم بناؤها على الابداع فى كل نواحيها : عقيدة ، وفكرة ، ومنهاجا ونظاما •• وهذا الاحساس الذى نحس به ، أحس به المفكرون المحدثون ، منهم المرحوم هيكل ، والمودودى ، والبنا ، والعقاد ، والمرحوم الدكتور دراز وغيرهم ••

نلاحظ أن المؤلف ـ رأى استبعاد ما كتبه المستشرقون عن الاسلام والدعوة ، حتى ولو كانوا مخلصين ،

تمشيا - كما يقول - مع طبيعة الدراسة الذاتية الاسلامية . ولست أرى مساسا بهذه الذاتية ان تعرض آراء الغير ، ما دامت وثيقة الصلة بالدراسة ، والمؤلف تحاشى التصدى للخصوم الفكريين والخصوم التاريخيين ، مكتفيا بالتصدى لخصوم الدعوة المعاصرين لها ، وكان الأجدر بالمؤلف لو اهتم بالخصومة المعاصرة ، فى أشكال من المذاهب الناهضة للفكر الاسلامى ، فهى التى تتحرك اليوم فى الميدان ، وقد كان المرحوم الدكتور دراز موفقا فى دراسة الدكتوراه عن : دستور الأخلاق فى القرآن ، حين أقام منهجه فى دراسته على مواجهة الفكر الغربى الاستشراقى والتبشيرى معا ..

وبعد - فان الدراسة التى بين أيدينا - على ما أعلم - هى رسالة الدكتوراه للمؤلف - اذن فالمفروض فيها أن تكون دراسة علمية موضوعية، ينبغى أن تسمو فوق الأسلوب الحماسى والعاطفى ، وهو قليل فى هذه الدراسة ، ربما لأن المؤلف عاش الدعوة الاسلامية بفكره ومشاعره منذ كان طالبا .. ويبقى بعد ذلك تقديرنا الكبير لهذه الدراسة القيمة .. انها دراسة منهجية اهتمت بالتحليل العميق الذى يجب أن يكون متوافرا فى أية دراسة تتصل بالدعوة الاسلامية »

مع الله :

للأستاذ عبد الجواد رجب

هذا البحث الموجز الذى نشرته دار الاعتصام بالقاهرة ، يقع فى أكثر من مائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو نظرات فى الكون والحياة ، قدم له بمقدمة موجزة فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، أشار فيها الى أن كتاب المؤلف ، مثل جميل لخدمة الايمان بالأسلوب العلمى الحديث ، والمنهج القرآنى القويم ..

والمؤلف يشير فى مقدمته ، أن هذه الرسالة تثبت بالأدلة وجود الله تعالى ، عن طريق آثاره ، ومعرفته من ثنايا مخلوقاته فى رحاب كونه ، سمائه وأرضه وما فيها ، وقد قسم بحثه الى خمسة أقسام : وجود الله تعالى والعقل ، فى رحاب الكون ، مع الكائنات فى الدنيا ، وفى أنفسكم وما تبصرون ثم : من مواقف الايمان، والحق أن المؤلف قد جال بنا جولة ممتعة فى أسلوب شيق غلب عليه

الطابع الأدبى ، وطابع الحماس أيضا، ذكرنا بأسلوب المنفلوطى واسلوب الرافعى معا ، واهتم المؤلف بآراء فلاسفة الغرب ، لأنهم حجة على الغرب مهد الالحاد ورافع شعاره ، وكم كنا نود أن تهتم الرسالة اهتماما أكثر بمناقشة الماديين مناقشة موضوعية ..

وبعد ـ فالحق أننا اليوم فى حاجة الى مثل هذه الأبحاث الموجزة المركزة ، لمواجهة التحديات التى تهب علينا من الغرب والشرق ، ويتأثر بها الشباب المثقف المسلم ، الذى أصبح فى حاجه ماسة الى أن نأخذ بيده ..

الفكر التشريعى الاسلامى ومشكلات الحضارة

للاستاذ عبد الجليل عبد الدايم :

هذا بحث قيم جدير بكل تقدير يقع فى أربعين صفحة من القطع الكبير ، نشرته مجلة ادارة قضايا الحكومة بالقاهرة للاستاذ الشاب عبد الجليل عبد الدايم النائب بادارة قضايا الحكومة ، والموضوع هو : ضمانات نفاذ التشريع الاسلامى ، وقد تناوله فى خمسة مباحث : تراثنا الفقهى والتطور ، الجمود المذهبى : ملامحه وآثاره ، الرجوع الى الكتاب والسنة ، الاسلام وتطورات العصر ، ثم المصلحة وتطوير الفقة ..

أشار الكاتب فى البداية الى أن القاعدة القانونية الوضعية تتميز بأنها تستمد قوتها الملزمة من وقوف سلطة الدولة الحديثة وهيئاتها المختلفة وراءها ، ولأن السلطة تقف عاجزة فى كثير من الأحيان عن كفالة الاحترام الواجب لقاعدتها القانونية بدا الهجوم فى الفقة الوضعى شديدا على النظرية التقليدية التى تقيم حدودا فاصلة بين قاعدة الأخلاق والقاعدة : القانونية ، وكان أن ظهر اتجاه جديد يدعو الى بناء قاعدة القانون على أسس أخلاقية ، وقد تجاوز التشريع الاسلامى هذا كله ، ذلك لأن القوة الملزمة للنصوص الاسلامية ، نابعة عن العقيدة الاسلامية ، ونتيجة امتزاج قاعدة التشريع بوجدان المكلف امتزاجا شديدا ... فالعقيدة هى وحدها القادرة على خلق وحدة الشعور والتفكير الضروريين لاستقرار الجماعة ، فضلا عن أن القاعدة القانونية الاسلامية ، ليست قاعدة

قانونية ذات أساس أخلاقي فحسب ، بل انها في ذاتها قاعدة حياة وسلوك .

ان البحث دراسة مقارنة على جانب من الاهتمام ، وجميل من شبابنا المثقف ثقافة مدنية ، أن يتجه اتجاها طيبا نحو الاسلام . متخذا من دراسته الأصيلة منطلقا لابراز قيمة الاسلام ولا سيما في مجال التشريع ..

قراءات :

« كتب عمر بن عبد العزيز الى الأسرى المسلمين بالقسطنطينية :

أما بعد ـ فانكم تعدون أنفسكم أسارى : معاذ الله ، بل أنتم الحبساء في سبيل الله .. واعلموا أني لست أقسم شيئا بين رعيتي الا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه .. واني قد بعثت اليكم بخمسة دنانير .. خمسة دنانير ، ولولا أني خشيت ـ ان زدتكم ـ أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم .. وقد بعثت اليكم من ينادي صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحركم ومملوككم .. فأبشروا ثم أبشروا » .

« من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى [١]

للأستاذ محمد أبو شادي

السؤال الأول : ما حكم الأذان والاقامة فى قبر الميت عند وضعه فيه ؟

الجواب : لاريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا عن أصحابه — رضى الله عنهم — والخير كله فى اتباعهم ، وسلوك سبيلهم كما قال الله سبحانه : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) الآية ، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : (من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) متفق على صحته ، وفى لفظ آخر قال — عليه الصلاة والسلام — : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (وكان — صلى الله عليه وسلم — يقول فى خطبة الجمعة : (أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد — صلى الله عليه وسلم — وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلال) خرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر — رضى الله عنه .

السؤال الثانى : ما حكم التلفظ بالنية جهرا فى الصلاة ؟

الجواب : الجهر بالنية بدعة والجهر بذلك أشد فى الاثم ، وانما السنة النية بالقلب لأن الله سبحانه يعلم السر وأخفى ، وهو القائل عز وجل : (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات ومافى الأرض) ولم يثبت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن الأئمة المتبوعين التلفظ بالنية ، فعلم بذلك أنه غير مشروع ، بل من البدع المحدثة ، وسبق فى جواب السؤل الأول بيان الأدلة الدالة على انكار البدع ، والله ولى التوفيق .

السؤال الثالث : ما حكم رفع الصوت بالصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – والترضي عن الخلفاء الراشدين بين ركعات التراويح ؟

الجواب : لا أصل لذلك – فيما نعلم – من الشرع المطهر ، بل هو من البدع المحدثة ، فالواجب تركه ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها وهو اتباع الكتاب ، والسنة ، وما سار عليه سلف الأمة ، والحذر مما خالف ذلك .

السؤال الرابع : ما حكم الجهر بالبسملة في الصلاة عند قراءة الفاتحة ، وغيرها من السور ؟

الجواب : اختلف العلماء في ذلك، فبعضهم استحب الجهر بها ، وبعضهم كره ذلك وأحب الاسرار بها وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت في الحديث الصحيح عن أنس – رضى الله عنه – قال : كان النبي – صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، وجاء في معناه عدة أحاديث وورد في بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها ولكنها أحاديث ضعيفة ، ولا نعلم في الجهر بالبسملة حديثا صحيحا صريحا يدل على ذلك، ولكن الأمر في ذلك واسع وسهل ولا ينبغي فيه النزاع ، واذا جهر الامام بعض الأحيان بالبسملة ليعلم المأموم أنه يقرأها ، فلا بأس ، ولكن الأفضل أن يكون الغالب الاسرار بها عملا بالأحاديث الصحيحة .

السؤال الخامس : ما حكم ماجرت به عادة بعض الناس من ذبح الابل ، والغنم ، واقامة وليمة عند موت الميت يجتمع فيها المعزون وغيرهم ويقرأ فيها القرآن ؟

الجواب : هذا كله بدعة لم يفعله رسول الله صلى الله عليه اسلم – ولا أصحابه – رضى الله عنهم – ، وقد ثبت عن جرير بن عبد الله البجلي الصحابي الشهير – رضى الله عنه – قال : (كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة) أخرجة الامام أحمد ، وابن ماجه بسند صحيح ، وانما المشروع أن يصنع الطعام لأهل الميت ، ويبعث به اليهم من أقاربهم أو جيرانهم أو غيرهم لكونهم قد شغلوا بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم لما ثبت في

الحديث الصحيح عن عبد الله بن جعفر - رضى الله عنه - قال : لما أتى نعى جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم مايشغلهم ، أخرجه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه باسناد صحيح ، وهذا العمل - مع كونه بدعة - فيه أيضا تكليف أهل الميت وأتعابهم مع مصيبتهم ، واضاعة أموالهم فى غير حق ، والله المستعان .

السؤال السادس : هل على السيارات التجارية التى تسافر وتجلب الحبوب ، وغيرها زكاة ، وهكذا ما أشبهها من الجمال ؟

الجواب : ليس على السيارات ، والجمال المعدة لنقل الحبوب ، والأمتعة ، وغيرها من بلاد الى بلاد زكاة لكونها لم تعد للبيع وانما أعدت للنقل ، والاستعمال ، أما ان كانت السيارات معدة للبيع ، وهكذا غيرها من الجمال ، والحمير ، والبغال ، وسائر الحيوانات التى يجوز بيعها اذا كانت معدةللبيع فأنها تجب فيها الزكاة لأنها صارت بذلك من عروض التجارة فوجبت فيها الزكاة لما روى أبو داود ، وغيره عن سمرة بن جندب - رضى الله عنه قال : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع ، والى هذا ذهب جماهير أهل العلم ، وحكاه الامام أبو بكر بن المنذر - رحمه الله - اجماع أهل العلم .

السؤال السابع : بلادنا تنتج الحب والعملة عندنا بالحبوب لقلة النقود ، فاذا جاء وقت البذر اشترينا من التجار الصاع بريال ، فاذا جاء وقت الحصاد وصفيت الحبوب سلمنا للتجار عن كل ريال صاعين مثلا لأن السعر فى وقت الحصاد أرخص منه فى وقت البذر ، فهل تجوز هذه المعاملة ؟

الجواب : هذه المعاملة فيها خلاف بين العلماء ، وقد رأى كثير منهم أنها لا تجوز لأنها وسيلة الى بيع الحنطة ونحوها بجنسها متفاضلا ونسيئة وذلك عين الربا من جهتين : جهة التفاضل ، وجهة التأجيل ،وذهب جماعة آخرون من أهل العلم الى أن ذلك جائز اذا كان البائع ، والمشترى لم يتواطآ على تسليم الحنطة بدل النقود ، ولم يشترطا ذلك عند العقد هذا هو كلام أهل العلم فى هذه المسألة ، ومعاملتكم هذه يظهر منها التواطؤ على تسليم

حب أكثر بدل حب أقل لأن النقود قليلة وذلك لا يجوز ، فالواجب على الزراع فى مثل هذه الحالة أن يبيعوا الحبوب على غير التجار الذين اشتروا منهم البذر ، ثم يوفوهم حقهم نقدا ، هذا هو طريق السلامة ، والاحتياط والبعد عن الربا ، فان وقع البيع بين التجار ، وبين الزراع بالنقود ، ثم حصل الوفاء من الزراع بالحبوب من غير تواطىء ، ولا شرط فالأقرب صحة ذلك كما قاله جماعة من العلماء ، ولا سيما اذا كان الزارع فقيرا ويخشى التاجر أنه ان لم يأخذ منه حبا بالسعر بدل النقود التى فى ذمته فات حقه ولم يحصل له شىء لأن الزارع سوف يوفى به غيره ويتركه أو يصرفه ـ أى الحب ـ فى حاجات أخرى ، وهذا يقع كثيراً من الزراع الفقراء ، ويضيع حق التجار ، أما اذا كان التجار والزراع قد تواطئوا على تسليم الحب بعد الحصاد بدلا من النقود فان البيع الأول لايصح من أجل التواطىء المذكور ، وليس للتاجر الا مثل الحب الذى سلم للزارع من غير زيادة تنزيلا له منزلة القرض لعدم صحة البيع مع التواطىء على أخذ حب أكثر .

السؤال الثامن : هل التسبيح برفع الصوت يوم الجمعة قبل الصلاة بساعة أو أكثر سنة أم بدعة ؟

الجواب : لا شك أن هذا العمل بدعة ، لأنه لم يبلغنا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا عن أصحابه أنهم فعلوا ذلك ، والخير كله فى اتباعهم ، أما من سبح بينه وبين نفسه فلا بأس بذلك بل فيه خير عظيم ، وثواب جزيل لما صح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :(أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر) ، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) ، والأحاديث فى فضل أنواع الذكر كثيرة .

السؤال التاسع : يكثر بين الناس عندنا الحلف بالطلاق ، والحرام : فما حكم ذلك ؟

الجواب : أما الحلف بالطلاق فهو مكروه لا ينبغى فعله لأنه وسيلة الى فراق الأهل ـ عند بعض أهل العلم ـ ، ولأن الطلاق أبغض الحلال

الى الله ، فينبغى للمسلم حفظ لسانه من ذلك الا عند الحاجة الى الطلاق ، والعزم عليه فى غير حال الغضب ، والأولى الاكتفاء باليمين بالله سبحانه اذ أحب الانسان أن يؤكد على أحد من أصحابه أو ضيوفه للنزول عنده للضيافة أو غيرها ، أما فى حال الغضب فينبغى له أن يتعوذ بالله من الشيطان ، وأن يحفظ لسانه وجوارحه عما لا ينبغى ، أما التحريم فلا يجوز سواء كان بصيغة اليمين أو غيرها لقول الله سبحانه : (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) الآية ، ولأدلة أخرى معروفة ، ولأنه ليس للمسلم أن يحرم ما أحل الله له ، أعاذ الله الجميع من نزغات الشيطان .

السؤال العاشر : اذا تخاصم قبيلتان أو شخصان حكم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الابل أو الغنم تعقر وتذبح عند من له الحق ، الى آخره ؟

الجواب : الذى يظهر لنا من الشرع المطهر أن هذه العقائر لاتجوز لوجوه، أولها : أن هذا من سنة الجاهلية ، وقد قال النبى — صلى الله عليه وسلم: (لا عقر فى الاسلام) ، والثانى أن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق ، والتقرب اليه بالعقيرة ، وهذا من جنس مايفعله المشركون من الذبح لغير الله ، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء ، وقد قال جماعة من العلماء : ان هذا يعتبر من الذبح لغير الله ، وذلك لا يجوز بل هو فى الجملة من الشرك ، كما قال الله سبحانه : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، والنسك هو الذبح ، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه فدل ذلك على أن الذبح يجب أن يكون لله وحده ، كما أن الصلاة لله وحده ، وقال تعالى : (انا أعطيناك الكوثر .فصل لربك وانحر) ، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : (لعن الله من ذبح لغير الله) ، الوجه الثالث : ان هذا العمل من حكم الجاهلية ، وقد قال الله سبحانه : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وفيه مشابهة لأعمال عباد الأموات ، والأشجار ، والأحجار كما تقدم ، فالواجب تركه وفيما شرع الله من

الأحكام ، ووجوه الاصلاح ما يغنيهم ويكفي عن هذا الحكم ، والله ولي التوفيق .

السؤال الحادي عشر : قد اشتهر عندنا أن الرجل اذا غاب عن بلاده ثم قدم ان النساء من جماعته يأتين اليه ويسلمن عليه ويقبلنه ، وهكذا في الأعياد ، عيد الفطر ، وعيد الأضحى، فهل هذا مباح ؟

الجواب : قد علم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن المرأة ليس لها أن تصافح أو تقبل غير محرمها من الرجال سواء كان ذلك في الأعياد أو عند القدوم من السفر أو لغير ذلك من الأسباب ، لأن المرأة عورة ، وفتنة فليس لها أن تمس الرجل الذي ليس محرما لها سواء كان ابن عمها أو بعيدا منها ، وليس لها أن تقبله أو يقبلها ، لانعلم بين أهل العلم - رحمهم الله - خلافا في تحريم هذا الأمر وانكاره لكونه من أسباب الفتن ، ومن وسائل ما حرم الله من الفاحشة ، والعادات المخالفة للشرع لا يجوز للمسلمين البقاء عليها ، ولا التعلق بها بل يجب عليهم أن يتركوها ويحاربوها ، ويشكروا الله سبحانه الذي من عليهم بمعرفة حكمه ووفقهم لترك مايغضبه ، والله سبحانه بعث الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لدعوة الناس الى توحيده سبحانه ، وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، ومحاربة العادات السيئة التي تضر المجتمع في دينه ، ودنياه ، ولا شك أن هذه العادة من العادات السيئة ، فالواجب تركها ، ويكفي السلام بالكلام من غير مس ، ولا تقبيل ، وفيما شرع الله وأباح غنية عما حرم ، وكره ، وكذلك يجب أن يكون السلام مع التحجب ولاسيما من الشابات لأن كشف الوجه لا يجوز لكونه من أعظم الزينة التي نهى عن ابدائها ، قال الله تعالى : (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن) الى آخر الآية الكريمة ، وقال تعالى في سورة الأحزاب : (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) الآية ،وقال تعالى : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) وقال تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي

لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » والقواعد : هن العجائز ، بين الله سبحنه أنه لا حرج عليهن فى وضع ثيابهن عن الوجه ونحوه اذا كن غير متبرجات بزينة ، وأن التستر ، والتحجب خير لهن لما فى ذلك من البعد عن الفتنة ، أمامع التبرج بالزينة فليس لهن وضع الثياب بل يجب عليهن التحجب ، والتستر وان كنا عجائز ، فعلم بذلك كله أن الشابات يجب عليهن التحجب عن الرجال فى جميع الأحوال سواء كن متبرجات بالزينة أم غير متبرجات لأن الفتنة بهن أكبر ، والخطر فى سفورهن أعظم ، واذا حرم سفورهن فتحريم الملامسة ، والتقبيل من باب أولى لأن الملامسة ، والتقبيل أشد من السفور ، وهما من نتائجه السيئة ، وثمراته المنكرة ، فالواجب ترك ذلك كله ، والحذر منه ، والتواصى بتركه وفق الله الجميع لما فيه رضاه ، والسلامة من أسباب غضبه انه جواد كريم ، والذى أوصى به الجميع هو تقوى الله سبحانه ، والمحافظة على دينه ، ومن أهم ذلك ، وأعظمه المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها ، وأداؤها بالخشوع والطمأنينة ، والمسارعة من الرجال الى أدائها فى الجماعة فى مساجد الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله سبحنه : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ، وقال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) ، ومن الأمور المهمة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق ، والصبر عليه ، وهذه هى أخلاق المؤمنين ، والمؤمنات ، وصفاتهم كما بين الله ذلك فى قوله عز وجل : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا واياكم لما يرضيه وأن يهدينا جميعا صراطه المستقيم انه سميع قريب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمد محمد ابو شادى

أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** احتفالات العالم الاسلامى بالمولد النبوى الشريف :**

احتفل العالم الاسلامى بالمولد النبوى الشريف ، فأقيمت المهرجانات ، وعقدت الندوات ، وألقيت المحاضرات ، التى تناولت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العطرة ، وشخصيته الفريدة ، وخلقه العظيم ، وجهاده الصامد ، فى سبيل الحق ، واعلاء كلمة الله ، ونشر دينه الحنيف ، ليتأسى بسيرته المسلمون ، وليأخذوا منها قوة الدفع الى مزيد من الايمان والعمل والوحدة ، والى مزيد من الاعداد والصمود ، حتى يتم الله لهم النصر بقيادة القائد المؤمن الرئيس محمد أنور السادات ...

ومن الاحتفالات التى أقيمت بهذه المناسبة الكريمة :

*** احتفال الأزهر :**

أقام الأزهر احتفالا كبيرا بمناسبة بدء الاحتفالات بالمولد النبوى الشريف مساء يوم الجمعة ٨ من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢١ من مارس ١٩٧٥ م بالجامع الأزهر ..

وقد أناب الرئيس محمد أنور السادات الدكتور محمود عبد الحافظ محافظ القاهرة لحضور هذا الاحتفال ..

وشهد الاحتفال السادة : حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ، والدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء ، والدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف ، والمهندس أحمد على كمال وزير الرى ، والدكتور حمدى النشار وزير المالية ، وعبد الرحمن الشاذلى وزير التموين ، والدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام ، ومحمد حامد محمود وزير الحكم المحلى ، والمهندس عثمان أحمد عثمان وزير الاسكان

والتعمير ، ومحمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ..

وألقى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر كلمة الاحتفال ، تحدث فيها عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلقه وشخصيته ، كما تحدث عن دعوته الى وحدة الأمة الاسلامية وجهاد أصحابه فى سبيل توحيدها ..

وأعلن فضيلته تأييد الأزهر لخطوات دولة العلم والايمان ، ودعا المسلمين الى التأسى بالسلف الصالح ، وأن يعودوا الى القرآن حفظا وفهما وعلما وعملا ، كما دعاهم الى وحدة الصف والى التكاتف والتساند ، فى سبيل الدفاع عن دين الله وعن الوطن العربى والاسلامى ، وفى سبيل تحرير أرض العرب واسترداد مقدساتهم ، وتحرير المسلمين فى كل مكان ..

وختم كلمته بتهنئة الأمة العربية والاسلامية ، وتهنئة ملوكها ورؤسائها وجنودها البواسل بهذه الذكرى الكريمة داعيا الله أن يكتب لهم النصر والتأييد ..

*** احتفال الأوقاف :**

أقامت وزارة الأوقاف احتفالا رسميا بمناسبة المولد النبوى الشريف بمسجد الامام الحسين رضى الله عنه، وذلك مساء يوم الاثنين ١١ من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢٤ من مارس ١٩٧٥ م ..

وحضر الاحتفال نائبا عن الرئيس السادات الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف ..

وشهد الاحتفال السادة : الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء ، وفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، والدكتور محمود عبد الحافظ محافظ القاهرة ، كما شهده عدد كبير من العلماء وكبار المسئولين وممثلوا القوات المسلحة وسفراء الدول الاسلامية والعربية بالقاهرة ووفود المواطنين من جميع المحافظات ورجال الطرق الصوفية ...

وألقى الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف كلمة تحدث فيها عن

الدروس المستفادة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وربطها بالموقف الذى تقفه أمتنا من خلف قائد مسيرتها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، حفاظا على عروبة القدس وحقوق شعب فلسطين واسترداد أرضنا السليبة ..

وكان الشيخ محمد محمود سطوحى شيخ مشايخ الطرق الصوفية قد افتتح الحفل بكلمة تحدث فيها عن الرسول كقدوة ، وأعلن مبايعة ملايين المتصوفين للقائد المؤمن محمد أنور السادات ..

*** احتفال القوات المسلحة :**

أقامت القوات المسلحة احتفالا دينيا بمناسبة ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، وشهد الحفل فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر ، وكبار رجال القوات المسلحة وعدد كبير من القادة وطلبة الكليات العسكرية والجنود ..

وألقى فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر كلمة فى الحفل تحدث فيها عن جهاد الرسول من أجل اعلاء كلمة الله ، والنهج الذى اتبعه للجهاد فى سبيل الله ، وما يجب أن يتمتع به المقاتل من صفات التضحية والفداء ..

*** احتفال الشرطة :**

احتفلت كلية الشرطة بالمولد النبوى الشريف ، فأقامت عرضا عسكريا بميدان التحرير اشترك فيه ضباطها وطلبتها ، كما اشترك فى العرض مجموعات رمزية من الخيالة والمشاة وفرق الانقاذ والصاعقة ..

وشهد العرض ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، ومديرو المصالح والادارات بالوزارة ، وكبار رجال الشرطة ..

*** احتفالات الوزارات والمحافظات :**

أقامت الوزارات والمحافظات والهيئات والمؤسسات والجامعات والمعاهد والمدارس ووحدات الجيش احتفالات بالمولد النبوى الشريف ، ألقيت فيها المحاضرات ، ووزعت الحلوى ، كما أقيمت احتفالات بجميع مساجد الجمهورية تناول فيها العلماء الدروس المستفادة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانة الذكرى ..

*** فى الكويت :**

أقيم فى الكويت احتفال كبير بالمولد النبوى الشريف بمسجد السوق الكبير حضره عدد كبير من الوزراء ، والشخصيات الاسلامية ، كما أقامت وزارة الشئون الاجتماعية هناك ندوة دينية بهذه المناسبة الكريمة ..

*** فى نيجيريا :**

أقيم فى لاجوس مؤتمر اسلامى احتفالا بذكرى المولد النبوى الشريف ، وقد وجه الرئيس محمد أنور السادات رسالة الى المؤتمر قال فيها :

(... ان احتفال المسلمين بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم يجب ألا يمر بهم مرور الطيف سريعا بغير أن يجنوا منه عبرا وعظات بل عليهم جميعا أن يقتبسوا من كتاب ربهم ومن حياة نبيهم ما يرتفع بهم أفرادا وجماعات ..

وفى هذه الظروف التى نحياها نجد فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل العليا التى نتطلبها ..) .

*** فقيد العروبة والاسلام المرحوم جلالة الملك فيصل :**

فقدت الأمة العربية والاسلامية مجاهدا صادقا ، وقائدا مخلصا ، وزعيما بارزا ، وهب حياته لخدمة العروبة والاسلام ، ومساندة العرب والمسلمين فى كل مكان ، هو المرحوم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ..

وقد توفى جلالته متأثرا بجراحه اثر حادث اغتيال أثيم من أمير سعودى هو ابن شقيقه الأمير فيصل بن مساعد ابن عبد العزيز ، وذلك يوم الثلاثاء ١٢ من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢٥ من مارس ١٩٧٥ م ..

*** الرئيس السادات ينعى جلالة المغفور له الملك فيصل للشعب المصرى والأمة العربية والعالم الاسلامى :**

وجه الرئيس محمد أنور السادات بيانا نعى فيه الى الشعب المصرى والأمة العربية والعالم الاسلامى وفاة المرحوم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ، هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ..

وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ..

ينعى الرئيس محمد أنور السادات الى شعب مصر والى الأمة العربيـة والعالم الاسلامى رجلا من أعظم الرجال وأبرهم ، وزعيما من أفضل الزعماء وأخلصهم وأجلهم ، أدى لشعبه وللقضية العربية والعالم الاسلامى من الخدمات الكبار ماسوف يذكر له بالعرفان والوفاء ، ذلكم هو جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، عاهل المملكة العربية السعودية ..

واذا كان العالم العربى والاسلامى يذكر لجلالته وقفاته القوية دفاعا عن كل حق عربى وكل مقدس اسلامى فان مصر رئيسا وحكومة وشعبا ستظل تذكر له بكل الوفاء والعرفان وقفته التاريخية معها قبل أن تنطلق الشرارة فى معارك العبور ، وخلال تلك المعارك المظفرة ، وخلال كل المواقف المصيرية التى خاضتها أمتنا فى أعقابها ، وهى وقفات امتدت أصداؤها الى العالم العربى كله ، وكانت مثالا فذا للشهامةالعربية وللأخوة الاسلامية وكان لها الفضل العظيم فى الحفاظ على التضامن العربى ، والاخاء الاسلامى ..

وان مصر رئيسا وحكومة وشعبا لتقف فى هذه اللحظات بكل ما تملك من قوة وجهد الى جانب المملكة العربية السعودية وشعبها العظيم ، سائلة الله تعالى أن يرحم العاهل العظيم ، وأن يجزيه عن كل ما قدم لأمته ودينه بما هو أهله من الخير ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ..

وقد سافر الرئيس محمد أنور السادات الى السعودية على رأس وفد رسمى لتقديم العزاء فى فقيد العروبة والاسلام المرحوم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية وذلك يوم الأربعاء ١٣ من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢٦ من مارس ١٩٧٥ م.

*** شيخ الأزهر ينعى جلالة المغفور له الملك فيصل الى العالم الاسلامى :**

نعى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الى العالم الاسلامى جلالة المرحوم الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية فى بيان أصدره هذا نصه :

(بقلب ملتجىء الى الله مستسلم لقضائه وقدره ينعى شيخ الأزهر باسمه وباسم الأزهر الى العالم

الاســلامى رجــلا من أبرز قادته المخلصين فى العصر الحديث المرحوم الملك فيصل ملك المملكة العربيــة الســعودية الذى عمــل بكل قوة واخلاص من أجل النهوض بالعــالم العــربى والاســلامى وتخليصه من براثن التخلف والاستعمار والعبودية لغير الله .

ونتوجه الى الله العلى القدير أن يلهم الشعب السعودى والعالم العربى والاسلامى الصبر فى مصــابه الأليم وأن يمده بالحكمة فى مواجهــة هذا الحدث الجلل) .

كما نعاه جميــع رجالات العــالم وحكوماته وشعوبه وطوائفه وهيئاته .

رحم الله فقيد العروبة والاســلام المرحوم جلالة الملك فيصل وأســكنه فسيح جناته مع الصديقين والشــهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

*** فى جامعة الأزهر :**

تقــرر أن تتحــول كليــة البنــات الاسلامية الى جامعة اسلامية للبنــات كفرع آخر لجامعة الأزهر .

وتحتوى هذه الجامعة الجديدة على الكليات التى تحتــويها الجامعــة الأم وتكون خاصــة بالبنــات المسلمات من جميع أنحاء العالم .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٩٣٥ - ١٩٧٥ - ٦٠٠٢

meant creative thought and action, became in the course of time, synonyms of imitation. One such example is the term 'Fiqh' which meant understanding and grasping the situation. Islamic Fiqh, which is the embodiment of Muslim creative thinking in the field of law, has now become a source of imitation, only because the followers forgot that no two moments of history are alike. True, there is the best guidance for the believers in the life of the Prophet (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) but what is eternal in the Prophetic example is his gaze towards the eternal, when he was engaged in history. It is, perhaps, in this sense, that one has to follow the Prophet. The true followers of the Prophet can only be those who become a source of 'good' (خير) for mankind and change the entire scheme of existence for the betterment of mankind. So long as Muslims will think in terms of reviving the entire institutional life, which was once the achievement of the Muslim race, they will not be able to become a force in world-history, because history has never been a witness to the success of such attempts at revival. The moment they became creative and turn towards the spirit of the Quran for guidance, they will emerge as a force. The possibilities of Islam have not been exhausted in the past history. It will be the end of Time, if this happens. The "end of Time" may be imminent, but so long as it does not occur, we are far from it and our role as creative actors on the stage of history is not exhausted.

is neither to be afraid of anything nor is he to be disappointed,

(ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)

The Quran is perhaps, the first Book, which makes "despondency" (حزن) a mark of disbelief.

« لا تقنطوا من رحمة الله »

is the eternal message of the Quran to the conquering human race. It is significant to note that the Quran does not permit any artificial division of mankind into racial or ethnic groups. It divides mankind into those who accept the Divine Trust, who fix their gaze towards Absolute (المؤمنون) and those who trifle, with life, reject the Trust and who turn away from Him (الكافرين)

Briefly stated, these are the metaphysical and socilogical approaches of the Quran and it is clear that the vision of the Quran, if properly applied, leads to the re-awakening of human Destiny. So long as the Believers were led by this vision, they opened new possibilities of human development and freedom. It is this spirit and the vision, which the Islamic world has to re-capture in the modern world, if it has to march forward, while keeping its identity intact. It is not the barren way of revivalism; it is, in the true sense, the way of re-discovery and re-capturing the past. It will be the realmoment of the Renaissance of the Islamic world. The Western world did not revive its entire Graeco-Roman past, which is historically impossible and a futile activity; it only rediscovered its essential past and could come out of the obscurantism of the middle ages. It is a matter of concern that the Islamic world has not been, so far, able to distinguish between revivalism and re-capturing of the past. It is still engaged in attempts at revival and, finding it impossible, curses the contemporary age for being wicked. History offers challenges to living communities and individuals and it is the mark of a living being that he understands the movement of history and changes accordingly while retaining and preserving its realcontinuity and identity. It is true that the Book and the great Prophetic tradition are the eternal sources of guidance for the Believer in this changing world, but it has to be remembered that they are the living guides and not lifeless models. The Prophet moved in history and transformed it and made it obligatory, on his followers, to continue this process of transformation. They did it for sometime and were the اعلون the moment they ceased to be creative and became the imitators of their forefathers (سلف), they ceased to be a living force in history. It is a pity that terms which once

events is concerned, which includes the human world and thus does not leave a gap between destiny and casuality وان ليس الانسان الا ما سعى – لن تجد لسنة الله تبديلا .

6. It encourages, even makes obligatory, the study of the physical world and the past history of mankind.

7. It discourages pseudo-sciences like astrology and regards the universe as indifferent to human destiny.

8. It denies that there are intermediaries between God and the Universe and thus makes a scientific study of the Universe possible.

These few points are enough to suggest that the Quranic spirit is not anti-scientific, it rather encourages scientific study of the universe and demands that man exploit the forces of nature for his own benefit.

Secondly, on the question of the status of man in this universe, the Quran takes an attitude, which is neither that of the deification of man nor that of his complete insignificance in the scheme of existence. The Quran strikes at the root of human pride by reminding him of his humble origin; he is just a creature of God and a product of clay, which means that the entire creaturely order is a continum, man only standing at the apex of it. Man is actually humble; yet he has great potentialities of development. It is upto him to rise or to go down still lower in the order of existence. To save him from pride, the Quran repeatedly reminds that he is finite and death is always knocking at his door. Combined with the view of the irreversibility of Time, it means that life is valuable and an occasion to be used, rather than be wasted in idle talk or meaningless activities. It is in this context that life is a "striving in the way of God" جهاد في سبيل الله In the Quranic vision of man, he is neither absolutely free nor are his liberty and dignity drowned in the ocean of Divine Omnipotence. He is freed to act within limits set by God, which means that the entire world is his stage of activity and he has to fix his gaze towards God, While finding his Destiny on this planet. The moment he turns his eyes away from God, he becomes a source of evil in this world and forfeits his rights as the Viceregent of God. God does not demand absolute surrender what is demanded of him is a constant turning towards him. Man's feet are to be firmly rooted in the earth, while his eyes are to be fixed towards the ideal, the Divine Being. By this act of fixing his eyes towards the Absolute, the world becomes permissible (حلال) to him. Thus he

way of life and a new manner of looking at the world. Moreover, the pre-Islamic past of these societies did not have a rich scientific basis as the Greek past of Western countries.

The Western world has an unbroken identity from its Greece-Roman past till the present moment, but the Islamic world gained a new identity after it embrace Islam. The problem of the Islamic world is to enter the new age of science without losing its identity, i.e., without renouncing its Islamic past. To preserve one's identity not only means preservation of the past, it also implies continuous growth in Time. In a certain sense, the Islamic world lost its identity, when the period of growth came to an abrupt end and it started imitating its own past. From this angle, the problem of the Islamic world is to re-gain its true identity by moving forword in Time and by forcing its re-entry on the stage of history, Will it be able to derive inspiration from its past tradition and its religious outlook in this gigantic task ? On an answer to this question, depends the future of the Islamic world in the present moment of world history.

Islam is the youngest religion of the world, which also claims to be the last divinely guided religion. A few striking features of the Quranic metaphysics are to be noted for present discussion :

1. The Quran treats the invisible and the visible worlds (عالم الغيب والشهادة) as a continum and not as two separate realms.

2. The Quran does not regard the visible world or the world of sense-experience as an illusion, nor as an evil, but regards it as true and real, . (ربنا ما خلقت هذا باطلا) . The world of matter is treated as a challenge to be accepted by the faithful and a stage of human activity,

(وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعا)
The Quran also regards senc experienece as a valid source of knowledge.

3. Similarly the world of events (دنيا) and the hereafter (الآخرة) are regarded as a continum. The world of events itself leads to the hereafter and both provide stages, although in different manners, for the spiritual development of man.

4. The Quran regards Time and history as real and believes in the irreversibility of time. Unlike some religions, it does not encourage the idea of re-birth or the possibility of man's re-entry in the world of events.

5. It belives in the law of casuality so far as the world of

from a false consciousness and the result is an increasing confusion in public life.

Life, is, however, moving in a different direction. Science has been introduced as a major discipline in universities and centres of higher learning; technology has been accepted as the major determinant of our productive life.

Western institutions of government and law-making have been establishld and the principle of the sovereignty of the people has become a dogmatic truth. The modern means of production along with the new concept of humanism are striging at the roots of the classical hierarchical society. The Orient is impatient to catch up with the West in technological development and scientific advancement. Institutions for the development of atomic energy have become a matter of prestige in the Oriental societies. Democracy and socialism are becoming signs of enlightenment, and even authoritarian regimes feel obliged to coin terms like guided democracy and basic of democracy. Terms like Islamic socialism and Hindu socialism are quite current in the countries of the East.

The battles fought by the Prophet of Islam and the sacred war of Mahabharata and Ramayana are being interpreted in contemporary terms. These attempts are, in a sense, a triumph of modernity but they can also be looked upon as a retreat of the classical religions. If this process continues further, the East will lose its identity and will eventually become a slavish imitator of the West without being its equal. The Chinese and Japanese societies could solve their problems without any sad consciousness, as their ancient religions, if they can be called by this name, had been least concerned with the otherworld and the transcendental reality. But the Islamic and the Hindu world have to strive for an authentic solution which could guarantee success as well as their identity.

The modern scientific age in the West represents the rediscovery of its classical past and by demanding Christianity to adjust itself with it, the West could do it because its pre-Christian past was alive in its political institutions art, philosophy and literature. The problem is different for the Islamic World. The Islamic world does not have a common pre-Islamic past and even societies which have a rich pre-Islamic past can hardly succeed in rediscovering it as the acceptance of Islam meant for them a total or nearly total conversion to a new

the manifestations of this broad scientific outlook. Even those who believe in the possibility of a transcendental world do not feel any need of religion for the phenomenal world.

The phenomenal world does not only mean the world of physical space and time, the subject matter of science, it has become co-equal with the entire human world. As the area of visibility is getting enlarged on account of the advances in the field of scientific technology, the invisible worldmeans for the scientifically inclined person the mere not--yet visible. If the pre-scientific culture interpreted the visible in terms of the invisible and regarded the visible as a small but manifest portion of the invisible, the scientific mind does quite the reverse and regards the latter as a mere extension of the former. In matters of communal life, sacred law, and the authority of the church have no relevance, not even marginal.

It is significant to note that for the vast majority of mankind living in the Western world and engaged in productive work, religion only means attending the church on specific days and it is only the elite who feel some need of religion along with art and literature. In this situation, no serious thinker talks of the application of religion to modern life, in the West. The situation is, however, different in the countries of Asia, Islamic Africa and Buddhist South-East Asia, where religion still plays a dominant role and has a wider area of relevance. In this region,, religion can encourage or hinder the process of social change and it often does the latter. Religion is not only concerned with the invisible here in this part of the world, but it is central even to the visible world.

The great religions of the Orient - Islam, Buddhism and Hinduism - have regulated and still regulate the entire life of the oriental man. In the Hindu and the Buddhist world, it is not uncommon that an astronomer still regulates his daily routine according to what he calls the ancient science of astrology. Science is still a profession and has not yet become a way of life. Law and politics are largely governed by religious traditions inspite of secular professions and the secular legislator has to seek, on critical occasions, sanction from the religious tradition. Secularism is accepted in politics and secularization is rejected which increases the tension instead of solving the problems of politics and law. Even persons in authority confuse secularism with tolerance and positive respect for religion. The scientist as well as the politician suffers

RELIGION AND ITS APPLICATION TO MODERN LIFE

By

DR. SYED ALAM KHUNDUMIRI

(Usmania University, Hyderabad)

The question, "Has the religion any application to modern life?" is one of the most dangerous questions that religious person can ask. The state of mind of the questioner is one of doubt about the very relevance of religion to modern age. Moreover, he seems to attach a semi-mystical reverence to modern age. In this question, the second term "modern age" seems to have acquired a greater importance than the first term "religion". It is bound to irritate a man of religion whose faith in religion is so firm that he has shut his eyes to the questions and problems of the modern age. Although dangerous, the question is one of the relevant questions of the contemporary age. A clarifications, however, needed for a fruitful discussion on this subject.

When one talks of modern life or modern age, one has already assumed that modernity is shared by the inhabitants of the entire civilised world, fully developed or in the process of devebpment. This assumption is not, however, tatally correct. The problems of the developed Western countries are different from those of the not-yet-developed countries. Religion has already undergone enormous changes in the Western countries during the last four hundred years, and hardly plays any significant role in the life of the contemporary man.

The Western man long ago decided that religious authority will not be allowed to interfere in the secular sphere of life which meant that religion will have a marginal place in the life of the community. In the beginning, this decision only meant that the church and the state are being separated from each other, but as the organisation of the modern life largely depends on science and technology the latter very soon assumed the importance which was once attached to religion. Scientific culture is based on perceptual experience and its interpretation as a national system. The empirical outlook and reliance on positive experience are

"O Men. We created you from male and female and made you into peoples and tribes that you may know one another: of a truth the most noble of you in God's sight is the most pious." (Quran 49/13).

So you do not turn Kuffar after me, striking the necks of each other.

Understand my words. O Men, for I have told you. I have left with you something which if you will hold fast to it you will never fall into error - a plain indication, the Book of Allah and the Sunnah of His Prophet.

O Men, you have rights over your wives and they have rights over you. You have the right that they should not defile your bed that they should not let any undesirable person enter your house except with your permission and that they should not behave with open unseemliness. If they do, God allows you to put them in separate rooms and to beat them but not with severity. If they refrain from these things and obey you they have right to their food and clothing with kindness. (Lay injunctions on women kindly), for they are prisoners with you having no control of their persons. You have taken them only as a trust from God, and you have the enjoyment of their persons by the word of God, so be fearful of Allah in regard to women and enjoin that they be treated well.

O Men, Postponement of a sacred month is only an excess of disbelief whereby those who misbelieve are misled; they allow it one year and forbid it another year that they may make up the number of the months which God has hallowed, Time has completed its cycle and is as it was on the day that God created the heavens and the earth. The number of months God is twelve; four of them sacred, three consecutive and one single: Dhi '1-Qa' da, Dhi '1-Hijja and Muharram and Rajab, which is between Jumada and Sha "ban."

O Men, Satan despairs of ever being worshipped in your land, but he can be obeyed in anything short of worship he will be pleased in matters you may be disposed to think of little account.

"O Allah ! Have I delivered (the message) ?

The audience : Yea, O Allah !"

The Prophet : "O Allah! Bear witness. And let those present here carry the message to those who are away.

people on the other side. In the afternoon he stood on top of Jabal al-Rahmat, still seated on back of his favourite camel named Al-Qaswa and overlooking the congregation below as if from a high rostrum. A companion distinguished by a loud voice, Rabia B. Umayya B. Khalaf by name stood just under the neck of al-Qaswa to broadcast the speech. The Prophet spoke softly and slowly in measured tones, pausing every short while to allow his words to be relayed to the farthest end.

The Prophet opened his sermon on a note which heightened the prevailing mood of the audience. The following is a comprehensive translation of the speech of the prophet (Peace be upon him) :

O Men! Listen to my words so that I may make (things) clear to you. I do not know but it is quite probable that I shall not meet you in this place again after this year.

O People! Verily your blood and your property are sacrosanct until the day you meet your Lord — as sacrosanct as this day and this month and this place (a reference to the prohibition of fighting within the limits of Haram around the Kaba and during the four Haram months of peace).

All usury is abolished, but you have your capital. Wrong not and you shall not be wronged. God has decreed that there is to be no usury and the usury of Abbas B. al - Muttalib is abolished, all of it.

All bloodshed in the pagan period is to be left unavenged. The first claim on blood I abolish is that of Ibn Rabia B. al-Harith b. Abd al-Muttalib (who was fostered among the B. Layth and whom Hudhayl killed).

O Men! No doubt your God is one, and your father is one. All of you sprang from Adam, and Adam sprang from dust. Of a truth, the most noble of you in God's sight is the most poius. Verily, Allah is All-knowing and well acquainted. And no Arab has any privilege over non-Arab except that based on piety. O Men the Muslims are but brethren. It is not lawful for a Muslim to take from the belongings of this brother except that which he parts will willingly.

Every claim of privilege (especially inherited authority) or blood or property are quashed by me except the custody of the temple and the watering of the pilgrims.

O Quraish ! God Has taken from you the haughtiness of paganism and its veneration of ancestors. Man springs from Adam and Adam sprang from dust.

Of course, hikmat is concerned with the establishement and perpetuation of proriety in veritable modes of behaviour. The Prophet was wont to the direct method of instituting and perpetuating practice by personal example rather than by enunciation of satutory provisions of law. He had not till then had the opportunity of demonstrating by personal example the devotional practices (manasik) of Hajj on the spot. The prophet was anxious to take the first opportunity of giving practical training to his followers in the rites of the Hajj, which had their root in the pre-Islamic past and needed careful purge of any idolatrous import about them. Hence the occasion is termed Hijjat al-Balagh. The purpose of al-Balagh, i.e., the instruction was emphasised by the Prophet himself with a warning to his followers that they may not have a second chance of observing his ways during the Hajj if they missed any point.

More popularly the occasion is known as Hijjat al-wada. Actually, it was the last Hajj performed by the Prophet. Moreover, it was the occasion when he formally took leave of his followers just three months before his death.

The first indication of the fulfilment of the Prophet's mission was provided when the Surah al-Nasr was revealed. It means : "When Allah's succour and the triumph cometh and you see mankind entering the religion of Allah in troops, then hymn the praises of thy Lord, and seek forgiveness of Him. Lo ! He is ever ready to show mercy".

The triumph exhibited in the entry of large parties into the fold of Din Allah, was the fulfilment of the mission of the Prophet. Islam was firmly established at its base and the learned, faithful and devoted followers of the Prophet could be trusted to keep the torch burning through successive generations for all time to come. And Ibn Abbas, a young boy at that time, pointed out to Umar ever reluctant it indeed that the expression "seek forgiveness of your Lord" foreboded death.

More than any body else, the Prophet himself had clear forebodings that he was nearing his end. His own feeling transmitted to all those around him. The entire congregation at Arafat on the memorable day was seized with the grim realization of the onerous responsibility which was to devote upon the followers after the disappearance of the ordained leader.

The Prophet encamped right in Arafat, thus abolishing the distinction flaunted by the Quraish whereby they would stay at Muzdalifa and disdain to meet the common

THE SERMON OF THE PROPHET ON THE MOUNT ARAFAT

Place : the plain of Arafat. Date : the 9th of Dhi 'l-Hijjah in the tenth year of the Hijrah. This was first time the Prophet went on Hajj since the migration.

His desire to perform the Hajj, which was manifested in the year of al-Hudaibiyya (6 A.H.), long remained unfulfilled due to the cussedness and dominance of the nonbelievers in Mecca. To the leaders of the Quraish, Hajj on the part of the Prophet and his followers was not merely a religious ceremony ; it was at the same time a demonstration of the strength acquired by the one whom they had once compelled to leave the city of Mecca in helplessness. They would not allow the morale of the general body of non-believers to be affected by such a demonstration.

The physical obstruction to the performance of Hajj by the Prophet was removed with the conquest of Mecca in the year 8 A.H. But the non-believers still enjoyed the right to perform the Hajj in their own way, i.e., going about naked and indulging in acts savouring of Kufr and Shirk. All this was abominable to the Prophet. Yet he was conscientious and patient enough to wait until his treaty obligations to the non-believers were publicly renounced and due notice was given thereof. So in the year 9 A.H. he deputed Abu Bakr to lead the Hajj. A little after the departure of Abu Bakr, the opening verses of "al-Bara'at" sanctioning renunciation of treaty obligations with the non-believers were revealed which means :

"Freedom from obligation (is proclaimed) from Allah and his messenger toward those of the idolators with whom, ye made a treaty. Travel freely in the land for four months and know that ye cannot escape Allah and that Allah will confound the disbelievers (in his guidance). And a proclamation from Allah and His messenger to all men on the day of the Greater Pilgrimage that Allah is free from obligation to the idolators, and (so is) His messenger".

The Prophet made haste to commission Ali to join Abu Bakr and announce at every congregation that the Hajj would thereafter be exclusively for the Muslims and that all un-Islamic rites would be banned.

The Hajj in the year 10 A.H. was not merely to satisfy a personal longing on the part of the Prophet. It was called in the interests of his mission, which was to teach the Kitab and the Hikmah.

It means : "Verily We have granted you (O Muhammad) a manifest Victory, that God may forgive you your sin that which is past and that which is to come, and may perfect His favour unto you, and may guide you on a right-path" (S : 48, V : 1-2).

The Prophet's reply was :

افلا اكون عبدا شكورا ؟

(Shall I not behave as a thankful servant should ?). He never entered a company but he sat down and rose up with the mention of God. In the time of his greatest power he maintained the same simplicity of manners and appearance as in the days of his adversity.

At his death, the Prophet Muhammad (peace be upon him) did not leave a Dinar or Dirham nor anything but his gray mule and his arms. 'Trust in God' was his comfort and support in times of trial and despondency.

---

of his followers. Modesty, kindness, patience, self-denial and generosity pervaded his conduct and rivetted the affection of all around him.

The Prophet disliked to say 'no'. If unable to answer a petitioner in the affirmative, he preferred silence. If anything displeased him, it was, rather from his face than by his words, that could discover. He never smote anyone but in the service of God, not even a woman or a servant. He was not known ever to refuse an invitation to the house even of the meanest, not to decline an proffered present, however small.

His Habits In Disposition :

He took in hand no work without bringing it to a close. If the had the choice between two matters, he would choose the easier, so that no sin accrued therefrom. He never took revenge excepting where the honour of God was concerned. He would say : "I sit at meals as a servant does, and I eat like a servant for I really am a servant". He hated nothing more than lying. Whenever he knew that any of his followers had erred in a matter, he would hold himself aloof from them to advice him. In his private and public dealings he was just. He treated friends and strangers, the rich and the poor, the powered and the weak, with acquity. He received the common people with affability and listened to their complaints. His temper was always under great control, so that even in the self-indulgent affairs of domestic life, he was knid and tolerant. His servant Anas said : "I served him from the time I was eight years old, and he never scolded me for anything though things were spoiled by me".

His Cleanliness and Devotion :

The Prophet was scruplous as to personal cleanliness, and observed frequent ablutions. When seated by a friend he did not haughtily advance his knees towards him. He possessed the rare faculty of making each individual in a company think that he was the favoured guest. If he met anyone rejoicing at success, he would seize him eagerly and cordially by the hand. With the bereaved and afflicted, he sympathised tenderly.

Thorough and pious in all his actions, the Prophet used to stand for such a length of time at prayer that his legs would swell. When remonstrated with, and asked with exclamation, O Messenger ! God had forgiven you all faults of the past and future ones, as the Holy Quran stated :

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم
من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما ...) الفتح : ١ – ٢)

It means : It was by the mercy of God that you were lenient (dealing gently) with them. If you were stern (severe) and harsh-hearted they would have dispersed from round about you... (s : 3, v : 159).

In the exercise of the authority of State he was just and temperate. The long and obstinate struggle against the mission, maintained by the inhabitants of Mecca, might have induced its conqueror to mark his indignator, but he granted a general pardon ; and nobly casting into oblivion the memory of the past, with all its mockery, its affronts and persecution, treated even the foremost of his opponents with gracious and even friendly consideration.

Cruelty, severness and harsh treatment were nowhere shown in the conduct of the Prophet. Not less marked was the forbearance shown to his severe enemies who for so many years persistently opposed his mission and resisted his autohrity, nor the clemency, with which he received the submissive advances of tribes that before had been the most hostile, even in the hour of victory.

Honesty and Friendship :

Besides the gentleness of his nature, the Prophet was known from his earliest life for his trustworthiness. Hence his title of "Al-Amin". He was a faithful friend. If he turned in conversation towards a friend, he turned not but with his full face and his whole body. In shaking hands he was not the first to withdraw his own, nor was he the first to break off in converse with a stranger, nor to turn away his ear. He loved all of his companions with the close affection of brother-hood, and they were ever reciprocated by a warm and self-sacrificing love.

In Domestic Life :

The conduct of the Prophet in the domestic life was exemplary. As a husband his affection and devotion were entire. As a father he was loving and tender. In his youth, he lived virtuous life, and at the age of 25 he married a forty years old widow. During her life-time — for 25 years — the Prophet was a faithful husband to her alone, that he passed all the years of his youth and menhood untill she died three years before the Hijra.

After her death the Prophet married Sauda and Aysha, the latter of whom was his only virgin wife, and she was the daughter of his intimate and illustrious friend and helper, Abu Bakr. A remarkable feature was the consideration with which the Prophet treated even the most insignificant

the Prophet by the famous English historian Mr. Bosworth Smith (in his book 'Muhammad and Muhammadanism' Vol. I p. 340) :

"Head of the state as well as of the church, he was Caesar and pope in one ; but he was pope without the pope's pretensions, Caesar without the legions of Caesar. Without a standing army, without a fixed revenue, if ever any man had the right to say by a right divine, it was Muhammad, for he had all the powers without its instruments and without its supports. .... 'I have seen', said the ambassador sent to the triumphant Quraish at the despised exile at Medina, the Persian Chosroes and the Greek Heraclius sitting upon their thrones ; but never did I see a man ruling his equals as does Muhammad".

On this peak of the Powers, what was the extent of his simplicity in life ? His ordinary dress was of plain white cotton stuff. He never reclined at meals. He ate with his fingers. He lived in a low and homely cottage, built of unbaked bricks. He aided his wives in the household duties, mended his clothes, tied up the goats and even cobbled his sandals, but no approach was suffered to familiarity of action or speech. The Prophet must be addressed in subdued accents and in a reverential style. His word was absolute. Delegations and deputations were received with the utmost courtesy and consideration. If he gave an alms, he would place it with his own hand in that of the petitioner. He was to all easy of access, yet he maintained the state and dignity of real power.

Moderation and Gentleness :

The extremely gentle nature of the Prophet endeared him to all, and it is reckoned as one of the Mercies of God. One of his titles is "A Mercy to all creatures". The Holy Quran says :

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .
(الأنبياء : ١٠٧)

It means : We sent you not, but as a Mercy for all creatures (s : 21, v : 107).

At no time was this gentleness, this mercy, this long suffering with human weakness, more valuable than after a disaster like that at 'Uhud'. This quality, as always, bound and binds the souls of countless people to him. Referring to the gentleness and the magnanimity which he had shown even in the critical circumstances like that of the 'Uhud' the Quran says :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك... » (آل عمران : ١٥٩)

MAJALLAT'UL AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Rabi' Awwal 1395	ENGLISH SECTION	APRIL 1975

THE LIFE OF THE PROPHET IS THE EXEMPLARY PATTERN OF CONDUCT

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

When we write or speak about the person or character of the Prophet Muhammad (peace be upon him) we should keep in mind the following three facts :

Firstly, the Holy Quran declared, in clear verses, that the life of the Prophet is a beautiful pattern of conduct to the believers in all walks of human life.

Secondly, all trustworthy commentators and historians agree in that whatever he had said he coud do, his disciples would straightway have seen him do.

Thirdly, all of his sayings, practices, traits and characters have been authentically recorded and brought to light.

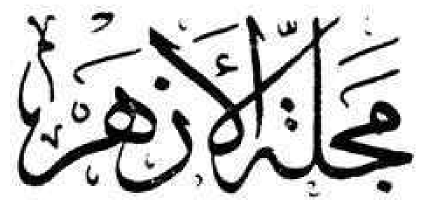
The Holy Quran says :

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... »
(الأحزاب : ٢١)

It means : "You have indeed in the Messenger of Allah a beautiful pattern (good example of conduct) for anyone whose hope is in Allah and the Final Day (the life hereafter) s : 33, v : 21.

So a true Muslim should follow, as much as possible, the pattern of the Prophet in all walks of life. The following glimpses will give illustration of the glorious pattern of his life, in personal, domestical and external affairs :

Simplicity : It is only right that, before bringing the simplicity that pervaded his life, I would like to quote the following comments on



مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع — السنة السابعة والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٩٥هـ — مايو سنة ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن والعلوم الكونية

للأستاذ عبد الرحيم فودة

يشفق بعض العلماء – ومنهم من يتظاهر بالاشفاق – من المحاولات التى بذلت ولا تزال تبذل لتفسير بعض آيات القرآن الكريم بما انتهى أو وصل اليه العلم الحديث من قضايا فى مختلف فروعه وأنواعه ، وبعضهم يشتد فى معارضة هذا الاتجاه . ويشتط فى الحكم عليه ، اذ يرى فيه انحرافا عن منهج السلف ، واجتراء على حرمة القرآن ، ومخاطرة غير مأمونة العواقب تعرض كتاب الله لزلزلة يهتز بها الايمان به والاقبال عليه ، ومن أبرز حججهم فى ذلك أن قضايا العلم قد يعرض لها ما يثبت بطلانها وفسادها فاذا فسرنا القرآن بها جرى عليه ما يجرى عليها من بطلان وفساد ، واذا وقع فيها ارتياب واضطراب اهتزت الثقة به والحرص عليه ، ثم ان القرآن كتاب هداية وارشاد كما يقول الله فيه : ذلك

الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فكيف نحمله ما لم يتعرض له من القضايا والنتائج العلمية التى وصل اليها الانسان بعقله وعلمه واجتهاده • ثم تنسب اليه مالم يقله أو يتحمله ••؟

هذه – فيما يبدو لى – هى وجهة النظر عند المعارضين لتفسير الآيات الكونية فى القرآن بما يصل اليه العلم الحديث من نتائج ، أما الذين يتجهون هذا الاتجاه أو يؤيدونه ويتحمسون له فيرون أن القرآن هو حجة الله على الناس الى أن تقوم الساعة • وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ولا تقوم هذه الحجة الا بثبوت اعجازه وانه صالح مصلح للناس فى كل زمان ومكان ، ولا يمكن اقناع غير العرب باعجازه البلاغى لأنهم لايعرفون اللغة العربية ولا يذوقون تبعا لذلك جمال اسلوبه وجلال معانيه ، وقد تحدى الله به الناس جميعا على اختلاف السنتهم وألوانهم • وتحدى به مع الناس الجن حيث قال جل شأنه : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ولا تظهر قيمة هذا التحدى اذا قصد به من لايعرفون اللغة العربية أو قصد به الاعجاز ، فان من لا يعرفون لغة العرب يعجزون – بالطبع – عن معارضة أى فرد عربى عادى اذا تحداهم أن يأتوا بمثل ما يقوله لهم أو يكتبه اليهم ، والعناية بجانب فيه دون جانب تفريط فى حقه وحق الدين فيه ، وقد اشتمل القرآن على آيات كونية كثيرة تبلغ نحو سبعه – بضم السين – وتمثل جانبا كبيرا فيه • فكيف لا نفسرها بما وصل اليه العلم الحديث من حقائق تزيدها اشراقا وائتلافا فى أعين المتأملين فيها والناظرين اليها ، وقد قال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » •

والواقع الذى يلتقى الفريقان على الايمان به والاتفاق عليه : أن القرآن حق • فانه كما يقول الله فيه : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » وكما يقول : « وانه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ومن ثم لا يتصور مؤمن أنه يتعارض مع حقيقة علمية تبوح بها التجارب والبحوث والمكتشفات العصرية ، وهذا بعض ما

يفهم من قوله تعالى : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما » فكل ما خفى فى السموات والأرض من حقائق وقوانين — لم يكتشف العلم الا قليلا منها — يعلمها الله ، لأنه هو الذى أوجدها وأقام الوجود عليها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ولا يتصور مع علمه بها أن يكون كلامه مخالفا لها . ومن ثم لايمكن أن تعارض حقيقة علمية مع قضية قرآنية، بل ان العلم بحقائق الكون ودقائق الأسرار التى تكمن فيه يزيد المؤمنين إيمانا بالله وبكتابه . ويثير في نفوسهم الشعور بعظمته وعظمة كتابه ، وهذا الشعور يثمر التقوى منه والخشوع له والاذعان لأمره كما يفهم من قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور. ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور . والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير » .

فهذه الآيات يفهم منها أن الكون كتاب منظور يطالع الانسان فيه قدرة الله وحكمته فيما خلق فيه من سماء وماء . وثمر مختلف الألوان.وجبال وسهول . وناس ودواب وأنعام ، وأن العلم بما تقوم عليه هذه الكائنات يثمر التقوى ، كما أن القرآن كتاب مقروء يتقرب المؤمن الى الله بتلاوته والتأمل فيه . ويجد فيه التوافق والتطابق بينه وبين ما بين يديه من كتب الهية وسنن كونية . وحقائق علمية . كما يقول الله : « ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » ، وكما يفهم من قوله : « لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه » .

فتفسير الآيات الكونية القرآنية بالحقائق العلمية التى لم تكشف ولم تعرف الا حديثا فوق أنه واجب يمليه الدين وتمليه الأمانة وتمليه المصلحة هو السبيل الأقوم لنجاح الدعوة الى الاسلام فى عصر العلم ، واقناع غير المسلمين بأن هذا الكتاب من عند الله وأنه وأن الرسول الذى بعث به كما

يقول الله فيهما : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

بقى بعد هذا أن نتحدث عن النظريات العلمية التى لم تصل الى درجة الحقائق ، ولا تزال موضع فحص وتمحيص عند العلماء ، قد تقحم فى التفسير اعتمادا على أن القرآن فيما لا يتصل بالعقائد قطعى الثبوت ظنى الدلالة ، وعلى أن المفسرين بالرأى قالوا كلاما كثيرا لم يقطعوا بصحته ولم تثبت الأيام صحته . بل انهم جميعا كانوا يفوضون علم المراد من النص الى الله . ويختمون ما يعرضونه من آراء بالعبارة المشهورة وهى : الله أعلم بمراده .. فهل تأخذ النظريات العلمية حكم هذه الآراء والمذاهب وتعرض فى تفسير الآيات الكونية كما عرضت الأراء والاتجاهات المذهبية .. ؟ عندى أن ذلك لا يسوغ الا بأمرين ضروريين الأول أن تكون هذه النظريات خادمة للمعنى لا حاكمة عليه ، والثانى ألا يعدل باللفظ عن الحقيقة الى المجاز الا بقرينة تبرر صرفه عن الظاهر كما هو الأصل المتبع فى تفسير القرآن ، فاذا تعارضت النظرية مع صريح معنى آية فيه حكمنا ببطلانها ونحن واثقون بأن المستقبل سيكشف للعلماء عن فسادها ويكون ذلك معجزة علمية للقرآن ان لم نعرفها فسيعرفها غيرنا من بعدنا ، وسيجدون كما نجد جدة القرآن دائمة لازمة كما يقول شوقى رحمه الله فى نهج البردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

نعم وسيبقى القرآن كما أنزله الله محفوظا فى الصدور والسطور ، جديدا على الأيام والعصور (لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه) ورحم الله فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز اذ يقول عنه فى كتابه النبأ العظيم : «وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف والملاسة والاحكام والخلو عن كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها الى نفسك

دون كد خاطر ، ولا استعادة حديث، كأنك لاتسمع كلاما ولغات • بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، وهكذا يخيل اليك أنك قد أحطت به خبرا ، ووقفت على معناه محدودا ـ هذا ولو رجعت اليه كرة أخرى لرأيتك منه بازاء معنى جديد غير الذى سبق الى فهمك أول مرة ، وكذلك حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة • كلها صحيح أو محتمل للصحة ، كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فاذا نظرت الى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها • فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع • ولعلك لو وكلت النظر فيها الى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت • وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى محيطا مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال •

ألم تر كيف وسع الفرق الاسلامية على اختلاف منازعها فى الأصول والفروع ، وكيف وسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها فى القديم والحديث ، وهو على لينه للعقول والأفهام صلب متين ، لا يتناقض ولا يتبدل ، يحتج به كل فريق لرأيه ويدعيه لنفسه ، وهو فى سموه فوق الجميع • يطل على معاركهم حوله • وكأن لسان حاله يقول لهؤلاء وهؤلاء « كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » •

ونخلص من هذا بأن نطمئن المشفقين من تفسير آيات الله الكونية فى القرآن بما وصل ويصل اليه العلم من قضايا ونظريات ، فقد تكفل الله بحفظه حيث قال : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ومعنى حفظه يتسع لحفظ اللغة التى نزل بها ، والعلماء الذين يحفظونه • والقراء الذين يتلونه ، والأمم والشعوب التى تؤمن به ، وتحرص عليه ، وتذعن لحكمه ، وصدق الله اذ يقول فيه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

آية الله في أصحاب الكهف والرقيم

هل يوجد كهفهم بالأردن ؟

للأستاذ مصطفى المدني الطير

« أم حسبت أن اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » (٩) .
(من سورة الكهف)

البيـــان :

كل مافى الكون ـ صغيره وكبيره ، مرئيه وغائب عن العيون ـ يشهد بوجود الله تعالى ، واتصافه بالقدرة الباهرة والحكم العظيمة ، وأنه سبحانه مستحق لأن يعبد دون سواه ، وأن من يعش عن ذكر الرحمن فهو من الخاسرين .

وآيات الله نوعان : (أحدهما) يجرى على الضوابط والنواميس التى أجرى كونه عليها (وثانيهما) يخالف تلك الضوابط والنظم ، والله سبحانه يأتى بهذا النوع ليتيقظ الغافل من غفلته ، ويرجع المعاند عن عناده ، فيؤمن بأن للكون فاعلا مختارا ، لا رب له سواه ، وأنه يبعث من فى القبور .

ومن هذه الآيات قصة أصحاب الكهف التى هى موضوع حديثنا اليوم ، فان حياتهم مئات السنين ، ومكثهم فيها بدون طعام ولا شراب ، فى رقود أشبه بالموت منه بالحياة ، ثم اطلاقهم من هذا الرقود الطويل الى مثل حياة الناس ، أمر لا يجرى على سنن الحياة ، أجراه الله لحكمة ستعرفها أيها القارىء الكريم عندما نذكر لك قصتهم .

والكهف : هو الغار الواسع فى الجبل ، والرقيم مختلف فيه ، فقيل : هو كلبهم ، وفى هذا المعنى يقول أمية ابن أبى الصلت :

وليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهمو والقوم فى الكهف همد

وقيل : هو لوح رصاصى أو حجرى ، رقمت فيه أسماؤهم ، وجعل على باب كهفهم ، وقيل هو واد بين غضبان وأيلة دون فلسطين .

ويرى بعض الباحثين والمؤرخين أن أصحاب الرقيم جماعة آخرون غير أصحاب الكهف ، انطبق عليهم الغار ، فنجوا بذكر كل منهم أحسن ما عمله من البر ، روى قصتهم الصحيحان .

نشأتهم وبعثهم :

لأهل الكهف عهدان مع ملوكهم ، (العهد الأول) عهد نشأتهم حتى نومهم فى الكهف ، والثانى عهد بعثهم من هذا الرقود ، فأما عهد نشأتهم فمن المؤرخين من يرجعه الى عصر الملك (داقيوس) ويعبرون عنه أيضا (بدقيانوس) ومنهم من يرجعه الى عصر الملك (تراجان) .

ويقول أصحاب الرأى الأخير : ان تراجان هو الذى عرف بتعقبه أهل الايمان فى العهد المسيحى بالايذاء ، وقد أصدر مرسوما يقضى بأن كل مسيحى يرفض عبادة آلهة الدولة والامبراطورية ، يحاكم كخائن ويتعرض للموت ، وقد بقى هذا المرسوم قرنين من الزمان .

وقد ذكر المؤرخ (يوسيبوس) أن المسيحيين فى سوريا ، استمر فيهم القتل من جراء هذا المرسوم ، وفى انطاكية أحرق بعضهم أحياء ، ولم ينته عهد الاضطهاد الا حين اعتنق قسطنطين المسيحية وجعلها الديانة الرسمية للدولة .

وأصحاب هذا الرأى يرجحونه بأن داقيوس المعروف بدقيانوس ، ولى حكم بلاده من سنة ٢٤٩ الى سنة ٢٥١ م . فاذا أضفت الى سنة ولايته الأولى مثلا ثلثمائة وتسع سنين (وهى مدة نوم أهل الكهف) فان ذلك يقتضى أن بعثهم كان تاليا لسنة ٥٥٨ م — وهذه الفترة كانت فيها المسيحية منتشرة ، ولم يكن فيها صراع فى العقيدة بين الوثنية والمسيحية ، يحتاج الى ظهور آية لصالح الديانة المسيحية كآية أصحاب الكهف ، التى أجمع المؤرخون على أنها جاءت فى عهد ملك متدين بعثوا فى عهده يسمى (تندوسيس) تعريب (ثيودوسيوس) وهو الذى تولى الملك من سنة ٤٠٨ الى سنة ٤٥٠ م ، وهو الذى كان فى عهده صراع فى أمته بين الوثنيين فيها وبين المسيحيين .

وهذا هو الذى كان محتاجا الى ظهور هذه الآية ، فلهذا يترجح أن نشأتهم كانت فى عهد الملك (تراجان) الطاغية ، الذى حكم من سنة ٩٨ الى سنة ١١٧ م ، حيث المسيحية كانت

ضـعيفة فى نشأتها ، والوثنيـة كانت طاغية عليها فىالحكم الرومانىوقتئذ .

فاذا أضفت مدة نوم أهل الكهف ، وهى ثلثمائة وتسع سنين الى سنة ١٠٠ ميلادية ـ حيث عهد الطاغية تراجان ـ كان حاصل هذا الجمع ٤٠٩ أربعمائة وتسع سنين ميلادية ،وهى احدى سنى حـكم الملك المتـدين (تندوسـيس) تعريب (ثيودوسـيوس) الذى كانت أمته فى عهــده خليطـا من الوثـنين والمســيحيين ، وهـو الذى أجمـع المؤرخون على أن أهل الكهف بعثـوا فى عهده .

وكذا تجد نفس النتيجة ان أضفت مدة رقادهم الى أية سـنة من حــكم (تراجان) فان ذلك يوصلك الى حكم هذا الملك المتدين ، الذى كانت رعيته خليطـا من الوثنين والمسيحين كمـا ذكرنا ، فلهــذا يترجح أن يكـونوا نشأوا فى عهــد الطاغيـة (تراجان) ليبعثوا فى عهد (تندوسيس) المتدين حتى يكون بعثهم فى عهـده حجة من الله ضد الوثنين الذين لا يستجيبون لمن يدعونهم الى الايمان بالله واليـوم الآخر .

وبرغم هذا التحقيق الدقيـق نجد المؤرخ الكبير محمد بن اسحاق يحكى أنهم نشأوا فى عهد (دقيانوس) لا فى عهد تراجان ، واليك فيمـا يلى قصتهم كما رواها محمد بن اسحاق .

قصة اصحاب الكهف :

ذكر ابن اسـحاق وغيره أن أهل الانجيــل مرجوا (١) وعظمت فيهـم الخطــايا ، وطغت ملوكهم فعبــدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم من كانوا على دين المســيح ، متمسـكين بعبادة الله وتوحيده .

وكان ممن فعـل ذلك من ملوكهم (دقيانوس) (٢) وفى رواية (دقيوس) فانه قد غلا غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد ، وأكثر فيها الفســاد ، وقتــل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام .

وكان يتتبـع الناس ، فمـن علمـه مسيحيا خيره بين القتلوعبادة الأوثان،

---

(١) أى فسدوا ـ ومرج بوزن فرح .

(٢) لا تنس ما ذكرناه من أن طاغية أهل الكهف هو الملك (تراجان) على الراجح ، وفقا للحساب الدقيق الذى بيناه .

فمن أجابه الى الوثنية رضا بالحياة الدنيا أبقاه ، ومن لم يجبه اليها ابتغاء مرضاة الله تعالى ، لم يبال بأية قتلة قتله ، فكان يقتل أهل الايمان ويقطع أجسادهم ، ويجعلها على سور المدينة وأبوابها .

وكان فتية أهل الكهف من أخلص المؤمنين بأن المسيح عبد الله ورسوله ، وأن الله تعالى هو الاله الواحد القهار ، وأن الآخرة هى دار القرار ، سالكين فى ايمانهم مسلك الانجيل قبل أن يبدله المبدلون ، ويمسخ التوحيد فيه الماسخون ، ويعتدى على الدين الخالص فيه المعتدون ، قال تعالى فى شأنهم : « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » .

والفتية الشبان ، روى أن الشرطة ذهبت بهم الى الملك ، فلما رآهم حديثى السن جعل لهم أجلا يرجعون فيه عن دينهم ، فان مضى ولم يؤمنوا قتلهم .

وقيل : كانوا عظماء مدينتهم ، وقيل : كانوا من خواص الملك — ولا يسلم هذا أو ذاك الا اذا كانوا شبانا ، ليتفق ذلك مع قوله تعالى : « انهم فتية » اللهم الا اذا أريد من الفتى السخى الكريم فانه من معانيه ، والظاهر الأول .

وتفصيل احضارهم للملك وما جرى بينهم وبينه ، أن رجال الشرطة حينما دخلوا عليهم ، كانت أعينهم تفيض من الدمع ، فأحضروهم بين يدى الملك الجبار ، فقال : ما يمنعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا ، وخيرهم بين الذبح وعبادة الأوثان ، فقالوا : ان لنا الها ملأت عظمته وجبروته السموات والأرض ، ولن ندعو من دونه أحدا ، فاقض ما أنت قاض .

فأمر الجبار بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة ، وأخرجهم من عنده ، وذهب الى مدينة أخرى لبعض شأنه ، وأمهلهم الى رجوعه وقال : ما يمنعنى أن أعجل عقوبتكم الا أنى أراكم شبانا فلا أحب أن أهلككم ، حتى أجعل لكم أجلا تتأملون فيه ، فان أجبتمونى بعده أبقيت عليكم ، والا أهلكتكم .

فلما علموا خروجه اشتوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يأخذ كل منهم نفقة من عند أهله ، فيتصدق ببعضها ويتزود بالباقى ، وينطلقوا الى كهف قريب من المدينة ، ففعلوا ما اتفقوا

عليه ، وآووا الى الكهف فلبثوا فيه وليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ، وفوضوا أمر نفقتهم الى فتى منهم اسمه (يمليخا) فكان اذا أصبح يتنكر ويشترى لهم من المدينة ما يهمهم ، ويتحسس ما فيها من الأخبار ويعود اليهم ، فلبثوا على ذلك الى أن قدم الجبار ، فتطلبهم وأحضر آباءهم ، فاعتذروا بأنهم عصوهم ونهبوا أموالهم ، وبذروها فى الأسواق وفروا الى الجبل •

وكان (يمليخا) اذ ذاك فى المدينة ، فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه قليل من الطعام ، فأخبرهم بما علم من طلب الملك لهم ، وتعنيفه لآبائهم ففزعوا الى الله تعالى وخروا له سجدا ، ثم رفعوا رءوسهم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ـ أى مدخل الكهف ـ فأنامهم الله تعالى فى كهفهم ثلثمائة وتسع سنين وأصاب كلبهم بما أصابهم •

ومما قيل فى قصتهم أن الجبار خرج فى طلبهم بخيله ورجله ، فوجدهم دخلوا الكهف ، فأمر باخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله ، فلما ضاق بهم ذرعا ، قال قائل منهم : ألست لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ، قال بلى ، قال فابن عليهم باب الكهف ، ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وليكن كهفهم قبرا لهم ، ففعل ، ثم كان من شأنهم ما قص الله •

وتعقيبا على هذا الزعم نقول : ان بناء مدخل الكهف يناقض قوله تعالى: « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله » •

فالآية ناطقة بأن كهفهم كان مدخله مفتوحا لم يسد ، وأن الشمس كانت اذا طلعت ، تتنحى عن كهفهم جهة اليمين ، واذا اتجهت الى الغروب بعد الزوال ، تعدل عنهم جهة شمال الكهف ، وهم فى متسع منه لا يمنع من وصول الشمس اليهم طول النهار ، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته ، ليسلموا من أذى حرها على منهاج خرق العادة كرامة لهم ، وكان ذلك من آيات الله كما نصت الآية الكريمة ، فيكون القول بأن الملك اهتدى الى مغارتهم وسد بابها غير مسلم •

وقد أحسن أبو حيان اذ قال : « لا معول الا على ما قص الله من نبئهم » ا هـ ـ ولهذا نؤثر ما أخرجه

ابن أبى شيبة وغيره عن ابن عباس (أنهم لما فقدوا فى أهلهم ، جعلوا يطلبونهم فلم يظفروا بهم ، فرفع أمرهم الى الملك فقال : ليكونن لهؤلاء القوم بعد اليوم شأن : ناس خرجوا لا ندرى أين ذهبوا ، فى غير جناية ولا شىء يعرف ، فدعا بلوح من رصاص فكتب فيه أسماءهم ، ثم طرح فى خزانته ، ثم كان من شأنهم ما قصه الله سبحانه) : اهـ .

فهذه الرواية لا تتعارض مع القرآن .

ولقد مدح الله هؤلاء الفتية وأثنى عليهم بالصبر على فراق الأهل وترك النعيم والأصدقاء ، وعدم الاهتمام بوعيد الجبار وثبات الايمان ، اذ قال سبحانه : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا » .

حالتهم فى الكهف :

من عادة النائم أن يكون مقفل العينين ، أما أهل الكهف فكانوا فى رقودهم مفتوحى العيون ، فاذا رآهم أحد وهم كذلك ، ظنهم مستيقظين مع أنهم نائمون ، وفى ذلك يقول الله تعالى :«وتحسبهم أيقاظا وهم رقود» .

وكان المولى سبحانه يجرى عليهم أحكام النائمين ، فكان يقلبهم على أيمانهم وشمائلهم ، ليحفظ بذلك أبدانهم ، ولحكم أخرى علمها عند العليم الخبير ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » .

كلب أهل الكهف :

لم يذكر الله تعالى من قصة كلبهم سوى قوله : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » أى ماد ذراعية بموضع باب الكهف ــ يعنى بمدخله ــ وكأنه يحرس من بداخله .

قيل انه كلب راع مروا به ، وسألوه أن يتبع دينهم ويأوى معهم الى الكهف ، فاستجاب لهم ، وتبعه كلبه ، فلما أووا الى الكهف ، قبع هذا الكلب بمدخله على الوجه الذى حكاه الله تعالى .

وقيل انه تبعهم فطردوه فعاد ، ففعلوا ذلك مرارا ، فأصر على أن يتبعهم فتركوه ، فلما ناموا كان فى حراستهم .

ويعتقد بعض الشيعة أن هذا الكلب يدخل الجنة ، ويسمون أبناءهم بكلب على أملا فى نجاة من سمى به ، ويقول قائلهم :

فتية الكهف نجا كلبهمو
كيف لا ينجو غدا كلب على

وكان منظر أهل الكهف فى رقودهم ، يملأ القلوب رعبا ، ويحمل من يراهم على الفرار منهم ، لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال ، ولهذا لم يصابوا فى كهفهم بسوء ، مع أن بابه لم يكن موصدا عليهم .

أما ما قيل من أن سبب الرعب منهم هو طول شعورهم وأظفارهم ،وصفرة وجوههم وتغير ثيابهم ، فليس بمقبول لأنهم لو كانوا بهذه الصفة لأنكروا أحوالهم حين بعثوا من رقادهم ، ولم يقولوا « لبثنا يوما أو بعض يوم » ولأنهم حين بعثوا أحدهم الى المدينة ، لم ينكر منه أهلها الا نقوده القديمة — على ما سيأتى بيانه — فلو كان حالهم كما قيل من طول الشعور والأظافر ، لأنكره أهل المدينة التى ذهب اليها ليشترى لهم منها طعاما .

يقظتهم وما تلاها :

بعد أن نام أهل الكهف ثلثمائة وتسع سنين ، أيقظهم الله فتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : كم لبثتم نائمين ؟ فقال آخر : لبثنا يوما أوبعض يوم ، فلم يكن فى حالهم ما يشعرهم أنهم مكثوا هذه المدة الطويلة ، كما أن النوم تلك المدة لا يمكن أن يدور بمخيلة أحد ، فقال ثالث منهم : «ربكم أعلم بما لبثتم ، لأنه لم يجد أمارة تدل على مدة لبثهم .

ونظرا لأنهم لا يتخيلون أنهم ناموا أكثر من المعتاد ، بعثوا بعضهم ومعه بعض الورق — أى بعض العملة المضروبة من الورق بكسر الراء وهو الفضة — ليشترى لهم من المدينة التى خرجوا منها طعاما ، وطلبوا منه أن يتلطف حتى لا تقع خصومة تنتهى الى معرفته والامساك به وباخوانه ، كما طلبوا منه أن لا يشعر بهم أحدا ، بأن يتجنب لقاء من يعرفه ، وأن يحسن كتمان أمرهم ، وقالوا تعليلا لذلك : « انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا » فان الاكراه على الكفر قد يؤدى

الى استدراج الشيطان لهم ليستحسنوه ويستمروا عليه .

فذهب مبعوثهم الى المدينـــة فدخل الســـوق ، فأنكر الوجـوه التى رآها ولا يعرف منها أحدا ، فقد رأى جيلا آخر وناسا آخـرين يختلفـون كل الاختلاف عن جيلهم وعاداتهم ، ورأى الايمان ظاهرا بالمدينة ،ولكنه مع ذلك انطلق فى حذر وهو مستخف ، حتى أتى رجلا ليشترى منه طعـاما ، فلمـا نظر العملة الفضية التى معه أنكرها ، حيث كانت مضروبة فى عهـــد الملك الفاجر الذى عاصروه ، فاتهمـه بكنز وقال : لئن لم تدلنى عليه لأرفعنك الى الملك ، فقـال : هى من ضرب الملك ، فســأله أليس ملككم فلانا ، فقـــال الرجل : ملكنا (بندوسيس) ، فاجتمع الناس وذهبوا به الى الملك ، فسأله عن شأنه فقص عليـه القصـة ، وكان قد سمع بأمرهم مع ملكهم الوثنى ، فدعا مشيخة بلده ، وكان رجل منهم عنده أسـماؤهم وأنسـابهم ، فسأله فأخبره بذلك ، وسأل الفتى فقال صدق .

ثم قال الملك المتدين : أيهـا الناس هذه آية ساقها الله اليكم ليؤمن بالبعث من لا يؤمن به ، وليدلكم على أن الأمر كله بيد الله ، لا دخل لأحد فى شىء من ملكه ، فهو الاله وحده ، فلا يصح أن يعبد سواه .

ويروى أنه دعا باللوح الذى كتبت فيه أسماؤهم ، وكان فى خزانة الملك من عهد الملك الجبار ، كما ذكرنا سابقا فقرأ أسماءهم ، فاذا فيها اسم هذا الفتى فقـــال الفتى : هؤلاء الذين معى فى اللوح هم أصحابى ، فركب القوم مع الملك ، فلمـا أتوا الكهف قال الفتى : دعونى أدخل على أصحابى فأبشرهم ، فانهم اذا رأوكم معى رعبـوا ، فدخل وبشرهـم ، وقبض الله أرواحهـــم ووضعوا فى توابيت .

واقترح بعضهم أن يسد باب الكهف لئلا يتطرق الناس اليهم ، ولكن الملك والمؤمنين رأوا أن يبنـوا عليهم مكانا لعبادة الله تعالى ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهـم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهـم أعلم بهـم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا » .

وقد دلت الآية على أن الله تعـــالى جعل قومهم يعثرون عليهم ، فى وقت كانوا فيه متنازعين فى أمر دينهم ، فقد

كانوا مختلفين فى أمر البعث ، ما بين مقر به وجاحد ، وقائل : يبعث الله الأرواح دون الأجساد ، وقائل يبعثهما جميعا ، وذلك لأن بعضهم كان مؤمنا ، والآخر كان وثنيا .

وكن ملكهم وقت هذا الخلاف يسمى (بندوسيس) وكان رجلا صالحا ، فشق عليه خلافهم فلبس المسوح وجلس على الرماد ، ودعا الله أن يبعث لهم آية تهديهم الى الحق ، فأعثر الله عليهم بالطريقة التى أوضحناها ،وقد فرح الملك بهذه الآية التى ساقها الله الى قومه ، فانها ناطقة بأن قوة فائقة لا حد لعظمتها ، قدرت على انامة هؤلاء الفتية ، وجعلتهم فى حكم الأموات ، ثلثمائة وتسع سنين ، وأغنتهم فى هذه الفترة عن الحاجة الى ما يبقى على أرواحهم ، وما يحفظ أنفاسهم تتردد فى صدورهم ، وأجسادهم غضة طرية ، ثم ردتهم الى اليقظة بعد بقائهم على هذه الحالة تلك المدة الطويلة ، وأرجعت اليهم حواسهم ومشاعرهم على ماكانت عليه ، وأطلقت نفوسهم من عقالها ، وجعلتها تدبر أبدانها ، وأن هذه القوة العظيمة لا تكون الا لآله عظيم قادر على بعث الأموات الى الحياة من جديد ــ كما حدث لهؤلاء .

ولا شك أنه كان لظهور هذه الآية أثرها فى نفوس الوثنيين المعاصرين لهذا الملك الصالح ، المنكرين للبعث فأثمرت ثمرتها المرجوة ، وهى هدايتهم الى سواء السبيل .

وللموضوع بقية سنتحدث عنها فى العدد المقبل ــ بمشيئة الله تعالى ــ نتعرض فيها لعددهم والمكان الذى يوجدون فيه ، هل هو الأردن أم سواه ، وسنتحدث عن أصحاب الرقيم على أنهم أصحاب الغار ــ كما فى الصحيحين ، وسنتحدث عن أمور هامة ، فالى اللقاء فى العدد التالى ، حيث نوفى هذا البحث ونستكمله ، والله تعالى هو الموفق ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

(٢)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر » متفق عليه

البيان :

فى المقال السابق فسرنا الكلمات اللغوية فى الحديث ، وبينا بعض أهدافه ، وقلنا : ان الحيوان الذى تبتغى الرحمة به هو الحيوان المسالم الذى لا يصدر عنه ايذاء ، وفى هذا المقال نحاول أن نكمل الكلام على الحديث فنقول :

من نظر فى شرعة الاسلام نظرة فاحصة وجدها تشتمل على كثير من التعاليم والأحكام التى تحقق الرحمة بالحيوان ورعايته فى صورة رائعة مشرقة ، وحسبنا فى بيان هذا أن نذكر الأمثلة الآتية :

١ ـ قال الله تعالى مبينا فضله على عباده بخلق الأنعام والخيل والبغال والحمير : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرءوف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » (١) •

---

(١) سورة النحل الآيات من ٥ الى ٨

فقد أفادت الآيات أن الأنعام وهى الابل والبقر والغنم لنا فيها ما يدفىء ونتقى به البرد من الأصواف والأوبار ، ولنا فيها منافع كاللبن والنتاج ونأكل من لحومها ، ولنا فيها جمال وزينة حين نردها بالعشى من مسارحها التى ترعى فيها الى مراحها ، أى منزلها الذى تأوى اليه ، وتبيت فيه ، وحين نخرجها فى الصباح من مراحها الى مسارحها ومراعيها .

وتحمل الابل أمتعتنا الثقيلة الى بلد لم نكن نصل اليه الا بمشقة النفس وعنائها ، وأفادت الآية الأخيرة أنه تعالى خلق الخيل والبغال والحمير لنستخدمها فى الركوب ، ونتخذ منها زينة وجمالا .

فهذه المنافع والمزايا المتعلقة بهذه المخلوقات تجعل الشخص يحرص على الرحمة بها ، والاحسان فى معاملتها ليظل مستوفيا لوجوه النفع بها ، مبتهجا بوجودها ونضارتها .

٢ ـ أحل الشارع أكل أنواع من الحيوان بعد الذبح ، واشترط فى الذبح من الشروط ما يمنع ألم الذبيحة ، ويوفر راحتها ، وطلب من الذابح أن يحسن الذبح ، وأن يحد آلته ، وألا يحدها أمام الذبيحة ، وألا يذبح واحدة بحضرة أخرى ، وأن يسرع بالذبح بعد الشروع فيه حتى لا تطول فترة الايلام ، ولزم أن يكون الذبح فى مكان معين تجتمع فيه العروق ، وهو ما بين الحلق والمنحر ، ليسهل ازهاق الروح ، ووجب ألا يشرع الذابح فى عمل من الأعمال المتعلقة بالذبيحة كالسلخ والتقطيع الا بعد انهاء حياتها حتى لا يضاف الى ألم الذبح ألم عمل آخر .

روى الامام أحمد ومسلم وابن ماجه عن شداد بن أوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) .

وروى الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تحد الشفار ، وأن توارى عن البهائم ، وقال : (اذا ذبح أحدكم فليجهز) .

وروى الدارقطنى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بديل بن ورقاء

الخزاعى على جمل أورق (١) يصيح فى فجاج منى : (أما ان الذكاة فى الحلق واللبة ،ولا تعجلوا الأنفس أن تزهق) .

فهذه الشروط والتعليمات يحرص صاحب الذبيحة على التزامها ليتم له النفع بها ، وبهذا الالتزام تتحقق الرحمة بالحيوان .

٣ – حرم الله تعالى أكل بعض أنواع الحيوان بقوله : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم » (٢) .

و (الميتة) البهيمة التى ماتت حتف أنفها ، أى بدون ذكاة شرعية .

و (الدم) أى المسفوح السائل – (وما أهل لغير الله به) أى رفع به الصوت لغير الله عند ذبحه ، كقول الذابح : باسم الصنم ، أو باسم فلان .

و (المنخنقة) هى التى حبست أنفاسها حتى ماتت .

و (الموقوذة) هى التى ضربت بعصا أو حجر حتى ماتت .

و (المتردية) التى ترددت وسقطت من مكان مرتفع ، أو فى بئر فماتت .

و (النطيحة) المنطوحة ، وهى التى نطحتها أخرى ، فماتت بالنطح .

(وما أكل السبع) المراد الحيوان الذى أكل السبع بعضه ، ومات بجرحه ، والمقصود بالسبع كل حيوان مفترس كالذئب والأسد .

فتحريم هذه الأنواع يحمل المالك على أن يتقى أسباب التحريم ، حتى لا تكون بهيمته ميتة ، أو منخنقة ، أو موقوذة ، أو مترديه ، أو نطيحة ، فاذا لم تعرض هذه الأوصاف لها تم له النفع بها ، وبذلك يسلم الحيوان من التعذيب والاهمال ، وتتحقق الرحمة به ، والرعاية له .

٤ – نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أمور يحصل بها ايلام الحيوان وتعذيبه ، فنهى عن أن يتخذ الحيوان غرضا ، أى هدفا يرمى .

---

(١) الجمل الأورق ، ما كان لونه كلون الرماد .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣

ونهى عن صبر البهائم ، وهو أن تحبس وهى حية لتقتل بالرمى .

ونهى عن التحريش بينها ، وهو الاغراء والاثارة بينها ، وتسليط بعضها على بعض .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا) (١)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم (لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا) (٢)

وعن أنس رضى الله عنه أنه دخل دار الحكم بن أيوب فاذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها ، فقال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم) (٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم) (٤).

فالنهى عن هذه الأمور المذكورة يدل على تحريمها ، وفى تحريمها تخليص للحيوان من الايلام والتعذيب، وتوفير للرحمة به ورعايته .

٥ ـ الرعاية الفائقة للحيوان الذى يستخدم فى العمل ، والتوصية بتحقيق راحته ، والعناية به .

عن يعلى بن مرة الثقفى قال : (بينا نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ، فوضع جرانه ، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقال : أين صاحب هذا البعير فجاءه ، فقال : بعنيه ، فقال : بل نهبه لك يا رسول الله ، وانه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره ، فقال : أما اذ ذكرت هذا من أمره ، فانه شكا كثرة العمل ، وقلة العلف ، فأحسنوا اليه) (٥) .

وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما (أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الأنصار ، فاذا جمل ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه ، فأتاه النبى

(١) رواه الجماعة الا البخارى . (٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه . (٤) رواه ابو داود والترمذى .
(٥) رواه البغوى فى شرح السنة ـ ومعنى (يسنى عليه) يسقى عليه ، (جرجر) يقال : جرجر الفحل ردد صوته فى حنجرته ، (جرانه) الجران مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره .

صلى الله عليه وسلم ، فمسح ذفراه ، فسكن ، ثم قال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاءه فتى من الأنصار ، فقال : هذا لى يارسول الله ، فقال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها ، فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه) (١) .

فقد أفاد الحديث الأول أن النبى صلى الله عليه وسلم أهمه أمر البعير الذى يعانى مشقة العمل وألم الجوع ، فسارع الى السؤال عن صاحبه ، وطلب منه أن يبيعه له عليه الصلاة والسلام ؛ ليكون ذلك وسيلة الى تخليص البعير مما يلقى من الارهاق والايلام ، فلما تعذر بيعه أمر صاحبه أن يحسن اليه ، والأمر بالاحسان اليه يقتضى عناية به أكثر مما يقتضيه الأمر بتوفير راحته وطعامه .

وأفاد الحديث الثانى أنه صلوات الله وسلامه عليه أهمه أمر الجمل الذى يعانى أيضا ألم المجاعة وقسوة العمل ، فبادر الى السؤال عن صاحبه ، فلما جاءه اتجه اليه باللوم والتأنيب على اهماله أمر هذا الحيوان الذى تفضل الله تعالى به عليه ، وملكه اياه ، فصار مسئولا عنه ، مؤاخذا على التقصير فى حقه .

وهذا المسلك النبوى الحكيم يبعث على مزيد الاهتمام بالحيوان ، ورعايته على أتم صورة وأروعها ؟

الحديث موصول .

منشاوى عثمان عبود

(١) اخرجه ابن شاهين ، قال فى المصابيح : وهو حديث صحيح ـ (حائط) الحائط البستان (ذرفت عيناه) سال دمعهما ، (ذفراه) تثنية ذفرى ، وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه ، (تدئبه) تتعبه .

أحباء الله وبغضاؤه

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يبغضهم الله ؛ فأما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته الا الله والذى أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعدله به فوضعوا رءوسهم فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى ، ورجل كان فى سرية فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له ، أما الثلاثة الذين يبغضهم الله : فالشيخ الزانى ، والفقير المختال، والغنى الظلوم .

أخرجه الترمذى والنسائى .

تتفاضل الأعمال قبولا وثوابا بما تقترن به من اخلاص النية لله ، والتوجه الصادق اليه وبما يلابسها من حسن الأداء ، والسماحة فى البذل والاعطاء ، والأعمال الصالحة كثيرة كلها محبوبة لله تثمر الثواب وتستجلب الرضا منه ومن كل الناس ، وقد نبه اليها رسول الله فى مناسبات كثيرة وفى أحاديث كثيرة وبحسب أحوال السائلين ، ومقامات الكلام ، وفى هذا الحديث نبه الى ثلاث منها يحبها الله ويحب القائمين بها والى ثلاثة تخالفها ويبغضها الله ويبغض مقترفيها .

فأول الأعمال الصالحة التى يحبها الله التصدق فى السر على من يحتاج الى الصدقة واخفاؤه عمن سوى المتصدق عليه حتى لا يعلم بها الا الله ومن بذلت له ، لأن الصدقة حينذاك تكون خالصة من شوائب الرياء والمباهاة والفخر غير جارحة لكرامة الفقير ولا مثيرة لأحزانه على ما حرم منه ، وقد صور رسول الله ذلك فى صورة رجل

كان فى رفقة فاعتراهم فقير يسألهم حاجة فصدفوا عنه ، ولم يستجيبوا له مع أنه سألهم لوجه الله خلصا حيث لم يكن بينه وبينهم قرابة فتخلف رجل صالح منهم عن الرفقة واستتر عنهم وأعطاه فى غفلة منهم فأحبه الله ورضى عنه مصداقا لقوله تعالى : « ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير » :

والعمل الثانى الذى أشار اليه الحديث ونال صاحبه حب الله ورضاه عنه عمل يشبه الأول فى فضل اخفائه وخلوصه أيضا من الرياء وصوره الحديث فى صورة رجل كان فى رفقة وعلى سفر أضناهم السير وأرهقهم التعب وغلبهم النعاس فآووا الى مضاجعهم يلتمسون الراحة ويستروحون بالنوم الا ذلك الرجل الذى خالفهم عن أمرهم ولم يستسلم كما استسلموا للرقاد والراحة وأراد أن يجعل من رحلته جانبا للدين كما جعل منها جانبا للدنيا فأسهر ليله فى طاعة ربه يتضرع اليه ويتقرب من رضوانه فبذل نفسه فى عبادة الله يصلى ويذكر ويتلو كتاب الله ويتدبر معناه كما شاء الله .

أما العمل الثالث الصالح الذى فاز بأكبر قسط من رضاء الله وجزائه وفاز صاحبه بخيرى الدنيا والآخرة وبرضاء الناس مع رضاء الله فهورجل خرج فى سرية أى طائفة من الجيش يجاهدون أعداء الله وأعداء دينه تدفعه الغيرة والاخلاص الى أن يخوض المعركة مهما كانت نتيجتها ، فاذا انهزمت طائفة تخلوا عن الميدان بقوة الأعداء لم يتخلف عنهم ولم يفر أمامهم ولم يولهم ظهره وصمم على أن يلقاهم بصدره مقبلا غير مدبر حتى تنتهى المعركة ، فاما قتل يفوز فيه بالشهادة واما غلبة ينتصر بها الحق ويعلو شأن الدين ويعز سلطان المسلمين ، ولا شك أن هذه منزلة اذا وزنت بسابقتها ثقلت فى الميزان وتميز صاحبها عمن سواه من بنى الانسان ، فما أبعد الشوط بين من يبذل نفسه ، ومن يبذل ماله وجهده وان دخل الجميع فى زمرة الصالحين .

أما من يبغضهم الله ـ ونعوذ بالله من بغض الله ـ فبغض الله يقتضى أشد العذاب وبغضه أثر لغضبه ، ولقد ورد الغضب فى أكثر آيات

القرآن فيمن أشركوا بالله وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، وأول هؤلاء الذين أبغضهم الله وغضب عليهم ممن ذكرهم الحديث ، الشيخ الزانى ولعمرى أنه حقيق بغضب الله وبغضب الناس ، فقد كان ينبغى أن يكون من تهدم بنيانه وتقويض أركانه ومن تجاربه وحسن تبصره فى العواقب وتصرم عمره واقتراب أجله ما يكفى فى زجره ووعظه واذا قام طيش الشباب وعرام الشهوة عذرا للشباب - ان صح العذر - فما هو عذر ذلك الشيخ الذى أوشك على الرحيل ، ولم يبق له فى الدنيا الا القليل ،وليس له الى اللذات باعث ، هذا الى أن الشيخ قدوة للشباب سواء فى الأسرة أم الجماعة فاذا فسد ، فسد بفساده جيل ، ولا يغرب عن بالنا أن الزنا جريمة اجتماعية خطيرة ، اذ هى انتهاك للعرض واعتداء على الحريات وغرس للاحن والخصومات وخلط للأنساب ونهج حيوانى ينبغى أن يترفع عنه العقلاء وذوو المروءات .

ولقد ألحت السنة فى وعيد ذلك الشيخ ، ومما جاء فى ذلك ما أخرجه مسلم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، وملك كاذب ، وعائل مستكبر .

والرجل الثانى أو الصنف الثانى ممن يبغضهم الله فهو الفقير المختال أى المتكبر ، واذا كان الله يكرهه لاختياله فالناس يكرهونه لكراهة الله اياه ويكرهونه بفطرتهم ،ففى الفطرة أن الفقر قرين التواضع بل قرين الخضوع والمسكنة ، وعلى من يختال الفقير ؟ وهو فى حاجة الى الناس ، فكيف يختال عليهم والاختيال باعث على الحرمان ، وبم يختال ؟ والحاجة قد سلبته ما يختال به ، ان الفقير المختال يناقض نفسه ، فشأن الاختيال أن يكون عن غنى ، والفقر يستجلب المسكنة ان لم تكن بالطبع فبالتصنع حتى يستعطف الناس ويستدنيهم اليه، على أن الاختيال رذيلة يبغضها الاسلام من المسلمين عامة : أغنيائهم وفقرائهم كما قال تعالى :

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » .

والصنف الثالث ممن يبغضهم الله ، الغنى الظلوم لأن الغنى الظلوم الباغى

بظلمه كافر بنعم الله عليه ينهج بسلوكه بغناه غير ما يحبه الله ، فلقد أحب الله للمسلم الغنى أن يشكره على اغنائه وينفع عباده بغناه ، فيعاون به فقراء المسلمين ، ويغيث محتاجيهم ولا يتسلط بما حباه الله على خلق الله بذلك يسلبه اياه ، قال تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » •

هذا ولم يرد الحديث بذكر الرجل والشيخ والغنى الظلوم رجلا خاصا ، أو شيخا خاصا ، وانما أراد بكل منها نوعا كل مما ذكر أحد أفراده ، فالذم موجه الى كل شيخ زان ، والى كل غنى ظلوم والى كل فقير مختال •

وهكذا تضمن الحديث طائفة من الأعمال المحظورة التى يكرهها الله ، وأجمل الثواب والعقاب عليها فى حب الله وبغضه وترك للمسلم تصور درجة كل منها وقيمته ، وسلك الحديث منهج القرآن الكريم فى الترغيب والترهيب حسب أحوال الناس ، فمن شرح الله صدره للخير كفاه الترغيب باعثا الى الخير ، ومن انقبض صدره ووهن عزمه وانقاد لشهواته لم يعمه على الجادة الا سوط الزجر يلهب ظهره ويكفكف جماحه •

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ؟

ابو الوفا المراغى

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

مما يأخذونه على البخاري — وأعني بالآخذين فئة مدعية مقلدة تافهة ليس لها وزن علمي أو مكان بين أصحاب الآراء المعتبرة ، ولكن الذي يحملنا على رد هذه الشبهات أمية فاشية بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصور عن فهم الأخبار يجعل لمثل هذا الشغب الرخيص سحرا عند الفارغين والمقلين — حديث المعراج ، حتى لقد ذهب بعضهم ممن أشرنا اليهم الى أن أحاديث المعراج دخلت الى الاسلام عن طريق اليهود وذلك :

١ — لأن فيها موسى يراجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدعوه الى مراجعة الرب تبارك وتعالى ، ليكون لموسى تأثير في مقومات الشريعة الاسلامية وقواعد الدين وهو نبي بني اسرائيل .

٢ — ادخال اليهود بعض الصور الأرضية في عالم السموات مثل أبواب السماء وطرقها كأن الذي خلقها يخشى أن يدخل اليها اللصوص والسراق وكذلك صرير الأقلام ذلك الصرير الذي لا يحدث الا من الأقلام البدائية من حيث لا تحدث أقلام الشيفرز والباركر مثل هذا الصرير .

٣ — ان الملوك والحكام لا يقبلون التراجع عن أوامرهم فكيف يقبل الاله أن يتراجع عن فرض الخمسين الى الخمس ونقول لهذا ومثله من المغترين بأهوائهم المفتونين بسخفهم :

ان حديث المعراج متواتر توفرت فيه كل شروط التواتر ، والمتواتر يكفر منكره باتفاق ، لأنه قطعي الثبوت ، والايمان به ضروري .

ما هو المتواتر ؟

المتواتر هو ما يرويه جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم عن مثلهم الى رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم • أما حد التواتر عند ابن حزم وهو الذي يفيد العلم القطعى الضرورى فهو أن يرويه ثلاثة من الثقات عن مثلهم عن مثلهم الى منتهاه • وأما شرط التواتر عند السيوطى كما فى الأزهار المتناثرة أن يرويه عشرة من الصحابة • اذا ثبت هذا فان حديث المعراج رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة خمسة وعشرون صحابيا ، وكل صحابى يرويه عنه عدد من التابعين ، وكل تابعى يرويه عنه عدد من تابعى التابعين ، ومن ثم كانت قطعية ثبوته مما لا يمارى فيها مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر •

طرق الحديث :

رواه أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم عن البخارى وكذلك رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عنده ورواه أحمد فى مسنده عن أنس ، وأخرجه مسلم عن أنس بأكثر من سند ، ورواه البزار عن أنس ورواه أحمد عن أنس عن مالك بن صعصعة ، ورواه البخارى عن أنس عن أبى ذر ، ورواه أحمد عن أبى ذر ، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائده عن أبى بن كعب ، وكذلك أخرجه عن عبد الله بن عباس وأبى حبة الأنصارى ، وأخرجه البزار عن بريدة بن الحصيب الأسلمى وكذلك أخرجه الترمذى عن بريدة وأخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله ، وأخرجه البيهقى عن سعيد بن المسيب هكذا مرسلا وأخرجه أحمد عن حذيفة بن اليمان ، ورواه أبو داود الطيالسى والترمذى عنه ، ورواه البيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، وأخرجه الامام أبو اسماعيل الترمذى عن شداد بن أوس ، وأخرجه البيهقى عن عبد الله بن مسعود وكذلك أخرجه مسلم عنه ،وأخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن قرط ، وأخرجه أحمد عن عمر بن الخطاب وأخرجه أبو جعفر الطبرى عن أبى هريرة ، وأخرجه البيهقى عن أبى هريرة ، وأخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة •

وسرد البيهقى الصحابة الذين رووه وفيهم غير من ذكرنا على بن أبى طالب ، وأخرجه البيهقى عن عائشة ، وأخرجه محمد بن اسحاق عن أم هانىء بنت أبى طالب ، وكذلك ذكر أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه التنوير أسماء غير من ذكرنا من

الصحابة أبا ليلى الأنصارى وعبد الله ابن عمـــر وأبا أيوب وأبا أمامة وسمرة بن جنـدب وأبا الحمـراء ، وصهيبا الرومى وأسماء بنت أبى بكر رضى اللهم عنهم وأرضاهم أجمعين •

وأما اســتدلالهم بحــال الملوك وأصحاب السلطـان ممن لا يقبـلون على أنفسهم التراجع عما يصـدرونه من أوامر ، فانا نقول لهؤلاء : ان الله تبارك وتعلى يقول فى محكم كتابه : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) • فالنسخ والمحودليل على تمام القدرة وليس دليـلا على العجز كما يدعون •

أما انـكارهم أن يكون للســماء أبواب وتهكمهم بغلقها وطرقها ، وأن الله يخشى من عـدوان اللصــوص هكذا ورد فى كتــاب مشـبوه نشرته هذه الفئة الخبيثة وأحدث من علامات الاســتفهام والتســاؤلات عن الأيدى الخفية التى تدفع مثـل هؤلاء الى هذا التفكه بالمحكم القطعى من دين الله ، مما دفع بعشرين من الغيــورين من أعضاء مجلس الشعبالى تقديم سؤال الى وزير الأزهر عن هذا الكتاب فانا نكتــفى بذكر ما ورد فى كتـاب الله تعالى من وجود أبواب للسموات مما يجعـل التهـكم ينقلب على أهـله ، والتفكه والازدراء يصوبان الى أولئك الجاهلين الفارغين قال تعــالى : (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـا لا تفتح لهمأبواب السماء ولا يدخلون الجنــة حتى يلج الجمــل فى سم الخياط) (وفتحت الســماء فكانت أبوابا) (ولو فتحنـا عليهـم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) •

على أن هذا التهـكم والسـخرية ينقلبان عليهم مرة أخرى اذا عرفنا أن القــرآن الكريم يثبت أبوابا للجنـة (حتى اذا جـاءوها وفتحت أبوابهـا وقال لهم خزنتها ســلام عليكم طبتم فادخلوهـا خــالدين) ويثبت أبوابا للنار ، فهل كانت أبواب النـار خوفا من فرار أهلهـا أو أن تفتحهـا فرق انقــاذ من الكواكب والعــوالم الأخرى ؟!!! (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) •

ولقد قرأت فى الكتــاب المشـبوه نعيه على المعراج أن موسى كان يبكى لأن أتباعهأقل من أتباع محمد صـلى الله عليه وسلم ومن ثم فقد ضبطناهم

فى حالة تلبس بجريمة الصهيونية ، اذ التشكيك أو الرفض للحديث الذى يعظم فيه موسى من شأن أمة محمد ، ويرى أن أمته التى هى أقدم من أمة محمد بنحو أربعة آلاف سنة لم تنشر الحضارة التى نشرتها أمة محمد ولم تنشر النـــور الالهى الذى يضىء فى أفواههم قرآنا وفى أطرافهم وضـوءا وطهارة وفى قلوبهم عدلا ومرحمة ، ماذا عملـت أمة موسى الى جـــانب ما عملته أمة محمد صـلى الله عليـه وسلم ويبنى هؤلاء المعترضون دعواهم على أســاس أن موسى لا يعلم الغيب حتى يحكم مسبقا على أن أمته أقـل من أمة محمـد وأن أكثر الناس فى الجنة هم أتباع محمد وأن هذا الحكم قبل يوم القيامة وقبل فصل القضــاء خرص ورجم بالغيب يتنزه موسى عن مثله • ونقول لهؤلاء الذين لم يعجبهم التقـدير العـام المستمد من النظرة البديهية للأمور حيث لا وجه للمقارنة بين أمة موسى وأمة محمد •

ألم تر أن السـيف يحقـر قدره
اذا قيل : ان السيف خير من العصا

هل تتضاءل أمة محمد صـلى الله عليه وسلم عن مكانها العظيم الذى رآه موسى وأطلعه الله عليه بل أطلع عليه ليس موسى بن عمـــران عليـه السلام فحسب بل كل من ذاق للحياة طعما بعد البعثة المحمدية يقر بأن أمة محمد أكثر عددا من جهة سوادها ، وأعظم كيفا من جهة علمائها وصالحيها ومحدثيهـا من أئمـة السنة وحفظـة الوحى ، وهل فى أمة موسى رجل مثل البخارى أو كتاب أو سفر فى صدق جامع البخارى ؟ وموسى رسول يوحى اليـه فاذا أخبر عن أمر من الأمـور الراهنة أو المـاضية أو المستقبلة فانما يخبر بوحى من الله الذى يعلم السر وأخفى • (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) وهو كليم الرحمـن أطلعـه الله على ضآلة أمته وعظمة أمة محمـد ، فأى خرص فى هـــذا اللهـــم انكم أنتم الخراصون أنتم فى غمرة سـاهون ، ردكم الله الى الرشد والصواب •

أما اعتراضهم بصرير الأقـلام فان هـذا من عـالم الغيب الذى لا ندرك كنهه ولا نستطيع تكييف ايقـاعه فى السـمع ولا درجة الاحساس به من ثنايا صريره القدسى فى عالم الأمر ، الله تعالى يقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ويقـــول عز شـــأنه :

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » .

ويعترض هؤلاء الذين جانبهم الصواب على حديث تحنيك النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير عند ولادته ، وقد قالوا فى كتابهم الذى أخرجوه وأشرنا اليه فى مقالات سابقة ، كما سقنا بعض ما أحدثه من ايلام لنفوس كثير من المؤمنين وقد بنوا شغبهم على أن التحنيك ضرب من الوثنية من حيث التعلق بالصالحين والتبرك بذواتهم بل ببصاق النبى وعقبوا على هذه الواقعة بتعبير مجاف للأدب مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ويعتبرون أن اللعاب من الفضلات حيث يسوون بينه وبين ما خرج من السبيلين ، ويزعمون أن حديث التحنيك يثبت تزكية لعبد الله على خصومه من بنى أمية بمصه لعاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو رضيع قبل أن يرضع من ثدى أمه ليكون لهذا الحديث أثر فى ترجيح كفته على خصومه حين الفتنة الكبرى .

ويقولون انه ليس من المعقول أن تحمل أسماء وليدها وهى فى حالة وضع لتأتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم .

ونقول لهؤلاء : ان مقاييس الايمان والشرك ، وأدلة التوحيد والوثنية لم نعرفها الا من جهته صلى الله عليه وآله وسلم فما عرفنا أن هذا شرك وهذا ايمان الا من جهته صلى الله عليه وآله وسلم والحجر الأسود حجر ، جمرة العقبة حجر ، وهذا يقبل ويطاف به وهذا يرجم بالجمار ، وليس لأحد أن ينصب نفسه فى مقام المترجم لتعاليم الله ،فيحكم على أعمال عملها صلى الله عليه وسلم بالوثنية ، والا اعتبر استقبال القبلة وثنية لأنه استقبال حجر ،وكان اختصاص النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى من السماء وثنية ، لأن مداره يقوم على اختصاصه بالاتصال بمن فى السماء ، وناهيك بشخص تتصل ذاته الشريفة بشريعة الله من منبعها الأسنى ومقامها الأسمى ، فهو من هذه الحيثية لا يخضع للمحاكمة الى منطق ينسجه انسان قاصر .

ان أسماء رضى الله عنها هاجرت من مكة الى المدينة وهى حبلى ، وناهيك برحلة كهذه تشق على ذى

البأس في عصرنا هذا ، عصر المركبات الفارهة ذات المقاعد الوثيرة ، لقد هاجرت بنت الصديق الى المدينة على قتب ، وبلغتها فى أيامها الأخيرة من حملها بعبد الله وقد حطت رحالها فى قباء ، وقد ولد عبد الله فى فترة عصيبة على الأمة كلها ، لا يحس بها الا من أوتى العلم بالأمم ونشأتها والأيام وأحداثها ، فلقد كان عبد الله ابن الزبير غصة فى حلوق اليهود ، كما هو غصة فى حلوق أذنابهم ممن يموهون على الناس بمخالفتهم وهم يسددون السهام الى نحور من خذل الله اليهود بأيديهم ، يحاربون الاسلام فى صفوف أعدائه (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون) .

نعم ولدت أسماء فى فترة تواترت الأخبار التى ملأت بيوت يثرب وضواحيها وما بين لابتيها بأن اليهود عقموا المسلمين بالسحر والطلسمات فلا يولد لهم ولد ، وكانت فترة انتظار لولادة مولود تشق هذا الوجوم الرهيب ويدوى بولادته نداء يهز أرجاء المدينة هزا (الله أكبر ... الله أكبر) وتكون ولادته أول انتصار مشهود لارادة الله واعلاء كلمته ، وكبر لولادته المسلمون ، وصارت أسماء بعد ولادته ممتطية بعيرها من قباء الى حيث مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاها هذا الاستقبال الرائع من أمة تنتظر مولودا تكيد به أولئك الذين يؤلمهم أن ترى الأجيال الصاعدة فكانت ولادة ابن الزبير أول حدث يسىء الى اليهود ، وتأتى أمه تشوى بهذا النصر تحمله لتطرحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فيحنكه صلى الله عليه وآله وسلم بتمرة يبلها بريقه ..

وينبرى هؤلاء المكيدون متهكمين بتفل الرسول صلى الله عليه وسلم على التمرة وامرارها فى فى الصبى فيسمون اللعاب بقايا ويسمونه فضلات عمدوا الى هذا الصنيع عند تزاحم الصحابة وتسابقهم على اقتسام وضوئه صلى الله عليه وسلم (بفتح الواو) ولا ندرى ماذا يصنع هؤلاء المساكين حين يمضغون الطعام ويعجن أحدهم اللقيمة فى فمه هل يعجنها ببقاياه وفضلاته أم بما تفرزه غدد اللعاب ومكانها بين اللحيين . ان الواحد منهم يأكل لعاب جميع الحيوانات المأكولة دون أن تعافها

نفسه ، ومع ذلك يستقذر لعاب سيد الخلق وأشرف المرسلين .

على أنا اذا أردنا أن نفند رأيهم الخاطىء فى كراهة ريق النبى صلى الله عليه وسلم وماء وضوئه ونحونا نحوا علميا ماديا لعريناهم ولأثبتنا تجردهم من كل معالم المعرفة ، وبذلك يكونون قد سلبوا نعمة العلم بالدين كما سلبوا نعمة العلم بالدنيا .

ان اللعاب سائل طاهر يتكون من الماء بمقدار ٩٩ ٪ ومادة (انزايم) وكمية من الأملاح القلوية . ومن فوائده تحويل المادة النشوية الى مادة سكرية ، وهى من الخمائر التى يحتوى عليها اللعاب ، ومادة السكر التى يحولها الريق هى سكر الشعير ، ويساعد على معادلة الأحماض فى الفم ويساعد على التقام الطعام وازدراده .

ومن هذا التركيب العلمى يتضح أنه مادة بروتينية نافعة لو انتقلت الى طفل رضيع لأكسبته شبعا وقوة ، ولم يكن فى هذا العمل شىء من الوثنية الا اذا فسدت الفطر واختلت العقول أو كان المرء على مراحل من عقله وزاغ بصره ، فقال : ان شم الهواء النقى المنعش وثنية ، وان العلل (١) بعد النهل وثنية ، وان الناس حين يؤمون مواطن الرزق ومهابط الرحمة ومظان الرضوان الالهى وثنية .

بقى بعد هذا زعمهم أن نسبة التحنيك لعبد الله بن الزبير يكسبه فضلا على بنى أمية ، وهو — أعنى قائل هذا الكلام — وان لم يقل هكذا بالنص لخلل عبارته وانحطاط أسلوبه الا أننا نترجمه الى لسان عربى غير ذى عوج وبغير فهاهة حاطة ونقول لهم ولمن يرى رأيهم : ان التحنيك لم يكن مقصورا على هذه الحالة المفردة وعلى مولود واحد ، وانما كانت سنته صلى الله عليه وآله وسلم فى كل مولود يقدمونه اليه صلى الله عليه وسلم التماسا للبركة التى هى أعلى مراتب التوحيد وأنف المضللين راغم .

فقد ثبت أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه « ولد له غلام فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فسماه ابراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ثم دفعه الى أبيه وكان أكبر ولد أبى موسى » وقالت عائشة رضى الله

---

(١) العلل بفتح المهملة وتحريك اللام المفتوحة والنهل على زنته كذلك .

عنها : «أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصبى يحنكه فبال عليه فأتبعه الماء» وكذلك يروى أنس بن مالك : «أن أمه وكانت زوجا لأبى طلحة ولدت ولدا بعد قصة رواها رضى الله عنه فأعطته هذا الصبى وأرسلت معه بتمرات الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم ومضغ التمرات وأخذ من فيه فجعلها فى فى الصبى وحنكه به وسماه عبد الله» ولم يثبت بل يخطر ببال أحد أن واحدا من هؤلاء زعم فضلا له على أحد باختلاط ريقه صلى الله عليه وسلم بغذائه ، اللهم الا أن الذى أتاح الله له هذا المقام سيكون هذا الموقف يؤصل فيه من الوجهة النفسية كما يقول ذلك علم النفس كل المعانى النبيلة التى يتمثلها هذا الموقف من صاحب أعظم رسالة أنزلها رب السماء الى أهل الأرض .

على أنا نود أن نلفت أنظار العقلاء الى مركب نقص بسيط على تصرفات هؤلاءجعلهم يتصورون كل وهم يتابهم وكل خيال يراودهم حقيقة راسخة ، فمثلا يقولون : (لا جدال فى أن المقصود بهذا الحديث هو تزكية عبد الله على خصومه) وقد أوردنا أن عبد الله ليس الوحيد فى هذا الأمر وأن كل صبى ولد فى المدينة هرع به ذووه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتحنيكه والدعاء له بالبركة ؟

محمد نجيب المطيعى

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

(٥)

ومن أنفع وسائل دعوة شبابنا ـ وهم فى مرحلة المراهقة ـ الى التمسك بالدين والى خير الأعمال وحميد الخصال تنبيههم الى ماضى السلف الصالح الذين رفعوا منار العلم والدين ونشروا لواء العدل والمساواة وأقاموا صرح الحضارة الاسلامية العريقة التى ساهمت فى تقدم البشرية ، وتسليحهم بالوعى المستنير بأهداف أعداء الدين وأعداء الأمة العربية والاسلامية وأن كل ما يصوب نحو قلب هذه الأمة من وسائل التدمير سواء التدمير المعنوى بالحرب النفسية والانحلال والفكر المنحرف أو التدمير المادى بالرصاص والقنابل والصواريخ ، ما هو الا مظهر لصراع حضارى خطط له أصحاب القلوب الجاحدة والنفوس المريضة الذين ينكرون فضل الحضارة الاسلامية على نهضتهم ، والذين يخافون أن تعود تلك الحضارة ـ بعد أن تدهورت بسبب عدوانهم واهمالنا للدين ـ الى سابق مجدها واشراقها .

فيعرف شبابنا مثلا ما قاله دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل فى أعقاب اغتصابها لأرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨ :

« ان أشد ما أخشاه لو أن قائدا عربيا ظهر فى يوم من الأيام ليقود نهضة عربية حضارية شاملة » ومما قاله أيضا عقب النصر الرخيص فى ٥ يونيو ١٩٦٧ :

« اننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض بعد على حضارة العرب والاسلام » ، ويعرف شبابنا أيضا ما قاله السفاح مناحم بيجين وهو يخاطب جيش اسرائيل بعد يونيو ١٩٦٧ :

« لا ينبغى أن تتألم قلوبكم أيها الاسرائيليون وأنتم تقتلون عدوكم ولا ينبغى أن تأخذكم به شفقة ولا

رحمة ما دمنا لم نقم بعد بالقضاء على الحضارة العربية ، تلك الحضارة التى لا بد أن نقيم حضارتنا على أنقاضها ، ولابد من ارغام العرب على الاستسلام الكامل » .

فهذا دليل على أن جوهر الصراع بيننا وبين العدو هو صراع حضارى بالدرجة الأولى .

ولا شك أن تتبع تاريخ الحضارة الاسلامية فى منجزاتها طوال العصور يؤكد أن الازدهار العربى في عصوره الذهبية قام على سند من دين الاسلام الحنيف ، وأن تراثنا وتكويننا النفسى والأخلاقى متأثر كل التأثر بذلك الدين ، وشبابنا فى أشد الحاجة الى احياء دينى وروحى يعدهم للنهوض بدورهم فى هذا الصراع ويبنى نفوسهم ، ويقوى شخصياتهم ، ويقوم معوجهم ، ويعصمهم من الانحراف والانقياد الى ما يفد الينا من الخارج من مذاهب واتجاهات تحمل فى طياتها بذور الاستهتار بالقيم وبالمقومات التى يقوم عليها الايمان والتدين ، وأكبر ما يهون على المرء احتمال الضيم والذل جهله بنفسه ونسيانه شرف أسلافه وأجداده ، فتخفى عليه سيرتهم الحسنة ، وأعمالهم الجليلة الخالدة وأخلاقهم الكريمة ، ومن ثم لا يخجل من السقوط فى حمأة الرذيلة ولا يستحى من اتيان النقائص :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

وقد امتحنت الأمة العربية فى تاريخها الطويل بكوارث متعاقبة كانت كفيلة بالقضاء عليها ومحوها من مسرح الوجود ، لو لم تحمها مقوماتها الدينية والمعنوية التى عصمتها من أن تفقد ذاتها .

ولقد عمل أعداء هذه الأمة عدة قرون على عزلتها عن أمجاد ماضيها وبطولات تاريخها ، وكان همهم الأكبر أن يبتروها من أصولها العريقة التى تمدها بأسباب القوة المعنوية وتزودها بعوامل البقاء .

فليعلم شباب الأمة العربية والاسلامية أن لأمتهم دينا يغنيها عن كل عقيدة ، ويقودها الى الرقى والمجد والتمكن فى الأرض ، ولا يحول بينها وبين الأخذ بكل ما ينفع من ثمرات العقول وجهود الشعوب ولباب الحضارة ، ولتوجه أنظار شبابنا أيضا الى كشف تلك التيارات المعادية للدين وللأمة التى تستخدم

كلمة التطور أو التطوير فى التعبير عن معادن يراد بها سلخ هذه الأمة عن خصائص عروبتها ومعالم اسلامها ، ودفع شبابنا الى تقليد الأجانب فى كل مايأتون ويدعون تحت عنوان التطور، والى تصوير التمسك بقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا الكريمة على أنه رجعية وتخلف .

وعلينا أن نبصرهم بأن التطور النافع لا يقوم على أنقاض التراث الأصيل :

ومن أضاع تراثا من أبوته
لم يستفد من سواهم قدر ما فقدا

وان الدين لا يعوق الانسان عن تطوير أساليب الحياة ، وتغيير مستوى المعيشة وابتكار كل ما يحقق الخير والرفاهية والرخاء من وسائل العمل والانتاج وكل ما ينفع الأفراد والأمة أجمعين فذلك هو مجال التطوير الحق الذى يتفق مع دعوة الدين ،والذى سبقنا فيه غيرنا فوصلوا الى ما وصلوا اليه وأحجمنا عن المضى فيه مع دعوة القرآن اليه فتخلفنا ، وما أروع ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى عبيدة بن الجراح :

« انكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » .

ننتقل بعد ذلك الى الجانب العملى فى التربية الدينية لتحقيق الممارسة الفعلية والتفاعل مع مصادر التربية من أشخاص وبيئة ومناخ .

وأول ما ينهض بالتربية الرشيدة هو البيت الذى يدرك مسئوليته ويعرف مهمته ، فلقد أجمعت الدراسات النفسية والتربوية على أهمية البيت والأسرة فى تكوين شخصية الانسان وفى تشكيل سلوكه فى الحياة صغيرا وشابا ، ويافعا وكبيرا فى السن ، ومن هنا يجيىء الاهتمام بالروح الدينى الذى يجب أن يسود البيت ممثلا فى صلاح الوالدين والكبار من الأسرة ، وقيامهم بفرائض الدين ، وبعدهم عن المنكرات والآثام والتزامهم حدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادىء الدين فى القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والايمان فى نفوسهم .

ومن الثابت عمليا أن الطفل الذى ينشأ فى بيت كهذا ، يبدأ حياته

محصنا من كثير من الأمراض السلوكية والفكرية ويتميز فى مرحلة المراهقة والشباب بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لدواعى الشهوات ونوازعها الضارة وعلى هذا المعنى اتفقت الدراسات الاسلامية التربوية والأخلاقية ، وممن نبه اليه من علماء المسلمين وجعله ركنا فى بناء منهجه التربوى الامام الغزالى فى مختلف كتبه وبخاصة « احياء علوم الدين » اذ عقد بابا لرياضة الصبيان فى أول نشوئهم قرر فيه : أن الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ... وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل الى كل مايمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ... واذا بلغ سن التمييز فينبغى ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ، فاذا نشأ على ذلك فى الصبا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ، يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش والشره فى الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » .

ومدح الله اسماعيل عليه السلام بأنه كما يقول : « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » كما مدح من قال : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين » فقال تعالى : « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » .

وحين ينتقل الناشىء من مرحلة البيئة المنزلية الى مرحلة التعليم المدرسى تبدأ مؤثرات المدرسة والمجتمع الأوسع تعمل عملها فى نمو شخصيته وتكوين نظامه الأخلاقى والاجتماعى . ففى هذه المرحلة الممتدة من الطفولة الى الرشد تجتمع آثار التعليم والتلقين والقدوة الصالحة والأوضاع الاجتماعية وأنماط الحياة العامة السائدة وتأخذ شخصيات الناشئين ــ بما حملت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة المنزلية ،

وبما يلابسها من ظواهر النمو الجثمانى والعقلى فى التكيف بهذه العوامل الجديدة بها وتبدأ الفروق بين الناشئين تظهر فى مجالات تفكيرهم وسلوكهم ، وتبرز هنا وهناك عند بعضهم ألوان متفاوتة الدرجات من الشذوذ والانحراف تحتاج الى تعهد وعلاج ، وتبلغ هذه الألوان شدتها فى ابان المراهقة والبلوغ .

وألزم ما يلزم للناشئين فى هذه المرحلة التربية الدينية المناسبة ،والجو الاجتماعى النقى والاشراف النفسى الحكيم . فأما التربية الدينية المناسبة فى مراحل التعليم فان جوهرها الوصول الى وجدان الناشىء وضميره وتنمية عاطفته الدينية ، وربط جوانب شخصيته بأواصر العقيدة والتعاليم الروحية واحكام صلته بخالقه من طريق اتصاله بكتاب الله حفظا وفهما ودراسة ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وسيرة أصحابه وخلفائه والصالحين من أمته ، وبما يناسب سنه وعقله من مبادىء التشريع الدينى وأسراره ، وبالمعالم البارزة من تاريخ الأمة الاسلامية وحضارتها ودورها فى تقدم الانسانية ، وبتهيئة الوسائل له لاقامة شعائر دينية وتشجيعه على ممارسة أعمال الخير والبر ، وبتوجيهه الى الاتصال بالكتب وبالنصوص الاسلامية التى تتضمن أو توحى بالترغيب فى الاستقامة والتنفير من الانحراف ، ومن الضرورى أن يبنى كل ذلك على منهج تربوى ونفسى مدروس ، وأن يكون القائمون على شئون التعليم قدوة صالحة للمتعلمين ، وأن تعنى المدارس والمعاهد ، ومراكز تجمع الشباب بكل ما يساعدهم على اقامة الشعائر الدينية ، وينمى فى نفوسهم الشعور بجلال المواسم الاسلامية والحرص على احيائها ويحقق لهم فضيلة النشأة فى عبادة الله .

ومما يجدر ذكره أنه لا يصح أن نتصور أن مدرس الدين هو المسئول وحده عن التربية الدينية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى التلاميذ ، بل الواجب أن نقرر أن جميع المسلمين مسئولون أيضا ، فان التلميذ يمضى أكثر ساعات النهار لأكثر أيام السنة فى صحبة المعلم ، والمعلم هو الذى يشكل عقول تلاميذه ويمدهم بالمواد الثقافية ويزودهم بالقيم والاتجاهات التى تتشكل على هديها أنماط سلوكهم الاجتماعى .

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

وحي السماء في شعر العقاد

للأستاذ السيد حسن قرون

للشعراء الكبار ومنهم عباس محمود العقاد ولع باستيحاء الأسماء والألقاب والكنى حين يقرضون الشعر ، ويرجع ذلك الى معايشتهم اللغة في أوضاعها المختلفة ،وفي فطانها المتفرعة في شعرها وخطبها وكتبها ورسائلها وتوقيعاتها ، وفي فقهها ومعاجمها اللغوية الخاصة والعامة ، فالشاعر الموهوب (المنقوع في اللغة) ان صح التعبير حين يتهيأ للالهام وتسيطر عليه العاطفة ، ويهدر به الشعر تتهيأ معه مادة التعبير فتبرز له الألفاظ من مكامنها ساعية اليه ، متشبثة به ، حريصة على الحياة الرقيقة ، فيزاحم بعضها بعضا ، فيختار منها ما يحلو له ، وما يراه خليقا بالحياة ، مما له قدرة بالغة على تصوير معانيه وأحاسيسه . وقول النحاة : الأسماء لاتعلل لايصغى اليه الشعراء ، ولا يستجيبون له ، لأن لهم عالما أوسع من دائرة النحاة ، عالم الخيال والتحليق في السموات العلا ، ترى ذلك جليا عند أصحاب الالهام ، وأرباب الكلام ، وقد تجده عند الخطباء المصاقع الذين ملكوا أعنة البيان ، وأدبنا العربي فيه كثير من الأدب الجميل الذي يدور حول الأعلام والأسماء يكون للاسم دلالات عندهم ، وايحاءات تسر السامع والقارىء ، وقد تغضب حينا من قيلت فيه ، فمن الشعر غزل أبي تمام ، قال :

بكر اذا ابتسمت أراك وميضها
نور الأقاح برملة ميعاس

واذا مشت تركت بصدرك ضعف ما
بحليها من كثرة الوسواس

قالت وقد حم الفراق فكأسه
قد خولط الساقي بها والحاسي

لا تنسين تلك العهود فانما
سميت انسانا ، لأنك ناس

. فكلمة انسان أوحت اليه أن يذكر بتلك العهود ، لأن الانسان من

النســيان ، وبتعليلـه لذلك الموقف أكسب الكلام رونقا ورشاقة وملاحة تأخذ بمجامع القـلوب • ومن النثر الحوارى ماجرى بين خالد بن صفوان ابن الأهتـم التميمى وبين أحـد بنى عبد الدار فقد حكوا أن خالدا فاخر العبـدرى فقـال العبـدرى من أنت ؟ قـال : أنا خـالد بن صـفوان فقال : أنت خالد « كمن هو خالد فى النار » وأنت ابن صـفوان « كمثـل صـفوان عليـه تراب » وأنت ابن الأهتم ، والصحيح خير من الأهتم • نظر الى اسمه فاستوحى منه ما يؤذيه، واستعان بالقرآن مرة ، وبمعنى اسمه مرة أخرى ، وكان رد خالد من نفس الطريق ، قال للعبدرى : يا أخا بنى عبد الدار ، أتتكلم وقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية ، وخـزمتك مخـزوم ، وجمحتك جمح ؟ فأنت عبد دارهم ، تفتح اذا دخلوا ، وتغلق اذا خرجوا، قال الرواة : فقام العبدرى محموما • وأنت ترى أن خالدا جعل من أسماء بطـون قريش سـبيلا الى طعنـه ، والتهوين بأسـلافه ، فأخذ من هاشم وأمية ومخزوم وجمح معانى ودلالات تجعـل من عبد الدار خادما لهـؤلاء جميعا مع أن « دار الندوة » كانت من مفاخر قصى وابنه عبد الدار •

ولا أطيل فى هذا الحديث وحسبى أن أقول : ان العقاد فى عصرنا الحديث جرى هذا المجرى فى النظر الى الأسماء والتعامل معها ، والتفاعل مع دلالاتهـا مدحا وعتابا ورثاء وفكاهة ، ولا شك فى أن ذلك جاء نتيجة تبحره فى لغته وادراك حقيقتهـا ومجـازها ، وأنه خالطها مخالطة العاشق لها ، المشوق الى جمالها ، العاكف على محـرابها ، التابع لخطواتها فى جاهليتها واسلامها الدارس لشـعرائها ، المـوازن بينهم الناظر الى طرائقهم فى التعبير والتصوير وكتاب واحد من مؤلفاته يعطيك بيانا شـافيا لما نقول •• انه « ابن الرومى حياته من شعره » وحصيلة ذلك كله ان كان للعقـاد مـذهب خاص فى استخدام الكلمة ، لها قيمتها فى أدائه فهو لا يحب المترادفات ، ولا يستعين بجملة تفسر أخرى ، فلا يصح عنده أن تكون الكلمة نافلة فى الاسلوب ، لأنه يعرفها من جذرها الى فروعهـا مجازا استعارة وتشبيها وكناية ، ويعرف موطنها من أين أتت ؟ أمن لغة أهل العالية أم من لغة قريش ؟ أجاءت من الريف أم نبتت مع الشيح والقيصوم فى البادية ؟ فاذا استخدمها أو استوحى منها معانى جـديدة فهو على علم تام

بصفاتها وشياتها ، وقد يستخدم اللفظة الأجنبية ليؤدى بها معنى لفظة من لغة الضاد فتجىء مستقرة فى مكانها ، مطلوبة فى البناء الشعرى ، لا تحس قلقا أو نشوزا ، وان كان لا يفعل كثيرا . وبالمثال تتضح الأقوال .

قال العقاد فى ذكرى عيد الجهاد ، وعيد الجهاد كان بدء العمل الوطنى بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وفرحت الشعوب بمبدأ حق تقرير المصير ، فتوجه الزعيم سعد زغلول ورفيقاه على شعراوى وعبد العزيز فهمى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ الى دار المعتمد البريطانى ، وطلبوا منه السماح لهم بالسفر الى مؤتمر الصلح بباريس فحيل بينهم وبين ما يريدون .. فكانت ثورة ١٩١٩ ، ورقم ١٣ له دلالة الشؤم عند الناس ، ولكن العقاد يجعل منه فألا حسنا ، ويتخذ من اسم سعد طالع سعده الميمون ، فماذا قال :

ان من أسعد (الثلاثة عشرا)
رجل قادر على الاسعاد

سعد اسمه ووصف ووعد
من عدات المهيمن الجواد

أنجزوه أنتم على يد شعب
لم يزل دهره على ميعاد

فقد جعل سعد رقم ١٣ مصدر تفاؤل لا تشاؤم ، لأنه قادر على الاسعاد ، وله من اسمه ووصفه ووعد المهيمن الكريم ما يحقق التفاؤل ، وعلى الشعب أن ينجز الوعد بالجهاد والكفاح ، ولا بد أن يبلغ المراد ، والعقاد ممن لا يتشاءمون بهذا الرقم ، فمنزله يحمله ، وله معه مواقف أخرى لا مجال لذكرها . وللعقاد مع سعد ودلالات الألفاظ مجالات فى صناعة الشعر ، فقد وصف سعد العقاد بأنه الكاتب الجبار ، فلما أبن سعدا فى ذكرى الأربعين قال :

أنا جبارك لا تعهدنى
ذلك الجبار فى الدمع السخين

فقد تغيرت حال الجبار من القوة الى الضعف بعد فقد الزعيم ، وقد بقى على وفائه لسعد ، وبكائه عليه الى آخر حياته ومع أنه ألف كتابا عنه يعد من روائع التأليف ، وسكب فى تأليفه من روحه ودمه ما يرقأ دمعه ، ويهون المصاعب فيه ، ولكن لوعة الفراق مازالت مالكة قلبه وحسه وشعوره ، فلما نقل رفات سعد سنة

١٩٣٦ من ضريحه بالامام الى ضريحه المقام بجوار داره قابله العقاد بذلك الهتاف :

عرف النفى حياة ومماتا
وأصاب النصر روحا ورفاتا

كلما أقصوه عن دار له
رده الشعب اليها واستماتا

كيف يجزيه افتياتا وهو من
كان لا يرضى على الشعب افتياتا

أصبحت دارك مثواك فلا
تخش بعد اليوم ياسعد شتاتا

حبذا الخلد ثوابا للذى
غرس المجد ونماه نباتا

وفى حفل تكريم شاعر القطرين (خليل مطـران) اتخذ من اسـمه سبيلا الى الثناء عليه بالخير ، والتنويه بمكانه بين شعراء جيله .. قال :

(مطران) محراب القر
يض (خليل) ناديه الحميم

قدس يزين وقاره
أنس يهش له النديم

خلقان لم يتجمعا
الا لذى فضل عميم

فكلمة خليل أوحت الى العقاد أن يجعل الشاعر المكرم الأنيس صاحب الأنس الذى يهن له المرافق والمنـادم وكلمة مطران وهى لقب دينى أوحت اليه أن يجعله وقورا والطير يزينه، وعلى ذلك فقـد حاز مطـران خلقين كريمين لم يجتمعا فى غيره : ما قدس يحف بوقاره فيزينه ، وأنس يرتاح اليه الجليس ، ولذلك جاءت المقطوعة التالية بعد السـابقة متوهجة العبـارة نابضة التركيب بالحب والاعجاب . قال :

ماذا أعدد من سجا
ياك الحسان وهن شتى

أدبا وعرفانا وآ
لاء محبة وسمتا

واذا أطلت نفاية الا
طراد أنك أنت أنتا

ومن هذا المعدن جاءقولهفى ذكرى الفنان المشهور الشيخ سيد درويش :

قل « سيدا » فاذا ذهبت مترجما
علموا هنالك أنه « المايسترو »

هى من مصادفة الحروف ، وربما
سبق الحروف بها دليل مضمر

سمة على كل اللغات سميها
للسبق فى الفن الجميل ميسر

فكلمة سيد موحية له بأن يجعله أستاذ الفنانين ، وهو متفوق ،وتفوقه يجيء فى كل اللغات ، فله أصالته فى الفن الجميل ، وسبقه ميسر له، ويفسر « المايسترو » بأنها الايطالية ترجمة سيدا وأستاذ ، ولا غرو فى ذلك :

عرف الأغانى وللحون كما جرت
في عرف من نطقـوا بهن فعبروا!

ويجمع ميزات سيد درويش فى أبيات من نفس القصيدة هكذا :

لله (سـيد) الذى غنى لـكم
زمنـا فقـال العـالمون « مصـور »
وصف ابن مصر فليس يدرى سامع
أصغى اليـه : أسـامع أم مبصر
ان تسـمع الحوذى منـه رأيتـه
عجـلا فتيمن فى الطـريق وتيسر
أو تسـمع النـوتى منه حسبته
فى النيـل يقبـل بالشراع ويدبر
أو تسـمع الريفى منـه لمحتـه
فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسـمع الجنـدى منه نظرته
وعـلى أسرته الشـعار الأخضر
واذا « المسـارح » راجعت أيامهـا
لاذت بفـرد منـه لا يتـكرر

ففن العقاد فى الرثاء لا نظير له فى الشعر المعاصر ، لأنه يقدم لك المرثى كما خلقه الله سياسيا أو فنانا أو أديبا، ولا يضن على فنه فى استيماء الألفاظ، واستعراضها فى مهارة واقتـدار . ويخيل الى أن العقـاد بعـد مقتـل النقراشى تبـاعد عن السياسة ، واهتم بالأدب والأدباء ، ومناحى التفكير فى كل مجالاته ، فرأيناه يرثى كل أعلام العروبة الذين تبادل معهم الود ، أو عمـل معهـم فى الصحافة ومجمـع اللغة ، ومجلس رعاية شئون الآداب ، ونظر اليهم فى صـدق ووداد ، فجاء رثاؤه مصورا لوعته وراسما شخصية من يرثيه ، هذه اشارة عابرة تتصـل بموضوعنا ، ولنرجع اليه لنراه يكسر قاعدة النحـاة « الأسـماء لا تعلل » فصـاحب الأهرام اسـمه (جبرائيل تقـلا) وقد رثاه ، وجبرائيل اسـم الروح الأمين الذى يسفر بين الله وبين رسـله بالوحى ولذلك عبر فى رثائه مستوحيا من هذا الاسم معناه ، وأن ما يؤديه جبرائيـل فى صـحيفته لا ينقطع . قال :

وحى جبرائيـل متصـل
بين حـل منـه أو سـفر
ليس ينـأى فى السـماء ولا
فى مدى الأحـلام والفـكر

فذكر الوحي المتصل والسماء والأحلام والفكر وكل هذا من لفظة جبرائيل ، والمعنى دقيق ورشيق .

وفي رثاء الكاتب والسياسي والمؤرخ الدكتور محمد حسين هيكل يتخذ من كلمة (هيكل) وسيلته الى التقدير والتصوير فهو هيكل الحق ، وهيكل الفن ، وهيكل البيعة الكبرى ، وهيكل الصحب ، ويجعل عنوان القصيدة « شيخ الشيوخ » اشارة الى منزلته السياسية ، ويبدأ بكاءه بالأبيات الآتية :

لا أحسب العام في أسوان يسعدني
يوما بلقياه في قومي وفي سكني

هناك في الركن في مشتاه معتصما
على سجيته من غمرة المحن

تباعدت شقة الدارين وامتنعت
على المطايا وأعيت حيلة السفن

حسب(١) الصديقين بعد الأرض بينهما
على مدى راحة من ظهرها الخشن

وأطول شوقي الى يوم يقربني
من راحة البال أو من راحة البدن

حزين حزين في شوق عارم الى اليوم الذي يرتاح فيه بالا وبدنا ، وفي حديثه عن ذكرياته عن فقيده ما يصور لك مدى الحزن واللهفة وأثر الفراق

ويرثي النقراشي فيتخذ من اسم ابنه (هانيء) مجالا للتعبير عن الحسرة والحيرة والحزن العميق الذي يشمل الوطن كله لا هانئا وحده :

يا أبا هانيء وأعزز بأني
لا أرى هانئا ربيب هناء

أنعزيه في مصابك لهفا
ن ، ونحن الأحرى بطول العزاء ؟

ومصاب الشعوب في الحق أقسى
من مصاب الأبناء في الآباء

وعلى الجارم له من اسمه الهام للعقاد ، أليس اسمه عليا ، فليقل :

يا عليا له مكان (علي)
بين دان من جيله وقصي

والعجيب أن شاعرنا جعل من مناسبة موت الشاعر مطلع رثائه ، فالشاعر قضى نحبه وهو يستمع الى ابنه ينشد قصيدته في رثاء النقراشي بدار الجمعية الجغرافية سنة ١٩٤٨ ، قربة الشعر عند العقاد جسمت له ما حدث ، شاعر يرثي ويسمع مايقوله وفي آخر القصيدة يسقط ميتا ،

---

(١) شطر بيت للنابغة ، وتمامه : هذا عليها وهذا تحتها ثاوي .

ولذلك جاء مطلع رثاء العقاد للجارم من صنع ما شاهد :

فجعت مصـــر يوم نعى على
بالأديب الفهــــامة الألمعى

شـــاعر لازم القريض الى أن
كان يوم الفـراق حرف روى

فعلى الجارم قصــيدة ممتـــدة بايقـاعاتهـا ، وتنتهى بحرف روى ، وهكذا كان العقــاد يرثى ويبكى ، ويقـدر من خدموا وطنهـم ولغتهم ، تعال معى نترك جو الحزن ، ولنستمع الى العقاد فى فكاهاته ، وكيف يتخذ من الأسماء مركبا لبلوغ مقـاصده ، وأكثر ما كان ذلك أيام شـــبابه ، وللشباب مرحه واتجاهاته ، عنـوان القصيدة « أســبوع فلورة أو تكريم «الكلاب» قدم لها بكلام ختمه بقوله : « اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة (كلبة) لبعض أصدقائنا ، فقـلت ابارك النفســـاء ، وأحيى المولود .. » .

أعلنى يا (فلـــورة) الأفراحـا
واملئى الأرض والســماء نباحا

ما حبا الدهر (بنت كلب) بأعلى
مـن ذراريك عنصرا ولقـــاحا

والمقصود ليس هذا ، انما المقصود قوله يخاطب المولود :

يا كليبـــا أزرى بذكر (كليب)
لا تظنن ما نقـــــول مزاحـــا

ما مـدحت الأنـــام يومـا وانى
لست آلـوك يا كليب امتـــداحا

أعجـم النـاس فى الوداد وما زا
ل بنـو الكلاب فى الوادى فصاحا

فابن فلورة كلب له منزلة سامية ، وكيف لا وقد أزرى بذكر (كليب وائل) الذى يضرب به المثل فيقـال « أعز من كليب وائل » والذى سبب مقتله الحرب بين تغلب وبكر أربعين عاما كما يقولون ، ويقولون انه ساق معـدا كلهـا لحرب اليمـن فانتصر ، وصار سيد الناس . ففى هذه الأبيات الثلاثة مفـــارقات صـــارخة ، الكلب الحيوان أعلى مقاما من كليب وائل ، وأن الشاعر لم يمدح الأنام يوما ، ولا يقصر فى مدح كليب بن فلورة ، ثم ان الكلاب أولى بالمودة لأنها أفصحت بهـــا ، وأعجم الناس ، فلم يعـرفوا الوداد والوفاء . وقد كان العقاد حين نظم هذه القصيدة ضيق الصدر بالناس والحيـــاة ، وأن طموحه لا يجد له صدى بين أوساط أمته ومن يقـرأ

رسائل الشعر التى تبادلها مع صديقيه شكرى والمازنى فى هذا الأوان وقف على ايثاره مودة الكلاب على مودة بنى آدم ، وتعبيره « لا تظنن ما نقول مزاحا » من قبيل الفكاهة ، ولكنها تشير الى نفسيته الثائرة الحائرة ، لكن العقاد حين وصل الى مكانته فى عالم السياسة والأدب مدح ورثى وهجا وزاول هذا النوع الذى خفت صوته فى ذلك العصر ، وان كنا نعرف أن صنيعه فى هذه الأغراض الشعرية تعدى تقديره لمن أحبهم وأحبوه ، ومدحهم ومدحوه ، المهم أنه رضى عن الناس بعد أن جفاهم وفضل عليهم بنى الكلاب . ويرثى كلب صديقه (طاهر الجبلاوى) حين نفق ، ويستلهم المعانى من اسم الكلب واسم صاحبه ، ويعطى للكلب سمات يتبين منها موضع الفكاهة والسخرية بالانسان معا ، فهو يقول :

حزنا على كلب طاهر
فانه طاهر الكلاب

تشابها فى خليقة
واتفقا شيمة الصحاب

وربما عى طاهر
وكلبه حاضر الجواب

فليس يوفيه حقه
من اكتئاب أو انتحاب

الا اذا بات نابحا
مع الساعين فى الخراب

عوعو ، عوو وه بلا ونى
ولا انقطاع ولا اقتضاب

وجميل من الشاعر أن يجعل وفاء صاحبه لا يتم الا اذا نبح وعوى ، ووضع له صورة العواء . وهكذا رثى كلب طاهر ولعب بطاهر ، وجعل كلبه أفصح منه ، وأقدر على رد الجواب ، وفى دواوين العقاد كثير من هذا النوع الذى يكون فيه الاسم مصدر وحى له ، يتأمله ويستخرج منه معانى وأساليب هى من الشعر بمكان عظيم ، وحسبك أن تقرأ قصيدته فى أم كلثوم حين عادت من الأقطار الأوربية بعد شفائها ، واستقبلها بها ، واتخذ من كلمة « كوكب الشرق » وهو العنوان سبيله الى مدحها وتقدير فنها ، وشوق الجماهير لسماعها :

كلهم ود لو يغنى
من البشر والصفاء

لم بقدر السرور لنشـ
ـدو غلبناك بالغناء

استمع اليه يستوحى « كوكب الشرق » تره يقول :

هلل الشرق بالدعاء
كوكب الشرق فى السماء

عاد فى حلة الضيا
ء وفى هالة البهاء

لم يغب هاجرا ولكـ
ـن كما غربت ذكاء

لا تخافوا على مطا
لعه سطوة المساء

واهب النور لا يدا
ريه عن نوره غشاء

كوكب الشرقفى أما
ن من الليل لا مراء

وهكذا كانت نظرة العقاد الى الأسماء ؟

السيد حسن قرون

سطور فى كتب التراث

فى المثل (جاءوا على بكرة أبيهم) هذا مثل يضرب للجماعة اذا جاءوا كلهم ولميتخلف منهم أحد .والبكرة الفتية من الابل . وأصل هذا المثل أنه كان لرجل من العرب عشرة بنين فخرجوا الىالصيد ، فوقعوا فى أرض العدو . فقتلوهم ووضعوا رؤوسهم فى مخلاة . وعلقوا المخلاة فى رقبة بكرة كانت لأبى المقتولين . فجاءت البكرة بعد هدأة الليل . فخرج أبوهم وظن أن الرؤوس بيض نعام ، فقال : قد اصطادوا نعاما وأرسلوا البيض . فلما انكشف الأمر . قال الناس : جاء بنو فلان على بكرة أبيهم ؟

من (الكشكول) لبهاء الدين العاملى ص ٣٠٠

فقيد العروبة والاسلام ..

روعت الأمة العربية والعالم الاسلامى وهى تحتفل بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم .. بحادث اغتيال جلالة الملك فيصل رحمه الله . واكرم مثواه . فكان لذلك أثره البعيد فى نفوس العرب والمسلمين . اذ فقدوا فيه علما من اعلامهم الرفيعة المنيعة ، ومصلحا عظيما كريما . وقائدا محنكا حكيما . وبطلا من أبطالهم الذين قادوا معاركهم بشرف وكبرياء وحكمة .

وقد شهدت المملكة العربية السعودية فى عهده من أياديه . وعمله . واصلاحه ما ينطق بمآثره . ويخلد ذكره ، ويعظم عند الله وعند الناس قدره .

وكان موقفه فى معركة العاشر من رمضان عميق الأثر فيما احرزته الأمة العربية من نصر على الصهيونية ، كما كان له الأثر فى العالم كله بما احدثته من هزة كبرى تجاه سلاح البترول الذى شهره . واشعر الجميع بخطره ..

ومن ثم وقع نبا وفاته موقعه الأليم من القلوب وعصفت الدهشة من اغتياله بالعقول والألباب . ولكن قدر الله . وما شاء فعل . ورحم الله الفقيد وجزاه خير الجزاء ..

مجلة الأزهر

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

(٦)

لم يكن أمير الشعراء يكتفي في اسلامياته التي عرف بها ، وبرزت في كثير من مواقفه ، بتلك الحرارة الملتهبة في شعره ، وهو يدافع عن الاسلام ،أو يصور نهوضه بالانسانية، والسير بها نحو الطريق الأمثل ، اذا عرض لحياة فاتح من الفاتحين ، أو دولة من دولة ، يتحدث عنها ، أو يذكر تاريخها ، وانما يتجاوز ذلك كله ، ليجعل من نفسه مجتهدا يوجه الرأي ، ويحرر المراد ـ كما يقولون ـ وقد رأيناه أكثر من مرة يقف موقف المجتهد الذي يعلن مذهبه ، ثم لا يكتفي من اعلانه اياه بالتصريح وكفى ، وانما يحاول أن يحمل الناس عليه ، ويلزمهم به ، وربما كانت هذه هي النزعة التي تغلب عليه ، ويهتدى الى الايمان بها من يحاول أن يدرسه دراسة تحليلية واعية ـ أو عميقة ـ وهو العيب الذي كان يلازمه ، لأن الذي يدافع عن رأي من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ،لا يطلب منه شيء وراء طرد التهمة الموجهة اليه ، أو العيب الذي لصق به ... ومن هذه المواقف التي يبرز فيها شوقي بهذه الصورة : موقفه من قضية « الحجاب والسفور » التي أثارها قاسم أمين في كتبه التي دعا فيها الى تحرير المرأة من سجن البيت الذي تقضي زوجيتها للرجل أن تعيش بين جدرانه ترعى شئون الأولاد وتقوم على تصريف مهام تلك المملكة الصغيرة التي جعلها الله سيدتها ، وكانت هذه القضية مجال صراع ساخن بين الكتاب والمفكرين في هذا الوقت ، لم يتركها عالم ولا أديب دون أن يعطي رأيه فيها ، أو حكمه عليها ، وعلى الرغم من أن الدين الاسلامي الذي أباح للرجل أن يرى من المرأة وجهها وكفيها وقدميها

وحرم الخلوة بهـا ، وكان من أدبه لنساء النبى صلى الله عليه وسلم — وهن فى موضع القدوة لنساء المسلمين أجمعين — « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما . يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » فانه أراد من كل أنثى أن تتأدب بهذا الأدب الذى هو دستور يضع للمرأة الحد الفاصل فى ذلك المجتمع الذى تعيش فيه ، فلا تبذل للرجل بالقرب منه ، والمزاحمة له ، والطغيان على حقه ، أو التخلى عن رسالة الأمومة التى جعلها الله سبحانه وتعالى من أقدس أعمالها ، وأنبل ميادينها التى تزاول فيها ما عساه أن يكون لها من نشاط تريد به أن تساهم فى المجتمع الذى تعيش فيه ، وهى قضية — كما نرى — ان لم تكن دينا مرعيا ، أو شريعة متبعة ، فهى العلاج الذى لابد منه لهذا المجتمع المتخاذل المفكك الذى فقد بفقدانه « المرأة الأم » الخير كله ، وظهر أثر ذلك فى عدم الثقة التى كان مرجوا أن تكون قائمة بين الزوج والزوجة ، وعدم الحنان والعطف بين الأم والأولاد للمشاغل التى تنأى بها عنهم ، ولا تمكنها من الحدب عليهم ، أو الرعاية لهم ، وهى معان تكون أكثر ما تكون بالقرب والملازمة ، وتقليد السلوك والعادات ، ونحن لا نشك فى أن معظم ما تعانيه الأجيال الحاضرة ترجع أوزاره وآثامه الى الأبوة الهزيلة ، والأمومة الفاشلة ، حينما تخلى كل منهما عن واجبه نحو بيته وأولاده ، ولا نريد أن نطيل الحديث فى ذلك أكثر من أن نقول ان الاستعمار الذى كان جاثما على البلاد الاسلامية كان يحب دائما أبدا ألا تكون لنا مثل ولا أخلاق ولا دين لأن هذه كلها تطارده وتقوض بنيانه ، ولذلك كان يساند ذلك الزيف ، ويتعهد هذا الشذوذ ، ويبارك أمثال هاتيك الترهات ، ولم يكن قاسم أمين وحده الذى تصدى

لبلبلة الأخلاق ، والتمرد على المعايير والقيم ، وانما كان هنالك من يشيد بالانجليز فى بلادهم فى كتاب ضخم ، ومن يجمع القصائد والمقالات فى مفاتن باريس ، ومنها قصيدة شوقى التى كان منها هذه الأبيات :

جهد الصبابة ما أكابد فيك
لو أن ما قد ذقته يكفيك

حتام هجرانى وفيم تجنبى
والام بى ذل الهوى يغريك

قد مت من ظمأ فلو سامحتنى
أن أشتهى ماء الحياة بفيك

أجد المنايا فى رضاك هى المنى
ماذا وراء الموت ما يرضيك

زعموك دار خلاعة ومجانة
ودعارة يا افك ما زعموك

ان كنت للشهوات ريا فالعلا
شهواتهن مرويات فيك

تلدين أعلام البيان كأنهم
أصحاب تيجان ملوك أريك

فاضت على الأجيال حكمة شعرهم
وتفجرت كالكوثر المعروك

والعلم فى شرق البلاد وغربها
ما حج طالبه سوى ناديك

العصر أنت جماله وجلاله
والركن من بنيانه المسموك

أخذت لواء الحق عنك شعوبه
ومشت حضارته بنور بنيك

ومن العجائب أن واديك الثرى
ومراتع الغزلان فى واديك

لما احتملت لك الصنيعة لم أجد
غير القوافى ما به أجزيك

وكانت رئيسة الاتحاد النسائى أول امرأة كشفت القناع وبرزت الى الرجال ، وفى هذا التيار الجارف الذى يصونه الاستعمار الذى كان قائما بيننا كان كل هؤلاء الذين ينادون بتحرير المرأة يضعون نصب أعينهم ارضاء الميول المنحلة من ناحية ، والزلفى الى الأجنبى من ناحية ثانية ، وليقال انهم غير جامدين من ناحية ثالثة ، ويقول الذين أدركوا هذه الحقبة من تاريخنا المعاصر ان كثيرا من الغيورين على دينهم قد حاربوا هذا النزوع ، وقاوموا ذلك الانحراف ، وكتبوا ضد قاسم أمين ، وكان منهم مؤسس دعائم الاقتصاد المصرى « طلعت حرب » الا أن الأدباء منهم كانت سياطهم غير موجعة، فالمنفلوطى فى كتابه « العبرات »

يتناولها في قصة بعنوان « الحجاب » يقول فيها : « ذهب فلان الى أوروبا وما ننكر من أمره شيئا ، فلبث فيها بضع سنين ، ثم عاد وما بقي مما كنا نعرفه منه شيء ذهب برأس مملوءة حكمة ورأيا ، وعاد برأس كرأس التمثال المثقب ، لا يملؤها الا الهواء المتردد ، ذهب وما على وجه الأرض أحب اليه من دينه ووطنه ، وعاد وما على وجهها أصغر في عينه منهما ، دخلت عليه فرأيته واجما مكتئبا فحييته فأومأ الى برأسه فسألته ماباله ؟ فقال ما زلت منذ الليلة من هذه المرأة في عناء لا أعرف السبيل الى الخلاص منه ، ولا أدري مصير أمري فيه ، فقلت وأي امرأة تريد ؟ قال تلك التي يسميها الناس زوجتي ، وأسميها الصخرة العاتية في سبيل مطالبي وآمالي ! قلت انك كثير الآمال ياسيدي فعن أي آمالك تحدث ، قال ليس لي في الحياة الا أمل واحد ، وهو أن أغمض عيني ثم أفتحها فلا أرى برقعا على وجه امرأة في هذا البلد ، قلت ذلك مالا تملكه ، ولا يرى أحد رأيك فيه ، قال ان كثيرا من الناس يرون في الحجاب رأيي ، ويتمنون في أمره ما أتمنى ، ولا يحول بينهم وبين نزعه عن وجوههم ، وابراز النساء الى الرجال يجالسنهم ، كما يجلس بعضهن الى بعض الا الحجز والضعف والهيبة التي لا تزال تلم بنفس الشرقي كلما حاول الاقدام الى أمر جديد ، وقد عرضت الأمر على زوجتي فأكبرته وأعظمته وخيل اليها أنني جئتها باحدى النكبات الجسام ، وزعمت أنها ان برزت الى الرجال فانها لا تستطيع أن تبرز الى النساء بعد ذلك حياء منهن وخجلا ، ولا خجل هناك ولا حياء ولكنه الموت والجمود والذل الذي ضربه الله على هؤلاء النساء في هذا البلد أن يعشن في قبور مظلمة من خدورهن وخمرهن ، حتى يأتيهن الموت فينتقلن من مقبرة الى مقبرة .. فورد على من حديثه ما ملأ نفسي هما وحزنا ونظرت اليه نظرة الراحم الراني وقلت أعالم أنت أيها الصديق ما تقول ؟ قال نعم أقول الحقيقة التي أعتقدها ، وأدين نفسي بها ، قلت هل تأذن لي أن أقول لك انك عشت فترة طويلة في ديار قوم لا حجاب بين رجالهم ونسائهم ، فهل تذكر أن نفسك حدثتك يوما من الأيام وأنت فيهم بالطمع في شيء مما لا تملك يمينك من أعراض نسائهم فنلت ما تطمع فيه من حيث لا يشعر مالكه ، قال ربما وقع لي شيء من ذلك

فماذا تريد ؟ قلت أريد أن أقول لك انى أخاف على عرضك أن يلم به من الناس ما الم بأعراض الناس منك ، قال ان المرأة الشريفة تستطيع أن تعيش بين الرجال من شرفها وعفتها في حصن حصين لا تمتد اليه المطامع ، فتداخلني ما لم أملك نفسى معه ، وقلت له : تلك هى الخدعة التى يخدعكم بها الشيطان أيها الضعفاء ، فالشرف كلمة لا وجود لها الا فى قواميس اللغة ومعاجمها ، فان أردنا أن نفتش عنها فى قلوب الناس وأفئدتهم قلما نجدها ، ويمضى بعد ذلك فى شيء من الوعظ والارشاد ، والتنديد بالأخلاق التى انهارت ، والآداب التى ذهبت ، والحياء الذى غربت شمسه ، والدين الذى صار شأنه على الناس هينا ، ثم يقول : « وبعد، فما هذا الولع بقصة المرأة والتمطق بحديثها ، والقيام والقعود بأمرها وأمر حجابها وسفورها ، كأنما قد قمتم بكل واجب عليكم للأمة .. أبواب الفخر أمامكم كثيرة فاطرقوا أيها شئتم ودعوا هذا الباب موصدا فانكم ان فتحتموه فتحتم على أنفسكم ويلا عظيما ، وشقاء طويلا » ويظل المنفلوطى مسترسلا فى هذا الأسلوب حتى يرينا أن صديقه الذى طاش صوابه ، وضل وعيه ، واضطرب تفكيره ، كان تصميمه على هذا الانحدار ، لا يمكن أن تصده عنه التعاويذ ولا الرقى ، وأنه هتك الستر فى منزله بين الرجال والنساء ، وأن بيته أصبح مغشيا لا تزال النعال خافقة ببابه ، ولم يزل هكذا حتى كان عائدا الى منزله وقد مضى الشطر الأول من الليل ، فرآه خارجا منه ذاهلا حائرا وبجانبه جندى من جنود الشرطة كأنما يقتاده ، فدنا منه وسأله عن شأنه فقال لا يعلم الا أنه مدعو الى المخفر ، وأنه يرجوه أن يكون معه ، وهنالك كانت الفاجعة لأنهم أخبروه أن البوليس قد اقتاد رجلا وامرأة من بيت من بيوت الريبة كانا على حال منكرة ، وأن المرأة زعمت أن له بها ـ أو لها به ـ صلة ، وأنهى المنفلوطى مطافه فى هذه القصة بأن حمى شديدة أصابت هذا الرجل فلم يزل يعانى منها حتى مات ، ولم يفته أن يسجل بعض هذيانه وهو محموم اذ كان يخاطب طفله الذى ولد له منها بمثل قوله : « فى سبيل الله يا بنى ما خلف لك أبوك من اليتم ، وما خلفت لك أمك من العار ، فاغفر لهما ذنبهما اليك ، سواء أكنت ولدى أم ولد الجريمة » وقد كان حافظ ابراهيم

من هؤلاء الذين أقحموا أنفسهم في هذا الميدان ، وأراد أن يكون من أصحاب الآراء في ذلك الموضوع ، وهو من أولئك الذين تعودوا أن يمسكوا بالعصا من الوسط ، لا يميل الى جانب الاثبات ولا الى جانب النفي ، وكان من المعروف عنه أنه يخشى بأس الانجليز ، ويخاف غضبهم . ولهذا كان يكنى عنهم دائما أبدا بكلمة القوم .

والقوم في مصر كالاسفنج قد ظفروا
بالماء لم يتركوا ضرعا لمحتلب

وسمعت بعض النقاد يقول انه كان يسرد الآراء ، ويسجل وجهات النظر ، دون أن يكون له عليها تعليق أو انتقاد ، كقوله للورد كرومر ممثل الانجليز هنا في مصر حينما كانت لهم الكلمة « تنوعت الآراء فيك فقائل » وكان مما روج له بعض المرجفين أن المصريين لا يخضعون للمنطق ، ولا يستجيبون لداعي العقل ، وأن الشيء ربما بدا لهم صلاحه ، وظهر نفعه ، لكنهم يمنعهم من الأخذ به ، أو التزام جانبه ، أنهم لم يتعودوه ، أو لم يتناقلوه بالوراثة عن الآباء والأجداد .. وفي قصيدته التي قالها لصاحب كتاب تحرير المرأة ، كان هذا لم يقطع برأي في حين أنه يصور قومه بالجمود ، وأنهم لم يمتثلوا حتى اذا تجلى لهم الحق ، ووضح سبيل الصواب ..

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه

فلو خطرت في مصر حواء أمنا
يلوح محياها لنا ونراقبه

وفي يدها العذراء يسفر وجهها
تصافح منا من ترى وتخاطبه

وخلفهما موسى وعيسى وأحمد
وجيش من الأملاك ماجت مواكبه

وقالوا لنا رفع النقاب محلل
لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

وهو بهذا الأسلوب الساخر يعلن عن جمود هذا الشعب وتخلفه ، وأنه لا يتطلع الى الرقي ، ولا يسعى الى التقدم ، ولا يعمل على الأخذ بأسباب النهوض ، أو التخلص من قيود الرجوع الى الوراء ، وأن المنطق والعقل لاعتبار لهما في سياسته وسلوكه ، وحياته وموته ، وأن دستوره « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » التي كان القرآن الكريم ينعاها على أولئك الذين

كانوا يجعلون من أنفسهم حجر عثرة في سبيل الانتفاع بالهدى الالهى الذى كان يعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم الى العرب ويرجو أن يأخذوا به هو ديدن هؤلاء الرجعيين الذين كانوا يقاومون دعوة هذا الرجل الذى أراد للمرأة أن تتحرر من أغلال الجاهلية الأولى .. ومن الغريب أن تكون هذه النزعة هى الوجدان الصادق الذى كان يسيطر على قلب أمير الشعراء وهو يتحدث الى قاسم أمين عن دعوته وعن كتابه الذى كان يتضمن تلك الدعوة ، وان كان ساق قصيدته على شكل حوار بينه وبين طائر منسوب الى جزر الكناريا بالهند، أخذ يتحدث عن صوته وريشه وقفصه وكل أنواع الملاحة والحسن التى توفرت له ، أو اجتمعت فيه ، وكذلك العناية التى أحاطت به ، وأنه لا يدرى مع هذا كله أهو سعيد وهو ملحوظ بتلك العناية أم لا .. وكأنه لم يكن بهذا كله يعطى رأيا قاطعا :

يا ليت شعرى يا أسير
شجٍ فؤادك أم خلى

وحليف سهد أم تنا
م الليل حتى ينجلى

بالرغم منى ما تعا
لج فى الحديد المقفل

شهد الحياة مشوبة
بالرق مثل الحنظل

والقيد لو كان الجما
ن منظما لم يحمل

دنياك من عاداتها
ألا تكون لأعزل

أو للغبى وان تعل
ل بالزمان المقبل

جعلت لحر يبتلى
فى ذى الحياة ويبتلى

يرمى ويرمى فى جها
د العيش غير مغفل

وربما كان متناقضا مع نفسه الى أبعد حدود التناقض وهو يقول فى ثنايا هذه القصيدة داعيا الى الرضا بالواقع ، والنزول على حكم القضاء والقدر ، والتسليم بما يبعثان به من شأن ، أو يسوقان اليه من أحداث .

اسمع فرب مفصل
لك لم يفدك كمجمل

صبرا لما تشقى به
أو ما بدا لك فافعل

أنت ابن رأى للطبيـــــــ
ــــمة فيك غير مبـــدل

أبدا مــروع بالاســـا
ر مهـــدد بالمقتـــــل

ان طـرت عن كنفى وقعـــ
ــت على النسـور الجهــل

لكنها على كل حال طريقة الشعراء فى حديثهم عن الأشياء فانهم يحلقون فوقهـــا ، ويحـومون حولهـا ، ثم لا يزيدون على ذلك كله قليـلا ولا كـثيرا ، اما لاعتقـــادهم أن الشـعر لا يصلح فى تناوله للقضايا أن يكون ناقدا أو محللا ، أو لأن الأوزان فيه ربما هزتهم فخرجت بهم عن الجادة، وتنكبت القصد ، ومالت عن الصراط السـوى ، ونحن لا ننـكر على هـذه القصـيدة ـ من ديوانة ـ أنها كانت لونا رائعـا للحـوار القصصى الذى يزدان به الشعر ، ويجمل به البيان ، ويحسن به سياق الحديث ، بصرف النظر عن كونه شـفى غليلا وأروى ظمأ ؟

دكتور / ابراهيم على ابو الخشب

الأزهر وحماية لغة القرآن

للأستاذ محمد جمال البنا

مع انتهاء الربع الأول من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وبينما الأمة الاسلامية تلم شعثها الممزق ، وتتحسس جسدها المكلوم من جراء الضربات المتواليات التى منيت بها على أيدى المغول والتتار والصليبيين حينما أتى عليها حين من الدهر يبلغ ستين وثلثمائة سنة لم يكن للعرب ولا للمسلمين فيه ظل ممدود ولا لواء معقود ... وبينما يحاول هذا العالم المنهوك أن ينهض من عثرته ، ويستيقظ من غفلته اذ بالسلطان سليم العثمانى يسوق جيشا كثيفا مخترقا به شبه جزيرة سيناء فى الطريق الى مصر قاعدة الحكم المملوكى حينذاك بعد أن استولى على الشام وقتل السلطان قنصوه الغورى فى معركة (مرج دابق) الشهيرة ولم يلبث أن انعقد له لواء النصر وتمت له الغلبة واستولى على مصر (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م) بعد أن شنق طومان باى على باب زويلة - وتحولت الخلافة ان طوعا وان كرها من العباسية الهاشمية الى العثمانية التركية وانتقلت العاصمة من القاهرة الى القسطنطينية ولم يمض طويل وقت حتى كانت العراق الى جانب مصر والشام بل والحجاز وليبيا وتونس تحت سيطرة النفوذ التركى .. وتحدثنا كتب التاريخ والتراجم والسير أن السلطان العثمانى ألقى بكل ثقله وأعمل ثاقب فكره ، ووجه جل همه نحو مصر قلب الاسلام النابض، ومركز الخلافة قبل الغزو ومنطلق الوثبات التحررية فى العالم العربى آنذاك ، ومن ثم فقد عمل جاهدا ومسرعا على هدم الكيان الثقافى فيها بعد أن قوض النظام الاستقلالى وحطم الاقتصاد القومى بها مما يذكرنا بالحركة التدميرية للثقافة الاسلامية والتى قادها هولاكو ضد بغداد من قبل والتى غطت الأحزان بسببها سماء الأمة الاسلامية وكادت

أن تعصف بالتراث والعربية لولا تصدى الأزهر المجيد لها ، والتفافه الواعى حولها ، واستطاع أن ينجو باللغة من محنتها وينهض بها كبوتها ، وكانت الضربة العاصفة القوية بعد تجريد مصر من مدخورها ونفائسها وفنانيها وعلمائها هى فرض اللغة التركية مكان العربية فى الدواوين والمكاتبات والرسميات والادارة والتعليم والجيش وذلك بقصد انهيار اللغة المحلية لسان الشعب المغلوب ، وانتقال السيادة منها الى التركية لغة القاهر المستبد ... وكان من البدهى أن تتخلى العربية عن مكانها المرموق الذى تبوأته زمنا غير قليل فى عصر المماليك الذين أحسنوا الى العربية برغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم لأنهم كانوا على غير عداء معها بل ان بعضهم انخرط فى سلكها وامتزج بروحها وأدبها فعقد المجالس الأدبية والفكرية للعلم والمناظرة وبعضهم كان يقرض الشعر وينشىء النثر الفنى وكلهم كان يشجع العلماء والطلاب بل ان عصرهم كان الفترة الذهبية لسيادة الأزهر وانطلاق أهدافه وازدهار علومه وامتداد سطوته .. وكان لازدهاره فى ذلك العهد الدور الفعال الذى استطاع به أن يعوض اللغة ما فقدته من تراث قضى عليه البرابرة — أما خلال العصر التركى المعتم الذى رمى بثقله غير الحضارى على أكتاف العالم الاسلامى فقد كان من الطبيعى أن تتقهقر اللغة العربية وتذوى ، وينحط الأدب ويتخبط ،ويشحب وجه الفكر وتتوارى نضرته ويمكن أن نرجع ذلك الى جملة مكونات تعاونت جميعا على اهدار اللغة وانحطاط الأدب ، وانهيار الثقافة من بين هذه المكونات أن العثمانيين استولوا على مال البلاد وأوقافها وبخاصة ما كن موقوفا على المساجد التى كانت تتخذ مدارس ودور للعلم — وكذلك فقد استولوا على الأوقاف الخاصة بالعلماء والطلاب وهم عصب الحياة الثقافية فى كل زمان ومكان — الى جانب أنهم استحوذوا على عيون التراث ونوادر المخطوطات وحملوه معهم الى بلادهم فى صحبة العلماء وبرعة الصناع والفنين ومهرة العمال والمهندسين وجلة المفكرين والمثقفين حتى قيل ان عددهم بلغ ١٨٠٠ رجل وفى بعض الروايات التاريخية أن البحر ابتلع بعضهم حينما

غرقت بهم السفن (١) هـذا الى جانب تدهور النظام الاقتصادى للبلاد فقـد فرض نظام الالتزام ، ونظام السخرة ، ونظام الوسايا ويحدثنـا الجبرتى عن « نزلة الكشاف » حديثـا عجبا ليس هذا موطنه الآن ـ وانما الذى يعنينـا أن التركية حينمـا بسطت نفـوذها ونشرت راياتها تخلت لها العربية عن مواقع كثيرة فى دور التعليم والتربيـة وفى دواوين العمـل والادارة ، وفى معاقل الثقافة والفكر ، وبقيت شاحبة ذاوية على لسـان الشعب المغلوب فى الأسـواق والمنتـديات والدور ولولا فضل الله على هذه اللغة الشريفة التى اتخذها وعاء لكتابه ، وتبيانا لرسوله ، ولسانا لخير أمة أخرجت للناس لماتت موتا نهائيا ولحلت التركية محلها الى الأبد .

ولعل الباحث اللغـوى والدارس الأدبى لحصاد هذه الفترة يدرك لأول وهلة سيادة اللهجة العـامية وتقهقـر الفصحى ولعل العجب لا يأخذنا ولعل الدهشة لا تملكنا حينمـا نقرأ لبعض العلماء والأدباء بعض الرسائل الأدبية وطائفة من الكتب العلميـة التى كتبت بالعامية ولكننـا نعجب حينمـا يتسرب السجع ـ وهو سمة العصر ـ اليهـا فجمع النص الأدبى بين الخستين على حد تعبير المناطقة وكذلك فقـد ناءت العربيـة الفصحى بمـا حملتـه بين أحشائها من الدخيـل والغريب مثـل الألفـاظ ـ والتراكيب التركيـة التى انحدرت الى لغتنا اليومية فى عصرنا الحالى كمرض خبيث يلزم التخلص منه والقضاء عليه وذلك مثل الكلمات (أرشيف وعرضحال ـ ومخزنجى وبوسطجى وقهـوجى وكل ما ينتهى بالمقطع التركى (جى) ومثل الكلمات المنتهية بالمقطع (خانه) مثل أجزخانه ـ وكتبخانة وأدبخانه ـ ولقـد كان

---

(١) فى بدائع الزهور لابن أياس ذكر لأسماء العلماء ونواب القضاة الذين ابعدهم السلطان سليم من مصر الى تركيا وينظر تعليقه المتسم بالمرارة ولم يقـاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشـدة .

ولا سمع بمثلها فى التواريخ القديمة ـ أما الجبرتى فيقرر « أن مصر فقدت نيفا وخمسين صنعة ») .

بعض الكتــاب حتى أوائل العصر الحديث يضمن كتــاباته العربيــة تعبيرات تركية (١) ومعنى هذا خمود القرائح ونضوب معين العلم ، أو كما يقول الزيات (يرحمه الله) « ضرب الجهل على أبصار المصريين فعمــوا ، وفدحهم أعباء الذل فرزحوا ، وطال عليهم الأمد فغشاهم النعاس ، وخيم عليهم الظلام فلم يستيقظوا الا بمدافع نابليون على أبواب القاهرة » (٢) .

وكان طبيعيا أن يبرز الأزهر وسط هذا الظلام الدامس كمنارة هادية ترشد الى الطريق المستقيم ونبع ثرار من ورده يستقى الظامئون ـ والأزهر مذ كـان والى أن يرث الله الأرض ومن عليها يتصدى للتيارات الهـادمة التى تعرضت لهـا العقيــدة كهدف ومضمون والعـواصف المدمرة التى تعرضت لها اللغة العربيــة كشـكل ووعاء ، لأنه اتخذ من هاتين الغـايتين هدفا له ، وراية خفاقة تحت ظلالهـا ينطلق ويقاتل ، فالدين واللغة هما الجنـاحان الخفــاقان اللذان ارتفع الأزهر بفضلهما الى السموات العلى ، ذلك أن بين الدين واللغــة عــلاقة لا تنفصــل ، ورباط لا ينفصم فاللغة العربية تختلف عن غيرها من اللغـات التى تنزلت بهــا كتب « ســماوية مقدسة بأنها ظلت الوعاء الذى لا يتغير لمضمون القرآن وتعاليم الاسلام وذلك حينما اعتقـد المسـلمون ـ وكان فى ذلك الخير كل الخير ـ ان اللغة جزء من حقيقة دينهـم » فهى ترجمــان لوحى الله ولغـة لكتـابه ، ومعجـزة لرسوله ، ولسان لدعوته « فالقرآن » لا يسمى قرآنا الا فيها ، والصــلاة لا تكون صلاة الا بها ، لذلك سارعوا الى تعلمها ، والتكلم بها والتأليف فيها ، والتعصب لها ، والدفاع عنها والدعوة اليها حتى حلت محـل الفارسـية فى العراق والرومية فى الشام والقبطيـة فى مصر والبربرية فى المغــــرب وأصبحت فى عصر بنى العباس ـ وهو

---

(١) تنظر الوقائع المصرية فى سنواتها الأولى وينظر كتاب « المراح » فى فن الصرف لمؤلفه احمد بن على بن مسعود طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ فقد خلط فيه مؤلفه بين الاشتقاقات العربية والتركية فهو يأتى بالمشتق العربى ويردفه بمقابله التركى وهذا دليل على تسرب التركية الى لغة التعليم والدرس والتأليف .

(٢) تاريخ الأدب العربى . الطبعة العشرون . ص ٤٠٢ ، ٤٠٣

عصرها الذهبى ـ لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والادارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة (١) .

من هذا المنطلق الرابط بين الاسلام كدين واللغة كاشعاع لهذا الدين كانت رسالة الأزهر الأصيلة ، وأمانته المباركة التى حمل ثقلها حتى وصل بها الى الغاية المرجوة ، والهدف المنشود ففى الوقت الذى استطاع فيه الأتراك أن يسلبوا مصر كل نفيس وغال ، وأن يبسطوا زمام لغتهم على كل شىء ، وأن يضربوا كل معاقل الفكر والثقافة فى العالم العربى نراهم قد وقفوا عند أبواب الأزهر خشعا خضعا يلتمسون منه العون والهداية ، والحق أنهم لو استطاعوا أن يخلعوه من مكانه كى يحملوه معهم لفعلوا ولكنهم ارتدوا على أعقابهم فعظموه ووقروه وأجلوه وفرضوا قداسته على أنفسهم فالسلطان سليم يتخذه مسجدا رسميا للصلاة والتبرك فهو يزوره مرارا وهو كذلك يأمر بتلاوة القرآن فى أبهائه وأروقته ، ولعل مرد ذلك لو دققنا النظر ، وأمعنا الفكر الى جملة عوامل من بينها استطاعة هذا المعهد الجليل ،أن يغزوا تركيا بثقافته قبل أن يغزوا السلطان العثمانى مصر بجيشه فلقد عرفت العربية مؤلفين وعلماء أتراك ممن استطاع الأزهر بما له من اشعاع ووحى أن يضمهم الى حظيرته فيعربهم حتى أجادوا العربية وتكلموا بها ، وألفوا فيها كالفيروز بادى صاحب القاموس وأبى السعود صاحب التفسير وحاجى خليفه صاحب الموسوعة وخوجه زاده وشكرى زاده وملا مسكين ، وملا لطفى وملا خسروا ومحيى الدين الكافية جى وغيرهم كثير ممن اهتم بذكرهم محمد عبد الله عنان فى سفره الرائع عن تاريخ الجامع الأزهر .

كذلك فان من بين هذه العوامل التى جعلت الأتراك يحلون الأزهر ان الله خصه من بين الجامعات المماثلة فى العالم بأنه ملتقى المسلمين بحكم الموقع والنشأة والمنهج ـ اذ أن وجوده فى القاهرة وهى قريبة من الحجاز جعله طريق الحجاج والرحالة من علماء افريقية والأندلس ، فضلا عن أنه خرج كوكبة من أعلام الفقه وأعلام الأدب

---

(١) كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية ـ محاضرة الزيات فى قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر .

الى جانب مكانته العلميـة التى كانت موضع اجـلال الحـكام وتقديسـهم كذلك فقد كفى طلابه على مر العصور مؤونة العيش حيث كفـل لهم الغذاء والكساء ، والمأوى والكتاب ـ كذلك فقد كان الأزهر فى ذلك العهد موئلا وحصنا لأولئك العلماء الناجين بأنفسهم وأرواحهم ودينهم وعلمهم من غارات المغول حين اكتسحوا فى طريقهم الى القاهرة خراسان وبلاد فارس والعراق كذلك فقد احتوت مصر فى جنباتها العلماء المهاجرين من الأندلس بعـد نكبتها ، وبسـط لهم الأزهر ذراعيـه واستوعبهم بين جنبيه •

وهـكذا ترى أنه لم يك فى مصر ابان ذلك العهد من مراكز العلم سوى الأزهـر وروافده فلقـد كان الطالب يحفظ القرآن الكريم ويتعلم مبادىء القراءة والكتابة فى المساجد أو الكتاتيب ثم يلتحق بالأزهر لدراسة الفقه (على المذاهب الأربعة) والتفسير والحديث والأصول والنحو والبلاغة وشيئا من المنطق والفلسـفة [1] ومهمـا بلغ تمجيدنا لدور الأزهر وأثره فى تلك الحقبة فاننا لن نستطيع مجابهة القائلين بحقيقـة أنه حار الحـركة العلميـة وانحطاط الحالة الأدبية ففى مجتمع هذا شـأنه لابد وأن تقـل الرغبة فى الابداع والتأليف وتنشيط الرغبة فى عمل الشروح والحواشى واختصـار المؤلفات وليس من الغريب أن يكون أكثر علماء هذا العصر من أهل العراق والشام ـ ولن نستطرد فى تسـجيل فساد الأخيلة وشحوب اللغة وجفاف المنابع الأصيلة وعرض النماذج الهزيلة تاركين ذلك لموضعه من مصادر الأدب ومراجع التاريخ له ففيها الكثير ••• وانما سنكتفى بابراز السمة العـامة للدراسـة الأزهـرية فى ذلك العصر وكيف أنها كانت لا تتعدى المناقشات اللفظية العقيمة التى لا تصـل الى لب المعانى الا مجهودة مكدودة ويكفى أن لغة التخاطب فضـلا عن لغـة الدرس والتأليف لم تصـل فى أى عصر من العصـور الى مثـل ما وصلت اليه فى هـذا العصر ولكنا نستطيع الزعم أنه بالرغم من الانطـواء الذى أصـاب المدنية الاسلامية وأصاب الأزهر فقد استطاع الأزهر أن يستبقى شيئا من أهميته وظل يسدى الى اللغة العربية

---

(١) يلاحظ أن الولاة العثمانيين كانوا قد أشاعوا فرية تحريم دراسـة العلوم العقلية وذلك كي تعيش مصر فى تخلف فكرى وثقافى وشايعهم على ذلك قلة من علماء الأزهر ـ ينظر على مبارك فى الخطط التوفيقية.

وعلوم الدين أجل الخدمات ـ ويصور محمد عبد الله عنان فضل الأزهر فى هذه الحقبة بقوله : « اذا كانت مصر قد لبثت خلال العصر التركى ملاذا لطلاب العلوم الاسلامية واللغة العربية فأكبر الفضل فى ذلك عائد الى الأزهر وقد استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها أن تحمى هذا التراث نحو ثلاثة قرون حين أصابها العصر التركى بمحنه وظلماته ، وربما كانت هذه المهمة السابقة التى ألقى القدر زمامها الى الجامع الأزهر فى تلك الأوقات العصيبة من حياة الأمة المصرية والعالم الاسلامى بأسره هى أعظم ما أدى الأزهر من رسالة وأعظم ماوفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل » (١) واذا كان الأزهر قد انطوى على نفسه فى العصر العثمانى وزوت آثاره العلمية فقد استطاع مما كان يتمتع به من نفوذ فى نفوس العامة والخاصة أن يحمل ولاة العثمانيين على احترامه والرجوع اليه فى مهام الأمور (٢) مثلما حاول بعض الولاة استغلال نفوذ هؤلاء فى تهدئة ثائرة الشعب كلما حدث اضطراب أو قامت ثورة داخلية .

ومن ثم فلولا هذا المنار الهادى وسط تلك المغارة المظلمة المهلكة لاندثر التراث ولماتت العربية ولصارت مصر قطعة من الكيان العثمانى مثلما كان يدبر لها ويراد ، وجدير بالراصد أو المؤرخ للحركات العلمية والتربوية فى الوطن العربى أن ينزل هذا المعهد الجليل منزلته وأن ينيله حقه من الاجلال والتقدير ويكفى أنه استطاع بامكانياته الهزيلة وروافده الضعيفة أن ينجو بلغة القرآن وتراث الاسلام من بين براثن الجهل المطبق وأنياب الفقر المدقع ، وأظفار الداء العضال .
وذلك مما يجعلنا نؤكد القول بأن ارهاصات النهضة الفكرية والوثبة العلمية واليقظة الأدبية فى العصر الحديث انما ولدت جميعا على أعتاب الأزهر ونمت وتبرعمت فى صحنه وتحت رحابه فقد استطاع فى مرارة بالغة وعصامية فريدة ـ كما أوضحنا منذ قليل ـ أن يحفظ من التراث بقية ومن اللغة اثارة كانت أساسا دون شك أو جدل للنهضة باعتراف ثقاة المؤرخين والدارسين فها هو ذا المستشرق دودج Dodge يقول فى مؤلفه عن الأزهر « وكان هذا المعهد

---

(١) ص ١٤٦ ، ١٤٧ من تاريخ الجامع الأزهر .
(٢) محمد عبد المنعم خفاجى الأزهر فى الف عام ص ٧٧

الاسلامي في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر يقوم بنفس المهمة التي كان يقوم بها في عهد الحروب الصليبية وفي عصر غزوات المغول »(١) ولولا هذا العمل البطولي الخالد للأزهر وروافده من الكتاتيب والمساجد التي امتدت الى عصب القرية المصرية لما وجدت النهضة الفكرية مرتكزا ثابتا - ومنطلقا راسخا تمتد من خلاله الى آفاق العصر الحديث - فلقد انتهى العصر التركي وليس في مصر كلها مثقف واحد من غير أبناء الأزهر - وهم الذين اعتمد عليهم محمد علي في صدر نهضته وبعوثه العلمية الى أوربا أمثال الطهطاوي ورفاقه الذين حملوا على عاتقهم بناء مصر الحديثة .

والغريب ان هذه الحقيقة التاريخية تعرضت طوال الفترة الماضية للانكار من قبل المؤلفين المدرسيين (٢) وقد كان الانصاف يقتضيهم ويحثهم على أن يبرزوها الى جانب ابرازهم وتركيزهم وتجسيدهم لدور الحملة الفرنسية فالأزهر كما يعلم - من المؤسسات الفكرية والثقافية التي أدت دورها المشع خلال انبثاقة هذه النهضة والأزهر كذلك « من الكلم الجوامع النوابغ في لفظها استيعاب ووعي، ولمعناها اشعاع ووحي فهي « زمان ومكان ودين ودنيا وتاريخ » ولقد ظل معقلا آمنا وحصنا قويا لحفظ اللغة والثقافة العربية زهاء ألف سنة بينما دمر الجهل والكفر حصونها في بغداد والأندلس، هذه حقيقة بينة ،والأزهر ظل مركزا اشعاعيا تنبعث منه أنوار العقيدة هادئة صافية رائعة وهذه حقيقة راسخة - والأزهر ظل كعبة أخرى تحف حوله ملايين القلوب المؤمنة فهو في جميع الأقطار والأمصار القبلة الثانية التي اليها يتوجه الأمل في امتداد السيل الاسلامي المبشر الى فجاج الأرض وعوائر الطرق ومن عندها تبدأ المسيرة الى الحق والى الطريق القويم وهذه كذلك حقيقة ثالثة .. ويفي الأزهر كذلك كما يقول الزيات في محاضرته : « الملاذ للشعب المظلوم كلما عشقه الطغيان ويفي عليه الحكم

---

(١) Dodge Al-Azhar نقلا من الأزهر تاريخه وتطوره اعداد وزارة الأوقاف وشئون الأزهر .

(٢) جورجي زيدان مثلا يمر بدور الأزهر في هذه الفترة مرور الغافل او المتغافل انظر الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية .

فتأوى منه الى ركن شديد وحام قادر ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ولا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة (١) .

واذا كان هذا هو دور الأزهر فى الحفاظ على اللغة من التشتت والضياع ، وحماية الثقافة العربية بوجهها الاسلامى من التدهور والاندثار فالأمل معقود عليه اليوم أن يتصدى للتحريفات والتشويهات التى يحملها العصر ويطرحها الواقع ، وثمة الآن بعض الأسئلة التى تفرض نفسها فى صورة تحديات عصرية يمكن أن نسوقها على النحو التالى :

- هل يستطيع الأزهر كمنار مرشد وكمعقل حصين للغة القرآن أن ينتشل اللغة العربية من وهدتها التى انحدرت اليها هذه الأيام فيحصنها ضد مرض الاسفاف والعامية التى يروج لها فى الصحف وأجهزة الاعلام دعاة عتاة يعملون فى دأب مستمر ، وعزيمة لاتخمد لحساب من ؟ لسنا ندرى !!

- هل يستطيع الأزهر بحكم طبيعته ، وعلة وجوده أن يعيد للشعر العربى عصره الزاهر ، وشراعه المحطم وقدسيته المنتهكة ؟

- هل يستطيع الأزهر كعاصم للتراث وحافظ للأصالة أن يبشر بأدب جديد فيه من القديم معناه وسحره ونفثته ومن الجديد جماله وبريقه ورونقه ؟ .

- هل يستطيع الأزهر بما له من ماض عريق ومجد تليد فى حقول اللغة والأدب والفن أن يعيد الى اللغة ذلك السحر والرواء وأن يفتح أمامها الأبواب المسدودة والنوافذ المغلقة فيعرب المصطلحات متعاونا مع مجمع اللغة العربية الذى نهض على أكتافه وترعرع فى حمايته ... فمن العار على اللغة التى وسعت كتاب الله وعايشت الحضارة الزاهرة فى الأندلس وبغداد والشام ومصر أن تتوارى اليوم فى كليات الطب فلا تدرس العلوم الطبية بها بحجة أنها غير قادرة على الوفاء بذلك ـ ومن غير المعقول وغير المقبول أن يظل الأزهر حتى اليوم دون أن ينشىء

(١) كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية .

مركز لاحياء التراث - الذى يتعرض الآن لحركة تشــويه عجيبــة بحجة بعثه واحيــائه - وكان أولى به أن يفعل فمكتبته الأزهــرية من أغنى المكتبات بالمخطوطات فى العــالم ، ورجاله وعلمـــاؤه مهيئون بحكم ثقافتهم وعملهم لمثل هذا العمل .

- هل يســتطيع الأزهــر أن يفرض منهجا اسلاميا رشيدا ومفهوما عربيا قويمــا لمجابهـــة المتناقضـــات واللامعقولات التى تفرض نفســها الآن عـــلى كل ألـــوان الأدب وفنونه ؟

- هل يستطيع الأزهــر أن يقــود حركة الموازنة بين اللغة فى قديمها المذخور وجـديدها المنتظر بحيث لا تحدث الخلخلة الفــكرية التى تتمثــل فى الانفصــام بين المــاضى والحاضر وبين الحاضر والمستقبل ؟

وأخيرا هل يستطيع الأزهر ياترى أن يحمل أعباء التبعة اللغوية ويؤدى الأمانة الأدبية ،ويبلغ الرسالة الفكرية التى خلق لها وعاش من أجلها ؟

- هل يستطيع الأزهر أن ينطلق الى الغد فى ثورية المؤمن بهدفه الواثق فى شرف وســيلته وســمو غايته ؟ سؤال يجب أن يطرحه الأزهر على بنيه البررة الأشــاوس وهو يخطو نحو عامه الألف فى شــباب وفتوة وفى ازدهار وانطلاق ، وفى صحة يحسد عليها من قبــل الجامعـــات والمؤسسات العلمية والفــكرية فى العالم كله ؟

محمد جاد البنا

رد على مقال ...

للدكتور مصطفى عمران

طالعتنا مجلة روز اليوسف فى عددها الصادر يوم الاثنين ١٧ من فبراير ١٩٧٥ بما كتبه السيد الأستاذ خالد محيى الدين عن الماركسية ـ الدين ـ الاشتراكية ٠ وكان ذلك ردا على سؤال وجه لسيادته على هذه الصورة :

بينما العدو يحتل أرضنا ، ومتاعب التسليح والتعمير تحتاج الى كل طاقتنا ، وتحدى اللحاق بالعصر يواجهنا ، عادت ترتفع مرة أخرى ومن أكثر من مكان صيحة : الذئب ٠٠ الذئب ٠٠ عاد التخويف من غول اسمه الالحاد ، أطلقته على الدنيا أمه الغولة ٠٠ التى هى فى رأى البعض « الماركسية » وفى رأى البعض الآخر « الاشتراكية » فما هى الحكاية بالضبط ٠٠ ؟

وقد استهل سيادته حديثه فى الاجابة عن هذا السؤال بجملة من الأسئلة تدور حول :

(أ) ما موقف الدين من الاستفادة بالأفكار الشيوعية التى نادى بها ماركس فى مجال التاريخ والاجتماع والاقتصاد ٠

(ب) ولمصلحة من يوضع الانسان أى انسان أمام هذا الاختيار الشاذ اما أن تؤمن بالله ورسله واما أن تؤمن بالعلم ٠

(ج) موقف الماركسية من الدين ٠

وقد انتهى سيادته الى القول بأن : الدين يأمرنا باتباع ماركس فيما توصل اليه من علم فى مجالات التاريخ والاجتماع والاقتصاد وأن واقع الماركسية لم يلزم أحدا ممن انخرطوا فى صفوف الأحزاب الشيوعية بالتخلى عن الدين ٠

وقد بدا عند دراسة هذه الآراء الحقائق الآتية :

أولا : ان المقصود عند مناقشة موقف الدين من الماركسية والفكر الاشتراكى انما هو الاسلام ليس غير فن المسيحية فى جوهرها لا تملك من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية ما تقوى به على مواجهة الفكر الاشتراكى الحديث ،وانما هى جملة من الوصايا الهادفة الى تصفية النفس وتطهير الوجدان وتهذيب الأخلاق ، وكانت بذلك خير ما يمكن أن يواجه به ما أصاب بنى اسرائيل من تحجر فى الطبع وقساوة فى القلب ،وفسوق عن الهدى وتكالب مسعور على المادة كما كانت متسقة مع الفترة المحدودة المقدرة لها عند الله تعالى حتى يظهر الدين العالمى الأخير ، الأمر الذى اضطر معه الباقون على اتباع المسيحية الراهنة الى حصر الدين فى القلوب والضمائر ثم البحث فى الغرب تارة والشرق أخرى عن فلسفات وقوانين أرضية تحكم مجتمعاتهم وتتكيف بها حياتهم ،

ثانيا : ان الاسلام بما يمثله من عقيدة واضحة ومتسقة مع فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وبما يتضمنه من تشريع متزن ، ومبادىء قادرة على تملك ناصية المتغيرات فى مجال الاجتماع وميادين الاقتصاد فى اطار من الخلق والسماحة والتعاون والحب هو وحده المنافس القوى الخطير لتلك الأفكار الوافدة من الغرب والشرق على السواء والأسد الذى يخشى يقظته الذئب ، ويفرق منه الغول ،

ثالثا : انه فى ضوء ما تقدم من عناية الاسلام بوضع القوانين والتشريعات الى جانب ما أمد به البشرية من تلك النصائح والتوجيهات الكفيلة بسعادة الانسانية وتعاونها على الخير والبر والبعد بها عن الاستغلال وصراع الطبقات لا مفر من توجيه هذا السؤال :

ماذا نحن صانعون اذا ما تلفتنا من حولنا فرأينا واقعا اجتماعيا منكرا وأوضاعا اقتصادية لا تتحقق معها العدالة ؟ ومدار الاجابة على هذا السؤال رهن بمدى ثقتنا فيما أنزله تعالى من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبما جاء فيه من قوله سبحانه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ،

فهل يجوز لنا نحن المؤمنين بهذا كله أن نتجه بأبصارنا الى الغرب أو الشرق نستورد قوانين الحكم ونستجلب نظم الاجتماع والاقتصاد ونكل حل مشكلاتنا الى الرأسمالية تارة والشيوعية أخرى دون أن نعنى باستلهام الاسلام : عقيدة وشريعة ودون أن نكلف أنفسنا النظر فيما تفضل به تعالى علينا من أسس ومبادىء وتوجيهات ثبتت صلاحيتها فى دنيا الواقع ، وكان لها أكبر الأثر فيما حققه أسلافنا الأماجد من دعم للحق ورقى للحياة وعدل وسلام بين الناس .

رابعا : انه لمن مصلحة الانسان .. أى انسان أن يوضع أمام هذا الاختيار المنطقى المتسق مع طبائع الأشياء وهو : اما الايمان بالله وكتبه ورسله .. أى الايمان بما وضعه رب العالمين من مبادىء ونظم وتوجيهات تكفل للناس جميعا سعادتهم واستقرارهم فى مجال الاجتماع والاقتصاد واما الايمان بما وضعه ماركس وانجلز ولينين من تلك الأنظمة اللاصقة بالأرض والمحصورة فى المادة .

خامسا : من الحجة الداحضة أن يستمسك البعض بالقوانين الوضعية أيا كان مصدرها لما قد يراه من وجود الاتفاق والالتقاء بينها وبين مبادىء الاسلام وخطوطه العامة فان تلك القوانين كما يقول الدكتور العالم محمد أحمد الغمراوى مردودة فى الاسلام ما خالفت أحكام الله ، وليس للمسلمين اليها من حاجة ان وافقت ، وما حاجة المسلمين .. بل ما حاجة الناس الى حكم ان خالف حكم الله فهو خطأ وقى الله الناس شره بالشرع ، وان وافق حكم الله اتفاقا كان التماسه من غير الشرع اثما للمسلم وذلة . كان اثما لأنه انصراف عن شرع الله وسوء ظن به ، وافتراض نقص فيه يلتمس سده فى غيره ، وكان ذلة لأن المسلم حين يحتكم الى غير دين الله ، ويرضى بحكم من يعلم أنه لا يؤمن بما أنزل الله فقد خلع عن نفسه رداء العزة الذى أضفاه الله عليه حين أنزل له شرعا جمع له فيه وبه الخير والصواب وحرره من الخضوع فى قول أو عمل أو نية لغير الله .

سادسا : انه فى ضوء ما تقدم تتضح الاجابة على السؤال الأخير من جملة الأسئلة التى طرحها السيد خالد محيى الدين . وهو : اذا كنت أعتبر الماركسية علما فهل تلزمنى الماركسية

بترك الدين ؟ فنقول : أي وربى ، اما أن يكون المرء ماركسيا أو مسلما فليس مما يتسق مع المنطق أن يلتزم بعض الناس فى أنظمتهم السياسية والاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية المنهج الماركسى ثم يبقى ايمانهم بالله وكتبه ورسله كما يدعون « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ». وفى حديث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ».

ولن يصح فى الأذهان شيء اذا حصرنا الايمان بكتاب الله تعالى فى الصدور والأفئدة ورضينا لأحكام الله وتشريعاته أن تبقى فى عزلة لا تحكم الحياة ولا تصرف شئونها ولا تعالج بها مشاكلنا .

ان الماركسية اللينينية تقوم على انكار الله والايمان بالمادية البحتة كأصل للوجود والتطور كما تقوم على احتقار الأخلاق الدينية والمثل العليا وكل القيم الانسانية الرفيعة وتقوم على دكتاتورية الحزب أو البروليتاريا وكبت الحريات فى القول والعمل . وما يتبع ذلك من عبودية الانسان وما تدفع اليه من كذب ونفاق ومداهنة .

وان الاسلام ـ بخاصة ـ والأديان بعامة لتدعو الى الايمان بالله والتعاون على الخير والبر والتضحية من أجل المثل العليا والمبادىء الرفيعة وما يمكن أن يؤدى اليه من عدل وسلام وأمن واطمئنان فى كون الله كله .

هذا : والاسلام والماركسية طرفان متناقضان فى جملتهما وتفصيلهما .

فاذا جاز لقائل أن يقول انهما يلتقيان فانه حينئذ لا يرى فى واقع الحياة أو فى ضمير الفكر تناقضا بين أمرين على الاطلاق .

ولن يرى المؤمن الصادق فى تقبل لينين للقسس والمتدينين فى الحزب الشيوعى وهو القائل : اننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله الا استغلالا .. الا أسلوبا ماكرا ومسلكا خبيثا اتبعه لينين من قبل . ويتبعه أضرابه من بعد تغريرا بالشعوب وتمويها على العامة ريثما يتم الاستحواذ عليهم واحتواؤهم داخل منظماتهم ثم لا يزالون بهم طعنا

فيالدين وسخرية به وتهوينا منشأنه وتشويها لمعله حتى يسلخوا المرء من دينه كما تنسلخ الشاة من جلدها •

انالاسلام فيحقيقته ليس له سوى معنى واحد هو اسلام المرء باطنه وظاهره لخالقه سبحانه وتعالى أما اسلام الباطن فذلك أن يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر •

وأما اسلامالظاهر فذلك أن يحتكم لله وحده فيما ضمنه كتابه الكريم من مبادىء وتشريعات كفيلة بارساء دعائم العدل والخير والصلاح فى مجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة •

ولن يجوز فى عقل يعرف هذا الرصيد الضخم وتلك الثروة الهائلة التى أسبغها الله علينا أن يمد عينيه مستجديا مبادىء الرأسمالية تارة والشيوعية أخرى ومن الخطأ أن يفسر هذا المنهج بالانعزالية وانما هو فى جوهره حرص على ما وهبنا الله من هداية وخير أن نذهل عنه ويخطف أبصارنا بريق من أساليب الحياة ومناهج العيش لميثبت فى واقع الحياة ملاءمتها للفطرة •

واتساقها مع ما فى الانسان من أشواق روحية ووجدانات رفيعة وطموح للمثل العليا وصدق الله العظيم حيث يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » •

وبعد : فالعودة الى الاسلام لا تمنحنا مجرد تحقيق العدالة الاجتماعية فى حياتنا ، ورد الاطمئنان والثقة الى النفوس المضطربة الحائرة الباحثة عن الخلاص فى شتى المبادىء وشتى الاتجاهات •• انما هى تمنحنا مع العدالة الاجتماعية فيالداخل ذاتية شخصية فى الخارج •• وطابعا مميزا فى المجتمع الدولى تحسب الكتلتان المتنازعتان حسابه وتقيمان له وزنا فى سياستهما الدولية ؟

دكتور مصطفى عمران

صفحات من تاريخ القاهرة

المنيرة – والإنشاء

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

(٥)

ذكرنا فى مقال سابق أنه لما تحول النيل غربا فى القرنين ٦ و ٧ هـ (= ١٢ و ١٣ م) عن مجراه السابق عند الفتح العربى سنة ٢٠ هـ ظهرت أراضى اللوق ، وأن ما كان منها غربى موقع شارع القصر العينى الحالى عرف أخيرا بجاردن سيتى والقصر العينى ، وما كان شرقى موقع الشارع المذكور عرف أخيرا بالانشاء والمنيرة وفم الخليج .

وكانت الأسماء القديمة للانشاء والمنيرة وفم الخليج : منشاة المهرانى ، وبستان الحلى ، وبستان الخشاب ، ومنشاة الفاضل ، هذا فى الأجزاء الجنوبية وعم اسم اللوق على شمال هذه المواقع .

وذكر المقريزى جامع المهرانى فقال ان الظاهر بيبرس أنشأه سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) فى موقع كان يعرف بالكوم الأحمر كان مخصصا لعمل أقمنة الطوب الآجرية (أى الطوب الأحمر وسمى بالكوم الأحمر لما يتخلف منه من الحمرة) بناء على طلب الصاحب بهاء الدين بن حنا ، الذى كان قد عمر منظرة تجاه هذا الكوم وتضرر من رائحة حريق الطوب . ثم قال المقريزى : وقد تعطلت اقامة الجمعة بهذا الجامع لخراب ما حوله وقلة السكان هناك بعد أن كانت هذه المنطقة فى غاية العمارة .

وذكر على مبارك هذا الجامع . واكتفى بنقل ما ذكره المقريزى . مما يدل على أن الجامع كان قد اندثر فعلا .

ولكن يفهم من وصف المقريزى أن هذا الجامع كان بالجزء الجنوبى من حى المنيرة والمهرانى المنسوبة اليه منشأة

المهرانى هو بلباى المهرانى أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس • وقال القلقشندى فى صبح الأعشى أنه أول من عمر هناك • والمنشأة تعبير يطلق على حى جديد ينشأ بجانب مدينة بتخطيط جديد • ويسميها الناس المنشية • ونجد اسم المنشية فى كثير من القرى والمدن المصرية •

وبستان الحلى نسبة الى القاضى بهاء الدين الحلى ناظر الجيش فى عهد الناصر محمد بن قلاوون •

الصاحب بهاء الدين بن حنا (بكسر الحاء) :

والصاحب بهاء الدين بن حنا الذى أنشىء جامع الكوم الأحمر بمنشأة المهرانى بناء على طلبه هو بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا من أعيان مصر تولى الوزارة لشجرة الدر ثم للظاهر بيبرس ثم لابنه بركة خان وتوفى سنة ٦٧٧ هـ • ومن آثاره المدرسة البهائية كانت بزقاق القناديل بالقرب من جامع عمرو بالفسطاط • وكان زقاق القناديل سكن الأشراف• أعنى الأشراف العلويين • ويعلق على كل باب قنديل • وقيل كان مائة قنديل توقد ليليا على أبواب الأكابر منهم •

وابنه فخر الدين توفى فى حياة والده سنة ٦٦٨ هـ ، ومن آثاره الرباط على بركة الجيش شرقى الفسطاط •

كما أن حفيده تاج الدين بن فخر الدين تولى الوزارة سنة ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ • وتوفى سنة ٧٠٧ ، وله مسجد دير الطين •وشرع فى عمارة رباط الآثار بجهة أثر النبى جنوبى الفسطاط •

وآخر من ذكر من آل حنا الرئيس شمس الدين محمد بن حفيد تاج الدين المذكور أخيرا تولى التدريس بالمدرسة البهائية وتوفى سنة ٨١٣ ، وهدمت المدرسة البهائية سنة ٨١٧ هـ

ومن هذه التراجم ومن اسم بهاء الدين على بن محمد بن سليم رأس الأسرة لا نجد ما يدل على النصرانية ولكن بلدية القاهرة شاءت أن تسميه ابن حنا بفتح الحاء •فى شارع قريب من جامع الظاهر بيبرس فى حى الظاهر • وشكلت الحاء بفتحة فوقها ، ولم تكتف بذلك بل كتبت تحتها بالأفرنجية hanna للتأكيد وخشية الوقوع فى الصواب (كانت لافتات

الشـــوارع تكتب باللغتين العربيـــة والأفرنجية) • ونبه المرحوم أحمـــد باشا زكي المعروف بشيخ العروبة سنة ١٩٢٩ لهذا الخطـأ • واستشهد بأبى حجر العســـقلانى والســـخاوى والمقريزى وعلى مبارك واجماعهم على أن حنـا بكسر الحـاء أى على مثـال الشجرة الطبية المعروفة باسم تمر حنا وعرفها العرب باسم القاغية (من فاغت الرائحة أى فاحت ، والفائغة الرائحة المحتشمة) •

والحنـاء نقـــل المصريون القدماء زراعتهـا من فارس ، واستعملوها فى التحنيط والتجميل والعطور ، ونقلها عنهم اليـونان والرومان ، وتستـعمل أوراق الحنا بعد تجفيفها فى صبغات الشـــعر ودبغ الجـــلود وتلـوين المنســوجات وبعض الأدوية الملطفـة للالتهـــابات الجلدية • وزيت زهر الحنا يدخل فى صناعة العطور • وله رائحة هادئة لطيفـة • وأعواد الحنـا تصنع منها السلال •

القاضى الفاضل عبد الرحيم البيانى :

ونجد بهذه الجهة ثلاثة شوارع ، منها اثنان متفرعان من شـــارع القصر العينىأمام دار الحكمة تقريبا أحدهما اسمه شارع الفاضل • والثانى اسمه شـارع عبـد الرحيم البيـانى • أما الشـارع الثالث واسمه شـارع منشاة الفاضل فهو بالقرب منميدان التحرير والجامعة الأميريكية يصل بين شارعى قدادار ويوسف الجندى •

هذه الأسماء الثـلاثة لمسمى واحد هو القـــاضى الفاضـــل عبد الرحيـــم البيانى العسقلانى المصرى • (محيى الدين أبو على عبد الرحيم بن محمد) تولى أبوه القضـــاء فى بيـــان فنسب اليهـا ، وولد المترجم له سنة ٥٢٩ هـ فى عســقلان فنسب اليهـا • (بيان وعســقلان من فلســطين المحتـلة • وعسقلان أول ميناء علىالبحر الأبيض شـمال غزة) • ودخل مصر وعاش بها • وخدم الدولة فى أيام الحـافظ لدين الله الفاطمىفى ديوان الانشاء ، حتىعينه الوزير شاور رئيساللديوان، ولمـا قدم أسد الدين شـيركوه ـ عم صـــلاح الدين الأيوبى ـ أعجب به فقربه • ولما تولى صلاح الدين وزارة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وثق به واستعان به على ازالة الدولة الفاطمية حتى تم له ما أراد •وكان عبد الرحيم شافعى المذهب • وعظم شأنه حتى أن صـلاح الدين كان لا يصـدر أمرا الا عن رأيه • واستمر على عظمته أيام

صلاح الدين ثم ابنه العزيز ثم المنصور بن العزيز .

ولما خلع العادل بن أيوب المنصور حفيد أخيه صلاح الدين عزل عبد الرحيم .ونكبه . وتوفى عبد الرحيم سنة ٥٩٦ هـ . ودفن بالقرافة الصغرى .

وكانت له مدرسة بجوار درب ملوخيا شمال جامع الامام الحسين حيث كان سكنه . وهذا الدرب كان يعرف باسم درب قائد القواد نسبه لسكن القائد حسين بن جوهر القائد الصقلى منشىء القاهرة ، وبعد أن قتل الحاكم بأمر الله الحسين بن جوهر سنة ٤٠١ هـ عرف الدرب باسم درب ملوخيا نسبة الى ملوخيا صاحب ركاب الحاكم بأمر الله . وقد قتله الحاكم أيضا ويعرف هذا الدرب الآن بدرب القزازين .

مصحف عثمان بن عفان :

وكان بهذه المدرسة مصحف كبير جدا بالخط الكوفى ، ويسميه الناس مصحف عثمان بن عفان ، قيل ان القاضى الفاضل اشتراه بأكثر من ثلاثين ألف دينار .

ولا نعلم مصير هذا المصحف ، ولكن ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور في وصف معركة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ التى هزم فيها السلطان الغورى وكانت بداية استيلاء السلطان سليم العثمانى على مصر قال : (فركب السلطان وعلى كتفه طير . وهو بتخفيفه صغيرة وملوطة .وصار يرتب العسكر بنفسه . وكان أمير المؤمنين (يعنى الخليفة من الخلفاء العباسيين بالقاهرة) على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطة وعلى كتفه طير مثل السلطان. وعلى رأسه الصنجق الخليفتى (نسبة الى الخليفة !! والصنجق الراية أو العلم) . وكان حول السلطان أربعون مصحفا فى أكياس حرير أصفر .وعلى رؤوس جماعته أشراف. وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه .. ثم قال : فلما تحقق السلطان من الهزيمة غلبه خلط فالج أبطل شقه وأرخى حنكه .. ثم قال : وانقلب عن الفرس الى الأرض فأقام نحو درجة وخرجت روحه من شدة القهر .. ثم قال وأما السلطان حين مات لم يعلم له خبر . ولا وقف له على أثر . ولا ظهرت جثته بين القتلى فكأن الأرض ابتلعته فى الحال. وفى ذلك عبرة لمن اعتبر . فداس

العثمانية وطاق (معسكر) الغورى بما فيه من الأمتعة والأرزاق التى كانت حوله بأرجل الخيول. وفقد المصحف العثمانى . وداسوا أعلام الفقراء (يعنى الصوفية) وصناجق الأمراء ... الخ) .

ومن آثار القاضى الفاضل بستان وجامع كان أنشأهمابموقع حى المنيرة وأكل النيل أرضهما .

كما أنشأ قيسارية (وكان هذا الاسم يطلق على نوع من المنشآت عبارة عن محلات تجارية تعلوها مساكن وتخترقها شوارع مثل ممر الكونتننتال والممر التجارى حاليا) بالحى المعروف بالسكرية على يمين الداخل من باب زويلة .

وقد ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان . وأثنى عليه .وذكر أنه كان شيخا ضئيلا له حدبة بظهره يخفيها بطيلسانه .وكله رأس وقلب . يكتب ويملى على اثنين فى نفس الوقت . وأنه كان تقيا دينا عفيفا ذا معروف فى السر والعلانية .

منظرة السكرة . ووفاء النيل :

ومن الأسماء القديمة أيضا بجهة المنيرة اسم منظرة السكرة لشارع يتفرع من شارع القصر العينى أمام دار الحكمة بعد شارع عبد الرحيم البيانى المذكور .

وهو اسم فى غير موضعه .

فمنظرة السكرة كانت بالقرب من القنطرة التى أنشأها عبد العزيز بن مروان (تولى الولاية على مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان من ٦٥ ـ ٨٥ هـ) على الخليج بالقرب من مأخذه من النيل الذى كان يجرى وقتذاك غربى موقع مسجد السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر تقريبا .

وأنشأ الفاطميون بالقرب من هذه القنطرة منظرة باسم منظرة السكرة كانوا ينتقلون اليها فى حفلة جبر الخليج بعد وفاء النيل .

والاحتفال بوفاء النيل من أقدم الأعياد المصرية منذ الفراعنة . فقد رفعوا النيل الى مقام المعبودات مثل رع وأوزوريس وآمون . ومن أوصافه عندهم رب الرزق الوفير . والد الأرباب . خالق الكائنات . رب الرزق الوفير . المحيى . وكان اسمه حعبى أى الفيض .

وقيل فى تفسير الآية الكريمة (موعدكم يوم الزينة) فى المباراة بين

معجزات موسى عليه السلام السماوية وبين سحرة فرعون • أنه يوم وفاء النيل •

ومنظرة السكرة أنشأها العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى • وقال عنها المقريزى انها من جنان الدنيا المزخرفة • ووصف تهيئة المقصورة بالخليفة وما فيها من تماثيل من الذهب أو العاج أو الأبنوس المطعم بالياقوت والفيروز والزبرجد والفضة على شكل الحيوانات المختلفة ؛ كالسباع والأفيال عليها ركبان من الرجال بالخوذات فوق رؤوسهم • والذرديات فوق صدورهم • والسيوف مجردة فى أيديهم • وغير ذلك من أنواع الترف •

وكان ابن الرداد قاضى المقياس (لما أنشأ المتوكل على الله العباسى مقياس الروضة سنة ٢٤٢ هـ أمر بعزل النصارى عنه ، فعين الموالى وقتذاك على المقياس عبد الله بن عبد السلام بن الرداد • وظل هو ومن بعده من ذريته وآله على المقياس حتى العصر الحديث • ويعرف بيتهم ببيت المقياس) عند بدء موعد الفيضان يسجل علامات الفيضان يوميا • ويطلع الخليفة عليها سرا أولا بأول • وعندما يقارب النيل الوفاء • أى قبل الذراع السادس عشر بأصابع • يأمر الخليفة بالمبيت بالمقياس بالروضة • وترسل الأطعمة الوفيرة الى هناك • ويذهب قواد الحضرة ــ أى الخاصون بقصور الخليفة ــ ومشايخ الجوامع الكبرى وغيرهم • ويوقدون الشموع الكثيرة فى المقياس والجامع بجواره طول الليل • ويتلون القرآن برفق • ويطربون مكان التطريب • ويختمون الختمة الشريفة •

فاذا أصبح الصباح وحضرت البشرى بالوفاء • يخرج الخليفة من القصر الشرقى الكبير من القاهرة الفاطمية فى موكب فاخر الى باب زويلة بالشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله حاليا) حتى الصليبة • فينحرف بالجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيل وقارون (كانت بركة الفيل شمال الجسر الأعظم الذى مكانه الآن شارع عبد المجيد اللبان أو مراسينا سابقا متفرع من ميدان السيدة زينب • وكانت بركة قارون جنوبى الجسر المذكور) متجها الى منازل العز بالفسطاط • فيركب فى سفينة خاصة يوضع له فيها بيت خاص مثمن الجوانب من عاج وأبنوس عرض كل

جانب ثلاث أذرع • وعنـــدما تضـم الجوانب الثمانيـة يكون دوره أربعـا وعشرين ذراعا •وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة • ملبسة بصفائح الذهب والفضة • ويجلس الخليفـة فى هذا البيت وحده •

وينتقـــل الخليفـة وحاشـيته الى المقياس بجزيرة الروضة • فيصلى هو والوزير ركعات • ثم يحضر اليه اناء فيه المسك والزعفران • فيديفهما بماء الورد بآلة فى الاناء • ثم يتنـــاوله ابن الرداد فينزل حـوض المقيـــاس متعلقا بالعمود محتضنا له بيده اليسرى ورجليـه • ويخلق العمـــود بيـده الأخرى بعجين المسك والزعفران •

وبعد هذا اما أن يعود الخليفة الى القـاهرة بالطريق الذى حضر منه أو يستقل العشارى (نوع من البواخر) الى المقس(مكانهاالآن بين قنطرةالدكة وميدان رمسيس تقريبا وكان النيـل يجرى فى اتجاه شارع عمـاد الدين تقريبا) • ومنها الى القاهرة من باب القنطرة (كان بالقرب من ميدان باب الشعرية الحالى) •

وفى اليوم التالى يتوجه ابن الرداد مبشرا بوفاء النيل • فيجد فى انتظاره خلعة مذهبة يؤمر بلبسها • وتصرف له البشارة من نقود وخلع له ولأهله حمولة عدة بغال ويعود الى المقيـاس مخترقا القـــاهرة الفاطميـة • ومارا بالفســطاط • تتقدمه البغـال محملة بخلع الخليفة وهداياه والطبـول تدق أمامه لاعلان الوفاء •

وكان عمال الجهات يبلغـون بوفاء النيل بخطابات بليغة حافلة بحمد الله على ما أنعم على أمته من خير ورخاء • وفى هذه المناسبة كانت تصرف الخلع والهدايا لجميع رؤساء الدولة حسب منزلتهم •

ويبدأ الاستعداد لفتح الخليـج أو كما كان يقال جبر الخليج •

فتنصب الخيام على الشاطىء الغربى للخليج بالقرب من قنطرة عبد العزيز ابن مروان السـابق ذكرهـا • أمام منظرة السكرة • وهناك كان السد • وهو تراب يوضع فى الخليج ليسـد مجراه •

ومن الخيـــام كانت خيمـة كبيرة للخليفة تسمى « القاتول » مسـاحتها فدانان • وارتفاع عمودها ســبعون ذراعا • وكانت لا تنصب الا بمعـرفة المهندسين • وسميت « القاتول » لأنه

عندما نصبت أول مرة قتل بسبب ارتفاعها عاملان .

وينتقل الخليفة وحاشيته فى موكب حافل . وقد هيئت للخليفة من دار الطراز بدلتان من ذهب وحرير . احداهما لموكب الذهاب . والأخرى لموكب العودة . كما تهيأ الخلع الخاصة لرؤساء الدولة . ويتقدم موكب الخليفة أربعون نافخا للأبواق على الخيول . والأبواق من ذهب وفضة . يتبعهم أربعون راجلون نافخون بأبواق من نحاس . ويشق الموكب القاهرة الفاطمية بالشارع الأعظم حتى الصلبية والجسر الأعظم وقنطرة عبد العزيز بن مروان . فيعبرها الى الخيام غربى الخليج وأمام منظرة السكرة .

فيجلس الخليفة فى المكان المخصص له بالقاتول . ويلزم كل فرد مكانه اما جالسا واما واقفا حسب منزلته . ويقرأ القرآن . ثم يؤذن بالكلام للخطباء والشعراء . ويكافأ من يحسن منهم . ثم تمد الأسمطة . وتكون الأطعمة العديدة الأصناف الشهية الأوصاف قد حملت من القصر . وتقدم الموائد للجميع يأكلون ويحملون ما تيسر لهم من أصناف الأطعمة على سبيل الشرف والبركة .

وبعد ذلك يدخل الخليفة للراحة فى منظرة السكرة وتكون قد هيئت له كما ذكرنا . ثم يطل الخليفة منها ويشير بيده . فيكسر السد وينساب الماء فى الخليج .

ويعود الخليفة بموكبه وسط المزارع والبساتين بالبر الغربى للخليج حتى بستان الدكة بجوار بستان المقس. وكان للفاطميين ببستان الدكة منظرة. فيدخل الخليفة البستان وقد أغلقت أبوابه ودهاليزه . ويدخل بمفرده . ويسقى فرسه من البستان . وقال المقريزى : ولم يعلم سبب هذا التصرف .

وأقول : لا غموض ولا ألغاز . فلعله لاحتمال حاجة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال .

ويخرج الخليفة من البستان ويعود بموكبه الى القاهرة من باب القنطرة .

وقد أسهب المقريزى فى وصف الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج فذكر تفصيلا ما يلبسه الخليفة وما

يخلع على الأمراء وأعيان الدولة وقاضى المقياس • وما يقدم من الأطعمة • كذلك تشكيل الموكب وخط سيره • والتحركات المرسومة بكل دقة لكل فرد •حتى يخيل للمرء أنه فى عرض سينمائى فخم ورائع بالألوان •ابتدعه خيال مخرج قدير• بالغ فى اظهار الترف والتنعم وأبهة الملك • لا أمام حقائق تاريخية مدعمة بالتواريخ والأرقام •

فمنظرة السكرة لم تكن بهذا الموقع الذى ذكرته البلدية بحى المنيرة أمام دار الحكمة•فهذا الموقع مما كان غربى النيل أو كان مغمورا بالمياه عند انشاء منظرة السكرة • والأرجح أن مكان منظرة السكرة كان محل المدرسة السنية أو دار الهلال بشارع محمد عز العرب (المبتديان سابقا) أو بالقرب منهما •

تل العقارب :

وعند دخول الفرنسيين كان حى المنيرة والانشاء عبارة عن برك ومستنقعات وبعض المزارع • وبيوت متفرقة هنا وهناك • مثل القصر العينى وتكية البكتاشية • كما كان لبعض أمراء المماليك بيوت على حافة البركة الناصرية •

ولما حكم بالاعدام على سليمان الحلبى وزملائه بعد محاكمتهم لقتل الجنرال الفرنسى كليبر • نفذ فيهم حكم الاعدام فى مكان اسمه غيط قاسم بك محله الآن كلية دار العلوم والمعهد الفرنسى بالمنيرة •

وفى عهد أسرة محمد على كان حى المنيرة والانشاء محل عناية خاصة لمقابلتهما لحى جاردن سيتى حيث كانت قصور الخديوى والأمراء •

ففى أيام محمد على شرعوا فى تعمير منطقة المنيرة • فقد نشر فى الوقائع الرسمية سنة ١٨٣٠ (العدد ١١٤ فى ٢ رمضان سنة ١٢٤٥ هـ) : أزيل تل العقارب الواقع بين القصر العالى (قصر ابراهيم باشا كان موقعه فى الجزء الجنوبى من جاردن سيتى) والمحروسة (يعنى العاصمة مصر المحروسة كما كانت تسمى)ومسطحه ٣ فدادين و ٢٣٣ قصبة ؛ كماشرع فى ازالة التل الشامخ الكائن بين الناصرية وقرابة القصر العالى ومساحته ٣٨ فدانا و ١٩٥ قصبة • وتكلفت ١٧٢١ كيسة و ٢٢٢ قرشا • (يعنى ٨٦٠٧ جنيهات و ٢٢٠ مليما لأن الكيسة كانت خمسة جنيهات عبارة عن خمسمائة قرش) •

ولما نظمت منطقة الاسماعيلية فى عهد الخديوى اسماعيل أطلق على الجزء الشمالى مما هو شرقى شارع القصر العينى اسم الانشاء • وأطلق على الجزء الجنوبى اسم المنيرة • والفاصل بينهما شارع صفية زغلول الحالى الذى كان اسمه شارع الانشاء •

واسم الانشاء غير متداول الآن • ولكن اسم المنيرة باق • واسم الانشاء واضح • أما تعليل اسم المنيرة فربما لأفراح الأنجال التى أقيمت أربعين يوما • ونعنى أنجال الخديوى اسماعيل •

أفراح الأنجال :

يوجد شارع صغير متفرع من شارع القصر العينى جنوبى شارع المبتديان وجنوبى دار مجلة روز اليوسف اسمه شارع أفراح الأنجال • ففى يناير سنة ١٨٧٣ (١٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٩ هـ) بدأت أفراح زفاف ثلاثة أمراء وأميرة من أولاد اسماعيل على ثلاث أميرات وأمير من الأسرة الحاكمة • وهم :

١ ـ محمد توفيق (الخديوى) ابن اسماعيل تزوج أمينة بنت الهامى ابن عباس حلمى الأول بن طوسون ابن محمد على الكبير •

٢ ـ حسين كامل (السلطان) بن اسماعيل تزوج عين الحياة بنت أحمد (أخى اسماعيل) بن ابراهيم باشا بن محمد على الكبير •

٣ ـ حسن باشا بن اسماعيل تزوج خديجة بنت محمد على الصغير بن محمد على الكبير •

٤ ـ فاطمة بنت اسماعيل تزوجت طوسون بن سعيد باشا (الوالى) بن محمد على الكبير •

واستمرت الأفراح أربعين يوما باعتبار عشرة أيام لكل فرح • وبذل فيها من البذخ والقصف ما لا مزيد عليه • وكان مقرها محل كلية دار العلوم وكلية التجارة بحى المنيرة أمام القصر العالى (بجاردن سيتى) حيث كانت تقيم والدة اسماعيل •

وفى ١٧ ذى القعدة خرج شوار (جهاز) الأميرة فاطمة ، وبه هدايا جدتها والدة اسماعيل • فسير به الى قصر القبة بحراسة آلاى مشاة • تتقدمه فرقة موسيقية • والهدايا موضوعة فى سلالات مكشوفة • فوق عربات مكسوة بالقصب • على مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس ويغطيها شاش فاخر يمسك بأطرافه

أربعة من الجنود لكل عربة •ويتبعهم الضباط بملابسهم الرسمية • والسيوف مشهرة بأيديهم • والهدايا عبارة عن مجوهرات من أفخر أنواع الماس البرلنتى والأحجار الكريمة بأرقى الأذواق • ومناطق من الذهب الخالص • ومنسوجات مطرزة باللؤلؤ والزمرد فى حجم البيض (!!) • وملابس بيضاء مطرزة باسم الأميرة باللآلىء والأحجار الكريمة • وأوانى متنوعة من الفضة الخالصة بكمية عظيمة • وثمن ذلك يفوق العد والحصر •

وكذلك كان شوار باقى الأميرات من حيث الفخامة والنفاسة •

ومن الهدايا بالأفراح المذكورة هدية اسماعيل لابنه توفيق : سرير من الفضة الصب الخالصة • مثل السرير الذىأهداه اسماعيل لأوجينى امبراطورة فرنسا فى حفلة افتتاح قناة السويس • محلى بماء الذهب • وعمدانه الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر والزبرجد والفيروز•

وفى ١٨ ذى القعدة أقيم سباق بالعباسية • وأقيم بعده مقصف فاخر للمدعوين حوى كل ما لذ وطاب • وفاقت أصناف مأكولاته ومشروباته كل ما ظهر من نوعها فى المقاصف الخديوية الى ذلك الحين •

وفى ١٩ ذى القعدة أقيمت حفلة راقصة بسراى الجزيرة (كانت مساحتها والحدائق حولها ٦٠ فدانا وآلت السراى الى آل لطف الله ثم أصبحت أخيرا فندق عمر الخيام) دعى اليها ما يقرب من الخمسة آلاف مدعو من أعيان المصريين والأجانب وأنير الطريق من عابدين الى قنطرة قصر النيل (كان الكوبرى قد تم) ثم الى سراى الجزيرة بفوانيس من الورق الزاهر •ونشر الكثير من هذه الفوانيس بطرقات الحديقة المحيطة بالسراى • وبعد انتهاء الرقص جلس المدعوون على الموائد العديدة الفاخرة حيث قدم لهم أشهى الطعام والشراب•

وأقيمت المسارح والملاعبفى المنيرة ودعىجميع المطربين بتختوتهم (فرقهم الموسيقية) للترفيه • كما مدت الحبال فى الساحات ليلعب عليها البهلوانات • وكانت الصواريخ تطلق كل ليلة امعانا فى الابتهاج • ودام هذا أربعين يوما •

وهكذا كان دأب اسماعيل • اسراف يفوق الحد فى كل متعة حتى أضاع نفسه وخرب البلاد •

وتبارى الشعراء والكتاب فى وصف هذه الأفراح والاشادة بها تقربا للحاكم . حتى أن المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى وضع كتابا اسمه (الكواكب المنيرة فى أفراح العزيز القمرة) . وبالكتاب المذكور بيت شعر يسجل به تاريخ هذه الأفراح بحساب الجمل على طريقة العجم التى لا تعتبر فى هذا الحساب الا الحروف المعجمة أى المنقوطة . والبيت هو :

وطاب زمان الأنس عيشا فأرخوا
زهت بكمال السعد أضواء أفراح

٧ + ٤٠٠ + ٢
+ ٨٠٠ + ٨٠ = ١٢٨٩ هـ .

بيت الأمة ـ ام المصريين ـ ضريح سعد :

وسكن حى الانشاء كثيرون من عظماء مصر . ولا تزال بعض قصور الحى باقية للآن . وتحول باقيها الى عمارات . وأشهر هؤلاء العظماء سعد باشا زغلول زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ، التى حركت الأمة جميعها شعبا وقادة الى المطالبة بحقها الطبيعى فى الحرية والاستقلال . ويضيق المقام هنا عن ذكر ترجمة حياة سعد زغلول . فهذه الترجمة هى تاريخ مصر العريقة ، المتجددة الشباب على ممر العصور . الناهضة التى استيقظت بعد سبات طويل لتستقبل عهدا جديدا من الكفاح لتتبوأ مكانها الجديرة به بين دول العالم .

وتوفى سعد زغلول فى ١٩٢٧/٨/٢٣ . دون ذرية . ولم يترك غير خمسين فدانا وبيتا بشارع سعد زغلول بالانشاء . وآخر فى بلدته ابيانه . أما العزبة المعروفة بمسجد وصيف فقد كانت ملك زوجته من نصيبها فى ميراثها عن والدها مصطفى باشا فهمى .

وكان منزله بشارع سعد زغلول يطلق عليه بعد ثورة سنة ١٩١٩ بيت الأمة حيث كانت تحج اليه الوفود . وتنبعث منه صيحات التحرر والمطالبة بحقوق البلاد .

وبعد وفاته قررت الحكومة مشترى البيت المذكور والبيت بأبيانه بمبلغ ١٨٠٠٠ جنيه شاملة ما بهما من منقولات . واعتبرتهما من أملاك الدولة . على أن تقيم زوجته فى منزل مصر طول حياتها .

واستمرت السيدة صفية زغلول تقيم ببيت الأمة . وقد لقبها الشعب عن جدارة بلقب أم المصريين . لما

اتسمت به من رجاحة العقل وصدق العزيمة في مشاركة زوجها أعباء جهاده الوطني •

وابتعدت عن الخلافات التي دبت فيما بعد بين أعضاء حزب الوفد • وظلت محترمة مبجلة من الجميع حتى توفيت سنة ١٩٤٦ •

والبيت المذكور أصبح الآن متحفا باسم متحف بيت الأمة • في حالة جيدة من الداخل • ويتضح مما في غرفه وصالاته من تحف وسجاد ومنقولات ما كانت عليه الحياة الخاصة لعظماء ذلك العصر وبه مكتبة الفقيد أغلبها من أمهات المراجع القانونية بالفرنسية والعربية مجلدة تجليدا فاخرا ورسم الدخول للمتحف قرشان ••

وحوله حديقة معتنى بها • وان كان خارج المنزل ؛ خصوصا الجهة الخلفية ؛ يحتاج الى ترميم واعادة طلائه •

وقررت الحكومة اقامة تمثالين لسعد زغلول أحدهما في القاهرة والثاني بالاسكندرية • وقد أقيم الأول بالجزيرة والثاني بمحطة الرمل بالاسكندرية • كما قررت الحكومة اقامة ضريح للفقيد يبنى بجوار بيته • وكان قد دفن بالأمام الشافعي مؤقتا لحين اتمام الضريح المذكور •
وكان من ضمن القرارات أيضا انشاء مستشفى أو ملجأ يطلق عليه اسمه ولكن لم ينفذ هذا البند •

وضريح سعد ليس في شارع ضريح سعد • الواقع جنوبي شارع سعد زغلول والذي تطل عليه الوجهة الخلفية لبيت الأمة • ولكن في شارع الفلكي الموازي لشارع القصر العيني ويواجه شارع ضريح سعد منتصف الضريح تقريبا • ويصل الحد الشرقي للضريح الى شارع سكة حديد حلوان (شارع منصور باشا سابقا)

وأرض الضريح مساحتها ٥٢٢٥ م٢ • تقريبا (٥٥ × ٩٥ م) والضريح مبنى في وسطها على مساحة ٦٢٥ م٢ • تقريبا (٢٥ × ٢٥) تحيط به حديقة بباقي المساحة • وهو على طراز فرعوني به أعمدة ضخمة من الجرانيت • والتركيبه فوق المدفن كتلة ضخمة من الجرانيت الفاخر • واختير الطراز الفرعوني ليكون الضريح لكل المواطنين دون طائفة منهم •

وقد أثار قرار الحكـــومة : اقامة تمثالين لسعدزغلول وضريح لجثمانه، شيئا من الامتعاض عند السراى الملكية والانجليز • فاعترضـت السراى بأنه ليس لمحمـد على الكبير وابنه ابراهيم باشـــا غير تمثال واحـــد • كما أن الخديوى اسماعيل ليس له أى تمثال فكيف يكون لسعد تمثالان !!

ورأى الانجليز أن فى التمثـــالين والضريح ازكاء دائما للشعورالوطنى والحركة القومية • ولكن لم يستطع الانجليز أو السراى عمـــل أى شيء ازاء هذا القرار الذى أملته العواطف المتأججة نتيجة لخسارة الوطن بوفاة سعد •

وهذا يذكرنا بالضريح الذى أقيم لأحمد باشا ماهر بعد اغتياله فى مجلس النواب فى ١٩٤٥/٢/٢٤ • ثم دفن فيه أيضا محمود باشا فهمى النقراشى بعـد اغتيـاله بوزارة الداخليـة سنة ١٩٤٨ • وهـــذا الضريح بشـــارع رمســـيس بالقـــرب من مســـتشفى الدمرداش الجامعى لكلية طب جامعة عين شمس •

ولا شك أن واجب الأمة العمل على تخليد ذكرى عظمائها • ولكننى أرى فى هذا اسرافا لا مبرر له • والأجدر أن يكون لعظمـــائنا مقبرة واحـــدة • يدفن فيهـــا من ترى جدارتهـــم واســتحقاقهم لهذا الشرف • على أن تقرر هذا هيئة بعيـــدة عن الأهواء السياسية • ولا تبحث الهيئة الموضوع الا بعد الوفاة بستة أشهر على الأقل • منعا من الانفعالات الوقتية •

قصور الخديوى اسماعيل بالانشاء :

وكان شارع صفية زغلول (الانشاء ســابقا) جنـــوبى موقع قصرين كان أنشأهما اسماعيل على مساحة تســـعة أفدنة •

القصر الأول فى النصف الشرقى من المســـاحة المذكورة • بناه لمتبنيته فائقة التى تزوجها مصـــطفى باشـــا بن اسماعيل باشا صديق المفتش • ومحل هـــذا القصر الآن وزارة التـــربية والتعليم •

والقصر الثانى فى النصف الغربى من المســـاحة المذكورة • بناه لابنته جميلة التى تزوجها محرم باشـــا بن كنج شاهين باشا • واستعمل بعد ذلك لوزارة المعارف ولمدرســـة محمد على للبنات وللمدرسة الســـعيدية الثانوية أثناء الحـــرب العـــالمية الأولى حيث

استعمل الانجليز المدرسة السعيدية بالجيزة أثناء الحرب مستشفى لجنودهم .. والآن بموقع هذا القصر ثلاث وزارات : وزارة البحث ، ووزارة التموين ، ووزارة الاسكان .

ويواجه الوزارات الثلاث من الناحية الأخرى من شارع القصر العينى ، أى بجاردن سيتى ، شارع كان اسمه اسماعيل باشا والآن اسمه شارع (جمال الدين أبو المحاسن) وهو المؤرخ يوسف بن تغرى بردى مؤلف (النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة) و (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) توفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩م) .

كما بنى اسماعيل قصرا ثالثا لابنته توحيدة زوجة منصور باشا . محله الآن وزارة الحربية بشارع الفلكى . ومنصور باشا هو الذى كان يطلق اسمه على شارع سكة حديد حلوان . وعلاوة على القصر المذكور كان اسماعيل انشأ لابنته توحيدة المذكورة سراى باب الخلق محلها الآن مديرية الأمن .

قصور اسماعيل باشا صديق المفتش:

واسماعيل صديق عرف بالمفتش لأنه فضلا عن نظارته للمالية كان مفتشا لعموم الأقاليم . مما مكنه من جمع ثروة طائلة ظهرت ضخامتها بعد ما غضب عليه الخديوى اسماعيل وقبض عليه فى ١٨٧٦/١١/١٤ (٢١ شوال سنة ١٢٩٣ هـ) وأرسله منفيا الى دنقلة بالسودان . حيث قيل انه مات هناك . ويشك بعض المؤرخين أنه نقل حيا الى دنقلة .

وترك اسماعيل المفتش أكثر من ثلاثين ألف فدان من أجود الأطيان ومجوهرات بأكثر من ٦٥٠٠٠٠ جنيه وأسهما وأوراقا مالية بأكثر من نصف مليون جنيه . وكان يعيش فى ترف وبذخ زائدين عن الحد حتى بلغ ثمن مروحة احدى زوجاته ٣٧٥٠٠٠ فرنك (١٥٠٠٠ جنيه تقريبا) ومظلتها ٦٠٠٠٠ فرنك (٢٤٠٠ جنيه تقريبا) وربما كان فى هذا بعض المبالغة . ولكن مهما كانت المبالغة فهو كثير جدا فى وقت كانت فيه مالية البلاد فى شبه افلاس .

وبنى اسماعيل صديق هذا فى منطقة الاسماعيلية ثلاثة قصور متجاورة .

الأول يصل شمالا الى شارع الشيخ ريحان . وبموقعه الآن وزارة الداخلية .

والثانى يليه جنوبا حتى يصل الى ميدان لاظ أوغلى وبموقعه الآن مكان وزارة العدل قبل هدم المبنى وانشاء مبنى جديد ٠

والثالث جنوب شارع مجلس الشعب ويطل على ميدان لاظ أوغلى٠ وكان بموقعه رئاسة الوزارة ووزارة المالية ٠ والآن وزارة الخزانة ٠

وهذا بخلاف قصر بالاسكندرية ٠

وكانت هذه القصور الثلاثة المتجاورة مؤثثة بفاخر الأثاث والرياش ٠ كسيت أغلب جدرانها بالأقمشة الحريرية الثمينة ٠وزخرفت بأبدع ما انتجته قريحة الفنانين من نقوش وزينة ٠ ونسقت وقسمت حدائقها فى براعة وبهاء ٠

وكانت له من الزوجات الشرعيات والسرارى ستا وثلاثون زوجة وسرية ٠ ولكل واحدة منهن لخدمتها ست جوار بيض وعدد كبير من الجوارى السود ٠ وقد بلغ عدد جواريه ٧٠٠ جارية (مابين حورية شركسية بيضاء ذات ثمن يفوق كل تقدير ٠ وخمرية مسكرة وسمراء غانجة وحبشية شعرية ذات أعين بقرية ٠وبرونزية موشومة ذات نهود سفرجلية ٠ وسودانية فحماء متقدة الدم الهائج) ٠

وهذا الوصف للجوارى بتعبير المرحوم أمين باشا سامى فى تقويم النيل ٠ وهو أشبه بكلام أديب من قول مؤرخ ٠

المبتديان :

وجنوبى شارع صفية زغلول شارع المبتديان ٠ الذى تغير اسمه الى شارع الشيخ على يوسف ثم أخيرا الى شارع محمد عز العرب ٠ وسمى بهذا الأسم لأنه فى سنة **١٨٦٨** نقلت مدرسة المبتديان (وهى الصيغة التركية لكلمة الابتدائية) الى قصر البرديسى بالناصرية فى نهاية الشارع المذكور (محل المدرسة السنية) ٠ كما نقلت المدرسة التجهيزية الى قصر مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز (محل المدرسة الخديوية الثانوية) ٠

وكانت مدرسة المبتديان والمدرسة التجهيزية قبل ذلك بالعباسية ٠ وقد فتحتا فى عهد اسماعيل سنة **١٨٦٣** ٠

وكان قصر البرديسى قبل نقل مدرسة المبتديان اليه مستعملا مسافرخانة (أى قصرا للضيافة) كما كان القصر محل المدرسة التوفيقية

بشبرا مسافرخانة أيضا فى عهد محمد على •

الشيخ على يوسف :

وهو الاسم الذى أطلق بعد ذلك على شارع المبتديان فهو السيد (كان لقب السيد يطلق على كل شريف علوى من نسل السيدة فاطمة الزهراء والأمام على بن أبى طالب • وكان للاشراف نقابة ترعى شؤونهم وتدير أوقافهم • حتى ألغيت النقابة بعدثورة سنة ١٩٥٢ وأصبح لقب السيد يطلق على كل مواطن)على يوسف الصحفى المعروف وأحد الرواد الأوائل فى الصحافة المصرية••من مواليدبلصفورة مركز سوهاج سنة ١٨٦٣ م • توفى أبوه وهو صغير فكفله أخواله ببنى عدى مركز منفلوط حيث تلقى علومه الابتدائية • ثم التحق بالأزهر حيث تلقى العلوم الدينية والأدبية التى كانت تدرس وقتذاك • واتصل بجمال الدين الأفغانى •

وفى سنة ١٨٨٩ انشأ جريدة المؤيد • وراجت الجريدة بفضل مقالاته كل الرواج • وكتب فيها كثيرون من المشهورين من أعلام العصر مثل الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين وحفنى ناصف • وكانت تدعو لمحاربة الاستعمار والغاء السخرة وتطالب بالدستور والحياة النيابية • كما كانت تدعو الى ترقية الصناعات • وتوجيه الأموال الى الأسواق التجارية لمنافسة الأجانب بدلا من اكتنازها أو انفاقها فى الملذات •

وحرر على يوسف جريدته من السجع الذى كان سائدا بأقلام الكتاب وقتذاك •

وفى سنة ١٨٩٦ نشرت جريدة المؤيد صورة تلغراف مرسل من سردار الجيش المصرى فى السودان الى وزير الحربية فى مصر عن الحملة العسكرية فى دنقلة • وكان التلغراف سريا فاغتاظ الانجليز وقدموا على يوسف للمحاكمة • ولكن حكم ببراءته ابتدائيا واستئنافيا مما زاد فى غيظ الانجليز ودعاهم الى زيادة ثلاث قضاة انجليز بمحكمة الاستئناف ليزداد عددهم ويكون الحكم على اعداء الاحتلال أمرا سهلا • وهذا كتعبير المؤيد فى ١٨٩٦/٥/١٧ (مقال للدكتور جمال الدين الرمادى بدائرة معارف الشعب المجلد الخامس) •

واهتم المصريون بهذه القضيــة • وكانت تزدحم بهم قاعة المحكمــة • وعرفت بقضية التلغراف •

واشتهر على يوسف بقضية أخرى هى زواجه من الســيدة صـفية بنت السادات • فقد خطبها من أبيهافقبل فى تردد • ثم عدل فمـاطل فى اتمام الزفاف • وطال الأمر على خطوبةعلى يوســف أربع ســنوات • فلجأ الى السـيد محمد توفيق البكـرى (كان نقيبا للأشراف قبل السيد على البيلاوى •• وكان شــيخا لمشـــايخ الطرق الصوفية وعضـوا بمجلس شـــورى القوانين) فسـاعده • وتم قـران على يوسف بالســيدة صـفية • وكانت رشـيدة أى غير قاصر – فى منـزل البكرى • فأغتاظ الشيخ الســادات فرفع قضية يطلب فيها التفريق لعدم التكافؤ • وحكمت المحكمة ابتدائيــا واستئنافيا لصـــالح الشــيخ السـادات بفسخ العقد والتفريق بين الزوجين • ثم تدخل وسطاء الخير فأصطلحوا على أن يعقد عقد جديد سنة ١٩٠٥

ومن المصــادفات أن المحـامى عن السيدة صفية فى هذه القضــية كان الشيخ عز العرب الذى حل اســمه محل اســم الشــيخ على يوســف فى شارع المبتديان •

وكانت جـريدة المؤيد من الداعين الى انشــاء الجامعة المصرية • وكانت فكرة انشائها تراود الأذهان وتتردد بأقلام الكتاب منذ سنة ١٩٠٣ • ودعا لها مصطفى باشـــا كامل وأخرون • وفتح باب الاكتتـاب فكانت القـائمة الأولى ٤٥٨٥ جنيها بخلاف التبرعات العينية فى الأطيان • واجتمع المكتتبون فى منزل عزتلو (أى صـاحب العزة وهو خاص بالبكوات) سـعد زغلول بك بالانشاءفى ١٩٠٦/١٠/٢ وقرروا انتخاب لجنة تحضيرية وتأجيلانتخاب الرئيس والدعوة للمشروع فى جميع الصحف • وتسمية الجامعة بالجامعة المصرية •

وقيل ان السبب فى تعيين سعد باشا زغلول ناظرا للمعارف ســنة ١٩٠٦ كـان بغرض صرفـه عن الاشـتغال بمشروع الجامعة •

وفى ١٩٠٧/١/٢ نشرت المـؤيد مقالا جريئا تدعو فيه العناصر التركية والشركســية الموجودة فى مصر الى المساهمة فى المشروع اعترافا بجميل مصر وتشبها بأسلافهم الذين شيـدوا

العمارات الشامخة من جوامع ومساجد للعبادة ومدارس لنشر وتقرير العلوم والفنون وملاجىء للفقراء والعجزة .. الخ وفى هذا تلميح بأعضاء الأسرة المالكة التى لم يتبرع أعضاؤها بشىء للمشروع (بحث للدكتور خليل صابات بدائرة معارف الشعب المجلد الخامس) .

وفى سنة ١٩١١ أنشأ على يوسف جمعية الهلال الاحمر المصرى لمساعدة الجرحى والمرضى فى حرب تركيا مع ايطاليا فى طرابلس (ليبيا) .وكان الهلال الأحمر أنشىء فى تركيا سنة ١٨٧٦ فى حرب تركيا مع العرب .

وتوفى الشيخ على يوسف سنة ١٩١٣ عن خمسين عاما . ورثاه الكتاب والشعراء . منهم حافظ بك ابراهيم بقصيدة منها :

أقام فينا عصاميا فعلمنا
معنى الثبات ومعنى الجد والدأب

وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا
مدى مناها ولم تقرب من الأرب

ولم تشأ بلدية القاهرة أن تترك الشيخ على يوسف مستقرا مكانه فى شارع المبتديان . فنقلت اسمه الى شارع المنيرة . المتفرع من شارع المبتديان موازيا لشارع القصر العينى وأصبح شارع المنيرة اسمه شارع الشيخ على يوسف . كما أصبح شارع المبتديان سابقا الآن شارع محمد بك عز العرب .

محمد كمال السيد محمد

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

٨١ - ويقولون : هذه البنت زمارة بصيغة المبالغة ، والفصيح أن يقال لها زامرة ، أما الغلام فيقال له : زمار ، وزامر قليل جدا ، تقول : زمر الغلام من بابى ضرب ونصر زمرا وزميرا ، وزمر تزميرا اذا غنى فى القصب فهو زمار .

أما الزمارة وزان جبانة فهى ما يزمر به كالمزمار بكسر الميم ، وينطقه العامة بالضم، والزمارة أيضا الساجور، تقول : فى عنق الكلب زمارة أى ساجور ، وهو خشبة تجعل فى عنق الكلب ، ويقال : كلب مسوجر اذا وضع الساجور فى عنقه ، قال :

له مسمعان وزمارة
وظل مديد وحصن أمق

المسمعان القيدان ، والأمق الواسع الطويل ، تقول : رجل أمق ، وامرأة مقاء أى طويلة والجمع مق ، ومنه قول على كرم الله وجهه : « من أراد المفاخرة بالأولاد فعليه بالمق من النساء ».

٨٢ - ويجمعون كلمة صغيرة وصفا على صغائر ، فيقولون : هذه فتاة صغيرة وهؤلاء فتيات صغائر، والصواب أن يقال فتيات صغار بالكسر .

قال ابن يعيش : اذا كانت فعيلة لمؤنث ولم تكن بمعنى مفعولة ، فلجمعها ثلاثة أمثلة : فعال بالكسر ، وفعائل ، وفعلاء ، فمن الأول صبيحة وصباح ، ومن الثانى صحيفة وصحائف ، وقد يستغنون بفعال عن فعائل ، قالوا : سمينة وسمان ، ومن هذا قوله تعالى : « أفتنا فى سبع بقرات سمان » ومثل ذلك صغيرة وصغار ، وكبيرة وكبار ، ولم يقولوا : سمائن ، ولا صغائر ، ولا كبائر فى السن ، وانما جاء ذلك فى الذنوب ، فقالوا : صغائر الذنوب ، وكبائرها ، لأن الصغيرة والكبيرة من الآثام اسمان لا

وصفان، قال تعالى : « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » ومن الثالث فقيرة وفقراء ، وسفيهة وسفهاء ، ولم يسمع هذا الجمع فى هذا الباب الا فى هذين الحرفين .

٨٣ ـ ويقولون : قصر فلان جهوده على الأدب ، وعلى الأدب وحده ، فكلمات وعلى الأدب وحده حشو وفضول ، لأنها لم تأت بفائدة جديدة ، وكلمة قصر كافية لتأدية المعنى المبتغى

كما يقول : كان الجيش متحمسا ومتحمسا جدا ، فكلمة ومتحمسا يجب الاستغناء عنها ،اذ لم يكن لها جدوى على هذا التعبير ، ويكتفى بكلمة جدا.

وكذا قولهم : فلان عظيم بكل معنى الكلمة ، اذ يكفى أن يقال : هو عظيم جدا ، أى بالغ الغاية فى العظمة .

٨٤ ـ ويقولون : هذه الفتاة انسانة ، ولقينا انسانة كريمة الأصل حسنة الخلق والفصيح أن يقال لها انسان بدون هاء ، لأن هذا من الألفاظ التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ، كما يقال للرجل خصم ، وللمرأة خصم أيضا ، ولكنه ورد فى شعر مولد ، قال :

لقد كستنى فى الهوى
ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة
بدر الدجى خجل

٨٥ ـ ويقولون للمريض ينتظر مقابلة الطبيب : جاء دورك ، وهذا خطأ ، ووجه الكلام أن يقال له : جاءت نوبتك ، أو نيابتك ، أو حلت فرصتك ، والنوبة هى الفرصة ، تقول : القوم يتناوبون النوبة فى الماء وغيره ، أى كل منهم له نوبة ينتهزها، ونوب فلان بالبناء للمفعول أى جعلت له النوبة .

أما الدور فهو مصدر قولك : دار الولد حول المنزل يدور دورا ودورانا أيضا .

٨٦ ـ وشاع على ألسنتهم قولهم : تباع الملابس وغيرها فى المحلات التجارية، وهذا التعبير فاسد ، لأنهم جمعوا فيه المحل على محلات ، وكلمة محل وزنها مفعل ، وما كان على هذا الوزن يجب أن يجمع على مفاعل فيقال : محال بتشديد اللام ، وأصله محالل بلامين، أدغمت احداهما فى الأخرى، ومثل هذا مقر وهو مكان الاستقرار فيجمع على مقار ، ومنه قولك لمن

يحج : اذكرني في المقار المقدسة ، وممر وهو موضع المرور يجمع على ممار .

أما المحلات فجمع لمحلة ، وهي منزل القوم ، وأما المحلات بضم الميم فهي الأشياء التي يحتاج اليها النازل ، كالقدر والرحى ، والدلو والقربة ، والسكين والفأس .

وأما المحل بفتح الميم وكسر الحاء فهو الموضع الذي يحل فيه نحر الهدى ، وفي التنزيل : « والهدى معكوفا أن يبلغ محله » .

٨٧ – ويقولون في الدعاء : ياغائث المستغيثين ، وهذا وهم واضح ، والصواب أن يقال: يامغيث المستغيثين، لأنه من أغاث الرباعي ، تقول : استغاثه فأغاثه ، ومنه قوله جل شأنه : « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل » .

أما الثلاثي فله معنى آخر لا صلة له بمعناهم الذي يريدونه ، يقال : غاثهم الله اذا سقاهم الغيث وهو المطر، وغثنا يارب أي اسقنا الغيث ، وأرض مغيثة ومغيوثة اذا أصابها الغيث ، ومن هذا قول المرأة الاعرابية حين سئلت عن المطر فقالت غثنا ما شئنا ، أي سقينا الغيث ما شئنا ، وأصله غيثنا بالبناء للمفعول ، حذفت الياء وكسرت الغين ، أما الاغاثة عند النازلة فانما تكون من الرباعي ، تقول : اللهم أغثنا .

٨٨ – ويقولون : سافرنا سويا ، ثم عدنا سويا ، يعنون أنهم كانوا مصطبحين ، والصواب : سافرنا معا ثم عدنا معا أما سوى فمعناه مستوى الخلق ، كما في قوله تعالى « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا » قال الزجاج : لما قال زكريا لربه : اجعل لي علامة أعرف بها وقوع ما بشرت به ، قال هي ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ، أي أنك تمنع الكلام وأنت سليم سوى لا أخرس ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد، قال وسويا منصوب على الحال وفي الأساس : ورزقك الله تعالى ولدا سويا ، أي لا داء به ولا عيب .

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » أي أرسلنا الى مريم جبريل متمثلا بصورة شاب سوى الخلق لتستأنس به .

٨٩ – ويقولون : ذبحنا الشاة تذبيحا، وقتلنا الرجل تقتيلا ، وفتحنا الباب

تفتيحا ، اعتمادا على أن فعل قد يأتى للتكبير والمبالغة ، وهـذا خطأ لعـدم تصـور التـكثير فى هـذه الأمثـلة وأضرابها .

ولاصـلاح تعبيراتهم السابقة لتدل على المبالغة ـ يجب أن يقال : ذبحنـا الغنم كما فى قوله تعـالى : « يذبح أبنـاءهم ويستحى نسـاءهم » وقتلنـا الرجال ، كمـا فى قوله سـبحانه : «أخذوا وقتلوا تقتيلا» وفتحنا الأبواب كما فى قوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء » كل ذلك بالجمع أو ما يشبه الجمع والتكثير كما يجىء فى المتعدى يجىء فى اللازم ، تقـول : طوفت بالبلاد تطويفا ، وجولت فيها تجوالا ، أى أكثرت الطواف والجولان ،

أما قولك : قربت الحبيب تقريبا ، وفسقت العابث بالدين تفسيقا ونحـو ذلك فانما جـاء التضعيف للتعدية لا للتكثير والمبالغة .

٩٠ ـ ويخطئون حين يقولون : كلفناه بقراءة الكتـاب ، ثم كلفناه بعد ذلك بتلخيصه ، والفصيح أن تحذف الباء من التعبيرين ، لأن الفعـل متعد الى مفعولين فى كل حالاته ، تقـول : كلفته الأمر فتكلفه ، كحملته الشىء فتحمله ، ومعنى كلفته الشىء تكليفـا أمرته بما يشق عليـه فتكلفه ، أى تجشمه ، والتكاليف المشاق كما فى قول زهير بن أبى سلمى .

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسـأم

ومما يدل على أن هذا الفعل يتعدى الى مفعولين قوله تعالى : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وقوله : «لايكلف الله نفسا الا ما آتاها » وقوله : « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك » وفى الآية الأخيرة نائب الفعل كان المفعول الأول ، ونفسك المفعول الثانى .

٩١ ـ ويقولون : عاد سائر الحجاج، وفاز سائر الطلاب ، يعنون جميـع الحجاج وجميع الطلاب ، والفصيح أن كلمة سائر معناها الباقى قليلا كان أو كثيرا ، وتستعمل فى الغالب للباقى الكثير ، والدليل على صحة ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة : «اختر أربعا وفارق سائرهن » وأنشـــد سيبويه .

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه
وسـائره باد الى الشمس أجمـع

ومما يدل على أنه يصـلح للباقى القليل قولهم لما يبقى فى الاناء: سؤر،

وفي الحديث : « سؤر المؤمن شفاء » وفي حديث آخر : «اذا شربتم فأسئروا» أي أبقوا في الاناء بقية ما .

٩٢ ـ وشاعت على ألسنتهم كلمة الوحدة بكسر الواو ، فقالوا : لا بد من قيام وحدة شاملة بين العرب والواجب أن تفتح الواو أو تضم ، وقد قالت العرب في حكمها : الوحدة خير من جليس السوء ، ولا تنس وحدة القبر ودهشته ،

تقول : وحد فلان وحادة ووحدة فهو وحيد ، وقال أبو العتاهية .

برمت بالنايل وأخلاقهم
فصرت أستأنس بالوحدة

الرواية بفتح الواو وضمها .

٩٣ ـ ويقولون : حور فلان الكلام ، أو حور فيه تحويرا ، يعنون أنه بدله وهذبه على نحو ما ، وهذا خطأ ، اذ أن التحوير لا يستعمل الا في التبييض ، تقول : حورت الثياب اذا بيضتها ، ومنه قيل لأصحاب عيسى عليه السلام : الحواريون، قال تعالى : « كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله » وذلك أنهم كانوا قصارين، تقول : قصرت الثوب قصرا اذا بيضته ، والفاعل قصار ومثله قصرته تقصيرا ،وامرأة حوارية بالضم اذا كانت بيضاء ، قال الأخطل :

حوارية لا يدخل الذم بيتها
مطهرة يأوي اليها مطهر

وفي مختصر العين : ولا يقال للمرأة حوراء الا اذا كانت بيضاء ، واحور الشيء ابيض وزنا ومعنى وحوره فاحور أي بيضه فابيض .

أما التحاور فهو المراجعة والمناقشة، كما في قوله عز شأنه : « والله يسمع تحاوركما » ، ومثله الحوار بالكسر والمحاورة ، تقول : حاوره حوارا ومحاورة ، ومنه قوله سبحانه : « قال له صاحبه وهو يحاوره » .

٩٤ ـ ويدعون أن كلمة الأخوة تقال في النسب فقط ، وكلمة الاخوان تقال في الصداقة فقط ، وهذا الادعاء غير صحيح ، لأن الكلمتين تستعملان في النسب والصداقة .

فمثالهما في النسب قوله تعالى : « وجاء اخوة يوسف » وقوله : « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن »

ومثالهما فى الصداقة قوله جل شأنه : « انما المؤمنون اخوة » وقوله : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » .

٩٥ ـ ويقولون للأمير مثلا : لا زال بابك مفتوحا لكل طارق ، يعنون أنه مفتوح دائما ، وهذا التعبير لا يؤدى المعنى الذى يريدونه ، وانما معناه الدعاء . والدعاء انشاء ، وأما قولهم فخبار ، وهناك فرق بين الانشاء الذى يكون فى المستقبل والخبر الذى كان فى الماضى ، ومثل ذلك فى الدعاء قول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى
ولا زال(١) منهلا بجرعائك(٢) القطر

وبيان ذلك أن (لا) انما تكون للدعاء فى مثل هذا الموضع ، كما فى قولك : لا سلم فلان ، ولا فض الله فاك ، والصواب ـ لتأدية المعنى المراد ـ أن يستبدل بلا كلمة (ما) فيقال ما زال بابك مفتوحا .

٩٦ ـ ويقولون عند نداء الأب والأم : يا أبتى ، ويا أمتى ، فيثبتون ياء المتكلم فيها مع ادخال تاء التأنيث عليهما ، قياسا على قولهم : يا عمتى ، وهذا خطأ ، والصواب أن يقال : يا أبى ، ويا أمى ، و يا أبت ويا أمت، بكسر التاء وفتحها ، وجعلت تاء التأنيث عوضا عن ياء المتكلم ، ومن فتح التاء أراد الندبة ، قال تعالى : « يا أبت لا تعبد الشيطان » وقال : «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر» أو يقال : يا أبتا ، ويا أمتا بقلب ياء المتكلم ألفا ، أو يقال : يا أبه ويا أمه بالهاء الساكنة حين الوقف .

٩٧ ـ ويقولون : خفى فلان الكتاب وغيره ، يخفيه خفيا من باب رمى ، يعنون بذلك أنه أخفاه وستره عن الأنظار ، وهذا التعبير مناقض لكلام العرب ، اذ معناه عندهم أنه أظهره وعرضه ، ومثله اختفاه ، قال امرؤ القيس يصف فرسا يستخرج الفئران من جحورهن .

خفاهن من أنفاقهن كأنما
خفاهن ودق من سحاب مركب

فهو يقول : ان هذا الفرس يستخرج الفئران ويظهرهن من جحورهن بشدة وطئه ، حتى كأن

---

١ ـ منهلا : شديد الانصباب .
٢ ـ الجرعاء :رملة مستوية لا تنبت شيئا .

سيلا من الماء دخل عليهن فأخرجهن، ومن ذلك قوله تعالى: «ان الساعة آتية أكاد أخفيها » على رواية من قرأها بفتح الهمزة ، أى أكاد أظهرها •

أما الفعل الذى يؤدى معنى الستر والكتمان ، فهو اما مجرد ، واما مزيد، فمن المجرد قولك : خفى الشيء يخفى خفاء من باب رضى اذا استتر ، ومن هذا قوله سبحانه : « ان الله لا يخفى عليه شيء » ومن المزيد قولك : أخفى فلان الشيء يخفيه اذا ستره وكتمه ، ومنه قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » وكذلك استخفى وتخفى معناهما استتر ، قال تعالى « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، وكذا اختفى ، تقول : اختفى القمر اذا استتر وتوارى •

٩٨ ـ ويقولون : ما رأينا فلانا من أمس ، والصواب أن يقال منذ أمس أو مذ أمس ، لأن من تختص بالمكان ، ومنذ ومذ يختصان بالزمان، فأما قوله تعالى : « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » فان من هاهنا بمعنى فى الدالة على الظرفية ، بدليل أن النداء للصلاة يقع وسط يوم الجمعة ، وأما قوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » فهو على اضمار مصدر حذف لدلالة الكلام عليه ، والأصل من تأسيس أول يوم •

٩٩ ـ ويقولون : جاء القوم بأجمعهم بفتح الميم ، لاعتقادهم ـ خطأ ـ أنه أجمع الذى يؤكد به ، فى مثل هو لك أجمع •

والفصيح أن يقال : جاؤا بأجمعهم بضم الميم ، لأنه مجموع لكلمة جمع كعبد وأعبد ، وبحر وأبحر ، ويدل على ذلك أيضا اضافته الى الضمير ، وادخال حرف الجر عليه ، وأجمع الموضوع للتوكيد لا يضاف ، ولا يدخل عليه الجار •

١٠٠ ـ ويسمون بعض الأناسى بعبد العال ، وكلمة العال ليست من أسماء الله الحسنى ، وكذا العالى ، والفصيح أن يسمى الانسان بعبد المتعالى اسم فاعل من تعالى تعاليا بمعنى ارتفع وسما ، كما يقال : تسامى تساميا ، فهو متعال، ومنه قوله جل شأنه : «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » حذفت منه الياء تخفيفا كما حذفت من دعائى فى قوله « ربنا وتقبل دعاء » •

عباس أبوالسعود

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **مستقبل الحضارة بين العلمانية . الشيوعية . الاسلام :**
للأستاذ يوسف كمال محمد

هذا الكتاب الذى نشرته دار المختار الاسلامى بالقاهرة فى مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، دراسة لها أهميتها فى هذه الأيام ، ولها تقديرها أيضا من حيث أن المؤلف كان موضوعيا فى مناقشته لعلمانية الغرب التى عزلت الدين عن نظام الحياة ، مما انتهى بالغرب الى التدهور والانحلال ، وفى مناقشته للماركسية المتهافتة المصادمة للفطرة ، ثم فى عرضه للاسلام عرضا مجردا من العاطفة .. قسم المؤلف دراسته الى أبواب ثلاثة : الغرب العلمانى والشرق الشيوعى ، ثم حضارة الاسلام .. وقد أشار فى مقدمته الى أن هذه الدراسة لا تناقش القديم ، ولا تفحص تاريخ الحضارات ، وانما تناقش الواقع الحضارى متطلعة الى المستقبل ، هذا وقد تساءل فى أسى : الى أين تتجه الحضارة ؟ الحضارة المادية التى هى مجرد قشرة سطحية تحمل فى داخلها بركانا من الفوضى والقلق ــ انها تتجه ــ كما يقول المؤلف ــ نحو مزيد من الجنون واليأس والانتحار ، أما العالم الاسلامى اليوم ، فهو بين فكى الشرق والغرب ، يهتز ويموج بين قيمه وتاريخه من جهة ، وبين الشرق والغرب من جهة أخرى ، فهل يستجيب لله ، فيوجه دفته على هدى القرآن فينقذ نفسه ، وينجى العالم من دمار محقق ؟

نرى المؤلف فى الباب الأول : الغرب العلمانى : يعرض لأزمة الدين فى الغرب ، وفلسفته واندحاره ، وهو يرى أن الدين فى أوربا قد تنحى عن حياتها ، اثر هزة عنيفة أصابته منذ العصر الوسيط ، وترجع الى أسباب يتعلق بعضها بالمسيحية نفسها ، كما

يرجع البعض الآخر الى سلوك رجال الـدين ، ونرى المؤلف فى البـاب الثـانى : الشرق الشيوعى ، يعرض لأوهام الجدل ، ولضـلال التفسـير المادى للتـاريخ ، ولمـا أسـماه : شقاقا وشقاء ، ويرى أنه من الخطأ أن ننظـر الى المـاركسية بصفتها نشـاطا سياسيا فحسب ، أو حركة اجتمـاعية أو مذهبا اقتصاديا ، انها نظرة شاملة للانسان والوجود والتاريخ ، ان هذا المذهب فى التحليـل الأخير ـ كمـا يقول بعض مفكرى الغرب ـ مجموعة من الأفكار ملأت الفراغ الذى نشـأ عن انهيـار الدين ، وهـو مذهب لا يمكن محاربته الا بعقيدة معارضة تقوم على مبادىء مختلفة كل الاختلاف عنه ..

كذلك نرى المؤلف فى الباب الثالث والأخير : حضارة الاسلام ، يقيم بناء هذه الحضارة على أعمدة ثلاثة ، هى بمثابة أوصاف لأمة الاسلام ، فهى أمة وسط ، وهى أمة واحدة ، ثم هى خير أمة ، ويرى أن الحضارة فى التفسير القرآنى ، ليست هى التقدم المـادى ، لأن الله يعطى الدنيـا لمن يحب ولمن لا يحب ، ولا نكران فى أن المنهـج القرآنى منشىء للابـداع المـادى : ولكن فى اطار من القيم الايمانية ..

وبعد ـ فبـلا أدنى مجاملة ـ هذه الدراسة الجيدة لها تقديرها ، لا لأنها دراسـة ثقـافية حركية فحسب ـ والاسلام المعاصر فى حاجة الى مثلها ـ بل أيضـا لأن المؤلف الـذى امتحن بسبب عقيدته أكثر من ستة عشر عاما ، أعطى هذه الدراسة من فكره وايمانه ما جعلها جديرة بكل تقدير .. كنت أود أن تسير الدراسة على نمط واحد من المسـتوى الفـكرى ، ففى البابين الأول والثـانى ، حيث ناقش المؤلف علمانية الغرب وشيوعية الشرق ، سار على مستوى رفيع ، يصلح للخاصـة دون حتى أوساط المثقفين ، بينما سار المؤلف على مسـتوى شـبه عادى فى الباب الثالث : حضارة الاسلام ، وهو البـاب الذى شغل ثلثى الدراسـة ، كذلك كنا نود ألا نفتقد كثيرا المقارنة الملموسة بين حضـارة الاسـلام ، وحضـارة كل من الغرب والشرق ، وأخـيرا كنـا نود لو أن المؤلف قد تجنب التركيز خلال مناقشته للعلمانية والماركسية ،ويبقى بعد ذلك أن نشيد بدراسـة المؤلف التى جاءت فى وقت مناسب ، يقف فيه الفكر الاسـلامى

أعزل فى مواجهة الالحاد المادى والعلمانى الذى تهب أعاصيره عليه من الشرق .. والغرب على السواء ...

● حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون :

للأستاذ عبد الحليم خفاجي

هذا الكتاب الذى نشرته دار القلم بالكويت ، يقع فى أكثر من ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة بسيطة ـ كما يقول المؤلف في مقدمته ـ تلقى ضوءا خفيفا من خلال نقد الماركسية علميا ـ على ملامح العقلية المنهجية الاسلامية التى أرادها « البنا » رائد الحركة الاسلامية الحديثة ، امتدادا لمرحلة اليقظة التى بثها فى الأمة فى قوله : « لابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل ... وبغير هذا التحديد والتركيز ، سيكون مثل هذه الصحوة كالشعاع التائه فى البيداء ، لا ضوء له ولا حرارة فيه » .

ان هذا الحوار قسمه المؤلف الى بابين : الأول موجز عن النظرية الماركسية اذ يقع فى أقل من خمسين صفحة ، والآخر مبسط عن نقد النظرية ، وقد أدار المؤلف هذا الحوار فى ثلاث وثلاثين حلقة ، والمؤلف « المحامى » لم يدخل فى هذا الحوار تحت أقبية السجون ، مع عامة الماركسيين ، وانما مع لفيف من دعاة الماركسية المثقفين ، كذلك واجه المؤلف هذا الحوار مسلما بايمان المسلم ، وعقيدة المؤمن ، وبخاصة فى اطار النقد للفكر الماركسى ، ومن خلال هذا النقد البناء استطاع أن يبرز قيمة الاسلام الحضارية ...

ولقد ناقش المؤلف الماركسية فى كل مراحلها وكل أسسها الفكرية ، والحضارية المزعومة ، والاقتصاد ، ثم عرض بعد ذلك : النظرية الاسلامية للتاريخ ، ففى كل رسالة سماوية شقان ، شق العقيدة وشق الشريعة ، عرض من وجهة نظر الاسلام للملكية والميراث ، وحق المال سوى الزكاة ، ولأوجه الخلاف بين الضريبة والزكاة ، وللفقه والرأى العام فى فى مواجهة السلطة ، ثم ختم الحوار بما أطلق عليه : ضمانات التطبيق أو النظام السياسى ، هذه الضمانات تتمثل فى : الامامة العادلة ، القضاء الاسلامى ، نظام الحسبة ، ديوان المظالم ثم دعوى الحسبة .. ولست أدرى لم أغفل المؤلف الاشارة الى أن أية ضمانات لا معنى لها ، اذا هى تحولت الى مجرد نصوص فى

الدستور ، ما لم يحرسها وعى اسلامى يتمثل فى الشعوب المسلمة وشجاعة ايمانية تتمثل فى علماء الاسلام ومفكريه ••

وبعد ـ فهذه الدراسة التى لها تقديرها ، ما أحوج شبابنا المسلم الى مثلها ،هذا الشباب الحائر القلق الذى يئن تحت وطأة الأفكار المستوردة ، وهو أعزل من كل سلاح ••!

● **صفحة الفكر الدينى بالأهرام :**

كان هناك سؤال ينتظر الاجابة : فى كل من جريدتى الأخبار والجمهورية صفحة للدين ، فلماذا تخلفت جريدة الأهرام عن زميلتيها ؟ والحمد لله ، فلقد بدأت الأهرام اللحاق بزميلتيها ، وقررت منذ أول مارس الماضى أن تصدر الصفحة الدينية فى صبيحة كل يوم سبت ، وقد تضمنت أول صفحة مقالا ضافيا للأستاذ أحمد بهجت عنوانه : من غربة الاسلام ، عرض فيه لفكر الكاتب اليهودى « ليوبولد فايس » الذى أشهر اسلامه فيما بعد ، وأصبح « محمد أسد » من خلال كتابه القيم « الطريق الى مكة » كذلك تضمنت الصفحة مناقشة أجراها الأستاذ رجب البنا مع الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف عن المساجد ، وتقريرا عن مأساة المسلمين فى الفلبين ، ثم كلمة عن امكان التقريب بين المذاهب الاسلامية تتوسطها صورة للقمى صاحب دعوة التقريب •• ونحن اذ نتمنى لصفحة الفكر الدينى بالأهرام كل نجاح ، نرجو أن يتسع صدرها لكل رأى حر ونقد بناء ، وأن يكون مقياس الجدارة بالنشر الفكر ذاته ، وليس لمعان الأشخاص تحت الأضواء ••

● **قراءات :**

« رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى جابر بن عبد الله ، فقال : ما هذا ؟ قل : اشتهيت لحما فاشتريته •• فقال عمر : أوكلما اشتهيت اشتريت يا جابر ؟ ما تخاف الآية : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ؟ »

من كتاب أخبار عمر : لعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى •

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

السؤال من محمد أيوب

قال رجل لزوجته على الطلاق منك ما تدخلى بيتى على المذاهب الأربعة وتكونى زى أمى وأختى فهل يعتبر هذا اطلاقا ؟

الجواب

ما جاء فى السؤال يمين طلاق وفيه تعليق والطلاق المعلق هو الذى يقصد به اثبات شىء أو نفيه أو الحث على فعل شىء أو تركه وفى ذلك أقوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان ص ٢٦٥ – ٢٦٧ وتتلخص فيما يأتى :

١ – أنه لا ينعقد ولا يجب فيه شىء وعليه أكثر أهل الظاهر لأن الطلاق عندهم لا يقبل التعليق كالنكاح وعليه من اصحاب الأمام الشافعى ابو عبد الرحمن •

٢ – انه لغو وليس بشىء وصح ذلك عن طاووس وعكرمة •

٣ – لا يقع الطلاق المحلوف به ، ويلزمه كفارة يمين اذا حنث فيه وصح ذلك عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما •

٤ – ان حلف على فصل امرأته بأن قال ان خرجت من الدار فأنت طالق فلا يقع الطلاق بفعلها ذلك وان حلف على فعل نفسه أو على فعل غير امرأته وحنث لزمه الطلاق وبه قال أشهب من المالكية •

٥ – ان حلف بصيغة الشرط والجزاء كأن قال لامرأته ان فعلت كذا فأنت طالق ففعلته فهى طالق وان كان الحلف بصيغة الالتزام كأن قال الطلاق يلزمنى أو على الطلاق ان فعلت كذا فلا يلزمه الطلاق فى هذا ان حنث وهذا أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب الشافعى والمنقول عن أبى حنيفة •

السؤال من السيد على نصر الدين :

رجل يصلى بالناس اماما فيقرأ فى الركعة الأولى سورة البقرة وفي الثانية سورة آل عمران ولم يجد من يتألم فهل فى هذه الصلاة مخالفة ؟

الجواب

الاجابة - ليس فيها مخالفة للسنة حيث ان المأمومين راضون بالتطويل بل فى هذه الصلاة خير كثير من الفوائد الدينية للامام والمأموم .

السؤال من محمد مصطفى موسى :

هل ختم الصلاة فى المسجد جهرا عقب الصلاة جائز ؟

الجواب

ختم الصلاة من كمال الصلاة والواجب فيه أن يكون سرا حذرا من التشويش على المصلى اذ التشويش عليه حرام ولو بقراءة القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم : « الا ان كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة » .

السؤال من الحاج على درويش :

رجل طلق زوجته وأنجب منها بنتا ثم تزوجت هذه المرأة برجل آخر وأنجبت منه ولدا والرجل المطلق تزوج بأخرى وأنجب منها بنتا فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج بهذه البنت ؟

الجواب

نعم يجوز أن يتزوجها لأنها ليست أختا له لا من النسب ولا من الرضاع

السؤال من السيد سعد الدين احمد حسن غزال :

القاطن ٢٢ حارة البحر شارع جسر البحر بالساحل .

١ - عدم وجود البسملة فى أول سورة براءة .

٢ - رأى الدين فيمن يزاول التجارة الحرة بجانب عمله كموظف وبالأخص نظام البيع بالتقسيط مع زيادة طفيفة جدا على السعر المحدد للبيع نقدا حالا .

الجواب

أما عن الأول فنفيد بأنه روى عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما الذى

حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطوال فقال عثمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السورة ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شىء دعا بعض من كان يكتب فيقول عليه السلام ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال وظننت أنها منها وقبض النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها فى السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذى وقال الزجاج والشبه الذى بينهما ان فى الأنفال ذكر العهود وفى وفى براءة نقضها وقال محمد بن الحنفية قلت لأبى يعنى على بن أبى طالب لم لم تكتبوا فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال يابنى ان براءة نزلت بالسيف وأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ورحمة وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالبسملة وقال أبى بن كعب انها نزلت فى آخر القرآن وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر فى كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر فى براءة بذلك فضمت الى الأنفال لشبهها بها .

وأما عن الثانى فان البيع لأجل مع الزيادة يعتبر ربا ونصيحتى للسائل ألا يكون عمله فى التجارة مضيعة لعمله فى الحكومة والا كان الأجر الذى يأخذه من الحكومة حراما وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به ونصيحتى له أيضا ترك هذه الزيادة الطفيفة (كما يقول) تعاونا على البر والتقوى وتيسيرا على المعسر عملا بقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وأن الله سبحانه وتعالى يزيد فى ماله أضعاف أضعاف ما يحصله من الفائدة،

السؤال من السيد / ماهر لطيف

أثناء ثورة غضبى الشديد قمت بتمزيق المصحف الشريف ، ووضعت سورة يس تحت قدمى وأنا لم أقصد اهانة الدين الاسلامى الذى اعتنقته بعد أن هدانى الله الى الاسلام ـ رجاء قبول توبتى عن هذا الفعل غير المقصود .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فقد حضر السيد / ماهر لطيف اسحق الى مقر لجنة الفتوى بالأزهر وأعلن توبته عن فعلته المذكورة فى السؤال وقد قبلت منه اللجنة ذلك ونطق أمامها بالشهادتين ونصحته بألا يفعل مثل ذلك أبدا ، والله أعلم .

السؤال من السيد/صلاح محمود محمد سليمان :

توفى رجل عن زوجة ، أولاد أخ شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

والله ولى التوفيق .؟

محمد ابو شادى

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** جولة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر فى اسيوط والوادى الجديد :**

قام فضيلة الامام الأكبر الدكتـور عبد الحليم محمـــود شيخ الأزهر بجولة فى محافظتى أسيوط والوادى الجـديد ، فى الفترة من ١٣ الى ١٨ من صفر ١٣٩٥ هـ - ٢٤ من فبراير الى الأول من مارس ١٩٧٥ م ، وكان برفقته وفد من كبار علمـــاء الأزهر والمسئولين فيه •

واستقبلته الجماهير فى كل محافظة بحفـــاوة منقطعـة النظير ، وكان فى مقـدمة مسـتقبليه فى أسيوط السيد الوزير محمد عثمان اسماعيل محافظ أسيوط وكبار المسئولين فى المحافظة ، وفي الوادي الجديد السـيد المحافظ المهندس ابراهيـم شـكرى والسيد/ ابراهيم جابر القرش مدير الأمن العام وكبار المسئولين فى المحافظة •

وقـام فضيلته أثنـــاء جولتـه فى المحافظتين - بزيارة المنشآت الاسلامية والجامعات والمعاهد والمدارس وقصور الثقافة وجمعيـات الشبان المسـلمين ، وأماكن أخرى كثيرة •

وعقد فضيلته عددا من المؤتمـرات الشعبية والنسـائية وألقى سلسلة من المحـــاضرات فى مختلف القضـــايا الاسلامية والفكرية والاجتمـــاعية ، وطالب بتوسيع قاعدة التعليم الدينى ، والمحافظة على المظهر الاسلامى سلوكا وملبسا •

وكان لهذه الجولة المباركة نتائج طيبة فى كل من أسيوط والوادى الجديد .

فمن أهم النتائج فى اسيوط :

١ - العمل على استكمال منشآت جامعة الأزهر بالنسبة للكليات العملية والنظرية .

٢ - اعتماد السيد الوزير محمد عثمان اسماعيل محافظ أسوط مبلغ مائة ألف جنيه لانشاء عمارة سكنية لطلبة جامعة الأزهر تكون نواة لمدينة سكنية لطلبة هذه الجامعة .

٣ - حل مشاكل المبنى الجديد لمعهد الفتيات والعمل على اتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيق دعوة الامام الأكبر شيخ الأزهر بانشاء كلية للبنات الاسلامية فى أسيوط .

٤ - بحث مشاكل الدراسات العليا فى جامعة الأزهر بأسيوط .

٥ - تشكيل ثلاث لجان لمتابعة ما تم بحثه فى أسيوط والعمل على انجازه .

ومن أهم النتائج فى الوادى الجديد :

١ - البدء فورا فى انشاء مبنى جديد للمعهد الدينى بالوادى الجديد واعتماد المبالغ اللازمة لذلك .

٢ - اعتماد مبلغ ثلاثة آلاف جنيه اعانة لطلبة المعهد الدينى .

٣- اعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه لدعم جمعيات المحافظة على القرآن الكريم بالمحافظة .

٤ - حل مشاكل السكن والمواصلات بالنسبة لطلبة المعهد الدينى والأساتذة .

والواقع أن هذه الجولة قد تركت أثارا عظيمة فى نفوس الجماهير فى المحافظتين وستبقى على مدى التاريخ منهاجا يتأسى به أئمة الاسلام للالتقاء بالمسلمين فى كل مكان .

*** تعاون دينى وثقافى بين مصر ونيجيريا :**

بحث فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الازهر مع

الشيخ موسى هارون سفير نيجيريا بالقاهرة وسائل دعم التعاون الدينى والثقافى بين مصر ونيجيريا ، ومعادلة الشهادات الممنوحة من مركز التعليم العربى والاسلامى هناك بشهادات الازهر ، وقبول مجموعة من الرعايا النيجيريين للتدريب على الوعظ والارشاد بالازهر ، وتزويد معهد سكوتو بعدد من المدرسين الأزهريين وزيادة المنح المخصصة للطلبة النيجيريين بالأزهر •

*** تكوين لجنة استشارية بمكتب الامام الاكبر شيخ الازهر :**

أصدر فضيلة الامام الاكبرالدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر قرارا بتشكيل لجنة استشاريةلشئون الاذاعة المرئية برياسة فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الازهر وتختص هذه اللجنة بما يلى :

١ ـ التخطيط والمتابعة لبرامج المواد الدينية •

٢ ـ اقتراح المواد والبرامج ونقدها •

٣ ـ ترشيح الشخصيات التى تكلف بتحضير هذه المواد والبرامج •

وتضم هذه اللجنة ممثلين لمجمع البحوث الاسلامية ومكتب فضيلة الامام الاكبر وهيئة التليفزيون وبعض الكتاب •

*** المجمع الاسلامى بالمطرية :**

أرسى حجر الأساس للمجمع الاسلامى الكبير الذى تقيمه جمعية الأنوار المحمدية الاسلامية فى ميدان المطرية بالقاهرة •

وتبلغ المساحة التى سيقام عليها هذا المجمع الاسلامى ٣٥٠٠ متر ، ويضم المجمع مسجدا وقاعة خاصة للسيدات ومدرسة لتحفيظ القرآن ومدرسة لمحو الأمية ومكتبة ومستوصفا للعلاج وقاعة للمناسبات وتبلغ تكاليفه ٣٥٠ ألف جنيه •

*** مركز اسلامى فى اليابان :**

تم افتتاح مقر مؤقت للمركز الاسلامى فى اليابان على مقربة من مسجد طوكيو وتبرع كثير من المسلمين والهيئات الاسلامية بمبالغ كبيرة لاقامة هذا المركز ، منهم سمو الامير أحمد ابن عبد العزيز وكيل امارة مكة المكرمة الذى تبرع بمبلغ ثلاثة آلاف دولار ،، ووزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت التى تبرعت بسبعة آلاف وأربعمائة وتسعة وأربعين جنيها استرلينيا ، والمهندس اليابانى ابراهيم باشتا الذى تبرع بثلاث مائة وخمسين دولارا .

كما تلقى المركز ايضا تبرعات من سفارة قطر فى طوكيو وأبدى أحد الاغنياء فى اليابان استعداده للتبرع بقطعة أرض لاقامة مبنى المركز عليها .

ويقوم المركز الآن بنشاط كبير فى اليابان لنشر الدعوة الاسلامية وتعليم اللغة العربية وفتح فصول لها وترجمة كثير من الكتب العربية التى تتناول مفاهيم الاسلام وأصوله الى اللغة اليابانية .

*** ٤٠٠ منحة للدراسة بالأزهر :**

تقرر تخصيص ٤٠٠ منحة للدراسة بالأزهر من مختلف الدول خلال العام القادم ، وذلك بالنسبة للجامعة والمعاهد الأزهرية ، ويحصل الطالب فى الدراسات العليا على ١٥ جنيها وفى الكليات على ١٢ جنيها ، وفى المعاهد على ١٠ جنيهات .

*** مجلة الأزهر :**

طلب التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة المصرية الاشتراك فى مجلة الأزهر بكمية تبلغ ٣٠٠٠ نسخة فى العدد، وتم تلبية هذا الطلب مع اجراء خصم من المجلة واتخذت ادارة المجلة جميع الاجراءات اللازمة لذلك .

*** فقيد العلم :**

فقد الأزهر فى الأشهر الماضية عالما من علمائه الاجلاء وأستاذا من

أساتذة الجيل ، خدم العلم والدين ، وتتلمذ عليه الكثير من أبناء الأزهـر الشريف هو العالم المحدث الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال ، أستاذ الحـديث النبوى ، بالمعهد العـالى للدراسات الاسلامية وعميد معهد دمياط سابقا .

وقد وافاه أجله وهو قائم يصـلى بين يدى الله فى الجامع الأزهر .

رحمه الله . واكرم مثواه .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٠٠٢-١٩٧٥-٣٤٠١١

The wise and the men of opinion went to the Caliph and blamed him and then he apologized. They became more displeased and angry when he dismissed the men whom Omar had appointed during his reign and replaced others of his relatives.

A group from Egypt and another from Iraq came to Medina to meet the Caliph and to declare their disapproval to his vice's regime and to claim justice and dismissing that vice. Othman felt the danger and answered their claims. When the members of the Egyptian mission were on their way home they saw a cavalier whom they suspected. When they arrested him they found a secret message sent to the Caliph's vice to kill them. They returned with the messenger to Medina where they met Ohman and presented him the proof of accusation. He denied his knowledge of the message and after inquiries they found that the Caliph's cousin Marwan Ebn El Hakam wrote that message without Othman's knowledge and so it was a surrepted one.

Those men were not convinced with what they had found. They decided to surround Othman's house to surrender and that lasted for about fifty days.

Some of the Prophet's friends and followers guarded the Caliph to defend him against the attackers.

As there was no definite result, one of the attackers stole a way to the house and gave Othman a blow with an iron bar that made him fell down.

Then a violent clash broke out between the two bodies of both sides in which the Caliph's wife cut her finger during her husband's defence. At the end the house was captured by the mob.

Othman died on the 35th year of Higra at the age of 80. The people of Medina delayed much in the defence of their Caliph and did not hurry for his help and so he was killed. Had his cousin Marwan Ebn El Hakam not sent that awful message, Othman would have been saved. This accident had great effect on Islam. It caused civil war among the Arabs because he died by a wicked way.

Those who knew Othman described him the good, the merciful, the generous and the pitiful man.

His reign lasted for 12 years.

During his reign the Arab troops proceeded to new lands such as Cyprus, Africa, Armenia and Tabarastan. In Persia there were troubles and so strict measures had to be carried out for peace to prevail. In the south of Egypt, the Muslim army advanced from Nuba to Kordofan and made them Arab regions.

A horrible battle broke out near Alexandria between the Roman Navy under the commandry of king Constantin and the Arab Navy under the commandry of Abdullah Ebn Saad. In this fierce clash 1000 ships took part in the battle which is historically known by the battle of the masts owing to their uncountable number. The Arab Navy which consisted of 200 ships only conquered the Roman Navy. The Arab warriors proved to be victorious on the sea as well as on the land in spite of the increasing number of ships and naval warriors of the Romans.

Othman the Caliph had the favour to be the first man who wrote many copies of the Quran and distributed them among the state regions. He did this great useful work when he observed that many of the Quran, readers those who recited it by heart, were killed during the new invasions that took place eastward and westward. The copies named after Othman are the original ones of the printed Quran used nowadays and kept it correct free from mispelling up to the present. He learned it at the hands of the Prophet. He read it and recited it correctly every day.

He was a ruler of a country that was gradually extending in a transition period that needed diplomacy and good policy. The different types of life in the invaded regions affected the Arabs life and so they shifted from simplicity to a better life they did not know or hear about before. In these regions there were wealth and treasure and Othman found it suitable to give the people a share in the new wealth and there was no need to keep the people poor or needy. His policy was excellent but it did not satisfy some of those fanatics who became angry with him because they were to see the old habits and tradition preserved and followed as before. As some amusements spread in Medina as a result of this new life, the Caliph banished those who managed them.

These groups and Koreish also were displeased and dissatisfied with the preference of Othman to his relatives, for instance, he let his uncle El Hakam Ebn Elas who was banished return to Medina. When this uncle died, Othman appointed his son El Hareth Ebn El Hakam a principal to the city market. This man behaved badly and as a result gained much money. What was worse is the appointment of Othman's cousin Marwan Ebn El Hakam a minister and a counsellor.

Also Othman had the favour to buy a piece of land and offered it to the Prophet to widen the mosque of Medina.

Not only did Othman spend his money in the service of Islam and Muslims, but also he was ready to take part in the invasion of Badr but the illness of his wife Roukaia made him retire to nurse her at the permission of the Prophet. This wife died in the second year of Higra.

As Othman was an excelent helper to Islam and as the Prophet trusted him much, so he made him his ambassador to negotiate Koreish to let the Prophet and the Muslims go to Mecca for pilgrimage because Koreish prevented them from doing the Omra the year before. This embassy was in the sixth year of Higra. When Othman went to Mecca, there was a rumour that he was killed. It appeared afterwards that the rumour was false.

In addition to the previous help, Othman provided the Muslim army in the invasion of Tabouk with 900 camels, 50 horses and a large sum of money because they were in great need of such help.

As Othman was one of the writers of revelation, the first Chaliph Abu Bakr made him his secretary and always consulted him in the serious matters of the state. Abu Bakr dictated Othman his will before his death in which he advised the Muslims to elect Omar his successor.

When Omar was stabbed, the wise men begged Omar to tell them who would be his successor. Omar mentioned some names and among them was Othman.

After Omar's death, the commanders of the warriors, the nobles, the wise men, the followers and others held a meeting in which they agreed to elect Othman as Caliph.

After the election as Caliph he made a speech in which he spoke about those who had lived before and left this worldly life to enjoy better eternal life in paradise and about those who were martyred for the sake of God who would be rewarded for their sacrifice. He urged the people to follow such examples of good men. He also said; "Be kind to each other, be friendly and amiable, be always men of firm creed, follow precisely the instructions of Islam".

Then he sent letters to every vice-Caliph, to the warriors, commanders to the tax - Collectors, to their supériors and all Muslims in the different regions of the country telling them to do good and be good, to avoid evils and tyranny, to be kind to all the people either Muslims, or non-Muslims. He advised the tax - collectors to follow justice and honesty in their work.

PERSONAGES OF ISLAM :

3—UTHMAN IBN AFFAN (*)

By

AHMED MUHAMMAD EL-ASWAR

He is the third Caliph and the son-in-law to the prophet Muhammad because he married his two daughters, Rokia and Om Kolthoum ; when the first one died, he married the second.

Othman was born in the 6th year after the year of the elephant. He was brought up as any boy of Koreish noble families. When he grew up he practiced commerce and gained a lot of money. He became a Muslim at the age of twenty.

He was a decent fellow of good characters and so the Prophet loved him and made him an intimate friend. As he trusted him, he let him marry his daughter Rokia and when she died he married her sister Om Kolthoum. The Prophet prophecised him that he would be in his company in paradise.

When the Muslims faced troture and hardships at the hands of the pagan Koreisheans they went to Abyssinia and among them were Othman and his wife Rokia where they found refuge and welcome. Although this migration caused him great loss of money as he left his work, but he accepted that willingly. He returned home when the Koreisheans became less fanatics and more tolerate.

He migrated to Medina after the Prophet had gone there. It happened that the Muslims faced a terrible position because of water shortage which they were in great need of. There was only one well whose owner was a jew. He used to sell the water to the Muslims. When the Prophet urged them to buy that well Othman went to that jew and after a bargain he accepted to sell half of it for a great sum of money. Then Othman let his share in the well free for the Muslims and caused the jew a loss. So he hastened to Othman to tell him that he wished to sell his share and Othman accepted to buy the second half for another great sum of money and made all the well free.

(*) The views expressed in the article are those of the contributor.

fruits and forgiveness (maghfira) from their Lord" (47 : 15). Maghfira is therefore one of the blessings which the righteous shall enjoy in Paradise, and therefore a Divine help in the onward progress of man therein.

Another misunderstood word is 'dhanb' which is generally translated as meaning sin; but dhanb is also a word with a very wide significance. According to one authority, dhanb is originally taking the tail of a thing, and it is implited to every act the consequence of which is disagreeable or unwholesome. According to another, it means either a sin, or a crime of a fault and it is said to differ from 'ithm' in being either intentional or committed through inadvertence, whereas ithm is definitely intentional. Dhanb is therefore as much applicable to sins due to perversity as to shortcomings resulting from inadvertence. Now in the case of these latter, there is a vast difference between the righteous man and the sinner. A righteous man, without in the least departing from the course of reighteousness, would always feel that he had fallen short in doing some good to humanity or in donig his duty to God ; and thus, even though he is engaged in doing some good, he feels that there is something lacking in him. But between the shortcoming of such a one and that of the sinner is a world of difference. The sinner's shortcoming or dhanb is that he has set himself against the will of God deliberately and done evil, while the righeous man's shortcoming lies in the fact that he is not satisfied that he has done all good that it was in his power to do.

Another word which requires to be explained in this connection is khat'a or khata'. This word has too a wide significance. According to Raghib when a man intends the doing of a good thing but he happens to do instead something which he never intended, that is also khatia' (mistake). According to another authority, the difference between khati'a (mistake) and ithm (sin) is that in the latter there is intention, which is not necessary in the former. When the mujtahid (one who exercises his reasoning faculty) does not arrive at a right conclusion and makes a khata' (mistake) in his judgement, he is still said to merit a reward, since his intention was good. Hence the word khati'a or khata' does not necessarily imply sin.

a fifth is said to be worthy of regard and one of those who are near to God ; and many of them including the Holy Prophet Muhammad, are described as being Amin, which means one who is completely faithful to God. The Holy Quran, therefore, leaves not the least doubt as to the sinlessness of the prophets.

There are however certain words which have been misunderstood by some critics, who have straightway rushed to the erroneous conclusion that the Holy Quran gives no support to the doctrine of the sinlessness of prophets. The most important of these words is 'istighfar' which is generally taken as meaning asking for forgiveness of sins. It carries, however, a wider significance, being derived from the root ghafr which means the covering of a thing with that which will protect it from dirt. Hence 'istighfar' means only the seeking of a covering or protection and therefore seeking of protection from sin is as much a meaning of istighfar as the seeking of protection from the punishment of sin.

Qastalani, in his commentary on Bukhari, makes this quite clear, and adds that ghafr means sitr or covering, which is either between man and his sin or between sin and its punishment (Qs. I, p.85). When it is established that, according to the plain teachings of the Holy Quran, the prophets are sinless, itstighfar can, in their case, only be taken as meaning the seeking of protection from the sins to which man is liable. The istighfar of the prophets, therefore, means only their flying for protection to God, for it is through Divine protection alone that they can remain sinless. Hence the Holy Prophet is spoken of in a hadith as doing istighfar a hundred times a day ; that is to say, he was every moment flying for protection to God, and praying to Him, that he may not go against His will. Istighfar or the prayer for ghafr (protection) is in fact a prayer for Divine help in the advancement to higher and higher stages of spiritual perfection. Thus, even those who have been admitted into Paradise, are described as praying to God, for His ghafr : "Our Lord : make perfect for us our light and grant us protection (ighfir), for Thou hast power over all things" (66:8). The ordinary rendering is "forgive us". but forgiveness, in the narrow sense of pardoning sins, is meaningless here, because non can be admitted into Paradise unless his sins are pardoned. Gahfr or forgiveness, therefore, stands here for Divine help in the spiritual advancemnt of man, which will continue even after death. On another occasion, maghfira, which is the same as ghafr, is described as a blessing of Paradise : "For them therin are all kinds of

works of the Prophet, as mentioned several times in the Holy Quran, are stated thus: "We have sent an Apostle to you from among you who recites to you Our communications and purifies you and teaches you the Book and the wisdom" (2 : 151, etc). The Arabic word for purifying is yuzakki which is derived from zaka, originally meaning, according to Raghib, the progress attained by Divine blessing (i.e. by the development of the faculties placed by God within man), and relates to the affairs of this world as well as the hereafter, that is to say, to man's physical as well as spiritual advancement. The prophet's message of purification, thereore, signifies not only purification from sin but alo man's setting forth on the road to physical and moral advancement. All these references to the Holy Book show that the object of sending the prophets was no other than the upliftment of man, to enable him to subjugate his animal passions, to inspire him with nobler and higher sentiments, and to imbue him with Divine morals.

The very object of raising up of prophets makes it clear that the men who are commissioned for his high office must themselves be free from the bondage sin, and more than that, the possessors of high morals.

The doctrine of the sinlessness of the prophets has therefore always been admitted principle among Muslims. Christian writers on Islam, however, have laboured to show this doctrine is opposed to the Holy Quran, but nothing could be further from the truth. The Quran not only speaks of individual prophets in terms of the highest praise, but also lays down clearly in general terms that the prophets cannot go, either in word or in deed, against any commandment of God: "And We did not send before thee any apostle but We revealed to him that there is no God but Me, therefore serve Me. And they say, The Beneficent God has taken to Himself a son. Glory be to Him. Nay; they are honoured servants; they do not preced Him in speech and only according to His commandment do they act" (21 : 25-27). And elsewhere it is said : "It is not attributable to a prophet that he should act unfaithfully" (3 : 160). These two verses set out in general words the principle of the sinlessness of prophets, while it has already been shoen how each individual prophet has been spoken of in terms of the highest praise ; one is called a siddiq i.e. one who never told a lie) ; another is said to have been purified by God's hand and to be brought up in the Divine presence ; a third is described as being one in whom God was well pleased, a fourth is mentioned as having been granted purity and as one who guarded against evil and never disobeyed ;

different" (Bu. 60 : 38). Every prophet may have some special characteristic of his own, but, generally, what is said of one in the Holy Quran, of his high morals or sublime character or noble teachings or trust in God, is true of all. Thus of Abraham we are told that he was "a truthful man" (19 : 41) ; of Moses that he was "one purified" (19 : 51), or that he was "brought up before My eyes" (20 : 39) ; of Ishmael that he was "truthful in promise" or "one in whom his Lord was well pleased" (19 : 54, 55) ; of Noah, Hud, Salif and Lot that they were "faithful" (26 : 107, 125, 143, 162) ; of Jesus that he was "worthy of regard in this world and the hereafter, and one of those who are near to God" (3 : 44); of John the Baptist that "We granted him wisdom... and tenderness from Us and purity and he was one who guarded against evil, and dutiful to his parents and he was not insolent, disobedient" (19 : 12-14), or that he was "honourable and chaste" (3 : 38). It is the gravest mistake to think that the high qualities attributed to one prophet may be wanting in others. The prophets are all one community ; they were all raised up for one purpose ; the teachings of all were essentially the same, they were all truthful, all faithful, all worthy of regard, all were made near to God, all were pure, all of them guarded against evil, all were honourable and chaste, and none of them was insolent or disobedient to God.

The prophets are raised up for the upliftment of the humanity and for freeing men from the bondage of sin. It has been shown in the last chapter that Divine revelation was needed to enable man to subdue the devil, who would, otherwise, be a great hindrance in his moral and spiritual progress. Man was commanded to live in a spiritual paradise, but since he was unable to withstand the temperations of the Devil, the Divine revelation came to his aid ; and a rule for all time was laid down for the guidance of all ; "There will come to you a guidance from Me, then whoever follows My guidance, no fear shall come upon them, nor shall they grieve" (2 : 38). The negation of fear refers to the fear of the devil's temptation, as a remedy against which Divine revelation was first granted to man. Again, every prophet brings the message of the Unity of God, and the significance underlying this message has already been shown (to be the all round advancement of man, physical as well as spiritual and moral. And every Prophet is called a mubashir (giver of good news) and mundhir (warner) (2 : 213)) ; the good news relating to his advancement and elevation, the warning to the retarding of or interference with his progress. Moreover, the four

statement that Islam, or belief in all the prophets of God, is the only religion with God, and whosoever desires a religion other than Islam — a belief only in one prophet while rejecting all others, it shall not be accepted from him, because belief in one prophet is after all only acceptance of partial truth, and tantamount to the rejection of the whole truth, to wit, that there have been prophets in every nation.

Muhammad (peace be upon him), therefore, does not only claim to have sent to the whole world, to be a warner to all people and a mercy to all nations, but lays the foundations of a world-religion, by making a belief in the prophet of every nation the basic principle of his faith. It is the only principle on which the whole of humanity can agree, the only basis of equal treatment for all nations. The idea of a world-prophet is not a stray idea met with in the Quran : it is not based simply on one or two passages, stating that he had been raised up for the regeneration of all nations; but the idea is here developed at lenght, and all the principles which can form the basis of a world -religion are fully enunicated. The whole humanity is declared to be one nation (2 : 213) ; God is said to be the Rabb (the Nourisher unto perfection) of all nations (1:1) ; prophets are declared to have been raised up in all the nations for their upliftment (35 : 24) all prejudices of colour, race and language are demolished 30 : 22, 49 : 13); and a vast brotherhood, extending over the world, has been established, every member of which is bound to accept the prophets of all nations and to treat all nations equally. Thus not only is the Prophet Muhammad a world-prophet who takes the place of the national prophets, but he has also established a world-religion wherein the idea of nationality is superseded by the conciousness of the unity of the human race.

All prophets, being from God, are as it were brothers. This doctrine of the brotherhood of all prophets is not only taught in the interdiction against making distinction between the prophets of God, as stated above, but si laid down in the plainest words in both the Holy Quran and Hadith. Thus, after speaking of various prophets, in the chapter entitled prophets, we are told : "Surely this is your community, a single community" (21 : 92). And again : "O apostles ! eat of the good things and do good ; surely I know what you do. And surely this is your community is one community and I am your Lord" (23 : 51, 52). Hadith also tells us that all prophets are as brothers: "The prophets are, as it were, brothers on the mother's side, their affair one and their followers are

lieving in him, is laid down in clear words. I quote the whole passage :

"And when Allah made a covenant through the prophets ; Certainly what I have given you of book and wisdom — then in apostle comes to you verifying that which is with you, you must believe in him, and you must aid him. He said, Do you affirm and accept My compact in this matter ? They said, We do affirm. He said then bear witness, and I too am the bearers of witness with you. Whoever then turns back after this, these it is that are the transgressors. It is then other than Allah's religion that they seek to follow, and to Him submits (aslama) whoever is in the heavens and the earth Willingly or unwillingly, and to Him shall they be returned Say : We believe in Allah and what has been revealed to us, and what was revealed to Abraham and Ishmeal and Isaec and Jacob and the tribes, and what was given to Moses and Jesus and to the prophets from their Lord; we do not make any distinciton between any of them, and to Him do we submit. And whoever desires a religion other than Islam, it shall not be accepted from him, and in the hereafter he shall be one of the losers" (3:80-84).

That a world-prophet is spoken of here is evident from the fact that his acceptance — "you must believe in him and you must aid him" — is made obligatory on the followers of al the prophets that had passed away before him. As prophets had been sent, according to the plain teachings of the Holy Quran, to every nation, the conclusion is obvious that the followers of every prophet are required to believe in this, the final Prophet. The distinguishing feature of the world-prophet as mentioned here is that he will "verify that which is with you ;" in other words, that he will bear testimony to truth of all prophets of the world. You may turn the pages of all the sacred books and search the secred history of every nation, and you will find that there is but One Prophet who verified the scriptures of all religions and bore testimony to the truth of the prophets of every nation. In fact, no one could aspire to the dignity of world-prophet who did not treat the whole humanity as one ; and Muhammad is the only man who did so by declaring that Prophets of God had appeared in every nation and that every one who believed in him must also believe in all the peophets of the world. Hence it is that the verse requiring a belief in all the prophets of God —a belief in Abraham, in Ishmael, in Isaac, in Jacob, in Moses, in Jesus, and finally and comprehensively in the prophets, — which occurs several times in the Holy Quran, is repeated here again, and followed by the plain

THE WORLD PROPHET AND THE WORLD RELIGION

By

MOULANA MUHAMMAD ALI

The idea of the world-prophet is not based on a solitary passage occuring in the Holy Quran, as to the extent of the mission of this or that prophet ; but is a fully developed Divine scheme. When mentioning the earlier prophets, the Quran says that Noah was sent "to his people" (7:59, 71:1), and so Hud (7:65), and Salih (7:73), and Shu'aib (7 : 85) — everyone of them was sent to his people. It speaks of Moses as being commanded to "bring forth thy people from darkness into light" (14:5) ; it speaks of Jesus as "an apostle to the children of Israel" (3:48) ; but in speaking of the Holy Prophet Muhammad, it says in unequivocal words that "We have not sent thee but to all men as a bearer of good news and as a warner" (34 : 28).The Arabic words for all men are kaffat-an lil-nas, where even al-nas carries the idea of all people, and the addition of kaffa is meant to emphasize further that not a single nation was excluded from the heavenly ministration of the Prophet Muhammad. On another occasion, also, the universality of the Prophet's mission is thus stressed : "Say, O people ! I am the Apostle of Allah to you all, of Him Whose is the kingdom of the heavens and the earth" (7:158). One thing is sure that no other prophet is spoken of either in the Holy Quran or in any other scripture as having been sent to the whole of humanity or to all people or all nations, nor is the Holy Prophet Muhammad ever spoken of in the Holy Quran as having been sent to his people only. It is, no doubt, true that he is commanded to warn "a people whose fathers were not warned" (36 : 1). but that does not mean that he was not to warn others than Arabs, for in 25 : 1, he is expressly described as being "a warner to all the nations". Nay, the Holy Quran itself is repeatedly termed "a reminder for the nations" (68 ; 52, 81 : 27, 38 ; 87, 12 : 104). And he is not only a warner to all nltions, but a mercy to all of them as well : "And We have not sent thee but as a mercy to all the nations" (21 : 107).

The idea that a world-prophet must follow the national prophets is further developed in the Holy Quran. It is in a Medina revelation, that the whole proposition, the appearance of a world-prophet, the distinguishing feature of his religion and the necessity for be-

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ». (النساء : ٣٢)

It means : "And covet not the thing in which Allah hath made some of you excel others. Unto men a fortune from that which they have earned, and unto women a fortune from that which they have earned, but ask Allah of His bounty. Lo Allah is the Knower of all things" (4 : 32). Islam gives the woman the right to inherit in several cases ; as a daughter, as a mother, as a sister, as a wife etc.

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ». (النساء :٧)

It means : "Unto the men (of a family) belongeth a share of that which parents and near kindred leave, and unto the women a share of that which parents and near kindred leaveth, whether it be little or much — a legal share" (4:7). Islam does not stop at this point but gives her the right to manage civil contracts of buying and selling, allows her to appoint somebody to represent her in what she owns and to represent others in what they own, permits her to guarantee others and be guaranteed by them, in the same way as man. The Quran tresses the importance of the mutual nice company and fulfilling matrimonial obligations in order to strengthen family ties and prevent its slackening. The degree to which woman has been elevated by Islam is clear from an eminent law devised by the Quran, so as to be a solid basis for a sound family life, through this short verse :

«...ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. » (البقرة:٢٢٨)

It means : "... And they women have rights similar to those (of men) over them in kindness, and men have a degree above them. Allah is Mighty, wise" (2 ; 2:8).

It means : "And it becometh not a believing man or a believing woman, when Allah and His messenger have decided an affair (for them), that they should (after that) claim any say in their affair ; and who so is disobedient to Allah and His messenger, he verily goeth astray in error manifest" (33 : 36),

«وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم .» (التوبة : ٧٢)

It means : "Allah promiseth to the believers, men and women, Gardens underneath which rivers flow, wherein they will abide blessed dwellings in Gardens of Eden. And — greater (far) ! — acceptance from Allah. That is the supreme triumph" (9 : 72),

« من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئـك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . » (غافر : ٤٠)

It means : "Whoso doeth an ill deed, he will be repaid, the like thereof, while whoso doeth right, whether male or female, and is a believer, (all) such will enter the garden, where they will be nourished without stint" (40 : 40).

These are general verses that impose laws of God on both parties equaly. But the Quran puts more responsibilities on the man in the maintenance and the guidance of his family, as the Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ...» (التحريم : ٦)

It means : "Oh ye who believe ! Ward off from yourselves and your families the Hell fire..." (66 : 6).

The word 'family' means wife and offspring, male and female. If the protection of one's family from Hell in the Hereafter is a duty, a thing which cannot be done without the teaching and the guidance to the rights and obligations. So it is the duty of the believers to teach themselves and their families everything necessary for their happiness in this world and the Hereafter. The Quran gives the woman equal right for learning, for free expression of opinion, the full right to possess and manage her own property, and the man is forbidden to touch anything she owns without her permission and agreement. The Holy Quran says :

« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونـه بهتانا واثما مبينا .» (النساء : ٢٠)

It means : "And if ye wish to exchange one wife for another and ye have given unto one of them a some of money however great, take nothing from it. Would ye take it by the way of calumny and open wrong ? (4 : 20), and

What she had predicted did happen. The Holy Quran says : "

« وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » (النمل : ٣٥)

It means : "But lo ; I am going to sent a present unto them, and to see with what (answer) the messengers return" (27 : 35). When the Queen's ambassadors offered their present Soliman, the Messenger said :

« فلما جاء سليمان قال اتمدونني بمال ما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون» (النمل : ٣٦)

It means ; "So when (the envoy) came unto Soliman, (he) said : What ! would ye help me with wealth ? But that which Allah hath given me is better than that which He hath given you. Nay it is ye (and not I) who exult in your gift" (27 : 36). The Quran referred to the ability of woman to manage matters of good quality on a good basis without sticking to one opinion, by relating the way in which Saba' handled the matter when she received a note from Soliman. The Quran says :

« قالت يايها الملؤا افتوني فى امرى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدين • قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تامرين. قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون » . (النمل : ٣٢ — ٣٤) .

It means : "She said : Oh Chieftains ! Prononunce for in my case. I decide no case till ye are present with me. They said : We are lords of might and lords of great prowess, but it is for thee ; so consider what thou wilt command. She said : Lo ! Kings, when they enter a township, ruin it and make the noblest of its people meanest. Thus will they do" (27 : 23-34).

We can find here a proof of sound judgement and ability to go deep into the bottom of souls. She is not deceived by what her followers show off self esteem, strength and courage in speech. She could conceive that their attitude is the attitude of a promoter to his followers to satisfy their desires without apprehension for facts or willingness to give guidance and advice.

Now let us have a glance at the relations between the man and the woman. Quran puts the man and the woman on equal level in their responsibility before God. The Quran states no difference between people whether male or female. Each is compensated according to his deeds ; good for good and evil for evil. This principle is clearly seen in the folowing Quranic verses :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (الاحزاب :٣٦)

Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread abroad a multitude of men and women. Be careful of your duty toward Allah in Whom ye claim (your rights) of one another, and toward the wombs (that bare you). Lo ! Allah hath been a watcher, over you". (4 : 1)

In this verse the Quran speaks about the partnership of the man and the woman in the making of the origin of mankind. This partnership is regarded by the Quran a blessnig for which man should be pious and watchful.

The Quran preserves in the history of the woman and her attitudes towards her problems, and her capability for the grant and readiness for the offer. Recording for her depth of insight in clarifying truths, and management of matters, let us quote here the following two examples :

a) The story of Shoeb's daughter. The Quran says :

« قالت احداهما يا أبت استاجره ان خير من استاجرت القوى الأمين » (القصص : ٢٦)

It means : "One of the two women said : O my father ! Hire him ! For the best (man) that thou canst hire is the strong, the trustworthy" (28 ; 26).

In this verse the strength of her insight is recorded. Honesty is one of the internal qualities which could be grasped only through long life and various experiences. It is not to be grasped in one meeting or by one glimps. Shoeb's daughter had not seen Moses except when he came to Madian's waterplace and found a crowd of people watering their flocks and found her with sister struggling to find a place, he said :

«...قال ماخطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل ...» (القصص : ٢٣ – ٢٤)

It means : "...... He said : What aileth you ? The two said : We cannot give (our flocks) to drink till the shepherds return from the water ; and our father is a very old man. So he watered (their flock) for them. Then he turned aside into the shade..." (28 : 23-24).

The secrets of the deepest soul could not be known to a person by this bit of insight unless he has the strength of insight which Shoeb's daughter had.

b) The reference to the Queen of Saba'a. It is related that the Queen said : If he (Soliman, peace be upon him) is a true Messenger, he will not accept our present from preaching the message of God. But if he is not, he will rejoice in the present which will dazzle him and consequently avoid fighting us.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FUDA

RABI THANI 1395	ENGLISH SECTION	MAY 1975

THE STATUS OF WOMAN IN ISLAM

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

There are various talks and writings about the status of woman in Islam. Some of them hold the opinion that Islam degrades the woman, offers her a lesser fortune in life and empowers the man to marry her or divorce her when it pleases him. Some others deal with the high status of woman in Islamic legislations. There are also long talks and writings about one or two aspects in which Islam has dealt with the case of the woman i.e. polygamy, divorce, inheritence.

If we refer to the Quran, which is the supreme source of the Islamic legislations and the true guidance in these matters, we find that Islam places the woman in a place of honour, and introduces legislations, which highly cultured woman in any high standard society, would never dream of anything like to place her so highly. Only the Quran itself can illustrate to people how Islam cares for the woman. It is the arbitrator in this subject.

It is impossible to assimilate here everything said in the Quran about woman. The Quran deals with the case of the woman in more than ten 'Surahs' (chapters). But the following set of subjects dealt with in the Quran about the woman may be a guide line to see the truth in many aspects in which Islam has dealt with the status of the woman.

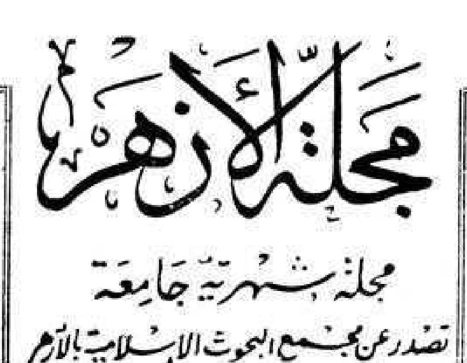
Original Partnership

The Holy Quran says :

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونســاءا واتقوا الله الذى تســاءلون به
والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . (النساء:١)

It means : "O mankind ! Be careful of your duty to your Lord

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة السابعة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٥هـ — يونيه سنة ١٩٧٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

فوق الشك والتهم

للأستاذ عبد الرحيم فودة

انها قدرة الله ، لا يتصور معها عجز ، ولا يستحيل عليها أمر ، ولا يستبعد أمامها بعيد ، فانه جل شأنه : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » .

ولا شك أن الايمان به على الوجه الكامل السليم يدخل فى مفهومه الاذعان له ، والتصديق بكل ما أخبر به أو صدر عنه ، واليقين بأن كل ما يخبر به ويصدر عنه حق وصدق سواء ساغ فى العقل أمره أو غاب عنه سره ، فان العقل مع ما وصل اليه من تقدم فى مختلف ألوان العلوم لم يستطع حتى الآن أن يفسر حقيقة الحياة فى الخلية الحية ، ولا سر الروح فى الانسان الحى ، ولا كنه الجاذبية التى تمسكنا بالأرض . أو تمسك الكواكب بعضها مع بعض ، ولا يزال شأن الانسان وشأن عقله

وعلمه كما يقول الله : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ، وكما يقول : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » بل ان كل ما وصل اليه الانسان بعقله وعلمه من حقائق الكون وقوانين الطبيعة لا يعدو مجرد الكشف والوصف ، فليس له يد فيما خلق الله بالأرض التي تقله والسماء التي تظله ، ولا فيما بين الأرض والسماء من كواكب وكائنات لا تقع تحت حصر أو احصاء ، وقد نبه القرآن الى ذلك حيث يقول الله فيه . « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » ، وحيث يقول : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ..

وقد كان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى بالقدس عملا من أعمال الله ، كما يصرح به قوله جل شأنه : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » ، فكان طبيعيا أن يثير نبأ هذا الحدث الدهشة والاستغراب والانكار في وسط الشرك والافك والضلال والوثنية ، وأن يتلقاه بالتصديق المؤمنون بالله وبقدرته التي لا تعجز ، وبرسوله الصادق الذي لم يتهم بكذب من أحد قبل الاسلام ، بل لم يتهم بكذب من أعدائه في غير ما تلقاه عن الله كما يفهم من قوله له : « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

ويظهر ذلك فيما ظهر من أبي جهل لعنه الله وأبي بكر رضي الله عنه فقد وجد الأول في هذا النبأ فرصة اهتبلها للتشهير بالنبي صلى الله عليه وسلم وصرف الناس عنه ، واثارة اللغط والعواصف من حوله ، أما أبو بكر رضي الله عنه فتلقاه بما عرف عنه من تصديق وثيق ، وايمان عميق ، اذ قال لمن خفوا اليه وحدثوه به : لئن قال ذلك لقد صدق ، ولما قيل له : فتصدقه في أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح .. ؟! قال : نعم ، اني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء يأتي اليه في غدوة أو روحة ...

وقد مثل كل منهما الموقف الصريح من الأسـلام ، فكان الأول صوت المعارضين الناهضين ، وكان الثانى صوت المؤمنين الصادقين ، ولم يكن الخلاف حول الاسراء بالروح دون الجسد ، أو حول رؤيا منامية عرضت للنبى صلى الله عليه وسلم كما تعرض لغيره ، فانه بهذا المعنى أو ذاك شىء لا يستغرب ولا يستبعد ولا تقـام له ضجة ولا يثار من حوله غبار ، وانما كان الخلاف حول الاسراء بالجسد والروح معا ، فقوبل من الكافرين بالانكار ، ومن المؤمنين بالتصديق ، أولئك رأوا فيه عملا بشريا لايتصوره العقل ، وهؤلاء رأوا فيه عملا الهيا يتصوره العقل ، ويؤمن به ، ويذعن له . وان خفى عليه أمره أو غاب عنه سره ...

ومن ثم نرى فى تفسير الاسراء بأنه اسراء بالروح ليسوغ عند العقل فهمه بعدا عن منطق الواقع والحق والايمان ، وقربا من منطق أبى جهل ومن شايعه على الكفر والبهتان ، ورحم الله شوقى اذ علق على الاسراء والمعراج بقوله فى نهج البردة :

مشيئة الخالق البارى وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

وقوله فى الهمزية .

يتساءلون وأنت أطهر هيكل
بالروح أم الهيكل الاسراء

بهما سموت مطهرا وكلاهما
نور وروحانية وبهاء

فضل عليك لذى الجلال ومنة
والله يفعل ما يرى ويشاء

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ...

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

آية الله فى أصحاب الكهف والرقيم
هل يوجد كهفهم بالأردن ؟

للأستاذ مصطفى المدينى الطير

قال الله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا »
(سورة الكهف)

المقال الثانى

تحدثنا فى المقال السابق عن العهد الذى نشأ فيه أصحاب الكهف ، وعن العهد الذى بعثوا فيه بعد رقودهم ثلثمائة وتسع سنين ، وحققنا ما أخطأ فيه الكاتبون فى هذا الصدد ، وذكرنا أن قصتهم من بدايتها الى نهايتها كانت فى العهد المسيحى ، وأوضحنا ما فى قصتهم من آيات الله لقوم كانوا ينكرون البعث ويعبدون الأصنام ويغلبون المؤمنين على أمرهم فى عهد بعثهم .

واليوم نتحدث عن عددهم ومكان كهفهم ، وهل أجسادهم باقية أم بليت ، وهل يجوز بناء المساجد فوق القبور ، وما المراد بالمسجد الذى بنى فوقهم ، الى غير ذلك من المباحث التى تشوق النفس الى معرفتها .

عدد أصحاب الكهف

حدث خلاف فى عددهم بين أهل الكتاب والمسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعض أهل الكتاب قال : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، وقائل ذلك هم اليهود ، وقيل هو السيد من نصارى نجران ــ وكان يعقوبيا ، وبعضهم قال : هم خمسة سادسهم كلبهم ، وقائلوه هم النصارى أو العاقب منهم ــ وكان نسطوريا ، وبعضهم قال : هم سبعة وثامنهم كلبهم ، وهو الحق الذى فهم من القرآن الكريم ، فقد قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » ، وعقب هذين القولين بقوله : « رجما بالغيب » أى رميا بالخبر الخفى الذى لم يصلوا الى الحق فيه ، ولما قال عقبه : « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » لم يصف هذا القول

بأنه رجم بالغيب ، فكان ذلك مؤذنا بأن هذا عددهم ، ولا سيما أنه قد اقترن بالواو فى قوله : « وثامنهم كلبهم » ، وعندها قطعت العدة وقال الله عقبها : « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل » ولهذا أشار سبحانه بقطعه العدة بالصورة المذكورة وبعدم وصف القول الأخير بأنه رجم بالغيب .

وقد دل قوله : « ما يعلمهم الا قليل » على أن قلة من الناس قد وفقهم الله الى ما استطاعوا أن يعرفوا به عددهم ، وهو سبعة وثامنهم كلبهم ، قال ابن عباس ، أنا من ذلك القليل ، وقال : حين وقعت الواو انقطعت العدة ، أى لم يبق لأحد أن يذكر عددا سوى هذا ، فهو المعول عليه ، وأن الله قد أنهى العدد عند القول الأخير الذى فيه واو الثمانية ، فيكون هو عددهم ، وقد وافقه الامام على فى أن هذا هو عددهم ، وبه قال المسلمون استنباطا من الآية الكريمة مخالفين معظم أهل الكتاب .

هل يوجد كهفهم فى الاردن ؟

ذهب جماعة من العلماء الى أن الكهف فى الأردن ، فقد ذكر الهروى أن البلقاء بلد به الكهف والرقيم ، عند مدينة يقال لها عمان ، بها آثار قديمة ، ووافقه ياقوت ، وقال القدسى : الرقيم قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية ، فيها مغارة لها بابان صغير وكبير .

وروى عن ابن عباس أن الرقيم واد بين غضبان وأيلة دون فلسطين ، وفيه أصحاب الكهف ، وغضبار بالضاد المعجمة واد بالشام .

وقد دفع هذا رجال مصلحة الآثار بالمملكة الأردنية الى التنقيب عن الكهف فى تلك المنطقة ، حتى كشفوا آثارا وكهفا أعلنوا أنه كهف أهل الكهف الذين جاء ذكرهم بالقرآن الكريم ، وفى سنة ١٩٦٦ م ظهر كتاب للأستاذ رفيق الدجانى المساعد الفنى لمدير الآثار العربية بالأردن ، ذكر فيه أنهم اكتشفوا الكهف بالرجيب هناك ، وقبل اكتشافه اياه عثر على ثلاثة كهوف جميلة النقش والزخارف ، ثم عثر على آثار مسجد بنى على بقايا صومعة بيزنطية فوق الكهف الذى يبحث عنه مباشرة ، والصومعة أنشئت فى عهد الملك جستنيوس ، بين سنتى ٥١٨ — ٥٢٧ والمسجد الذى بنى على بقاياها ، بنى فى عهد عبد الملك بن مروان ، وقال : ان صلاح الدين الأيوبى زار

الكهف ، كما أثبتته الكتابة التى بداخله ، ثم عثر على مسجد آخر أمام الكهف ، ووجد بداخل الكهف نقوشا بيزنطية وكتابة بالخط الكوفى واليونانى القديمين ، ولكنها لم تقرأ بعد ، واكتشف رسما باللون الأحمر لحيوان يشبه الكلب ، وحوله كثير من الكتابات والرموز بالخط اليونانى القديم ، وعلى ثمانية مدافن من العهد البيزنطى .

ويقول الأستاذ الدجانى : ان بقايا الصومعة التى بنى عليها المسجد فوق الكهف تدل على أنها هى المسجد الذى قال الله تعالى فيه : « لنتخذن عليهم مسجدا » وأن الكهف الذى تحتها هو كهفهم ، وأن هذا الاستنتاج لأن الشمس لا تدخل كهف الرجيب كما جاء فى القرآن الكريم أنها لا تدخله ، وأن به ثمانية قبور بعدد أصحاب الكهف ، وأن صورة كلبهم على جداره الخ .

وقد ذكرنا أن بعض علمائنا الأولين ذهب الى أنه فى الأردن ، فلهذا يحتمل أن يكون كشف مصلحة الآثار الأردنية أوصلنا الى الكهف القرآنى ، ولقد كان شيوع هذا الاحتمال قديما دافعا للمسلمين والمسيحيين أن يبنوا المعابد بتلك المنطقة .

لكن هذا الاحتمال لم يكن قطعيا عند قائليه الأولين ، وليست الشواهد والآثار التى قالها الأستاذ الدجانى عن كشف الأردن كافية لتحويل الاحتمال الى حقيقة علمية ، فان الكهوف توجد فى كل بلد به جبال ، وفى جبل المقطم عدة كهوف ،وفى غيره كذلك، ووجود صومعة رومانية فوقه ليس كافيا فى الدلاله على أنه هو الكهف الذى عناه القرآن ، بدليل قوله انها بنيت بين سنتى ٥١٨ ــ ٥٢٧ فان هذا التاريخ بعد بعث أصحاب الكهف بفترة طويلة ، فلهذا لا يصلح أن يكون دليلا على أنها هى المسجد الذى حكاه الله بقوله : « قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا » فانه قد اتخذ عقب وفاتهم مباشرة كما جاء فى التاريخ وكما هو الظاهر من النص القرآنى ، فأى مانع من أن يكون أثرا لكنيسة من العهد الرومانى المسيحى ، بنيت هناك اما لظن أنه كهف أهل الكهف ، أو لأن هذه المنطقة كانت عامرة بالسكان المسيحيين ، فبنوها ليصلوا فيها ، أو

لأنها مقبرة والمساجد والمعابد توجد كثيرا بين المقابر ، كما فى مساجد المماليك بصحراء الدراسة .

وعدم دخول أشعة الشمس للكهف الذى فى الأردن ، ليس دليلا على أنه الكهف القرآنى فانها لا تدخله لموقعه الجغرافى ، فقد كان موقع كهفهم يسمح بدخولها ، ولكنها كانت تنحرف عنه باذن الله وصرفه لها ، قال تعالى : « وترى الشمس اذاطلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله » فالآية الكريمة اعتبرت عدم دخول أشعة الشمس اليهم من آيات الله ، وليس ذلك لموقع الكهف الجغرافى .

والقبور الثمانية التى وجدت فى الكهف ليست دليلا قاطعا على أنها قبورهم ، فقد تكون قبورا لبعض عظماء البيزنطيين ، ولو قال الأستاذ انهم وجدوا كتابة رومانية قديمة تثبت أنه كهفهم لكان ذلك حجة قاطعة .

ويلاحظ أن الصورة المرسومة باللون الأحمر قال عنها الأستاذ الدجانى انها تشبه صورة كلب ولم يقطع بأنها صورة له ، والكتابات والرموز التى حولها لم يحلوها حتى يتحقق من مفهومها فلهذا كله يبقى الأمر على الاحتمال دون القطع بأنه فى الأردن ومن أجل ذلك ذهب بعض العلماء الى أنه فى أفسوس أو طرطوس ، قال الآلوسى : جمع بعضهم بين الروايتين بأن اسم بلدهم يوم خرجوا منها كان أفسوس ، ولما رقدوا هذه المئات من السنين تغير اسمها فأصبح طرسوس : أ ه .

وكهفهم قريب من مدينتهم ، وأفسوس وطرسوس فى ولاية قبدونيا بالأناضول ، وهذا يقتضى أن هؤلاء الفتية من أهل هذا الاقليم ، ويؤيده ما أخرجه ابن أبى شيبة وغيره عن ابن عباس (١) قال : غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم (٢) فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن ، فقال معاوية : لو

---

(١) هذه رواية أخرى عن ابن عباس غير التى سبقت وافادت انهم فى الأردن .

(٢) هى منطقة الاناضول .

كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم ، فقال ابن عباس : ليس ذلك لك ،قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم ، فبعث رجالا وقال : اذهبوا فادخلوا وانظروا ، فذهبوا فلما دخلوا بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم .

وقد تعددت الكهوف التى فوقها المساجد ، ففى كتاب البحر لأبى حيان أن بالشام كهفا للموتى ، يزعم جيرانه أنهم أصحاب الكهف ، وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ، ومعهم كلب رمة ، وبالأندلس فى جهة غرناطة بقرب قرية تسمى (لوشة) كهف موتى ومعهم كلب رمة ،وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك ، وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم ، ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف ،قال ابن عطيه : دخلت عليهم فرأيتهم سنة أربع وخمسمائة ، وهم بهذه الحالة ،وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء رومى يسمى الرقيم ، كأنه قصر مخلق (١) قد بقى بعض جدرانه، وهو فى فلاة من الأرض خربة ، وبأعلى حصن غرناطة مما يلى القبلة ، آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس ، وجدنا فى آثارها غرائب : أ . هـ .

وقد عثر على كهف فى شبه جزيرة اسكندنافية ، به سبع جثث غير بالية ، فمن تضارب الأقوال فى مدينة أصحاب الكهف وكهفهم ، لا نستطيع الجزم بمكانهما ، وكل الذى نستطيع الجزم به هو قصتهم التى جاءت فى القرآن الكريم ، وأنهم آية من آيات الله تعالى ، وندع العلم بما وراء ذلك الى علام الغيوب .

هل بليت أجسامهم ؟

من العلماء من يقول ببقاء أجسامهم حتى الآن ، لظاهر قوله تعالى : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » وقد روى ما يشهد لذلك ، أخرج ابن أبى حاتم عن شهر بن حوشب قال : (كان لى صاحب ماض شديد النفس ، فمر بجانب الكهف ، فقال : لا أنتهى حتى أنظر اليهم ، فقيل له لا تفعل ، أما تقرأ : « لو اطلعت عليهم » الآية ، فأبى الا أن ينظر ، فأشرف عليهم ، فابيضت عيناه

---

(١) أى بال وأملس :

وتغير شعره ، وكان يخبر الناس بأن عدتهم سبعة ، وروى أن عبادة بن الصامت لما بعثه أبو بكر رضى الله عنه رسولا الى ملك الروم يدعوه الى الاسلام ، مر على مغارة فيها أجسام غير بالية ، عليها قيم يمسحها ويعتنى بها .

ومن العلماء من يقول : ان أجسادهم بليت كشأن كل الأجساد ، وان الحالة الموجودة فى القرآن الكريم كانت لهم وهم رقود قبل بعثهم ، فالحياة كانت فيهم وهم نيام ، وان كانت لا تستتبع كل آثارها ، وما روى من الأخبار فى شأن وجود أجسامهم ، لا يرتقى الى درجة القبول رواية ، فضلا عما فيه من التضارب .

بناء المساجد فوق القبور

استدل بعضهم بقوله تعالى : « لنتخذن عليهم مسجدا » على جواز بناء المساجد فوق قبور الصالحين وجواز الصلاة فيها ــ ذكره الشهاب الخفاجى فى حواشيه على البيضاوى ــ وأساس هذا الاستنباط أن شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم يرد فى شرعنا ما ينسخه ، وهؤلاء قوم مسيحيون بنوا كنيسة سماها القرآن مسجدا ، لأنها مكان للصلاة التى يعبر عنها بالسجود أحيانا ، وبما أن القرآن ذكر ذلك دون أن يعقب عليه بما يفيد عدم الرضا ، فذلك يدل على جوازه عند من قبلنا ، فلذلك يجوز لنا مثله ، نظرا للقاعدة المذكورة ، وهذا رأى باطل ، فقد روى أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وجاء فى حديث رواه مسلم : « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » وأخرج الشيخان وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأخرج أحمد والطبرانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرار أمتى من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة المانعة من اتخاذ القبور مساجد ، وذكر ابن حجر فى كتابه (الزواجر) أن بعض الشافعية عدوا من الكبائر اتخاذ القبور مساجد والصلاة اليها واستلامها والطواف بها ونحو ذلك ،

تجنيبا للمسلم من مشابهة الوثنيين فى عبادتهم لعظماء من قبلهم (١) ، واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو اليه .

والآية الواردة فى بناء مسجد فوق أهل الكهف ، لا تعطى تشريع الجواز ، فانه ليس من عمل رسول سابق حتى يكون شرعا لمن قبلنا ، بل هو من عمل الناس ، ولا يعرف ان كان ما عملوه مشروعا فى دينهم أو ليس مشروعا ، فضلا عما جاء فى شرعنا من الأحاديث الناهية عنه .

ويلاحظ أن الآية لم تنص على أنهم بنوا المسجد فعلا ، بل عزموا على بنائه : « لنتخذن عليهم مسجدا » واعلم أن اتخاذ المسجد قرب القبر والقبر خارجه ليس ممنوعا شرعا .

الرقيم وأصحاب الغار

قد علمت مما سبق أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم ، وأن القصة واحدة ، وقد ذهب بعض العلماء الى أن لأصحاب الكهف قصة تختلف عن قصة أصحاب الرقيم ، فأما قصة أصحاب الكهف فقد ذكرها الله صراحة فى سورة الكهف ، وأما قصة أصحاب الرقيم فقد أشار اليها القرآن بقوله : « أصحاب الكهف والرقيم » أى أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم ، وقد تكفلت السنة ببيان قصة أصحاب الرقيم وهم أصحاب الغار الثلاثة ،أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون ، اذ أصابهم مطر ، فآووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل على فرق من أرز ، فذهب وتركه ، وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته ، فصار من أمره أنى اشتريت منه بقرا ، وأنه أتانى يطلب أجره ، فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لى : انه لى عندك فرق من أرز ، فقلت : اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك

---

(١) والانتهاء الى مثل ما انتهوا اليه مع مرور الزمن وتراخى الدعاة فى تبليغ شرع الله أو فقدانهم .

من خشيتك ففرج عنا ، فانساحت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران ، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى ،فأبطأت عليهما ليلة ، فجئت وقد رقدا وأهلى وعيالى يتضاغون (١) من الجوع ، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى ، فكرهت أن أوقظهما ، وكرهت أن أدعهما فيستكينا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أنىفعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت الصخرة حتى نظروا الى السماء ، فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى ، وأنى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار ، فطلبتها حتى قدرت ، فأتيتها بها فدفعتها اليها ، فأمكنتنى من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله تعالى ولا تفض الخاتم الا بحقه ، فقمت وتركت المائة دينار ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا ٠

والرقيم على هذا محل فى الجبل ، والقصة المذكورة وان كانت عجبا من آيات الله تعالى ـ فقد أزاح الله الصخرة عنهم لما توسلوا اليه بالأعمال الصالحة ـ لكنها ليست قصة أصحاب الرقيم الذين يتحدون مع أصحاب الكهف ذاتا وموضوعا ، على ما هو ظاهر من سوق القصة ـ وهذا هو ما اختاره الجمهور ، والله تعالى هو الموفق للصواب ٠

مصطفى محمد الطير

---

(١) أى يتصايحون

مفهوم الصدقة فى الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب - الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله •

أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بطرق وألفاظ مختلفة •

تربو : تزيد وتعظم • الفلو كعدو وكجرو • المهر الصغير من الخيل ، والفصيل ولد الناقة الصغير •

الصدقة فى عرف الاسلام العام كل خير وبر ومعونة تسديه لنفسك أو غيرك فتفرج من كربه وتخفف من بؤسه ، وفى الحديث الصحيح يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وتجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفى حديث آخر أن رجلا سأل رسول الله عن أفضل الأعمال فذكر له بعضها ، فقال الرجل : أرأيت ان ضعفت عن بعض العمل قال : تكف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك •

وفى العرف الاسلامى الخاص أن الصدقة هى المال الذى تتبرع به لغيرك سواء كان فرضا كالزكاة أو ندبا كغيرها • وقد استعمل القرآن الصدقة فى الزكاة المفروضة فقال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية ، واستعملها فى غيرها فقال تعالى : « ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لهم ولهم أجر كريم » •

والصدقة على اختلاف استعمالاتها سميت صدقة لأنها تدل على صدق المؤمن فى ايمانه وتمكنه من نفسه واستجابته لأمر ربه ، كما تدل على طهارته من رذيلة البخل التى تمقتها الأديان وتستقبحها العقول والمروءات ، فالبخل شر ما يقرن به المرء من الصفات والرذائل •

والتصدق والانفاق لفظتان تكررتا فى القرآن كثيرا فى معرض الحث على البر بالأفراد والجماعات وفى مدح هذا البر وبيان فضله والجزاء عليه وفى بيان كمال الايمان به وفى معرض الانكار على البخلاء بما آتاهم الله وفى بيان أدب الانفاق والتصدق ، ومن ذلك قوله تعالى : « ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير • ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » •

وقال تعالى : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

ومما تضمنته السنة فى بيان فضل الصدقة واستحبابها من الله وضمان نيل الثواب عليها ما جاء فى هذا الحديث ، فقد صور الحديث مكان الصدقة عند الله ووقعها لديه ، وكيف يتلقاها ويجزى عليها بأنه يأخذها بيمينه ويكثر الثواب عليها وليس أبلغ اغراء بالصدقة وأقوى حثا عليها من هذا الحديث وكيف يعرف المسلم أن الله يتلقى صدقته هذا التلقى ثم لا تنبسط يده ولا تسخو نفسه بكل ما يملك لينال هذا الفضل والرضا فحسن تلقى الله للصدقة الذى عبر عنه الحديث بأن الله يأخذها بيمينه يهيج أشواق المسلم الى المبادرة فى هذا الميدان للحصول على منازل الأبرار المقبولين عند الله ، وتزيد أشواقه اهتياجا الى البذل حين يعلم ما أعد له من المكافأة على بذله وانفاقه وأنه ليس بمقدار ما بذل فحسب بل يتكاثر ثوابه ويعظم شيئا فشيئا بفضل الله واحسانه حتى يصير ثواب القليل من الصدقة وهو ما يعدل تمرة أى قيمة تمرة كالجبل العظيم ضخامة وارتفاعا

وتناظر هذه الزيادة المعنوية فى واقع الحس زيادة المهر الصغير أو فصيل الناقة يربيه صاحبه ويعنى به غذاء ورياضة حتى يصير فرساكبيرا أو بعيرا ضخم الجثة رائع المنظر يبهج صاحبه ويملؤ نفسه اعجابا وسرورا •

وينبغى أن تعرف أن الصدقة التى يحبها الله والتى تكفل بمضاعفة الأجر عليها هى الصدقة من المال الطيب أى الحلال أو الجيد لا الحرام الخبيث أو الردىء الخسيس ، لأن الله طيب لا يقبل الا الطيب ، والمال الحرام المحتاز بالغصب والنصب أو الغش والاختلاس أو السرقة هو مال خبيث ليس ملكا لمن هو فى يده ، فالمتصدق به متصرف فى أموال الناس وأملاكهم لا يقبله الله منه بل يرده عليه ويلعنه به •

والصدقة بأنواعها المالية وغير المالية طريق من الاحسان شرعه الله ليكون وثاقا يربط الجماعات بعضها ببعض ويضم بعضها الى بعض فتتألف وحدة متناسقة متماسكة متعاونة متضامنة يسودها الود والاخاء وتتجاوب أحاسيسها بالتعاطف والاشفاق ،فليس أفعل فى النفوس وأقوى فى اجتذابها وائتلافها من الاحسان وخاصة الاحسان بالمال اذ به قوام الحياة وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، ولمكانه وحسن أثره فى الجماعات لم يقصره الاسلام على المسلمين بعضهم لبعض بل حث عليه وامتدحه واستحبه للمسلمين وعز المسلمين ، وقد قرر الفقهاء استنادا الى أصول الأدلة من الكتاب والسنة استحباب التصدق على المحتاجين من غير المسلمين الا التصدق بنوع خاص من الصدقات وهى الصدقة المفروضة أعنى الزكاة والصدقة التى يحبها الله وتحظى منه بالرضا والقبول هى الصدقة من الحلال كما قدمنا وهى التى يصاب بها مواضع الحاجة ويبتغى بها وجه الله خالصا والاعتماد فى ذلك على النيات ولكل امرىء ما نوى كما قال رسول الله والله هو العليم بالمقاصد والنيات •

وقد ذكر بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم »•

وقد ذكر ما فى شروط القرض الحسن وجوها : أن يكون حلالا فان

الله طيب لا يقبـــل الا الطيب وألا يكون رديئـا وأن يعطى للأحـوج فالأحوج وأن يكتم الصدقة ولا يتبعها المن والأذى وأن يقصد بها وجه الله دون الرياء وألا يستكثرها وان كانت كثيرة ، وأن تكون من المـال المحبوب عنده ، وألا يرى لنفسـه عزة الغنى ويرى للفقـير ذلة الفقـر وأن يكون الانفاق فى حال رجاء الحيـاة وطول الأمل .

وقد ضرب الله أمثـالا فى آيات كثـيرة لمواضـع الحاجات والاحسان بالصـدقات كاليتيـم والمسـكين وابن السبيل والمجاهد والغارم الذى أثقلته الديون ونحو ذلك مما يعتبر نمـاذج يلحق بهـا غيرها لأن مواقع الحـاجة لا تنحصر .

والأصل فى الاستحقاق هو الحاجة والاعواز بتقدير المحسن وغلبة ظنه ، والمؤمن المخلص يقود الهامه ويهديه ايمانه الى الحق والصواب .

ابو الوفا المراغى

سطور من كتب التراث

قـال الامام على بن أبى طـالب ان الاستغفار درجة العليين . وهو واقع على ستة معان (**أولهـا**) النـدم على ما مضى . (**الثانى**) العـزم على ترك العودة اليه أبدا . (**الثالث**) أن تؤدى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سـبحانه أملس ليس لك تبعـة . (**الرابع**) أن تعمـد الى كل فريضـة ضيعتها فتؤدى حقهـا . (**الخامس**) أن تعمد الى اللحم الذى نبت بالسحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصـق الجلد بالعظـم وينشـأ بينهمـا لحم جديد . (**السـادس**) أن تذيق الجسـم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ... فعند ذلك تقول : **أستغفر الله** ؟

من (**الكشـكول**) **لبهـاء الدين** العاملى ص ٣٢٦

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٣ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر » .

(متفق عليه)

البيان :

عرضنا فى المقال الأول لتفسير الكلمات اللغوية ، وبينا بعض مقاصد الحديث وقلنا فى المقال الثانى :

من نظر فى شرعة الاسلام نظرة فاحصة وجدها تشتمل على كثير من التعاليم والأحكام التى تحقق الرحمة بالحيوان ورعايته فى صورة رائعة مشرقة ، وذكرنا لهذا خمسة أمثلة ، ونحاول فى هذا المقال أن نذكر أمثلة أخرى فنقول :

٦ ـ أخبرنا الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه بحصول المسلم على أجر الصدقة ، وجزاء الاحسان اذا زرع زرعا ، أو غرس غرسا ، فأكل منه انسان أو طير أو بهيمة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

ما من مسلم يزرع زرعا ، أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة .

فترتب أجر الصدقة على أكل الطائر أو البهيمة من الزرع أو

(١) متفق عليه ، ورواه أحمد والترمذى عن انس رضى الله عنه .

الغرس يجعل المسلم رحيما بالطير والبهائم راضيا بما تنال من ماله ليظفر بكريم الأجر وعظيم الجزاء •

٧ ـ أعلمنا عليه الصلاة والسلام أن رحمة الله تعالى يكون أهلا لها من كان رحيما بخلقه ، فقال صلوات الله وسلامه عليه :

(انما يرحم الله من عباده الرحماء) (١) وقال : (الراحمون يرحمهم الرحمن) (٢) ولا ريب أن كل مؤمن يتطلع شوقا الى رحمة ربه ، ويحاول أن يلتمس اليها سبيلا ، فاذا عرف أن سبيلها هو الرحمة بخلق الله عامة دفعه ذلك الى الرأفة بجميع المخلوقات على اختلاف أجناسها ، ورعايتها بكل ما يستطيع من جهد وطاقة ليكون نصيبه من الرحمة الالهية موفورا ، وعطاؤه جليلا •

٨ ـ أعلن صلى الله عليه وسلم عقاب من جانب الرحمة مع الحيوان الأعجم الذى لا يعبر بغير لسان الحال عن ألمه ، فحدثنا عن حال امرأة استحقت دخول النار ، ولحقها سوء العذاب بسبب حبسها لهرة ، وعدم اطعامها وسقيها حتى ماتت ، فقال :

(عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها اذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) (٣)

(خشاش الأرض) بفتح الخاء ، ويجوز ضمها وكسرها يراد به هوامها وحشراتها •

وفى هذا تحذير شديد ، ووعيد رهيب لمن يعامل الحيوان بقسوة ،أو يقترف سيئا يكون فيه تعذيبه ، واهلاكه •

٩ ـ أرشد القرآن الكريم والسنة النبوية الى أهمية بعض أنواع من الحيوان فى الجهاد والاعداد للقتال ، والرباط فى سبيل الله ، وارهاب العدو ، وتحقيق النصر والفلاح ، ومضاعفة المثوبة والجزاء ، واليك بعض هذه النصوص التى تدل على ما ذكر •

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن اسامه بن زيد رضى الله عنهما .
(٢) بعض حديث رواه ابو داود عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .
(٣) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(أ) قال الله تعالى فى التجهيز للأعداء ، واعداد العدة لهم لالقاء الرعب فى قلوبهم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (١) •

(ما استطعتم من قوة) ما تقدرون عليه ، وتتسع له طاقتكم من كل ما يتقوى به فى الحرب ، ويكون وسيلة للنصر ، وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسر القوة بالرمى •

عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر يقول :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ، ألا ان القوة الرمى ، ألا ان القوة الرمى » (٢) •

فتفسيره صلى الله عليه وسلم للقوة بالرمى ، والاقتصار عليه فى مقام البيان ، والتأكيد بالذكر ثلاث مرات ، والاعلان من فوق المنبر ــ يدل كل هذا على الحاجة القصوى الى الرمى ، وتعينه فى ارهاب العدو ، وردعه ، وصده عن اغتصاب الحقوق ،واحتلال الأرض ، وانتهاك الحرمات والمقدسات •

ولم يذكر القرآن الكريم نوع القوة التى طلب منا أن نعدها ، ولم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم نوع المرمى به ليكون تعيين نوع القوة ، وتحديد المرمى به فى كل عصر بما يرهب أعداء الاسلام •

وفى هذا آية كبرى على صدق القرآن الكريم ، وبقائه مصدرا للهداية والارشاد فى كل زمان ومكان •

وحجة باهرة على نبوته صلى الله عليه وسلم ،وعموم رسالته ، واستقامة منهجه ، وسداد توجيهاته فى جميع الحالات •

(ومن رباط الخيل) أى اعدادها للجهاد فى سبيل الله ــ وتخصيص الخيل بالذكر يدل على عظيم أثرها فى محاربة العدو حربا نفسية ، واضعاف روحه ، واتلاف أعصابه ،

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠

(٢) رواه مسلم •

وازعاج قلبه ، فيسهل التمكن منه ، والنصر عليه .

(ب) وللاعلام بفضل الخيل وفضل رباطها فى سبيل الله ، وكونها وسيلة لتحقيق العز والنصر - أقسم جل شأنه بخيل الغزاة ، ووصفها بثلاث صفات ، وذكر بعض أعمالها (فقال:

« والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا » (١) .

« والعاديات » جمع عادية مشتقة من العدو ، وهو الجرى .

« ضبحا » الضبح صوت أنفاس الخيل أثناء جريها .

فالله سبحانه أقسم بخيل الغزاة التى تعدو وتجرى نحو العدو ، وهى من شدة جريها ترتفع أنفاسها ، ويسمع لها زفير شديد .

« فالموريات » جمع مورية ، مأخوذة من الايراء ، وهو اخراج النار بمثل الزناد .

« قدحا » القدح الصك والضرب لاخراج النار .

أى فالخيل التى تخرج النار من صك حوافرها بالحجارة ، فيتطاير منها الشرر لشدة عدوها وجريها نحو العدو .

« فالمغيرات » جمع مغيرة من الاغارة على العدو بمعنى الهجوم عليه لقتله ، أو أسره أو استلاب ماله « صبحا » فى وقت الصباح .

أى فالخيل التى تغير على العدو وقت الصباح ،وكان من عادة السابقين أنهم اذا أرادوا الغارة ساروا ليلا حتى لا يفطن اليهم أحد ، وباغتوا العدو صبحا ، فالخيل أداة هامة فى مباغتة العدو ،والهجوم عليه فى وقت الصباح الذى تتحقق فيه المفاجأة ، والأخذ على غرة .

« فأثرن به نقعا » الاثارة التحريك والتهييج ، والنقع الغبار ، أى فهيجن فى ذلك الوقت الذى تقع فيه الاغارة غبارا لشدة العدو والجرى .

« فوسطن به » فتوسطن ودخلن فى ذلك الوقت .

« جمعا » من جموع الأعداء ففرقنه .

(١) سورة العاديات من آية ١ الى ٥

أى فتوسطن ودخلن فى وقت الاغارة جمعا للأعداء ففرقنه ،وأضعفن شوكته .

(ج) وفى التفاؤل بها وأنها وسيلة لتحقيق العز والنصر والاسعاد فى الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم :

(الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة) (١) .

(معقود) أى ملازم (نواصيها) النواصى جمع ناصية ، وهى الشعر المسترسل على الجبهة - وخصت بالذكر لأن العرب تقول : فلان مبارك الناصية ، فتكنى بها عن جميع الذات ، أى مبارك الذات ، فتكون الناصية فى الحديث كناية عن جميع ذات الفرس، وافادة أنها كلها ملازم لها الخير والبركة .

ويصح فى التعليل أن يقال : انما خصت الناصية بالذكر لكونها المقدم منها ، فيكون فى هذا اشارة الى أن الخير يكون فى الاقدام بها على العدو ومواجهته دون المؤخر منها ، لما فيه من الاشارة الى الهزيمة والادبار .

(د) وفى بيان نوع الخير المعقود فى نواصى الخيل قال صلوات الله وسلامه عليه :

(الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والمغنم) (٢) .

(الأجر والمغنم) الأجر والثواب المترتب على اتخاذ الخيل مادة للجهاد، والمغنم المال الذى يؤخذ من الكفار عند قتالهم - فقوله عليه الصلاة والسلام :

(الأجر والمغنم) بيان للخير الملازم لنواصى الخيل المذكور فى صدر الحديث .

(هـ) وفى فضل رباط الخيل فى سبيل الله ، وما ينال به المؤمن من عظيم الأجر . قال صلى الله عليه وسلم :

(من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة) (٣) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
(٢) رواه البخارى ومسلم عن عروة البارقى رضى الله عنه .
(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(شبعه) بكسر الشين وفتح الباء ، أى ما يشبع به من الطعام .

(وريه) بكسر الراء وتشديد الياء ، أى ما يروى به من الماء .

(وروثه وبوله فى ميزانه) المراد أن الثواب على ذلك يوضع فى ميزان الحسنات لصاحب الفرس .

هذا وبالرغم من تطور الأسلحة فى عصرنا ، واستخدام آلات حديثة لمحاربة الأعداء ـ لا يزال للخيل دور هام فى الأعمال الحربية ، وصيانة أمن الدولة فى حالات وأماكن لا يقوم فيها غير الخيل مقام الخيل .

والنصوص الواردة فى فضل الخيل ومزاياها تحمل كل مسلم على العناية بها والاحسان اليها ، والحرص على سلامتها ، وتوفير راحتها رجاء الحصول على ما تكون سببا فيه من طيب الأثر ، وعظيم الأجر ؟

منشاوى عثمان عبود

الحديث موصول

سطور من كتب التراث

حكى أن بعض الأطباء كان فى خدمة بعض الملوك فى غزوة . ولم يكن معه كاتب وقت النصرة . فطلب الملك من الطبيب أن يكتب للوزير بعلمه بذلك . فكتب اليه : أما بعد فانا كنا مع العدو فى حلقة كدائرة « البيمارستان » حتى لو رميت بصاقة لما وقعت الا على فيفال . فلم تكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو « بحران » عظيم . فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج .

وقريب من هذا قول من كان رياضيا حين احتضر : اللهم يا من يعلم قطر الدائرة . ونهاية العدد . والجذر الأصم . اقبضنى اليك على زاوية قائمة . واحشرنى على خط مستقيم ؟

من (الكشكول) للعاملى ص ٢١١

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٤ —

لم أجد قوما يعيشــون على مراحل من عقــولهم كمن يعترض - مثــل صاحب كتاب خرج على الناس - على أحاديث لم يخطر ببـــال عاقل طيلة أربعة عشر قرنا أن ينال منها أو يوهنها الا ما كان من بعض أصحاب المذاهب الهدامة والآراء المضلة .

١ - من ذلك حـديث أبى موسى الأشـعرى رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كمل من الرجال كثير ولم يكمـل من النســاء الا آسـية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشـة على جميع النساء كفضـل الثريد على الطعام » .

٢ - حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم قال : « أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت . قـال : ارجع اليـه وقل له : ليضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال : أى رب ثم ماذا ؟ قـال : ثم الموت قـال : فالآن » رواه البخارى وفى رواية لمسلم « قال ملك الموت لموسى : أجب ربك فلطم موسى عين الملك ففقـأها فردهـا الله عليه » .

ومدار الاعتراض كمـــا جـاء فى الكتاب (اياه) كيف يجزم النبى صلى الله عليـه وسـلم بتحديد الكمـــال وحصره فى مريم وامرأة فرعون وهو لا يعـــلم عـدد الأمم ولا عدد النبيين الذين ســبقوه حسـبما قـال الله عنهم : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وقوله تعالى :

(ألم يأتـكم نبأ الذين من قبـلكم قوم نوح وعاد والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات) .

ثم يقول : (ولا يمكن أن يكون هذا التفضيل الا بتعصب النبى لزوجته) ثم ينزل فى العبارة الى حد قوله (اذا صدقنا هذا الحديث وأخذنا بمقتضاه فاعتبرنا عائشة هى الفت واعتبرنا زينب هى عسل النحل أو المن أو السلوى فأيتهما يكون أفضل) .

والجواب أن المعترض بعيد عن فهم القرآن لأن الأسلوب الذى تعاطاه فى اقامة الحجة القرآنية لتوهين الحديث أسلوب صغير لا عهد بمثله فى ساحة العلم والبحث منذ عرف الناس البحث والنظر بين الرجال .

فقوله تعالى : (ومنهم من لم نقصص عليك) ويأخذ منها نفى العلم لدى النبى صلى الله عليه وسلم بعدد النبين كأن نفى التفصيل يشمل الاجمال وكأن نفى العلم بالأمم يمنع العلم بحال مريم وامرأة فرعون ، وكأن صاحب هذا الكتاب نسى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وكل كلامه صلى الله عليه وسلم اخبار بما يوحيه الله اليه ، فهل الآية التى تنفى تفاصيل القصص المتعلقة ببعض الأنبياء تغلق باب الوحى فلا يوحى اليه ببعض مكنون ما أجمله وطواه عنه ؟ هل قال الله فى كتابه : انك لا تعلم عدد الأنبياء ولا تعلم من كمل من النساء حتى تكون الآية نصا فى المعارضة ؟

لذلك ننعى على ذوى السلطان وأهل الحل العقد اطلاقهم الحرية لكل من يتصدى للكتابة فى الحديث بغير وسائل حتى من اللغة العربية التى نزل بها الوحى ، فلو أنهم عقدوا امتحانا أوليا لمن يريد أن يرخص له فى اقتحام قدس الدين لما أصبنا بهذا البلاء الذى يتفجر من تحت أرجلنا من كل عطلة همزة لمزة .

اذ لو كلف المؤلف لذلك الكتاب نفسه مؤنة فتح كتاب كالمصباح المنير لوجد فى صفحة ٥٦٩ أن أهل الحجاز اذا أطلقوا لفظ الطعام عنوا به البر خاصة ، واذا قال صلى الله عليه وسلم : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » يعنى البر أو القمح بسائر أنواعه ، جيده ورديئه . فليس ثمة مجال لذكر العسل أو المن أو السلوى وما الى ذلك من الفضول السمج ، والتظرف السخيف والتهكم الأثيم .

فاذا عرفت أن الثريد هو خبز نضيج وضع فى مرق اللحم ، وعرفت ان الطعام كالمادة الخام لذلك الثريد عرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم يصف عائشة أم المؤمنين أبلغ وصف من ثقافة الطبع ونضج الفكر وسمو التجربة ، ولا غرو فهى التى نزل الوحى فى بيتها وقال الله تعالى لأمهات المؤمنين وهى فى مقدمتهن : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » .

والنبى صلى الله عليه وسلم يضرب المثل لعائشة هنا بالثريد كما يضرب المثل للمسلم بالنخلة فى حديث ابن عمر مرفوعا : « ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها فهى كالمسلم » يعنى فى المنفعة ، لأن كل ما يصدر عنها مفيد ، فان هذا الضرب من الأمثال انما يستمد أصله من أدب القرآن : « ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » ويريد الله أن يكمل لهذا الأدب صورته القرآنية فيجعل الاعتراض على السنة قد سجله القرآن على الذين يهرفون بقولهم « ماذا أراد الله بهذا مثلا » وها هم يقولون : ماذا أراد النبى بهذا مثلا . وهكذا حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة .

على أن الذى يحز فى النفس أن يكون هؤلاء قد التاث تفكيرهم بما يرحضه الايمان عن خواطر المؤمنين من حيث أركس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول فينظروا الى الأمر النظرة الجنسية الدنيئة التى تنم عن عقد ضخمة فى نفسية السلوليين .

بقى أن نأتى على اسناده بعد أن ألهبنا السلوليين بسياط المعانى العالية التى نرجو أن ينتفعوا بها انتفاع السقيم بالأدوية الشافية .

البخارى فى (باب قول الله تعالى : وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ــ الى قوله ــ وكانت من القانتين ، ثم اسنادا عاليا الى أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على جميع النساء . الحديث »)

وأخرجه البخارى أيضا من طريق

أنس ، وأخرجه مسلم من حديث أنس وأخرجه ابن ماجه عن أبى موسى وأنس وأخرجه النسائى من حديث أنس وأخرجه الترمذى من حديث أبى موسى وأخرجه أحمد فى مسنده من حديث أنس ، وأخرجه الطبرانى من حديث عبد الرحمن ابن عوف وأخرجه فى الأوسط من حديث سعد بن أبى وقاص كما أخرجه من حديث قرة بن اياس رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

على أنه لا يفوتنا أن نسوق ما ناله بعض شراح الحديث ، وان كنا – ولا نزكى على الله أحدا – قد نحونا فى شرحه نحوا لا يتردد المنصفون عن قبوله والرضى عنه وبه قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير : « لا تصريح فيه بأفضلية عائشة على غيرها ، لأن فضل الثريد على غيره انما هو لسهولة مساغه وتيسير تناوله ، وكان أجل أطعمتهم يومئذ ، وهذا لا يستلزم الأفضلية له من كل جهة ، فقد يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى أ . هـ » .

٢ – أما حديث ملك الموت مع موسى عليه السلام فقد أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة ونحوها) حدثنا محمود حدثنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت ، فرد الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له : يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة . قال : أى رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . وأخرجه أيضا فى كتاب الأنبياء بنحو ما مضى ما عدا قوله (فرد الله عليه عينه) وهو من طريق يحيى بن موسى شيخ البخارى وبقية الاسناد كما هو . ورواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة بمتنين مختلفى الألفاظ أحدهما : « أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه ، فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت قال : فرد الله اليه عينه وقال : ارجع اليه

فقل له : يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال : أى رب ثم مه قال : ثم الموت قال : فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر » وثانيهما بلفظ « جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له : أجب ربك فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها قال : فرجع الملك الى الله تعالى فقال : انك أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال : فرد الله اليه عينه وقال : ارجع الى عبدى فقل : الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت قال : فالآن من قريب رب أمتنى من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لو أنى عندهم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » ورواه النسائى باللفظ الأول .

واتفاق ثلاثة كتب من ستة ومنها الصحيحان على تخريج هذا الحديث دليل صحته وقوته ، وهى كلها من طريق ابى هريرة رضى الله عنه وأرضاه ، ولطالما تفرد أبو هريرة بأحاديث تعاظم الدهر شأنها ، ان أبا هريرة رضى الله عنه هو الذى روى تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها مع خلو القرآن من هذا التحريم ، ورغم أنه لم يرد عن أحد من الصحابة الا هو فانهم جميعا اتفقوا على صدقه والتسليم برواية حديثه وحكم عدم الجمع هذا مجمع عليه بين الأمة كلها بجميع فئاتها ومذاهبها حتى كفروا من يبيح هذا الجمع .ولا ضير أن ينفرد أبو هريرة بخبر فلقد انفرد بما تعم به البلوى وما هو أعظم خطرا من حديث موسى وملك الموت . واذا كان المعترضون يهولهم فقأ عين ملك الموت من رسول من أولى العزم من الرسل فانه ينبغى أن يعرفوا شيئا عن طبيعة الملائكة كما عرفها علماء المسلمين جواهر لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال شريفة مختلفة ، ويجب الايمان بوجودهم كحقيقة ثابتة وذات قائمة بنفسها واعتقادا أنهم معصومون (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وهم من الكثرة الكثيرة بحيث يعجز العقل البشرى عن

تصورها وقد وصفها صلى الله عليه وسلم بقوله « أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع أو ساجد » وصدق الله العظيم : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ».

أما ما استشكله البعض من أنه كيف يتسنى لموسى أن يلطم ملك الموت الذى جاء من قبل الله تعالى ليقبض روحه (فالجواب) أن مفهوم النص يدل على صحة ما قاله الحافظ ابن خزيمة (أبو بكر محمد بن اسحاق المتوفى سنة ٣١١) قال : أنكر بعض أهل البدع والجهمية هذا الحديث وقالوا : لا يخلو أن يكون موسى عليه السلام عرف ملك الموت أو لم يعرفه ، فان كان عرفه فقد استخف به ، وان كان لم يعرفه فرواية من روى أنه كان يأتى موسى عيانا لا معنى لها ، ثم ان الله تعالى لم يقتص لملك الموت من اللطمة وفقأ العين والله لا يظلم أحداء وهذا اعتراض من أعمى الله بصيرته، ومعنى الحديث صحيح ، وذلك أن الله لم يبعث ملك الموت الى موسى وهو يريد قبض روحه فى هذه المرة التى بعثه فيها ، وانما بعثه ابتلاء واختبارا كما أمر الله خليله بذبح ولده ولم يرد امضاء ذلك ، ولو أراد أن يقبض روح موسى عليه السلام فى الوقت الذى لطم فيه الملك لكان ما أراد واما أن موسى رأى هذه اللطمة مباحة أو جائزة فلأنه رأى آدميا دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم فقأ عين الناظر فى دار المسلم بغير اذن ومحال أن يعلم موسى أنه ملك الموت ويفقأ عينه ، وقد جاءت الملائكة الى ابراهيم عليه السلام فلم يعرفهم ابتداء « سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب » وجاءت الى لوط عليه السلام وقال لقومه « ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون » ولو كان ابراهيم يعرفهم لما قدم لهم عجلا وقربه اليهم لأنهم لا يأكلون ولو كان لوط يعرفهم لما قدم بناته لقومه حتى لا يعتدون على ضيوفه . وقد جاء الملك الى مريم فلم تعرفه ولو عرفته لما استعاذت منه ، وقد دخل الملكان على داود عليه السلام فى صورة رجلين يختصمان عنده فلم يعرفهما ،وقد جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الايمان فلم يعرفه وقال ما أتانى فى صورة قط الا عرفته غير

هذه المرة ، فكيف يستنكر ألا يعرف موسى الملك حين دخل عليه ؟ أما قول الجهمى : ان الله تعالى لم يقتص للملك فهو دليل على جهله ، من الذى أخبره أن بين الملائكة والآدميين قصاصا ؟ أو من الذى أخبره أن الملك طلب القصاص فلم يقتص له ؟ وما الدليل على أن ذلك كان عمدا ، وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يقبض نبيا قط حتى أراه مقعده من الجنة قبل أن يقبضه ويخيره ، أى فكيف يطلعه الله تعالى على ما أعده له فى دار كرامته ثم لا يرحب بملك الموت ، لكن يقابله بلطمه وفقأ عينه أ • هـ بتصرف •

وقال الخطابى : وكيف يجوز أن يفعل موسى عليه السلام بالملك هذا الصنيع ، وكيف تصل اليه يده على هذا أو كيف لا يقبض روحه ولا يمضى أمر الله تعالى فيه ؟

(والجواب) أن الله تعالى قد أكرم موسى بأمور أفرده بها فى حياته فلما حانت وفاته كان من كرامته على الله أن لطف به أيضا فلم يأمر الملك أن يأخذ روحه قهرا عنه ، لكن أرسله أولا على سبيل الاختبار والامتحان فى صورة انسان ، فدهش موسى عليه السلام من مفاجأة الملك له على هذه الصورة واقتحام داره عليه واستنكر شأنه ولم ير بدا من دفعه عن نفسه فكان من نتيجة ذلك أن أتى — وهو فى سورة غضبه — على عينه المركبة فى الصورة البشرية ، تلك الصورة التى جاءه فيها دون الصورة الملكية ، وقد كان فى طبع موسى حدة ، حتى روى أنه كان اذا غضب التهب ما يلبسه على رأسه واشتعل نارا أ•هـ ولا يمنع كما قال الامام النووى — أن يكون قد أذن الله فى هذه اللطمة ابتلاء وامتحانا للمظلوم والله يفعل ما يشاء •

وقال أبو عبد الله محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ فى كتابه (تأويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء الحديث) :

ونحن نقول ان هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث وأحسب له أصلا فى الأخبار القديمة ، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظر والذى نذهب اليه أن ملائكة الله روحانيون والروحانى منسوب الى الروح نسبة الخلقة فكأنهم أرواح لا جثث لهم فتلحقها الأبصار ولا عيون لها كعيوننا ولا أبشار كأبشارنا ، ولسنا نعلم كيف هيأهم الله تعالى لأنا

لا نعرف من الأشياء الا ما شاهدنا ، والا ما راينا له مثالا ، وكذلك الجن والشياطين والغيلان هى أرواح لا نعلم كيفيتها ، وانما ننتهى فى صفاتها الى حيث ما وصف الله عز وجل لنا ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ الى أن قال ـ وقد جعل الله سبحانه للملائكة من الاستطاعة أن تتمثل فى صور مختلفة وأتى جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى ، وفى صورة أعرابى ، ورآه مرة قد سد بجناحيه ما بين الأفقين ، وكذلك جعل للجن أن تتمثل وتتخيل فى صور مختلفة كما جعل للملائكة قال تعالى : « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » وليس ما تنتقل اليه من الأمثلة على الحقائق انما هى تمثيل وتخييل لتلحقها الأبصار ، وحقائق خلقها أنها أرواح لطيفة تجرى مجرى الدم وتصل الى القلوب وتدخل فى الثرى، وترى ولا ترى قال الله تعالى فى ابليس : (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) يريد أنا لا نراهم فى حقائق هيئاتهم . وقال أيضا : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يريد لو أنزلنا ملكا لم تدركه حواسهم لأنها لا تلحق هيئات الملائكة فكنا نجعله رجلا مثلهم ليروه ، ويفهموا عنه . وذكر ابن عباس فى قصة الزهرة أن الله تعالى لما أهبط الملكين الى الأرض ليحكما بين أهلها نقلهما الى صورة الناس وركب فيهما الشهوة ، لأنه لا يجوز أن يقضى بين الناس الا من يرونه ويسمعون كلامه ، والا من شاكلهم وأشبههم ، ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام وهذا ملك الله ، وهذا نبى الله وجاذبه لطمه موسى لطمة أذهبت العين التى هى تخييل وتمثيل وليست حقيقة ، وعاد ملك الموت عليه السلام الى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينتقص منه شىء .

وقال السندى فى شرح سنن النسائى : « وفيه اشكال من حيث انه كيف لموسى أن يلطم ملك الموت الذى جاءه من الله تعالى ليقبض روحه ومن حيث انه يفيد أن موسى ما كان معتقدا للموت والفناء له ، بل كان يعتقد البقاء له أو يظنه فانظر الى قول الملك : (عبد لا يريد الموت) وانظر الى قوله : (أى رب ثم مه) حتى اذا علم أنه بالآخرة الموت قال : (فالآن) والناس ما ذكروا فى تأويله ما يدفع

الايراد بتمامه بل ولا يفى ببعضه ، والأقرب أن الحديث من المشتبهات التى يفوض تأويلها الى الله تعالى لكن ان أول فأقرب التأويل أن يقال : كان موسى ما علم أولا أنه جاء باذن الله بسبب اشتغاله بأمر من الأمور المتعلقة بقلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلما سمع منه أجب ربك أو نحوه وصار ذلك قاطعا عما كان فيه ولم ينتقل ذهنه بما استولى عليه من سلطان الاشتغال أنه جاء بأمر الله حركه نوع غضب وشدة حتى فعل ما فعل ، ولعل سر ذلك اظهار وجاهته عند الملائكة الكرام فصار ذلك سببا لهذا الأصل . وأما قول الملك : لا يريد الموت فذاك بالنظر الى ظاهر ما فعل من المعاملة. وأما قوله : (ارجع اليه فقل الخ) فلعل ذلك من نقله من حالة الغضب الى حالة اللين ليتنبه بما فعل .

وأما قول موسى ثم ماذا فلعله لم يكن لشك منه فى الموت بالآخرة بل لتقرير أنه لا يستبعد الموت حالا اذا كان هو آخر مآلا . وكون الموت آخر الأمر معلوم عنده فلم يكن ما وقع منه لاستبعاده الموت حالا وذلك لأنه حين انتقل الى حالة اللين علم أن ما وقع منه لا ينبغى وقوعه منه وكذا علم أن ما جاء به الملك عنده من قوله (يضع يده الخ) بمنزلة الاعتراض عليه بأنه يستبعد الموت أو يريد الحياة حالا فأراد بهذا الاعتذار عما فعل ، وقرر أن الذى فعله ليس لاستبعاده الموت حالا ، اذ لا يجىء ذلك ممن يعلم أن الموت هو آخر أمره فصار كأنه قال : ان الذى فعله لأمر آخر كان من مقتضى ذلك الوقت فى تلك الحالة التى كان فيها والله أعلم .

محمد نجيب المطيعى

الوحدة الروحية والدينية

للدكتور سليمان الطماوى

يضع علماء السياسة المعاصرون شروطا معينة لابد من توافرها لقيام وحدة سياسية ، بين جماعات معينة ، منها وحدة اللغة ، وهى من أهم دعائم الوحدة السياسية ان لم نقل أهمها على الاطلاق ووحدة الجنس ، وهى ليست ضرورة حتمية لقيام وحدة سياسية ناجحة ، فكثير من الدول الموحدة سياسيا لا تنتمى الى جنس واحد ، مثال ذلك الاتحاد السويسرى الذى يتكون من أجناس ثلاثة تتكلم لغات ثلاثة ، ووحدة التاريخ ، والوحدة الجغرافية ، وهى لم تعد شرطا جوهريا لقيام الوحدة السياسية بعد أن تقدمت وسائل المواصلات والاتصالات ، والتقارب الاجتماعى ، ثم الوحدة الروحية والدينية التى نعرض لها فى حديثنا هذا ...

ان الوحدة الدينية فى الوقت الحاضر ليست شرطا لقيام الوحدات السياسية ، فنحن لا نكاد نعرف دولة واحدة ، تتكون من مواطنين يدينون بدين واحد ، بل تتكون من دول العالم المعاصرة من مواطنين يدينون بمختلف المعتقدات السماوية ، بل وغير السماوية ، لكن تسليمنا بالحقيقة السابقة لا يعنى انكارنا لأثر المعتقدات الدينية فى تكوين الجماعات ، والدين الاسلامى بالذات ، لا يقتصر على جانب العقيدة — أى صلة الانسان بربه — ولكنه تعرض لوضع أسس الحياة الدنيوية أيضا ، بما يحقق للناس سعادة الدنيا والآخرة ، وكان لذلك أثره فى تعريف الخلافة ، وتنظيم الدولة الاسلامية .. واذا كان الاسلام يقوم على القاعدة الأساسية التى من مقتضاها « ألا اكراه فى الدين » فان الأغلبية العظمى من أبناء العروبة قد دخلوا فى دين الله أفواجا ، ولقد أحس المستعمرون والمغرضون بقوة هذا الجانب الروحى فى المجتمع

العـربى فعملوا جاهدين على تحويله من موطن قـوة الى سبب من أسباب الضعف ، فقـالوا : ان المسـلمين فى الواقع لا يجمعهم الا الاسم ، ولكنهم شـيع متنـافرة ، فمنهم السنيون ، والشيعيون ، والوهابيون والزيديون ، والأباضيون .. وهذا التصوير ينطوى على أكاذيب مغرضـة ، فالحقيقـة أن أكثر من ٩٠ ٪ من المسلمين فى العالم العربى ، سنيون متفقون فى الأصـول والفـروع ، أما القلة الباقية منهم من الشيعة الزيدية فى اليمن ، والامامية في العراق،وليس بين الشعيين والسينين من خـلاف فى أركان الاسـلام الأساسية ، وانما مرجع الخـلاف الى الفروع وأهمها الخلافة ، ولقد جسم الاستعمار الخلاف بين الفئتين ليصل من وراء ذلك الى ما يريد ... لكن العالم العربى قد تنبه الى هذه الوقيعة ، ويحاول علمـاء الاسلام الآن وعلى رأسهم الأزهر الشريف ، أن يزيلوا كافة هـذه الخـلافات الثانوية ، التى ليست من جوهر الاسلام ، كما جاء به رسول الله ـ صلوات الله وسـلامه عليه ـ ؛ أمر الله صريح الى المسلمين كافـة ، حيث يقـول سـبحانه : « واعتصـموا بحبـل الله جميعـا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتـم أعـداء فألف بين قـلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ... »

أما القلة الباقية من أبنـاء العروبة فهى تدين بالمسـيحية ، ويبلغ عددهم حوالى ستة ملايين نسمة ، يقيم قرابة نصفهم فى جمهورية مصر العربيـة ، ويليهم الموارنة فى لبنان ، وقد عاش الجميع معا فى وئام ...

ثم انه لا فـارق بين الاسـلام والمسـيحية فى الاتجـاهات العامة ، المؤدية الى خير الانسانية فالايمـان بالأنبياء السـابقين جزء لا يتجزأ من العقيدة الاسلامية ، والمسيحية السمحة فى أصالتها ، والبعيـدة عن الهـوى والتحريف ، هى دين المحبـة والبر وحسن المعاملة ...

ج • • •

هل يمكن التقريب بين الوضعى : الشرعى والمعاصر فى التشريع ؟

يجدر بنا قبـل الاجابة عن هـذا السؤال الملح فى هـذه الآونة ـ ان نشير الى أنه مما لا جـدال فيـه أن التشريع فى الدولة الاسـلامية ، يختلف اختلافا جوهريا عنه فى الدولة الحديثة ، من الناحيتين : العضـوية والموضوعية ...

أما من الناحية العضوية ، فان السلطات التشريعية فى الدول الحديثة تكون عن طريق الانتخاب الذى يقوم على قواعد تكفل اتساع نطاق التمثيل الى أكبر حد ممكن ، وتحديد الناحيتين يتم وفقا لفكرة « الاقتراع العام » الذى لا يشترط فى الناخب شروطا تتعلق بالكفاية المالية أو العلمية ، أما بالنسبة الى المرشحين لعضوية المجالس النيابية ، فانه لا يشترط فيهم عادة – من حيث الثقافة – الا القدر الذى يمكنهم من أداء وظائفهم ، والذى يتمثل حده الأدبى فى اجادة القراءة والكتابة ..

أما التشريع الاسلامى القائم على الاجتهاد ، فانه مقصور على المجتهدين الذين يستوفون شروطا قاسية ، يكتسبها المجتهد اذا توافر فيه أمران : الاستعداد الشخصى الموروث ، ثم الدراسة التى تكفل له الاحاطة بأسباب الاجتهاد ووسائله ... ومن ناحية أخرى ، فان الدساتير الحديثة تجعل التشريع لجماعة وفقا لأغلبية يحددها الدستور ، أما التشريع الاسلامى فانه يقوم أساسا على الاجتهاد الفردى ولا يمكن لأغلبية بالغة ما بلغت أن تجعل لرأى معين صفة الالزام .

أما من الناحية الموضوعية ، فالخلاف بين المسلكين أوضح : فالمذهب الحديث ، ان السلطة التشريعية (التأسيسية والعادية) تملك أن تصدر أى تشريع تشاء ، ولا سيما بالنسبة للسلطة المؤسسة التى لايحدها أى قيد ، أما الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية ، فانه مقصور على استمداد الأحكام الشرعية من مصدرها السماوى المتمثل فى القرآن والسنة ، ولهذا يميز علماء الأصول بين نوعين من الأحكام فى مجال الاجتهاد : أحكام خالدة لا يجوز فيها الاجتهاد ، وموضوعات مسكوت عنها فيجوز فيها الاجتهاد ، على أنه يجب أن يراعى : أن مجال الاجتهاد – برغم القيود الشديدة متسع ، نظرا لأن الأصول العامة التى يقوم عليها ، من المرونة بحيث تكفل مواجهة حاجات الجماعة المشروعة فى كافة العصور والأزمنة .

بقى أن نجيب عن سؤالنا : لا شك أن الاجتهاد الفردى لايصلح أن يكون مصدرا للتشريع فى الدولة الحديثة ،

بل أضحى من الضرورى - رعاية المصالح للناس . أن تكون ثمة قاعدة عامة ملزمة يخضع لها الجميع حكاما ومحكومين ، ولما كانت الديمقراطية الحديثة تقضى أن يتولى الشعب حكم نفسه عن طريق ممثليه ، فانه من الممكن عندنا أن يوفق بين الوضعين، فالصفات التى يتعين توافرها فى المجتهد مثلا ، لا يمكن اكتسابها فى الوقت الحاضر الا عن تلقى قدرا معينا من الثقافة ولما كانت الدولة الحديثة هى التى تشرف على التعليم ، فانه من الممكن حصر صفات الاجتهاد فى حملة شهادة معينة تعترف بها الدولة رسميا. ثم يتكون من حملة هذه الشهادة مجلس استشارى ، تعرض عليه كافة مشروعات القوانين ، قبل أن تتولى السلطة التشريعية اصدارها ليقرر مدى مطابقتها للأصول العامة فى التشريع الاسلامى ، ثم يعرض هذا الرأى على السلطة التشريعية قبل أن تقرر التشريع بصفة ملزمة ...

هذا الحل لا يجافى الأصول الدستورية الحديثة ، لأن من حق المجالس المنتخبة أن تستعين فى أداء عملها بآراء الفنيين والمتخصصين لتغطى ما فى أعضائها من نقص بسبب عدم اشتراط التخصص فى المرشحين .

ان التزام الدولة بمقتضى الدستور أن تعتبر الشريعة الاسلامية من مصادر التشريع بما يجعل من اللازم التوفيق بين مسلك الشريعة الاسلامية فى التشريع ، والمسلك الديمقراطى المعاصر حتى يزول كل تنافر ظاهرى بين العقائد من مقتضيات الحياة ، والحل الذى نقدمه هو حل ميسور عملا ، لا يعطل مبدأ من المبادىء المسلم بها دستوريا ، فضلا عن جدواه وفاعليته فى تحقيق الانسجام التشريعى - لا على مستوى جمهورية مصر العربية فحسب - بل على مستوى الوطن العربى والاسلامى معا ...

د. سليمان محمد الطماوى

إسلاميات شوقى

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

[٧]

وحديث شوقى عن السفور والحجاب الذى هب للمشاركة فى معمعته ، وخوض المعركة التى كانت قائمة من أجله ، بين أساطين الكتاب ، وكبار المفكرين ، نراه موزعا فى الشوقيات لمناسبات مختلفة ، كلها كانت تجره الى أن يعلن رأيه واضحا أو غير واضح ـ لكن اعلان هذا الرأى كان يتأثر بالملابسات والمناسبات ، ولا يمكن للذى يريد أن يضع هذا الرجل فى مكانه من أصحاب الآراء ـ حينئذ ـ أن يقول انه كان جادا أو غير جاد ، أو انه كان من هؤلاء الذين يقودون المعركة فى الصف الأول أو الثانى ، أو انه كان من المتفرجين لا أكثر ولا أقل .
وقصيدته التى مطلعها « صداح يا ملك الكنار » وهى احدى هذه القصائد كانت مع هذا الطائر الذى أضفى الله عليه ثوبا من الجمال والحسن الذى تكامل له فى صوته وريشه وشكله وحركات ذهابه ومجيئه فى ذلك القفص مختالا مثل اختيال الطاووس حتى كأنه فى منظره على الجملة تحفه هالة من الفن أبدع فيها مصور الأشياء وخالق الأرض والسماء ..

ولقد تخذت من الضحى
صفر الغلائل والحلى

ورويت فى بيض القلا
نس عن عذارى الهيكل

وقد رأينا أنها مع هذا الحوار الذى تضمنته ، والأسلوب القصصى الذى سيقت فيه ، تسجل عاطفة الأسى والأسف ، والألم والحزن ، على أن نفسا خلقها الله لتطير فى الفضاء ، من غير سدود ولا حدود ، يضمها قفص ، أو يحتويها سجن ، وكان جميلا منه أن يوجه لها النصح بالحرية ، وأن يلهب فيها النزوع الى الكفاح والجهاد ،

والتمـرد على الذل ، والثـورة على العبـودية ، والطمـوح الى الوضع الأكمـل ، والعيش الأفضـل ، ولا نستطيع بحال من الأحوال أن نجعلها حكما قاطعا ، أو قولا فصلا ، لكننا حين نتجاوزها الى قصيدة أخرى تشبه أن تكون تقريظا لكتاب تحرير المرأة الذى أثار هذه الضجة ، أو ثناء على المؤلف فى حفلة من حفلات التكريم التى كانت تقام فى هذا الوقت ، وفى الديوان أنها كانت برياسة هدى شعراوى زعيمة الاتحاد النسائى ونحن نجد أنه يشبه أن يكون هنا فى هذا الموقف مجاملا لا أكثر ولا أقل ، وقد كان قاسم أمين فى هذا الوقت فى ذمة التاريخ ، مضى على وفاته سنوات ، وكانت المرأة فى هـذه الآونة تغشى الأندية ، وتتقلد الأعمال ، وتزاحم الرجال وتطالب بالمساواة ، وتقوم بأعباء الوظائف ، والشعر الذى يقال حينئذ لا يمكن الا أن يكون ارضاء للأنثى ، واستدرارا لعطفها ، واستمالة لقلبها ، وهو يعلم علم اليقين أنه يقف بين يديها ، وأن الويل كل الويل له اذا جرح احساسها ، وأهاج غضبها ، أو نال من كرامتها ، وهو الذى كان يقول الشعراء صناديق مغلقة مفاتيحها عند النساء •

قل للرجال طغى الأسير ... طير الحجال متى يطير
أوهى جناحيه الحديـ ... ـد وحز ساقيه الحرير
ذهب الحجاب بصبره ... وأطال حيرته السفور
هل هيئت درج السماء ... له وهل نص الأثير
وهل استمر به الجنا ... ح وهم بالنهض الشكير
وسما لمنزله من الدنيا ... ومنزله خطير
ومتى تساس به الريا ... ض كما تساس به الوكور
أو كل ما عند الرجا ... ل له الخواطب والمهور
والسجن فى الأكواخ أو ... سجن يقال له القصور
ياقاسم انظر كيف سار الفكـ ... ـر وانتقل الشعور
جابت قضيتك البلا ... د كأنها مثل يسير
ان التى خلفت أمس ... وما سواك لها نصير

نهض الحفى بشـأنها
وسعى لخدمتهـا الظهير

فى ذمة الفضـلى هـدى
جيـل الى هاد فقـير

أقبلن يسـألن الحضـا
رة ما يفيـد وما يضـير

ما السـبل بينـة ولا
كل الهـداة بهـا بصـير

ولا شك أننا اذا وقفنا من شوقى موقف النـاقد وأردنا أن نحاسـبه الحساب الدقيق وجدنا أنه لم يتجاوز أن يكون مجاملا لهذا الجمع الحاشد من النسوة اللائى كن ــ حينئذ ــ فى هذا الحفل الذى كان على رأسه هدى شعراوى وهى زوجة رجل من ثلاثة رجال تقـدموا للمنـدوب السـامى الانجليـزى يعلنـون اليه أن مصر لا تريد أن تظل سياط الحماية تلهب ظهـورها ، وكان المصريون فى هـذا الوقت لا يجرأ واحد منهم أن يتجهم للحماية أو يعلن سخطه عليهـا ، أو عدم رضاه عنها ، وهى الى جانب ذلك تتزعم النصف الآخر من هذه الأمة ، على أن زلة القدم التى وقع فيها الشاعر عـلى حـين غفلـة كانت فى « أو كل ما عند الرجال الخ » لأن المرأة مهما تقلبت بها الحياة ، وأقبلت عليها الدنيا، وساعدتها الحظوظ على أن يكون لها وضع مرموق فى المجتمع الذى تعيش فيه ، فان ذلك كله لا يساوى شيئا الى جانب البيت الذى ترى نفسها فيه زوجـة وأم أولاد تـكون وهى فى جوارهم قريرة العين ، هادئة البال ، مرتاحة الضـمير ، والبيت الأخير من هذه الأبيـات « ما السبل بينة الخ » يوحى بأن المرأة الى هـذه اللحظـة كانت تعيش فى بيداء مشتبهة المعالم ، فليس لها هاد من دين يرشدها ، ولا أخلاق تعصمها ، ولا عرف يرسم لها الخطـوط الطويلة العريضـة ، ولا شريعة تقفها عنـد الحد الصحيح فى الحـلال والحرام ، أو الواجب وغير الواجب ، والرسول صلى الله عليـه وسلم يخاطب هذه الأمة ــ التى يقول لها الشاعر ــ « ما السبل بينة » فيقول تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعـدى ما تمسـكتم بهمـا ، كتاب الله وسنة رسـوله •• ويقـول فى حديث آخر الحلال بين والحرام بين •• ويقـول جل وعلا : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليـكم نعمتى ورضيت لـكم الاسـلام دينـا » •• ومن العجيب الغريب فى أمر أمير الشـعراء أنه فى

آخر هذه القصيدة يخاطب محرر المرآة ـ وهو في العالم الثاني ـ فيقول :

لقد اختلفنا والمعا
شر قد يخالفه العشير

في الرأي ثم أهاب بي
وبك المنادم والسمير

ومحا الرواح الى مغا
ني الود ما اقترف البكور

في الرأي تضطغن العقو
ل وليس تضطغن الصدور

وما عرف عنه أنه كان معارضا في الرأي ، أو مخالفا في المبدأ ، أو واقفا الى جانب المناوئين لقاسم أمين .

وديوان شعره على كثرة ما فيه من قصائد ، ليس فيه بيت واحد ينكر فيه هذه القضية ، أو يشكك فيها ، والقصائد التي خطر له فيها ، أن يتحدث الى الناس حديث السفور والحجاب ، أو يجري في ميدان المتحدثين ، لم يرد فيها ما ينبيء عن المعارضة أو المخالفة ، اللهم الا أن يكون ذلك من قبيل « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ومن أجدر الناس بأن تكون صناعتهم القول ، وحرفتهم البيان ، يجعلون منه حدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، بعد هؤلاء الشعراء الذين يخلقون من الحبة قبة ، وقد يتمثل لنا هذا المعنى كله بأجلى مظاهره ، وأروع أشكاله ، وهو ينقل الينا الصورة الرائعة الحسن . البالغة اقصى درجات السحر والجمال عن هذا الموقع الذي لا يكون الا في خيال الشعراء ، وأوهام الفلاسفة ، المسمى في الأستانة بتركيا « كوك صو » ومن القصيدة التي قالها هنالك يقدم لنا لوحة أبدعت الطبيعة في رسمها ، وأجادت في هندستها ، وتجاوزت حدود التصور في تصويرها ، من خمائل ترقص أشجارها ، وتغنى أطيارها ويتضاحك ماؤها ، ويرف هواؤها . وقد كان لديها نهر تروح ها هنا وهنالك سفن تشهد عبابه ، وتملأ رحابه ، والغواني في هذا الموقع الذي تجاوز الوصف ، كأنهن حور الجنان في طهارة ثوب ، ونقاء جيب ، لا يتطاول عليهن غوى ، ولا ينال منهن أثيم ، وهن مع ذلك كله لم يتحجبن عن الأنظار ، ولم يتخذن لهن الحجب والأستار .

فدتك مياه دجلة وهي سعد
ولا جعلت فداءك وهي نحس

وجاءك ماء زمـزم وهو طهـر
وأمـواه على الأردن قـدس

وكان النيـل يعـرس كل عـام
وأنت على المـدى فرح وعرس

وقد زعموه للغـادات رمسـا
وأنت لهمهـن الدهـر رمـس

وردنك كـوثرا وسفرن حـورا
وهل بالحور ان أسـفرن بأس

فقـل للحانحـين الى حجـاب
أتحجب عن صـنيع الله نفس

اذا لم يسـتر الأدب الغـواني
فلا يغنى الحـرير ولا الدمقس

تأمل هـل تـرى الا جـلالا
تحـس النفـس منـه ما تحس

كأن الخـود مريم فى سـفور
ورأيهـا حـواري وقـس

تهيبهـا الرجـال فلا ضـمير
يهم بهـا ولا عـين تحـس

ولا يستطيع انسان أن يزعم أن شاعرا تهزه مظاهر الطبيعة الجميلة ، فتأخذ بمجامع قلبـه ، وهواتف نفسـه ، وتقوده اليها قيادا لا يجد منه فكاكا ، ثم يحمله ذلك كله على أن يترجم مشاعره نحوها ، وأحاسيسه بهـا ، الى هذا القول الذى كان يستمد جماله منهـا ، كان محـكوما بالمنطق ، أو خاضعا للعقل ، أو جاريا فى قـوله على أسلوب القاضى الذى يفصل فى قضية ، أو يحسم النزاع فى خلاف قائم ، والقضـايا الشعرية دائما أبدا تقبل التوجيه ، وتصلح للتأويل ، ومثل هـذا الكلام لا يصـلح لأن تقوم به حجة ، أو ينهض به دليل ، ولهـذا فنحن نأخذه على أنه سحر نقف منه موقف الاعجاب ، لا فكر يملك منـا الأفئدة والألباب ، والشعر قد يهـز الشعور وهو كاذب ، على أننا لا نذهب بعيدا فى صدق الشاعر أو كذبه ، اذا ذهبنا ــ معا ــ الى قصيدة أخرى من تلك القصائد التى كانت مجالا واسعا للحديث عن المرأة حديثا ربـما ظن لأول وهلة أنه يقف فيها موقف المفتى الذى يبين حكم الله جل وعلا وهو لا يعدو أن يكون شيئا آخر لا تستطيع أن تنحله شيئا عن الحكم الذى يستحقه أكثر من كونه شاعرا وهو الوصف الذى لا نملك أن نجرده منه ، وهو أمير الشعراء باجماع شعراء البـلاد العربية كلهم من غير استثناء .

قم حي هـــذي النـــيرات
حـى الحســان الخـيرات

واخفض جبينـك هيبـــة
للخـــرد المتخفـــرات

زين المقــاصر والحجـــا
ل وزين محراب الصـــلاة

هـــذا مقام الأمهـــا
ت فهــل قــدرت الأمهـــات

لا تلـغ فيــه ولا تقـــل
غــير الفواصـــل محكمات

واذا خطبت فـــلا تكـــن
خطبـــا على مصـــر الفتـــاة

اذكـــر لهـــا اليـــابان لا
أمم الهـــوى المتهتـــكات

مـــاذا لقيت مـن الحضـــا
رة يـــا أخي ـ التـــرهات

خـــذ بالكتـــاب وبالحـــد
يث وســيرة الســلف الثقات

وارجـــع الى ســـنن الخـــلي
ـقة واتبــع نظـــم الحيـــاة

هـــذا رســـول اللـــه لم
ينقص حقـــوق الأمهـــات

العلم كان شريعـــة
لنســـائه المتفقهـــات

أدع الرجـــال لينظـــروا
كيف اتحـــاد الغانيـــات

والنفـــع كيف أخـذن في
أســـبابه متعـــاونات

مصـــر تجـــدد مجـــدها
بنســـائها المتجـــددات

لمـــا حضـــن لنـــا القضيـ
ـة كـــن خـــير الحاضـــنات

ينفـــثن في الفتيـــان من
روح الشـــجاعة والثبات

يهـــوين تقبيـــل المهنـــد
أو معانقـــة القنـــاة

ويرين حتى في الكـــرى
قبـــل الرجـــال محـــرمات

والشـــأن في الحديث الى المرأة أن يكون فيه من الورد شذاه ، ومن الطل نداه ، ومن المـاء صفاؤه ، ومن النجم بهاؤه ، ومن السحر خلابته ، ومن العود نغمته ، والا رمت به في وجـه صاحبه ، وجعلته في معايبه ، وأبت أن تفتح أذنها اليه ، أو عينها عليه ، ثم أعرضت عنه اعراضهـــا عن الشيء الكريه ... وشـوقي وهو هذا الشاعر

الذى يعرف كيف يهز القلوب ، ويستميل الأفئدة والأهواء ، كان بارع البيان ، قوى التغلغل الى مسارب النفوس ، وهو الحريص على أن ينال اعجابها ، وينزل منها منزلة الاكبار والاحترام ، ولا ينكر عليه أحد أنه وصل الى ذلك كله فى لباقة الحصيف ، وكياسة الحازم ، وسياسة الأديب الأريب والا فأين هو من هذا الذى يقوله ، أو أين هن .

زين المقاصر والحجال
وزين محراب الصلاة

ومثل هذا الصنف يحتويه بيته ، ويشغله شأنه ، ويحجبه دينه ، ويعصمه حياؤه ، ويقعد به عن الخروج ورعه ، واذا كنا نرى هذا المديح الذى ينساب فى الشعر كما ينساب الماء من الهضبات العالية ، يتابع به شوقى الجهد على أن يصغين اليه ، ويقبلن عليه ، فهو الذى رسم هذا المبدأ ، والغوانى يغرهن الثناء ، وليس لأحد أن يطالبه – أو يطلب منه – أن يكون له رأى أو مذهب ، لأن الشاعر مثل الطائر منطقه فى رجليه لا فى رأسه ، ومن الصعب أن يكلفه الناس باحقاق حق أو ابطال باطل .. ومن هذا المطاف الذى يطوفه القارىء لشاعرنا الكبير فى قصائده المختلفة التى عرض فيها للسفور والحجاب أو حاول أن يجعل نفسه فى عداد المتحدثين أو أصحاب الرأى ، لابد أن ينتهى من هذه الرحلة ، أو ذلك المطاف ، الى أنه شاعر بكل ما تحمله الكلمة من معانى الابداع والسحر ، والروعة والحسن والجمال والفتنة ، والذوق والأدب ، والكياسة واللباقة ؟

د/ابراهيم على أبو الخشب

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

[٦]

مما يعصم التلاميذ من مزالق السوء والانحرافات وفساد الأخلاق أن تهتم التربية بأوقات الفراغ فهى مفسدة للروح والخلق والعقل والبدن ، لأن مشاكل الأحداث تأخذ فى الاطراد والزيادة كلما وجدوا أنفسهم فى هوة من الفراغ فسيحة ولا يعرفون ماذا يعملون ولا الى أين يتجهون ،وما أكثر الفراغ فى عصرنا هذا سواء فى ذلك المدارس والمعامل والأسواق •

ولهذا ينبغى أن تتجه التربية الى استغلال أوقات الفراغ لبعث روح التدين والفضيلة فى نفوس النشء وتوسيع معلوماتهم ، وسبيلنا الى ذلك وسائل التعليم غير المباشرة ، حيث يعرض على التلاميذ الأفلام النافعة البناءة ، أو يستمعون الى الاذاعة أو يرتادون المكتبات لقراءة الكتب أو الصحف أو ينخرطون فى سلك الأندية الأدبية أو الرياضية أو الكشفية أو معسكرات العمل أو زيارة المتاحف أو المعارض أو ينظمون الرحلات أو يزورون المساجد للصلاة أو للحلقات الدينية والثقافية •

والهدف من كل ذلك عصمة الناشئة من الفساد فى أوقات الفراغ ثم اتاحة الفرصة فى هذه الأجواء من النشاط لمعالجة العادات غير المرغوب فيها ، واعلاء الغرائز ثم بناء الصفات الاجتماعية بناء سليما نقيا من الفساد والزيغ حتى تبدو شخصية الفرد متكاملة الى أقصى حد ممكن •

ومن الأمور الحيوية أن يعود المسجد الى سابق عهده مركزا للاشعاع الدينى ، ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحى فقد روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى ، والآخر يتفقهون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أحب الى من صاحبه ، أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم ، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل ، وانما بعثت معلما ، وجلس الى أهل الفقه .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان ثم قرأ قول الله تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

ويقول الحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه : « أن بيوتى فى أرضى المساجد ، وأن زوارى فيها هم عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن يكرم زائره » .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى رضوان الله الى الجنة » .

فمن الخير أن تكون للمسجد جاذبيته فى نفوس الشباب وأن توجه دروسه نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التى تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية ، وتثبيت قلوبهم بالايمان الراسخ والعقيدة السليمة وأن يجدوا الاجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم .

أما عن المناخ الصالح للتربية فان عناية الاسلام بتوفيره لا تبدأ فى فترة المراهقة ، وانما تبدأ مبكرا جدا وتعود حتى الى فترة ما قبل الحمل ، وهذا هو ما وصلت اليه مدارس التربية الحديثة اذ تتحدث فى اعداد الناشىء عن فترة ما قبل الحمل وأثر بيئة الزوج والزوجة ووراثتهما فيه .

فالاسلام قد سبق الى تقرير ذلك فوصى من يريد الزواج أن يتخير الزوجة الصالحة من الناحية الوراثية الجسمية ومن ناحية الصفات الوراثية النفسية ، فقد نصح الرسول عليه الصلاة والسلام بالابتعاد عن زواج القريبة القوية القرابة لما يحدث عن هذا الزواج غالبا من ظهور الصفات

الوراثية السيئة فى الأبنـــاء فقـال : «اغتربوا لا تضووا» ، ودعا الى الأناة فى ذلك مبينا أن أثر الوراثة يمتد الى أجيال بعيدة فقال : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » ، وفيما يتصل بأثر البيئة حذر من الانخداع بجمال المرأة التى نشأت فى بيئة فاسدة لما قد ينشأ عن هذا الزواج من خطر على الحياة الزوجية أو على الأبناء فقال : « اياكم وخضراء الدمن » قـــالوا وما خضراء الدمن يارســول الله ـ قـال : المرأة الحســناء فى المنبت الســوء » ، ومن الطبيعى أن ما يصـدق على المرأة فى هذا الصدد يصدق كذلك على الرجل.

ولتوفير الجو الحانى الرقيق حرص الاسلام على أن ينشأ الطفـل فى ظل أبويه ، فحـاط الزواج بسـياج من الروابط القـــوية التى تحميــه من التفكك ، بمـــا شرع فيــه لـكل من الزوجين من حقوق ، وما فرض فيه على كل منهما من واجبات ، وبتنفيره أشد التنفير من الطـلاق ، قال عليــه الســلام : « أبغض الحـلال الى الله الطلاق » كما أنه جعل حضانة الطفل حتى السابعة ، وحضانة الطفلة حتى التاســعة من حق الأم ، لأنهـا أحن وأرفق من الأب .

ولكن الاســلام مع هـذا الحنـان الرفيـــق فى سنى الطفـــولة الأولى لا ينسى الحزم الموجه ، فهو ينقـــل حضانة الطفـل والطفلة فى سن معينة الى الأب ، وهو يوصى أن يوجه الطفل الى الصـــلاة فى سن الســابعة وأن يؤخذ بالشــدة اذا تركهـا فى ســن العاشرة .

أما اليتيم ـ وهو من فقـد أباه ولم يبـلغ مبلغ الرجال ـ فله شـأن أكبر وأظهر فى الدلالة على عناية الاسلام بتربية النشء وتوفير المناخ الصــالح لتلك التربية ، ويكفى فى الاشارة الى شأنه ومكانه العناية به أن نذكر قول النبى صـلى الله عليـه وسـلم : (أنا وكافل اليتيم فى الجنـة هكذا) ... وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ليدل على أنهما قرينان أو صنوان ، هذا الى قول الله لرسوله بعد أن ذكره بفضله عليه حال يتمه (فأما اليتيم فلا تقهر) وقد قال الامام محمد عبده رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية : لو علم الناس ما فى اهمال تربية الأيتـام من الفساد فى الأمة ، لقدروا عنـاية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم فى اصـلاح حال الأيتـــام كل ما اسـتطاعوا ، ولو أحس كل واحد

بأن الموت قريب منه وأنه هدف لنباله ، ولا يدرى متى يأخذه عن ولده ، فيتركه اما غنيا يأكل ماله الأوصياء . أو فقيرا يستذله الأدنياء، لتسابقوا الى تقويم أمر اليتيم .

ولكى يتوفر المناخ الصالح للتربية الدينية للمراهقين يلزم أن تعمل الجهات المسئولة فىالمجتمع على ضمان رعاية الآداب ، واتباع تعاليم الدين فى مختلف مراحل الحياة ، ومحاربة العوامل الضارة التى تنحرف بالشباب عن جادة الصلاح ، وتوجيه وسائل التثقيف والاعلام من كتب وصحافة واذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما وغيرها من الأنشطة الفنية الى مراعاة جانب القدوة الصالحة والتوجيه الرشيد وتحاشى كل ما من شأنه اثارة الغرائز الجامحة عند الشباب .

ويقودنا هذا الى الحديث مرة أخرى عن وقت الفراغ وأثره المباشر على المراهقين وعلى بناء شخصياتهم وتكوين اتجاهاتهم النفسية والاجتماعية .

والواقع أن حسن استثمار وقت الفراغ قد أصبح مقياسا من مقاييس الحضارة بالنسبة للشعوب وكثيرا ما يتحدد اتجاه الدولة نحو البناء الاجتماعى وفقا لمفهوم هذه الدولة وفلسفتها تجاه وقت الفراغ من أجل ذلك عنيت الدول المتحضرة بوضع الخطط المختلفة لحسن الاستفادة من وقت الفراغ بما يعود على المواطن وعلى الدولة بالنفع .

وقد دلت الأبحاث النفسية والاجتماعية على أن الفراغ يأتى على رأس الأسباب المباشرة لانحراف الشباب وخاصة فى مرحلة المراهقة ، وهو المسئول عن مشاكل تشرد الشباب وجموع الأحداث والتسكع فى الشوارع والانضمام الى رفقاء السوء والعصابات وادمان الخمر والمخدرات وكل ما يؤدى الى تدهور الأخلاق والقيم والأمراض النفسية والحل السليم لمشكلة وقت الفراغ — كما أثبتت الدراسات والأبحاث هو ما يسميه علماء النفس بأسلوب الاستبدال وهو يحول فكر المراهق وقلبه منالاتجاه وراء دوافع الغرائز ، ويتجه بها وجهة نافعة تتفق مع مصلحته ومصلحة المجتمع .. وتهتم الدول المتقدمة بهذا الأمر فتهيىء لشبابها كل الوسائل لحسن استغلال

وقت الفـراغ مثـل الملاعب والأندية الرياضية والنشاط الكشفى والرحلات والمكتبات ومراكز الثقـافة والخدمة العامة ومعسكرات العمل وغيرها .

ولقد عنيت المدرسـة الاسـلامية أعظم العناية بهذا الأمر ، فهى تحول فكر الفتى والفتـاة الى التركيز على نواح كثـيرة ومفيـدة مثـل تحصيل المعرفة والعمل والعبـادة والرياضة وغيرها .

فالعلم وتحصيل المعرفة أمر اجبارى ومستمر مدى الحياة ، قال صـلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقال : « أطلب العلم من المهـد الى اللحد » وفى ظل هذين المبـدأين يجد الشـاب نفسه مطالبا أن يتعلم وأن يستمر فى التعلم ما دامت الحيـاة ، ويجد ذلك أمرا حتميا لا مناص منه . وهو بهذا يتابع الخطا على طريق المعرفة مدفوعا اليها بدافع من دينـه ، أو مشـدودا اليهـا برغبـة ملحة من نفسـه ، وفى كلتـا الحالتين يعيش مشـغول القلب بطلب المعرفة ويستضىء ، بوعى منها مشرق مسـتمر ، متجدد ، يهـديه الى أقوم السبيل .

وحث الاسلام على تعلم السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل ، وغيرذلك من ألوان الفتـوة الرياضـية وشرع السباق فى الجـرى ، والمصـارعة والنضال بالسهام ، والرماية بالقوس ، والرهان ، والطعن بالرمحوالحربة ، وركوب الخيـل مسرجة ومعـراة ، والسـباحة والضرب بالسيف ، ورفع الأثقـال والسـباق بين الفرسـان المتسـابقين عـلى الخيـل أو الابل واشترك النبى صـلوات الله وسـلامه عليـه فى هـذا ، حين تكررت منـه مسابقته لزوجته السيدة عائشة ووضع الرسول لهذه المسابقات نظما وتفاصيل، وعود صحابته أن يتعلموا التواضع فى ذلك ، مع الاستعداد للتحدى حينمـا لا يجدى التواضع .

ويمـدح الاسـلام المؤمن القوى ويعتبره أنفع وأفضـل عنـد الله من الضعيف فيقـول الرسـول الكريم : « المؤمن القـوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ويقـول فى حـديث آخر : « ان لبـدنك عليـك حقا » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » وكان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول لولده : « يا بنى العبوا فان المروءة لا تكون الا بعد اللعب »، وفى معناه يقول أبو تمام : ولا جد لمن لم يلعب .

وحث الاسلام على التدرب على الرمى واتقانه والمداومة عليه ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (من تعلم القرآن ونسيه فليس منا ، ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منا ، وقوله أيضا : « الا أن القوة الرمى » ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به والمعد به ، فارموا واركبوا وان ترامو أحب الى من أن تركبوا » وقوله عليه السلام : « كل ما يلهو به المرء المسلم باطل ، الا رميه بقوسه ، وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله » ، وقوله : « من ترك الرمى بعدما علمه فانما هى نعمة جحدها » وخرج صلى الله عليه وسلم مع نفر من أسلم يتنضلون بالسوق فقال : « ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا ، ارموا ، وأنا مع بنى فلان . فأمسك أحد الفريقين ، فقال ما لكم لا ترمون ؟ فقالوا كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم جميعا » .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على التدريب على الرمى والطعن بالحراب والتمرس بأعمال القتال حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميدانا للتدريب .

فيروى أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بحرابهم عند النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فدخل عمر رضى الله عنه فأنكر عليهم لعبهم بالحراب فى المسجد فقال النبى « دعهم يا عمر » .

قال الرسول ذلك لأن المسجد موضوع « لأمن » جماعة المسلمين فأى عمل من الأعمال يجمع بين منفعة الدين وأهله فهو جائز فيه مباح بين جدرانه ، وقد بلغ تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد .

ثم انه روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام مر بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى

فنزع نعليه ثم قال : « روض من رياض الجنة » يقصد أن العمل الذى يعمل فى هذا الموضع يوجب روضة من رياض الجنة .

هكذا تكون التربية التى تصنع الشباب المؤمن القوى القادر على مواجهة التحديات الجسام فلا غرابة فى أن نرى الصبيان فى صدر الاسلام يسارعون فى الجهاد حماية للدين وحمية للوطن واقتداء بآبائهم وذويهم، وقد قاتل بعضهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبد الله بن عمر : عرضت على رسول الله يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى (١) .

ورد رسول الله يوم أحد زيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة (٢) .

وكان قد رفض اشتراك سمرة بن جندب الفزارى ، ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل له أن رافعا يجيد الرمى ، فقبله ، فلما قبله قيل له أن سمرة يصرع رافعا ، فقبله أيضا (٣) .

محمد جمال الدين

---

(١) ، (٢) ، (٣) سيرة بن هشام .

تكريم

للأستاذ السيد حسن قزون

كانت مكة قبيل البعثة وظهور الاسلام ، وقبل مولد سيد ولد آدم مركز تجمع لطوائف شتى من الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ، بعضهم يقصدها للتجارة ، وبعضهم يقصدها انتظارا لمطلع النبى المنتظر ، وبعضهم يجلب اليها جلبا مثل الأرقاء والاماء ، وبعضهم يتخذ من رجالاتها أحلافا يستعين بهم على كفاح الحياة ، وشئون الحرب والسلم .

وانك لتعجب لأناس فى ذلك الزمان يتركون الخصب والنماء ، ويقبلون على مكة وهى بواد غير ذى زرع ، فيحمدون حرها وجبالها ، وتجنهم الطبيعة فيها ، والا فأى جمال واعتدال جذبا الأخنس بن شريق ليترك الطائف وهى مصيف قريش ليتخذ من مكة سكناه ، ومضطرب مساعيه ؟ ثم هو يجعل له حليفا من قريش هم بنو زهرة ، وماذا عليه لو عاش بين قومه وأهله ؟ وما نقوله فى شأن الأخنس نقوله فى شأن (الحارث بن سخبرة الأزدى) ترك داره وعشيرته ورحل الى مكة يسوق معه زوجه (أم رومان بنت عامر الكنانية) وولده منها ومولاه عامر بن فهيرة وهناك حالف أبا بكر الصديق ، ومارس عيشه كما يمارسه القرشيون ، ورضى عن نفسه فى جوار حليفه ، ولم تمض سنوات حتى ودع الحياة والناس ، وتقلبت الدنيا بأسرته ، فتزوجت أم رومان أبا بكر ، وانتقلت ملكية مولاه الى ابنه الطفيل ، وأنجبت أم رومان لأبى بكر عائشة وعبد الرحمن ،فصارا أخوين للطفيل للأم العظيمة .

كان عامر بن فهيرة حين قدم الى مكة من أرض (السراة) صغير السن فى ميعة الصبا ، لم يسأل نفسه لم قدم ؟ ولم يسأل سيده لم ترك وطنه حيث العشيرة والعز ؟ولم يسأل ويكلف نفسه العناء والرد الخشن ؟

انه مولى ومتى جاز للموالى أن يسألوا سادتهم ، أو يكون لهم رأى فى الحل والترحال ، واختيار المكان ؟ عليه أن يقوم بتنفيذ ما يؤمر به ، فهو فى يد سيده آلة يستعان بها ، أو حيوان يقوم بدوره فى هذه الحياة ، لقد مات الحارث سيده فورثه الوارث كأى عقار أو حيوان ، ولم يدر فى خلده أن رحلة سيده ومقامه فى مكة كانا لأمر يراد ، لأمر يخصه هو أكثر من سواه ، ولله فى خلقه شئون ، وما قدره لابد أن يكون .

وغدا ذات يوم بغنمه ليرعى خارج مكة فلقى أمورا لم يتنبه لها أول الأمر ، رأى القرشيين جماعات جماعات يتحدثون كأنهم يهمسون ، ولم يشغل نفسه بهم ، ولم يفكر فيما يصرفون حديثهم فيه ، فهم لديه أناس قد ارتفعوا على قمة العرب لهم مجدهم ووجدهم وكعبتهم ، والناس اليهم يحجون ، قد أقبلت عليهم الدنيا ، وركنوا الى الخفض والدعة ، فأيامهم بيض ، ولياليهم حسان ، وسار فى طريقه حتى وصل الى مرعاه ، وراح آخر النهار الى منزل سيده معه غنمه ، فرأى الناس كما عهدهم صباحا ، كأنهم لم يفارقوا مواقفهم مذ تركهم فيها ، وسمع كلاما يدور ، وأصواتا فيها التعجب والانكار ، وترامت الى أذنه كلمات : ان غلام (١) بنى عبد المطلب ليكلم من السماء ، ان محمدا يأتيه الوحى بالقرآن ، لقد استجاب لقوله أناس من مكة ، ووجد نفسه يعى ما يسمع ، ويردد فى صمته ما يقال ، ودارت فى نفسه الكلمات مشرقة زاهرة ، ولكنها فى عقله تحتاج الى بيان ، وكاد ينسى الغنم ، وأسلمها فى الدار ، وخرج يتنسم الأخبار ... دار فى دروب مكة ومنعطفاتها ، ودار حولها واستحيا أن يسأل عما سمعه من المتحدثين المنكرين ، انه يعرف محمد بن عبد الله معرفة تامة ، ومن فى مكة لا يعرف محمدا الأمين ؟ ورجع من حيث أتى ، ونام وأرجأ ما ينويه الى الصباح الجديد . أرأيت الظمآن فى قلب الصحراء ينيله الحظ ينبوعا من الماء ؟ أرأيت الغريق حين يلقى اليه طوق النجاة ؟ أرأيت الضال حين يهتدى الى طريقه وسط الفلاة ؟ تلك حال عامر

---

(١) الطبقات : دعاء رسول الله الى الاسلام جـ ١

ابن فهيرة حين التقى بالنور وأسلم على يد خير خلق الله ، كان ذلك (١) قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وقبل أن يدعو فيها ، كان ابن فهيرة يومئذ قد جاوز العشرين من عمره كان تائهـا فلقى نفسه ، وكان لا شيء فأحس أنه شيء جدير بالحياة ، ألم يسمع القرآن ويعلم أن الله واحد لا شريك له وأن الأصنام التى تملأ البيت الحرام ضلال مبين ، ووهم من أوهام البشر ، وأن الانسان لا يملك أمره الا الله خالق السموات والأرض ؟ ومن ذلك اليوم أصبح من أصحاب محمد ، يفكر فى نشر الدين الجديد ، ويتحمل المكاره فى سبيل نشره ، ويتعرض لسخط قريش ونكايتها ، فلا يزيده ذلك الا تمسكا بدينه ،وثقة بربه ، وحبا لنبيه ، كل عذاب يهون ، لقد أشرق الايمان فى قلبه ، فشعر بالبهجة الدائمة ، والفرحة التامة ، وماذا تفعل قريش ؟ انها من مخلوقات الله هو مثلها من بنى آدم وما الرق الا غشاء ينبغى أن يزول ، وقد بشره النبى بمكانة الصالحين يوم القيامة ، وفى مقدوره أن ينالها بصدق الايمان والعمل الصالح، والجهاد فى سبيل الله بالدعوة الى الاسلام ، ويحمل السلاح حين يؤمر بحمله ، وتعقبه كفار قريش يؤذونه فى نفسه وبدنه ، رآه أبو بكر الصديق وهو يعانى قسوة أعداء التوحيد ، فاشتراه فاعتقه ، وصار حرا ، ولكنه لم يفارق الكريم الذى أنقذه من الرق ، فأوى الى بيته حيث أم رومان وولدها عبد الرحمن وعائشة ،وعبد الله وأسماء ابنا أبى بكر الصديق ، وجد الأسرة الكريمة التى لا يشعر بالغربة معها ولا سيما أخوة الدين وما أجلها أخوة ، انها أقوى من لحمة النسب ، ولم يترك مهنة الرعى ، فكان لأبى بكر كما كان للسيدين السابقين الحارث وابنه الطفيل ، وصار يتردد على منزل الوحى الأثير حيث يتلقى القرآن ، ويسمع كلام الرسول ،ويزداد معرفة بتعاليم الدين ومرت الأيام وكرت الأعوام كطبيعتها ، وتنكرت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فهاجروا الى الحبشة ، ومن بقى منهم ناله العذاب الأليم الا نفرا كانت لهم عصبية تذود عنهم كيد الكائدين ، ومكر الماكرين .

---

(١) الطبقات : عامر بن فهيرة .

وأذن الله لرسوله بالهجرة الى يثرب ، وهنا نجد عامر بن فهيرة على مستوى المسئولية ـ كما نقول اليوم ـ يقوم بخدمات سجلها التاريخ فى صفحات لا تنقضى على مر العصور ، انه رجل جد ، ومؤمن بما يأتيه من الأعمال ، أحاط بأسرار الهجرة فكتمها ، وقام بدوره فيها يحدوه التوفيق ، فما ان أوى رسول الله ورفيقه أبو بكر الى غار ثور حتى كان ابن فهيرة ومنيحة (1) الغنم التى يرعاها لأبى بكر سبيله الى أداء الخدمة الموكل بها ، فهو يذهب ليلا الى الغار اليهما فيحلبان ويبقى الى السحر ، ثم يصبح مع رعيان مكة ، وفى طريقه يعفى على أثر سير عبد الله بن أبى بكر الذى كان يبيت معهما لينقل اليهما أخبار قريش ، ثلاثة أيام قضاها عاملا جاهدا يأخذ حذره ، ويحتاط لنفسه أملا فى اطعام الرسول وصاحبه ، ولما هدأ الطلب نال ما تمنى ، فقد صحبهما الى يثرب ، وقد شاهد فى الطريق آيات من معجزات النبى عمقت ايمانه، وأثلجت صدره ، وجعلته من الأخيار المكرمين ، شاهد قوائم فرس (سراقة) تسوخ فى الرمال ، ويرجو من الرسول أن ينقذه ، وهو الذى منته قريش بمائة من الابل ليرجع بمحمد، ويحول بينه وبين بلوغ قصده ، ورأى الرسول يمسح على ضرع الشاة العجفاء فيمتلىء لبنا يكفيه ويكفى من معه ، ويترك الاناء مملوءا لصاحبتها أم معبد ، وشاهد الاستقبال الرائع لسيد الرسل حين بلغوا المدينة ، رحلة شاقة ولكنها موفقة وحبيبة الى النفس، بها انتشر الاسلام وعز جنده ، وعبد الله وحده ، وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

وفى المدينة نزل على سعد بن خيثمة ، وآخى النبى بينه وبين الحارث بن أوس بن معاذ ، وزاول حياته الجديدة قرير العين مفتوح الفؤاد ، يحفظ ما ينزل من القرآن ، ويحرص على أداء الفرائض ، ويحمد الله صباح مساء على نعمة الايمان والتقوى . وفتح باب الجهاد على مصراعيه للذياد عن العقيدة فأصبح

(1) قطيع الغنم .

جنديا من جنـود الرحمـن يحارب الطغيان ، شـهد بدرا وأحدا ، وأبلى بلاء حسنا ، ابتهج بالنصر فى الأولى ، ولم ييئس من الهزيمة فى الأخرى ، ان العاقبـة للمتقين ، وكيف لا يكون كذلك وهو يتلو قوله تعالى : (١) « ان يمسسكم قرح فقد مس القـوم قرح مثله وتلك الأيام نداولهـا بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شـهداء والله لا يحب الظـالمين • وليمحص الله الذين آمنـوا ويمحق الكافرين • أم حسـبتم أن تدخلـوا الجنة ولمـا يعلـم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » •

وتاقت نفسه الى الشـهادة ، لأنه يريد نشر الدعوة ، ليرتفع بالانسـان الى مناط الملأ الأعلى ، لتخلص العبادة لله ، ليترك النـاس عبـادة الأوثان وأرباب السلطان ، لقد باع نفسه لله لينال الجزاء الذى وعد به ، وليكون مع الأبرار والصـديقين والشـهداء ، وينتدب مع مجموعة من خيـار الأمة الاسـلامية ليدعوا أهـل نجـد الى الاسلام استجابة لرجاء رجل من بنى عامر هو أبو براء عـامر بن مالك بن جعفر ـ ملاعب الأسنة ـ وكان سيد بنى عامر ، قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى الرسول قبولها •وقال يا أبا براء ، لا أقبل هدية مشرك ، فأسلم ان أردت أن أقبـل هديتـك ، وعرض عليـه الاسلام (٢) « فلم يسلم ولم يبعـد » وقال : يا محمد ، ان أمرك هذا الذى تدعو اليه حسن جميـل ، فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهـل نجد ، فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقـال الرسـول ـ وهو العليـم بخـلائق العـرب ـ انى أخشى عليهم أهل نجد ، فقـال أبو براء : أنا جار لهـم ، فابعثهـم دعاة لأمرك • قـال الرواة : فبعث الرسول المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة ، ليموت فى أربعـين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصمة ، ونافع بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة ، لم يكن هؤلاء الدعاة على نية قتال ، ان أبا براء أعطى ذمة لرسـول الله ، وأنه جـار لهـم ، فكانوا مطمئنين ، لم يأخـذوا حـذرهم ، ولم يفـكروا فى غدر من جاءوا لانقاذهم من ضـلالهم ، نزلوا

---

(١) من سورة آل عمران ١٤٠ ـ ١٤٢ (٢) الطبرى حوادث السـنة الرابعة من الهجرة

(بئر معونة) وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، وهى الى حرة بنى سليم أقرب ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر الى الكتاب بل عدا عليه فقتله ، ثم استصرخ على الدعاة بنى عامر فلم يستجيبوا له وقالوا لن نخفر أبا براء ، فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم فأجابوه ، فخرجوا حتى غشوا القوم المسلمين ، ودارت معركة لم تكن فى حسبانهم فقتلوا جميعا الا كعب بن زيد من بنى النجار ، فانهم تركوه وفيه رمق • ونقل الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية الضمرى • فقال الرسول : هذا عمل أبى براء ، وكنت لهذا كارها •

استشهد فى هذه الغزوة عامر بن فهيرة ، وكان لاستشهاده أثر فى قاتله اذ رأى تكريما له وكرامات جعله بعد أن أسلم يحكيها ويتعجب من أمرها. ان قاتله (جبار بن سلمى الكلبى) طعن عامر بن فهيرة فأنفذه • فقال عامر : « فزت والله » قال القاتل : وذهب بعامر علوا فى السماء حتى ما أراه • وسأل : ماقوله : فزت والله قالوا : الجنة فكان أن أسلم جبار بن سلمى وحسن اسلامه •

ويقول رسول الله لأصحابه : « ان الملائكة وارت جثته ، وأنزل عليين » وهو تكريم من الله أغدقه على رجل مؤمن من عباده المؤمنين الصادقين • كان ابن فهيرة من مولدى الأزد تقلبت به الأحوال ، فاهتدى وجاهد ، وأحب الله فأحبه ، فنال سعادة الدنيا وحسن نعيم الآخرة • استشهد وقد بلغ الأربعين من عمره فى السنة الرابعة من الهجرة ، وخلف لنا من بعده سيرة مجيدة نراها مثالا عظيما للصالحين المجاهدين •

السيد حسن قرون

ميراث الشفعة

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

اختلف الفقهاء فى ميراث الشفعة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنها لاتورث . فاذا مات الشفيع بعد وجود سببها وقبل الأخذ بها سقطت ولا تنتقل ميراثا الى الورثة مطلقا سواء أطالب بها بعد وجود سببها أم لم يطالب بها ، ذهب الى ذلك : الحنفية والحسن والشعبى والثورى وابن سيرين والنخعى واسحاق .

القول الثانى : انها تورث : فاذا مات الشفيع بعد وجود سببها وقبل الأخذ بها فانها لا تسقط وتنتقل ميراثا الى الورثة مطلقا سواء أطالب بها بعد وجود سببها أم لم يطالب بها . ذهب الى ذلك المالكية والشافعية والعنبرى

القول الثالث : انها تورث اذا طلبها الشفيع بعد وجود سببها فلا تسقط بموته وتنتقل ميراثا الى ورثته ولا تورث اذا لم يطلبها فتسقط ولا تنتقل ميراثا الى ورثته . ذهب الى ذلك الحنابلة والظاهرية .

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول : على أن الشفعة لاتورث مطلقا سواء أطالب بها الشفيع بعد وجود سببها أم لم يطالب بدليلين :

الدليل الأول : ان الشفعة ما هى الا مجرد رغبة من الرغبات فتزول بموت الشفيع كسائر أوصافه من علم وقدرة وغيرهما فلا يتصور ارثها لعدم بقائها . هذا اذا طلبها الشفيع بعد وجود سببها ومن باب أولى لا تورث اذا لم يطلبها ؟ فالشفعة لا تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع أم لم يطلبها .

ورد هذا الدليل : بأنا لا نسلم أن الشفقة ما هى الا رغبة من الرغبات لأنها حق أثبته الشارع لدفع الضرر فيورث كما يورث خيار العيب .

الدليل الثانى ان ملك الشفيع للعين التى كان يشفع بها قد زال عنه بموته وانتقل ملكها الى الوارث • فملك الوارث للعين التى يشفع بها حدث بعد بيع المشفوع فيه فلا شفعة له لانتفاء شرطها وهو وجودملك الشفيع للعين التى يشفع بها قبل البيع وبقاؤه الى الأخذ بالشفعة •

ورد هذا الدليل : بأن الوارث لم تكن له الشفعة بناء على ملكه المتجدد بالميراث وانما تكون له الشفعة بناء على ملك مورثه لأن قيامه مقامه يجعل ملك المورث كأنه مستمر الى وقت الأخذ بالشفعه فيتحقق الشرط حكما فيكون له الأخذ بالشفعة ميراثا عن مورثه •

واستدل أصحاب القول الثانى : على أن الشفعة تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع بعد وجود سببها أم لم يطلبها بالقياس •

فقالوا : ان الشفعة كخيار الرد بالعيب بجامع رفع الضرر فى كل • فكما أن خيار الرد بالعيب يورث فكذلك الشفعة تورث •

ورد هذا الدليل : انه قياس مع الفارق فان الضرر فى العيب محقق وهو فوات جزء من المبيع قد انتفع البائع بما يقابله من الثمن • دون انتفاع المشترى بذلك • ولما كان هذا الضرر يلحق الوراث كما يلحق المورث ثبت له ما ثبت لمورثه ليدفع عن نفسه هذا الضرر • أما الشفعة فان الضرر فيها غير محقق • وكان الظاهر عدم ثبوتها لأجله لولا ماورد من الأدلة المثبتة لها • ولا يلزم من اعتبار الضرر غير المحقق لشخص اعتباره لشخص آخر •

ودفع هذا الرد : بأنا لانسلم الفرق • فان غاية مافى خيار الرد بالعيب أن العيب محقق ، وتحقق العيب لا يستلزم تحقق الضرر فقد يحصل الضرر وقد لا يحصل بأن كان المبيع مع وجود العيب فيه صالحا لما يقصد منه ، وكذلك الشفعه فان الشفيع قد يتيقن حصول الضرر لعلمه السابق بأخلاق المشترى وسوء مخالطته وقد لايتيقنه فاستويا فى أن كلا منهما حق شرع لرفع الضرر مطلقا سواء أكان محققا أم كان غير محقق •

واستدل أصحاب القول الثالث : على أن الشفعة تورث اذا طلبها الشفيع بعد وجود سببها ولا تورث اذا لم يطلبها : بأن الشفعة قبل طلبها تكون مجرد رغبة للشفيع قائمة بنفسه فتزول بموته ولا تورث لعدم بقائها ، أما بعد طلبها فهى حق ثابت لا يزول بالموت لتقرره بالطلب . ولذلك لاتسقط بتأخير الأخذ بها بعد الطلب وتسقط قبله .

ورد هذا الاستدلال : بأن الشفعة حق أثبته الشارع الحكيم للشفيع بمجرد البيع دون توقف على الطلب. والتفرقة بين حالة طلبها وحالة عدم طلبها فى ارثها لا دليل عليها ، ولا يضير هذا الحق كونه يسقط بتأخير الطلب . ولايسقط بتأخير الأخذ بعد الطلب ، فانه فى الحالتين مجرد حق لا ملك معه فتجب التسوية بينهما ، واذا قلنا : ان الشفعة تورث اذا طلبها الشفيع وجب أن تقول أنها تورث - أيضا - اذا لم يطلبها الشفيع بعد وجود سببها ومات فالشفعة تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع بعد وجود سببها أم لم يطلبها .

القول الراجح : والقول الراجح من الأقوال الثلاثة فى ميراث الشفعة هو القول الثانى وهو : أن الشفعة تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع أم لم يطلبها لقوة دليله ولأن الغالب معاشرة الورثة لمورثهم فى حياته وتضررهم بما يتضرر به . فمشروعية الشفعة له فى حياته انما هى لرفع الضرر عنه وعنهم جميعا فلو سقطت بموته بعد وجود سببها وهو اتصال الملك مع البيع للحقهم الضرر الذى ما شرعت الشفعة لمورثهم الا لرفعه .

ميراث الشفعة فى القانون الوضعى:

لم يوجد نص فى القانون الوضعى يفيد أن الشفعة تورث أو لا تورث وقد ترك ذلك لاجتهاد القاضى ، فان رأى المصلحة فى أن الشفعة تورث حكم بها وان رأى أن المصلحة فى عدم توريثها حكم بأنها لا تورث . ويحدثنا الدكتور عبد المنعم فرج الصده فى كتابه (حق الملكية) بما يفيد أن رجال التشريع الوضعى ورجال القضاء قد اختلفوا فى ميراث حق الشفعة كما اختلف فقهاء الشريعة الاسلامية فيقول :« وفى الفقه المصرى اختلف الرأى - أيضا .

فقائل : « ان حق الأخذ بالشفعة لا يسقط بموت الشفيع بل ينتقل الى ورثته •

وقائل : انه يورث اذا كان الشفيع قد رفع دعوى الشفعة ، أما اذا مات قبل رفع الدعوى فلا يورث حقه لأنه يكون حينئذ مجرد رغبة لا ترقى الى مرتبة الحق •

وقائل : أنه لايورث حتى لو مات الشفيع بعد رفع الدعوى• لأن الشفيع لم تستمر ملكيته الى حين الحكم بالشفعة ولا يستطيع الوارث أن يأخذ بالشفعة لأنه لم يكن مالكا وقت البيع •

وفى القضاء ظهر رأيان : أيضا •

أحدهما يقول : بسقوط حق الشفيع اذا مات قبل أن يتملك العقار المشفوع فيه بالرضا أو بالقضاء •

بينما يذهب الرأى الآخر الى أن هذا الحق ينتقل بالميراث •

ولما عرض الأمر على محكمة الاستئناف بدوائرها المجتمعة قضت بسقوط الحق فى الشفعة اذا مات الشفيع قبل أن يتملك العين المشفوع فيها بالرضا أو بالقضاء وذلك أخذا بالمذهب الحنفى الذى يعتبر هذا الحق مجرد رأى أو مشيئة • فلا يمكن أن يورث ، ولأن من شروط الشفعة أن يكون الشفيع مالكا لما يشفع به من وقت البيع الى وقت الأخذ بالشفعة • فاذا مات الشفيع زال ملكه وسقطت شفعته بزوال سببها ولا تنتقل الى وارثه • ولأن الوارث انما يملك بالميراث من وقت الوفاة وهى حادثة بعد البيع •

ولكن محكمة النقض : رفضت هذا النظر حيث قضت بأن حق الشفعة ينتقل الى الورثة ـ كرأى جمهور الفقه الاسلامى ـ وذلك باعتباره مالا يورث وليس حقا متصلا بشخص الشفيع • اذ أن هذا هو الذى يتفق مع مبادىء قانوننا الوضعى •• وكون الشريعة الاسلامية هى مصدر تشريع الشفعة لا يوجب التقيد بآراء فقهائها عند البحث فى هل ينتقل حق الشفعة بالارث أم لم ينتقل ؟ •

وحين وضع المشروع التمهيدى للتقنين المدنى : انقسمت اللجنة التى

عهد اليها بوضع مشروع الشفعة الى فريقين :

وكانت الأغلبية مؤيدة لانتقال الحق فى الأخذ بالشفعة بالميراث : فانتهى الأمر بأن تضمن المشروع التمهيدى نصا يقول : « ان الحق فى الشفعة لا ينتقل بالحوالة وانما ينتقل بالميراث » .

ولكن لجنة المراجعة عدلت هذا النص بحيث يقضى بعدم انتقال الحق فى الأخذ بالشفعة بالميراث حيث جاء فيه : « ان الحق فى الشفعة لا ينتقل بالتحويل ولا بالميراث » .

وفى لجنة القانون المدنى : بمجلس الشيوخ قام نقاش حول توارث حق الأخذ بالشفعة أدى الى حذف هذا النص وترك حكمة الى اجتهاد القضاء .

ونحن نقرر ما ذهبت اليه محكمة النقض من أن حق الشفيع فى الأخذ بالشفعة لا يسقط بموته وانما ينتقل الى ورثته ونعتقد أن هذا الانتقال يتحقق حتى لو مات الشفيع قبل اعلان الرغبة فى الأخذ بالشفعة وقبل رفع الدعوى ، ذلك أن الشفعة ولو أنها رخصة تتعلق بمشيئة الشفيع الا أنها بحكم طبيعتها تلازم العقار المشفوع به فتنتقل معه الى الوارث حيث أنها تثبت للشفيع تبعا للعقار المشفوع به فهى رخصة لها ناحيتها المالية ولا ترتبط ارتباطا وثيقا بشخص الشفيع .

وليس من المقبول فى نظرنا أن يعترض على هذا الرأى بأن الشفيع اذا مات سقطت عنه ملكية العقار المشفوع به قبل تمام الأخذ بالشفعة وأن الوارث لايستطيع الأخذ بالشفعة لأنه لم يكن مالكا لهذا العقار وقت البيع ، اذ أن المسألة تتعلق بانتقال حق الشفعة من الشفيع الى وارثه ومن المعروف أن الوارث تنتقل اليه الحقوق والخيارات التى كانت لمورثه فهى تثبت له بالحالة التى كانت عليها بالنسبة الى مورثه ومن ثم يكون له أن يباشرها فى الحدود المقررة بالنسبة الى المورث ، فاذا مات الشفيع قبل أن يتخذ اجراء من الاجراءات المقررة للأخذ بالشفعة كان للوارث أن يتخذ هذا الاجراء ما دام أن المدة المحددة لهلم تكن قد انتهت ،واذا كان الشفيع قد رفع الدعوى قبل موته كان

للوارث أن يستمر فى هـذه الدعوى حتى يتم له الأخذ بالشفعة • والوارث فى كل هـذا شأنه شأن مورثه الشفيع » •

هذا : والناظر فى هذا النص الذى نقلناه عن الدكتـور عبد المنعم فرج الصده يتبين له :

أولا : ان القانون الوضعى جـاء خاليا من النص فى مواده على ميراث الشفعة وأنه ترك أمره الى اجتهـاد القضاء •

ثانيا : ان المختار فى نظره ونظر كثير من رجـال التشريع ورجـال القضاء هو القـول بميراث الشفعة مطلقـا سـواء طلبها الشـفيع أم لم يطلبهـا وهو ما ذهب اليه المـالـكية والشـافعية وكثير من الفقهاء وهـو ما رجحناه أيضا والله أعلم بالصواب• واليه المرجع والمآب •

د• ابراهيم دسوقى الشهاوى

سطور فى كتب التراث

قال الله تعالى : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيـه شـفاء للناس) • قال الصفدى : ذهب بعض الناس الى أن المراد بهـذه الآية أهل البيت وبنو هاشم • وأنهـم النحل • وأن الشراب هو القرآن والحكمة •

وذكر أحد الناس هذا فى مجلس أبى جعفر المنصور العباسى : فقـال بعض الحاضرين : جعل الله طعامك وشرابك ممـا يخـرج من بطـون بنى هاشم !

فأضحك من فى المجلس ؟

من (الكشـكول) لبهـاء الدين العاملى ص ١٧٣

الدفاع الشرعي في الشريعة الإسلامية

للدكتور جمال الدين عواد

ان القوانين منذ القدم تعطى الانسان حق الدفاع عن نفسه أو عرضه أو ماله وان القتل بسبب استعمال الانسان حق الدفاع الشرعى هو من القتل بحق بل هو أخف الضررين ـ فلو أن المصول عليه ترك الصائل ليقتله فلا شك أن الصائل يقتل بالمعتدى عليه وحينئذ فقتل المصول عليه للصائل قتل واحد وهو بلا شك أولى من قتل اثنين أحدهما قتل عدوانا ظلما والآخر قتل قودا .

هذا ، والدفاع الشرعى مقرر فى الشريعة الاسلامية ويوجد فى كتب الفقه تحت اسم (دفع الصائل) ولقد نظمته التشريعات والقوانين الوضعية الحديثة ووضعت له القواعد والأحكام وسبقتهافيه من ذى قبل الشريعة الغراء التى لا يشق غبارها شريعة دين الله الحنيف ـ واذا كان هناك خلاف بين فقهاء الشريعة فانما هو خلاف على تحديد الحالات التى يكون فيها الدفاع واجبا اذ هو فى بعض الحالات يكون جائزا غير واجب فان كان الدفاع عن أهله وجب الدفاع لأنه لايجوز اباحته وكذلك اذا كان الدفاع عن العرض فيجب على المصول عليه أن يدفع الصائل عنه ـ فاذا أراد رجل اغتصاب امرأة ولم تستطع دفعه عنه الا بالقتل فالواجب أن تقتله متى أمكنها ذلك لأن تمكين هذا الصائل منها حرام وانما لو لم تقتله لتمكن من فعلته بها .

قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى أمرأة أرادها رجل عن نفسها فقتلته لتحصن نفسها فقال : اذا علمت أنه لا يريد الا نفسها فقتلته لتدفع عن نفسها فلا شىء عليها ـ وذكر حديثا يرويه الزهرى عن القاسم بن محمد عن عبيد بن عمير أن رجلا

أضاف ناسا من هذيل فأراد امرأة على نفسها فرمته بحجر فقتلته. فقال عمر والله لا يودى أبدا .

ولقد أثر عمر رضى الله عنه خير فى قتل المرأة من اكراهها فمنعت من استمرار الاعتداء عليها بالقتل . ما رواه الليث بن سعد فقيه مصر القصة التالية التى جاءت فى الطريق الحكمية لابن القيم :

قال الليث بن سعد : أتى عمر بن الخطاب يوما بفتى أمرد وقد وجد قتيلا ملقى على قارعة الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف على خبر فشق ذلك عليه فقال اللهم اظفرنى بقاتله حتى اذا كان على رأس الحول وجد صبى مولود ملقى بموضع القتيل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القتيل ان شاء الله تعالى : فدفع الصبى الى امرأة وقال لها قومى بشأنه وخذى - منا نفقة - وانظرى من يأخذه منك فان وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فأعلمينى بمكانها فلما شب الصبى جاءت جارية فقالت للمرأة ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى بالصبى لتراه وترده اليك قالت نعم اذهب به اليها وأنا معك فذهبت بالصبى والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها فلما أخذته فقبلته وضمته اليها فاذا هى ابنة شيخ من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأتت عمر رضى الله عنه فأخبرته فاشتمل على سيفه ثم أقبل الى منزل المرأة فوجد أباها متكئا على باب داره فقال له يا فلان ما فعلت - ابنتك فلانة ؟ قال جزاها الله تعالى خيرا يا أمير المؤمنين : هى من أعرف الناس بحق أبيها مع حسن صلاتها والقيام بدينها فقال عمر قد أحببت أن أدخل اليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها عليه .

فدخل أبوها ودخل معه عمر فأمر من عنده فخرج وبقى هو والمرأة فى البيت فكشف عمر عن السيف وقال أصدقينى والا ضربت عنقك وكان لا يكذب فقالت على رسلك فوالله لأصدقن ان عجوزا كانت تدخل على فأتخذها أما وكانت تقوم من أمرى بما تقوم به الأم وكنت لها بمنزلة البنت حتى مضى كذلك حين ثم انها قالت يابنية أنه قد عرض لى سفر ولى ابنة فى موضع أتخوف عليها فيه أن تخرج

وقد أحببت أن أضعها اليك حتى أرجع من سفرى فعمدت الى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية واتتنى بى لا أشك أنه جارية ـ فكان يرى منى ماترى الجارية من الجارية حتى احتضنى يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علانى وخالطنى فمددت يدى الى شفرة كانت الى جانبى فقتلته ثم أمرت به فألقى به حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبى فلما وضعته القيته فى موضع أبيه فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك فقال صدقت ودعا لها وخرج وقال لأبيها نعمت الابنة ابنتك .

هذا ولا شك أن القصة تبدو غريبة تشبه قصص التسلية ولكنها على أى صورة تدل على أن المرأة اذا قتلت من يعتدى عليها لاشىء عليها ـ ولولا أنها توافق رأى عمر الذى حكيناه آنفا وأنها براوية الليث بن سعد فقيه مصر وانها جاءت فى كتاب قيم لابن القيم لما أثبتناها الا لذلك . هذا والحكم كذلك .

فى رجل رأى آخر يزنى بامرأة أو يحاول ذلك بها ولم يكن فى وسعه منعه الا بقتله كان الواجب عليه أن يقتله متى كان ذلك فى امكانه وذلك لأنه رأى منكرا وكان من الحق عليه أن يغيره لما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ». رواه مسلم ولأن الواجب هو ما يذم الانسان ويلام شرعا على تركه .

كما أن البضع لاسبيل الى اباحته وسواء كان بضع أهله أو غيره ومثل البضع مقدماته كما ذكرنا ولكن محل ذلك اذا لم يخف الدافع عن نفسه كما قاله البغوى والمتولى وهما من فقهاء الشافعية وان كان الدفاع عن النفس فقد اختلف فيه الفقهاء فظاهر مذهب أبى حنيفة أنه يجب قال صاحب الكنز من الحنفية وشارحه فى الدفاع عن النفس : ومن شهر على المسلمين سيفا وجب قتله لقوله صلى الله عليه وسلم :« ومن شهر على المسلمين سيفا فقد أحل دمه » وقال : الجصاص الصحيح من المذاهب أنه يلزم الرجل دفع الفساد عن نفسه وغيره وان أدى الى القتل .

ويرى الشافعى أن فيه وجهين أحدهما يجب عليه الدفع لقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » . وهذا الوجه يتفق مع ظاهر مذهب أبى حنيفة المتقدم ذكره والرأى الغالب فى مذهب مالك فقد جاء فى كتاب الحطاب وذكر القرطبى وابن الفرس فى الوجوب قولين : قالا : والأصح الوجوب .

وأما الوجه الثانى عند الشافعى فلا يجب الدفاع عن النفس لخبر أبى داود « كن خير ابنى آدم » يعنى قابيل وهابيل .

كما أن عثمان رضى الله عنه لم يدفع عن نفسه وكان بوسعه أن يفعل اذ كان له أربعمائة مملوك : وقال من ألقى سلاحه فهو حر : واشتهر ذلك بين الصحابة رضى الله عنهم فكان اجماعا منهم على ذلك .

فهذا الاستدلال يدل على جواز ترك المدافعة وان الاستسلام أفضل .

هذا وما ذهب اليه الشافعى فى الوجه الثانى يتفق مع الرأى المرجوح فى مذهب مالك والرأى الراجح فى مذهب أحمد وفى ذلك يقول ابن قدامة فى المغنى :

« فأما من أريدت نفسه أو ماله فلا يجب عليه الدفع لقول النبى صلى الله عليه وسلم » اجلس فى بيتك فان خفت أن يبهرك شعاع السيف فغط وجهك « وفى لفظ : » فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل .

ويرى بعض الحنابلة ان الدفاع عن النفس واجب فى حالة الأمن لأن الاستسلام للصائل يعتبر القاء بالنفس الى التهلكة وأما فى أيام الفتنة فالدفاع عن النفس جائز غير واجب .

ويستدلون على ذلك بأن عثمان رضى الله عنه لم يدفع عن نفسه ويدل لهذا قول النبى صلى الله عليه وسلم « أجلس فى بيتك فان خفت أن يبهرك شعاع السيف فغط وجهك » .

وفى رواية « فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل .

وأخيرا فما ذكرناه يتبين لنا أن الدفاع عن النفس واجب فى ظاهر مذهب ، أبى حنيفة وفى أحد الوجهين عند الشافعى وفى الرأى الغالب فى مالك كما أنه رأى بعض الحنابلة .

وأنه جائز عند الشافعى فى الوجه الآخر والرأى المرجوح فى مذهب مالك والرأى الراجح عند أحمد .

ونحن نختار رأى القائلين بوجوب الدفاع عن النفس لما ذكرناه وأنه يجب على المصول عليه قتل الصائل متى تعين القتل طريقا لذلك لأنه اذا لم يدفعه عن نفسه فقد مكنه من قتل نفسه بلا شك حرام كما هو محل اتفاق بين الفقهاء قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيما » •

الدفاع عن المال :

يرى أغلب الفقهاء أن الدفاع عن المال جائز غير واجب لأن المال تجوز اباحته للغير فللمصول عليه أن يدفع الصائل عن المال وله الا يدفعه •

فقد روى أبو داود والترمذى وصححه ابن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » •

فالحديث فيه دليل على أنه تجوز مقاتلة من أراد أخذ مال انسان من غير فرق بين ، القليل والكثير اذا كان الأخذ بغير حق •

وقد حكى النووى والحافظ فى الفتح أن ذلك مذهب الجمهور كما ذكرنا • ولكنى أرى وجوب الدفاع عن المال كما ذهب اليه بعض الفقهاء مستدلا على ذلك بما يلى :

أولا : بقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » • فظاهرة الآية وان كان فيه النهى عن الاقدام على ما يخاف منه تلف النفس كما ذكره العلامة الألوسى الا أنه لا مانع من أن يشمل النهى عن اتلاف المال كذلك لأن فى اتلافه أحيانا اتلاف النفس تبعا اذ لاحياة بدون مال •

ثانيا : بما رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل فقال : يارسول الله أرأيت أن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك قال : أرأيت أن قاتلنى ؟ قال قاتله • قال أرأيت أن قتلنى ؟ قال فأنت شهيد • قال : أرأيت أن قتلته ؟ قال هو فى النار : فهذا الحديث دليل على الأمر بالمقاتلة والنهى عن تسليم المال الى من أراد غصبه •

وحكى ابن المنذر عن الشافعى أنه قال : من أريد ماله فله المقاتلة وليس ، عليه عقل ولادية ولاكفارة •

قال ابن المنذر :

والذى عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر اذا أريد بغير تفصيل •

هذا ـ والآثار التى وردت فى تقرير حق الدفاع الشرعى كثيرة علما بأن هذا الحق لا يلزم المعتدى عليه فقط بل يلزم غيره فيجب على غيره معاونته على دفع الاعتدا عملا بقوله : صلى الله عليه وسلم :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما » • أخرجه البخارى وغيره ويقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » • وروى الامام أحمد عن سهل بن حنيف عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره أذله الله عز وجل على رؤس الخلائق يوم القيامة » • قال الشوكانى : وحديث سهل بن حنيفة وما ورد فى معناه يدل على أنه يجب نصر المظلوم ودفع من أراد اذلاله بوجه من الوجوه ـ وهذا مما لا علم فيه خلافا وهو مندرج تحت أدلة النهى عن المنكر ؟

والله سبحانه وتعالى أعلم

د/محمد جمال الدين عواد

سطور من كتب التراث

قال الامام الرازى فى قوله تعالى : (هو الذى خلقكم من طين) : أن الانسان مخلوق من المنى ودم الطمث• وهما يتولدان من الدم • والدم انما يتولد من الأغذية • والأغذية اما حيوانية واما نباتية • فان كانت حيوانية فالحال فى تولد ذلك الحيوان كالحال فى تولد الانسان • فيبقى أن تكون نباتية • فالانسان مخلوق من الأغذية النباتية • ولا شك أنها متولدة من الطين • فيكون هو أيضا متولدا من الطين ؟

من (الكشكول) لبهاء الدين العاملى ص ٣٢٧

صفحات من تاريخ القاهرة

مجرى العيون ـ السبع سقايات ـ سكة حديد حلوان

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٦ —

اذا وقفنا فى ميدان فم الخليج متجهين الى شارع القصر العينى نجد على اليمين شارعا صغيرا اسمه شارع قنطرة فم الخليج . وهو اسم واضح لا يحتاج لتفسير . ونجد شارع السد البرانى يتجه للشمال الشرقى فى خط مستقيم حتى ميدان السيدة زينب غربى مسجدها . ويكون شارع السد البرانى مع شارع القصر العينى مثلثا رأسه فى ميدان فم الخليج .

وشمال هذا الالتقاء بقليل يبدأ شارع السبع سقايات متجها الى الشمال بين شارعى القصر العينى وسكة حديد حلوان وموازيا لهما .

وكان الخليج المصرى يبدأ من النيل عند الميدان المذكور بعد أن مده الصالح نجم الدين أيوب حوالى سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) عندما تحول النيل غربا فى القرنين ٦و٧ هـ (١٢ و ١٣ م) وبعد عن مجراه السابق عند الفتح العربى . وردم الخليج سنة ١٨٩٧ وسيرت فيه شركة الترام أحد خطوطها .

ثم اقتضى توسيع شارع القصر العينى ومد سكة حديد حلوان اقتطاع جزء من محل مجرى الخليج والآن يبدأ شارع الخليج شرقى سكة حديد حلوان ملاصقا لها وموازيا لشارع السد لغاية نهاية شارع الدكتور على باشا ابراهيم (مدرسة الطب سابقا)عند مقام الشيخ محمد السدى المعروف بأبى الريش . فيفترق شارع السد وشارع الخليج . فبينما يتجه الأول نحو الشمال الشرقى حتى ميدان السيدة زينب ، اذا شارع الخليج يتجه شمالا موازيا تقريبا لسكة حديد

حلوان حتى قرب جنوبى شارع محمد عز العرب (المبتديان سابقا) عند مطابع دار الهلال . ثم ينتهى فى شبه قوس الى الجنوب الشرقى نحو ميدان السيدة زينب .

وقديما كانت تقام الجسور تبعا لنظام الرى بالحياض ولحماية المدن من مياه الفيضان فكان هناك ما يسمى بالجسر الأعظم فى موقع الجزء الشمالى من شارع السد ثم يتجه شرقا نحو موقع القلعة فى اتجاه وموقع شارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) المتفرع من ميدان السيدة . أما الجزء الجنوبى من موقع شارع السد فقد كان من المجرى القديم للنيل أو مما هو غربيه من الأراضى .

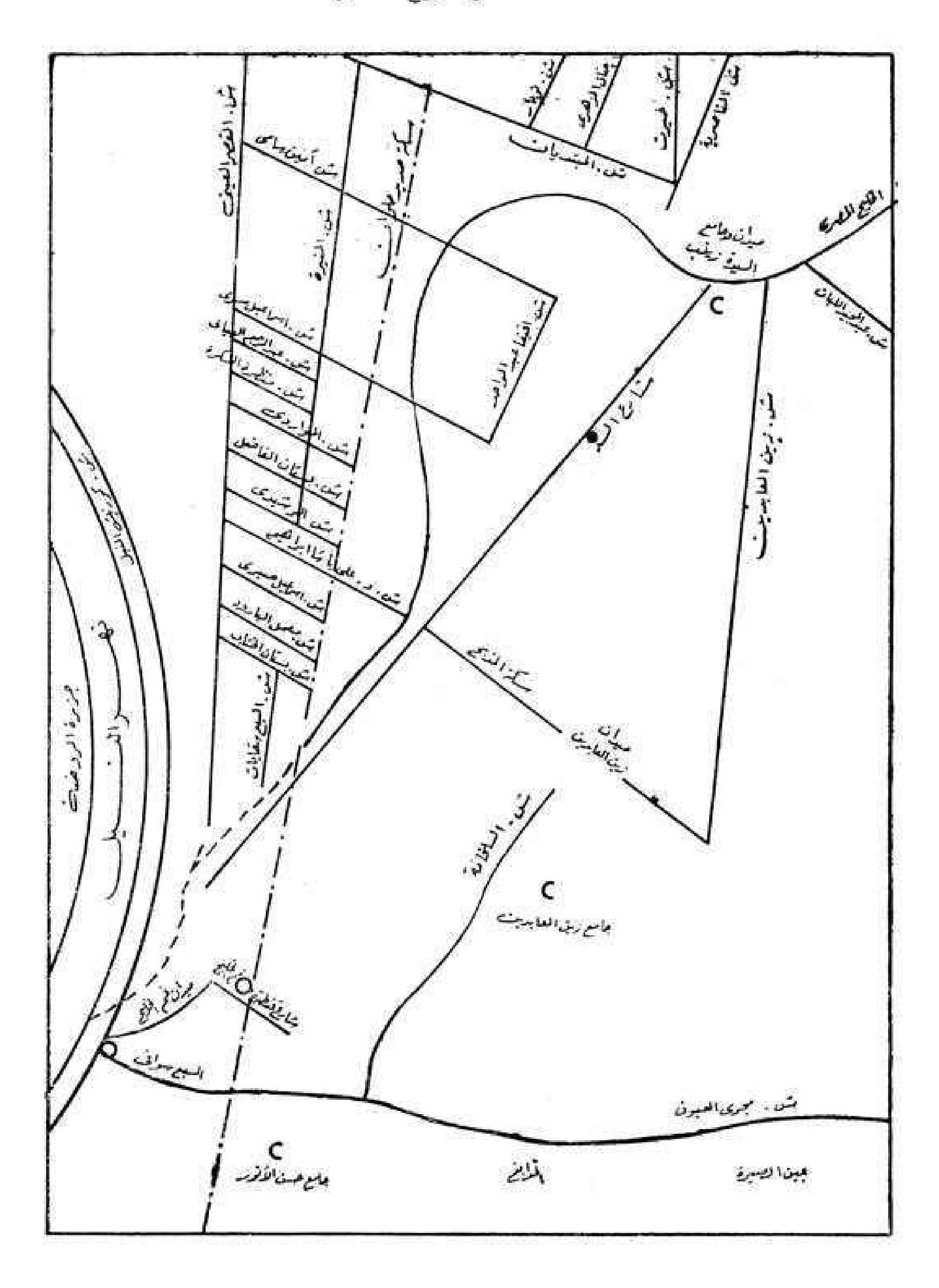
ثم لما تحول النيل غربا ومد الصالح أيوب الخليج الى مجرى النيل الجديد كما ذكرنا . كان ماهو شرقى الخليج بعد مده يعرف ببستان الحارة . ثم حكره اقبغا عبد الواحد تعرف بحكر أقبغا . وهو من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون . وقيل زوج أخته أو أخو زوجته . وهو منشىء المدرسة الأقبغاوية التى ادخلها عبد الرحمن كتخدا ضمن مبانى الجامع الأزهر الحالية . وبها الآن مكتبة الجامع الأزهر . وكان شارع عبد الرحمن شكرى شرقى الخليج هناك اسمه شارع اقبغا عبد الواحد .

وما استجد غربى الخليج عرف ببستان الحلى وبستان الخشاب ومنشأة المهرانى . ونعرفها الآن بأسماء فم الخليج والقصر العينى والمنيرة . وقد ذكرنا فى مقال سابق معانى هذه الأسماء القديمة .

السبع سواقى ومجرى العيون :

وفى الطرف الجنوبى لميدان فم الخليج نجد السبع سواقى وشارع مجرى العيون . والاسم نسبته الى مجراه كانت تحمل الماء من النيل الى القلعة . والمجراة محمولة على أكتاف معقودة . وترفع السواقى الماء من البئر الآخذ من النيل الى أعلى هذه العقود حيث المجراة فتحمل المياه الى القلعة .

وعندما أنشأ صلاح الدين يوسف بن أيوب القلعة (توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ ولم ينتقل مقر الحكم للقلعة الا فى عهد الكامل بن العادل بن أيوب


ش. المبتديان
الخليج المصري
ميدان وجامع السيدة زينب
ميدان زين العابدين
جامع زين العابدين
ش. مجرى العيون
جامع حسن الأنور
المدابغ
جزيرة الروضة

الذى بدأ حكمه سنة ٦١٥ هـ) كانت تغذيه القلعة بالماء من بئر بها عرف باسم يوسف نسبته لاسم صلاح الدين •

ثم اهتم الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) بتوفير الماء للقلعة فأنشأ أربع سواقى على النيل تنقل الماء الى السور ومن السور للقلعة (خطط المقريزى حـ ٢ ص ٢٣٠) • ويعنى السور الذى أنشأه قرقوش الأسدى (نسبته الى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين) عندما أراد صلاح الدين عمل سور يضم القاهرة الفاطمية والفسطاط وما بينهما بما فى ذلك القلعة • ولا تزال آثار بعض هذا السور باقية للآن •

ثم فى سنة ٧١٨هـ ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور أن الناصر المذكور أجرى ماء النيل من البحر الى قلعة الجبل • وعمل مجراه جارية على قناطر مبنية من الحجر • وركز للمياه آبار وجعل عليها سواقى نقالة فى عدة أماكن •

وفى سنة ٧٢٨ عزم الناصر على حفر خليج من حلوان الى جهة القلعة عن طريق الجبل ليغذيها دواما بماء النيل ثم يتجه الخليج الى ناحية الجبل الأحمر لامكان زراعة الأرض هناك • ولكنه عدل عن هذه الفكرة لما أبدى له مستشاروه ما يتكلفه تنفيذها من وقت ومال •

وهذه الفكرة جديرة أن تدرس الآن • ولكن ليس لتوصيل المياه للقلعة • ولكن لرى واستصلاح الأراضى القابلة للزراعة شرقى مدينة ناصر حتى السويس •

وفى سنة ٧٤١ اهتم الناصر ثانية بأكثار الماء فى القلعة لما اتسع بها من زراعة البساتين التى أنشأها• فأمر بحفر بئر أخرى على الساحل ليركب عليها قناطر تتصل بالقناطر العتيقة فيتحد ماؤها ويكثر •

وفى نفس السنة أرادالناصر حفر خليج من النيل وسط بساتين بهاء الدين بن حنا (عند أثر النبى) الى حائط الرصد • ويحفر هناك عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور • وتركب على الآبار عدة سواقى لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التى فوق سور القلعة • وعرفت السواقى المذكورة باسم سواقى السلطان • وانتدب لتنفيذ المشروع أقبغا عبد الواحد السابق ذكره • فنزع ملكية

الأراضى والأملاك المعترضة • وحفر الخليج بعمق ٤ قصبات (١٥ م • تقريبا لان القصبة وقتذاك كانت ٣ متر و ٨٥ سنتيمتر والآن ٣ متر و ٥٥ سنتيمتر) عند المأخذ • وحفر الآبار بعمق ٤٠ ذراعا (٢٣ م • تقريبا) وتوفى الناصر سنة ٧٤١ قبل اتمام المشروع فأهمل وبطل وطم الخليج وردم •

وقال المقريزى : وبقيت منه الى اليوم (توفى سنة ٨٤٥) قطعة بجوار رباط الآثار (بأثر النبى) وما زالت الحائط قائمة من حجر فى غاية الاتقان وجودة الصنعة • حتى هدمه الأمير يلبغا السالمى سنة ٨١٢ هـ ورمم به القناطر العتيقة التى تحمل الماء للقعلة وجهل موضع الخليج والسواقى المذكورة • ا هـ •

وذكر ابن اياس عند الكلام على أعمال الظاهر برقوق المتوفى سنه ٨٠١ أنه جدد عمارة المجراه التى تجرى من بحر النيل الى قلعة الجبل ولكنه لم يحدد تاريخ هذا التجديد •

ولكن المجراة الباقية آثارها للآن وتبدأ عند فم الخليج غير المجراة التى أقامها الناصر محمد بن قلاوون •

فقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م)• وكان ابن اياس معاصر لها • أن السلطان الغورى أبطل المجراه القديمة التى كانت غرب درب الخولى بمصر العتيقة وشرع فى بناء مجراة جديدة فجمع المهندسين فاختاروا أن يكون بناؤها عند موردة الخلفاء بالقرب من الجامع الجديد • فأنشأ هناك بئرا • وجعل لهما مسربا من النيل وجعل على هذا البئر عدة سواقى نقالة • وأنشأ من هناك مجراة على قناطر معقودة على دعائم متصلة الى باب الزغلة • ومن هناك تصل الى الميدان والقلعة • فجاءت هذه المجراة من العجائب والغرائب • ولكن صرف على بنائها ما لا يحصر من الأموال وأغلبه من وجوه الظلم والمصادرات • ا هـ •

وقال ابن اياس فى حوادث سنة ٩١٤ هـ : كان انتهاء العمل من المجراة التى أنشأها السلطان كما تقدم فدارت هناك الدواليب (السواقى) وجرى الماء فى المجراه حتى وصل الى الميدان تحت القلعة • ثم ان السلطان عمل هناك سواقى نقالة • وبنى ثلاثة

صهاريج تمتلىء بماء النيل برسم المماليك الذين يلعبون الرمح فى الميدان . وشرع فى بناء بحرة (أى بحيرة) فى وسط ذلك البستان الذى أنشأه . فكان طول تلك البحرة أكثر من أربعين ذراعا . وقيل أكثر من ذلك . وبنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان . وفك رخام قاعات الاتابكى أزبك (يعنى أزبك بن ططخ المنسوبة اليه الأربكية تونى سنة ٩٠٤ هـ) ونقل ذلك الى الأماكن التى أنشأها بالميدان. وصارت البحرة تمتلىء كل يوم بماء النيل . وفائضها يسقى البستان . اهـ .

فالمجراه التى آثارها باقية للآن والمعروف مجراها بشارع مجرى العيون هى من انشاء السلطان الغورى ما بين سنتى ٩١٢ و ٩١٤ هـ .

ومجرى العيون الحالى يتجه شرقا بجنوب مع بعض الانحناءات البسيطة حتى آثار طابية قديمة بالقرب من نهاية شارع الأشرف عند جبانةالسيدة نفيسة بطول ٢٢٠٠ مترا تقريبا ثم يتجه شمالا بشرق حتى باب القرافة أو باب السيدة عائشة أو باب قايتباى بطول ٩٠٠ متر تقريبا .

وهذه الأسماء الثلاثة التى ذكرتها مصلحة المساحة فى خريطتها للقاهرة سنة ١٩٥٢ كلها أسماء صحيحة . فهو باب القرافة الصغرى أنشأه الأشرف قايتباى سنه ٩٠١هـ ويسميه الناس باب السيدة عائشة لقربه من مسجدها .

وهناك نجد آثار مجرى آخر للعيون قادم من الجنوب الشرقى . وطول هذه الآثار الباقية للآن فى هذا المجرى الآخر ٧٠٠ متر تقريبا . ولعلها من آثار مجرى الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧١٢ هـ .

ورأس مجرى العيون عند فم الخليج كما وصفته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها (القاهرة القديمة) مساحته ٦٢ مترا و ٨٥ سنتيمترا مربعا . على شكل سداسى . وداخله شكل سداسى آخر بوسطه عمود ويحيط بالشكل السداسى الداخلى ستة عقود ترتكز على أكتاف . ويصعد الى سطح المأخذ بمزلقان ليس به درج . ولعل ذلك خصيصا لصعود الدواب التى تدير السواقى وبوسط السطح حوض تحيط به ست سواقى لرفع الماء وقالت أن الباقى

من عقود المجرى ٢٧١ عقدا معظمها على شكل شبه دائرى • وأنه أصلح سنة ١١٤٠ هـ على يد عبدى باشا •

والتاريخ المذكور غير دقيق فعبدى باشا تولى ولاية مصر من سنة ١١٢٦ ـ سنة ١١٢٩ هـ والـوالى على مصر سنة ١١٤٠ كان محمد باشا النيشانجى لغاية صفر • وبعده أبو بكر باشا •

وفى أيام الفرنسيين فى مصر سدت أغلب الفتحات بـين الأكتاف حامـلة العقود • واستخدمها الفرنسيون سورا يحتـمون وراءه • ويحـصرون به مداخل المدينة •

وجدد محمد على هذه المجراه سنة ١٨٠٨ م (١٢٢٣ هـ)

السبع سواقى والسبع سقايات :

ونلاحظ اسم السبع سواقى والسبع سقايات •وقد أطلقت مصلحة المساحة الاسم الأول على رأس المجرى والاسم الثانى على شارع هناك بهذه الجـهة بين سكة حديد حلوان والقصر العينى وقد رأينا من الوصف المذكور لرأس المجرى أن به مكانا لست سـواقى فقط • وذكر المقريزى أن مجـراة الناصر محمد بن قـلاوون كان بهـا أربع سواقى •

ولكن برغم أن المقـريزى تـوفى سنة ٨٤٥ أى قبل عمارة الغورى سنة ٩١٢ هـ • فقـد ذكر خـط السـبع سقايات (الخطط حـ٢ ص١٦١) فى الكلام عن بـركة قـارون (كانت جنوبى وغـربى موضـع جـامع ابن طولون) وخراب ما حولها سنة ٧٢١هـ فقال : فصار جـانب هـذه البـركة الذى يلى خط السبع سقايات مقـطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهـة تولى مصر (يعنى والى الفسطاط) من يحرس المـارة من القـاهرة الى مصر (يعنى من القـــاهرة الفـاطمية الى الفسطاط) • ولم يكن هناك شىء من الدور وانما كان هناك بستان بجوار حوض الدمياطى (كان بموقع شارع السد) الموجـود الآن تجـاه كـوم الأسارى على يمنة من خـرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة السد • ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر أقبغا عبـد الواحـد مـكانه • وصارت فيه الـدور الموجـودة الآن (يعنى وقت المقـريزى) كما ذكر

عند حكر أقبغا عبد الواحد بين الاحكار ٠ اهـ ٠

فما معنى هذا ؟ هل أنشأ الناصر محمد بن قلاوون سواقي أخرى بعد الأربع التي ذكرها المقريزى تكملة للسبعة ؟ أو هل أخطأ المقريزى أو أخطأ الناس ؟ أو هى مبالغة من الناس جرت بها ألسنتهم للقيمة الاعتبارية للعدد ٧ ؟ أو غير هذا من الأسباب ؟

لا شيء من هذا ٠ فالسقايات السبع كانت موجودة فعلا قبل مجراة الناصر محمد بن قلاوون ٠ وقبل الغورى ٠ بل وقبل بناء قلعة الجبل بعدة قرون وفى موقع بعيد عن رأس مجرى العيون وعن الشارع الذى أسمته البلدية بشارع السبع سقايات بألفى متر تقريبا ٠

فقد ذكر المقريزى فى الكلام على خط بئر الوطاويط أن هذه البئر أنشأها الوزير جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات سنة ٣٥٥ هـ لينقل منها الماء الى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها (أى أوقفها) لجميع المسلمين والتى كانت بخط الحمراء فلما طال الأمر ضربت السقايات والى اليوم (يعنى وقته) يعرف موضعها بخط السبع سقايات ٠ وبنى فوق البئر المذكورة ٠ وتولد فيها كثير من الوطاويط ٠ولما أكثر الناس من بناء الأماكن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم (يعنى وقته) بخط الوطاويط وهو خط عامر ٠ اهـ ٠

وخط بئر الوطاويط كان موضعه بجوار جامع ابن طولون بشارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) بالصليبة ٠ ولا تزال حارة هناك شرقى هذا الجامع اسمها حارة بئر الوطاويط ٠

ويؤيد هذا ما نقلناه أولا عن المقريزى فى الكلام عن بركة قارون فقوله : (فصار جانب هذه البركة الذى يلى السبع سقايات) أى بعدها٠ وقوله : (وكان هناك بستان بجوار حوض الدمياطى على يمنة من خرج من السبع سقايات الى قنطرة السد) أى أن السبع سقايات كانت قبل حوض الدمياطى وقنطرة السد ٠

وفضلا عن هذا فان الموقع الذى أسمته البلدية شارع السبع سقايات

كان مغمورا بالمياه أو مما كان غربى النيل فى القرن الرابع الهجرى • وعلى هذا فاسم السبع سواقى وضع خطأ كما أن اسم شارع السبع سقايات اسم فى غير موضعه •

وجعفر بن الفضل بن الفرات المنسوب اليه انشاء السبع سقايات كان وزيرا لبنى الأخشيد لغاية انقراض دولتهم بدخول الفاطميين مصر سنة ٣٥٨ هـ • وتوفى سنة ٣٩١ • وكان أبوه الفضل وزيرا للمقتدر العباسى ببغداد سنة ٣٢٠ هـ ثم عين عاملا للخراج بمصر • ثم وزيرا فى خلافة الراضى العباسى وتوفى سنة ٣٢٧ هـ والفضل بن الفرات هذا هو الذى يلقب بابن حنزابه نسبة لأمه وهى جارية رومية •

ويعتبر مجرى العيون من أجمل الآثار المعمارية الاسلامية الباقية للآن

وقدرت الحكومة أخيرا أهمية المحافظة على هذا الأثر • ففى ١٩٥٣/٥/٧ صدر مرسوم باعتماد تخلية حول سور العيون الأثرى • وذلك بانشاء شارعين بعرض ٣٠ مترا لكل منهما•وفى سنة ١٩٥٩(الوقائع فى ١٩٥٩/٣/٥) صدر قرار وزارة الشؤون بأن يعتبر من أعمال المنفعة العامة مشروع تنفيذ شارع مجرى العيون قبلى السور الأثرى فى المسافة بين فم الخليج وشارع القادرية • ويجرى نزع ملكية العقارات اللازمة لهذا المشروع •

وكان قبل ذلك قد تنفذ الشارع بحرى السور ، وبرغم صدور هذا القرار سنة ١٩٥٩ فللآن لم يتم الشارع جنوبى السور ، وشارع القادرية يبدأ من ميدان السيدة عائشة عند باب قايتباى المذكور ، وامتداده شارع الامام الشافعى ، والقادرية نسبة الى احدى الطرق الصوفية •

سكة حديد حلوان :

ذكرنا فى أول المقال أن الخليج المصرى كان يخترق المثلث الذى يتكون رأسه فى ميدان فم الخليج من التقاء شارعى السد والقصر العينى ، وكان الخليج يتجه شمالا بشرق بين شارعى السد والسبع سقايات وكان يتجه شمالا بشرق بين شارعى السد والسبع سقايات حتى يتلامس تقريبا مع شارع السد عند الضريح المعروف بأبى الريش ،وأن سكة حديد حلوان

قد قطعت جانبا منه ، وأصبح شارع الخليج الآن يبدأ من سكة حديد حلوان في الجانب الشرقي منها ، وما تخلف من أرض الخليج غربي السكة الحديد تداخل في المباني والشوارع الحالية .

وجزء الخليج من السكة الحديد حتى أبي الريش لم يكن داخلا مما ردمته شركة الترام سنة ١٨٩٧ وأجرت فيه خطوطها ، وأصبح هذا الجزء الآن وصمة فيجبين العاصمة . وعبارة عن قاذورات فوق قاذورات ، والغريب في هذا أنه بجوار مخزن لمهمات بلدية القاهرة .

وسكة حديد حلوان لم تكن في هذا الموضع عند انشائها .

فحلوان قد علا شأنها في أوائل الفتح العربي ، في ولاية عبد العزيز ابن مروان (٦٥ ـ ٨٥ هـ) الذي كان واليا على مصر من قبل أخيه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وكان قد ظهر طاعون بالفسطاط . فلجأ عبد العزيز الى حلوان فأعجبه جوها وهواؤها ، فاتخذها مقرا له ، واعتنى بها وزرع فيها الأشجار المثمرة . كما أنشأ بها مقياسا صغيرا للنيل .

ثم خمل شأن حلوان من بعد عبد العزيز بن مروان ، ومن تلاه من الولاة ، واستمرت في التدهور ، وآخر الأمر أحرقها ابراهيم بك الكبير سنة ١٧٨٧ م (١٢٠١ هـ) في نزاع بينه وبين زملائه المماليك ، وهذا قبل قدوم الفرنسيين .

وفي سنة ١٨٥٠ م (١٢٦٦ هـ) في عهد عباس حلمي الأول عثر على عين للمياه المعدنية بها ، وعرفت قيمتها العلاجية ، ولكن أهمل أمرها حتى عهد الخديوي اسماعيل .

ويبدو أن العرب كانوا تنبهوا لفائدة هذه المياه المعدنية في علاج الأمراض ، فقد وجد عند حفر أساسات الحمامات الجديدة آثار المباني القديمة والحمامات من حجر وخزف وقطع من أعمدة منقوش عليها كتابة عربية ، وكذلك دراهم اسلامية ، وغير ذلك من الآثار .

وفي سنة ١٨٧١ م (١٢٨٨ هـ) زار اسماعيل المنطقة ، وكانت عيون المياه المعدنية غربي حلوان بحوالي ١ ½ كيلو متر تقريبا ، والنيل غربي العيون بحوالي ٢ ½ كيلو متر تقريبا ، فكأن حلوان كانت تبعد عن النيل

بحوالى أربعة كيلو مترات تقريبا ، فأمر اسماعيل بعمل طريق من حلوان الى النيل مارا بالعيون بطول هذه المسافة ، كما أمر بانشاء طريق آخر طوله ١٣٠٠ متر تقريبا من الشمال الى الجنوب يتقاطع مع الطريق المذكور ، وانشاء حمامات بجوار العيون من أكشاك خشبية بادىء الأمر ، وانشاء فندق كبير للمسافرين وانشاء حوض سعته ٥٠٠٠ متر مكعب لاستحمام الفقراء ، وانشاء دار صغيرة للمرضى ملحق بها صيدلية مزودة بالأدوية ، وترتيب طبيب مقيم لمباشرة وعلاج المرضى ، وتحددت أسعار الفندق للاقامة والحمام ، بدرجات متفاوتة للأغنياء والفقراء •

ورتب وابورات بالبحر لتسهيل الانتقال الى حلوان •

وجاء فى الوقائع الرسمية (١٣/ ١/١٨٧٤) : (من المعلوم أنه من مدة قريبة كان قد استكشف بجهة حلوان القريبة من مصر المحروسة ، منبع مياه كبريتى ، وجرب نفعه فى كثير من العلل والأمراض ، والآن نرى تلك الجهة كل يوم فى زيادة العمارية ، فى الظلال الوارفة الخديوية ، وبها محل ذلك الماء يكون من جملة الحمامات المعدودة الشفائية ، والمنتزهات العامة لجميع البرية ، فانه بجوار ما كان أحدث فيها من المبانى مشتغل بتكثير الأماكن والمساكن ، مع ما أجرته قومبانية (شركة Compagnie) تقسيم المياه المصرية فى جهته من المياه العذبة ، حتى صارت فلواتها فى عهد قريب ريانة بها ، وأنبتت من كل نبات بهيج ، ولطفت أهويتها واعتدلت حرارتها ، مع ما نقل ممن أقام هناك من تفضيل الاقامة بها فى فصل الصيف أضعافا مضاعفة عن الاقامة بمصر ، ولاطلاق الهواء بلا مانع فى تلك الصحارى ، ترى تزايد لطف هوائها ، واعتدال حرارة الشمس فيها ، وقد أنشئت فى حلوان لوقندة مرتبة ، (**يعنى لوكندة** أى فندق) وبواسطة ما أنشىء من العربات المعروفة بالأمنيبوس يمكن الذهاب الى هناك والرجوع بغاية الراحة لمن أراد ذلك ، ولا يخلو وقت من توجه ذوات معتبرين وبعض سياحين للتنزه فى ذلك المكان ، والمسافة لا تزيد عن يوم واحد ، وليس فى الامكان) ا • ه • ويعنى اختصار التعبير المعروف ليس فى الامكان أبدع مما كان ، ثم فكروا فى انشاء خط سكة حديدية •

فقد جاء فى الوقائع الرسمية فى ١٨٧٧/١/١٤ : (منذ مدة كان شرع فى انشاء فرع سكة حديد يواصل من ميدان محمد على (يعنى المنشية تحت القلعة) الى حمامات حلوان فى حالة الذهاب والاياب للقاصدين ، ومساعدة لمريدى استعمال مياهها للمحتاجين ، والآن بلغنا أنه تم على أحسن حال ، وأكمل منوال ، وسيجرى الافتتاح بحالة تسر الناظرين ، بل عموم الناس أجمعين ... الخ) .

كما جاء فى العدد التالى (١٨٧٧/١/٢١) : (سبق التنبيه أن سكة حديد حلوان التى كان سبق الشروع فيها تمت على أكمل الأحوال ، وقد علم الآن أن ابتداء تشغيلها يكون فى هذا اليوم الذى هو يوم الأحد ٢١ يناير سنة ١٨٧٧ ، وان شاء الله فى النمرة الآتية (يعنى العدد القادم) يدرج بيان الأجر باعتبار المحطات وبيان أوقات الذهاب والاياب حسب الجدول الوارد المتضمن ذلك) .

ومن الخبرين المذكورين نعلم أن سكة حديد حلوان كانت عند انشائها تبدأ من ميدان محمد على بالمنشية أى الميدان تحت القلعة ، وكان معروفا باسم الرميلة ثم قرميدان ، ثم ميدان محمد على وأخيرا ميدان صلاح الدين .

وكانت سكة حديد حلوان تمر فى الصحراء شرقى قرافة المماليك وضريح الامام الشافعى ثم شرقى قرية البساتين ثم شرقى المعادى ، ثم شرقى طرا حتى حلوان ، ولا يزال هذا الخط موجودا للآن ، ويعرف بخط المحاجر . وغير مستعمل للأهالى ولم ينس اسماعيل نفسه وعائلته ،فأمر بانشاء حمام خاص له ولأسرته وقد كسيت جدرانه بالقيشانى النفيس .

وللتعمير تقرر لكل راغب فى البناء أن يأخذ أى مساحة على أن يبنيها فى مدة محدودة ، وجعل لكل ٥٠٠ م.م رسم رمزى قدره جنيه واحد ، وبعد البناء فى الموعد المحدد وطبقا لشروط التنظيم تستخرج الحجة الشرعية بتمليكه من مديرية الجيزة ، وكانت حلوان الى عهد قريب تابعة لمديرية (محافظة) الجيزة ، وكانت المعادى آخر حدود محافظة القاهرة .

ولم يكن التعمير وحده هو الدافع لهذا ، ولكن أراضى حلوان كانت ملكا لاسماعيل ، فاذا انتشر العمران

تصقعت هذه الأراضى وزادت قيمتها ، وقد أوقف اسماعيل تفتيش حلوان على ثلاث من زوجاته ٠

واستمر الاهتمام بحلوان فى عهد الخديوى توفيق ، فبنى بها سنة ١٨٨٥ قصرا على مساحة ٢٠٠٠٠ م ٠ م كما بنى الكثيرون من عظماء ذلك الوقت قصورا على مساحات كبيرة لا تقل الواحدة منها عن ٢٥٠٠ م ٠ م ٠ وقد توفى توفيق فى القصر المذكور فى ١٨٩٢/١/٧

واعتاد توفيق الذهاب الى حلوان مرتين كل شهر ٠ وأمر بزراعة الأشجار بين الحمامات والنيل، وطوله ٢٥٠٠ متر كما ذكرنا ، كما أمر فرقة الموسيقى الخديوية بالانتقال اليها كل يوم جمعة للعزف بها والترفيه عن سكانها ، ونظمت مواعيد القطارات منها واليها بما يتلاءم مع راحة السكان ٠

وفى عصر عباس حلمى الثانى عندما تزوجت شقيقته خديجة من عباس حليم فى يناير سنة ١٨٩٥ ، أعدت سراى القبة للزفاف ، ثم انتقل العروسان الى حلوان من باب اللوق ليقيما بالسراى الخديوية بضعة أسابيع قبل سفرهما للآستانة (مذكراتى فى نصف قرن لأحمد شفيق باشا جـ ٢ ص ٢١٩) ٠

وفى هذا الخبر ما يدل على أنه كانت أنشئت محطة حلوان بباب اللوق ٠

وبدأ العمران أولا فى الجهة الشرقية بجانب السكة الحديد والمدينة الأصلية ، ثم زحف العمران غربا نحو الحمامات ٠

وحمامات حلوان تتدفق المياه من العين بمعدل ٥٠٠٠ م٣ فى الساعة محتوية على كبريت بنسبة ٣٩٫٢ مم٣ فى كل ١٠٠ سم٣ وهى نسبة مرتفعة اذا قورنت بحمامات أوربا ، فمثلا لا تزيد نسبة الكبريت فى حمام بادن بفيينا عن ١٥٫٩ مم٣ فى كل ١٠٠ سم٣ وقد جددت بلدية القاهرة الحمامات سنة ١٩٥٥ ، وتكلفت عملية التجديد ١٢٠٠٠٠ جنيه تقريبا ٠

وابتدىء فى كهربة خط حلوان سنة ١٩٥٣ ، وانتهى العمل منه سنة ١٩٥٦ ، وأدخل نظام الاشارات الأوتوماتيكى ، كما تم بعد ذلك بناء محطة حلوان ٠

وتكلف مشروع كهــربة خـط حـلوان حـوالى الأربعـة ملايين من الجنيهات ، بما فى ذلك المبانى الجديدة للمحطات ، وانشاء أسوار حول الخط داخل القاهرة ، عند الأماكن المزدحمة بالسكان ، وترميم كبارى القدم عنـد محطات السيدة زينب ومار جرجس وفم الخليج •

كمـا أنه لخدمة صـناعة الحديد والصلب ، والصناعات الأخـرى التى قامت بحلوان أنشئت تفريقة من خط سـكة حديد الصـعيد عنـد المرازيق جنوبى البدرشين تصل الى بلدة التبين قرب حـلوان ، وأنشىء كوبرى على النيل من الطراز العالى الثابت لتسهيل الملاحة ، ويمكن استعماله للسيارات والسكة الحديد والأفراد معا ،ويعرف بكوبرى المرازيق •

محمد كمال السيد محمد

تدارك :

وقع خطأ مطبعى فى الجزء الرابع فى مقال « وحى السـماء فى شـــعر العقاد » والصواب « وحى الأسماء فى شعر العقاد » •

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

[٧]

١٠١ - ويقولون : عاد المسافرون واحدا واحدا ، واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، والأفصح أن يقال : عادوا أحادا أو موحد ، وثناء أو مثنى ، وثلاث أو مثلث ، ورباع أو مربع ، لأن العرب عدلت عن الألفاظ الأولى الى هذه الصيغ ليستغنى بها عن تكرير الاسم ،ومعناها يدل على ما يدل عليه مجموع الاسمين ، ولهذا امتنعوا أن يقولوا للواحد : هذا أحاد وللاثنين هما مثنى ، وانما امتنعوا من ذلك لزيادة المعنى فى أحاد على واحد وفى ثناء على اثنين وقد فسر قوله تعالى :« فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » بقولهم : لينكح الواحد منكم ما طاب له من النساء اثنين اثنين ، أو ثلاثا ثلاثا ، أو أربعا أربعا ، وقالوا مثل ذلك فى قوله جل شأنه : « جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع »

وقد اختلف العلماء فيما نطقت به العرب من هذه الألفاظ ، فقال الأكثرون : انهم لم يتجاوزوا رباع الا الى صيغة عشار لا غير ، كما فى قول الكميت

فلم يستريثوك(١) حتى رميـ
ـت فوق النصال خصا لأعشارا

وروى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متسقا من آحاد الى عشار، وأنشد

قل لعمرو يابن هند
لو رأيت اليوم شنا(٢)
لرأت عيناك منهم
كل ما كنت تمنى

---

١ - يستريثوك : يستبطئوك .

٢ - الشن : أصله القربة الخلق الصغيرة ، والمراد به القطيعة والعداوة ، تقول : استشن ما بينهما اذا يبس .

اذا أتتنا فيلق (١) شهـ
ـباء من هنا وهنا

وأتتنا دوسر (٢) والملـ
ـحاء (٣) سيرا مطمئنا

ومضى القوم الى القو
م أحادا وثناء

وثلاثا ورباعا
وخماسا فأطعنا

وسداسا وسباعا
وثمانا فاجتلدنا (٤)

وتساعا وعشارا
فأصبنا وأصبنا

لا ترى الا كميا
قاتلا منهم ومنا

وقد عيب على المتنبى قوله :

أحاد أم سداس فى أحاد
ليلتنا المنوطة بالتناد

١ ـ لأنه أقام أحاد مقام واحدة وسداس مقام ست ، أراد أليلتنا هذه واحدة أم واحدة فى ست أى سبع ليال .

٢ ـ أنه صغر ليلة على ليلة ، والمسموع لييلية

٣ ـ أنه ناقض كلامه ، لأنه كنى بتصغير الليلة عن قصرها ، ثم عاد فوصفها بالامتداد الى يوم التناد وهو يوم القيامة .

١٠٢ ـ ويقولون فى التحذير : اياك الأسد واياك الكذب ، ووجه الكلام أنه يجب ادخال الواو على الأسد ، وعلى الكذب ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « اياك ومصاحبة الكذاب فانه يقرب اليك البعيد ، ويبعد عنك القريب » ، كما فى قول الشاعر :

فاياك والأمر الذى ان توسعت
موارده ضاقت عليك المصادر

والعلة فى وجوب اثبات الواو فى هذا الكلام أن لفظ اياك منصوب باضمار فعل تقديره اتق ، أو احذر ، أو باعد ، واستغنى عن اظهار هذا الفعل لما تضمن الكلام من معنى التحذير ، وهذا الفعل انما يتعدى الى مفعول واحد ، فاذا كان قد استوفى

---

١ ـ الفيلق الشهباء : الكتيبة المنكرة .
ـ دوسر : اسم لكتيبة كانت للنعمان بن المنذر ، وكذا الملحاء كتيبة اخرى كانت لآل المنذر .
٣ ـ اجتلدنا : تضاربنا بالسيوف .

عمله ، ونطق الانسان بعده باسم آخر لزم ادخال حرف العطف عليه ، كما في قولك : اتق الشر والكذب .

ويجوز الغاء الواو عند تكرير لفظ اياك ، كما استغنى عن اظهار الفعل مع تكرير الاسم في مثل قولك الخيانة الخيانة ، وعليه قول الشاعر :

فاياك اياك المراء (١) فانه
الى الشر دعاء وللشر جالب

وان قلت : اياك أن تقرب من الأسد ، فالأجود أن تلحق به الواو ، لأن أن منع الفعل بمنزلة المصدر فأشبه قولك : اياك ومقاربة الأسد ، ويجوز فيه الغاء الواو على أن تكون أن وما بعدها للتعليل وتبيين سبب التحذير ، فكأنك قلت : أحذرك لأجل أن تقرب من الأسد ، وعليه قول الشاعر :

فبح بالسرائر في أهلها
واياك في غيرهم أن تبوحا

١٠٣ – وينكرون تعدى الفعل صارح الى المفعول به ، وحجتهم في ذلك عدم وروده متعديا في معاجم اللغة ، وقالوا : لا يجوز أن يقال : أصارحك بكذا ، وتابعتهم مجلة المجمع في عددها الأول ، ورأت أن يستبدل به جاهر فيقال : جاهره بكذا .

والحق أن هذا الفعل يتعدى الى المفعول به ، لأن الفعل اللازم اذا نقل الى باب المفاعلة صار متعديا ، نحو جلس وجالسته ، ومشى وماشيته ، وقعد وقاعدته .

ومما يؤيد ذلك وروده ،متعديا في قصيدة أبي طالب التي قالها متعوذا فيها بحرم مكة والتي أبان فيها أنه لا يمكن أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعدائه حتى يهلك دونه ، وهذه القصيدة مشروحة في خزانة الأدب للبغدادي ص ٥٢ من الجزء الثاني ، وفي المواهب الفتحية ص ١٤٨ من الجزء الأول ،وفي سيرة ابن هشام ص ٢٩١ من الجزء الأول ومطلعها :

خليلي ما أذني لأول عاذل
بصفواء (٢) في حق ولا عند باطل

---

١ – المراء : الجدال بالباطل .

٢ – صغواء : مائلة للسماع .

الى أن قال :

وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل (١)

١٠٤ ـ ومما يخطئون فى ضبطه قولهم لبقلة معروفة ثوم بفتح فسكون والصواب ضم الثاء والعامة يستبدلون بالثاء تاء فيقولون توم بضم التاء ، والحق أن التوم جمع لتومة ، وهى اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة ، وبيضة النعامة .

١٠٥ ـ ويقولون : هو ذا يكتب ، وهو ذا يقرأ ، والفصيح الذى ورد عن العرب قولها : ها هو ذا يكتب ، وكان أصل القول : هو هذا يكتب ، فانتقل حرف التنبيه الذى هو ها من اسم الاشارة الذى هو ذا ، وصدرت به الجملة ، وتوسط بينهما الضمير ، ومثل ذلك قوله عز شأنه : « ها أنتم هؤلاء تحبونهم » ويعرب الضمير مبتدأ ، واسم الاشارة خبرا له ، والجملة التى تليه مبينة له ، كما فى قولك للرجل السخى : أنت حاتم تجود بمالك .

١٠٦ ـ ويقولون هجا فلان فلانا فى رسالة نثرية ، كلها هجاء مقذع ، وهذا التعبير غير سليم ، والصواب أن الهجاء لا يكون الا بالشعر ، تقول : هجاه يهجوه هجوا اذا عابه بالشعر ، والاسم الهجاء بالكسر .

أما اذا عابه بغير الشعر فيقال : سبه ، أو شتمه ، أو ذمه ، أو عابه ، أو وقع فيه ، ففى اللسان وكذا فى القاموس : هجاه هجوا : شتمه بالشعر ، وفى المصباح المنير : هجاه يهجوه هجوا : وقع فيه بالشعر .

١٠٧ ـ ويقولون : شفة الحصان ، وشفة البقرة ، وشفة الجمل ، والحق أن الشفة خاصة بالانسان ، جمعها شفهات ، وشفرات .

والفصيح أن يقال : جحفلة الحصان والحمار ، ومشفر الجمل والناقة بكسر الميم ، ومقمة الشاة والبقرة بكسر الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة مع فتح القاف التى بينهما ، وخطم الأسد بالفتح وخرطومه بالضم ، ومنسر البازى بكسر الميم وفتحها ، ومنقار الحمامة والدجاجة ، وفنطيسة الخنزير بكسر الفاء .

---

١ ـ المزايل : المباين ، تقول : تزايلوا اذا تباينوا واختلفوا .

١٠٨ ـ ويقولون : هل لا يجوز أن يرحم الانسان الضعيف ؟ وهل لم تقم بزيارة صديقنا فلان ؟ وهل ليس فى الحديقة ثمار ؟ فيدخلون هل على الجمل المنفية ، والمعروف أنها خاصة بالدخول على الجمل المثبتة •

قال الرضى : هل لا تدخل على النافى أصلا ، والصواب أن يقال : ألا يجوز أن يرحم الانسان الضعيف ؟ وألم تقم بزيارة فلان ؟ وأليس فى الحديقة ثمار ؟ أى بدخول همزة الاستفهام على النافى •

أما هل المتصلة بلا فى الرسم فهى للتخصيص أو اللوم وليس فيها معنى الاستفهام ، ولا يجاب عنها ، قال الزبيدى : وهلا كلمة تخصيص ولوم، فاللوم على ما مضى ، والتخصيص على ما يأتى ، قال الكسائى : وهى مركبة من هل ولا ، ويظهر أن الذى سوغ دخول هل على لا فى حالة التركيب خروجها عن معنى الاستفهام •

١٠٩ ـ ويزعمون أن كلمة مصران بالضم مفردة كعنوان ، والحق أنها جمع لمصير كرغيف ورغفان ، وقضب وقضبان ، وغدير وغدران ، والمصير وزان أمير هو المقى ، ويجمع على مصران ثم يجمع المصران على مصارين •

عباس أبو السعود

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

العقد فى الشرائع الوضعية

[٥]

انتهينا فى العدد الماضى من الكلام عن الملامح الرئيسية لكلا النظامين الاسلامى والانجليزى ونبدأ فى هذا العدد بالكلام عن الأحكام التفصيلية للعقد • فى الشرائع الوضعية ثم نتبع ذلك بالمقارنة بين هذه الأحكام وبين أحكام العقد فى كلا القانونين الاسلامى والانجليزى •

يعتبر العقد أهم أداة قانونية لتحقيق التعامل والمبادلات بين الناس ومن هنا كانت أهمية دراسة وضرورة معرفة الأحكام التى تنظمه بين المسلمين وقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يطوف بالسوق ويقول : « لا يبع فى سوقنا الا من يفقه والا أكل الربا شاء أم أبى » وكما أن سلامة الأشخاص وأمنهم يتوقفان على قواعد القانون الجنائى فان استقرار المعاملات ونمو المجتمع الاقتصادى يتوقفان على القواعد القانونية التى تحكم العقود ومدى كفالتها لحقوق أطرافها ومدى الزامها لكل منهم بتنفيذ ما تعهد به فى العقد ذلك أن كل واحد منا يجرى العديد من العقود كل يوم تقريبا فكل شراء نقوم به وكل استعارة تتم ولو كانت من صديق وكل مرة نركب فيها احدى وسائل المواصلات وغير ذلك من قضاء حاجاتنا اليومية انما يتم عن طريق (العقد) ولذلك اهتمت كل الأنظمة القانونية بتنظيم أحكام العقد لتحقق أكبر قدر من الطمأنينة والاستقرار للمعاملات كل حسب وجهة نظره •

وبمراجعة الشرائع الوضعية نجد أنها تعرف العقد : بأنه اتجاه الارادة

الى احداث أثر قانونى معين يتم كنتيجة مباشرة لها ويقسم الفقهاء العقود من ناحية طريقة انعقادها الى ثلاثة أنواع: عقود رضائية : وهى التى تعقد نتيجة تلاقى الارادتين أيا كانت وسيلة التعبير عن الارادة أما اذا اشترط القانون صياغة التعبير عن الارادة فى شكل معين كما لو تطلب التعبير عن الارادة كتابة أمام موظف عمومى مختص مثلا فان العقد هنا يكون عقدا شكليا كعقد الهبة فى القانون المصرى وأما اذا كان يكتفى القانون بالتنفيذ الفعلى دون حاجة الى التعبير اللفظى عن الارادة كما فى بعض صور البيع فان العقد هنا يتم بالتسليم (تسليم المشترى الثمن للبائع وتسليم البائع الشىء المبيع للمشترى) ويعتبر عقدا عينيا .

وباستقراء أحكام هذه الشرائع أيضا نجد أنها تعالج ناحيتين الناحية الأولى هى كيفية انعقاد العقد ، والثانية هى كيف ينعقد العقد صحيحا ليكون له القوة الملزمة لعاقديه والتى يكفلها النظام القانونى الذى يخضع له العقد .

ويقول فقهاء القوانين الوضعية فى ذلك : أن للعقد أركانا ثلاثة هى : التراضى ، والمحل، والسبب اذ تخلف أحدها لم يكن هناك عقد ويعبرون عن ذلك بأن العقد فى هذه الحالة يكون باطلا بطلانا مطلقا .

والى جانب هذه الأركان الثلاثة يجب أن تتوافر الأهلية فى العاقدين وأن تتوافر أيضا سلامة الارادة من العيوب وتوافر الأهلية وسلامة الارادة من العيوب هما شرطان لصحة العقد وجزاء تخلف أحدهما هو قابلية العقد للابطال أو بتعبير آخر يكون العقد باطلا بطلانا نسبيا .

والفرق بين نوعى البطلان أن العقد الباطل بطلانا مطلقا لا يعتبر له وجود قانونى ولذلك يكون لكل من الطرفين عدم تنفيذه كما يجوز لغيرهم التمسك بهذا البطلان اذا ما وجد فى ذلك مصلحة له أما العقد القابل للابطال أو الباطل بطلانا نسبيا فانه يعتبر عقدا قائما وصحيحا من الناحية القانونية ولايستطيع أحد العاقدين الامتناع عن تنفيذه الا بعد صدور الحكم ببطلانه.

والتراضى معناه توافق ارادتى المتعاقدين على احداث أثر قانونى معين ويتم هذا التراضى بعرض يصدر من أحدهما يسمى بالايجاب وموافقة من الآخر على هذا العرض دون أدنى

تعديل تسمى بالقبول ويجب أن يصدر القبول والايجاب من شخصين متمتعين بالأهليـة اللازمة لابرام مثـل هـذا العقد .

والأهلية تنقسم الى نوعين . أهلية وجوب وهى مجرد صلاحية الشخص لاكتساب الحقـوق والواجبـات وهى تثبت لكل انســان بمجرد ولادته . وأهلية أداء وهي القدرة على اكتساب الحقوق والالتزام بالواجبات أى مباشرة الأعمـــال القانونيـة ولما كانت هذه القدرة ليست واحدة بالنسبة للشخص فى مراحـل تطـــوره لذلك قـررت الشرائع المختلفة مراحل يكون فيهـا الانسان عديم أهلية الأداء (كما لو لم يبلغ سن السابعة وهى سن التمييز فى معظـم الشرائع) ومراحل يكون فيها ناقص هذه الأهليـة فيمتنع عليـه مباشرة بعض التصرفات القـانونية ، ومرحلة يصبح فيها كامل الأهلية بعد بلوغه سنا معينة حددتها بعض الشرائع بثمانية عشر عاما ، وحـددتها شرائع أخرى باحدى وعشرين عاما ، وشرائع ثالثة بخمسة وعشرين عاما فمتى بلغ هـذه السن أصبح فى مقـدوره ابرام جميع أنواع العقود . وبعد بلوغ هذه السن قد يعترض الانسان عارض من العوارض كالجنون أو العته أو السفه او الغفلة فيعود عديم الأهلية أو ناقصها حسب نوع العارض الذى يصاب به .

ولذلك فأول ما يشترط فى العقد هو صدور الايجاب واقترانه بالقبـول وأن يكون الايجاب والقبول صادرين من شخصين متمتعين بالأهلية اللازمة لابرام هـذا العقـــد . وقد اختلفت الشرائع الوضـعية فى معنى الايجاب والقبول الملزمين فى العقـــد ذلك أن الايجاب والقبول لابد أن يصدر تعبير عنهما ســواء كان هذا التعبير بالقــول أو بالكتابة أو بالاشـارة وهذا التعبير لابد وأن يكون تعبيرا عن ارادة حرة وخالية من كل عيب يشوبها فلا يكون هناك اكراه على صاحبها ، ولا تعاقد عن غلط أو تحت تأثير تدليس على صاحبها أو استغلال له وقد ذهب الفقه الغربى فى ذلك الى عدة مـذاهب ؛ فالقانون الفرنسى يعتنـــق ما يسمى بنظـرية الارادة الباطنة ، وهذه النظرية تقول: ان التعبير هو مظهر الارادة والثوب الذى ترتـديه والارادة هى أسـاس الالتزام فى العقـد ، ومن ثم وجب التعويل على الجوهر لا المظهر ، وعلى الارادة ذاتها لا على التعبير عنها فـلا يكون للتعبير من أثر الا بقدر اتفاقه مع الارادة الباطنة .

فاذا اختلف التعبير عن الارادة الباطنة فالعبرة بالارادة الباطنة وعلى القاضى الوصول الى هذه الارادة الباطنة والكشف عنها والحكم بمقتضاها ٠

وعلى عكس ما تقدم نجد القانون الألمانى فهو لا يعتد الا بالارادة الظاهرة المعلنة ولا يعول على الارادة الباطنة الحقيقية ؛ وحجة الألمان فى ذلك أنه يستحيل التعرف على الارادة الباطنة ٠ ولهذا الخلاف بين النظريتين نتائج عملية خطيرة ولنضرب مثلا لذلك : اذا وقع خطأ فى عبارة رسالة برقية أرسلها احد المتعاقدين للآخر فان العقد لا ينعقد وفقا للنظرية الفرنسية (نظرية الارادة الباطنة) بينما ينعقد ويكون ملزما للطرف الذى أخطأ فى عبارة الرسالة البرقية وفقا للنظرية الألمانية (نظرية الارادة الظاهرة) ٠

كذلك يختلف الحل بالنسبة لتحديد زمان ومكان انعقاد العقد ، وهما أمران يحددان القانون الذى يخضع له العقد لأن العقد قد ينعقد فى دولة ويتم تنفيذه فى دولة أخرى وكذلك تاريخ بدء تنفيذ العقد ٠ فلو أخذنا بنظرية الارادة الباطنة فان العقد سينعقد بمجرد صدور القبول وقبل ابلاغ الموجب بالقبول أما اذا أخذنا بنظرية الارادة المعلنة فان العقد لا ينعقد الا ابتداء من الوقت الذى يعلم فيه الموجب بالقبول ٠

ويؤدى الأخذ بنظرية الارادة الباطنة الى التوسع فى فكرة الغلط عند التعاقد والسماح بابطال العقد فى حالات كثيرة على عكس نظرية الارادة الظاهرة ٠ كذلك تتأثر نظرية (الصورية) أى ابرام المتعاقدين عقدا فى الظاهر على حين اتفاقهما على عدم وجود مثل هذا العقد حقيقة أو أن العقد الحقيقى بينهما له موضوع آخر كما اذا أبرما عقد بيع فى الظاهر واتفقا على أنه هبة أو أنه عقد صورى لا يقوم أحد الطرفين بتنفيذه تجاه الآخر ٠ فاذا قلنا ان الارادة الحقيقية أى الارادة الباطنة هى التى يجب الاعتداد بها كان معنى ذلك عدم تنفيذ العقد الصورى والأخذ بالعقد المستتر أما اذا قلنا بالأخذ بالارادة الظاهرة أى الارادة المعلنة فان العقد الصورى يكون نافذا ٠

كذلك يبدو الفرق بين النظريتين عند عرض النزاع حول أى عقد على القضاء فتبعا لنظرية الارادة الحقيقية

أو الباطنة يجب على القاضى أن يبحث عن ما قصده المتعاقدان حقيقة بصرف النظر عن ألفاظ العقد أما اذا أخذنا بالارادة الظاهرة أو المعلنة فان القاضى يلتزم فى تفسيره للعقد بألفاظ العقد لا بما قصد اليه المتعاقدان •

ومن ذلك يتبين أهمية الأخذ بهذه النظرية أو تلك ، والأثر الكبير لذلك فى تحقيق الطمأنينة والاستقرار والثقة فى المعاملات •

واذا ما انتقلنا بعد ذلك الى تحديد وقت انعقاد العقد وهو أمر له أهمية فى عدة نواح فتحديد وقت انعقاد العقد هو الذى يحدد القانون الذى يحكم شروط انعقاد العقد وصحته وهو القانون السارى وقت انعقاده حتى لو صدر بعد ذلك قانون جديد يعدل فى تلك الشروط • وبتحديد وقت انعقاد العقد يتحدد الوقت الذى تبدأ فيه آثاره (تنفيذه) وتحديد وقت انعقاد العقد يحدد مكان انعقاده وهو المكان الذى يتم فيه اقتران ارادتى الطرفين • ولتحديد مكان انعقاد العقد أهمية كبيرة فى تحديد القانون الذى تطبقه المحكمة التى يرفع اليها النزاع فى المعاملات الدولية وذلك نظرا لاختلاف القوانين التى تحكم العقد من دولة لأخرى فبعض الدول تخضع العقد لقانون محل ابرامه ، وبعضها يخضعه لقانون محل تنفيذه ، وبعضها يخضعه لقانون جنسية المتعاقدين أو موطنهما ، وبعضها يخضعه لقانون الدولة التى تتبعها المحكمة التى رفع اليها النزاع ••• الخ •

وفى تحديد وقت انعقاد العقد نجد أيضا عدة نظريات سادت الفقه الغربى أولى هذه النظريات هى نظرية اعلان القبول وتبعا لها يتم العقد بمجرد صدور القبول فمتى صدر القبول مطابقا للايجاب تم العقد بصرف النظر عن تاريخ علم الطرف الآخر (الموجب) بالقبول ويظهر أثر ذلك جليا فى العقود التى تتم بالمراسلة •

وثانى هذه النظريات نظرية تصدير القبول فهذه النظرية لا تكتفى بصدور القبول أو اعلانه بل تستلزم ارساله أى تصديره بصفة قاطعة كارساله بالبريد أو ايداع البرقية فى مكتب التلغراف أو غير ذلك من وسائل المراسلة فهم يقولون ان هذه الواقعة المادية وهى واقعة تصدير القبول واقعة يسهل اثباتها وتدل على القبول بصفة قاطعة ويحسن أن نربط بها وقت انعقاد العقد •

وهناك نظرية ثالثة هي نظرية تسليم القبول وتبعا لها لا ينعقد العقد الا بتسليم الموجب للقبول أى بوصوله اليه حتى يمكن القول بأن هذا الوصول أصبح نهائيا ولا يمكن استرداده وذلك لمواجهة الضرورات العملية وحتى لا يمكن للقابل بعد التسليم سحب رسالته المتضمنة للقبول أما النظرية الرابعة فى هذا الصدد فهى نظرية العلم بالقبول وهى تذهب الى أن الارادة لا يمكن أن تنتج أثرها الا من وقت علم من وجهت اليه بها وعلى ذلك فان توافق الارادتين لا يتم الا من وقت علم الموجب بالقبول • ويؤخذ على هذه النظرية أن علم الموجب بالقبول أمر شخصى يتم فى غيبة القابل ،ولا يمكنه اثباته ويستطيع الموجب الذى تسلم الرسالة المتضمنة للقبول أن ينكره بتعمده عدم فتح هذه الرسالة ؛ ولذلك رأى أنصار هذه النظرية القول بأن هناك علما افتراضيا وهناك علما حقيقيا وأنه يكتفى بالعلم الافتراضى وهو أن مجرد وصول القبول الى محل الموجب يعتبر قرينة على العلم بالقبول ولكنها قرينة قابلة لاثبات العكس فلو ادعى الموجب مثلا أنه لم يعلم بالقبول رغم وصوله اليه وأمكنه اثبات ذلك فان العقد لا ينعقد فى هذه الحالة •

هذه هى النظريات التى قيلت فى كل من الايجاب والقبول والتى أخذت التشريعات السائدة حاليا بها كل دولة وفق ما ارتأته محققا لاستقرار التعامل بها وهذه النظريات تبدو آثارها بالنسبة للتعاقد بالمراسلة أما بالنسبة للتعاقد ــ بالتليفون ــ فانه يعتبر تعاقدا بين حاضرين فيما يتعلق بزمان انعقاد العقد أما بالنسبة لمكان انعقاد العقد فهو يتحدد تبعا للنظرية التى يأخذ بها التشريع الذى يحكم انعقاد العقد فلو أخذ بنظرية اعلان القبول كان مكان انعقاد العقد هوالمكان الذى تحدث فيه القابل ــ بالتليفون ــ ولو أخذنا بنظرية العلم بالقبول كان هو المكان الذى تلقى فيه الموجب المكالمة التليفونية التى أحيط فيه علما بالقبول •

كذلك قد يتم التعاقد بما يسمى بطريقة (العربون) وهو عبارة عن دفع أحد المتعاقدين مبلغا نقديا الى المتعاقد الآخر وقت انعقاد العقد ويقوم العربون باحدى الوظيفتين حسب تحديد المتعاقدين له فقد يقصد بالعربون تأكيد انعقاد العقد وضمان

جديته وتنفيذه فيعتبر جزءا من قيمة العقد ففى عقد البيع مثلا يعتبر العربون جزءا من ثمن البيع يخصمه البائع مما هو مستحق على المشترى فاذا لم ينجز المشترى البيع وحكم عليه بالتعويض خصم العربون المدفوع من قيمة التعويض المحكوم به • وقد يقصد بالعربون أن يكون وسيلة للعدول عن تنفيذ العقد وفى هذه الحالة يفقد من دفع العربون قيمة ما دفعه اذا عدل عن العقد ويلتزم الطرف الآخر برد العربون ومعه مبلغ مماثل اذا كان هو الذى طلب العدول عن العقد فالعربون فى هذه الحالة يعتبر ثمنا للعدول من أى من الطرفين •

وقد اختلفت الشرائع فى دلالة العربون بين هذين النظرين اذا لم يتبين القاضى قصد المتعاقدين فالبعض منها يرجح دلالة العربون على انعقاد العقد ، ومن هذه الشرائع القانون الألمانى ، والقانون السويسرى ، والقانون البولونى ، ومنها ما يرجح دلالة العربون على أنه ثمن للعدول ومن هذه الشرائع القانون الفرنسى والقانون المصرى والقانون اللبنانى •

وحتى يكون التراضى منتجا لأثره فى تكوين العقد وصحته لابد أن يكون سليما وخاليا من عيوب الرضا • وعيوب الرضا أربعة هى : الغلط والتدليس ، أو الغش والاكراه أو الخوف والاستغلال او الغبن •

والغلط هو : أن يعتقد أحد المتعاقدين بوجود واقعة معينة على خلاف الحقيقة ولو كان يعلم بالحقيقة لما أقدم على ابرام العقد ومثاله : أن يقدم شخص على شراء شىء معتقد أنه من الذهب الخالص ثم يظهر له بعد ذلك أنه من معدن مذهب •

أما التدليس أو الخداع: فهو ايهام الشخص بأمر مخالف للحقيقة بقصد حمله على التعاقد فالغلط وهم تلقائى قام فى نفس المتعاقد ودفعه الى التعاقد أما التدليس فهو وهم غير تلقائى وانما نشأ من تدليس وغش الطرف الآخر أو غيره باستعماله وسائل من شأنها أن جعلت فى ذهن المتعاقد صورة تخالف الواقع •

أما الاكراه أو الخوف : فهوضغط يتعرض له أحد المتعاقدين نتيجة التهديد يولد فى نفسه رهبة تدفعه الى التعاقد فالمكره هنا مخير بين أن يقع به

الأذى المهدد به وبين أن يوقع العقد ولذلك يختار أهون الضررين وهو توقيع العقد وهذا النوع من الاكراه يطلق عليه الاكراه المعنوى ويعتبر عيبا فى الرضا على عكس الاكراه المادى الذى ينتزع الارادة عنوة لا رهبة وخوفا ولذلك ففى هذه الحالة ينعدم الرضا تماما بينما فى الحالة الأولى (الاكراه المعنوى) يكون الرضا موجودا ولكن معيبا •

أما الاستغلال أو الغبن فهو : عبارة عن عدم التعادل بين ما يقدمه كل متعاقد فى العقد وما يأخذه وقت ابرام العقد كما لو باع شخص شيئا قيمته ألف جنيه بثمن قدره مائة جنيه فقط•

وتتفاوت الشرائع الوضعية فى تحديد الشروط التى يعتبر بها كل عيب من هذه العيوب متوافرا كما تتفاوت فى شروط اثبات هذا العيب وكذلك تختلف فى تقرير الجزاء المترتب على هذا العيب فبعضها يجعل العقد باطلا بطلانا مطلقاوبعضها يجعل العقد قابلا للابطال أى صحيحا حتى يحكم القضاء بابطاله كذلك تتفاوت الشرائع الوضعية فى تحديد الوقت الذى يمكن لصاحب الارادة المعيبة رفع دعوى الابطال خلاله بل ويختلف التشريع الواحد فى تحديد هذه المدة بالنسبه لكل عيب على حدة ولنأخذ مثلا التشريع المصرى فهو لا يقبل رفع دعوى الابطال بسبب الاستغلال أو الغبن اذا مضى على العقد سنة من تاريخ التعاقد بينما تصل هذه المدة الى ثلاث سنوات بالنسبة لعيوب الغلط والتدليس والاكراه • وبينما يرى التشريع المصرى (المادة ١٢٩ من القانون المدنىالمصرى) والتشريع السويسرى (المادة ٢١ من قانون الالتزامات السويسرى) أنالاستغلال يكون جزاؤه امكان ابطال العقد اذا رفعت الدعوى خلال سنة من التعاقد نتيجة لاعتباره مجرد عيب فى ركن التراضى نجد على عكس ذلك القانون الألمانى الذى يعنيه أمر مختلف عن ذلك كل الاختلاف فلا يعتبر الأمر مجرد عيب فى الرضاء ولكن يعتبر الاستغلال أمر ينطوى على أمر مخالف للآداب ويجعل الجزاء عليه البطلان المطلق (المادة ١٣٨ من القانون المدنى الألمانى) •

والركن الثانى من أركان العقد هو ركن (المحل) •

ومحل العقد هو العملية القانونية التى يراد تحقيقها عن طريق التراضى

فلكل عقد محل ينصب عليه التراضى ولا يتصور أن يكون هناك عقد بدون محل ففى عقد البيع مثلا يكون محل العقد هو البيع والشراء أى نقل ملكية الشىء المبيع من البائع الى المشترى فى مقابل الثمن الذى يدفعه الأخير فيكون محل التزام البائع هو تسليم المبيع ومحل التزام المشترى دفع الثمن •

وتشترط كافة الشرائع الوضعية أن يكون محل العقد لا يحرمه القانون ويعبرون عن ذلك بألا يكون مخالفا للنظام العام أو الآداب العامة •

والنظام العام والآداب العامة هما من الأفكار النسبية والمتطورة بمعنى أنهما يتأثران بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية السائدة فى المجتمع ولفكرتى النظام العام والآداب العامة السيطرة الكاملة فى تحديد ما هو ممكن التعاقد عليه وما لا يجوز التعاقد عليه فى كل دولة من الدول وهى أساس تباين واختلاف الشرائع الوضعية وكل ما ينشأ من مشاكل قانونية وهى العقبة الكبيرة أمام توحيد قوانين الدول المختلفة فمثلا كل تعاقد متصل بالخمور أو ألعاب القمار يعتبر باطلا بطلانا مطلقا فى تشريعات بعض الدول بينما يعتبر ذلك صحيحا فى دول أخرى كثيرة •

ونظرا لأن محل العقد لا يمكن تحقيقه الا عن طريق انشاء التزامات على عاتق كل من الطرفين أو أحدهما حسب موضوع العقد والغاية منه • لذلك فقد نصت التشريعات المختلفة على شروط معينة يجب توافرها فى محل كل التزام وهو الأداء الذى يلتزم به كل من الطرفين وهذا الأداء قد يكون تسليم شىء من الأشياء أو القيام بعمل من الأعمال (كعقد العمل) أو مجرد الامتناع عن القيام بعمل من الأعمال (كما لو باع شخص متجره واشترط المشترى عدم فتح البائع لمحل آخر من نفس النوع فى نفس المنطقة) • ففى الالتزام بتسليم شىء من الأشياء كما فى عقود البيع مثلا يشترط فى هذا الشىء أن يكون موجودا فعلا أو على الأقل قابلا للوجود وأن يكون معينا أو قابلا للتعيين وأن يكون داخلا فى دائرة التعامل فلا يمكن لأحد أن يبيع شيئا قد حرم القانون الاتجار فيه كما لو حرم القانون بيع الخمر والمخدرات مثلا ولا يمكن لأحد أن يبيع الأشياء

المخصصة لاستعمال الكافة كالشمس والهـواء والبحر (يجوز بيـع أجزاء منها بعد احرازها كالهـواء المضغوط مثلا) كما لا يجوز بيع الحقوق غير المالية كالحقـوق السياسية وحقـوق الأسرة .

وأما اذا كان أداء كل من الطرفين أو أحدهما هو مجرد فعل من الأفعال فانه يشترط أن يكون هـذا الفعـل ممكنا فلا يكلف أحد بعمل مستحيل فى ذاته أى أن تكون هنـا الاستحالة مطلقة بالنسبة للكافة وليست بالنسبة للمتعاقد وحده فلو تعاقد شخص على أن يرسم لآخر صورة له فى حين أنه لا يستطيع الرسم فان الالتزام فى هذه الحالة لايكون التزاما بفعل مستحيل. كذلك يشترط فى الفعـل أن يكون مشروعا فلا يجوز لشخص أن يتعهد بارتكاب جريمة أو فاحشة أو زواج مسلمة بغير مسلم .

والركن الأخير من أركان العقد هو ركن « السبب » والمراد بالسبب: هو الغرض الذى يقصد المتعـاقد الى تحقيقه والذى دفعـه الى ابرام العقـد فعندما أشترى منزلا فقـد يكون سبب الشراء اسـتغلال هذا المنزل للسكن العائلى وقد يكون السبب هو استغلاله كناد للقمـار فسبب العقـد هو الباعث الدافع على التعاقد ويشترط أن يكون هذا الباعث مشروعا أى غير مخـالف للنظام العام والآداب العامة طبقا لوجهة نظرها حيث ما يعتبر مخالفـا للنظـام العـام والآداب العـامة فى دولة من الـدول قد لا يعتبـر كذلك فى دولة أخرى كما سبق أن أوضحنا فاذا كان سبب العقد (أى الباعث الذى حمـل المتعاقد على التعاقد) غير مشروع كان العقد باطلا بطلانا مطلقا .

هذه هى أركان العقد الثلاثة التى يجب توافرها لقيام العقد وهى :الرضى، والمحل ، والسبب ، وقد يـلزم فوق ذلك كما سبق أن ذكرنا ركن رابـع وهو : الشكل فى العقـود الشـكلية والتسليم فى العقود العينية فاذا تخلف ركن من هذه الأركان أو كان به خلل فالجزاء على ذلك هو بطلان العقد . وينقسم البطلان فى الشرائع الوضعية الى نوعين : بطلان مطلق ، وبطـلان نسبى .

والبطلان المطلق يعنى: أن العقد لم ينعقد ولذلك يجوز لكل من المتعاقدين عدم تنفيذه تلقائيا ويجوز لكل صاحب مصلحة من غير المتعاقدين أيضـا أن يتمسـك بهـذا البطـلان ولا يصح

للمتعاقدين العودة الى هذا العقد واجازته ليصبح نافذا حيث لا وجود له وعموما لا يكون للعقد الباطل بطلانا مطلقا أى أثر من الآثار •

أما العقد الباطل بطلانا نسبيا أو القابل للابطال فهو: من الناحية القانونية فى الشرائع الوضعية يعتبر صحيحا وينتج كل آثاره ولكنه يكون مهددا بالزوال متى طلب ابطاله الطرف الذى قرر القانون الابطال لصالحه فاذا حكم بالبطلان اعتبر العقد باطلا من يوم انعقاده وزال ما ترتب عليه من آثار فى الماضى فالعقد القابل للابطال أو الباطل بطلانا نسبيا يأخذ حكم العقد الصحيح الى أن يصدر حكم القضاء بابطاله فيأخذ بعد ذلك حكم العقد الباطل بطلانا مطلقا ، والعقد القابل للابطال تصح اجازته بنزول صاحب الحق فى طلب البطلان عن طلبه •

والبطلان المطلق يكون فى حالة عدم وجود التراضى وعدم توافر الشروط القانونية فى كل من ركنى المحل والسبب أما البطلان النسبى فيكون فى حالة صدور الارادة عن شخص غير أهل للتعاقد أو وجود عيب من عيوب الارادة السالفة الذكر وهى : الغلط والتدليس والاكراه والاستغلال • وقد حددت معظم التشريعات مددا مختلفة لسقوط الحق فى التمسك بالبطلان أو طلبه ويترتب على انقضاء هذه المدد سقوط الحق فى طلب البطلان بالتقادم ويترتب على ذلك زوال الخطر الذى كان يتهدد العقد ويصبح فى أثره كالعقد الصحيح تماما • ومتى انعقد العقد التزم كل من طرفيه بتنفيذ كل ما اشتمل عليه العقد من التزامات وهذا ما يعبر عنه بقاعدة « العقد شريعة المتعاقدين » فالالتزام الناشىء عن العقد له قوة الالتزام الناشىء عن القانون فلا يجوز نقضه ولا تعديله الا بارادة الطرفين أو للأسباب التى يقررها القانون والملاحظ فى العصر الحديث وفى معظم التشريعات كثرة تدخل المشرع بالاستثناء من هذه القاعدة فيصدر تشريع بتعديل الأجر أو الايجار أو الثمن الذى سبق الاتفاق عليه فى العقود ويلتزم المتعاقدين بتعديل التزاماتهما طبقا للقانون وتزداد درجة هذا التدخل من دولة لأخرى حسب مذهبها الاقتصادى كما تجعل بعض التشريعات للقضاء سلطة تعديل الالتزامات الواردة فى العقد متى أصبح تنفيذها مرهقا لأحد الطرفين

وذلك متى توافرت شروط معينة وهو ما يعرف حاليـــا بنظرية الظروف الطارئة •

والأصل أن يقوم كل متعاقد بتنفيذ ما التزم به عينـا فاذا باع شيئا التزم بتسليم نفس هذا الشىء فلا يعرض تسليم ثمنـه أو بديلا له فان لم يقم بتنفيذ التزامه عينا وطلب الدائن تنفيذ الالتزام بعينه وكان ذلك ممكنا أجبر المدين على التنفيـــذ أما اذا لم يكن التنفيذ العينى ممكنا أو كان ممكنا ولم يطلبه الدائن ولم يعرضه المدين فلا يكون أمام القاضى الا الحكم بالتعويض عن عدم تنفيذ العقد وعلى المدعى اثبات عدم تنفيذ الطرف الآخر لالتزامه بخطأ منه أى أنه لا يوجد سبب خارج عن ارادته (المـدعى عليـه) عاقه عن التنفيذ ، وعليه (المدعى) أن يثبت أن هذا الخطأ قد ترتب عليه ضرر أصاب المدعى من جراء عدم تنفيـــذ التزام المدعى عليه ولا يكفى أن يكون هناك خطــأ وضرر بل يجب عـلى المدعى أيضا أن يثبت أن الضرر الذى أصابه كان بسبب الخطأ الذى ارتكبه المدعى عليه بعدم تنفيذه التزامه فى العقـد • ومتى أثبت المدعى وجود هذه العناصر الثلاثة استحق التعويض الذى تقدره المحكمة •وقد ذهبت بعض التشريعات الى استثناء (النقود) من قاعدة اثبات الضرر فقضت بأنه اذا كان موضـــوع الالتزام دفع مبلغ نقدى وتأخر المدين عن الوفاء فليس على الدائن اثبـــات الضرر وانما يمنح فائدة بنسبة معينـة يحددها القانون نظير التأخير •

واذا استحال على أحد طرفى العقد تنفيذ التزامه لسبب لا يد له فيـه فان العقد ينفسخ ويعـود كل متعـاقد الى الوضع الذى كان فيه قبل ابرام العقد وفسخ العقد فى هذه الحالة لا يتم الا باتفاق المتعاقدين أو بحكم القاضى •

هذه هى أهم أحـكام العقـد بصفة عامة وهى الأصل فى معظم التشريعات ولمـا كانت هـذه الأحـكام لا تصـلح لجميع أنواع العقود لذلك لجأت كثير مـن الشرائع الى التميـيز بين أنواع العقود المختلفة ووضع أحكام خاصة بها سواء كان أساس هذا التميز هو موضوع العقد مثل عقد العمل وعقود ايجـار المســاكن ••• الخ أو كان أساس هذا التميز هو أطراف العقـد فبعض الشرائع تضع الدولة فى مركز أفضل من مراكز الأفراد فى التعـاقد ولذلك ظهرت العقود الادارية والتى تبرم بين الدولة أو احدى الجهـات

التابعة لها وبين غيرها كذلك تضع بعض التشريعات أحكاما خاصة للعقود التى تحرر بين التجار وبذلك ظهرت العقود التجارية ولها أحكام خاصة تختلف عن أحكام العقود المدنية والتى تجرى بين الأفراد الذين لا يزاولون التجارة من ناحية الاثبات والمدد اللازمة لسقوط الحق بالتقادم ومن ناحية بحث مشروعية السبب أو تجريد العقد من سببه كما فى الأوراق التجارية كالكمبيالات والشيكات والسندات الاذنية •

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن الأسس التى يقوم عليها التنظيم القانونى للعقد فى الشرائع الوضعية الحديثة وسنقوم فى العدد القادم بدراسة أسس التنظيم القانونى للعقد فى كل من القانون الاسلامى والقانون الانجليزى واجراء المقارنة بين كل منهما وبين الأسس المتقدمة •

حسن حسب الله

نصيحة :

قال اقبال :

« أشد ما أثر فى حياتى نصيحة سمعتها من أبى : يا بنى اقرأ القرآن كأنه نزل عليك » •

الإسراء والمعراج

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

نــور من الله العــلى ســمابــه
وســرى فــكان الــروح ظــل ركابــه

أســرى به مــولاه فى غســق الدجــى
فتــأى البــدور وكــن من أترابــه

هبــوا صباحا يســألون عن السرى
يتهامســون : مــن الذى أسرى بـه ؟

قيــل : الملائك والــبراق وقــدرة
جعلت وجــود الــكون من أســبابه

هى منحــة رب الســماء أفاضــها
نــال النــبى بهــا جــزيل رغابه

نــور تجســد للرشــاد وللهــدى
مــلأ الوجــود الــرحب من آدابــه

والله ســخر للنبــى عــوالمــا
مــا كــان يغلبهــا ســوى أحبــابــه

أخــذوا البراق مــن الــبروق لأنــه
بــرق ســرى بــين الــورى وهضابه

فرأى النبى من الحياة عجائبا
حازت لديه منتهى اعجابه

ألفى فئات يحصدون زروعهم
فيعود غرسا ناضرا لشبابه

سأل الأمين : فقيل : قوم جاهدوا
فى الله أعطاهم جزيل ثوابه

وأتى على قوم تهشم هامهم
بالصخر يصليهم أليم عذابه

من هؤلاء ؟ فقيل قوم فرطوا
تركوا الصلاة فعمهم بعقابه

وهناك فى البيت المقدس أقبلت
زمر الهداة وجمعت برحابه

تخذوا رسول الله مصباح الهدى
علما يؤم الناس فى محرابه

لا غرو أن تسمو الى هام العلا
تسرى كما يسرى السنا بسحابه

قد كنت انسانا ولكن من هدى
وسنا وكان الوحى ظل ركابه

ونشأت فى ظل الهدى مترفعا
عن زخرف الدنيا وعن أربابه

نقيت من كدر الحياة وزورها
وعزفت عن كأس الهوى وشرابه

وصدفت عن لهو الشباب فلم تكن
يوما وان أغراك من طلابه

وحملت أعباء الحياة فلم تهن
وسخرت من عنت الزمان وصابه

خلق كأن الزهر من نفحاته
عبقت أزاهره على أصحابه

صيغت من الأدب الرفيع خلاله
فالطهر والآداب ملء اهابه

من كان مثلك في السمو وفي الهدى
قالت له الأفلاك . يا مرحبي به

فلأنت نجم أطلعتك عناية
ماذا يصد النجم عن آرابه ؟

هل في سرى نجم الى أفلاكه
في الليل ما يدعو الى استغرابه ؟

هل كان من عجب وأنت سنا الورى
معراجك السامي الى أبوابه ؟

قد كنت أشبه بالهواء اذا سرى
بين السماء وطار بعد حجابه ! . !

محمود محمد بكر هلال

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● شخصيات عسكرية اسلامية :

للاستاذ محمد فرج

هذا الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة دراسة على جانب من الأهمية تقع فى أكثر من ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير ، قدم لها السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ، وفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .. والمؤلف الكاتب العسكرى المتخصص ليس فى حاجة الى التعريف فله فى المكتبة العربية والاسلامية والأدبية أكثر من أربعين كتابا جلها فى تاريخ العسكرية الاسلامية ..

وقد اختار المؤلف لهذه الدراسة شخصيات عسكرية خمسة لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الفتوحات الاسلامية ، باخلاصها وتفانيها وقيادتها الرشيدة لجند المسلمين ، وهذه الشخصيات هى : على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبى وقاص ثم المثنى بن حارثة ... والحق أننا بحاجة دائما الى ابراز الصفحات المشرقة من تاريخ القادة العسكريين المسلمين ، فمما يدعو الى الأسف ـ كما يقول المؤلف : أن الناس فى العصر الحديث أصبحوا يعرفون عن نابليون ومونتجمرى ورومل وغيرهم من قادة الحرب أكثر مما يعرفون عن خالد وعمرو والمثنى وعلى وجعفر وزيد بن حارثة وسعد ابن أبى وقاص وغيرهم من قادة الاسلام الأمجاد الميامين ..

ان المؤلف يقدم لنا هذه الشخصيات القيادية التى لمعت فى تاريخ الاسلام ، فى دراسة تحليلية فى اطار من وجهة نظر موقفهم كقادة عسكريين ، وأسلوبهم فى ميادين القتال ، ثم يزن أعمالهم بميزان الفكر العسكرى الحديث ، لتحديد مكانتهم بين قادة

الحرب على طول العصور ، حتى هذا العصر الذى نعيشه والذى برزت فيه أسماء عسكرية كان لهـا دوى ..

منهج اختـاره المؤلف ، والحق أنه منهج غير تقليـدى ، فنحن فى حاجة الى دراســة تحليلية للشـخصيات العسكرية القيـادية من رجـالنا ، للوقوف على مفاتيح شـخصياتهم فى الجانب العسكرى ، ولسنا فى حاجة الى السرد التاريخى الذى امتلأت به بطون المراجع القديمة والحديثة .. نحن نلاحظ مثلا أن الشخصيات التى اختارها المؤلف لدراسته ، نالت حظا غير قليل من الكتابة عنها فى كتب أو مقالات ، وهذا مما يجعل مهمة الكاتب الذى يكتب عنها ، مهمة شاقة مضنية ، اذ يتحتم عليه أن يأتى بجديد ، والا كان مكررا فحسب .

لذلك كنت أتمنى لهذه الدراسة أن تنال نصيبا أكبر من البحث المقارن ، فالهدف من الدراسة أن نقول لشبابنا المفتـون بأمثال نابليـون وغيره: هؤلاء رجالنا ، لم يكونوا أقل منهم فى العبقرية العسكرية مع الفـارق فى الظروف والامكانيات ، لكن المؤلف فى سيرة خالد عقد بعض المقـارنات بينه وبين بعض قادة أوربا العسكريين ، وهـذا ما لم يفعله مع غيره ..

كذلك أراد المؤلف ــ كما جاء فى مقدمته ــ أن يكون فى لقـائه مع هذه الشخصيات بعيدا عن التعرض لحياتهم ناظرا الى هذه الحياة من وجهة نظر موقفهم كقادة عسكريين ، وأسـاليبهم فى ميادين القتال .. ومع هـذا نرى المؤلف قد اضطر اضطرارا الى بعض التحلل من هذا الالتزام ، وربما كان يرى أن فى تسليط بعض الأضواء على جوانب الحياة غير العسكرية مما يسهم فى تحليل شخصياتهم القيادية ..

وبعـد ــ فنحن مع تقـديرنا لهذه الدراسة المتعـة ، نود لو أن كتـابنا العسكريين ولا سيما أصحاب العقـائد والمبادىء ككاتبنا الأستاذ محمد فرج ــ أن يوجهـوا أقلامهم الى قيـادات عسـكرية اسـلامية أخرى لا تزال مغمورة فى بطـون التاريخ ، وهؤلاء من الكثرة بمكان ..

● معجزة القرآن :

للسيدة نعمت صدقى :

كتاب نشرته عالم الكتب بالقاهرة ، يقع فى زهاء ٢٢٠ صفحة من القطع

المتوسط ، للكاتبة المسلمة الغيور حرم الدكتور محمد رضا ، التى قدمت للمكتبة الاسلامية عديدا من البحوث ، وأسهمت ولا تزال تسهم فى تنشيط الحركة النسائية الاسلامية.

ترى الكاتبة الفاضلة ـ وهذا هو هدفها من الدراسة ـ أن كتاب الله لا ريب فيه هدى للمتقين ، يبرهن بما فيه من اعجاز لغوى واعجاز علمى على أنه من لدن الحكيم الخبير ، وقد أشار الله فى كتابه الى أسرار علمية وعلوم فلكية وطبيعية ونباتية ، لم يكن يعرفها الانسان فى ذلك الوقت ولم يكشف العلم عنها الا فى القرن العشرين .. وهذا الكنز الثمين من اعجاز القرآن العلمى لابد أن يعرفه كل مسلم ، وأن يستنير به كل قلب .. قلب أى انسان فى الوجود ليؤمن بالقرآن وخالق السموات والأرض وما بينهما ..

جالت بنا المؤلف جولات طيبة ، حول الأرض : دورانها ، الجاذبية ، وحول الغلاف الجوى والجبال ، والمادة ، وحول الغرائز ، غرائز النبات والجماد والانسان ، وصدق الله : وفى الأرض آيات للموقنين ، كما جالت بنا حول النفس البشرية : الخلقة ، والظمات الثلاث ، والقلب والمخ وغير ذلك ..

ان الكاتبة تصر مثلا على أن قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » دليل قاطع على دوران الأرض ، وترفض آراء المفسرين الذين يرون أن الآية خاصة بيوم القيامة ، ومعنى ذلك أنه لا مجال لاقحامها فى مجال الاستدلال العلمى ، فالله يقول : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » ، فالآية التى قبل الآية المشار اليها : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله » فالمؤلفة ترى أن هذا الانتقال من الدنيا الى الآخرة وبالعكس ملموس فى كثير من آى الذكر الحكيم .. لكن ما رأى الكاتبة فى أن الآية التى بعدها : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » تؤكد ما ارتآه بعض المفسرين من أن قوله تعالى : « وترى الجبال ... فى مساق الحديث عن يوم القيامة ؟ واذا كان لنا من غير هذه الآية

آيات تشـــهد بدوران الأرض فلـم الاصرار على مخالفة المفسرين مثلا ؟

ان الكاتبـة لا تنقصهـا الشجاعة ، فقد أشارت فى مقدمتها الى غلو بعض الآراء فى التفسير العلمى للقـرآن ، وقد أشار الدكتـور أمين رضا نجـل الكاتبة فى تقديمه للكتاب : بأن القرآن ليس ســجلا مفصـلا لكل العـلوم والفنون •• وان تفسـير القرآن علم متطور ، وكل البحوث التى تظهر فى هذا المضمار ـ وان جاءت من مفسرين ومؤلفـين مختلفين ، تعتبر حلقـة فى سلسلة التطور هذه التى تسـير بنا الى فهم أدق وأعمق لكتاب الله ••

● حزب الله فى مواجهـــة حـزب الشيطان :

للمهندس وائل عثمان :

هذا الكتيب الذى نشرته دار نهضة مصر بالقاهرة يقع فى زهاء مائة صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف الشاب من طلائع الشباب الجامعى الذى أسهم فى حركة الجمـاعات الدينية ـ ولا يزال يسهم ، باخلاصه وجهده ••• والكتيب يتحدث عنه عنـوانه القوى ، ومن كلمات المؤلف التى أودعها آخر صفحة من الغـلاف : « مأسـاتى أننى جئت فى عالم يسيطر عليه أعداء الله •• لو كان جيلنـا يؤمن بالله حقـا ، لطـالب بحكمـة ولدافع عنه وسـعى لاقـامته •• لعـل أعنف ضربة توجه للاسلام الآن •• هى محاولة ابعـاده عن الحكم ، أو بمعنى عصرى ـ فصل الدين عن الدولـة •• ان الاسـلام لا يعترف الا بحزبين هما : حزب الله ••• وحزب الشيطان •

عرض المؤلف الشـاب : لعـالم الحرية ، الحرية الحقيقيـة ، وزيف الحرية المطلقـة ، وللحيـاة فى ظل الشيطان ، وللتطرف فى التحـريم ، ولانحراف الشباب ، وللمفاهيم الغريبة الشـاذة التى سـادت ، وناقش قضية فصل الدين عن الدولة ، وأجاب عن هذا التساؤل : هل من الممكن أن يقوم تحالف بين الاسلام ، وأى من اليسار أو اليمـين ؟ ان بعض اليســاريين يتصورون أن معالجة الاسلام لمشكلات الفقـر وتصـديه للدفـاع عن حرية الانسـان وعدم اســتغلاله أمر كاف لامكان قيـام تحالف بين الاســلام واليسار ، ومن ناحية أخرى يتصـور الاتجـاه اليمينى أن احترام الاسـلام للملكية الخاصة كفيل بنجاح التحالف الاسلامى اليمينى ، وكلا التصـورين

خاطىء ، فليس اتفاق نظامين فى أمر من الأمور هو ضمان أكيد للتوافق بينها فى العمل •• فهب أن اتحدت مصالح اليمين واليسار لمحاربة الاسلام ، فسيكون من المستحيل أن يكون هناك تحالف بين الاسلام وأى من اليمين أو اليسار ••

وتحت عنوان : حياتنا والطريق اليها •• فى نهاية الكتيب •• يشير المؤلف الى أن الحياة فى مجتمع مسلم تعنى الصلة بالله فى كل مظهر من مظاهرها •• وانه لا منجى من كل ما تعانيه البشرية الآن الا بتثبيت الصلة وأواصر الارتباط بالله •• والحياة فى ظل أحكامه ••

● مامعنى هذا التحدى ؟؟

فى الوقت الذى تتحدث كل وكالات الأنباء العالمية عن المذابح البشرية الدائرة فى مسلمى الفلبين ، تواصل جريدة الأهرام فى تحد وتبجح نشر صفحات بأكملها عن نهضة الفلبين ، هذه الصفحات الاعلانية تصف ماركوس الذى يقود معركة الافناء فىمسلمى الفلبين ، بأنه الانسان العادى الذى لا يقل سحرا وروعة عن ماركوس الزعيم ،وتصف كتابه : ثورة اليوم « الديمقراطية » بأنه منهاج يرتكز عليه برنامج المجتمع الجديد •

ان جريدة الأهرام ، ليس هدفها - فحسب - من نشر الصفحات الاعلانية عن الفلبين ، الحصول على الصفقات المالية ، وانما هدفها الجوهرى هو التحدى السافر لمشاعر المسلمين فى شتى بقاع العالم ، وليس هذا بغريب عليها ، ما دامت الماركسية والصليبية هما المسيطرتان علىاتجاهات الجريدة ، ولا تزالان بالرغم من أن رئيس تحريرها اليوم هو الكاتب المؤمن الأستاذ على حمدى الجمال •• وبالرغم من أن السيد الدكتور وزير الاعلام ممن لهم ماض معروف فى الحركة الاسلامية •• ولا حيلة لنا فى الأمر وحسبنا اللهوحده •

● قراءات :

« المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك •• وينفق

بالرياء .. والمؤمن يأخذ بالخوف ، ويمسك بالسنة ،وينفق لله خالصا فى الطاعة .. فاطلب نفسك فى أربعة أشياء : العمل الصالح بغير رياء .. والأخذ بغير طمع .. والعطاء بغير منة ، والامساك بغير بخل .. واذا أمرت الناس بالخير .. فكن أنت أولى به وأحق .. » .

« من كلمات حاتم الأصم » .

محمد عبدالله السمان

سطور من كتب التراث

عن (على بن رافع) قال : كنت على بيت مال على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكاتبه . فكان فى بيت المال عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ، فأرسلت الى بنت على بن أبى طالب فقالت لى أنه قد بلغنى أن فى بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ . وهو فى يدك . وأنا أطلب أن تعيرنيه أتجمل به يوم الأضحى . فأرسلت اليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام ؟؟ فأرسلت تتعهد بهذا . فدفعته اليها . ثم رآه أمير المؤمنين عليها فقال لها : من أين جاء لك هذا العقد ؟ فقالت استعرته من أبى رافع خازن بيت المال لأتزين به فى العيد ثم أرده .

فبعث الى أمير المؤمنين . فجئته . فقال : أتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ؟ فقلت : معاذ الله .فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير اذنى ورضاهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين انها بنتك . وسألتنى أن أعيرها العقد تتزين به فأعرتها اياه عارية مضمونة على أن ترده سالما الى موضعه . فقال : رده من يومك واياك أن تعود لمثله فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت اذن أول هاشمية تقطع يدها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته فقالت له : يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك . فمن أحق بلبسه منى ؟ فقال لها : يا بنت أبى طالب . لا تذهبين بنفسك عن الحق. أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا ؟؟

فقبضته منها ورددته الى موضعه ؟

من (الكشكول) لبهاء الدين العاملى ص ٣٥٨

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

فتوى فى التعامل فى شهادات الاستثمار (ج)

السؤال من السيد / صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى مراقب عام الوعظ بالأزهر :

هل يجوز التعامل مع البنك الأهلى فيما يختص بشراء شهادات الاستثمار ذات الجوائز حرف (ج) ويكون المبلغ الذى يعطى كهبة من البنك لمن يختاره البنك بطريق القرعة حلالا شرعا .

الجـواب

ان هذه المعاملة تتضمن ثلاث مراحل :

١ ـ ايداع مبلغ من المال لدى البنك يذهب المواطن الى البنك فيسلمه جنيها أو أكثر ويأخذ شهادة ذات رقم مسلسل عن كل جنيه مما يودعه ويلاحظ أن فى هذه المرحلة مظهرين هامين .

(أ) أنه لم يشترط فى الايداع ربح مطلق وبهذا المظهر يخالف النوع من الايداع جميع أنواع الايداع الأخرى ذات الفائدة فانهم يشترطون قدرا من الربح منسوبا الى رأس المال فهذا اما وديعة واما قرض وكلاهما جائز .

(ب) ان المبلغ المودع لا يضيع هو ولا جزء منه بحال من الأحوال ولصاحب الوديعة أن يستردها كلها أو بعضها متى شاء وبهذا المظهر خالف هذا النوع من الايداع القمار وأوراق اليانصيب .

٢ ـ ان البنك بعد أن يهب عددا محدودا من المودعين مقادير معينة من المال ولكنه لا يعين واحدا منهم .

٣ ـ أن البنك يعين العدد الموهوب له بواسطة القرعة الموثوق بها بضمانات معينة يطمئن اليها أهل الحل والعقد كما يطمئن اليها أهل الجمهور من المودعين وغيرهم •

وكل من الهبة والوعد بها أو الغرض جائز شرعا ولا شبهة فيه واستخراج الموهوب لهم من بين عدد أكثر منهم بواسطة القرعة جائز أيضا •

فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها اصطحبها فى سفره •

وأئمة المذاهب كلها يصورون قسمة المال المشترك بين أصحابه بأنها تكون عن طريق القرعة اذا اختلفت أصحاب الأقدام ، ولو أن رجلا وهب عشرة من مساكين قريته قدرا من المال ومساكين القرية أكثر من العشرة فانه يعينهم بنفسه أو بمن يختاره أو بالقرعة • ومن هنا نعلم أن هذه المعاملة جائزة لا غبار عليها لأنها مؤلفة من ثلاثة أعمال كل واحد منها فى ذاته جائز ولا شك أن المؤلف من الجائزات جائز •

والله تعالى أعلم •

س ٢ : رجل زرع قطعة أرض قمحا وما أنتجته هذه القطعة لا يفى بالحيازة المقررة عليه فمن أين يخرج زكاتها لأن الحيازة ستة أرادب منها الزكاة ، والله يقول : « آتوا حقه يوم حصاده » •

الجواب

الزكاة على ما خرج من الأرض ولا يخصم منه أى شىء ومؤنة نفقة الزرع لا يخرج منه وعليه أن يعرف قدر الزكاة التى عليه ويخرج قيمتها مالا والله أعلم •

س ٣ : تزوجت سيدة بالغة شخصا زواجا عرفيا وعاشرته معاشرة الأزواج لمدة شهر وبعد ذلك تركها لمدة ثلاث سنوات بدون نفقة أو معاشرة أو مراسلة ولم تعلم عنه شيئا خلال هذه المدة وبعدها تزوجت شخصا آخر زواجا عرفيا بعد أن أفتى لها أحد الناس بأنه لا مانع من زواجها • وهى تعاشره الآن معاشرة الأزواج وبعد مضى عام من زواجها الثانى ظهر الزوج الأول فجأة • وطلب منها معاشرتها كزوجة له لأنه لم يطلقها •

والمطلوب : ما حكم الزواج الثانى هل هو حاليا صحيح أم باطل ـ وهل

يستطيع الزوج الثانى الاستمرار فى معاشرتها معاشرة الأزواج دون أن يطلقها الزوج الأول .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فنفيد بأن الزواج الثانى باطل لأن الأول لم يطلقها ويجب التفريق بينها وبين الزوج الثانى فورا ويصح للزوج الأول العودة اليها بعقد رسمى والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/محمد ابو شادى

١ ـ توفى رجل عن زوجه ، ابن ، جد لأب .

٢ ـ توفى رجل عن عمه شقيقة وخالة شقيقة .

٣ ـ توفيت امرأة عن زوج ، ابن أخ شقيق ، ابن أخ لأب ، ابن أخ لأم فمن يرث وما نصيبه .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد عن الأول للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللجد لأب السدس فرضا والباقى للأبن مقضيا .

عن الثانى : حيث أن المذكورين من ذوى الأرحام فيكون للعمة الشقيقة الثلثان والباقى وهو الثلث يكون للخالة الشقيقة .

وعن الثالث : بأن للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث والباقى لابن الأخ الشقيق مقضيا ولا شىء لأبن الأخ لاب لحجبه بابن الأخ الشقيق كما لاشىء لابن الأخ لأم لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

محمد ابو شادى

أنباء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النوبهى

● وزير الأوقاف وشئون الأزهر يعلن فى اول حديث له :

أعلن فضيلةالدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر – اثر توليه الوزارة– تحويل المساجد الكبرى فى المحافظات والمراكز الى معاهد شعبية للتثقيف والتعليم وتحفيظ القرآن ، وتزويد المساجد بمكتبات عامة تلبى حاجة جماهير المساجد الى الاطلاع والثقافة ، وتنقية كتب التفسير والحديثمن الخرافات والاسرائيليات والأكاذيب ، وعقد دورات تدريبية للأئمة والخطباء لاعدادهم لأداء مهمتهم على الوجه الأكمل ، ورفع مستواهم أسلوبا وموضوعا ومادة ، لتعبئة القوى الروحية للجماهير وتبصيرهم بما يمليه الدين على كل مواطن من الاخلاص فى العمل ومضاعفة الانتاجمن أجلخير ورفاهية الأمة .

● زيارة شيخ الأزهر للهند ويوجوسلافيا :

زار فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الهند بدعوة من سلطان البهرة هناك ، ورافقه فى هذه الزيارة وفد من كبار علماء الأزهر ، يضم : فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق ، وفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى جمهورية مصر العربية .

وحضر فضيلته والوفد المرافق له المؤتمر الاسلامى الذى أقيم فى بومباى بمناسبة وضع حجر الأساس لمعهد الدراسات العربية الاسلامية ، وافتتاح المسجد الكبير الملحق به احتفالا بذكرى المجاهد الهندى الراحل طاهر سيف الدين .

وافتتح فضيلته أثناء الزيارة معهد الدراسات العربية والاسلامية ومسجد

السلطان طاهر سيف الدين ، والتقى بالجاليات الاسلامية هناك ، وألقى فى جامعة عليكره محاضرة عن الاسلام والوحدة .

كما زار فضيلة الامام الأكبر يوجوسلافيا ، وحضر احتفال تنصيب الشيخ نعيم حاجى الرئيس الجديد للمسلمين هناك ، وتفقد فضيلته أثناء الزيارة أحوال المسلمين فى يوجوسلافيا وزار المنشئات الاسلامية بدعوة من رؤسائها .

● **صدور لائحة الأزهر :**

صدرت اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ باعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، وذلك بالقرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م .

وتتضمن اللائحة ٣٩٥ مادة عدا الملحقات والجداول ، وأعادت هذه اللائحة لشيخ الأزهر سلطاته على الأزهر وهيئاته .

ومن أهم ما جاء فيها :

(شيخ الأزهر هو الامام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الاسلام ، وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الاسلامية والعربية فى الأزهر وهيئاته) .

● **شيخ الأزهر يؤكد عروبة القدس :**

أكد فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر عروبة القدس فى بيان اعلنه عن القدس بعنوان : (عروبة القدس عقيدة وذمة فى أعناقنا) قال فيه :

(... ان القدس عربية خالصة ، جزء من وطن العرب ، محطة على الصراط العربى الممتد على ساحل البحر المتوسط من الرباط الى حدود الأناضول ..

ان النكبة التى ألمت بفقدنا هذا الجزء العزيز من وطننا الى حين توجب علينا أن نعمل على استرداده ، وأن نرد الى أهله الأمن والاستقرار والرخاء ، ونرد الى الأماكن السلبية كلها حريتها وأمنها ونطهرها من رجس الاستعمار وصنائعه جميعا ...) .

وختم فضيلته البيان بقوله :

(ان القدس تحت رعاية المسلمين صمام أمان لجميع ديانات أهل الكتاب وأن المسجد الأقصى لا يقل عن المسجد الحرام فى وجوب رعايته والحفاظ على قدسيته .

وأن على العرب أينما كانوا أن يتنبهوا الى مقدار التبعة الملقاه على عواتقهم فيعطوا من العزم والتصميم والعمل الجاد ما يتكافأ مع هذه التبعة، حتى يرضوا الله ويقدموا للتاريخ أسطرا فى صفحات كتابه تشهد لهم أمام الأجيال باستشعار الواجب واحترام المسئولين ورعاية حقوق الدين) .

● **فقيد الأزهر والاسلام :**

فقد الأزهر شيخا من شيوخه الأجلاء ، وفقد العالم الاسلامى اماما من أئمته الفضلاء ، وفقدت الأمة العربية عالما من علمائها البارزين ، وعملاقا من عمالقة الفكر هو فضيلة المرحوم الدكتور الامام عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق ، وذلك فى غرة ربيع الثانى ١٣٩٥ هـ .

ودعه الأزهر وكبار رجال الدولة، وجموع غفيرة من المسلمين فى مشهد رهيب حزين ، ينم عن مكانة الرجل وهول الخطب فيه .

كان فضيلته من الرجال المعدودين الذين أنجبهم الأزهر ورباهم ، ومن علومه الخالدة نهل وشرب وارتوى ، ووصل الى التبحر فى العلم ، والريادة فى الفتوى ، وسداد الرأى فى الحكم وقوة الرد على خصوم الاسلام والمفترين عليه .

فهو خلاصة من خلاصات الآزهر، له ثقله ووزنه،تقلد كثيرا من المناصب وخرج كثيرا من الأجيال ، وألف كثيرا من البحوث والمؤلفات ، فهو العالم الباحث ، والفقيه المتمكن ، والامام الحجة ، وفيما يلى لمحات سريعة عن حياته الحافلة بالعمل والبحث والدراسة :

- ولد فضيلته عام ١٨٩٦م وحصل على شهادة العالمية ١٩٢٣ م والتخصص عام ١٩٢٦ م .

- عين بعد تخرجه مدرسا بالمعاهد الأزهرية ثم أستاذا بكلية الشريعة ، ثم اختير عضوا فى بعثة الأزهر الى فرنسا حيث حصل على الدكتوراه من جامعة السربون .

- اختير بعد عودته من فرنسا للتدريس بقسم القضاء الشرعى ثم مفتشا وشيخا بالمعاهد الأزهرية ، فعضوا للجنةالفتوى بالأزهر ، وأستاذا فى كلية الحقوق جامعة عين شمس .

- حصل على عضوية جماعة كبار العلماء عام ١٩٥١م ثم اختير عضوا فى لجنة وضع الدستور عام ١٩٥٣م .

- عين شيخا للأزهر عام ١٩٥٤ م وبقى فى منصبه حتى عين وزيرا فى الاتحاد العربى عام ١٩٥٨م ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٣م .

رحم الله فقيد الأزهر والعروبة والاسلام ، وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

● تبرع السعودية لكلية اسلامية فى اندونيسيا :

تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ٢٠ ألف دولار لكلية اسلامية فى بادانج بانجانج بسومطرة الغربية .

ومن الجدير بالذكر أن المملكة العربية السعودية قد تبرعت قبل ذلك بمبلغ ٩٨ ألف دولار لوزارة الشئون الدينية لتوزيعه على مختلف المؤسسات الاجتماعية الاسلامية والمؤسسات التعليمية فى اندونيسيا .

● كلية للحديث النبوى بالسعودية :

وافق المجلس الاستشارى الأعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على انشاء كلية خاصة بالحديث النبوى الشريف ووضع المناهج الدراسية لها .

● فى جامعة الأزهر :

أقامت جامعة الأزهر دورة تدريبية شملت جميع الموظفين الجدد الذين تم تعيينهم فى الآونة الأخيرة حسب قرار توزيعهم على المراقبات بالجامعة ونوع العمل الذى سيمارسونه .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

٩٠٠٢-١٩٧٥-٨٠٠٢

Once Aly gave his servant some money to buy two dresses of different prices. Aly took the cheaper of them and gave the better of them to his servant.

His good characters were evident and known to every one as well as his sageness, his eloquence and, his wide knowledge of Quran and Hadith (the prophert's Traditions). Aly is well known by the name of the (Caliph Imam) because of his wide knowlegde of the Quran explanation and Islamic culture and legislation. For all these and as he was a very good poet he esteemed every learned or wise man and every man of letters.

Here are some of Aly's reported sayings :

Knowledge is better than money.

You gaurds money but knowledge gaurds you.

Knowledge increases by practice whereas money decreases by spending.

Aly suffered much from that group called (Khawareg) and from the propaganda of Moawiya claiming the caliphate for himself after he had put his hand on Egypt governed by his relative Amr Ibn El As and in Syria governed by Moawiya himself who made himself caliph on both Syria and Egypt.

Aly was stabbed by a certain Khawareg called Ebn Molgem with a poisoned dagger.

He died at the age of 60 in Ramadan of the year 40 of Higra.

did not take heed to those who advised him to postpone the matter until further occasion. This resulted in the serious events that happened afterwards.

On the other hand he delayed in the investigation of Othman's murder and did not take an active part in this case in spite of his advisors consultation to arrest the criminals and bring them to justice. He said that the circumstances had changed and he would wait for the suitable condition to take the legal measures against the murderers.

Thus the country was divided into two parts and Moawiya pretended to be Caliph although there was Aly the legal caliph. Aly made Kufa in Iraq the residence of the caliphate instead of Medina in Arabia. His high post did not affect or change his characters or his conduct. He remained pious, straight, strict and godly. He considered and looked at every worldly matter as that would fade sooner or later. His dress was of the simple stuff, his food was also simple and his lodging was the same.

He used to go through the city market to control the prices and the traffic of sale and to be sure that there was no monopoly of any kind of goods or investment to the people.

He also uesd to distribute all the money in the treasury among the Muslims because he feared that he might die leaving some money and then would be brought to account at The Day of Judgment. If he heard any rumour about any official who invested his post and gained wealth, he would then send another trusted one to replace his predecessor who would be questioned about his past and present wealth.

Aly as a responsible ruler feared God and The Day of Judgment. He was the first Caliph who founded the police men to help him in keeping security and order. He did his best to avoid deliquency in any matter that belonged to the people. He was not a worldly man because he was sure that everything would fade and be useless whatever it lasted. He was satisfied with what he had. His satisfaction was seen clearly in his life, food, dress and lodging.

Hre are two examples :

His brother Okeil wished to obtain more money than what he used to take monthly. Aly told him that he would give him what he wanted when he would receive his share in the treasury, the next month. Okeil refused that, left his brother and went to his opponent Moawiya to have the extra money he wished.

various missions that needed diplomacy; ability and courage. Here is an example confirming that the propet sent Khaled Ibn El Waleed to Yemen to convey the Islamic message among the people. Khaled remained there six months with no result. As Khaled returned back to Medina, the prophet sent Aly to replace him. On his arrival the news spread everywhere and the people crowded in a large square. Aly read loudly the prophet's message. This resulted the Islam of Hamathan tribe in one day. The other tribes became Muslims gradually afterwards and so all the Yemen people became Muslims.

When the prophet heard the good news he thanked God and prayed a thank giving prayer. He appointed Aly Judge and Imam to teach the people the Islam principia and the Quran.

The prophet's death was a great loss to Aly, so he grieved him much. In spite of his grief, he carried out everything for the funeral. Aly was in a state of consolation and his grief for the prophet's death was conspicuous. Aly esteemed the prophet very much because he looked after him from childhood to manhood and was brought up in his house. So the prophet was to Aly as his kind father.

When the men of opinion and the wise held a meeting to choose a Caliph to the prophet, Aly did not care that matter. When Abu Bakr was elected Caliph, many people presumed that Aly did not approve that election because he had the wish to be in the Caliphate and that was the cause of his delay. That was not true because the prophet's death and his grief for him made him unable to join any public meeting. Aly explained that in a letter sent to Abu Bakr in reply to his message on that matter.

Both Abu Bakr and Omar loved and esteemed Aly much. They used to consult him on serious matters and appointed him in very important posts such as judge and counsellor.

When Omar was stabbed people feared that he might die without knowing the person who would be his successor. So the men of opinion begged Omar to tell them the name of the third Caliph. Omar mentioned some names, among them was the name of Aly.

Aly as a Caliph had the will to rule the country as the same way of the prophet; Abu Bakr and Omar. He did not observe that the status quo had changed and needed flexibility, diplomacy and a new way in ruling. He had to avoid any expectant opposition of the Omayades if he would dismiss any official of them. He dismissed Othman's relatives whom he had appointed during his Caliphate. Aly

Personages of Islam :

4.—ALY IBN ABI TALEB

By
A. MUHAMMAD AL-ASWAR

He is the prophet's cousin and the husband of his daughter Fatima Elzahra. He was the first lad who became Muslim and the first person who prayed with the prophet Muhammed. Also he was the bannerman in every battle and named the cavalier of Islam. Although he was courageous and a brave warrior, he had great knowledge of Islamic legislation and Quranic explanation.

Aly was an adoptive child to the prophet who loved him much. At the beginning of the Prophet's Call all the people did not believe in the new religion except Khadija the prophet's wife and his cousin Aly.

As Aly was brought up under the prophet's patronage he became acquainted with the Islamic principia and legislation and afterwards he became learned and jurist. He shared the prophet his life from childhood to manhood and saw clearly how much the prophet suffered at the hands of Koreish for his Call to Islam.

In both Medina and Mecca Aly was the prophet's right assistant and minister. At the age of twenty Aly took part in the battle of Badr and showed great courage and the prophet made him the bannerman, and so was the case in every battle afterwards.

Here is an example of Aly's boldness. In the Khaibar battle which was fierce the Muslims killed many jews but there was no decisive victory and the Muslims had to give great effort to overcome their enemies who were barricated in a fortress.

The prophet called Aly and gave him the banner. As soon as Aly took it he advanced towards the castle like a storm followed by the Muslim warriors. Aly struck the castle huge gate, pulled it down. The warriors rushed into the castle yard. Instantly a fierce clash broke out between the two bodies of battalions. The Muslims attacked the Jews violently and fought bravely till they defeated their enemies.

Indeed the battle is considered to be a great one . The fallen gate needed more than 50 strong men to put it back.

He gained the prophet's confidence and trust by his good characters and bravery and so Muhammed (peace be on him) used to consult him and send him in many

LIBERTY :

Liberty is a fruit of the Islamic understanding called for by the Holy Quran for true understanding could exist only between the free, there would thus be no master and slave, or victore and vanquished. All will be free and on equal footing since equality prevails only where all men are equal in freedom.

True liberty lies in the appreciation by a free man of the liberty of others as much as he appreciates his own liberty. Freedom does not conform with prejudice, or egoism. It represents one's control of oneself ; the first aspect of it being one's control of one's whims and prejudices. Freedom also is a social meaning that manifests itself in man's relations with others and his observing others' rights as much as he values his own. Freedom and egoism are perfect antitheses that never meet ; freedom accords with self-denial but not with selfishness.

In our contemporary times we come across leaders of peoples, who are described as free men and their peoples as free nations, but as a matter of fact let their prejudices control their attitudes towards others' own affairs. We see the world of to-day being dominated by the prejudices of rulers and of parliamentary councils, that contravene the judgement of free and straight minds. This as viewed by Islam, is nothing short of domination by whims over men's destinies; it has nothing in common with liberty.

Islamic rules governing human relations fully respect free creed. The Holy Quran has rejected compulsion as means of driving people to embrace a certain religion and forbidden the Faithful to compel anyone to adopt a creed. God said : "There is no compulsion in religion", and addressing the Prophet ordered him to forbid such compulsion in the words "Wouldst thou (Muhammad) compel men until they are believers ?"

Islam has further considered the persecution of a believer for his need as being worse than slaughter. God said : " ... sedition is worse than slaughter..." Fighting in Islam was permitted only as means of protecting religious freedom and preventing the persecution of the Faithful ; God having revealed ; "But fight them that there be no sedition".

But the freedom of religion could not be realised only through the ban of persecution ; it should stem from one's own self in that one's thought of the creed should be free and his judgement unrestricted by whims, or controlled by prejudices.

(to be continued)

with peace is far more beneficial than to attain it early with violence. God has called that peace a 'signal victory' in the words : "Lo ! We have given thee (O Muhammad) a signal victory, that Allah may forgive thee of thy sin that which is past and that which is to come, and may perfect His favour unto thee......".

This opened many hearts that had been sealed on infidelity. During the truce many of Quraish's talented leaders and staunch warriors embraced Islam including Amr ibn Al-Aas, the master-mind, and Khaled ibn Al-Waleed, the great hero. Quraish was unable in later years to launch any war on the prophet despite its haughtiness and bitter enmity. This tolerant peace was thus a significant victory.

But the incident of tolerance that soothed the hearts and guided them more was provided by the Prophet's acts in the wake of Mecca's invasion and the conquest of the infidels who had wanted to kill him, and turned him together with his companions out of their land. At his first meeting with Quraish after the great victory, the Prophet said, "What do you think I shall do with you ? They replied, "An honourable brother you are and the son of an honourable brother whereupon the tolerant and honourable Propeht said, "I would tell you what my brother Joseph had told his brethren : "Have no fear this day ! May Allah forgive you, and He is the most Merciful of those who show mercy".

This was the usual practice of the Prophet in all wars ; he treated hearts with pardon and forebearance instead of creating grudges by humiliation and revenge. A further example is provided by the war of Beni Al-Mostaleq. The Muslims had taken over one hundred of their houses and taken the people as slaves. The Prophet in a desire to render them favour, marreid Jawrieh, daughter of Al-Harith, and with every Muslim who held a prisoner releasing his captive, the whole people were set free. In this context Aisha said, "No 'woman has blessed her people more than Jawrieh ; through her one hundred Arab homes were liberated". The marriage had this tolerant act for its sole motive. It was prompted by no lustful ends as the mischievous and the ignorant would allege. If the Prophet had desired Jawrieh he would have owned her as a slave.

This is an example illustrating that tolerance was the policy laid by the Prophet to govern relations between men, a policy that healed wounded hearts in the wake of wars, for an injured heart should be treated rather than be left to fester.

goods. Struggle cropped up between the peoples and exploiters of their land. This, on the part of the vanquished, was a legitimate self-defence dictated by nature, and rendered incumbent by dignity, the just divine codes and the Muslim Religion which nurtures dignity and self-repect.

Examples are many of the Prophet's glorification of man, and the acts of his companions confirming such glorification are considerable. This was particularly the case in the times of Omar, on whom be God's peace.

There could be no just peace on this earth without respect for human dignity in every man and on every land irrespective of colour or race.

TOLERANCE :

Forbearance is only essential for the call of human understanding to bear fruit, and for hearts to meet without hostility. Islam has thus advocated dignified tolerance for it buids human relations among individuals, communities or states on tolerance without submission to evil. The Prophet has been ordered to show benevolent forbearance towards his enemies in God's words : "So forgive, O Mohammad, with a gracious forgiveness" meaning pardon with dignity and power without humility or submission.

The Prophet has also applied the principle of tolerance in his relations even with the infidels in his covenants and wars. It happened at the time of the Hodaybiah peace-treaty between him and the infidels that the Prophet was impeded to enter the Holy House for pilgrimage. The peace - treaty was permeated with gross injustice on the infidels part, and tolerance by the Prophet for they insisted on preventing him from performing the pilgrimage that year ; and he accepted the condition despite his powerful army that could have supjugated their land. They made it a further condition that whoever left Mecca as a Muslim following the Prophet and the Faithful should be turned over to them unless his people agreed to his departure and whoever left the Prophet as a renegade would be accepted by them. The tolerant Prophet likewise approved of this further condition against protestation by some of the Faithful, Omar Ibn Al-Khattab enquired at the time "why should we tolerate shameful deeds in our religion ?" But it was another instance of the Prophet's wisdom. He chose rather to be patient and tolerant to spare human blood. This act on his part was not of the nature of tolerating a shameful deed, but rather of Muslim foresight and guidance that urged patience in lieu of murder, and forebearance in the stead of violence. To achieve one's aim belatedly

HUMAN DIGNITY :

Several Quranic verses declare that God has entrusted the earth to man, that God, the Almighty, has consecrated the universe to his service, and bestowed on him such mental powers as would enable him to know things and means of putting them to good use.

God, stating the beginning of creation has said, "And He taught Adam all the names, then showed them to the angels, saying : Inform me of the names of these, if ye are truthful They said : Be glorified ! We have no knowledge save that which Thou hast taught us. Lo ! Thou only Thou, art the Knower, the Wise, He said : O Adam ! Inform them of their names, and when he had informed them of their names. He said : Did I not tell you that I know the secret of the heavens and the earth ? And I know that which ye disclose and which ye hide. And when we said unto the angels : Prostrate yourselves before Adam, they fell prostrate, all save Iblis. He demurred through pride, and so became a misbliever".

With such learned aptitudes whereby God enabled him to dominate all that exists on earth, man deserved angels' gesture in prostrating themselves before him, and was worthy of such dignity on earth. God has pronounced these honours in the words, "Verily We have honoured the children of Adam. We carry them on the land and the sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom We created with a marked preferment".

A man is deserving of such honours in recognition of his humanity and not because he is white, urban, clutured or advanced. The honours are due for all the colours and all races ; it is a common privilege for all people ; urban beduin, advanced or backward ; an educated should teach the ignorant and advanced should help the backward.

Dignity, furthermore is a requirement of the code of mutual understanding and co-operation for it is not of co-operation that one man should be arrogant and another humable. True understanding and intercourse, both spiritual and pracitical, as well as co-operation will be best achieved where one helps another.

To make distinctions between peoples according to whether they are urban or beduin, or through colour or race is a fundamental cause of strife on this earth. Ever since human dignity was profaned and the strong men controlling world politics exploited the coloured and the underdeveloped, disputes have been raging between these exploiters over the control of such peoples as if they were coveted

stopped your going to the inviolable place of worship seduce you to transgress; but help ye one another into righteousness and pious duty. Help not one another into sin and transgression, but keep your duty to Allah. Lo ! Allah is severe in punishment."

The Prophet duly applied the principle of international cooperation on his arrival in Medina. He concluded a pact with the Jews based on cooperation for good, maintaining virtue and prohibiting evil. The Jews repudiated the pact, however, and in collusion with the infidals, plotted against the Prophet although the basis of that accord was to cooperate in the upholding of justice and the aversion of aggression.

The Prophet used to enter into pacts with the Arab tribes, both Muslim and otherwise, for the sake of good. Such action in contemporary times is termed "peaceful co-existence".

When the Prophet went on pilgrimage to the Holy Shrine in Mecca, escorted by a heavy force, Quraish tried to prevent him from his resolve. The Prophet, nevertheless, extended to them a hand of peace and rather than stirring a war or dispute, called for mutual respect of the Shrine. In this context the Prophet said, "If Quraish should call me to an act whereby the prestige of this shrine is enhanced, I will favourably respond to them".

The strongest forms of cooperation are those aimed at supporting the weak. The Prophet in his youth attended a rally of Quraish dignataries held in the home of Abdullah ibn Jodaan, at which they undertook to support the weak against the strong. The Faithful Prophet said of this rally, "I attended a meeting in the house of Abduallah ibn Jodaan which was considered a worthy mission. If I had been called to it in Islam, I would have responded to it".

The moment all men feel being one hand in exploiting the sources of wealth on earth and that they respond to each other in amity and co-operative spirit, the urge for dispute will disappear from among them, and the strife for existence as advocated by the oppressor will vanish. It was this strife that caused the world incalculable disaster with every people conceiving their existence to be the extinction of others.

Islam abhors strife for existence since Islam prescribes understanding and amicable response, both spiritual and practical as means of existence. It has therefore recognised human co-operation as the spring of life for it leads to construction and the promotion of love amongst men.

the ignorant as withholding his knowledge. The Holy Quran has cursed those who would not impart their knowledge. In this context Ali Ibn Abi Taleb on whom be God's blessing has said "The ignorant will not be asked why they have failed to learn until the learned have been asked why they cism, or Messenger of God, that wise nationalism is not a wise such have failed to educate".

Among the causes that would hinder equitable treatment and human understanding is unjust fanaticism and prejudice for one's tribe or country. The Prophet has thus prohibited fanaticism, saying that "He is not one of us he who advocates or fights with fanaticism".

But thus the prohibition of fanaticism imply the ban of patriotism ? It certainly empraces rationalism that engenders injustice ; otherwise nationalism is not wise such as in cases where fanaticism or patriotism would prompt its people to improve their conditions and promote their resources without aggression. Such sentiments in cases as these will be unmixed virtue for they will further the interests of humanity and prompt cooperation for good.

Some of the companions of the Prophet seeing him stronlgy prohibiting fanaticism and advising against it, asked "Is it of fanaticism, O Messenger of God, that a man should love his people ?", where upon the Prophet replied, "No ! but it is a fanatic of a man to support his people unjustly". The Prophet has also likened he who would support his people without just cause as a camel falling into a pit of fire.

This similie is only too perfect; is borne out by facts and events in modern times. The blind support now given by leaders and statesmen to their peoples and the backing of unjust causes helped such peoples devour others' land and exploit their resources, thus making hell of the whole universe. Hardly does God pur down a fire when mortals start another through their fanticism that would bring about the downfall of peoples.

HUMAN COOPERATION :

Cooperation is first and foremost among the forms of understanding, being the ultimate purpose of different races and colours. It is an aspect of intellectual intercourse in societies both big and small ; as well as practical understanding the human family.

God's saying, "Help ye one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and transgression", was intended for the faithful of all mankind, and stressed the prohibition of aggression even on the cooperation with aggressors themselves. The whole text of the verse is "And let not your hatred of a folk who (once)

RULES OF INTERNATIONAL RELATIONS IN ISLAM

By

(Late) Sheikh Muhammad Abu Zahra

The basis on which all the rules governing international relations in Islam are established, is the acquaintance of peoples with each other which is the ultimate purpose of their differences in race and dispersion in tribes.

EQUALITY

This acquaintance could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. For domination and the lust for power would set in wherever a party of higher standing and another of a lower rank acted together. Conflicts would also falre up in consequence, and man would harbour evil intentions towards his fellow men. Equal treatment is therefore expedient, a principle which the Prophet on whom be peace has called for in the words "Like for thy brother what you like for thyself ; and hate for him what you hate for thyself".

This saying applies to communities and states in the same way it applies to individuals for no distinction is made in the code of justice and equality between individuals and groups. What an individual is required to do is also expected from a community as represented in the State. Means of attaining this objective may differ since an individual is more easily persuaded than a group. Still the objective is one and the same whatever difficulties obstruct our path.

The colour of man's skin has been used as an argument to justify domination which has prejudiced chances of equal treatment to the detriment of peoples. The Prophet strongly fought against this conception. Once he heard a man scornfully calling another "Son of the Black Woman," whereupon the Prophet on whom be peace angrily said "this is gross injustice", repeating his words three times. He added that a son of a white woman can never be more favoured than the son of a black except through piety.

People of our contemporary times have also used ignorance as pretext for the domination of the civilised over those scientifically and culturally backward. The Muslim logic has fought such trends for it made it incumbent upon the learned to teach the ignorant and considered a learned man who would not teach

Muslims are deeply attached to this great spiritual and religious monument of Jerusalem for those golorious meanings, and are accustomed to give it due regard and care throughout the ages. The revernce paid to it by Muslims is not intended for worldly or an imperialistic aim. Their purpose is the propagation of the principles connected with this sacred spot as well as the principles of justice, right, freedom, and the establishment of peace and Concord under the aegis of the noble principles of the religion of God. Since the Islamic conquest, the Muslims have been, and are still keen to liberate and defend this Holy City against all aggressors. The Holy Prophet is quoted by Abu Huraira as saying : "Pilgrims' journeys are to be made only to three mosques : my Mosque, the Sacred Mosque and Al-Aqsa Mosque".

The Al-Aqsa Mosque was the first Qibla of Muslims and remained so far about 16 months after which the Prophet recieved the revelation of God to turn their faces in prayer (Salath) towards the Ka'ba. Thus we see that Jerusalem is closely connected with the history, the precepts, the most important events and the sacred things of Islam.

---

about his mission. They rejected his words and they drove him from the city ; and the rabble and the slaves followed, hooting and pelting him with stones. Wounded and bleeding footsore and weary he sat under the shade of some palm trees.

Such was the crucial condition of that period of the Prophet's mission when the most remarkable event of 'Night Journey and Ascension' took place. This miraculous journey was so arranged by Allah the Almighty for very good reasons ; It was intended to steady the Prophet in response to his prayers and supplications, as well as to foretell the beginning of a bright future to his mission.

Having returned to Mecca from these two journeys, the Prophet went to Quraish in the morning and told them the story. Some of them believed, and some disbelieved. When people went to Abu Bakr and told him the news, he said to them : "By God, if he says so, then it is true". He then headed for the Prophet and said : "O Prophet of Allah, have you told these people that you visited Jerusalem over night ?". The Prophet replied : "Yes. Then Abu Bakr, who had visited it before, asked the Prophet to describe it to him. Whenever the Prophet described anything Abu Bakr said : "That is True. I testify that you are the Messenger of Allah". On that blessed journey, the prayer which is the main pillar of the religion was ordained.

We find in the above mentioned quotations of the Quranic verses and the Traditions of the Prophet that Jerusalem is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. This Holy City and its shrines remained under the care of the Muslims till Palestine was occupied by the British during the first world war in 1915.

As regards the significance of the prayer in Al-Aqsa Mosque, Anas ibn Malik related that the Prophet said : A Man's performance of prayer in his own house counts as one prayer, his prayer in the Mosque counts as twenty-five prayers. If he performs it in a congregational mosque, it counts as five hundred prayers. If he performs it in Al-Aqsa Mosque it counts as five thousand prayers, and if he does it in my mosque (at Madina) it counts as a fifty thousand prayers but if he performs it in Sacred Mosque (at Mecca) it counts as a hundred thousand prayers. The Prophet is quoted by Mymoonah, in reply to her question, if it was ordained for Muslims to travel to Al-Aqsa Mosque ; as saying : "Go to it and pray therein, otherwise send oil with which to light its lamp".

The Quraish and the enemies of the prophet were now alarmed that his preaching took serious revolutionary movement and their power and prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. In spite of cruel persecution and threats, the little company of Muslims grew in number. It was then the enemies became actively hostile. At the season of the pilgrimage they posted men on all roads leading to Ka'ba, to warn the tribes against the Prophet who was preaching in their midst. In order to prevent the Prophet from his duty they tried to bring him to compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intersessors with Allah. They also offered to make him their king if he would give up attacking idolatory. His reply was, always, full of life and full of faith, saying : "I am neitherdesirous of riches nor ambitious nor of domination; I am sent by God who as ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord. I admonish you ; If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next. If you reject my admonitions I shall be patient and I leave God to judge between you and me".

The bitterness of idolatory was increased by the firmness of the Prophet and the refusal of his uncle Abu Talib to stop his protection to Muhammad (peace be on him). As well as by the conversion of Umar, one of their stalwarts. The Quraish were now decided to ostrasize the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an allience against the descendants of Hashim and Muttalib. They bound themselves by a document which was deposited in the Ka'ba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hashimiytes or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold in one of the mountain passes which run down to Mecca.

The tenth year of his mission is called in the history of Islam as the 'Year of Mourning' (Aam al-huzn) for loss of his venerable protector Abu Talib, and his cherished wife Khadijah. Thus the Prophet lost in Abu Talib the guardian of his youth who had hitherto protected him against his enemies as he lost in Khadijah his most encouraging companion.

With saddened heart, yet full of trust, he determined to turn to some other field to preach his mission. Accompanied by his faithful servant Zaid, he went to 'Thayef'. He spoke to the people

of Mecca to the 'Sacred Mosque' of Jerusalem', and thence he ascended to heaven. This event, known in the history of Islam as 'Al-Isra-wal-Mirag' الاسراء والمعراج — (the Night Journey and the Ascent), was a great miracle of the Prophet as well as good-news foretelling a victory of Muslims over their enemies. It also closely connected the Al-Aqsa Mosque of Jerusalem with the Sacred Mosque of Mecca. The Holy Quran refers to this event :

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ال المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .
(الاسراء ١)

It means : "Glorified be He Who carried His servant by night from the Inviolable Mosque (mecca) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our Signs. Lo ! He, only He, is the Hearer, the Seer". (S : XVII, V : 1) :

This Quranic verse refers to the Al-Aqsa Mosque as being closely connected with two very important occasions in Islamic history : the Night Journey of the Prophet from Mecca to Jerusalem, and his Ascent to Heaven. In the Night Journey Al-Aqsa Mosque was the termination and in the ascention it was the beginning. The two journeys closely related to God's missions to people, to the rise of the bright light of religious guidance and to the struggle of Aspostles for worshipping One God the Creator of the Universe.

We have seen in the above Quranic verse that God has blessed precincts of Al-Aqsa Mosque. This blessing is manifested by religious and material appearances : being the place of worship of Prophets and their Qiblah, and being abundant in fertile soils, in Rivers and orchards. On his journey to Al-Aqsa Mosque, as it quoted in the tradition, the Prophet went past the Mount Sinai where God spoke with Prophet Moses and offered a prayer. He also went past the Bethlahem the birth place of Christ and offered a prayer there. Reaching Jerusalem he found Abaraham, Moses and Christ among a crowd of Prophets and led them in pray. Then he ascended to heaven where he witnessed some of the great Signs of his Lord.

It was, therefore, necessary that the celebration of the Night of Ascent should remind the Muslims all over the world the significance of this event in the history of the Islamic Call, and their connections with Mecca and Jerusalem, and their obligations to these holy places. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and to his intimate friends. At the end of the third year he recieved the Command of God to preach his mission in public.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

RAJAB 1395	ENGLISH SECTION	AUGUST 1975

THE MIRACULOUS JOURNEY OF THE PROPHET FROM MECCA TO JERUSALEM

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The Sacred Mosque of Mecca was the first House of worship in history, built for mankind on the earth, as the Holy Quran says :

ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وهدى للعالمين • (آل عمران ٩٦)

It means : "Lo ! The first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Mecca) a blessed place, a guidance to the people" (3 : 96).

This mosque was rebuilt by Abraham and his son Ismael.

About Al-Aqsa the Quran says :

المسجد الأقصى الذى باركنا حوله

It means : "... Al-Aqsa Mosque, the precincts of which We have blessed......". Al-Aqsa Mosque was built by Jacob, renewed by David, and completed by Solomen. It is reported that Abu Dharr once asked the Prophet : "What is the first Mosque built on earth ? the Prophet answered : "The Sacred Mosque (of Mecca)". Which came next ? "Al-Aqsa Mosque (of Jerusalem)". How long was there between them ? "Forty Years". According to Imam Zarkashi, Solomen only renewed Al-Aqsa Mosque. It was Jacob, Issac's son, who established it after Abraham and Ismael had rebuilt the Ka'aba at Mecca.

The Night of 27th Rajab, in the 11th year of the Prophet's mission was a notable turning point in the history of Islamic Call. In that night the Prophet was carried from the "Sacred Mosque"

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥ في جمهورية مصر العربية
خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس — السنة السابعة والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٥ هـ — أغسطس سنة ١٩٧٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هي مصر .. ولا فخر

للأستاذ عبد الرحيم فودة

معاذ الله ، وأدب الاسلام ، وكرامة الانسانية أن يشوب هذه الكلمة اعتزاز بعنصرية ، أو نزعة قومية ، فان الاعتزاز بالعنصرية نزوة شيطانية عرفت أول ما عرفت في ابليس مع آدم ، اذ أبى أن يسجد له مع الملائكة ، وقال لربه ما يحكيه القرآن عنه : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين »، ثم ورث هذه النزوة عنه اليهود فقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، ثم استشرى شرها وخطرها في تطاول العنصر الآرى على العنصر السامي ، واستلاء البيض على السود ، وما تبع ذلك من آثار ومضار شقي بها المجتمع وشاهت بها الحياة .

هذا الى أن الاعتزاز بالعنصرية يتجافى مع منطق الواقع ومنطق الاسلام اذ الواقع أن الناس على اختلاف مواطنهم وألسنتهم وألوانهم يرجعون

الى أصل واحد تنتهي اليه سلسلة الأنساب ، ثم هم مع أصلهم من كوكب واحد هو هذه الارض كما يقول الله: « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » . ثم هم مع هذا الكوكب ومع الكواكب الأخرى التي تحيط بهم أو تبعد عنهم يدينون بوجودهم وبما يقوم عليه وجودهم لاله واحد : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

ثم ان اختلافهم في الألسنة والألوان لا حيلة لهم فيه . ولا قدرة لهم عليه ولا يدلهم به ، وانما هو مظهر من مظاهر قدرة الله وآية من آياته كما يقول جل شأنه : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » ، ومن ثم كان المقياس الذى يتفاضل به الناس بعضهم على بعض معنى آخر غير العنصرية كما يقول الله : « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »، وكما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى الا بالتقوى »..

هذه مقدمة . لابد منها قبل الحديث عن مصر وماقامت وتقوم به مصر دفاعا عن العروبة والاسلام والقيم الانسانية ، فان الباعث عليه هو التحدث بنعمة الله عليها . وتذكير العرب والمسلمين بواجبهم نحوها ، فقد ألقت عليها الأقدار بحكم موقعها من هذه الأرض ، وموضعها بين شعوب العالم أعباء لم يتحملها غيرها ولم يضطلع بها سواها . وشرفها بأن تكون مستراد كثير من الأنبياء . وملاذ كثير من المصلحين .

فادريس عليه السلام أول من خط بالقلم وخاط الثياب ونظر فى علم النجوم ـ كما قيل ـ بعث فى مصر

وابراهيم أبو الانبياء قدم الى مصر . وتزوج « بهاجر » منها وأنجب اسماعيل أبا العرب منها بعد أن عادبها من مصر .

ويوسف عليه السلام ائتمر به أخوته بنو اسرائيل وألقوه فى غيابة الجب فاخرج منها . وبيع فى مصر . ووصل به الأمر فيها حتى صار أمينا على خزائن الأرض بها .

وموسى عليه السلام ولد فيها . وربى فوق أرضها وتحت سمائهاحتى

بلغ أشده واستوى وآتاه الله النبوة فيها •

وعيسى عليه السلام لجأ مع أمه اليها ، وهو كما يقول الله حكاية عنه : «انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا • وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا • والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » •

ومحمد صلى الله عليه وسلم أصهر اليها اذ تزوج بمارية القبطية منها ، وأنجب منها ابنه ابراهيم ، وقال عنها: اذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » ، ولما سئل الزهرى عن الرحم التى ذكرها رسول الله فى هذا الحديث • قال : كانت هاجر : أم اسماعيل منهم ••

وقد وجد الاسلام فى مصر استجابة صادقة له • وحرصا بالغا عليه • وجهادا متصلا فى سبيله • وايمانا عميقا به • بل وجد فيها القلعة المنيعة التى قامت على حراسة ثقافته وحماية حرمته • فصمدت أمام هجمات التتار والاستعمار والصهيونية • وبذلت واحتملت فى سبيل ذلك مالم يبذله أو يحتمله سواها •

ولن يذكر التاريخ شعبا كشعب مصر كافح بشرف • وبذل بسخاء • وصبر فى ايمان ، ومد يده بالعون والتشجيع لكل حركات التحرير فى هذه المنطقة من العالم ، وأقام فى قلبه من القاهرة مدينة زاخرة عامرة لأبناء المسلمين فى العالم من طلاب العلم ، وبعث بالعلماء والمعلمين من أبنائه الى جميع الشعوب التى تدين بالاسلام • ليضيئوا عقولها بالدين ويخصبوا حقولها بالعلم ، ويأخذوا بأيديها الى ما ينفعها ويرفعها ويحقق لها الحياة الطيبة •

هذه هى مصر •• قلعة العروبة • وراية الاسلام •• وهذه هى بعض الحقائق عنها • لانذكرها تفاخرا بها أو استجداء للعطف عليها ، وانما لنذكر بها الواجب نحوها • ونحيى الشعوب العربية والاسلامية التىعرفت لها قدرها • ووقفت معها فى معركة العبور من الظلام الى النور ••

عبد الرحيم فودة

فتنة داود عليه السلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

«وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (٢٥) » من سورة ص

البيان

أفادت هاتان الآيتان أن داود عليه السلام هداه ظنه الى أن الله تعالى ابتلاه وامتحنه ليتنبه الى زلة حدثت منه ، فاستغفر ربه من هذه الزلة حين تنبه اليها ، وخر راكعا وأناب الى الله تائبا منها ، وأنه تعالى قبل منه هذه الانابة والاستغفار ، فغفر له زلته هذه وأسبغ عليه رضوانه : فما هى هذه الزلة ؟

يتناقل القصاص قصة اسرائيلية كاذبة لعلها منقولة عن سفر الملوك ـ أحد أسفار العهد القديم ـ وخلاصتها أن داود عليه السلام ، كان يصلى فى محرابه مغلقا بابه ، وبينما هو يصلى ويقرأ الزبور ، رأى الشيطان فى صورة حمامة من ذهب ، فمد يده ليأخذها لابن صغير له ، فطارت الى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة نقضت شعرها فتغطى به بدنها ، وكانت امرأة رجل من غزاة بعث البلقاء ، فكتب الى قائد البعث أن يتقدمه على التابوت ، وكان من يتقدمه لا يحل له الرجوع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففعل فانتصر ، فأمره بتقديمه عليه ثانية وثالثة حتى قتل ، فلما بلغ موته داود لم يحزن عليه كما كان يحزن على الشهداء ، وتزوج امرأته ، وقد جاء فى القصة ما يعف قلمنا عن كتابته .

ومن أجترأ على الله بعبادة العجل من دونه فلا تستغرب عليه أن يقول هذا الأفك الأثيم ، ويروى أن الامام عليا رضى الله قال : « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص ، جلدته مائة وستين جلدة » ، وهو ـ ان صح ـ اجتهاد منه مقبول ، حيث ضاعف حد القذف بالنسبة الى الأنبياء ، عليهم السلام ، مراعاة لمقامهم ، استنباطا من

قوله تعالى : « يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين (١) » وان كان الزين العراقي أنكر صحة هذه الرواية .

ولقد انخدع بعضهم بمشابهة هذه القصة لقضية الخصمين اللذين احتكما اليه ، ففيها يقول الله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود انما فتناه .. » الآية تلك هي القضية التي ساقها الله لداود ، ليذكره زلته بها .

وخلاصتها أن صاحب النعاج الكثيرة طمع في أخ له ليس عنده سوى نعجة واحدة ، فضم نعجته الى نعاجه ، وهذا يشبه مازعمه أصحاب هذه الفرية على داود عليه السلام ، لأنه كان كثير الزوجات ولا شك في أن الزعم المذكور باطل ، لعدة أسباب ، (أولها) أنه طعن في شرف نبي كريم ، ونيل من عصمته ، (ثانيا) أن فيه الحكم على الله تعالى بأنه اختار لعباده نبيا سيء الخلق ،وحاشاه أن يفعل ذلك (ثالثهما) أنه مخالف لما صدر به قصة داود ، حيث مدحه الله بأنه أواب ، وأن الطير والجبال كانت تسبح معه ،قال تعالى: « واذكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب . انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق . والطير محشورة كل له أواب » (رابعا) أنه مخالف لقوله تعالى في آخر قصته : « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وقال بعض المفسرين في بيان زلته: انه رأى امرأة وزير له ، اسمه أوريا وقيل : كان من مؤمني قومه ــ فمال اليها قلبه ، وسأله أن يطلقها ففعل حياء منه فتزوجها وهي أم ولده سليمان عليه السلام ، وكان مثل ذلك جائزا في دينه وفي عرف أمته ، فلا يخل بالمروءة

(١) سورة الأحزاب : من الآية ٣٠

لديهم ، وذكر صاحب هذا الرأى لتأييده ،أن الأنصار كانوا يواسون من هاجر عقب الهجرة ، بأن ينزل أحدهم لمن آخاه من المهاجرين عن احدى زوجتيه ، فيطلقها ليتزوجهاهذا الأخ المهاجر ، ويقول صاحب هذا الرأى : ان داود عوتب بالتعريض والتمثيل ، على أن مثل ذلك ان صح لآحاد الناس ، فلا يسوغ لنبى عنده من النساء كثيرات ، وليس عندخصمه سوى امرأة واحدة ، ويقصد بهذا العتاب أن الله أرسل اليه ملكين فى صورة خصمين ، طرحا عنده قضية مشابهة ليدرك زلته، فهو عتاب بالاشارة والتلويح ،لا بالعبارة ، ونحن لانوافق على هذا الرأى ، اذ لا يقبل العقل أن يكون فى شريعة الله الحكم بجواز أن يعشق رجل زوجة آخر ، ويسأله طلاقها ليتزوجها ، كما أننا نجل داود عليه السلام ، عن أن يفعل مثل ذلك حتى لو فرض جوازه فى شريعته ، فانه شيء تمجه الطباع ، وتنبو عنه الأسماع بالنسبة الى نبى كريم .

وأما ماحدث فى أول الاسلام فهو عكس موضوع قصة داود المزعومة ، فان الزوج الأنصارى هو الذى كان يعرض على أخيه المهاجر ، أن يطلق احدى زوجاته ، ليتزوجها المهاجر بعد انقضاء عدتها منه مواساة له بسبب هجرته وتركه أهله بمكة ، وكان أخوه المهاجر يعتذر ، ويقول : بارك الله لك فى أهلك ومالك .

وقال أبو مسلم : ان الخصمين من الانس ، وذنب داود أنه حكم بين الخصمين قبل أن يسمع كلام المدعى عليه فيما قال المدعى ، وداود وان كان له بعض العذر فيما ناله من الفزع ، لكنه باعتباره نبيا ينبغى أن لا ينسيه الفزع أصول القضاء ، وهذا الرأى وان كان يتفق مع نص القرآن ، يرد عليه أن الخصم الذى يتسور سور المحراب ، ويقتحم على ملكه ونبيه محرابه فى يوم عبادته ، غير مكترث بجنود الملك وحراسه ، له من الجرأة ما يجعله يدفع التهمة عن نفسه ، ويدل لذلك أن الآية وصفته بالقلة فى الخطاب ، اذ حكت عن المدعى قوله عنه « وعَزَّنى فى الخطاب » أى غلبنى فيه فلابد أنه تكلم بعد كلام المدعى ، فوجده داود غير محق ، فقضى بينهما بما قضى ،

ولم يذكر القرآن كلامه بعد المدعى ، اكتفاء بفهم أنه تكلم من حكم داود بينهما . اذ لاحكم الا بعد سماع الخصمين ، وحذف مايعلم جائز ، ويؤيده أنه روى أنه سأله فأقره ، ومما يبعد قبول هذا الرأى ، أن الله تعالى وصف داود قبل قصة الخصمين بقوله : « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » فكيف يكون قد أوتى الحكمة وفصل الخطاب ، ويحكم فى القضية دون سماع المدعى عليه ؟

آراء يمكن قبولها

هناك من الأراء مايمكن قبوله ، واليك بيانها فيما يلى :

١ ـ قال بعض المفسرين : ان أوريا لم يكن تزوجها بل خطبها ، ثم خطبها داود ، فآثره أهلها على أوريا فتزوجها وكان ذنبه أنه خطبها على خطبة أخيه ، وهو وان كان جائزا فى شرعه لكن مثله ينبغى أن يترفع عن مثل ذلك لأن أخاه سبقه اليها ، وهو مستغن بمن عنده من النساء الكثيرات ، ولذلك عوتب .

فهذا رأى يمكن تأويل الآية عليه وأن يجاب على ما عسى أن يوجه اليه من الاعتراض ،

٢ ـ ذهب أبو حيان الى أن المتسورين للمحراب من الانس ، وأن داود فزع منهم لأنهم دخلوا من غير الطريق المعتاد ، فى يوم خصه بالعبادة وكان وحيدا ، فظن أنهم جاءوا لاغتياله ، وأن الله فتنه بهم ، فلما برز منهم اثنان للتخاصم ، اتضح له أنهم جاءوه للتقاضى ، وفهم أنه أساء الظن بالله تعالى ، فخر ساجدا منيبا الى الله تعالى مستغفرا من هذا الذنب ، فهذا الظن هو زلته ، بدليل قوله تعالى : « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك » أى غفرنا له ذلك الظن ، اذ لم يتقدم سواه فى قضيته حتى يغفر له ، وهذا الرأى أحسن ما قيل فى زلة داود ، لاستناده الى النص والذوق وحسن التأويل .

٣ ـ ويقرب منه ما قيل من أن قوما قصدوا أن يقتلوه ، ولهذا تسوروا عليه المحراب ، فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بما قص الله من التحاكم ، فعلم غرضهم ، فقصد أن ينتقم منهم فظن ذلك ابتلاء من الله له ، هل يغضب لنفسه ، فاستغفر ربه مما عزم عليه من الانتقام منهم لحق نفسه فانه عدول عن العفو اللائق به .

صلاح داود وتقواه وزهده

كان داود عليه السلام ، مع ما أعطاه الله من الملك والسعة ، قوى الصلاح عظيم الاستقامة ، وهو الذى قتل بسهمه جالوت الملك الوثنى الجبار وكان سهمه لا يخطىء ، وكان وقتئذ جنديا من جنود الملك طالوت ، ثم آل اليه الملك بعده ، وأعطى النبوة مع الملك وكان يصوم يوما ويفطر يوما ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « خير الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما » .

وكان ينسج الدروع من الحديد وقد ألانه الله له وكان يأكل من عمل يده ، كما جاء فى صحيح السنة ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير » (١) واذ عرفت أيها القارىء أنه رسول كريم ، فلا تصدق فيه أولئك المفترين ، وفقنا الله واياك لما يحبه ويرضاه - والله تعالى أعلم ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) سورة سبأ : الاية ١٠ ، ١١

تفاضل الأعمال الصالحة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن عبد الله بن حبشى الخثعمى رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الأعمال أفضل قال : طول القيام • قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل • قيل فأى الهجرة أفضل قال : من هجر ما حرم الله عليه قيل : فأى الجهاد أفضل قال:من جاهد المشركين بماله ونفسه قيل : فأى القتل أفضل قال : من أهريق دمه وعقر جواده »•

أخرجه أبو داود

جهد المقل : قدر مايحتمله القليل المال •

الهجرة : الترك ضد الوصل ، وغلبت الهجرة فى العرف الاسلامى على ترك مكة والذهاب الى المدينة وهى فى الحديث بمعنى ترك ماحرم الله وفعل ما أمره به

أهريق : بفتح الهاء وكسر الراء سال كأريق •

لقد ابتلى الله الخلق بالأعمال الصالحة تزكية لأرواحهم وأجسادهم وتطهيرا لنفوسهم وتنظيما لحياتهم وتوفيرا لصفائهم وهناءتهم ووعدهم تفضلا منه أن يكافئهم عليها راحة فى الدنيا وروحا وريحانا فى الآخرة فالغاية منها والخير فيها فى الدارين لعباد الله لا لله ، اذ هو الغنى بذاته وكمالاته عن خلقه قال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » •

وتفضل العبادات الصالحات بعضها بعضا بما يبذله المكلف من جهد ، وبما ينطوى عليه من اخلاص فى النية والقصد،بل يفضل العمل الصالح فى حال مثله فى حال أخرى فالصلاة والصدقة والجهاد كلها أعمال صالحة طلبها الله منا وتعبدنا بها ولكنهاتتفاضل فيما بينها بتفاضل أفراد أنواعها فالصلاة المستوفية لأركانها وشروطها وسننها المقرونة بالاخلاص والخشوع الكاملة بهيئاتها التى رسمت لهاتستحق

درجات من الثواب لا تبلغها الصلاة التى نقصها شىء مما ذكر،واذا افتقدت تلك الهيئات لا تكون صلاة ولا يعتد بها ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل رآه يوجز فى الصلاة وينقرها كنقر الديك اسراعا فى الركوع والسجود : « أعد صلاتك فانك لم تصل » ، وورد عنه أن مثل هذه الصلاة تقول لمصليها : « ضيعك الله كما ضيعتنى » ، والصلاة التى تؤدى فى المسجد وفى الجماعة خير ثوابا من الصلاة التى تؤدى انفرادا فى غير المسجد ، والصلاة فى المسجد الأقصى خير من الصلاة فى غيره من المساجد ، والصلاة فى المسجد النبوى خير من الصلاة فى بيت المقدس والصلاة فى أول الوقت خير من الصلاة فى آخره ، وهكذا تتفاوت الصلوات بتفاوت الهيئات والأمكنة والأزمنة وفى هذا الحديث أن طول القيام فى الصلاة يعطيها امتيازا لما فى ذلك من المشقة ومن استجماع الخشوع والتضرع .

والصدقة من أفضل الأعمال الصالحة لأنها تنازل عن جزء مما تحبه النفس وتتعلق به وتحرص عليه — وهو المال — فى سبيل البر لسد حاجة المحتاجين وللاسهام فى مصالح المسلمين كمرافق التعليم والصحه واعداد الجيش وبناء المساجد واقامة الجسور ونحو ذلك مما تعود فائدته على المجتمع،متفاوتة كذلك ،فالصدقة فى السر افضل من الصدقة فى العلن والصدقة المقرونة بالسماحة خير من الصدقة المقرونة بالمن والأذى ، والصدقة فى وجوه البر بتفاوت ثوابها بحسب الحاجة اليها والاولوية فيها والصدقة مع الاعسار والضيق خير من الصدقة عن الغنى والايسار، والصدقة على القريب المحتاج خير من الصدقة على غيره فالصدقة على القريب صدقة وصلة ، وهكذا تتفاوت منازل الصدقات كما تتفاوت منازل الصلوات وفى الحديث : « أفضل الصدقة جهد المقل » يعنى — من بذل ما فى وسعه وطاقته وهو قليل المال — خير ممن بذل وهو فى سعة وغنى .

والهجرة وهى ترك ما تحبه النفس وتميل اليه وتتعشقه الى أمر فيه مشقة ومعاناة امتثالا لأمر الله وابتغاء مثوبته ورضاه سواء فى ذلك ترك مكان الى مكان أو حال الى حال متفاوتة كذلك، فهجرة المكان الى مكان آخر كهجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

الى المدينة حين اشتد بهم أذى المشركين بمكة وضاقت بهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا بدينهم الا الفرار الى المدينة حيث يأمنون على دينهم وحياتهم ، وقد كانت هذه الهجرة حتما فى أول الاسلام على المسلمين ثم أعفى منها المسلمون حين افتتحت مكة وأمر فيها أمر محمد وعز الاسلام واستطاع أن يحمى أتباعه ويؤمنهم على أنفسهم بمكة وحيثما كانوا ، والهجرة من حال الى حال كهجرة المعاصى الى الطاعات وما حرم الله الى ما أحله وهذه هى الهجرة الدائمة والواجبة على كل مسلم لأنها تتضمن كل خير وتعصم المؤمن من كل شر ومن اعتصم بها فقد هدى الى الصراط المستقيم واستغنى برقابة نفسه عن كل رقيب وتتفاوت هذه الهجرة فضلا بحسب ما يملك المؤمن زمام نفسه فمن استطاع أن يملكها ويكفها عن جميع مايغضب الله الى ما يرضاه فهو فى الذروة العليا من الفضل ودون ذلك درجات.

والجهاد وهو من أفضل الأعمال الصالحة ولعله أفضلها على الاطلاق لأنه استعداد للجود بالنفس والمال وبكل ما يستطيع الانسان ويملك من فكر وحيلة ومنطق وبيان ، تتفاوت درجاته وثوابه فالجهاد بالفكر والعلم دون الجهاد بالنفس والمال ، والجهاد بالنفس دون الجهاد بالنفس والمال وهكذا تتمايز الدرجات فى الثواب وان كان كل عمل يتصل بالجهاد هو من الأعمال الصالحة وفى ذلك يقول الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » (١) .

ومن تصدى للجهاد فمات دون قتل أقل درجة ممن تصدى له فمات مقتولا وعقر جواده .

وجميع الأعمال الصالحة ما ذكرنا منها ومالم نذكر لابد فيها من اخلاص القصد ، وبقدر ما فيها من حسن النية والقصد تتضاعف فيها المثوبة والأجر « انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

ابو الوفا المراغى

---

(١) سورة النساء آية ٩٥ ، ٩٦

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما رجل يمشى بطريق أشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر » .

متفق عليه .

تمهيد :

قلنا فى معرض البيان لأهداف الحديث :ان الناظر فى تعاليم الاسلام نظرة فاحصة يجد الكثير منها يحقق الرحمة بالحيوان ، ولايضاح هذا ذكرنا تسعة أمثلة من نصوص القرآن والسنة ، ونحاول فى هذا المقال أن نذكر مثالا آخر ، ونتم الموضوع فنقول :

أباح الله تعالى للمحرم بالحج أو العمرة الاصطياد لصيد البحر ، وحرم عليه صيد البر ، قال جلت حكمته : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١)

الصيد ـ هو الحيوان المتوحش فى أصل الخلقة الممتنع بجناحيه أوبقوائمه والمراد بصيد البر مايفرخ ويتوالد فى البر لا فى الماء ـ والمقصود بالسيارة

(١) سورة المائدة : آية رقم ٩٦

المسافرون ـ ومعنى الآية : أباح الله تعالى لكم الاصطياد لصيد البحر ، والانتفاع بجميع مايصطاد منه بموأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك تمتيعا لكم وللمسافرين ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم فى حال الاحرام ، فاستمسكوا بهدى ربكم ، واحذروا الوقوع فيما حرم عليكم ، فان اليه وحده مصيركم ، والمجازاةعلى أعمالكم •

ولما كان صيد البر محظورا على المحرم أوجب الشارع الجزاء بقتل هذا الصيد ـ والجزاء أنيقوم الصيد عدلان فى مكانه ، أو فى مكان قريب منه ، فان بلغت قيمته ثمن هدى خير الجانى على الصيد بين أمور ثلاثة :

أحداها : أن يشترى بهذه القيمة هديا يذبحه فى الحرم ،

ثانيها : أن يشترى بها طعاما يتصدق به على الفقراء فى أى مكان ، لكل واحد نصف صاع •

ثالثها : أن يصوم بدل كل نصف صاع يوما •

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديابالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره » (١)

وكما يحرم على المحرم صيد البر يحرم أيضا علىالمحرم والحلالازعاج صيد الحرم والجناية عليه ،

روى البخارى فى صحيحه فى باب : لا ينفر صيد الحرم ـ عنعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى ، وانما أحلت لى ساعة من نهار ، لا يختلى خلاها ، ولا كعضد شجرها ، ولاينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطها الا لمعرف الحديث » •• (٢)

---

(١) سورة المائدة : آية رقم ٩٥

(٢) لا يختلى خلاها ـ أى لا يقطع الرطب من نباتها ـ لا يعضد شجرها ـ أى لا يقطع ، الا المعرف ـ المراد لا يجوز أخذ هذه اللقطة الا لمعلن عنها ليظهر صاحبها .

قال صاحب فتح البارى ـ عند التعليق على قول البخارى :

« لا ينفر صيد الحرم » ما نصه :

قال النووى : يحرم التنفير ـ وهو الازعاج ـ عن موضعه ، فان نفره عصى سواء تلف أو لا ، فان تلف فى نفاره قبل سكونه ضمن ، والا فلا ، قال العلماء : يستفاد من النهى عن التنفير تحريم الاتلاف بالأولى ففى تحريم صيد البر على المحرم بالحج توفير لأمن الصيد ، وتحصيل للرحمة به فى أشهر الحج من كل عام وفى تحريمه على المحرم بالعمرة تحقيق لأمنه ورعايته كلما وقع احرام بالعمرة ويجوز وقوع الاحرام بها فى أى يوم من أيام العام ،

وفى تحريم صيد الحرم على المحرم والحلال تحقيق لأمن هذا الصيد والعناية به فى جميع الأوقات والحالات ،

هذا ومن أجل ما ترشد اليه هذه النصوص وأمثالها تضمنت كتب الفقه الاسلامى أحكاما كثيرة تتمثل فيها الرحمة بالحيوان ورعاية حاله ، وحسبنا فى التمثيل لهذا ما يأتى :

(أ) أحل الشارع أكل أنواع من الحيوان ، وجعل الوسيلة لهذا الحل أن يذكى الحيوان ذكاة شرعية ، وهذه الذكاة ـ كما قال الفقهاء ـ تنقسم الى ذكاة اختيارية ، وذكاة اضطرارية :

فالذكاة الاختيارية : هى الذبح فى الحلق واللبة ، وتكون للحيوان المقدور على ذبحه ، وأما الذكاة الاضطرارية : فهى الجرح للحيوان فى أى موضع اتفق اذا كان غير مقدور على تذكيته ذكاة اختيارية كالصيد وما فى حكمه كالبعير الناد ، فاذا جرح الصيد عند اصطياده فى أى موضع من جسمه ومات بهذه الجراحة حل أكله ، ويجوز الاصطياد بالجوارح المعلمه والسهام المحددة .

والجوارح جمع جارحة ، وتطلق على الذكر والأنثى ـ ويراد بها كل حيوان يصطاد بنابه أو مخلبه ، ويمتنع به كالكلب والفهد من سباع البهائم ، وكالصقر والبازى من سباع الطير .

وهذا الاصطياد بشروطه يعتبر ذكاة شرعية ، فيحل أكل اللحوم اذا كان مأكول اللحم ، أو الانتفاع بجلده وشعره اذا لم يكن مأكول اللحم .

قال صاحب كتاب الاختيار لتعليل المختار ـ عند الكلام على حكم الصيد:

(وهو جائز بالجوارح المعلمة والسهام المحددة لما يحل أكله لأكله ، ومالا يحل أكله لجلده وشعره) أما الجواز فلقوله تعالى : « واذا حللتم فاصطادوا» وقوله : « أحل لكم صيد البحر » الآية ، وقوله : « أحل لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح مكلبين »وقوله عليه الصلاة والسلام : (الصيد لمن أخذه) وقوله لعدى بن حاتم : (اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل)قال : (والجوارح ذو ناب من السباع وذو مخلب من الطير)وهو أن يكون يكتسب بنابه أو مخلبه ، ويمتنع به ، لأن المراد من قوله : الجوارح ـ التى تجرح ،وقيل الكواسب ، و « مكلبين » أى مسلطين، واسم الكلب لغة يطلق على كل سبع حتى الأسد ، فيجوز الاصطياد بكل ذى ناب من السباع لعموم الآية الاما كان نجس العين كالخنزير لأنه لايحل الانتفاع به ، ولا يجوز الاصطياد بالأسد والذئب ، فانهما لا يتعلمان ، وكذلك الدب حتى لو تعلموا أجاز ـ وعن أبى حنيفة فى ابن عرس (١) اذا علم فتعلم جاز أهـ

وظاهر أن العلم بجواز الاصطياد بالجوارح وأنها وسيلة للانتفاع بالصيد مطلقا ـ يجعل الشخص يسلطها ويحرص عليها ، ويعنى بتوفير راحتها وقوتها ـ ما دامت مرجوة النفع مأمونة الجانب ، لا يخشى منها غدر ولا ايذاء •

(ب) للمطر أهمية عظيمة فى حياة الناس ، اذ هم فى حاجة اليه للشرب ، وسقى الدواب والزرع ، وتيسير المصالح ، واستقامة الشئون ـ فاذا منع عنهم شرع لانزاله آداء صلاة تسمى صلاة الاستسقاء ، وليكون أداؤها فى صورة كاملة ، وجماعة رائعة أقرب الى القبول ، وبلوغ المأمول ـ يطلب أن تصلى فى الصحراء أو فى مكان فسيح ، الا اذا كان الأداء بمكة فتصلى فى المسجد الحرام أو كان الأداء ببيت المقدس فتصلى فى المسجد الأقصى ، لأن كلا من المسجدين أفضل مما حوله ـ وعند التوجه لأدائها يخرج القوم مشاة متذللين معلنين عن عجزهم وضعفهم

(١) قال فى المصباح : ابن عرس بكسر العين ، دويبة تشبه الفار ، والجمع بنات عرس .

وحاجتهم الى عوث ربهم ، وامداده – ويخرج معهم الضعفة والشيوخ والعجائز والأطفال – وتطلب أيضا اخراج الدواب وأولادها ليكون ذلك كله أدعى الى نزول الغيث ، ونشر الرحمة من الولى الحميد .

جاء فى كتاب اللباب شرح الكتاب – عند الكلام على الاستسقاء مانصه : ويستحب الخروج له الى الصحراء الا فى مكة وبيت المقدس فيخرجون الى المسجد ثلاثة أيام مشاة فى ثياب خلقة غسيلة متذللين متواضعين خاشعين لله تعالى ناكسى رءوسهم مقدمين الصدقة كل يوم قبل خروجهم ، ويجددون التوبة ، ويستسقون بالضعفة والشيوخ والعجائز والأطفال ويستحب اخراج الدواب وأولادها ويشتتون فيما بينها ليحصل التحنن ويظهر الضجيج بالحاجات أهـ

ولا ريب أن شعور المؤمن بأن البهائم وسيلة لدفع البلاء وتلقى رحمة الله الواسعة – يجعله يحافظ عليها ، ويحوطها بمزيد من الرأفة والاهتمام .

(جـ) لو استأجر شخص دابة ليحمل عليها قدرا معينا من القمح مثلا ، فله أن يحمل عليها مقدارا مثله من نوع آخر من الحبوب ، أو يحمل من نوع أخف من المتفق عليه كالشعير ، وليس له أن يحمل ما هو أثقل من القمح كالملح ، وليس له أن يزيد على القدر المسمى .

وان خالف المستأجر فحمل على الدابة ماهو فوق المشروط فى الضرر فهلكت الدابة – فان كان المحمول عليها من خلاف جنس المشروط ضمن قيمة الدابة كلها لأنه متعد فى الجميع .

وان كان من جنس المشروط ضمن من قيمة الدابة بقدر الزيادة على المشروط ، لأنه متعد فقط فى حمل القدر الذى زاده على المشروط ، فاذا كان المتفق عليه حمل أربع كيلات مثلا من القمح ، فزاد المستأجر على هذا المقدار كيلتين منه ضمن ثلث قيمة الدابة .

وان سمى المستأجر قدرا يحمله على الدابة من القطن مثلا فليس له أن يحمل مثل وزنه حديدا ، لأن الحديد يجتمع عليها فى مكان واحد من ظهرها ، فيؤذيها ، بخلاف القطن ، فانه ينبسط فيريحها .

جاء فى كتـاب الاختيـار لتعليـل المختار ـ عند الكلام عى اجارة الدابة للحـمل عـليها ـ ما نصـه : (وان سمى ما يحمله على الدابة كقفيز (١) حنطة فله أن يحمل ما هـو مثـله ، أو أخـف كالشـعير ، وليس له أن يحمل ما هو أثقـل كالملـح ، وان زاد على المسمى فعطبت ضمن بقـــدر الزيادة ، وان سمى قـدرا من القطن فليس له أن يحمل مثل وزنه حديدا) والأصل أن المستأجر اذا خالف الى مثل المشروط ، أو أخف فلا شىء عليه لأن الـــرضى بأعلى الضررين رضى بالأدنى ، وبمثله دلالة .

وان خالف الى ما هـو فـوقه فى الضرر فعطبت الدابة ـ فان كان من خلاف جنس المشروط ضمن الدابة، لأنه متعد فى الجميع ، ولا أجر عليه، وان كان من جنسه ضمن بقدر الزيادة، وعليه الأجـر ، لأنهـا هلكت بفعـل مأذون وغير مأذون فيقسم على قدرهما الا اذا كان قدرا لا تطيقه ، فيضـــمن الكل لكـونه غير معتـاد ، فلا يكون مأذونا فيه ، والحديد أضر من القطن لأنه يجتمع فى موضع واحد من ظهر الدابة والقطن ينبسط أهـ

(د) اذا استأجر شخص حيـوانا ليركبه فله أن يركبه من هو مثله فى الوزن ، أو من هو أخف منه ،وليس له أن يركبه من هو أكثر ثقلا منه ، لما فى ذلك من الاضرار بالحيـوان ، وعندما يركب المستأجر غيره يشترط لجواز ذلك ـ كما تقدم ـ أن يكون هذا الغير مساويا للمستأجر فى الوزن ـ ويذهب بعض الفقهاء الى أنه يشترط زيـادة على التسـاوى فى الـوزن أن يكون التساوى أيضـا فى الطـول ، والقصر ، والخبرة بالـركوب ، لأنه اذا لم يكن الراكب خبيرا بالـركوب فانه يثقل على الحيوان ويضربه ـ ولكن الكثير منهم لا يشترط هذه الأوصاف كلها ، لأن التفاوت فيها بعد التساوى فى الوزن يسير فيجاوز عنه .

واليك ما قاله ابن قدامة فى كتابه المغنى عند الكلام على أستئجار الحيوان للركوب عليه جـ٦ ص ٥٢ مطبـعة المنار :

---

(١) القفيز : مكيال مخصوص .

واذا اكترى ظهرا ليركبه فله أن يركبه مثله ، ومن هو أخف منه ، لايركبه من هو أثقل منه ، لأن العقد أقتضى استيفاء منفعة مقدرة بذلك الراكب ، فله أن يستوفى ذلك بنفسه ونائبه ، وله أن يستوفى أقل منه ، لأنه يستوفى بعض ما يستحقه ، وليس له استيفاء أكثر منه ، لأنه لا يملك أكثر مما عقد عليه ، ولا يشترط التساوى فى الطول والقصر ولا المعرفة بالركوب ، وقال القاضى يشترط أن يكون مثله فىهذه الأوصاف كلها ، لأن قلة المعرفة بالركوب تثقل على المركوب ، وتضر به ، قال الشاعر :

لم يركبوا الخيل الا بعد ما كبروا
فهم ثقال على أعجازها عنف

ولنا أن التفاوت فى هذه الأمور بعد التساوى فى الثقل يسير ، فيعفى عنه ، ولهذا لا يشترط ذكره فى الاجارة ، ولو اعتبر ذلك لاشترطت معرفته فى الاجارة كالثقل والخفةأهـ•

وظاهر أن الأحكام المذكورة فى هذين المثالين قصد بها منع الضرر عن الحيوان المستأجر للحمل ، أو الركوب، والعمل على توفير راحته وسلامته ، : هذا هو هدى الاسلام فى رعاية الحيوان فضلا عن الانسان فأين منه ما عليه الدول المعاصرة التى تزعم لنفسها الرقى والحضارة وهى مع ذلك تسابق فى اختراع وسائل الشر والفساد ، وترويع الآمنين ، وقتل الأبرياء والمستضعفين ،ونشر الخراب والدمار انه لانجاة للعالم ، ولا سعادة له الا بالرجوع الىهدى اللهتعالى والاعتصام به سبحانه ، « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (١)

ما يهدف اليه الحديث :

يهدف الحديث الى مقاصد سامية نجتزىء منها بما يأتى :

١ ـ التنويه بجزاء الاحسان الى الحيوان •

٢ ـ الحث على انجاز ما تيسر من أعمال البر •

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٠١

٣ ـ العمل القليل مع الاخلاص يستحق صاحبه وافر الجزاء .

٤ ـ على المسلم أن يجعل نفسه فى مستوى صاحب الحاجة والشـدة ليقف على مدى ألمه ، ويتجاوب معه .

٥ ـ ينبغى للأعـلى أن يتحـمل المشقة التى تقتضيـها حـاجة الأدنى ليظفر بمثـوبة الله تعـالى ، وعظيـم عطائه .

٦ ـ أخذ العظة والعبرة من قصة السابقين وأحوالهم .

٧ ـ حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التفقه فى الدين .

ملأ الله تعالى قلوبنا بالخشية منه ، والرحمة بخلقه ، وجعلنا أهلا لعظيم فضله ورعايته .

منشاوى عثمان عبود

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

(٥)

كلما عن لى أن أسرح بخاطرى فى كيف جرؤ أحد الأدعياء أن يقحم نفسه الى قدس العلم فينتهك من من حرمته ما صانه الله أحسست بمدى الجناية التي يرتكبها هذا الجيل على نفسه بأن يوصم عهده بالجهل والغباوة وفشو الكذب والضلال .

رجل أراد أن ينتقص من قدر أبى هريرة رضى الله عنه وهو الذى روى له البخارى من المتون المستقلة أربعمائة حديث وستة وأربعين حديثا على التحديد ، فيعمد الى الكذب على الغيب والشهادة فيذكر فى الكتاب (اياه) أن فى كتاب دفاع عن السنة للدكتور أبى شهبة ان أبا هريرة أسلم وسنه سبع سنين وعندما توفى النبى صلى الله عليه وسلم كان سنه عشر سنين ثم يستطرد ـ أعنى صاحب الكتاب اياه ـ فيقول « والثابت انه عاش بعد النبى سبعة وأربعين سنة ومعنى ذلك أنه لم يعاصر النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره الا طفلا فيما بين السابعة والعاشرة من عمره فكيف يقارن نفسه بالكواهل (!!!) من المهاجرين والأنصار وهو طفل دون العاشرة ؟ وقد مات النبى وهو فى سن الطفولة .

هكذا ورد هذا الكلام بأخطائه اللغوية المفضوحة وبهتانه الصارخ فى الاعتراض على حديث بسط الثوب وضمه حتى لم ينس أبو هريرة رضى الله عنه بعد ذلك مقالة قالها صلى الله عليه وسلم فكان أكثر الصحابة ملازمة له صلى الله عليه وسلم وأكثر الصحابة حفظا للسنة فيكون الاشكال فيما يلى :

١ ـ ان أبا هريرة أسلم وهو فى سن الطفولة من السابعة وصحب النبى صلى الله عليه وسلم الى العاشرة !!!

٢ ـ كيف يقارن أبوهريرة نفسه (بالكواهل !!!) من المهاجرين والأنصار وهوطفل دون العاشرة وقد مات النبى وهو فى سن الطفولة ؟

٣ ـ يزعم أن تحديد سن أبى هريرة حين اسلامه فى كتاب دفاع عن السنة ومنه نقله والجواب :

(١) ان أبا هريرة أسلم عام خيبر مهاجرا من اليمن من قبيلة دوس وكان أوسطهم نسبا وحسبا وكان معه عندما هاجر عبد له يعينه على وعثاء السفر ليصل الى صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الجهاد • فاذا عرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم عام بدر رد بعض الصحابة من الشبان الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة كابن عباس وعبد الله ابن عمرو ومن اليهما كالنعمان ابن بشير وعبد الله بن عمر عرفت أن أبا هريرة لم يكن ليهاجر من اليمن ليشهد غزوة خيبر ويبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الاسلام وهو فى سن السابعة ، فاذا كان تقرير هذه السن كذبا وافتراء لايرجع الى أصل تاريخى صحيح أو مكذوب توقيفى أو استنتاجى عرفت مبلغ الجناية التى يجنيها هؤلاء وأمثالهم من الأدعياء على الحقيقة والتاريخ •

(٢) نتصدق على هؤلاء بما هو معروف بالضرورة من كتب التاريخ اذ أنه توفى سنة ٥٨ هـ وسنه يومئذ ثمان وسبعون فكأنه كان عام الهجرة ابن عشرين سنة وكان اسلامه وهو ابن سبع وعشرين سنة أو ست وعشرين فانظر الفرق بين السبع وبين السبع والعشرين راجع أن شئت الاستيعاب لابن عبد البر جـ ٤ ص ١٧٦٨ ـ ١٧٧٢ الترجمة ٣٢٠٨ واسد الغابة لابن الأثير الجزرى جـ٦ ص ٣١٨ ـ ٣٢١ الترجمة ٦٣١٩ وعلى هذا اتفقت المراجع كلها كالاصابة لابن حجر والبداية والنهاية لابن كثير ومرآة الجنان لليافعى والطبقات الكبرى لابن سعد •

(٣) نسب صاحب الكتاب المشبوه هذا الهراء الى كتاب (دفاع عن السنة) للدكتور أبى شهبة وهو محض افتراء اذ فضلا عن خلو الكتاب من التعرض لسن أبى هريرة فان الشيخ أبا شهبة ليس بالذى يخفى عليه سن أبى هريرة وهو رجل مشتغل بالسنة كاتبا ومعلما ودارسا وأستاذا ، ولعله قرأ فى الكتاب أن

أبا هريرة أسلم فى السابعة ومات النبى صلى الله عليه وسلم فى العاشرة فظن السابعة والعاشرة من سن أبى هريرة والحقيقة أن أبا هريرة أسلم فى السنة السابعة من الهجرة والنبى صلى الله عليه وسلم مات بعد السنة العاشرة من الهجرة لا من سن أبى هريرة وجاء فى الكتاب (اياه) صفحة ١٥٩ (المعروف أن أهل الصفة كانوا رجالا بالغين سن التمام والتكليف (!!) وأنهم كانوا عاجزين عن الكسب بما أصابهم من كبر السن والمرض • فكيف يترك أبا هريرة(!) الطفل الذى لم يبلغ سن العاشرة معهم ليشاركهم حياة الصفة وهى خاصة بالمتقاعدين) •

هكذا والله قيل هذا الكلام بنصه وفصه فى كتاب مطبوع ثم بعد ذلك نشكو أزمة فى الورق حيث يستنفد الورق فى مثل هذا الهذيان والجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والظلمة الطخياء •

يقول : انأهل الصفة كانوا بالغين سن التمام والتكليف • فاذا تلمست حد هذه السن ومعالمها ومظاهرها الخارجية الدالة على مقدار هذه السنة يجيبك بقوله : (وانهم كانوا عاجزين عنالكسب بماأصابهم من السن والمرض) وعطف المرض على السن يدل على أن المرض هنا هو مرض الشيخوخة • فاذا عرفنا أن الشيخوخة تبدأ من فوق الأربعين كانسن التمام والتكليف عندالدروز والقرامطة هو الأربعين وعلى هذا جرى هذا الكتاب على اعتبار التكليف هو ما شرعه القرامطة والباطنية ،هذا اذا افترضنا فيمن صنفوا هذا الكتاب شيمة العلم بتلك المذاهب فيكونون متآمرين على شريعة الاسلام بدس هذا الحكم ، والا جرى على لسان كاتب هذا الكلام بجهالة بمواقع الكلام فيكون شأنه أقبح وصدق القائل :

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة
أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولا بد لكى يكون من أهل الصفة أن يكون مريضا مرضا مقعدا • وأرجو أن يراجع القارىء العبارة مرة أخرى ليتضح له العجب العجاب ويقول فى العبارة التى أسلفنا الاشارة اليها (كيف يقارن أبو هريرة نفسه بالكواهل من المهاجرين والأنصار وهو طفل دون العاشرة وقد مات النبى وهو فى سن الطفولة ؟)

فقوله (الكواهل) ولا أدرى الا أنها جمع كهلة ثم لا أدرى معناها ولعلها مدرجة فى قاموس (شرم برم) الـذى يمكن ارجـاع مفردات كلام هؤلاء وغريبـه اليه . واذا تطوعنـا بترجمتها الى اللغة العربية وقلنا كهول جمع كهل تعرض هـذا اللفظ مـع اطلاق الشيخوخة على أهل الصفة حتى جعلهـم من القـاعدين بسبب هـذه الشـيخوخة ، والكهولة هى عنفـوان الشباب ما بين الثـلاثين والأربعين ، وأنظر مدى الجهل باستعمالات العربية فى بناء الكلمة والاستعمالات العربية فى مدلولها .

وقوله (فكيف يترك أبو هريرة الطفل الذى يبـلغ سن العـاشرة) ولسنا فى حاجة الى التنبيه على هـذا السقوط الفاحش من حيث الاعراب والأسـلوب والاسـتعـمال اللغـوى لمفردات الجملة ، واليك البيـان أن الطفـل هـو المـولود من الانسـان والحيوان ومن يدرج على الأرض ، ويدخل الوليمة من غير أن يدعى فلا يرده أحد لصغره ومن ثم قيل لمن يدخل مكانا ليس هو من أهله متطفل ويقال كذلك اللشيخ الهـرم القاعـد الذى وصفه هـذا المدعى ببلوغ سن التمام والتكليف طفلا قال أبو كبير :

أزهير ان يسبح أبـوك مقـصرا
طفـلا ينـوء اذا مشى للكـلكل

أراد أنه يقـصر عمـا كان عـليه ويضعف من الكبر ويرجع الى حـد الصـبا والطـفولة حنين الجـذع واستنكاره من أهل البـدع والـرد عليهم

أخرج البخـارى عن جـابر بن عبد الله رضى الله عنهما « ان امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صـلى الله عليه وسلم يارسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فان لى غلاما نجارا قال : ان شئت ، قال : فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر الذى صنع فصاحت النخـلة التى كان يخـطب عندها حتى كادت أن تنشـق فنـزل النبى صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت ، قـال بكت على ما كانت تسمع من الذكر » رواه البخارى وأحمد .

وقد بنى أصحـاب ذلك الـكتاب المشبوه اعتراضـهم على أن القـرآن

ينفى عن النبى صلى الله عليه وسلم اسماع الموتى أو اسماع الصم الدعاء ، فكيف يسمع الجماد ، مع أن هؤلاء الذين لا يستطيع اسماعهم بشر فكيف بالجمادات ؟

وعلى هذا يكون الخبر مناقضا لمنطق القرآن الكريم .

(والجواب) أن هذا الخبر هو التطبيقة الصحيحة المفسرة والمصدقة لكثير من المعانى القرآنية قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خشعا متصدعا من خشية الله » « يوم نقول لجنهم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » « فقال لها وللأرض أتينا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين » .

وقد حدثت المعجزة على مشهد من الصحابة ، وماذا فى نطق الجذع بالحنين من الاستحالة ونحن نعيش فى خضم هائل من الجمادات الناطقة والمتحركة والكاتبة والحاسبة والعاقلة قال الشاعر محمود غنيم رحمه الله فى الراديو :

شاد ترنم لا طير ولا بشر
يأيها الحادى أين العود والوتر ؟

انى سمعت لسانا قد من خشب
فهل ترى بعد هذا ينطق الحجر

وأما استشهاده بقوله تعالى « انك لا تسمع الصم الدعاء » فانه الصم المجازى وهو اعراض المعاندين والمكابرين عن سماع الذكر ، وهم الذين أشار القرآن اشارة صريحة فيها مقارنة بينهم وبين الحجارة « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله » واسمع قوله تعالى « يريد أن ينقص » وقال زيد الخيل .

لما أتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع

قال الامام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٥ : « كل ما قيل يحتمله اللفظ ، والأول صحيح ، فانه لا يمتنع أن يعطى بعض الجمادات المعرفة فيعقل كالذى روى عن الذى كان يستند اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول عنه حن . وثبت أنه قال : ان حجرا كان يسلم على فى الجاهلية انى لأعرفه الآن » وكما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «قال

ثبير : اهبط فانى أخاف أن يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله » فناداه حراء الى يارسول الله » وفى التزيل « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » الآية • وقال القرطبى فى تفسير سورة سبحان :

أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح ثم قال عند قوله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) واختلف فى هذا العموم هل هو مخصص أم لا فقالت فرقة ليس مخصوصا ، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر • وقالت طائفة هذا التسبيح حقيقة ، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ، ولو كان ما قاله الأولون أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمر مفهوما ، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه الى أن قال : ومن هذا – يعنى تسبيح كل حى نام – قول عكرمة : الشجرة تسبح والاسطوان لا يسبح ، وقال يزيد الرقاشى للحسن وهما فى طعام وقد قدم الخوان : أيسبح هذا الخوان ياأبا سعيد ؟ فقال : قدكان يسبح مرة يريد أن الشجرة فى زمن نموها واعتدالها كانت تسبح ، وأما الآن فقد صار خوانا مدهونا (قلت) ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال : « انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما احدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » قال فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال : « لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » فقوله صلى الله عليه وسلم « مالم ييبسا » أشارة الى أنهما ماداما رطبين يسبحان فاذا يبسا صارا جمادا وفى مسند أبى داود الطيالسى : فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال : « لعله أن يهون عليهما العذاب مادام فيهما من بلولتهما شيء » قال علماؤنا : ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور ، واذا خففت عنهم بالأشجار فكيف بالقرآن يقرؤه الرجل المؤمن • وعلى التأويل الثانى لا يحتاج الى ذلك فان كل شيء من الجماد وغيره يسبح •

(قلت) ويستدل لهذا التأويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه وتعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) وقوله (وان منها لما يهبط من خشية الله) على قول مجاهد وقوله (وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) وذكر ابن المبارك في دقائقه : أخبرنا مسعر عن عبد الله بن واصل عن عوف بن عبد الله قال : قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : ان الجبل يقول للجبل : يافلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فان قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الآية قال : أفتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير وفيه عن أنس : مامن صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الأرض بعضها بعضا ياجاراه ، هل مر بك اليوم عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ، ومن قائلة : نعم فاذا قالت نعم رأت لها بذلك فضلا عليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا مدر ولا شيء الا شهد له يوم القيامة) رواه ابن ماجة فى سننه ومالك في موطئه من حديث أبى سعيد الخدرى وخرج البخارى عن عبدالله بن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) قال القرطبى :

وخبر الجذع أيضا مشهور فى هذا الباب خرجه البخارىفى مواضع من كتابه ، واذا ثبت ذلك فى جماد واحد جاز فى جميع الجمادات ولا استحالة فى شيء من ذلك وقيل : تسبيح الجمادات أنها تدعوا الناظر اليها الى أن يقول : سبحان الله لعدم الادراك منها وقال الشاعر :

تلقى بتسبيحه من حيث ما انصرفت
وتستقر حشا الرابى تبرعاد

أى يقول من رآها سبحان الله خالقها . فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك . ولو كان ذلك التسبيح دلالة فأى تخصيص لداود ، وانما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والانطاقبالتسبيح كما ذكرناه وقد نصت السنة على مادل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء فالقول به أولى والله تعالى أعلم .

للبحث بقية

محمد نجيب المطيعى

الناس والأسرار

للأستاذ السيد حسن قرون

الناس أخياف (١) ازاء الأسرار ، منهم من يخفيها حتى تكاد تموت ، ومنهم من يبديها حتى تنتشر وتفوت ، وكتمان السر كسائر السجايا والخلال ، منه ما يحمد ، ومنه مايذم ، وقد يكون افشاء السر واجبا حين يتعلق بالشهادة حتى لا تضيع الحقوق ، وتهدر الدماء « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » وقد أخذ كتمان السر أو افشاؤه ساحات شاسعة في الكتب العلمية والأدبية على السواء لماله من أثر عظيم في حياة الناس لأنه يتصل بحياتهم وأعراضهم وكراماتهم كأفراد وجماعات ، وقد يمس شئون الدولة في صميمها ، فيعرض افشاء الأسرار حاضرها ومستقبلها للاضرار ، ومن هنا كان وضع التشريعات الداعية . والقوانين الرادعة حتى لاتقع فريسة أعدائها ولا جدال في أن كل دولة تحرص على معرفة أسرار غيرها ، وقد تجند في سبيل ذلك الجواسيس ، وتبث العيون ، وتبذل له المال الموفور والرجال الأذكياء ، ولا يقتصر البخل بالأسرار على شئون الجيوش من أسلحة وذخيرة وتجمعات وتحركات بل يتعداها الى الضن بما وصل اليه العلم من اختراعات ووسائل دمار ، وتضمها في حرز حريز ، ويقف على حراستها حراس أقوياء .

وقد يأخذك العجب من هذا المسلك وتقول في نفسك لماذا كل هذا العناء ؟ وقد يخفق قلبك فتجمع من البشر في كل القاعات أسرة تنتمي الى آدم وحواء ، ولكنك بقليل من التأمل والتبصر تجدهم لم يفارقوا طبائعهم ، ولم يتعدوا ما جبلوا عليه من حب الغلبة والتملك والسيطرة ، ان من

---

(١) مختلفون .

يبحث عن أسرار الناس وكشفها تدفعه غريزته فى طلبها ، فهو مغرم بمعرفة أسرار غيره يود بجدع الأنف أن يجعلها فى حيزه ، ليقضى بها حاجة فى نفسه ، واذا كان الأمر كذلك فلم يفرط فيها من يملكها ويقذفها من فيه الى من يجالسه ؟ لنا أن نقول : ان افشاء الأسرار من قبيل ماذكرنا ، فمعلن السر يستهويه أن يرى وقع حديثه فيمن يحدثه ، ويسره أن يراه منجذبا اليه ، مقبلا عليه متأثرا بما افضى به اليه ، وقد يتطلع الى العواقب والنتائج من هواتف الخير أو دوافع الشر وربما تدخل المال والمال هو الدنيا كما يقول شوقى ، فيحل عقدة اللسان ، وينزل العصم من عليائها،فيصير البعيد قريبا ، والمستور ظاهرا ، والعزيز هينا • ولأن السر ثقيل محمله ، فلق صاحبه لا يصونه الا الصابر القادر قال الشاعر :

لا أكتم الأسرار لكن أنمها
لا أدرع الأسرار تغلى على قلبى

وان أحق الناس بالسخف لامرؤ
تقلبه الأسرار جنبا الى جنب

وان عد هذا الشعر من الفكاهة الا أنه يعطيك صورة حامله ، وليس الناس سواء وليس الشعراء كلهم على مذهب صاحب هذا الشعر •

ولأسلافنا مجالات ومقالات فى هذا الأمر الخطير ، تراهم ناصحين بكتمان السر حينا ، معجبين بحامله حينا ، هازئين بالضعاف نحوه فى أغلب الأحايين ، ويستحسنون الموقف الكريم منه ، ومما استحسنوا قول العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ ان هذا الرجل ـ يعنى عمر بن الخطاب الخليفة ـ قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عنى ثلاثا : لا يجربن عليك كذبا ،ولا تفشين له سرا ، ولا تغتب عنده أحدا فقيل لابن عباس : كل واحدة منهن خير من ألف دينار ، فقال : كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف •

كما استحسنوا ما جرى بين معاوية وابن أخيه ، فقد رووا أن معاوية أسر الى ابن أخيه عثمان بن عنبسة حديثا ، قال عثمان : فجئت الى أبى ، فقلت : ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به ؟ قال : لا ، انمن

كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا . فقلت له : أو يدخل هذا بين الرجل وأبيه ؟ فقال : لا ، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بافشاء السر . فرجعت الى معاوية فذكرت له ذلك . فقال : أعتقك أخى من رق الخطأ . ومما يعزى الى على بن أبى طالب :

فلا تفش سرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيحا

وانى رأيت غواة الرجا
ل لا يتركون أديما صحيحا

ويختلف (١) الرواة فى نسبة ذلك الشعر اليه ، فقائل يقول هوله ، وآخرون يقولون قاله متمثلا ، ولم يختلف فى أنه كان يكثر انشاده . منهج سديد ،وتربية صالحة ،وتوجيه سليم تراه فى أقوال العباس ومعاوية وعلى لا تجد فى أى قول خللا ،وفى ضوء هذا التوجيه قال المهلب بن أبى صفرة : أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر .

ويدور هذا الخلق الكريم مع الحضارة الاسلامية فيتعمقون في فهمه، ويميزون بين افشاء السر والكذب ، فيقول المبرد :

ان النموم أغطى دونه خبرى
وليس لى حيلة فى نقدى الكذب

ويجعلونه سمة رائعة على الرجل المهذب الذى يعد لشغل الوظائف العليا ، ومن ثم نشأت وظيفة « كاتم السر » لمن يكون عيبة الحاكم وعنده أسرار الدولة ، ومن ثم كان مطلبا ملحوظا فيمكن يراد لتولى الأعمال ، وانظر معى فى كتاب الحسن بن سهل (٢) الى محمد بن سماعة القاضى تجده يشترط شروطا فى الرجل الذى يستعين به فى أموره ، وفي المهم منها « كتمان السر » فقد بدأ رسالته هكذا : أما بعد ، فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير ذى عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ليس بظنين فى رأيه ، ولا بمطعون فى حسبه ، « ان أؤتمن على الأسرار قام بها » .. لما للأسرار من خطورتها

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢

(٢) وزير المأمون .

عند افشائها ولا بد من التأكد من أخلاق من يراد لحمل أمانة الأسرار .

ولا جدال فى أن أسلافنا كان المنار واضحا أمامهم من كتاب الله وسنة رسوله ، فما يتدارسونه منهما يضىء لهم الطريق ، ويبين لهم المنهج وفى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الهداية ، وقواعد الأخلاق ، والقدوة الحسنة ، ففى كل شئون الدين والدنيا بيان منه ، وأخذ عنه ، ولقد كان له فى صيانة الأسرار منهج قويم ، وتشريع عظيم . قال كعب بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ، فجعل للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريده ، ومعنى ذلك أن غزواته ما عدا تبوك كانت تؤدى فى سرية تامة ، وما جرى حين فتح مكة يعطينا صورة كاملة لذلك المنهج الحميد . قال الرواة (١) : ان مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح . فقال لها : أمسلمة أنت ؟ قالت : لا . قال : أمهاجرة جئت ؟ قالت : لا . قال : فما جاء بك؟ قالت : احتجت حاجة شديدة . فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحملوها وزودوها ، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا ، واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته : « من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة ، اعلموا أن رسول الله يريدكم ، فخذوا حذركم » . فخرجت سارة ، ونزل جبريل بالخبر ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد ـ وكانوا فرسانا ـ وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة (خاخ) فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها ، فان أبت فاضربوا عنقها ، فأدركوها فجحدت وحلفت ، فهموا بالرجوع ، فقال على : والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ، وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك ، فأخرجته من عقاص شعرها ـ أهدر دمها بعد الفتح ـ ثم عادوا بالكتاب الى رسول الله ، فاستحضر الرسول حاطبا ، وحقق معه كما نقول اليوم

(١) كتب السيرة والتفسير .

وقال لـه : ما حملـك عليـه ؟ فقال : يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منـذ نصـحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولـكنني كنت امرأ ملصقا (١) في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكـة يحمـون أهاليهم وأموالهم غيرى ، فخشيت على أهلى ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا ، وقـد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه ، وأن كتابي لا يغنى عنهم شيئا ، فصـدقه وقبل عـذره • فقـال عمـر : دعنى يا رسـول الله أضرب عنق هـذا المنافق • فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقـال لهم : اعملـوا ما شئتم فقد غفرت لكم • ففاضت عينا عمر • ونزلت سورة الممتحنة وفيهـا يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عـدوى وعدوكم أوليـاء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بمـا جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهـادا فى سـبيلى وابتغـاء مرضـاتى تسرون اليهم بالمـودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » والفعلة التى أتاها حاطب عقوبتها القتل ـ كما أراد ذلك عمر ـ ولكن عفو الرسول وخصـوصية أهل بـدر نجيـاه من الهلاك ، واذا كانت الخصوصية لأهل بدر فان غيرهم لو فعلـوا فعلته فلن ينجوا من العقاب ، لأن فى تركهم دون عقاب يعرض الدولة ومرافقها للخطر ويدفع ضـعاف النفـوس الى ارتكاب الجرائم والاستهتار بمصالح الوطن •

ونحن حين نقرأ هـذا ونقـرأ معه تاريخ العرب فى جاهليتهـا نعجب • بما كانوا يزاولونه من شئون السـلم والحرب ومدى ما عرفوه من كيـد الأعداء ومعرفة الأسرار والضن بهـا والطرق المؤدية الى كشف الأستار ، والوقوف على الأسرار ، ومن الوسائل التى تسـتخدم فى عصرنا الحـديث التراسل عن طريق الرمز أو اللحن كما يسميه أبو على القالى فى أماليه ، ونسميه اليوم (بالشفرة) وفى النادرة الآتية مصداق لما نقول • قالوا (٢) : وقع رجل من بنى العنبر أسيرا فى

(١) من لخم حليف بنى أسد •

(٢) الأمالى ج ١ تفسير اللحن •

بكر بن وائل ، فسألهم رسولا الى قومه فقالوا له:لاترسل الا بحضرتنا؟ لأنهم كانوا أزمعوا غزو قومه ، فخافوا أن ينذر عليهم ، فجيء بعبد أسود . فقال له : أتعقل؟قال : نعم ، انى لعاقل قال : ما أراك عاقلا ، ثم ماهذا ؟ - وأشار بيده الى الليل - فقال : هذا الليل . فقال : أراك عاقلا . ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ فقال: لا أدرى وانه لكثير . فقال : أيما أكثر : النجوم أو النيران ؟ فقال :كل كثير . فقال - وهنا بدأت الرسالة - أبلغ قومى التحية ، وقل لهم :ليكرموا فلانا - يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر بن وائل - فان قومه لى مكرمون وقل لهم : ان العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء ، وأمرهم أن يعروانافتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حيسا ، واسألوا الحارث عن خبرى . فلما أدى العبد اليهم الرسالة قالوا : لقد جن الأعور ، والله مانعرف له ناقة حمراء ، ولا جملا أصهب . ثم سرحوا العبد ، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : وهنا فسر الشفرة - لقد أنذركم . أما قوله : قد أدبى العرفج فانه يريد أن الرجال قد استلأموا ، أى لبسوا ، الدروع ، وقوله : شكت النساء أى اتخذت الشكاة للسفر ، وقوله:ناقتى الحمراء أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب . وقوله : بآية ما أكلت معكم حيسا ، يريد أخلاطا من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط ، فامتثلوا ما قال ، وعرفوا فحوى كلامه .

أرأيت أن التاريخ يعيد نفسه وأن الأسرار وكتمانها والبحث عنها ، والمراسلة باللحن أو الرمز أو ما نسميه (الشفرة) عرفها العرب واستخدموها وحلوها ، وزادهم الاسلام معرفة وثقافة وحضارة ، وتعاملوا مع الأعداء بمهارة.وعبقرية ولقد كان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقوم بكشف أسرار أعدائه بنفسه ، فيذهب متخفيا فى زى تابع

لا أمير ، ويقف على قوة عدوه ونياته كما فعل حين فتح فلسطين •

ان الانسان بطبعه يحس مكامن الخطر ، ويشعر من داخله بالأسلحة التى تكون له أو عليه ، وكلما اتسعت معرفته انكشفت له وسائل عدوه من مكر وخديعة ، وهدى الى الاحتياط فى جل أموره ، فأخذ بما ينفع ، وترك ما يضر ، وأكبر ما تهتم به الدولة المحاربة أسرارها الحربية ، لذلك كان كتمان السر فضيلة يدعو اليها الشرع ، ويهتف بها الوطن ، وعلى الانسان أن يبعد عن الثرثرة والحديث ، فالحديث ـ كما قيل ـ ذو شجون ، ومتى يسلم الانسان من الخطأ اذا ترك نفسه للشجون •

السيد حسن قرون

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٨ —

لم تكن الروح الاسلامية التى تمتلىء بها جوانحه محل شك من أحد الا أن الكيف الذى كان يغلب عليها وتتميز به كان هو الكيف الذى يتميز به الشاعر فى احساسه بالأشياء وادراكه للحقائق • وفهمه للأمور وهو من غير شك طابع انفرد به الشعراء عن الناس جميعا فى تصورهم للمعانى ، وتذوقهم للكائنات بصرف النظر عن الأجناس أو الأنواع التى تنتسب اليها ، ويظهر ذلك كله فى كل شعيرة كان يتناولها بالحديث ، أو كل تكليف من التكاليف التى تعبد الله بها خلقه ، وطلب اليهم أن يجعلوها همزة لوصل بينهم وبينه ، ونحن لا ننكر على الشعراء هذا التصور ، أو ذلك الادراك ؟ لأنهم انما يرون الأشياء دائما أبدا بعين البصيرة لا بعين البصر ، وعين البصيرة من شأنها الكشف عن جوانب الحسن أو القبح ، اذ أنها عندهم هى الجوانب التى تتصل بالجمال أو الحسن أو الذوق وما شاكل ذلك مما هو أقرب صلة بالروعة والبهجة وما يراد فهما مما تنفعل به الوجدانات والعواطف التى يعيش لها هؤلاء الناس ، وهكذا سنة الحياة وأسلوب الاحساس ، بها ، أو التذوق لها ، وفهم الحقائق منها ، واختلاق أبناء آدم وبنات حواء فيها ، ولهذا كثرت العناوين بين العلماء والفلاسفة والأدباء والمذاهب والمبادىء على حسب تلك المسوح التى يرتدى بها كل من الأفراد والجماعات ••

وأغلب الظمن أن شاعرنا فى هذه الاسلاميات كان شاعرا بمعنى الكلمة أو على الأقل كان حديثه حديث الشاعر الذى يهزه منها جوانب أخرى

غير تلك الجوانب التى تجر المسلم الى ناحية الفعل أو الترك .. وهـذا موقف من تلك المواقف التى تتعرض لهـا بالدراسـة والتحليل لننظر الى اى حد كانت تهزه العاطفة الاسلامية ومع هذه الهزة أو الانفعـال الى أى مدى كانت تسـوقه الى الاستجابة ، والزام داعى الفعـل أو الترك ، واذا كان الشعراء قد اتهمـوا بالانصراف عن عالم النسك والعبادة ، والخضوع والخشوع الى الله جل جلاله وأنهم انما يحبـون لشهواتهـم العاجـلة ، ودنياهم التى تفيض بالمتعة ، وتطفح باللذة ، وتمتلىء بحبائـل الشيـطان الممدودة لهم فى كل ناحية فيها زهر وورد ، وعطر ورياحـين ، وحسن وجمـال ، وسـحر وفتنـة ، فـان أبا نواس قـد هـزته أحاسيسـه الى البيت الحرام الذى حج اليه ، وطاف به ، وقال هنالك أرجوزته المشهورة فى التلبية « الهنا ما أعـدلك » التى نحفظها عنه .. وكذلك كان عمر بن أبى ربيعة الذى بلغ من نسـكه فى آخر أيام عمره ألا يقـول بيتـا من الشعر الا أعتق عنه رقبة ، فلما رأى فى المطاف بالبيت الحرام شابا يقطع الطريق على فتاة هنـالك سـأله فى لهجة من التقريع والتوبيخ عن هـذا الصنيع الذى لا يليق بكرامة بيت الله وكان مما عرفه من أمره أنها ابنـة عمه ، وأنه يرهقـه بالمهر الـذى لا يستطيعه ، وأنه يحبها حبا شديدا ، وأن هـذا الارهاق يقف فى سبيـله حجر عثرة ، وأنه لا يملك الا مثل هذه الفرصة السانحة ، وقد رق له قلب عمر فدفع له المهـر . وسـجل ذالك الحادث فى شعر تضمنه ديوانه وأعتق عن كل بيت رقبه ، كما التزم على نفسه ، ولهذا فاننا نعجب أشـد العجب اذا علمنا أن صاحب الاسلاميات يدعوه سيد البلاد ــ فى هذا الوقت ــ الخديو عباس أن يكون رفيقـه فى الحج الى بيت الله الحرام فلا يكون منه سوى ذلك العذر الذى هو أقبح من الذنب ، وقد كانت هذه الصحبة شرفا لا يظفر به الا قليل من الناس الذين لم يتطاول الشاعر الى مستواهم أو يدنوا الى منزلتهم ، ولو أن هـذا العذر كان شيئا من المرض الذى يحول بينه وبين المشقة المترقبة ، أو معنى من الاضطراب فى الطريق ، وعدم توافر الأمن والسلامة لمن يجتازه أو يمر

به لقلنا ان الفريضة غير محتومة ، أو ان الواجب غير ملزم ، لكن تلك الفلسفة التى يدور صاحبنا فى رحاها كانت عنوان جوانب الضعف منه . وفى اعتقادى أن الرفاهية التى نشأ عليها ، والبلهنية التى ألفها، هى ذلك العذر لا أكثر ولا أقل ، وكثير من أولئك الذين عاشوا فى الترف ، وانحدروا من بيوت مجد ، ومرنوا على لون خاص من النعمة ، ربما شق عليهم أن تخطو بهم أقدامهم . أو تجول بخواطرهم الأمانى والأحلام، وليست المسألة كما يقول .

ويارب هل تغنى عن العبد حجة
وفى العمر ما فيه من الهفوات

وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر
ولم أبغ فى جهدى ولا خطراتى

ولا جال الا الخير بين سرائرى
لدى سدة خيرية الرغبات

ولا حملت نفس هوى لبلادها
كنفسى فى فعلى وفى نفثاتى

وانى ولا من عليك بطاعة
أجل وأغلى فى الفروض زكاتى

أبالغ فيها وهى عدل ورحمة
ويتركها النساك فى الخلوات

وعلى الرغم من أن هذه القصيدة قد تضمنت كثيرا من الصور البيانية الرائعة فى حكمة مشروعية الحج ، وفى شكوى حال المسلمين من الفرقة والتنافر والبغضاء ، وفى التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنها تشبه موضوع الانشاء الذى يحدد الاستاذ نطاقه ، ويرسم أبعاده وحدوده ، فيتجاوز التلميذ اطاره ، وخط السير الذى يجب أن يلتزم به ويعيش فى داخله ، ولو أن رجلا من عامة الناس تفضل على زميل له ، أو صديق يخصه بوده ، وأعلن اليه أنه يسره أن يكون مصاحبا له فى الرحلة الى بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج التى جعلها الله واجبا محتوما لمن استطاع اليه سبيلا ،فقابل منه هذا الصنيع الكريم بمثل هذا القول « ويارب هل تغنى عن العبد حجة » ، لما كان منه الا أن يعتبر هذا العذر مجافيا للذوق ، مجانبا للياقة ، نابيا عن الأدب ؛ لأنه يشبه التعريض بأن الداعى طالما انحرف اقترف ، وارتكب واتكب ، وبغى وطغى ، وبخاصة اذا ما أضاف الى ذلك أن الشاعر يضيف الى هذا حديثه عن

نفسه ، واشادته بمكارم أخلاقه ، ومن العيب كل العيب للشاعر وهو بصدد الحديث عن ممدوحه أن ينحدر من ذلك الى الحديث عن نفسه ، ولهذا فان سيف الدولة الحمدانى وقد كان المتنبى ينشده قصيدته التى ابتدأها بقوله : « واحر قلباه ممن قلبه شبم » فلما وصل الى هذا البيت منها .

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال له أبو فراس وكان حاضرا وماذا أبقيت للأمير من المديح يادعى كندة ، وقد أهاج بذلك حفيظة سيف الدولة فرماه فى وجهه بالدواة ، اعلانا عن السخط عليه ، والغضب منه ، وكأنما كان ذلك كله اقرارا لهذا النقد ، واعترافا به ، وهو رجل كان يتذوق وينقد ، ويميز بين الجيد والردىء ، على أننا ونحن نتجاوز هذه القصيدة بخيرها وشرها وعجرها وبجرها ـ كما يقولون ـ سنجد عنده قصيدة أخرى يقولها لصديقه الدكتور محجوب ثابت وقد اعتزم السفر الى تلك الأماكن المقدسة .

محجوب ان جئت الحجا
ز وفى جوانحك الهوى له

شوقا وحبا بالرسو
ل وآله أزكى سلاله

فلمحت نضرة بانه
وشممت كالريحان ضاله

وعلى العتيق مشيت تنـ
ـظر فيه دمعك وانهماله

ومضى السرى بك حيث كا
ن الروح يسرى والرساله

وبلغت بيتا بالحجا
ز يبارك البارى حياله

الله فيه جلا الحرا
م لخلقه وجلا جلاله

فهناك طب الروح طب
العالمين من الجهاله

وهناك أطلال الفصا
حة والبلاغة والنباله

وهناك أزكى مسجد
أزكى البرية قد مشى له

قبل ثراه وقل له
عنى وبالغ فى المقاله

شوقى اليك على النوى
شوق الضرير الى الغزاله

وهى لون آخر من الحديث قد يمتاز بخفته على السمع ، وحلاوته فى المنطق ، وجمال وقعه فى النفس وربما كان ذلك للوزن الذى اختاره الشاعر ، أو لأن الخطاب كان موجها للدكتور محجوب وهو الرجل الذى كان خفيف الظل ، حاضر البديهة حلو الفكاهة ، يتشوف أصدقاؤه ومعارفه الى حديثه فى السياسة والاجتماع ويهش للاصغاء اليه كثير من أرباب الفكر والذوق ، والرأى والعقل ، والعلم والأخلاق على الرغم من أنه كان طبيبا بشريا ، وقد كان له معه مداعبات لطيفة ، ومنها القصيدة التى يوجهها اليه وقد اشترى سيارة بعد حصانه المكسويتى الذى كان يركبه وأولها

لكم فى الخط سيارة
حديث الجار والجارة

ويعزى فيها هذا الحصان بأن دولته زالت ، وأن عهده تولى وكأنما أصبح فى ذمة التاريخ ، اذ يقول :

أدنيا الخيل يامكسى
كدنيا الناس غداره

واذا كنا نعرض لتصوراته عن الحج ، واحساسه به ، أو بغيره من التكاليف الاسلامية ، بهذا الأسلوب أو نتهمه بأنه كان أشبه بالرسام الذى يسبيه من الأشياء ظلالها وألوانها فيضفى هو عليها من فنه ما يجعل لها حقيقة أخرى غير تلك التى يدركها الناس ، فاننا لا نعنى من وراء ذلك أن نجرده من الفضل ، أولا نعترف له بالأيادى التى أسداها ، وهو الذى كسى كثيرا من مقدساتنا الاسلامية بحديثه عنها ، أو وصفه لها أثوابا من الملاحة والحسن ، والوضاءة والزخرف ، والبهجة والجمال ، جعلها تبدو لنا وكأنما هى تلك الحقيقة التى تدور فى رءوسنا بالأمانى والأحلام ، عليها لباس من السحر ، وشىء من الفتنة .. وما من انسان يقرأ له عن الحج فى كتابه أسواق الذهب « موكب الاسلام ومظهره ، ولباب حسبه وجوهره ، فيا أيها المعتزم حج البيت ، المشمر لأداء الفريضة ، لقد أطعت فهل استطعت ، وأجبت فهل تأهبت ، وهل علمت أن الاسلام شرعه السماحة وأن رب البيت واسع الساحة ، يعفى المريض حتى يعافى ، ويقيل المعدم حتى يجد ولا يؤاخذ ، أخا الدين حتى يقضى دينه ولا يقضى على الخائف القرار حتى

تأمـن السبـيل من وباء مهـتاج ، أو
لصـوص قد أخـذوا الفجـاج ، أو
حكومة جائرة تبتز الحجاج ..

كبرى الكبائر أن تلقى الله فى بيته
وبين وفده بمال خلسته من أحد اثنين
يحبهما الله حبا جما ، اليتـيم ، وأنت
تعلم أن ماله نار ، وأنه تحس الدرهم
تحاسى الدينار ، والفقير ، وقد فرض
الله له فى برك حصا سماها الزكاة ،
فتغابيت يامخادع الله ، وخرجت بهـا
تحج للتظاهر والمباهاة .. وهل علمت
أن الله لا يقبل منك مالا ، ونفقة المطلقة
من مطل معلقة ، وذو القربى وراءك
جائع ، والولد طريد المدارس ضائع
وتجـارتك مختلة ، وأماناتك معتلـة ،
وجارك الضعيف يضـج من حيفك ،
وخصيمك الأعزل يشكو سطو سيفك
فـان لم يكن شىء من ذلك أو ممـا
اليه فسر على اسم الله ، وحج بيت الله
وارجع برضوان من الله ، ثم لا يهزه
هذا البيان وهو ـ كما ترى ـ حديث
الأديب الأريب ، والحـكيم اللبيب ،
الذى يدرك أن الدين سلوك ومعاملة
وأخلاق ومجاملة لا تكاليف ، لا يفهم
الناس معنى تحصيلها ، ولا كيف يكون
الجرى فى سبيلها ، وان كنا نعتقـد
تمام الاعتقاد أنه فى هذا الحديث مهما
تأنق وتألق ، وأجاد الصنيع ، وجاء
بألوان البديع ، فان حديثه اذا كان عن
المشاهدة والمكابدة كان أبـلغ أثرا ،
وأحسن موقعا ، وأشـفى للفـؤاد ،
وأرضى للنفس ، وأمتع للخاطر ، وقد
كانوا يقولون « فما راء كمن سمع »
ونحن لانشك فى أن كتاب «فى منزل
الوحى » الذى كتبه المرحوم صاحب
« حياة محمد » بعد المشاهدة والمكابدة
ـ كما نقـول ـ كان ثـروة طائـلة
غنمناها ، ورصيدا ضخما أضفناه الى
تلك المؤلفات التى تصلنا بأمجادنا ،
الدينية ومعارفنا الاسلامية .. على أن
هذا الحديث الذى جال بخاطر شوقى
فى قصيدة « الى عرفات الله » أو قصيدة
الدكتور محجوب أو ما قلناه من كتاب
« أسواق الـذهب » اذا أضفـنا اليـه
قصيدة أخرى كان قد رفعها الى دار
الخلافة يشكو فيها ظلم أمير الحجـاز
حينئذ ولعـله الحسـين بن عـلى من
الأسرة الهاشمية ـ المزعومة ـ الذى
كان يـرهق الحجـاج بالضـرائب
المفروضة ، ولا يوفر لهم الأمن اللازم
والراحة المناسبة ، ويجعلهم وهم فى
جواره أشبه بالأيتام فى مأدبة اللئـام

هنالك نرى أن تلك الروح الدينية التى تملأ جوانحه ، وتفيض بها نفسه وتتدفق بها خواطره ، كنا نفتقدها فى غيره فلا نجدها ، ونبحث عنها فلا نعثر عليها ، أو نظفر بها ، والى جانب ذلك كلهفان أضخم كاتب من كتاب المقالات الصحفية أو سواها ، وهو متحرر من قيد الوزن والقافية لو حاول أن يدافع عن دينه ، أويرد نزوة طائش متسلط أو كاشح حاقد ، أو عدو يضمر له شيئا من الشنآن والبغض ، لما استطاع أن يصل الى شأوه ، أو يشفى من نفوس المحبين لهذا الدين بعض ماكان هو يشفيه

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الأمم

قد مسها فى حماك الضر فاقض لها
خليفة الله أنت السيد الحكم

لك الربوع التى ريع الحجيج بها
أللشريف عليها أم لك العلم

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا
ان أنت لم تنتقم فالله منتقم

أفى الضحى وعيون الجند ناظرة
تسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم

ويسفك الدم فى أرض مقدسة
وتستباح بها الأغراض والحرم

يد الشريف على أيدى الولاة علت
ونعله دون ركن البيت تستلم

أدبه أدب أمير المؤمنين فما
فى العفو عن فاسق فضل ولا كرم

لا ترج فيه وقارا للرسول فما
بين البغاة وبين المصطفى رحم

ما كان طه لرهط الفاسقين أبا
آل النبى بأعلام الهدى ختموا

خليفة الله شكوى المسلمين رقت
لسدة الله هل ترقى لك الكلم

الحج ركن من الاسلام تكبره
واليوم يوشك هذا الركن ينهدم

من الشريف ومن أعوانه فعلت
نعمى الزيادة مالا تفعل النقم

عز السبيل الى طه وتربته
فمن أراد سبيلا فالطريق دم

دكتور/ابراهيم على ابو الخشب

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

— ٧ —

وهناك مصـدر آخر للقدوة ـ غير القدوة المطلوبة من المربى ـ يتأثر بها الشباب أيما تأثير ألا وهى النمـاذج المشرفة من شـبيبي الاسـلام ، التى تنهض دليلا قويا على عمق التأثير الذى يوجده التدين والايمان بالله فى نفس الانسان ، ومن ذلك ما يـروى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، كان من عادته أن يطوف بالليل،يتفقد شئون رعيته ، وذات ليلة كان الفاروق يسير على عادته فى طرقات المدينة ، ومعه مولاه أسلم ، فلما طـال المطاف بعمر أستند الى جدار بيت فى جوف الليل ، واذا به يسمع أمرأة داخـل البيت تقول لابنتها : « يابنتاه ، قومى الى اللبن فامذقيه (أى أخلطيه) بالماء فانك قد أصبحت » .

واذا الفتاة تجيب أمها وأحب الناس اليها وأعزهم عليها : « أو ما عـلمت يا أماه بما كان من عزمة (أمر) أمير المؤمنين اليوم ؟

قالت الأم : وماذا كان من عزمته يابنيتى ؟

قالت الفتاة : لقد أمر مناديه فنادى فى الناس الا يشاب (أى لا يخلط) اللبن بالمـاء .

فعادت الأم تقول فى تحـريض : قومى يا ابنتى الى اللبن فامذقيه بالمـاء فانك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر .

فغضبت الفتاة وردت قائلة : يا أماه والله ماكنت لأطيعه فى الملا وأعصيه فى الخـلا ، وان كان عمر لا يـرى فرب عمر يرى ، والله ماكنت لأفعله وقد نهى عنه » .

وليتدارس شبابنا من أمثلة البطولة الرائعة موقف الحسين رضى الله عنه وهو يواجه فى اثنين وسبعين رجـلا جيشا مكونا من أربعـة آلاف فارس فاتك ، فقد كان يستطيع بكلمة تصدر منه أن ينجو هو ومن معه من الموت

الذى كان ينتظرهم جميعا ، ولكن الحياة عندهم كانت لا تساوى شيئا مع الشعور بالذل والرضا بالهوان ، فابى رضى الله عنه أن يغالط ضميره وشعوره ، وقال يرد على الحر ابن يزيد – وقد خوفه من الموت المحقق – أبا لموت تخوفنى .. ؟ ثم أنشد .

سأمضى وما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه
وخالف مثبورا وفارق مجرما

فان عشت لم أندم وان مت لم ألم
كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ومضى رضى الله عنه يقاتل الذين قاتلوه ، ويضرب فيهم بسيفه ورمحه حتى سقط قبل أن يسقط العلم من يده ، وكتب بدمه الذكى أروع أيات البطولة فى سجل الخلود ، ولم يخسر حياته فقد بقى حيا فى ضمير كل مسلم وسيبقى حيا فى ضمير كل بطل .

والصحابى الجليل والمجاهد القائد الشاب أسامه (بن زيد بن حارثة أنموذج رائع ومثل عظيم للشاب الذى نشأ فى طاعة الله وطاعة رسوله والعمل لخدمة الاسلام ورفعة المسلمين وقصته وقصة أسرته والمناخ الذى نشأ فيه تستحق أن تروى لشبابنا وللمسئولين عن التربية معا .

فلقد نشأ أسامة على الاسلام ؛ لأن أباه كان من أوائل الناس اسلاما فشب أسامة حتى أدرك ولم يعرف الا الاسلام لله تعالى ، ولم يدن بغيره .

وعاش فى أسرة مؤمنة مجاهدة مضحية ، فأبوه زيد بن حارثة مات مجاهدا شهيدا فى غزوة (مؤتة) وأخوه لأمه أيمن بن عبيد مات مجاهدا شهيدا فى غزوة حنين ، وأمه هى أم أيمن حاضنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهى من السابقات الى الاسلام ، ومن أهل الهجرتين ، وهى التى اشتركت فى أكثر من غزوة كأحد وخيبر ، وهى التى كان الرسول يقول عنها : (أم أيمن أمى بعد أمى) ويقول عنها :(هذه بقية أهل بيتى)

ولذلك ولغيره كان أسامة حبيبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان يقال له (الحب بن الحب) والحب – بكسر الحاء معناها الحبيب وذلك لأن أسامة كان محبوبا عند الرسول كما كان أبوه رضى الله عنهما

ولقد جاء فى السيرة أن النبى كان يحب أسامة حبا شديدا ، وكان عنده كبعض أهله ، وكان يجعله رديفه فى الركوب ـ أى يركبه خلفه ـ فى كثير من الأحيان • وكان ينظر الى أسامة كما ينظر الى سبطيه وريحانيته من الدنيا : الحسن والحسين ،رضوان الله على الجميع ، ولقد روى أسامة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن بن على ثم يقول : (اللهم أحبهما أنى أحبهما) وفى رواية أن النبى كان يقعد أسامة على فخذه مع الحسين ويقول اللهم انى أرحمهما فارحمهما) وقال الرسول عن أسامة : (من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامه) •

ولقد كان أسامة أفطس الأنف أسود اللون كأنه الليل كما يعبر التاريخ ، ولكنه كسب هذه المكانة بطهارته وصفاته ، وصدقه ووفائه ، ونضاله وفدائه ، فقد آثر الاسلام واهتدى بهديه ، وهاجر مع النبى ، واحتمل فى سبيل الله ما احتمل وتفقه فى دينه ، وروى مائة وثمانية وعشرين حديثا ، وكان يتطوع بالقربات والنوافل ، حتى انه حرص خلال حياته على الصوم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام •

وعرف أسامة طريق النضال من أجل الاسلام وهو مازال يافعا ، وكان لا يفخر بمال أو نسب ، بل كان يعتز كل الاعتزاز برضى الرسول عنه وحبه له ؛ لأن حب الرسول دليل على حب الله ، ولذلك جعل أسامة نقش خاتمه هكذا : (أسامة حب رسول الله) •

وكان الرسول يكلف أسامة من حين الى حين بشئون تتصل بأهله ،فقد استخلفه مع عثمان بن عفان رضوان الله عليهما ، ليقوما على تمريض (رقية) بنت الرسول وزوجة عثمان وقد ماتت رقية والمسلمون يجاهدون فى غزوة بدر ، فاشترك أسامة وعثمان وغيرهما فى تجهيزها ودفنها • وكان أسامة رجلا عف اللسان طيب القول ولعل من شواهد ذلك أنه لما حدثت فتنة الافك حول السيدة عائشة رضى الله عنها ، سأل النبى أسامة عن رأيه ومشورته ، فأثنى أسامة خيرا وقال خيرا • ثم قال يارسول الله ، أهلك ولا نعلم عليهن الا خيرا •

ولقد اشترك أسامة في سرية فدائية في السنة السابعة من الهجرة وهو دون المشرين بسنوات كما يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما علم بأن خالد بن الوليد أخذ الراية يوم غزوة (مؤتة) قال : فهلا الى رجل قتل أبوه ؟ . يعنى أسامة . ويستفاد من هذا الخبر أن أسامة كان ممن جاهد فى غزوة مؤتة ، كما كان النبى يراه أهلا للقيادة يومئذ .

وكان أسامة ممن ثبت الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ، بعد أن وقع الاضطراب الأليم الذى وقع فيها ولم يكن حب الرسول لأسامة الا لله وفى الله ، وعلى صراط الخضوع الكامل والخشوع الشامل أمام أمر الله ونهيه ، ومما يدل على ذلك أن القوم أرادوا من أسامة أن يشفع عند النبى فى أمر المرأة المخزومية التى سرقت، حتى لا يقيم عليها الحد ، واستجاب أسامة لرجائهم ، وشفع لها عند النبى ، وهنا لم يذكر الرسول شيئا سوى أمر الله وحقه ؛ لأن حق الله فوق كل حق ، فقال لأسامة غاضبا أو عاتبا :

(أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامه . انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

وكذلك يروى أن الرسول بعث أسامة على جيش ذات مرة ، وكانت أول تجربة لأسامة فى القتال ، فقاتل أسامة ببأس وشجاعة . يقول أسامة عن ذلك البعث : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ـ وقد أتاه البشر بالفتح ، فاذاهومتهلل وجهه ، فأدنانى منه ثم قال ، حدثنى . فجعلت أحدثه فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت اليه بالرمح ، فقال : لا اله الا الله ، فطعنته فقتلته . فتغيروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ويحك يا أسامه فكيف لك بلا اله الا الله ؟ ويحك يا أسامة فكيف لك بلا اله الا الله ؟

فلم يزل يرددها على حتى لوددت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الاسلام يومئذ جديدا ، فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا اله الا الله

بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقبل وفاة الرسول بقليل عين أسامة قائدا على جيش المسلمين المتهيء للذهاب الى غزو الروم وكان أسامة حينئذ دون العشرين من عمره وكان فى هذا الجيش أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وسعد بن أبى وقاص وقتادة بن النعمان ، وغيرهم من كبار الصحابة ، ولكن الرسول أراد بذلك أن يدرب الشباب على القيادة أولا ، وأن يمجد ذكرى والد أسامة المجاهد الشهيد ثانيا ، وأن يعلم الأمة أن القائد انما هو رمز ، فاذا أصبح فى موطن القيادة وجب على الجميع أن يسمعوا له ويطيعوا ، وأن يكونوا معه ومن ورائه يدا واحدة ووجهة واحدة وقلبا واحدا ، وبذلك تتعود الأمة الاجتماع على لواء الوحدة والتآلف .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم توفى قبل أن يخرج الجيش ، فلما تولى أبو بكر رضى الله عنه أمر المسلمين كان أول ما أصر عليه وشرع فيه هو انفاذ جيش أسامه الى غايته كما أوصى الرسول ، وزاد أبو بكر فى تكريم الجيش وقائده فخرج يودعهم ما شيا على قدميه ، والقائد الشاب فوق صهوة جواده ، وعز على القائد أن يركب والخليفة يمشى ، فقال لأبى بكر : يا خليفة رسول الله ، اما أن تركب واما أن أنزل — فأجاب الخليفة قائلا فى عزم واصرار : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ومضى القائد الشاب بالجيش الى غايته ، وكان أسامة . موفقا مظفرا ، وجاهد جهادا كريما وأوجع اعداءه وعاد بغنائم ، بعد أن مكث مع جيشه فى أرض المعركة أربعين يوما ، وعرف أبو بكر لأسامة مكانته ، واستخلفه على المدينة فى بعض الأحيان ، وكان عمر كلما لقى أسامة قال له (السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أمير أمره رسول الله ، ومات وهو على أمير) .

ولقد كان أسامة الى جوار جهاده ووفائه وفدائه — رجلا بارا بأمه ، ولقد بلغ من بره بها أن كانت النخلة قد بلغت ألف درهم ، فأقدم أسامه على نخلة فنقرها ، وأخرج جمارها ، وأطعمه أمه ، فقالوا له ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟

فقال : أن أمى سألتنيه ، ولا تسألنى شيئا أقدر عليه الا اعطيتها •

وبعد فقد استعرضنا منهج المدرسة الاسلامية فى تربية المراهق ورأينا كيف أن كل ما وصل اليه علماء التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ومن دراساتهم قد ورد فى هذاالمنهج العظيم •

ولقد وضع هذا المنهج التربوى الشامل موضع التطبيق منذ أربعةعشر قرنا ، وأثبت نجاحه التام فى المراحل التى كان تطبيقه فيها سليما ومحكما ، وظهرت آثار هذا النجاح فى قوة بناء المجتمع الاسلامى من جهة ، وفى ازدهاره وتقدمه من جهة أخرى ، وأثبتت التجارب أن المسلمين لم يقصروا عن بلوغ هذا النجاح فى مراحل من تاريخهم الا لاهمالهم بعض الجوانب الاسلامية من هذا النظام فى أساليب حياتهم وتربية شبابهم ، وان العلاج الناجح لما يصيب الشباب من أمراض الانحراف والحصانة الواقية من تلك الأمراض، انما هما فى العمل بكل ما يقوم عليه نظام ديننا الحنيف من عقيدة وعبادة ومعاملة وتربية خلقية ، واتباع لأوامر الله واجتناب لنواهيه ، وبعد عن الشبهات وفى تنمية مبادىء الدين فى أذهان الشباب وضمائرهم منذ صغرهم وتعهدهم بتلك المبادىء طوال مراحل نموهم ومقاومة العوامل التى تضعف الوازع الدينى فىنفوسهم ، واحاطتهم بجو من الاستقامة والنقاء الاجتماعى وابقاء الشخصية الاسلامية السوية فى تاريخها وبطولاتها وفضائلها ومعارفها وحضارتها ماثلة دواما أمام أعينهم ، والتصدى المستنير لكل مسالك الشكوك والاضطراب فى تفكيرهم •

محمد جمال الدين محفوظ

هل فى القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور على العمارى

— ٥ —

وهو يجعل الضمير فى (ألا يقدرون) راجعا لأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فى حين يجعله الذين لا يقولون بالزيادة كأبى مسلم الأصفهانى والفخر الرازى عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ومن كلام الفخر الرازى فى هذا المقام : وأعلم أن أكثر المفسرين على أن (لا) هنا صلة زائدة ، والتقدير ليعلم أهل الكتاب •

وقال أبو مسلم الأصفهانى ، وجمع آخرون : هذه الكلمة ليست بزائدة) •

فالطبرى مع أكثر المفسرين ، بل لعل من بعده اقتدى به فى القول بزيادة (لا) هنا •

كما يتبين عند تفسيره لقوله تعالى: « حتى اذا أسلما وتله للجبين وناديناه أن ياابراهيم » ، فهو يقول : انجواب (فلما) هو ناديناه ، والواو فيه زائدة ، وتقدير الكلام • فلما اسلما وتله للجبين ناديناه ، قال : « وادخلت الواو فى ذلك كما ادخلت فى قوله « حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها » ، ثم قال : وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو فى جواب (لما) وحتى اذا وتلقيها •

هذا مع ملاحظة أن الطبرى فى هذه الآية الثانية قال ان جواب اذا محذوف ، تقديره : (دخلوها ، وان كان نقل عن بعض نحاة البصرة القول بزيادة الواو •

٢ ـ التوقف ، وعدم ترجيح رأى على رأى ، ويظهر ذلك فى قوله : (اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » فقال بعضهم : عنى بقوله : (فلا أقسم) أقسم •

ثم روى ذلك عن سعيد بن جبير•

وقال بعض أهل العربيـة : معنى قوله (فلا) فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد ، فقيل :أقسم .. وهو يقصد بقوله (بعض أهـل العربية) الفراء ، فقد جاء فى لسان العـــرب (٢٠ـ٣٥٣) قال الفراء : وكان كثير من النحويين يقـــولون : (لا) صلة . قال : ولا يبتدأ بجحد ، ثم يجعل صلة يراد به الطرح ؛ لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه ، ولكن القرآن العزيز نزل بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجاء الاقســـام بالرد عليهم فى كثير من الكلام)

كما يظهر فى تفسيره لقوله تعالى : « وما يشـــعركم أنهـــا اذا جاءت لا يؤمنون » فقـد ذكر الرأيين وىم يرجح أحدهما على الآخر .

قال : عن مجاهد : (وما يشعركم. وما يدريكم أنكم تؤمنون اذا جاءت ، ثم استقبل بخبر عنهم فقال: اذا جاءت لا يؤمنون . وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف (انها) على أن قوله : « انها اذا جاءت لا يؤمنون» خبر مبتدأ منقطع عن الأول ، وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين) .

وهــــذا قول بأصـالة (لا) فى (لا يؤمنون) .

ثم قال : وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهـــم لا يؤمنون به ـ ففتحـوا الألف من (أن) وممـــن قـرأ ذلك كذلك عامة قـراء أهـــل المدينـــة والكوفة . وقالوا : ادخلت (لا) فى قوله : (لا يؤمنون) صلة ....وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف ، من أنها بمعنى لعلهـا ، وذكروا أن ذلك كـذلك فى قـــراءة أبى بن كعب) (١) .

٣ ـ ترجيح القول بأصالة الحرف على زيادته كلما وجـد لذلك تأويلا مقبولا ، وهذا كثير فى تفسيره .

ومن ذلك أنه سرد بعض الآراء في (لا) من قوله تعالى : « ما منعك ألا تسجد » ثم قال : (والصواب عنـدى من القول فى ذلك أن يقال : ان فى الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٧ ص ٢١١ ، ٢١٢

منــه وهو أن معنـاه : ما منعك من السـجود فأحوجك أن لا تسـجـد ، فترك ذكر (أحوجك) استغناء بمعرفة السامعين) •

ومن ذلك اختياره اصالة الواو فى قوله تعالى : (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) ، وذلك حيث يقــول : (وادخلت الواو فى قوله : « ولو افتدى به » لمحذوف من الكلام بعـده دل عليـه دخول الواو كالواو فى قـــوله : « وليـكون من الموقنين » • وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض ، فكذلك فى قوله (ولـو افتدى به) •

فلو عنده شرطية ، وجوابها محذوف تقديره : لا يقبل منه أيضا •

وقـــد أشار الى القول بالزيادة ، ولكنه حكاه فقط وسكت عنـــه ولم يرفضه ، وذلك حيث يقول : (ولو لم يكن فى الكلام واو لكان الكلام صحيحا ، ولم يكن هنـاك متروك ، وكان فلن يقبل من أحـــــدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به •

جار الله الزمخشرى :

الزمخشرى نحــوى كبير ، لذلك نلمس هذه الثقافة النحوية فى هــذه القضية ، وقد سبق أن قلنا ان كثيرا من النحـــــويين يثبتون زيادة بعض الحروف فى آى القرآن ولكنه أيضا كثيرا ما يلتمس للآية تخريجا يحتفظ فيه بأصالة الحرف •

وفى كثير أيضا يسكت عن القول فى الحـــرف بالأصـالة أو الزيادة ولا يظهــر فى تفسيره ما يدل عـلى أحدهما ، ولا ندرى سر هذا الصنيع الا أن يكون يعتقد أن زيادة الحرف أمر ليس موضع كلام •

١ ــ ولنأخـــــذ أولا الآيات التى ابتدأت (بلا) قبل فعل القســـم • لنـرى ماذا نهـــج الزمخشرى فى تفسيرها •

(فلا أقسم بمواقع النجوم) الواقعة (فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون) الحـاقة (فلا أقســم برب المشارق والمغـارب) المعـارج (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقســـم بالنفس اللوامة) القيامة (فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس) التكوير (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق) الانشقاق (لا أقسم بهذا البلد) البلد •

فهـذه سـتة مواضع جاء فيهـا (لا أقسـم) فمـاذا قال الزمخشرى فيها •

فى الموضع الأول ذكر أن (لا) مزيدة ، قال : (معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة ، مثلها فى قوله : « لئلا يعلم أهـل الـكتاب » وقـرأ الحسن : « فلأقسم » ومعناه : فلأنا أقسم •

وفى الموضع الثانى جرى أيضا على أن (لا) زائدة حيث قال : (هو اقسام بالأشياء كلها على الشمول والاحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر ، وقيل : الدنيا والآخرة ••)•

وفى الموضع الثالث لم يذكر شيئا، وكأنه اكتفى بما قاله فى الموضـعين السابقين •

ولـكنه شقق القول فى الموضـع الرابع ، واعترض وأجاب ، وصحح وأيد ، قال : (ادخال « لا » النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم واشـعارهم •••• وفائدتها توكيـد القسم ، وقالوا انها صلة مثلها فى : (لئلا يعلم أهل الكتـاب) وقوله : فى بئر لاحور سرى وما شعر (١) •

واعترضوا عليه بأنها انما تزاد فى وسط الـكلام لا فى أوله ، وأجابوا بأن القرآن فى حكم سورة واحدة ، متصل بعضـه ببعض ، والاعتراض صحيح لأنهـا لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام••••والوجه أن يقال : انها للنفى والمعنى فى ذلك أنه لايقسم بالشىء الا اعظاما له بذلك • عليـه قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) ، فكأنه بادخال حـرف النفى يقـول : ان اعظامى له باقسامى كلا اعظام ، يعنى أنه يستأهل فوق ذلك وقيل : (لا) نفى لـكلام ، ورد له قبل القسـم ، كأنهم أنكروا البعث ، فقيل : لا أليس الأمر على ما ذكرتم ، ثم قيل : أقسم بيوم القيامة) •

فهوفى هذه العبارات ينكر الزيادة، ويذكر بعض التـأويلات على أساس أن (لا) أصلية ، ثم يذكر وجهـا آخر فى (فلا أقسم بمواقع النجوم)

---

(١) البيت للعجاج ــ والحور الهلاك ، اى سرى فى بئر هلاك وما درى بذلك . انظر (مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ص ٦٠ وانظر لسان العرب جـ ٢٠ ص ٣٥٤

وربما كان نظر بها فقط بقوله تعالى : (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) . استدلالا به على أن هذه الأشياء التى دخل على القسم بها حرف النفى أشياء عظيمة .

ثم يبدو أنه يعتبر (فلا) فى وسط الكلام و (لا) فى ابتدائه ، بدليل تفريقه بين : (فلا أقسم بمواقع النجوم) حيث حكم بزيادة (لا) وبين (لا أقسم بيوم القيامة) حيث حكم بأصالتها .

وفى الموضع الخامس لم يذكر شيئا عن (فلا أقسم) .

وفى الموضع الأخير قال : (أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد) .

وهذا الصنيع يحتمل أنه يقول بزيادة (لا) كما فى (فلا أقسم بمواقع النجوم) ويحتمل ـ وهو الأقرب ـ أنه يقول بأصالتها ويكون التأويل هو ما ذكره فى (لا أقسم بيوم القيامة) .

من هذا العرض يتبين أن الزمخشرى لا يمنع أن يكون فى القرآن حرف زائد لمعنى ، ولكنه يرفض القول بالزيادة اذا كانت على غير طريقة العرب فى زيادة الحروف ، ويلتمس تأويلا للآية على أن الحرف أصلى .

٢ ـ ثم لنأخذ مثلا آخر . لنتتبع الزمخشرى فى رأيه عن الحرف (ما) الذى قيل بأنه يزاد :

« فبما رحمة من الله لنت لهم » . « فبما نقضهم ميثاقهم » «مما خطيئاتهم أغرقوا » . « عما قليل ليصبحن نادمين » . « أياما تدعو فله الأسماء الحسنى » . « مثلاما بعوضة » .

فنجده يقول فى الآية الأولى : (ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ، ونحوه « فبما نقضهم ميثاقهم » .

ومع أنه ذكر هنا رأيه فى (ما) فى الآية الثانية أعاده عند القول فى تفسيرها ، فقال : (فبنقضهم ، وما مزيدة للتوكيد) .

وفى قوله تعالى : « مما خطيئاتهم » قال : (لبيان أن لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من أجل خطيئاتهم ، وأكد هذا المعنى بزيادة (ما) .

وفى قراءة ابن مسعود : « من خطيئاتهم ما أغرقوا » بتأخير الصلة .

وكذلك حكم بزيادة (ما) فى « قال عما قليل ليصبحن نادمين » وان لم يصرح بلفظ الزيادة ولكنه ذكر ما يدل عليها حيث قال : (وما توكيد قلة المدة وقصرها) .

وسبق أن نقلنا عنه أنه يحكم بزيادة ما أيضا فى قوله تعالى : (أياما تدعو فله الأسماء الحسنى) .

وكذلك نقلنا عنه أنه يحكم بأصالتها فى قوله تعالى : (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما) على قراءة الرفع ، ويذكر أن فيها وجها حسنا جميلا هو جعلها استفهامية ، أما على قراءة نصب (بعوضة) فهو يحكم بكونها صلة مثلها فى (فبما نقضهم ميثاقهم) .

ولا يكاد يخرج رأى الزمخشرى عن هذين الأمرين فيما اطلعنا عليه من تفسيره للآيات التى دار الخلاف فيها حول زيادة حرف أو أصالته .

الفخر الرازى :

جاء فى تفسيره الكبير فى مواضع عدة منه رفضه فكرة الزيادة فى القرآن .

١ ـ فى تفسير سورة (ن) ذكر قولى الأخفش وأبى عبيدة بزيادة (الباء) فى قوله تعالى : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » ، وذكر رأى الفراء بأن عدم الزيادة أولى .

٢ ـ فى تفسير سورة (الممتحنة) نفى أن يكون فى القرآن حرف زائد عند تفسيره لقوله تعالى : « تلقون اليهم بالمودة » . قال : (الخامس) : منهم من قال : (الباء) زائدة .

وقد مر أن الزيادة فى القرآن لا تمكن ، (والباء) مشتملة على الفائدة فلا تكون زائدة .

٣ ـ فى أول تفسير سورة القيامة اعتبر القول بالزيادة (طعنا فى القرآن) حيث قال فى قوله : (لا أقسم) ثلاثة وجوه :

الأول : أنها صلة ، والمعنى أقسم بيوم القيامة ، ونظيره « لئلا يعلم أهل الكتاب» وقوله:«ما منعك ألا تسجد ـ فبما رحمة من الله » . وهذا القول عندى ضعيف من وجوه :

(أولها) : أن تجويز هذا يفضى الى الطعن فى القرآن ، لأن على هذا التقدير يجوز جعل النفى اثباتا ، والاثبات نفيا ، وتجويزه يفضى الى أن لا يبقى الاعتماد على اثباته ، ولا على نفيه .

٤ ــ فى تفسيره فى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » رد قول الأخفش والمازنى الذى نقله عنهما (الواحدى) فى (البسيط) من أن (الفاء) فى هذه الآية زائدة ، وقال : انها للجزاء ، وقد نفيا أن يكون للجزاء هنا وجه ، وكذلك نفيا أن تكون للعطف ، واعتبرا زيادتها ، فرد عليهما بأنهما يمكن أن تكون للجزاء ليبطل القول بالزيادة .

٥ ــ فى تفسيره لقوله تعالى : «لئلا يعلم أهل الكتاب » فضل قول أبى مسلم الأصفهانى بعدم الزيادة على قول (أكثر المفسرين) بالزيادة مع انه قول مشهور ــ كما قال .

٦ ــ عند تفسيره لقوله تعالى : (ما منعك ألا تسجد) مورد القول بالزيادة ويقول أنه القول المشهور ، وهو قول الكسائى والزجاج والفراء والأكثرين ، ولكنه يجعل كلمة (لا) مفيدة ، ويقول ان هذا هو الصحيح ، لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب .

٧ ــ وتارة يذكر الرأيين ولا يفاضل بينهما كما جاء فى تفسيره لقوله تعالى : «فى أى صورة ما شاء ركبك» فانه فسر الآية على القول بزيادة (ما) وعلى القول بعدم زيادتها ولم يرجح .

هؤلاء علماء ثلاثة كبار من مفسرى القرآن الكريم كان لهم فضل كبير فى هذا المجال ، فمن الغبن لهم أن نحكم بأن قولهم ومعهم كثير من العلماء بزيادة حرف فى القرآن انما هو جهل بدقة الميزان الذى وضع عليهما أسلوب القرآن . كما قال المرحوم الشيخ دراز ، ولا أن نصف صنيعهم هذا بأنه (مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز) كما قال الشيخ عبد الرحمن تاج ، وان كان هذا الشيخ قال فى مقدمة بحثه الذى أشرنا اليه : (وليس معنى هذا اننا نمنع أن تقع فى القرآن كلمات زائدة يقصد بها معان خاصة كتوكيد حكم بنفى أو اثبات ، فان ذلك واقع وكثير ، وهو من الحقائق التى لا شبهة فيها) (١) .

وأحب هنا أن أكرر أن هؤلاء العلماء الأعلام المتقدمين كانوا أعرف بلغة العرب وأفهم لمعانى القرآن الكريم ، وأوفى منا ذوقا ، وأوسع علما .

---

(١) مجلة الازهر : عدد شوال سنة ١٣٨٦ ص ٧٦٠ .

ولنا أن ننظر فى كلامهم ، وأن نرد ما يقوم الدليل عندنا على خطئه، ولكن ليس لنا ان نرميهم بالجهل ، أو بالجرأة على تفسير كتاب الله تعالى .

وقد قال الخطابى ، وهو يعرض لزيادة (لا) فى قوله تعالى : «لا أقسم بهذا البلد » قال : (فهذا وما أشبهه زيادات حروف فى مواضع من الكلام ، وحذف حروف فى أماكن أخر منه انما جاءت على نهج لغتهم الأولى قبل أن يدخلها التغيير ، ثم صار المتأخرون الى ترك استعمالها فى كلامهم ، فأفهم هذا الباب ، فانك اذا أحكمت معرفته استفدت علما كثيرا ، وسقطت عنك مئونة عظيمة ، وزال عنك ريب القلب ، وتخلصت من شغب الخصم ، ولا قوة الا بالله) (١).

ولعل مما يؤيد بعض كلام الخطابى هنا ما روى عن أبى عمرو بن العلاء من رجال القرن الثانى الهجرى ، قال : (اللسان الذى نزل به القرآن ، وتكلمت به العرب على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عربية أخرى عن كلامنا هذا) (٢) .

والغيرة على كتاب الله فى قلب كل مسلم ، والحرص على ألا تمس كلمة بل حرف منه أدنى مساس فى دم كل مؤمن ، والقوم لم يقولوا عن جهل ، ولم يصدروا فى تفسيرهم لكتاب الله عن جرأة عليه،وانما عرفوا وأنكرنا، وشغلهم العلم وشغلتنا الحياة الدنيا ، فجزاهم الله خيرا ، ووفقنا للسير على منهاجهم فى خدمة كتاب الله تعالى ، وفى نصرة الاسلام .

وهو ـ سبحانه ـ الهادى الى سواء السبيل .

د. على العمارى

---

(١) بيان اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) ص ٤٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٢

تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ علي البولاقي

أقرأ أحيانا بعض مايكتب في المجلات والصحف والكتب ، وأسمع أحيانا بعض ما يذاع في الاذاعة المصرية وغيرها فتخطر ببالي تعقيبات على ذلك ، وحينما تحدثني نفسي لنشر هذه التعقيبات أقدم رجلا وأؤخر أخرى حذرا من سخط الكاتبين والقائلين لا سيما أن منهم من تأخذه العزة بالاثم فيقول ما لا يقال ، ثم رأيت أن في نشرها نصحا وارشادا لما فيه من توجيه أنظار الكاتبين الى الحق الذي هو رائدهم وازاحة الوهم عن القارئين الذين يتطلبون المعرفة فيقعون فريسة بين أخطاء المؤلفين والناسخين والطابعين والمصححين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » وقال « المؤمن مرآة المؤمن » وقال « المسلم مرآة المسلم » وفي الحكم « رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي » .

والى القارىء الكريم نموذجا من التعقيبات اذ لا سبيل الى استيعابها فانها تخرج عن طوق الحصر :

١ ـ حول « كلمات شاع خطأ استعمالها » :

قرأت من هذه السلسلة الممتعة للأستاذ عباس أبو السعود ما كتبه منها في عدد المحرم ١٣٩٥ هـ من مجلة الأزهر الغراء وهو تسع فقرات ، فتوقفت عند ست منها .

(أ) بر والدك :

(قال الأستاذ الفاضل) ان كسر الباء خطأ بين لأن حركة أول فعل الأمر يجب أن تكون من جنس حركة ثاني الفعل المضارع اذا كان متحركا : فتفتح الباء في قولك بر والدك لانفتاحها في قولك يبر .. الخ

(أقول) ان الفعل « بر » من بابي « علم » و « ضرب » : تقول بررت أبي (بكسر الراء الأولى) أبره (بفتح

الباء) فتقول في الأمر منه : بر والدك (بفتح الباء) وتقول : بررت أبي (بفتح الراء الأولى) أبره (بفتح الهمزة وكسر الباء) فتقول في الأمر منه بر والدك (بكسر الباء وتشديد الراء مع الكسر أو الفتح) .

هكذا يؤخذ من القاموس وغيره وبه تعلم أن ما أنكره الأستاذ ليس بمستنكر ، وفي الحديث « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » رواه الطبراني في معجمه الكبير والحاكم في مستدركه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم . ويقرأ بفتح الباء في الأمر والمضارع كما يقرأ بكسرها فيهما .

(ب) فلان يلهو عما يسمع من كلامنا

(قال الاستاذ) ان الناس يقولون هذا الكلام للمعرض عنهم والصواب أن يؤدى هذا المعنى بقولنا «هو يلهى» لأن العرب تقول : لهي عن الشيء كرضي يلهى لهيا ولهيانا بضم اللام وكسرها اذا سلا عنه وأضرب وترك ذكره .. الخ .

(أقول) ما انكره الاستاذ ليس بمنكر فالاستعمالان صحيحان ، ففي القاموس « لهى به كرضي أحبه ، وعنه سلا وغفل وترك ذكره ، كلها كدعا » أهـ . والكلمتان الأخيرتان من كلام صاحب القاموس لها عنهما الكاتب الفاضل وهما يصرحان بأن هذا المعنى كما يؤدى بالفعل « لهى » بوزن رضى ، يؤدى بالفعل « لها » بوزن دعا . أليس كذلك ؟

(ج) سررنا برؤياك :

(قال الأستاذ) يقولون هذه العبارة يقصدون بها أنه سرهم بمرآه وهذا خطأ شائع يقع فيه كثير من الخاصة ، وها هو ذا أبو الطيب المتنبي — على جلالة قدره — قد وقع فيه ، حينما قال لبدر بن عمار وقد سامره ذات ليلة الى قطع من الليل .

مضى الليل والفضل الذي منك لا يمضي
ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

(أقول) الصحيح أن الرؤيا يجوز اطلاقها على رؤية العين ، وقد روى البخاري والترمذي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » آية ٦٠ من سورة الاسراء ، وابن عباس عربي قرشي

وهو ترجمان القرآن وحبر الأمة ، ولاشك أن رواية البخارى والترمذى سندها أصح من سند المنكرين الذين يزعمون أن ذلك ليس من لسان العرب ، ومما يدل على أن الرؤيا فى الآية رؤية عين ــ أنها لو كانت رؤيا منام لما افتتنت قريش حينما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بها ، وبهذا تعلم أن أبا الطيب المتنبى لم يخطىء .

(د) تتابعت المصائب على فلان :

(قال الأستاذ) ان الذين يقولون هذا يخطئون (حينما ينطقون بالباء) والصواب أن يقال : تتايعت المصائب (بالياء أى ذات النقطتين) لأن التتابع بالباء الموحدة انما يكون فى الصلاح والخير أما التتايع (بالياء المثناة من تحت) فيختص بالشر والمنكر ، تقول: فلان يتتايع فى الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير أن يتثبت ، وتتايع الناس فى الشر اذا تهافتوا عليه .. الخ .

(أقول) ان كتب اللغة كالقاموس لم تقيد التتابع بالخير ، فتعبير الناس به ليس خطأ لاسيما أن مادة (ت ب ع) كلها عامة كما لا يخفى على من تتبع آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى العظيم صلى الله عليه وسلم . وصحاح اللغة كالقاموس واللسان .

(هـ) سلمه أجره :

(قال الأستاذ) يقولون سلمه أجره أو مكافأته ، فيوهمون اذ يجعلون هذا الفعل متعديا الى مفعولين وهذا خطأ ، لأن الفعل المذكور له حالتان .. الخ

(أقول) فى المنجد من كتب اللغة « سلمه وسلم عليه : قال له سلام عليك سلمه من الآفة : وقاه اياها . سلمه الى فلان : أعطاه اياه . سلم بالأمر : رضى . سلم اليه انقاد . سلم الشىء خلصه .

سلمه الشىء . فتسلمه : أعطاه اياه فتناوله » اهـ

والجملة الأخيرة ليست فى القاموس ولكنها مذكورة فى مراجع أخرى موثوق بها فلا خطأ ولا وهم .

(و) لفلان خاتم من الماس :

(قال الأستاذ) كلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : خاتم من السامور كما فى شفاء الغليل .

وقول صاحب القاموس فى مادة (موس) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجوزة ـ وهم ، لأنه كثيرا ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط .

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة ، فيقال : فلان ماس اذا كان لا ينفع فيه عتاب ، أو كان طياشا خفيفا أولا يلتفت الى موعظة أحد . أهـ

(أقول) ان ما فى شفاء الغليل من النفى معارض بما فى القاموس من الاثبات ، وقد قالوا : من حفظ حجة على من لم يحفظ ، ومعلوم أن لفظ ماس أشهر عند الناس من لفظ سامور وقد ارتضى المتأخرون كلمة ماس بل ارتضوا كلمة ألماس بالهمزة واللام على الرغم من تخطئة صاحب القاموس لها ، ففى المنجد فى حرف الهمزة : الألماس حجر كريم شديد الصلابة وفيه فى حرف الميم « الماس حجر كريم شديد اللمعان وأعظم الحجارة الكريمة قيمة وهو لصلابته تخطط به كل الأجسام ولا يوجد جسم يخطط عليه » وفيه فى حرف السين «السامور الألماس » اهـ ، ولم يرتض صاحب القاموس كلمه « الماس » الخماسة فقال « ولا تقل ألماس » يقصد النهى عن صيرورة الكلمة خماسية ، لأنها فى نظره ثلاثية مبدوءة بالميم ولم يوافقه المتأخرون فى هذا بل قالوا ان الكلمتين صحيحتان . (وقد وهم الأستاذ الفاضل) حيث زعم أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولو دقق النظر لعرف أن صاحب القاموس لم ينه عن التعريف وانما نهى عن تخميس الكلمة بادخال همزة ولام مع بقاء التنكير ، وقد قلنا ان المتأخرين لم يطيعوه فى هذا بل أدخلوا الحرفين ثم عند ارادة التعريف أدخلوا أداة التعريف فقالوا : الألماس .

٢ ـ حول « نصاب الزكاة » :

(فى باب الفتوى للأستاذ محمد أبو شادى) فى عدد المحرم ١٣٩٥ عدة استفتاءات أجابت عنها لجنة الفتوى بالأزهر ، وقد استوقف نظرى منها قول اللجنة فى ص ١٣٢ « تفيد اللجنة بأن القدر الذى تستحقه زوجة الشهيد فى التعويض المدفوع لها ولأولادها يجب فيه الزكاة اذا حال عليه الحول وكان أكثر من ١٣ جنيها »

(أقول) لقد حاولت أن أتعرف الأصل الذى بنت عليه اللجنة المبجلة تقدير النصاب بما فوق ١٣ جنيها ، فلم أهتد اليه ، فان نصاب الزكاة فى أوراق النقد المصرية اما أن يراعى فيه نصاب الذهب أو نصاب الفضة فاذا روعى نصاب الذهب لم تجب الزكاة الا فى مقدار من الورق يمكن أن يشترى به عشرون دينارا ، أى ٨٥٫٧ جرام من الذهب الخالص ، فاذا كان ثمن الجرام ٣١٥ قرشا مثلا كان النصاب ٢٨٠٫٨ (أى مائتين وثمانين جنيها وثمانين قرشا)وهذا العدد أكثر من أضعاف الثلاثة عشر التى ذكرت فى الفتوى .

واذا روعى فيه نصاب الفضة لم تجب الزكاة الا فى عدد من الأوراق يشترى به (٢٠٠) درهم ، أى (٦٢٤) جراما من الفضة الخالصة ، فاذا كان ثمن الجرام ٦ ¼ قرش مثلا كان النصاب ٣٩ جنيها ، وهو ثلاثة أمثال العدد الذى نقله فضيلة الشيخ محمد أبو شادى عن اللجنة .

وانى لفى انتظار جوابه ، والله الموفق .

٣ ـ حديث « اعمل لدنياك ... »

فى يوم ما قبل أذان العصر سمعت متحدثا فى اذاعة القرآن الكريم يقول فى ضمن حديثه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وأخذ المتحدث يصول حول هذا المعنى ويجول فعن لى أن أبدى ما عندى فى هذا الحديث نصحا للقائلين والسامعين جميعا :

قال ابن الأثير فى كتابه (النهاية فى غريب الحديث) فى مادة (ح ر ث) ما نصه « وفى الحديث : أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ونقل ابن منظور هذا الحديث عن النهاية بنصه فى كتابه (لسان العرب) ، ونقل الجوهرى فى (الصحاح) شطره الأول ، ونقله عنه الفيروز ابادى فى القاموس ونقله مختار الصحاح مع باقية ، وظن الناس أنه من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يفطنوا الى أن صاحب النهاية حينما يقول « وفى الحديث كذا » لا يلزم أن يكون من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولأن لفظ (الحديث)

يطلق على ما قاله الصحابى ، ويسمى (حديثا موقوفا) ويطلق أيضا على ما قاله التابعى ، ويسمى (حديثا مقطوعا فلا يختص بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما يسمى (حديثا مرفوعا) .

وقد أنكر ثقات المحدثين المحققين نسبة هذا الحديث الى الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، وغالى بعضهم فقال انه يناقض قوله تعالى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا » وقوله عز من قائل : « ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب » .

والواقع أن الحديث ليس من قول النبى صلى الله عليه وسلم بلفظه وانما هو من قول بعض السلف ، ولابد من التوفيق بينه وبين الآيتين الكريمتين وأمثالهما ، وذلك بأن يقال ان الدنيا المذمومة فى الآيات والآثار وهى ماكان متاعها محرما كالخمر والمغصوب والربا والرشوة والزنى ولبس الذهب والحرير للرجال ، وكذلك ما كان من الدنيا شاغلا عما يجب من صلاة وغيرها أو مؤديا للظلم والكبرياء والغرور ونحو ذلك ، ودنيا الملحدين والمنافقين وسائر الكافرين .

والدنيا التى ينبغى الحرث لها فى هذا الأثر ما كان من متاع الدنيا حلالا غير شاغل للمؤمن عما ينبغى .

فعلى السادة الواعظين اذا ذكروا هذا الأثر أن يذكروه بلفظ « أحرث لدنياك .. » وأن ينسبوه الى بعض السلف لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

هذا وقد روى البيهقى فى سننه بسند ضعيف عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذر أمرىء يخشى أن يموت غدا » .

وهذا الحديث يقرب معناه من معنى الأثر المشهور لكنه ضعيف الاسناد ، فمن أراد التحديث به فليقل « روى » بضم الراء وكسر الواو « عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ... » .

(يتبع) — **على البولاقى**

الأدب العربي في شبه القارة الهندية

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامي

لم يكن وجود العربية في الهند بالأمر العجيب فقد اتصل العرب بالهنود من قديم الزمان بحكم الجوار والتجارة المتبادلة ، وتأثر كل منهما بالآخر ، ولما جاء الاسلام كان من الطبيعي أن ينقل التجار العرب الى عملائهم الهنود أخبار الدين الجديد ويشرحوا لهم مبادئه خاصة في الاقتصاد والمعاملات التجارية فهيأ ذلك العقلية الهندية لقبول الاسلام حتى اذا ما جاء محمد بن القاسم لفتح بلاد السند ٩٢/٧١١ رحب به أهلها ودخلوا في الاسلام أفواجا ، وتأثروا بالعرب الفاتحين فقلدوهم في لباسهم وعاداتهم ، وأقبلوا على الثقافة العربية في شوق وحماس (تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ٣٦ مجلة ٢)

ومما تجدر الاشارة اليه أن كثيرا من العرب الخوارج والشيعة قد هاجروا الى الهند واستوطنوها فرارا من وجه الخلافة في دمشق أو بغداد كما أن تجار العرب ودعاة الاسلام نجحوا في تكوين جاليات عربية على ساحل الهند الغربي (تحفة المجاهدين ص ١٣ - ١٤ - ١٥ - ط : حيدر أباد الدكن ١٩٣١) فشارك هؤلاء وأولئك في نشر الثقافة العربية في شبه القارة .

ولما ضعفت الخلافة العباسية وتقلص نفوذ العربية وآدابها عن بلاد فارس وما وراء النهر تسبب ذلك في تعرض الثقافة العربية في بلاد الهند لنكسة ، ثم ان محمود الغزنوي قدم الى بلاد الهند ٣٩٢/١٠٠١ واستطاع بحملات بلغت سبع عشرة أن يخضع سائر بلادها لسلطانه ، وتتابعت من بعده حكومات على بلاد الهند مثل الدولة الغورية ٥٨٢/١١٨٦ ، ودولة المماليك ٦٠٣/١٢٠٦ ودولة السلاطين الخلجية ٦٨٩/١٢٩٠ - ثم المغول

٩٣٢/١٥٢٦ وعاشت الأخيرة حتى سنة ١٢٧٣/١٨٥٧ . ولما كانت لغة هؤلاء الفاتحين فى الغالب فارسية فقد كان على العربية أن تخلى لها المجال لأنها لغة الغالب المنتصر ولكن العربية مع هذا بقيت وعاشت لأسباب منها أنها لغة القرآن الكريم فقد أضفى عليها ذلك نوعا من القداسة فى نفوس ملايين من الهنود كانوا قد دخلوا فى الاسلام ، ومنها أن هؤلاء الفاتحين من غير العرب - لأنهم مسلمون - لم يأخذوا منها موقف العداء فاستمرت العربية وسيلة التحصيل لعلوم الاسلام فى مصادرها الأولى وذلك جعلها تجذب كثيرا من الدارسين على مر العصور حتى ظهرت جماعات تقرؤها وتتذوقها ثم تسجل فيها خواطرها وأفكارها وتنشىء بها الأشعار . ومما لاشك فيه أن الجاليات العربية قد أسهمت فى ذلك بأوفى نصيب .

لكن اذا كانت الجاليات العربية فى بلاد الهند ذات أهمية ووزن فلماذا استعجمت ولم تحافظ على لغتها وآدابها كما فعل المهجرون فى أمريكا ؟ ولماذا لم نسمع عن أدباء منهم أو شعراء كما عرفنا من مهاجرى أمريكا مثل جبران ونعيمة وايليا وغيرهم ؟ والواقع ان حال العرب فى الهند قد اختلف عن حالهم فى أمريكا فعلى الرغم من الانجازات العصرية التى ساعدت المهجريين على حفظ لغتهم نجد أن دوافع الرحلة والتواطن تختلف بين الفريقين اختلافا بينا ، فقد رحل العرب فى بداية العصر الحديث من بلاد الشام طلبا للحرية والرزق بعد فقدهما فى وطنهم الأم فلما حصلوا عليها شرعوا يفكرون فى وطنهم ولغتهم الأم تعويضا عن احساسهم بالغربة والضياع فى بيئة لا يمتون اليها بأدنى سبب ، ولم يألفوا مثلها من قبل . أما عرب الهند فكانوا جميعا أصحاب دعوات ، وكان عليهم أن ينزلوا الى المجتمع الهندى ويندمجون فيه ويخاطبوه باللغة التى يفهمها كى يكسبوا أكبر عدد ممكن ويجذبوا الى دعواتهم قلوب الناس فى أسرع وقت ولم تكن أمامهم فرصة لكى يقفوا ويتدبروا أمور لغتهم وآدابها ولم يحسوا الغربة التى أحسها المهجريون فى أمريكا حيث صار لهم أتباع وأنصار من الهنود يشاركونهم عقائدهم ويبادلونهم العواطف ، ومن المنطقى

أن الأجيال الأولى لهذه الجاليات كانت تتخاطب بالعربية وتقول فيها الأشعار غير أنه لم يعثر لهم حتى الآن على أى نشاط فكرى فى لغتهم الأم .

أما بالنسبة الى السؤال الثانى فاننا نرى أنه على الرغم من استعجام الجاليات العربية فى الهند قد ظهر فيهم ومن أتباعهم من لو أتيح له من وسائل الاعلام والنشر كما أتيح للمهجريين لحلق مع الفحول ، يقول عبد العلى الحسنى فى مقدمته لنزهة الخواطر : ان هذه البلاد - يقصد الهند - العامرة بالرجال لم تنل من عناية المؤرخين العرب ماكانت تستحقه ولم تشغل من كتبهم ومؤلفاتهم المكان اللائق وماذلك الابعد الديار وحيلولة البحار وانقطاع الأخبار وفوق ذلك كله كون كتب الأخبار وتراجم الرجال فى اللغة الفارسية التى يجهلها المؤلفون من العرب واذا كنا لا نوافق مولانا عبد العلى فى كل ما ذكره فاننا نرى أنه قد أصاب فى جعله التغاير فى اللغة فوق كل الأسباب فاذا كان اللسان والثقافة فى بلاد الهند فارسية فانه بالتالى يندر وجود الأمير أو الشخص الذى يتذوق الأدب أو الشعر العربى فيثيب عليه أو يشجع ومن ثم يعرف الأديب أو الشاعر ويذيع ، وحتى لو وجد من الأمراء من يتذوق العربية وأدبها فانه لن يكون كثير الاهتمام لأمر الشعر والأدب العربى لأن مدحه أو الكتابة عن أعماله بالعربية فى مجتمع لا يفهمها لن يرفع من شأنه كثيرا ومن أجل ذلك بقى شعراء العربية وأدباؤها فى الهند خاملين لايحس بهم الا من تأدب مثلهم ولم يصل الى أسماع العرب من أعمالهم الا النادر القليل وكأنى بشاعرهم القاضى جمال الدين أحمد ٩٢٩ / ١٥٢٢ المعروف ببحرق الحضرمى يقول :

أظننت أن الشعر يصعب قوله
عندى وقد أضحى لدى مذللا

أبدى العجائب انبرزت مفاخرا
أو مادحا للقوم أو متغزلا

وقد استشهد ابن حجة الحموى فى كتابه المشهور « خزانة الأدب » ببيت للشاعر الهندى العظيم مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى ولكنه لم يستطع أن ينسبه الى قائله لعدم معرفته

به فيما نعلم ، وهذا البيت من قول مسعود هو :

أرى ذنب السرحان فى الجو طالعا
فهل ممكن أن الغزالة تطلع

ولو ان الاتصال بين الهند وبين العرب كان وثيقا ومباشرا كما كان بينها وبين فارس لكان الحال غير الحال •

واننا لعلى اقتناع تام بأن الهند قد شاركت فى الآداب العربية شأنها فى ذلك شأن الأندلس وانما يعنينا هنا أن نتكلم عن الأدب البحت شعرا كان أو نثرا •

النثر :

يقسم النثر عادة الى نثر علمى وآخر أدبى ، وفى الأول كتابات هندية كثيرة تتمثل فى كتب التفسير والحديث والفقه وسائر الفروع •أما النثر الأدبى فقد رأينا أنه فى الهند ينقسم الى الخطب، والمنتخبات الأدبية والرسائل وكتب الصنعة الأدبية ، والقصة •

الخطب : ظهر كثير من الخطب فى بلاد الهند ، ومعظمه فى خطبة الجمعة يعالج الوعظ والارشاد والوعد والوعيد وصفات الجنة والنار ، وحرقة الشوق واثارة حماس المحب فى مجال الحب الالهى • ومن اصحاب الخطب المشهورة الشيخ نظام الدين الملقب بسلطان الأولياء ، والشاه ولى الله الدهلوى ، وحفيده الشاه اسماعيل وعبد الحى الحسنى الذى جمع فى كتابه « اللطائف المستحسنة » خطبا بعدد أيام الجمع فى السنة لكل جمعة مناسبتها ، ويمكن تشبيه أسلوب الخطب على وجه العموم بأسلوب النثر المنمق فى أطواق الذهب •

المنتخبات الأدبية : من هذا القسم كتاب « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » لأحمد بن محمد اليمنى ١٢٥٦/١٨٤٠ معلم العربية فى مدرسة قلعة وليام بكلكتا التى أنشأتها شركة الهند الشرقية ، وقد جمع هذا الكتاب بعض القصص القصيرة والنوادر والمناظرات والأشعار ، وهناك كتاب يغطى سائر الفنون ويبدو كموسوعة هو كتاب « رياض الفردوس » لمحمد حسين خان الشاهجهانى ١٢٧٦/ ١٨٥٩، كما أن كتاب «سلافة العصر» لابن معصوم ١١١٧/١٧٠٥ وان اعتبر كتاب تراجم فانه يحتوى على منتخبات

شعرية ونثرية توضح الروح الشعرية والأدبية للعصور المختلفة وأيضا تشتمل كتب الرحلات والصيد على أوصاف أدبية للبلاد والحيوان والحدائق والطيور •

أدب الرسائل : من أهم الكتب فى هذا الموضوع كتاب « عجب العجاب فيما يفيد الكتاب » لأحمد بن محمد اليمنى المذكور سابقا ويعد تذكرة لفن كتابة الرسائل جمع فيه رسائل من موضوعات وعصور وبلاد مختلفة وخص الرسائل المتبادلة بين علماء الهند بنصيب واف •

الصنعة الأدبية : من خصائص العقلية الهندية ميلها دائما الى التصنع والتأنق ، وقد ظهر عدد من الكتب يلتزم صنعة معينة مثل « سواطع الالهام » « موارد الكلم » لأبى الفيض فيضى ١٠٠٤/١٥٩٥ شاعر البلاط فى قصر الملك أكبر ١٠١٤/١٦٠٥ فقد أراد هذا المؤلف أن يظهر مهارته فى اللغة العربية فالتزم فيهما الكلمات ذوات الحروف المهملة ولم يستعمل فيها حرفا واحدا منقوطا ، والأول تفسير كامل للقرآن بينما الثانى موضوعه التصوف ، وعلى عكس الكتابين السابقين كتاب « حب شعب » لعبد الأحد بن امام الاله آبادى وهو تفسير لجزء واحد من القرآن التزم فيه الكلمات ذوات الحروف المنقوطة ولم يستعمل حرفا واحدا مهملا •وقد ذاعت الطريقتان فى بلاد الهند وعرفت الأولى بالصنعة المهملة كما عرفت الثانية بالصنعة المعجمة •

القصة : من القصص العربية المشهورة فى بلاد الهند قصة « شكروتى » وهى معظم حوادثها اسطورية وتحكى كيف أسلم أحد ملوك الهند « شكروتى » وبداية سكنى العرب وتملكهم فى سواحل الهند الغربية •

واذا كانت المقامة : أساسا لتطور القصة العربية فقد ساهمت الهند فيها بنصيب متواضع غير أن المقامة الهندية العربية تمتاز بسهولة الفاظها وعدم الاغراب ، ورغم أنها فى بنائها عالة على المقامة العربية الا أنها على كل حال تحمل طابع البيئة الهندية •ومن كتابها أبو بكر محسن العلوى الذى جمع مقاماته فى كتاب باسم « المقامات الهندية » يحتوى على خمسين مقامة كل واحدة باسم مدينة هندية ،

والراوى عنده «أبو الناصر بن فتاح » أما البطل فاسمه « أبو الظفر الهندى»

الشعر :

أنجبت الهند كثيرا من الشعراء ونذكر من أصحاب الدواوين الشاعر باقر مرتضى المدراسى صاحب العشرة الكاملة وهى بالاضافة الى ديوانه عشر قصائد على غرار المعلقات السبع ، والشاعر عباس التشرياكوتى وفيض الحسن الهارنيورى ، وعبد المنعم التشاتكامى ، وعبد الأول الجونيورى وعبد المقتدر الدهلوى ، وناصر حسين اللكتوى ، وولى الله الدهلوى وغلام على أزاد البلكرامى الملقب بحسان الهند وغيرهم ومما يدعو للأسف والأسى أن معظم دواوين الشعراء مازال مخطوطا تأوى اليه الحشرات وتمرح بين صفحاته . وقد أمسكنا عن ذكر جم غفير من شعراء طارت بدواوينهم العنقاء كما يقول صاحب « سبحة المرجان » وصاحب « نزهة الخواطر » وان كنا نشك فى صحة هذه العبارة ، كما أن هناك عددا كبيرا من شعراء لم تجمع دواوينهم بعده ومن خلال دراستنا للشعر العربى الهندى يمكن لنا أن نقسمه الى العصور التالية :

١ - من الفتح العربى ٩٢/٧١١ الى الفتح الغزنوى ٣٩٢/١٠٠١

٢ - من الفتح الغزنوى ٣٩٢/١٠٠١ الى بداية عصر المغول ٩٣٢/١٥٢٦

٣ - من بداية عصر المغول ٩٣٢/١٥٢٦ الى نهايته ١٢٧٣/١٨٥٧

٤ - من نهاية عصر المغول ١٢٧٣/١٨٥٧ حتى الوقت الحاضر .

ويتميز شعر العصر الأول بالقوة والأصالة لأن شعراءه اما عرب ذهبو الى الهند مع جيش الفتح العربى أو بعده وأقاموا بها زمنا ثم رجعوا الى وطنهم الأم أو قضوا ببلاد الهند ، ولا شك أن هؤلاء مدينون فى انتاجهم للطبيعة الهندية وايحاءاتها ، واما شعراء من أصل هندى توطنوا بلاد العرب فتعربوا مثل أبى عطاء بن يسار السندى الذى قال عنه صاحب الأغانى : انه شاعر عظيم قوى المعنى حسن البيان . وخصص له نحوا من

خمس صفحات فى كتابه • ومن شعره :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا
وقد نهلت منا المثقفة السمر

فوالله ما أدرى وانى لصادق
أداء عرانى من جنابك أم سحر

فان كان سحرا فاعذرينى على الهوى
وان كان داء غيره فلك العذر

وأبى ضلع السندى مولى الخليفة العباسى موسى الهادى • ومن شعره :

يانفس صبرا لا تملكى ياسا
قد فارق الناس قبلك الناسا

صبرا جميلا فلست أول من
أورثه الظاعنون وسواسا

وكشاجم محمود بن الحسينى السندى طباخ سيف الدولة • ومن شعره :

والدهر حرب الحيى و
سلم ذى الوجه الوقاح

وعلى أن أسعى وليس
على ادراك النجاح

ونستطيع أن نقول بصورة عامة : ان شعراء هذا العصر لا يقلون شاعرية عن شعراء عصر صدر الاسلام وبنى أمية •

أما العصر الثانى وهو عصر الغزنويين ومن بعدهم حتى عصر المغول فتبدو فيه الشخصية واضحة ويمتاز بجمال التصوير وعدم التكلف فى الأسلوب وقوة الأداء • ومن شعرائه عطاء بن يعقوب الغزنوى ١٠٩٧/٤٩١ له بالاضافة الى ديوانه الفارسى ديوان عربى • ومن شعره :

الله جار عصابة ودعتهم
والدمع يهمى والفؤاد يهيم

قد كان دهرى جنة فى ظلهم
ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم

كانوا غيوث سماحة وتكرم
فاليوم بعدهم الجفون غيوم

ورابعة بنت كعب القزدارى • ومن شعرها :

شاقنى نائح من الأطيار
هاج سقمى وهاج لى تذكارى

قلت للطير لم تنوح وتبكى
فى دجى الليل والنجوم درارى

وقد ذكر تاريخ أدبيات مسلمانان أن رابعة هذه من شعراء آل سبكتكين ـ

الغزنويين ـ كما جاء فيه أيضا أنه لم يؤرخ لميلادها أو وفاتها لكن القاضي أطهر المبار كبوري نقلعن ابن حوقل أنها عاشت في القرن الرابع الهجري وأبي نصر محمد بن جبار العتبي •

ومن شعره في المدح :

له وجه الهلال لنصف شهر
وأجفان مكحلة بسحر

فعند الابتسام كليل بدر
وعند الانتقام كيوم بدر

وله أيضا :

لاتحسبن هشاشتي لك عن رضا
فوحق فضلك انني أتملق

ولقد نطقت بشكر برك مفصحا
ولسان حالي بالشكاية أنطق

أما مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري فقد طبقت شهرته الآفاق في بلاد المشرق وذاعت فيها دواوينه الفارسية والعربية والهندية توفي ١١٢١/٥١٥ كما في سبحة المرجان ويذكر صاحب نزهة الخواطر أنهولد بلاهور ونشأ بها كما صرح بذلك في شعره ثم يقول مؤلف السبحةوالنزهة وغيرهما ان ديوانيه العربي والهندي طارت بهما العنقاء • ترى لو كانا موجودين أو كان العربي موجود ونشر على الملأ العربي فماذا يكون من أمر هذا الشاعر بين شعراء العربية ؟• ولندع الأمر لشيء من شعره فلعله أنطق :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها
وليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت اليه والظلام كأنه
على العين غربان من الجو وقع

نقلت لقلبي طال ليلي وليس لي
من الهم منجاة وفي الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان في الجو طالعا
فهل ممكن أن الغزالة تطلع

واذا علمنا أن مسعودا هذا مكثفي السجن عشرين عاما أو أكثر بسبب ارتياب السلطان ابراهيم الغزنوي في أن الشاعر يدبر مؤامرة عليه مع ملك شاه السلجوقي ، واذا علمنا أيضا أنه ـ سواء كان بريئا أو مذنبا ـ ظلخلال سجنه الطويل يئن ويتوجع تارة ويتوسل ويتضرع أخرى ولا مجيب• أدركنا سر ذلك اللون القاتم

الذى يبدو فى معظم أشعاره • يقول:

يا ليلة أظلمت علينا
ليلاء قارية الدجنة
قد ركضت فى الدجى علينا
دهماء خدارية الأعنة
فبت أقتاسها فكانت
حبلى نهارية الأجنة

ثم نأتى الى شاعر الفارسية العظيم الأمير خسرو الدهلوى الذى يقال انه أشعر شعراء الهند على الاطلاق وتأتى شهرته من أشعاره الفارسية وله أيضا شعر عربى فى كتابه « الاعجاز الخسروى » كما يحتوى « خزائن الفتوح » له على قصائد عربية ، وأيضا له قصيدة فارسية عربية أنشد فيها المصراع الأول من كل بيت بالفارسية والثانى بالعربية (The contrilwtion off Indie to Arabic literature). والأبيات الآتية من قصيدة مدح فيها السلطان علاء الدين الخلجى ١٣١٥/٧١٥ • يقول بعد التشبيب :

فى مهجتى سكنت محبتها كما
مدح المليك المستعان الأعظم
أعنى علاء الدين سلطان الورى
ملك تولد من سلالة آدم
عين الحبابل عينه عين الحيا
يم الندى بل كفه عين اليم
من جوده الفياض قد يحكى اذا
نعب الغراب على رقيم الحاتم
ما كان يعطش سيفه بقرابه
الا ويسقى من كؤوس جماجم
رشح لمدحتك العلية خسروا
بالشعر ليس كمثله فى العالم
كن بالخلود على الأرائك جالسا
فأنا اخصك بالبقاء الدائم

وللقاضى عبد المقتدر الدهلوى ٧٨٨/١٣٨٦ قصيدة لامية طويلة عارض فيها لامية العجم نقتطف منها :

ياسائق الظعن فى الأسحار والأصل
سلم على دار سلمى وابك ثم سل
عن الظباء التى من دأبها أبدا
صيد الأسود بحسن الدل والنجل
وعن ملوك كرام قد مضوا قددا
حتى يجيبك عنهم شاهد الطلل
أضحت اذ أبعدت عنها كواعبها
أطلالها مثل أجفان بلا مقل
فدى فؤادى أعرابية سكنت
بيتا من القلب معمورا بلا حول

خيالها عند من يهوى زيارتها
أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

كيف السبيل اليها بعد أن حفظت
بالبيض والسمر فى أعلى ذرا الجبل

وفى الحنين والشوق يقول أحمد النهانيسرى من أعيان القرن التاسع الهجرى :

أطار لبى حنين الطائر الغرد
وهاج لوعة قلبى النائه الكمد

وأذكرتنى عهودا بالحمى سلفت
حمامة صدحت من لاعج الكبد

باتت تؤرقنى والقوم قد هجعوا
ما بين مضطجع منهم ومستند

مازار طرفى غمض بعد بعدكم
ولا خيال سرور دار فى خلدى

عصر المغول :

اذا كان الشعر العربى فى بلاد العرب قد أصابه الوهن وانحط الى الركاكة فى العصر المملوكى والتركى وتقطعت أنفاس شعرائه جريا وراء الزخارف واقتناصا لانواع البديع يسترون به معانيهم الفجة ويعوضون عن ضحالتها فقد كان نظراؤهم فى الهند بمعزل عنهم وان أصابهم من البديع ما أخذوه عن السابقين وما تأثروا به من طريقة ابن العميد بالاضافة الى مزاج العقلية الهندية الميالة دائما الى الزخرف والتصنع بيد أن معانيهم بقيت قوية عميقة لأن اتصالهم بالأدب العربى لم يكن سريعا ولامعاصرا فظلوا بمعزل عن معاصريهم فى بلاد العرب ، واستمروا يستمدون زادهم من الشعر العربى فى أزهى عصوره ومن شعراء هذا العصر الشاه ولى الله الدهلوى ١١٧٦/١٧٦٢ الذى يقول عنه صاحب « الثقافة الاسلامية فى الهند » : اذا سمعت من لفظه الرقيق المعرب البديع خيل اليك كأنما هو رجل نشأ ببادية من عليا هوازن أو كأنما أدبته امرأة من سفلى تميم . يقول مادحا :

كأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الأفاعى أو رؤوس العقارب

اذا كان قلب المرء فى الأمر حائرا
فأضيق من تسعين رحب السباسب

وتشغلنى عنى وعن كل راحة
مصائب تقفوا مثلها فى المصائب

اذا ما أتتنى أزمة مدلهمة
تحيط بنفسى من جميع جوانب

تطلبت هل من ناصر أو مساعد
ألوذ به من خوف سوء العواقب

فلست أرى الا الحبيب محمدا
رسول اله الخلق جم المناقب

ومن الملاحظ أنه لم يبدأ ببكاء الديار ولا بالغزل كما يفعل غيره على طريقة القدامى وكأنى به بشرح رأيه

سأذكر حبى للحبيب محمد
اذا وصف العشاق حب الحبائب

وأذكر وجدا قد تقادم عهده
حواه فؤادى قبل كون الكواكب

ويقول محمد على حزين ١١٨٠ / ١٧٦٦ معتزا :

وليس عنك سواد العين منصرفا
مهما تشاهد بالتدعيج والكحل

اسمع كلامى ودع لامية سلفت
الشمس طالعة تغنيك عن زحل

ويتوجع عبد الحميد أحمد الله العظيم أبادى مما صار اليه أمر الأمة الاسلامية قائلا :

فوا أسفا ونحن بنو كرام
توارث فيهم علم وجود

ذوى الأعلام والأقلام طرا
يزينهم المكارم والجنود

وتخضع عند رؤيتهم رقاب
وترتعد الهزابر والفهود

فصرنا نحن فى وهن وهون
يرق لنا المعاند والحسود

ومن القصص الشعرى قصيدة « الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين » للشاعر محمد بن عبد العزيز الكاليكوتى وهى قصيدة طويلة ذات موضوع واحد هو الحرب بين الهنود والبرتغاليين على شواطىء الهند الغربية يشيد فيها الشاعر بأحد ملوك الهند الجنوبية ويسجل الصراع على السيادة البحرية فى المحيط الهندى بين العرب والبرتغاليين ، ويهيب بالعرب والمسلمين أن يخفوا للدفاع عن سيادتهم واخوانهم فى بلاد الهند ونقتطف منها ما يلى :

فان هذى قصة عجيبة
فى شرح حرب شأنها غريبة

واقعة فى خطة المليبار
ومثلها لم يجر فى تلك الديار

بين المحب المسلمين السامرى
وبين خصمه الفرنجى الكافر

نظمت بعضها ومالك الملوك
ليسمع القصة سائر الملوك

لعلهم اذ سمعوا يفتكرون
فى الحرب أو لعلهم يعتبرون

لعلها تسير فى الآفاق
لا سيما فى الشام والعراق

وليعلموا الهمة للسلطان
السامرى المشهور فى البلدان

صاحب كاليكوت المشهور
لا زال من فضل الغنى مغمور

ناصر ديننا ومجرى شرعنا
حتى بخطبته على سلطاننا

وأعظم شعراء العربية فى الهند غلام على آزاد البلكرامى ١٢٠٠ / ١٧٨٥ ، ترك عشرة دواوين عدا مثنوية فى التصوف تبلغ ٣٥٠٠ بيت من الشعر فى صورة قصص وحكايات صوفية مصرحا أحيانا ورامزا أخرى ولاكثاره فى المديح النبوى لقب بحسان الهند ، وهو يستحق هذا اللقب عن جدارة فاذا كان الفرس قد لقبو شاهرهم « الخاقانى » بحسان العجم لمديحه النبوى بالفارسية فان آزاد الذى أنشأ مديحه بالعربية وأكثر فيه أولى وأحق بلقب حسان الهند ، ويرقى شعره فى هذا المديح الى القمة وعندما يصف الأمكنة المقدسة يسمو أحيانا فوق البوصيرى وغيره من فحول المادحين ومن قوله :

سوح المدينة ما أجل ترابها
تجد البصائر فيه فعل الأثمد

وغبارها المحسوس فوق هوائها
كحل اليقين لمقلة المتردد

نصب لمن ضل الطريق بسوحها
علم الهدى من اصبع المتشهد

أشجارها قامت على سوق الهدى
وظلالها مأوى الرجال السجد

أملاك طباق السماء طيورها
وصغيرها ذكر الاله السرمد

قالت لطرفاء الفلاة حمامة
لم تمرحين وتفخرين فأرشدى

قالت لها أو ما ترين مكانتى
قد كان منا منبر لمحمد

ويقول فى عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم :

سكن الملائك فى حوائط بيته
مثل الحمائم فى كوى الجدران

وقفوا كما تقف الشموع بسوحه
ودموعهم فى غاية الهملان

جلسوا على بسط الـوقار تأدبا
نسى الجـناح طريقـة الطيران

أما غزله فكثير جدا يتضح منه أنه لم يكن يصدر فيه عن تجربة عاطفية وانما أراد به تقليد السابقـين فبينـما يقترب الى العفة مع بعـض معشوقاته مثل قوله :

أتحسب حب عـزة لى حـديثا
عكفت على صبابتـها جنيـنا

أزال العشق عن قلبى سـواها
حبـاه الله سلطانا مبينا

لقد أبصرت فى الـدنيا حسـانا
ولم أر مثـل من أهوى حسينا

تراه ينحدر فى الكثير الى تجسيم حسى رخيص كقوله :

لبست من التفـاح أى قـلادة
فالتذت الأنظـار من ثمراتها

أسرح لحاظك فى رياض خدودها
لك جنة الفردوس فى نيرانها

وله قصيدة طويلة فىوصف جميع أعضاء المرأة أغلب الظن أنها الفريدة من نوعها فى الشعر العربى •

وفى غزله كثير من الأفكار والرموز الصوفية مما يدعونا لى القول بأن حيزا كبيرا من غزله فى التصوف • حاول آزاد أن يدخل الى القريض العربى أوزانا وأشكالا فارسية فـنظم ديوانه الرابع مردفا والخـامس مستزادا ثم أنشأ أشعارا فيما يسمى عند الفرس بالحاجب ، وجعل بعض قوافيـه على الواو ، واستعمل فى شـعره بعـض الألفاظ الأعجمية عن قصد وغيره وكان يترجم الشعر الهندى الى شعر عربى كما فى قوله :

زارت سعاد بلا وعد فقلت لها
يامرحبابك من أتاك فى التعب؟

قالت لقد جاءنى غيـم وكلفنى
أنى أجـوب اليك الأرض بالهدب

فقلت كيف طويت الأرض ماشية
وقت الدجى وسكوب الدمع من سحب

قالت هدانى شعاع البرق مرحمة
فمثله سرت فى القيعان والـكثب

فقلت سيرك فى جنح الدجى غلط
بلا شريك رفيق فى خطى الطلب

قالت خيالك طول السير كان معى
فى حالة عن تجاه العـين لـم يغب

ويبدو في هذه الأبيات ما تعارف عليه الهنود وشاع في أدبهم من أن المرأة هي الطالبة للرجال المتغزلة فيه حتى اذا جاء موسم المطر - يوليو وأغسطس - وعشيقها غائب كان عليها كالنار تحرق قلبها وتكوى جسدها فلا تملك الا أن تسعى اليه • وفي شعر آزاد من أثر ذلك الكثير •

واذا كان الهنود يحرقون موتاهم ثم يذرون رماد جثثهم في الهواء وعلى سفوح الجبال ومجارى الأنهار فاننا نرى أثر ذلك في شعر آزاد :

لقد احترقت وما ترحم مشفق
حصلت هذا النقع من قبساتها

وغدا رمادى في الفلاة مفرقا
بتوجه الأرواح من حضراتها

العصر الحديث :

ضعف الشعر في هذا العصر وندر وجود الشعراء نظرا الى أن الانجليز قد أحكموا سيطرتهم على سائر بلاد شبه القارة ، ولم يسمحوا بتولى الوظائف الحكومية الا لمن يتخرج في مدارسهم التى تقوم الدراسة فيها على أساس الثقافة والفكر الغربى فانصرف كثيرمن الدارسين عن المدارس العربية الى المدارس الحكومية ثم ظهرت طائفة من علماء المسلمين تنادى بأن تعلم الانجليزية والعلوم الحديثة حرام وأن التشبه بالانجليز في لباسهم كذلك مما أدى الى عزلة المسلمين عن الحضارة الحديثة تاركين المجال والوظائف الرسمية للطوائف الأخرى فانحسرت العربية في بعض الزوايا والمساجد تحت اشراف جماعات محدودة الامكانيات حتى اذا نالت الهند استقلالها ١٩٤٧ وانقسمت الى الهند والباكستان انتعشت دراسة العربية الى حد ما ، وقد كان المتوقع والمرجو أن تبذل دولة اسلامية كالباكستان أقصى جهودها في تلك الدراسة التى لم تزل هزيلة ، وسوف يبقى أملنا ضعيفا في وجود شعراء يعتد بشعرهم من هذا العصر بسبب الرواسب الاستعمارية والطريقة التى تعالج بها دراسة العربية في شبه القارة •

دكتور عبد المقصود محمد شلقامى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ١١ —

١١٠ ـ ويقولون : ما تمالك فلان نفسه من الألم أو من البكاء ، يعنون أنه لم يستطع أن يحبس نفسه ويصدها عن الألم أو البكاء .

وخطأ الخاصة فى هذا التعبير مرده اعتقادهم أن تمالك فعل متعد كملك والحق أنه لازم ، ولم يسمع أنه تعدى قط .

ففى اللسان : وتمالك عن الشىء : ملك نفسه ، وما تمالك أن قال ذلك أى ما تماسك ، وما تمالك فلان أن وقع فى كذا أى لم يستطع أن يحبس نفسه ، واذا وصف انسان بالخفة والطيش قيل انه لا يتمالك .

وفى القاموس: وتمالك عنه :ملك نفسه ، وليس له ملاك لا يتمالك ، وفى الأساس : وما تمالك أن فعل كذا ، وهذا حائط لا يتمالك ، وفى المختار : وما تمالك أن قال كذا أى ما تماسك ، وفى المصباح : وماتمالك أن فعل كذا أى لم يستطع حبس نفسه ، فالتمالك معناه الحبس والكف والمنع والتماسك .

فلك أن تقول : ما تمالك أولم يتمالك أن فعل كذا ، وما تمالك أو لم يتمالك عن أن فعل كذا أما اذا لم تأت بأن والفعل فيجب أن تبرز عن فتقول : تمالك أو ما تمالك عن البكاء أو الحزن .

١١١ ـ يقول : ضحى فلان كذا على مذبح أغراضه ، وهذا التعبير ليس عربيا ، وانما هو من صنيع الأعاجم ، اذ فيه غلطتان : احداهما أن ضحى بالمعنى الذى يريدونه لا يتعدى الا بالباء ، تقول : ضحى فلان بشاة ، والأضحية بضم الهمزة وكسرها والياء مشددة شاة يضحى بها ، جمعها الأضاحى ، كالضحية وجمعها الضحايا

والأضحاة وجمعها الأضحى وبه‌سمي يوم النحر وهناك ضحى متعد بنفسه ولكن بمعنى آخر ، تقول : ضحى فلان قومه اذا غداهم ، وضحى ابله‌اذا رعاها ضحاء وضحينا بنى فلان مثل صبحناهم ، والضحاء بالفتح قرب انتصاف النهار والغلطة الأخرى هى أن الأغراض ليس لها مذابح ، وانما هى خاصة بما يذبح من الحيوان والفصيح فى تأدية المعنى المراد أن يقال : ضحى فلان بكل مرتخص وغال فى سبيل تحقيق أغراضه .

١١٢ ـ ويقولون : كلا الرجلين خرجا ، وكلتا المرأتين حضرتا ، والأفصح أن يوحد الخبرفى التعبيرين فيقال كلا الرجلين خرج، وكلتاالمرأتين حضرت ، لأن كلا وكلتا اسمان مفردان وضعا لتوكيد الاثنين والاثنتين وليسا فى ذاتهما مثنيين ، فلهذا يقع الاخبار عنهما كما يخبر عن المفرد ، وبهذا نطق القرآن ، قال تعالى « كلتا الجنتين أتت أكلها » ولم يقل أتتا ، وعليه قول الأعشى .

كلا أبويكم كان فرعا دعامة
ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

وقول عبد الله بن معاوية

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وقول آخر :

كلانا ينادى يانزار وبيننا
قنا من قنا الخطى أو من قنا الهند

وأنشد الأزهرى

كلا الرجلين أفاك أثيم

ويجوز على قلة مراعاة معنى كلا وكلتا كما جاز مراعاة لفظيهما ، وقد اجتمعا فى قول الشاعر

كلاهما حين جد السير بينهما
وقد أقلعا وكلا أنفيهما رابى

والاختيار مراعاة اللفظ كما تقدم

١١٣ ـ ويقولون : صب عليه جام غضبه ، يعنون أن غضبه كان شديدا لدرجة الانصباب وهذا تصوير فاسد ، لأن الجام اناء من فضة وهو لا يصب، وانما الذى يصب على سبيل المجاز هو الغضب ، كما أن الذى يصب حقيقة هو الماء ونحوه ، قال تعالى « أنا صببنا الماء صبا » ووجه الكلام أن يقال : صب من فوق رأسه غضبته ، كما فى

قوله سبحانه: «يصب من فوق رءوسهم الحميم» وهو الماء الحار ، أو يقال: صب عليه سوط غضبه ، وألم السوط معروف والمراد بتصوير ألمه تصوير شدة الغضب ، كما في قوله تعالى : «فصب عليهم ربك سوط عذاب» والعلاقة بين السوط والغضب قوية كالعلاقة بينه وبين العذاب .

١١٤ - ويقولون : انخرط فلان في الجيش اذا انضم الى رجاله ، وهنا التعبير لا يؤدى المعنى الذى يريدونه لأن للمخرط معانى لاتمت بأىصله الى معناهم هذا ، اذ تقول : خرط الرجل العود من بابى ضرب ونصر خرطا اذا قشره ، وخرط الورق اذا حته ، وذلك بأن يقبض على أعلى العود ، ثم يمر يده عليه الى أسفله فينخرط الورق وينحت .

وتقول انخرط فلان فى الأمر اذا ركب رأسه جهلا ، وانخرط جسمه اذا دق .

والواجب - لتأدية المعنى الذى يبتغونه - أن يقال :

انتظم فلان فى سلك الجيش ، أو انضم اليه ، أو التحق به ، أو ماشابه ذلك .

١١٥ - ويقولون : فلان مذهول ، والأفصح أن يقال له : ذاهل بصيغة اسم الفاعل تقول : ذهل فلان عن الأمر من باب قطع ذهلا وذهولا أيضا فهو ذاهل اذا تناساه عمدا أو غفل عنه ، ويتعدى بالهمزة فيقال : أذهلنى عن هذا الأمر مرضى ونحو ذلك .

أما الفعل الثلاثى فغير متعد على أصح الأقوال ، قال الشيخ نصر الهورينى فى هامش القاموس : تعديه بنفسه قليل ، بل غير معروف ، قال تعالى : «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت» .

١١٦ - ويقولون : حلة جديدة ، وعبارة جديدة ، يعنون أنهما كما جدهما الحائك أى قطعهما ، وذلك من قولهم جد الخياط الثوب يجده جدا من باب رد اذا قطعه فهو جديد بمعنى مجدود تقول : ثوب جديد ، وحبل جديد أى مجدود ، قال الشاعر

أبى حبى سليمى أن يبيدا (١)
وأمسى حبها خلقا جديدا

أى مقطوعا

(١) يبيد : يذهب وينقطع من بابى باع وجلس ، باد يبيد بيدا وبيودا .

وعلى هذا ينبغى أن يقال : حلة جديد، وعباءة جديد بغيرهاء ، لأن كلا منها بمعنى مفعولة أى مقطوعة ، وفى اللسان والأساس : وملحفة جديد بغير هاء لأنها بمعنى مفعولة ، وقال سيبويه : ويقال على قلة : ملحفة جديدة ، قال أبو على : جد الثوب يجد جدة من باب ضرب صار جديدا ضد قديم ، وعليه وجه قول سيبويه : ملحفة جديدة لا على ما ذكرنا من المفعول ، قال : والعرب تقول ملاءة جديد بغير هاء لأنها بمعنى مجدودة أى مقطوعة .

وفى المختار : وانما قيل قنطرة عتيقة (١) بالهاء ، وقنطرة جديد بلاهاء لأن العتيقة بمعنى الفاعلة ، والجديد بمعنى المفعولة ، ليفرق بين ماله الفعل وبين ما الفعل واقع عليه .

١١٧ ـ ويجمعون الحفيد وهو ولد على أحفاد ، فيقولون : لفلان كثير من الأحفاد ، وهذا خطأ ، لأن أفعالا لا يكون جمعا الا لما لم يطرد فيه أفعل كسيف وأسياف ، وحمل وأحمال ، وصلب وأصلاب ، وباب وأبواب .

والصواب أن يجمع على حفداء جمعا قياسيا، ككرماء، وبخلاء وظرفاء لأنه صفة لمذكر عاقل على وزن فعيل بمعنى فاعل .

أما الحافد فيجمع على حفدة كساحر وسحرة ، وكاتب وكتبة ، ومنه قوله تعالى:«بنين وحفدة» ويجمع أيضا على حفد بفتحتين كخادم وخدم ، وحفدة الرجل بناته، وقيل أولاد أولاده ،وقيل أصهاره ، وروى عن مجاهد أنهم الخدم والأعوان ، وقال الفراء : الحفدة الأختان وروى عن عاصم عن زر قال قال عبد الله يازر هل تدرى ما الحفدة ؟ قال نعم هم حفاد الرجل من ولده وولد ولده ، وقال ابن شميل الحفدة والحفد الأعوان ، وهذا أتبع لكلام العرب من الأصهار ، قال الشاعر :

فلو أن نفسى طاوعتنى لأصبحت
لها حفد مما يعد كثير

أى أعوان .

تقول : حفد الرجل يحفد حفدامن باب ضرب ، وحفدانا أيضا بالتحريك ويقولون : صلة جديدة ، وعبارة

(١) عتيقة : قديمة .

« واليك نسعى ونحفد »أى نسرع الى الطاعة ، ويقال : أحفده اذا حمله على الاسراع، وبعضهم يجعل أحفد لازما .

١١٨ ـ ويقولون : مات الميت ،قال أبو حاتم السجستانى : هذا خطأ والصواب أن يقال مات الحى ، ولذا عابوا على من قال

اذا مات ميت من تميم
وسرك أن يعيش فجىء بزاد

١١٩ ـ ويقولون لمن أصابه مرض هذا رجل معلول ، يعنون أصابته علة وهذا خطأ ، لأن المعلول هو الذى سقى العلل وهو الشرب الثانى

تقول : عله يعله علا ، وعللا اذا سقاه الشربة الثانية ، فهو معلول
قال صاحب القاموس : والعلة المرض : يقال : عل يعل بكسر العين واعتل ، وأعله الله فهو معل ، وعليل ولا تقل معلول ، والمتكلمون يستعملونها

هذا رأى القاموس ، أما المصباح فقد أجاز أن يقال معلول ، وعد هذا من تداخل اللغتين ، وأصله فى رأيه: أعله الله فعل فهو معلول .

١٢٠ ـ ويقولون : هذا الرجل ميتاق الفؤاد يعنون أنه بليد قليل الاحساس ، وهذه المرأة ميتانة الفؤاد والصواب موتان وموتانه ،ويقال أيضا المال موتان بالفتح ويضم اذا انحسر وصار قليلا ، لأن كل ماذكر واوى لا يأتى كما قالوا ، اذ أنه مشتق من الموت تقول : مات يموت موتا ، وما أموت فلانا معناه ماأموت فؤاده أو قلبه لأن كل فعل لايتزيد لايتعجب منه ، والموات بضم الميم الموت ، أما بفتحها فهو مالاروح فيه، وكذلك هوالأرض التى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد .

عباس أبو السعود

صلاح الدين الأيوبي وتعطيل الأزهر

للأستاذ محمد كمال السيد

وضع القائد جوهر أساس القاهرة المعزية الفاطمية فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٥-٧-٩٦٩م) على الشاطىء الشرقى للخليج المصرى . ثم بدأ فى بناء الجامع الأزهر بعد ذلك ببضعة شهور . واستغرق بناؤه ما يزيد قليلا عن العامين . وافتتحه جوهر بصلاة الجمعة فيه فى ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ (٢١/٦/٩٧٢م .) لأن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لم يقدم من المغرب ويدخل القاهرة الا بعد سنة كاملة من هذا التاريخ الأخير .

وكان انشاء المدن يستتبع عادة انشاء مسجد جامع للمدينة الجديدة فكان اسم الجامع الأزهر عند انشائه جامع القاهرة . فلما تعددت المساجد التى أنشأها الفاطميون داخل القاهرة الفاطمية اختير له اسم الجامع الأزهر .

فقد أنشأ العزيز بالله بن المعز الجامع الأنور بين بابى النصر والفتوح وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ فنسب اليه وعرف بجامع الحاكم . وأنشأ الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ الجامع الأقمر (بجهة بين القصرين) . وأنشأ الظافر بأمر الله سنة ٥٤٣ هـ الجامع الأفخر (بجهة العقادين بشارع المعز لدين الله وهو المعروف باسم جامع الفاكهين) .

ولا يعرف على وجه التحقيق وقت اختيار اسم (الأزهر) لهذا الجامع. ولكن الأرجح أنه فى وقت متقدم من حكم الفاطميين . بدليل اختيار أسماء المساجد التى انشئت بعده بداخل القاهرة الفاطمية (الأنور والأقمر والأفخر) لتسير على نمط لفظه .

ومن المعروف أن اختيار لفظ الأزهر يرجع الى لقب السيدة فاطمة الزهراء

بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ووالدة الامامين الحسن والحسين • والى الامام الحسين ينتسب الفاطميون فجدهم اسماعيل بن الامام جعفر الصادق • والأخير هو الامام السادس عند الشيعة الأمامية الاثنى عشرية والاسماعيلية •

فأول الأئمة عند الطائفتين على بن أبى طالب كرم الله وجهه • ثم ابنه الحسن • ثم الحسين بن على • ثم على زين العابدين بن الحسين ثم ابنه محمد الباقر • ثم ابنه جعفر الصادق ابن محمد الباقر •

وبعد جعفر الصادق تفترق الطائفتان فالامامية الاثنى عشرية يرون أن الامامة بعده لابنه موسى الكاظم • بينما الاسماعيلية يرون أنها لمحمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق • لأن اسماعيل كان أكبر من أخيه موسى • ولكنه توفى فى حياة والده •

وكان الأزهر محل عناية الخلفاء الفاطميين • فقد أرادوا أن يكون منطلقا للدعاية للمذهب الشيعى • وأشار أبو الفرج يعقوب بن كلس - وزير المعز ثم وزير ابنه العزيز - على العزيز أن يرتب رواتب لجماعة من الفقهاء يعملون فيه حلقات للتدريس • فرتب خمسة وثلاثين فقيها • وبنى لهم دارا بجانب الجامع • وكانوا يحلقون (أى يجلسون كل منهم فى حلقة) فى الجامع بعد صلاة الجمعة حتى صلاة العصر • وكانت تطلق لهم ـ فضلا عن المرتبات ـ الخلع والصلاة فى المواسم والأعياد من دار الخلافة وفى دار الوزارة •

وهو بهذا يعتبر أقدم الجامعات فى العالم المستمرة للآن • وان كان البعض يعتبر جامع القرويين (١) بمدينة فاس فى المملكة المغربية أقدم منه • فقد انشىء فى سنة ٢٤٥ هـ • أى قبل الأزهر بأكثر من قرن • واستمرت الدراسة فيه للآن دون انقطاع تقريبا • ولكن الأزهر فضلا عن توسطه فى العالم الاسلامى فانه ينفرد بأنه أول جامع تولت الدولة الانفاق على مدرسيها وتعهدتهم بالرعاية حتى العصر الحديث •

---

(١) اسم القرويين نسبة الى مهاجرين من القيروان كانوا يقطنون الحى الذى انشىء فيه الجامع •

وكان الأزهر أيضا محل تقدير الفاطميين . فقد كان الخليفة يصلى الجمعة الثانية من شهر رمضان فى الجامع الأزهر . والجمعة الثالثة فى الجامع الأنور . والرابعة فى جامع عمرو بالفسطاط أما الجمعة الأولى فكانت راحة . (١)

وابتدع الفاطميون بما عرف عنهم من الترف وحب التنعم أعيادا جديدة .. منها ليالى الوقود الأربع . وهى مستهل رجب ونصفه . ومستهل شعبان ونصفه . ومنها الموالد الستة . وهى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام . والأمام على بن أبى طالب والسيدة فاطمة . والامام الحسن . والأمام الحسين . ومولد الخليفة القائم بالحكم .

وفى ليالى الوقود والموالد كانت تنار الجوامع الستة الكبرى . وهى الأزهر والأنور والأقمر (٢) وجامع ابن طولون وجامع عمرو وجامع القرافة . فضلا عن باقى المساجد والمشاهد التى بها الأعضاء الشريفة أى مشاهد آل البيت النبوى الكريم .

وكان بجوار الجامع الأزهر ــ فى الجهة الجنوبية منه ــ منظرة تشرف عليه يجلس فيها الخليفة لمشاهدةليالى الوقود . ولم يكن الوقود قاصرا على الأيام الأربعة المذكورة . ولكن كان أيضا فى ليالى الجمعة منشهرى رجب وشعبان فضلا عن طول شهر رمضان.

وكان للمقيمين بالأزهر رواتب من الخبز والحلوى تصرف لهم فى ليالى الجمع وليالى الوقود فى الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان .

وممن أقاموا بالأزهر فى هذه الفترة الحسن بن الهيثم (توفى سنة ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م تقريبا) العالم العربى الشهير الذى تعلمت منه أوربا الكثير عن نظريات الضوء وانكساره والعدسات وقوس قزح وتشريح العين وتكون الضوء على شبكتها . واسماء أجزائها . وقالت عنه دائرة المعارف الاسلامية : (كان من أهم علماءالعرب

---

(١) ظل تقليد صلاة ولى الأمر الجمعة الأخيرة من رمضان فى جامع عمرو بالفسطاط معمولا به حتى سنة ١٩٥٢ م .

(٢) أما الجامع الأفخر أو جامع الفاكهيين فلم ينشأ الا سنة ٥٤٣ أى فى أواخر حكم الفاطميين .

فى الرياضيات والطبيعيات • وكانت له فوق ذلك مشاركة فى الطب وعلوم الأوائل وخاصة فلسفة أرسطو • وأن لكتابه (المناظر) أثر بالغ فى معارف الغربيين لهذا العلم فى العصور الوسطى حتى كبلر سنة ١٦٣٠ م •) • وقالت دائرة المعارف البريطانية أن ابن الهيثم هو أول مكتشف ظهر بعد بطليموس فى عالم البصريات (تعنى بطليموس كلوديوس أو القلوذى مؤلف كتاب المجسطى الشهير فى الفلك توفى سنة ١٦١ م وبينه وبين ابن الهيثم ما يقرب من تسعة قرون) وقال سارتون عن ابن الهيثم أنه أكبر عالم طبيعى مسلم ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر والضوء فى جميع الأزمان

وعرفه الغربيون باسمه الأول بعد تحريفه الى Alhazen

وظل الأزهر محل اهتمام الدولة ورعايتها طوال حكم الفاطميين • فقد جدده الحاكم بأمر الله • ورفع سقفه ذراعا عما كان • وأوقف أوقافا عديدة عليه وعلى الجامع الأنور وعلى دار الحكمة التى أنشأها وعلى جامع المقس (١) • وكان نصيب الأزهر وحده من هذه الأوقاف ما يقرب من النصف • ($\frac{٧}{١٠}$) كما جدد فى عهد المستنصر بالله • وفى عهد الحافظ لدين الله • ولاتزال للآن من هذه العمارة الأخيرة قبة بالمجاز حفلت جوانبها وسقفها بزخارف جميلة وآيات من القرآن الكريم فيها آية الكرسى وأيات من سورة يس • وتعد أقدم قبة نقشت من الداخل (المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب الأزهر تاريخه وتطوره)

ولو أن الفاطميين قصدوا أن يجعلوا من الأزهر منطلقا للدعاية لمذهبهم الشيعى • ولكن حرية الفكر العلمى تأبى القيود • كما أن سعة الأفق عند الخلفاء الفاطميين كانت ترفض التعصب أو التزمت • فكما استوزروا أحيانا وزراء يهودا أو نصارى • وكما

---

(١) انشاه الحاكم بأمر الله وعرف بجامع المقس نسبة للجهة التى أنشىء بها بالقرب من ميدان رمسيس الحالى . وقيل سميت الجهة بالمقس لأن هناك قسمت غنائم الفتح العربى . وقيل أنها من المكس أى الجمارك حيث كانت هناك الميناء النهرية لمدينة القاهرة . ثم عرف جامع المقس بجامع اولاد عنان (بشارع الجمهورية الحالى) لما سكنه الشيخ محمد عنان وأولاده من بعده . وازيل اخيرا ليقام مكانه مسجد باسم جامع الفتح .

عينوا فى القضاء أحيانا من غير المذهب الشيعى • فكذلك كان يدرس فى الأزهر ـ فضلا عن التفسير والحديث وعلوم اللغة ـ فقه المذاهب الأربعة • وليست هى المذاهب الأربعة التى نعرفها الآن • ولكنها كانت المذهب الشافعى والمذهب المالكى ومذهب الشيعة الأمامية • ومذهب الشيعة الاسماعيلية •

ويحفظ لنا التاريخ اسما من علماء الأزهر الذين درسوا فيه فى العهد الفاطمى • هو المؤرخ القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى (توفى سنة ٤٥٤ هـ) • وهو من أقدم من كتبوا فى تاريخ القاهرة وخططها • وكتابه (المختار فى الخطط والآثار) مفقود• ويشير اليه المقريزى والقلقشندى وغيرهما من المؤرخين فى أكثر من موضع•وكان شافعىالمذهب وله مؤلفات كثيرة أغلبها مفقود ،منها تفسير للقرآن فى عشرين جزءا •

وقد خلط المرحوم على باشا مبارك (الخطط التوفيقية جـ٥ ص ٤٨) بينه وبين أبيه المتوفى سنة ٣٩٦ هـ • فذكر أن الأب هو المؤرخ • كما نسب للأب تفسير رؤيا لأحمد ابن طولون • وهذا غير معقول لأن ابن طولون توفى سنة ٢٦٩ هـ •

وارتبكت الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها فى الداخل والخارج فقد استولى الصليبيون علىأجزاء كثيرة من فلسطين والشام • وهددوا مصر ذاتها • واختلف شاور وضرغام على الوزارة فهربشاور الىالشام مستنجدا بالسلطان نور الدين محمود بن زنكى فأرسل معه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب • وأمكن لشيركوه هزيمة ضرغام وقتله • ثم اختلف مع شاور • الذى راسل الفرنج ليعينوه على شيركوه• وأطمعهم فى تملك مصر • وعاد شيركوه الى الشام • واشتد طمع الفرنج حتى تسلموا أسوار القاهرة • وأعدو فيها شحنة (قوة عسكرية) للمقاسمة فيما يحصل من العوايد والرسوم •

وساء أمر شاور واشتد عسفه • وزادت اهانة الفرنج للمسلمين • وأحرقشاور الفسطاط بحجة الخوف من استيلاء الفرنج عليها • واستمر الحريق بها ٥٤ يوما • حتى أتى على ما فيها وتركها خرابا •

وكاتب الخليفة العاضد لدين الله ـ آخر الخلفاء الفاطميين ـ السلطان نور الدين سنة ٥٤٦ هـ يستنجد به • فأرسل شيركوه مرة ثانية على رأس قوة طردت الفرنج • وقتل شاور • وتقلد شيركوه وزارة العاضد • ثم مات شيركوه بعد شهرين • فأقام العاضد مكانه صلاح الدين •

وأخذ صلاح الدين فى اضعاف شأن العاضد وتركيز السلطة لنفسه • وصار يخطب للسلطان نورالدين بعد العاضد •

فأراد العاضد ـ أو بالأحرى رجال القصر يحركهم مؤتمن الخلافة جوهر ـ استرجاع النفوذ فدبروا مؤامرةلاغتيال صلاح الدين• وفشلت المؤامرة • وكان قوامها العبيد الذين كانوا قوة يعمل حسابها فى أيام المستنصر بالله الفاطمى الذى كانت أمه جارية سوداء • فأكثرت من شرائهم ومكنتهم قوة ونفوذا •

وكما بدأت الدولة الفاطمية فى مصر بالقائد جوهر فقد انتهت بمؤتمن الخلافة جوهر •

فقد كانت واقعة العبيد بداية النهاية فأبطل صلاح الدين ركوب الخليفة • وظل محبوسا فى قصره • واستقدم صلاح الدين أباه واخوته من الشام • فأنزلهم مناظر الخلفاء ودور الأمراء ووهب اقطاعات الأمراء لأهلهوأصحابه وفى سنة ٥٦٦ هـ عزل قضاة الشيعة • واتخذ المذهب الشافعى أساسا للقضاء فى مصر •

ومات العاضد ليلة عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ • بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للخليفة المستضىء بالله العباسى بيومين • وانتهت الدولة الفاطمية بعد أن استمر حكمها ٢٧٠ سنة • منها بمصر ٢٠٨ سنة وبضعة شهور • فسبحان من له الدوام •

وقد ذكر المقريزى فى الخطط (جـ ١ ص ٣٥٩) أن الدعاء كان للمستنجد بالله العباسى • والمعروف أن المستنجد توفى فى ربيع الأول سنة ٥٦٦ هـ • وبويع للخلافة بعده لابنه المستضىء بالله• ولعل الأصل المستضىء بالله بن المستنجد بالله • وأسقط الناسخ أو الناشر اسم المستضىء •

وبانتهاء الدولة الفاطمية انتهى المذهب الشيعى رسميا من مصر • وعادتالى المذهبالسنى تمثله الخلافة العباسية فى بغداد • هذا من الناحية

الدينية ـ أما من الناحية السياسية فقد كان لمصر كامل السيادة . كما كان عليها العبء الأكبر فى محاربة الصليبين واسترجاع ما استولوا عليه من أراضى المسلمين بفلسطين والشام وآسيا الصغرى . وقد قامت بدورها فى ذلك خير قيام .

ورأى صلاح الدين فى الجامع الأزهر بوضعه وقتذاك صورة للدعاية وصوتا للترويج للمذهب الشيعى . فأراد محو هذه الصورة واخفات هذا الصوت . فارتكن على فتوى القاضى الشافعى أنه لا تجوز خطبة الجمعة فى مسجدين فى مدينة واحدة ـ وهى القاهرة الفاطمية . فألغى خطبة الجمعة من الجامع الأزهر وقصرها على الجامع الأنور ـ أى جامع الحاكم ـ بحجة أنه أكثر اتساعا . فعرف الجامع الأنور بجامع الخطبة . وظلت خطبة الجمعة معطلة من الأزهر مائة عام تقريبا .

ولم يكتف صلاح الدين بهذا فأخذ هو ومن تلاه من سلاطين بنى أيوب فى انشاء المدارس المتعددة . وهى أشبه بالكليات . تلقى فيها الدروس على شكل الحلقات . عامة يحضرها من يشاء من الطلاب وغير الطلاب لتقوم مقام الجامع الأزهر .

فأنشأ صلاح الدين خمس مدارس منها ثنتان سنة ٥٦٦ هـ . اثناء وزارته للعاضد . أى قبل وفاة العاضد بسنة تقريبا .

وأولى هذه المدارس كانت بجوار جامع عمرو بالفسطاط للفقه الشافعى وكانت تعرف بالمدرسة الناصرية ـ نسبة لاسمه الناصر صلاح الدين . ثم عرفت بمدرسة ابن زين التجار أحد أساتذة الفقه الشافعى حيث درس بها مدة طويلة حتى توفى سنة ٥٩١هـ ثم عرفت بالمدرسة الشريفية نسبة للشريف القاضى شمس الدين محمد ابن الحسين الحنفى . وفى هذا مايدل على أنها لم تقتصر فيما بعد على الفقه الشافعى . وظلت هذه المدرسة بهذا الاسم الأخير كما ذكرها السيوطى (توفى سنة ٩١١ هـ) فى حسن المحاضرة . ثم تعطلت مع باقى المدارس بعد استيلاء العثمانيين على مصر سنة ٩٢٣ هـ . (١٥١٧ م)

وقال المقريزى (الخطط ص٦٢٣) ان انشاء هذه المدرسة كان من أعظم

ما نزل بالدولة ـ يعنى الدولة الفاطمية وانها أول مدرسة عملت بديار مصر وهذا غير دقيق • فاذا كان لا يعتبر مدارس الجوامع الكبرى التى تلقى فيها دروس مثل جامع عمرو وابن طولون وغيرهما • لأنه ليس للمدرسين بها مربوط معلوم • فقد كان لمدرسى الأزهر رواتب • كذلك دار الحكمة التى أنشأها الفاطميون كما أن الوزير ابن سلار ـ وقد كان شيعيا وتحول للمذهب السني ـ أنشأ سنة ٥٤٦ هـ مدرسة للفقه الشافعى •

والمدرسة الثانية التى أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ • كانت أيضا بجوار جامع عمرو • وكانت للفقه المالكى • وعرفت بالمدرسة القمحية • لأن رواتب المدرسين بها كانت تصرف قمحا ناتجا من ضيعة فى الفيوم موقوفه عليها •

ثم أنشأ صلاح الدين سنة ٥٧٢ هـ المدرسة السيوفية للفقه الحنفى •وهى أول مدرسة للحنفية بمصر • وموقع جزء منها حاليا زاوية الشيخ مطهر بالقرب من مدخل الصاغة • وكان مكانها أصلا دار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله الفاطمى • وسميت بالسيوفية لأن سوق السيوفين تجارة وصناعة السيوف ـ كان هناك•

وبالمدرسة السيوفية تلقى دروسه العارف بالله شمس الدين عمر بن على الفارض • صاحب الديوان المشهور بين الصوفية برقيق معانيه • ودقيق مراميه • فى التغزل ومحبة الذات الآلهية • واشتهر أبوه على بلقب الفارض لبراعته فى علم الفرائض أى المواريث • وتوفى عمر بن على سنة ٦٣٢ هـ • ودفن بسفح المقطم • وقبره للآن يزار • وكان رحمه الله يقيم فى الأزهر •

وأنشأ صلاح الدين فى سنة ٥٧٢ أيضا المدرسة الصلاحية بجوار ضريح الأمام الشافعى لتدريس الفقه الشافعى وأدخلت هذه المدرسة فيما بعد ضمن المسجد •

والمدرسة الخامسة التى أنشأها صلاح الدين كانت بجوار المشهد الحسينى • وأصبح موقعها ضمن جامع الحسين عند المحراب الحالى للمسجد •

وأنشأ تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب (ابن أخى صلاح الدين •

وهو جد المؤرخ المشهور أبى الفدا صاحب حماة وبينهما ستة أجيال)

مدرسة منازل العز بالفسطاط للفقه الشافعى • وكانت أصلها دارا بهذا الاسم للسيدة تغريد زوجة المعز لدين الله ووالدة العزيز • وأسكن صلاح الدين ابن أخيه المذكور فيها فجعلها مدرسة •

وبعد صلاح الدين أنشأ أخوه العادل مدرسة الفسطاط للفقه المالكى •

وأنشأ الكامل بن العادل بين القصرين المدرسة الكاملية العظيمة لتدريس الحديث الشريف وهى باقية للآن شمال جامع وخانقاه الظاهر برقوق بشارع المعز لدين الله بالقرب من جامع قلاوون •

وأنشأ الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل فى جزء من مكان القصر الشرقى الفاطمى الكبير المدرسة الصالحية لتدريس فقه المذاهب الأربعة: الشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى • وآثار هذه المدرسة باقية للآن بحى خان الخليلى • ومحل محرابها كان باب الذهب الذى كان أهم أبواب القصر الشرقى فى الريح الغربى منه وهو يبعد عن الشارع الحالى بحوالى سبعين مترا (اسماء ومسميات فى تاريخ وخطط القاهرة لكاتب المقال)

ولا أريد أن استرسل فى ذكر المدارس التى أنشأها سلاطين بنى أيوب وأمراء دولتهم • ولكن نقول اجمالا أن المقريزى ذكر لنا فى الخطط احدى وعشرين مدرسة أنشئت فى مدة حكمهم التى لم تتجاوز ٨١ سنة •

وانزوى الأزهر يعانى هذه المحنة من قطع الخطبة • وانصراف الدولة عن رعايته • باستيلائها على أوقافه • ومنافسة هذه المدارس المنشأة التى حظيت بالاقبال عليها لما فيها من مرتبات ومالها من أوقاف •

ولكنها لم تكن محنة كاملة • فقد ظلت للأزهر مكانته • وان كانت تزعزعت بعض الشىء فقد رأينا عمر ابن الفارض يقيم فى الأزهر • كما يحدثنا التاريخ أن العالم العربى الشهير عبد اللطيف بن يوسف البغدادى كان فى هذه الفترة من حكم الأيوبين يلقى دروسا فى الأزهر •

وهو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى • ولد ببغداد سنة ٥٥٧ هـ • وبرز فى الطب والفلسفة وعلوم الكلام والمنطق والبيان

وغادر بغداد الى الشام قاصدا صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ • وكان وقتها يحاصر عكا محاولا انتزاعها من الصليبين • ثم وصل عبد اللطيف بعد ذلك الى القاهرة فى نفس السنة •

وكانت القاهرة ودمشق فى القرن السادس الهجرى قد أنتزعتا السيادة الفكرية فى العالم الاسلامى من بغداد وتنافست القاهرة ودمشق عليها حتى استقرت للقاهرة فى دولتى السلاطين والمماليك •

وأكرم رجال الدولة عبد اللطيف البغدادى • ولما توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ • اتصل بابنه العزيز ولازمه حتى توفى العزيز سنة ٥٩٥ هـ • وقال عبداللطيف عن نفسه فى هذه المدة :

(وكانت سيرتى فى هذه المدة أن أقرىء الناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى الساعة الرابعة • ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره • وآخر النهار أرجع الى الجامع الأزهر ويقرىء قوم آخرون • وفى الليل اشتغل مع نفسى • ولم أزل على ذلك الى أن توفى العزيز) (١)

وفى هذا ما يدل على أنه كانت تلقى دروس فى الأزهر من البغدادى وأن هذه الدروس لم تكن قاصرة على علوم الدين واللغة • بل كانت أيضا فى الطب وغيره •

والتوقيت المذكور فى قول البغدادى هو حسب التوقيت العربى • فقد كان العرب يعتبرون غروب الشمس أول اليوم • لأنهم يأخذون بالحساب القمرى • وشهرهم مقيد بالهلال الذى تبدأ رؤيته أو مولده وقت الغروب • وبه بدء الشهر وبالتالى بدء اليوم من الشهر • فالساعة الأولى من اليوم هى الأولى بعد الغروب • ثم الثانية • ثم الثالثة وهكذا حتى الساعة الثانية عشر وهى توافق شروق الشمس • فتبدأ ساعات النهار • فتكون الساعة الرابعة من النهار المذكور حسب توقيتنا الحاضر العادى ـ لا التوقيت الصيفى ـ ما بين التاسعة والحادية عشر صباحا حسب فصلى الصيف والشتاء •

والأصل فى هذا أن المصريين القدماء كانوا يقسمون اليوم الى ٢٤ ساعة • ولكنهم كانوا يقسمونه الى

(١) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية لمحمد عبد الله عنان ص ٩٧ نقلا عن عيون الأخبار فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

قسمين : قسم لليل وقسم للنهار ٠ وكل قسم ١٢ ساعة ٠ ولما كان الليل والنهار يختلفان طولا وقصرا على مدار الفصول فقد كانت الساعات على ذلك غير متساوية ٠ أى أن الساعة كانت اعتبارية أى $\frac{1}{12}$ من الليل أو النهار ثم أدخل هيباركس سنة ١٢٥ ق٠م تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة متساوية لضبط الحسابات الفلكية وتبعه بطليموس كلوديوس الذى أدخل تقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة وكان العرب يعرفون هذا ويسمون الساعة التى هى من اليوم ومن ٦٠ دقيقة بالمستوية والتى هى $\frac{1}{12}$ من الليل أو النهار بالزمانية أو المعوجة ٠ ولم يكونوا يستعملون غير الساعة الزمانية أو المعوجة فى أول دولتهم(١) ٠

وترك لنا عبد اللطيف البغدادى فى كتابه (الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) المعروف بمختصر أخبار مصر صورة واقعية عن مصر فى ذلك الوقت تتميز بالروح العلمية التى تجرد الأحداث من الأساطير والخرافات ٠ وتعتمد على الحقائق ٠ ويبحث فيه مافى مصر من نبات وحيوان ٠ وبهرته الآثار الفرعونية بما فيها من فن وعظمة وهندسة ٠ ولم يفته ما فى وجه أبى الهول من تناسب ومسحة بهاء وجمال كأنه يبتسم ٠ وساءه اهمال الحاكمين رعاية هذه الآثار بل والتعدى عليها ٠ وهدم بعضها لاعتقاد أن تحتها كنوزا ٠ أو للانتفاع بأنقاضها فى مبانيهم ٠ كما عاصر الوباء الأسود الذى اجتاح مصر سنة ٥٩٧ هـ (سنة ١٢٠١ م) فوصف ما خلفه من دمار وخراب ومجاعات وفظائع تقشعر منها الأبدان (٢) ٠

واستمر عبد اللطيف البغدادى فى القاهرة حتى سنة ٦٠٢ هـ ٠ فتركها وأخذ يتنقل فى البلاد الاسلامية مثل القدس ودمشق وغيرهما ٠ حتى عاد الى بغداد فتوفى هناك سنة ٦٢٩ هـ ٠

وانتهت دولة الأيوبيين سنة ٦٤٨هـ وبدأ عهد السلاطين المماليك بدولتيهم البحرية والبرجية اللتين استمرتا حتى

(١) الشمس والقمر فى حساب الزمن لكاتب المقال .

(٢) يوجد بدار الكتب نسخة من مؤلفه المذكور طبع اكسفورد سنة ١٨٠٠م . وعرف البغدادى أيضا باسم ابن اللباد . وكان شافعى المذهب . وذكر على مبارك (الخطط جـ ٥ ص ٧٩) له ترجمة مطولة مشرفة ذكر فيها مؤلفاته .

سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بدخول العثمانيين مصر ٠

فبرقت بارقة من النور في سلطنة الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) ٠

فقد كان عز الدين أيدمر أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس يسكن دارا بجوار الجامع الأزهر (مكانها الآن المدرسة الأقبغاوية من مباني الأزهر الحالية وبها مكتبته) ٠ فرعى عز الدين حق الجوار ٠ واستصدر قرارا من الظاهر بيبرس باعادة الخطبة للأزهر ٠

وبحث عز الدين عن المغتصب من أموال الأزهر ٠ وأمكنه استرجاع بعضه ٠ وتبرع له بمبلغ كبير ٠ كما تبرع السلطان ٠ وشرع في عمارته ٠ وترميم الواهي من جدرانه ٠ وأصلح سقوفه ٠ وبيضه وبلطه ٠ وفرشه وكساه حتى عاد حرما ٠ وأقيمت صلاة الجمعة فيه في ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ(ديسمبر سنة ١٢٦٦م)٠ بعد أن ظلت معطلة فيه ما يقرب من مائة عام ٠

ولما أراد الظاهر بيبرس اعادة الخطبة في الأزهر ٠ رفض قاضي القضاة الشافعي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز ٠ وامتنع عن التصريح بذلك طبقا لمذهبه أنه لا تجوز الخطبة في جامعين في مدينة واحدة ٠ هي القاهرة الفاطمية كما سبق ذكره ٠ فاستصدر الظاهر فتوى من العلماء من المذاهب الأخرى بجواز ذلك ٠ وتوفي ابن بنت الأعز في رجب سنة ٦٦٥ هـ ٠ أي بعد اعادة الخطبة للأزهر بثلاثة شهور تقريبا ٠

وقيل ان هذا من الأسباب التي جعلت الظاهر بيبرس يستحدث نظام القضاة الأربعة ٠ أي قاضي لكل مذهب ٠ ولقاضي قضاة المذهب أن ينيب عنه نوابا للقضاء في أنحاء البلاد ٠ ومع ذلك ظل قاضي قضاة الشافعية مقدما على غيره ٠ وله امتيازات مثل نظر الأوقاف وبيت المال ومال الأيتام وغيرها ٠ وكان سلاطين مصر شافعيي المذهب غالبا ٠ واستمر الحال كذلك حتى دخل العثمانيون مصر ٠ فأصبح التقدم والفتوى للمذهب الحنفي مذهب سلاطين آل عثمان ٠ وهو ما عليه العمل الآن في مصر في القضاء والتشريع ٠ وان كان دون التزام ٠

وذكر السيوطى (حسن المحاضرة ج ٢ صفحة ١٠١) أن ضم القضاة الثلاثة الى القاضى الشافعى كان سنة ٦٦٣ هـ • وأن قاضى القضاة ابن بنت الأعز كان شديد التصلب فى الدين (فكان الأمراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم • وكان هدا من الحوامل على ضم القضاة الثلاثة اليه) ١ هـ • فلعل الاصلاحات التى قام بها عز الدين أيدمر فى الأزهر استغرقت هذه الفترة من سنة ٦٦٣ هـ - سنة ٦٦٥ هـ •

وفى تعدد المذاهب يسر للناس • وكما قيل فى اختلافهم رحمة •

ورتب عز الدين أيدمر سبعة من القراء لتلاوة القرآن الكريم •ومحدثا يسمع الحديث الشريف • وجماعة من الفقهاء لقراءة الفقه الشافعى • واحتفل باعادة الخطبة للجامع احتفالا فخما حضره الأمراء والأعيان • وقرىء القرآن • ثم دخلوا دار عز الدين فقدم لهم من الأطعمة والأشربة ما لذ وطاب •

وسرعان ما استعاد الأزهر مكانة الصدارة على باقى المدارس •

محمد كمال السيد

صلوات فى محراب الطبيعة

للأستاذ عبد الرحمن محمد بجا

أقبل الصبح فقوموا واشهدوا   كيف قد أشرق وضاح الجبين
واركعوا لله شكرا واسجدوا   واذكروا نعمة رب العالمين

* * *

انظروا الأطيار فى أوكارها   نهضت تنظم لله الثناء
وتحييه على أشجارها   بغناء قد سما كل غناء

* * *

ما ترى يمسكها غير الاله   بيد القدرة فى جو السماء
فالق الحب تعالى والنواه   خالق الانسان من طين وماء

* * *

وانظروا الزهر تهادى الخيلاء   بشذا فضل الاله المبدع
واختفى النرجس بعداً للرياء   زاهدا زهد التقى الورع

* * *

واتقوا الله فما يدنى المنى   غير تقوى الله رب العالمين
كل شىء يتجلى حولنا   يملأ النفس بأنوار اليقين

* * *

كيف لايؤمن فينا من يرى كل ما فى الكون للايمان داع
ان من فكر فى خلق الورى يسفر الحق له دون قناع

❋ ❋ ❋

واذكروا يوم الحساب الأعظم انه لا شك للانسان آت
ان من أوجدنا من عدم هو من يبعثنا بعد الممات

❋ ❋ ❋

واذكروا العرب فذكراها لنا يشحذ العزم لارجاع علاها
واذا الجانى عليها قد جنى فادفعوا عنها وذودوا عن حماها

❋ ❋ ❋

ربنا هيىء لنا من أمرنا رشدا وانصر جيوش العرب
واجعل الوحدة وثقى بيننا انما الوحدة أسمى الأرب

❋ ❋ ❋

نحن شعب هيأ الله له كل أسباب العلا والغلب
بالهدى أرسل فينا رسله واصطفى من بيننا كل نبى

عبد الرحمن نجا

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **جامع بيان العلم وفضله :**
تأليف : الامام العلامة ابن عبد البر :

هذا الكتاب الذي قامت بنشره دار الكتب الحديثة بالقاهرة فى أكثر من خمسمائة صفحة ، من تراثنا الاسلامى الذى نعتز به ، قدم له بمقدمة موجزة الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، عرض فيها للمؤلف والكتاب .. والحق أن المؤلف غنى كل الغنى عن التعريف، فقد زود المكتبة الاسلامية بالكثير من مؤلفاته وشروحه وتحقيقاته ، ولانظن أحدا يجهل .. الاستيعاب فى تراجم الأصحاب » و « الكافى » فى الفقه و « المدخل » فى القراءات ، وكتاب « التمهيد » بما جاء في الموطأ من المعانى والأسانيد » ثم « اختلاف أصحاب مالك فى روايتهم عنه » وهو موسوعة فى أربعة عشر جزءا .. انه عالم الأندلس أبو عمرو ، يوسف بن محمد ابن عبد البر القرطبى المالكى ، الذى ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ ، وتوفى بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣ هـ .

أما العلم الذى قصد اليه المؤلف فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وحمله » فهو ـ كما يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب ـ العلم الدينى المستمد من الكتاب والسنة ، وليس هو العلم الواسع الشامل الذى يجمع أشتات المعارف ، من طب وفلسفة وفلك ، وليس أيضا العلم المتصدى لعلوم العربية من أدب ونحو وصرف وبلاغة وغير هذا مما يتصل باللسان العربى، اذ كان هم المؤلف منصرفا الى جوهر العلم كله ، وهو علم الشريعة الذى يجب أن يكون غاية مطلب المؤمن ، وما ينبغى أن يقيم عليه وجوده ، ويعمل على ضوئه للحياة الدنيا والآخرة جميعا .

المؤلف جعل كتابه فى مبحثين كبيرين :

أولهما : طلب العلم فريضة على كل مسلم،وقد جاء فى خمسة وثلاثين بابا وعشرة فصول •

وثانيهما : مساءلة الله العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا ، وقد جاء فى ثلاثين بابا ، أما منهج المؤلف فى كتابه ، فهو أولا يختار الحديث رأسا للمسألة التى يتناولها بالبحث ، ويكاد يلم بكل طرقه ، ثم يتبع ذلك أقوال السلف من الفقهاء والعلماء والحكماء ، وأحيانا يستشهد بالشعر ••

وبعد ـ فالكتاب ـ كما يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ مدخل مستقيم آمن الى علم الفقه ، وعين سليمة ينظر بها طالب الفقه فى فطانة من فقه المذاهب ، وهو على بصيرة من أمر دينه ، وحقائق شريعته •••

* * *

● التموين فى الاسلام :
تاليف : الأستاذ السيد محمد عاشور :

هذا الكتاب يقع فى أكثر من مائة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف الفاضل التاجر والحامل بكالوريوس كلية تجارة القاهرة ، لم تشغله تجارته عن الاسهام بتزويد المكتبة العربية والاسلامية ببحوثه المتخصصة ، اذ صدر له عدة مؤلفات آخرها هذا الكتاب الذى بين أيدينا وأقول البحوث المتخصصة ، لأن المؤلف يجيد ويتقن بعض اللغات الأجنبيه منها الفرنسية والعبرية ••

والكتاب يتضمن زهاء ثلاثين بحثا منها : شئون التموين فى الاسلام ، والدول والرقابة على التموين ، والرقابة على الأسواق والأسعار ، والمؤلفون المسلمون الذين كتبوا فى الحسبة ، والسوق والبورصة فى الاسلام ، وتطور الحسبة منذ عهد الرسول ، والتسعير فى الاسلام ، والتخطيط للمستقبل ، والنقابات فى الدول الاسلامية ، ثم الدين الاسلامى يحل مشاكل التموين •

وفى البحث الأخير : الاسلام يحل مشاكل التموين ، يرى المؤلف ، أن الاسلام جاء ومعه الحلول الكفيلة لكل معضلة تقابلنا فى حياتنا ، وأهم هذه المعضلات : شئون التموين ، وأسباب هذه المعضلة كثيرة ، منها : زيادة الطلب على العرض ، والأثرة والاكتناز ، والبخل ، وعدم حب

الخير للناس ، وعدم التعاون مع الغير، والاستماع الى الشائعات ، والاحتكار، وعدم التخطيط للمستقبل ، وعــدم التمسك بما جاء به الدين الحنيف ، هذا ولم يقف الاسلام مكتوف الأيدى أمام هذه الأسباب ، بل أتى بالحلول المتعددة التى عملت على تخفيف حدتها، وأهمها : حث على العمل ، وحث على الايثار والقناعة والتعـاون ، وتحريم الاكتناز والاسراف ، ومنع الاحتكار، وحث على التخطيط ..

انها كلمة عاجلة ، والكتاب دراسة جديرة بكل تقدير ..

* * *

● **الصفحات الأخيرة من حضارتنا : تاليف : الأستاذ عبد الحليم عويس :**

هذا الكتاب الذى قامت بنشرة دار « المختار الاسلامى ـ بالقاهرة يقع فى أكثر من مائة صفحـــة من القطع المتوسط ، والمؤلف ، عضـو بالمكتب الفنى للمناهج بوزارة التعليم بالكويت، ومن خيرة شباب علماء الأزهر الدائبين على البحث فى مجـــال الحقـــل الاسلامى ..

والموضوع الذى طرقه المؤلف ، من الموضوعات التى سبق للكتاب أن عرضـوا لهــا ، ولـكن كمؤرخين أو قصاصين أو شعراء ، ومعظمهم عول على الاثارة لاستجـداء الدموع أكثر مما عول الفحص لاستثارة الهمم ، لكن المؤلف فى هذه الصفحات المعدودة يكتب من واقع ذاتية خاصة .. ذاتية حامل العقيدة الذى تعـايش القضـية وجدانه منذ استطاع أن يحمل القلم فهو يقـدم بحثـا موجزا يراه دعوة لتشريح تاريخنا من جديد ، وبجرأة، فلأن نشرحه نحن ـ بانصاف ـ أولى من أن نتركـه لأدعيــاء المنهــج العلمى يشرحونه بحقـــد وعنف واحجـاف .. ومن خـلال هــذه الصفحات حاول المؤلف أن يمــد الطرف ـ فى تاريخنا الاسلامى ـ الى آفاق ثلاثة:الأندلس (أوربا) والمشرق العربى بخلافتيه الكبيرتين (العباسـية والفاطمية) ثم المغرب العربى،وهى ـ كما يقول : الأجنحة الثلاثة الشهيرة التى تزعمت العالم الاسلامى ، ومثلت القيادة الفكرية والسياسية له ..

ما أحوج شبابنا المثقف الى قراءة هذه الصفحات الأخيرة من حضارتنا ، انها صفحات معدودة ، لكنهـا تحمل بين سطورها قضية أساسية كبرى من أخطر قضايا تاريخنا .

* * *

● حول الكاتبات اليهودية فى التاريخ :

جاء فى مقال للاستاذ عبد الرحمن حبنكة فى جريدة أخبار العالم الاسلامى بمكة ، كلمات على لسان الكاتب اليهودى (برنارد لويس) فى كتابه « نشوء تركيا الحديثة » :

« لقد تعاون الاخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على ازالة السلطان عبد الحميد، لأنه كان معارضا قويا لليهود اذ رفض بشدة اعطاء أى شبر أرض لليهود فى فلسطين » ومع ذلك فلاتزال وسائل الاعلام تعرض ألوانا مسرحية للنيل من الخلافة الاسلامية والسلطان عبد الحميد بالذات ، وفى أسلوب ساخر حقير ، والأقلام الأجيرة التى تكتب تاريخنا زائفا لا تتجاهل أنها تكتب ارضاء أو مجاملة للأنظمة التى أضاعت كل فلسطين •• وحسبنا الله ••

* * *

● قراءات :

« لما أتى عمر رضى الله عنه بتاج كسرى وسواريه ، جعل يقلبه بعود فى يده ويقول : والله : ان الذى أدى الينا هذا ، لأمين •• فقال رجل : يا أمير المؤمنين : أنت أمين الله ، يؤدون اليك ما أديت الى الله •• فاذا ارتعت رتعوا •• قال : صدقت » •

من « عيون الأخبار لابن قتيبة » •

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى[1]

للأستاذ محمد أبو شادي

السؤال من السيد/عبد الرازق حمود

عمرى الآن ٤٠ سنة وكنت تاركا للصلاة ثم تبت الى الله توبة نصوحا ، سألت بعضهم فقال لى لا تصل سنة بل يجب أن تقضى باستمرار ما عدا وقت الطعام والعمل والنوم .

فهل يجوز لى أن أترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة قضاء الصلوات الماضية وهل فى كتاب الله أو سنة رسوله أمر بالقضاء ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم) قال : من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها سوى ذلك ، واذا كان هذا فيما فات بعذر كالنوم والنسيان ففيما فات بلا عذر أولى وعليه فيجب عليه الاشتغال بقضاء الصلوات الفائتة ما أمكن ذلك ويكون على الفور فانها فائتة بلا عذر واذا كان اشتغاله بالسنة يشغله عن الاشتغال بقضاء الفوائت فالواجب عليه صرف الوقت فى قضاء الفوائت ويمكنه أن يصلى مع كل وقت خمسة أوقات مما عليه فيكون صلاته فى اليوم الواحد صلاة عن الحاضرة وخمسا من الفوائت ويستمر هكذا حتى يفرغ مما عليه وحتى لا تتعطل معايشه وأموره الدنيوية التى عليها قوم حياته وحياة من يعولهم والله تعالى أعلم ؟

السؤال

ما حكم مذهب مالك فى ملكية المناجم والمحاجر (الثروات تحت الأرض) وحق ولى الأمر (الوالى) فى التعاقد مع الغير (للأفراد والشركات على استغلالها ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن المعدن الذى يوجد فى باطن الأرض يكون ملكا للدولة مطلقا سواء كان معدن ذهب أو فضة أو غيرهما وسواء عثر عليه فى أرض غير مملوكة كالغابات أو فى أرض مملوكة وهذا هو القول المعتمد فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

واذا عثر على كنز من دفين أهل الجاهلية فخمسه لبيت المال والباقى لواجده ان وجده فى أرض غير مملوكة ، فان وجده فى أرض مملوكة بأحياء أو بارث ممن أحياها فيكون الباقى بعد الخمس لما لكها الذى أحياها أو ورثها منه ، وان وجده فى أرض مملوكة بشراء ، أو هبة فيكون الباقى لمالكها الأصلى الذى باعها أو وهبها .

وأما اذا كان الكنز الذى عثر عليه دفين مسلم أوذمى فانه يكون لربه أو وارثه ان علم كل منهما فان لم يعلم سرى عليه حكم اللقطة ، بمعنى أنه يعرف فان عرف سلم الى صاحبه والا ردت الى بيت المال والله تعالى أعلم وعلى هذا فلولى الأمر أن يتعاقد مع الغير فيما آل اليه سواء كان مع أفراد أو جماعات حسب المصلحة العامة ؟

السؤال من السيد/توفيق أبو عيشة بالبدرشين

ما رأى الدين فى القراءة على الميت وأخذ الأجرة عليها وما دليل المجوزين ؟

الجواب

اختلف الفقهاء فى هذا ـ فمنهم من منعها ومنهم من جوزها والمجوزون استدلوا بأحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الحديث الآتى (عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قلب القرآن يسين لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له . اقرءوها على موتاكم » رواه أحمد والنسائى وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححة : ومتى جازت قراءة البعض جازت قراءة الكل .

واستدل المجوزون على أخذ الأجر على القراءة بما جاء (عن أبى سعيد

رضى الله عنـه قال : انطلق نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسـلم فى سـفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحيـاء العرب واستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد الحى فسعوا بكل شىء فـلم ينفـعه شىء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عنـدهم بعض شىء فأتوهم فقالوا يأيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينـا له بكل شىء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شىء فقال بعضهم : « انى والله لأرقى ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا » فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبـه قال : فأوفوهم جعلهـم الذى صالحوهم عليـه فقال بعضهم : اقتسموا فقـال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر الذى يأمر به فقدموا على النبى صلى الله عليـه وسلم فذكروا له ذلك فقال : « وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقتسموا واضربوا لى معكم سهما ثم ضحك النبى صلى الله عليه وسلم • رواه الجماعة الا النسائى وهذا لفظ البخارى وهو أتم وفى رواية أخرى للبخارى أيضا « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » ، والمآتم التى تقام فى هـذه الأيام تخالف الشريعة الغراء ففيها اسراف وتبذير وضـياع للمال فى غير محله وهو حرام ان كان فى قصر يتأثرون بهذه النفقات ولنرجع الى ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله من أخذ القراء على المقبرة بعد الدفن وفى السـبب لمـن لـم يحضر الدفن وتمتد للغائب حين حضوره •

السؤال

من داود على البرعى

اشتهر بين الناس عامتهم وخاصتهم أن (اتق شر من أحسـنت اليـه) فهـل هى حديث صـحيح أم ليست بحديث وهل نستـمر فى الاحسـان عليهم •

الجواب

هذه الجمـلة ليست بحـديث عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم كما ذكره الحافظ السخاوى والأشبه انها حكمة لبعـض السـلف ذات معنى صحيح وهو أن من النفوس البشرية نفوسا فطرت على لؤم الطبع وجحود

المعروف ونكران الجميل ومقابلة الاحسان بالاساءة كما يشير اليه قوله تعالى : (وما نقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) (١) فقابلو انعام الله عليهم سعة الرزق ورغد العيش ونعمة الغنى بالجحود والكفر بدل الحمد والشكر ٠

فاذا امتحن المحسن بطائفة من هؤلاء وجب أن يتخذ الحيطة لشرهم ويتقى وسائل كيدهم والاحتراس من ذلك لا يمنع من موالاة الاحسان ولا يصده عن متابعة صنع الجميل ٠ فلعله علاج واصلاح وفيه خير كثير وناهيك بما كان من أبى بكر الصديق رضى الله عنه مع ابن خالته مسطح فقد كان مسطح مهاجرا معدما وكان أبو بكر ينفق عليه من ماله برا واحسانا فلما افترى المنافقون حديث الافك وخاض مسطح مع الخائضين فى حق عائشة أقسم أبو بكر ليمنعن عنه النفقة فنزل وقول الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفو أو ليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر أنا أحب أن يغفر الله لى ووصله بالنفقة كما كان بل ضاعفها طمعا فى الرحمة والغفران وما أجمل العفو عن المسىء والصفح عن المذنب والاحسان اليهما ثقة بوعد الله تعالى والله لا يخلف الميعاد ٠

محمد أبو شادى

---

(١) التوبة من آية ٧٤

أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

احتفال الأزهر بالاسراء والمعراج :

أقامت مشيخة الأزهر احتفالا كبيرا بمناسبة بدء الاحتفالات بذكرى الاسراء والمعراج مساء يوم الأحد الموافق ٢٥ من رجب ١٣٩٥هـ ٣ من أغسطس ١٩٧٥م بالجامع الأزهر الشريف •

وحضر الاحتفال نائبا عن الرئيس محمد أنور السادات فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر •

كما حضره فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر وفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر ، وكبار المسئولين فى الأزهر ، وعدد من كبار رجال الدين •

وألقى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر كلمة الاحتفال ، تحدث فيها عن الاسراء والمعراج ، ومكانة الذكرى والدروس المستفادة منها •

وأعلن فضيلته : أن علماء الأزهر وعلماء المسلمين يرفضون بقوة وبشدة تدويل القدس •

وقال : انه ليس هناك من سبيل للسلام الا أن يعود القدس تحت سيطرة المسلمين •

وهاجم فضيلته الفرق التى تدعى الاسلام ، وفى نفس الوقت تدعى انتهاء الجهاد فقال : ان هذه الفرق مثل القاديانية وحزب التحرير الاسلامى والبهائية من عملاء اسرائيل ، ويمولها الاستعمار •

كما أعلن فضيلته أن الأمة الاسلامية أمة واحدة ، وأن الجهاد فرض على جميع المسلمين سواء من كان منهم قريب من جو المعركة أو أرض المسلمين فان الجهاد يصبح فرضا على المسلمين جميعا ، القاصى منهم والدانى •

احتفال الأوقاف بالاسراء والمعراج :

أقامت وزارة الأوقاف، احتفالا رسميا بذكرى الاسراء والمعراج مساء يوم الاثنين ٢٦ من رجب ١٣٩٥ هـ - ٤ من أغسطس ١٩٧٥م بمسجد السيدة زينب رضى الله عنها .

وحضر الاحتفال نائبا عن الرئيس محمد أنور السادات فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر .

كما حضره فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية ، وفضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وعدد من كبار رجال الدين .

وألقى فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر كلمة تحدث فيها عن الاسراء والمعراج ، وطالب بوحدة العرب والمسلمين ، واعداد العدة ، لتحرير الأرض وعودتها الى أصحابها الشرعيين ، وفك أسر المسجد الأقصى .

وكان فضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية قد ألقى كلمة الأزهر فى بدء الاحتفال ، تحدث فيها عن معجزة القرآن الخالدة وعلى أن حادث الاسراء كان تثبيتا لفؤاد رسول الله وتمكينا وتكريما واظهارا لفضل رسول الله وفضل رسالته الخاتمة .

● مؤتمرات الدعوة ونتائجها :

عقد أئمة المساجد والوعاظ فى شهر مايو الماضى سلسلة من المؤتمرات فى كل من محافظات الغربية وكفر الشيخ والشرقية ، حضرها فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر والمحافظون وبعض أعضاء الحكم المحلى ..

ومن أهم القضايا التى طرحت للمناقشة فى هذه المؤتمرات :

١ - ظاهرة انحراف الشباب والمسئول عنها ودور الدعوة فى علاجها ..

٢ - تطوير أسلوب الدعوة بما يحقق الموعظة الحسنة بالأسلوب المناسب الذى يتلاءم مع كل تجمع

وبيئة وتلاحـم الأئمـة بالجمـاهير وتبصيرها بالنواحي الدينية والقومية ••

٣ ـ دور المسجـد في المجتمـع والعودة به الى سـيرته الأولى في الاسلام ••

ومن أهم نتائج هذه المؤتمرات :

١ ـ اصـدار كتاب ديني للشباب يرد على الشبه والأفكار الخاطئة التي يعتنقهـا أفـراد جماعـة التفكير والهجرة ••

٢ ـ تشـكيل لجـان اقليمية لكل محافظة لتخطيط شئون الدعوة وفقـا لطبيعة كل اقليم واحتياجاته الدينية •

٣ ـ تسيير قوافل للتوعية والدعوة الى مختلف تجمعات الشباب والعمال والفلاحـين ، وتوجيـه الدعاه الى الجامعات لترسيخ قواعـد الدين بين الطلبة والطالبات ، وتزويد الجماعات الدينية بالكليات والمكتبات الاسلامية اللازمة ••

٤ ـ عقـد لقـاءات مفتوحـة مع الشـباب يشـترك فيهـا الدعاة وقادة الفـكر الاسـلامي لتوضيح المفـاهيم الاسلامية في جميع القضايا الفكرية المعاصرة ••

٥ ـ استخدام المساجد من العـام الدراسي القـادم كـمدارس ابتدائية لاستيعـاب التلاميـذ في سن الالزام ولمعالجـة النقص في أبنيـة المدارس وللعودة بالمسجد الى رسالته الأولى في الاسلام ••

٦ ـ انشاء معهد للفتيات بمدينـة الزقازيق ••

٧ ـ رعاية حفظة القرآن الكريم ودراسـة الحاقهم بالمعـاهد الأزهرية دون التقيد بشرط السن أو غيره من الشروط ••

● أقسام جديدة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر :

وافـق المجلس الأعلى للأزهـر برياسة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر في اجتماعـه يوم الثلاثاء ١٣ من رجب ١٣٩٥ هـ ـ ٢٢ من يوليو ١٩٧٥ م على القـرار الذي اتخـذه مجلس الجامعة برياسة فضلة الدكتور محمد حسن فايد مدير الجامعة يوم السبت ١٠ من رجـب ١٣٩٥ هـ ـ ١٩ من يوليو ١٩٧٥ م بانشاء قسمين جديدين بكلية اللغة العربيـة جامعـة الأزهر وهما :

١ ـ انشاء قسم للصحافة والاعلام الديني ••

٢ ـ انشاء قسم للدراسات العليا في الاعلام الديني والوسائل الحديثة لنشر الدعوة الاسلامية ••

وسيقبل بقسم الدراسات العليا للاعلام الديني الخريجون من كليات الأزهر والجامعات الأخرى والوافدون من الدول الاسلامية ••

● **فرع لجامعة الأزهر بالشرقية :**

تم بحث انشاء فرع لجامعة الأزهر بالزقازيق ، وقد وافق المجلس الأعلى للأزهر برياسة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر في اجتماعه يوم الثلاثاء ١٣ من رجب ١٣٥ هـ ـ ٢٢ يوليو ١٩٧٥م على قبول مبلغ ٢٥ألف جنيه تبرعت به محافظة الشرقية للبدء في اعداد مقر لكلية اللغة العربية كنواة لاقامة فرع لجامعة الأزهر بالشرقية •

● **انجليزية تعتنق الاسلام وتشهر اسلامها أمام فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر :**

اعتنقت الاسلام فتاة انجليزية هي مارينا آن دولف بعد دراسة واعية وفهم عميق لمفاهيم الدين الاسلامي وأسراره وأصوله •

وامام فضيله الأمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر أشهرت مارينا اسلامها واقترنت بالمهندس البحري المصري ابراهيم عبد الحميد العناني واصبح اسمها منى العناني •

● **مشروع بتحذير شرب وبيع الخمر :**

تقدم السيد/محمود نافع عضو مجلس الشعب بمشروع قانون ينص على تحريم الخمور وحظر الاعلان عنها وبيعها وحظر شربها والدعاية لها ، وقد وافقت عليه لجنة الشئون الاجتماعية بالمجلس ونأمل أن تتم موافقة المجلس على مشروع القانون المقدم •

وشكرا للأخ المسلم محمود نافع •

● **مركز ثقافي اسلامي بغانا :**

قام طلبة جمهورية غانا بانشاء مركز ثقافي اسلامي بغانا ويهدف المركز الى نشر الثقافة والفكر الاسلامي في أنحاء غانا وفي ارجاء قلب افريقيا •

ابراهيم حامد النويهي

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٦٠٠٢-١٩٧٥/١٠٥٤٧

In 1960, a decree was promulgated giving the ministry of Awqaf the right to divide the shares of awqaf holdings at their extenction It seems that this helped the fragmentation of the large endowments. Once these divided properties left its original waqf configuration, the other important law of the agrarian reform would be applicable.

To conclude, the changes of awqaf can be classified as follows: Since 1923 up to 1960 the institution of awqaf has undergone some important changes. More restrictions are put on the freedom of the administrators. The founders of awqaf were allowed to retain their property. Their right to endow was confined to the third of their property. The creation of Awqaf from agricultural lands was made improbable. The abolition of the ahli awqaf might lead future Khayri endowers to think twice : The ministry of Awqaf would take the endowments once they die, and their revenue will be spent according to the minister's decision. The ministry of Awqaf constituted and still constitutes a part of the general budget of the State. In the sixties it started a new era of investments beside its traditional role in the upkeeping of the pious foundations.

---

debates of the Egyptian parliament from 1926 on to show how an eighth of the whole cultivated area of Egypt, which was Awqaf, could have benefited the country if its waqf was abolished.

Inside and outside the Parliament, Prince Muhammad Ali emerged as one of the leading propogandists of the abolition of the ahli Waqf which he considered a purely civil act. In his arguments Prince Ali cited the example of France which abolished the ahli Waqf. The prince aired his understanding that the religion (of Islam) could not be the reason for the loss of the Egyptian land and the corruption of the Egyptions. He devoted a part of his arguments to counter attack a refutation given by Sheikh Muhammad Bakhit, the former Mufti of Egypt.

In the forties, a group of intellectuals called for a sort of agrarian reform which could be based among other factors on the abolition of ahli Waqf.

Politicians from several parties (i.e. Misr al-Fatah and the Wafd) also backed the demand for the abolition of the ahli wakf.

The foregoing perhaps accelerated the promulgation of law no. 48, 1946, which contained some reformist articles such as making temporary both ahli and Khayri waqf ; perpetuity of waqf was only for the mosque waqf ; and restricting the establishment of new awqaf. This law was followed by some modified articles to fill its gaps.

What the last law lacked was a radical reform that would be able to liquidate the large properties of awqaf which in the case of King Farouq (1936-1952) included more than one hundred thousand Feddans. It was the large landowners that were constituting the bulk of Awqaf.

The large holdings of Awqaf as well as the small ones constituting ahli waqf were liquidated by the 1952 law, and passed into the ownership of their beneficiaries.

By the abolition of the Shar'i courts in 1955, the cases pertaining to Awqaf were turned to civil courts. This perhaps put an end to the controversary around the duality of the judicial system towards Awqaf.

The reorganization of the ministry of Awqaf by dent of the law 272 issued in 1959 can be looked at as an important landmark in the development of the institution of Waqf. According to this law the Committee of Awqaf affairs, a newly established committee, can consider the deposition of the endowments' administrators, and the winding up of *Ahkar* (long-term leases of Awqaf in turn of nominal annual rents).

superseded by much more radical reforms of the Waqf system". The rest of this paper concisely analyses the Awqaf from 1923 to 1960.

The newly amassed Awqāf, especially after 1892, created a lot of problems that had mainly to do with their mismanagement. Gradually, the State was losing taxable land converted mostly into Waqf ahlī. Generally, the ahlī Waqf caused the society injustice when it became a means to avoid the law of inheritance, or the land tax. Legists, parliamentarians and statesmen were all aware about the state of deterioration which the system of Waqf reached. Repercussions of this awareness can be seen in legal sanctions introduced for the purpose of belittling future Awqāf This also can be seen in the debates of the Egyptian parliament where an explicit call was voiced to eliminate both Khayrī and ahli endowments. Contributions of statesmen (i.e., Prince Muhammad Ali) which reflected the need to abolish at least the ahlī endowments are equally noteworthy. Few instances are given in the following : At the end of his article on "Awqaf and the acquisitive prescription", a lawyer, while illustrating what he termed "the great danger" of the endowments quoted the Egyptian poet Hafiz Ibrahim saying, " ... Les ruines des Waqf en Egypte sont comme la petite vérole a la face de la civilisation..." He also referred to some cases of misuse of the Waqf institution. One of these cases dealt with those who sold the Awqaf, showing the deed of their purchase of the land, but carefully concealing the Waqfiyah of the same piece of land.

The appeal court passed a bold judgement in Fabruary 25, 1919 which shortened the thirty-three year duration period of Waqf to only five years, thus, enabling a beneficiary to be a full possessor. A judge (president of a indigenous court of the first instance of Mansūrah), notwithstanding the common maslahah (interest) of the judgement, maintained that the thirty-three year disposition should be adopted. He concluded his discussion of the issue by describing the Awqāf as a mainmort of a religious character that ever made it distinct from the free estate and the complete property.

Another example of a legal sanction imposed on Awqaf is portrayed in the first article of the law No. 18 issued in 1923, where the property is validated as Waqf only after its registration.

Yet, such sanctions were limited and did not stop the increase of Awqaf on the cultivated land. In 1925, the yearly average of this increase was put at 19.000 feddans. The total count of the Awqaf land was 770.000 feddans. These figures were used in the

grossly indebted, the Britsh, in collaboration with some other powers, e.g., the French, tried to control the general budget of Egypt — inculding that of Awqaf Tawfiq pasha consented to have foreign supervision over finance and administration, and refused to include what was called by his time the "Ministry of Awqaf". It is very likely that his turning of the ministry of Awqaf into an administration under his supervision was a reaction to the pressure of the British. In the decree he issued in 1884, the Khedive emphasized that Awqaf should be independent from ministerial departments.

However, in 1891, the Khedive went farther when he authorized the people a full possession of land, and legalized the act of endowment. This resulted in a confluence of new Awqaf, the most part if which was ahli. The irregularities and mismanagement of Awqaf started to be seen. For example, many Nuzzar (Administrators) were exploiting Awqaf and blackmailing the beneficiaries. The taxable land was consequently decreasing and the revenue became badly affected.

In the same year (1891), Cromer reported to the British Government that the revenue of the Diwan of Awqaf amounted to 130.000 Egyptian pounds, and that in spite of some care shown in verifying its accounts, he heard complaints dealing with the inaccuracy of these accounts. While the revenue nearly doubled in 1899, Cromer still expressed the hope in a reform to be done to the administration of Awqaf.

In the reign of Abbas II (1892-1914), the British were still pressing for a control over the Awqaf. Both Cromer (1883-1907) and Kitchner (1911-1914) in their capacity as representatives of Britain in Egypt, reported their dismay about the deteriorating situation of endowments in the country. They put the blame on the person of the Khedive. As a compromise, the two sides, the Egyptian and the British, agreed that Awqaf should have financial and administrative autonomy, but the minister of finance was to verify the accounts, and submit a yearly report to the Khedive.

All these events concerning the development of Awqaf in Egypt represent a background for the period between 1923 and 1952. Gabriel Baer observed that this period was characteristic of an attempt of the King to maintain the traditional right of the ruler to administer the Awqaf. Besides, this period gave birth to the law of 1946 which in some of its articles originated from the fruitful parliamentary deliberations of 1926 and 1927. But this law, though reformist in essence, "was

Awqaf land (which amounted to approximately the third of the whole productive land in Egypt). In 1846, Muhammad Ali issued a decree preventing people from the act of endowment. The reasons he gave were to avoid the harm which the act of endowment did to the taxable land, as well as to the people themselves, and to apply a *Shar'i* (legal) advice in that respect. Yet this ban on the founders of Awqaf did not materialize effectively. About a year later, a Alim was granted the Wali's permission to found a Waqf. It does seem that this example was followed by the rulers of Egypt after Muhammad Ali. Ismail (1863-79) stipulated in the decree of 1282/1866 that the Karaji (taxable) land could be endowed as Wakf at his own (the Khedives) will. This Khedivial will was excessively exercised. To cite, when in 1885 Sir Colin Scott-Moncrieff, Deputy Director of Public Works, 1883-92, counted, in one of his reports, 83,200 acres of the real-estates of Gharbiyah, he referred also to 19,024 acres of Awqaf land in the same province.

In addition to the Khedives personal permission to establish Awqaf, the Shar'i courts which appeared to be judicially independent were also one of the factors conducive to the increase of the endowed lands : These courts not only helped the indigenous population to convert portions of their property into Waqf but also helped the Europeans !

A French citizen founded a mixed ahli and Khayri Waqf, due to a judgement issued in 1869 by the Shari Court of Alexandria. But in 1881, the Consular Court of France, following a legal precedent of the Consular Court of Italy, declared the Waqf as illegal and void. A heiress of the above mentioned French citizen appealed to the mixed court of Alexandria. This court confirmed the judicial decision taken by the French Consular Court ; it explained its judgement in the following :

"It is up to the judge of the personal Status to decide — according to the law of his country — whether a testator can constitute as Waqf a part of his property. By the article 77 of the Civil Code, the legislator did not subordinate to the local law but the right of succession to the Usufruct : the right to dispose of his property as Waqf was not in question".

"In virtue of that decision (of the French Consular Court) the Waqf in question had never attained a legal existence ; (therefore), Madame F, had no right to be a beneficiary."

The British occupation of Egypt in 1882 left its mark on the history of the Awqaf and on the institution as such. With Egypt

DEVELOPMENT OF AWQĀF SYSTEM IN EGYPT

By

MUHAMMAD AMIN TAWFIQ

In his *Ajā'ib al-Athar,* al-Jabarti mentions how in 1229/1813-1814 the results of a general measurement of the cultivated land in Egypt, which had been ordered byMuhammad Ali, were shown to the people. 600.000 Faddans of Awqāf out of a total of 2 million were counted in upper and lower Egypt. A general increase of one-third or one-fourth more than what had been in the old cadastre, was recorded. Al-Jabarti says : "The employees (of the survey) measured the *rizaq ahbasiyah* (Awqaf land) ... What they found exeeding the original figures put for those *Ahbas,* they added to the *Diwan* (State's property).

In another place of the same work, al-Jabarti maintains that this Awqaf land had been kept well recorded since Saldin, the Ayubid. Yet he observes that those who were needy among the *arbab* (administrators or beneficiaries) of the *ahbas* used to give up their shares to the *Multazims* in return for cash money. By the new survey, a sizeable portion of taxable land was restored to the State. Both peasants and Multazims had to pay for the excess of land. Ostensibly, the former were taxed because of the discovery of more Awqaf land than they could claim. The latter got more harm because they had to pay twice — a tax on the real-estates, another on the Awqaf land which they (illegally) had purchased.

However, because of the disadvantages of the *Iltizam* system, (e.g., Multazims' endowment of the taxable land of *Wasaya* instead of returning it to the State), and in addition to the humiliation which the Multazims were exposed to by preventing them, at least for a considerable time, the usefruct of the land, Muhammad Ali, in 1814, nullified the whole system of *Iltizam,* and the peasants started paying taxes directly to the State.

The policy which Muhammad Ali followed afterwards, that is to encourage individuals to cultivate waste land with the objective of having higher proceeds for the State's treasury turned to be insufficient to cope with the urgent financial needs of his administration. Therefore, another solution was sought in the still unmonopolized

for a specified period under assurances of safety, for trade or the exchange of benefits.

To promote amity between peoples could possibly end the war and open the door for an honourable and dignified peace.

If amity be consistent and uninterrupted, it will go side by side with mercy. The latter is more comprehensive, however, for amity exists between peoples while mercy prevails among peoples and in the battlefield as well. No wounded, captive or surrenderer is allowed to be murdered.

Of the aspects of equitable mercy and constant amity is to support the weak. Islam is a divine religion that lays down God's orders, and all divine religions have urged that protection of the weak against the strong, whether they be individuals, communities or states. God has said, "And we desired to show favour unto those who were oppressed in the earth, and to make them examples and to make them the inheritors." The Prophet has also said, "Keep me with those who are weak amongst you ; for you are supported and endowed with God's bounty only for the sake of those weak".

Islam aims not only at the defence of a weak state against a powerful one, but would also defend those peoples who have been harrassed by oppression and their prowess humbled by tyranny.

In his letters to Kings and Heads of State calling them to Islam, the Prophet stressed their obligations towards their subjects and that such obligations made it incumbent upon them to leave such subjects free to understand Islam and adopt it as a religion if they so wished out of their own free will. The Prophet's message to Hercules, King of the Greek, thus ran as follows, "If you embrace Islam, you will be unhurt otherwise you will bear the sin of the "Yarissis" meaning the growers, workers, and other powerless classes".

For this noble principle, Islam always made it a point to defend the freedom of the weak, particularly the freedom of creed, Muslims fought only to protect this freedom. They fought the infidels only because they tempted the Faithful out of their religion. Their war with the Greeks was only because they had killed those who had embraced Islam from among the people of Syria. Compare this principle and the attitude of present day countries ? (to be continued).

God in this verse has likened those leaders who would violate their covenants to a stupid woman who unravels threads into thin filaments after having made it strong. God also points out the impermissibility of deceit or treachery as a means of rendering a country more numerous or wealthy than others for any power derived through the violation of covenants is doomed to extinction.

The Prophet has defined the best of people to be those fulfulling their promises saying, "Shall I tell of the best people amongst you ... they are those who honour their promises". This was born out by the incident of the Hodaybieh peace treaty whereby the infidels covenanted not to fight the Prophet and keep on peaceful terms with him for ten years as aforesaid. Some Muslims told the Prophet that the infidels harboured treacherous intentions and prepared for his fight, whereupon the Prophet said, "Let aside their intentions ; we will invoke God's help against them".

AMITY :

The general human brotherhood whereby understanding was recommended by Islam as means of settling the differences of peoples both as races or tribes, should be joined to amity, action towards reform and the prevention of corruption even though peoples might differ in religion land and race. God has said, "Allah forbiddeth you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that ye should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers. Allah forbiddeth you only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out, that ye make friends of them. Whosoever maker the friends of them — (All) such are wrong-doers".

Consistent amity could not be interrupted by war nor by the difference in religion. It is related that at the time of Hodaybieh, the Prophet was informed that Quraish had been hit by famine. The Prophet promptly dispatched five hundred dinars to Abou Sofian, leader of the infidels, to buy wheat for the poor.

It could well happen during wars that relations were severed between the Muslim State and the warring country while bonds were maintained with the non-belligerent subjects of that country. They were thus allowed to reside in Muslim lands, and were not harmed in themselves or their properties. Those assumed in the definition of scholars are those persons who resided in Muslim lands

without excess except within the limits of such safeguards as would obviate repeated aggression. If aggression be injustice, its repelling will be only equitable.

This concept will not clash with the principle of tolerance and virtue for these should not be allowed to engender injustice for this would constitute indisputable corruption. Furthermore, Muslim virtue is far from being weak or submissive ; it is rather a positive and vigorous virtue that succumbs to no evil or evildoers, but towers over them all.

Justice is surely not the antithesis but the very reflection of mercy. Wherever justice prevails, mercy is there, but no mercy could exist side by side with injustice. Equal treatment would therefore, repel injustice more vigorously.

Reciprocal treatment is restricted by the exigencies of virtue as already stated. Should an enemy violate the sanctities of virtue, the army of virtue should not follow their unworthy example. The Holy Prophet's sayings have already been quoted in support of this.

On the other hand, reciprocal treatment should not exceed those fighting in the field of battle in the sense that an army of justice should not kill those who are not belligerent.

FULFILMENT OF PROMISES:

This is the ideal means of ensuring safety and basing understanding on solid foundations namely treaties of peace and non-aggression.

Such treaties derive their power not only from their terms but from the intention of their signatories to fulfil such terms. Islam has thus urged fulfilment of promises which it said, is power in itself while repudiations are aspects of weakness. God, the Almighty, has established that whoever amongst the Faithful who has convenanted has taken God surety for him. God has also ruled that the desire to extend the area of a state or its strength should serve as justification for treachery. The Quranic verse embracing all these meanings reads "Fulfil the covenant of Allah when you have covenanted, and break not your oaths after the asseveration of them, and after ye had made Allah surety over you. Lo ! Allah knoweth what ye do. And be not like unto her who unraveileth the thread, after she made it strong, to thin filaments, making your oaths a deceit between you because of a nation being more numerous than (another) nation. Allah only tieth you thereby, and He verily will explain to you on the Day of Resurrection that where-in ye differed".

Muslim treatment to foreigners has thus been based on virtue. The limits of virtue are not allowed to be exceeded whatever the enemies' flagrant behaviour.

JUSTICE :

Human relations as regulated by Islam, are based on equality no matter whether such relations be with loyal or hostile people. The Holy Quran has stressed justice to be more conducive to piety ; God having said," ... let not hatred of any people seduce you that you deal not justly, Do justice that is nearer to your duty," and "O Ye who believe ! Be ye staunch in justice, witnesses for Allah, even though it be against yourself..."

Equity in al its forms represents Islam's ideal system for God has said, "Lo ! Allah enjoineth justice and kindness, and giving to kinsfolk, and forbiddeth lewdness and abomination and wickedness. He exhorteth you in order that ye may take heed". Scholars refer to this verse as the most comprehensive of Islam's meanings, in the Holy Quran.

If every religion has a dominant feature, Islam's feature is justice It is the perfect criterion whereby relations between peoples in both peace and war times are determined. So while in peace time, good neighbourliness should be based on equality, the motive for war in wartime should also be justice. This is particularly so since all the human principles of tolerance and liberty, should be characterised by equality. Tolerance that engenders loss of rights cannot be deemed as tolerance or mercy ; it is rather injustice leading to the severest forms of cruelty. Forbearnce towards the unjust whether they be individuals or communities is injustice to those whom they had wronged, and denied legitmate rights.

Furthermore, the world will be a worthy place only when justice has become the basis of human relations in all their forms. No strong party would thus trangress on the weak, on rights be wasted on the strength of accomplished facts such as now recognised to be common logic. This so much so that international relations are now based on accumulated injustices.

Justice, moreover, is the criterion of human understanding as proclaimed in the Quranic verse on general understanding between races and peoples.

RECIPROCITY :

Equal treatment or reciprocity is an offshoot of equality ; the Prophet having recommended us to "Treat other people in the same manner in which we would wish them to treat us." By virtue of this equitable law a Muslim has to extend to whoever would transgress upon him, the same treatment

In relation to Muslims, a faithful should not submit to a non-Muslim state, nor should he follow non-Muslim banners for in such a case he will not be able to carry out the stipulations of his religion in dealings or punishments.

For non-Muslims, Islam has forbidden any transgression on their liberties, or their expulsion from their homes so long as they will not transgress on Muslims. Islam has also forbidden the fighting of non-Muslims unless they are the aggressors, as will be pointed out in connection with legitimate warfare.

Even in the case of fighting where aggression is expected of them, they should be given the choice between a covenant to be concluded with them, entry into Islam, or the fight. If they choose the covenant they must have it. If Islam be their choice, they will deemed as Muslims.

VIRTUE :

God, the Almighty, concluding the verse that emphasises understanding to be the ultimate aim of the peoples' dispersion as tribes and nations, said, "Lo ! the noblest of you in the sight of Allah, is the best in conduct".

Piety is the sum-total of all human virtues. Understanding should go side by side with virtue; the latter being required of individuals as much as it is incumbent on communities.

The Quran has urged adherence to piety, the embodiment of all the virtues in both peace and war times, with emphasis on holding to it in the latter eventuality ; God having said,"... And one who attacketh you, attack him in like manner as he attacked you. Observe your duty to Allah, and know that Allah is with those who ward off (evil)." The reason for this is that men would behave impulsively during wars and possibly commit acts, contrary to virtue, especially if the enemy profaned their sanctities.

Muslims should not follow the example of their enemies in transgressing upon virtues by distorting the dead, killing women and children, and profaning women's chastity.

It happened at the time of the Prophet that some Muslims, following the enemie's example, killed the children. The Prophet commenting on this act said, "I wonder how certain people should exceed proper limits by murdering children... Don't kill them ... Don't kill them, ...".

The Prophet also urged that no prisoners should be killed, saying "no one of you should molest his brother's own captive and kill him".

RULES OF INTERNATIONAL RELATIONS IN ISLAM—II

By

(LATE) SHEIKH MUHAMMAD ABU ZAHRA

Islam has defended all these elements by preventing imitation without proof, and urged that behaviour should be in conformity with belief. Islam has also protected the creed of those taking shelter with it, entering into coverout with Muslims or keeping on peaceful terms with them. It has also facilitated the performance by such people of their religious rites. Muslim scholars through their deductions from Quranic texts, the Prophet's tradions and the acts of the Prophet's companions, have laid the rule that "We have been ordered to leave people free to practise their creed." By this conception over which there is a consensus of viewpoints among scholars, the freedom of religious thought has been defended, and no non-Muslim was harmed but rather left free to perform his religious duties undisturbed.

In this context it is related that Omar ibn Al-Khattab on his visit to Jerusalem beheld a Jewish synagogue hidden from sight by dirt, with only its top visible. Omar went over to the buildling and with his own garment, removed some of the dirt. The Muslim army followed suit until all dirt has been lifted and the synagogue, thus cleared, was again fit for the Jews to celebrate their rites.

In this same blessed trip. Omar happened to be near a church at the time when the midday prayer was due to be said. Omar prayed outside the church. When asked whether prayers would be invalid if said insde, the free leader replied in the negative, but explained that he feared the Muslims might remove the church after his death or use it as a mosque if he prayed inside.

Muslim scholars in establishing the concept of freedom in such a free manner, drew on the clear idea that a man with a religion is better than anoher without one, for the former though erroneous, has a religious conscience.

Islam has ensured all the human freedoms, namely those of residence, speech, opinion and work. It has also guaranteed the freedom of self-determination. It is worthwhile to dwell a little on this last-mentioned freedom.

Regarding the relations between youth and other, Islam explains this relation in all its aspects : between relatives, between neighbours, and between others. In all these bonds there lies a strong basis of a social system that ensures the spread of human relationship, justice, tolerance and respect for both the individual and his property despite all differences of creeds, colour or country. This realises the ideal set by Islam for a good and honourable life.

Through the above mentioned two methods Islam laid the strongest base for the upbringing of the youth, who are good at heart, benevolent and truthful.

The Quranic Manners

« ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » . (الاسراء : ٣٧ – ٣٨)

It means : And walk not proudly on the earth for you cannot cleave the earth, neither shall you reach to the mountains in height. All this is evil in the sight of your Lord and abhorred.

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك .....» (لقمان : ١٨ – ١٩)

It means : And do not turn your face away from people in contempt ; nor walk haughtily on the earth ; surely Allah does not love any self — conceited, boaster. And be moderate in your walk, and lower your voice......

Piety is the safe-guarding of the soul from evil deeds by abandoning what is forbidden. The Quran contains many verses which clearly shows the effects of piety upon the individuals and groups, and urges the people by different ways to adhere to it. The piety provides a strong basis for victory in both this and the other world.

Sincerity means seeking God's favours through his work with the no hyprocrisy or self-pretence to please the people. The Prophet (Peace be upon him) says of sincerity : God tells that scincerity is part of my secret which I enclosed in the hearts of my favourite servants.

Faith is the strong foundation for the peaceful life. Belief in God alone is the light of life and it leads to the best ways : it guides the heart and prevents it from deviation. The hearts over-flowing with belief and depending on God are closed to the devil.

True and correct belief dominates strongly over the heart and orient man to the good. The Quran aims at directing people's minds to God's signs on earth and in the heavens. For, mentioning God's name with piety makes man remember his duty towards. God and towards himself.

One of the most important means suggested by the Quran to purify the youth's hearts and bind them to the worldy sights and to what God created at proofs of his power and glorious wisdom. This is one of the soundest means of guidance and education. The Quran draws the attention to these aspects of glorious nature as it says :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » (فصلت : ٥٣) .

It means : "We shall show them Our portents on the horizons and within themselves until it will be manifest unto them it is the truth. Is it not enough that your Lord is witness over all things." (41 : 53).

The woships prescribed by God, prayers are at the top, have many psycological and social secrets and vital purposes that aim at the goodness of man and the upbringing of his heart.

The Quran refers to three aspects of obstacles that block the way to perfect conduct and lead the heart astray from the straight path:

The first obstacle is the diferent forms of heart-sins ; grudge, jealousy, hatred, cruelty, hypocrisy and lust. Sick hearts are blinded by the devil's temptations and suffer through the evils they incurred.

Regarding the will power it can be defined as the directive and protective power against looseness and deviation from the right Path. The Quran refers to genuine will-power as follows :

« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » . (الاحقاف : ٣٥)

It means : "Then have patience even as the stout of heart among the messengers had patience" (46 : 35).

« وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » (آل عمران : ١٨٦) .

It means : "But if you preservere patiently, and guard against evil, then that is of the steadfast heart of things" (3 : 186).

« واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور » (لقمان : ١٧) .

It means : "And bear with patient constancy whatever may befall you. Lo ! that is of the steadfast heart of things" (31 : 7).

There also exist in the history of the prophets, their followers and the leaders of Islam wonderful examples of the strong will and staunch adherence to truth with patience and steadfastness.

The third power that raises youth to the examplary life is conscience or the sound heart. This is the inmate motive drive that directs to goodness and leads to correctness. The clear conscience or the sound heart is the light that guides man through his life and fills his soul with ease and contentment. Successful and reforming education of youth revolves on the axis of the conscience.

The Holy Quran refers to the sound heart and explains the positive means for its upbring and also to the hindrances that lie in its way. Referring to the sound heart the Quran says :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » (الشعراء : ٨٨ — ٨٩) .

It means : "The day on which neither wealth nor sons will avail. But he who came to God with a sound heart" (26 : 88-89).

The Prophet says : There is an organ in the human body which if sound the whole body will be sound ; That is the heart.

Islam follows an effective plan in bringing up the youth according to the principles of good behaviour and honourable life. This plan goes through two methods. The first resorts to positive means to elevate the sane heart to the highest standards of goodness. The second deals with the obstacles that block the way to perfect conduct and prevent the heart from the straight path. The Quran refers to four main positive means which lead to upbringing of the youth according to the principles of righteousness and correctness. These means are piety, sincerity, belief and worship.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

SHA'BAN 1395	ENGLISH SECTION	SEPTEMBER 1975

THE ISLAMIC ATTITUDE TOWARDS THE UPBRINGING OF THE YOUTH

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

In order to bring up the youth on exemplary lines Islam laid down the following two methods :

1 — To develop and reform the three natural powers laid by the Almighty God in the human being. These are mind, will-power and conscience.

2 — To regulate the relations between youth and others.

The three powers that God laid in man are the main weapons to raise youth to heights of virtue and to the ideals of noble life. They also are the basis for their improvement and the teaching of good conduct.

The human mind will be developed and reformed by the means of proper culture and education. Islam provides the youth with a kind of culture that has a strong influence upon the mind, developing character and arousing spritual consciousness in the hearts. By this kind of culture the man realises the greatness of the Creator of the universe and believes strongly that the Almighty God is the Possessor of everything. This belief leads him to seek help and guidance from Him alone.

The Qu'an draws the attention of the youth and their observation to the power of God in creating things and the worlds system. When they compare between this and whatever instructions they receive in physics natural science, botany and zoology, they may realize the power of God and His great creation.



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة السابعة والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٥ هـ — أغسطس سنة ١٩٧٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان والقرآن .. وهذه الأمة

للأستاذ عبد الرحيم فودة

في ليلة مباركة من ليالي رمضان أنزل القرآن الكريم أو بدأ نزوله على نبي أمي لم يكن يقرأ أو يكتب كما يقول الله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » فكان عجبا أن يقرأ الأمي وأن تكون معجزته كتابا لا تنقضي عجائبه، وأن يكون هذا الكتاب أكمل وأمثل كتاب سماوي ، وأن يبقى هذا الكتاب محفوظا في الصدور والسطور . ومعجزة للانس والجن لا يشوبه تحريف وتزييف، ولا تقوى قوة منفردة أو قوى مجتمعة على الأتيان بمثله أو بسورة من مثله . كما قال الله تعالى فيه : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» وكان عجبا أن يصنع هذا الكتاب من الأمة العربية « خير أمة أخرجت للناس» وأن يضع في يدها

قادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم وأن يبوئها مكانة الزعامة والامامة بين جميع الأمم والشعوب ، وأن يضىء بحضارتها لأوربا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى ، وكان ذلك كله هو التفسير الواقعى والتاريخى لقول الله : «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» ••

نعم كان ذلك ذلك بفضل الله ، فلا عجب مع الايمان بقدرته التى لا تعجز ورحمته التى لا تضيق ، وهو جل شأنه « يختص برحمته من يشاء » وقد اختص هذا النبى الأمى بما لم ينله نبى قبله • كما يفهم من قوله له : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، وقوله : «انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ، وقوله : « وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » •

وقد وصلت هذه الأمة بفضله وفضل القرآن الذى أنزل عليه الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، فتآلف بعد اختلاف • وتجمعت بعد فرقة • وقويت بعد ضعف ، وتحررت من نفوذ الفرس والروم وهما القوتان العظميان اللتان كانتا تحكمان العالم • وتتنازعان السلطان عليه ، ثم مضت فى ظل لواء الاسلام تفتح البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وتشرح صدور أبنائها بنور الكتاب وضياء السنة ، فانهما كما يقول الله فيهما : «وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم» وكما يقول فيهما : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه » ••

فليذكر المسلمون ماكانوا عليه وما صاروا اليه • وهم يستقبلون شهر رمضان ويزمعون صيام أيامه وقيام

لياليه ، يستبشرون خيرا بمقدمه ويمن هلاله ؛ كما كان يستقبله رسول الله ويقول : اللهم أهله علينا بالأمن والايمان . والسلامة والاسلام . والتوفيق لما تحب وترضى ، وليذكروا فى هذا الشهر ، أنهم دون غيرهم الذين قال الله فيهم : «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاةوآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

عبد الرحيم فوده

بيان
من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر
إلى العالم
عن إقدام إسرائيل على تهويد الحرم الإبراهيمي في الخليل وانتهاك الأماكن المقدسة والاستهانة بالحرمات والديانات

أمر وزير الدفاع الاسرائيلى بتهويد الحرم الابراهيمى الشريف فى الخليل ، وتقسيمه بين المسلمين واليهود ، واحتلال الجزء الأكبر منه ، وجعله مكانا تقام فيه الحفلات وتشرب الخمور ، وتنفخ الأبواق ، ويحتفل فيه بالزواج والختان ، وأن يحال بين المسلمين وبين دخوله ، أو اظهار شعائرهم فيه ، والا هددوا باستعمال السلاح ضدهم ان هذا العمل يدنس طهارة المكان ، ويعتدى على قدسيته ، ويؤذى المسلمين ان لم يحل بينهم وبين أداء شعائرهم ، وهو انتهاك لحق الانسان فى أن تصان حرماته وانا لنسجل على اسرائيل - كما سجل عليها المجتمع العالمى من قبل - تدنيسها للمقدسات ، واستهانتها بالأديان والقيم الانسانية •

ونهيب بالمسلمين فى كل مكان ان لايغفلوا لحظة عن واجبهم الدينى لتخليص بيت المقدس من يد الصهيونية ، وان يعملوا ما استطاعوا للحفاظ على قدسيته وعروبته وان لا ينسوا ما يتبع المسجد من المقدسات : مسجد الصخرة ، والمسجد الابراهيمى •

ان العدوان على أى جزء من هذه المقدسات عدوان على حرمة المسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى ، وثالث الحرمين ، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ان الحرم الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى مقدس ، والاعتداء عليه اعتداء على حرمته وانتزاعه من يد المسلمين جريمة •

اننا نستنكر اعتداء اسرائيل على المقدسات الاسلامية ، وانتهاكها لحق الانسان فى العبادة ، ونستنكر استمرارها فى تغيير معالم القدس ، والاعتداء على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية ، ونطالب الهيئات الدينية والانسانية فى العالم أن تمنع هذا العدوان الصارخ ، ونطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بصون القدس ومقدساتها ،كما نطالب أجهزة الأمم المتحدة أن تتخذ مايكفل وقف هذا العدوان الجديد وردع اسرائيل عن المضى فى هذه الجرائم .

ولله عاقبة الأمور .

٣ من شعبان سنة ١٣٩٥ هـ ١٠ من أغسطس سنة ١٩٧٥ م

الامام الأكبر

شيخ الأزهر

دكتور عبد الحليم محمود

دراسات قرآنية :

فتنة سليمان عليه السلام

للأستاذ مصطفى الطير

« ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب »

البيـــان

مقـدمة :

سليمان عليه السلام ، نبى من أنبياء بنى اسرائيل ، وهو ابن داود عليهما السـلام ، وكلاهما جمع الملك مـع النبوة ، وشريعتهما تستند الى التوراة التى أنزلهـا الله على مـوسى عليـه السلام،فهى كتاب الله الى بنى اسحق (اسرائيل) • كلفوا العمل به من عهد موسى الى عيسى عليهما السلام ، ولم ينسخها الا القرآن الكريم • أما الزبور الذى أتاه الله داود ، فقد كان كتاب أدعية وصلوات ، ويسميه أهل الكتاب ـ المزامير ـ وأما الانجيل فهو كتاب وعظ وارشاد وتذكير •

وبمـا أن سـليمان نبى فيجب أن يتصف بما يتصف به أنبياء الله تعالى من الكمالات اللائقة بهم ، وأن يتنزه عن المعاصى ؛ فان النبى قدوة لأمته، فـلا يصـح أن يختاره الله من أهل الخطايا ، فلابد أن تكون فتنة من نوع لا يقدح فى نبوته •

الروايات الفاسدة فى فتنته

كثرت الروايات والقصص الفاسدة عن فتنة سـليمان ، وأخفهـا ما رواه الامامية عن أبى عبـد الله أنه ولـد لسليمان ابن ، فقال بعض الشـياطين لبعض : ان عاش له ولد لم ننفك عما نحن فيه من البلاء والسخرة ، فتعالوا نقتله أو نخبله ، فعلم سليمان بذلك ، فأمر الريح فحمله الى السحاب مع مرضعة له من حيث لا يعلمون ، خوفا عليه من الشياطين ، قال القرطبى : فعاقبه الله على خوفه من الشياطين ، فلم يشعر الا وقد وقع الولد على كرسيه ميتا ، فهو الجسد الذى قال الله تعالى فيه : «وألقينا على كرسيه جسدا»قال الألوسى : وهذا الخبر غير صحيح ،

فان تسخير الريح بعد الفتنة ، ونحن نضيف الى ماقاله الألوسى أن الجن ما كانت تستطيع أن تعرض لولده وهو على الأرض ، فقد كانوا «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » أما المتمردون منهم فقد كانوا مقرنين فى الأصفاد ، ولهذا فانه لما مات «مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته » واذا كان أمر الجن معه على هذا النحو ، فانه ما كان يخشاها على ولده حتى يرفعه الى السحاب ، فلهذا يتأكد فساد هذا الخبر •

ومن القصص الباطلة ماقيل من أنه احتجب ثلاثة أيام ، فأوحى الله اليه معاتبا على احتجابه وتركه النظر فى أمور عباده ، وانصافه المظلوم من الظالم ، وكان ملكه فى خاتمه ، وكان اذا دخل الحمام وضعه تحت فراشه ، فأخذه الشيطان وجلس على كرسيه ودانت له الأمة وأنكرت سليمان ، فساح أربعين يوما ، فأتى أهل سفينة فأعطوه حوتا ، فوجد فيه خاتمه فتختم به وأخذ بناصية الجنى ، وهو الجسد الذى القاه الله على كرسيه على هذا الرأى ، وقال سليمان مستغفرا مما حدث:«رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » • وسنبين وجه فساد هذه الرواية ، ومن القصص الفاسدة ماقيل من أنه غزا صيدون من الجزائر ، وقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها وتزوجها ، وكانت دائمة البكاء على أبيها ، فأمر الشياطين فصنعوا لأبيها تمثالا ،فسجدت له هى وجواريها ، فأخبره بذلك اصف وزيره ، فكسر التمثال وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا ، وكان اذا دخل الحمام أعطى خاتمه الى أم ولده وتسمى أمينة ، فدخل الحمام يوما وتركه معها ، فتمثل بصورته شيطان اسمه صخر ، وأخذ منها الخاتم وتختم به ، ولما جاء سليمان أنكرته وطردته وجلس الشيطان على كرسيه فنفذ حكمه فى كل شىء الا فى نسائه ، وهذا الشيطان هو الجسد الذى ألقاه الله على كرسيه عند اصحاب هذا القول

ولما حدث ذلك لسليمان عرف أن الخطيئة ركبته ، فظل يتكفف الناس أربعين يوما • عدد ما عبدت الصورة فى بيته ، فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر ، فابتلعته سمكة فوقعت فى يده ، فشق السمكة فوجد الخاتم بها ،

فتختم به وخر ساجدا لله ، وعاد اليه الملك ـ قال أصحاب هـذه القصة : وخطيئة سليمان فيها غفلة عن حال أهله ، فقد كان عليه بعد أن امر بصنع التمثـال لأبيهـا ، أن يرقب ما تفعلـه زوجته مع هذا التمثال فهى من قوم يعبدون الأوثان ، أما اتخاذ التماثيل فجائز فى شريعته ، والسجود له كان بغير علمه ـ الى غير ذلك من الروايات الفاسـدة ، وفيهـا مـايعف القلم عن ذكره .

هذه الروايات من وضع الزنادقة

قال أبو حيان : ان هذه المقالةمن وضع اليهود والزنادقة ، ولا ينبغى لعاقل أن يعتقد صحتها ، اذ لو تمثل الشيطان بصورة نبى حتى التبس أمره على الناس لم يوثق بارسال نبى ـ ثم قال : الله أكبر هذا بهتان عظيم .

وقد جاءت هـذه القصـة برواية عبد الرازق وابن المنذر ، منتهية الى كعب الأحبار ، ومعلوم أن كعبا كان يهوديا ، فهو يرويها عن كتب اليهود فهى أصل البلاء ، لأنها لا تتورع عن نسبة الموبقات الى الأنبياء .

ويستبعد جـدا أن يربـط الله ما أعطى لرسوله سليمان من الملك بذلك الخاتم ، ولو كان فى الخاتم هذا السر لذكره الله فى كتابه .

رأيان معقولان

يرى بعـض المفـسرين أن فتنـة سليمان هى تقصيره فى عدم التعليق على مشيئة الله تعالى، استنادا الىحديث صحيح جاء فيهأن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليـلة على سبعـين امرأة ـ وفى رواية أربعين امرأة ـ تأتى كل واحدة بفارس يجاهـد فى سبيل الله ، فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق ولد » وجاء فى الحديث : فوالذى نفس محـمد بيده لو قال ان شاء الله لجاءوا فرسانا» فمن هذا الحديث استنبطوا أن فتنـة سليمان هى تركه التعليق على مشيئة الله ، وأن عقابه على ذلك كان عـدم تحقـيق ما كان يريـده ، وأن تأتى واحدة منهن بنصف ولد ، وقد عبر عن شق الولد بأنه جسـد ، ومعـنى القائه على كرسيه أن القابلة ألقته عليه لينظر اليه :

وعدم قوله ان شـاء الله فيـه ترك الأولى ، وهو بالنسبة لمقامـه يعتـبر مخالفةيعاقب عليها بالابتلاء ،ويستحق

أن يستغفر الله تعالى من أجلها ،ولهذا قال : « رب أغفرلى » وهذا التأويل هو رأى الجمهورواستظهره الألوسى

ولأبى مسلم رأىغير هذا ، مناسب لنص القرآن الكريم ، وقد أقره عليه جماعة من المفسرين ، وخلاصته أن معنى « فتنا سليمان » أمرضناه مرضا شديدا ، حتى صار على كرسيه كأنه جسد بلا روح ، فلذا قال الله سبحانه فى شأن حالته الصحية:«وألقينا على كرسيه جسدا » وقد شاع قولهم فى الضعيف لحم على وضم ، وجسد بلا روح فالجسد الذىألقاه اللهعلى كرسى سليمان ، هو سليمان نفسه حين كان مريضا ، ومعنى قوله « ثم أناب » ثم عاد الى صحته ، فان الانابة تطلق على الرجوع مطلقا •

ولا شك أن هذا رأى خال من المآخذ الموجهة الى غيره ــ سوى ماقاله الجمهور ــ وثم للترتيب والتراخى ، وانما عطف بها على رأى الجمهور ، لأنه لم يعلم الداعى الى الانابة ، الابعد وقوع المخالفة بوقت طويل ، أما على رأى أبى مسلم فالعطف بها لأن عوده الى الصحة تراخى عن أول المرض •

الاستغفار وطلب الملك

بعد فتنة سليمان عليه السلام ، دعا ربه سبحانه طالبا منه أمرين (أحدهما) أن يغفر له فتنته ، (وثانيهما) أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده•

فأما طلبه الغفران فان كان عن زلة هى خلاف الأولى ــ كما قال الجمهور فيكون المقصود به طلب الصفح من الله استعطافا لتقصيره فى حقه تعالى ــ وان لم يصل التقصير الى حد الذنب ــ أما على رأى من فسر الفتنة باصابته بالمرض ، فالاستغفار من باب هضم النفس واتهامها بالتقصير مع الله مهما حسن العمل ، ولكى يجعله مقدمة لطلب الملك العظيم •

ومعنى قوله:«وهب لى ملكالاينبغى لأحد من بعدى » أنه ملك لا يليق لأحد غيره ولا يحصل له ، فقوله « من بعدى » بمعنى غيرى ، سواء أكان المغاير له فى عصره أم بعده ، كقوله تعالى : «فمن يهديه من بعد الله أى فمن يهديه غير الله سبحانه •

سؤال وجواب

ان قيل : كيف أقدم سليمان عليه السلام ــ وهو نبى ــ على طلب الدنيا

بهذه الصورة ، مع أن الله تعالى حث على الزهد فيها ، والاقبال على عمل الآخرة التى هى دار القرار .

فالجواب أنه طلبها ليؤدى حقوق الله فيها ، ويحمل عباده على طاعته ؛ وينشر العدل وينصف المظلوم ،ويعين الضعيف وذا الحاجة ، وبالجملة : ينفذ شريعة الله فيما ملكه الله عليه بين رغبته مع قدرته على ذلك ، وأى مانع من أن يطلب النبى ما هو قادر عليه ، مادام غرضه مصلحة الخلق والحصول على الثواب ، كما قال يوسف عليه السلام لعزيز مصر : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » فكأنه يقول : أعطنى من الملك ما لا يقدر عليه غيرى، لترانى فيه قواما على الحق والعدل ، وحاشاه أن يطلب ذلك لحظ نفسه : فانه كان يعمل الخوص بيده ويأكل خبز الشعير ويطعم بنى اسرائيل ويأكل خبز البر الخالص- كما رواه الامام أحمد فى الزهد .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما رفع سليمان طرفه الى السماء تخشعا حيث أعطاه الله ما أعطاه » .

وقال الجبائى : ان طلبه الملك كان باذن من الله على الصفة التى طلبها ، بأن أعلمه الله أن لا يضبطه سواه ، وأنه ان سأله كان أصلح له فى الدين، فان الأنبياء لا يطلبون الا ما يؤذن لهم فى طلبه .:

وقال الزمخشرى : انه كان ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما ، فطلب من ربه معجزة على حسب الفه، وهى ملك زائد على الممالك زيادة خارقة للعادة ، ليبلغ حد الاعجاز ، فيكون دليلا على نبوته، قاهرا للمبعوث اليهم ، وكان زمنه زمن الجبارين المتافخرين بالملك ، ومعلوم أن معجزة كل نبئ من جنس ما اشتهر فى عصره - وقيل غير ذلك :

والرأى عندى هو الأول لخلوه عن التكلف والاعتراضات .

تسخير الريح لسليمان

يقول الله تعالى : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب »ومعنى كونها رخاء أنها لينة غير عاصفة ،وجاء فى وصفها أيضا قوله تعالى:«ولسليمان الريح عاصفة » وذلك لأنها تكون حسب الحاجة ، فان احتاج اليها لينة جاءت لينة ، وان احتاج اليها عاصفة

جاءت عاصفة ، ويصح أن يكون المراد من كونها رخاء أنها منقادة له مع كونها عاصفة، فقد شاع استعمال اللين في الطاعة ، وكانت الريح تحمله في أسفاره ، وكانت كما وصفها الله تعالى: « غدوها شهر ورواحها شهر » أي أنها في صباح اليوم ومسائه تقطع مرحلة لا تقطع الا في شهرين على الدواب ، ومعنى حيث أصاب حيث قصد .

تسخير الشياطين له

ويقول سبحانه في تسخير الشياطين له « والشياطين كل بناء وغواص : وآخرين مقرنين في الأصفاد » وكان البناءون منهم « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات» والمحاريب تطلق على الغرف المرتفعة كما تطلق على المساجد وعلى الفجوات التي يكون فيها الأئمة والمراد بها هنا : اما القصور ، واما المساجد ، والجفان جمع جفنه وهي القصعة ، والجواب جمع جابية وهي الحوض العظيم ؟ والقدور آنية الطبخ وكانت لعظمها ثابتة في أماكن الطبخ، وكان الغواصون منهم يأتونه بعجائب البحار وجواهرها .

أما المقرنون في الأصفاد فهم مردة الشياطين ، قرن بعضهم ببعض بالقيود ليكف شرهم عن غيرهم .

سؤال وجواب

ان قيل ان الجن أجسام نارية شفافة ، فكيف يمكن تقرينها في الأصفاد ؟ فالجواب أن المراد بتقرينهم بالأصفاد منعهم عن ايصال الشر الى غيرهم بما يشبه الأصفاد بالنسبة الى البشر ، فحيث كانت أجسادهم سيالة أي قابلة للانتشار كالأثير مثلا ــ يمكن حبسها في محابس كما يحبس الغاز والهواء في الأنابيب ، فيكون المولى سبحانه ، أقدر من سليمان على أن يصنع بهم ذلك .

أما القول بأن أجسامهم مع لطافتها صلبة كالزجاج مثلا، فيمكن تصفيدهم بالأغلال فغير مقبول لتحقق نفوذهم فيما لا ينفذ منه الشيء الصلب ، كدخولهم الحجرة المغلقة النوافذ .

وقيل ان الأقرب أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ما يكف به شرهم كما يكف الشريرون بالأصفاد ، وليس

هناك أصفاد ولا تقرين على الحقيقة ، فالمعنى على التمثيل لا على الحقيقة ، وهو قريب من الوجه السابق مآلا .

وأجاز بعضهم أن يكون المعنى أنهم مأسورون بعطائه ومحبوسون بكرمه ، فقد يطلق الصفد على العطاء ، لأنه يرتبط به المنعم عليه ، ومنه قول الامام على : من برك فقد أسرك ، ومن جفاك فقد أطلقك ، وفرقوا بين فعليهما فقالوا : صفده أى قيده ، وأصفده أى أعطاه ؛ والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الطير

صدقات الفقراء

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه: ان ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلى ويصمون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ ان لكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها صدقة ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ، فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر ، أخرجه مسلم وأخرج البخارى فى معناه عن أبى هريرة فى باب الذكر بعد الصلاة .

أهل الدثور : الدثور : جمع دثر وهو المال الكثير والمراد به الأغنياء : وفضول الأموال ما يفضل منها عن حاجة الشخص شأن المسلم أن يكون حريصا على أن يستكثر من العمل الصالح ليستكثر من الثواب سواء فى ذلك الغنى والفقير ، الا أن فرص الاستكثار من الثواب لدى الأغنياء الصالحين أوفى منها عند الفقراء المعوزين ، فالأغنياء الصالحون يصلون ويصومون كمايصلى الفقراء ويصومون ويزيد الأغنياء أن لهم أموالا تزيد عن حاجتهم فيتصدقون بها ، ولاشك أن ثواب الصدقة عظيم ، وأجرها وفير يتضاعف فيها الثواب مالا يتضاعف فى غيرها وفى ذلك يقول الله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) . وقد لفت ذلك أنظار بعض أصحاب رسول الله الفقراء فذهبوا اليه يبسطون حالهم وحرمانهم مما يسبق به الأغنياء لعله يجد فيما

اصطفاه الله من علم عوضا عما امتاز به الأغنياء من كثرة الثواب ويشكون غيرتهم من ذلك لا غيرتهم مما فاتهم من المتاع بالمال والتوسع فى العيش والرقة فى الحياة ، وقالو له : ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، ومعنى ذلك أنهم أكثر منا ثوابا ، فأرشدهم الى ما يعوضهم عن الثواب وبين لهم أن سبيلهم اليه سهل ميسور ففى التسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عوض وثواب كبير وباستطاعتهم أن يقوموا به فالتسبيح محبوب الى الله ويجب أن يتقرب به عباده اليه لأنه برهان على اخلاص العبودية له وتنزيه عما لا يليق به ولا يرضاه ولذا أمر به فى عشرات من آيات القرآن الكريم ، وفى جميع الأوقات والأحوال . فقال تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى» . وقال: «فسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم » .

كما أرشدهم الى أن الأمر بالمعروف صدقة والنهى عن المنكر صدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من حيث هو عمل باللسان سهل على الانسان الا أنه مر المذاق سيما اذا تصدى له الفقير ومن لا مال له ولا جاه فقد يجابه بالصد ، ويزجر بالرد ويجازى بالسخرية والاستهزاء وربما تجاوز الأمر ذلك لأن الناس جبلوا على أن يصيخوا للغنى ولو قال هذر ويشيحوا عن الفقير ولو نطق درا ويعجبنى ما قاله عروة بن الورد عن جبلة الناس ومواقفهم من الفقير :

يباعده الندى وتزدريه
حليلته وينهره الفقير

وتلقى ذا الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل عيبه والعيب جم
ولكن الغنى رب غفور

فالأمر بالمعروف سيما من الفقير مركب صعب يحتمل القائم به فى سبيله العناء والشقاء جدير بما وعد به من الثواب ، لهذا ولحسن أثره فى اصلاح الجماعات وتقويم الانحرافات اذ هو نوع من الرقابة الاجتماعية الواعية أوجبه الله تعالى على المسلمين تضامنا فى المسئولية حيث قال سبحانه : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

وقد يعين القائم بهذه الرسالة على نجاح رسالته أن يكون قدوة فى سلوكه لتكون دعوته أنفذ ووعظه أجدى وأنفع كما يعينه أن يصطنع الرفق فى دعوته ، فان الدعوة بالاسلوب الخشن ربما أنتجت عكس مايراد منها وربما دعت الى التمادى فى الخطأ تحديا ومكايدة ، والمنحرف فى الغالب مسوق بسلطان شهواته وعواطفه فهو فى حاجة الى الرفق والملاينة ، ومما أرشدهم النبى اليه من الأعمال ليستكثروا من الثواب أن يقوموا بواجباتهم الزوجية لأن فى ذلك اعفافا للزوج وصرفا عن الحرام فلا يتطلع الى حرمات الناس فالمرء مادام يطفىء نار شهوته فى أهله تخمد غريزته وتهدأ عاطفته كما أن فى ذلك اعفافا للزوجة والهاء لها عن تطلعاتها ورغباتها فى الغرباء ، وكما يكون أثر اشباع شهوة الرجل بامرأته يكون أثر اشباع شهوة المرأة بزوجها وماجاء فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه اليها فليأت أهله» وقد استغرب أصحاب الرسول أن يكون فى ملامسة الرجل أهله ثواب لأن فى ذلك قضاء شهوة وتحصيل لذة وتحقيق رغبة وليس فيها فى نظرهم شىء من العمل الشاق والعبادة المتعبة التى تستحق الثواب فدفع استغرابهم ذلك وقال لهم : لو قضى الرجل شهوته فى حرام آخذه الله بما عمل فلماذا لا يثيبه الله اذا قضاها فى حلال وأقنعهم بهذا المنطق الذى لا يقبل جدالا .

بهذا الحوار كما ورد فى الحديث شفى رسول الله صدور أصحابه مما كانوا يجدونه من الضيق على قلة ثوابهم ومن الغيرة من الأغنياء على ما آتاهم الله من فضول الأموال التى كانوا ينفقونها فى سبيل الخير فيكثر ثوابهم وأعلمهم ان الله لم يقصر أبواب الفضل على الأغنياء بل جعل فيها سعة للفقراء ، وجعل لهم من الأعمال المتيسرة لهم ما يلحقهم بالأغنياء وهكذا وسع فضل الله عباده جميعا والله ذو الفضل العظيم .

ونحن اذ نختم هذه الكلمة بما ذكره العلامة الكرمانى عن سؤال قد يرد على خاطر قارىء الحديث وجواب الكرمانى عليه حيث قال : كيف يعدل قول هذه الكلمات ـ يعنى التسبيح والتهليل الى آخره ـ مع سهولتها وعدم مشقتها الأمور الشاقة الصعبة من الجهاد ونحوه وأفضل العبادات

أحمزها ـ امتنها وأشقها ـ قلت : أداء هذه الكلمات حقهامن الاخلاص سيما الحمد فى حال الفقر من أفضل الأعمال وأشقها ، ثم ان الثواب ليس بلازم أن يكون على قدر المشقة ألا ترى فى التلفظ بكلمة الشهادة من الثواب ما ليس فى كثير من العبادات الشاقة وكذا الكلمة المتضمنة لتمهيد قاعدة خير عام ونحوها ـ قال العلماء : ان ادراك صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة خير وفضيلة لايوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء ثم ان كانت نيتهم لو كانوا أغنياء لعملوا مثل عملهم وزيادة . ونية المؤمن خير من عمله ، فلهم ثواب هذه النية وهذه الاذكار .

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربـوا ، وأبشروا ،واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة)

رواه البخارى

راوى الحديث :

سبق التعريف به فى عدد ربيـع الآخر من عام ١٣٩٥ هـ

اللغـة :

(الدين يسر) أل فى الدين للعهد وهو دين الاسلام ، واليسر نقيـض العسر ، ومعناه التخفيف والسهولة ، ويقال : تسير الأمر بتيسير يسرا من باب تعب ، ويسر يسر يسرا من باب قرب فهو يسير أى سهل ، ومعنى أن الدين يسر،أن الاسلام بالنسبة لسائر الأديان تتمثل فى تكاليفه السـهولة والتخفيف ، فان الله تعالى رفـع عن هذه الأمة التكاليف الشاقة التى كانت على من قبلهم من الأمم •

(ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) المشادة هى المغالبة ، يقال:شاده مشادة اذا غلبه وقاواه ،وأصل لن يشاد ،لن يشـادد أدغمـت الـدال الأولى فى الثانية ، ومثل هذه الصيغة يشترك فيها بناء الفاعل والمفعول ، فيقال فى اسم الفاعل ، مشاد ، وكذلك يقال فى اسم المفعول ، والفارق هوالقرينة ــ ومعنى (غلبه) قوى عليه ؛ يقال : غلبه يغلبه من باب ضرب غـلبا ــ بفـتح الغـين وسكون اللام ، وغلبا بتحريكها بالفتح وغلبه بالحاق الهاء والمراد من قوله : (ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) أنه لا يتعمق شخص فى الدين ، فيترك الرفق الا غلب الدين عليه ؛ وعجز ذلك المتعمق ، وانقطع عن عمله كله أو بعضه ،

(فسددوا) السداد بفتح السين ، الصواب من القول والفعل ، وأسد الرجل جاء بالسداد ، وسد يسد من باب جلس سدودا فهو سديد ومسدد اذا أصاب فى قوله وفعله - ومعنى : سددوا - الزموا السداد أى الصواب فى القول والعمل من غير تفريط ولا افراط .

(وقاربوا) لا تبلغوا النهاية ، بل تقربوا منها ، ويقال : رجل مقارب - بكسر الراء أى وسط بين الطرفين ، والمراد من طلب المقاربة عدم الغلو فى العمل .

(وأبشروا) يقال : بشرته بكذا ، وبشرته ، وأبشرته - أخبرته بما يسره - وسمى الاخبار بما يسر بشارة ، لأنه يظهر أثره على البشرة ؛ - ومعنى : أبشروا - افرحوا بما أعد لكم من ثواب على عملكم وان قل .

(واستعينوا) الهمزة والسين والتاء تفيد الطلب والمراد طلب العون .

(بالغدوة والروحة (الغدوة بضم الغين ، وقيل بفتحها ؛ ويقال : غدا غدوا من باب قعد ، ذهب غدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، وجمع الغدوة غدى ؛ مثل مدية ومدى .

والروحة من الزوال الى الليل ، يقال : رحنا رواحا وتروحنا - سرنا فى ذلك الوقت .

(الدلجة) بضم الدال واسكان اللام ، كذا الرواية ، يقال : أدلج القوم ، ساروا الليلة كلها ، وهى الدلجة ، بفتح الدال وادلجوا بتشديد الدال ، ساروا فى آخر الليلة ، وهى الدلجة بالضم ، - والسر فى طلب الاستعانة بهذه الأوقات أنها منشطة للعمل ، وتعين عليه .

البيـان :

من نظر الى الاسلام نظرة فاحصة أيقن أنه دين اليسر والسماحة ، وأن تعاليمه قامت على مبدأ رفع الحرج والمشقة ورعاية المكلفين ، والترفق بهم ، فليس فيها ما تضيق به النفوس الزاكية ، أو تحس منه عنتا وارهاقا قال تعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (١)

---

(١) سورة البقرة بعض آية ١٨٥

ومن مظاهر هذا اليسر تلبية طبيعة الانسان باباحة الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا والطيب من الرزق على وجه معتدل لا افراط فيه ولا تفريط ، كما قال سبحانه : «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١) .

ومن كان مريضا يضره الصوم،أو على سفر ، أفطر وقضى بعدد ما أفطر من الأيام من غير أن يشترط التتابع فى القضاء كما قال جلت حكمته ـ « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون• أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر (٢) .

ومن تعذر عليه استعمال الماء للوضوء أو الغسل تيمم وصلى : قال تعالى:«يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط(٣) أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج وليكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٤) ويكون أداء الصلاة على قدر ما منح الشخص من وسع وقوة .

فمن عجز عن الصلاة قائما صلى قاعدا يركع ويسجد ، وان عجز عن القعود صلى بايماء على جنبه ، أو مستلقيا على ظهره .

عن عمران بن حصين قال : كانت بى بواسير ، فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة ، فقال : (صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنبك) رواه الجماعة الا مسلما .

---

(١) سورة الأعراف اية ٣٢

(٢) سورة البقرة آية ١٨٣ ، ١٨٤

(٣) أصلّ الغائط المكان المنخفض من الأرض ـ والمراد بقوله : « جاء أحد منكم من الغائط » أحدثتم حدثا أصغر بانزال البول أو البراز مثلا ،

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦

وزاد النسائى : (فان لم تستطع فمستلقيا لايكلف الله نفسا الا وسعها) وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يصلى المريض قائما ان استطاع ، فان لم يستطع صلى قاعدا ، فان لم يستطع أن يسجد أومأ برأسه (١) ، وجعل سجوده أخفض من ركوعه ، فان لم يستطع أن يصلى قاعدا صلى على جنبه الأيمن مستقبل القبلة ، فان لم يستطع أن يصلى على جنبه الأيمن صلى مستلقيا رجلاه مما يلى القبلة) رواه الدار قطنى .

وهكذا لو تتبعت أحكام الشريعة الاسلامية وجدت مظاهر اليسر جلية واضحة ، ووجدت أن جميع التكاليف قد روعى فيها التخفيف على العباد .

وحسبنا شاهدا على هذا قوله تعالى: « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (٢) وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج»(٣) — وقوله صلى الله عليه وسلم : (بعثت بالحنيفية السمحة) (٤) وما صح عنه عليه الصلاة والسلام من أنه: (ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما (٥) .

وقد فرضت على الذين كانوا قبلنا تشريعات شاقة : كعدم جواز الصلاة فى غير المسجد ، وعدم الطهارة بالتراب ، وقطع الثوب الذى تصيبه النجاسة وقبول التوبة بقتل أنفسهم ، ونحو ذلك .

لكن الله تعالى رحم هذه الأمة المحمدية ، فرفع عنها تلك التشريعات، وكان هذا استجابة للدعاء فى قوله سبحانه — : « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا » (٦) .

---

(١) أى أشار بها وخفضها الى أسفل فى حالة الركوع والسجود .
(٢) سورة النساء آية رقم ٢٨ (٣) سورة الحج آية رقم ٧٨
(٤) رواه الخطيب عن جابر رضى الله عنه ، (٥) رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، (٦) سورة البقرة آية ٢٨٦

ومن أجل ما اشتمل عليه الاسلام من يسر وتخفيف ، قال جلت نعمته ـ في وصف رسوله الكريم ، وبيان فضل المؤمنين به والمتمَسكين بهديه القويم : « ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) •

(يتبع) منشاوى عثمان عبود

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧

حماية الاسلام للأعراض

للدكتور محمد جمال الدين عواد

لقد شمل الاسلام الأعراض بأقوى حماية يمكن أن يختص بها حق من حقوق الانسان وتبدو حماية هذه أوضح ما يكون في العقوبات القضائية الشديدة التي يوقعها في حالات الزنا وهتك العرض والقذف كما تبدو في تحريمه الغيبة والنميمة والتجسس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب وما الى ذلك من كل مايمس عرض الانسان وكرامته وفي تحقيره لمقترفي هذه الآثام وتوعده اياهم بأشد عذاب يوم القيامة .

فلم تكتف الشريعة الاسلامية بتقرير عقوبة الاعدام في الزنا الذي يرتكبه شخص متزوج بل أوجبت تنفيذ هذه العقوبة في أعنف صورها وأشدها تعذيبا للجاني وذلك بأن يرجم بالحجارة حتى يموت كما رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك ورجم الغامدية ـ فقد روى الامام (أحمد : أن ماعزا جاء فأقر عند النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات فأمر برجمه ، وعن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة هي المعروفة بالغامدية أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنى فقالت يانبي الله أصبت حدا فأقمه على . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر أتصلى عليها يارسول الله وقد زنت ؟ قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى :

وتأسيا بهذا الهدى الكريم قال صاحب البدائع في بدائعه : أن المحصن متى توفرت عليه الموانع من الزنا وأقدم عليه صار زناه غاية في القبح فيجازى بما هو غاية في العقوبات

الدنيوية وهو الرجم لأن الجزاء على قدر الجناية ، واذا كان مقترف هذا الأثم غير متزوج فان عقوبته فى الاسلام أن يجلد مائة على ملأ من الناس : قال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » . ولكن ذهب جمهور الفقهاء الى اضافة عقوبة أخرى الى هذه العقوبة وهى نفى المجرم عاما كاملا بعد الجلد مستدلين على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم:«البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه جلد وغرب وكذلك روى عن على رضى الله أنه فعل ذلك ولم ينكر عليهما أحد من الصحابة فيكون اجماعا وفى هذا المعنى قال صاحب المغنى : وان الجمع بين الجلد والتغريب يدل على أنه كان مشهورا عندهم من حكم الله تعالى وقضاء رسول الله عليه وسلم الا أننا نرى أن يكون التغريب بالنسبة للرجل فقط لا للمرأة كما هو رأى الامامين مالك والأوزاعى : لأنها عورة وتغريبها يؤدى الى زيادة فسادها لا الى علاجها وان ذلك لكلام مستقيم وتخريج لقول من رأى مثل مانرى : فيقوم مقام التغريب الامساك فى البيوت فانه أصون لهن غير أنه ليس له وقت معلوم .

ـ وفى القذف تقرر الشريعة أن من قذف رجلا محصنا فى عرضه ـ أو امرأة محصنة فى عرضها بأن اتهم أحدهم بالزنا وعجز عن اقامة الدليل القاطع على ما يقول : والدليل القاطع الذى يتطلبه الاسلام فى هذا الصدد يتعذر الاتيان به لأنه لايتحقق الا اذا أتى القاذف بأربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا الفعل بأعينهم وفى صورة لاتحتمل الشك فان لم يكن كذلك فتوقع عليه عقوبتان مهينتان احداهما ـ عقوبة موقوتة تناله فى جسمه وهى أن يجلد ثمانين جلدة،وثانيهما ـ عقوبة تناله فى مكانته وكرامته والثقة به وهى أن يعتبر ساقط الشهادة أى لاتقبل منه شهادة فى أمر ما مدة حياته الا اذا تاب توبة نصوحا لأن التوبة تجب ما قبلها : والدليل على هذا قوله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة

ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون•الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » واذا وقع قذف بسبب غير الزنى كنهب وغصب واختلاس وغير ذلك من المحرمات التى لاحد فيها ولا كفارة عذر الحاكم القاذف بعقوبة تعزيزية وجوبا تتفاوت شدتها حسب اختلاف القاذفين بما يكفى لردعهم وزجرهم حتى لايعودوا الى ذلك مرة أخرى لأن المعصية تفتقر الى ما يمنع من فعلها وفى الغيبة والنميمة والتجسس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب وما شاكل ذلك من كل ما يخدش كرامة الانسان أو ما يمس عرضه : يحرم الاسلام كل ذلك ويحقر مقترف هذه الآثام ـ ويتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة قال تعالى : «ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » • وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » وقال: «ويل لكل همزة لمزة » والهمز : الكسر ، واللمز : الطعن وقد شاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم والهمزة واللمزة ـ المكثر من الهمز وتناول أعراض الناس والمعتاد لهذه الآثام وقال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين•هماز مشاء بنميم•مناع للخير معتد أثيم » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : « ذكرك أخاك بما يكره قال أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته » وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » أخرجه مسلم : وللترمذى من حديث بن مسعود رفعه « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء » : وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه قال: «لا يدخل الجنة قتات » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم

القيامة » أخرجه مسلم وهكذا حمى الاسلام الأعراض بمحاربة الدوافع النفسية الداعية الى الجريمة ونهى عن ارتكابها فاذا فكر شخص فى أن يرتكب جريمة أو يقذف آخر ليؤلم نفسه أو يحقر شخصه ذكر العقوبة التى تؤلم النفس والبدن والغضب واللعنة والعذاب الأليم من الله وذكر التحقير الذى تفرضه عليه الجماعة فصرفه ذلك عن الجريمة فان تغلبت عليه **العوامل الداعية الى الجريمة** مرة أخرى على **العوامل** . الصارفة عنها فارتكب الجريمة كان فيما يصيب بدنه ونفسه من ألم العقوبة وفيما يلحق شخصه من تحقير الجماعة ما يصرفه نهائيا عن العود لارتكابها بل يصرفه نهائيا عن التفكير فيها .

والله سبحانه أعلم

د. محمد جمال الدين على عواد

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

ويذهب صاحب الكتاب المشبوه فى اللحاج والمماحكة مذهبا لايبالى بأى حديث وقع بصره عليه من الصحيح ، هذا البصر الذى يحتاج الى علاج من القاع حتى تصح الرؤية ، فلا يرى النهار الباقع ليلا بهيما تتراءى له فيه أشباح أوهامه وأطياف وساوسه وخبائثه فيخالها حقائق ماثلة وأصولا راسخة قال المسكين : (الحديث رقم٣ فى القول بأن النساء ناقصات عقل ودين وأنهن أكثر أهل النار)ثم يقول بين قوسين (البخارى مجلد ١ص ١٤ كتاب ١) .

ولتحليل هذه العبارة نحتاج الى وقفة يسيرة . فقوله البخارى مجلد١ هذا صحيح وقوله ص ١٤ أيضا ينطبق على النسخة الاستامبولية التى دون على هامشها روايات البخارى كلها وهى طبعة صورت فى مصر وآخر من صورها دار الشعب حيث أخرجتها فى أعداد تشبه المجلات ويبدو أن صاحبنا هذا اشترى هذه الأعداد من اخراج كتاب الشعب وجعله هكذاصبرة بغير عناية ولارعاية ولم يكلف خاطره أن يجلد هذه النسخة والدليل على ذلك قوله كتاب يعنى العدد الأول الذى ظهر من صحيح البخارى فى كتاب الشعب . واذا تتبعت جميع الأحاديث التى نقلها تجده يذكر رقم العدد على أنه كتاب. وهذا جهل فاضح بتقسيم الجامع الصحيح ومعرفة اسم الكتاب فى اصطلاح البخارى .

فالكتاب عند البخارى هو طائفةمن الأحاديث التى تجتمع على أصل من أصول الاسلام ويندرج تحت الكتاب أبواب فالكتاب الأول فى صحيح البخارى هو كتاب الايمان . أما ماسبقه من بدء الوحى فانه فى بعض النسخ يجعله بابا وفى بعض النسخ لايسميه بابا فيقول:

كيف كان بدء الوحي وبعد كتاب الايمان كتاب العلم ثم تتابع الكتب ، ولا صلة لها بما يسميه هذا كتابا ويعني به العدد الذي يباع بقروش في أيدى باعة الصحف والجرائد .

وهى ان دلت على شيء فانما تدل على جهل بطبيعة الكتاب وملامحه الظاهرة فضلا عما قلنا من عدم العناية به وتجليده ثم يقول ما يدل على الجهل حتى بالطريقة التى يقرأ بها البخارى ككتاب تعاظم الدهر شأنه وتكاثر الدنيا عظمته وجلالته قال :

«وينسب الى أبى سعيد الخدرى قال خرج رسول الله «ص» فى أضحى أو فطر الى المصلى فمر على النساء فقال يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يارسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، مارأيت من ناقصات عقل ودين وأذهب للب الرجل الحازم من احداكن . قلن ومانقصان ديننا وعقلنا يارسول الله قال : اليس اذا حاضت احداكن لم تصل ولم تصم ؟ قلن بلى يارسول الله قال فذلكن من نقصان دينكن ، وفى رواية أخرى أنه علل نقصان الدين بأن شهادتها بنصف شهادة الرجل» انتهى بنصه وفصه من الكتاب المشبوه ونقول :

١ ـ هذا الحديث ليس الذى فى صفحة ١٤ وليس الذى فى صفحة ١٤ عن أبى سعيد وانما الذى فى صفحة ١٤ قول الامام البخارى رضى الله عنه وأرضاه هكذا (باب) كفران العشير وكفر دون كفر وفيه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم (حدثنا) عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم أريت النار فاذا أكثر أهلها النساء يكفرن قيل : أيكفرن بالله ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت مارأيت منك خيرا قط) .

٢ ـ يلاحظ القارىء ان الحديث هنا مروى عن ابن عباس وليس عن أبى سعيد ، وانما فى ترجمة الباب اشارة الى شاهد أو متابع أو معنى جزئى أو كلى ورد فى هذا الباب عن أبى سعيد وليس هو بطبيعة الحال الحديث الذى ساقه البخارى فلنبحث اذن عن حديث أبى سعيد الخدرى فى

أى باب نجده من صحيح البخارى والى أن نجده ننبه الى هذا العبث الخطير الذى يقوم به هؤلاء المقبوحون بتحريف الكلم عن مواضعه والتقول على البخارى فى صفحة ١٤ مالم يقله ومن ثم فقد كذبوا على البخارى، ونسبوه الى أبى سعيد وليس هو مرويا عن أبى سعيد وانما المروى فى صفحة ١٤ حديث آخر بمعانى أخر عن ابن عباس ومن ثم فقد كذبوا على أبى سعيد •

٣ ـ ولنأت على ما قاله شراح الحديث فى كتبهم المعتبرة من تراثنا التليد قال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرحة على البخارى كما أفاده ابن عباس ومن ثم فقد كذبوا على أبى حجر فى الفتح :

مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى ايمانا كذلك المعاصى تسمى كفرا لكن حيث يطلق عليها الكفر لايراد به الكفر المخرج من الملة ، قال وخص كفران العشير من بين أنواع الذنوب لدقيقة بديعة وهى قوله صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله ، فاذا كفرت المرأة حق زوجها وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلا على تهاونها بحق الله فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج عن الله ويؤخذ من كلامه مناسبة هذه الترجمة لأمور الايمان وذلك من جهة كون الكفر ضد الايمان •

وأما قول المصنف : وكفر دون كفر فأشار الى أثر رواه أحمد فى كتاب الايمان من طريق عطاء بن أبى رباح وغيره وقوله : فيه أبو سعيد • أى يدخل فى الباب حديث رواه أبو سعيد وفى رواية كريمة فيه عن أبى سعيد أى مروى عن أبى سعيد وفائدة هذه الاشارة الى أن للحديث طريقا غير الطريق المساقة ، وحديث أبى سعيد أخرجه المؤلف فى الحيض وغيره من طريق عياض بن عبد الله عنه وفيه « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أضحى أو فطر الى المصلى فمر على النساء فقال : يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يارسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن ، قلن :

وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى قال : فذلك نقصان دينها » .

٤ ـ بمراجعة النص الوارد عن أبى سعيد الخدرى نجده فى صفحة ٨٣ لا فى صفحة ١٤ وأنت ترى أن النص الذى أورده صاحب الكتاب المشبوه قد علمت يد العبث والتحريف عملها فيه ، وهو خلق أصيل مركوز فى الطباع اليهودية ومن ثم فان هؤلاء المتباكين على الشريعة الاسلامية من اندساس الاسرائيليات فيها قد اكتسبوا منهجهم واستفادوا طريقتهم من الأخلاق الاسرائيلية ، وتلكم هى العظائم التى ينبغى أن يفطن المسلمون لها ، وأن يعلنوا أهلها بضلالهم ، وها نحن أولاء فاعلون تبرئة للذمة وقياما بالواجب الكفائى . نسأله تبارك وتعالى أن يجعل فضح هؤلاء المنافقين، ودحر هؤلاء الدجالين والمحرفين والمنحرفين ، فى ميزان أعمالنا الصالحة يوم الدين .

نعم عمل فى النص الشريف تمزيقا وحذفا معتمدا على تضليل القارىء بارشاده الى صفحة ليست هى مظنة النص ، ومحل الايراد ليزيد القارىء بلبلة فيعمد الى التسليم له على باطله نشدانا لتوفير الوقت وراحة البال وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ويحتمل أن يريد بذلك حديث أبى سعيد أيضا « لايشكر الله من لايشكر الناس » قال القاضى أبو بكر المذكور والأول أظهر وأجرى على مألوف المصنف ويعضده ايراده لحديث ابن عباس بلفظ وتكفرن العشير والعشير الزوج قيل له عشير بمعنى معاشر مثل أكيل بمعنى مؤاكل ، وحديث ابن عباس طرف من حديث طويل أورده المصنف فى باب صلاة الكسوف بهذا الاسناد تاما واذا كان صاحب الكتاب المشبوه قد قطع الحديث وحذف منه الجزء الذى يفحمه ويدفع مقصوده ثم يورد هذا المحذوف بعد ذلك بصيغة مريضة بقوله (وفى رواية أخرى علل نقصان العقل الخ) وهى كما رأيت ليست رواية أخرى وانما هى رواية أبى سعيد بتمامها ، وبهذه المناسبة نذكر أن للبخارى فى تقطيع الحديث فلسفة تسمو على مدارك أمثال هؤلاء الأمين فى مسائل الدين. اذ أن للتقطيع فائدتين (احداهما)

أن البخارى يذهب الى جواز تقطيع الحديث اذا كان ما يفصله منه لا يتعلق بما قبله ولا بما بعده تعلقا يفضى الى فساد المعنى فصنيعه كذلك يوهم من من لا يحفظ الحديث أن المختصر غير التام لاسيما اذا كان ابتداء المختصر من أثناء التام كما وقع فى هذا الحديث فان أوله هنا قوله صلى الله عليه وسلم « أريت النار الى آخر ما ذكر منه وأول التام عن ابن عباس قال : «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر قصة صلاة الكسوف ثم خطبة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها القدر المذكور هنا ، فمن أراد عد الأحاديث التى اشتمل عليها الكتاب يظن أن هذا الحديث حديثان أو أكثر لاختلاف الابتداء وقد وقع فى ذلك من حكى أن عدته بغير تكرار أربعة آلاف أو نحوها وليس الأمر كذلك بل عدته على التحرير ألفا حديث وخمسمائة حديث وثلاثة عشر حديثا (الفائدة الثانية) تقرر أن البخارى لا يعيد الحديث الا لفائدة لكن تارة تكون فى المتن وتارة تكون فى الاسناد وتارة فيهما ، وحيث تكون فى المتن خاصة لا يعيده بصورته بل يتصرف فيه فان كثرت طرقه أورد لكل باب طريقا • وان قلت اختصر المتن أو الاسناد ، وقد صنع ذلك فى هذا الحديث فانه أورده هنا عن عبد الله بن مسلمة وهو القعنبى مختصرا مقتصرا على مقصود الترجمة كما تقدمت الاشارة اليه من أن الكفر يطلق على بعض المعاصى ثم أورده فى الصلاة فى باب من صلى وقدامه نار بهذا الاسناد بعينه لكنه لم يغاير اقتصر على مقصود الترجمة منه فقط ، ثم أورده فى صلاة الكسوف بهذا الاسناد فساقه تاما ثم أورده فى بدء الخلق فى ذكر الشمس والقمر عن شيخ غير القعنبى مقتصرا على موضع الحاجة ، ثم أورده فى عشرة النساء عن شيخ غيرهما عن مالك أيضا وعلى هذه الطريقة يحمل جميع تصرفه فلا يوجد فى كتابه حديث صورة واحدة فى موضعين فصاعدا هكذا أفاده الحافظ ابن حجر فى الفتح •

فاذا ثبت هذا علمت مبلغ الجهل فى قول صاحب الكتاب المشبوه (فى رواية أخرى) وهى ليست رواية أخرى ولا قطعة أخرى ولا مكانا آخر اللهم هذا التعابث الخبيث الذى ينقل متعمدا الحديث بعد تشويهه ثم ينسبه الى غير مكانه والى غير راويه

ولنأت الى ما يأخذه المؤتفكون على الحديث :

١ - « وهو شك الراوى فى أى العيدين كان خروج النبى صلى الله عليه وسلم مع أن الفرق بين اليومين فرق كبير لا ينسى » .

٢ - « رؤية النبى للنار وتأكده من أن معظمهم من النساء وهو أمر لا يعلم قبل يوم القيامة لأن هذا منازعة لله فى علمه الذى هو حقه خاصة » .

٣ - التعليل الوارد فى الحديث لنقصان دين المرأة بسبب حيضها لأنه ينافى عدالة الله فى الخلق .

٤ - لم يوح الى النبى صلى الله عليه وسلم بعدد أهل النار من الجنسين كما أوحى اليه القرآن .

٥ - القرآن يثبت مساواة الرجل بالمرأة والتكوين العقلى .

٦ - اعفاء المرأة من الصلاة والصوم فى الحيض لا يعفيها من الصدق والأمانة والعدل والوفاء وترك السرقة وشرب الخمر والوقوف عند حدود الله كالرجل تماما .

٧ - الحيض والنفاس عوامل ايلام للمرأة فلا يجوز أن يكون سببا فى شقائها بنقصان دينها .

٨ - السبب فى اعتبار شهادتها بنصف شهادة الرجل هو خصوصيتها برقة الشعور وحساسية العواطف ، ومعروف أن الرجل يستطيع الصمود والمرأة لا تستطيع الصمود فهى سريعة الانهيار فلا ينجيها من هذا الانهيار الا أن تأتى أخرى فتشد أزرها .

٩ - ثبت لدى كاتبى الكتاب المشبوه أن الرجل هو الذى يكفر العشير ويكفر الاحسان وليست المرأة وكلاما آخر لا يدخل فى الموضوع من قريب أو بعيد .

(والجواب) مع الاعتذار للقارىء أن نحفل بهذه الثرثرة الرخيصة فنحاول أن نسكتها ونوقف هذا النزيف من النكات السمجة وهو ضرب من الاحترام لعقل القارىء ولا كرامة ولا مبالاة بالكتاب المشبوه .

١ - ان شك الراوى فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم فى أى العيدين أضحى أو فطر ليس

له أثر فى متن الحديث لأن اليوم قد وصف بالعيدية وليس المقصود طبعا ولا من أغراض الحديث الاستحباب خروج النساء للعيدين فيتساوى الأضحى والفطر فى استحباب الخروج لهن ليشهدن الخير ويحضرن الصلاة وجعل مكانا للحيض ، والبخارى يروى الحديث فى كتاب الحيض ليدل على هذا المعنى فسيان اذن أن يكون فطرا أو أضحى • ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل فى الحديث « أيها النساء تصدقن فانى رأيتكن فى عيد الفطر أو فى عيد الأضحى تكفرن • حتى يعترض المؤتفكون بأن الكفر لم يحدد لنا العيد الذى يقع فيه حتى يكون الاضطراب أمرا واقعا فى صلب المتن • اما أن يكون الرسول قد خرج فى فطر أو أضحى فانه صلى الله عليه وسلم خرج فيهما جميعا ولم يدع فطرا ولا أضحى الا خرج فيه ففى أحد هذه الأعياد قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك للنساء فماذا فى الحديث من الاضطراب ؟ فلو قال أحد : لقد رأيت كتابا مشبوها حقيرا يطفح بالجهالات والضلالات (ويكون القائل هذا كثير الأسفار من القاهرة الى الصومال وبالعكس) فى القاهرة أو مقديشيو فهل هذا الشك ينفى رؤية الكتاب الذى يطفح بالجهالات والضلالات على بعد المسافة بين مقديشيو والقاهرة ، أو قال أحد: لقد سمعت بجماعة تنسب الى رجل يدعى أباريه لاندرى أمات أم أنه حى يرزق ويرزىء أتباعه بالعظائم ، هل هذا الشك فى موت أبى رية يدل على أن أبا رية شخصية خرافية ، واسم وهمى ، وأنه من اختلاق اسرائيل دسته على العالم العربى دون أن يكون له حقيقة فى الوجود ؟

أو أن ناقدا قال : ان كتابا مشبوها خرج على الناس بتشجيع عصابة متآمرة سيئة القصد تكيد للاسلام والدليل على ذلك أن مقدمة الكتاب ليست بقلم صاحب بقية الكتاب ، وأنه ربما يكون كاتبها عمرا وقد يكون زيدا فهل هذا يدل على أن الكتاب بغير مقدمة ألبتة ، أو ينفى وجود عصابة سيئة القصد تكيد للاسلام ؟

٢ ــ أما رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم للنار فقد جاءت بالأخبار الصادقة عن الحبيب المصدوق والتى تقرب من التواتر ففى سنن النسائى من حديث عائشة فى حديث طويل

وفى آخـره : (وقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت فى مقامى هذا كل شىء وعدتم ، لقد رأيتمونى أردت أن آخـذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى جعلت أتقدم ، ولقد رأيت جهـنم يحطم بعضهـا بعضـا حين رأيتمـونى تأخرت ورأيت فيها ابن لحى وهو الذى سيب السوائب) •

وأخرج النسائى عن عبـد الله بن عمرو قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» الى أن قال : « فقام صلى الله عليـه وسـلم فخطب فحمـد الله وأثنى عليـه ثم قال : ان الشمس والقمـر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحـد ولا لحياته فاذا رأيتم كسوف أحدهما فاسعوا الى ذكر الله عز وجل والذى نفسى بيده لقد أدنيت الجنـة منى حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها ، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيهـا خشية أن تغشاكم حتى رأيت فيها امرأة من حمير تعذب فى هرة ربطتها فلم تدعها تأكل من خشـاش الأرض فلا هى أطعمتهـا ولاهى سقتها حتى ماتت، فلقد رأيتها تنهشـهـا اذا أقبلت واذا ولت تنهش اليتها ، وحتى اذا رأيت فيها صاحب السبتتين أخابنى الدعدع يدفع بعصا ذات شعبتين فى النار ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن الذى كان يسرق الحاج بمحجنه متكئا بمحجنه فى النار يقول : أنا سارق المحجن » •

وقال الحـافظ ابن حجر : منهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونهـا فرآها على حقيقتهـا وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها ، ومنهم من حمله على أنها مثلت له فى الحائط كما تنطبع الصـورة فى المرآة فرأى جميع ما فيها أ هـ •

وأخرج النسائى أيضا رواية ابن عباس التى أخرجهـا البخارى وأتينا عليها فى أول البحث وأتى بها بتمامها ولقـد أثبتت الروايات المختلفة التى وردت فى كفران العشـير أن التى قالت : « يارسول الله أيكفرن بالله »؟ هى أسماء بنت يزيد بن السكن •

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حـديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « قمت على باب الجنـة فكان عامة أهلها المساكين ـ أى أكثر أهلها ـ وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى

النار ، وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء » •

وأخرج مالك فى الموطأ حديث ابن عباس بطوله وفيه قالوا : يارسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت فقال : انى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا : لم يارسول الله ؟ قال : لكفرهن قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير الخ الحديث وأخرجه مسلم فى كتاب العيدين • ورؤية النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم للنار ثبتت فى البخارى غير ما ذكرنا فى كتاب الوضوء وفى كتاب العلم وفى كتاب الجمعة وفى الكسوف وفى كتاب الاعتصام وفى كتاب الرقاق وقد سبق أن أوردنا ما جاء فى كتاب الايمان وما جاء فى كتاب الحيض • وورد فى صحيحى البخارى ومسلم وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث جابر ابن عبد الله قال :

« شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وقال : تصدقن فان أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت: لم يارسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير ، فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين فى ثوب بلال » •

ان ذهاب هؤلاء الى انكار ما ثبت وصح من الدين بالضرورة منازعة لله تعالى فى مشيئته فى أن يوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء من وحيه ، انما هو منازعة لله فى مشيئته ، ومنازعة لله فى الحجر على علمه ألا يمنحه سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم •

٣ ـ أما الزعم بأن علة نقصان دينها من الحيض فتلك هى النظرة الساذجة التى يتعابث بها المتعابثون لأن علة نقصان الدين انما هو حبسها عن الصلاة والصوم وتلاوة القرآن ومس المصحف ، وتلك أمور تترك فراغا ميتا من حياة المرأة لا يشغل بقربة مكتوبة ولافريضة لازمة ، وذلك

بالبديهـة ومنطق الفطرة نقصان فى الدين لاخيار لها فيه •

وكذلك نقصان عقلها والاستدلال عليه بمعادلة الرجل لامرأتين ، وقوله تعـالى (أن تضل احـداهما فتذكر احـداهما الأخرى) وجعل الطلاق فى يد أعقـل الطـرفين من الـزوج والزوجة ، وجعل الرجال قوامين على النساء بمافضل الله بعضهم على بعض، وجعل المرأة لا تخلو برجل الا كان الشيطان ثالثها ، وجعل المرأة لاتسافر الا مع ذى محرم ، وكون كيـدهن عظيم ، والاستعاذة من النفـاثات فى العقـد ، ونهيهن عن تشييع الجنائز وزيارة القبور •

٤،٥،٦،٧،٨،٩ تحمل فى تضاعيفها معنى دفعهـا وتزييفهـا والرد عليهـا وحسبك أن تقرأ تسليمهم بأن المرأة قد تنهـار وحدها فتحتاج الى أخرى تشد أزرها وتثبت قدمهـا وتعينها على أداء الشهادة وسيرى القارىء فيما يأتى من بحـوث ردودا على كـل عجب عجاب •

محمد نجيب المطيعى

يبكي من أجل أعدائه

للأستاذ السيد حسن قرون

كان تاجرا مغنا يحسن ادارة تجارته ، وكان ذا مال نماه بمهارته ، يقضي بياض نهاره في معاملاته وأرباحه ويمضي سواد ليله بين أهله وصنمه ، فهو لا يلهو مع اللاهين ، ولا يفخر مع الفاخرين ، وهاجر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلده يثرب فلم يسرع للقائه ، ولم ينظر فيما أخذ فيه قومه من الخزرج ، وهو ماض بين التجارة وعبادة الحجارة قد يرى الأوس والخزرج يلتفون حول صاحب الرسالة العظمى ، وينتصر الرسول في بدر ، ولا يجلس مع الأنصار فيشاركهم فرحتهم بالحياة المثلى ، والنعيم الدنيوي والأخروي ، ولا يجلس مع حميمه وقريبه عبد الله بن رواحة ، وهو الرجل الذي بشر بانتصار رسول الله في بدر ، وهتف بذلك هو وزيد بن حارثة في العالية وأنحاء المدينة ، وكأنه سد أذنيه عن سماع الأنباء ورسالة السماء وكان عبد الله بن رواحة يعجب لموقف حميمه ، ويود أن يكون معه في الحياة الجديدة السعيدة التي تعلو بعبادة الله والجهاد في سبيل دينه . وذات يوم ذهب اليه ليدعوه الى الاسلام ، لينقذه من هول المطلع ، وعذاب السعير ، فلم يجده في داره ، ونظر فرأى صنما قائما في ركن من الدار فقال في نفسه هذا هو الذي أخره عن أن يكون مثل قومه ايمانا واسلاما فأخذ قدوما وحبلا يضرب (١) الصنم وهو يقول :

تبرأ من أسماء الشياطين كلها
ألا كل ما يدعى مع الله باطل

وخرج موليا قرير العين راضي النفس مستريحا بما فعل ، وربة البيت تنظر اليه ولا تمنعه كأنها معه بقلبها ، وأقبل رب البيت وهو أبو الدرداء — واسمه عويمر بن زيد بن قيس من

---

(١) الطبقات : أبو الدرداء .

بني الحارث بن الخزرج ، وكله محبة يعني الخروج أيضا ـ فهاله ما رأى ، رأى صنمه ملقى على الأرض محطما ، فهاج وماج وزوجه ساكنة هادئة لا يعنيها من ثورته شيء . ثم قال : من فعل هذا ؟ قالت : عبد الله بن رواحة ، وتراخى وجلس غير بعيد قد أسند رأسه بكفه ، وفكر فيما ذا يفعل مع هذا الرجل الذي اعتدى على مقدساته ولمعت في رأسه فكرة أنارت جوانب قلبه ، فانكشف له ماكان مستورا عن عينه ، ورأى عبادته باطل الأباطيل ، ونظر الى أنقاض الصنم وقال : لوكان عند هذا خير لدافع عن نفسه . وماهي الاهنيهة حتى كان خارج الدار يبحث عن ابن رواحة ولقيه فلم يعاتبه في أمر الصنم ، بل جذبه جذبا وانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك أعلن اسلامه ، ومن هذا اليوم أصبح مسلما مؤمنا من جميع نواحيه قلبا وفكرا ، أملا وعملا ، لا التجارة تلهيه ولا الشياطين تغويه ، لئن تأخر اسلامه عن بني أبيه لم يقصر عن عمل حين استظل براية الاسلام ولئن فاته أن يكون من أبطال (بدر) فلن يفوته أن يكون من أبطال الجهاد فيما بعد ، وصار من علية الصحابة وأهل النية فيهم ، شهد مشاهد كثيرة ، وروى أحاديث كثيرة ـ كما يقول ابن سعد في طبقاته ،

ويروى الرواة أن أبا الدرداء شهد أحدا ، وأن رسول الله نظر اليه يومئذ والناس منهزمون في كل وجه فقال : (نعم الفارس عويمر غير أفة) يعني غير ثقيل .

وآخى النبي بينه وبين سلمان الفارسي فكانا أخوين في الله لا يفترقان ولا يختلفان ، وان اختلفا فالخلاف من قبيل الاشفاق على الصديق وحب الخير له من ذلك أن سلمان أتى أبا الدرداء فشكت اليه أم الدرداء أنه يقوم الليل ويصوم النهار ، فبات عنده فلما أراد القيام حبسه حتى نام ، فلما أصبح صنع له طعاما ولم يزل به حتى أفطر . فأتى أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم . فقال النبي : عويمر سلمان أعلم منك ، لا تحقق فتقطع ولا تحبس فتسبق ، أقصد تبلغ سير الركابات تطأ فيها البردين والحفقتين من الليل .

ونظير هذا ما حدث به بن سيرين قال : دخل سلمان على أبى الدرداء فى يوم جمعة ، فقيل له : هو نائم . فقال : ماله ؟ قالوا : انه اذا كان ليلة الجمعة أحياها ويصوم يوم الجمعة ، فأمرهم فصنعوا له طعاما فى يوم جمعة ثم أتاهم . فقال : كل قال : انى صائم فلم يزل به حتى أكل ثم أتيا النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكرا له ذلك . فقال النبى : عويمر سلمان أعلم منك (قال ثلاث) وهو يضرب على فخذ أبى الدرداء .

ويتضح مما ذكرنا ومما أغفلنا ذكره أن أبا الدرداء ناسك متبتل لا يرى الا أن الحياة عبادة ، وأن الآخرة هى الأولى بالعمل ، ولكن سلمان فهم مقاصد النبوة ، وهى القصد والاعتدال فى العبادة حتى لا يجىء التقصير من قبل الجهد الكبير ، ومن كلام أسلافنا : خير الأمور أوساطها ، وشر السير الحقحقة وهو أن يستفرغ السافر جهد ظهره فيتقطعه ، فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته ، والحديث المشهور فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك ، فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » .

ومن غريب أمر الصديقين أن أبا الدرداء خرج الى الشام مجاهدا ولم يفارقه حتى قضى نحبه ، وأن سلمان خرج مجاهدا الى العراق وفارس ثم استقر فى الكوفة ، ولم ينقطع الود بينهما على مدى الأعوام والأيام ، وكانت المكاتبة بينهما نصف المشاهدة كما نقول اليوم . واليك رسالتين (١) متبادلتين من رسائلهما :

كتب سلمان الفارسى الى أبى الدرداء أما بعد : فانك لن تنال ما تريد الا بترك ما تشتهى ، ولن تنال ما تأمل الا بالصبر على ما تكره ، فليكن كلامك ذكرا ، وصمتك فكرا ونظرك عبرا ، فان الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد ، والسلام .

فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك أما بعد : فانى أوصيك بتقوى الله وأن

(١) العقد الفريد : جـ٣ ص ٩٦ تحقيق سعيد العريان .

تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك ، ومن جفائك لمودتك واذكر حياة لا موت فيها في احدى المنزلتين : اما في الجنة ، واما في النار ، فانك لا تدري الى أيهما تصير .

لم يتراسلا في شأن من شؤن الدنيا مثل الحديث عن الغنى والفقر ، والزوج والولد ، والامارة والعمالة ، انما كانت الرسالتان تدوران حول التقوى ، وما يعمله الانسان لينال رضا الله ورسوله ، وكلتا الرسالتين من منهج رسول الله وأحاديثه ، فرسالة سلمان من حديث لرسول الله أوله : « أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها ... » ورسالة أبي الدرداء من خطبة لرسول الله بدأها بقوله : « أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم .. » وأغلب الظن أنهما نقلا ذلك على حد قولنا : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

وقد تقلبت الأيام با أبي الدرداء كما تقلبت بسلمان ، فدخلا المعارك كل في جهته ، وتوليا الوظائف كل حسب قدرته فصار سلمان أمير المدائن بعد فتحها وتولى أبو الدرداء القضاء في الشام . ويروي الرواة أنه استعمل على القضاء ، فأصبح الناس يهنئونه . فقال : أتهنئوني بالقضاء وقد جعلت على رأسي مهواة مزلتها أبعد من عدن أبين ولو علم الناس مافي القضاء لأخذوه بالدول (١) رغبة عنه ، وكراهية له ، ولو يعلم الناس ما في الأذان لأخذوه بالدول رغبة فيه وحرصا عليه ، ولكنه مع ذلك نهض بما حمل به ، فكان نعم القاضي كما كان نعم الفارس . وانظر اليه وهو في جند معاوية بن أبي سفيان يمارس معركة بحرية تر عجبا ، انه يبكي . ولم يبكي ؟ كانت معركة فاصلة استولى فيها جيشا مصر والشام بقيادة معاوية وعبد الله ابن أبي السرح سنة ٢٨ هـ على قبرص ، وكان للغالب أن يأسر ويسبي يحكي جبير بن نفير (صحابي شارك في المعركة) فيقول (٢) : لما سبيناهم نظرت الى أبي الدرداء يبكي فقلت : ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله ، وأذل فيه الكفر وأهله ؟ قال :

(١) التبادل

(٢) الطبري حوادث ٢٨ هـ

فضرب بيده على منكبى وقال : ثكلتك أمك ياجبير ، ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره بينا هى أمة ظاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا أمر الله فصاروا الى ماترى ، فسلط عليهم السباء ، واذا سلط الله السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة • قلب رحيم تحفه همة عالية ، وعقل حصيف نفذ الى حكمة الله فرأى أن الذل والهوان والسباء نتيجة مخالفة الله ، وتأثر فبكى لأنه انسان يشفق على أخيه الانسان •

بينا هو فى استعلاء اذا هو فى انحدار وسباء • انسانية رحبة وسعت الأصدقاء والأعداء على السواء ، ولذلك قال الفيلسوف (غوستاف لوبون): لم تعرف الانسانية فاتحا أرحم من العرب ، ان أبا الدرداء لو كان المغلوب لجر من قدميه ، وافتن أعداؤه فى قتله والمثلة به ، فقد حدث قبل فتح قبرص أن كان قائد المسلمين فى زورق وحده ، فسألته امرأة رومية فأعطاها ما أغناها ، فكان جزاؤه عندها أندلت عليه جيش الروم • وسئلت كيف عرفت أنه القائد ؟ فقالت : انه أعطانى عطاء الملوك ولا يفعل ذلك غير الأمير ، فانطلقوا اليه فقتلوه • شتان بين انسان وانسان رحمة بالغة من أبى الدرداء وقسوة حاقدة من هذه المرأة التاعسة البائسة الغادرة •

ولأبى الدرداء أقوال مأثورة ، غصت بها كتب الأدب وغيرها وهى متنوعة تتناول أمورا كثيرة تتصل بحياة الناس ومناحى الفكر والسلوك من ذلك قوله فى الصداقة والأصدقاء •

ـ من لك بأخيك كله ؟

ـ ان قارضت الناس قارضوك ، وان تركتهم لم يتركوك •

ـ أعتاب (١) الأخ خير من فقده •

ـ كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فصاروا شوكا لا ورق فيه •

ـ انا لنبش فى وجوه قوم ، وان قلوبنا لتلعنهم •

ويقول فى التحدث والاستماع •

ـ أنصف أذنيك من فيك ، فانما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد ، لتسمع أكثر مما تقول •

---

(١) ارضاء •

ـ علامة (١) الجاهل ثلاث: العجب وكثرة المنطق ، وأن ينهى عن الشر ويأتيه .

ـ تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

ويقول فى الزهد ، وقد برز فيه فصار اماما :

ـ شكت أم الدرداء الحاجة فقال لها : تصبرى ، فان أمامنا عقبة كئودا لا يجاوزها الا أخف الناس حملا .

ـ ويخطب فيقول: ياأهل دمشق ، ما لكم تبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ، وتجمعون مالا تأكلون؟

هـذه عاد وثمود قد ملئوا ما بين بصرى وعدن أموالا وأولادا . فمن يشترى منى ما تركوه بدرهمين ؟

ـ أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لا يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ، ولا يدرى أساخط ربه أم راض وأبكانى هول المطلع ، وانقطاع العمل وموقفى بين يدى الله . أيؤمر بى الى الجنة أم الى النار ؟

وتتجلى نظرته الى الأمور العامة ، والاهتمام بالأمة فى ذلك الدعاء الصادر من الأعماق :

اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شرارنا ، واجعلنا خيارا كلنا ، فاذا ذهب الصالحون فلا تبقنا .

واشتكى أبو الدرداء ، فدخل عليه أصحابه ـ وممن عاده حبيب بن مسلمه فقالوا : ياأبا الدرداء : ما تشتكى ؟

قال : اشتكى ذنوبى . قالوا : فما تشتهى ؟ قال : أشتهى الجنة . قالوا : أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال : هو الذى أضجعنى .

توفى أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة فى خلافة عثمان بن عفان ، فشيع بالدعوات الصادقة ، وترك من بعده ذكرا لا ينسى .

السيد حسن قرون

---

(١) لك ان تفسر الجاهل بالأحمق ولا يبعدن المراد .

الصيام والتكافل الاجتماعى

للأستاذ محمد كمال الدين

يعتبر صيام شهر رمضان فى التشريع الاسلامى ركنا من أركان الاسلام الخمسة وأحد الأعمدة التى يقوم عليها اسلام المسلم ، به تكتمل صورة اسلامه ، وعليه تقوم شخصيته الاجتماعية المؤمنة ،وهو يعتبر نموذجا لأمانة الفرد مع نفسه ، ومع غيره ، وقبل ذلك مع ربه ، باعتبار الصوم عملا يبين مدى اخلاص المرء لعقيدته ومدى تمسكه بمبادئها والعمل بها •

وهو عمل يكون فى المقام الأول بين العبد والرب اذ لا يطلع على مدى حرصه عليه والاحتفاظ به الا الله جل شأنه ، الذى يعلم السر وأخفى ، ولذلك كان جزاء الصائم عند الله عظيما لا يعلمه الا هو كما يفهم من قول النبى فى الحديث القدسى عن الله : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » •

وللصيام دروس اجتماعية كثيرة تكون فى النهاية شخصية المسلم الحق وعليها يقوم المجتمع المتكامل القوى ، ومن هذه الدروس أثر الصيام على سلوك الفرد تجاه نفسه ، وتجاه غيره من أفراد المجتمع ، فهو يلزم بعادات جديدة غير التى يكون عليها بقية أيام السنة ، ومن هذه العادات ما يخص مواعيد الطعام والامساك عنه ، وفى هذا ما فيه من فوائد صحية أطال الأطباء والشراح القول فيها ، ومنها نفسه بكف بصره وجوارحه عن كل ما يغضب الله ، وهو يلزم نفسه باحترام حرية الغير ، وان يشعر بشعورهم •

الصوم يحقق المساواة بين أفراد المجتمع ، فيشعر الغنى بشعور الفقير حين يجوع ، وحين يحتاج الى الطعام فيمنعه عنه الصوم ، وبذلك يتحقق الاخاء الانسانى ، والاحساس بأن الناس أمام الله سواء ، وبأن الغنى فى ذلك الوقت هو غنى القلب والارادة والدين ، ومن هنا كان فرض زكاة

ما يخص المرء تجاه غيره ، فهو يلزم الفطر وكانت زكاه الأموال ركن من أركان الاسلام ، لتحقيق التكامل والتعاون (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ، (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) ، وهى فى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ظهرة للصائم ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبوله ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات (رواه أبوداود وبن ماجة والدارقطنى عبد الله بن عباس) . وهذا كله يحقق أقصى مايتمناه المشرعون ورجال القانون لبناء مجتمع سليم يخلو من عوامل الغصب والسرقة والفاقة ، مجتمع يخلو من الحقد والضغينة والحسد ، مجتمع يشعر فيه الفرد أنه على قدم المساواة مع غيره ، له واجب كما أن عليه حقوقا قبل المجتمع الذى يعيش فيه وبهذا ينصرف الأفراد الى العمل المنتج والمثمر الذى ينتفع به المجتمع كله ، وبهذا تتلاشى الأنانية والفردية لتحل محلها الجماعية والشعور بالأمن والاستقرار .

والصوم يحقق التضامن والتعاون بين أفراد المجتمع ، ويحقق التقارب بينهم فى المبادىء والأهداف ، ويكفى المظهر الجماعى الذى تراه حين يبدأون الصيام بالسحور، أو يختمونه بالافطار الموائد فى وقت واحد توضع ثم ترفع، المساجد تمتلىء بالقلوب المؤمنة فى أوقات معينة، التراحم والتواد يزدادان فى هذا الشهر فيكثر التزاور ، ويكثر الاحسان سرا وعلانية ، وتعمر القلوب بالحب والايمان ، هذا كله من مظاهر شهر واحد يتعلم فيه المرء فى بقية شهور السنة من المبادىء الانسانية ما يجعل عامه كله اخاء ومساواة، وانما كان رمضان تأكيدا لهذه المعانى السامية وتخصيصا لابرازها فى أقوم صورة وأجلى تعبير ، فهو بذلك قدوة الشهور ونموذج السلوك الاجتماعى وماأحراه أن يكون مثلا يحتذى على مدار أيام العمر كله .

والصـــوم يحقـق قـوة الارادة والتعود على الصبر والاحتمال ، ويكفى ان المرء يبدل فيه كثيرا من عادته ، فى المـأكل والمشرب والعبـادة ، فتـكف جوارحه الحسية عمـا يغـضب الله ، يكف سمعه عن الاصغاء الى كل مكروه يكف نظره عما حرم الله من حرمات تكف جوارحه الأخرى عن المـكاره والآثـام ، وتحـل محـلها الطـاعات والقربات الى الله يكثر من العبادة وفعل الخيرات ، يغلب سلطان الروح على نزوات الجسد ، فيعيش مالـكا لزمام نفسه لا أسير ميوله وغرائزه الدنيوية

وقد يظن البعض أن الصيام يؤدى الى الخمـول والـركون الى الـدعة والكسل والسكينة ، ويخطىء هؤلاء فى ظنهم اذ أن العمل فيه من أوجب الواجبات كما هو واجب فى سـائر الأيام ، وهو عبادة كأية عبادة أخرى والصيام مناسبة لاجادة هـذا العـمل والاستزادة منه ، لأنه واجب دنيوى من أجل التقدم وتطوير الحياة ، وهو حافز للعمل الأخروى يؤديه المرء فى رضى واطمئنان ، وهو أدعى لمـراقبة المرء لنفسه ومراجعة ضميره ، وصرف جهوده الى نواحي المنفعة ، لا الى اللهو والعبث ، وممارسة الرزائل والشهوات ومن هنا كانت ضرورة العمل لمراقبة الضمير ، والايمـان بالله والانصراف عن المحرمات الى سد مطالب العيش ، والابتغاء من فضل الله ، وهذا ما يأمر به سبحانه وتعالى فى قـوله : « فاذا قضيت الصـلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الجمعة ١٠) . ومن هنا كان العمل فى الصيام ، وفى غيره من أيام ، مـدعاة للتقـرب الى الله ، وطاعته فيما يفيد المرء فى حياته الدنيا والأخرى معا . وفى أهمية العمل كان عمر بن الخطاب يقول . « انى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل أله عمل ؟ فاذا قالوا : لا ، سـقط من عينى » وكان يقول لأبى هريرة : التمس لنفسك عملا فى الحياة ، فقد التمسه من هم أفضل منك ، وذكر له الأنبياء ، ومن قبله كان الرسول صلى الله عليه وسلم يباهى باليد العاملة ويقول : تلك يد يحبها الله ورسوله .

هـذه هى بعض دروس الصـيام الاجتماعية ، ويكفى فيها أنهـا تبرز وحدة الضمير فى الانسان تجاه نفسه

وتجاه غيره ، ووحدة الشعور لأنها تجمع مشاعر الأمة كلها الى مصير واحد تنتهى اليه وتصب فيه وهو التقو التى جعلها الله ثمرة الصيام : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣) •

فاذا تحققت للمسلم هذه المبادىء ــ أو بعضها ــ واذا تحقق للمجتمع ــ بالتالى ــ ما يتحقق للفرد ، فقد ضمن بناء سليما قائما على المساواة والاخاء والعدل ، مهتديا فيها بمبادىء الاسلام الحنيف ، وعلى رأسها مبدأ الصيام كمبدأ تتجلى فيه وحدة المسلمين فى كافة مظاهر الحياة ، وتتحقق فيه المساواة والتكافل الاجتماعى ، وتعلو فيه كلمة الله ، مبدأ كهذا يحقق ولاشك أسمى ما تصبو اليه حياة المجتمع من ترابط وتقدم ورخاء ، ويطبق أسمى ما نادت به شريعة من حب وتعاون واخاء •

محمد كمال الدين

رمضان في باكستان

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامي

يشكل شبه القارة الهندية عالما عجيبا .. فى مناخه وتضاريسه .. في حيواناته وطيوره .. في طباع أهله وعاداتهم وتقاليدهم .. فى معاملاتهم وعلاقاتهم .. فى كل شيء . وقد آثرت هنا أن أقدم اليك عزيزى القارىء صورا رمضانية مما شاهدته على الطبيعة وعرفته عن قرب خلال أربع سنوات سلختها من عمرى في باكستان .

استطلاع الهلال :

تعين الحكومة لجنة من كبار العلماء لهذا الغرض فى كل مقاطعة ، ومن البدهى أن تعدد اللجان على هذه الصورة انما قصد به تغطية الأفق الباكستاني من ناحية ، وثبوت الرؤية بالنسبة للجميع اذا أقرته لجنة من تلك اللجان من ناحية أخرى . لكن قد يحدث أن لا تأخذ جماعة برؤية الأخرى أو تتعصب فبينما تعلن لجنة الاستطلاع وهى فى الغالب موالية للحكومة رؤية الهلال تأتى طائفة أخرى معارضة لتعلن للناس عدم ظهور الهلال ثم يصبح الناس بين صائم - على طريق الحكومة - وبين مفطر - على طريق المعارضة - والعكس صحيح .

كنا يوما على مائدة سفير مصر السابق فى الباكستان الاستاذ على خشبة فروى لنا الدكتور كمال ابراهيم خبير الأمم المتحدة في باكستان ومقره في بيشاور كيف أن أحد لجنة الاستطلاع في بيشاور قرر أنه رأى الهلال فكذبه آخر ولكنه أصر على الرؤية قائلا : هذا هو.. وانى مازلت أراه بعينى رأسى . فضرب الآخر بأصبعه عينى الرائى ففقأهما ، ولما أحس بأن نور عينيه قد ذهب وأكل الألم والغيظ قلبه هجم على غريمه ضربا بيديه وعضا بأسنانه حتى قتله !

والمراصد في باكستان لا تستعمل فى الأغراض الدينية ، ولا يستأنس

بها العلماء كما أنهم لا يهتمون كثيرا باستطلاع الشهور الهجرية التى تسبق رمضان وانما يأخذونها على أن شهرا منها ثلاثون يوما والذى بعده تسعة وعشرون وهكذا غير أن الواقع يشهد بعدم صحة هذا فقد يتوالى شهران على تسعة وعشرين أو ثلاثين يوما ، ومن هنا يتكون فارق من الزمن قدره يوم أو يومان على نهاية شعبان بين الدول العربية التى تستطلع الأهلة وتحدد بدايات الشهور ونهاياتها على الواقع الفعلى وبين باكستان التى تحددها بالحساب النظرى فمثلا عندما تستطلع البلاد العربية هلال رمضان مع غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان لا يفكر واحد من أهل باكستان فى استطلاعه لأن هذا اليوم فى باكستان هو اليوم السابع والعشرون ، وحتى لو كان الفارق يوما واحدا كما يحدث نادرا فان العوامل الجوية لا تتيح لهم رؤية الهلال فيضطرون لاكمال شعبان عندهم ـ ثلاثين يوما ، وقد كنا نقع فى حيرة كبيرة عندما نفتح المذياع مساء التاسع والعشرين من شعبان ـ حسب تقويم باكستان ـ فنسمع اذاعة القاهرة أو الرياض أو الكويت تذيع قرآن المغرب ومدفع الافطار ، ثم يخيب أملنا عندما نسمع بعد قليل بيانا من اذاعة باكستان أن الهلال لم يثبت رؤيته وأن غدا هو المكمل للثلاثين من شعبان فبعض منا يصبح مفطرا لما عليه الجماعة فى باكستان وبعض آخر يصبح صائما احتياطا أو لأنه نمى الى علمه أن أهل اقليم معين قد رأوا الهلال دون اللجنة . لغط .. بلبلة ..فوضى .. وقد يصل الأمر أحيانا أن يصوم أهل باكستان شهر رمضان ثمانية وعشرين يوما أو سبعة وعشرين ونسأل العلماء . لماذا لم تصوموا كما صامت البلاد العربية التى رأت الهلال؟ فيكون الجواب : لأن لكل بلد مطلعا . ثم نسأل ثانيا : وهل يمكن أن يكون الفارق يومان ؟ فيأتى الجواب فيه نوع من التعصب والاعتداد والتشكيك فيمن رأى .

مظاهر الشهر الفضيل :

لا يتحمس الناس كثيرا لاستقبال رمضان ، فلا زينات ولا أنوار الا ما ندر ولا أغنيات أو ألحان وانما تغلق المقاهى والمطاعم أبوابها أثناء النهار فى الأسبوع الأول على الأكثر ثم تعود لتستقبل روادها واضعة على

الأبواب والواجهات ستائر تنبعث من خلفها رائحة الطعام تثير التوتر والغضب فى نفوس الصائمين ــ وما أقلهم ــ أما مطاعم الدرجة الأولى فلا تغلق يوما واحدا ولا ترى بأسا أن تقدم لروادها ما يشاءون ليلا ونهارا ، وتسير فى الشارع فترى الناس يدخنون ويشربون الكوكا والبيبسى ويتناولون الوجبات الخفيفة على مرأى وكنا نظن أولا أن أولئك من غير المسلمين لكن كان هذا الظن يتلاشى عندما نرى منهم أناسا نعرفهم بأسمائهم وأشخاصهم ، ونصدم عندما نعلم أن كثيرا من المسلمين لا يصومون وبعضهم لا يصوم من الشهر الا أوائله • أما المكاتب ودواوين الحكومة فيختفى منها ما يتنافى مع حرمة الشهر المبارك واذا أراد موظف أو مسئول تناول شىء خرج من مكتبه واختفى فى أحد المطاعم •

الافطار :

هناك اعلام للناس بوقت الافطار قبل آذان المغرب بثوان أومعه ،ويكون فى العادة صوتا عاليا مميزا ففى مصر يفطرون على صوت المدفع ويمسكون عليه أما فى باكستان فيمسكون ويفطرون على صوت بوق الانذار بالخطرفى الحرب، وليس من العجب أن تتعدد الأبواق لكنه فى الفارق الزمنى بين اطلاقها فى مدينة واحدة فعند غروب الشمس ينطلق بوق يفطر معه الناس وبعد دقيقه أو أقل أو أكثر ينطلق آخر ثم ثالث ، ومثل ذلك فى الامساك •

يتناول الصائم فى افطاره تمرات أو يشرب الشاى بالحليب أو هما معا ثم يصلى المغرب وينصرف الى ما هو فيه ولا يتناول الطعام الا قبيل صلاة العشاء أو بعدها ، وليس هناك نوع من الطعام خاص برمضان غير أن الباكستانى والهندى على العموم لا يتذوق من الطعام الا ما كان مخلوطا والى درجة كبيرة بالمواد الحريفه حتى مع الحلوى والفواكه فالبطيخ والبرتقال والجوافة والموز والكوكا والبيبسى والربى وغيرها يأكلونها بالملح والفلفل •

ذات مرة كان يفطر عندى بعض الباكستانيين فرأيت أحدهم ــ بعد أن تناول تمرات ــ يأخذ المملحة ويفرغها فى فمه !! ويوما كنت مدعوا على مائدة عشاء أقامها رئيس مجلس

النواب المحلى فى لاهور السيد محمد رفيق بفندق « فلاتيس » وهو من فنادق الدرجة الأولى تكريما لوفد مجلس الشعب المصرى برياسة الدكتور السيد على السيد وكيل المجلس • والحق أن المواد الحريفة فى مثل هذه الفنادق لا تكاد تذكر بالنسبة للباكستانى ، ولا تكون الا فى أنواع معينة من الطعام • فلم ألبث كثيرا حتى رأيت وجه الدكتور السيد على السيد يبدو عليه الألم ثم يأخذنى احتساء الماء وأصوات الشهيق والزفير تكاد تسمع منه حيث كنت أجلس فى مواجهته على مائدة واحدة ويلتفت يمينا وشمالا ثم يعاود الاحتساء ويرمقنى من خلف زجاج الكوب أنظر اليه اشفاقا فيسألنى والكأس تكاد تلامس شفتيه : لم كل هذا ؟ فشرحت له على عجل أنهم فى هذا الجو الحار يستعينون بهذه المواد على فتح شهيتهم للطعام حتى صارت عادة عندهم وتذوقا •

مالت الشمس وبدأت الحمرة والصفرة تتصارعان على أمواج أشعتها منبعثة من الأفق البعيد لا تحجبها تلك البنايات الصغيرة الأنيقة ذات الحدائق فى الحى الجديد بمدينة لاهور العريقة وأنا أرنو اليها كأنى أستحثها على الغروب عندما كنت ذاهبا مع أسرتى تلبية لدعوة افطار عند أسرة شعبية صديقة ،ولم يأخذنى العجب أن رأيت البيت غاصا بالمدعوين وزوجاتهم فقد كنت على علم بدماثة خلق المضيف وحسن علاقاته بالناس فسلمنا وجلسنا فى انتظار المغرب تتجاذب أطراف الحديث ، وبعد قليل انطلق بوق الانذار معلنا الافطار فلم يتحرك أحد من مكانه ، ولم يبد أى منهم الاهتمام وانما استمروا فى حديثهم نقلت فى نفسى لعلهم لم يسمعوا ، ورمقت على مائدة صغيرة بالقرب منى تمرا محشوا باللوز قد نثروا عليه جوز الهند المبشور بلونه الأبيض فسال لعابى له ولم تكن سوى برهة نصيرة جدا حيث سمع الجميع آذان المغرب ورغم ذلك لم يتحركوا فظننت أنهم يحتاطون فلا يفطرون الا بعد نهاية الآذان ، وأردت أن انتهزها فرصة لأوضح لهم عمليا ومددت يدى فأكلت تمرة ثم سألت : لماذا لم تفطروا وقد أذن لصلاة المغرب ؟ فقال أحدهم : المغرب مغربان واحد لكم وقد أذن ومغرب لنا سوف يؤذن بعد ربع ساعة أى عندما يظهر

النجم فى السماء يؤذن مغربنا فنفطر ! فسألت مستغربا : من نحن ؟ ومن أنتم ؟ !! فأجاب : أنتم أهل السنة ونحن الشيعة • وسألت ثالثا : وهل يؤذن للمغرب مرتان فى مسجد واحد قال : نعم ان المسجد الواحد قد يؤذن فيه ثلاث مرات أو حتى خمس مرات اذا أراد واحد أن يصلى فى جماعة فى أى وقت صعد وأذن ولكن الحقيقة أن لأهل السنة مساجدهم ولنا ـ الشيعة ـ مساجدنا !! ، ولم أشأ أن أدخل معهم فى جدال فى هذا الوقت فأكلت تمرة أخرى ثم أديت صلاة المغرب والسنة ثم عدت الى التمر والماء مرة أخرى واخيرا قمنا الى غرفة الطعام بيد أنى ـ رغم كثرته وتنوعه ـ لم أجد فيه ما آكله سوى قطع الخبز فقد خلط بالمواد الحريفة ورأيتهم يأكلون فى لذة ونهم ويتغامزون فكبر على ذلك وتحاملت فأغمضت عينى وأخذت أبلع دون تذوق والمواد الحريفة تلسع وتكوى غشاء الفم والحلقوم ، وكأنى كنت آكل نارا أو أشرب حامض الكبريتيك المركز ، وضحك الجميع عندما تقدم الى صاحب المنزل بمنشفة قائلا : نشف عرقك • وعلق بعضهم مداعبا : بعد شهور ثلاثة ستصير باكستانيا • وقد خيبت الأيام ظنه فقد كان هذا درسا جعلنى أشرط على من يدعوننى أن لايبالغ فى المواد الحريفة ، ولما بدأنا ننصرف وجدنا ربة البيت تودع كل أسرة وتعطيها كمية من الطعام فى كيس أنيق من البلاستك وجاء دورنا وكانت النار لاتزال تكوى حلقى وتهيج أمعائى فرفضت بإصرار وحزم كان من نتيجته أن قطعت هذه الأسرة علاقاتها معنا لوقت غير قصير ولما التقينا بهم فى موضوع عام ذكروا أن من عاداتهم تقديم ما بقى من الطعام الى ضيوفهم ليأكل من ورائهم وأن رفضه لأى سبب يعد اهانة لصاحب الوليمة •

احياء رمضان :

معظم الناس فى شبه القارة ينامون ويستيقظون مبكرين ، ولذلك فلاوقت عندهم لقراءة القرآن فى البيوت بعد التراويح أو اقامة السهرات القرآنية • كنت على موعد فى مسجد الجنائز « جناز كاه مسجد » بلاهور لألتقى بعد صلاة التراويح مع بعثة القراء التى أوفدتها وزارة الأوقاف المصرية لقراءة القرآن خلال شهر رمضان فى باكستان ولم يكد الشيخ الطوخى يقرأ حتى غص المسجد بالناس ولم يبق فيه لقدم

وما هى الا ساعة أو أكثر قليلا حتى أعلن المرافق انهاء السهرة شاكرا مصر وقارئيها • والحق أن القارىء المصرى لا يقارن بأى قارىء فى العالم الاسلامى ، وكم كنت أود والناس معى أن تطول هذه السهرة وتمتد لكن السيد المرافق تعلل بأن الناس هنا ليس من عادتهم السهر الطويل •

ولأن المذهب السائد فى شبه القارة هو المذهب الحنفى فان صلاة التراويح عندهم عشرون ركعة يحرص معظمهم على أدائها فى المساجد ، ويقرأ الامام فى كل ركعة قدرا معينا من القرآن حتى اذا ما انتهى شهر رمضان كان الامام قد قرأ القرآن كله فى صلوات التراويح ولذلك تستغرق التراويح كل ليلة وقتا طويلا رغم أن الامام يقرأ فيها بسرعة تكاد تبتلع الألفاظ والكلمات فضلا عن المعانى وتدبرها • كما يحرص الناس على حضور صلاة الجمعة اليتيمة ويسمونها جمعة الوداع لأنهم يودعون بها شهر الصيام، وأيضا يحتفلون بليلة القدر دعاء وقرآنا وصلاة •

ولاتهتم الاذاعة كثيرا بشهر رمضان فلا آذان لسائر الأوقات ولا برامج خاصة الا ماندر ولا قرآن قبل المغرب ولا ينقل المذياع بوق الافطار مما يجعلنا لا نأبه به قبل المغرب وانما نستبدل به أشرطة قرآنية ونعتمد فى افطارنا على انطلاق البوق ، وفى مساء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الثامن من رمضان ــ حسب توقيت باكستان ــ ١٣٩٣ بينما كنا نتناول طعام الافطار اذ طرق الباب طرقا متواصلا ثم يقتحم أحد الأصدقاء سائلا بلهفة دون أن يسلم : ما الأخبار ؟ قلت لا أدرى أى أخبار تريد ؟ فلم يرد وأسرع ليفتح المذياع فعقدت المفاجأة ألسنتا وشلت تفكيرنا ثم مكثنا طول الليل نتسمع أخبار بلادنا من مصادرها ، وخرجت فى صبيحة السابع من أكتوبر لأرى المظاهرات تهز أرجاء لاهور ثم توالت تساندها الاذاعة والصحف ، وقد أحسست فى تلك الأيام المجيدة أننى أعيش المعركة وأتفاعل مع النصر كأنى فى القاهرة أو دمشق •ولم يكن ذلك من أهل باكستان الا لأنهم ربطوا مصيرهم بالاسلام والعرب الذين هم دعاؤه ودعاته • لكن هل يعى العرب ذاك ؟ وهل يلتفتون الى تلك الخلفية

العميقة يقيمون اليها المعابر ويحصنون قلاعها ؟ جميل أن تنعقد المؤتمرات وتتعدد الزيارات ، وتتوالى البعثات ولكنى والشعب العربى والباكستانى مازلنا نطمح فى أكثر من هذا .. فى برامج مدروسة .. فى تعاون قاعدى أصيل .

العيد :

يجرى فى استطلاع هلال شوال ما يحدث فى استطلاع هلال رمضان ولذلك يكون العيد فى الغالب متأخرا عنه فى البلاد العربية بيوم أو يومين ، ولقد كنا نرى أن طائفة تحتفل بالعيد بينما الأخرى صائمة .

فى أواخر رمضان ١٣٩٢ سافرت الى كابل - أفغانستان - فى مهمة علمية وأنا حريص على قضاء العيد مع أسرتى التى خلفتها فى لاهور - مقر عملى - ولعل ذلك الحرص كان ينبع من شعورى بوحدة أهلى فى بلد لا توجد به أسرة مصرية غيرنا ، وبالتالى فليس هناك من يدخل الأمل والفرحة اليهم فى ذلك اليوم السعيد ، ولم أستطع أن أنهى مهمتى الا مساء ليلة العيد فى كابل وكنت قبل ذلك لم أوفق فى الحصول على مقعد فى أى طائرة أو سيارة متجهة الى باكستان قبل العيد أو معه فضاق صدرى وتملكنى نوع من يأس غاضب ، وأخيرا سلمت أمرى لله وجلست أتناول طعامى فى مطعم الفندق الذى كنت أنزل فيه فتعرف على أفغانى عرف من لهجتى الفارسية أننى غريب وأبدى لى مساعدته واستطاع أن يحصل على مقعد فى سيارة تسافر أول أيام العيد ثم ودعنى قائلا : أبشر سوف تعبر ممر خيبر التاريخى وتقتفى آثار كبار الفاتحين كالاسكندر الأكبر الذى عبر هذا الممر لفتح بلاد الهند سنة ٣٢٧ ق.م ، ومحمود الغزنوى وغيرهما . وفى الصباح خرجت من الفندق وكانت المدفعية الأفغانية تعلن للناس يوم العيد وهم يذهبون ويروحون فى ملابسهم الجديدة . ثم انطلقت بنا السيارة متجهة الى باكستان وعلى بعد ثمانية أميال تقريبا من كابل بدأت تدخل بين سلسلة من الجبال مختلف ألوانها صعودا وهبوطا فى طريق ضيق مرصوف أو منحوت على حافة جبل تشرف بنا على منخفض سحيق يجرى فيه نهر كابل الذى يسير حتى يدخل باكستان مكونا أحد

روافد نهر السند العظيم ، وكثيرا ماكان الطريق يبدو أمامنا مغلقا بجبل شاهق مخيف ثم نجد السيارة تدور حوله من أسفله الى قمته فى طريق ملتو كأنه ثعبان خرافى التف حول فريسة أسطورية ضخمة لم يستطع أن ينال منها وأنفاسنا تعلو وقلوبنا تخفق وعيوننا تزيغ تتعلق أحيانا بألوان الجبال العجيبة ، وتهبط حينا فترى الهوة عميقة .. عميقة ، والطريق التى صعدناها كأنها خطوط فى لوحة من اللامعقول ، والنهر قد فقد اتصاله فلم نعد نرى منه غير نقاط متفرقة تعكس حزيمات من أشعة بيضاء ، وننزل فى بطء وحذر شديدين فنرى مياه النهر تنسل من بين الصخور وتصطدم بها فى عراك أبدى فتارة تتغلب فيتسع الوادى وأخرى تهادنها فتبدو الصخور كأنها عائمة بين المياه وأحيانا تنحسر المياه فى مجرى ضيق لا يكاد يبلغ مترا واحدا وكأن النهر قد سئم المعارك فوق ظهر الأرض فاتخذ طريقه من تحتها . ترى كم من آلاف السنين مرت حتى استطاع هذا النهر أن يشق لنفسه طريقا بين هذه الجبال المتوالية فى عتو وشموخ ؟

استمر صعودنا وهبوطنا هكذا مع النهر حتى وصلنا قبيل المغرب الى بيشاور ، ولم يكن الوقت يسمح بمواصلة السفر الى لاهور ، والخوف لما يزل ينشب فى قلبى وتتردد أصداؤه بين جوانحى ، وقد نال منى التعب فأخذت حقيبتى على عجل ودخلت أول فندق أستريح ، وبعد قليل انطلق بوق الافطار : فسألت : أليس اليوم عيد ؟ قالوا : كلا ، وانما هو عيد فى كابل والبلاد العربية : ، وبعد وقت سمعت المذياع يعلن أنه لم تثبت رؤية هلال شوال وعليه فان غدا هو المكمل للثلاثين من رمضان ثم جاءنى الخادم ليقول : هل نوقظك الليلة للسحور أم أنك ستعيد معنا غدا قلت : كيف ؟ !! أجاب : لأن البتان ـ أهل بيشاور ـ رأوا الهلال الليلة وسوف يحتفلون بالعيد صباحا دون الحكومة وبقية أهل باكستان !! فسكت ولكنى كدت أذوب وأنا أسائل نفسى : أليس البتان من مسلمين ؟ أليسوا من أهل باكستان ؟ ولماذا لم تأخذ الحكومة برؤيتهم وعليهم التبعة ؟ ثم أليست باكستان وأفغانستان واقعتين على خط طول واحد أو تتقاربان

عليه ؟ أم أنه العناد والرفض حتى فى أمور دينية من شأنها أن توحد ولا تفرق ؟ ! ! ، وفى الصباح طلبت قائمة الحساب فقالوا : والافطار ؟ ألا تعلم أن اليوم عيد ؟ قلت : لقد صرت لا أعلم شيئا ! ثم مضيت بين مظاهر العيد فأخذت القطار الى لاهور ودخلت بيتى قبيل المغرب فوجدت أهلى قد أعدوا الطعام فى انتظار بوق الأفطار !! ثم أصبحت فأديت صلاة العيد فى المسجد الجامع بلاهور وبذلك أكون قد حضرت ثلاثة أعياد للفطر فى عام واحد : عيد فى كابل ٦/١١/١٩٧٢ ، وعيد فى بيشاور ٧/١١/١٩٧٢ ، وعيد فى لاهور ٨/١١/١٩٧٢

صلاة العيد :

تبدأ صلاة العيدفى باكستان متأخرة عنها فى البلاد العربية فبينما نصليها فى مصر بعد طلوع الشمس بعشرين دقيقة أو ما يقرب من ذلك يصلونها فى باكستان بعد طلوع الشمس بساعة ونصف الساعة تقريبا ، واذا كان الجو ملائما صلوها فى العراء خارج المسجد ويؤديها حاكم المقاطعة فى المسجد الجامع ففى لاهور مثلا يحتشد فى « شاهى مسجد » خلق كثير لصلاة العيد تقدره الصحف بحوالى ربع مليون مسلم يأخذون أماكنهم فى ساحات المسجد وأسطحه وحدائقه والطرق المؤدية اليه ، وبعد الصلاة تطلق المدفعية من فوق المسجد ابتهاجا بالعيد قبل أن يخرج الحاكم الذى يعانقه المواطنون مهنئين •وليس من الغريب أن تهتم الهيئات الصحية بهذا الجمع الغفير فتأخذ مراكزها فى المسجد وخارجه لتؤدى واجبها الانسانى ولكن الغريب حقا أن نرى داخل المسجد لافتة ضخمة عليها صليب أحمر ـ كان ذلك قبل أن يتحول الصليب الأحمر فى باكستان الى الهلال الأحمر أوئل عام ١٩٧٤ ـ ولكنه صليب على كل حال !!

وعندما تدخل مسجدا لأداء صلاة العيد تجد رجلا ملتحيا يجلس أمام منضدة فوقها لافتة صغيرة كتب عليها مقدار الزكاة الواجبة على كل فرد مقدرة بالعملة المحلية ينظر فيها كل داخل فيعرف ما يجب عليه ـ حسب أفراد أسرته ـ ثم يخرج من جيبه

ويضع على المنضدة ، ولم أشأ أن أتابع ما تؤول اليه تلك النقـود لأنى كنت أرى أن معظم القـائمين على خـدمة المساجد وخاصة الأهلية تجوز عليهـم الزكاة •

وتبدأ شعائر صلاة العيد بطفل يتلو ما حفظ من قصار السـور والنـاس يجلسون دون تكبير على خـلافنا فى البلاد العربية ثم يقف الامام على منبر صـغير وأحيانا لا يكون بالمسجد منبر فيقرأ بالعربية كلمات معينة حفظهن ـ وذلك مع كل خطبـة ـ ثـم يـكمل بالأردية ناصحا آمرا ناهيا ثم ينزل فيصلى ركعتى العيد وأخـيرا يتعـانق الناس دون تقبيل ـ وهذه عادتهم دائما عند التهانى أو لقاء غائب ـ ثم يتفرقون فى ملابسهم الوطنية بيضـاء جـديدة يزورون أقاربهم وجيرانهـم وتشـكل زيارة القبور جزءا من برامجهم فى ذلك اليوم •

وهناك نوع من الطعام خاص بيوم العيد يسمى عندهم « سويان » باللغة فى الألف ويقابل الشـعرية بالحليب عندنا يقدمونه لزوارهـم ومهنئيـهم ، والأغنياء يجعلون معه أنواعا من الحلوى والبسـكويت يشترونهـا من الأسواق ولا يعملونها فى البيوت •

وفى النهاية لا أنسى أن أذكر أننى قابلت فى باكستان أعلاما علماء وعتادا ناسـكين واخوة أصـدقاء أعتز بهـم وأدعو الله أن يكثر من أمثالهـم كما أتوجه الى المولى سبحانه ونحن نستقبل هذا الشهر العظيم أن يجمع المسلمين فى كل مكان على الخير ويهديهم اليه صراطا مستقيما ؟

دكتور عبد المقصود محمد شلقامى

الحكم بالكفر على المؤمن العاصى

للدكتور مصطفى عمران

من القضايا التى شغل بها المسلمون قديما فى صدر حياتهم ، وكانت سببا بالغا فى اختصامهم وانقسام جماعتهم الى أفراق وشيع مسألة مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام ، أكافر هو أم مؤمن ؟

ولا نزال نطلع فى أيامنا هذه على ضلال بين تجاه هذه القضية مصدره فى الأغلب تشدد فى الدين ومغالاة ينحرف ببعض الناس عن سواء السبيل فى فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويعمى ويصم عماكان عليه جماعة المسلمين وما استقر عليه سلف الأمة وتابعوهم باحسان الأمر الذى يقتضينا توضيح مذهب أهل السنة والجماعة فى مرتكب الذنوب من جماعة المسلمين ، وما طرأ على اجماع الأمة فى هذه القضية من آراء وبدع لا تكاد تتسق معسماحة الاسلام ويسره ، وحرصه على وحدة المسلمين وتألف قلوبهم ، ومقته للفرقةوالشقاق تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

مذهب أهل السنة والجماعة فىمرتكب الكبيرة :

يقول الامام الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى كتابه «الفرق بين الفرق» ص ٩٧ – ٩٨ : «وكان علماء التابعين فى ذلك العصر) يعنى صدر الاسلام) مع أكثر الأمة يقولون ان صاحب الكبيرة منالاسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بأن كل ماجاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفى عنه اسم الايمان والاسلام ، وعلى هذا القول مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين .

الأمة المسلمة عند أهل السنة :

أما مفهوم الأمة المسلمة عند أهل السنة والجماعة ، فيقول الامام البغدادي رحمه الله : « والصحيح عندنا (يعني عند أهل السنة) أن أمة الاسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه ، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق ، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة اليها ، فكل من أقر بذلك كله ، ولم يشبه ببدعة تؤدي الى الكفر فهو السني الموحد، وان ضم الى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر ، فان كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرة أو الخطابية الذين يعتقدون الهية الأئمة أو الهية بعض الأئمة ، أو كان على مذهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات أو بنات البنين أو على مذهب اليزيدية من الأباضية في قولها بأن شريعة الاسلام تنسخ في آخر الزمان أو أباح ما نص القرآن على تحريمه أو حرم ما أباحه القرآن نصا لا يحتمل التأويل فليس هو من أمة الاسلام ولا كرامة له [1] ... » .

مفهوم الايمان عند أهل السنة والجماعة :

وفي ضوء ما ذكرنا كان مفهوم الايمان عند أهل الحق من جمهور الأشاعرة والماتريدية وعلماء الأمة هو : التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم والاذعان له وقبول كل ما جاء به مما علم من الدين بالضرورة ، أي التصديق بكل ما اشتهر بين المسلمين أنه من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى علمه الخاصة والعامة دون ما حاجة الى بحث ونظر كوجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكوجوب الصلاة والحج وحرمة الخمر والربا ، ويحتجون على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : «الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

وعلى هذا فالنطق بالشهادتين والأعمال الصالحة غير داخلين في حقيقة الايمان لأنه مجرد التصديق بالقلب بل الأعمال الصالحة شرط كمال

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٠ — ١١ .

للايمان ، والنطق بالشهادتين شرط لاجراء أحكام الاسلام الدنيوية بالنسبة لكافر يريد الدخول فى الاسلام .

يقوم المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية فى الزمن الأسبق: « الايمان هو التصديق والاذعان بالقلب ؛ فلا يزول الا بنقيضه أو ضده لا يعمل الجوارح مع أن القلب مطمئن بالايمان فمن صدق بقلبه مذعنا ولم يقر بلسانه ، لا لعذر منعه ولا لاباء ، بل كان بحيث لو طلب منه النطق لأجاب ، وارتكب كل كبيرة ، ولم يعمل شيئا من الطاعات من صلاة وصوم وزكاة وحج مع كونه مصدقا بكل ما علم من ديننا بالضرورة فهو مؤمن عاص فقط ، ناج من الخلود فى النار »[1] .

الخوارج ومذاهبهم فى مرتكب الكبيرة:

وقد ظلت الأمة الاسلامية مجمعة على عقيدتها هذه لا تحكم بكفر أحد من أهل القبلة مهما قعد عن عمل الواجبات وارتكب لسائر المحرمات حتى حدث فى الاسلام ما يعرف بمسألة التحكيم فيما وقع من نزاع بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وما استتبع ذلك من سخط بعض أصحاب على رضى الله عنه عليه وثورتهم ضده من أجل رضوخه للتحكيم وخلعهم طاعته وخروجهم عليه .

وقد انقسم هؤلاء الثائرون الذين اشتهروا فى تاريخ الاسلام باسم الخوارج الى عشرين فرقة لكل منها آراؤها الخاصة بها والمخالفة جميعها لما كان عليه سلف الأمة وجماعة المسلمين فى مسألة مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام .

ومن أشهر هذه الآراء :

١ ـ أنهم جميعا يكفرون عليا وعثمان وأصحاب الجمل (عائشة وطلحة والزبير) والحكمين (أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص) وكل من رضى بالتحكيم ويكفرون مرتكب الكبائر .

---

(٢) القول المفيد ص ٩٣ .

٢ـ أن الأزارقة من الخوارج تزعم أن كل مرتكب لذنب صغير أو كبير مشرك بالله .

٣ ـ أن الأباضية من فرق الخوارج يقولون : ان مرتكب ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر وليس كفران نعمة بكافر كفر شرك .

٤ ـ وزعم قوم من الخوارج فى القرن الخامس الهجرى أن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وأنه فى شر من الكافر المظهر لكفره (١) .

ويقول الامام أبو المظفر الاسفراينى فى كتابه التبصير فى الدين « والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) » .

موقف المعتزلة من مرتكب الكبيرة :

وقد بقى الأمر فى مرتكبى الذنوب من أهل ملة الاسلام على هذين القولين حتى حدث فى الاسلام هذه الطائفة المعروفة باسم المعتزلة بزعامة واصل بن عطاء فخالفت القولين جميعا ، وابتدعت القول بأن مرتكب الكبيرة من هذه الأمة منافق ، والمنافق منزلة بين المنزلتين .

يقول صاحب كتاب التبصير فى الدين ص ٤٠ « فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون انهم (أى الفساق من أهل ملة الاسلام) مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح ، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية ، وأن أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافى ايمانا فى قلوبهم ، وكان الخوارج يقولون : انهم كفرة مخلدون فى النار مع الكفار ، فخالف واصل القولين ، وقال : ان الفاسق لا مؤمن ولا كافر وأنه فى منزلة بين المنزلتين ، وحكمهم فى الآخرة أنهم مخلدون فى النار مع الكفار ، وأن من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له ؟ فخالف فى القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصرى من مجلسه ،فاعتزل جانبا مع أتباعه فسموا

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للامام البغدادى ص ٩٧ .

(٢) ص ٢٦ .

معتزلة ؛ لاعتزالهم مجلسه ، واعتزالهم قول المسلمين » .

والحق البين المبرأ عن الهوى والغرض المؤيد بنصوص الكتاب والسنة هو ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة من :

١ - أن الايمان محله القلب وليس اللسان والجوارح .

٢ - أن مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام مؤمن مهما قعد عن عمل الواجبات وارتكب من المحرمات .

٣ - وأنه لا يجوز الحكم بالكفر الا اذا ظهر ما يدل على فقد الايمان من القلب كالاستهزاء بالأحكام الشرعية ، وسب الأنبياء والملائكة ، واستحلال ما أجمع المسلمون على تحريمه ، وانكار ما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والحج .

هذا ، وقد حاول مولانا الشيخ محمد بخيت التوفيق بين ما أجمع عليه أهل السنة من أن حقيقة الايمان مجرد التصديق والاذعان بالقلب فقط وما ذهب اليه الخوارج القائلين بتكفير مرتكب الكبيرة أو الذنب مطلقا وماذهب اليه المعتزلة القائلين بأن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين لاكافر ولامؤمن ، الأمر الذى يترتب عليه أن يكون الايمان عند هاتين الفرقتين مركب من التصديق بالقلب والعمل بالجوارح ، فقال ما مجمله : ان مراد أهل السنة هو ما به يتحق أصل الايمان الذى به ينجو المكلف من الخلو فى النار على وجه التأبيد ، أما مراد الخوارج والمعتزلة القائلين : يتركب الايمان من التصديق بالقلب وعمل الواجبات وترك المحرمات فهو الايمان الكامل ، وأن مراد هؤلاء من خلود المصدق المذعن التارك للواجبات أو بعضها ، أو الفاعل للمحرمات أو بعضها فى العذاب طول مكثه فيه لاعدم خروجه أصلا ؛ فالايمان كشجرة ذات أصل وفروع ، فأصلها التصديق والاذعان وفروعها عمل الواجبات وترك المحرمات وكما أن الشجرة اسم لمجموع الكل كذلك الايمان وكما أن الشجرة اسم لمجموع الكل كذلك الايمان وكما أن الشجرة

(١) كقوله تعالى : أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، « وقوله » : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... « وقوله عليه السلام » : اللهم ثبت قلبى على دينك .

لا تزول أصلا الابزوال أصلها كذلك الايمان .

ثم يقول رحمه الله : « فاعرف هـذا الذى قلنا لك ، ولا تلتفت لما تجده مخالفا له فى بعض كتب القوم من ذكر الخلاف وتشنيع كل فريق على الآخر وتكفيره ؛ فان كل فريق لم يقصد بما ذكره الا التنفير من مذهب مخالفه ، وبيان لوازمه التى لو قال بها قائل لكان كافرا ، ولم يقصد أن مخالفه كافر ؛ فان الحق أننا لا نكفر أحدا ممن صلى بصلاتنا ، وتوجه لقبلتنا ، وصدق وأذعن بما علم بالضرورة من ملتنا (١) » .

ويقول الامام النووى فى شرحه لصحيح الامام مسلم : « واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع ،وأن من جحد ما يعلم من دين الاسلام ضرورة حكم بردته وكفره (٢) » .

هذا ، ومهما يكن من أمر الخلاف أو الوفاق بين العلماء فى حكم مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام فمما ينبغى على المسلمين أفرادا وجماعات ـ نهوضا بما كلفهم به الله تعالى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومعذرة اليه عز وجل أن يصيبهم بعذاب من عنده وفرارا من مقت الله وسخطه ـ أن يبذلوا طاقاتهم فى النصح لهؤلاء العصاة وتخويفهم مكر الله بهم وانتقامه منهم ، وتذكيرهم بمغفرته لهم واحسانه اليهم اذا تابوا اليه وأنابوا بما هدنا تعالى اليه فى قوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فاذا هم عموا وصموا وأصروا على الفسق وأقاموا على المعصية فعلى الذين يخشون ربهم ويعتزون بدينهم ولا يخافون فى الحق لومة لائم أن يتجهموا لهؤلاء المتمردين على الله ، ويعبسوا فى وجوههم ، وأن يشتدوا ما وسعهم فى النكير عليهم والتنديد بهم وأن يغلظوا عليهم فى القول

---

(١) أنظر القول المفيد لعمدة المحققين الشيخ محمد بخيت ص ١٤
(٢) الجزء الأول من شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ص ١٥٠

ويعرضوا عنهم فى المعاملة مؤثرين بالخير والنفع اخوانهم من أهل الصلاح فى الدين والاستقامة فى فى الخلق؛ انتفاعا بما ذكر به سبحانه عباده المؤمنين بما سلف من ثابت سنته فى قوله : « واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون.فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » واستجابة لأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الامام مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

وتغيير المنكر باليد وتأديب العصاة وردع الفساق بالقوة والضرب على أيدى المستهترين وتطهير المجتمع الاسلامى من المتهتكين المجاهرين بالسوء هو واجب ولاة الأمر فى الدرجة الأولى ، والأمانة التى حملهم الله اياها يحاسبون عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وعلى خاصة المسلمين ثم عامتهم أن ينصحوا للولاة والحكام ما استجابوا لله والرسول ، وأن يقوموهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا اذا ما اعوجوا عن صراط الله المستقيم ، وأن يجاهدوهم طاقتهم اذا هم تخلوا عن رسالتهم ، وقعدوا عن اعزاز دين الله والحفاظ على شريعته وصونها من عبث العابثين ؛ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

هذا ، والله المسئول أن يبصرنا بأحكام ديننا السمح وأن يهبنا من لدنه السداد والرشاد ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان .

دكتور مصطفى عمران

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

تكلمنا فى العدد الماضى عن المبادى والنظريات التى تحكم التنظيم القانونى للعقود فى الشرائع الوضعية فى العصر الحديث

ونتكلم فى هذا العدد عن التنظيم القانون للعقد فى القانون الانجليزى •

يأخذ القانون الانجليزى بما تأخذ به سائر الشرائع الوضعية من تقسيم العقـود الى عقـود شـكلية ، وعقود رضائية •

وطبقا لقانون مكافحة الغش الصادر سنة ١٦٧٧

والتعديل الذى أجرى عليه فى سـنة ١٩٥٤ "Statute of Frauds 1677" يتعـين أن تكون العقود الآتية مكتوبة حتى تكون ملزمة من الناحية القانون :

١ ـ عقود الكفالة أو الضـمان "Contracts of suretyship or guarantee"

٢ ـ أى عقد يتعلق بالعقارات سواء كان بيعا أو اجارة أ وانتفاعا أو غير ذلك •

ولينعقد العقد الرضائى "Parol Contract" صحيحا وملزما لجميع أطرافه يتعين توافر أربعـة عناصر أساسية هى التراضى "mutual agreement" والأهليـة "Capacity" والمقابل الذى يقوم كل متعاقد بتقديمه للآخر "Consideration" والمشروعية "Legality"

أما العقود الشكلية والتى يتعين أن تتم عن طريق محرر رسمى "deed" فانهـا تنعقـد بمجرد توافر الايجاب والقبول ممن هم أهـل لمباشرتهـا ولا يشترط فيها وجود عنصر المقابل •

وسنتكلم عن كل عنصر من هذه العناصر بشىء من التفصيل •

أولا ــ التراضى :
Mutual Agreement

يشمل عنصر التراضى الايجاب "offeror" أى الوعد أو الاقتراح المقدم من أحد المتعاقدين للآخر ويسمى هذا الطرف بالموجب "Offer" ويسمى الطرف الآخر المعروض عليه هذا الوعد أو الاقتراح بالموجب له "offeree"

ويشترط فى هذا الايجاب أن يكون واضحا "clear" حتى يعرف المتعاقد الآخر حقيقة ما هو معروض عليه وأن فرقا بين الدعوة الى التعاقد والمفاوضات يكون باتا "definite" لأن هناك فرقا بين الدعوة الى التعاقد والمفاوضات التى تسبق التعاقد عادة كما يشترط فى هذا الايجاب أن يكون جديا فالمزاح لا يمكن أن يعتبر ايجابا صحيحا ملزما • فمتى توفرت هذه الشروط فى العرض أو الاقتراح المقدم اعتبر ذلك ايجابا سليما من الناحية القانونية •

هذا الايجاب لابد وأن يتصل بعلم الموجب له وهو الطرف الآخر وهو أمر واضح اذا كان الطرفان فى مجلس واحد أو يتعاقدان بالتليفون أما اذا كان التعاقد يتم بالمراسلة فان الايجاب لا ينتج أثره الا من تاريخ تسلم الموجب له للبرقية أو الخطاب المثبت به الايجاب • والعنصر الثانى لركن التراضى هو القبول "serious" فمتى سمع الموجب له بالايجاب فى مجلس العقد أو تسلمه فان له أن يرفض أو أن يقبل هذا الايجاب فى المدة المحددة له أو فى مدة معقولة ان لم تكن هناك مدة محددة بمعرفة الموجب •

ويجب أن يتم القبول بالمطابقة تماما للايجاب دون أى تحريف أو تعديل له أو تعليق على استيفاء أية نقاط أخرى ومتى صدر القبول بهذه الصورة ينعقد العقد فاذا كان المتعاقدان فى مجلس واحد أو يتعاقدان بالتليفون فالأمر واضح وسهل أما اذا كان التعاقد يتم بالمراسلة فيعتبر القبول كاملا ومنتجا لكل آثاره متى سلم للبريد أو مكتب البرق وحتى ولو فقد بعد ذلك ولم يتسلمه الموجب وذلك على عكس الايجاب حيث يشترط أن يتسلمه الموجب له استلاما فعليا ومن ذلك يتضح أن القانون الانجليزى يأخذ بنظرية تصدير القبول والتى سبق أن شرحناها فى العدد الماضى •

واذا أراد الموجب أن يسحب ايجابه فان هذا السحب لا ينتج أثره الا من وقت وصوله (السحب) الى الموجب له لأن سحب الايجاب مثل الايجاب تماما ولذلك لو أرسل أ خطابا الى ب لسحب عرضه بينما كان ب قد أودع قبوله فى البريد أو البرق (ولم يكن قد وصل أ) فان العقد ينعقد صحيحا وملزما •

والقبول قد يتم بالقول "by word of mouth" أو بالكتابة "by writing" أو بالفعل أو السلوك "by conduct" وللموجب الحق فى تحديد الطريقة التى يتم بها القبول •

وحتى ينتج كل من الايجاب والقبول أثرهما فى تكوين العقد يتعين أن يكون كل من الموجب والقابل أهلا للتعاقد وهنا ننتقل الى الكلام عن العنصر الثانى وهو الأهلية •

ثانيا ـ الأهلية : Capacity

يعتبر القانون الانجليزى كل شخص يقل سنه عن احدى وعشرين سنة ميلادية قاصرا "infant" وليس أهلا للتعاقد فاذا تعاقد هذا القاصر فان هذا العقد اما أن يعتبر غير موجود أصلا "void" واما أن يعتبر قابلا للابطال وفق اختيار القاصر ومشيئته وحده voidable واما أن يعتبر صحيحا ولكن غير ملزم للقاصر "valid"

واما أن يعتبر صحيحا ولكن غير

واما يعتبر صحيحا وملزما للقاصر "unenforceable"

فطبقا للقانون الصادر بشأن القصر سنة ١٨٧٤ "Infants Relief Act 1874"

تعتبر العقود التى يجريها القاصر بالنسبة للقروض ذات الفوائد "moneylending contracts" وعقود (الشراء فيما عدا الضروريات التى سنشير اليها فيما بعد) والتصديق على الحسابات تعتبر جميعها باطلة بطلانا مطلقا وغير موجودة أصلا Void

فلا يملك القاصر اجازتها بعد بلوغه سن الرشد فلو اقترض أحد القصر مبلغا من المال فان القاصر لا يلتزم برد هذا القرض حتى ولو ادعى كذبا بأن سنه يزيد على احدى وعشرين سنة وقت الاقتراض •

اما العقود التى يجريها القاصر لشراء الحاجات الضرورية له "necessaries"

مثل المـــأكل والملبس والـــكتب الدراسية وما شـابه ذلك بشرط أن يكون ثمنهامعقولا وان تكون ملائمة لمستواه الاجتماعى فانها تعتبر صحيحة وملزمة له وذلك طبقا لأحكام المادة الثانية من قانون بيع البضائع سـنة ١٨٩٣
Sales of Goods Act 1893 S. 2.

وكذلك العقود التى يجريها لتحقيق منفعة خاصـة به مثل عقـود التدريب والتعليم والتوظيف فانها أيضا تعتبـر صحيحة وملزمة للقاصر •

أما تلك العقود الصحيحة ولـكن غير الملزمة للقاصر فى نفس الوقت فهى العقـود الخاصـة بالاتفـاق على الزواج فلو اتفق رجل سنه خمسة وعشرون عاما مع بنت سنها ثمانية عشر عاما على الزواج ثم حنث بوعده فانه يمكنها مقاضاته على اخلاله بهذا العقد ولكن اذا كان الاخلال من جانبها هى فانه لا يمكنـه مقاضاتها فاذا ما بلغت الحـادية والعشرين فانهـا لا تعتـبر مرتبطة بهذا العقد الا اذا جددته بعد ذلك •

ويعتبر أيضا غـير أهـل للتعـاقد المجانين والمعتوهين "Insane Persons" وتسرى عليهم نفس الأحكام التى تسرى على القصر كما تسرى نفس هذه الأحكام على المخمورين الذين فقدوا وعيهم "Intoxicated Persons" فأصبحوا لا يتبينون أقوالهم أو أفعالهم بشرط أن يثبت المجنون أو المخمور أنه كان كذلك وقت التعاقد •

ولا يكفى لانعقاد العقد صحيحا أن يصدر كل من الايجاب والقبول ممن هو أهل للتعاقد وانما يجب أن يكون التعبير عنهما خاليـا من العيـوب التى تعيب الارادة ولا تجعلها حرة حرية كاملة فى التعبير عن الغـرض حتى يكون التراضى حقيقيا "Genuine consent" وهذه العيوب التى تعيب الارادة وبالتالى تؤثر على سلامة العقد هى الغلط "mistake" والغش Fraud والاكراه "duress" والاستغلال أو الغبن "undue influence"

والغلط هو اعتقاد خاطىء "erroneous belief" يقوم فى ذهن المتعاقد يدفعه الى التعاقد كما اذا شاهد آنية من الأوانى فاعتقد انها أثـرية وطلب شراءها على هذا الأساس • والغـلط الذى يعيب الرضاء هوالغلط الجوهرى وحده "Important or material"

أما الغلط غير الجوهرى immaterial فلا أثر له على صحة التراضى ويعتبر الغلط فى القيمة غلطا غير جوهـرى فلو اشترى المتعاقد سلعة بمبلغ مائتى جنيه معتقدا انها تساوى ثلاثمائة جنيه ثم اتضح له بعد ذلك انها لا تساوى أكثر من مائة جنيه فقط فانه لا يمكنه التحلل من العقد بسبب هذا الغـلط الذى وقع فيه • كذلك يشترط أن يـكون الغلط معـلوما لدى الطـرف الآخر "mutual mistake"

أما الغلط الذى ينفرد به أحد الطرفين "unilateral mistake" فليس له أى أثر على سلامة العقد ففى المثـال المتقدم لو أن البائع علم ان المشـترى انما يشـترى هذه الآنية لأنها أثرية وهو (البائع) يعلم أنها ليست كذلك فان العقد هنا يكون معيبا بعيب «الغلط» اما ان كان لا يعلم انه يشتريها لأنهـا أثرية فالعقد يظل صحيـحا ولا أثر للغلط الذى وقع فيه المشترى فى هذه الحالة •

والعيب الثانى من عيـوب الارادة هو « الغش "Fraud" وهو عبارة عن استعمال أحد المتعاقدين وسـائل من شأنها التأثير على المتعاقد الآخر لحمله على التعاقد لتحقيق كسب غير متكافىء مع القيمة الحقيقية للشىء الذى يقدمه "Unfair advantage" فتكون حقيقة الشىء المقدم مزيفة ويعلم بهذا التزييف المتعاقد الذى يقدمه قاصـدا خديعة الطرف الآخر الذى يجـهل أن هذا الشىء مزيف والذى يتعاقد نتيجة التأثـير الذى وقـع عـليه من الطرف الآخر • ووصف الشىء على غير حقيقته يبيح للطرف الذى يقـع عليه الضرر التحلل من التزامه وابطال العـقد اذا كان ذلك الوصـف غـير الحقيقى بحسن نية "innocent misrepresentation" أما اذا كان هـذا الوصف مقصودا به الخديعة والغش "Fraudulent misrepresentation" فللطرف المضرور فى هـذه الحالة الحق فى المطالبة بالتعويض الى جانب ابطال العقد والعيب الثالث من عيوب الارادة هو الاكراه "duress or coercion" الاكراه قد يكون باستعمال القوة أوباستعمال القوة لحمل الطرف الآخر على التعاقد "Physical force or threat of physical force"

أما العيب الرابع والأخير من عيوب الارادة فهو « الاستغلال » "Undue influence" والاستغلال يشبه الى حد كبير الاكراه غاية ما فى الأمر أن

الاكراه يتم بالاعتداء أو التهديد بالاعتداء على جسم الطرف الآخر اما الاستغلال فهو اكراه بوسائل أخرى ليس من بينها الاعتداء البدنى ولكن النتيجة واحدة فى الحالين هى حمل المتعاقد على قبول ما كان يرفضه لولم يتعرض لظروف الاكراه أو الاستغلال ومن أمثلة الاستغلال استغلال المحامى لعميله أو الطبيب لمريضه أو الوصى للقاصر وذلك للحصول على فائدة لا يستحقها ٠

فاذا شاب الارادة أى عيب من هذه العيوب الأربعة فان العقد فى هذه الحالة يكون قابلا للابطال "Voidable" لصالح الطرف المضرور يطلبه بعد زوال العيب الذى شاب العقد فلا يسقط حق القاصر فى الابطال الابعد بلوغه سن الرشد بمدة معقولة ولا يسقط حق الطرف المتعاقد عن غلط أو غش فى الابطال الا بعد اكتشاف الغلط أو الغش ولا يسقط حق الطرف المتعاقد تحت ظرف الاكراه أو الاستغلال الا بعد زوال ظرف الاكراه البدنى أو الادبى ٠

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن العنصر الثالث من العناصر التى يستلزمها انشاء العقد ٠

ثالثا ــ المقابل :
Consideration

جميع العقود الرضائية لا تنعقد صحيحة الا اذا تضمنت عنصر « المقابل » اما العقود الرسمية Deeds فلا يشترط لصحتها توافر هذا العنصر ٠

والمقابل هو ما يعطيه كل متعاقد للمتعاقد الآخر لاتمام العقد فعندما أبيعك كتابا معينا بمبلغ خمسة جنيهات فالكتاب هو المقابل الذى أعطيه لك بموجب العقد وخمسة الجنيهات هى المقابل الذى تعطيه لى ٠ وبدون وجود عنصر « المقابل » فى العقد من كل من الطرفين فان العقد لا ينعقد اطلاقا فاذا وعدتك باعطائك خمسة جنيهات كهدية ولم تقدم شيئا مقابلا من جانبك فانه لا يكون هناك عقد ولا التزم بتسليمك المبلغ الذى وعدتك به على سبيل الاهداء ٠

فقيام العقد الرضائى فى القانون الانجليزى يحتم أن يقدم كل من الطرفين شيئا للآخر بمعنى أن كلا من الطرفين يكون متحملا بعبء ما detriment فى نظير الفائدة التى ستعود عليه من العقد فيكون كل من الطرفين منتفعا ومتحملا بعبء فى نفس الوقت ولا يشترط التوازن أو المساواة بين

ما يقدمه كل طرف للآخر فمثلا اذا اتفق والد مع ابنه على اعطاء الابن مبلغ مائة جنيه اذا أقلع عن التدخين لمدة سنة كاملة فان هذا العقد يعتبر صحيحا لأن وعد الابن بعدم التدخين يعتبر « مقابلا » لمبلغ المائة جنيه ويعتبر عنصر المقابل متوافرا من الجانبين فى هذه الحالة فالاب سيدفع مائة جنيه وسيحصل على « الاكتفاء النفسى » "Personal satisfaction" لسبب اقلاع نجله عن التدخين والابن سيحصل على مبلغ مائة جنيه وفى سبيل ذلك سيتحمل بعبء عدم التدخين فى الوقت المسموح له بالدخين قانونا •

ولكن لو فرضنا ان الأب اتفق مع ابنه على أن يدفع له هذا المبلغ فى نظير عدم قيادة سيارته بسرعة تزيد على السرعة المسموح بها قانونا فان عنصر المقابل هنا لا يتوافر فى العقد وبالتالى لا ينعقد العقد لأن الابن فى هذه الحالة لن يتحمل أي عبء لأنه ليس له أى حق من الناحية القانونية فى قيادة سيارته بسرعة تزيد على السرعة المحددة وبالتالى فهو لم يتحمل بأى عبء ولم يتنازل عن أى حق من حقوقه •

كذلك لو عرض (أ) على (ب) أن يبيعه سيارته بمبلغ ألف جنيه ووافق أن يلتزم بهذا الايجاب مدة أسبوع ولو يقدم (ب) شيئا مقابلا لهذه الموافقة على بقاء الايجاب مدة أسبوع فان هذا الايجاب لا يعتبر ملزم (أ) ويستطيع أن يبيع سيارته لشخص آخر قبل نهاية الأسبوع لأنه لم ينشأ عقد بالابقاء على الايجاب مدة هذا الأسبوع لعدم تقديم (ب) للمقابل أما اذا قدم (ب) مقابلا لذلك ولو خمسة قروش فان الايجاب يظل ملزما لـ (أ) لأنه قد نشأ عقد صحيح بذلك يوجب على (أ) أن يبقى على ايجابه مدة الأسبوع •

ويشترط فى المقابل أن يكون شيئا حاضرا أو مستقبلا فاذا وعد أب ابنه بدفع مبلغ مائة جنيه له لأنه نجح فى الامتحان فان هذا الوعد لا يعتبر ملزما للأب لانه لا يوجد « مقابل » فى هذه الحالة بالمعنى القانونى • كذلك يشترط فى « المقابل » أن يكون مقدما من ذات المتعاقدين فلا عبرة بالمقابل المقدم من أى طرف ثالث غير المتعاقدين •

ويشترط أخيرافى المقابل أن يكون شيئا مشروعا غير محظور بحكم القانون •

والعنصر الرابع من عناصر تكوين العقد الصحيح هو عنصر المشروعية •

رابعا ـ المشروعية :
"Legality"

فالعقد لابد وأن يكون القصد منه تحقيق هدف مشروع ويتشدد القانون الانجليزى فى ذلك الى حد كبير •

ويعتبر الهدف غير مشروع فى القانون الانجليزى اذا كان مخالفالأى قانون من القوانين فعقد الاقراض بالربا الفاحش Usury أى بفائدة تزيد على الفائدة التى حددها القانون يعتبر عقدا باطلا وغير موجود فلا يعتبر شرط الفائدة باطلا والعقد صحيح كما تذهب أغلب القوانين وانما يعتبر العقد بأكمله باطلا وغير قائم أصلا •

كذلك يعتبر القانون الانجليزى عقود المراهنة "betting and wagering contracts" عقودا باطلة لعدم المشرعية ويعرف القانون الانجليزى هذه العقود بانها تلك العقود التى تنعقد بين شخصين لكل منهما وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر الآخر فى أمر معين ويتفق الاثنان على أن يعطى أحدهما للآخر رهانا معينا اذا ما اتضح بعد ذلك أن وجهة نظره هى الصحيحة •

كذلك من أمثلة العقود الباطلة لعدم مشروعية العقود الخاصة بارتكاب أية جريمة أو مخالفة للقانون أو للآداب العامة أو للحصول على الرتب والألقاب الشرفية وكذلك العقود التى يترتب عليها افساد علاقة الدولة بغيرها من الدول فمثلا اذا أصدرت الولايات المتحدة قانونا بحظر دخول الخمور فى أراضيها فان أى عقد يبرم فى انجلترا لتهريب الخمور للولايات المتحدة يعتبر باطلا طبقا للقانون الانجليزى لعدم المشروعية فى هذه الحالة •

هذه هى العناصر الأربعة التى يتعين أن تتوافر مجتمعه لينشأ عنها عقد صحيح فاذا نقص أحدها لم ينشأ العقد أصلا وهو ما يعبر عنه تجاوز بالعقد الباطل "Void contract" بينما أنه من الناحية القانونية لا يوجد أى عقد اصلا حتى يوصف بالبطلان •

والعقد بعد نشأته لا يمثل موقفا أبديا فهو ينشأ لغاية معينة ويفرض

فى سبيل تحقيقها التزامات معينة على كل من الطرفين فان تم تنفيذ العقد بحذافيره فانه ينحل بعد ذلك وتنتهى هذه الرابطة العقدية وينتهى أثر العقد لسبب نفاذه بالكامل
"discharge by performance"

وقد يستحيل تنفيذ العقد لأسباب لا دخل فيها لاى من الطرفين كما لو كان موضوع العقد بيع شىء معين بالذات لا مثيل له وهلك هذا الشىء قبل التسليم فان العقد هنا ينحل لسبب الاستحالة .
"discharge by impossibility"

وقد يتفق المتعاقدان على عدم تنفيذ العقد فينحل العقد بهذا الاتفاق
"discharge by operation of law"

وقد ينحل العقد بفعل القانون
"discharge by agreement or rescission"

كما لو تعاقد شخص على بيع مادة من المواد وقبل التسليم أصدرت الدولة قانونا بحظر التعامل فى هذه المادة .

وأخيرا ينحل العقد برفض أحد الطرفين تنفيذ التزاماته التى نشأت بموجبه أى ينحل العقد بسبب الاخلال به "discharge by breach"

واخلال أحد الطرفين بالعقد وعدم قيامه بتنفيذ الالتزامات المفروضة عليه بموجبه ينشىء فى ذمته التزاما بتعويض الطرف الاخر عن الضرر الفعلى والحقيقى الذى أصابه نتيجة عدم تنفيذ لالتزاماته .

فالأصل فى القانون الانجليزى أن يكون جزاء عدم تنفيذ العقد هو الحكم بالتعويض النقدى على الطرف الممتنع ولا يجبر على تنفيذ العقد تنفيذا عينيا "specific" "performance" الا اذا كان التعويض النقدى لا يعتبر كافيا وان الطرف المضرور لم يكن قصده من التعاقد مجرد النفع المالى كما اذا تعاقد على شراء شىء له قيمة خاصة عنده ولا يعوضه المال عن عدم حصوله على هذا الشىء .

فالأصل فى القانون الانجليزى أن يكون التعويض عن عدم تنفيذ العقد هو التعويض النقدى اما التنفيذ العينى فهو يعتبر استثناء من هذه القاعدة .

والتعويض لايكون الاعن الاضرار الفعلية المتوقعة فقط حسب طبيعة العملية المقصودة من العقد فاذا تعاقد

شخص على شراء آلة من آلات الرى ثم ظهر بعد ذلك بها أى تـلف فان البائع يكون مسئولا عن التعويض عن هذا التلف وليس عن الاضرار التى نتجت عن عدم استعمال هذه الآلة فى موعدها •

وقد يتفق المتعاقدان فى العقد على تحديد التعويض liquicated damages الذى يدفع لايهما جزاء اخلال الطرف الآخر بالتزاماته فاذا كان هذا التحديد معقولا ومناسبا كان واجب النفاذ اما اذا كان متجاوزا للحـد ومقصودا به عقاب الطرف الممتنع عن التنفيذ "Exemplary or punitive damages" فللمحكمة تخفيضه ورده الى الحـد المعقول •

وعلى الطرف الذى أضـير من عدم تنفيـذ العقـد أن يثبت الضرر الذى حـدث له وقيمتـه ويفرض القانـون عليـه الالتزام ببذل أقصى جهده لحصر هذا الضرر فى أضيق نطاق ممكن حتى لا يرهق خصمه بدفع تعويض أكثر من اللازم حتى ولو كان هذا التعويض محـددا من أول الأمر ولو لم يـكن هنـاك أى خطأ أو تقصير من الطرف المضرور• فمثـلا اذا تعـاقد أ مع ب على أن يلتحق الأول بخدمة الآخر لمدة سنة شهور بأجر شهرى قدره مائة جنيه وبعد انتهاء الشهر الأول طرد ب أ من خدمته رغم أدائه عمله على أكمل وجه ورغم حاجة ب الى خدماته فانه طبقا للمعمول به فى أغلب الشرائع يتقاضى أ فى هذه الحالة تعويضـا قدره خمسمائة جنيه قيمة مرتبه عن باقى مدة العقـد لأنه لا يوجـد أى خطـأ من جانبـه أمـا فى القـانون الانجليزى فان أ يلتزم ببذل أقصى جهده للحصول على عمل بأقصى أجر ممكن فاذا نجح مثلا فى الحصول على عمل فورى بنفس الأجر لم يكن له أى حق فى التعويض واذا نجح فى الحصول على عمل بأجر أقل كان له المطالبة بالفرق عن باقى مدة العقد • فالقانـون الانجليزى يفـرض على الطرف المضرور من عدم تنفيذ العقد بذل أقصى جهـد ممـكن لخفض التعويض الذى سيلتزم به خصـمه وهى قاعـدة تدل على قمـة الالتزام بالجانب الخلقى فى المعاملات •

وأخـيرا فان الالتزامـات التى يفرضها العقد على كل من الطرفـين لا يمكن طبقا للقانون الانجليزى أن

تسقط بمضى المدة (التقادم) Lapse of time وذلك على خلاف معظم التشريعات الوضعية والتى تقضى بسقوط الحق وابراء ذمة المدين من التزامه اذا مضى على عدم تنفيذه لالتزامه مدة معينة رغم قيام الطرف الآخر بالوفاء بالتزامه كاملا فمثلا لو باع أحد منزله لآخر وتسلمه المشترى ولم يدفع الثمن ومضى على ذلك المدة التى حددها القانون لسقوط الالتزام بدفع الثمن بالتقادم ثم طالب البائع المشترى بثمن هذا المنزل فان المشترى يستطيع الامتناع عن السداد والاحتفاظ بالمنزل فى نفس الوقت لأن التزامه بدفع الثمن قد انقضى بالتقادم •

هذه القاعدة السارية فى معظم الشرائع الوضعية من تحديد مدد معينة لسقوط الحقوق والالتزامات بالتقادم بحجة أن ذلك مدعاة للاستقرار أو أنه جزاء للدائن المهمل • هذه القاعدة لا يطبقها القانون الانجليزى اطلاقا فلا يسقط أى حق ولا ينقضى أى التزام مهما مر عليه من سنين •

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن التنظيم القانونى للعقد بصفة عامة فى القانون الانجليزى وسنتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عن هذا التنظيم للعقد فى الشريعة الاسلامية•

حسن حسب الله

أوائل الشهور العربية

للأستاذ محمد كمال السيد

الشهر أصلا دورة قمرية ، أي دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، وتتم هذه الدورة في ٢٩ر٥٣٠٨٨ يوما ، أي في تسعة وعشرين يوما ونصف وكسر ،
ق س ي
وبعبارة أخرى في ٢٩ر١٢ر٤٤

وكل اثنتي عشرة دورة قمرية تعتبر سنة قمرية ، ومدتها ٣٥٤ر٨ر٤٨

وقد عرف العرب هذا الحساب الفلكي الصحيح ، وعبروا عن السنة القمرية بأنها ٣٥٤ يوما وخمس وسدس يوم ، أي ٣٥٤ ١١/٣٠ يوما ،

وكانت معرفة الانسان للحساب القمري أسبق من معرفته للحساب الشمسي ، فالأول أسهل استقراء ، لقصر مدة دوران القمر حول الأرض ، وللاختلاف الظاهر في قرصه يوما بعد يوم ،

فلما عرف الانسان السنة الشمسية احتفظ بتقسيمها الى اثني عشر شهرا ، ولما كانت السنة
ر ق س ي
الشمسية ومدتها ٣٦٥ر٥ر٤٨ر٤٦ لا تقبل القسمة على اثني عشر ، اختلفت الشهور طولا — مع تفصيل ليس هنا مكانه — وأصبح الشهر تقسيما اصطلاحيا للسنة لا يرتبط بظاهرة طبيعية ،

ولكن ظل الشهر العربي تقسيما أصليا للزمن ، يرتبط بظاهرة طبيعية هي الدورة القمرية ،

وبهذا الخلاف بين السنتين القمرية
ر ق س ي
والشمسية الذي يبلغ ١٠ر٢١ر ــ ر٤٦ أصبحت الشهور العربية تدور مع السنة الشمسية متنقلة بين الفصول ،

---

(١) يوجد فوق هذا الرقم كسر مقدار ٢ر٧٦ ثانية ضربنا صفحا عنه حيث يتكون منه في السنة ٣٣ ثانية تقريبا ولا يتكون منه يوم كامل الا كل ٢٥٧٢ سنة قمرية ،

وقد تنبه أحد أذكياء الكتاب فى عهد المتوكل على الله العباسى فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) الى دقة الصياغة فى الآية الكريمة : (فلبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) - الآية ٢٥ من سورة الكهف رقم ١٨ بالمصحف - فلو أراد سبحانه وتعالى مجرد الرقم لقال تسعا وثلاثمائة • ولكن فى لفظ (وازدادوا) اشارة خفية فسرها بأن كل ٣٠٠ سنة شمسية تساوى ٣٠٩ سنة قمرية •

وهو حساب سليم وتفسير معقول• فلو طبقنا الحساب الفلكى الحديث لوجدنا الرقمين متساويين مع فارق
ق س ى
٣٨ر٨ر٧٣ زيادة فى السنين الشمسية •

ويرتبط الشهر العربى بكثير من شعائر الاسلام مثل الصوم والحج • وبالمواسم الدينية التى يحتفل بها المسلمون • مثل أول السنة الهجرية• ومولد الرسول عليه الصلاة والسلام• والاسراء والمعراج (وغيرها من • المواسم والأعياد • وببعض الأحكام الفقهية مثل العدة والنفقة وغيرها •

ولا شك أن لله حكمة بالغة فى جعل بعض شعائر الدين مثل الصوم والحج تدور مع السنة حتى يمارسها المسلمون فى كل الفصول وعلى اختلاف الطقس • فهى ليست من عروض التجارة أو أنواع الزراعة التى تخضع لجو معين •

وبارتباط بعض شعائر الدين بالشهر القمرى • أصبحت رؤية الهلال مسألة هامة • فهى تحدد بدء اليوم من الشهر • ولما كانت رؤية الهلال تتحدد عند غروب الشمس • فيكون الليل أول اليوم فى الحساب القمرى • بخلاف الحساب الشمسى الذى يعتبر أول اليوم هو شروق الشمس (وقد تقرر أخيرا فى اجتماع اتحاد الفلكيين الدولى سنة ١٩٢٢ أن اليوم يبدأ فى منتصف الليل) •

ورؤية الهلال كانت - ولاتزال - مثار جدل بين المسلمين • خصوصا فى أول رمضان وعيد الفطر • فاختلاف خطوط الطول والعرض تجعله قد يرى فى قطر اسلامى دون آخر كما أن ضرورة الاعتماد على الرؤية البصرية تثير شكوكا فى حجية هذه الرؤية • فقد يكون فيها انخداع

بصر • أو طمع فى الجائزة التى تضعها بعض الدول الاسلامية لرصد الهلال •

والاعتماد على الرؤية البصرية ـ دون الحساب العلمى الفلكى ـ مرتبط بالحديث الشريف (صوموا لرؤيته• وأفطروا لرؤيته • فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) •

ولكن المنجمين ـ أى علماء الهيئة والفلكيين ـ (وليس كما يتبادر للذهن أنهم من يقرأون الطوالع ويتنبأون بالمستقبل للاعتقاد القديم بتأثير مواقع النجوم وحركاتها على الأفراد والأحداث) ـ لجأوا الى طريقة أخرى فى احتساب أوائل الشهور دون الاعتماد على الرؤية البصرية أو الحساب الفلكى • بل معتمدين على الحساب الرياضى •

وهى طريقة تؤدى فى نهايتها الى حساب ينضبط تماما كل ثلاثين سنة • ويكون قريبا من الضبط خلال هذه المدة •

فقد ذكرنا أن السنة القمرية $\frac{11}{30}$ ٣٥٤ يوما • بمعنى أن هناك ستة شهور من السنة كل منها ثلاثون يوما • وستة شهور كل منها تسعة وعشرون يوما • يكون مجموع ذلك ٣٥٤ يوما • ثم يتكون من كسر اليوم ١١ يوما كل ثلاثين سنة •

فاعتبروا الشهور الفردية من السنة ثلاثين يوما • والزوجية تسعة وعشرين يوما • فالمحرم وربيع أول وجمادى الأولى ورجب ورمضان وذو القعدة كل منها ٣٠ يوما ؟ صفر وربيع ثانى وجمادى الثانية وشعبان وشوال وذو الحجة كل منها ٢٩ يوما •

ثم يضيفون يوما الى ذى الحجة كلما قارب كسر اليوم يوما صحيحا• بترتيب وضعوه • حتى تتم اضافة ١١ يوما كل ٣٠ سنة • وتسمى السنة التى يضاف اليها اليوم سنة كبيسة •

والترتيب الذى وضعوه للسنة الكبيسة هو : السنة الثانية ـ الخامسة ـ السابعة ـ العاشرة ـ الثالثة عشرة ـ السادسة عشرة ـ الثامنة عشرة ـ الحادية والعشرين ـ الرابعة والعشرين ـ السادسة والعشرين ـ التاسعة والعشرين •

وهذا الترتيب كما ترى يتوالى كل سنتين أو ثلاث . حيث يقارب كسر اليوم يوما صحيحا . فمثلا : فى الاحدى عشرة سنة الأولى كبسنا أربع سنوات بأربعة أيام تساوى ٩٦ ساعة والاحدى عشرة سنة مضروبة فى
س
٨ر٤٨ (كسر اليوم كل سنة) تساوى
ق
٩٦ر٤٨ . وهكذا .

وعلى هذه الطريقة درجت الشيعة فى احتساب الشهور . فكان عندهم شهر شعبان دائما ٢٩ يوما . وشهر رمضان دائما ٣٠ يوما . وفى حالة عدم ظهور الهلال فى أول رمضان تأولوا فى تفسير الحديث الشريف (صوموا لرؤيته) أى صوموا اليوم الذى يرى الهلال فى عشيته . وهذا تأويل بعيد كما هو ظاهر .

وذكر القلقشندى (صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٧٠) طريقة حسابية لمعرفة أوائل الشهور العربية اذا عرفت أول المحرم .

وهى أن تحسب عدد الشهور من المحرم الى الشهر الذى تريد معرفة أوله . ثم تأخذ نصف هذا العدد فتضيفه عليه . واذا كان الرقم فرديا صححت نصفه الى رقم صحيح . وتضيفه . ثم تحسب من أول المحرم أيام الأسبوع حتى تصل الى الرقم الناتج من المجموع . فما ينتهى اليه العدد يكون هو أول الشهر المطلوب .

نأخذ مثالا لهذا : أول السنة الهجرية الحاضرة . فكان أول المحرم سنة ١٣٩٥هـ يوافق يوم الاثنى (١٣/١/١٩٧٥ م) .

ونريد أن نعرف أول رمضان وهو شهر فردى . وأول شوال وهو شهر زوجى .

فمن المحرم الى رمضان تسعة شهور (داخلا فى العدد المحرم) . نصفها $\frac{1}{2}$ ٤ تصحح الى ٥ وتضاف على التسعة فيكون المجموع ١٤ . فيحسب من يوم الاثنين (أول المحرم) ١٤ (داخلا فى العدد الاثنين) تصل بنا الى الأحد . فيكون أول رمضان يوم أحد (وهو يوافق ٧/٩/١٩٧٥).

ومن المحرم الى شوال عشرة شهور . نصفها خمسة تضاف الى العشرة . فيكون المجموع ١٥ . ومن

الاثنين (أول المحرم) نحسب ١٥ يوما تصل بنا الى الاثنين • فيكون أول شوال يوم الاثنين (وهو يوافق ٦/١٠/١٩٧٥) •

وهى طريقة مشكوك فى نتائجها، تصيب تارة وتخطىء تارة أخرى • ومن أخطائها الظاهرة مثلا أننا لو طبقناها على أول شهر ربيع الأول من السنة الهجرية الحاضرة لوجدنا أن أوله الجمعة أى بعد الاثنين أول المحرم بأربعة أيام • ومدة الأربعة أيام المذكورة هى نفس المدة فى أى سنة من السنين الهجرية • أى أن شهرى المحرم وصفر تامان دائما • كل منهما ٣٠ يوما • وهذا لا يتفق مع الحساب الرياضى المتبع عند المنجمين والسابق ذكره • ولا مع واقع الرؤية التى قد تختلف فى نهاية كل منهما من سنة لأخرى •

ولكن يمكن الاسترشاد بهذه الطريقة على سبيل التقريب •

وكان المرحوم الشيخ محمد أبو العلا البنا أستاذ علم الفلك بجامعة الأزهر قد قدم تقريرا فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٧ الى الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون ردا على قرار مؤتمر علماء المسلمين الخاص برؤية هلال رمضان • ذكر فيه أن الآيات الواردة فى القرآن عن حساب السنين والأيام هى الآيات القرآنية الآتية :

(فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) ـ الآية رقم ٩٦ من سورة الأنعام رقم ٦ بالمصحف •

(هو الذى جعل الشمس ضياءا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) ـ الآية رقم ٥ من سورة يونس رقم ١٠ بالمصحف •

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا) ـ الآية رقم ١٢ من سورة الاسراء رقم ١٧ بالمصحف •

وذكر فى تقريره أن هذه الآيات جميعها مكية • وأن الأحاديث الشريفة عن الرؤية البصرية كلها

مدنية • بمعنى أن الحساب الفلكي نزل به القرآن قبل أحاديث الرؤية ولم يقل أحد من المفسرين أن أحاديث الرؤية نسخت آيات الحساب الفلكي • كما أن الرؤية لم تذكر في القرآن لا مكيا ولا مدنيا •

واستخلص من هذا أن الحساب الفلكي هو الأصل والأساس في معرفة أوائل الشهور القمرية • والرؤية البصرية هي الفرع • ولا يحتاج اليها الا اذا عجز الحساب الفلكي في بعض الشهور • عن معرفة أول الشهر •

وذكر في تقريره أن صوم رمضان شرع في شعبان من السنة الثانية للهجرة • وأن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما أراد اعتبار شعبان ٢٩ يوما على حسب القاعدة الحسابية السابق ذكرها - نزل عليه الوحي بأن الشهر بعينه قد يكون ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما • فأبطل هذه القاعدة الحسابية الرياضية • ولما لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة من يعرف الحساب الفلكي أمر بالاعتماد على الرؤية البصرية في الصوم • وأن المسلمين لم يروا الهلال فأتموا شعبان ثلاثين يوما • وان رأوا هلال شوال في ليلة الثلاثين من رمضان • فصاموا رمضان ٢٩ يوما تلك السنة •

وهو يرى في تقريره أن الاعتماد على الرؤية البصرية كان لضرورة عدم وجود من يعرف الحساب الفلكي • فاذا وجدت وسائله وعلماؤه • كما هو الآن فيجب اتباع الحساب الفلكي الذي هو الأصل الذي نزل به القرآن •

وهو رأي عالم له قيمته ووجاهته•

ولكن الحساب الفلكي لايحل لنا مشكلة أخرى تقوم الآن • وهي الرغبة في توحيد الأمة الاسلامية - أو العربية على الأقل - في عباداتها وأعيادها ومواسمها • فالهلال قد تمكن رؤيته الاعتبارية بالحساب الفلكي في عاصمة من العواصم العربية أو أكثر • ولا تمكن رؤيته في عاصمة أخرى أو أكثر•

وعندما كانت الدول العربية تابعة للخلافة العثمانية • كان ثبوت رؤية الهلال في أي بلد من العالم العربي

الاسلامى أو من تركيا ينسحب الى باقى البلاد الأخرى • وتأتى الاشارة من استانبول بالصوم • وكثيرا ما كانت هذه الاشارة تتأخر • فقد حدث فى بعض السنين - ولعلها سنة ١٩١٤ أو سنة ١٩١٥ - أن أصبح الناس فى مصر صائمين •ثم وردت اشارة بعدم رؤية الهلال • فأفطروا ضحى • ثم وردت اشارة بعد الظهر بقليل بثبوت رؤية الهلال وكانوا قد تناولوا غذائهم فأتموا اليوم صائمين •

وهذه البلبلة معيبة - تظهرنا أمام العالم بمظهر التخلف • وعدم المقدرة على التكيف مع الزمن • كما أنها تدعو الى الارتباك فى مصالح الناس• فمن الخير أن يعرف الناس مقدما مواعيد صيامهم وأعيادهم •

وللمسيحيين واليهود أعياد كثيرة ترتبط بالحساب القمرى • اذ الأصل فى أغلب هذه الأعياد فى الديانتين تقريبا واحد وهو عيد الفصح •

وعيد الفصح عند المسيحيين - أو كما يسمى أيضا عيد القيامة • وهو أكبر أعيادهم حيث يرتبط بتحديد موعده تحديد عدد كبير من الأعياد المتنقلة قبله وبعده • وتحديد هذا العيد يرتبط بثلاثة اعتبارات : ١ - أن يكون بعد الاعتدال الربيعى الذى حدد له ٢١ مارس ٢ - أن يكون فى البدر الكامل التالى للاعتدال الربيعى ٣ - أن يكون يوم أحد • (واذا صادف البدر الكامل بعد الاعتدال الربيعى يوم أحد فيؤجل العيد للأحد التالى • حتى لا يقع عيد المسيحيين وعيد اليهود فى يوم واحد• لأن عيد اليهود يتحدد بالأمرين الأول والثانى) •

ويرتبط بعيد الفصح أو القيامة عند المسيحيين كثير من أعيادهم المتنقلة • فالصوم الكبير قبله بـ ٥٥ يوما (هذا عند أقباط مصر والمسيحيين الشرقيين أما المسيحيين الغربيين ف ٤٦ يوما) وأحد الشعانين فى يوم الأحد السابق له • وخميس الصعود بعد ٤٠ يوما منه • وعيد العنصرة فى الأحد السابع منه • وغير ذلك من الأعياد المتنقلة المرتبطة به •

ولم يمنع هذا المسيحيين من ترتيب أعيادهم فوضعوا الجداول المطولة • لعدة قرون مضت وقادمة • كل طائفة بجداولها ـ عن عمر الهلال فى أول يناير أو أول توت من كل عام • وموقع البدر الكامل بعد الاعتدال الربيعى وموقع يوم الأحد على مدار السنين • وهذا بالحساب الفلكى والرياضى فلا تراهم يختلفون •

وليس فيما أرمى اليه من اتباع الحساب الفلكى ـ أو فيما ذكرت عن أعياد المسيحيين أى تقليد لهم • فالمسيحيون لم يبتكروا القمر ولا حسابه • بل خلقه ووضع حسابه مالك الملكوت سبحانه وتعالى • ونحن نتبع الحساب الشمسى فى حياتنا اليومية من معاملات وارتباطات • فلا يعد هذا تقليدا للمسيحيين • فالخالق سبحانه وتعالى (جعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) •

ومتى وجد المسلمون فائدة فى طريق • وجب عليهم اتباعه • ما دام لا يتعارض مع دينهم • فعمر ابن الخطاب رضى الله عنه دون الدواوين ووضع التأريخ أو التقويم نقلا عن الفرس أو تقليدا لهم •

واستعمل المسلمون الدرهم الفارسى والدينار الرومى عشرات السنين حتى سك عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) الدرهم والدينار العربيين • ونحن الآن ننتفع بكل مقومات الحضارة الغربية من وسائل الكشف العلمى والطب والصيدلة والنقل والترفيه وغيرها دون أى تردد فى أنها منقولة عن المسيحيين •

والاسلام لا ينكر العلم وفضله • بل يحض على الاستزادة منه • وكان العلم أول تكليف للرسول عليه الصلاة والسلام • وأول ماذكر من فضل الله على الانسان بعد خلقه بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم) •

وليس من الدين فى شىء أن يقع المسلمون كل تسعة وعشرين يوما فى الشك فى ترتيب عباداتهم ومعاملاتهم وارتباطاتهم •

فأقترح فى تواضع أن تتفق الدول العربية على احدى مدينتين تكون مقرا لاثبات الهلال فى كل الشهور بالحساب الفلكى حسب الوضع

الجغرافى لأيهما • على أن يكون اصدار البيان بهذا فى بدء كل عام هجرى • على الأقل • ان لم يكن لعدة سنين مقبلة •

والمدينتان هما القاهرة أو مكة • ولكل منهما وزنها واعتبارها فى الموضوع •

فالقاهرة أكثر توسطا بالنسبة للعالم العربى • ومرصدها أكثر تقدما • وهى مقر جامعة الدول العربية • أما مكة فهى مهبط الوحى ومنبت الدعوة ومقر الكعبة •

ولكى لا تكون هناك شبهة من سيادة دينية أو توجيه دينى فى الموضوع • تشكل هيئة فى جامعة الدول العربية ـ وهى لجميع الدول العربية ـ يكون من اختصاصها هذا الموضوع •

وشبهة السيادة منتفية • فلاسيادة لانجلترا فى اعتبار جرينتش احدى قراها أساسا لتقسيم خطوط الطول فى العالم كله •

والمسألة كما ترى تنظيمية أكثر منها دينية • وأنها تتعلق بالمظهر دون الجوهر •

وفق الله المسلمين الى ما يحبه ويرضاه ؟

محمد كمال السيد محمد

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

١٢١ ـ ويقولون : تكبدنا فى السفر كثيرا من المشاق ، وهذا التعبير غير سليم ، والصواب أن يقال فى هذا المعنى : تحملنا ، أو تجشمنا ، أو عانينا ، أو يقال : كابدنا مشاق السفر أى قاسيناها ، ومن هذا قول العرب : المسافر يكابد الليل ، أى يركب هوله وصعوبته ، وكابد الرجل المسير اذا قاسى شدته •

أما التكبد فله معنيان لا يمت كل منهما بأى صلة الى معنى المقاساة والتجشم والمعاناة أحدهما التوسط كما فى قولك : تكبدت الشمس السماء اذا صارت فى كبدائها وهو وسطها ، وقولك : تكبدت الفلاة اذا توسطتها •

والآخر الخثورة كما فى قولك : تكبد اللبن اذا خثر وغلظ وذهب صفرة ورقته وبقيت خثارته أى عكارته ووسخه •

١٢٢ ـ ويقولون فى جمع مغارة ـ وهى الكهف فى الجبل كالغار ـ مغائر ، والفصيح أن يقال فى جمعها مغاور بالواو ، كما يقال : مفازة ومفاوز ، ومعابة ومعايب ، ومكيدة ومكايد ، ومعيشة ومعايش ، وذلك لأن حرف المد سواء أكان واوا أم ياء لا يهمز فى الجمع اذا كان أصلا فى المفرد كما فى الأمثلة المذكورة •

أما اذا كانت المدة مزيدة فى الواحدة فيجب قلبها فى الجمع همزة ، كقلادة وقلائد ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز وعجائز •

وعلة هذا القلب هو اجتماع المدة ساكنة مع ألف الجمع ، ولا يمكن حذف احداهما لفوات الغرض منها ولهذا وجب تحريك المدة ، ولايكون ذلك الا بقلبها همزة •

١٢٣ ـ ويقولون : ربما رأيناه كثيرا ، وربما يكثر وجوده فى هذه

الأيام وفى هذين التعبيرين تناقض واضح ؛ لأن العرب انما وضعت رب لتفيد التقليل ، فكيف تكون الرؤية قليلة وكثيرة فى آن واحد ؟ وكيف يكون وجود هذا الشيء قليلا بذكر ربما ثم يكون وافرا بكلمة يكثر فى تعبير واحد ؟ ومما يدل على أن رب للتقليل فى قولهم فى المثل « رب عجلة تهب ريثا » وقوله تعالى « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » .

والصواب - لتأدية معنى الكثرة - أن يستبدل بربما قد التى للتحقيق فيقال : قد رأيناه كثيرا وانما قلنا قد التى للتحقيق ؛ لأن قد تأتى أيضا للتعليل كما فى قولك : قد يجود البخيل ، كما تأتى للتوقع فى قولك : قد يعود المسافر الليلة .

١٢٤ - ويقولون للمكان الذى تعرض فيه الأشياء معرض بفتح الراء ، والصواب كسرها ، لأنه اسم مكان مصوغ من مصدر الثلاثى المكسور العين فى المضارع ، اذ يقال عرض يعرض ، ومثل ذلك يقال : مصر مهبط السياح ، والأرض معدن لذهب .

أما اذا كانت عين المضارع مفتوحة أو مضمومة فانه يجب فتح العين فى اسمى المكان والزمان ، تقول : ملعب الكرة فسيح ، ومصنع الزجاج مغلق ، وكذا تقول : مدخل الدار بهيج ، ومنظر الريف جميل .

١٢٥ - ويقولون : فلان يتفانى فى أداء واجبه ، كما يتفانى فى حب وطنه باسناد يتفانى الى المفرد ، يريدون أنه لا يعنيه أمر نفسه بقدر ما يعنيه أداء الواجب وحب الوطن ، وكان ينبغى لهم أن يسندوا هذا الفعل وأمثاله الى اثنين فصاعدا ، فيقال : تفانى المحاربان ويتفانى المقاتلون قال الزمخشرى : وتفاعل لما يكون من اثنين فأكثر ، ولا يخلو من أن يكون من فاعل المتعدى الى مفعول واحد ، أو المتعدى الى مفعولين ؛ فان كان من الأول كضارب لم يتعد ، وان كان من الثانى نحو نازعته الحديث ، وجاذبته الثوب وناسيته البغضاء ؛ تعدى الى مفعول واحد ، تقول تنازعنا الحديث ، وتجاذبنا الثوب ، وتناسينا البغضاء .

وقال ابن منظور والجوهرى : وتفانى القوم قتلا : أفنى بعضهم بعضا فليس للتفانى معنى غير هذا ، ولا يمكن

أن يحمل التفاعل على غير بابه ، بأن يراد به الفناء ؛ لأن ذلك سماعى كما فى قولك : تغافلت ، وتجاهلت ، وتعاميت ، وتوانيت ، أى ادعيت لنفسى الغفلة ؛ والجهل ؛ والعمى ؛ والونى ولست متصفا بها .

١٢٦ ـ ويقولون للقائم : اجلس كما يفعل المدرسون مع طلابهم ، والاختيار ـ على ما حكاه الخليل بن أحمد ـ أن يقال لمن كان قائما : اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس ، وعلل بعضهم ذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ، ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها : جالس وقد جلس ، ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق .

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس أى ان لم تطع أوامرى فاقصد نجدا

١٢٧ ـ وشاعت على ألسنة المثقفين وأسنة أقلامهم كلمة المعطف اسما للملحف الذى تسميه العامة (بالبالطو) وهذا منهم وهم كبير ، لأن (البالطو) مما يفصل ويخاط ، ولكن المعطف ـ كما قال ابن سيدة ـ ثوب غير مخيط ولامفصل يرتدى على المنكبين والكتفين ومجتمع العنق ثم يعطف طرفه أى يثنى .

وقد عقد ابن سيده فى الجزء الرابع من مخصصه بابا بعنوان الملاحف ولم يذكر فيه الا مالم يفصل ولم يخط كالأردية ، والأزر ؛ والرياط والمعاطف .

لهذا ينبغى لهم أن يعدلوا عن كلمة المعطف (للبالطو) ؛ لأنها وضعت فى غير موضعها وأن يسموه المدرع بزنة المبضع كما فعل ذلك مجمع اللغة حيث قال :

المدرع هو ثوب فوق سائر اللباس ودثار البرد من صوف أو من غيره .

١٢٨ ـ ويقولون: نحن فى مسيس الحاجة الى الاتحاد ، والصواب أن يقال : نحن فى حاجة ماسة الى كذا ، أى حاجة مهمة ، كما يقال : بين هؤلاء رحم ماسة أى قرابة قريبة ، أو يقال : مست الحاجة الى كذا اذا ألجأت اليه .

أما المسيس فهو الملمس ، تقول : مسه يمسه من باب تعب ، وفي لغة من باب قتل مسا أى أفضى اليه بيده من غير حائل ، والاسم المسيس ، وماسه مماسة ومساسا بالكسر من باب قاتل بمعنى مسه ، ومن هذا قوله تعالى « لا مساس » أى لا أمس ولا أمس وتماسا أى مس كل منهما الآخر ، وفى التنزيل « من قبل أن يتماسا » كل أولئك معناه اللمس •

١٢٩ ــ ويقولون : جاءوا عن بكرة أبيهم ،وهذا قول غير سليم، والفصيح أن يقال جاءوا على بكرة أبيهم ، أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد ، هكذا قال أبو عبيد وقال غيره :البكرة تأنيث البكر وهو الفتى من الابل ، يصفهم بالقلة ، أى جاءوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم •

وقال بعضهم : البكرة هنا هى التى يستقى عليها ، وهى اذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم أحد فشبهوا اجتماع القوم فى المجىء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم •

١٣٠ ــ ويقولون : هؤلاء عشرون نفرا ، وأولئك ثلاثون نفرا ، وهذا خطأ من جهتين احداهما أن تمييز العشرين وما ماثلها لابد أن يكون مفردا منصوبا : مفردا لأنه يذكر لبيان حقيقة المعدود ، وهو يحصل بالمفرد النكرة التى هى الأصل ، ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى هى فى صورة نون الجمع ، قال ابن مالك •

وميز العشرين للتسعينا
بواحد كأربعين حينا

والنفر دال على الجمع لأنه اسم جمع ، قال أبو العباس: النفر والرهط والقوم هؤلاء معناها الجمع ولا واحد لها من ألفاظها •

وفى المصباح والصحاح وغيرهماأن النفر جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وأنه لا يقال فيما زاد على العشرة •

ومما يبرهن على أن النفر جمع اعادة الضمير عليه بواو الجماعة فى قوله تعالى « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن » وقوله « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا »

فكما لا يجوز أن يقال : هـؤلاء عشرون رجالا ، لا يجوز أن يقال : هؤلاء عشرون نفرا والجهة الأخرى أنهم دلوا بقولهم : هم عشرون نفـرا على أن النفر يقـع على العشرين وما بعدها من الفاظ العقود وما بينـها ، والواقع أنه لـم يسـمع من العـرب استعمال النفر فيما جاوز العشرة كما فى قول صاحب المصباح •

عباس أبو السعود

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **الفقه الميسر**

تاليف : فضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور

هذا الكتاب الجيد الذى نشرته دار الاعتصام بالقاهرة : يقع فى جزأين كلاهما يقع فى أكثر من مائتين وخمسين صفحة من القطع الصغير • والمؤلف من العلماء العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية ، ومن المشهود لهم بالعلم والاخلاص والتفانى والاحتمال فى سبيل الله والاسلام •

لقد خص المؤلف الجزء الأول بالعبادات ، كما خص الجزء الثانى بالمعاملات وقد عدل فى مؤلفه على مذهب الامام الشافعى ، أخذا به ، وتمسكا بمبادئه ، ففضيلته يرى فى مذهب الامام الشافعى ـ رحمه الله ، أعدل المذاهب وأسهلها وأقربها الى الفهم ، بشهادة العدول وذوى الفضل والعقول ، لذا اختار من الكتب المؤلفة فى فقه الشافعية كتاب «كفاية الاخيار» للامام تقى الدين أبى بكر بن الحسينى الدمشقى من علماء القرن التاسع الهجرى •

اذن فالخطان الأساسيان اللذان التزم بهما المؤلف هما : أولا أن الكتاب فقه شافعى ، وثانيا أن الاعتماد أساسا على أحد المؤلفات فى الفقه الشافعى ، أما العمل الذى قام به المؤلف ، فهو تهذيب عبارات الكتاب المشار اليه ، وزيادة مالابد منه ، وحذف ما يمكن الاستغناء عنه ، ثم الاختصار مع بقاء الجوهر المفيد منه ، والحق أن مثل هذا العمل ، من الأعمال الشاقة المضنية ، التى تتطلب جهدا خاصا غير ميسر لأى عالم ••

واذا كان الأصل المعتمد عليه فى كتابنا هذا ، من المؤلفات القيمة الجديرة بكل تقدير • وان ما أضفاه المؤلف

العالم الجليل ، من علمه وفقهة وسعة أفقه عليه ، قد زاده تقديرا ، الا أن البعض يرى لو أن النص التراثى ظل فى الكتاب بارزا ، ومنفصلا عن الجهد القيم الذى بذله فضيلة المؤلف . ولو أن العمل قداعتمد على أكثرمن مؤلف فى الفقه الشافعي لما كان ثمة اعتراض كذلك قد يرى البعض الآخر أن عصر التقليد قد مضى ، وياحبذا لو جاء الفقه الميسر شاملا المذاهب الفقهية كلها أو أكثرها ليتحقق التيسر •• ونحن نرى أنفضيلة المؤلف كانهدفه احياء تراث فقهى له قـدره وعمـله هو تهـذيبه لتيسيره على الأفهام ، وقد اقتضت أمانة المؤلف أن يبرز ذلك ، ولـم يـكن هدفه التحقـيق ، حتى يأتى بالنـص منفصلا عن التحقيق ذاته ، وازاء ذلك الهدف ـ وهو احياء تراث معين •• لايكون مطلوبا من المؤلفأن يستوعب كتابة الآراء الفقهية الأخـرى الا ما تدعو اليه الحاجة ويـبقى بعـد ذلك تقديرنا للجهد العلمى الـذى بـذله المؤلف ، وهو جهد مشكور •••

● **الطلاق فى الاسلام**

تأليف : فضـيلة الشـيخ كمـال أحمد عون

هـذا الـكتيب الـذى نشرته دار النهضة العربية ، يقع فى أكثر من مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف من علماء الأزهر الشريف ، وشيخ معهد المعلمين الأزهرى بطنطا ، وعنوان الكتاب الكامل « الطلاق فى الاسلام محدد ومقيد » فى سبيل حل جذرى لمشكلة الطلاق •• ويبدو من هذا العنوان أن المؤلف يريد أن يقدم جديدا فى مسألة الطلاق •• فهو يقرر أن الطلاق سنى مأذون فيه ، وبدعى غير مأذون فيه وأن مشروعيته للرجل وللمرأة على السـواء ، وان الطـلاق الموصوف بالثلاث فيه خلاف بين الفقهاء

ولقد عرض المؤلف لمسائل التحكيم والاشهاد فى الطلاق ، وطلاق الغضبان وغير ذلك ، والحق أن فضيـلته كان ملتزمابروح الشريعة السمحة ، وآراء العلماء والفقهاء ، وقد دعا فى نهـاية الكتاب الى تدعيم لجنة الأسرة بالكفايا الاسلامية المستنيرة ، وأن ينتفع بجهود

الدارسين من الفقهاء ، ليخرج القانون مشرقا بروح الاسلام ،محققا أمل هذه الأمة الاسلامية فيه •

وبعد ـ فمما لاجدال فيه أنفضيلة الشيخ كمال عون قدم لنا بحثا فقهيا جديرا بكل تقدير فيه من سعة الأفق الملتزمة بروح الشريعة ، وفيه جهد علمى مشكور ••

● أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربى الحديث

تاليف : محمد اسد

كتيب فى بضع عشرة صفحة من القطع الصغير ، نشرته المختار الاسلامى بالقاهرة، والمؤلف مستشرق أوربى أسلم وحسن اسلامه ، وهو مؤلف : الطريق الى مكة ، وهذه الصفحات المعدودة تفوق قيمتها مجلدا ضخما ، وحسب المؤلف أن يكون أوربيا أدرى بما نحن عاجزون عن الدراية به •

لقد أكد المؤلف أن المؤرخين الأوروبيين منذ عهد اليونان والرومان، مالوا الى أن يتبصروا بتاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوربى والتجارب الثقافية والغربية وحدها •• أما تاريخ العالم وثقافاته العديدة •• فلا يعدو أن يكون فى أعين الغربيين تاريخا موسعا للغرب •• كذلك أكد المؤلف أن الحقد الغربى القديم ضد الاسلام ظل ويظل وسيظل قائما بطريقة لا شعورية ، ولا سيما فى زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره فى مخيلة الغربى ••

البحث الموجز جاء على طريقة الحوار •• وما أحوج شبابنا المثقف المسلم الى استيعاب مثل هذا البحث الخطير الشأن ••

● تعطيل الجماعة الاسلامية بالهند :

نشرت مجلة المجتمع الاسلامية التى تصدر بالكويت مقالا ضافيا عن الاجراء التعسفى الذى اتخذته حكومة الهند ضد الجماعة الاسلامية هناك ، حيث حلت الجماعة وصودرت أموالها واعتقل زعماؤها ، ولقد طالبت المجلة بوقفة من أجل هذه المحنة التى أصابت جماعة اسلامية لها شأنها ، ولها تأثيرها فى مجال الدعوة الى الله ، كذلك طالبت المجلة الاسلامية الكويتية بضرورة تكوين هيئة اسلامية عالمية

ذات وزن وهيبة ، تشكل من مجموعة ممتازة من العلماء والدعاة والمحامين والسياسيين، مهمتها الأساسية ، الدفاع عن حريات الاعتقاد والرأى لجميع المسلمين ، ودفع الظلم عنهم •• وأن تكون هذه الهيئة مستقلة تماما عن الحكومات فى التمويل والتوجيه والتحرك ••

ومجلة الأزهر وصوته •• اذ تضم صوتها الى صوت المجلة الاسلامية الشقيقة تسأل الله عز وجل أن يحقق الرجاء •• وأن يكتب للهيئة المرجوة النجاح ••

● **قراءات :**

اسمعوا •• انه سيكون بعدى أمراء فلا تصدقوهم بكذبهم •• ولا تعينوهم على ظلمهم •• فان من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم •• لم يرد على الحوض ••

حديث شريف رواه الطبرانى

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادي

السؤال : محمد على دردير :

ما حكم من أكل ظانا بقاء الليل فتبين له طلوع الفجر وان ما أكله كان بعد الفجر •

الجواب :

ان صيامه باطل وعليه القضاء ولا كفارة عليه •

من السائل نفسه ، هل يصح للانسان أن يكتحل فى رمضان وأن يأخذ الابر •

الجواب :

الكحل فى رمضان لايفسد الصوم ويدل على ذلك قول عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم اكتحل فى رمضان وهو صائم رواه ابن ماجه ويسرى هذا الحكم على ما يستقطر فى العين ـ كالقطرة ـ أو الأذن مالم يصل الى الحلق أو الأنف •

ومثل ذلك غبار الطريق والطحين ولا بأس بالحقنة فى الوريد أو تحت الجلد ولابأس بالطيب •

من السائل نفسه شاب قبل أجنبية فى نهار رمضان بشهوة وأنزل فما حكمه •

الجواب :

يجيب على هذا السؤال فضيلة الأستاذ حسنين مخلوف فيقول لقد أثم هذا الشاب باقترافه هذا المنكر وعليه التوبة منه وصومه فاسد وعليه القضاء دون الكفارة •

السؤال من داود ابراهيم الطير :

رجل ينزف من أنفه ولو بقى أثناءه معتدل القامة يستنفد ذلك منه دما كثيرا ولو استلقى على ظهره حسب نصيحة أهل الخبرة يتسرب الدم الى حلقه فما حكم صومه شرعا •

الجواب :

ويجيب على هذا فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف فيقول سألت طبيبا فاضلا فأخبرني بأن انقطاع النزيف من الأنف لا يتوقف على الاستلقاء على الظهر بل يسكن قطعه باستنشاق الماء البارد في الوضع العادي بدون استلقاء فلا ضرورة تدعو الصائم الى الاستلقاء وقت النزف حتى ينصب الدم في حلقه فيفطر بابتلاعه .

لذلك نفتي السائل بأنه مادام في الامكان علاج النزف باستنشاق الماء البارد لايجوز الالتجاء الى الاستلقاء الذي يفضي الى الافطار فاذا تفاقم الأمر وقرر طبيب حاذق ضرورة اتخاذ وسيلة أخرى للعلاج والانقاذ تؤدي الى الافطار كان هذا الصائم من أرباب الأعذار فيفطر وعليه القضاء والله تعالى أعلم .

من السائل نفسه :

ما حكم الحقنة الشراجية .

الجواب :

يجيب على هذا فضيلة الشيخ حسنين مخلوف فيقول :

ادخال أي مادة سائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء مفطر شرعا باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة اذ الأمعاء من الجوف كالمعدة وسائر الجهاز الهضمي ومايدخل فيه اختيارا مفطر لحديث (الفطر مما دخل) رواه أبو يعلى في مسنده مرفوعا عن عائشة وذكره البخاري تعليقا فقال :

وقال ابن عباس وعكرمة الفطر مما دخل وليس مما خرج والمراد الدخول من المنافذ المعروفة بدلالة العرف .

وقد نص الحنفية على أن من احتقن أفطر ووجب عليه القضاء ولا كفارة عليه في الأصح وفسروا الاحتقان بصب الدواء في الدبر بواسطة الحقنة وبمثله قال الحنابلة كما في المغني والشافعية كما في المجموع والمالكية كما في الشرح الكبير .

وفي المجموع للنووي أن هذه الحقنة مفطرة على المذهب سواء أكانت قليلة أم كثيرة وسواء وصلت الى المعدة أو لا وبه قطع الجمهورونقله

ابن المنذر عن عطاء والثورى وأبى حنيفة وأحمد واسحاق وحكاه البدرى وسائر الأصحاب عن مالك ونقله المتولى عن عامة العلماء .

وأما ابن حزم فقال ان مايدخل الى الجوف من الدبر أو الأحليل أو الأذن أو العين أو الأنف أو من جرح فى البطن او فى الرأس لايفطر وقال اننا ما نهينا عن أن نوصل الى الجوف بغير الأكل والشرب ما لم يحرم علينا ايصاله (يراجع المحلى ص ٢٢٤ جـ ٦ وعليه فالحقن بجميع أنواعها لاتفطر .

السؤال من الفليبين :

تطلع الشمس فى بلاد الفليبين قبل طلوعها بمصر بمقدار ٦ ساعات ولم يثبت رؤية هلال رمضان عندهم فى العام الماضى يوم الأحد فلم يصوموه بل صاموا يوم الاثنين ولكن رؤية الهلال ثبتت فى بعض البلاد الاسلامية يوم الأحد فاختلفوا فيما بينهم هل يجب عليهم قضاء يوم الأحد باعتبار أنه أول شهر رمضان أو لا يجب قضاؤه ويطلبون حكم الله فى ذلك .

الجواب

انه متى ثبتت رؤية هلال رمضان فى بلد اسلامى فقد ثبت الشهر ووجب الصوم على جميع البلاد الاسلامية فمتى وصلهم الخبر عن طريق يطمئنون اليه ولو كان ذلك الطريق هو المذياع لأنه أصبح من الطرق المأمونة فى تبليغ الأخبار فاذا بلغهم الخبر فى وقت لايتمكنون فيه من الصوم بأن بلغهم الخبر نهارا وجب عليهم الامساك بقية هذا اليوم وقضاؤه بعد انتهاء الشهر ومن هذا يعلم الجواب عن السؤال وهو أن شهر رمضان يثبت فى حق الفليبين واعتبر أوله فى العام الماضى يوم الأحد عندهم كبقية البلاد الاسلامية وحينئذ يجب عليهم قضاء هذا اليوم وأما اختلاف المطالع فانه لا يؤثر فى هذا الحكم .

السؤال : ما حكم مذهب مالك ؟

فى ملكية المناجم والمحاجر « الثروات تحت الأرض » وحق ولى الأمر (الوالى) فى التعاقد مع الغير على استغلالها « اعطاء حق الامتياز » الغير (أفراد أو شركات)

الجواب

المعـدن الـذى يوجـد فى باطن الأرض يكون ملكا للدولة مطلقـا سواء كان معـدن ذهب أو فضـة أو غيرهما وسواء عثر عليه فى أرض غير مملوكة كالفيـافى أو فى أرض مملوكة وهذا هو القول المعتمد فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

واذا عثر على كنز من دفين أهل الجاهلية فخمسه لبيت المال والباقى لواجده انوجدهفى أرض غير مملوكة فان وجده فى أرض مملوكة بأحياء أو بارث فمن أحياها فيـكون الباقى بعد الخمس لمـالكها الـذى أحيـاها أو ورثها منه ، وان وجده فى أرض مملوكة بشراء أو هبة فيكون الباقى لمـالكها الأصلى الذى باعهـا أو وهبها .

وأمـا اذا كان الـكنز الـذى عثر عليه دفين مسلم أو ذمى فانه يكون لربه أو وارثه ان علم كل منهمـا ، فان لم يعلم سرى عليه حكم اللقطة بمعنى أن يعرف فان عرف سـلم الى صاحبه والا ردت الى بيت المال .

أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** بيـان فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة شهر رمضان :**

وجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية بمناسبة شهر رمضان المبارك قال فيه :

أيها الأخوة المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .وكل عام وأنتم بخير؛ونرجوالله سبحانه أن يأتى رمضان المقبل وقد تحررت الأراضى الاسلامية من رجس المستعمرين والمغتصبين ، وعاد البيت المقدس الى الطهر والنقاء فى رعاية المسلمين ، وأن المسجد الأقصى الذى باركه الله تعالى وبارك حوله ، وكان أولى القبلتين وثانيه كان مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه كان معراجه ، أن المسجدالأقصى ينادى كل مسلم على ظهر البسيطة ليكون جنديا فى سبيل انقاذه من دنس اليهود المغتصبين ، وأن أرض سيناء الطيبة لتهيب بالمسلمين جميعا أن يهبوا لتطيرها من شرور اليهود وآثام الصهيونيين ، نقول هذا بمناسبة هذا الشهر المبارك ، شهر البطولات والصبر ، استكثروا فيه من أربع خصال :

خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لاغناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : شهادة أن لااله الا الله .. وتستغفرونه ..

وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم عنهما تسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ..

أيها الأخوة المسلمون .. ان الكريم ، وان القرآن الكريم هو دستور الأمة الاسلامية وهو قانونها ، أنه يهدى للتى هى أحسن وأقوى ، وهو الذى أخرج الانسانية التى اتبعته من ظلام الشرك الى نور التوحيد ، وان من أنفس ما وصف به قول سيدنا على : (كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم وهوالذى لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تقضى عجائبه من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) ..

فالى القرآن الكريم أيا الأخوة المؤمنون نهتدى به ونعتصم به فنحظى بمرضاة الله تعالى ونفوز بنصره الدائم ، وندخل فى اطار مفهوم قوله تعالى : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

*** فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر يضع خطة للدعاة فى رمضان :**

قام فضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بوضع خطة لتنسيق توزيع كبار العلماء والدعاة فى شهر رمضان لالقاء المحاضرات الدينية فى جميع الاحتفالات التى أقيمت لاحياء هذا الشهر المبارك .

وتضمنت الخطة سهرات رمضان بالسرادق المقام أمام القصر الجمهورى بعابدين ، ومساجد الجمهورية ووحدات القوات المسلحة ، والجمعيات والمؤسسات الاسلامية .

*** احتفالات العالم الاسلامى بشهر رمضان :**

يحتفل العالم الاسلامى بشهر رمضان المبارك ، ويقيم الأزهر

والوزارات والهيئات والمؤسسات احتفالات دينية لاحيائه ••

كما تقيم جميع محافظات جمهورية مصر العربية احتفالات دينية طوال الشهر بما يتناسب مع جلاله ومكانته •

وتوفد وزارة الأوقاف عدداكبيرا من العلماء والقارئين الى مختلفدول العالم لالقاء المحاضرات الدينية وتلاوة القرآن الكريم ••

تهنئة للأمة العربية والاسلامية بشهر الصوم الكريم ، ودعاء بأن يعيده الله على العرب والمسلمين بالنصر والخير والتوفيق ••

※ كلية مستقلة للدعوة وقسم لتخريج داعيات أسلاميات :

أعلن فضيلة الامام الأكبرالدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى حديث لصحيفة الجمهورية نشرته يوم الجمعة ٧ من رجب ١٣٩٥ هـ ــ ١٨ من يوليو ١٩٧٥ م أنه تقرر :

١ ــ انشاء كلية مستقلة للدعوة ذات منهاج دراسى عال لتخريج دعاة متخصصين يجيدون اللغات الأجنبية وذلك لشغل مناصب الدعوة فىدول آسيا وافريقيا ••

٢ ــ انشاء قسم للدعوة بجامعة البنات لتخريج داعيات اسلاميات فى مجال التثقيف الدينى وتحفيظ القرآن الكريم ••

※ ضم معاهد للأزهر :

أصدر فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر قرارا وزاريا رقم ٢٤٥ لسنة ١٩٧٥ م بضم المعاهد الأزهرية التى سبق وضعها تحت الاشراف الفنى للأزهر وهى :

معهد شبرا الخيمة للبنين ،اعدادى ومعهد الشهداء اعدادى ، ومعهد أبو حماد اعدادى ، ومعهد سمسطا اعدادى ، ومعهد سمالوط اعدادى، ومعهد أبو تيج اعدادى ، ومعهد فتيات أسيوط ثانوى ، ومعهد المنشاة اعدادى ، ومعهد قفط اعدادى ، ومعهد رأس غارب اعدادى ، ومعهد

فتيات شبين الكوم اعدادى وثانوى ومعهد ايتاى البارود اعدادى ، ومعهد بلقاس اعدادى ، ومعهد الفشن اعدادى ، ومعهد فتيات ملوى اعدادى وثانوى ، ومعهد القوصية اعدادى ، ومعهد موط بالوادى الجديد اعدادى ، ومعهد الغيات اعدادى ، ومعهد فتيات نجع حمادى اعدادى .

*** حول قانون الأحوال الشخصية :**

رد الدكتور ابراهيم نجا وكيل جامعة الأزهر على ما أثير حول قانون الأحوال الشخصية فى المؤتمر القومى العام يوم الأربعاء ١٤ من رجب ١٣٩٥ هـ — ٢٤ من يوليو ١٩٧٥ م فقال :

(سيادة الرئيس .. اننا نشكر لسيادتكم افساح المجال لكل من يريد أن يتكلم ، ولكننا نريد أن نضع الأمور فى وضعها الصحيح .. ان شريعة الله قد أوضحت كل الأمور الصحيحة ، وأعطت المرأة حقها وكرمتها تكريما عظيما ، لم تمانع الشريعة فى أن تتعلم المرأة ، لم تمانع الشريعة فى أن تمارس المرأة عملا .. ولكننا نريد منها أن تتمسك بتعاليم الله حرصا على هذا المجتمع الاسلامى الذى من يوم أن تركنا تلك التعاليم بؤنا بالخسران المبين ، ان كتاب الله قد أوضح الحق وأوضح للمرأة حقها .

ماذا تريد المرأة من الرجل ؟ ! أتريد أن تتسلط عليه .. الرجال قوامون على النساء ، ولكن تلك القوامة التى فرضها الله جعلها قائمة على أسس سليمة .. فاذا وجد فى المجتمع بعض المنحرفين الذين لا يريدون للمرأة اعطاء حقها فان ذلك مناف تمام المنافاة لشريعة الاسلام .. ان الاسلام كرم المرأة أعطاها حقها .. ماذا تريد المرأة بعد ذلك ؟! اننا نحتكم الى كتاب الله .. ومن أظلم ممن يبتغى غير حكم الله ، أفحكم الجاهلية يبغون .. اننا نريد أن نرجعها الى الطريق الحق الى الطريق السوى .

وانا نحثكم اليكم أن تتمسكوا بكتاب الله حتى لايضل الناس ولا تزيغ افهامهم •• أنتم مسئولون مسئولية قوية فى هذا الموقف الرائع عن كتاب الله ، والعمل بسنة رسول الله •• وقانون الأحوال الشخصية ان امتنع عن كتاب الله لايسكن أن يوافق عليه أى مسلم ، والله يوفقكم ويسدد خطاكم) •

*** بدل لأئمة المساجد :**

صدر قرار بمنح أئمة المساجد بدل انتقال وملبس ومسكن قدره حوالى عشرة جنيهات اعتبارا من شهر أغسطس عام ١٩٧٥ م

*** مدرسة للقرآن الكريم بجاكرتا :**

تقرر انشاء مدرسة اسلامية متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم فى العاصمة الأندونيسية ،وستكون مدة الدراسة بها ست سنوات •

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٠٠٢-١٩٧٥/١١٢٠٦

strict sense as well as the the political and social ones. While revealing an acceptance of fundamental theological and ethical concepts of Islam, these poems were already extant at the time when Muslims started fighting (after Hijrah) until their final victory in all Arabia. There is a sincere reflection and echo of the battles of Badr, Uhud, the Ditch, and the conquest of Makkah.

So far the main features of the poetry of the Sīrah has been given. We must now explain how far the Sira's poetry is authentic and therefore historically reliable.

Guillaume summarized the criticison of all-Jumahī (d. 231/845) concerning the corruption of poetry on the hands of Ibn Ishaq, and the excuse Ibn Ishaq gave himself that he knew nothing about the poetry he received. He also referred to Ibn al-Nadīm's accusation against Ibn Ishaq that he was party to the fraud. In Guillaume's view "It is more than likely that Ibn Ishaq hmiself was [illegible] that all was not weil with his poetry, for the general practice of writers is to put the verse into the narrative at the crucial moment, as Ibn Ishaq at times does, whereas after the prose account of Badr and Uhud he lumps together a whole collection of verse by various poets".

As we have already seen, Ibn Hisham sometimes paused to suspect the attribution of specific poems or verses to poets. Among those against whom he raised doubts was Ḥassān ibn Thbit whose share of poetry cited in the saīr excelled that of his contemporaries. Ibn Hisham to verify some of the poetry affiliated to Hassan used to ask for the advice of specialists in poetry such as the Basriyan Abu Zayd al-Ansāri Ibn Hishām perhaps for the sake of cutting short the text, did not explain the motives of his rejection or approval of the poetry. It was through a few of his insinuations that some recent scholars found clues to justify their doubts on the authenticity of a position of the Sīra's poetry.

However, contemporary research on some contents of the poetry of the sira has so far led to probable explanations. The findings of M. A. Azzam and Walid Arafat shed some light on the motives of the spuriousness of poetry. According to Azzām : "Between the period covered by the sīra and the editing of the book itself loom the two tragedies of Karbalā, when al-Husayn and his followers were slain in 61 A.H. (680 A.D.), some ten thousand of the Ansār including no less than eighty of the prophets' companions are said to have been put to death. Much of the poetry of the sīra was meant to be read against the background of those tragedies".

(to be continued)

Your opposition to Muhammad's teachings and your

Unbelief in it, which God sees and witnesses,

Your driving God's people from His mosque

So that none can be seen worshipping Him there.

تَعدُّون قَتْلًا فى الحَرامِ عظيمةً

وَأعظم منه لو يرى الرُّشد راشِدُ

صُدُودُكُمْ عَمَّا يقول مُحمدٌ

وكفرٌ بِهِ، والله رَاءٍ وشاهدُ

وإخراجكُمْ من مَسْجِدِ الله أهله

لئلَّا يرى لله فى البيت سَاجِدُ

The poetry of the Sīrah contains some information about the prophetic campaigns. Hassān talked about the Divine help to the Muslims in the battle of Badr. He mentioned with pride the instrumentall role of the Ansar (e.g. Banū al-Aws and Banu al-Najjar) in fighting for the new faith. Two poems which were authored to by Hamzah ibn Abd al-Mūt alib where the number of the Muslims at Badr was put to 300 while the Qurayshites numbered 1000 was rejected by Ibn Hisham. Another number attributed to Ali ibn Abi Talib was also dismssed.

Beside the Muslim poets, Christians and Polytheists are given a place in the Sira. One example for Christian poets is Umayyah ibn Abi al-Salt who mourned the dead of Quraysh at Badr.

The non-Muslim Hind, daughter of Utbah ibn Rabi.aʿh composed four eulogistical poems mourning her father. All except one of which was dismissed by Ibn Hisham as being spurious.

In response to the battles that followed Badr (e.g. Uhud), Hassan and Kab ibn Malik are frequently quoted in the sira. Such Muslim poets composed their poems in refutation of those composed by non-Muslims. The Muslim poems portray the concepts of the hereafter, the punishment in hell and the reward in paradise and laudation of the prophet and his followers. Non-Muslim poems are significantly loaded with tribal ethics such as hospitality, courage, honour etc.

Ḥassān and his son ʿAbd al-Raḥmān are to be given the credit of preserving the names of all the campaigns.

Francesco Gabrieli, commenting on the influence of Islam in poetry in general said that the poems of the spokesmen of the prophet (i.e. Kaʿb ibn Mālikʿ-AbdAllāh ibn Rawaḥah and Hassan ibn Thabit) show clearly the two-pronged character of the religion they defended : the religious aspect in the

Before the mission of the prophet, Ibn Ubayy was going to be crowned a chief of his people, but the coming of Islam caused him to be cast aside and therefore, despite his nobility he reluctantly accepted Islam. The second skoffed at the prophet basing his refusal to convert to Islam on being in a place of honour with his people and on being wealthy. Ka'b ibn Māilk records the attitude of 'Āmir who like Ubayy incurred the title "hypocrite" :

God save me from an evil deed.
Like yours against your clan, O Abda Amr.

You said, I have honour and wealth !

But of old you sold your faith for infidelity.

However, traces of hailing nobility can be seen. For example Abū Qays ibn al-Aslat while requesting Quraysh not to wage war against the prophet and his followers resorted to laudation of its ancestral virtues :

If men were valued, you would be a jewel

The best of the vale is yours in noble pride.

You preserve noble, ancient peoples

Whose genealogy shows no foreign blood.

According to professor Izutzu "the glorious deeds of the tribe are respectfully handed down by word of mouth from father to son, and as they are thus transmitted from generation to generation they go on increasing like a snowball",

The new principles of Islam gradually replaced the pre-Islamic ones ; such replacement was expressed in the same language that tribesmen understood. Instead of tribal solidarity, the need to keep the bonds of relationship within the family was called for. This is clearly seen in a poem composed by Abū Qays ibn Šarmah ibn Anas

My sons, severe not the bonds of kinship

Be generous though they are mean.

The influence of the Qur'ān is unmistakable in this verse and others which the *sīra* shows in different places. It is the Qur'ān which forbade breaking off family relations, and it was the Qur'ān which set the motive behind the concept that being an infidel was to be prohibited rather than fighting in the sacred month of Sha'bān. This is revealed in verses attributed to Abū Bakr (the first Khalīfah) and to Abd Āllah ibn Jaḥsh.

You count war in the holy month a grave matter.

But graver is, if one judges rightly

تدار كت سَعْدًا عنوة فأَخَذتُه

وكان شفاءً لو تداركت منذرا

واو نلته طُلَّت هناك جراحُهُ

وكان حَرِيًّا أن يُهَان وَيُهْدَرَا

I overtook Saʿd and took him by force

It would have been better if I had caught Mundhir.

If I got him his blood would not have to be paid for

He deserves to be humiliated and left unavenged.

Hāssan ibn Thābit, the Khazarjiite, on listening to these verses composed the following poem :

You were not equal to Saʿd and the man Mundhir

When the people's camels were thin.

But for Abū Wahb (my) verses would have passed over

The top of al-Balqā (place in desert) swooping down swiftly.

Do you boast of wearing cotton

When the Nabataeans wear dyed wrappers ?

Be not like a sleeper who dreams that

He is in a town of Caesar or Chosroes.

Don't be like a bereaved mother who

Would not have lost her child had she been wise ;

Nor like the sheep which with her forelegs

Digs the grave she does not desire ;

Nor like the barking dog that sticks out his neck,

Not fearing the arrow of the unseen archer.

He who directs poetry's shafts at us

Is like who sends dates to Khaybar.

From these verses from Ḥassān it can be seen what role poetry played in glorifying the Anṣār not only because of their nearness to early Islam but also on the grounds of courage that they showed in battles and of being powerful. Here Hassān seems to have toned down his panegyeric of noble ancestry and departed from his previous pride at belonging to the kings of the Yaman or the princes of Shām. This attitude might have been caused by those tenets of Islam which dropped the honour of ancestry or wealth and dispensed with good deeds. Furthermore, we find that such nobility is condemned in the case of Ibn Ubayyal-Awfī and abū Āmer the monk.

Ibn Isḥāq them commented on the fourth line by stating that the words "(abābi abi) mean 'no matter' in the Himyari language".

Ibn Hishām used a verse attributed to Abū Tālib (the prophet's uncle) while explaining the Sūrah (Chapter) 93. It reads :

A very accurate measure he has been using in weighing

He himself is his own guard, for he is not (that) fearing.'

بميزانِ قِسْطٍ لا يخس شَعيرَةً
لَهُ شاهد من نفسه غيرُ عائِل

The last underlined word عائل (the fearing) was given an explanation through this view of the verse. Other instances (e.g. the *Sīra* p. 148) might explain a tendency to expand the scope of the *Sīra* in a multiplicity of topics including linguistics.

Prosodic information is given by Ibn Hishām when he cites two hemistiches of *rajaz* attributed to Ru'bah ibn al- Ajjāj. Of the many poems authored by Ḥussān ibn Tbābit(d. 54/673), this verse shows how he traces the genealogy of his people, the Khazraj of the Anṣār to the kings of the Yaman and the Ghassānid princes of Shām (Syria) :

إمّا سألت عنّا . .
فإنّا مَعشَرٌ نُجُبٌ
الأُسْد نَسِبَتَنَا والماء غسّانُ

If you inquire (people) about us

Then, (let it be known) that it is meritorious.

That our genealogy goes up to the Shām and the Yaman.

In the same track, a master whose genealogy goes to Banī al-Najjār and Khazraj (of Anṣār) is praised because he excelled over kings.

The mission of the prophet which was known to the pilgrims and tribesmen found its first support from a group of Khazrajites who belonged to the clan of Banī al-Najjār. They met the prophet at a place called al-Aqabah Having converted to Islam they went to Madīnah and the following year twelve selected representatives of the Anṣār, three of Aws and nine of Khazraj, entered an alliance with the prophet at ʿAqabah. The names of the twelve are preserved in a poem which Ibn Hishām attributed to Kaʿb ibn Mālik

This conversion to Islam was not tolerated by Quraysh. We know from two verses attributed by Ibn ishak to Dirar ibn al-Khattab ibn Mirdas, how Quraysh organized a hunt to capture the twelve, representatives. One was captured. His name was Sad ibn Ubadah. The two verses read :

POETRY IN THE *SIRA* (*Biographical Work on the Prophet*)

By

MUHAMMAD AMIN TAWFIQ

To use poetry in a biographical work on the Prophet Muhammad has raised two major questions First, what this poetry reveals. Sesond, how critics, early and modern, view it as authentic, and historically reliable.

This article endeavors, within its limits, to answer the two questions.

Through out the *sira, poetry* is mainly used for the following purposes :

- To serve as *shahid* (witness) of linguistic and prosodic connotations.
- To confirm genealogies (e.g. of Banī Hāshim and the Anṣār).
- To back the mission of the prophet (e.g. through juxtaposition of Qur'anic verses and poetry ; laudation of those who were converted to Islam and criticism of their foes ; and to preserve and hail the names of the martyrs and the allied chieftains).

It must be noted here that more than one of these reasons can be seen at the same time.

Both Ibn Isḥāq and Ibn Hishām used poetry in a linguistic sense. For example, the first did so while depicting how the family of Tibān took possession of the kingdom ot the Yaman and how a claimant of the throne killed his brother. He cited an anonymous Himyarite saying :

In former generations what eyes have seen

The like of Ḥassān who has been slain !

The princes slew him lest they they should be kept at war.

On the morrow they said "It is naught - " (does not matter)

Your dead was the best of us and your living one

Is lord over us while all of you are lords.

لَاهِ عينا الذى رأى مثل حَسَّا

نَ قتيلًا فى سَالِفِ الأَحقَابِ

قتلته مقاول خشية الحَبْـ

ـسِ غداةً قالوا : لَبابِ لَبابِ

ميتكُمْ خَيْرُنا وَحَيُّكُمْ رَبٌّ

عَلينا وكلكم أَرْبَابى

the Islamic rule. They have not abandoned the lofty principles laid by Islam, of defending virtue, liberties and justice. Nor had they the power to call things by names other than their own, for war was actually and factually in progress and the land of the offenders was actually the land of war unless they had concluded a covenant or a peace treaty.

This denomination, however, did not impede the relations between Muslims and others being based on justice, liberty, and virtue ; the scholars having never mentioned that conuest gave the Musim State, a sovecreignty which was not based on virtue, justice and piety. There was no master and slave in Islam and no victor and manquished but only justice and equity. (to be Continued)

ght more likey, but a reader of the Books of Muslim jurisprudence in the chapters of wars and Expeditions would possible come to the conclusion that they incline to establish war and not peace as the basis of relations. The point arises whether the Books of Jurisprudence have contravened what the Holy Quran has called for and the Prophet's Traditions has pointed to. If such a supposition be correct, could Ibn Taymieh, the most prominent scholar, have reported what the jurists had not said especially that they have called the land of the offenders as the land of war without distinction between the aggressors and the non-aggressors unless there be a charter and a covenant in which case, they would call it the land of covenant ?

The truth is that jurists have divided lands in that way because the nature of things at the time of Al-Idjtihad (deductions by jurists) called for such division. There was no fourth land, the land of those who have abandoned the fight though they were dissidents.

Muslims ever since they have gone out on wars for fear of an invasion of their lands, or the extinction of the light of their religion have been the target of campaigns from every corner of the earth for the Kings would not leave the people of theis Religion at peace to call on men to embrace it. Muslims had therefore to guard themselves against their neighbours, and offered them three alternatives : (a) To conclude a covenant to gain security against aggression, (b) entry into the new religion, or (c) the fight. If such neighbours would not agree to embrace the religion of their free will, and reject the covenant that would ensure the Muslims against the fear of aggression and enable the Muslim call to proceed on its course, they would no doubt be harbouring aggressive intentions, and could not have possibly been left by the Faithful until they have launched their aggression. As Islam's eminent warrior Ali Ben Abi-Taleb has put it "No people invaded on their land escaped humiliation".

It could be agrued that this division by jurists would give the impresson that relations between Muslims and other peoples were governed by war until peace has been concluded. It might also be said that international relations in Islam had been governed by accomplished facts and not by lofty religious ideals. In other terms they were very much like contemporary relations which would justify present-day statesmen in their aggressions.

In reply to this enquiry we would say that what the jurists have adopted of the real facts was only the denomination and not

is) were ye before ; but Allah hath since been gracious unto you", and "So if they hol daloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them".

All these texts embody an unrestricted call for peace and indicate that no adherer to peace should fight even though he belonged to tribes at war with the Prophet. The last-quoted verse was revealed in this sense, referring to those who could not choose whether to fight the Prophet or their people and eventually elected to abandon warfare and keep neutral.

God, therefore, later said. "Ye will find others who desire that they should have security from you, and security from their own folk. So often as they are returned to hostility they are plunged therein. If they keep not aloof from you nor offer you peace nor hold their hands, then take them and kill them wherever ye find them. Against such We have given you a clear warrant".

We have put forward this difference of views in the above context despite the fact that it is more appropriate as an illustration of the motive for warfare and should, as such, have been set out in connection with relations in wartime. The reason for this displacement is that such divergence of views would indicate the basis of the Arabs' relations with other peoples ; it was until a covenant and a charter have been laid, or peace until aggression has been bunched. According to the conception that the motive for war is idolatory, the basis of such relations is war as means of safeguarding the Muslim call, whie the other conception, which ibn Taymieh thought more probable, and attributed to a majority of scholars, the basis of these relations should be peace so long as no attack or aggression is launched, even in the absence of a covenant guaranteeing such peace, consolidating its provisions or regulating its terms.

A review of the Prophet's traditions would show that the Prophet fought only in two cases :

a) An attack on Muslims or the expectation of such an attack in the event of an enemy being noticed to make preparations for aggression on the Muslim community. The Prophet, through his wisdom, could not have waited until his people have been attacked.

b) That the Kings should constitute a bar between him and the Muslim call, and then persecute the Muslims to give up their Faith as the Roman King has done.

We are no doubt in agreement with Ibn Taymieh's assertions and have supported what he thou-

'Yathreb', the Prophet proceeded to a warefare with the idolators in defence of the call of Islam and to prevent the persecution in which they has persisted, and for the Faithful to shelter themselves by the call from the horror of their persecution on the idolators' hands. When the Faithful thought warfare an excessive measure God told them in His Book "Persecution is worse than slaughter"

The Prophet did send an expedition to fight the Romans in Syria only because the Romans persecuted the Faithful to give up their creed. Hercules had ordered the murder of all those of the people of Syria who had embraced the Religion, and war was thus imperative for the defence of the faithful. The Prophet willed it with emphasis that the army be led by Osman ibn Zayd whose father had been killed in the first battle. The Army was despatched at the time of Abu Bakr Al Seddik despite the renegades' tightened pressure, and attempts at besieging the pure city.

The Prophet's companions followed the same example, for they sent armies to the lands of Kisra who tried to commit against the Prophet the same crime as the idolators had attempted before. But God saved the Prophet. The story is that in response to the Prophet's call for Islam, Kisra sent out people to murder Muhammad. It was thus imperative to consolidate the Muhammadan call and to repel this aggression for the Muslims to fight the Persians.

Quranic texts verily support the view quoted by ibn Taymieh as being the opinion of the majority of scholars, for the call for peace is free and unrestricted in the Quran while the texts permitting the warfare are restricted by the exigence of meeting attack with attack. God, calling for peace, sadi "O ye who believe ! come, all of you, into submission (unto Him) ; and follow not the footsteps of the devil. Lo ! he is an open enemy for you".

God also said, "And if they incline to peace, incline thou also to it, and trust in Allah. Lo ! He is the Hearer, the Knower. And if they would deceive thee, then Lo ! Allah is sufficient for thee. He it is who supporteth thee with His help and with the believers, And (as for the believers) hath attuned their hearts. If thou hadst spent all that is in the earth thou couldst not have attuned their hearts, but Allah hath attuned them. Lo ! He is Mighty, Wise" ; and ".. Say not unto one who offereth you peace : "Thou art not a believer", seeking the chance profits of this life (so that ye may despoil him). With Allah are plenteous spoils. Even thus (as he now

RULES OF INTERNATIONAL RELATION IN ISLAM—III

By

(LATE) SHEIKH MOHAMMAD ABU ZAHRA

Basis of Relations between Muslims and other Peoples :

Of fighting, Ibn Taymieh enquired whether war had been prompted by the transgression of the infidels upon Islam, and the desire to repel such aggression or was it motivated by the infidels' infidelity. He said that different views on this matter were held by the scholars for while a school of thought (The majority of scholars) would consider the repelling of the aggression to be the motive, another school attributed to the Shafeis hold the motive to be fighting the infidels because of their infidelity, thus consolidating the Muslim call ; it being the mission of every Muslim to call for Islam so that God's word will always be the highest.

Ibn Taymieh expressed himself in favour of the former view held by the majority and quoted in its confirmation, verses from the Quran, examples from the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's companions. From the Holy Quran he quoted God's words, "Fight in the way of Allah against those who fight against you, but begin not hostilities," And fight them until persecution is no more, and religion is for Allah. But if they desist, then let there be no hostility except against wrongdoers," "And wage war on all the idolators as they are waging war on all of you", "And one who attacketh you, attack him in like manner as he attackethe you, and "If you punish, then punish with the like of that wherewith ye were afflicted. But if ye endure patiently, verily it is better for the patient".

It is derived form the Prophet's tradition that the Prophet called for the religion in peace but was molested and hurt by the idolators. They persecuted the Prophet's companions to coerce them out of the creed they had chosen for themselves. The Prophet held to patience and appeasement, and rendered good counsel to them. When they determined to uproot the religion and to kill the Prophet, he emigrated, but they continued to molest him with hostility. When Islam was eventually established in

of faith to others, becomes a reality for him, and this made possible by the spiritual discipline underlying fasting. He touches neither food nor drink, simply because he believes that it is the commandment of God that he should not do so. In the inner recesses of his house there is none to see him if he pours down his dry and burning throat a glass of water, yet there has developed in him the sense of the Presence of God to such an extent that he would not put a drop of it on his tongue. Not only whenever a new temptation comes before him he overcomes it because just there is an inner voice "God is with me and He sees me". Thus a new consciousness of a higher life, a life above that which is maintained by eating and drinking, has been awakened in him, and this is the highest value established through fasting.

---

the decrease of the harmful activity of intestinal microbes and restricts their secretion of poisons. Doctors always advise their patients to lessen the amount of food and try to reduce their weight. Fasting, as it causes the reduction of the quantity of water in the body, blood, and skin, may be considered one of the important factors in the cure of skin diseases.

Fasting is also useful to increase the mental and intellectual activity of man. Modern science has proved that this activity can be increased by hundreds and man's production in fasting is better than his production with a full stomach. Because eating leads to the rushing of greater quantities of blood to the stomach and to the other parts of the digestive system to help in digestion. This process lessens mental and intellectual activities. It also lessens bodily activity, and this is why the doctors advise us to stop work when the stomach is full. So modern science calls for fasting and clarifies the fact that the good of fasting is not limited to the perfection of the moral character of the man, but it is also one of the most important means of perfection of the individual character. Fasting is one of the means which creates honesty in man's life. The hungry man who sees food and dares not get near it, he finds himself thirsty and leaves water near untouched. It also creats honesty in man, for he fasts with no censorship but his conscience after God, then fasting is an effective means to cultivate honesty and to check the whims of the soul, and to lessen his agitation. And so the Quran calls for fasting to implant many good manners needed by man in life and called for by all educational means and scientificial ways just as overlooking every unlawful or detestable thing; abandoning slander and lying and keeping out o fhearing every hateful thing. Explaining the very purpose of the fasting the Prophet states : "He who renounces not falsehood in speech and work, God needs not from him to leave his food and drink".

The Quran and the sayings of the Prophet stress that the seeking of Divine Pleasure should be the ultimate object in fast. The Prophet says : "fasting is a shield, so the faster should not indulge in foul speech..." He also said : "If it is the fasting day of one of you, he has not to be fussy or excited, and he were insulted or attacked, by anybody, he would have to say "I am fasting". Not the deepest devotion can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting does. The Divine presence which may be a matter

that he is thus taught to conquer his physical desires ; he takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for one month teaches him the lesson that, instead of being the slave of his desires he should be their master, being able to change the course of his life. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom will — power is so developed that he can command himself. The exercise of abstaining from everything that is not allowed, strenghtens the moral side of his life. Fasting accustoms him to face the hardships of life, and increases his powers of resistance. The man who can face the hardships of life, is able to live at times without his usual comforts and can be fit for a healthy social life in all times and climes.

In addition to its social values fasting has many physical values. The rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength by rest. All organs of the body are so made that rest only increases their capacity of work. The better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

Some ignorants have claimed that fasting hinders productive faculties for a month. But by widening the horizons of scientific research in every field it has been proved that fasting aims at the good of both individual and society, not only in its spiritual and moral value but in its physical value. Modern medicine has stated that after the increase that has taken place in the variety of dishes, that a man eats and the diversification of the ways of cookery he should fast completely for a certain period. Some opinion have called for fasting a day in every week, others have limited fasting to a week in every month, but it has been found that the best of these opinions agreed upon is fasting for a month every year.

Some of the world health resorts, in Germany and Switzerland and in other countries have been obliged to prescribe treatment by fasting. In this way science calls for fasting. Medical studies have proved that fasting may be considered as a protection and a form of treatment. It is a protection against diabetes because it helps to prevent increase in weight.

It has been discovered lately that the increase of uric acid in the body causes many dangerous diseases to all the systems of the body. Fasting effectively restricts the increase of uric acid. It is also notable that fasting leads to

movement in the Muslim world. This is due to the specification of a particular month for this institution.

A lunar month has been chosen for fasting because the advantages and disadvantages of the particular season in which it falls are shared by the whole world. A solar month would have given the advantages of shorter days and cooler weather to one part of the world, and burdened the other with the disadvantages of longer days and hotter weather. For these evident reasons, the lunar month is more in consonance with the universal nature for the teachings of Islam ; and all people have the advantages and disadvantages equally distributed.

Referring to the object of fasting the Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب عل الذين من قبلكم لعلكم تتقون » •
(البقرة : ١٨٣)

It means : "O ye who believe ! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that ye may ward off (evil)". (2 : 183).

«...وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون.»
(البقرة : ١٨٤)

It means : "...... and that ye fast is better for your if ye did but know". (2 : 184).

It is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man ascent the spiritual and moral heights. In addition to its spiritual and moral values, fasting as prescribed in Islam has also effective social values. The appearance of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards equality which is not limited to one section or country but affects the Muslims everywhere.

The rich and the poor, the high and the low, the master and the servant, the ruler and the rued, the black and the white, go through a similar experience for a whole month. When the rich are made to feel the pangs of hunger like the poor and go without food for a day, this course undoubtedly awakens sympathy for the poor in the hearts of the rich and thus a great social barrier that exists between the two classes will be removed. It is for this reason that the helping of the poor is especially enjoined in the month of Ramadan. Also this month brings together the Muslims, rich and poor, big and small, in great numbers in the mosques and other places to perform prayers. When they stand shoulder to shoulder, seeking the pleasure of Almighty God, they realise the terms of a healthy social relations and equality. Another aspect of social development of man by fasting is

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FUDA

RAMADAN 1395 | ENGLISH SECTION | SEPTEMBER 1975

SOCIAL AND PHYSICAL VALUES OF FASTING IN RAMADAN

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The institution of fasting in Islam came after the institution of Prayer. It was made obligatory and the month of Ramadan was chosen for this purpose. The practice of fasting has been recognised in all religions, though the forms and motives vary. Islam introduced a new meaning to fasting, as it is made a spiritual, moral and physical discipline of the highest order.

It will be seen from the words of the injunction that laid down in the Holy Quran relating to fasting in the month of Ramadan, that the choice of this particular month for this institution is for evident reasons. The Holy Quran says .

« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (البقرة : ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a Guidance to the people and clear proofs of Guidance and the Distinction; therefore whoever of you witnesses this month, he shall fast therein. (2 : 185) .

It is well-known that the revelation of the Holy Quran first began in the month of Ramadan. As the month which witnessed the beginning of the Great Divine message, Ramadan was considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim community. On the other hand it is due to the choice of a particular month, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. When they witness the tiny crescent of Ramadan they change the course of their daily lives, and there is a great mass

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت {٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦}

الجزء الثامن — السنة السابعة والأربعون — شوال سنة ١٣٩٥هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم



الحياء من الله..

للأستاذ عبد الرحيم فودة

الحياء - كما قيل - تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف مايعاب به . أو يذم بسببه ، وهو دليل على وسمو النفس والحرص على الشرف والكرامة ، ثم هو الى ذلك يحول بين الانسان وبين الاسفاف والهبوط والوقوع فيما فيه مهانة وخزى وازدراء قدر ، فمن يتصور قبح فيها ، ومن يخش أن يظهر كذبه

الفواحش . كالزنا والبخل وينفر منها طبعة . فان الحياء يمنعه من الاقدام عليها . ويردعه عن الوقاع فيها ، ومن يخش أن يظهر كذبه اذا حدث أو ينكشف نفاقه اذا نافق . فان الحياء يمنعه من الكذب والنفاق ، وما يقال فى الكذب والنفاق والفواحش يقال فى غيرها من الرذائل والمنكرات التى تواضع الناس على احتقارها وازدراء أقدار من يقعون فيها

أو يتصفون بها . فان الحياء يمنع منها . ويحول دون الاقدام عليها .

٢ - واذا كان الحياء من الناس يمنع من الوقوع فيما ينكرونه وينفرون منه ويحتقرون من يقع فيه ، فان الحياء من الله يمنع المؤمن به أن يقع فيما يغضبه . أو يرتكب شيئا مما نهاه عنه ، لأنه يشعر بأنه معه حيث كان لايغيب عن علمه مايخفيه وما يبديه ، بل يعلم ما يدور فى الصدور من وساوس وهواجس ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، كما يقول جل شأنه : « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » وكما يقول : «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ، وكما يقول : «يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينماكنتم والله بما تعملون بصير » .

٣ - ومن ثم كان الحياء من الايمان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : الحياءمن الايمان ، وكان من الخير بالمنزلة التى يشير اليها قوله عليه السلام لرجل من الأنصار كان يعظ أخاه : دعه فان الحياء لايأتى الابخير ، فالحياء من الناس يحمل الانسان على احترام ما تعارفوا عليه من عادات صالحة . وتقاليد محمودة ، والحياء من الله يجنبه ارتكاب المآثم والجرائم ، ويباعد بينه وبين المنكرات ، ويسدد خطاه على الطريق الذى شرعه وارتضاه ، ويحقق فى ضميره وشعوره معنى التقوى ، فيتمثل كل ما يأمره به ويتجنب كل ما ينهاه عنه، وينتظم بعمله وخلقه مع المتقين الذين يقول الله فيهم :« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

٤ - وقد قال صلى الله عليه وسلم : واستحيوا من الله حق الحياء . فقيل له : يارسول الله انا نستحى من الله والحمد لله ، فقال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى . وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى . فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء .

ومن ذلك يفهم أن الحياء من الله يثمر سلامة القلب واللسان ، وصحة عمل الجوارح والقوى ، وايثار كل ما فيه الخير والحق ، على كل ما فيه الشر والباطل ، وهذا ما يفهم

من كلمة التقوى فى الاستعمال اللغوى بمعنى جعل النفس فى وقاية ، وفى الاستعمال الشرعى بمعنى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وقد قال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، وقال جل شأنه : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » ، وقال سبحانه : « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

٥ - وليس من الحياء - طبعا وشرعا - الخوف من مواجهة الظالم أو المجرم الآثم بانكار ظلمه وجرمه واثمه ، فذلك جبن واستخذاء لا يعرف قلب المؤمن ، ولا مكان له فى ضمير حر كريم ، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - أشد الناس حياء ، ومع ذلك لم يترك النهى عن منكر . ولا أحجم عن محاربة باطل ، ولا سكت عن تصحيح خطأ أو تقويم انحراف ، بل واجه الدنيا كلها وهى تتألب عليه وتتحزب ضده بما عرف عنه من صدق ايمان وقوة يقين . وشجاعة قلب . وسداد رأى . وقال لعمه - وهو يطلب الرفق به وبقومه - والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته صلى الله عليه وسلم ووفقنا الى اتباع هديه . وجملنا بفضيلة الحياء منه .

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

الأساطير فى بلاء أيوب

رأى الدين فيها

للأستاذ مصطفى الطير

قال الله تعالى : « واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ٤١ ـ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ٤٢ ـ »
الآيات من سورة ص

البيـان

أسرف القصاص فى الحديث عن بلاء أيوب عليه السلام ، دون أن يضـبطوا رواياتهم بميزان التحرى والصـدق فيمـا يروون ، وهم فيما فعلوا تجنوا على الحق ، وافتروا على نبى كريم وأغضبوا الله رب العالمين :

ومن القصص المكـذوبة عليـه ، ماحكاه ابن الأثير الجزرى ، المتوفى سـنة ٦٣٠ هـ ، اذ قال فى تاريخـه (الكامل) ان ابليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله ، فحسـده وسأل الله أن يسلطه عليـه ليفتنه عن دينه ، فسـلطه على مالـه ، فجمـع رؤساء أصـحابه من العفـاريت ، وكان لأيـوب (البثنية) جميعها ـ من أعمال دمشق ـ وكان له فيها ألف شاة برعاتها ، وخمسمائة فدان ، يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال .. الخ فلمـا جمعهم ابليس قـال : ما عنـدكم من القوة والمعرفة ؟ فانى سلطت على مال أيوب ، فقال كل واحـد ما عنده ، فأرسـلهم فأهلكوا ماله ، وأيـوب يحمد الله ولا يفتر فى عبـادة ربـه والشكر له على بلائه فى ماله والصبر عليه .

فسأل ابليس ربه أن يسـلطه على ولـده ، فسـلطه عليهم فأهلك ولده كلهم ، ثم جاءه متمثلا بمعلمه الذى كان يعلمه الحكمـة ، وجعـل يرققه على أولاده الـذين ماتوا ، حتى رق أيوب فبكى ، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه ، فاغتبط ابليس ، وسر من تأثيره عليه الى هذا الحد لكن أيوب ندم لذلك واستغفر الله كثيرا ، فصعدت حفظته بتوبته الى الله تعالى .

قبل ابليس ، فلما لم يرجع أيوب عن عبادته والصبر على بلائه ، سأل ابليس ربه أن يسلطه على جسده ، فسلطه عليه عدا لسانه وقلبه وعقله ، فلم يجعل له عليها سلطانا ، فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده ، وصار أمره الى أن انتثر لحمه ، وامتلأ جسده دودا ، فصبر ، وكان كلما سقطت دودة من جسده ردها اليه وقال : كلى من رزق الله ، وأصابه الجزام وأنتن جسده ، حتى لم يطق أحد أن يشم ريحه ، فأخرجه أهل القرية الى تل من الكناسة خارج البلد ، لا يقربه أحد الا زوجته ، وكانت تختلف اليه بما يصلحه ، فبقى مطروحا على الكناسة سبع سنين ، لا يسأل الله أن يكشف مابه ، وليس على الأرض أكرم منه على الله .

وقيل فى سبب بلائه هذا أن أرض الشام أجدبت ، فأرسل فرعون الى أيوب أن هلم الينا ، فان لك عندنا سعة ، فأقبل بخيله وما شيته وأهله ، فأقطعهم فرعون القطائع ، ثم ان النبى شعيبا ــ عليه السلام ــ دخل الى فرعون فقال : يافرعون : أما تخاف أن يغضب الله غضبة ، فيغضب أهل السماء والأرض لغضبه ، وتغضب البحار والجبال كذلك ــ وأيوب ساكت لا يتكلم ــ فلما خرجا أوحى الله الى أيوب : يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه ، استعد ، للبلاء ، فقال أيوب : أما كنت أكفل اليتيم ، وأحسن الى الغريب ، وأشبع الجائع وأكفت الأرملة ــ أى أضمها الى احسانى ــ فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون : من فعل ذلك ياأيوب ، فأخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال : أنت يارب فأوحى الله اليه : استعد للبلاء ، قال فدينى ، قال : أسلمه لك وأحفظه ، قال : فما أبالى ، ثم قال ابن الأثير : وقيل السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرنا :

ونحن نقول : ان الناظر فى هذه القصة ، يرى أنها تحمل فى طياتها أسباب الحكم عليها بالاختلاق والافتراء ، فهى عديمة السند حتى يمكن الحكم عليها ، كما أن فيها أن الشيطان استأذن الله فى تسليطه على ماله وولده وجسده ، وأن الله تعالى أذن له فى ذلك، وهذا محال ، فانه لا يجوز عقلا أن يسلطه الله على

أجساد أنبيائه وأولادهم وأموالهم ، يقضى فيها وطره من تعذيب وحرمان واهلاك وتشويه أمام الخلائق » في حين أن الله تعالى لم يجعل له سلطانا على بنى آدم الا بالوسوسة ، كما أن الأنبياء معصومون من البلاء المنفر ، كالجذام والبرص والجنون ، ومما يعوق أداء الرسالة على الوجه الأكمل كالعمي والشلل ونحو ذلك .

وأصحاب هذه القصة جهلوا هذا الذى علم من الدين بالضرورة ، وأقاموا بهذا الجهل الدليل الواضح على افترائها » فمن من العقلاء يصدق أن يصيب الله أحد أنبيائه بنتن الجسد وتساقط الدود منه والجذام ، حتى ألقى على تل من الكناسة ، وكيف يعقل أن يستأذن الشيطان ربه فى فتنة نبى فيأذن له ؟ مع أن ابليس ليس بحاجة الى استئذان ، فانه قال لربه حين أبى السجود لأدم «لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » .

ثم انه كيف يستأذن ربه بعد أن طرده الله فيأذن له وهو عليه غضبان ، وكيف يعقل أن يرى أيوب من فرعون معصية ويسكت عن نهيه عنها ، فاذا كان شعيب تمكن من نصح فرعون ، فأيوب لا تمنعه دنياه من أن يؤدى حق الله فى الزجر والتذكير ، ثم كيف يمكث الدود فى جسده سبع سنين فى رواية ، وثمانى عشرة سنة فى أخرى - دون أن يموت - اللهم أن هذا هو البهتان المبين .

ما يقتضيه الدين القيم

ان الدين القيم يقتضى من صاحبه، أن يعتقد فى شأن مرضه أنه كان ابتلاء شديدا من الله تعالى ، وأنه سبحانه لم يسلط ابليس على جسده وولده وماله - كما زعم الزاعمون - وأن مرضه سواء طال أم قصر لم يكن منفرا ، فان الأنبياء معصومون مما يعوق أداء الرسالة على الوجه الأكمل ، كالعمى والصمم والشلل والأمراض المنفرة ، وما زعمه الزاعمون من عمى شعيب لم يثبت ، وما أصاب يعقوب كان غشاوة مؤقته وزالت ، وقد كان قبلها وبعدها وحينها يؤدى رسالته على الوجه الأكمل .

أما ابتلاؤهم بالوسوسة الشيطانية ، فهو قدر مشترك بينهم وبين سائر المكلفين ،قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا

وهم لايفتنون » وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى فى مس الشيطان لأيوب ، وفيما يلى بيان قصته التى أوردها الله فى سورة (ص) •

مس الشيطان لايوب

يقول الله تعالى : « وأذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » أى أذكر قصته للناس ليقتدوا به فى الصبر على البلاء ، واللجوء الى الله بالدعاء، وجاء الشفاء والسلامة من فتن الشيطان التى تعذب ضمير المؤمن •

والمقصود من مس الشيطان لأيوب ، وسوسته له وهو فى مرضه ، بأن بلاءه فوق الاحتمال ، وأن الله تخلى عنه ونسيه ، وأنه لافائدة من عبادته له وهو لايهتم به وغير ذلك •

وغرضه أن يبعثه على الجزع والقنوط من رحمة الله ، بما يكرره من عبارات الاقناط من آن لآخر، وتلك عادته فى الوسوسة التى لايتورع عنها حتى مع الأنبياء ، فقد صح أن الشيطان تفلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة ليقطع صلاته، فأمكنه الله منه وهم أن يربطه فى احدى سوارى المسجد حتى يراه الناس صباحا ، ثم تذكر دعوة أخيه سليمان عليه السلام اذ يقول « وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى » فلم يفعل ورد الله الشيطان خائبا •

وكان أيوب عليه السلام يحس من هذه الوسوسة ومجاهدتها فى مرضه بنصب وعذاب فوق ماهو فيه من المرض الشديد ، فلهذا نادى ربه « أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » ليصرفه عنه ويعينه عليه ، وهذا هو الرأى المرتضى فى تفسير مس الشيطان بالنصب والعذاب •

أما ما قيل من أن النصب والعذاب كانا من وسوسة الشيطان لغيره ، وذلك أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين ، فارتد أحدهم بعد أن عاده، زاعما أنه لو كان نبيا لما أصيب بذلك ، فلما انقطع عن زيارته سأل عنه ، فقيل له انه ارتد وقال ماذكر ، فتألم لذلك وتعذب ، أما هذا القول فلا يعول عليه ، فانه كلام مفترى ولا أصل له ، كما أنه يدور فى ذلك المرض المنفر الذى يستحيل أن يصاب به الأنبياء •

ومثله فى الافتراء ما قيل من أن نفرا من بنى اسرائيل مروا به وهو

ملقى على الكناسة،فقال بعضهم لبعض ما أصابه ذلك الا لذنب عظيم جناه ، وكل ذلك من وسوسة الشيطان ، فعظم عليه ذلك وأصابه التعب والعذاب فقال ما قال :

أيها القارىء الكريم : هذا وأمثاله ماهو الا مفتريات اسرائيلية ،فأعرض عنها ، واحرص على ما ارتضيناه تفسيرا للنص الكريم .

شفاء أيوب

قد علمت أنه عليه السلام لجأ الى ربه شاكيا من تعذيب الشيطان له بالوساوس فى مرضه ، راجيا منه الشفاء حتى لا يجد الشيطان الى اقناطه من رحمة الله سبيلا ، وقد استجاب الله دعاءه فقال له : «اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » فضرب الأرض برجله ، فنبعت عين ماء بارد ، جعل الله تعالى فيه شفاءه اغتسالا وشربا ، فهو ببرودته ومافيه من عناصر العلاج ،ينشط جسده ، ويشفيه اذا اغتسل به وشرب منه .

الانعام عليه بالأولاد

أراد الله تعالى أن يتم نعمته على أيوب جزاء له على صبره ، فجمع له بين الشفاء وهبة الأولاد ، رحمة منه وفضلا ، وفى ذلك يقول الله تعالى « ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب » فالمراد من أهله هنا أولاده ، والمراد من هبتهم له جمعهم بعد تفرق ، أو شفاؤهم من أمراضهم فكأنهم بذلك وهبوا له ، أما احياؤهم بعد موتهم كما قيل ، فلا يساعده النص القرآنى ولا دليل عليه من السنة .

ولم يكتف الله بذلك ، بل رزقه من زوجته بعد الشفاء أولادا مثل من وهبهم الله له منهم ، على أى من الوجهين السابقين ، وكان هذا وذاك رحمة له من الله تعالى ، وتذكيرا لذوى العقول الصافية ، ليصبروا على الشدائد كما صبر ؛ ويلجئوا اليه كما لجأ ، ليفرجها عنهم ويحسن العاقبة لهم كما فعل بأيوب عليه السلام .

الله يفتى أيوب فى يمينه

كان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة ضربة ان شفاه الله،وذلك لأنها ذهبت لحاجة فأبطأت عليه وهو فى أشد الحاجة اليها ، فلما شفاه الله أفتاه سبحانه فى يمينه بقوله : « وخذ

بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب »

والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش أو الحطب أو نحوهما ، ومنه المثل « كان ضغثا على ابالة » أى كان قبضة من الحطب على حزمة كبيرة ، ويضرب للثقل الكبير يوضع عليه ثقل صغير فلا يستطاع حمله .

وفسر ابن عباس الضغث فى الآية بعثكال النخل ـ وهو القنو الذى به الشماريخ .

ومعنى الآية على هذا أن يأخذ أيوب عليه السلام ، قنوا به مائة شمراخ ، فيضرب به امرأته ضربة واحدة ، فان فعل لم يحنث فى يمينه والآية رخصة فى الحدود وغيرها ، ومن استعمالها فى الحدود فى شرعنا ما روى من أن وليدة فى بنى ساعدة حملت من زنى ، فقيل لها : ممن حملت ، فقالت : من فلان المقعد ، فسئل فقال : صدقت ، فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « خذوا عثكولا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة »

قال أصحاب هذا الرأى : لافرق بين مطيق للجلد المتعارف وغير المطيق اذا كان غير محصن ، واشترطوا فيه الايلام وأن يصيب المحدود جميع الأعواد المائة ، وقال ألكيا : ذهب الشافعى وأبو حنيفة وزفر ، الى أن من فعل هذا بر فى يمينه عندهم ، وخالف مالك ورآه خاصا بأيوب عليه السلام ووافقه على رأيه آخرون .

وقد استدل عطاء بالآية على مسألة أخرى ، فقد سأله رجل حلف على زوجته أن لا يكسوها قميصا حتى تقف بعرفة ، فأفتاه بأن يحملها على حمار ويقف بها بعرفة ،فقال الرجل: انما عنيت يوم عرفة،فقال عطاء:أيوب حلف على أن يجلد امرأته مائة جلدة ، أكان يقصد ضربها بالضغث ؟ وقد أمره الله أن يتحلل من يمينه بضربها به ، ثم قال : انما القرآن عبر

واستدل بالآية على جواز الحيلة ، على أن لا يذهب الأخذ بها بحكم آخر ، فمن وهب ماله لآخر قبل أن يحول عليه الحول ، وبعد أن قبض الآخر المال أعاده الى الأول بهبته له فلا ينفعه ذلك فى التخلص من الزكاة بحجة أنه لم يحل عليه الحول وهو

في ملكه،فقد ملكه لآخر أثناء الحول ثم عاد اليه بملك جديد ، فهو لذلك يرى أن يبدأ الحول بالنسبة له بعد عود المال اليه ثانيا بالهبة من المالك الثاني وهذا خطأ ، فان الشارع لايرى في نقل الملك من صاحب المال الأصلي الى آخر الا أنه عملية تهرب من حق الله الذي أوجبه نحو مصارف الزكاة ، فلهذا لا تعفي تلك الحيلة المالك الأصلي من وجوب الزكاة اذا مضى الحول ، وان تخلله هذا التمليك الصوري والله تعالى هو الموفق للصواب .

مصطفى محمد الطير

مما يستحب تعجيله من الأمور

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ياعلي ثلاثا لا تؤخرها ، الصلاة اذا دخل وقتها والجنازة اذا حضرت والأيم اذا وجدت لها كفؤاء أخرجه الترمزى .

أكثر أمور الحياة يستحب فيها التروى والتريث والتدبير والتخطيط واستجماع الفكر والتماس المشورة واستنصاح العقلاء حتى تتوافر لها أسباب النجاح وما أكثر ما دعت الأديان الى التمهل والصبر وما أكثر ما نصح العقلاء والحكماء بالتأنى والتروى والمشورة ، ومن مأثور كلام الامام على رضى الله عنه : الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه . .

ان التقحم على الأمور والعجلة بها مظنة الخطل والزلل ، والانسان في سعة من أمره ما لم يصدر منه فاذا صدر ضاق به الأمر وانغلق دونه باب العذر ، ولم يكن بعد الا أن يتحمل نتائجه ان خيرا فخير وان شرا فشر .

الا أن هناك أمورا استحبت فيها العقول والمروءات ، واستحبت فيها الأديان كذلك الاسراع بها والتعجيل بانجازها انتهازا للفرصة واغتناما للوقت وراحة من الأعباء ، ولقد ذكر حديثنا هذا ثلاثا منها ، أولهما التعجيل بالصلاة اذا دخل وقتها ، لأن في ذلك مبادرة الى الطاعة والامتثال وابراء للذمة وضمانا لأدائها في وقتها وتخفيفا لثقل الانتظار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجلها ويقول لمؤذنه بلال : أرحنا بالصلاة يابلال أى أذن بالصلاة نسترح بأدائها من شغل القلب بها . والمؤخر للصلاة على احتمال أن يفوته وقتها ، فقد

يعرض له من النسيان والشواغل ما يصرفه عنها أو ينسيه أداءها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة فى أول وقتها . ومن أصدق ما قيل خير البر عاجله .

الأمر الثانى من الأمور التى يستحب تعجيلها تجهيز الميت ودفنه ولكن اذا تحقق موته باخبار الطبيب الحاذق أو بظهور العلامات التى تقطع بموته ، فان غم أمر موته لمرضه بمرض تشتبه فيه الغيبوبة بالموت .

فالمستحب تأخير تجهيزه ودفنه حتى يستبين الأمر ويتأكد الموت ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ضحوة ودفن فى جوف الليل من ليلة الأربعاء ولعل سر استحباب هذا التعجيل أنه تخفيف للمصيبة فى الميت على أهله وأحبابه فان منظر الميت مسجى على راحلة الموت أمام نواظرهم منظر رهيب مثير لمشاعر الحزن باعث لشجون الذكريات ، وانه موقف رهيب يصعب احتماله خصوصا على الأرامل والأطفال ، وفى سرعة الدفن راحة ما من هذا الموقف .

ويعجبنى فى هذا الصدد ما أثر عن بعض الحكماء اذ قال : كل شىء يبدو صغيرا ثم يكبر الا الموت فانه يبدو كبيرا ثم يصغر ، هذا الى أن فى تأخير دفن الميت شغلا لبعض الناس عن مهامهم دون جدوى ، وقد ورد فى حديث آخر : اذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به الى قبره .

والأمر الثالث من الأمور التى يستحب فيها التعجيل ، تزويج الأيم اذا وجدت لها كفؤا ، والأيم فى الأصل المرأة التى لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا مطلقة أو متوفى عنها زوجها ولكن غلب استعمالها فى المرأة التى طلقت أوتوفى عنها زوجها والكفء النظير والمساوى ، والكفاءة فى النكاح هى أن يكون الزوج مساويا للمرأة فى حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك ومعنى ماجاء فى الحديث أنه اذا تهيأت فرصة الزواج للأيم بأن طلبها رجل كفء لها ليتزوجها فتستحب المبادرة الى اجابة طلبه واتمام زواجها به ، ولا يحل لوليها أن يقف فى طريقها حائلا دون الزواج لأى سبب من الأسباب ، وهذا حق من الحقوق

التى منحتهاالشريعة الاسلامية للمرأة وكان خطوة فى تحريرها من رقها التى كانت تعانيه فى الجاهلية العربية وغير العربية فلقد كان من عادات العرب ، أنهم كانوا اذا مات الرجل منهم كان أولياؤه أحق بأمرأته ان شاءوا أن يتزوجها بعضهم ، وان شاءوا زوجوها وان شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنهى الله تبارك وتعالى عن ذلك بقوله : « يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » أى لتأخذوا ميراثهن أو ليدفعن اليكم صداقهن اذا أذنتم لهن بالنكاح • قال ابن عباس : وسبب نزول هذه الآية :كان الرجل يرث امرأة ذى قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها ، ومعنى الآية ، لا يحل لكم أن تأخروهن بطريق الارث فتزعمون أنكم أحق بهن من غيركم وتحبسوهن لأنفسهم ، ان حرية المرأة فى اختيار زوجها مظهر من مظاهر انسانيتها ، وقد كانت محرومة منها فى الجاهلية فمنحها الاسلام اياها على أوسع مدى وأوجب استشارتها فى الزواج سواء كانت ثيبا أم بكرا وأعطاها حق فسخ الزواج ان تم دون اذنها وعلى غير رغبتها وفى كتب الفقه تفصيلات وعلل دقيقة للأئمة رضى الله عنهم ، ان فى منح المرأة هذا الحق ـ حق تعجيل زواجها بالكفء معنى اجتماعيا عظيما الى جانب معناه الانسانى ينبثق كلاهما من روح الاسلام فى العناية بالمرأة ووجوب صيانتها والحفاظ على سمعتها وكرامتها فالمرأة الأيم مرت بتجربة الزواج والاستمتاع بالأزواج فهى تحن الى تكرار التجربة واستعادة فترات الاستقرار والهناء ، واحتباس أوليائها لها عن الزواج حرمان من من هذه الفرصة والسيطرة على العواطف لها حدود وقد ينفلت زمام هذه السيطرة فتنحرف وينهار صرح كرامتها وينهار معها الوضع الاجتماعى للأمة ، والمرأة على الدوام مجلبة للانظار وموضع للقيل والقال وخصوصا الأيم فانها فى أغلب الأحيان ضحية للاشاعات الكاذبة والاسراع بتزويج المرأة بالكفء يحقق كل المعانى السامية التى أشرنا اليها •

وقد جاء فى أحاديث أخرى استحباب الاسلام تعجيل أمور أخرى غير ماجاء فى هذا الحديث ، منها التعجيل بأكرام الضيف عند نزوله بالطعام والشراب احتفاء به وتطييبا لخاطره وسدا لجوعه وظمئه فقد يمنعه الحياء أن يستعجل ذلك فندب المضيف الى أن يتولى ذلك استبقاء على حياء الضيف وقضاء لحقوق الضيافة ، ومن ذلك وجوب التعجيل بوفاء الدين اذا أيسر المدين وقدر على الأداء وقد جعل الاسلام التباطؤ فى الأداء ظلما حيث قال : مطل الغنى ظلم يعنى أن تأخر الغنى القادر على الدفع وأداء ما عليه لمستحقه ظلم للمستحق باحتباس حقه وهو حرام وظلم لنفسه بمدافعة صاحب الحق وهو معصية ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

يسر الاسلام وسماحته

للأستاذ منشاوي عثمان عبود

— ٢ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ؛ وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة)

رواه البخارى

تمهيد :

فى المقال السابق شرحنا الكلمات اللغوية للحديث ، وقلنا فى بيان مقاصده :

ان تعاليم الاسلام قامت على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، ورعاية المكلفين ، والترفق بهم ، وأنه ليس فيها ماتضيق به النفوس الزاكية ، أو تحس منه عنتا ورهاقا ، وذكرنا لهذا أمثلة وجيزة .

وفى مقالنا هذا نمضى فى بيان أهداف الحديث ، ونحاول أن نذكر بعض نماذج فى التشريع الاسلامى يتجلى فيها اليسر والسماحة فنقول :

فى هذا الحديث يؤكد لنا صلوات الله وسلامه عليه ما يتميز به الدين من يسر وسهولة ، ويبين أن أى شخص يتعمق فى الدين ، فيترك الرفق ، ويأخذ نفسه بالمشقة لابد أن يضعف ويعجز عن العمل ويغلبه الدين ويقهره ثم رسم عليه الصلاة والسلام منهاجا سويا ، اذا سار عليه الناس أبقوا على انفسهم وتمكنوا من مواصلة العمل ، وظفروا بما يبتغون من مثوبة وجزاء ،

فأمرهم بالتزام السداد ، أى الصواب فى القول والعمل من غير افراط ولا تفريط ،

وقال لهم : قاربوا أى لاتبالغوا ، ولا تغلوا فى العبادة ، ولاتبلغوا النهاية فيها ، بل تقربوا منهـا ، وطلب منهم أن يستبشروا بالثواب على العمل وان قل فـان قليل العمـل مـع المـداومة والاتصال خير وأوفى جزاء من كثيرة مع الانقطاع ،

كما يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم : (أحب الأعمال الى الله تعالى تعالى أدومها وان قل) (١) ــ وحثهم صـلوات الله وسـلامه عليه على أن يستعينوا على العمل بالأوقات المنشـطة له » فيكون شأنهم فى ذلـك شـأن المسافر ، فكما أن المسافر لايواصل السير فى جميع ساعات الليل والنهار، بل يتخير ، منها مايهـون عليه السفر ويعينه على بلوغ غايته، فيسير فترة فى الصباح وفترة فى العشى، وفترة من آخر الليل ، وبعد كل فتره يستريح ليستجم وينشط لـما بعدها ، فكذلك ينبغى لهم أن يسـتعينوا على الأعمـال بالأزمنة الميسرة لها ، والمشجعة عليها ، فان هذا ابلغ فى رعايتهم ، وتمكينهم من المداومـة على العمـل ، واثـارة الشوق اليه والاحسـان فى أدائه ، وعندئذ يستحقون من الله تعالى حسن القبول ، وعظيم المثوبة ، كمـا قـال سبحانه : « ان الـذين آمنو وعملوا الصلحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا » (٢) .

وقـد رأينا أن من المفيد للقارىء الـكريم أن نذكر لـه نمـاذج من التشريع الاسلامى تعلن عما يتمتع به هـذا التشريع من يسر وسـهوله ، ونجتزىء فى ذلك بما يأتى :

١ ــ اذا أصـابت النجاسـة شيئا كالثوب مثلا ، فان الوسيلة المعروفة لتطهيره أن يغسـل بالمـاء الطـاهر ، ويعصر فى كل مرة اذ يتوالى الغسل والعصر تسـتخرج النجـاسـة جزءا فجـزءا حتى ينقى منها الثـوب تماما فيحكم بطهارته .

ولما كانت الأرض المتنجسة لايتأتى عصرها جعل الشارع الحكيم طهارتها حاصـلة بمجرد صـب المـاء الطاهر على موضع النجاسة فيها ،

ولو تأمل الانسـان مايحـدث من ملاقاة المـاء للنجاسة يجد أنها تنتشر

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ،

(٢) سورة الكهف آيه رقم ٣٠ .

وتنبسط رقعتها ، وتتسع مساحتها بعد أن كانت ضيقة ـ فكان مقتضى الظاهر ألاتطهر الأرض بهذا الصب، ولكن الشارع سبحانه حكم بطهارتها بمجرد صب الماء الطاهر عليها تيسيرا على عباده ، وترفقابهم »

واليك الحديث الآتى الذى يثبت هذا الحكم ، ويبين مدى ماكان يأخذ به النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، ويدعوا اليه من الرفق والتيسير ؛

روى البخارى ومسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :

بينما نحن فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء أعرابى ، فقام يبول فى المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال » ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه » ثم قال : ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر » انما هى لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال : فأمر رجلا من القوم ، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه

(اعرابى) هو الذى يسكن البادية ،

(مه مه) مه ، اسم فعل أمر مبنى على السكون بمعناه اكفف ، وفى تكراره تأكيد لطلب الكف .

(لاتزرموه) بضم التاء ، واسكان الزاى ، وكسر الراء ، أى لاتقطعوا عليه بوله ،

(أو كما قال) شك من راوى الحديث » والمراد اما أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قال هذا اللفظ المذكور فى الحديث » أو قال مثله ، وهذا يدل على مدى تحرى الصحابة رضوان الله عليهم للفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ،

(فشنه عليه) بالفاء والشين ، أى صب دلو الماء على مكان بول الأعرابى تطهيرا له وفى رواية أخرى للحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام أعرابى فى المسجد ، فقام اليه الناس ليقعوا به فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(دعوه » واريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء ، فانما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين) .

رواه الجماعة الا مسلما

(ليقعوا به) أى ليزجروه وفى رواية أخرى للبخارى : فزجره الناس .

(أريقوا على بوله) صبوا عليه ؛

(سجلا) السجل بفتح السين وسكون الجيم هو الدلو الملآن ماء ،

(ذنوبا) الذنوب بفتح الذال بمعنى السجل ،

وأخرج أبو داود هذا الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان أعرابيا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فصلى ركعتين ثم قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

(لقد تحجرت واسعا) ثم لم يلبث أن بال فى ناحية المسجد ، فأسرع الناس اليه ،

فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : (انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال : ذنوبا من ماء)

(تحجرت واسعا) ضيقت رحمة الله تعالى وهى أمر متسع فسيح ،

ففى هذه الواقعة دليل على طهارة الأرض المتنجسة بصب الماء عليها ، وأكبر شاهد على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك أقوم نهج ، وأرشد خطة ، وأيسر سبيل ، وأنه وجه لكل من أصحابه والأعرابى أنسب خطاب وأبلغه .

فبالنسبة لأصحابه علم أنهم بادروا الى الانكار على الأعرابى حرصا على طهارة المسجد واحترامه ، وصيانته عن الانجاس والأقذار ، فأقرهم صلوات الله وسلامه عليه على مبدأ الانكار ، لكنه طلب منهم أن يأخذوا أنفسهم بالرفق والتيسير فى انكار المنتهى عنه ، وعلل ذلك بقوله : (فانما بعثتم ميسرين) .

والحكمة فى أنه عليه الصلاة والسلام اسند اليهم — رضوان الله عليهم — البعث بالتيسير — مع أنه هو المبعوث بذلك — أنهم مبلغون عنه فى حضرته وفى غيبته ، فينبغى أن يسيروا على نهجه ، وأن يستووا على صراطه ، وأرشدهم صلوات الله وسلامه عليه الى كيفية التطهير للمكان الذى اصابه البول ،

وبهذا وجه الرسول عليه الصلاة والسلام الى أصل عظيم من أصول الشريعة ،

وهو دفع أعظم المضرتين بتحمل أخفهما ـ تيسيرا على العباد .

لأنه لو قطع على الأعرابى بوله لأضر به وكان يحصل من اقامة هذا الأعرابى من مكانه تنجيس بدنه وثيابه ، ومواضع أخرى من المسجد غير الذى وقع فيه البول أولا ـ فدفع هذا الضرر الكبير بتحمل ضرر قليل : وهو تنجيس جزء ضئيل من المسجد يتسير تطهيره .

وأما بالنسبة للأعرابى فقد عرف أنه ارتكب ما ارتكب بدافع الجهل بما يجب للمسجد من تطهير وحرمه ؛ فطلب الترفق فى معاملته ، وأدرك الأعرابى حسن صنيع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام معه ، فبعد هذا دعاه صلوات الله وسلامه عليه ، وبين له ما يجب للمسجد من طهارة واحترام ؛ وما ينبغى أن يشغل به من أنواع العبادة والطاعة ـ وعندما سمعه قبل ذلك يقول فى دعائه :

اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا ـ بين له أن رحمة الله واسعه ،

وأنه بقوله هنا قد حجرها وضيقها بجعلها قاصرة عليه وعلى محمد ،

فينبغى أن يعمم فى دعائه بها ويطلبها للجميع ، ليكون ذلك أدعى للاجابة ، وأرجى للقبول .

فأى عناية بعد هذا بالمكلفين ، وأى رعاية لمقتضى حالهم ، وأى كلام أبلغ وأنفع فى الدعوة الى التيسير مما وجه اليهم ؟

(يتبع) منشاوى عثمان عبود

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٨ —

لا يشك عاقل فى أن رفض البدهيات الضرورية ، والبراهين القطعية بأعذار سمجة وتشكيكات ملؤها الأفن والعفن ، يمكن أن يكون مرده الى لوثة تنأى بصاحبها عن مجتمع العقلاء الأكياس ، لما يملأ صدره من وحي الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس .

واذا تأملنا موقف ذلك الكتاب المشبوه وانى ليملؤنى الأسى أن أطلق على هذا الهذيان كتابا من حديث تتفق العقول جميعا على شرف غايته ونبل لحمته ، وكريم نسجه وطهر مورده ، ولنعرض أولا ما يقوله ذلك الهاذى قال :

الحديث رقم ٢١ فى خشبة تعبر البحر حتى توصل الدين المالى الى صاحبه مجلد ١ الكتاب ٦ثم يعقب عليه بما سمح له به تفكيره العقيم وفهمه السقيم وخلقه الذميم باعتراضات هكذا .

١ ـ اذا كان النبى قد جاءنا بالقرآن الذى يكلف الدائن والمدين باستحضار الشهود وكتابة الدين قليلا أو كثيرا فكيف يعقل أن يقص علينا قصة رجلين عطلا حكم الله فى التداين على سبيل الترغيب فى الاقتداء بهما مع أن فعلهما كان معصية لله .

٢ ـ تعطيل المدين للأسباب التى علمها الله لخلقه فى الاتصال والمراسلة ، ويكفيه خروجا على الطبيعة أن يرسل المال داخل خشبة ثم يلقى بها فى البحر الى قوله : وذلك عمل لا يصدر الا عن انسان مخبول !!!

٣ ـ قبول هذا الحديث يأخذ بألباب المؤمنين الى مجالات الخبال والتواكل التى تأباه الحشرات .

٤ ـ كيف يتصور والعياذ بالله أن يكون هذا الخبل فى البخارى ولاقوة الا بالله •

٥ ـ كيف نتصور ونحن المؤمنون العقلاء أن تأتينا هذه القصة الخرافية على لسان النبى وهو القائل (اعقلها وتوكل) فهل قائل هذا تعجبه قصة ذلك الرجل الأبله الذى وضع المال فى خشبة وألقى بها فى البحر ـ ثم ننزه القلم عن نقل ماطفح به سوء الأدب وطيش الخلق ورعونته ثم يختم كلامه هكذا :

والحق أن هـذا الحديث دخيل اسرائيلى على كلام النبى صلى الله عليه وسلم وانا لرافضوه !!! اهـ ولندع هذا الهراء جانبا لنأتى الى صحيح البخارى نفعنا الله ببركاته ولو كره الذين فى قلوبهم زيغ فجاء هكذا :

باب الكفالة فى القرض والديون بالأبدان وغيرها • وقال أبو الزناد عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى عن أبيـه أن عمر رضى الله عنه بعثه مصدقا فوقع رجل على جارية امرأته فأخذ حمـزة من الرجـل كفيـلا قدم على عمر وكان عمر قد جلده مائة جلدة فصـدقهم وعذره بالجهالة وقـال جـرير والأشعث لعبد الله بن مسـعود فى المـرتدين : استتبهم وكفلهم فتابوا وكفـلهم عشائرهم • وقال حماد : اذا تكفل بنفس فمات فلا شىء عليه •

وقال الحكم : يضمن • قال أبو عبد الله وقال الليث : حـدثنى جعفر ابن ربيعه عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبى هـريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجـلا من بنى اسرائيل سـأل بعض بنى اسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتنى بالشهداء أشـهدهم فقال : كفى بالله شهيدا قال : فائتنى بالكفيل قال : كفى بالله كفيلا قال : صـدقت ، فـدفعها اليـه الى أجـل مسـمى ، فخـرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليـه للأجل الذى أجله فلم يجـد مركبا ، فأخذ خشـبة فنقرها فأدخل فيهـا ألف دينـار وصحيفة منه الى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها الى البحر فقال : اللهم انك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا فرضى

بك وسألني شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا فرضي بك ، واني جهدت أن أجد مركبا أبعث اليه الذي له فلم أقدر واني أستودعكها ، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده فخرج الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فاذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا،فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله مازلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال : هل كنت بعثت الى بشيء ؟ قال : أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه قال : فان الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة . فانصرف بالألف الدينار راشدا » أهـ .

وبالنظرة لأول وهلة يسترعينا أن الحديث ضمن مجموعة من الأخبار المعلقة وهو منها ـ أعني من حيث كونه معلقا ـ لأن قوله : قال أبو عبد الله يعني محمد بن اسماعيل البخاري : وقال الليث : حدثني الى آخره . والليث هنا هو ابن سعد وهو من شيوخ شيوخ البخاري.وأخرجه أحمد موصولا هكذا قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل « حدثني أبي حدثنا يونس ابن محمد حدثنا ليث يعني ابن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن ابن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وساق الحديث بالنص الذي ساقه البخاري . وقدساق البخاري الحديث مختصرا في الاستقراض واللقطة والاستئذان والشروط والبيع والزكاة .

ولنجعل كلامنا لمن يعنيهم الحق ونشدان الصواب ويرجون تجارة لن تبور لا المتطرفين والمتهكمين وأصحاب الجهل المركب :

ان البخاري بذكائه وفطنته ـ لا بخبله كما تقيأ هذا الدعي ووصف من يفعل هكذا بالخبل ـ أقول بذكائه وفطنته ساق أقوالا معلقة في صدر الترجمة وختم هذه المعلقات بهذا الحديث للعبرة والموعظة وكما قلنا أورده أحمد موصولا وبين أحمد والليث بن سعد : يونس بن محمد والليث شيخ شيوخ البخاري اذ بينه وبين البخاري أمثال قتيبة بن سعيد ويحيى بن بكير وعبد الله بن صالح

فهـو هنا من معلقاته ، وان كان قـد وصـله أبو ذر عن المستملى فقـال : حدثنى عبد الله بن صالحوحيث ان البخارى أورده معلقا بصيغة التوكيد بقول (وقال الليث) فانه فى حكم المتصل كما هو معروف من هذا العلم ثم نأتى الى مادة الحـديث فان رجلا أراد استسلاف ألف دينـار وظاهر القصـة أنه كان على سـفر بدلالة المفهوم ، وتعذر على هذا المستقرض أن يحضر كفيلا كما تعذر عليهما أن يحضرا شـهودا وهذه أمـور طبيعية يحتمل وقوعها فى كل يوم وفى كل ساعة لعدم وجود من يعرفهما حيث كانا ، ويبدو أيضا من سياق الواقعة أنهمـا كانا على درجـة عاليـة من الـورع ، فكلمـا طلب المقرض من المستقرض وثيقة تعذر عليه احضارها ذكر الله تعالى والله تبارك وتعالى يقول: (أليس الله بكاف عبده) وقال تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقد اطمأن المقرض ولا حرج عليه .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الوثيقة أمر اختيارى وليست شرطا فى صحة عقد القرض ولا ركنا ولا فرضا ، وانما جىء بها فى القرآن على سبيل الارشاد والى أفضل وجوه التعاقد ؟

ولكن القرض لا يكون باطلا اذا وقع بغير اشهاد أو بغـير كتابة . وأنـواع البينة كثيرة فالاقرار بينة واليمين بينة وقرائن الأحـوال بينة وراجـع ان شئت اعلام الموقعين عن رب العالمين للامام ابن قيم الجوزية .

فلمـا أعـطى المقرض الألف الى المستقرض راضيا بالله كفيلا وراضيا بالله شـهيدا مع العلم بأن العقد الى أجل مسـمى ، فأركان القرض تامـة من مقرض ومسـتقرض وأجل مسـمى وقدر الدين وايجاب وقبول وشاهد وكفيل رضيا به وهو الله تعالى ، ولو لم يكن هناك شاهد ولا كفيل لمـا كان العقد باطلا ، وطرفا العقد من ذوى الأهلية وجواز التصرف .

فلما حل الموعد ذهب المدين الى الشـاطىء يلتمس سـفينة توصله الى الشـاطىء الآخـر ليذهب الى الرجل ليوفى له دينه ، فلما لم يجد سفينة لعلـه خشى أن يعـود بالمـال فيدركه أجله أو يسرع اليه أذى فيكون قد أضاع دين الرجل ، ولمـا روى من (أن المسافر وماله لعلى قلت) بفتح القافة والـلام أى على خطر ، فجـاء بخشـبة كبيرة ونقرها فأحدث فيهـا

فجوة تتسع للألف دينار ذهبا ، فكأنها فى هيئتها وكبرها مع وزن الذهب فى حشـوتها أسباب معقـولة لتتبعها فى البحـر والعثور عليها والاهتداء الى صاحبه ، لاسيما اذا وضع مع الذهب صحيفة ، مكتوبة باسم الدائن ، وأن هذا حقه فى ذمة المدين .

وفى الموعد المضروب والمكان المعين خرج الدائن ينتظر صاحبه يوفيـه ويبر بعدته ، ولعله يحدث نفسه بهذا الذى هتف بالله كفيـلا ، وهتف به شهيدا ، هل هو على درجة من الوفاء والولاء تتفق مع شرف هذه الكفالة ، وبينما هو يصوب بصره الى بعيد اذا به يبصر جسما عائما تتقاذفه الأمواج الى الشاطىء فى وقت أحس فيه بالبرد القارس ، وأن هذه الكتلة الخشبية كفيلة اذا نشرها أن توفر لحظات من الـدفء لـه ولأهلـه ، فلينشرها جذاذات .

فلما حملها الى بيته وأجرى المنشار فى أجزائها حتى وصل الى التجويف الذى فيه المـال والصـحيفة وقرأها وعد المـال فوجده حيث المقدار الذى له فى ذمة صاحبه .

أما المستقرض فانه لم يجعل هذا الطريق وحده سبيلا الى الوفاء وانما سعى الى الوفاء يدا بيد بعدأن وكل أمر هذه الخشبة الى الله تعالى الذى هتف باسـمه عند التعـاقد ، ووجد سفينة توصله الى حيث يكون الدائن ، وأخذ معه ألفا أخرى ، وهو فى هذا يأخذ بأسباب كثيرة ، منها متابعة الكتلة التى تتقاذفها الأمـواج ، فاذا ندت عنه ولم يصبها الدائن كان هو قد حضر الى الدائن معتذرا عن تأخيره بعدم توفر السفن القادمة الى محلة الدائن ، فلما وجد الدائن دينه والصحيفة ، وعرف أن المـال ماله لم يقبل أن يأخذ الألف مرة أخرى ، وانقلب الرجل بألفه الأخرى الى أهله موفور الكرامة عامر الذمـة شريف النحيزة نبيل المنقبـة فـلا خبل الا فى عقل هـذا الغبى ، ولا واجبا متروكا الا فى عرف من لم يشم رائحة العلم بالاسلام .

ولقد بلغ مثـل هـؤلاء الأدعيـاء الاسـلام كاشاعة فذهبوا يركلـونها بالأقـدام ، وينطحـونها بالقـرون ، والجنون فنون .

أما قـول صـاحب ذلك الكتـاب (وانا لرافضـوه) يعنى الحـديث الشريف ومعذرة اذا لم أجد ترجمة دقيقـة للـكلمة التـركيـة (طظ) ونستغفر الله العظيم •

وقد يتوهم أن أسبابا مشروعة قد حيد عنها أو وسائل أحكم وأسلم من هذه قد عزف عنها المتداينان ولكن المعن لا يجـد أمثل ولا أسلم ولا أحكم مما وقع (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) •

محمد نجيب المطيعى

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٩ —

كانت الملامح الواضحة في الروح الاسلامية التي برزت في كثير من المناسبات في شعر شوقي أنه يربط بين الاسلام وأشياء أخرى يرى هو أنها تمكن له ، وترعاه من عوادي القلق والاضطراب . وأنها بالتالي لابد منها لصونه وحفظه ، ورسوخ قدمه ، وتأكيد سلطانه ، وعلو منزلته ، ودوى صوته وامتداد ظله في الأرض فلا يقصر في الحديث عنها والتنويه بها ، والحث على أن يكون لها مزيد من العناية والاهتمام ... واذا كان هذا الدين قد حمله الى البشرية بلسان عربي مبين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وكان من دعائمه التي قام عليها ذلك البيان الذي بهر به العرب. وتحدى به قومه ، وسحر به أساطين البلاغة والفصاحة ، فهو لا ينسى أن يفي هذه اللغة حقها من الاجلال والاحترام ، وأن يكيل لها من الثناء ما يتناسب مع هذا الجهد العظيم الذي قامت به في التنويه بهذا الدين ؛ والاعلان عنه ؛ والتعريف به . حتى غزا الضمائر والأفئدة ، وجعل الناس يتحدثون عنه ، ويفكرون فيه .. وعلى اعتبار أن الجزيرة كانت هي الوعاء الذي احتوى الدعوة والهداية ، وشرفت بهذا الاختيار ، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، لأن الرسالة نبتت فيها ، وترعرعت بين جنباتها ، يذكر أهلها بما هم أهل له من الكرم والشجاعة ، والبر والخير ، والاقدام والبطولة ، والوفاء والحق ، والانسانية والنجدة ، ويشيد بتاريخهم المملوء بالأمجاد والمفاخر ، وأرضهم التي أنبتت الأبطال والفاتحين ، وبيتهم الحرام الذي كان مثابة للناس وأمنا . وقد شاءت الأقدار أن يبارح وطنه نزولا على رغبة الغاصب ابان الحرب العالمية الكبرى — كما يقولون — وأن ينفي الى الأندلس وهنالك

خطر له أن تتملك أفكاره وهواجسه هذه المعانى كلها ، وأن تسيطر على ذهنه وتستبد به تلك الأحاسيس فلم يشأ أن يتركها تمر به مرور العابر،أو تطوف برأسه كما تطوف أضغاث الأحلام . وحينئذ صحت عزيمته هذه على أن تكون كتابا بعنوان « دول العرب وعظماء الاسلام» وكان البحر الذى سبح فيه أو اغترف منه وهو الرجز الذى يفزع اليه المؤلفون للعلوم ، والناظمون لقواعد الفنون ، كصاحب متن السلم فى المنطق ، وابن مالك فى ألفيته وهكذا — ويظهر من ابتداء هذا الكتاب أنه أراد به فى هذه الغربة أن يكون رياضة للنفس ، وقتلا للوقت ، ونسيانا للهموم والآلام ؛ الى جانب كونه اشباعا لرغبة تلح عليه؛ وميل يستهويه ، ونزعة تقيمه وتقعده ، ومن تلك العناوين البارزة فى دول العرب وعظماء الأسلام ، لغة العرب ، التاريخ ، الوطن ، البيت الحرام ، السيرة النبوية الشريفة ؛ الخلفاء الراشدون ، خلافة أبى بكر ؛ خلافة عمر ، وخالد بن الوليد ، مقتل عمر ، خلافة عثمان بن عفان .

أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، معاوية ، عمرو بن العاصى ، خالد بن الوليد ، دولة بنى أمية ، صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، خلافة عبد الله ابن الزبير ، موت ابراهيم الامام والبيعة لأخية السفاح وأبو مسلم الخراسانى ، الدولة العباسية أبو جعفر المنصور ، دولة الفاطميين ومثل هذا اللون من الشعر دأب الناس على تسميته بالنظم ، وضنوا عليه باسم الشعر ، وربما قالوا هو شعر علمى أو تعليمى ، لأن وظيفته لا تعدو بيان الحقيقة العارية ، والقاعدة البحتة ، والمسائل المجردة ، فلا تدخل فيه روعة الخيال ، ولا الدقة فى التصوير ؛ ولا جمال الصياغة ، ولا اختيار الألفاظ ، ولا هندسة البناء ولاحسن التأليف ، ولا التحليق فى سماء البيان ، ومع هذا كله فانه كان شاعرا بكل ماتحتمل الكلمة من معنى ، لم يترك القارىء يعيش فى الأدغال والأحراش والغابات والجبال والصحارى والفيافى ، وانما جعله يتنقل فى مراتع الحسن ، ومراتع الجمال ، ومجالى السحر والروعة ، بما يضفيه على الكلام من ألوان الفتنة الأخاذة ؛ والابداع الخلاب ، والحسن الفياض، وحين يكون للمؤلفين مقدمات يصدورن بها المؤلفات ، أو يذكرون

فيها العلة الباعثة على التأليف ، أو الغرض المرجو منه ، لا يفوته هو — كذلك — أن يستن سنتهم ، ويجرى فى مضمارهم ، ويسلك منهجهم ، بادئاً ذلك بحمد الله والصلاة والسلام على أفضل خلقه صلى الله عليه وسلم

من بلغت أمته به الأرب
ورفعت همته ذكر العرب

صلى عليه الله فى سمائه
وعرشه السابح فى أسمائه

وجعل الجنة من رحابه
وزفها لمحسنى أصحابه

خلائف الحق أئمة الهدى
الرافعين بعده ما مهدا

الفاتحين بالقنا للحق
المنقذين من قيود الرق

وبعد فاسمع يابنى وافهم
لاتأخذ الأمور بالتوهم

لما رمى الله بهذى الحرب
على بنى الشرق وأهل الغرب

لحكمة يعلمها تعالى
يملأ من أسرارها الأفعالا

يبرزها غدا من الخباء
ان غدا يأتيك بالأنباء

تحركت سواكن الأقدار
واطردت عوامل الأكدار

وحكم الله بهجرة الوطن
وطالما ابتلى بها أهل الفطن

فكنت استمدى على الهموم
بنات فكر ليس بالملموم

استدفع الفراغ والعطاله
وبطل من يقتل البطالة

حتى أراد الله أن نظمت
من سير الرجال ما استعظمت

والذى يلفت النظر فى هذا النظم الذى يصدر عن أمير الشعراء السهولة وعدم التكلف ،

وأنه كان يتعمد المجىء بالألفاظ التى يتوهم الناس عاميتها وعدم انتمائها الى الفصحى ليبرهن بذلك على أنها من صميم العربية ، وذلك مثل كلمة « العطالة » بمعنى العطل الخلو من العمل ، كما يلفت النظر — كذلك أنه وهو يسوق اليك هذا الكلام الذى يخيل اليك لعدم الاحتفال به والعناية بشأنه ، كأنما يشافهك به فى سمر عادى ، أن الحكمة تسرب اليه ، والمثل الرائع يطغى عليه ، فلا

تدرى أأنت أمام قصاص بارع ، أم متحدث لبق ، أم حاك ماهر ، أم حكيم يجيد ارسال الأمثال ، وسوق المواعظ . وربما كان يقصد الى ذلك كله قصدا ليغرى القارىء بالارتباط به ، والأخذ منه ، والمتابعة له ، بما يذلله له من السير ويسهله عليه من المعاناة ، ويضاعفه له من المغريات « فالبحر هو الرجز الذى كانت العرب تحدو به الابل فى الصحراء بما تنغمه لها من غناء ، وتردده من موسيقى ، وتملأ به أسماعها من أصداء ، ومع كونه على هذا الوزن يجعله مرسلا من غير روى يلتزم به ، ليكون أدخل فى السلاسة ، وأقرب الى الفطرة ، وأشد شبها بالحديث الذى لايرتبط بالحدود والقيود ، غير أنه وهوذلك الشاعر الضخم ربماظن بعض الناس أنه يعلن افلاسه فى هذا الميدان بالتزامه السير على هذا الوزن ، أو نظمه على هذا البحر ، ولذلك نراه فى دفعه عن نفسه هذه الشبهة ، ورده لذلك الاعتراض ، تبدو عليه عبقرية الموهوبين ، وفلسفة الحكماء ، ودهاء الأذكياء ، ولباقة الأساتذة الكبار الذين ، لا يقنعهم أنهم يفحمون خصومهم ، ويسدون عليهم منافذ السبل ، وانما يزيدون على ذلك كله أنهم يستلون منهم الاعجاب بهم والاحترام لهم ، والاغتباط لهذا المنطق الذى ألهمهم الله اياه ، وجبلهم به ، وطبعهم عليه .

واخترت بحرا واسعا من الرجز ... قد زعموه مركبا لمن عجز

يرون رأيا وأرى خلافه ... الكأس لا تقوم السلافة

وقيمة اللؤلؤ فى النحور ... بنفسه وليس بالبحور

وأنت لاتتردد فى قبول هذا المنطق والاذعان له ، والنزول على ارادته ، والاعجاب به ، والتسليم بما ينادى به من أن الجمال فى الجوهر لا فى المظهر . وفى الحقائق لا فى الظلال « لأن الخمر لاتخلع عليها الكأس شيئا من الجودة أو الرداءة ، أو الطعم والمذاق ، والحسن والقبح . وقيمة اللؤلؤ فى النحور أنه لؤلؤ لا أنه من بحر خاص ، أو جهة بعينها » وهكذا كان الرجل يصعد الى القمم فلا يرضى بالسفوح ، ولا ينزل الى مستوى الفلول المهزومة ؟ والشخصيات الهذيلة » وهو ذلك الذى يجلس على عرش من البيان « لم يلحقه فيه لاحق ، ولم يسبقه

سابق ، ونحن نرى من مسيرتنا معه، ومعايشتنا له ، وتقصينا لآثاره هنا وهنالك ، ودراستنا لكل ما خلفه من شعر أو نثر أنه كان دائم الاعتزاز بالضاد اعتزازا لا يكتفى معه بمحصوله منها ، وفقهه لها » وانما كان يرى أنها التراث الذى جمل الله به العرب وساعدهم به على أن تدين لهم الأرض ، وتنقاد اليهم الدنيا ،ويفتحوا به القلوب .

تبارك الرحمان ذو الاحسان
مميز الانسان باللسان

لولاه لم ينهض بسائر النعم
ولا عدا فى الأرض سائر النعم

فهو أداة العلم والبيان
وهيكل الحكمة والأديان

ومفجر الفكر والاختراع
ومستقى اللهاة واليراع

ومسكة العمران بين الناس
على العصور وعلى الأجناس

رب لسان جمع الأقواما
وكان كالجنس لهم قواما

ورب شعب نال مجدا باللغة
لم يبلغ الأقوام فيه مبلغه

وكانت له فى ظلها حضارة
رفت نعيما وبرت نضارة

لسانك الأول فى الكتاب
ولغة الصبوة والعتاب

فخض عباب فقهه وسره
وغص على صحيحة وجره

لا ترض منه مبلغ الرعاع
وحصة الأعمى من الشعاع

وامش بأبواب الكتاب تهتد
وقف بأبواب الحديث واجتد

هما هما القالب فيه يفرغ
ومعدن الحسن الذى لايفرغ

وقد كنا دائما أبدا نعلن أنه يحب التاريخ ، وتروعه منه أحداثه ، ويعجبه منه أنه يلعب بأهواء الناس ، ويقلب للشعوب والدول ، كما يقلب لاعب الشطرنج بأحجاره بين يديه ، فلا يترك عاليا يحتل القمم ، ولا وضيعا ينزوى فى السفح ، ولا غالبا يستبد ، ولا مغلوبا يعانى آلام القهقرى والانهزام ، وانما يدور فى فصول الرواية ، ومشاهد التمثيلية ، بما يعطى للناس من الدروس والمواعظ مالايجدونه فى صدور الحكماء ولا رؤوس الفلاسفة ، ولا بطون الكتب، وهذا هو السر فى أنه كان كثيرا

مايتحدث عنه ، ويبالغ فى التنوية به، والاستفادة منه •

سبحانه قص حديث آدم
على تنائى العهد والتقادم
ورفع التاريخ أعلى منزله
بنصه فى كتبه المنزله
بين الأنا جيل علت أصوله
وفى الحواميم غلت فصــوله
ألم يك التاريخ ظل العالم
وأقدم الأعلام والمعالم
توهم الخلد به الأوائل
وظن أن نال البقاء الزائل

فاللغــة والتــاريخ والوطن عنــده مقدسات تثور نفسه لهــا ، وتشــتد غيرته عليها ، وينبرى لسانه للــدفاع عنها لأن اللغة أداة المعرفة ، ووسيلة البيان ، وترجمــان الفكر ، والوطن الذى أقلته أرضه ، وأظلته سماؤه ، وامتــلأت رئتــاه بهــوائه ودرجت عليه طفولته ، وترعرت فى أحضــانه آماله وآلامه ، وذكرياته وخواطره ، وأحلامــه وأمانيــه ، يحن اليه كما تحن الابل الى أعطانها ، لا ينسى له أياديه عليه ،ولا منته عنده ، وحديثه عنه لا يكون حديثا عن بناء شامخ ، أو جدار قائـم ، أو قصــور تناطـح الجوزاء وتملأ أجواز الفضاء ، وانما هو حديث عن مفاخر تتحدى الزمن وتغالب الأيام ، وتضيف الى رصـيد أبنــائهــا من المــكارم ، وتراثها من الأمجاد ، ما تطاول به الناس ، وتباهى به الأمم ، وتتقدم الصفوف فى زحام المكاثرين ، ولا يعنيــه بعد هذا وهذا من حديثه عن تلك الكلمــات ، أو أو ذكــره لتلك العنــاوين ، الا أن تكون وسيلة الى غرض يهــدف اليه ، أو غاية يحاولها ، أو قصــد تنتهى مسيرته عنده ، ولكنه يجعله مدخــلا الى فضاء واسع يرجو أن يعيش فيه هو وغيره ، ساكن الجأش ، هادىء القلب ، طيب الخاطر ، قرير العين ، سـعيد النفس ، لاتذلــه المطــامع ، ولا تتحكم فيه الأهواء ، ولا تخضعه الســيطرة ، ولا يشتريه المــال ، ولا يستبد به الطيش ، هذا الفضــاء هو الاســلام ، الــذى يســوى بـين الأفراد ، ويعــدل بـين الجماعات ، ويجلب الخير للأمــم ، ويرفــع عن الناس غشاوة الجهل ويأخذ منه كل

انسان نصيبه من ابر ، **وقسطه من اليمن** ، **وحظه من النور**

وانجز الله النبي وعده
وساد قومه الزمان بعده

فورثوا قيصر في المشارق
وأخذوا الغرب بسيف طارق

وأمنوا الأمصار فاتحينا
وعدلوا فى العالمين حينا

وهكذا ونحن نتصفح هذا الكتاب – على الرغم من ضآلة حجمه ، وقلة صفحاته – نرى **كل موضوع منه** ، يصلح – وحده – لأن يكون كتابا جليلا ، يتحدث فيه عن مجد الاسلام ، وصفحاته النقية ، وقضاياه التى جانبت التحيف ، **وبرئت من نقيصة الظلم** ، وأمراض الهوى والميل ، والعلة أو الغاية ، وهو الدين الذى صلحت به البشرية ، وتحررت به الانسانية ، وازدهرت به الحضارة ، وتقدم به الناس وضمنوا به لأنفسهم وأهليهم الفوز والنجاح ، والسعادة والخير ، والهدوء والاستقرار ، والنجاة من عذاب يوم القيامة ؟

دكتور / ابراهيم على أبو الخشب

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

القرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على اخلاص العبادة لله والتقرب اليه فحسب ، وانما هو الى جانب ذلك وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه ، دستور من أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية فى تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى السليم كما يقول الله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وكما يقول « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ..

وكما نظم الاسلام كافة أمور الحياة دنيا ودينا فقد عالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ووضع خير المناهج لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وآدابها وقوانينها •

فالعسكرية الاسلامية تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ، وكانت هى درعها الواقية ، وأدى تطبيقها بمعرفة الأوائل الى اقامة امبراطورية اسلامية امتدت خلال مائة عام من سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا •

وقد كان للمسلمين الأوائل تاريخ مجيد سطروه بدماء شهدائهم ومجاهديهم ولا تزال صفحاته لألاءة تزخر بكل أحداث العز والفخار ، ولولا جهاد أولئك واسترخاصهم المال والولد والنفس فى سبيل الله لتغير وجه التاريخ ، ولبقيت شعوب العالم حتى الآن فى ذل وتخلف وهوان ، ولولا أن باع المسلمون

الأولون أنفسهم لله فى سبيل جنة عرضها السموات والأرض لتخلفت مواكب الحضارة الحديثة ومدنيتها الزاهية ، عن البروز على هذا الطراز المدهش العجيب •

لقد كان لأجدادنا المسلمين الأوائل فضل التأسيس لهذه الحضارة ، وفضل شق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية فى ميادين العلم والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والقانون وكان فضلهم هذا من بعض ثمرات الجهاد فى الاسلام وقد عاشوا عصورهم أعزاء أقوياء أغنياء ، كل ذلك بفضل عامل الجهاد الذى لم يكن مجتمع من مجتمعاتهم يخلو من تشجيعه ودفع الضريبة له بسخاء •

ويوم تخلى المسلمون عن الجهاد ، وأقبلوا على الدنيا وزينتها ، ضاع وجودهم وكيانهم فتمكن العدو منهم وتسلط عليهم من لايخافهم ولايرحمهم ، وقامت ضدهم حرب تعددت أشكالها ، وتنوعت صورها الا أنها فى جوهرها وأهدافها البعيدة حرب حضارية تستهدف :

- طمس معالم الحضارة الاسلامية ومنع قيامها من جديد •

- فرض التبعية على العرب والمسلمين فى كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية أيضا •

ولقد كان من بين أهداف تلك الحرب الحضارية طمس معالم العسكرية الاسلامية ومنع قيامها من جديد وفرض التبعية على العرب والمسلمين فى مجال الفكر العسكرى وفنون الحرب •

والباحث العسكرى المطلع يجد أنه منذ عصر النهضة حتى اليوم وضعت آلاف الكتب حول الامبراطورية الرومانية بينما لا يتعدى ما كتب عن الفتوحات الاسلامية عدد اصابع اليد •

وحتى أولائك الباحثين الذين كتبوا عن تلك الفتوحات نرى أكثرهم يعلل سرعة التوسع الاسلامى باندفاع الغرائز الحربية المتأصلة فى المسلمين منذ الجاهلية التى تدفعهم الى السلب وأعمال القرصنة ، ويضيف الى ذلك ضعف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ويبالغ فى ابراز ذلك الضعف ليهون من عظمة المسلمين وانتصاراتهم •

وحتى من أراد من هؤلاء الباحثين أن يبدو موضوعيا فى بحثه (مثل الفيلد مارشال مونتجمرى فى كتابه الحرب عبر التاريخ) نراه يركز كثيرا على الدوافع المعنوية النابعة من الايمان والعقيدة ولا يتناول بالبحث المناسب الجوانب الفنية للمعارك من زاوية العلم العسكرى وفن الحرب ، والتى تزخر بها معارك الاسلام حقيقة وهو ما سوف نحاول بيانه فيما بعد •

ولعل من أهداف تلك الدعاية المغرضة التى روجها أعداء الاسلام بأن الاسلام قام بالسيف ، فرض نوع من الحساسية حول تناول الجوانب العسكرية فى الاسلام بحيث يؤثر الكتاب المتخصصون تجنب دراستها من وجهة النظر الفنية ، وبذلك يصل أعداء الاسلام والمسلمين الى هدفهم الذى أشرنا اليه وهو طمس معالم الفكر العسكرى الاسلامى الذى هو أحد الجوانب الرئيسية فى الحضارة الاسلامية •

ان جهاد العرب والمسلمين فى هذا الصراع الحضارى الذى يستهدف ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم لفى حاجة قصوى الى نهضة حضارية شاملة تقوم على احياء حضارتهم العريقة مع الأخذ بكل أسباب التطور والتوسع فى الابتكار ورفض التبعية والتقليد ، وحينئذ يجدون أنفسهم عباقرة فى فن الحرب وفى كل المجالات الأخرى •

وما أصدق قول شوقى وهو يصور ألمه من تخلف المسلمين وأمله فى أن يستعيدوا ماضيهم العظيم :

فقل لرسول الله ياخير مرسل ... أبثك ماتدرى من الحسرات

شعوبك فى شرق البلاد وغربها ... كاصحاب كهف فى عميق سبات

بأيمانهم نوران : ذكر وسنة ... فما بالهم فى حالك الظلمات

وذلك ماضى مجدهم وفخارهم ... فما ضرهم لو يعملون لآتى ؟

وهذا زمان أرضه وسماؤه ... مجال لقدام كبير حياة

مشى فيه قوم فى السماء وأنشأوا ... بوارج فى الأبراج ممتنعات

فقل رب وفق للعظائم أمتى ... وزين لها الأفعال والعزمات

وليتدبر العرب والمسلمون ما قاله دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل فى أعقاب اغتصاب أرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨م أن أشد ما أخشاه لو أن قائدا عربيا ظهر فى يوم من الأيام ليقود نهضة عربية حضارية شاملة » ومما قاله أيضا عقب النصر الرخيص فى يونيه ١٩٦٧ « اننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض بعد على حضارة العرب والاسلام » .

وليتدبروا أيضا ما قاله الوزير الاسرائيلى عام ١٩٦٧ مناحم بيجين لجنود اسرائيل : « لا ينبغى أن تتألم قلوبكم وأنتم تقتلون عدوكم ، ولا ينبغى أن تأخذكم به شفقة ولا رحمة ما دمنا لم نقم بعد بالقضاء على الحضارة العربية التى لابد أن نقيم حضارتنا على أنقاضها ، ولا بد من ارغام العرب على الاستسلام الكامل » .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ، ان لدى العرب والمسلمين القدرة على قيادة النهضة الحضارية الشاملة ما استمسكوا بدينهم ، وأقاموا وحدتهم وعملوا لمستقبلهم بالايمان والعلم والصبر والمصابرة . ويصف روم لاندو قدرة العرب على قيادة النهضة الاسلامية فيقول :

« لايوجد سبب على وجه الاطلاق يبرر الزعم أن العربى فقد الصفات التى مكنت أجداده من أن يقيموا حضارتهم العظيمة ، فهو لا يزال يملك تلك الرجولة والمروءة وذلك الاستطلاع العقلى الحاد وذلك الخيال المبدع ولا يستطيع أى انسان أن يعيش بين العرب ولا يتأثر بانسانيتهم التى تعمر قلوبهم وكرمهم » .

وسوف نحاول أن نتناول بالدراسة الجوانب العسكرية الاسلامية من مصادرها الأولى ومنابعها الأصيلة وأن نوضح مفاهيم العقيدة العسكرية والاستيراتيجية العسكرية والفن الحربى ، والجدير بالذكر أن الاستراتيجية العسكرية لم تعد فى عصرنا وقفا على رجال العسكرية المتخصصين وهو ما كان أمرا طبيعيا وقت أن كانت الحروب تقتصر على الميدان الذى تتصارع فيه الجيوش ، أما فى هذا العصر الذى لم تعد فيه بقعة من الأرض على طول البلاد وعرضها بمنأى عن متناول العدو والذى أصبحت الحرب تدار

عسكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بحيث تشمل كل مرافق الدولة وأجهزتها العسكرية والمدنية والشعب بأسره ، فى هذا العصر أصبحت الاستراتيجية العسكرية من الأمور القومية التىيقررها ويعالج مشكلاتها العسكريون والمدنيون بحسب تخصصاتهم المختلفة .

ثم ان الثقافة العسكرية أصبحت من جوانب الثقافة العامة اللازمة لأبناء الأمة لكى يؤدوا دورهم بفهم ووعى وايجابية .

وعلينا أن نتأسى بالمسلمين الأوائل الذين كانوا يعلمون أبناءهم الغزوات كما يقول أحد التابعين رضى الله عنهم « كنا نعلم أبناءنا الغزوات كما نعلمهم الآية من القرآن » .

« للبحث بقية »

محمد جمال الدين

الإسلام وحركة التاريخ

للأستاذ محمود عاشور

قبل أن أدخل في الموضوع استسمح القارىء عذرا فى استخدام بعض الألفاظ مثل ثورة وثائر فهى تعطى المضمون الاجتماعى للفظ فى عصرنا الحاضر ، ولكن مع تحفظ فى الاستخدام يفرضه وجود اختلاف أساسى بين الاسلام كدعوة الهية وبين الثورات كحركات انسانية ــ فالأولى منبعها وحى الله ــ والأخيرة مصدرها فكر الانسان .

دعوة الاسلام ثورة انسانية ...
والداعى ثورى عظيم :

فى أواخر القرن السادس الميلادى كان العالم كله فى الشرق والغرب فى الشمال والجنوب يتعثر فى خطى الرجعية ويئن من وطأة الجور والاستبعاد .. فشعوب بأسرها تستذلها قلة من الرجال يلقبون بالأباطرة حينا وبالقياصرة حينا آخر . وعوالم بجموعها تضللها فئة أطلقت على نفسها رجال الدين .. اتخذت من هذا اللقب حجابا تستتر وراءه . لتضلل هذه الجماهير حتى لا تفيق من سباتها .. وتزيح هذه العصائب عن أبصارها .

هذا الى جوار حروب كثيرة كانت تثار اشباعا لنهمة الغزو والفتح فقط حتى بات العالم على شفا الهاوية .. وكادت تدور عليه الدائرة .

أما فى جزيرة العرب .. فالواقع الاجتماعى يوضح أن القبائل العربية فى مكة وما حولها لم تكن مستقرة بل كانت حياتهم حياة سفر وانتجاع وتجارة .. وسمر ولهو وحرب وخصام على ناقة أو فرس .. كما نعرف من حرب البسوس وداحس والغبراء .

كما كان لكل قبيلة وثن تعبده وتستعينه وتستقسم عنده .. وكانت

الكعبة معظمة عندهم يتوارثون تعظيمها من قديم وكانت كل قبيلة تأتى بصنمها فتنصبه حول الكعبة حتى بلغ عدد الأصنام فى الكعبة ثلثمائة وستين .

كما كانت الوثنية متغلغلة فى أعماق حياتهم .. كل هذا جعل الواقع الاجتماعى فى جزيرة العرب يختلف اختلافا جذريا بعد الاسلام عما كان قبله .. وقد أحس العرب بهذا الاختلاف وتلك المفارقة عندما قالوا « أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق » .

كل هذه الآيات توضح دهشة العرب .. وتبين ذهولهم للدعوة الجديدة .

فى هذا الجو الخانق اختار الله النبى العربى محمدا (ص) اليتيم الفقير الناشيء فى جوف الصحراء ليكون النبى الملهم والرسول الموحى اليه ليرد البشرية الى الاسلام والطمأنينة والى التراحم والتعاون ، والى الايمان واليقين .

وكانت رسالته من أشق الرسالات واخطرها لهذا الجو العاصف ، الذى كان يجتاح العالم حينذاك ولهذا التخلف المزرى الذى اتسم به البشر .

فقاد الرسول (ص) ثورة كانت مثالا فى الاعداد والتنظيم .. والقوة والتغيير لكى ينهض بهذا المجتمع ، بمبادئه الانسانية العالمية السامية .

اذا كان مولد النبى (ص) مولد تاريخ جديد استطاع أن ينهض بالبشرية ويطلقها من عقالها .. ويحقق لها الأمن والطمأنينة والحرية والمساواة .

المعايير الثورية :

لقد جاء الاسلام بمبادىء استطاع قائد ثورته ان يرسيها ويحقق لها السيطرة والنجاح .. فقد حرر الانسان داخليا وخارجيا .. واستطاع أن يكفل له حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

فتحرير الانسان من داخله بدأ بارساء العقيدة فى نفسه بحيث لا يتركه مبلبلا متحيزا تائها لايحقق الاستقرار لذاته .. وكان اهتمام الاسلام بذلك

حتى لا يستذل الانسان لمعبود غير الله .

وتحريره خارجيا : بدأ بتحريره من العبودية والاسترقاق .. ثم تحريره فى عيشه ومستقبله وحياته . واتبع فى ذلك أسلوب التغيير الشامل فى كل نواحى حياته .. وفى اتجاه تقدمى يبعده عن كل المهاترات ومظاهر التخلف التى كانت سائدة فى جزيرة العرب .

ونحن اذا قارنا هذه المبادىء والأصول بمبادىء الثورات وشعاراتها نجد الاسلام فى مبادئه قد حقق تقدما أبعد مما كانت تنادى به .

فالثورة الفرنسية مثلا حدثت فى أواخر القرن الثامن عشر أى بعد الاسلام باثنى عشر قرنا .. وادعت أنها أول من صاغ حقوق الانسان ولخصها قادتها فى كلمات ثلاث هى : الحرية والاخاء والمساواة ، وجاءت أمريكا بعد ذلك وأدعت أنها سبقت الى ذلك وأعلنت فى وثيقة الاستقلال عام ١٧٧٦ انها تعد الحقائق التالية من البديهيات :

خلق الناس جميعا متساوين .. وقد منحهم الخالق حقوقا خاصة لا تنتزع منها الحياة والحرية والسعى وراء السعادة .

ثم قامت الثورة الاشتراكية : لتحقيق العدالة بين الناس .. وتقضى على ماكان بينهم من فوارق .. وتعطى للمحرومين والمستغلين حقوقا حرموا منها لفترة طويلة من الزمن .

هذه ثورات قامت فى العصر الحديث ونحن نعطيها مضمون الثورة ومفهومها لانها حققت تقدما للانسانية .. واستطاعت فى فتراتها أن تنقذ المظلومين من بنى البشر فهل حقق الاسلام ذلك ؟ حتى نطلق عليه مفهوم الثورة .. ؟

وهل فى دعوة الثائر العظيم محمد (ص) مضمون ثورى بهذه المقاييس ؟

اعتقد أنه حقق كل هذا وأكثر من هذا .. وتفوق الاسلام فى ثوريته يتميز فى المساواة ، ومعناها أن يكون الناس جميعا متساوين أمام القانون فى الحقوق والواجبات .. وقد أكد ذلك محمد (ص) بقوله : « الناس سواسيه كاسنان المشط لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » كلكم لآدم وآدم من تراب » ولم يكتف بالقول المجرد بل اتبعه بالعمل الحازم العادل .

وأجاب صحبه حين طلبوا منه العفوالكاملة فى امتهم وشعبهم • عن سارقة لشرف أسرتها ومكانتها •

« انما أهلك من كان قبلكم انهم كانــوا اذا سرق فيهــم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » •

واما المساواة فى القضاء فلم يكن للنبى (ص) سـوى مجلس قضائى واحد يمثل أمامه النـاس جميعا دون ما تمييز بين رفيـــع ووضـيع وغنى وفقير •

والمساواة فى التوظيف ليس أدل عليها من هذا الحديث الشريف « من ولى رجلا شيئا من أمـور المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أولى منـه فقــد خان الله ورســوله وجمـاعة المؤمنين » •

وأما الأخوة : فالقرآن الكريم هو أول من نادى بالأخـوه العقائدية والأخوه الانسـانية « أنمـا المؤمنون أخوة» والنبى العربى هو أول منآخى بين المهاجرين والأنصار حتى تقاسموا البيوت والأمــول ، وأول من خص الفقراء والمساكين بحظ موفـور من مـوارد الـدولة حتى بـات هـؤلاء يشعرون بالوجود الصحيح والكرامة

وأما الحرية فقد هيأ لها الاســلام انقى الأجـواء واستـطاع أن يحـل مشكلة مزمنة هى مشكلة الرق •• فقــد رأى أنهـا توقـف التطـور الاجتمــاعى وتحــول دون رقـى الجمــاعات •• ففتح لهـا الباب على مصراعيـه حتى انهـار نظـام الرق وتصــدعت أركـانه ، وقضى عليـه تماما •

وقد أثرت توجيهـات الرســول وتعاليمـة فى ذلك حتى كـثر العتق واستقامت معاملة الرقيق ورأينا عمر ابن الخطاب وهو من هو •• يتناوب ركوب البعير هو وغلامه حتى وصل بيت المقـدس وكانت النوبة للغـلام فدخلها خليفة المسلمين راجلا ودخلها الغـلام راكـبا كما حـرم الاسـلام الشرك بكافة صوره وحاربه بجميع اشكاله فالله وحده هو رب الناس فمن يعبد غير الله فهو مشرك ومن يستعبد لغـيره فهو أيضـا مشرك وفى هـذا قضاء على كل أنواع العبوديات •

ثم حرر بعـد ذلك افـكار الناس وعقولهـم ، فهـو لا يرفض طـرق التفكير الخاصة بل يدعو الى احتكاك الآراء وسعة الاطلاع وتنوع الثقافات،

ويعتبر الفكر ارثا اسانيا مشتركا بين الأمم .

أما حرية المعتقد فقد صانها الاسلام واتاح للنصرانية واليهودية أن تعيشا فى ظل دستوره الخالد « لا اكراه فى الدين » .

وأما حرية الرأى والقول : فقد كفلها الاسلام وحققها الى أوسع مدى بقوله : « قل الحق ولو على نفسك » ذلك مانادى به محمد بن عبد الله (ص) منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، حتى اصبحت حرية الرأى والقول مفخرة من مفاخر الدين الاسلامى ومبدأ أساسيا من المبادىء التى ترتكز عليها دولة الاسلام .

فهذا رسول الله يسير الى احدى غزواته فينزل بجيشه فى موقع غير لائق من الناحية الاستراتيجية فسأله عمر بما معناه : « أبوحى تنزل فى هذا المكان أم باجتهاد ؟ » فيجيبه الرسول (ص) أنه « اختار هذا المكان بناء على اجتهاد شخصى .. فيتعرض الصحابى الجرىء على هذا الاختيار وينصح بالعدول عنه فيمتثل رسول الله (ص) ويبدل المكان .

حضارة اليوم هل حررت العبيد ؟ :

لقد مضى على ثورة النبى (ص) أكثر من ثلاثة عشر قرنا واتيح للانسانية أن تتطور وتتدرج رقيا وحضارة ، وتحقق حلما من احلامها بالغاء الرق فى أواخر القرن التاسع عشر حين اجتمع فى برلين عام ١٨٨٥ عدد كبير من الدول ابرموا معاهدة بمنع تجارة الرقيق فى العالم . . ولكن نظام الرق الذى الغى رسميا لازال قائما ـ مع الأسف ـ يعيش بوجهيه المخزيين : الرق الجسدى والرق المعنوى . ففى أفريقيا السوداء مايزال الانسان يباع ويشترى ، وفى امريكا أم الحرية ... لازال هناك تفرقة بين البيض والسود وفى الأمم الضعيفة ما فتىء الانسان الضعيف عبدا للقوى يستغله ويحرمه حقوق الحياة وينزع من بين يديه ثروة بلاده ... فاذا ثار من أجل حريته سلط عليه القوى الغادر الحديد والنار .

الديموقراطية :

مما سبق يتضح أن الرسول (ص) جاء باعظم نظام ديمقراطى فى العالم فنظام يجعل الحاكم نائبا عن الأمة يرجع اليها فى كل الأمور ،

ويقرر مبدأ الشورى أصلا وأساسا لعمل الحاكم ونجاحه والرضاعنه لهو احسن الانظمة الديمقراطية نظريا وعمليا • يؤكد ذلك قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ومخاطبته الرسول (ص) قائلا : « وشاورهم فى الأمر » فهو لم يقتصر فى مهمته للانسان على احياء شعوره الفطرى بالخالق وعبادته ، وانما أوحى اليه فى الجانب الانسانى ايضا بما يحقق قيمته فى الحياة ويقف به فى مركزه أمام الكون فامتزجت الروحية بالمادية ، وكان التفاعل الخلاق بينهما لمزيد من الرقى وتقدم الانسانية •

محمد النموذج :

لقد ساعد النبى (ص) على انتشار مبادئه ونجاح ثورته انه كان قائدا أعطى المثل والقدوة ، فقد كان يقوم بكل شىء أولا • يطبقه على نفسه وأسرته ثم يدعو الناس اليه بعد ذلك وقائد هذا شأنه لا بد أن يكتب لدعوته النجاح وكيف لا وهو القائل « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » •

اذن لقد استطاع الرسول (ص) ان يجعل دعوته مثالا لكل الدعوات ومنارا لمن اتى بعده من المصلحين ، فجعل من حياته دستورا للحاكمين ومن سيرته شاخصا يهتدى به الأحياء على مر الأجيال •

لقد كانت حياته متناهية فى البساطة غاية فى السمو والترفع فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان فى ذلك مضرب الأمثال •

وكانت سيرته حافلة بكل أنواع التضحيات فضحى بنفسه مرات ومرات ، ضحى بها عند اعلان دعوته واصراره عليها ـ وعدم الرجوع عنها على قلة الناصر والمعين وضحى بها ليلة هجرته ، وفى أيام هجرته ، وضحى بها فى الغزوات التى دافع فيها عن كيانه بل كيان دعوته •

خاتمة :

لا أحسب ان نظاما اجتماعيا من من الأنظمة الحديثة مهما بلغ من الحرص على توفير العدالة يستطيع أن يؤمن هذه العدالة ويوفرها للمجتمع كما أمنها الاسلام ووفرها • فالاسلام مع كونه دينا يعنى بتطهير الروح وتهذيب النفس نظر الى الحياة نظرة واقعية ••

وأدرك ان هذه الحياة لايمكن أن تستقيم وان يبلغ الانسان فيها سعادته ••• الا بتحقيق التوازن بين الروح

والمادة : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ... أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، بمثل هذا الفهم الواعى للحياة ، بدأ الرسول نضالة لبناء مجتمع صحيح يتحقق فيه التوازن . وقد استطاع ان يقيم مجتمعا صالحا أعطى الانسانية الكثير من قيمها ودفع بها الى الأمام فى معارك الرقى والتقدم والحضارة .

الاسلام اذن دين تقدمى :

للرد على هذا الخاطر لابد أن نصيخ السمع لصيحة الاسلام تصرخ فى الناس صراخا يفزع الظالمين والجشعين « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، ثم تؤجج عليهم ثورة المظلومين والمحرومين بالحديث النبوى « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يضربوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده » ولكلمة أبى ذر المدوية « عجبت لمن لا يجد القوت فى بيته ، كيف لايخرج على الناس شاهرا سيفه » .

أى تقدمية أعظم من أن نرى نبى الاسلام وقائد ثورته ، تساق اليه أموال الأرض وكنوزها ورغد عيشها وهو الحاكم المطاع ، فيفرقها فى الناس ولا يحرم منها الا خاصة أهله وذوى قرباه حتى اذا عاتبه نساؤه فى ذلك اعلن أن ولاية الأمر ليست مغنما يمتاز به السلطان عن سائر الناس « ان كنتن تردن الحياه الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا » .

وان كنتن تردن الله ورسوله والدارالآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » اليس من حقنا أن نستوقف ركب التاريخ لنقول له سجل بمداد الفخر والاعجاب أن رئيس الدولة الاسلامية الأولى (ص) مات ودرعه مرهونة عند يهودى وان أبا بكر قد فارق الدنيا محروما من كل مال كان له قبل الخلافة وأن عمر حرم على زوجته أكل الحلوى من مال المسلمين . وهو القائل : « والله لو عثرت بغلة فى العراق لسألنى ربى لم لم اسو لها الطريق » .

هذه ملامح العظمة فى ديننا وهذا نتاج ثورة الاسلام وهؤلاء الخلفاء تربية المناضل القائد محمد بن عبد الله (ص) .

وحرى بنا أن نعى تلك الدروس وأن نتعلمها .. وان نضحى فى سبيل الهدف والمبدأ أن نناضل فى سبيل

بنــاء مجتمعنــا وتقــدمه ، وان نقف لاعدائنا بالمرصــاد صامــدين مؤمنين حتى نحقق النصر . بايمان وعقيدة . بجد وعمل .. بنضال وتضحية .. حتى نحقق الغاية ونصل الى الهدف ..ونحقق قول الله عز وجل « كنتم خــير أمة أخرجت للنــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

محمود عاشور

تعليــق

من المجــازفة تســمية النبى ثائرا وتسمية الاسلام « ثورة » فالنبى كمــا يقول الله فيه : « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » والاســلام كما يقول الله فيه : « أفمن شرح الله صــدره للاسلام فهو على نور من ربه » .

المجلة

أسلوب التربية في الإسلام

للأستاذ علي القاضي

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان في أحسن تقويم وفضله على سائر مخلوقاته وجعل الملائكة يسجدون لآدم وكرمه فحمله في البر والبحر وجعل له عقلا يميز به النافع من الضار ثم أرسل له رسلا يهدونه الى الطريق القويم وكان آخر الرسل محمد صلوات الله عليه الذي أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور ولينشر الأمن والعدل والطمأنينة بين الناس جميعا ، وليجعل كل فرد يحس بكيانه وأنه عضو نافع في المجتمع ، وليسير الجميع للبناء المتكامل الذي يجعلهم يشعرون بالسعادة .

والمسلم الذي يحمل هذه الرسالة الهائلة لا بد وأن يعد لذلك وأن يربى تربية قويمة حتى يكون قادرا على حملها وأدائها بما يمكنه من تحقيق أهداف الاسلام كاملة .

وللاسلام أسلوبه الخاص في التربية وقد اتخذ طرقا مختلفة اذا أحسن استخدامها فانها تؤدى الى تربية المسلم التربية المطلوبة التي تجعله قادرا على تحقيق رسالة الاسلام في الأرض .

ذلك لأن الله هو الذي خلق الانسان وهو أدرى بما يحتاج اليه من جميع نواحيه الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية والعقلية ، ويتلخص أسلوب التربية في الاسلام بالطرق الآتية :

١ ــ التربية عن طريق القدوة :

القدوة تحدث أثرها القوى في نفوس من يربيهم الانسان ، ولقد كان محمد صلوات الله عليه هو القدوة الأولى للمسلمين كان خلقه القرآن ولذلك يقول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وكان عليه السلام جوادا وكان أجود من الريح المرسلة وكان يصوم ويفطر ويقوم وينام ويتزوج النساء وقد أنكر على الصحابة الثلاثة الذين

اتفقوا فيما بينهم على أنواع من العبادة رأوا أنها توصلهم الى رضوان الله فقال أحدهم : سأقوم ولا أنام وقال الثانى : سأصوم ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا لن أتزوج النساء فلما سمع النبى صلوات الله عليه ذلك قال لهم : (أما أنا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ثم قال : النكاح سنتى ممن رغب عن سنتى فليس منى) •

وكان مضرب المثل فى الشجاعة فاذا سمع بالمدينة صوت غريب وخرج الصحابة ليروا السبب وجدوا رسول الله قد سبقهم الى ذلك واذا حمى وطيس المعركة الى الدرجة التى تجعل الشجاع يفر منها وقف صامدا يقول :

أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب

وينادى الصحابة حتى يتجمعوا حوله وتبدأ المعركة لينتصروا وقد أصبح واضحا ومعروفا عند المسلمين أن النبى عليه السلام لا يأمر بشىء الا ويسبق الناس الى فعله ولا ينهى عن شىء الا ويسبق الناس الى اجتنابه •

النبى صلوات الله عليه قدوة للمسلمين جميعا وقد اقتدى الصحابة به فى كل أعماله بقدر استطاعتهم فانطلقوا يصنعون الأعاجيب ؟ وحتى بعد وفاته صلوات الله عليه فان الرسول كان حيا دائما بين المسلمين بسيرته ؛ والاسلام يقيم التربية على أساس القدوة » فالطفل له قدوة بين اسرته وسيرة النبى صلوات الله عليه جزء من التربية •

وقد عاب القرآن الكريم الذين يقولون ما لا يفعلون وبين لهم أن هذا يغضب الله تعالى (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)•

وقد طلب المربون العرب أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه يقول عتبة بن ابى سفيان لمؤدب ولده (ليكن اصلاحك لبنى اصلاحك نفسك ، فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح ما استقبحت) •

٢ ـ التربية عن طريق العادة :

العادة تؤدى دورا خطيرا فى حياة الانسان ذلك لأنها توفر قسطا كبيرا من الجهد البشرى بتحويله الى عمل سهل يؤديه الانسان فى يسر •

وطريقة تكوين العادة تكون بتكرار عمل معين مرات كافية لجعله جزءا من عمل الانسان كالصلاة والاسلام يحول الخير كله الى عادة يقوم بها الانسان دون جهد أو مقاومة ويحول دون الآلية الجامدة بالتذكير الدائم بالهدف والربط الحى بين القلب البشرى والله تعالى .

وموقف الاسلام من عادات الجاهلية ينقسم الى قسمين : ففى العقيدة وما يتصل بها اتخذ وسيلة القطع ، أما فى العادات الاجتماعية فقد لجأ الى التدرج كما حدث فى الخمر مثلا فقد طلب من المسلمين أولا ألا يقربوا الصلاة وهم سكارى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم بين لهم ثانيا : ان لها منافع وفيها مضار ولكن المضار أكثر من المنافع (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) ثم حرمهما بعد ذلك بقوله : (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وهكذا .

وسبب ذلك أن هذه عادات عامة ليس من السهل أن يحسم الانسان موقفه منها فى لحظة ولذلك تدرج بهم حتى أقلعوا عنها وقد أعطوا الفرصة النفسية لتغييرها .

٣ ـ التربية بالمشكلات :

المشكلات التى تأتى للفرد أو المجتمع تعمل دائما على صهره اذا وطن نفسه على تذليلها وحلها ، وحل المشكلات يجعل الانسان قويا بعد تغلبه على صعوباتها ويجعل الانسان أقدر على تحمل صعوبات الحياة وحل مشكلاتها (واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور) (واصبر على ما يقولون وأهجرهم هجرا جميلا) .

والقرآن يطرق الحديد وهو ساخن حتى تؤتى التربية ثمارها ففى غزوة أحد التى هزم المسلمون فيها بعد النصر يقول للمسلمين (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .

وفى غزة حنين التى هزم المسلمون فى بدايتها لأن بعض المسلمين أعجبوا بكثرتهم بين لهم سبب هزيمتهم حتى يستفيدوا من أخطائهم (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) •

هذا حين كان المسلمون منهزمين فأراد أن يسرى عنهم ويجعلهم يستفيدون من هذا الدرس • أما فى حالة انتصارهم فانه يحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة حتى لا تأخذهم نشوة النصر فيسلكوا سلوكا لا يرضاه لهم ففى غزوة بدر انتصر المسلمون على المشركين انتصارا رائعا واختار المسلمون فداء الأسرى بالمال فعاتبهم الله تعالى فى شىء من القسوة بقوله : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) •

وبذلك يضمن الا يصيبهم الغرور الذى يؤدى الى نتائج سيئة كما حدث لاسرائيل عقب حرب ١٩٦٧م •

٤ ـ التربية عن طريق الاقناع :

فى النفس البشرية ميل الى الاستجابة اذا اقتنعت والاسلام يعمل على اقناع بنيه بما ينبغى أن يتخذوه سلوكا لهم ومن ذلك ما قاله لقمان لابنه (يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) والله سبحانه وتعالى يوجه رسوله الكريم الى الاقتناع بالحكمة : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) •

ومن ذلك ما لحظه الاسلام من أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد على ممارسة التنظيم الاسلامى يتجمعون عندما تتحرج الأمور ليتناجوا بينهم ويتشاوروا بعيدا عن أماكن التشاور الأمر الذى لا تقره طبيعة الجماعة الاسلامية وروح التنظيم الاسلامى التى تقتضى عرض كل رأى وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة الاسلامية من أول الأمر وترك

التحركات الجانبية فى الجماعة لأنها قد تؤذى ولو بدون قصد وقد تؤدى الى عدم الطاعة .. حاول أن يقنعهم بترك هذه العادة فان فعلوا فليكن بالخير (يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) .

ولقد كان الرسول الكريم يخاطب الناس على قدر عقولهم ويأمر بهذا ولم يكن يكثر من توجيه أصحابه فى جلسة واحدة خشية أن يسأموا . عن ابن عباس قال :(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا) .

٥ ـ التربية بالثواب والعقاب :

الله سبحانه وتعالى خلق الجنة وخلق النار وعد بالجنة وأوعد بالنار ، فالنفس البشرية تحتاج الى هذين النوعين . والقرآن الكريم يستخدم كل وسائل الترغيب (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) .

فاذا لم يصلح هذا الأسلوب فان الترهيب هو الوسيلة لمن يحتاج اليها ومعنى ذلك أن الاسلام لايرضى بأن يجارى النفوس فى انحرافاتها أو فى تقصيرها ولا أن يتلمس لها الاعذار فان نتيجة ذلك كله أن يزداد عدد المنحرفين والمقصرين فى المجتمع حتى يصبحوا أكثرية ويصبح الانحراف أو التقصيرهو الأساس والرفق الزائد كالقسوة الزائدة كلاهما يفسد النفس البشرية .. وفى تعليم الصلاة مثلا يتعلم الطفل بالقدوة وبالعادة وبالاقناع وبالترغيب فاذا لم يفد ذلك كله حتى سن العاشرة ضرب عليه ضربا يلائم سنه وطاقته حتى يؤديها ولقد سار المربون العرب على هذا النهج فكانوا يكافئون ويعاقبون .

كان الطلبة النابهون فىالمدارس الأولية يكافئون فى الغالب بأن يستعرضوا فى شوارع بغداد على ظهور الابل حيث يقذف الناس اليهم باللوز وكان التلاميذ النابهون أيضا يمنحون أجازات كاملة أو أجازات جزئيةاذا اتقن أحدهم حفظ جزء من القرآن . يقول الغزالى فى ثواب الطفل : (واذا ظهر من الصبى خلق

جميل وفعل محبوب فينبغى أن يكرم عليه ويجازى بما يفرح به ويمدح بين الناس) .

ويرى فى عقاب الطفل (أن يتغافل عن التقصير أول مرة وفى المرة الثانية يعاقب سرا مع تعظيم الأمر له) .

والعبدرى فى المدخل يرى العلاج بالضرب اذا لزم الأمر على أن يكون للتأديب وغير مبرح ويقول : (رب صبى تكفيه عبوسة وجهك عليه وآخر لا يرتدع الا بالقول الغليظ وآخر لا يزجر الا بالضرب كل على قدر حاله) .

خاتمة :

هذا هو أسلوب التربية الذى استخدمه الاسلام فى تربية أبنائه من المسلمين حتى تؤدى الى تحقيق الرسالة وقد أدى الى نتائج رائعة حين طبق تطبيقا سليما ونرجو أن نعود الى تطبيقه قريبا حتى نرى النتائج الرائعة التى نحن فى حاجة اليها فى حياتنا الحاضرة .

على القاضى

مقدار المفروض مسحه من الرأس في الوضوء

للدكتور / إبراهيم دسوقي الشهاوي

اتفق الفقهاء على أن مسح الرأس فرض من فرائض الوضوء لقوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم » فانه أمر بمسح الرأس والأمر للوجوب •

ثم اختلفوا فى المقدار المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو كل الرأس ذهب الى ذلك المالكية والحنابلة فى المشهور عنهم •

القول الثانى : أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو ربع الرأس ذهب الى ذلك الحنفية •

القول الثالث : أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو مايصدق عليه اسم المسح من غير تحديد بمقدار معين • ذهب الى ذلك الشافعية :

وقد استدل أصحاب القول الأول على أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو كل الرأس : بالكتاب والسنة :

أما الكتاب : فقوله تعالى:«وامسحوا برؤوسكم »

ووجه الدلالة : ان الباء فى قوله « برؤوسكم » زائدة لأن ذكرها وحذفها سواء فى عدم الاخلال بالمعنى اذلا فرق بين قولنا مسح رأسه ومسح برأسه فالتركيب بدونها واضح فى العموم على مايفهم من قوله تعالى « فاغسلوا وجوهكم » ولزيادتها فى هذا التركيب فائدة هى تقوية العموم المستفاد منه • ودفع توهم أن الشارع كما خفف وظيفة الرأس من غسل الى مسح • خفف أيضا فى مقدار المسح •

واعترض على هذا الاستدلال • يمنع أن الباء زائد • لأن الزيادة

خلاف الأصل ولم يقم دليل على تعينها للزيادة والأصل أن التأسيس خير من التأكيد .

وأما السنة : فأولا : مارواه الجماعة عن عبد الله بن زيدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه » .

وثانيا : مارواه أحمد والبخارى عن الربيع بنت معوذ - رضى الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ عندها ومسح رأسه ، مسح الرأس كله من فوق الشعر لا يحرك الشعر عن هيئته »

ووجه الدلالة : من هذين الحديثين . أنهما يدلان صراحة على أن النبى - صلى الله عليه وسلم . فعل مسح الرأس كله ، وفعله - صلى الله عليه وسلم بيان للمراد من قوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم » فيكون مسح الكل هو المطلوب .

واعترض على الاستدلال بالحديثين بأنهما انما يدلان على فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدلان على الوجوب لاحتمال أن مسح الكل لبيان الأكمل .

واستدل أصحاب القول الثانى على أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو ربع الرأس بالكتاب والسنة :

اما الكتاب : فقوله تعالى : « وامسحوا : برؤوسكم » .

ووجه الدلالة « أن الباء فى قوله « برؤوسكم » للالصاق . فيكون المطلوب الصاق اليد بالرأس لأن قوله تعالى « وامسحوا » يستدعى مفعولا وهو آلة المسح . وانما كانت اليد لأنها المستعملة فى المسح غالبا . وعلى ذلك يكون تقدير الآية ، وامسحوا أيديكم ملتصقة برؤوسكم، والقاعدة أن الباء اذا دخلت على الممسوح اقتضت استيعاب الآلة ، واذا دخلت على الآلة اقتضت استيعاب الممسوح تقول مسحت رأس اليتيم بيدى فيفهم منه تعميم الرأس بالمسح، وتقول : مسحت يدى برأس اليتيم فيفهم تعميم اليد بالمسح ، والآية من

قبيل الثانى فتقتضى تعميم اليد بالمسح واستيعاب يد ملتصقة بالرأس لا يستغرق غالبا سوى ربع الرأس فتعين مراد الآية :

واعترض على هذا الاستدلال :

بأن قاعدة أن الباء اذا دخلت على الممسوح اقتضت استيعاب الآلة واذا دخلت على الآلة اقتضت استيعاب الممسوح ، لايعرف لها أصل ولاشاهد فى الاستعمال لأنك تقول : مسحت يدى بالحائط ، ولا يتوقف صدقه على استيعاب اليد وتقول : مسحت الحائط بيدى ولا يتوقف صدقه على استيعاب الحائط • فالاستيعاب وعدمه انما يكون بقرينة دالة عليه ، وليس من دخول الباء تارة على الآلة وتارة على الممسوح فالآية ـ على هذا القول بأن الباء للالصاق ـ تحتمل مسح الكل ومسح البعض • ولا دلالة فيها على أن المفروض مسحه بعض مقدر بربع الرأس •

وأما السنة : فما رواه أحمد ومسلم عن المغيرة بن شعبة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة •

ووجه الدلالة من هذا الحديث :

أن اقتصار النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مسح الناصية يدل على أنه لايجزىء أقل منها والناصية مقدار ربع الرأس فتعين •

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأن فيه قوله « فمسح بناصيته وعلى العمامة » فهو يدل على عدم الاكتفاء بمسح البعض ربعا أو غيره اذا لو كان مجزئا لاقتصر عليه ولما مسح على العمامة •

واستدل اصحاب القول الثالث :

على أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو ما يصدق عليه اسم المسح » بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى «وامسحوا برؤوسكم »

ووجه الدلالة : أن الباء فى قوله « برؤوسكم » للالصاق فيكون المطلوب الصاق المسح بالرأس • وتكون الآية من قبيل المطلق وهو يتحقق بمسح البعض كما يتحقق بمسح الكل شأن المطلق الذى يراد منه تحقيق الماهية فى أى فرد من

أفرادها • فماسح البعض لأى بعض كأن يكون ممتثلا لاتيانه بما يحقق المسح المأمور به • فيكون المقدار المفروض مسحه هو بعض يصدق عليه اسم المسح •

واعترض على هذا الاستدلال :
بأن كون الباء فى قوله « برؤوسكم » للالصاق لا يدل على جواز الاكتفاء بالبعض وأنه هو المقدار المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء لأن الرأس حقيقة فى الكل مجاز فى البعض • ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذر الحمل على الحقيقة • ولا تعذر هنا فتعين أن يكون المأمور به الصاق المسح بكل الرأس حملا للفظ الرأس على حقيقته :

وأما السنة : فما رواه أبو داود وعن أنس رضى الله عنه ـ أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعليه عمامة قطرية • فأدخل يده تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة •

ووجه الدلالة من هذا الحديث:
أنه صريح فى جواز الاكتفاء بمسح بعض الرأس وليس المقصود بقوله « فمسح مقدم رأسه » تحديد المقدار المسموح بل المقصود هو تحقيق ماهية المسح فى أى فرد كان متى صدق عليه اسم المسح •

واعترض على هذا الاستدلال :
بأن فى سند هذا الحديث أبو معقل وهو مجهول • فلا يصلح الاستدلال به •

القول الراجح : الناظر فى أدلة الأقوال الثلاثة وما ورد عليها من اعتراضات يتبين له أن الأدلة جميعها لاتنهض للحجية لتعارضها وعدم سلامتها مماورد عليها ولا تزال الآية محتملة بطلب مسح الكل ومسح البعض •

ونرى أن احتمال مسح الكل أرجح لما فيه من الاحتياط والخروج من العهدة على الأقوال الثلاثة ضرورة أن مسح الكل يتحقق به مسح البعض سواء أكان هذا البعض ربع الرأس أم كان ما يطلق عنه اسم المسح

« تطهير الرجلين فى الوضوء »

اتفق الفقهاء على أن تطهير الرجلين الى الكعبين فرض من فرائض الوضوء •

ثم اختلفوا فى الواجب فى كيفية تطهيرهما فى الوضوء على أربعة أقوال •

القول الأول : أن الواجب فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو غسلهما فقط فلا يغنى عنه مسحهما ولا يجب معه • ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين •

القول الثانى : ان الواجب فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو مسحهما فقط ذهب الى ذلك الامامية من الشيعة •

القول الثالث : أن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو أحد أمرين : غسلهما أو مسحهما • على سبيل التخيير فأحدهما يحصل به الواجب • ذهب الى ذلك الحسن البصرى والجبائى وابن جرير الطبرى •

القول الرابع : أن الواجب فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو غسلهما ومسحهما فلا يتحقق الواجب الا بجمع الغسل والمسح فى تطهيرهما • ذهب الى ذلك بعض الظاهرية •

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول على أن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو غسلهما بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ويديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين •

ووجه الدلالة : أن قوله تعالى « وأرجلكم » منصوب عطفا على قوله تعالى « وجوهكم » المأمور بغسلها فيكون المأمور به فى الأرجل غسلها فقط كالمعطوف عليه عملا بمقتضى العطف وهو التشريك فى الحكم •

وأما السنة : فما رواه الدارقطنى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأنا للصلاة أن نغسل أرجلنا » •

وجه الاستدلال : أن الحديث صريح فى الدلالة على وجوب غسل الرجلين لأن الأمر للوجوب وظاهر فى تعيين الغسل فقط لأن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقع بيانا ، والاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بغسل الرجلين فى الوضوء يقتضى تعينه فقط .

واستدلال أصحاب القول الثانى : على أن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو المسح فقط بالكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين »

ووجه الدلالة : أن قوله تعالى « وأرجلكم » مجرور عطفا على رؤوسكم المأمور بمسحها فيكون المأمور به فى الأرجل مسحها فقط كالمعطوف عليه عملا بمقتضى العطف وهو التشريك فى الحكم .

واعترض على هذا الاستدلال : بأن قوله تعالى « وأرجلكم » ليس معطوفا على برؤوسكم بل هو معطوف على قوله « وجوهكم وانما جر لمجاورته لرؤوسكم .

وأما السنة : فما رواه الطبرانى عن عباد بن تميم عن أبيه قال :رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يتوضأ ويمسح على رجليه »

ووجه الدلالة : أن النبى صلى الله عليه وسلم اقتصر فى وضوئه على مسح رجليه فكان فعله بيانا للمأمور به فى الآية فيكون هو الواجب لأن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر

واستدل أصحاب القول الثالث على أن الواجب فى تطهير الرجلين هو أحد أمرين :

الغسل أو المسح على سبيل التخيير بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم

الى الكعبين » ووجه الدلالة أن قوله تعالى « وأرجلكم الى الكعبين » قرىء بالنصب وقرىء بالجر وكلتا القراءتين سبعية متواترة وقراءة النصب ظاهرة فى وجوب غسل الرجلين لعطفهما على المغسول من الأوجه والأيدى • وقراءة الجر ظاهرة فى وجوب مسح الرجلين لعطفهما على الممسوح وهو الرؤوس • ولا ترجيح لاحدى القراءتين على الأخرى وهذا يقتضى حصول الامتثال بالغسل فقط أو بالمسح فقط لأن كلا منهما يصدق عليه أنه مأمور به فى الآية •

واعترض على هذا الاستدلال : بأن قولكم ولا ترجيح لاحدى القراءتين على الأخرى ممنوع لما ثبت فى السنة من اقتصار الرسول صلى الله عليه وسلم – على الغسل وهو يدل على ترجيح مقتضى قراءة النصب فيتعين العمل بها • ويجب تأويل قراءة الجر بأن الجر فيها للمجاورة •

وأما السنة : مارواه الدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه – بلفظ « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأنا للصلاة أن نغسل أرجلنا » وما رواه الطبرانى عن عباد بن تميم عن أبيه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم – يتوضأ ويمسح على رجليه » •

ووجه الدلالة من الحديثين : أنهما صريحان فى أن كلا من غسل الرجلين ومسحهما قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم • فيكون الاقتصار على أحد الأمرين مجزئا فى الخروج من عهدة التكليف كما فى الواجب المخير

واعترض على هذا الاستدلال بأن ماروا‌ه الطبرانى عن عباد بن تميم لا يصلح حجة على ورود المسح عن النبى صلى الله عليه وسلم • فقد ضعف الحديث ابن عبد البر فقال : ان فى صحبة تميم هذا نظر فالثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم • قولا وفعلا انما هو غسل الرجلين لا مسحهما فالقبول بأن الواجب الغسل أو المسح لا دليل عليه من كتاب أو سنة •

واستدل أصحاب القول الرابع بأن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو الغسل والمسح معا فلا يجزىء أحدهما دون الآخر بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم

وأيديكم الى المرافق وأمسحو برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » ووجه الدلاله من الآية أن قوله تعالى « وأرجلكم » قرىء بالنصب والجر وكلتا القراءتين سبعية متواترة وقراءة النصب توجب الغسل لعطفهما على المغسول من الوجوه والأيدى • وقراءة الجر توجب المسح لعطفهما على الممسوح وهو الرؤوس • وحينئذ يكون كل من الغسل والمسح مأمور به فى الآية ولا يخرج عهده التكليف الا بالجمع بين الغسل والمسح معا فوجبا واعترض على هذا الاستدلال بأن كلا من الغسل والمسح يكون مأموراً به ويجب الجمع بينهما اذا لم يرد بيان من السنة يبين وجوب الغسل وحده أما وقد ورد البيان وتواتر نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم • قولا وفعلا بوجوب الغسل وحده وأجمع الصحابة عليه • فقد قال عبد الرحمن بن أبى ليلى : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين •

القول الراجح : الراجح من الأقوال الأربعة فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو القول الأول وهو ماذهب اليه جمهور الفقهاء من أن الواجب هو الغسل فقط لقوة دليله وخصوصا من السنة فان القائلين بالمسح سواء من أوجبه وحده أوخير بينه وبين الغسل أو أوجب الجمع بينهما لا يجدون جوابا عن الأحاديث الدالة على وجوب الغسل فقط •

دكتور/ ابراهيم دسوقى الشهاوى

سكينة بنت الحسين
بين الناس ومع الله

للأستاذ حسن البسيونى

السيدة سكينة سليلة بيت النبوة والأصل العربى العريق فوالدها الامام الحسين سيد الشهداء وخير شباب أهل الجنة وأمها الرباب بنت أمرىء القيس سيد بنى كلب • ولدت رضى الله عنها سنة ٤٧ هجرية على أرجح الروايات فلم تشهد مصرع جدها الامام على كرم الله وجهه اذ كان قبل مولدها بسبع سنوات وكانت وفاة عمها الامام الحسن وهى لا تزال طفلة تناهز الثالثة من عمرها • فكانت فى طفولتها المرحة خلية البال عن المشاركة فى آثار هاتين الفاجعتين احساسا وادراكا ولكنها ماكادت تخطو نحو مرحلتى الصبا والشباب حتى وراكب ذلك توالى الأحداث الجسام على الأمة الاسلامية ففى سنة ٥٦ هـ نقض معاوية بن أبى سفيان عهده مع الامام الحسين وراح يأخذ البيعة لابنه يزيد ليتولى أمر المسلمين من بعده بعد أن مهد لذلك أعواما طوالا • وقد امتنع عن هذه البيعة خمسة من أعلام أهل المدينة وأصحاب الرأى فيها على رأسهم والدها الامام الحسين • وكان الموقف المدلهم يملاء قلب وعقل الامام سبط الرسول ، وكانت السيدة سكينة فى تلك الآونة بجانبه دائما تخفف عنه بمرحها واشراقها ومضت الأحداث الى ما قدر الله فقد مات معاوية وبويع لابنه يزيد بالخلافة وكتب يزيدالى عامله بالمدينة أن يأخذ البيعة قسرا ممن تخلف عنها من وجوه المسلمين وأبى الامام الحسين أن يبايع شارب الخمر المعلن بالفسق المجاهر بالفجور ـ كما كان رده على الوليد بن عتبة عندما عرض عليه البيعة • وهاجر الحسين بأهله الى بيت الله الحرام بمكة عصمة لدينه وعهده • ثم كان استنجاد الألوف من أهل العراق بالامام الشهيد وبيعتهم له وتلبيته لهم لايثنيه عن ذلك نصح الناصحين من قرابته قائلا (انى لم

أخرج أشرا ولا بطرأ ولا مفسدا ولاظالما ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدى أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) .

ومضت الأمور الى غايتها ونكث أهل العراق عن بيعتهم ، وتخلوا عن امامهم ليواجه وحده فى بضعة وسبعين من أهل بيته جيشا أمويا قوامه أربعة آلاف مقاتل ليكون قضاء الله وليروع العالم الاسلامى بمذبحة كربلاء وليرى المسلمون ، ولما يمض نصف قرن على لحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى نفرا من المسلمين أنفسهم يقتلون الحسين سبط الرسول وأبناء فاطمة الزهراء وأبناء الامام على وابنى عبد الله جعفر شهيد مؤته ويسبون النساء وفيهم زينب بنت الزهراء وبنات الحسن والحسين ولا يبقون من نسل أهل البيت الا صبيا عليل هو الأمام زين العابدين .

وتشهد السيدة سكينة أحداث المذبحة المروعة وترى رأس أبيها الحبيب يطاف بها فى أحياء الكوفة كما طيف بها ضمن موكب سيدات أهل البيت فى نفس الأحياء ثم فى أحياء دمشق مقر الخلافة وشهدت لقاء هذا الموكب عبيد الله بن زياد والخليفة يزيد بن معاوية وكانت نهاية المطاف مدينة جدها عليه الصلاة والسلام .
ثم عادت الى الترحال مرة أخرى فصحبت عمتها السيدة زينب فى خروجها الى مصر بعد أن أحس الأمويون خطر مقامها فى المدينة .

وعادت السيدة سكينة الى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب فأقامت فى كنف أخيها الامام على زين العابدين ، ثم تزوجت بمصعب بن الزبير والى العراق من قبل أخيه عبدالله بن الزبير ولكن الأيام لم تمهلها وجاء اليوم الذى وقفت فيه تودع زوجها مصعب وهو متأهب لقتال عن الملك بن مروان وقد خذله أهل العراق وتقدم يواجه مصيره مستبسلا ويقول لها (ماترك أبوك ياسكينة لابن حرة عذرا) .

وفجعت فى زوجها الماجد الكريم ، وترملت فترة ثم تزوجت بعبد الله بن عثمان الخزامى فأثمر زواجهما أولادها عثمان وحكيم وربيحة ولكن زوجها ما لبث أن أدركته منيته وعادت الى الترمل مرة أخرى ، وكانت زيجتها الأخيرة وقد جاوزت الأربعين من زيد بن عمر

العثمانى ولم يقدر لهذا الزواج أن يستمر طويلا لما رواه المؤرخون من حرص هذا الزوج على ماله •

ومضت سنوات طوالا كانت فيها السيدة سكينة وقد جاوزت الخمسين من عمرها تحتل مكانة أدبية ناقدة يحتكم اليها الشعراء فتفاضل بين أشعارهم وتشتد رقابتها الأدبية عليهم الى أن شارفت العقد الثامن من عمرها فانتقلت الى جوار ربها راضية مرضية •

وقد تعددت أقوال الرواة والمؤرخين بشأن السيدة سكينة ؟ فقد اختلفوا فى تاريخ مولدها وتاريخ وفاتها ، وفى قبرها فمن قائل أنها دفنت بالقاهرة وآخر يقول أنها دفنت بالبقيع ، واضطربت أقوالهم بشأن أزواجها فمنهم من يقصرهم على اثنين والبعض يقول ثلاثة وآخرون يذهبون الى أن عددهم سبعة ، ويخوضون فى مجالس الشعراء لديها ، فمن قائل أنهم كانوا يحتكمون اليها وراء حجاب ومن مجترىء الى القول بأنها كانت تجالسهم وتأذن للناس فيجالسونها فى مجالس الغناء والطرب ثم يشطح بهم الخيال الى القول بأن السيدة كانت مقبلة على الدنيا وعلى حياة البذخ والترف •

زيجاتها :

أما عن زواجها فالثابت والمتواتر من الرواة الثقات أن السيدة سكينة لم تتزوج الا زيجات ثلاث وكلهم من أعرق الأسر العربية ديانة وشرف محتد • فقد تزوجت من مصعب بن الزبير الذى مدحه عبيدالله بن قيس الرقيات قائلا •

انما مصعب شهاب من الل
ـه تجلت عن وجهه الظلماء

وتطلع خصمة عبد الملك بن مروان الى رأسة اذ حمل اليه بعد مصرعه فقال : متى تقدر قريش مثلك ؟

ولما قتل زوجها فى ساحة الحرب الحزامى وهو حفيد الزبير بن العوام وسليل آل خويلد بيت خديجة أم المؤمنين فأنجبت منه أولادها • فلما تزوجت من بعده عبد الله بن عثمان لحقته المنية تزوجت من بعده زيد بن عمر العثمانى حفيد عثمان بن عفان • ولما عرف عن هذا الزوج الأخير من الحرص ولعدم وفائه بشروط لها كان قد شرطها على نفسه تم طلاقها منه ولم تتزوج أحدا من بعده •

وتعدد الزيجات فى حد ذاته ليس محل غرابة أو انكار فى البيئة العربية اذ ذاك . بل كان هذا هو العرف المتبع كلما ترملت سيدة من أصل كريم أسرع اليها الخطاب حرصا على شرف المصاهرة وكل ما كان واجبا مراعاته هو الحرص على التكافؤ فى كل زواج تحقق بالنسبة للسيدة سكينة .

مجالس الشعراء :

أما ماقيل عن مجالس الشعر بدارها ، فيكفى لتبيان صورتها الحقيقية أن نسوق واقعة وردت فى كتاب الأغانى نقلا عن محمد بن سلام وعمر بن شبة أن جريرا والفرزدق وكثيرا وجميلا ونصيبا اجتمعوا فى فى ضيافة السيدة سكينة فمكثوا أياما ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم وكان حديثها من خلال وصيفة لها تخرج اليهم لتسمعهم نقد سيدتها لأشعارهم ثم تحمل لكل عطاءه الذى أمرت به السيدة : فهى لم تجالس الشعراء وتحادثهم مباشرة كما يزعم المجترؤون بل كانت تسمع اليهم من وراء حجاب ويسمعون ردها من خلال امائها .

ولا يقبل عقلا ولا منطقا أن تكون الصورة غير هذه من حفيدة الرسول وفى ظل بيئة متمسكة بأهداف الدين الحنيف يعايشها فيها أخوها الامام على زين العابدين ووجوه بنى هاشم وهم الذين ذكر الرواة أنهم غضبوا لمجرد أن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف تقدم لخطبتها وهو ليس كفؤا لها ، فكيف يسكت أهل البيت عما زعمه بعض الرواة من أن بيت السيدة كان محلا لمجالس الغناء والطرب دون أن يمنعوا ذلك . بل كيف يقبل هذا الزعم والسيدة لم تأخذ دورها فى النقد الأدبى الا وهى تجتاز الحلقة الخامسة من عمرها فهل يقبل هذا السن الوقور أمثال هذه المجالس . وأخيرا كيف يعقل حدوث ذلك والمآسى تحيط بالبيت الكريم وبيئة أهل المدينة ، اذ ماكادت مأساة كربلاء تمضى بها السنون حتى كانت ثورة أهل المدينة على بنى أمية واستباحة قائد جيش يزيد لدماء أولاد المهاجرين والانصار ، ثم الصراع بين ابن الزبير وعبد الملك ابن مروان ، فهل كانت هذه الأحداث الجسام تترك لأهل المدينة وللسيدة الكريمة سبيلا لمجالس طرب وغناء ؟

ان لم يمنعه الاعتداء بكرم الأصل والشرف الرفيع .

ان السيدة سكينة بكرم محتدها ووقار سنها ودقة حسها وشعورها وتمكنها من أسرار العربية لغة كتاب الله الحكيم دان لها فطاحل الشعراء بامامة النقد فى عصرها ، وليس هذا بمنتقص من قدرها ، بل ان لها فى هذا المجال فضلا يعرف فلا ينكر ، وليس هذا بمستغرب على سليلة بنى هاشم فقد سارت على درب جدها الامام على الذى ملك البيان والبلاغة وأبيها الامام الحسين الذى قال معاوية بن أبى سفيان عندما طالع ردا له وجهه اليه : انه لسان بنى هشام الذى يفلق الحجر .

قلب ممزق :

ولكن لب الحديث عن السيدة سكينة ليس أمر زواجها من هذا أو ذاك من أماجد قريش ، وليس أمر نقد أدبى أو شعرى ، فكل هذه تصرفات ظاهرية لاتنفذ الى أغوار النفس العالية لتكشفان حقيقة شخصية حفيدة الرسول صوات الله وسلامة عليه . ولا سبيل الى ذلك الابالتريث أمام وقائع التاريخ الثابتة : واعمال حكم المنطق والعقل فيها .

لقد واجهت السيدة سكينة فى حياتها من المآسى والمحن ما ينوء القلب عن احتماله ؟ فقد شبت وبيت أبيها الحسين يلفه الحزن بفاجعة مقتل جدها الامام على ثم وفاة عمها الحسن ؟ ووقفت بجانب أبيها وهو يرفض مبايعة يزيد بن معاوية وصحبته الى معركة الشهادة فى كربلاء وشهدت بعينى رأسها وهى لاتزال فى ميعة الصبا مصارع أهل بيت النبوة ، شهدت استشهاد أبيها الامام الحسين واخواتها وسائر نسل جدتها فاطمة الزهراء وجدها الامام على ، رأتهم تحز رؤوسهم ويسلبون ويتركون متجردين بالعراء ، واقتيدت مع سيدات أهل البيت فى موكب الأسرى ليطاف بهم فى الكوفة ودمشق كما طيف برأس أبيها الحبيب ، وهكذا استقبلت شبابها بمشهد المذبحة المروعة ، مذبحة الأب والأخ وابن العم وابن العمة والتمثيل بهم ، فهل يعقل أن تغيب هذه الصورة عن عينها أو تندمل جراحها فى قلبها ؟

وتزوجت بمصعب بن الزبير ، زوج ماجد كريم أكنت له الحب فاذا بها تفجع فيه ويأتى اليوم الذى تقف

فيه مودعة اياه الوداع الأخير وهو متأهب للقتال وقد تخلى عنه الجند والأعوان ليلقى مصرعه وتجرعها الأيام مرارة الترمل وهى بعد شابة بعد أن ذاقت من قبل مرارة اليتم •

وتزوجت بعبد الله بن عثمان الحزامى ورزقت منه أولادا ، ولكن الزمن لم يمهلها لتنعم بحياة عائلية مستقرة اذ توفى زوجها وعادت للترمل مرة أخرى •

هذا القلب الكبير الذى تجرع مرارة الفواجع ، وكان يخرج من محنة لتسلمه الأيام لمنحة أخرى هل يترك الحزن فيه محلا لفرح أو مرح وقد أثخنته الجراح •

فالقلب المكلوم لايتصور أن يجمع بين الحزن والفرح فى وقت واحد • والمآسى التى مرت لاتقبل النسيان • وقد حدثنا التاريخ عن سيدات هدتهن الفجيعة فاستسلمن للحزن والبكاء فالخنساء ظلت تبكى أخاها صخرا وترثيه بأشعارها السنوات الطوال ، بل والرباب أم السيدة سكينة ظلت على حزنها على زوجها الامام الحسين الى أن أدركتها المنية • وهو أمر يتمشى مع طبيعة الشخص العادى ، اذ أن الحزين اذا أطلق لدموعه العنان قد يجد فى ذلك تخفيفا وتفريجا عما يضيق به صدره •

ستار من المرح :

ولكن السيدة سكينة كانت من نسيج فريد ، فرغم هذه المآسى الجسام كانت لايفارقها مرحها واشراقها ، وكان والدها الامام الشهيد يجد فى ابتسامتها ووجهها مايخفف عنه مايعانيه من هموم كبار ، وقد عبر رضوان الله عليه عن هذا الأحساس فقال :

لعمرى اننى لأحب دارا
تضيفها سكينة والرباب

أحبها وأبذل كل مالى
وليس لعاتب عندى عتاب

وكانت خلال الخطوب التى مرت لاتفارقها رباطة جأشها ولامرحها ومحاولتها التسرية عن والدها وتبديد غيوم الهموم والأحزان التى كانت تخيم على أفراد القافلة الصغيرة الكريمة من أبناء بيت رسول الله فى كربلاء ، لم تتخل عن ذلك الا مرة واحدة فى لحظة يعجز فيها البشر عن الاحتمال عندما خاطبها والدها هى وعماتها موصيا ألا يشققن عليه

جيباولا يخمشن وجها ولا يقلن هجرا . عندئذ تمزقت أستار التجلد التي كانت تتمسك بها فانخرطت في بكاء مرير قطعه قول الامام (سيطول بعدى عنك ياسكينة فهلا ادخرت البكاء لغد وما غد ببعيد .)

وتزوجت بعد استشهاد والدها ، فاذا بها تطوى أحزانها على عتبة الزوجية وتستعيد مرحها وبشرها . لاتفارقها هذه الروح الا في لحظة فراق الزوج الحبيب فقد ذكرتها بلحظة فراق الأب الحبيب ، فتكشف عن مكنون قلبها وتهتف : واحزناه عليك يامصعب فيلتفت اليها وقد عرته الدهشة : أو كل هذا لى في قلبك . فتجيبه : أى والله وماكنت أخفى أكثر .

وتمضى الأحداث بها وهى والمروح رفيقان لا يفترقان ، تشيع السرور والأنس حولها فما سمعت يوما شاكية ولا باكية .

فهل يقبل العقل والمنطق بكل المقاييس والموازين أن يكون هذا المرح صادرا حقيقة من أعماق هذا القلب الدامى . ان المرء ليس له الا قلب واحد في جوفه ، وهذا القلب قد مزقته الأحزان ، فليس للمرح مكان فيه ، اذن فهذا المرح لا يمكن أن يكون تعبيرا عن القلب ، وانما هو ستار تسدله على مكنون نفسها ، لتحبس حزنها وتكتمه دفينا في قلبها ثم تتكلف هذا المرح مشيعة البهجة فى كل من حولها،فأية ارادة قوية وجهد شاق بذلته السيدة الكريمة لتحمل نفسها فوقآلامها عبء التخفيف عمن حولها والتسرية عنهم ، ثغر ضاحك وقلب باك فأى ثقل مضاعف تحملته النفس الكبيرة انه لا يقوى عليه الا من أعانه الله .

حقيقة الاخلاص :

واذ انتهينا الى أن ما امتحنتها به الأيام لابد وأن يثقل قلبها بالهموم فلا يجعل مرحها الاستارا يخفى ماتحته من أحزان . فانا نضيف الى هذه النتيجة المنطقية واقعتين ثابتتين في سجلات المؤرخين .. فقد تقدم الحسن المثنى الى عمه الامام الحسين خاطبا فاختار له ابنته السيدة فاطمة النبوية وأردف « وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل » واذ يقول الامام الحسين ذلك فانه أمر واجب التصديق والتسليم . والواقعة الثانية أن السيدة سكينة رؤيت وهى ترمى الجمار أثناء

الحج فسقطت الحصاة السابعة من يدها فلم تتردد فى خلع خاتم ثمين من أصبعها لترمى به بدل الحصاة .

ومن خلال هذه الوقائع تستبين حقيقة السيدة الكريمة .. فظاهرها سيدة مرحة مشرقة تزوجت وعاشت حياتها واشتغلت بالنقد الأدبى والشعرى .. أما الباطن فسيدة أحبت الرزق قليلا وأحبت العبادة كثيرا ، فهى منصرفة عن الدنيا مهينة للمال ترمى بخاتمها الثمين دون تردد لتستكمل شعائر دينها ؛وتمضى فى تصرفاتها فى الدنيا تنفذ مايوجبه عليها دينها ، فتقبل على الزواج وقلبها منفطر بفاجعة كربلاء لتستكمل نصف دينها ، فاذا ما تزوجت أعطت لزوجها ما فرضه الشرع فلم تحمله آلام محنتها بل طوت أحزانها وكتمتها لتوفر لعلاقة الزوجية بشرها ومرحها ، وتتزوج مرة أخرى بعد أن ترملت وهى بعد شابة استكمالا لذات الواجب الدينى ، وترزق أولادا فتؤدى واجب الأمومة ورعاية الأسرة ، فكل ماتخيله الناس متعة دنيوية لها كانت تؤديه تحقيقا لما فرضه الدين الحنيف وأوجبه عليها ، لايمنعها عن ذلك ألم دفين وجرح عميق . ثم هى بعد ذلك مستغرقة فى الله ، لا تطلع أحدا على عبادتها اياه ، فلا يستبين انصرافها للعباده الا من خلال رد أبيها لأحد خطابها .

ولعل هذا يتضح منه التفسير الصحيح لمرحها الظاهر أنها تكتم آلامها فلا تشكوها لأحد من العباد ، وتجعلها مناجاة بينها وبين ربها مرددة ماذكره المولى عز وجل على لسان يعقوب عليه السلام « انما أشكو بثى وحزنى الى الله » ولقد قيل فى الاخلاص فى العبادة : أنه ما استتر عن الخلائق وصفا من العلائق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » .

أليس خلق السيدة سكينة هو حقيقة الاخلاص ؟ ألم تستر عبادتها عن الخلائق فلم تظهر لهم الامرحها فصفا اخلاصها من العلائق الدنيوية فسمت بروحها الى حقيقة الاخلاص ؟ ولا عجب فى ذلك فهى حفيدة رسول الله وبنت خير شباب أهل الجنة .

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

حسن البسيونى

تأملات فى العقيدة والفلسفة :

إمــام المتــكلمين

فى ضوء

(أ) التزامه البحث الحر ، (ب) رفضه لطريقة المتكلمين

للدكتور مصطفى عمران

من أعلام الاسلام وعلماء الحكماء أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى الامام عند علماء الكـلام والأصـول من الشـافعية ، وصاحب التفسير الكبير الذى يقول فيه قاضى القضاه أبو الحسن السبكى : فيه مع التفسير كل شىء وصاحب اليد الطـولى فى مختلف العلـوم وألوان المعرفة ، فى مقـدمتها علم الكـلام ، والفلسـفة ، وأصـول الفقه ، وعلوم العربية .

وقد ولد أبو عبد الله فى منتصف القرن السادس الهجرى عام أربعـة وأربعين وخمسمائة بمدينة « الرى » الواقعة بالقرب من « طهران » عاصمة « ايران » الحالية ، والرى حينذاك ـ كمـا يقـول ياقوت فى معجمه ـ : مدينة ليس بعـد بغـداد فى المشرق أعمر منها » . وعاش حياته الزاخرة كلها فى هـذا الجـانب الشرقى من الدولة الاسـلامية فيمـا يعرف الآن بايران وأفغانستان ، وما كاد يطل على القرن السابع الا قليـلا حتى وافتـه منيته فى ذى الحجة سنة ست وستمائة من الهجرة الموافقة لسنة عشر ومائتين وألف من الميلاد .

وأبرز ما كان يمتاز به رحمة الله صحة الذهن وافراط الذكاء واستقامة التفكـير فكان بحق فـريد عصره ونسيج وحده ومتكلم زمانه حتى قال فى مدحه شرف الدين بن عنين من قصيدة طويلة :

غلـط امرؤ بـأبى على قاسـه
هيهـات قصر عن مـداه أبـو على
لـو أن رسـطاليس يسـمع لفظـه
من لفظــه لعرته هــزة أفكــل
ويحـار بطليمـوس لـولاقاه من
برهانه فى كل شـكل مشـكل
فلـوأنهم جمعـوا لديه تيقنـوا
أن الفضــيلة لم تــكن للأول

ويقول الصفدى فى مستهل حديثه عن الامام ، اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله وهى : سعة العبارة فى القدرة على الكلام ، وصحة الذهن ، والاطلاع الذى ما عليه مزيد ، والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التى تعينه على ما يريده فى تقرير الأدلة والبراهين (١) .

وقد أثر عن الفخر رحمه الله قوله : «والله اننى أتأسف فى الفوات عن الاشتغال بالعلم فى وقت الأكل ؛ فان الوقت والزمان عزيز (٢) .

تلك اشارة عابرة ولمحة عاجلة تستبين فى ضوئها صورة مجملة للامام الرازى تمهيدا لعرض بعض جوانبه الهامة التى اهتدينا اليها بعد دراسة مستأنية وتأمل طويل لما بين أيدينا من تراثه الكبير مما يشهد بما ألمعنا اليه من:

١ ـ التزامه رحمه الله فى بحوثه جميعا ما تهدى اليه الأدلة والبراهين وحرصه الشديد على المناقشة الموضوعية لما تطرحه العقيدة من قضايا وما يواجهه من مشكلات فلسفية دون ما تأثر بما قد يكون شائعا من آراء ومذاهب أيا كان مصدرها .

٢ ـ رفضه ـ فى أخريات أيامه ـ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية المستندة ـ على حد تعبيره ـ الى التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات .

وأوضح ما نعتمد عليه فيما ذهبنا اليه من الأمر الأول ما أعلنه الامام الرازى نفسه فى هذا الصدد ، فهو يقول فى مقدمة كتابه المباحث المشرقية؛ وبعد فان الذى صرفنا وكدنا وكدنا اليه تحصيل ما وجدناه فى كتب المتقدمين ، وقرأناه من زبر الأولين تحصيلا نختار اللباب من كل باب ويكون الترتيب على أن نفصل المطالب بعضها عن بعض ، ثم نرد فيها اما بالأحكام واما بالنقض ، ثم نذيلها بالشكوك المشكلة والاعتراضات المفصلة ، ثم نتبعها ان قدرنا بالحل الشافى والجواب الوافى ، وربما وقع فى أثناء ذلك ما يخالف المشهور وينقض كلام الجمهور ، ولكنك أيها الطالب خبير بأن العاقل لا يحيد عن

---

(١) الوافى : ٤ / ٢٤٨ طبع دمشق .

(٢) عيون الانبياء لابن ابى اصيبعة . ص ٤٦٢ طبع بيروت .

المألوف اذا وجد الى تقريره سبيلا ، ولا يرغب عن المعروف اذا وجد عليه دليلا جملة وتفصيلا .

ثم يقول : « وان الذين يجزمون بوجوب موافقة الأولين فى كل قليل وكثير ، ويحرمون مفارقتهم فى النقير والقطمير ، يعلمون أن أولئك المتقدمين كانوا فى بعض المواضع لمتقدميهم مخالفين وعلى كلامهم معترضين وعن مقالاتهم معرضين ، وبذلك مصرحين » :

ثم يقول معلنا عن منهجه : « ... اخترنا الوسط بين الأمرين والقول الأحسن من القولين ، وهو أن نجتهد فى تقرير ماوصل الينا من كلماتهم وحصلناه من مقالاتهم فان عجزنا عن تلخيصه وتحريره واظهار وجه تقريره أشرنا الى وجه الاشكال وذكرنا ما هو كالداء العضال ثم نجتهد فيه اما بتأويل مجملهم أو بتلخيص مفصلهم المذكور فى متفرقات صحفهم ، ثم نضم اليه أصولا وفقنا الله تعالى على تحريرها وتحصيلها وتقريرها وتفصيلها (١) .

وعلى الرغم من وضوح هذا المنهج الذى أعلنه الامام والتزمه فى دوساته وحياته العلمية فان جمهور المؤرخين بل جميعهم . فيما أعلم ـ والمحققين الذين عرضوا له بالدراسة والنقد والتقييم يرون متابعة الامام الرازى للمذهب الأشعرى وارتباطه وتقيده به وتعصبه له .

فالمستوعب لما كتبه المؤرخون وأصحاب الطبقات يطالع أطباقهم على أن الامام الرازى أشعرى العقيدة

ويصرح الأستاذ الامام محمد عبده بأن الامام الرازى رجل أشعرى قد جرى فى جميع كتبه واعتقاداته على أصول الأشعرى(٢) .

ويجزم الشيخ عبد المتعال الصعيدى بأن فخر الدين الرازى كان أشعريا متعصبا (٣) .

---

(١) المباحث المشرقية : ١ / ٣ ، ٤ ، ٥ طبع الهند .

(٢) انظر حاشية الامام محمد عبده على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضوية ص ٧٨ .

(٣) المجددون فى الاسلام ص ٢٢٧

غير أن منهج الامام الواضح فى ضوء ما أعلنه ثم تطبيق هذا المنهج فى دقة وأمانة على هدى ما تعرض له الآن من قضايا ومسائل العقيدة والفلسفة ليشهدان فى صدق بالغ بهذه الحقيقة أهتدينا اليها من أنه رحمه الله كان رجلا حر التفكير الزم نفسه مناقشة الأراء والمذاهب أيا كان مصدرها حتى يستبين الحق وينكشف له الصواب فيؤمن به ويتخذه مذهبه •

ومن أجل ذلك فنحن مطمئنون الى القول بأنه رحمه الله لم يكن متقيدا فى أصول الدين بالمذهب الأشعرى ولا بغيره وبالتالى لم يكن متعصبا لأى منها ، ولقد امتحن الامام آراء الأشاعرة وفحص أدلتهم فرضى عما اطمأن اليه قلبه ، ثم خالفهم فى بعضها وتوقف فى بعض آخر اتباعا للحجة واذعانا للحق حسبما تبين له •

١ ـ فهاجم دليل الأشاعرة العقلى على جواز رؤيته تعالى يقول فى كتابه الأربعين فى أصول الدين : « أعلم أن جمهور الأصحاب عولوا فى اثبات أنه تعالى لم يصح أن يرى على دليل الوجود وأما نحن فعاجزون عن تمشيه ، ونحن نذكر ذلك الدليل ثم نوجه عليه ماعندنا من الاعتراضات » (١) •

ويقول أيضا فى المطالب العالية : « وأما مثبتوا الرؤية فقد عولوا على أن قالوا : الله تعالى موجود وكل موجود تصح رؤيته ، دليلهم فى اثبات أن كل موجود تصح رؤيته فقد ذكرناه فى أحكام الموجودات ، وأوردنا عليه اعتراضات قوية لا يمكن دفعها البتة » (٢) •

وفى كتابه « المعالم » ساق دليل الوجود هذا ، وذكر أنه للجمهور من الأصحاب ثم عقب عليه بقوله : وهذا عندى ضعيف (٣) •

٢ ـ وخالف الأشعرى فى القول بأن حصول العلم عقيب النظر انما هو باجراء العادة وأعلن أن النظر الصحيح يلزمه حصول العلم

---

(١) ص ١٩١ طبع الهند .
(٢) المطالب العالية تحقيق كاتب هذه السطور جـ ٢ ص ٤٥٠
(٣) انظر هامش المحصل للامام الرازى ص ٦١ المطبعة الحسينية .

بالضرورة ، بل ان الرازى لا يأبه أن يكون مخالفا للجمهور والأشعرى جميعا مادامت الأدلة مؤيدة له فيقول فى كتابه (نهاية العقول) : « المسألة الثانية فى بيان أن النظر يفيد العلم ؟ اعلم أن من عرف حقيقة النظر الذى ندعى افضاءه الى العلم علم بالضرورة كونه كذلك » .

وبعد أن يبين حقيقة النظر ، وأن استلزامه للعلم انما هو بالضرورة يقول : « فان الأشعرى وان كان مذهبه أن حصول العلم عقيب النظر باجراء العادة الا أن جمهور أصحابه يقولون : النظر الصحيح يتضمن حصول العلم ، وفسروا المتضمن بملازمة العلم النظرى للنظر ، وفسروا النظر بالتردد فى أنحاء العلوم الضرورية ، فنحن نقول بهذه الملازمة ، وأيضا فأبوالحسين البصرى وهو الرجل فى المعتزلة ذهب الى أن هذه العلوم الضرورية توجب العلم النظرى ، فثبت أن الذى اخترناه ليس مذهبا على خلاف الجمهور .

ثم يقول : « وأيضا فهب أنه كذلك لكن الدليل لما ساقنا اليه وجب قبوله » (١) .

٣ ـ ويرى الامام رحمه الله أن العلم نسبة مخصوصة بين العالم والمعلوم وينكر أنه صفة حقيقية مخالفا فى ذلك مذهب الأشاعرة وجمهور المتكلمين فيقول فى كتابه (المعالم) : « المسألة الحادية عشرة فى اثبات أنه تعالى عالم وله علم ؟ أهم المهمات فى هذه المسألة تعين محل البحث فنقول : انه من علم شيئا فانه يحصل بين العالم وبين المعلوم نسبة مخصوصة ، وتلك النسبة هى المسماة بالشعور والعلم والادراك ، فنحن ندعى أن هذه النسبة أمر زائد على الذات ، ومنهم من قال : ان العلم صفة حقيقية تقتضى هذه النسبة ؟ ومنهم من قال العلم صفة حقيقية توجب حالة أخرى وهى العالمية ، ثم ان هذه العالمية توجب تلك النسبة الخاصة والمتكلمون يسمون هذه النسبة (٢) بالتعلق ، وأما نحن فلا ندعى الا ثبوت هذه النسبة ويصرح بفساد

---

(١) نهاية العقول للرازى مخطوطة دار الكتب ١ / ٢٢ ب ، ٢٥ ـ ١ رقم ٧٤٨ علم الكلام ، والمحصل ص ٢٨ ، ٢٩

(٢) انظر هامش المحصل ص ٤٧ ، ٤٨

مذهب الأشعرى القائل : ان لفـظ الموجـود الواقـع على الواجب لـذاته وعلى الممكن لـذاته لا يفيـد مفهوما واحدا مشتركا فيه بين القسمين بل هو بحسب الاشتراك اللفظى •

فيقـول فى المطلب العـالية : « أما القول الأول (وقـد عزاه قريبا الى طائفـة عظيمة من المتكلمين منهم أبـو الحسن الأشـعرى وأبو الحسـين البصرى) وهو أن لفظ الموجود واقع على الواجب لذاته وعلى الممكن لذاته لا بحسب مفهـوم واحـد بل بحسب الاشتراك اللفظى فقط فتقول أنا قد دللنا فى سائل الوجود على فساده ، ولا بأس باعادة بعض تلك الوجود ، ثم يذكر عشرة وجوه محتجا بها على فساد مذهب الأشعرى •

وفى مقال تال نستكمل بمشيئته تعالى حـديثا الموصـول عما ألمنا اليه مما يتصـل بامـام المتكلمين فخر الـدين الرازى ؟

دكتور/ مصطفى عمران

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ١٠ —

١٣١ — ويقولون : نأكل في اليوم والليلة ثلاث وجبات : هي الغذاء ، والكرزمة ، والعشاء فالغذاء طعام الغدوة ، تقول : تغدى اذا أكل أول النهار ، والكرزمة طعام نصف النهار ، والعشاء طعام العشى ، والفصيح أن يقال نأكل في اليوم والليلة ثلاث أكلات ، أو ثلاث مرات وذلك لأن الوجبات الثلاث لاتكون الا في ثلاثة أيام ولياليهن ، فالعرب قالت ان الوجبة هي الأكلة الواحدة في اليوم والليلة ، ومثلها الوزمة وزنا ومعنى ، والعريجاء بضم العين ، تقول : فلان أكل الوجبة أو الوزمة ، أو العريجاء اذا أكل أكلة واحدة في اليوم والليلة ، أو هي أكلة في اليوم الى مثلها من الغد .

وتقول : وجب فلان نفسه توجيبا اذا عودها ذلك ، ووجب عياله وفرسه اذا عودهم الوجبة ووجب ناقته اذا لم يحلبها في اليوم والليلة الا مرة واحدة ، وفلان يأكل الوجبة ، ويتبرز الوقعة ، أى أنه في اليوم والليلة يأكل مرة ويتغوط مرة .

ومن معانى الوجبة السقطة مع الهدة ، قال تعالى «فاذا وجبت جنوبها » أى سقطت على الأرض ، ووجبة الحائط سقوطه .

١٣٢ — ويقولون : بنى فلان بأهله يعنون أنه تزوج ، والصواب أن يقال : بنى على أهله ، وأصله أن الرجل كان اذا تزوج بنى لزوجه خباء جديدا وعمره بما يحتاج اليه ، أو يبنى له تكريما ، ثم كثر حتى كنى به عن الجماع

قال ابن السكيت يقال بنى على أهله اذا زفت اليه ، وفى التهذيب : والعامة تقول : بنى بأهله وليس من

كلام العرب » وقالوا استبنى فلان ، وابتنى اذا أعرس ، قال

أرى كل ذى أهل يقيم ويبتنى
مقيما وما استبنيت الا على ظهر

يريد أنه تزوج وهو مسافر على على راحلته

١٣٣ ــ ويزعمون أن كلمة المضاهاة معناها الموازنة بين شيئين ، وتبين وجوه الشبه بينهما فيقولون : ضاهى فلان بين كذا وكذا ، يعنون وازن بينهما ومن ذلك قولهم : فلان خبير لدى المحاكم فى مضاهاة الخطوط ، يريدون بذلك أن الخبير يعمد الى كتابتين فيفحص عما بينهما من تشابه وتضاد ، ليحكم بعد ذلك : أهما لكاتب واحد أم لكاتبين مختلفين؟

وهذان التعبيران لايؤدى كل منهما المعنى الذى أنشىء من أجله لابطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز ففى الأساس : فلان لا يضاهى كرما ولا يضاهيه أحد ، أى لايشابه فى كرمه ولا يشبهه أحد ،

وفى النهاية : أشد الناس عذابا يوم يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله أراد المصورين وصانعى التماثيل ، فالمضاهاة المشابهة والمماثلة ، وقد تهمز فيقال : مضاهأة ، وقد قرىء بالهمز قوله تعالى « يضاهئون قول الذين كفروا »

وفى لسان العرب : المضاهاة مشاكلة الشىء بالشىء وقد تهمز

١٣٤ ــ ويقولون : عاد المسافرون الاك ، أوالاه ، فيوقعون الضمير المتصل بعد الا ، كما يوقع بعد غير فى مثل قولك : عاد المسافرون غيرك ؛ فيخطئون فى ذلك كما أخطأ المتنبى فى قوله

ليس الاك ياعلى همام
سيفه دون عرضه مسلول

والصواب أنه لا يقع بعد الا سوى الضمير المنفصل ، كما فى قوله تعالى : « أمر ألاتعبدوا الا اياه » والفرق بين الا وغير أن الاسم الواقع بعد غير لا يقع أبدا الا مجرورا بالاضافة ، والضمير المجرور لايكون الا متصلا ، ولهذا يمتنع أن يفصل بينهما ، وليس كذلك الاسم الواقع بعد الا ، لأنه يقع اما منصوبا واما مرفوعا ، وكلاهما يجوز أن يفصل بينه وبين العامل فيه ولهذا جعل له ضميران متصل ومنفصل ، الا أنه لما اعترضت الا فى الكلام وفصلت بين العامل

والمعمول أوقع بعدها الضمير المنصوب ، كما فى قوله تعالى « مثل من تدعون الا اياه »

وكذا الضمير المرفوع كما فى قول معد يكرب

قد علمت سلمى وجاراتها
ماقطر (١) الفارس الا أنا

فأما قول القائل :

فالا تبالى اذا ماكنت جارتنا
ألا يجاورنا الاك ديار

فهذا نادر ، والنادر لا يعتد به ولا يقاس عليه ۞

١٣٥ ـ ويقولون : امرأة عزبة ، قياسا على قولهم: رجل عزب بالتحريك ، والأفصح أن يقال لها عزب أيضا بدون هاء ، لأن كلمة عزب مصدر وصف به فلا يؤنث كما يقال رجل خصم وامرأة خصم ، قال

يا من يدل عزبا على عزب
على ابنة الحمارس (٢) الشيخ الأزب (٣) .

١٣٦ ـ ويقولون : أحاطه بعنايته ، ونحيطكم علما ، وكلا التعبيرين خطأ ، لأنهم جاءوا بالفعل متعديا للمفعول مع أنه لازم ، تقول : أحاط بهم العدو ، ويحيط بكم علما ، قال تعالى من الأول « احطت بما لم تحط به » وقال « وأحيط بثمرة » « ان ربى بما تعلمون محيط » وقال من الثانى « قد أحاط بكل شىء علما » وقال «اكذبتهم بآياتى ولم تحيطوا بها علما » وذلك لأن الفعل الرباعى معناه الاحداق بالشىء وهو لازم دائما ، قال فى شرح القاموس :

وأحاطت به الخيل واحتاطت أى أحدقت به

اما الثلاثى فمعناه الحفظ والصون وهو متعد غالبا ، تقول : حاطه الله بعنايته يحوطه حوطا وحياطة ، وحيطة بكسرهما ، وقد يأتى الثلاثى بمعنى الاحداق فيكون لازما ففى المصباح : وحاطوا به من باب قال لغة فى الرباعى ، ومنه قيل

---

١ ـ قطر الفارس : القاه على احد قطريه فصرعه .
٢ ـ الحمارس الشديد .
٣ ـ الأزب : الكريه .

للبناء حائط اسم فاعل من الثلاثى ، وفى اللسان : وحاطه وأحاط به

وملخص ماعرضنا أن الرباعى معناه الاحداق ولايكون الا لازما ، وأن الثلاثى قد يأتى بمعنى الاحداق قليلا ويكون لازما ، وبمعنى الحفظ كثيرا ولا يكون الا متعديا •

١٣٧ – وينكرون أن يقال : امرأة مفضالة بكسر الميم ، اعتمادا على القاعدة النحوية التى تمنع دخول الهاء الفارقة على مفعال ، وتقول : يستوى فيه المذكر والمؤنث ، قال ابن مالك

ولا تلى فارقة فعولا
أصلا ولا المفعال والمفعيلا

ولكن ذلك ورد فى اللغة : ففى اللسان والقاموس : ورجل مفضال على قومه سمح ذو فضل ، وهى بهاء أما مجذامة (١)ومطرابه (٢) فهذهالهاء فيهما لزيادة المبالغة كما هى فى علامه ونسابة ، لأنهم قالوا : مجذام ، ومطراب •

وفى مختار الصحاح : وامرأة مفضالة على قومها اذا كانت ذات فضل سمحة •

١٣٨ – ويزعمون أن الأرملة هى المرأة التى مات زوجها وان كانت غنية ، والحق أنها لاتسمىأرملة الااذا كانت فقيرة محتاجة ، فان كانت موسرة فليست بأرملة وان فقدت زوجها ، اذ يقال : أرمل فلان اذا افتقر وفنى زاده ، فهو مرمل ، وجاء أرمل على غير قياس ، وهو من الرمل كأدقع من الدقعاء

قال ابن الأنبارى : لا يقال لمن لم يكن له زوج أرمل الا على قلة ،لأن زاده لا يذهب بفقد امرأته اذ لم تكن قيمة عليه ، وقال ابن السكيت : الأرامل المساكين رجالا ونساء مما عرضنا استبان أن الفقر شرط فى الأرمال •

١٣٩ – ويقولون : يبغى عليك أن تصدق ، وما ينبغى عليك أن تكذب ، وهذا خطأ ، لأن هذا الفعل لاتستعمل معه على ، وانما تستعمل معهاللام فيقال: ينبغى لك أن تصدق ، وما ينبغى لك

---

١ – المجذام والمجذامة : القاطع للأمور الفيصل .
٢ – المطراب والمطرابة : الطروب .

أن تكـذب ، وعلى هـذا جاء القرآن الكريم ، قال تعالى : «وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وقال : « لا الشمس ينبغى لهـا أن تـدرك القمر » وقال وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا » وقال « «وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد»

ولك أن تستعمل الفعل بـدون اللام فتقول : ينبغى أن تفعـل كـذا ومـا ينبغى أن تفعـل كـذا وهذا الفعل من أفعال المطاوعة » ، يقال : بغيت الشىء أبغيـه بغيـا أى طلبتـه فانبغى ككسرته فانكسر .

١٤٠ ـ ويقولون أوشك المال على النفاد ، ويوشك المريض على الشفاء، والصواب أن يقال أوشك المـال أن ينفذ ، ويوشك المريض أن يشفى ، وذلك لأن أوشك من أفعال المقاربة، وهى تعمل عمل كان ولابد أن يكون خبرها جملة فعلية فعلهـا مضـارع مقرون بأن غالبا كما فى قول الشاعر

ولو سـئل النـاس التراب لأوشكوا
اذا قيل هاتوا ـ أن يملوا ويمنعوا

وقد يتجرد منها على قلة كما فى قول أمية بن أبى الصلت

يوشك من فر من منيته
فى بعض غراته ـ يوافقها

فجملة يوافقها فى محـل نصـب خبـر يوشـك ، والغـرات بالكسر الغفلات ، ويوافقها أى يصادفها .

وقد تأتى تامة اذا اسندت الى أن والفعل كما فى قولك : أوشـك أن يفوز محمد ، فـأن والفعـل فاعـل لأوشك .

١٤١ ـ ويقولون : هذا الشعر أو هـذا الغناء أكثر فعالية من غيره فى النفوس ، بتخفيف الياء ، والصواب أن يقال « أكثر فعالية بتثقيل اليـاء ، على أنها مصـدر صـناعى أصله فعال وزان سحاب بمعنى الفعل الحسن ، أضـيفت اليه ياء النسب وتاء الوحدة فصار المعنى : هذا الشعر أكثر حسنا من غيره .

ولك أن تؤدى هذا المعنى بقولك: هذا الشعر أو هذا الغناء أكثر أثرا ، أو أكثر تأثيرا أو أكثر فعـلا ، أو

أكثر افتعالا فى نفوس السامعين ، قال ذو الرمة

وشعر قد أرقت له غريب
أجنبه المساند (١) والمحالا (٢)

فبت أقيمه وأقد (٣) منه
قوافى لا أعد لها مثالا

غرائب قد عرفن بكل أفق
من الآفاق تفتعل افتعالا

أى تبتدع ابتداعا غير مسبوق الى مثله .

أوبقولك : هذا الشعر أو هذا الغناء يفعل الأفاعيل فى النفوس ، كقولهم :

الرشا تفعل الأفاعيل ، وتنسى ابراهيم واسماعيل ، وقوله الشماخ :

اذا استهلا (٤) بشؤبوبيه (٥) فقد فعلت
بما أصابا من الأرض الأفاعيل

أى الأعاجيب

١٤٢ ــ وينكرون أن يقال : ارتدى الرجل الثوب أو ترداه ، تبعدى الفعلين الى المفعول به ، لأن المعاجم لم تصرح لهما بمفعول : ففى الأساس قال الزمخشرى : ارتدى بالثوب وتردى به ، وتردت المرأة ، وارتدت توشحت ، وفى القاموس قال الفيروزبادى : وتردت الجارية توشحت ولبست الرواء

والحق أنهما ينصبان المفعول به ، قال السموءل بن عادياء فى أول لاميته

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى

ليس الجمال بمئزر
فاعلم وان رديت بردا

وما دام ردى يتعدى الى مفعولين كما فى بيت عمرو فمطاوعه يتعدى الى مفعول واحدكما هى القاعدة ، فيقال : رديت الرجل ثوبا فترداه

---

١ ــ المساند : ما به سناد وهو عيب من عيوب الشعر .
٢ ــ المحال ما يستحيل وقوعه .
٣ ــ اقد : اقطع .
٤ ــ الاستهلال : صوت المطر والصبابه .
٥ ــ الشؤبوب : الدفعة من المطر .

قال الرضى : ويكثر اغناء افتعـل عن انفعـــل فى مطـــاوعة مافيـــه علاج اذا كانت فاؤه لامـا ، أوراء ، أونونا ، أوميما ، تقول : لحم الصائغ الذهب، باللحام فالتحم ، ورمى الصياد السهم عن القوس فارتمى ، ونفضت المرأة الثوب فانتفض ، وملأت الوعاء عسلا فامتلأ ، ولا ريب أن فعلنا رائى الفاء فهو داخل تحت ضابطه .

عباس ابو السعود

صفحات من تاريخ القاهرة

٧ - الأزبكية

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

ذكرنا فى مقال سابق أن النيل كان عند الفتح الاسلامى يجرى فى موقع واتجاه شارع عماد الدين تقريبا . ولما جدد عمرو بن العاصى حفر الخليج المصرى . كان مجرى هذا الخليج فى موقع واتجاه شارع بور سعيد الحالى .

وكان مابين المجرى القديم للنيل ومجرى الخليج قليل عرض . وكانت هناك ما بين النيل والخليج بساتين ومزارع وبرك . وأقدم ماعرف من البساتين غربى الخليج البساتين المعروفة بجنان الزهرى .

وجنان الزهرى كانت تصل جنوبا الى قرب موقع ميدان السيدة زينب وشمالا الى موقع العتبة الخضراء وميدان الأوبرا حاليا . وبذلك كانت تغطى مساحات كبيرة وأحياء موقعها بالنسبة لأسماء الوقت الحاضر حى الناصرية (وكان يعرف قديما ببركة السباعين) وشرقا منه حى الحنفى . وشمالا منهما حى عابدين . ومن ضمنه بركة كانت تعرف ببركة الشقاف . وعلى جانب بركة الشقاف الجامع المعروف بجامع الطباخ (أنشىء فى عهد الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الثامن الهجرى = ١٤م . وهو موجود للآن بميدان باب اللوق) وكان موقعه يطل على النيل فى مجراه القديم . ومن ضمن جنان الزهرى شارع عبد العزيز والعتبه الخضراء وميدان الأوبرا .

والزهرى المنسوبة له هذه الجنان هو أبو العباس عبد الوهاب بن موسى ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف) وعبد الرحمن بن عوف هو الصحابى الشهير) وأم عبد الوهاب الزهرى ينتهى نسبها الى عبد الملك ابن مروان . وقد تولى الشرطة بمصر سنة ٢١١هـ .

ثم قسمت أرض جنان الزهرى • وحكرت مبانى • وبتداء هذا كان فى زمن الفاطميين فى أوائل القرن الخامس الهجرى (= ١١ م) • فقد بنى ابن التبان — وكان رئيسا للأسطول — غربى الخليج مقابل باب الخلق وحى الحبانية الحاليين •فعرف البر الغربى هناك ببر ابن التبان •

وتوالت الأحكار بعد ذلك • فقد ذكر المقريزى ما يقرب من الخمسة عشر حكرا نذكر منهاحكر طقز دمر• وكان ثلاثين فدانا وأنشأ مقابله على الخليج قنطرة عرفت بقنطرة طقزدمر وغلب عليها اسم قنطرة درب الجماميز لوجود شجر جميز هناك كان يعرف بجماميز السعدية • وكان طقزدمر يلقب بالحلبى الكرمانى • وكان نائب السلطنة بمصر فى دولة بنى قلاوون فقد عاصر الناصر محمد بن قلاوون وأربعة من أولاده وتوفى سنة ٧٦٤هـ

ونذكر منها حكر الست حدق أو الست مسكة عند منظرة السكرة • ولايزال جامع الست مسكة باقيا للآن بحى الحنفى • كما أن بركة الشقاف حكرت أرضها بعد سنة ٦٠٠ هـ • وبركة السباعين (وسميت بهذا الاسم لوجود دار للسباع بجانبها) ظلت منها بقية الى زمن المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) ولم تحدث بجانبها العمارة والمبانى الا بعد سنة ٧٠٠ هـ •

وخلدت البلدية اسم جنان الزهرى بأن أطلقته على شارع صغير متفرع من شارع محمد عز العرب(المبتديان) وموازى لشارع نوبار •

وشمال جنان الزهرى كان هناك بستان عرف قديما باسم بستان المقس (١) •

بستان المقس :

وكان بستان المقس يغطى مساحة موقعها ما بين ميدان الأوبرا وميدان رمسيس •

وعند الفتح العربى كانت هناك قرية اسمها أم دنين موقعها كتلة المبانى الموجودة مابين شارعى كلوت

---

(١) كانت كلمة بستانى لا تطلق فقط على حدائق الفاكهة بل أيضا على الحقول المجاورة للمدينة لما بها من زراعات الفاكهة والزهور والخضروات اللازمة للمدينة •

بك وابراهيم باشا (الجمهورية) حتى باب البحر عند ميدان رمسيس. فكأنها كانت جزءا من مساحة هذا البستان . وقد لاقى العرب هناك عند الفتح بعض المقاومة .

وكان النيل يجرى غربى بستان المقس . والمقس كما قيل اشتق لفظه من المقسم . لأن العرب قسموا غنائم الحرب هناك . وقيل أنها فى المكس ـ أى الجمارك على البضائع الواردة لأنه كانت هناك الميناء النهرية للمدينة خلف جامع أولاد عنان بشارع الجمهورية .

والجامع المذكور أنشأه الحاكم بأمر الله الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى . ثم جدده الصاحب عبد الله المقسى سنة ٧٧٠ هـ . فنسب اليه . ثم سكنه الشيخ محمد عنان (توفى سنة ٩٢٢ هـ) وأخوه وأولاده فعرف بهم . وقد هدم هذا الجامع أخيرا ليقام مكانه مسجد جديد باسم مسجد الفتح .

وكان شمال الجامع المذكور منظرة للفاطميين عرفت بمنظرة المقسى يجلس فيها الخليفة عند توديع واستقبال الأسطول الحربى . وكان الأسطول يخرج للغزو من المقسى فى النيل الى دمياط ومنها للبحر الأبيض (١) .

الأسطول المصرى عند الفاطميين :

وقد اهتم الفاطميون بصناعة السفن الحربية حتى بلغت عدتها فى أيام المعز لدين الله ٦٠٠ قطعة .

وقبل الفاطميين كانت بمصر صناعة للسفن أنشأها عنبسة بن اسحق الوالى على مصر سنة ٢٣٨ هـ فى خلافة المتوكل على الله العباسى . ثم أنشأ أحمد ابن طولون دارا لصناعة السفن فى جزيرة الروضة سنة ٢٥٤هـ .

كما أنشأ محمد بن طغج الأخشيد (٣٢٣ ـ ٣٣٤ هـ) دارا أخرى للصناعة فى الفسطاط . وتوسع فى هذه الدار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ ـ ٥٢٥ هـ) . وأنشأ بها منظرة يستريح فيها الخليفة قبل انتقاله لتخليق المقياس بالروضة فى الاحتفال بوفاء النيل .

(١) كانت للفاطميين ايضا منظرة عند باب الفتوح يجلس فيها الخليفة لتحية الجيش فى خروجه للحروب او العودة منها .

فكأنه كان فى زمن الفاطميين ثلاث دور للصناعة (١)، واحدة بالروضة، وواحدة بالمقس ، وثالثة بالفسطاط .

بستان الدكة وقنطرة الدكة :

وكان بالقرب من منظرة المقس منظرة أخرى للفاطميين تعرف بمنظرة الدكة فى بستان عرف ببستان الدكة .

وكان الخليفة الفاطمى فى عودته من حفلة وفاء النيل وجبر الخليج يسير فى البر الشرقى للنيل حتى يدخل هذا البستان بمفرده ليسقى فرسه . وقال المقريزى أنه لم يعلم سبب لهذا التصرف .

ونقول : لاغموض ولا الغاز . فلعله لحاجة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال .

وسنذكر تعليل اسم الدكة فيما بعد باذن الله .

ارض الطبالة :

ولا ستكمال الصورة نذكر أنه كان شمال بستان المقس الأرض التى عرفت بأرض الطبالة . وموقعها حى الفجالة والجزء الجنوبى من حى الظاهر والشرابية حاليا . وقصة هذه التسمية مشهورة محملها أن المستنصر بالله الفاطمى (حكم من٤٢٧-٤٨٧ هـ) كانت نفسه تحدثه بالتغلب على العباسيين وتوحيد الخلافة فى مصر وخطب باسمه فعلا فى بغداد فى صلاة الجمعة أربعين أسبوعا . فغنت بين يديه احدى المغنيات ابياتا فى الشعر منها :

بنى العباس ردوا
ملك الأمر معد
ملككم ملك مستعار
والعوارى تسترد

والمستنصر بالله اسمه أبو تميم معد . فأقطعها هذه الأرض .

بركة بطن البقرة :

وكان بستان المقس يطل على النيل غربا وعلى الخليج شرقا، ويقابله من

---

(١) حرفت دار الصناعة الى ترسانة . ونقل اللفظ الى أوربا ففى الانجليزية والفرنسية ارسنال Arsenal معناها مخزن للأسلحة الحربية .

الجانب الشرقى للخليج منظرة اللؤلؤة أشهر مناظر الفاطميين . وكانت بالسور الغربى للقاهرة الفاطمية خلف جامع الشعرانى بميدان باب الشعرية الحالى .

فأمر الظاهر لأعزاز دين الله الفاطمى - وهو ابن الحاكم بأمر الله . (حكم من ٤١١ - ٤٢٧ هـ) ، أن يعمل بستان المقسى بركة أمام منظرة اللؤلؤة .

وهذه البركة محل البستان عرفت فيما بعد ببركة بطن البقر .

ولا أعرف العلة في الاسم . ولكن نجد فى مقاطع الأحجار بالمقطم أجزاء يسميها النحاتون مقطع بطن البقرة . وكانوا يعتبرونها ممتازة فى عمل درج السلالم . لنعومة وجهها بعد النحت . فربما الاسم للبركة يدل على نعومة طينها وهدوء مياهها .

وكان بستان المقسى يغذيه بالماء خليج الذكر . فأصبح خليج الذكر يغذى بركة بطن البقرة بالماء . وخليج الذكر كان يأخذ ماءه من خليج فم الخور الذى كان يأخذ مياهه من النيل هناك . والذكر أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس وكان له نصيب فى تجديد حفره . وكان على خليج الذكر قنطرة عليها دكة يجلس عليها المتفرجون . فعرفت بقنطرة الدكة . ولا يزال الاسم باقيا للآن فى هذه الجهة .

ثم هجرت البركة وأهمل شأنها . فبنيت أغلب مساحتها . وقال المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) : ولا تزال هناك بقية من تلك البركة يجتمع فيها الناس للنزهة .

ويجدر بنا أن نذكر أن كثيرا من البرك لم تكن تمتلىء بالماء طول السنة بل أثناء الفيضان فقط . ثم ينحسر الماء عن كلها أو بعضها فتزرع .

هذه البقية من بركة بطن البقرة هى التى عرفت فيما بعد ببركة

الأزبكية نسبة للأتابك (١) أزبك بن ططخ .

بركة الأزبكية :

قال ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) أن أزبك بن ططخ بدأ بعمارة الأزبكية . وكانت خرابا ذات كيمان وأرض سباخ . وكان خليج الذكر الذى يغذى البركة قد ارتدم . فحفر بعض الناس مجرى من الخليج الناصرى أوصله لأرض الأزبكية فصار يروى بعضها أيام زيادة النيل .

وكان الأتابك أزبك بن ططخ ساكنا بقرب هـذه المنطقة . فخطر له أن يعمرها وينشىء منـاخا لجمـاله وخيوله . فحرث الأرض . وجرف الكيمان وجدد حفر البركة وجـدد عمارة قنطـرة خليج الذكر . وبنى رصيفا محيطا بالبركة . وبلغ ماصرفه على عمارتها مائتى ألف دينار .

ثم شرع الناس يبنون على حافة هذه البركة القصور الفاخرة والدور الجليلـة . ومازالت العمـارة تتزايد حتى سنة ٩٠١ هـ . وصارت مدينة على انفرادها وأنشـأ الأتابك أزبـك المذكور جامعا كبيرا . وأنشـأ حول الجامع الربوع والحمامات والقياسر الـربـوع والحمـامـات والقيـاسر والطـواحين وغـير ذلك . وفى كل سنة فى موسم الفيضان كانت تنصب الخيام حول البركة . ويقع من اللهو والقصف مالا مزيد عليه .

والجـامع المذكـور الذى أنشـأه أزبك بن ططـخ كان مكانه بالقرب من مدخل شـارع الأزهر . وأزيل ضمن ماأزيل فى تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتـح شـارع محمـد على (القلعة) فى عهد أسرة محمد على .

الأتابك أزبك بن ططخ :

أصـــله من ممـــاليك الأشرف برسـباى . ثم اشـتراه الظـاهر

---

(١) ذكرنا فى مقال سابق أن اتابك مركبة فى كلمتين اتـا بمعنى اب وبك بمعنى أمير . فيكون المعنى : أبو الأمراء . وهى رتبة لأكبر الأمراء المقدمين تقتصر على الرئاسة الشرفية فوق باقى الأمراء . وكانت هذه الرتبة أحيانا تقتصر على الرئاسة الشرقية فوق باقى الأمراء . وأحيانا كان الأتابك يقود الجيوش ويدير شئون الحكم كرئيس الوزارة .

جقمق • وقربه ورقاه وصاهره فى ابنتيه مرتين • أى تزوج أزبك واحدة بعد الأخرى • وتولى عدة وظائف عالية حتى عين نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى • ثم أتابكيا فى دولة الأشرف قايتباى سنة ٨٧٣ هـ •

واستمر أتابكيا نحو ثلاثين سنة • وكان كفؤا للمهمات التى يكلف بها • وسافر فى عدة حملات عسكرية • وأظهر الشجاعة والعزم فى قتال بايزيد الثانى بن محمد الفاتح العثمانى • وقد حارب المذكور مصر فى عهد قايتباى مرتين • وهزم فى المرتين •

وتوفى أزبك فى ٢٠ رمضان سنة ٩٠٤ هـ • فى عهد الظاهر قانصوه بن قانصوه عن ٨٥ عاما • وترك ثروة طائلة • ودفن بتربة أستاذه الظاهر جقمق •

وتوفى فى نفس اليوم الذى توفى فيه أزبك بن ططخ • أمير آخر اسمه أزبك اليوسفى • كان أيضا من مماليك الظاهر جقمق • وتولى عدة مناصب كبيرة • وكان يعرف بأزبك الخازندار • وناظر الخاص • وهو صاحب الجامع الموجود بحى الصليبية بالقرب من مسجد ابن طولون • ومعروف باسم جامع أزبك اليوسفى• وتوفى وهو فوق الثمانين فى ٢٠ رمضان سنة ٩٠٤ هـ وصلى عليه السلطان بعدأن كان صلى علىأزبك بن ططخ • ودفن أزبك اليوسفى فى جامعه المذكور •

وقد خلط المرحوم على باشا مبارك بين الاثنين (الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ٦٦) • وتابعه فى الخطأ كتاب آخرون • فقد ذكرت الأستاذة سنية قراعة (مساجد وقصور ص ٢٩٣) أن فى حفل افتتاح مسجد الكخيا (على ناصية شارعى قصر النيل والجمهورية) الذى بناه عثمان كتخدا القازدوغلى والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العمائر المشهور لم يجد الأمير عثمان بك ذو الفقار له مكانا بالمسجد اذ حضر متأخرا • فذهب ليصلى فى مسجد أزبك اليوسفى القريب من مسجد الكخيا • ا هـ •

ومسجد أزبك اليوسفى بحى الصليبة وليس قريبا من جامع الكخيا • ولكن القريب منه كان مسجد أزبك بن ططخ الذى ذكرنا

أنه أزيل فى تنظيم العتبة الخضراء والرواية منقولة عن تاريخ الجبرتى : (حـ١ص١٦٨) ولكنه قال أنه رجع وصلى بجامع أزبك • ولم يزد • فلعل إضافة اليوسفى زلة قلم من صاحبة مساجد وقصور • كما أن عثمان كتخدا ليس والد عبد الرحمن كتخدا بل مملوك والده حسن جاويش •

ونضيف أن ميدان الخازندار الحالى لا يرجع اسمه الى أزبك اليوسفى الخازندار المذكور • وانما نسبة الى أحمد أغا الخازندار الشهير ببونابارته من أمراء دولة محمد على وكان قد عمر دارا عظيمة بجهة الرويعى وتوفى سنة ١٢٣١ هـ • (١٨١٦ م) كما ذكرا الجبرتى فى حوادث السنة المذكورة •

ودخل العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) •

وقد رأينا من قول ابن اياس (توفى سنة ٩٣٠ هـ تقريبا) أن الخيام كانت تضرب حول البركة فى موسم الفيضان مما يدل على أن العمارة حول البركة لم تكن قد تكاملت •

فبنى رضوان كتخدا الجلفى (أحد أمراء المماليك فى العهد العثمانى وكانت له ولزميله ابراهيم كتخدا القازدوغلى الرئاسة فى مصر سبع سنوات لغاية سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٥م) على الحافة البحرية الغربية للبركة دارا عظيمة • فوسع قطعة الخليج الناصرى بجوار قنطرة الدكة بحيث جعلها بركة عظيمة • وبنى داره المذكورة فأصبحت تطل على الخليج الناصرى من الجهة الغربية وعلى بركة الأزبكية من الجهة الشرقية • واتخذ له فيها مجالس لهو يجتمع فيها بالخلان والندماء والشعراء •

العتبة الخضراء أو الزرقاء

وبنى رضوان كتخدا أيضا على الحافة الشرقية من البركة دارا أخرى أصلها بيت الدادة الشرايبى • وكانت معروفة عند أولاد البلد باسم الثلاث ولية • وبالعتبة الزرقاء • ثم آلت الدار المذكورة الى طاهر باشا ناظر الجمارك فى عهد محمد على • ثم آلت الى عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على • فهدمها وأعاد بناءها وأطلق عليها العتبة الخضراء لأنه كان يتشاءم من اللون الأزرق •

ثم فى تنظيم القاهرة فى عهد اسماعيل أصبحت الدار فى وسط الميدان تقريبا • وأطلق على الميدان اسم العتبة الخضراء •

ثم أصبحت الدار المذكورة مقرا للمحكمة المختلطة عند انشاء القضاء المختلط بمصر•ثم لما احتيج لتوسعة الميدان هدمت الدار • وانتقلت المحكمة المختلطة الى مبنى أنشىء لها خصيصا فى شارع فواد (٢٦ يوليو) هو الآن مقر القضاء العالى •

ولما تزوج فاروق بالملكة السابقة فريدة (وكان اسمها صافيناز ذو الفقار فغيره الى فريدة ليبدأ بحرف الفاء مثل اسمه واسم أبيه وأسماء بناته وأخواته) أطلق اسمها على ميدان العتبة الخضراء كما أطلق على شارع عبد الخالق ثروت الآخذ من الميدان حتى شارع رمسيس الذى كان اسمه الملكة نازلى •

وبعد طلاق فاروق لفريدة أعيد لميدان العتبة الخضراء وشارع عبد الخالق ثروت اسماهما •

العلم المصرى :

ويظهر أن الميل للون الأخضر غريزى فى أسرة محمد على•فقد كان العلم المصرى لغاية سنة ١٩١٤ عبارة عن ثلاثة أهلة داخلها ثلاث نجوم بيضاء وأرضية العلم حمراء • تميزا له عن العلم التركى الذى كان هلالا واحدا داخله نجمة وبعد اعلان انجلترا للحماية على مصر سنة ١٩١٤ تغير رسم العلم المصرى الى هلال واحد وثلاثة نجوم بيضاء وأرضية العلم حمراء • فلما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فى انجلترا بالاعتراف بمصر مملكة مستقلة ذات سيادة • أمر الملك السابق أحمد فؤاد بتغيير لون أرضية العلم الى اللون الأخضر • فأصبح هلالا وثلاثة نجوم بيضاء فى أرضية خضراء • وظل هذا حتى قامت الثورة سنة ١٩٥٢

رحبة التبن ـ ساحة الحمير ـ شارع الساحة :

وبنى عثمان كتخدا جنوب غربى بركة الأزبكية جامعة السابق ذكره والمعروف بجامع الكخيا على ناصية شارعى الجمهورية وقصر النيل •

وكان موقع هـذا الجامع قـديما يعرف برحبة التبن . والاسم أقـدم من عمارة أزبك بن ططخ للأزبكية . فقـد ذكر المقريزى (الخطط جـ ٢ ص٥١ . والمقريزى توفى ٨٤٥ هـ وعمارة الأزبكية سنة ٨٨٠ هـ) رحبة التبن . وقال أنهـا الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة الدكة . وقال : وكانت هذه الرحبة تقف بها الجمال بأحمال التبن لتباع هنـاك . ثم اختطت وعمرت . وصـارت بها سـويقة كبـيرة عامرة بأصناف المـأكولات . والخط يعرف برحبة التبن وقـد خـرب بعد سـنة ٨٠٦ هـ (اهـ) .

وقـد خلـدت بلدية القاهرة اسم رحبه التبن باطلاقه على شارع يبدأ من شارع الجمهورية جنوب جامع الكخيا المذكور ويتجـه غربا بجنـوب حتى شارع رشدى (الساحة سابقا) .

وكان موقع شارع الساحة (شارع رشدى باشا حاليا) ساحة للحمير . لم يذكرها المقريزى ولكن ذكرها على مبارك (الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ١١٩) . ويفهم من كلام الأخير أنها كانت موجودة فى زمنه(أواخر القرن المـاضى) (١) فقال عنها أنهـا رحبة كبيرة ينصب فيها سوق كل يوم بعد صلاة العصر تباع فيه الحمير . وبه دلالون عليهم دلالة أميرية . اهـ . ولعله يعنى أنـه كان على الـدلالين ضريبة حكومية مما يحصـلون عليه من أجر الدلالة .

وخلدت البلدية اسم ساحة الحمير وان كانت اختصرته تأدبا ـفأسـمت شارعا كبيرا باسم شارع الساحة (من أول شارع عبد العزيز الى أول شارع شريف) . ثم تغير اسم شارع الساحة الى شارع رشدى باشا حاليا .

حسين باشا رشدى طبوزاده (٢) :

رئيس الوزراة وقائمقام الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان خارج

---

(١) الخطط التوفيقية طبعت سنة ١٣٠٥ هـ . وعلى مبارك توفى سنة ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م .

الحديد بهـا نتوءات مدببة بارزة . هـذا كما علمت من ابنة السفير السابق

(٢) طبو تركية معناها نوع من السـلاح كالمضرب براسـه كرة من

حسين رشدى .

مصر عند ما أعلنت انجلترا الحماية على مصر فى ١٨/١٢/١٩١٤ عقب قيام الحرب العالمية الأولى • وأعلنت فى اليوم التالى خلع عباس حلمى من خديوية مصر وقبول السلطان حسين كامل لها (وهو عم عباس حلمى) مع لقب سلطان • واختيار هذا اللقب لقطع كل صلة بين مصر وتركيا صاحبة السيادة الاسمية فى مصرحيث أن لقب حاكم مصر أصبح مثل لقب سلطان تركيا •

واحتفظ حسين رشدى وقتذاك بحق مصر • وأن اعلان الحماية ضرورة حربية • وبعد انهاء الحرب لمصر الحق فى طلب تعديل وضعها السياسى •

ولما رفضت دار الحماية البريطانية فى نوفمبر سنة ١٩١٨ التصريح للوفد المصرى - برئاسة سعد باشا زغلول - بالسفر لأوربا لعرض مطالب مصر فى مؤتمر الصلح بفرساى بباريس • كما رفضت التصريح لرئيس الوزارة بالسفر لانجلترا لتقديم طلبات للمسئولين • قدم استقالته فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٨

وأحرجت هذه الاستقالة الانجليز كل الحرج • فلم يجدوا فى مصر من يجرؤ على تشكيل الوزارة وظلت هذه الاستقالة معلقة - مع تمسكه بها • وقبلت انجلترا التصريح لرئيس الوزارة بالسفر للندن • ولكنها رفضت التصريح للوفد • فعلق رشدى سحب استقالته على التصريح للوفد بالسفر ولم تقبل انجلترا فتمسك باستقالته حتى قبلت فى ١/٣/١٩١٩ • حيث قبل محمد باشا سعيد تشكيل الوزارة التى عرفت بوزارة السبعة - نظرا لعدد أعضائها - وقوبلت هذه الوزارة بسخط شديد من الرأى العام الذى كان يرى أن تأليف أى وزارة قبل تحقيق مطالب البلاد يعتبر خيانة عظمى •

ثم عين حسين رشدى رئيسا للجنة الدستور سنة ١٩٢٢ بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ • ثم عين رئيسا لمجلس الشيوخ سنة ١٩٢٦ وتوفى سنة ١٩٢٨

شارع عبد الخالق ثروت (المناخ سابقا) :

ذكرنا أن شارع عبد الخالق ثروت تغير اسمه الى شارع الملكة فريدة ثم أعيد الاسم اليه •

ونضيف أن هذا الشارع كان اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المناخ • وقد رأينا أن أزبك بن ططخ كان مما يريده بتعمير الأزبكية أن ينشىء مناخا لجماله وخيوله • كما رأينا فى رحبة التبن أن كانت الجمال تقف فيها بأحمال التبن لتباع هناك •

وفى هذا ما يدل على التحول التجارى والعمرانى لمدينة القاهرة • فقد كانت ميناؤها النهرية أولا بالقرب من جامع أولاد عنان كما سبق ذكره• فلما تحول النيل غربا منذ القرن السادس الهجرى (١٤م) • أصبحت بولاق هى الميناء النهرية للقاهرة • وكان هناك طريق يصل من موقع بركة الأزبكية الى بولاق وقد مهد الفرنسيون أثناء وجودهم (١٧٩٨ – ١٨٠١م) هذا الطريق • وزرعوا على جانبيه الأشجار • ونجده واضحا فى الخريطة المعروفة بخريطة نابليون • يسير فى اتجاه شارع عدلى ثم ينحرف شمالا بغرب حتى يتصل بشارع ٢٦ يوليه عند أول شارع سليمان باشا • ثم يتجه الى بولاق •

وكان هذا الطريق يتقاطع هناك عند شارع سليمان باشا مع الخليج الناصرى ـ ويعبره فوق قنطرة اسما قنطرة المغربى •

شارع عدلى (المغربى سابقا) :

وكان شارع عدلى اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المغربى • نسبةالى القاضى صلاح الدين يوسف المغربى• من أعيان دولة الناصر محمد بن قلاوون • حيث أنشاء هناك جامعا وعمل فيه درسا وقراءا •وبنى بجانبه قبة دفن فيها • وكان الجامع عامرا بعمارة ما حوله • ثم تعطل لما خرب خط بركة قرموط (كما كانت تسمى الجهة هناك) • وقال المقريزى (الخطط جـ٢ ص٣٢٨) : وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره •

ولم يصح ظن المقريزى • فقد بقى الجامع للآن • وان كان قد تضاءل الى زاوية صغيرة أو ضريح فى مدخل عمارة كبيرة على يسار المتجه الى شارع سليمان باشا فى المسافة بينه وبين شارع شريف • ووجود الضريح لا يلفت النظر ولا يعرف الا اذا سألت عنه أحد البوابين •

وظل اسم المغربى للشارع حتى ١٩٣٣ • فأطلق على الشارع اسم

شارع عدلى تخليدا لذكرى عدلى باشا يكن الذى رأس الوزارة المصرية أكثر من مرة وأنشأ حزب الأحرار الدستوريين الذى لعب دورا هاما فى السياسة المصرية وفى مناوأة حزب الوفد المصرى سواء برئاسة سعد زغلول أو مصطفى النحاس .

وعدلى يكن هو منشىء القصر العظيم على النيل بجاردن سيتى الذى آل بعده لابنته الوحيدة المتزوجة لشريف صبرى خال الملك السابق فاروق (وقد توفى المرحوم شريف صبرى فى الشهر الماضى) . وقيل أن القصر بيع الى أحد البنوك الأمريكية ببضعة ملايين من الجنيهات .

بركة قرموط ـ منشأة الكتبة :

وبركة قرموط كانت بركة بين اللوق والمقس . وكانت من ضمن بستان ابن ثعلب . وقد ذكرنا الشريف بن ثعلب والمدرسة الشريفية فى مقال سابق . وأن اسمه أطلق على شارع صغير خلف البنك الأهلى بالقرب من شارع قصر النيل .

وعمرت هذه الجهة بمرور الخليج الناصرى (١) فبنى الناس على حافة البركة . وعلى شاطىء الخليج الناصرى . وأنشأ الأعيان والكبراء فيها الدور والقصور . وأحكموا البناء . وتنافسوا فى زخرفته من الداخل والخارج بالرخام والدهان بمختلف الألوان . وغرسوا فيها الأشجار . وأجروا لها المياه من الآبار .

وكان أكثر من يسكنها الكتاب . المسلمون منهم والنصارى .

وعاصر المقريزى فى شبابه فى مطلع القرن التاسع الهجرى ١٤ م . فقال (الخطط جـ ٢ ص ١٦٤) :

وانى لأذكرها ومامررت بها قط الا وتبين لى من كل دار هناك آثار النعم . اما روايح تقالى المطابخ . أو عبير بخور الند والعود . أو نفحات الخمر . أو صوت غناء . أو دق هاون . ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهية عيشهم . وغضارة نعمهم .

---

(١) الخليج الناصرى حفره الناصر محمد بن قلاوون وكان يبدأ من النيل شمال موقع القصر العينى . ويسير فى اتجاه شارع القصر العينى وشارع سليمان باشا تقريبا حتى ميدان رمسيس ثم يتجه شرقا فى حى الفجالة حتى يلتقى مع الخليج المصرى قرب ميدان الظاهر .

ثم قال : ثم هي الآن موحشة خراب . قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث . بعد سنة ٨٠٦ هـ فزالت الطرق . وجهلت الأزقة . وانكشفت البركة . وبقى حولها بساتين خراب .

وقال عن قرموط المنسوبة اليه هذه البركة أنه أمين الدولة قرموط مستوفى الخزانة السلطانية .

وقال في مكان آخر أن مراكب المتنزهة كانت تمر بالخليج الناصرى حتى خليج فم الخور . وخرج الناس عن الحد بكثرة التهتك والتمتع بكل ما يلهى . الى ما بعد قتل الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧٧٨ هـ . وكان برقوق متسلطا على الحكم . فطلبت فتوى من شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى . فأفتى بوجوب المنع لكثرة ما ينتهك في المراكب من المحرمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات . فمنعت المراكب من المرور بالخليج الناصرى الا اذا كان بقصد التجارة . وظلت كذلك حتى زالت دولة الظاهر برقوق سنة ٨٠١ فأذن بدخولها . وقال المقريزى أنها مستمرة الى وقته (توفى سنة ٨٤٥ هـ)

والفتوى المذكورة كانت بناء على طلب من الشيخ محمد صائم الدهر وكان متزمتا في تفكيره وتصرفاته وهو الذى أتلف وجوده السباع التى كانت على قناطر السباع بموقع ميدان السيدة زينب . وهى السباع التى عملها الظاهر بيبرس عند انشاء هذه القناطر على الخليج المصرى (وكان السبع كرنك أى شعار الظاهر بيبرس) . كما أنه شوه وجه أبى الهول . بحجة أنها من الأوثان وكما قال المقريزى أن هذا الفعل ظنا منه أنه من المقربات لله . وعلق على هذا التصرف بقوله : ولله در القائل :

وانما غاية كل من وصل

صيدبنى الدنيا بأنواع الحيل .

وقد خلدت البلدية اسم منشأة الكتاب الذين ذكرنا أنهم كانوا أغلب السكان حول البركة باطلاق اسم شارع منشاة الكتاب على شارع يصل ما بين شارعى قصر النيل وسليمان باشا وموازى لشارع الشواربى .

الفوالة :

وعند دخول الفرنسيين كانت هناك بركة كبيرة تسمى بركة الفوالة

تغطى جزاء كبيرا من المساحات التى ذكرناها . حدها الشمالى الى ما بعد شارع ٢٦ يوليه والشرقى موقع شارع عماد الدين والغربى تقريبا شارع سليمان باشا والجنوبى شارع رشدى (الساحة سابقا) .

وهذا جمعية من ضمن منطقة الاسماعيلية التيحصل تنظيمها فى عهد اسماعيل كما ذكرنا فى مقال سابق .

وكان ما بين بركة الأزبكية وبركة الفوالة عند دخول الفرنسين مساكن وكان الجزء من هذه المساكن شمال جامع الكخيا سكنا للنصارى. كما كان الجزء شمالى بركة الأزبكية سكنا للأقباط . وتعبير النصارى يستعمله المؤرخون عادة للمسيحين غير أقباط مصر .

وشارع الفوالة الآن شارع صغير يصل ما بين شارعى قصر النيل ورشدى امتدادا لشارع العوايد من شارع قصر النيل . ويلتقى بشارع رحبة التبن قبل شارع رشدى بقليل .

ويبدو أنه كانت هناك فى هذه المنطقة تجارة للفول . حيث يتفق هذا مع مناخ الجمال ورحبة التبن وساحة الحمير .

شارع عماد الدين :

وهو شارع طويل طوله ٢٥٠٠ مترا تقريبا من شارع رمسيس لغاية ما بعد شارع الناصرية بقليل . واذا نفذ امتداده لغاية ميدان السيدة زينب لكان طوله ثلاثة كيلو مترات تقريبا .

وقد قسمته البلدية من جهة التسمية قسمين : الجزء الشمالى وهو الربع تقريبا من شارع رمسيس لغاية تقاطعه مع شارع ٢٦يوليه احتفظت له بالاسم الأصلى . والجزء الجنوبى اسمته شارع محمد فريد تخليدا لذكرى البطل المجاهد.محمد بك فريد تخرج من مدرسةالحقوق سنة ١٨٨٧ وعين بالنيابة ، ثم استقال سنة ١٨٩٧ واشتغل بالمحاماه . وانضم للحزب الوطنى . وبعد وفاة زعيم الحزب مصطفى باشا كامل اختير لرئاسة الحزب . وهدد بالقبض عليه فسافر الى أوربا وظل يعمل هناك للدعاية لحقوق مصر ضد الانجليز ؟ وكان يمتلك أكثر من ٣٠٠ فدان أضاعها جميعا فى خدمة وطنه والدعاية له . وعاش فى آخر حياته فى فقر وفاته وتوفى فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ . ونقل جثمانه الى مصر . وقبره بجوار مدفن الخلفاء وكذلك السيدة حرمه .

والخلفاء هم الخلفاء العباسيون فى مصر بعد قضاء المغول على الخلافة فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ • وانتقالها لمصر سنة ٦٦٠ هـ • فى عهد الظاهر بيبرس وقبورهم بجوار مسجد ومقام السيدة نفيسة من الجهة الجنوبية الشرقية • وأطلق على الحى هناك حى الخليفة لسكناهم ومدافنهم به •

الشيخ عماد الدين :

أما عماد الدين المنسوب له هذا الشارع فهو الشيخ عماد الدين صاحب ضريح بالقرب من تقاطع شارعى محمد فريد والشيخ ريحان • وقد أخذ الشارع جانبا من الضريح وغير معروف تاريخ انشائه ولا ترجمته • ولكن به كتابه عليها تاريخ سنة ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ م) •

وأصبح اطلاق اسم شارع عماد الدين على الجزء الشمالى من الشارع كما ذكرنا اطلاقا لا يربط الاسم بالمسمى فضريح عماد الدين فى الجزء الجنوبى من الشارع وهو المسمى محمد فريد •

الملاهى واسماء الفنانين :

وكان الجزء المسمى حاليا بشارع عماد الدين لغاية الثلاثينات من هذا القرن غاصا بأماكن اللهو والترفيه من المسارح ودور السينما والغناء والمراقص والملاهى المختلفة • حتى أنه لما أنشئت سينما رويال سنة ١٩٢٧ (محل مسرح الجمهورية بعابدين حاليا) توقع الكثيرين عدم الاقبال عليها لخروجها عن المكان التقليدى • ومع هذا فقد كانت من أكثر دور السينما ازدحاما وقصدا من الخاصة والعامة •

وتمشت بلدية القاهرة مع هذا الوضع • فأطلقت أسماء بعض الفنانين على بعض الشوارع حول شارع عماد الدين • فأطلقت اسم شارع زكريا أحمد بدلا من شارع جلال (وهو الذى به سينما كايرو الآن) وأطلقت اسم سيد درويش على حارة صغيرة خلف مسرح الريحانى الحالى كما أطلقت اسم شارع نجيب الريحانى بدلا من شارع وجه البركة وشارع وجه البركة كان الحد الشمالى لبركة الأزبكية قبل ردمها • وكان الأنسب الاحتفاظ بالاسم القديم لمعناه التاريخى • لولا أنه كان فى هذا الشارع مقر الدعارة الرسمية التى كانت تزاول بتصريح وترخيص من الحكومة • وهذا سبة فى جبين أى بلد اسلامى • فارتبط اسم شارع وجه البركة •

بهذا المعنى الغير أخلاقى • ونريد القضاء عليه •

خط مترو مصر الجديدة :

كذلك كان خط مترو مصر الجديدة ينتهى فى شارع عماد الدين عند تقاطعه مع شارع ٢٦ يوليه•ثم نقلت محطته النهائية الى شارع الجلاء بالقرب من جمعية الأسعاف • ثم بعد ثورة سنة ١٩٥٢ مد خط المترو الى محطته النهائية الحالية بشارع الجلاء بالقرب من كورنيش النيل •

شارع شريف (المدابغ سابقا) ــ محمد باشا شريف :

وشارع شريف من الشوارع الرئيسية هناك يصل من شارع ٢٦ يوليه لغاية وزارة الأوقاف • وكان اسمه قبلا شارع المدابغ •

وكانت المدابغ أصلا بجهة حوش الشرقاوى جنوبى باب الخلق • ثم نقلت فى عهد محمد على الى موقع شارع شريف • ثم نقلت فى عهد اسماعيل الى موقعها الحالى بجهة المذبح •

ومحمد باشا شريف أحد الأعلام فى تاريخ مصر الحديثة • ومن الذين عرفوا بحبهم واخلاصهم لمصر • وهو تركى الأصيل • وأبوه أحمد شريف كان شيخ الاسلام فى تركيا • فأرسل ابنه محمد شريف الى مصر ليتلقى العلوم الدينية بالأزهر • وكان أبوه أعنى شيخ الاسلام قد تلقى أيضا علومه بالأزهر •

ونزل محمد شريف برواق الأتراك فى الأزهر • ولما زار محمد على استامبول • أوصاه شيخ الاسلام أحمد شريف بابنه محمد • فلما عاد محمد على الى مصر استدعاه من الأزهر •

وضمه الى معيته • والمعية من (مع) وكان يقال المعية السنية أى من يعملون مع الأمير أو الحاكم •

وأقبل محمد شريف على العلوم الحديثة • اندمج فى البيئة المصرية واتقن اللغة الفرنسية • وأرسلته الحكومة الى استانبول عدة مرات • كما حضر مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ مندوبا عن مصر • وتقلب فى الوظائف حتى وصل الى وظيفة باشمعاون الوالى فى عهد سعيد باشا • وهى وظيفة أقرب الى اختصاص رئيس الوزراء الحالى وهى التى حلت محل وظيفة الكتخدا التى ألغاها سعيد باشا بالأمر الصادر فى ٦ربيع الأول سنة١٢٧١هـ (١٨٥٤ م) •

وفي عهد اسماعيل كان هناك مجلس يقرب من مجلس الوزراء مكون من خمسة عشر عضوا من الأعيان ويرأسه الخديوي بنفسه • وتولى محمد شريف وكالة هذا المجلس عدة مات • ثم لما اضطر اسماعيل الى انشاء حكومة دستورية ومجلس للنظار سنة ١٨٧٩ تشكلت نظارة برئاسة نوبار باشا لم تمكث غير بضعة شهور • ثم تلتها نظارة برئاسة توفيق بن اسماعيل لم تمكث غير ١٩ يوما • ثم تألفت نضرة برئاسة شريف باشا سنة ١٨٧٩ • وكانت تسمى الوزارة الدستورية الأولى •

وكان اسماعيل قد اضطر للوعد بايجاد حياة نيابية صحيحة غير مجلس شورى النواب الموجود فاشتغل محمد شريف في وضع الدستور •

وظلت نظارة شريف في الحكم حتى عزل اسماعيل • وحل محله توفيق • وألف نظارة أخرى برئاسة الخديوي شخصيا • وكان توفيق يقصد من هذا حفظ المنصب لرياض باشا الذي كان غائبا في أوربا حتى يعود فلما عاد رياض ترك له توفيق رئاسة المجلس •

وبدأت الحركة العرابية فأسقطت نظارة رياض باشا • وشكل شريف باشا نظارته الثانية في سبتمبر سنة ١٨٨١ بناء على طلب الجيش • ثم عمل العرابيون على اسقاط نظارة شريف باشا فأحرجوه ببعض المطالب • فاستقال • وتشكلت نظارة برئاسة محمود سامي البارودي في فبراير سنة ١٨٨٢ •

وسئم شريف باشا من الدسائس • فسافر الى أوروبا • وظل هناك حتى انتهت الثورة العرابية بكارثة الاحتلال الانجليزي • فاستدعى شريف ليرأس النظارة من جديد في أغسطس سنة ١٨٨٢ • وقيل أنه لما حضر الى مصر ورأى آثار الاحتلال الانجليزي كان يبكي طول الطريق من الاسكندرية لمصر •وظل شريف في نظارته الثالثة حتى استقال في يناير سنة ١٨٨٤ •

وسبب استقالته أن الانجليز نصحوا بجلاء الجيش المصري عن السودان بحجة العجز عن مقاومة ثورة المهدي وكان غرض الانجلترا أن يعيدوا فتح السودان مع مصر ليشاركوها فيه • فرفض شريف وقال جملته المشهورة

لوتركنا السودان فالسودان لن يتركنا وخلفه نوبار باشا فنفذ للانجليز طلبهم

وتوفى محمد باشا شريف بعدذلك بقليل في سنة ١٨٨٤ عن ٧٢ عاما • وقيل أنه مات كمدا وحسرة على حال مصر •

شارع سليمان باشا :

ومن الشوارع الرئيسية بهذه الجهة شارع سليمان باشا الذى تغير اسمه أخيرا الى شارع طلعت حرب ولكن الاسم اقديم لايزال يجرى علىالسنة الناس وهو من ميدان التحرير لغاية شارع ٢٦ يوليه وطوله ١١٠٠ متر تقريبا •

وسليمان باشا كان عسكريا فرنسيا اسمه الكولونيل سيف • استعان به محمد على فى أنشاء وتكوين الجيش المصرى وتدريبه سنة ١٨١٩ واعتنق الاسلام واشترك مع ابراهيم باشا ابن محمد على فى حروبه فى الشام سنة ١٨٣٩ • ووصل الى رئاسةرجال الجهادية (وزير الحربية) •

وتوفى سليمانباشافى ١٨٦٠/٣/١١ وقبره بجهة مصر القديمة •

وفى سنة ١٨٧٥ أمر اسماعيل بتقرير مبلغ ٢٥٠٠ قرشا معاشا شهريا لأرملته •

وشارعا شريف وسليمان باشا متوازيان تقريبا • وفى هذا التوازى معنى لصلة قامت بين الرجلين • فقد تزوج محمد شريف باشا ابنة سليمان باشا • ورزق منها بنتا •تزوجت عبد الرحيم باشا صبرى • فرزق منها بنتا هى نازلى التى تزوجها الملك أحمد فؤاد فى ١٩١٩/٥/٢٤ وعرفها التاريخ باسم الملكة نازلى • والدة فاروق • وكان فى تصرفها وسلوكها ما أساء الى سمعة البلاد فى الخارج • وآثار الشعب فى الداخل • ومن الأسباب التى عجلت قيام الثورة سنة ١٩٥٢ •

وكان شارع رمسيس اسمه شارع الملكة نازلى ، وأثر تصرفاتها ألغى فاروق اسمها من الشارع وجعله شارع الملكة • ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ جعل اسمه شارع رمسيس نظرا لنقل تمثال رمسيس الأكبر بعد أن ظل ملقى بجهة البدرشين آلاف السنين وأقيم فى مكانه الحالى بميدان رمسيس عند محطة مصر للسكة الحديدية •

وقبل ذلك كان شارع الملكة نازلى اسمه شارع عباس نسبة للخديوى

عباس حلمى الثانى . فغيره الملك أحمد فؤاد الى اسم زوجته . وسبحان من يغير ولا يتغير وله الدوام .

شارع عبد العزيز :

وهو يصل من العتبة الخضراء الى قسم شرطة عابدين وطوله ٥٣٥ مترا تقريبا . وسمى بهذا الاسم تخليدا لزيارة السلطان عبد العزيز سلطان تركيا لمصر أثناء ولاية اسماعيل باشا الذى تولى حكم مصر فى ١٨٦٣/١/١٨

ففى أواخر مارس سنة ١٨٦٣ ـ أى بعد شهرين تقريبا من ولاية اسماعيل ـ زار السلطان عبد العزيز مصر ومكث بها عشرة أيام (من ١٧ ـ ٢٦ شوال سنة ١٢٧٩ هـ) .
وكان اسماعيل باشا فى استقباله عند وصوله للاسكندرية . فقبل يده . ونزل السلطان بسراى رأس التين ومكث بالاسكندرية يومين زار فيها بعض معالم المدينة .

ثم سافر بالقطار الى القاهرة . وكانت هذه أول مرة يرى فيها السلطان القطار . فقد سبقت مصر تركيا فى ادخال السكة الحديدية . (اذ بدىء بانشاء خط مصر الاسكندرية فى عهد عباس الأول سنة ١٨٥٢ . وتم سنة ١٨٥٦ . وكان هذا أول خط سكة حديد بالشرق كله) .

وفى القاهرة نزل السلطان بقصر القلعة . وصلى الجمعة فى اليوم التالى لوصوله بجامع محمد على بالقلعة .

وصادف ٢١ شوال حفلة تشييع المحمل . فرأس السلطان الاحتفال . ومكث السلطان فى القاهرة لغاية ٢٦ شوال زار أثناء هذه المدة المتحف المصرى والأهرامات والقناطر الخيرية ومصانع القطن والحرير ببولاق . وشاهد آل البيت النبوى . ثم سافر للاسكندرية ومنها الى استانبول .

ونتيجة لتقرب اسماعيل للسلطان . ولأغراقه الهدايا على رجال الحكم فى استانبول صدر فرمان (أى مرسوم) في ١٨٦٦/٥/٢٧ بجعل وراثة الحكم فى مصر فى أكبر أولاد اسماعيل . بعد أن كانت فى أكبر أفراد أسرة محمد على . وفى سنة ١٨٦٧ حصل اسماعيل على لقب خديوى تمييزا له عن باقى الولاة فى الدولة العثمانية . وفى سنة ١٨٧٣ (ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ هـ)

تقرر استقلال الخديوى بشئون مصر الداخلية استقلالا تاما . وله أن يعقد القروض والمعاهدات التجارية مادامت لا تتعارض مع مصلحة الدولة العلية (تركيا) ولا تناقض معاهداتها مع الدول الأجنبية وله الحق فى زيادة الجيش حسبما يشاء . وهذا فى نظير زيادة الجزية السنوية التى تدفعها مصر لتركيا الى مبلغ ٦٦٥٠٠٠ جنيه بعد أن كانت أصلا ٣٢٠٠٠٠ جنيها زيدت الى ٦٠٠٠٠٠ جنيها عند مرسوم سنة ١٨٦٧ . ثم زيدت للمبلغ المذكور سنة ١٨٧٣

وبدىء فى تنفيذ الشارع من العتبة الى عابدين فى أبريل سنة ١٨٧٠ ، وسمى بعد فتحه بشارع عبد العزيز لتخليد ذكرى السلطان وزيارته .

بعض الأسماء التاريخية فى الازبكية :

ولو أردنا الكلام عن الأزبكية ومعالمها التاريخية التى تدل عليها أسماء شوارعها لضاق بنا المقام.ولكن نذكر باختصار والبعض منها علاوة على ما سبق ذكره .

محمد بك الالفى :

فقد كان فى الجانب الغربى لبركة الأزبكية سراى محمد بك الألفى . أحد زعماء المماليك عند دخول الفرنسيين.وكان موقعها حوالى شارع الألفى الحالى . ونزل فيها نابليون وجعلها مقرا لقيادته . وقتل فى حديقتها كليبر خليفة نابليون فى مصر . قتله سليمان الحلبى كما هو معروف .

واسم الألفى يرجع الى أنه جلب مملوكا سنة ١٧٧٥ (١١٨٩هـ) واشتراه أحمد جاويش الملقب بالمجنون . ثم باعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتيمورلنك . الذى أهداه الى مراد بك . ورد مراد بك الهدية بألف أردب من الغلال . ولذلك سمى بالألفى . ثم أعتقه وقلده كشوفية الشرقية . ثم قلده الصنجقية (الأمارة) سنة ١٧٧٨ (١١٩٢هـ) . وتاريخ الألفى حافل بالبطولة والمغامرات فى مقاومة الفرنسيين . وبعدهم محمد على . وقال عندما حضرته الوفاة فى ١٨٠٧/١/٢٨ (قضى الأمر . وخلصت مصر لمحمد على فما ثم من ينازعه ويغالبه) . وهكذا كان .

سراى البكرى

وكان فى الجزء الجنوبى من بركة الأزبكية وغربى مصلحة البريد الحالية

فى المسافة بين شارعى البيدق وعبد الحق السنباطى الآخذ من ميدان الأوبرا ـ كانت سراى البكرى المطلة على البركة .

وكان شيخ السجادة البكرية وأيضا نقيب الأشراف . أثناء وجود الفرنسيين . السيد خليل البكرى . وكان الفرنسيون يشاركون فى الاحتفال فى داره المذكورة بالمولد النبوى الكريم . مداهنة لمشاعر الشعب . ولكنه لم يكن مرضيا عنه من الرأى العام . فبعد خروج الفرنسيين سحبت منه نقابة الأشراف وأعطيت لصاحبها الأصلى السيد عمر مكرم . كما عزل من مشيخة السجادة البكرية .

وفى التنظيم الحديث لمنطقة الأزبكية أخذت من البكرية هذه السراى . وأدخل بعضها ضمن التنظيم . وعوضوا عنها بسراى عباس حلمى الأول بالخرنفش .

عبد الحق السنباطى :

وهو اسم شارع يأخذ من ميدان الأوبرا بجوار كازينو أوبرا . والتسمية لوجود جامع هناك بهذا الاسم .

وغير معروف تاريخ انشاء الجامع ولكن ذكر على مبارك (ج ١٢ص٥٢) نقلا عن الضوء اللامع للسخاوى نبذة عن عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطى . ووالده . يستدل منها أنهما كانا من علماء القرن التاسع الهجرى (ت ١٥ م) . وأن الوالد توفى سنة ٨٧٠ هـ . وأن الابن لم يعرف تاريخ وفاته . ولكنه ذكر أنه حج سنة ٨٨٢هـ ودرس بمكة والمدينة ثلاث سنوات . ثم عاد الى القاهرة . وتولى التدريس بالأزهر . وكان ثقة فى علمه وفتاواه . اهـ . ولعل عدم ذكر تاريخ وفاة الابن يرجع أنه عاش بعد السخاوى الذى توفى سنة ٩٠٢ هـ .

والسنباطى نسبة الى سنباط احدى القرى التابعة لمركز زفتى .

دار على بك الكبير :

وأنشأ على بك الكبير دارا على الحافة الجنوبية لبركة الأزبكية بدرب عبد الحق . وهى التى مات فيها . وآلت بعده الى محظيته الست نفيسة التى عرفت بالمرادية لأنها تزوجت بعده مراد بك . والست نفيسة كانت ذات مكانة كبيرة عند الفرنسيين وفى السنين الأولى من حكم محمد على (توفيت سنة ١٨١٦) .

دار المهدى :

وعند ملتقى شارع الرويعى بشارع يوسف بك نجيب الشهير بشارع البواكى يوجد شارع صغير يتجه شرقا اسمه شارع المهدى الخصوصى • لأنه هناك كانت دار للشيخ محمد المهدى الحفنى على الحافة الشرقية لبركة الأزبكية • وهو جد الشيخ محمد المهدى العباسى شيخ الأزهر فى عهد اسماعيل • والذى كان على يده أول اصلاح للأزهر سنة ١٨٧٢ بتحديد مدة الدراسة وترتيب الامتحانات وتقرير مرتبات ومزايا العلماء وغير ذلك •

والمهدى الكبير كان أصلا نصرانيا واسمه هبة الله بن ابيفانوس • وأسلم وهو صغير على يد الشيخ محمد الحفنى شيخ الجامع الأزهر (توفى سنة ١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م) وانتمى اليه • ثم ألقى دروسا فى الأزهر • وتزوج من بنت الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية • ورزق منها بابنه محمد أمين والد الشيخ محمد المهدى العباسى المذكور •

وفى زواج الشيخ محمد المهدى الحنفى بابنة الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية فى وقته • وفى وصول حفيده الى مشيخة الجامع الأزهر مايدل على التسامح الطبيعى فى نفوس المسلمين • وسماحة القاعدة أن الاسلام يجب ما قبله • فلم تمنع سابقة النصرانية بالنسبة للأول من مصاهرة شخص ذى مركز دينى ممتاز • كما لم تعق الثانى عن الوصول الى أكبر المراكز الدينية •

ولعب المهدى دورا هاما قبل وأثناء وجود الفرنسيين • وكون ثروة طائلة • واتسع نفوذه • كما تداخل مع محمد على ومساعده على ابعاد ونفى السيد عمر مكرم • وكافأه محمد على بنظر أوقاف ضريح الامام الشافعى ووقف سنان باشا الخير فضلا عن مبلغ كبير من المال وذلك نظير اجتهاده فى خيانة السيد عمر مكرم • كتعبير الجبرتى •

وطمعت نفس المهدى لمشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ عبد الله الشرقاوى سنة ١٨١٢ • ولكن محمد على تخطاه وعين الشيخ محمد الشنوانى • وكان رجلا فقير الحال يلقى دروسه بالجامع الأفخر (الفاكهيين) بالعقادين • وبعد

الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل . حتى أنه كان يكنس المراحيض أيضا . وكان زاهدا فى وظيفة مشيخة الأزهر . وتغيب هربا منها . ولكن هكذا كان . ولم تغيره الوظيفة بل ظل ولائه للجامع الأفخر يباشر عمله السابق به .

وتوفى المهدى سنة ١٨١٥ بدار كانت له بالكحكيين . ونقل جثمانه الى داره الكبرى على شاطىء الخليج بالقرب من جامع البنات . ومن هناك شيعت جنازته .

تنظيم الأزبكية فى العصر الحديث :

قال على مبارك (جـ٣ ص ٦٧) أن مساحة البركة كانت ٦٠ فدانا . وأنها ظلت الى مدة نظارته على نظارة لأشغال فجرى تنظيمها . أما المناخ فقد أصبح مكانه اللوكندة الخديوية (فندق شبرد الذى احترق ضمن حريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ وأنشىء بدله فندق شبرد الحالى بجاردن سيتى على النيل) . كما هدم جامع أزبك عند تنظيم ميدان العتبة وفتح شارع محمد على (القلعة) وكان موقع الجامع بالقرب من مدخل شارع الأزهر الحالى (تخطيط القاهرة المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب).

وفى سنة ١٨٦٤ ردمت بركة الأزبكية بعد ما يقرب من أربعة قرون منذ حفرها أزبك بن ططخ سنة ١٤٧٥ م .

وأنشئت حديقة الأزبكية . ووضعت فيها الجبلايات الصناعية . وزرعت فيها الأشجار النادرة وكان تنسيقها بمعرفة المهندس باريك بك . وهو الذى نظم بساتين الأورمان وسراى الجيزة .

وأنشىء فيها مسرح الكوميدى . وفى ١٨٦٩ أنشئت دار الأوبرا التى احترقت سنة ١٩٧٢ . وفى سنة ١٨٧٣ أقيم تمثال ابراهيم باشا . وتكلف عمل التمثال بمعرفة المثال كورديه ١٥٤٣٠ جنيها ، كما تكلفت قاعدته ٢٨٦٠ جنيها . وفى سنة ١٨٩٩ أنشىء فندق الكونتننتال .

وكان لجنينة الأزبكية سور ضخم من الحديد . وبكل جانب من السور باب . وسميت الشوارع المواجهة لهذه الأبواب باسمها . وبعض هذه الأسماء باق للآن . فشارع الباب

الشرقى يواجه موقف الأوتوبيس الحالى بنهاية شارع ٢٦ يوليو • وشارع الباب البحرى يصل الى شارع نجيب الريحانى (وجه البركة سابقا) وكان به دار التمثيل العربى أحد المسارح القديمة •

وكانت مساحة الحديقة ٢١ فدانا (٣٥٠ مترا × ٢٥٠ مترا) تقريبا • وكانت تذهب فرقة موسيقى الجيش الى الحديقة يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع فتعزف أناشيد ومارشات ساعتين بعد العصر للترفيه عن الجمهور • وكان دخول الحديقة وقتذاك برسم معين أكثر قليلا من رسم الدخول فى الأيام الأخرى •

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ رفعت الأسوار وأبيحت الحديقة للجمهور بدون مقابل • وأقيمت فيها مقاهى كما أقيم فى جانب منها مسرح العرائس ومسرح ٢٦ يوليو • أما مسرح الأزبكية فقد كان موجودا من قبل وكانت تديره شركة مصر للتمثيل والسينما احدى شركات بنك مصر • وكان بجانب مبنى المسرح ساحة تستعمل لزحلقة القباقيب (باتيناج) شتاء • وتستعمل صيفا سينما فى الهواء الطلق •

وبعد حريق القاهرة امتد شارع ٢٦ يوليو فاخترق الحديقة وقسمها قسمين • وكان لى شرف تقديم هذا الاقتراح • ونشرته مجلة المصور وقتذاك • وكان من ضمنه أن يمتد شارع ٢٦ يوليو حتى يتصل بشارع الجيش (فاروق سابقا) • مع اقتراحات أخرى لا محل هنا لذكرها •

وبتنظيم الأزبكية أصبحت المنطقة هى صرة المدينة فيها كبرى المحلات التجارية والمصارف المهمة • كما تركزت فيها وسائل اللهو والترفيه • ولم تقل أهميتها مع تقدم العمران واتساع المدينة • فلا تزال قلبانابضا بالحركة والنشاط ؟

محمد كمال السيد محمد

محمد رسول الله

للأستاذ أحمد عثمان المراغي

صحا الكون لما سيد الخلق كبرا فأرهب بالتكبير كسرى وقيصرا

أطل على الدنيا فأشرق وجهها وأذن بالتوحيد في عالم الورى

به عالم الأملاك دوى مرحبا وبيض وجها للبرية أغبرا

هو النور للدنيا فقد جاء ساطعا وأشرق فيها منذرا ومبشرا

لقد فكر الهادى فلم ير غاية لمن حسبوا الدنيا هوى وتندرا

تنحى عن السمار متخذا له (حراء) سميرا حيث يعكف أشهرا

يروح ويغدو في التفكر خاشعا ويضحى ويمسى باحثا متدبرا

رأى عبرا ملموسة واقعية تدل على ذات بها الكون دبرا

رأى العالم الأدنى على الأرض ساجدا يرنم باسم الله • لله ذاكرا

وللريح والأمواه والسحب منة على الخلق والمتن من هو ياترى ؟

رأى كل شيء في الوجود مؤكدا وجود اله لاشريك له يرى

رأى الحق كل الحق في صيحة لها دوى من الأعماق بالله كبرا

رأى آية للنيرين كما نرى رأى لهما سيرا قويما مقدرا

رأى الشمس تجرى حيث لاينبغي لها بأن تدرك البدر الذى قد تكورا

ولم ير ليلا سابقا لنهاره نواميس كون شأنها لن يحيرا

وينزل وحى الله بالحق ملهما أن اقرأ باسم الله قولا ميسرا

ان اقرأ رسول الله ما أنت سامع أن اقرأ وأذن داعيا ومبكرا

فأنت امام الأنبياء ورائد لكل رسول من أولى العزم بشرا

وهذا الذى يوحى اليك مناهج سماوية آياتها لن تغيرا

فبلغ وبين واتل آيا مفصلا وجادل بحسن القول الذى افترى

رسالتك الاسلام دين ودولة وشرعك شرع الحق وحيا مفسرا

ونصرك مكفول من الله دائما فقم وانشر الايمان حربه الورى

وحطم قيود الذل وارفع الى العلا شعارا لعدل الله أنصف به القرى

وهذا هو الاسلام فى الكون ساطع يشع بنور اله من شامخ الذرى

احمد عثمان المراغى

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **المرأة فى التصور الاسلامى :**
للأستاذ عبد المتعال الجبرى

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة يقع فى زهاء مائة وتسعين صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة على جانب من الأهمية ، وبخاصة فى هذه الأيام التى تتقاذف المرأة المسلمة فيها تيارات ماأنزل الله بها من سلطان . فالمؤلف يؤكد فى مقدمته أن الجمهرة من المنتميات الى الاسلام ، لايتفق ظاهرهن والاسلام الذى ينتمين اليه. ومرجع هذا – فى نظره – الى عوامل تنتهى الى الجهالة بالصورة المتكاملة للاسلام ، وللمسلمة ، وللبيت المسلم وللمجتمع المسلم..ومن ثم كان لزاما على المفكرين الاسلاميين ، أن يقدموا الصورة المتكاملة للمرأة المسلمة ، فى التصور الاسلامى ؛ فى العقيدة والسلوك . فى التعليم والثقافة .. فى الحياة الزوجية .. فى الدعوة الى الاسلام .. بل فى مواجهة الأقلام المنحرفة عن الهدى الاسلامى .

المؤلف يجعل دراسته فى سبعة فصول : العقيدة .. وهو بحث شامل عن العقيدة من الاعتقاد بوجود الله ووجدانيته حتى البعث والنشور .. ثم السلوك .. ثم تعليم المرأة .. بحث عن علاقة الاسلام بتعليم المرأة. تعليمها فى العصرين الأموى والعباسى .. ماذا تتعلمه الفتاة .. ثم ليلة الزفاف .. ثم حقوق الزوج أو واجبات الزوجة .. ثم حقوق الزوجة أو واجبات الزوج . وهو بحث مقارن بين وضع المرأة فى الاسلام ، ووضعها فى الحضارة الاغريقية ، والصينية ، والبوذية ، والهندوسية ، واليهودية والمسيحية ؛ ثم الفصل السابع والأخير : صورة البيت المسلم .. عرض فيه المؤلف للثقافة والقوامة والهدوء ، وتوقى

الحرام والشبهات ، وعفة القلب والجوارح ومضار التبرج ، وحسن التدبير المنزلى ثم اختيار الزوج أو الزوجة على أساس التدين •

وبعد •• فالذى لاريب فيه أن المؤلف أمتعنا بدراسة قيمة عن المرأة فى التصور الاسلامى ، كتبها بأفق واسع ، وعمق بالغ ؟ لكن القارىء كان يتوقع من مؤلف وكاتب اسلامى له وزنه ، أن تكون دراسته عن المرأة فى التصور الاسلامى دراسة مواجهة تهتم بجانب المقارنة » كما رأينا فى الفصل السادس : حقوق الزوجة أو واجبات الزوج ، ولم نره فى بقية الفصول ••فالاسلام اليوم – فى مجال المرأة – يواجه تحديات كثيرة • فى شكل شبهات تثيرها أقلام أجنبية التفكير ، وان كان حملتها من المنتسبين الى الاسلام بحكم شهادات الميلاد ليس الا كذلك قد يرى القارىء فى الفصل الأول « العقيدة » دراسة قيمة طيبة . لكنه يرى فى نفس الوقت أنه أقحم اقحاما على موضوع الدراسة ، اذ ليس ، فيه مايتصل بالمرأة سوى مسألة العورة » وهى مسألة كان من الممكن ضمها الى الفصل الثانى « السلوك » •

انها مجرد ملاحظات عابرة لاتقلل من أهمية الدراسة القيمة التى هى جديرة بكل تقدير •

* * *

● **القضاء فى الاسلام**
للأستاذ ابراهيم نجيب محمد عوض

هذا الكتاب الذى نشره مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف، يقع فى زهاء ٢٩٠ صفحة من القطع الكبير » وهو دراسة شاملة عن القضاء مع الاسلام « تاريخه ونظامه جاء الكتاب فى بابين كبيرين الأول عن تاريخ القضاء فى الاسلام وهو فى سبعة فصول معنى القضاء » القضاء عند العرب فى الجاهلية •• فى عهد الرسول والخلفاء •• فى الدولة الأموية فى العصر العباسى الأول والثانى ودولة الأندلس •• فى مصر حتى الحكم العثمانى •• ثم منذ الحكم العثمانى حتى الغاء المحاكم الشرعية•

أما الباب الثانى فعن النظام القضائى فى الاسلام . وهو فى خمسة فصول : النظام القضائى فى عهد الرسول والخلفاء .. توليه القضاة وعزلهم .. اختيار وواجباتهم ووسائل الاثبات .. حكم القاضى وعلاقته بالتنفيذ .. ثم القضاء بمعنى الحكم ..

وبعد - فلا شك فى أن المؤلف قدم لنا دراسة شاملة وموجزة فى نفس الوقت عن القضاء فى الاسلام تاريخه ونظامه .. وهو جهد مشكور ، اذ استطاع المؤلف أن يلم شتات الموضوع فى دقة وأمانة من بطون التراث الاسلامى ، كذلك امتازت الدراسة بمنهجينها السليمة ، واذا كان المؤلف قد التزم فى دراسته بالعنوان الذى اختاره للموضوع الذى عرض له .. فقد يرى القارىء فى الدراسة أنها دراسة عادية ، ان متطلبات العصر الذى نعيشه .. هو أن نعنى بالدراسات المقارنة ، حتى نبرز قيمة الاسلام فى قضائه ، واذا كان الباب الأول من الكتاب الخاص بتاريخ القضاء فى الاسلام لا يتسع كثيرا للدراسة المقارنة ، فان فى الباب الثانى من الكتاب الخاص بنظام القضاء متسعا لمثل هذه الدراسة .

● **الطريق الى الله**
للدكتور عبد الرحمن عميرة

هذا الكتاب الذى نشرته دار الاعتصام بالقاهرة للمؤلف المدرس بكلية أصول الدين بأسيوط .. خطرات سريعة تقع فى ٤٨ ص من القطع المتوسط ، لكنها خطرات قيمة فى أسلوب حوارى جيد مقنع يحتاج اليها اليوم شبابنا المسلم الذى تتاوشه الأفكار المستوردة من كل مكان .

عرض المؤلف فى هذه الخطرات للهجرة الى الله .. انها هجرة عن طريق المجاهدة والعبادة الخالصة ، والعمل المتواصل .. كما عرض لشبابنا المسلم فى أفكار المستوردة يرى فى شبابنا أقساما ثلاثة : قسما يرفض العقيدة ، وقسما يقبلها باخلاص ، وقسما هو مسلم بالتبعية ، يضاف الى جملة المسلمين عن طريق الاحصاء العام . ثم عرض لمجتمع الصلاة .. أنه مجتمع لا يعرف الغربة .. فالصلاة أقرب السبل الى التعارف .

الحق أنها نفثات قلم مؤمن ••• وفكر متأصل •• وروح وثابة •• موجهة الى شبابنا المسلم الذى لا يزال حائرا••لعله يهتدى الى الطريق •• الطريق الى الله •

● اذا بليتم فاستتروا •• !

انه خبر صغير قرأته فى جريدة الأخبار القاهرية يقول :

مصر والكويت ستتبادلان سهرة رمضانية تشمل الغناء والرقص الاستعراضى والمنولوج والابتهالات فى كل منهما •• السهرة التى تقدمها مصر والكويت تتضمن أغنيات لأم كلثوم ، وعبد الحليم حافظ ، ومحرم فؤاد وعفاف راضى ولبلبة وصباح وفرقة رضا •• هذه السهرة ساعة ونصف ساعة • وتخرجها عائشة مدكور وتقدمها منى جبر • • هذا ما تقدمه مصر الاسلامية •• بلد الأزهر الشريف فى رمضان •• الا يحق لنا أن نخجل ؟ والا حق علينا قول الرسول صلوات الله عليه : « اذا لم تستح فاصنع ماشئت ••!!

● قراءات :

ان اليهودية العالمية حين عجزت عن سلب الأموال من الجيوب •• اخترعت الشيوعية الحاقدة لتصب الأموال فى خزائن الدول •• ثم تستولى عليها عن طريق القروض والمشروعات الفاشلة •• ومن ثم تكرس الدول ميزانيتها لسداد ربا الديون •• وتبقى الديون كما هى قيدا جديدا فى رقاب الأمم •• ان اليهود هم أصحاب الأموال فى الدول الرأسمالية •• وهم الشيوعيون فى الدول الشيوعية •

مجلة الاعتصام

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى[١]

تقديم الاستاذ عبد الفتاح حسين الزيات
وتجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

السؤال :

مقدم من المواطن صادق سيد أحمد غنيم من بلدة ميت موسى محافظة المنوفية الى مكتب الفتوى بالأزهر الشريف .

السؤال رجل قال لأمه بعد وفاة زوجها أنا أنفق عليك بشرط أن تعطيني ما تملكيه أولا فأعطته ما طلب وأنفق عليها بعد ذلك هل له جزاء بر الوالدين ؟

نرجو التكرم بالقاء الضوء على هذه الفتوى وكان الشرط سابقا للعطاء هل جزاء الوالدين الافادة بحكم الشرع فى ذلك .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد : فنفيد بأن نفقة الأم الفقيرة واجبة على أولادها المرسرين بدون مقابل ويفهم من السؤال أن الابن أخذ من أمه مبلغا كبيرا من المال قد يكفيها زمنا طويلا فيجب على هذا الابن أن يعطيها ماأخذه منها لتنفق منه على نفسها فاذا نفد وجبت عليه نفقتها واذا ماتت وبقى منه شىء كان له وللورثة جميعا ما فضل من تكاليف الوفاة حسب العرف الشرعى والله أعلم .

السؤال :

السؤال من رضا حافظ الكردى يسأل عن مايأتى :

توفيت امرأة وتركت منزلا ولها ورثة هم :

ولدان أحياء ؟ وأنثى ؟ ولها ولدان توفيا قبلها وكذلك لها بنت توفيت بعد وفاة أمها ولهذه البنت زوج .

فهل للأولاد المتوفى أبوهما قبل وفاة أمهما نصيب فى الميراث وأحد

الأولاد المتوفين له أولاد اناث فقط وله اخوة أشقاء فهل للاخوة الأشقاء نصيب فى الميراث مع الأولاد البنات وما نصيب كل فى الميراث ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بأن فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة بمقدار الثلث فتقسم التركة ثلاثة أجزاء جزء منها وصية واجبة لأولاد الابنين المتوفين لكل أولاد ابن النصف فتعطى بنت الابن المتوفى السدس ويقسم السدس الآخر على ولدى الابن الثانى المتوفى وليس من حق الأشقاء أن يأخذوا شيئا من نصيب أولاد الابنين المتوفين ثم يقسم الثلثان على الأحياء من الورثة للذكرين والأنثين تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ثم يقسم نصيب البنت التى توفيت نصيب أمها على ورثتها وهم زوجها والاخوة الأشقاء الموجودين بعد وفاتها للزوج النصف والباقى للاخوة الأشقاء تعصيبا والله أعلم .

السؤال :

من السيد / محمود نعمان حسن الشامى :

أريد الزواج من فتاة ولكن لى ابن رضع من أم الفتاة التى أريد الزواج من ابنتها فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الرضاع المحرم في مذهب الامامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان .

وحيث أن هذا الرجل لم يرضع من أم الفتاة وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الرجل فيجوز لهما الزواج ولا عبرة بأن ابنه رضع من أم الفتاة هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال :

من السيد / محمد عرفه محمد :

بكر بالغ وكلت رجلا فى تزويجها من شخص آخر معين بمقتضى توكيل محرر وموقع منها عليه ثم أنه بمقتضى هذا التوكيل ذهب الوكيل الى المأذون مع الزوج وقد أجرى العقد على يد المأذون فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن هذا الزواج بمقتضى توكيلها وهى من أهل التوكيل وقد أجرى الوكيل العقد بمقتضى هذه الوكالة أمام شاهدين مسلمين فيكون العقد صحيحا شرعا ولا شىء فيه والله تعالى أعلم .

السؤال :

من أحمد رأفت يسأل عن :

شاب تقدم لخطبة ابنة عمه وبعد الرضا والقبول قدم لها شبكة ذهبية ثمينة واستمرت الخطبة ثلاث سنوات حتى تتم دراستها الجامعية ثم قدم لها فى هذه المدة عديدا من المشغولات الذهبية والملابس وغيرها كما قدم لوالدها مقدم الصداق المتفق عليه ثم حدث سوء تفاهم قام على أثره والد الخطيبة بفض الخطبة .

والمطلوب الآن معرفة رأى الشرع فيما يلى :

١ - استحقاق الخاطب لمقدم الصداق من عدمه والرفض من جانب والد الخطيبة وبموافقتها .

٢ - من يستحق ما قدم للخطبة من الشبكة والأدوات المنزلية ؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فنفيد بأن الشبكة تعتبر جزءا من المهر وحيث لم يتفقا على العقد فتكون الشبكة من حق الزوج وكذلك مقدم المهر وكذلك ما قدمه من أدوات لمنزل الزوجة والله أعلم .

عبد الفتاح الزيات

أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

● **احتفال الأزهر باحياء ذكرى العاشر من رمضان :**

أقامت مشيخة الأزهر احتفالا باحياء ذكرى العاشر من رمضان والانتصار فى معركة العبور .. وشهد الاحتفال الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية، والفريق محمد على فهمى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، وقادة الأسلحة الرئيسية ، وعدد من الضباط والجنود ، وعدد من طلبة الكليات العسكرية .

وألقى فضيلة الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار وكيل الأزهر كلمة حيا فيها انتصار الجيش الباسل فى حرب العاشر من رمضان ، وهاجم بشدة المشككين فى اتفاق فصل القوات الثانى على جبهة سيناء ، كما هاجم أيضا محترفى البيانات المضللة .

ثم ألقى فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر كلمة وجه فيها التحية من الأزهر الشريف لرجال القوات المسلحة ، وحيا انتصار الجيش فى حرب العاشر من رمضان بقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات، وأشاد بالدور الذى قام به الرئيس السادات لرفع رأس الأمة العربية .

● **زيارة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر لدبى والسعودية :**

قام فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر خلال شهر رمضان بزيارة لدبى حضر خلالها افتتاح البنك الاسلامى الذى سيجرى التعامل فيه طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ، والقى فضيلته سلسلة من المحاضرات هناك ، ثم قام من دبى بزيارة للمملكة العربية السعودية

حضر خلالها مؤتمر المسجد الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

● **مؤتمر المسجد بمكة المكرمة :**

عقد بمكة المكرمة مؤتمر رسالة المسجد الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى هناك ، وذلك فى يوم ١٥ من رمضان ١٣٩٥ هـ-٢٠ من سبتمبر ١٩٧٥ م وافتتحه الأمير فواز بن عبد العزيز أمير مكة نائبا عن جلالة الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية ، وحضر المؤتمر وفود من علماء المسلمين ومفكريهم لتمثيل الدول الاسلامية المختلفة .

ومثل مصر فى المؤتمر وفد يضم فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وفضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى جمهورية مصر العربية ، وعدد من المفكرين وأساتذة الأزهر .

وناقش المؤتمر دور المسجد ورسالته والعودة به الى سيرته الأولى فى الاسلام .

● **احتجاج رابطة العالم الاسلامى بمكة على رسم خيالى لابى بكر الصديق :**

احتجت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة على ماقامت به مجلة (وورلد اوف وندر) اللندنية من رسم خيالى على احدى صفحاتها يمثل الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وأهابت الرابطة بجميع المسلمين فىالعالم لتقديم الاحتجاج .

ونص الاستنكار الذى نشرته الرابطة فى مجلتها فى العدد السابع يوليو وأغسطس ١٩٧٥م هو :

(استنكرت الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بشدة العمل الشنيع الذى أقدمت عليه مجلة (وورلد أوف وندر) اللندنية ، حيث رسمت على احدى صفحاتها خيالا يمثل الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

وأهابت الرابطة بجميع المسلمين فى العـالم لتقديم الاحتياجات الصـارخة لمدير هـذه المجلة لقيامه بمثل هذا العمل الشائن الذى يعتبر اساءة كبيرة لشـخصية الصـديق خليفة المسلمين الأول ، كمـا يعتبر اسـاءة للتـاريخ الاسلامى كله) .

● من توصـيات الملتقى التاسـع للفكر الاسلامى بتلمسان بالجزائر :

أصـدر الملتقى التاسـع للفكـر الاسـلامى الذى عقـد بتلمسـات بجمهـورية الجـزائر الديمقراطيـة الشـعبية فى يوليو المـاضى عددا من التوصيات ومن أهمها :

١ ـ دعوة البلاد الاسلامية لانشاء مصرف اسلامى فى كل منها تقـوم معاملاته على غير النظرية الربوية .

٢ ـ دعوة البـلاد الاسـلامية الى انشاء مؤسسـات للزكاة فى كل منها تتـولى جمـع الزكاة وانفاقهـا وفق الأحكام الشرعية .

٣ ـ حث الدول الاسلامية الغنية على منـح الدول الاسـلامية النـامية قروضـا بلا فوائد لتنفيذ مشـاريعها الانمائية والعمرانية .

٤ ـ تعليم اللغـة العربية ونشرها فى العالم الاسـلامى باعتبـارها لغة القرآن الكريم والسنة .

٥ ـ ان يتجـه الفن والأدب الى شحذ العزائم وتعزيز الاخلاق وصقل الذوق الجمالى وتأييد القضايا العادلة فى العالم الاسـلامى عموما وقضـية فلسطين خاصة .

● شروط الالتحاق بقسم الصحافة والاعلام الاسلامى بجامعة الأزهر :

وافق مجلس كلية اللغة العـربية جامعة الأزهر على شروط الالتحاق بقسم الصـحافة والاعلام الاسـلامى الذى تم اعتماد انشائه بالكلية ، وذلك بان يقبـل بالقسم الحاصـلون على الثـانوية الأزهرية بقسـميها بشرط الحصـول على ٦٥٪ فى مادة اللغـة العربية مع النجاح فى اللغة الأجنبية ، وكذلك حملـة الثانوية العـامة بعد النجـاح فى السـنة التأهيلية بنفس شروط الالتحاق بالثانوية الأزهرية ،

كما وافق مجلس الكلية أيضا على تشكيل لجان وضع المنهج للقسم وهيئة التدريس ومواد الدراسة وستعرض موافقات مجلس الكلية هذه على مجلس الجامعة للمناقشة والموافقة على ما يستقر عليه الرأى •

صرح بذلك الدكتور ابراهيم نجيب مراقب عام شئون الطلاب بجامعة الأزهر •

● افتتاح مسجد بمطار اورلى بفرنسا :

تم افتتاح مسجد بمطار أورلى بفرنسا ، وقامت رابطة العالم الاسلامى بارسال هدية الى مكتبة هذا المسجد مكونة من عدد من نسخ القرآن الكريم ومجموعة من ترجمة معانية باللغتين الفرنسية والانجليزية ومجموعة من الكتب الاسلامية •

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢١٧١/١٩٧٥-٩٠٠٢

the conditions of the Caliphate should be fulfilled by whoever would claim it so that his claim may be sound and be established.

This situation will arise where the difference is over claims for the Caliphate. Should the difference stem from local prejudices consequent upon the expansion of the Muslim state's territory, this should not impede all the lands being regarded as one state. It does not behave the Muslims to render such differences conducive to strife or wrongful regional bias among them.

(to be Continued)

bring all the subjects under one legal system unles special status is granted to certain communities in some dealings including marriage and divorce. This grant, however, should be liable to be withdrawn at such time as the state authorities so desire. It used to be accorded by the Islamic State as religious freedom, but if such a privilege develops into fetters upon the state sovereignty, it must be abolished.

European states would not allow such privileges in so far as concerns civil status of family affairs in these countries which are deemed to constitute part of the public order. If a woman gets married in Britain according to the Muslim Code, the marriage contract will not be deemed to be valid nor would the state recognise it. The same applies to many other countries where marriage on terms other than those of the Christian faith is not respected. Marriage under the Muslim code is also not respected even though both parties be Muslim.

We would not, however, recommend the Muslim contries to follow the same practice. We should rather maintain religious freedom under Islam as established by our Muslim predecessors.

The sovereignty of the Muslim state is established in its territories if Islam has one state through which the Islamic unity is achieved. Two points should, however, be observed in this regard ; First that in legislation the power of the Muslim State is not absolute ; it is rather restricted by the stipulations of the Quran and the Prophet's traditions, and no legislation to the contrary of these stipulations, should be enacted. This, however, does not at all clash with sovereignty, for the fact that a ruler is bound by an inviolable constitution which would not reflect on his sovereignty ; second will sovereignty disputed now that the Muslims have been divided into various countries with each having its own king or head of state ?

In reply to this we would say that Muslims had been used to have a Caliph whose authority reigned supreme no matter whether he was strong or poor. If the difference over sovereignty arises from each state claiming to be the seat of the Caliph, we state that a majority of scholars had given the view that there could be only one Caliph and as such, some, if not all, of those who have claimed the Caliphate have a false cause.

According to Zayed ibn Aly Zein Al-Abedin, saliphs could be numerous if this be deemed to be in the interests of Muslims, but the view of the majority should have the upper hand, however, to ensure that the Caliphate shall bring all the Muslims together. However,

culded a peace treaty with the people of Nubia whereby he pledged to ensure their safety, to protect their independence and to exchange trade with them. He levied no money for these privileges. The same was done by Moawieh with his contry folk ; he concluded a peace treaty with them that established their internal sovereignty.

It goes without saying that countries which enjoyed this type of covenants cannot be considered lands of war ; the question is whether they should be deemed lands of Islam or merely land of appeasement. Some scholars held the view that they are lands of Islam for the Muslims are the people of the Sunna. Al-Shafei and Muhammad ibn Al-Hassan would call it a third land, the land of covenant, and make it a land of Islam in certain circumstances and not in others. In his book 'Al-Seyar Al-Kabeer' — Muhammad ibn Al-Hassan said, "The criterion determining the nature of a certain land is the sovereignty and power of the rule (meaninig the Islamic Rule). Should the rule be one of appeasants, Should the rule be that of a sovereign power in another land, none among the first land's people shall be treated according to the rules of appeasement".

It follows that Muhammad ibn AlHassan puts forward the supposition that the people of the covenant or the appeasement could be subjected in their government to another state that does not come under the category of covenanted countries. He then lays the rule that in the event of sovereignty and power being held by the people of the land that appeased, such land should be deemed a land of covenant ; if on the other hand, the power and the sovereignty be for another state, neither of them should be deemed a covenanted country unless it is covered by a covenant.

We may now safely say that a covenanted state cannot be a land of war but is not deemed as alien to a land of Islam and is governed by some of the latter's rules though it has an independent entity of its own.

Sovereignty

This is a technical term commonly used in International law Books. It denotes a situation where the power of a state is original and not derived from another state, and that such power should cover all parts of the state — however numerous the elements and the religions in it, and however extensive its area may be.

The sovereignty of the state has thus two aspects : one external which consists in the regulation of international relations on a basis of independence that is not shared by any other state, and the other the spread of the power of the state within its territory so as to

panions, we come across two categories of land which do not come under the definition of either the land of Islam or the land of war. These are :

a) The lands where no Muslim sovereighty is established, or aggrestion feared to be launched. Such category of land should be deemed as non-belligerent as it comes under those who kept aloof and desisted from attacking the Muslims as the Quranic text goes.

b) The second category is that of non-contiguous land. This also should be regarded in the same light as the first category unless there be aggression, or support for the enemies of Islam.

We have already stressed the point that contiguity was not essential for aggresion to be launched, for aggression could still take place without contiguity. Remote lands on the other hand would prevent Muslims to send preachers who would guide their peoples and call for Islam. If there be aggression by them they should be deemed as aggressors, their fight will be justified and their land deemed a land of war on the strength of actual act and not by imagination.

Land of Covenant :

This category of land is a fact rendered necessary by the exigencies of academic research and established in practice. For there existed tribes and states having respectable covenants and sovereignty in their lands, which did not fully come under the influence of Muslims, and Muslims had no power in managing their affairs except in so far as concerns the redressing of wrongs and injustices.

These countries had concluded covenants with the Muslims either before any decision to conquer them or at the outest of fighting. They had been offered the choice between Islam, a covenant or war, and chosen a covenant upon conditions that varied in power according to such terms as more agreed upon by the two parties in the light of the strength or otherwise of such lands, and the extent of their need for Muslim support.

A covenant may be pledge of protection against certain payment as was the case with the Prophet's covenant with the Christians of Najran, and that between Leader Abu Obayda Amer ibn Al-Jarrah with the people of Hims (Emesa). The latter covenant embodied a pledge of protection for the people against the payment of a tribute (Jizyah). It happened, however, that the Islamic army, having been weakened by pestilence, was unable to check the Roman invasion whereupon the faithful commander whom the Prophet called the Honest one, returned the money back.

Under Uthman's rule, Egypt's Wali, — Ibn Abi Al-Sarh — con-

be deemed lands of war nor should the territory beyond them be regarded as such even though the Muslim ruler has no sovereignty or power over them. The same rule applies to seas surrounding Muslim land ; neither these seas nor the terrtories beyond them should be treated as land of war.

c) That neither Muslims nor the people of the Book who are considered Muslim subjects, sohuld remain in the land under the protection of the first Muslim assurance which had enabled the Muslims to live in it. Applying this condition we find that a land which the Muslims had conquered, pledged safety to its people, but had to withdraw from it under the pressure of war or other factors cannot be deemed a land of war if the non-Muslims who had dominated it, left the subjects of the Muslim State to reside in it under the pledge of safety, and preserved their liberties. This condition, however, could of course be fulfilled only where the new State has turned peaceful towards the Muslims. If it violates the peace pledge, however, and fight the Muslims, such country should be regarded a land of war.

It is noteworthy that the land of belligerants by a consensus of viewpoints, is considered a land of war.

It is the second view which accords fully with the fundamental rule that peace forms the basis of relations between Muslims and other peoples. This is because it considers a country a land of war only where actual aggression by it disturbs the peace of the Muslims, or an attack is to be expected through adjacency. The absence of a covenant or a non-aggression pact between two lands having common borders would render war possible at any time. This view conforms even in letter with the Quranic text, unlike the first which would appear contradictory with the terms of the Holy Book, for the basis of the relation here is one of war.

Although the second view is closer to the texts, we consider it no longer tenable to make adjacency a condition for its fulfillment. Man on earth has now been able to control the atmosphere and the space above, and aggression no longer requires neighbourhood to be launched, for the destructive bombs would travel between the remotest points on earth. We would thus deem the condition has outlined its purpose. Had Abu Hanifa been alive he would have abandoned it and now that we disregard it, we will in fact be following his logic. The only difference between us is one of time and place and not argument and proof.

Even if we adhere closely to the logic of Abu Hanifa and his com-

THE LANDS OF ISLAM, OF WAR AND OF COVENANT

By

(Late) Sheikh Muhammad Abu Zahra

The land of Islam is the State that governs the Muslims, in which the means of power are held by them. It is the bounden duty of Muslims to defend this land and repel agression to it. This defence is incumbent on those who can afford it in case The enemy has not entered the land, otherwise it shall be compulsory as regards every individual Muslim. Every Country Where Muslims form a majority is deemed a Musl m land even though it may be dominated by anon-Muslim ruler.

The lands of war and of covenant need more amplification.

Land Of War :

Scholars have differed over the definition of the land of war ; two divergent opinion have been held in this context :

First : The land of War is where no sovereignty or power are held by a Muslim ruler, and where no covenant exists which regulates such country's relation with the Muslims, safeguards them against agression.

The sovereignty and the power of the ruler constitute the criterion in the view of the authors of this school. They hold that, so long as a land is not under Muslim sovereignty or bound by covenant. It should be deemed a land of war from which agression is to be expected at all times. God, the Almighty, they further maintain, has ordered the Faithfull to be on the alert and always ready to fight and repel the aggressors.

This is the view of numerous scholars including Abu Yussef, a leader of the Hanafi School of Thought.

The second view advocated by Abu Hanifa, the Zaydieh and other scholars, holds that the mere fact that sovereignty and power are held by non-Muslims, would not render the country a land of war, for three conditions should first be fulfilled :

a) That sovereignty and power be denied the Muslim ruler to such and extent that he is rendered unable to carry out Islamic rules.

b) That the region concerned happens to be bordering Muslim lands that aggression may be expected from it . It follows from this cond tion that deserts adjacent to Muslim countries cannot

Who knew the Muslims must soon become a great nation, and therefore they would need all those instructions of which a well — developed civilized society stands in need.

34— The verse 283 points out to transactions executed upon a journey and there is no scribe, and the creditor does not trust the debotr ; in this case, security may take place of a document. It commands the believers not to conceal testimony, lest their hearts should be sinful.

35— The verse 284 says that Allah will call the believers to account according to their thoughts if they carry them out. Some commentators shate that wicked impressions and evil houghts are punishable. When the believers read this verse they relinquish obedience justifying their action by giving various pretexts.

The holy Prophet told them not to say we hear and rebe llike the people of the other books but say we hear and obey, grant us your forgiveness, Our Cherisher : and to ou is the end of all journeys (verse 285).

36— The verse 286 teaches a prayer for divine help as follows : Allah does not impose upon any soul a duty but to the extent of its ability.

It shall have the good which it gains, and it shall suffer the evil which it gains.

O Cherisher, do not condemn us if we forget, or fall into error. Out Cherisher ! Do not lay on us a burden of difficult obligations like that which you have laid on those who have been before us.

Out Cherisher : Do not impose on us that which we have not the strength to bear. Pardon us and grant us forgiveness.

Have Mercy on us. You are our Protector. Help us against those unbelieving people, and give us victory over them.

while they would not receive it themselves except with disgust (11/267).

30— The verses from 265 to 269 warn people of usurious dealings which breed an inordinate love for wealth. They state that Allah does not bless usury but blots it out or annihilate it, while He causes charitable deeds to prosper.

31— The verse 281 indicates that if the debtor is in straitened circumstances, then payement must be postponed until the debtor is at ease to pay.

32— The verse 282 which is the longest one in this chapter tells the believers to safe guard their property rights by the employment of writing in their dealings and securing eviolence.

This verse states that the debtor or his guardian should write down the document with care and fairness.

It tells that evidence should be based on the testimony of two men witnesses.

If there are not two men, then one man and two women because the home is the proper sphere of the woman as owing to her domestic responsibilities, she appears less in public, she should not be much dragged into courts of justice. She is also more likely to lose her mental balance under the severe test of cross-examination than a man hence, the deficiency in her evidence is required to be made up by the evidence of another woman, (so that if one of them errs, the other can remined her).

33— The verse 282 deals with transactions involving future payment or future delivery and transactions in which payment and delivery are made on the spot.

Great commentators give examples of the former :

If goods are brought now and payment is promised at a fixed time and place in the future, or if cash is paid now and delivery is contracted for at a fixed time and place in the future, in such cases a written document is recommended. Examples of the latter kind — cash payment and delivery on the spot — require no evidence in writing, but appearently oral witnesses in such transactions are recommended.

Other commentators say, this injunction was given at a time when Muslim society was itself in danger of being spent away. This shows that the Holy Quran was no the word of the Prophet Mohammad (may peace, mercy and the blessings of Allah be upon him), but of the Almighty Allah.

25— The ordinances relating to divorce, the re-establishment of conjugal relations between man and his wife, mothers being divorced and their attitude when they have children to suckle. The widow should await four mnoths and ten days before looking out for a husband (verses 228 to 234).

26— The verse 240 states that widows are not allowed to marry after their husband's death but after four months and ten days.

27— The verses from 246 to 251 state the story of the Jews who refuse fighting when it was ordained for them. They rejected Saul to be a king over them though they had begged their prophet to ask Allah to raise up for them any king that they might fight in the way of Allah.

Afterwards David held kingship over them and slew Gohath. People are told that they have to fight to restore order, establish peace, and destroy the unjust people. Allah's plan is universal. He loves and protects all His creatures, and His grace is for all people. To protect one He may have to check another, but we must never lose faith.

28— The verse 255 says what means :

"There is no god save Allah, the Everliving, the Self-Subsisting, the Eternal, neither slumber, nor sleep can seize Him. To Allah belongs whatsoever is in the heavens and on earth. Non can intercede with Him except as He permits. He knows that which is past and that which is coming to His creatures. While they encompass nothing of His knowledge save what He wills. His throne (knowledge power and authority) extends over the heavens and the earth. He is never weary of preserving them".

29— The verses from 261 267 state that every dirhem spent in the cause of truth yields seven hundredfold and even much more fruit (2/261). They warn people of spending their property with reproach or injury (2/262).

They tell that kind words and forgiveness are better than charity followed by injury 2/261. They relate that charity is cancelled by reminders of generosity and mischief like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in Allah nor believe the Day of Resurrection.

They are in parable like a smooth rock with dust upon it, then a heavy rain falls upon it, so it leaves it bare. (11/264). They command the believers to give of the good things which they have legitimately earned, and bid them not even aim at what is bad that they may spend in alms of it,

unity of design in the widest diversity of nature : the glory of the heavens and the earth, the alternation of day and night, and the changing of the winds and the clouds made subservient between the sky and the earth (verse 164).

12— The verse 121 tells that the Book should be followed and studied as it ought to be.

13— The verse 172 bids the believers to eat of the good food and give thanks to Allah by feeding the poor.

14— The verse 173 forbeds the believers to eat animal that dies of itself, blood, the flesh of swine, and that over which any other name than that of Allah has been invoked except whoever is driven to necessity.

15— The verse 178 refers to retaliation explained by the law of mercy where it can be obtained by consent with reasonable compensation.

16— The verse 179 declares that life cannot be safe unless the guilty are sentenced to severe punishment equal to their guilt.

17— The verses 183-187 bid the believers to observe fasting from dawn to sunset not only from food but from every kind of evil for the month of Ramadan except who is ill or on a journey then they shall fast a like number of other days, but those who can fast the prescribed days with hardship such as aged men or women in pregnancy or nursing babies may effect a redumption by feeding the poor.

18— The verse 186 states that Allah answers the prayer of the suppliant when he calls Him, on condition that he strives hard in following Allah's guidance.

19— The verse 188 commands the believers not to eat up other people's substance unjustly.

20—The verses from 196 to 203 show ordinances relating to pigrimage and did to land Allah and celebrate His praises.

21— The verse 219 states that intoxicants and gambling are of greater sin than of their profit for people. The verses 90-91 Surah the Table Spread no. VII prohibit them.

22— The verse 221 forbids the marriage of idolators until they believe in Allah.

23— The verse 222 warns the believers of touching women during their monthly menstrual discharge.

24— The verses 224 and 225 warn the believers of making Allah's name the object of their oaths. Allah will not punish them for thoughtlessness in their oaths but He will call them to account.

any distinction between one and another of Allah's Apostle. Moslems should honour them equally, though they know that Allah in His Wisdom sent them with different kinds of mission and gave them different degrees of rank. The believers are those whose Faith and conduct are sincere. Those who are humble in their prayers, those who shun vain discourse, guard their modesty and faithfully observe their covenants.

(b) The infidels who reject faith shall receive the great penalty.

(c) The hypocrites whose hearts are diseased shal have a painful chastisement.

4— This Surah opens with a brief statement of the creation of man and points to his place in cration and his vast capabilities for knowledge.

It tells the story of Adam and the dialogue between Allah and His Angels concerning Adam who was tempted by devil. Repentance brings him back to Allah. The verses 38 and 39 refer to the fact that people who follow truth shall be in peace, but those who waste their opportunity shall have a painful chastisement.

5— The verse 102 refers to the devils who teach men magic, and it speaks of what was revealed to Harut and Marut at Babel.

6— Verses from 125 to 128 state that the Ka'ba is a resort for people and a place of security. They refer to Abraham's prayer and the raising of the foundations of the Holy House by Abraham and his son Ismail.

7— The verse 129 refers to Abraham's prayer that Allah raises up in Ismails' offspring an Apostle from among them who shall recite to them Allah's signs and teaches them the Book and the Wisdom (Prophet's Sayings).

8— The verse 144 reminds us of the real impression of the turning of Muslims' faces to the Ka'ba instead of Jerusalem in prayer. The Ka'ba has been the centre of universal worship and the symbol of Islamic Unity.

9— The verse 154 tells that those who sacrifice their lives in the cause of truth shall gain eternal life.

10— The verse 155 refers to Allah's test of man with somewhat of fear, hunger, loss of property, lives and fruits. Those who persevere patiently, Allah bestows His Blessings and Mercy on them. They are the followers of the right course. They shall receive guidance and shall have glad tidings.

11— This passage involves some wondrous signs that refer to the

THE SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH "AL-BAQARAH"

By

Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal
Prof. at University of Al-Azhar

1— This Surah is the longest one in the Holy Quran. It is Medinite except the verse 281 which was revealed at Mina. The number of its verses is 286. It is the first chapter revealed at Medina. Its name is quoted from the story narrated in verses 67-71 regarding the slaughter of a cow. This Surah begins with Alif-Lam-Mim. These initials are called the abbreviated letters. They stand for words. Ibn Abbas says that these abbreviated letters are symbols to oaths. Ibn Mas'oud says that they are some of Alah's Glorious names or Sublime Attributes. Ibn Abbas and others interpret Alif=I, Lam=Allah, Mim =Best Knower. I am Allah the best Knower. These letters may refer to the fact that the Glorious Quran though it is formed out of letters of the alphabet, yet it challenges the most eloquent men in Arabia- which was at this time stocked with thousands whose sole study and ambition it was to excel in elegance of style and composition the Quran. They are challenged to produce a Surah that might be compared with it. They stood powerless. They failed even to produce even a verse like it.

This confirms that the Quran is not the work of the Prophet Mohammad, but it is revealed from the Almighty Allah. Other interpreters say that these are letters of Alarm to attract the listeners attention to something very important.

1— Verses 51 and 54 point to the story of making of the calf and the addiction of the Jews to the calf-worship.

2— It refers to the fact that there is no doubt in the holy Quran which is a guide to the righteous who believe in the existence of Allah, the Hereafter; keep up prayer, give charity out of what Allah has given them, and believe in all prophets and all the scriptures revealed to them.

3— The verses from 1-29 deal with three categories of people.

(a) The believers who are on true guidance and who will prosper. They believe in the Unseen. They are steadfast in worship. They believe in the sacred Revelation sent to them (the Quran) and that which was revealed before them and are certain of the Hereafter. They do not make

backing of the powerful Roman empire on the north and of Abyssinia in the south and west, as well as the movement of the indigenous Arabs, known as "Hanifism" ; all those attempts could not regenerate the Arab.a, and thus the fate of each previous attempt was only a symbol of despair for any fresh reform movement.

Under these circumstances, amid all this despair on every side, Quran announced prophecies in the surest and most certain terms to the effect that the great forces of opposition should be failed, and that Islamic Call should be established soon in the whle of Arabia, but Islam should spread to the farthest corners of the earth. All this has been said in the Holy Quran in plain words and at a time when was not the least prospect of Islam gaining any ground. But all this was brought to fulfilment, against all expectations, in life time of the Prophet Muhammad (peace be on him). No one who has the slightest acquaintance with the Holy Quran or the History of the Islamic movement can have any doubt on this fact. Let us now take a few Quranic verses bearing on this point :

It means : "Allah has promised to those of you who believed and do good deeds that He will surely make them to succeed in the earth as He made those who were before them to succeed ; and that He will surely establish for them their religion which He has Chosen for them ; and that He will give them in exchange safety after their fear." (24 : 55).

After mentioning the stories of past tyrannous peoples ; like Pharaos and others, The Quran said :

It means : "Are the unblievers of yours better than these or is there an exemption for your in the scriptures. Or do they say, we are a host Victorious. The host will be routed and they will turn and flee" (54 : 43-45).

———

It means : "And if ye are in doubt concerning that which We reveal unto Our servant (Muhammad), then produce a surah of the like thereof, and call your witnsses beside Allah if ye are truthful. And if ye do it not-and ye can never do it then guard yourselves against the fire prepared for disbelievers, whose fuel is of men and stones" (2 : 23, 24).

Thus, the challenge is so great, and it produced an effect, greater than that of any other miracle recorded of any prophet; hence its claim to be a living miracle of Islam is incontestable and unapproachable.

Another importante significance of this living miracle is that the Holy Quran has adopted the means of appeal to the heart and the reasoning faculty of man to convince him that the Divine message is meant for his own uplifting and happiness in the two worlds. It does not adopt the way of overawing the mind by the miraculous. Thus the Holy Quran makes frequent appeals to human nature, and repeatedly refers to the histories of previous peoples to draw lessons from the history showing how the acceptance of truth has always benefited man, and its rejection has caused his loss. The mentioning of miracles in the Quran is very rare.

In the case of miracles also Quran gives the first place to prophecy, because prophecy does enjoy a distinction beyond that attached to other miracles. The prophecies mentioned in the Holy Quran, and those uttered by the Prophet cover so vast a ground and relate to a future so distant that. The Holy Quran gives prominance to the great prophecy of the triumph of Islamic mission. The earlier chapters of the Quran are full of such prophecies uttered in various forms. These chapters were revealed, and those prophecies announced at a time when the Prophet was quite alone, and beset by enemies on all sides plotting to put an end not only to his mission but to his very life. The few supporters to his cause had been forced to leave their very homeland, because of the cruel persecution of the strong, powerful and the great majority enemies.

In that circumstances there was not the least prospect of Islamic Call ever making any headway against the mighty forces ranged against it. It must also be recalled that all previous attempts at the reformation of the forces of polytheism and idolatory, the mass of superstitions and evil of every kind spread in Arabia had all proved utter failures. The Jewish priests who had settled down in various parts of Arabia, and the Christian missionaries who had the

distinction beyond that attaching to other miracles. Miracles generally are manifestations of the powers of God, and prophecy gives prominence to God's Infinite Knowledge which comprehence the future as well as the past and present.

There is one important point to be noted in respect of the miracles which are merely manifestations of God's power because certain people may have witnessed performance of such a miracle, and their evidence may satisfy their contemporaries, but, with the laps of time their testimony loses much of its value. It is difficult to secure reliable evidence for them under all circustances. Therefore a miracle stands in need of being proved before it may be used as evidence of a Prophet's claim. In most cases it is very hard to adduce any proof that the miracle ever actually took place. But the case is not so in respect to the Holy Quran, for Quran itself claims to be a miracle and has challenged the world to produce its like. This challenge is standing and general. The Holy Quran makes this challenge clear in the following verses :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

(الاسراء ۸۸)

It means : "Say : Verily, though mankind and the Jinn should assemble to produce the like of this Quran, they could not produce the like thereof though they were helpers one of another" (17 : 88).

« أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صـــادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله ... » .

(هود ۱۳ ـ ۱٤)

It means : "Or they say : He hath invented it. Say : Then bring ten Surahs, the like thereof, invented, and call on everyone ye can beside Allah, if ye are truthful : And if they answer not you, then know that it is reaveled only in knowledge of Allah; and that there is no God save Him. Will ye then be (of) those who surrender ? (11 : 13, 14).

« أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من اســـتطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » .

(يونس ۳۸)

It means : "Or do they say : He has invented it. Say ; Then bring a 'Surah' like unto it, and call (for help) on all you can besides Allah, if you are truthful" (10 : 38).

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعـلوا فاتقوا النـار التى وقودها النـاس والحجارة أعدت للكافرين » .

(البقرة ۲۳ ـ ۲٤)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

SHAWWAL 1395	ENGLISH SECTION	OCTOBER 1975

THE HOLY QURAN IS THE GREATEST STANDING MIRACLE OF ISLAM

By

Dr. A.M. Mohiaddin Alwaye

The Holy Quran is indeed the greatest miracle ever granted to a prophet because it stands in need of no other evidence whatever, but is itself a living proof of its own truth for all times. The word employed in the Holy Quran for miracle is "*Ayah*", it means an "*apparent sign*" or "*mark*" by which a thing is known. The adoption of the same word (Ayah) to a verse of the Holy Quran is noteworthy. It shows that the message of the Quran itself is the proof of its own truth, and hence the Holy Quran has always been looked upon by Muslims as the greatest miracle of the Prophet Muhammad (peace be on him).

The real object for which prophets are raised up, is the bringing about of a transformation. The object is attained by several means, each of which, therefore, has but a secondary value. The conception of the miracle occupies not the highest place among the evidences of the truth of the Prophet. But the supreme object before the Prophet is to effect a moral and spiritual transformation; the means adopted are an appeal to the reasoning faculty, an appeal to the heart of man to convince him that the Divine message is ment for his own uplifting.

The miracle has its own place in the Divine scheme to show that the source of the message of the Prophet is super natural and Divine. The Quran is itself a greatest standing miracle because it brought about the greatest transformation that the world has ever witnessed. Another important miracle, the Holy Quran contains, is prophecy. In fact prophecy does, in some respects, enjoy a

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة السابعة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٥ هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأسوة الحسنة

للأستاذ عبد الرحيم فودة

معنى الأسوة القدوة ، وما يتعزى به ، والمثل الذى يحاكيه الانسان ويحاول أن يكونه أو قريبا منه

وأصل القدوة ، والقدو (بكسر القاف) الأصل الذى تتشعب منه فروع وهو قريب من معنى الأسوة ، لأن المثل الذى يحتذى ويقتدى به أصل يقاس عليه غيره وتتفرع عنه الأشباه والنظائر

ولاشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرفع نموذج بشرى ، وأعظم انسان تتمثل فيه الفضائل الانسانية ثم هو - كما شاء الله - المثل الأعلى فى كل ما عرف الناس من مكارم الأخلاق ، بل هو أفضل الخلق على الاطلاق ، ولهذا أمرنا الله أن نتأسى به فى أقواله وأعماله حيث قال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر

وذكر الله كثيرا » فان معناه أو بعض ما يفهم من معناه أنه – وهو رسول الله الى الناس جميعا – قد جعل الله حياته . بحيث يجد فيها كل ناظر اليها أمثل منهج . وأقوم طريق . وأكرم خلق وأعظم مثال ، فمن كان يرجو عون الله ونصره وخيره ورضاه فى الدنيا . ومغفرته ونعيمه فى الآخرة فالطريق الى ذلك هو أن يقتدى به – صلى الله عليه وسلم – ويتبعه فى كل ما شرعه لقوله وفعله وتقريره . فان هذا هو السبيل الى حب الله وما ينشأ عن حبه – جل شأنه – من خير وفلاح ونجاح ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين » ـ فقد بين سبحانه أن اتباعه هو الوسيلة الى حبه ومغفرته ورحمته ، والرحمة فى جانب الله تفسر بما ينشأ عنها من النعم ، كما قرن طاعته بطاعته لأن طاعته – عليه الصلاة والسلام – كما يقول الله : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ثم ذكر أن الاعراض عن طاعته واتباعه كفر كما يشير الى ذلك قوله : « فان تولوا فان الله لايحب الكافرين » ، ومن ثم نلمح مكانته عليه السلام فنجدها كما يقول البوصيرى رحمه الله .

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

وكما يفهم من قول الله جل شأنه : « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . فان ذلك يدل على أن الأنبياء قبله آمنوا به قبل أن يشرف الوجود بمولده ، وأوصوا أممهم بالايمان به « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

وقد جمع الله فيه ما تفرق من الفضائل فى الأنبياء قبله . وأكمل فيه هذه الفضائل . فكان وكانوا بالنسبة اليه كما قيل .

وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم

هذا الى أن حياته – عليه السلام – اتسعت لكل ألوان النشاط فى الحياة بحيث يجد فيها الأسوة الحسنة

المؤمنون المجاهدون . والدعاة الهداة والقادة العسكريون والتجار الأمناء الخ .

وقد عمل صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى حفر الخندق وبناء المسجد . وكان بينهم يكره أن يتميز عليهم وان كان أفضل من أقلته هذه الأرض وأظلته هذه السماء ، فالأسوة الحسنة فيه تطل على كل مؤمن يعمل لدنياه وآخرته فى كل مجال من مجالات العمل . وفى كل لون من ألوان النشاط المشروع ، لأن الله شاء أن يكون صورة حية ناطقة بكل ما بعثه به الى الناس من قيم فاضلة وأخلاق عليا . ومثل كريمة ، وهذا ما أشارت اليه عائشة رضى الله عنها حين قالت : « كان خلقه القرآن » ، فالقرآن بتوجيه الله فيه : يهدى للتى هى أقوم . والنبى بسيرته وقوله وعمله كما يقول الله فيه : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » . وقد اجتمع الأمران فيما يفهم من قول الله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين - يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وقد سمى الله القرآن روحا ونورا وقرر هديه صلى الله عليه وسلم بهدى القرآن حيث قال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

مثل عليا في السلوك الإداري

للأستاذ مصطفى الطير

قال تعالى « اعدلوا هو أقــرب للتقــوى »
وقال سبحانه « كبر مقتا عند الله أن تقــولوا
ما لا تفعلون » .

(أما أنا فــورب الكعبة لأحملنكم على الطريق)   عمر بن الخطاب

البيــان

كان للسلوك الادارى فى العهـد الأول للحكم الاسلامى ، أثر عظيم فى اقامة الدولة على أساس متين يشد بعضه بعضا .

وأهم ما كان يتميز به ، السـهر على مصالح الشـعب ، واقامة شرعة العدل والانصاف ، مطبقة على الحاكم والمحكوم ، وسرعة البت فى الأمور ، حتى لا يستعصى علاجها بتواليها من غير حسم ، والتجرد من الأثرة وحب الذات ، وكان ذلك تطبيقا أمينا للقواعد الاسلامية التى شرعها الله لعباده فى كتابه وسنة رســوله ، ففى القرآن يقول الله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القـربى وينهى عن الفحشـاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ويقول : « أعدلوا هو أقرب للتقوى » ويقول : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » الى غير ذلك من النصوص التى توجب العدل والمساواة بين أصحاب الحقوق فى القضاء والعطاء ، وصدق الكلمة ، والوفاء بالعهد .

وترى الرسـول صلى الله عليـه وسلم ، يوزع المسئوليات على ذويها ، ويحذرهم من التفريط فيها اذ يقول « كلكم راع وكلـكم مسـئول عن رعيته فالامام راع وهـو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخـادم فى مال سـيده راع وهو مسئول عن رعيته ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وتراه يسوى بين الحاكم والمحكوم فى تنفيذ حدود الله ، اذ يقول « والله لو سرقت فاطمة بنت محـمد لقطعت يدها » .

وتراه يرفع من شأن الحاكم العادل عند الله ، ويهبط بالسلطان الجائر ، وذلك بقوله « أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل » وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر » .

عمر يصور مسئولية الحاكم

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه مصورا مسئولية الحاكم فى أمته : « انما مثل العرب كمثل جمل آنف اتبع قائده ، فلينظر قائده أين يقوده ؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق » .

والجمل الآنف هو الذى يأنف من الزجر والضرب ، فلهذا يتجنبهما باعطاء ما عنده من السير عفوا سهلا ، ويكون ذلولا لقائده .

وهكذا كان العرب فى عهده أمة مطواعة ، اذا أمرت ائتمرت ، واذا نهيت انتهت ، بما تعلمته من الآداب الاسلامية ، والأخلاق النبوية ، وبما تركته عملية الردع والزجر من أبى بكر للمرتدين ومانعى الزكاة ، بعد الهزة الكبرى التى أصابت المسلمين ، بفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من كلام الفاروق ـ رضى الله عنه ـ أن قائد الأمة المطيعة ، مسئول أعظم المسئولية عن سلامة أمته ورخائها ، وطمأنينتها على مستقبلها ، فعليه أن لا يهمل شأنها ، وأن يقودها فى سبيل الأمن والعزة والكرامة والطمأنينة على مصالحها ، بما يعد لها من أسباب القوة والمنعة التى ترهب العدو وتروعه ، وتضمن لها السلامة من كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وبمن يختارهم لها من الحكام القادرين الصابرين المتيقظين الحريصين على مصالحها ، الباطشين بمن يعبث بها .

ولم يكتف أمير المؤمنين بذلك ، بل أقسم على أن يحمل الأمة العربية على الطريق الأقوم ، الذى لا عوج فيه ولا عثرات يصعب التغلب عليها ، وقد بر بقسمه ، اذ قاد الأمة العربية قيادة حكيمة أمينة ، فأطاعته وأخلصت له ، ووسعت جيوشها فى عهده ، رقعة البلاد الاسلامية ، وأمنت تخومها ، ونشر دعاتها الدين فى المشارق والمغارب ، وكذلك تفعل الأمة ذات القيادة الحكيمة ، والحكام الصابرين المخلصين المتجردين من استغلال حكمهم لمنفعتهم الذاتية .

وان مما نشكر الله عليه ، أنه تعالى قد منحنا رئيس جمهورية له

دين وخلق ، وله أفق واسع فى الحكم النظيف الحكيم والاعداد للنصر على أعدائنا الصهيونيين ، حتى أحرزه مؤزرا مدويا فى العالمين ، وذلك فى حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ، ولا يزال يتابع انتصاره بالحكمة والسلام ، بعد انتصاره بأحدث أساليب الحرب ، وأدق وسائل القتال ، بمعونة الصفوة الممتازة من عباقرة القواد ، وبفضل جيوشنا الباسلة ، ووحدة الأمة العربية ومؤازرتها لنا ماديا وأدبيا ، وموقفها النبيل فى استغلال سلاح البترول سياسيا لصالحنا ، ومع أن الرئيس يولى عنايته تطهير باقى الأرض العربية من الاحتلال الصهيونى ، فانه يهتم أبلغ اهتمام بالبناء الداخلى ، وتخليص الأمة من آثار الحرب ، وتهيئة الأسباب لسرعة عودة الرخاء اليها ، بعد أن حرمته منذ سنين طويلة ، وتحسين مرافقها وابلاغها الغاية المنشودة لها وأسأل الله العلى القدير ، أن يعين أولئك الصفوة من الوزراء الذين اختارهم لمعاونته ، على تحقيق الأمل المنشود لرخاء هذه الأمة ، وتحقيق آمالها والقضاء على أسباب الفساد فيها ، حتى نرجع بأمتنا الى عزها وسؤددها ، ونرى فيها المثل العليا من الأخلاق الفاضلة ، والصور الممتازة من الايمان والعمل الصالح للدين والدنيا ، وما ذلك على الله بعزيز .

طريقة عمر فى الحكم

لم يكن لعمر بن الخطاب وزراء من البشر ، وانما كان وزيره ضميره واخلاصه لربه ، ولذا كان قليل الراحة ، جم اليقظة فى رقابة مصالح أمته ، وتعرف أخبار الولاة المشرفين على تلك المصالح ، حتى قيل ان علمه بمن نأى من عماله ورعيته ، كعلمه بمن بات على مهاده ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا فى مصر من الأمصار ، وال ولا عامل الا وله عين لا تفارقه ، فكانت أخبار الجهات كلها تأتيه بأمانة تباعا ، صباحا ومساء حتى أن العامل كان يتوهم فى أقرب الناس اليه وأخصهم به أنه عين عليه، فلذا كان يتحرى الصواب والأمانة فى عمله ، ويرعى حق الله فيمن ولى أمرهم من المسلمين وأهل الذمة .

فالعدل فى منهاج عمر لا يعرف سوى شريعة الله ، فلا محسوبية ولا منفعة للأقارب والأصهار بغير حق ، وقد كان يطوف فى كثير من

الليالى بسكك المدينة ودروبها ، ليقف على قضايا الرعايا ، خوفا من حدوث حالة لا تصل اليه ، فيؤاخذه بها الله تعالى .

لطيفة من يقظته فى مصلحة الرعية

قال أنس بن مالك : خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فى ليلة يطوف فى الظلام ، متفقدا احوال المسلمين ، فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن رآه بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعدا ، فسأل : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل البادية ، جئت لأصيب من عطاء أمير المؤمنين ، قال : فما هذا الأنين ؟ قال : امرأتى تمخض : قد أخذها الطلق وليس عندها أحد ، فرجع الى منزله وقال لامرأته أم كلثوم بنت على رضى الله عنهما : هل لك فى أجر ساقه الله اليك : أمرأة تمخض وليس عندها أحد ، قالت : ان شئت ، قال : خذى ما يصلح المرأة من الخرق والدهن ، وأتينى بقدر وشحم وحب ، ففعلت ، فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت ، فقال : أدخلى الى المرأة ، وطلب من الرجل أن يأتيه بنار ففعل فجعل عمر ينفخ النارتحت القدرحتى أنضج ما فيها من الحب ، ووضعت المرأة ، فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين : بشر صاحبك بغلام ، فلما سمع الرجل يا أمير المؤمنين ، كأنه ارتاع لذلك وقال : يا أمير المؤمنين واخجلتاه منك ، أهكذا تصنع بنفسك ؟ فقال : يا أخا العرب : من ولى شيئا من أمور المسلمين ، ينبغى أن يتعرف صغير أمرهم وكبيره ، ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والآخرة، ثم قام عمر وأخذ القدر ، وحملها الى باب البيت، فأخذتها أم كلثوم واطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم ، فقال عمر للرجل : قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة ، وأتنا غدا ، فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه : انتهى وقد رويناه بالمعنى .

ولا شك أن عناية الرئيس بمصالح شعب مصر ، وتوجيهه الدائم لوزرائه أن يحلوا مشكلاته ، ويسعوا الى رخائه ، ويقضوا على المستغلين المعوقين لآماله المفسدين لمصالحه ، وأن يهتموا الى جانب ذلك بأخلاقه ، لاشك أن ذلك كله اتجاه عمرى نرجوا أن تتحقق آثاره ، وأن تكون ترجمته العملية ، ازدهار هذا البلد ، وعودة

المثل العليا اليه ، بتوفيق الله رب العالمين .

مصادرة عمر للكسب غير المشروع

كان عمر رضى الله عنه ، يحاسب الولاة وغيرهم ، ويسألهم عما فى أيديهم : من أين جاءهم ؟ فان علم أن مصدره غير مشروع صادره .

ومن ذلك أن امرأة أبى عبيدة ابن الجراح ، أهدت الى خاتون ملكة الروم خلوقا ـ وهو نوع من الطيب ـ فكافأتها بجوهر ، فأخذه عمر بن الخطاب ـ بعد أن علم به ـ وباعه ، وأعطاها ثمن خلوقها ، ورد باقى الثمن الى بيت المال .

وانما صنع ذلك لأنه رأى أن الهدية للموظف ، انما هى هدية للوظيفة ، ولولاها لما أهدى له ، فتكون من حق الدولة .

وحجته فى ذلك ما جاء فى حديث صحيح رواه أبو حميد الساعدى وقد جاء فيه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزد ، فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال صلى الله عليه وسلم « ألا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا » ثم قال : « ما لى أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم وهذا لى هدية ؟ ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ، والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه ، الا أتى الله يحمله ، فلا يأتين أحدكم ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ » .

هذا هو منهاج الحق والعدل الذى سارت عليه الدولة الاسلامية فى فجر نشأتها ، فعز بذلك شأنها ، وانتظم كل شىء فيها ، فهل نرى فى ظل قانون (من أين لك هذا) أن أولئك الذين أثروا على حساب الأمة بطريق غير مشروع ، صودرت أموالهم ، وأعيدت الى الشعب المعتدى عليه من أولئك الظالمين الذين لا دين لهم ولا ضمير يراجعهم ويردعهم ، لابد للناس من وازع ، وان الله ليزع بالسلطان ما لا يفعله الضمير الحزبى والدين الأجوف ، الذى لا يتأثر صاحبه بالقرآن ، ولا تؤثر فيه المواعظ ، قال صلى الله عليه وسلم

« ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

ان لنا أملا عريضا فى حكومتنا الرشيدة ، أن تقضى على أولئك المتلاعبين بأقوات الشعب المخربين لمصالحه الناهبين لأمواله ، الذين لا يهمهم خربت الدولة أم عمرت ، شقى الشعب أم سعد ، جاع الشعب أم شبع ، انهم منتشرون فى كل مرفق عام وخاص ، حكومى وغير حكومى ؛ فهم كالوباء العام ، يجب القضاء عليه حتى لا يفتك بالأمة ، ويسبب لها الكوارث .

مصطفى محمد الطير

من هدى السنة :

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٣ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عله وسلم قال :

(ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشرو ، واستعينو بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة) .

رواه البخارى

تمهيد :

ذكرنا فى المقالين الماضين تفسيرا للكلمات اللغوية فى الحديث ، وبينا بعض مقاصده، وقلنا : ان الناظر فى تعاليم الاسلام بعين فاحصة يجد أنه قام على مبدأ رفع الحرج ، ورعاية حال المكلفين ، والتيسير عليهم ، وعرضنا لنموذج يمثل هذا فى حكم طهارة الأرض ، وفى هذا المقال نحاول أن نذكر بعضا آخر من النماذج ، فنقول :

٢ — من مظاهر التيسير أيضا فى الطهارة أن البئر اذا وقعت فيها نجاسة — تكون الوسيلة الى تطهيرها نزح مائها ، واذا لم يمكن اخراج جميع الماء ، بأن كانت البئر قوية النبع نزح منها مقدار مائتى دلو الى ثلاث مائة عند بعض الفقهاء ، ويرى بعض آخر أنه قبل النزح يقدر الماء الذى بها بواسطة نظر رجلين من أهل الرأى والخبرة ، فاذا رأيا أن ما بها من الماء يبلغ مائتين وثلاثين دلوا مثلا نزح هذا المقدار فقط .

وعلى كل حال اذا تم نزح جميع مائها — أو تم نزح المقدار المذكور — على الخلاف فى تحديده — عند تعذر نزح الجميع — فان ماء البئر يعتبر بعد هذا طاهرا ، ويطهر أيضا جدارها ، ودلوها ، ويد المستسقى منها ، والحبل الذى يشد به الدلو ، والبكرة التى يتحرك عليها الحبل .

وكان مقتضى الظاهر ألا تطهر البئر بهذا النزح ، لأن النجاسة لما وقعت بها سرت فى الماء ، وانتشرت فى الأوحال والجدران ، فلا تطهر بهذا النزح ، لكن الشارع الرحيم اعتبره طهارة رفعا للحرج ، وتيسيرا على العباد ، جاء فى كتاب الاختيار لتعليل المختار ما نصه :

(اذا وقعت فى البئر نجاسة فأخرجت ثم نزحت ، طهرت) والقياس أنلا تطهر ، لأنه اذا تنجس الماء تنجس الطين ، فاذا نزح الماء بقى الطين نجسا ، فكلما نبع الماء نجسه ، لكننا خالفنا القياس باجماع السلف ، وما روى عنهم من الآثار غير معقول المعنى ، فالظاهر أنهم قالوه سماعا (١) .

ثم قال : (واذا لم يمكن اخراج جميع الماء نزح منها مائتا دلوالى ثلاث مائة) لأن غالب ماء الآبار لا يزيد على ذلك ، وهذا أيسر على الناس ، وهو المروى عن محمد .

وقال أبو حنيفه : ينزح حتى يغلبهم الماء ، ولم يقدر فيه شيئا ، فيعمل بغلبة الظن ، فيرجع الى قول رجلين لهما معرفة بذلك ، واذا نزح ما وجب نزحه ، وحكم بطهارة البئر طهر الدلو والرشاء (٢) والبكرة (٣) ويد المستسقى ، مروى ذلك عن أبى يوسف رحمه الله ا هـ .

٣ ـ من مظاهر التيسير أيضا أن الشارع الحكيم جعل الطهارة من الحدث شرطا لصحة الصلاة ، وكان مقتضى هذا أن المرأة التى يستمر نزول الدم عليها ـ لا تعتبر طاهرة ولا تصح صلاتها أبدا .

ولكنه ـ سبحانه عظم فضله ـ رحم ضعفها ، وقدر عذرها ، فحكم بطهارتها اذا توضأت لوقت الصلاة ، واعتبرها حينئذ طاهرة فى الوقت ، تصح صلاتها فيه ، وتصلى ما شاءت ، ولا يضرها نزول الدم ، اذا كان دم الاستحاضة لا الحيض فاذا خرج الوقت حكم بانتقاض وضوئها ، فاذا

(١) اى سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فتكون هذه الآثار المروية عن السلف التى تفيد طهارة البئر بالنزح ـ لها حكم المرفوع الى النبى عليه الصلاة والسلام .

(٢) الرشاء بكسر الراء الحبل .

(٣) بكرة البئر ما يستقى عليها .

أرادات أن تعود اليها الطهارة عليها أن تتوضأ لوقت صلاة أخرى .

روى البخارى ، والنسائى ، وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : قالت فاطمة بنت أبى حبيش لرسول الله صلى عليه وسلم : انى امرأة أستحاض ، فلا أطهر ، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انما ذلك عرق ، وليس بالحيضة ، فاذا أقبلت الحيضة فاتركى الصلاة ، فاذا ذهب قدرها فاغسلى عنك الدم ، وصلى) .

زاد الترمزى فى رواية : وقال : (توضئى لكل صلاة حتى يجىء ذلك الوقت) .

(أبى حبيش) بضم الحاء وفتح الباء وسكون الياء ، اسمه قيس بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيى .

(أستحاض ، فلا أطهر) تريد لا ينقطع عنها الدم .

(ذلك) بكسر الكاف حرف خطاب للمرأة السائلة .

(عرق) بكسر العين وسكون الراء ، أى أن دم الاستحاضة يخرج من عرق فى الفرج ، فلا تترك الصلاة من أجله ، وانما تتركها من دم الحيض الذى يخرج من الرحم .

(وليس بالحيضة) أى ليس هو دم الحيض .

(فاذا ذهب قدرها) يحتمل أن يريد قدر الحيضة على ما قدره الشرع باعتبار ما ثبت ـ أن أكثر مدة الحيض عشرة أيام .

ويحتمل أن يريد قدرها على ما تراه المرأة باجتهادها .

ويحتمل أن يريد قدرها على ما عرفت المرأة من عادتها فى حيضها السابق .

وروى ابن ماجه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت :

جاءت فاطمة بنت أبى حبيش الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله : انى امرأة أستحاض فلا أطهر ، أفأدع الصلاة ؟ قال : (لا ، انما ذلك عرق ، وليس

بالحيضة ؛ اجتنبى الصلاة أيام محيضك ، ثم اغتسلى ، وتوضئى لكل صلاة ؛ وان قطر الدم على الحصير).

وما كان لنا أن يمر بنا هذا القول النبوى الرشيد : (توضئى لكل صلاة وان قطر الدم على الحصير) دون أن نتلقاه بمزيد الفطنة والاعتبار .

يجب أن نستقبله بفكر ثاقب ، وبصيرة نافذة لندرك أنه أقوى برهان على بالغ التقدير لحال المعذور ، وعظيم التيسير عليه ، وصدق الله تعالى حيث يقول فى وصف نبيه الكريم . « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (١) .

هذا وينبغى أن يعلم أن حكم المستحاضة فى الطهارة يثبت أيضا لكل صاحب عذر ، كمن به سلس بول ، أو انطلاق بطن ، أو انفلات ريح أو رعاف دائم ، أو جرح لايسكن .قال صاحب كتاب الاختيار لتعليل المختار ما لفظه :

(المستحاضة ، ومن به سلس البول ، وانطلاق البطن ، وانفلات الريح ، والرعاف الدائم ، والجرح الذين لا يرقأ ، يتوضئون لوقت كل صلاة ، ويصلون به ما شاءوا) .

لرواية ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تتوضأ المستحاضة لوقت كل صلاة) ، وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة بنت أبى حبيش – حين قالت له – : انى أستحاض فلا أطهر – : (توضئى لوقت كل صلاة) وعليه يحمل قوله عليه الصلاة والسلام : (المستحاضة تتوضأ لكل صلاة) لأنه يراد بالصلاة الوقت .

قال عليه الصلاة والسلام : (أينما أدركتنى الصلاة تيممت وصليت) (٢)

ويقال : آتيك لصلاة الظهر أى لوقتها .

ثم قال : (فاذا خرج الوقت بطل وضوؤهم ، فيتوضئون لصلاة أخرى) لما روينا ا . هـ . يتبع .

منشاوى عثمان عبود

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨ – ومعنى قوله : « عزيز عليه ماعنتم » شاق عليه – لكونه واحداً منكم – وقوعكم فى الحرج والمشقة ، ولقاؤكم المكروه .

(٢) المراد ادركنى وقتها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام بعد هذا : (تيممت وصليت) .

شعائر إسلامية موقوفة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن هشام بن اسحق بن عبد الله ابن كنانة عن أبيه قال :

أرسلنى الوليد بن عتبة ـ وهو أمير المدينة ـ الى ابن عباس يسأله عن استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متضرعا حتى أتى المصلى فوق المنبر فلم يخطب خطبكم هذه ولكن لم يزل فى الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلى فى العيد . أخرجه أبو داود والترمذى وغيرهما .

وأخرج النسائى بسنده قال : قحط المطر عاما فقام بعض المسلمين الى النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم جمعة فقال : يا رسول الله قحط المطر وأجدبت الأرض وهلك المال ، قال : فرفع يديه وما نرى فى السماء سحابة فمد يديه حتى رأيت بياض ابطيه يستسقى الله عز وجل قال : فما صلينا الجمعة حتى أهم الشاب القريب الدار الرجوع الى أهله فدامت جمعة ، فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا يا رسول الله تهدمت البيوت واحتبس الركبان قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة ملالة ابن آدم قال : وقال بيديه : اللهم حوالينا ولا علينا فتكشطت من المدينة .

قحط المطر : احتبس . المراد به هنا المواشى من الابل والخيل والضأن الاستسقاء : طلب السقيا ، وهو المطر .

للاسلام شعائر مفروضة وشعائر مسنونة كلها عزيزة على المسلم اذا أقامها عرف اسلامه واذا أهملها تهاونا بها : فان كان تهاونه عن عمد وانكار كان غير مسلم وان كان عن تكاسل وتقصير كان ضعيف الاسلام ، وكان عاصيا يؤخذ بعصيانه كما قضى

الله، ومن الشعائر ماهو دورى يتكرر كل يوم أوكل أسبوع أوكل عام كالصلوات الخمس والأذان والاقامة وصلاة الجمعة والعيدين ونحوها ؛ ومنه ما له أوقات خاصة ومناسبات خاصة كصلاة الكسوف والخسوف وصلاة الاستسقاء ، ولندرة وقوع هذا النوع الأخير من الشعائر قلت معرفة كثير من المسلمين اياه ، فصلاة الاستسقاء مثلا لا تكون الا حين يحتبس المطر وتجدب الأرض فحينئذ يفزع المجدبون الى ربهم ضارعين متذللين يلتمسون منه العفو بالغيث ليزيل كربهم وينزل عليهم المطر رحمة بهم وبأنعامهم ، ولأن أكثر الأقطار الاسلامية فى مناطق جغرافية معتدلة المناخلا تتعرض كثيرا للجدب واحتباس المطر فقلما تقام فيها صلاة الاستسقاء وقلما يعرف شيء عنها ، وجزيرة العرب تتعرض كثيرا لظاهرة الجدب ، وقد حصلت هذه الظاهرة فى حياة الرسول وبعده ، فاحتبس المطر وأجدبت الأرض وجف الزرع فلم يجدوا لهم ولا لأنعامهم ما يقوتهم ويقوت أنعامهم واشتد الكرب عليهم ففزعوا الى رسول الله يستنجدونه ليسأل ربه أن يفرج كربهم . وقالوا له : يارسول الله قحط المطر واحمرت الشجر وهلكت البهائم وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فدعا لهم وصلى بهم ، وحين دعا ربه لم يكن فى السماء قزعة أى سحابة ؛ فما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال فمطروا من جمعة الى جمعة حتى تهدم البناء وغرق المال وانقطعت السبل من كثرة المطر ففزعوا اليه مرة أخرى أن يدعو ربه ليمسك المطر الذى تهددهم فتبسم رسول الله من تحول حال الناس من شكوى الجدب الى شكوى الغرق وكثرة الماء ومن ملالة ابن آدم حيث لا يرضى عن حال ورفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فتكشفت السحب عن المدينة وانجابت وسكن المطر وطلعت الشمس وخرجوا يمشون فى طرقهم الى شئونهم .

وصلاة الاستسقاء سنة أو مندوبة على اختلاف بين الأئمة ، وهى ركعتان كصلاة العيد يؤديان فى أى وقت عند الجدب بلا آذان ولا اقامة ولا خطبة ؛ ويستحب الاستعداد لهما بما يدل على الحاجة والشدة والضيق

فيخرج الناس اليهما متذللين متخشعين فى ثيات خلقه نظيفه مظهرين الندم على ذنوبهم ، واستحب بعض الأئمة خروج الشيوخ والنساء والأطفال واخراج الدواب ليتم مظهر الضعف والحاجة . وقبل أن يصلى الامام بهم يدعوا سرا وجهرا رافعا يديه فى الدعاء مستغيثا مستسقيا مستقبلى القبلة والناس قعود مستقبلين القبلة .

يؤمنون على دعائه ، فاذا اتم دعاءه صلى بهم ركعتين كما أشرنا ، ومما أثر من ذلك الدعاء : اللهم أسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا سحا مجللا طبقا دائما .

هذه صورة مجملة لصلاة الاستسقاء عند جمهور الأئمة ممن قال بهما ، جمهور الأئمة على سنيتهما للأحاديث الواردة فيها ؛ وقال بعضهم : ليس الاستسقاء الا الاستغفار والدعاء لقوله تعالى : «فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا» . والأحاديث الواردة فيها أكثرها يفيد مشرعية الدعاء ، أما ما يفيد سنية الصلاة منها فلا تقوم به حجة فى منهجهم الحديثى ولكن لوفعلها الناس جازت واذا لاحظنا أن الذين قالوا بسنية الصلاة قالوا بسنية الدعاء أيضا واذا لاحظنا ان الصلاة مع الدعاء مفتاح الرحمة فهما اتجاه الى الله وتضرع اليه ومظهر من مظاهر الخضوع والعبودية وذلك أمثل مقام يتقرب فيه العبد الى ربه وأقرب منازل الانابة والاجابة ، كان الأقرب الى روح الاسلام وأصوله رأى الجمهور ، فأقرب أحوال العبد فى الرجوع الى الله والتذلل اليه يكشف الكرب والغم الصلاة لأنها صلة بين العبد وربه وهى عماد الدين وأفضل أعمال العبد ، ولذلك شرعت عند حدوث الظواهر الطبيعية المخيفة كالظلمة الشديدة نهارا والريح الشديدة والصواعق والزلازل والضوء الهائل ليلا والأمطار الدائمة وانتشار الأوبئة والخوف من الأعداء ومن كل شدة تهدد المسلمين كما وردت الآثار بذلك ، وما الشدائد الا نذر من الله لعباده ان يفيئوا اليه

ويذكروه ، وبذكره يرتفع البلاء وتنكشف الكروب وتطمئن القلوب ان صلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف وصلاة الفزع شعائر اسلامية موقوفة قل من المسلمين من يعرفها ويتنبه اليها ، وانها لجديرة ان يعرفوا بها ليلوذوا بها ويفزعوا اليها جماعات وفرادى كلما اشتدت أزماتهم واستحكمت شدائدهم فان الله قد وعد أن يكون مع الصابرين المصلين بعونه وتيسيره حيث قال : «يايها الذين آمنوا استعينو بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » •

ابو الوفا المراغى

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٩ —

وبتعبير نازل وأدب هابط ولغة نبهنا كثيرا على سخفها وابتذالها وبعدها عن لغة صبيان الكتاتيب فضلا عن لغة من يتعرضون للتصنيف والتصدى والهدم والنقض والتخريب ، وكأنه آل على نفسه أن يبدأ الهدم من نقطة البدء — أعنى من ذاته وكيانه — وسواء كان يهدم نفسه أو كان هو مهدوما بطبعه فقد جاء أنقاضا فى تفكيره لا ينتظم خذفها فى بناء أو شبه بناء ، حتى ذلك الخبيث الذى تولى كتابة المقدمة وتنميقها لم يقو على الظهور أو البواح بخبيئة نفسه ؟ فكان « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك » لا من خوف من سطوة حاكم ؟ أو وجل من صولة أمير ؟ وانما هو الفرق الذى يغشى أهل الباطل لشعورهم بعقدة الذنب ، وانما هو العار الذى يجلل رءوسهم المنتكسة ، ونفوسهم المرتكسة • نعم

قال بتعبير يسف اسفافا : (فى الشيطان يسرق التمر ويقدم رشوة قرآنيه لأبى هريرة فيتركه وهو سارق) ثم يستدل صاحبنا هذا على مزاعمه كقوله تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) قائلا : (ومعنى ذلك أن الشيطان يرى الناس والناس لايرونه) ثم يقول : (كيف يعلم النبى ص الغيب الذى حدث بين الشيطان وبين أبى هريرة) وأن كلمة جن تدل على الاستتار ، وأيهما نصدق حديث أن طعام الجن العظم والروث أم هذا الحديث الذى يقول ان الشيطان كان يسرق التمر ، ثم يردف قائلا : ان كلا الحديثين اسرائيلى مصطنع والنبى برىء منهما !!!! ثم كيف يوافق النبى على اهمال أبى هريرة فى أمر الحراسة ولا يعاقبه ، وكيف يقبل الصحابى الجليل — طبعا فى لهجة تهكمية — نصيحة دينية من

شيطان لا يؤمن بما يقول بصفة رشوة ، ثم يقال : سادسا اذا كان الشيطان على صدق فى حماية آية الكرسى لقارئها من مس الشيطان فلماذا نقرؤها جميعا ثم نحس بمسه لافكارنا ووسوسته لنا ؟؟ واذا كانت هذه الفائدة مما جعله الله حقا فى قراءتها فلماذا لم يرد ذلك فى القرآن الذى يقول : (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) ولم يقل فاقرأ آية الكرسى ؟ ولماذا تأخر النبى فى الدعوة لفائدة آية الكرسى حتى سبقه الشيطان الى اعلانها بعد كتمانه اياها عن الناس . سابعا : اذا عرف الناس أن آية الكرسى تحمى قارئها من وسوسة الشيطان فى حديث مثل هذا ثم جربوها فوجدوها غير حقيقية فى حمايتهم منه فأى شىء تكون النتيجة ؟؟ هل يصدقون الواقع ويكذبون نسبة هذا الحديث للنبى ؟ أم أنهم يصدقون الحديث ويكذبون الواقع ثم يمضى فى اللجاج والمهاترة فيعود الى ضلالته الأولى فينعى على حديث الرهن لدرعه صلى الله عليه وسلم من اليهودى بتمر الصدقة فالمكدس شونا وأكواما، هكذا وردت عبارته بنصها وقبل أن نخوض فى دفع هذه الشبهات الشيطانية والاجابة عليها نسوق الحديث أولا كما جاء فى مواطنه بما يحتف به من فقه وأحكام وحكم قال الامام البخارى رضى الله عنه وأرضاه : (باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز ، وان أقرضه الى أجل مسمى جاز) (وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة قال : فخليت عنه فأصبحت فقال النبى صلى الله عليه وسم : يا أبا هريرة مافعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت : يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما انه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعنى فانى محتاج وعلى عيال لاأعود فرحمته

فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة مافعل أسيرك ؟ قلت يارسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنت تزعم أنك لا تعود ثم تعود قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت : ما هو ؟ قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى : الله لااله الا هو الحق القيوم ـ حتى تختم الآية ـ فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شىء على الخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال : ذاك شيطان) .

وقبل أن نأتى على أقوال الفلاسفة القدماء والمحدثين فى الجن نذكر ما يتعلق بالخبر من أحكام .

أولا : ذكر البخارى ترجمة للحديث توضح ما غمض على المهوشين ممن لا يتمتعون برصانة طلاب العلم وزكانة أهل الفضل وكياسة الأذكياء الذين لا يتسرعون فى الأخذ بالأحكام السطحية الرعناء فقال رضى الله عنه (باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز) .

فان المتأمل فى هذه الترجمة يرى أن أبا هريرة كان وكيلا للنبى صلى الله عليه وسلم على هذا المال الذى هو زكاة الفطر فاذا قلت : ان توكيله لم يكن من أجل الاعطاء والاطعام وانما كان من أجل الحفظ الظاهر من قوله (وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان) ولما كانت زكاة الفطر موقوتة ببذلها الى المساكين قبل الصلاة وكان أحق الناس بها ذوو العيال ، وأنها اذا مضى العيد ولم تعط لمستحقيها فقد ضاعت الفرصة وفقدت صفة كونها زكاة فطر ، وهو مقصد المزكين ، وتفويت مقصدهم انما يكون اهدارا لواجب وتضييعا لحق المساكين ، فالاعطاء للمستحق جزء من وظيفة الوكيل وهو من وجه نوع من الحفظ ، لأن بذل زكاة الفطر فى وجهها الصحيح وفى وقتها من قبل العيد تحقيق لمقاصد الشرع وهو نعم الحفظ ، فاذا

كان الفقير ذو العيال وعد برد ما سيأخذه فكأنه يريد قرضا ولما كان المال مال زكاة فهو بين أمرين اما أن يتمكن المقترض من رد ما اقترض فيكون بذلك قد أتاح لغيره ممن هم أشد احتياجا الى أخذ الزكاة ، واما ألا يتمكن من الوفاء فيكون قد أخذ صدقة يمكن اعتبارها كذلك حين يعجز عن ردها وارجع الى الترجمة تجد هذا صريحا اذ يقول البخارى رضى الله عنه (وان أقرضه الى أجل مسمى جاز) .

أرأيت كيف يعمى الغرض السيء ، والجهل الفاضح صاحبهما عن الحق؟ فيظن أن الحاثى من الزكاة محض ناهب أو سارق !!

ان الحاثى فى المرة الأولى عندما قبض عليه سوغ أخذه منه بالحاجة الملحة الطارئة وأنه بسبيل أن يعيد ما أخذه بعد أن يكون قد سد حاجته الآن ، وقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم تصرف أبى هريرة فى الاعطاء مع اعلامه بكذبه فيما زعمه من حاجته وحاجة عياله ثم أنبأه بأنه سيعود مرة أخرى ، ولكن أبا هريرة رضى الله عنه وأرضاه وهو أحد هؤلاء الحواريين الذين يبتغون الخير وينشدون فتح أبوابه ؛ وكان شعار الرجل ما قاله عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (من خدعنا بالله انخدعنا له) فهم يفعلون الخير فى مستحقه ثم يؤلفون قلوب غير مستحقه بعدم مفاصلتهم أو بث اليأس فى نفوسهم أخذنا هذا المعنى من قوله ـ أعنى أبا هريرة رضى الله عنه وأرضاه نفسه ـ (وكانوا أحرص شيء على الخير) وكان الأصل أن يقول : وكنا ، لكنه على طريق الالتفات . وقيل : هو مدرج من أحد الرواة ، ويمكن أن تكون العبارة مسوقة للاعتذار عن اخلاء سبيله فى المرة الثالثة حرصا على تعلم ما ينفع . فالحديث وان كان مسوقا فى كتاب الوكالة تعليقا لقوله : وقال عثمان بن الهيثم الى آخره وعثمان بن الهيثم ليس شيخا للبخارى الا أن النسائى والاسماعيلى وأبا نعيم قد وصلوه ، والقاعدة أن البخارى اذا أتى بالتعليق بصيغة التوكيد دل ذلك على صحة اسناده وتوتر شروطه فيمن حذفهم من أول الاسناد وبذلك يكون الاسناد قد اجتاز القنطرة ؛ فقول البخارى : وقال عثمان يسميها أصحابنا صيغة توكيد ويقابلها صيغة التمريض ، كقوله : ويقال وقيل وحكى ويذكر ويحكى

ويروى وروى كل أولئك بصيغة البناء للمجهول من صيغ التمريض ؛ فاذا سبق التعليم به دل على ضعفه عنده .

واذا عرفت أن الذى أخذه الحائى كان ملء كف عرفت أن الأمر قريب ويسير ففى رواية أبى المتوكل – أفاد ذلك القسطلانى ج ٥ ص ٢٢٩ (الميمنية الأتنى عشرية (١)) – أنه كان على تمر الصدقة فوجد أثر كف كأنه قد أخذ منه ، ولابن الضريسى من هذا الوجه فاذا التمر قد أخذ منه ملء كف أه ولما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : قد صدقك . وكان هذا الصدق فى ذكر نفع آية الكرسى ، لأن نفعها مذكور فى أحاديث أخرى ،ولم يكن أبو هريرة مطلعا عليها ,وقد يكون هذا الجنى سمعها من النبى صلى الله عليه وسلم فعرفها قبل أن يعرفها أبو هريرة ، فأراد أن يعلمها لأبى هريرة – لاعلى سبيل الرشوة – وان كانت التسمية هنا برشوة ضرب من الفكاهة الثقيلة الدم والصادرة عن صاحب دم ثقيل وسماجة وفجاجة ولجاجة . وليس فى الحديث أن هذا التمر قد أكله حتى يعارض الحديث الآخر الذى يقول فى الروث والعظام انها طعام الجن ، وليس فى حديث الروث والعظام ما يفيد حصر طعام الجن فيهما ، فلا تنافى بينهما ، وكونه ينال من الحديثين بطريقة همجية زاعما أنهما من الاسرائيليات فان هذا الزعم هو الاسرائيليات بعينها ، اذ التشكيك فى فائدة التوسل الى الله تعالى بكلامه كآية الكرسى في أن يوكل الله تعالى بصاحبها حافظا هو الاسرائيليات ذاتها أقول:ولما كان قوله صلى الله عليه وسلم (قد صدقك) بتخفيف الدال فى نفع آية الكرسى مثبتا له الصدق ، أو هم المدح فاستدركه بصيغة تفيد المبالغةفى الذم بقوله (وهو كذوب) وفى حديث معاذ عند الطبرانى (صدق الخبيث وهو كذوب) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ذاك شيطان من الشياطين قال فى شرح المشكاة : ونكر لفظ الشيطان بعد سبق ذكره منكرا فى قوله : لايقربك

---

(١) كتاب ارشاد السارى شرح صحيح البخارى طبعته الميمنية وهى مطابع أسرتى الحلبى مصطفى وعيسى فى عشرة أجزاء على هامشها صحيح مسلم بشرح النووى وطبعته فى اثنى عشرة جزءا بزيادة تحفة البارى لشيخ الاسلام أبى زكريا الانصارى فتأمل ما قلناه .

شيطان ليؤذن بأن الثاني غير الأول ، وأن الأول مطلق شائع في جنسه والثاني فرد من أفراد ذلك الجنس فلو عرف لأوهم خلاف المقصود لأنه اما أن يشار الى السابق أو الى المعروف ، والمشهور بين الناس وكلاهما غير مراد ؟ وكان من الظاهر أن شيطانا بالنصب لأن السؤال في قوله من تخاطب عن المفعول فعدل الى الجملة الاسمية وشخصه باسم الاشارة لمزيد التعيين ودوام الاحتراز عن كيده ومكره .

فان قلت : قد سبق في الصلاة أنه صلى الله عليه وسلم قال : ان شيطانا تفلت على البارحة الحديث . وفيه : « ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية » .

وفي حديث أبي هريرة الذي هو محل تحامل أولى الفلاكة أن أبا هريرة أمسك الشيطان الذي رآه أجيب باحتمال أن الذي هم به النبي صلى الله عليه وسلم أن يوثقه رأس الشياطين الذي يلزم من التمكن منه التمكن من الشياطين فيضاهي حينئذ سليمان في تسخيرهم ، والمراد بالشيطان في حديث أبي هريرة هذا شيطانه بخصوصه أو غيره في الجملة فلا يلزم من تمكنه منه استتباع غيره من الشياطين في ذلك التمكن أو الشيطان الذي هم به النبي صلى الله عليه وسلم تبدى له في صفته التي خلق عليها وكذلك كانوا في خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام على هيئتهم ، والذي تبدى لأبي هريرة في هذا الحديث كان على هيئة الآدميين فلم يكن في امساكه مضاهاة لملك سليمان ، وقد وقع لأبي بن كعب عند النسائي وأبي أيوب الأنصاري عند الترمذي وأبي أسيد الأنصاري عند الطبراني وزيد بن ثابت عند ابن أبي الدنيا قصص في ذلك الا أنه ليس فيها ما يشبه قصة أبي هريرة الا قصة معاذ وهو محمول على التعدد .

وموضع الترجمة قوله : فخليت سبيله لأن أبا هريرة ترك الرجل الذي حثا الطعام لما شكا الحاجة فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجازه .

وقد اعترض بعض أهل الحديث كالزركشي وغيره بقوله : وفيه نظر لأن أبا هريرة لم يكن وكيلا بالعطاء بل بالحفظ خاصة وقد رد صاحب المصابيح بقوله : النظر ساقط ، لأن

المقصود انطباق الترجمة على الحديث وهى كذلك ، لأن أبا هريرة وان لم يكن وكيلا فى الاعطاء فهو وكيل فى الجملة ضرورة أنه وكيل بحفظ الزكاة وقد ترك مما وكل بحفظه شيئا وأجاز عليه الصلاة والسلام فعله فقد طابقته الترجمة قطعا نعم فى أخذ اقراض الوكيل الى أجل مسمى من هذا الحديث نظر ، وقد قرر بعضهم وجه الأخذ بأن أبا هريرة لما ترك الحاثى من الطعام كان ذلك لأجل . وان ظن بعضهم تكلفا فى هذا التأويل لجمع أطراف ما تضمنته الترجمة مع نص الخبر ؛ وملحظ ما يتم عنه فحوى الترجمة وما يزجيه الى الخبر من مفهوم يؤخذ من منطوق الترجمة وهذا بحث جدير بالتأمل ان شاء الله .

(يتبع) **محمد نجيب المطيعى**

التفسير الوسيط

وملاحظات على نقاط فيه

للأستاذ كمال أحمد عون

طالما انتظر المسلمون التفسير الوسيط ، يصدر عن الأزهر خدمة لكتاب الله تعالى ، يكون عونا للمثقفين غير المتخصصين ؛ ولعامة المسلمين ؛ يعولون عليه ؛ ويستندون اليه ؛ ويغنيهم عن كثير مما يشق عليهم ، ويصون الفهم فى كتاب الله مما يحمل عليه ، وليس هو اليه ..

وسعدنا وسعد كثيرون ببدء ظهوره .. ومع ما بذل فيه من جهد مشكورا الى الله ثوابه ؛ ومع ما يتجلى من دقة وعناية فى تفسير بعض « الأحزاب » التى ظهرت . فقد بدأ فى كتابة بعضها سرعة فى التحرير ، وسرعة فى المراجعة ، ترتب عليهما قصور فى التحرير وفى التنسيق ، حتى بدا التضارب فى تقرير المعنى الواحد من صفحة الى صفحة ؛ كذلك وضح التقصير فى اختيار المعنى الأنسب من بين المعانى الكثيرة المحتملة ، والمدونة فى الموجزات أو المطولات ، كما وقعت بعض الأخطاء الظاهرة ، وكان يسيرا تدارك هذا كله بالمراجعة الدقيقة .

وقد راجعت كبار المسئولين فى الأزهر ، ووجدت منهم ـ والحمد لله ـ ما عهدناه فيهم من روح كريمة ومشرقة .

وهذه ملاحظات يسيرة على بعض ما وجدته عند المطالعة ؛ وعسى أن يكون منها ومن أمثالها حافزا على مزيد العناية بالتفسير الوسيط ، حتى يخرج على نحو ما ينبغى لكتاب الله تعالى من تقدير واجلال واخلاص ، خدمة صادقة ، محققة ما يناط بهذا التفسير من أهداف . وحتى يكون كذلك فى المستوى اللائق بمكانة الأزهر وعلمائه وسيكون ماثبته بأرقام صفحات الطبعة الأولى

على ترتيب ماظهر من التفسير ، ليسهل الرجوع الى مواضعه لمن شاء وبالله التوفيق .

الحزب (١) :

١ – فى ص ١٦ – ١٧ فى تفسير « بسم الله » قال :

« المراد باسم هنا المسمى وهو ذات الله تعالى .. الى أن قال التسبيح انما يتوجه الى الذات .. أقول : كما يتوجه التسبيح الى الذات المقدسة ، يتوجه كذلك الى اسم الله جل جلاله ، وتسبيح الاسم وتنزيهه تسبيح وتنزيه للمسمى بالأولى ، فشرف الاسم بشرف مسماه «ولله الأسماء الحسنى» واذا كان من المتعارف أن يقال : باسم الشعب أو باسم السلطان ، فشأن المسلم أن يمضى فى كل أمره باسم الله ؛ لا باسمه هو ، أو اسم أحد من العباد .

وقد أشير فى طبعة ثانية لهذا الحزب الى أن الاسم قد يكون بمعناه المشهور بتقدير أبتدىء .

باسم الله .

٢ – وفى نفس الصفحة (١٧) قال :

« الحمد لله : الحمد هو الثناء على الجميل الذى يصدر عن المحمود باختياره من نعمة أو غيرها أقول : الاقتصار فى معنى الحمد بأنه الثناء على الجميل الصادر بالاختيار .. قصور فى التحقيق يشهد به من قوله ما فى ص ١٨ ونصه : « ولفظ الجلالة يشعر بسبب استحقاقه تعالى وحده للحمد ؛ قوله : « رب العالمين » أى أنه تعالى مستحق للحمد لألوهيته ؛ ولأنه رب العالمين » فهو سبحانه مستحق للحمد : لذاته (وكمالاته) ؛ ولانعامه وفضله ، فمعنى الحمد على هذا أعم مما عرفه به أولا ، ويشمل كما قيل الفضائل والفواضل (أى النعم) .

٣ – (ص ٣١) هم المفلحون « الفائزون ؛ وأصل الفلح الشق فى الأرض وهو عمل الفلاح والمؤمنون قد شقوا طريقهم الى الله فوصلوا وفازوا .

أقول : المعنى صحيح ، ولكن البيان اتجه لمادة الثلاثى ، فلح بمعنى شق ، على حين أن المادة رباعية ، وهى أبلغ فى المراد بها من الثلاثى وأفلح بمعنى فاز بعد جد وكد واجتهاد .

الحزب (٣) :

٤ ـ (ص ٢١٣) ســـؤال : ما الحكمـة فى تحـويل القبلـة الى الكعبة ؟ أجاب عن السؤال بأن ذكر ثلاث حـكم : (تميز الصـادق من غيره ـ ولأنها قبلة ابراهيم ـ ولتأليف قريش) وفى ص ٢١٥ حصرها فى واحدة فقط حيث قال : فالحكمة فى تحـويل القبلـة تمييز الصـادق فى الايمان من غيره •

٥ ـ ص (٢٦١) « فمن اضطر غير باغ •• » فى المفردات فسر غير باغ بقوله : غير ظالم••وفى الشرح فسرها بقول السدى : غير طالب لأكلها شهوة وتلذذا » واقتصر عليه ، وكان المناسب أن يسوق المعنيين فى الشرح أن شاء ، أو يقتصر على المعنى الذى ساقه أولا ، ولعله الأنسب •

٦ ـ ص (٢٧٣) « فمن اعتدى بعد بعد ذلك فله عذاب أليم » •

جاء فى الشرح مانصه : « أى فمن قتل (القاتل) بعد قبوله الدية ، أو بعد العفو ، أو قتل غير القاتل ـ والى هنـا وهذا الجزء مسـلم ـ ثم تابع قائلا : أو قتل القـاتل اذا لم يقبـل العفو عنه الى الدية » فله عذاب أليم فى الآخرة ، ولم يبين هل يدخل فى هذا الوعيد الشديد أولياء الدم اذا لم يقبلوا العفو الى الدية ، وانتصفوا من القاتل • والله تعالى يقول : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » •

٧ ـ ص (٢٩٩) « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » •

أورد المفسر رواية البراء قال : كانوا اذا أحرموا فى الجاهليـة أتوا البيت من ظهـره ـ وقـال : وكمـا يحدث هـذا منهم فى البيت الحرام كان يحدث منهم فى بيوتهم •

ومع أن الرواية هكذا« أتوا البيت من ظهره » فى عدة مراجع ، الا أن مقـارنة الروايات تبين أن المقصـود بيوتهم لا البيت الحرام ، ونص الآية الكريمة صريح فى البيوت • وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها •• وأتوا البيوت من أبوابهـا » أما البيت الحرام فانه يطاف حوله •

الحـزب (٤) :

٨ ـ (ص ٢٦٠) قال : ومن العلماء من منع الزواج منهن ـ أى الكتابيات ـ قال : وحجته فى ذلك : انها تكر

معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وتضيفها الى غيره تعالى - وهذا هو الشرك •

أقول : نسبة الرأى الى بعض العلماء صحيح « وهو معروف عن بعض الصحابة كابن عمر رضى الله عنهما » غير أن سوق الحجة بأنها تنكر معجزة النبى غير واضح فى المراد ، ولعل غير هذا من تأليه عيسى على ما أشار اليه بعد - ومن التثليث أوضح فى وصف الشرك •

٩ - (ص ٣٦٩) سبب النزول فى قوله تعالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم •• ») •

قال : •• نزلت فى الصديق لما حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته حين وقع فى افك عائشة رضى الله عنها • أقول : التعبير باضافة الافك الى عائشة غير كريم ، وهو افك من جاءوا به - كما هو معلوم - لاافكها رضى الله عنها « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم •• الآية

١٠ - (ص ٢٧٥) « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا ، يقول المفسر :

ليس المراد من قوله تعالى : « ان أرادوا اصلاحا » اشترط جواز الرجعة بارادة الاصلاح •• للاجماع على جوازها مطلقا •• وفى ص ٢٨٦ يقرر ما يخالف دعوى الاجماع هذه اذ يقول : (سطر ١٤) فلا يحل له أن يراجع الا اذا كان اعتزم العدل وأراده ••• فلا يسوغ له أن يستأنفها معاندة للزوجة وعداوته عداوة لها ، فان ذلك اعتداء وظلم •

١١ - فى بيان مدة الرضاع قال المفسر : •• اذا نقصنا تسعة أشهر من الثلاثين شهرا كان الباقى ثمانية عشر شهرا » أى سنة ونصفا وأقول : سها الكاتب فى عملية حسابية يسيرة حول مدة الحمل والرضاع - ولو كانت هناك مراجعة حقيقية لأمكن تدارك هذا السهو الظاهر •

١٢ - (فى ص ٣٩٣) « لاتضار والدة بولدها •• » حمل المفسر الفعل المضارع « تضار » على أنه مبنى للفاعل ، ووجه المعنى على ذلك ، ولم يلتفت الى احتمال أن يكون الفعل

مبنيا للمفعول ، على حين أنه أقرب .. وقد وجه الفعل بالوجهين فى قوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » وزاد الوجه الثانى تأييدا .

١٣ - (فى ص ٣٩٦) عند تفسير قوله تعالى : « فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فىأنفسهن من معروف » قال فى زينة المتوفى عنها بعد بلوغ الأجل : فلا جناح عليكم أيها الأولياء المسلمون فيما فعلن فى أنفسهن من زينة وغيرها ... فى حدود الشرع .. فان خرجن عنه فالاثم عليكم أيها الأولياء ؟ وعلل ذلك بقوله : لأن مراقبتهن واجبة عليكم أ هـ .

أقول القاعدة الشرعية هى ما فى هذه الآية الكريمة : « كل نفس بما كسبت رهينة» وقوله تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى » فاثم الخروج عن حدود الشرع على الخارجات . اما الأولياء فعليهن ان فرطوا فى مراقبتهن اثم التفريط .

١٤ - فى تفسير قوله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم » أورد الكاتب فى (ص ٤١٣) ان الشيخ محمد عبده يرى أن هذا مثل لا قصة واقعية - وقد جاء فى تفسير المنار ، وهو للشيخ محمد عبده بقلم تلميذه السيد محمد رشيد رضا : أن الشيخ محمد عبده نقل عن ابن كثير عن عطاء أن هذا مثل لاقصة واقعية ثم أفاض الشيخ محمد عبده فىتوضيحه وبيانه بيانا حكيما - وهذا أدق فى نسبة الآراء الى أصحابها .

١٥ - فى (ص ٤١٧) عند تفسير قوله تعالى : « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل ... » جاء قوله : كان العبرانيون جيرانا لبنى اسرائيل - والصواب كان الفلسطينيون « أما العبرانيون وبنو اسرائيل فاسمان لمسمى واحد .

وفى (ص ٤٢٥) وقتل داود جالوت زعيم العبرانيين - والصواب زعيم الفلسطينيين .

(يتبع) كمال احمد عون

دين الله واحد
وشرائع الأنبياء مختلفة

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

استعملت كلمة « دين » فى لغة العرب لأكثر من معنى .. بعضها أصلى وبعضها مولد من هذا الأصلى أو مستعار عنه .. فلها معنيان أصليان : الطاعة أو الجزاء » ويتولد من المعنى الأول معنى «الملة» ويستعار منه أيضا معنى الشريعة (١) .

أما فى القرآن الكريم فقد استعملت كلمة « دين » استعمالين مختلفين : أحدهما للتعبير عن أى معنى يعتقده صاحبه مقدسا وان كان فى الواقع على خلاف ذلك ومن ذلك قوله تعالى فى سورة « الكافرون » :

« قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد.لكم دينكم ولى دين»

فقد استعمل الدين المضاف الى الكافرين للتعبير عما كانوا يدينون به من أباطيل القول ، وأفانين العمل ..

الا أن هذا الاستعمال محدود ، ولم يستفض به الأسلوب القرآنى كما استفاض بالاستعمال الآخر .. حين عبر به عن العقيدة الحقة ، والحقائق الالهية الثابتة . وقد كان الكافرون أنواعا شتى كما حكى القرآن : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين » وفى آية أخرى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، ان الله يفصل بينم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد » والخطاب فى سورة الكافرين وان كان خاصا بمشركى مكة الا أنه يتناول الأنواع الأخرى بدليل مقابلة الرسول وحده لهم؛ قال

---

(١) عن كتاب « المفردات فى غريب القرآن » للراغب الأصفهانى .

الزمخشري في تفسير سورة الكافرين (١) : « المخاطبون فيها هم كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لايؤمنون فقد روى : أن رهطا من قريش قالوا : يا محمد .. هلم فاتبع ديننا ، ونتبع دينك ، تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد الهك سنة ، فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره ، فقالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك .. فنزلت السورة كلها في مكة .. فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم فقرأها عليهم ، فأيسوا » .

ومن هذا التعبير القرآني في سورة الكافرين نرى أن كلمة دين المضافة الى الكافرين المخاطبين بالسورة .. قد احتوت كل ما تشعبت به نزعاتهم العقائدية من الملل والنحل التي لم ينزل بها عليهم سلطان ، ولم ينساقوا فيها الا لمتاهات الظنون ، وتخرصات الأوهام .

أما الاستعمال الثاني لكلمة «دين» في القرآن الكريم فهو أخص من الاستعمال الأول لأنه يحدد المنهاج القويم ؛ والعقيدة الحقة التي ارتضاها الله تعالى لعباده المؤمنين عبر التاريخ كله .. ومنذ أن كان هناك دين ، وكان على الأرض متدينون .. فأراد بها العقائد الثابتة من الايمان بالله الواحد الأحد .. الفرد الصمد .. الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، مع التصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ؛ وما يتعلق بذلك مما استفاضت به الرسالات في سالف العصر ، وغابر الأزمان ، واجتمعت عليه كلمة الأنبياء والمرسلين بلا استثناء .. والى جانب ذلك أريد بكلمة « دين » بمعناها الأخص الاقرار بأصول الشرائع وأسس المناهج العملية التي ساس بها الرسل أممهم ، وسنوا بها للناس طرقهم وطرائقهم وكذلك أمهات الأخلاق ، ورءوس الفضائل الشخصية » والاجتماعية التي لاتختلف من زمان الى زمان » ولا تتبدل مهما تبدل الملوان ، وتعاقب الجديدان .

أما ما عدا ذلك من الشرائع التفصيلية ، والأعمال الفرعية » التي

---

(١) الكشاف جـ ٢ : ٥٦٤

تخضع لأحكام خاصة ، واعتبارات ملائمة لطبيعة الزمان والمكان والأقران ، فان ذلك كان عرضة للتغيير والتبديل ، والتقويم ، والتعديل وتلبية مطالب الجماهير فى اطار المتغيرات الكونية ، والمتطلبات الراهنة .

وفى ذلك يقول الله تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بماكنتم فيه تختلفون » (١) .

قال الطبرى فى تفسير هذه الآية « ثم أخبر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وذكره أنه أنزل اليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب » وأمره بالعمل بما فيه ، والحكم بما أنزل فيه دون ما فى سائر الكتب غيره ، وأعلمه بأنه قد جعل له ولأمته شريعة غير شريعة الأنبياء والأمم قبله ، الذين قص عليه قصصهم ، وان كان دينه ودينهم فى توحيد الله والاقرار بما جاءهم به من عنده والانتهاء الى أمره ونهيه واحدا .. فهم مختلفون فى الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولأمته فيما أحل لهم وحرم عليهم »

وروى الطبرى عن قتادة فى معنى قوله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » أى :«سبيلاوسنة ، والسنن مختلفة : للتوراة شريعة ، وللانجيل شريعة ، وللقرآن شريعة..يحل الله فيها مايشاء ويحرم مايشاء بلاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، ولكن الدين الواحد الذى لايقبل غيره هوالتوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به الرسل»

وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بألا يخرج فى دعوته عن اطار من تقدمه من الأنبياء والمرسلين وذلك فى قوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٢) فلكى يتفق هذا التوجيه القرآنى الهادف الى وحدة الأديان كلها فى دين الله الواحد الذى لايتعداه باعتباره حقا أزليا أبديا لاتبديل له ؛ ولا اعوجاج فيه ؛ والحق الواحد لايقبل التجزئة

(١) سورة المائدة : ٤٨

(٢) سورة الانعام ٨٣ ــ ٩٠

ولا التنوع مع ماسبق فى سورة المائدة من تعدد الشرائع ؛ وتنوع المناهج الشرعية فى مجال الأعمال والسلوك الخاضع للتنوع والتطور . . لابد أن يكون هناك دين واحد وشرائع متعددة وهذا هو الذى كان .. فقد أمر الله نبيه باتباع من سبقه من اخوانه الرسل والقدوة بهم ؛ والنسج على منوالهم وذلك فى الدين بمعنى العقائد وأصول الشرائع ومكارم الأخلاق كما . . أمره بالحكم بما أنزل عليه خاصة فى كل ما اختص الله به شريعته من تخطيط جديد ملائم لوضعه الخاتم لشرائع الله ؛ المتناسب مع عالمية الرسالة وشمولها للحاضر والمستقبل على المدى الطويل ؛ وفى سائر الآفاق المفتوحة.

وفى ذلك يقول الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : «فبهداهم اقتده» أى : « اختص هداهم باقتدائك ولاتقتد الا بهم فى طريقتهم وهى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى مالم ينسخ ؛ فان نسخت لم تبق هديا . . بخلاف أصول الدين فانها هدى أبدا . . . . »

وقد بين الله تعالى هذا الأصل الأصيل المتأصل فى عموم الرسالات السماوية فى قوله جل شأنه :«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » (١) قال البيضاوى «أى : شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام من أرباب الشرع وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله : « أن أقيموا الدين » وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله « ولا تتفرقوا فيه » أى لاتختلفوا فى هذا الأصل ؛ أما فروع الشريعة فتختلف كما بينه فى آيات أخر منها «قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألانعبدوا الاالله ولانشرك به شئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »(٢)

(١) سورة الشورى : ١٣

(٢) سورة آل عمران : ٦٤

وقال الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى: «فما يكذبك(١) بعد بالدين» الدين هنا هو خلوص السريرة للحق وقيام النفس بصالح العمل وهو ماكان يدعو اليه صلى الله عليه وسلم وسائر اخوانه الأنبياء » .

وقال مجاهد فى معنى آية : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .. » أى : « أوصيناك يا محمد واياهم دينا واحدا » وقال الرازى : « شرع لكم من الدين دينا تطابقت الأنبياء على صحته » ويدل لذلك قوله تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » يعنى : ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى العقائد وأصول الشرائع. أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة .

والدين بهذا المفهوم هو الاسلام بمعناه الأشمل الذى انطوى تحت لوائه رسل الله وأنبياؤه جميعا كما جاء فى قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام فى وصيته لبنيه : « يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » وهو ما يشير له قوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » بعد قوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط .. » فهو يفيد أن الاسلام الذى اعتنقه الأنبياء والمرسلون هو التوحيد الذى تضمنه قوله : « لا اله الا هو » والعدل المطلق الذى احتواه قوله : « قائما بالقسط » أى : مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ، وفيما يثيب ويعاقب ، وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض ، والعمل على السوية فيما بينهم كما ذكر صاحب الكشاف (٢) فدين الله العام : هو التوحيد والعدل .

اذن فالدين والاسلام بالنسبة لجميع الرسالات السماوية معنيان مترادفان على معنى محدد : هو التوحيد والعدل وهما يستلزمان اسلام التوجه لله .

واذا نظرنا الى الاسلام فى اطار الرسالة المحمدية وحدها ، وجدناه

---

(١) سورة التين : ٧

(٢) جزء (١) : ص ١٣٧

قد تطور استعماله تطورا مناسبا ، فصار يعنى مجموعة العقائد والفروع العملية الخاصة به وتطور تبعا لذلك لفظ الدين أيضا فأصبح تعريفه عند المسلمين من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هو وضع الهى يسوق ذوى العقول من أمته باختيارهم الى ما فيه صلاحهم فى المعاش وفى المعاد وهذا يشمل العقائد والأعمال(١) ومع ذلك فقد بقى أثر العرف الاصطلاحى للاسلام والايمان فى حال اجتماعهما حيث جعل لكل منهما مفهوما يخالف الآخر ..

ونستطيع بعد هذا العرض المكثف لمعنى الدين أن ننتهى الى الحقائق التالية :

١ ـ الدين فى لغة العرب معناه الأصلى : الطاعة أو الجزاء فهو من قبيل المشترك اللفظى وان كان المعنيان متعانقان ومعناه المولد هو الملة ، ومعناه المستعار هو الشريعة .

٢ ـ استعمل القرآن كلمة دين استعمالا محدودا للتعبير عن أى عقيدة ولو كانت زائفة كما فى سورة الكافرين ـ كما استعملها فى المعنى الشامل الأهم للتعبير عن أصول العقائد الصحيحة ، وأسس الأحكام الفرعية ورءوس الفضائل الكريمة والشيم العالية .

٣ ـ دين الله واحد لا يتعدد وهو الذى دان به جميع الأنبياء والمرسلين منذ اتخذ الله تعالى منهم واسطته الأمينة الى خلقه وهو التوحيد والعدل واسلام الوجه لله واخلاص السريرة له وطاعته فى أمره ونهيه .. وهذا قدر مشترك بين الأولين والآخرين لأنه الحق الذى ليس وراءه الا الضلال ومن هنا كانوا جميعا مسلمين

٤ ـ شرائع الأنبياء وأحكامهم العملية الفرعية مختلفة تبعا لاختلاف

---

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى .

الظـروف والبيئـات والمنـاسبات التى عاشها كل منـهم واسـتدعت انزال حكمها بما يلائم كل هذا ولا يخرج عن دائرة الحكمة والمصلحة الراهنة

٥ ـ الاســـلام فى معنـاه الأعـم المشترك بين الأنبياء والمرسلين مرادف لكلمة الدين •

٦ـ الاسلام فى معـناه الأخـص المتطور خاص بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عقائـد وشريعـة وأخلاق وعـادات وصـفات خـلقية وخلقية تحمل معنى الكمال المطـلق وهو يعنى الدين أيضا اذ لا اعتراف بغير ذلك بعد بعثته •

دكتور محمد محمد الشرقاوى

الحديث عن النسيان في القرآن

للدكتور السيد رزق الطويل

مقـدمة :

النسيان ظاهـرة بشرية ، وسـمة أصلية في مسلك الانسـان ، وقـد اختلف اللغويون في اشتقاق الانسان فمنهم من راى أن أصل الكلمة هو « الأنس » وآخرون منهم رأوا أصلها النسيان وقديما قال أحد الشعراء :

وما سمى الانسان الا لنسيه
ولا القلب الا أنه يتقلب

وهذا يؤكد أصالة هذه الصفة فى سلوك البشر .

ويرى علماء النفس أن النسـيان ضرورة بشرية ، لأن الذاكرة لها درجة تشبع ، ومن رحمة الله بالانسان أن منحه النسيان ليستطيع أن يهمل ما لا يهمه ويختزنه فى عقله الباطن وقد يحتفظ فى منطقة الشعور بكل ما يهمه من شئون حياته .

والنسيان بهـذه الصفة يخرج عن دائرة التكليف ، ويتجـاوز حـدود المسئولية ، ويعفى الانسان عما يحدث منه ، وهو واقع تحت سلطانه خاضع بغير قصد لتأثيره .

أما النسيان المقصـود ، وهو تعبير قد نجد فى ظاهره لونا من التناقض ، لكنه فى حقيقة الأمر لا تناقض فيه ؟ اذ فيه نسيان ، وفيه قصد ، ونعنى به الغفلة عن الواجب ، واهمـال ما لا ينبغى أن يهمـل من حقـوق ومسئوليات .

تناول القرآن الكريم لهذه الظاهرة الانسانية .

ولنتجه الآن الى القرآن الكريم لنرى كيف تناول هذه الظاهرة ؟ !

وباحصاء دقيق للفظ النسـيان فى القرآن الكريم فى صوره الاشتقاقية المختلفة نجد أنه فى خمسة وأربعين موضعا من الكتاب العزيز .

وبدراسة المواضيع التى ورد فيها هذا اللفظ بمشتقاته نرى أن القرآن الكريم قد استخدمه بمعنييه جميعا •

النسيان الحقيقى الذى يلم بالانسان فى غير قصد أو ارادة •

والنسيان المقصود الذى نعنى به الغفلة عن الواجب واهمال المسئوليات

النسيان الحقيقى • كيف تناوله القرآن ؟

عندما يكون النسيان قسرا وجبرا، وعندما يلم بالانسان بلا قصد منه أو ارادة يكون هوالنسيان الحقيقىالذى أعطيناه صفة الظاهرة البشرية أو السمة الانسانية ، اذ أن أى انسان مهما كان لا يستطيع أن يتجرد منه •

وحديث القرآن الكريم عن هذا النوع حديث اخبارى بحت ، يعرض فيه بعض صوره ، أو ينفيه فى بعض المواضع التى ينبغى أن ينفى فيها ، لأنه تجاوز اطار الظاهرة البشرية ، أو يتناوله فى أسلوب دعاء على لسان المؤمنين ، يضرعون فيه الى ربهم ألا يؤاخذهم بما وقع منهم تحت سلطانه

وهذا أقصى ما ينبغى أن يتحدث به القرآن عن ظاهرة بشرية جبرية كهذه فهو اذن لا يحتاج الى تحليل أو تقويم ، أو اصدار أحكام كما سنرى فى النوع الثانى •

وتناول القرآن الكريم لهذا النوع من النسيان بصوره الثلاث والنفى والدعاء والاخبار) جاء فى أحد عشر موضوعا •

١ — فى صورة النفى :

(أ) نفاه القرآن الكريم نفيا قاطعا عن رب العالمين ، الذى ربى الوجود كله بنعمه ، ورعاه بعمله وحكمته وخبرته ، وحفظه بقدرته ، اذ يقول تعالى : «وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » (١) •

ونفى النسيان عن طريق نفى كينونته أروع وأوضح ، اذ هو بالنسبة لله لا وجود له ، لأنه موجود ثم نفى ، وحاشا للحكم العدل اللطيف الخبير أن تلم به ظاهرة ، هو ركبها فى الانسان ، لتنسجم له أسباب الحياة

(١) مريم : ٦٤

(ب) وفى موضع أخر يطمئن رب العـالمين نبيه بأنه سيكون بمنجاة من هذه الظاهرة البشرية فيمجال الوحى وتبليغ الشريعة فيقول له • (سنقرئك فلا تنسى) (١) •

ففى هذهالآية ينفى القرآن النسيان عن النبى عليه الصلاة والسلام فى كل ما يتصل بالوحى وتبليغ آيات الله •

(ج) وفى موضع ثالث ينفيه عن أم الـكتاب او اللوح المحفوظ الذى سجل فيه أقدار الخلق ، وأعمالهم ، ومصايرهم ووحى الله ؛ وأمره اليهم قال تعالى : (قال : علمها عنـد ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى)(٢)

واذا تصـــورنا نفـى الضـلال ، والنسيان منسوبا لله فى هذه الآية فاننا بهذا الاعتـبار ندخلـها فى الموضـع الأول •

٢ ـ فى صورة الدعاء أو الالتماس :

من دعاء المؤمن لربه الذى عـلمه اياه ، ضراعة خاشعة ، عادلة قويمة ؛ يرجو ألا يؤاخذه بماسلف منه تحت سلطان النسـيان ، المبســوط على بنى الانسان ، فيقول تعـالى (٣) : ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا) •

وفى موضـع أخر يلتمس مـوسى من فتاه ألا يؤاخذه اذ نسى الشرط الذى اشترط عليه بألا يعتـرض على تصرف يصدر عنه ، فيقول تعالى على لسان موسى : (قال لا تؤاخذنى بما نســيت ولا ترهقــنى من أمـرى عسرا (٤) •

٣ ـ أخبار قرآنية تتصل بالنسيان

(أ) مريم عـليها السـلام وقـد اختارها موضعا لآيته ، ونفخ فيها من روحه ، وأحسـت بحـكم نوازعهـا البشرية بكثير من الأسى ، وتصورت الأمر محنة لها ، اذ كيف يعلم الناس بحقيقة موقفها ، وبراءة ساحتها ؟ لذا تمنت أمنية تعبر عن مدى الألم فماذا تمنت ؟ تمنت أن قـد كانت فى عالم المـوتى ، ومحيت من ذاكرة النـاس قبل أن تعيش هذه المـأسـاة (كما تراها) يقـول تعـالى على لسـانها : (فأجاءها المخاض الى جذع النخلـة قالت ياليتنى مت قبل هـذا وكنت نسيا منسيا (٥) •

(١) الأعلى : ٦
(٢) طـه : ٥٢
(٣) البقرة : ٢٨٦
(٤) الكهف : ٧٣
(٥) مريم : ٢٣ •

(ب) وفى حديث القرآن الكريم عن عجل السامرى الذى فتن به بنو اسرائيل ، على أساس انه رمز للاله ارتضاه لهم موسى ، لكنه ذهب الى الموعد ، ونسيه مع السامرى ، هكذا فهموا ؟ أو هكذا خدعهم المحتال الأثيم (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقال : هذا الهكم واله موسى فنسى) (١) •

(ج) وفى موضع ثالث يحدثنا القرآن عن نسيان موسى ، وفتاه للحوت الذى يعد نسيانه أمارة أو ميقاتا للالتقاء بالعبد الصالح ، ولا يذكر أنه نسى الا عندما يحل وقت الغداء ، ويفتقد فتاه الحوت فلا يجده ، ويتصور أن نسيانه من عمل الشيطان ولكن موسى يكشف الحقيقة لفتاه ، وأن ماحدث هو بغيتهما ، وارتدا على آثارهما قصصا ، فوجدا العبد الصالح الذى وعد موسى بلقياه ، يقول تعالى : (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا • قال : أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا) (٢) •

بهذه الصور الثلاث المتقدمة كان تناول القرآن الكريم للنسيان الذى هو ظاهرة انسانية لها صفة العموم والانتشار ، ولها صفة القهر والالزام ومن هنا رفع الشارع الحكيم مسئولية البشرعما يحدث فى ظلال هذا النوع من النسيان •

والنوع الثانى : النسيان المقصود :

نسيان الغفلة عن الواجب ، واهمال المسئوليات •

وهو أكثر النوعين ورودا فى القرآن الكريم •

تناول أنواعه ، وحلل أسبابه ، وحذر من مغبته ؟ وبين عقوبته •

وتناول القرآن الكريم له بهذه الكثرة ، لأنه ظاهرة بشرية منحرفة تحتاج الى تحليل وعلاج •

وللشارع الحكيم منها موقف يحتاج الى بيان وتفصيل •

---

(١) طـه : ٨٤

(٢) الكهف : ٦١ ــ ٦٣

وعلى هذا أولاها الكتاب العزيز اهتماما بالغا ، لما لها من خطورة بالغة تهدد الدين السماوى ، وتنحرف بالبشرية عن هديه وهداه •

ومن هنا ورد الحديث عن هذا النوع فى أربعة وثلاثين موضعا من كتاب الله وكل ماورد فى هذه المواضع من نسيان يحمل طابع الغفلة عن واجب أو التنصل من تبعة ، أو الاهمال لمسئولية لا ينبغى أن تهمل بحكم قضية الايمان التى يرغبها الانسان •

ويمكن أن يصنف هذا النوع من النسيان تصنيفا يجعل من الآيات التى وردت فيه موضوعا متكاملا •

١ ـ مظاهر النسيان المنحرف ، واتجاهاته •

٢ ـ تحليل أسبابه •

٣ ـ العلاج الذى وضعه القرآن له

٤ ـ عقوبته •

١ ـ مظاهر النسيان المنحرف واتجاهاته •

يتخذ هذا اللون من النسيان عدة مظاهر تؤكد انحرافه عن سنن النسيان البشرى الذى رفعت المسئولية عن صاحبه ذلك لأن هذه الظواهر تؤكد أن للانسان قصدا وارادة على نحو من الأنحاء ، وأن ما يتورط فيه الانسان من أعمال نتيجة له انما هو شىء مراد •

وهذه هى الظواهر •

(أ) نسيان الذنوب والخطايا :

اذا وقع الانسان فى الذنب ، أو هوى الى الخطيئة لأول مرة ، فله عذره ، وانخطأ من حقه ، لأن وراءه نوازع بشرية عميقة التأثير فى توجيه السلوك ، ولذا فانه اذا تاب قبل الله توبته ، وفرح بأوبته على أن يظل هذا الذى اقترفه درسا يضيفه الى تجاربه التى تحدد فى الحياة فاعليته ومسلكه•

أما اذا نسى تجربة الذنب فستنتكس حياته ، ويتعثر سلوكه ، ويظل يهوى مع هواه حتى يكون من الغاوين •

وهذه هى صفته كما عرضها القرآن الكريم •

يقول الله تعالى : (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى

ما قدمت يداه ؟) فأسلوب الآية هنا يشير الى أن أشد الناس ظلما ذاك الباغية المنحرف الذى يذكر بآيات الله فى كتابه ، وفى الحياة ، فيعرض عن الذكرى ، وينسى ماتورط فيه من ذنوب وآثام ، ومن هنا استحق ما وصف به فى آخر الآية ؟ اذ يقول تعالى : (انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن أبدا) (١)

واذا كان فى طبع الآثم نسيان ذنبه ، فهذا النسيان دعامة انحرافه ، ومن هنا يكشف القرآن الكريم هذه الظاهرة فى سلوك طائفة أخرى من الآثمين الذين هووا فى وادى الشرك السحيق ، ان ذكروا ربهم فى الضراء ونسوا أنهم أشركوا به فى السراء ، فيقول تعالى : (قل : أرأيتكم أن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) (٢).

فالفطرة السليمة التى شوهها الانسان لانحرافه فى السراء ، تعود نقية صافية تشد الانسان المنحرف الى ربه فى الضراء . ولهذا تحتكم الآيه اليها لتؤكد للانسان أن نداء الفطرة السليمة أهدى وأقوم .

على أن الحقيقة التى ينبغى أن يذكرها الاثم أنه ان نسى فاستمرأ بالنسيان اثمه فان وراءه الرقيب الذى يحصى عليه ما قد نسيه ، يقول تعالى: يوم يبعثهم الله جميعا « فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد » (٣)

(ب) نسيان يوم القيامة :

يوم القيامة الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين حيث يجد كل انسان طائره فى عنقه، ويقرأ بنفسه صحائف أعماله ، ويرى بعينه مصيره . وهو اليوم الحق حيث يفصل فيه بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون ، وينتهى أمر الباطل الى جحيم ، وينعم المتقون فى دار النعيم .

---

(١) الكهف : ٥٧
(٢) الأنعام : ٤٠ ، ٤١
(٣) المجادلة : ٦

وقد عنى القرآن الكريم بعرض مشاهد شتى من ذلك اليوم •

وطالما كان المؤمن على ذكر لذلك اليوم سيتخذ منه حافزا يدفعه الى الخير وينأى به عن الضلال ، ويثبته على طريق الهداية •

ولذا نجد فى أكثر من آية من كتاب الله دعوة الى اتقاء ذلك اليوم ، وما فيه من أهوال وبلاء •

واذا نسى الانسان ذلك اليوم ، فلم يعمل له حسابه فنسيانه بادرة الى الانحراف الذى ينتهى بالانسان الى ضلال •

وها هو الناس ليوم القيامة يعرضه القرآن فى عدة صور •

يقول تعالى عن الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وغرهم ما فى دنياهم من زخرف ومتاع (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) (١) فجزاؤهم عند الله اذن اهمال ووبال، لأنهم نسوا يوم القيامة ، فلم يقدموا فى دنياهم عملا ينفعهم فيه •

والهوى يهوى بصاحبه ، ويضله، فينسيه يوم الجزاء أن يذكره بما يقدم له من شواغل صارفة ، فيقول تعالى فى نصح نبيه داود عليه السلام: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (٢) •

فالضالون عن سبيل الله ، سر ضلالهم نسيانهم يوم الجزاء ،وحسبك آفة وكأن نسيان يوم القيامة سر آفة الانسان وضلاله ، ولذا عندما يقف المجرمون ناكسى رؤسهم عند ربهم ، وقد رأوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم ما نسوه من حقائق ذكروا بها فى دنياهم ، فلم يتذكروا عند ذاك يدعون الى العذاب الذى عرفوا يومئذ سبب وقوعهم فيه : (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) (٣)

وفى آية أخرى يقال لهؤلاء الذين نسوا ما لاينبغى أن ينسى : لقد

---

(١) الأعراف : ٥١
(٢) ص : ٢٦
(٣) السجدة : ١٤

نسيتم يوم الجزاء ، فكان أعدل جزاء لكم ما تلقونه فى هذا اليوم من اهمال وازدراء (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) (١) •

(ج) نسيانهم لله :

هذان النوعان السابقان من النسيان : نسيان الذنوب ، أو نسيان يوم المصير آخرهما أن أولهما يحمل معنى عدم الاستفادة من التجربة وثانيهما : يحمل معنى عدم الاعتداد بالدافع أما هذا النوع الثالث ، وهو الذى يتعلق بالله ، فهو الشر بذاته ، لأنه يعنى تقلص ظل الايمان من نفوس البشر ؟ اذ لا يمكن أبدا أن يصح ايمان أو يستقيم على أساس سلوكما لم يكن القلب مشغولا بذكر الله ، منصرفا الى ما يهيىء له مراقبة دقيقة لخالقه ومولاه •

وهذا النسيان قد يتعلق بأمر الله أو عهده •

وقد يكون تعلقه بذات الله •

وقد يكون النسيان لذكر الله الذى يجب أن يكون سلاحا للمؤمن يشهره فى وجه الشيطان اذا أراد أن يهوى به فى مزالق الخسران •

أما الأول منها فقد عهد الله لآدم ألا يأكل من شجرة بعينها ، وحذره من وسوسة الشيطان واغراءاته ، ونسى آدم عهده مع ربه ، وذهب عنه العزم الذى يثبت اليقين فى أحلك الظروف ، يقول الله تعالى ، يعرض لنا هذا الموقف : (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما (١) ثم نجد الآيات التالية تسجل أن هذا النسيان كان لونا من الانحراف (وعصى آدم ربه فغوى) وأن الله تاب على آدم وغفر له •

(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) (٢) •

وأما الثانى فقد أشار اليه القرآن الكريم ، وهو بصدد الحديث عن المنافقين ؟ اذ وصفهم بأنهم نسوا الله ؟ فيقول : (نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) (٣) •

ووقوع ظاهرة النسيان منهم على الله دلالة بليغة على خفوت حرارة

---

(١) سورة الجاثية : ٣٤

(٢) طه /١١٥ – ١١٧

(٣) التوبة : ٦٧

العقيدة ، وتبلد عاطفة الايمان ، وصيرورتها مجرد دعوى بلا واقع ؛ اذ أن كل مافى الانسان من جارحة ؛ وما حوله فى السموات والأرض من آيات تذكره بالله ؛ فكيف ينساه ؟

انه شأن المنافقين ؛ ظاهرهم الذكر وباطنهم الغفلة ، ومن طبعهم الكذب

كما أشار القرآن الكريم الى ذلك اللون من النسيان فى موضع آخر يحذر فيه المسلمين من سلوك المنافقين ؛ اذ يقول الله تعالى لهم : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (١) .

وكأن هذا النسيان من شأن المنافقين وحدهم ، اذ أن سلوكهم يقوم على نسيان بارئهم ، والحرص على شهواتهم ؛ وتضليل الناس من حولهم .

وثالث الأنواع من هذا النسيان الذى يتصل بالله : نسيان ذكر الله .

ومعنى هذا النسيان افتقاد سلاح لا يستقيم أمر المؤمن فى الحياة بدونه، اذ يقيه من الاغواء ، ويثبته فى مواقف الاغراء ويحفظه من همزات الشياطين .

ولذا جعل القرآن الكريم ذكر الله صفة للمتقين الذين تتجه هممهم الى خشية الله ومراقبته ؛ اذ يقول تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) كما يقول تعالى : (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) .

ومن هنا كان نسيان الذكر مباءة للفساد ، ويزيد من فرص الانحراف فى أمور الدنيا ، وعن أوامر الدين .

وهذا هو شأن من نسوا ذكر الله ؛ توضحه عدة آيات ؛ وفى كل آية منها اشارة الى باعث لهذا النسيان ، وهو اما استهواء الشيطان أو استعلاء الانسان ، أو غرور لا يسمح له بفهم واقعه البشرى فيذكر ماديته ، وينسى ذكر ربه .

ولكون الآيات التى تتناول نسيان الذكر تعنى بتحليل أسباب هذه

(١) الحشر : ١٩ .

الظاهرة ، لذا سأتناول هذه الآيات عند تناولى لأسباب هذه الظاهرة بعد قليل .

واقتران نسيان الذكر بتحليل بواعثه وأسباب دلالته على خطورة هذا النوع الذى يصرف الفكر عن ربه ، ويدفع الانسان الى مهاوى الضلال .

بواعث النسيان :

عندما يكون النسيان مجرد ظاهرة بشرية ؛ فبواعثه حينذاك نفسية بحتة تنبع من داخله ؛ وتتمشى مع الفطرة الانسانية فى استواء ؛ ليس فيه شذوذ أو نشاز أو التواء .

وهذه البواعث خارجة عن دائرة هذا البحث ؛ ومجال دراستها بحوث علماء النفس .

ولايعنى القرآن الكريم فى هذه الناحية الانسانية الا بتسجيل ظواطرها اما تحليل الأسباب فرب العالمين خلق الأنسان ، ويعلم ماتوسوس به نفسه ويفرض عليه من السلوك ماينسجم مع بشريته ؛ وتعليل الظواهر البشرية الثابتة لايفيد الانسان فى تدينه أى علاقته بمولاه وخالقه .

أما النسيان المنحرف ، فهو الذى تعرضت الآيات لما وراءه من بواعث وأسباب ، لأنها تنبع من خارج الانسان ؛ أو من داخله الذى خالف عن نداء الفطرة القويم ؛ وذكر البواعث حينذاك علامات هادية للانسان على الطريق .

وهذه هى الأسباب :

فى مقدمتها : الشيطان : وقد نسب له القرآن الكريم شغل الانسان عن ربه ، وصرفه عن ذكره ، وذلك فى عدة مواطن :

فيوسف فى سجنه ؛ وقد طال به الأمد ؛ وفى نفسه شعور صارخ بالظلم وسجنه هو البديل الوحيد للرذيلة التى تطارده ؛ طلب الى أحد رفيقيه ـ وقد يسر له الخروج ـ أن يذكره عند الملك ! ! ونسى يوسف رب الملك ، اذ لانجاة له الا بتقديره ولكن الشيطان قد ينال من الانسان فى ضراوة الامتحان . قال تعالى: (وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين) (١)

---

(١) يوسف : ٤٢

وكان مكثه فى السجن لمسة عقاب على غفوة يسيرة تولى أمرها الشيطان

وفى حـديث القرآن الكريم عن المنحرفين عن سنن الاسلام اما بفساد في العقيدة أو انحراف فى السلوك نجد تعليلا لذلك بتسلط الشيـطان عليهم وبسـيطرته على نفوسـهم ، فأنساهم خالقهم ؛ وبـذلك تم لهم الانغماس فى ضلالهم يقول تعالى : (استحوذ عليهـم الشيـطان فأنساهم ذكـر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) (١) •

والشيطان وهو يؤدى رسالة الشر فى البشرية لايقـصر جهـده عـلى الاشرار فهم جنوده ؛ وقد فرغ منهم ولكنه يبحث عن ضالته فى السائرين على طريق الرشاد يحاول جذبهم اليه وقـد تبلـغ ؛ الوقاحة مبلغا كبيرا ؛ فيطمـع فى أن ينال فرصة من رواد البشرية ؛ وانى له ذلك ؟

ولذا يقول الله تعالى لنبيه محمـد عليه الصـلاة والسـلام ؛ مـذكرا ومحذرا : يذكره بمحاولات الشيطان جـذبه لمجالس هـؤلاء الضالـين ؛ ويحـذره من الجلوس معهم أكثر من فترة التذكير والتوجيه : (واذا رأيت الذين يخوضـون فى آياتنـا فـأعرض عنهم حتى يخوضـوا فى حديث غيره واما ينسـينك الشـيطان فلا تقعـد بعـد الذكرى مع القـوم الظالمين) (١)

والغرور هو ثانى الأسباب :

وهو أن يسىء الانسان منهم نفسه بأن ينسى الأصل الذى منه نشأ ؛ أو ينسى أن الأيام تدول ؛ وأن النعـم تزول ؛ وأن المتعة قد تصير شـقاء ؛ والجاه قد يتحول الى بلاء •

وسوء الفهم الذى يخلق الغرور هو الذى ينسى الانسان هـذه الحقـائق الثابتة من سنن الله فى الحياة •

فأبى بن خلف عندما وقف موقف التحدى من النبى صلى الله عليه وسلم منكرا فى تهكم عقيدة البعث ؛ ويأتى بعظام بالية ؛ ويفتتها بيديه ؛ ويقول: أترى يامحمد أن الله يحى هذه العظام بعدما رمت ؟ ! !

---

(١) المجادلة : ١٩

(٢) الأنعام : ٦٨

من غير شك أن أبيا في موقفه الذى تبدو فيه حماقة البغى وشراسة الجحود لم يدر بخلده الماء المهين الذى خلق هو منه !! ولو تذكره لراجع نفسه مرات قبل أن يقول ما قال .

وهذه هى الحقيقة التى سجلها القرآن (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليهم) (١) .

فالغرور أنسى أمية احدى بديهيات الموجود ، حتى تورط فيما تورط فيه من كفران وجحود .

والنعمة تأتى للانسان بما وراءها من بهجة ومتاع، فيعيش عيشة الرغد ويرفل فى أفخر الثياب ، وينعم فى سلطان المال والجاه ، وينسى أمس بشقائه وبلائه ، وفقره وبأسائه .

انه الانسان المغرور يفزع الى ربه فى الضراء ، وينسى ضراعته فى السراء (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) (٢) .

فغرور الانسان أنساه صاحب الحق ، فضل السبيل اليه وأشرك .

وكم يؤدى غرور الانعم بالانسان الى مهاوى الكفران عندما ينسى ماكان فيه من عسر ، وما صار اليه من يسر

ويوم القيامة سيبرأ المعبودون من من العبيد أمام رب الأرض والسماء، معللين انحراف من عبدوهم بأن متاع النعمة أنساهم فضل المعبود الواحد ، يقول تعالى:(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) (٣) .

ومن عجب أن تكون نعمته سببا لجحود فضله ، والغفلة عن ذكره ، ثم ضلالهم طريق الوصول اليه .

---

(١) يس/ ٧٨ ، ٧٩

(٢) الزمر/ ٨

(٣) الفرقان / ١٧ ، ١٨

وثالث الأسباب الاستيلاء على الناس

قد يجد المغرور من يستخذى لكبريائه ، وينصاع لغلوائه ، ويستذل لبغيه فيغريه ذلك بمزيد من الطغيان.

ويسمع كلمات الثناء ، وعبارات التمجيد من أفواه العبيد ، فيتصور أنه كبير ، وينسى أن فوقه الكبير المتعال .

وعندما وجد فرعون من يستذلهم أنساه ذل العبيد أنه عبد مثلهم ، وصدق رب العالمين ؛ اذ يقول (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) .

تتجلى حقيقة هذا السبب فى قوله تعالى : (انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون) (١) .

فكما يحاول الفاتن أن يصرف مفتونه عن دينه ، ويبعده عن ربه ترى المفتون من ناحية أخرى ينسى فاتنه ذكرى ربه عندما يظن سكوته عنه انصياعا له وذلة ، فيغريه ذلك بمزيد من التجاوز والشطط .

عقوبة النسيان نسيان :

هؤلاء الذين وقعوا مطية للنسيان المنحرف الذى حللنا أسبابه . كيف قوم القرآن موقفهم ؟ وماذا قال فى عقوبتهم ؟

ان سنة الله فى عباده ، وقانونه فى خلقه : الجزاء من جنس العمل فمن نسى ربه ينسى .

ونسيان الله لعبده يعنى أنه فى موقف الطرد من رحمته ، والبعد عن مغفرته ، وأنه موكول الى نفسه ؛ ولذا فشقاء الحياة ينتظره ، وبؤسها سيلاقيه .

وهذه هى الآيات التى تشير الى عاقبة النسيان الخاطىء ، يقول تعالى :

(فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) (٢) .

(نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) (٣) .

(قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (٤) .

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (٥) .

---

(١) المؤمنون / ١٠٩ ، ١١٠ (٢) الأعراف / ٥١ (٣) التوبة / ٦٧
(٤) طـه/١٢٦ (٥) الحشر / ١٩

وفى هذه الآية الأخيرة لون آخر من العقوبة . وهو أن من نسى ربه يوكل الله به ظاهرة النسيان البشرى بصورة غير طبيعية تجعل حياته لاتحتمل ويقضى أيامه فى الحياة بغير ذاكرة .

(وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) (١) .

وفى هذه الآية كانت عقوبة النسيان من أجل نسيانهم يوم اللقاء .

ونسيان يوم اللقاء يعنى نسيان الملك الحق الذى جعل هذا اليوم فيصلا بين العباد .

هكذا تؤكد الآيات السابقة كلها بأوضح عبارة ، وأجلى بيان أن عقوبة النسيان نسيان .

والنسيان الذى هو عقوبة ليس كالنسيان الذى هو خطيئة لكنها المشاكلة فى التعبير ، وهى من خصائص بلاغة القرآن ، جاءت لتؤكد حتمية القانون الالهى ، واستمراريته ، وهو أن جزاء العامل من جنس عمله .

وعلاج النسيان الخاطىء بالذكر :

اذا ذكرت ربك بصدق طهرت القلب من شواغله ، وأخلصته لبارئه، وأنقذته من أدوائه ، وحرسته من بواعث النسيان الضال التى أسلفناها وكنت على ذكر دائم لربك ، تنقشع أمامه بواعث الغفلة مهما كثرت .

وقد قدم لك القرآن العلاج من هذه الآفة القاتلة ، المدمرة للعقيدة والسلوك فى آية واحدة ، هى قوله تعالى : (واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا) (٢) .

أجل هذا هو الطريق الذى يقربك من الرشاد ، ويثبتك على نهج السداد، ويهديك الى الحق والى صراط مستقيم ؟

دكتور السيد رزق الطويل

---

(١) الجاثية / ٣٤

(٢) الكهف / ٢٤

بقيــة أســرة

للأستاذ السيد حسن قرون

كان عمــر بن الخطاب رضى الله عنــه لا يلهيــه النصر عن الســؤال والاستفســار عن جنـــوده وأحـوال رعيته ، وجلس يوما فى دار الامارة وحوله سادة الصحابة ، وجاءت الأنباء الســارة من جبهات القتال ، فتذكر قريشا وكان من شأنه أن يتفقد أمور النــاس ويستقصى أخبار كل فرد ، وجاء ذكر سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاصى بن أمية ، فسأل عنه ،فقيل له هو فى دمشق ، عهد العاهد به وهو مأموم بالموت ، فخفق قلب عمر بالشفقة عليه ، وسرعان ما أرسل الى معاوية والى دمشق أن ابعث الى سعيــد بن العاص فى مقفل ... وترجع شفقة الخليفة على سعيد الى ما تذهب اليـه قريش فى العنـاية بأبنائهـا ولاسيمـا اليتامى منهم،والى قلبه الرحب الرحيم، والى ما شاهده من عطف الرســـول صلى الله عليه وسلم على سعيد فقـد كساه حلة ، وحنا عليه ، وقـد توفى الرسول وسعيد فى التاسعة من عمره، ولم يكن حينئذ يتيم يستحق العطف والرعاية مثله انه (١) بقية العاص بن أمية » لأن سعيدا صاحبنا فقد رجال أسرته جميعا فى حروب بعضهـا فى الجاهلية وبعضها فى الاســلام كان له عم اسمه (أحيحة) قتل فى حرب الفجار التى كان جده سعيد بن العاص من رؤسائها ، ولمـا جاء الاسلام أسلم من أعمامه ثلاثة استشهدوا فى سبيل الله وهم خالد وعمرو وأبان ، أما أبوه العاص وعمه عبيدة فقد قتلا كافرين فى غـــزوة بدر ، ولم يبق من تلك الأسرة الا ســعيد بن العــاص الطفل اليتيم ، فنشأ يتيما فى حجر عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولمـا أيفع اتجه الى الشــام حيث اتجه اليـــه أعمامه فاستشهدوا ، فعاش فى كنف معاوية ابن أبى سفيان ، ويبدو من الحوادث

---

(١) الطبرى أحداث ٣٠ هـ .

أن معاوية أهمله ، فجاء ذكره في مجلس الخليفة أنه « مأموم بالموت » وحين بعث الى المدينة حسب الاستدعاء كان دنفا ، فما بلغها حتى أفاق ، فاستقبله الخليفة حانيا عليه ، حريصا على رعايته ، والنهوض به الى معالى الأمور . وقال لعثمان : يا أبا عمرو ، ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوجته ؟ قال : قد عرضت عليه فأبى. ولم يلبث عمر أن قام من مقامه يصحبه نفر من قريش فسار بهم في البرية حتى انتهى الى ماء عليه أربع نسوة ، فقمن له ، فقال : مالكن ؟ من أنتن ؟ قلن : بنات سفيان بن عويف ، ومع البنات أمهن . فقالت : هلك رجالنا ، واذا هلك الرجال ضاع النساء ، فضعهن في أكفائهن ،فاستجاب لها ، فزوج سعيدا احداهن ، وعبد الرحمن بن عوف الأخرى ، والوليد بن عقبة الثالثة . وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقلن : هلك رجالنا وبقي الصبيان ، فضعنا في أكفائنا ، فزوج سعيدا احداهن،وجبير ابن مطعم الأخرى ، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء . ومارس سعيد حياته في ظل الخليفة ، ويروى الرواة (١) أن سعيد بن العاص اتى عمر يستزيده في داره التي بالبلاط وخطط اعممه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوارث الوحيد) فقال عمر : صل الغداة وغبش ثم اذكرني حاجتك ، وقد نفذ له ما أراد . وكان عمر مرهف الحس نحوه ، فذات يوم ظن به اعراضا عنه . فقال له : ياسعيد ، مالي أراك معرضا كأنك ترى أني قتلت أباك ؟ ما أنا قتلته ، ولكنه قتله على بن أبي طالب ، ولو قتلته ما اعتذرت عن قتل مشرك ، ولكني قتلت خالي العاص بن هاشم المخزومي . قال سعيد : يا أمير المؤمنين ، لو قتلته كنت على حق ، وكان على باطل ، فسر منه . وهكذا كانت الحياة بينهما ، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال عصره .

زايل سعيد سقمه،وقر به قراره، وأصبحت له دار وزوجات ، ثم طمحت نفسه للغزو والجهاد في سبيل الله ؟ ان جيوش المسلمين تتدفق على ميادين القتال شرقا وغربا وشمالا ، وهو فتى لاتنقصه الشجاعة ، ولا تعوزه الحيلة ،

(١) الطبقات : سعيد بن العاص .

وقـد شهد المعارك من صـغره ، وله ذكريات أعمـامه (١) ، فقـد كانـوا للاسلام جندا،وكان في سباق وتنافس مع فتى مثله له قرابة بالخليفة عثمان هو عبد الله بن عامر (أحد بنى عبد شمس) كلاهما يبغى الجهاد والفوز بالنصر أو الاستشهاد ، وكانا عنـد حسن ظن الخليفـة عثمـان كفـاية حربية ، وطاعة اسـلامية ، ونجـدة مضرية ، ففى سنة ثلاثين من الهجرة غزا سعيد خراسان من الكوفة وكان تحت لوائه شباب الاسلام : الحسن والحسين ، وعبـــد الله بن عبـاس ، وعبـــد الله بن عمرو بن العـاص ، وعبد الله بن عمر ، والصحابى الجليل حذيفة بن اليمان وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل (أبر شهر) وبلغ نزوله سعيدا ، فنزل سعيدا (تونس) وهى صلح تم على يد حذيفة بن اليمـان ، ثم أتى جرجان فصـالحوه على مائتى ألف ، ثم أتى (طميسة) وهى كلها من (طبرستان) متاخمة (جرجان) فقـاتله أهلهـا قتالا عنيفـا حتى سأل حـذيفة : كيف صـــلى الله عليـــه وسلم صـلاة الخوف فأخبره ، فأداها والحرب دائرة والدماء تسيل،وضرب سعيد يومئذ رجلا من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم حصارا شـديدا ينذر بالموت عاجلا أو آجلا ، فسألوه الأمان ، فأعطاهم « على ألا يقتل منهم رجلا واحـدا » ففتحوا الحصـن ، فقتلهم جميعا الا رجلا واحدا،وحوى ما كان فى الحصن ، وهلك معه محمد ابن الحكم بن عقيل الثقفى جـــد (يوسف بن عمر) وفتح صحـارى تسمى (نامية) وثبت الأمن فى أطراف الدولة شرقا .

ولمـا رجع من غزواته الى الكوفة استقبله (كعب بن جعيـل) مادحا بقصيدة منها :

فنعم الفتى اذ جال جيلان دونه ... واذ هبطوا من دستبى ثم أبهرا

تعلم سعـيد الخـير أن مطيتى ... اذا هبطت أشفقت من أن تعقرا

كأنك يوم الشعب ليث خفيـــة ... تحـرد من ليث العرين وأصـــحرا

تسوس الذى ماساس قبلك واحد ... ثمانين ألفـــا دارعين وحسرا

---

(١) منهم شهيد مرج الصفر مجلة الأزهر ١٩٧٣ م .

وهكذا أثبت سعيد أنه بطل حربى، ومجاهد قرشى يملأ الايمان قلبه يتحرى فى الدين، وينصح للمسلمين، قائد موفق وشجاع باسل ، وذو بديهة حاضرة ، وعقل أريب فما الذى قصر به به حين ولى الكوفة ؟ أيكون قائدا خيرا منه واليا ؟ ولايغنى الاعجاب به من الحكم له أو عليه ، ان أمورا تعترى القوى الحصيف فتعوقه عن سلكه ، وتحجب عنه الرؤية الصحيحة فهل كان سعيد من هذا النوع ؟ ان مجموع تصرفاته فى الكوفة كانت عليه لا له : عزل عثمان (الوليد بن عقبة) لاتهامه بشرب الخمر ، وولاه مكانه ، فماذا فعل حين وصل ؟ يقول ابن سعد فى طبقاته : قدم الكوفة شابا مترفا ليست له سابقة ، فقال : لا أصعد المنبر حتى يطهر ، فأمر به فغسل ، ثم صعد المنبر فخطب أهل الكوفة ، فنسبهم الى الشقاق ثم قال : «انما هذا السواد بستان لأغيلمة قريش» بداية غير موفقة ، أهان سلفه وهو ابن عمه ، وأخو الخليفة لأمه ، وأضعف منزلة الولاة ، وشجع الحاقدين على قريش ، وقد بدأت الألسنة تقول صدقا أو كذبا ، وأول ما كان يقال : ان عثمان يولى الأحداث من أقاربه ، ويترك الجلة من الصحابة ، مع أن كل واحد من الذين اعترض الثوار عليهم من المقدرة الحربية والادارية بمنزلة عظيمة ، لكنه الحسد والطمع ووسوسة المال . كان الوليد بن عقبة رجلا نبيلا سخيا لا باب لداره ، يغشاه الناس ليلا ونهارا وينام وهم قعود . أبعد هذا سماحة وديمقراطية كما نقول اليوم ؟ ولكنه تعرض للتهمة والعزل واقامة الحد ، وحل محله سعيد ، ففعل فعلة المنبر ، فهل أرضى أهل الكوفة ؟ جاء ما فعله عكس المراد ، فأشاعوا عنه الشح وهو السخى ، والشدة وهو اللين ، فكانت الولائد وعليهن الحداد يقلن :

يا ويلتا عزل الوليد
وجاءنا مجوعا سعيد

ينقص فى الصاع ولايزيد
فجوع الاماء والعبيد

ولم يكن هو كما وصفن . بل كان أحد أجداد الاسلام ، وسيأتى ذلك فى مكانه ، وكانت العيون مصوبة عليه ، تحصى عليه حركاته وكلماته، والحاكم كالمدرس فى فصله يؤدى عمله ما رأى الحب والاصغاء فحين يحرمهما يضطرب ، وقد يخطىء فى العلاج .

أهل الكوفة من القبائل الحاسدة لا يرضيهم فعله ، والقرشيون أنفسهم لا ترضيهم معاملته ؛ كان الناس ينتظرون هلال شوال • فقال : من رأى الهلال منكم ؟ فقال القوم : ما رأيناه • فقال هاشم بن عتبة بن أبى وقاص : أنا رأيته • فقال له سعيد : بعينك هذه السوداء رأيته من بين القوم ؟ وكانت عينه أصيبت يوم اليرموك ، ثم أصبح هاشم فى داره مفطرا وغدى الناس عنده فبلغ ذلك سعيدا ، فأرسل اليه فضربه ، وأحرق داره،ومقبول منه أن يؤدب، وليس مقبولا أن يشعل النار فى الدور، وكان صدى ذلك أن غضبت (زهرة) واحتج سعد بن أبى وقاص عند عثمان • فقال عثمان : سعيد لكم بهاشم ، اضربوه بضربه ، ودار سعيد بدار هاشم فأحرقوها ، وانتهز عمر ابن سعد الفرصة فأشعل النار فى دار سعيد بالمدينة ، وغضبت أم المؤمنين عائشة فخرجت ، وصاحت بسعد بن أبى وقاص أن يكف ، فأطاع •

وقدم سعيد الى المدينة وافدا على الخليفة ، فبعث الى وجوه المهاجرين والانصار بصلات وكسا ؛وبعث الى على بن أبى طالب أيضا ، فقبلت هداياه وقال على : ان بنى أمية ليفوقونى تراث محمد عليه السلام تفوقا ؛ والله لئن بقيت لهم لأنفضنهم من ذلك نفض القصاب التراب الوذمة) فلم يرض عليا ولا من قبلوا هداياه •

وزاد أهل الكوفة فى الشائعات؛ وهى أقوال كانت مقصودة لاحراج الخليفة ، وبعث الفتنة من مرقدها فاشتد عليهم ، فالجأوا الى عثمان شاكين ؛ فلم يقبل شكواهم ، ورده اليهم ، ولكنهم خالفوا وتحدوا أمر الخليفة ، فرصدوه فى الطريق ، وهددوه بالقتل فرجع • وأعلن (الأشتر) أنه ولى أبا موسى الأشعرى على الكوفة ، وقبل أبو موسى بشرط أن يبايعوا لعثمان من جديد ، فجددوا البيعة ، وبلغ عثمان مافعلوا ، فأعجب به وأقره ، وكان هذا أول وهن أصاب الخلافة وجرأ دعاة الفتنة •

وجاءت الأحداث الكبرى ، وقتل الخليفة ، وابتلى سعيد بن العاص بها ، ودافع عن عثمان دفاع المستميت حتى جرح وحمل فلما خرج طلحة والزبير وعائشة من مكة يريدون البصرة للأخذ بثأر عثمان خرج معهم سعيد وكثير من بنى أمية ، فلما نزلوا مر الظهران قام سعيد خطيبا • فقال :

أما بعد فان عثمان عاش فى الدنيا حميدا ، وخرج منها فقيدا ، وتوفى سعيدا شهيدا ، فضاعف الله حسناته ، وحط سيئاته ، ورفع درجاته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وقد زعمتم أيها الناس أنكم انما تخرجون تطلبون بدم عثمان ، فان كنتم ذلك تريدون فان قتلة عثمان على صدور هذه المطى وأعجازها ، فميلوا عليهم بأسيافكم ، والا فانصرفوا الى منازلكم ؛ ولا تقتلوا فى رضا المخلوقين أنفسكم ، ولا يغنى الناس عنكم يوم القيامة شيئا . فقال مروان ابن الحكم . لا ، بل نضرب بعضهم ببعض ، فمن قتل كان الظفر فيه ، ويبقى الباقى فنطلبه وهو واهن ضعيف . وقام المغيرة بن شعبة فأيد سعيدا ، ورجع بهوازن حتى نزل الطائف ، ورجع سعيد بمن اتبعه حتى نزل مكة ، ومكث فيها ، فلم يشترك فى الوقائع لا فى معركة الجمل ولا فى معركة صفين .

أكان مقتل عثمان ايقاظا له من أحلام كان يحلم بها أم أن الحوادث كشفت عن عينه الغطاء ، فأعادته الى فطرته كما كان أيام عمر ؟ وأنا أميل الى أن الرجل لم يكن من طلاب الخلافة وحصرها فى بنى أمية ، ولم يكن ممن يغلب مطامع الدنيا على منازل الآخرة ، وخطبته تدل على مسلكه ، أما مروان فكان يحلم بجعل الخلافة أموية وكان يهتف بها وعثمان محاصر ، وأثناء زحفه مع طلحة والزبير قال : يجب أن يولى الخلافة أحد أبناء عثمان وحين هزم فى موقعة الجمل بايع عليا ثم نكص على عقبه ، فكان مع معاوية على على ومعروف أنه ، أقرب الناس رحما الى عثمان فهو ابن عمه دنيا ، أما سعيد فهو فى درجة معاوية يجتمع مع عثمان فى أمية ولئن فاته أن يكون الأمر لأبناء عثمان فلا بأس بمعاوية . أما سعيد فقد اعتزل الحرب الدائرة ، وبقى بمكة الى حين .

وانتهى الصراع بتنازل الحسن بن على لمعاوية ، ورأى معاوية أن يستعين بسعيد فى أمر من أموره فأسند اليه حكم المدينة ، وكان معاوية يخشى بنى أمية كما كان يخشى غيرهم من قريش ؛ ولاسيما بنو هاشم وآل الزبير ، وبعض الشخصيات المحبوبة مثل ابن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وخشيته من بنى أمية أكبر فحال بين سعيد ومروان وحكم

العراق ، وجعلهما للمدينة يولى هذا ثم يعزله ، ثم يولى الآخر ؛ ويضع زميله مكانه ، على طريقة (فرق تسد) وسعيد ومروان خير من غيرهما على كل حال رضى سعيد بما صار اليه وخدمة الدولة واجب لايتخلى عنه ؛ ولكن معاوية لا يتركه ليستقر فهو وراءه بالتولية والعزل والايقاع بينه وبين مروان ضمانا لمستقبل يزيد ، من ذلك أن معاوية كتب اليه وهو والى المدينة أن يهدم دار مروان فلم يهدمها ، فأعاد عليه الأمر بكتاب آخر فلم يفعل ، فعزله وولى مروان ، واحتفظ سعيد بالكتابين عند جارية له،فأرسل معاوية الى مروان يأمر بقبض أموال سعيد بالحجاز ،فما كان من مروان الا أن أشخص ابنه عبد الملك لتنفيذ أوامر معاوية فلما تقابل الرجلان . قال سعيد لو كان الأمر شيئا غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيت ، ودعا بالكتابين اللذين كتبهما معاوية اليه فى أموال مروان وهدم داره ، فأخذهما عبد الملك ، وذهب بهما الى أبيه . فقال مروان : لقد كان أوصل لنا مناله .

كان سعيد يتحلى بشمائل عرفت عنه ، وترجمت فى أعمال ، ومن شمائله النبل وقد تجلى ذلك فى موقفه من مروان فلم يهدم داره . ولم يقابله بالجفاء حين اراد قبض ماله ، بل رده بكشف أمر الخليفة . ومن شمائله الذكاء وقد رأيناه فى تصرفه مع أهل طبرستان وكان شجاعا باسلا ، ورجوعه حين صد عن دخول الكوفة لا يدل على جبن منه . فهو لا يسفك الدماء الا بأمر الخليفة . والخليفة لايرضى أن تسفك الدماء . لقد كان رأيه أن يقتل القائمين باذاعة القالة السيئة فى أمر الخليفة فأبى عثمان قائلا: «ان رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها » .

أما السخاء فكان طبيعة فيه ، يصدر عنه كما تصدر أشعة الشمس عنها ، فهو أحد الأجواد الثلاثة الذين ظهروا فى الحجاز بعد ظهور الاسلام عبيد الله بن عباس ، وعبد اللهبن جعفر وسعيد بن العاص ، وفى الكتبالأدبية حديث طويل عن عطائه وسخائه ؛ وأنا أختار لك منها نادرة واحدة تدل على منهجه فى الكرم.قال الأصمعى: كان سعيد بن العاص يسمر معهسماره الى أن ينقضى حين منالليل ، فانصرف عنه النوم ليلة ورجل قاعد لم يقم ؛ فأمر سعيد باطفاء الشمعة ؛ وقال : ماحاجتك يا فتى ، فذكر أن عليه دينا أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها ؛

وكان اطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه ولاعجب فى ذلك فهو القائل فى احدى خطبه : قبح الله المعروف ان لم يكن ابتداء من غير مسألة ، فما المعروف عوض من مسألة ، الرجل اذا بذل وجهه . . . اللهم ؛ فان كانت الدنيا لها عندى حظ فلاتجعل لى حظا فى الآخرة . وكان يقول : لجليسى على ثلاث : اذا دنا رحبت به ، واذا جلس وسعت له ، واذا حدث أقبلت عليه ، يقول : ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم ؛ ولا يمنع هذا أن يترفع اذا اقتضى الأمر الترفع . كتب اليه (١) زياد وقد الحق بأبى سفيان يخطب اليه ابنته ، وبعث اليه بمال كثير وهدايا فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بتسليم المال والهدايا وأن يقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : انها أكبر من ظنك . قال: أنا أكثر منها . ثم وقع الى زياد فى أسفل كتابه : «كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» ومع ذلك فقد كان سهلا طلق الوجه ، جميل الخطاب ؛ محببا الى الناس ، وأنا أنقل لك تلك النادرة التى رواها بن عبد ربه فى عقده . قال : كان فى المدينة فى الصدر الأول مغن يقال له (قند) وهو مولى سعد بن أبى وقاص ، وكانت أم المؤمنين عائشة تعطف عليه وتمنع سعدا من الغلظة فى معاملته ، وكان معاوية يعقب بين مروان وسعيد على المدينة يستعمل هذا سنة وهذا سنة ، وكان فى مروان شدة وغلظة ، وفى سعيد لين عريكة ، فلقى مروان قندا المغنى وهو معزول عن المدينة ، وبيده عكازه ، فلما رآه قال :

قل (لقند) يشيع الأظعانا
ربما سر عيننا وكفانا

فقال قند: لا اله الا الله ، ماأسمجك واليا ومعزولا .

وفى عهد سعيد سنة خمسين من الهجرة توفى الحسن بن على رضى الله عنه فصلى عليه سعيد .

هذا ويجتمع سعيد بن العاص من حيث النسب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف . وقد توفى سنة ٥٩ هـ بعد أن ترك أعمالا مذكورة أقلها الولاية ، وقد عبر الشعراء عنه وعن شمائله فى كثير من القصائد .

لقد كان بقية أسرة ، ولكنه بقية نافعة .

السيد حسن قرون

---

(١) العقد الفريد ج ٧ تحقيق سيد العريان .

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

شوقي كانت تهزه معاني البطولة ، ويطرب للعبقريات ، ويعجبه الكمال الانساني كله ، ويرى في هذه الأشياء جوانب من فضل الله على الناس لا يراه سواه ، ولا يدركه غيره ؟ وهو حينما يغني لتلك الفضائل ، ويتحدث عنها ، ويصور لها ، ويطوف بكعبتها ؛ ويصلي عندها ، تشتد فتنته بها ؟ واكباره لها ، لأمرين اثنين ، كلاهما له عنده قداسته واحترامه ، وتقديره البالغ نهاية التقدير ، الأول أن بصيرته النافذة ، وادراكه الدقيق ، وشفافيته المرهفة ، كانت عونه على هذا الادراك الذي ارتفع به الى مستوى الالهام الذي يشبه الوحي ، والثاني أنها كانت معينا لا ينضب لشاعريته التي جعلته يحلق في سماء الموهوبين من الفلاسفة والمفكرين ، ويرى بعد ذلك كله أن هذا الجو الذي أصبح يطير فيه هو دنيا السعادة التي ينشدها البشر فلا يجدونها الا في الأحلام أو الأوهام ، وهو حينما يظفر بصورة من هذه الصور التي يرسمها له فنه ، ويتخيلها ذهنه ، ويمتلىء بها حسه ، يطيب خاطره ، ويطمئن قلبه ؛ ولا يسعه هذا الكون مع رحبه واتساع رقعته ، وربما رأيته يطرب لصورة حيوان أو نبات أو جماد ؛ كما تراه يتحدث عن انسان يخالف دينه ومذهبه ، والعناوين التي ورد ذكرها في كتابه « دول العرب وعظماء الاسلام » كلها كانت تهزه ويطرب لها ، وفي ثنايا شعره الموزع على أجزاء الشوقيات قضايا اسلامية كثيرة ، يقف منها موقف المدافع عنها ، أو الداعي اليها ، أو المبين لحكمة التشريع فيها ، وقد تقتضيه الحال أن يكرر ذلك في مناسبات تعرض له ، الا أن هذا التكرار لا يخلع عليها من الابتذال ، ما يجعلها ثقيلة على القارىء ، أو بغيضة اليه ؟ أو نازلة عن المستوى البلاغي الذي تعوده من الشاعر ؟ وألف أن يراه في ثنايا قصائده ... ونحن اذا كنا نستقصي حديثه عن شخصية

الرسول صلى الله عليه وسلم فى ديوانه الضخم لا نجد دائما أبدا الا جديدا من الروعة ؛ طريفا من البيان بديعا من الحسن ؛ فريدا من البلاغة غريبا من صور الالاقة والجمال يجمعها على شعره ، فلا ندرى عند مرورنا بها ؛ ووقوفنا على أطلالها أيهما كان أكثر ابداعا ؛ واروع تصويرا ، وأخصب حسنا وجمالا وربما رأيته يتناول الميلاد أو الهجرة على عادة الناس فى المناسبات الخاصة ـ مثل قصيدته التى كانت بعنوان «ذكرى المولد » أو مطولتيه الهمزية والميمية التى عارض بها البوصيرى ، فلا تكاد تزعم لنفسك أو لاحد من الناس أنه يكرر المعنى الواحد ، أو أن ديباجته هنا تشبه ديباجته هنالك ... والحديث عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم كتاريخ اشتمل على أحداث ، وتضمن خطوات من الزمن ، تنوعت فيها الحياة ، واختلفت الأيام ، وجرى فيها دولاب الحظوظ باليمن والخير ، والبؤس والنعيم ، يشبه الى حد بعيد القضايا المتضاربة ، أو الأمور المتناسقة ، أو الخطوط المتساوية الأطوال والأبعاد ، لأن مهمة الكاتب فيها لاتتجاوز السرد أو التسجيل دون أن يزيد فى الحقيقة سطرا واحدا ، وماكنا نظن وهذا الرجل يتناول ذلك الموضوع أنه يخرج عن هذا الخط ، أو يتجوز ذلك النطاق ، وبخاصة اذا لاحظنا أن المؤرخ ليس من حقه الا أن يكون جهاز تسجيل فقط لا أكثر ولا أقل ، وأنه حينما يخرج عن هذا المبدأ أو يتجاوز ذلك النطاق ، يحيط نفسه بالريبة ، ويمكن خصومه من طرح الثقة به ، والاطمئنان اليه ووصفه بالتقول والاختلاق ، ولاسيما ونحن نضيف الى ذلك كله أنه يقيد نفسه بقيد الوزن والقافية ، ويرتبط بالبحر العروضى الخاص .. ولهذا فاننا أمام سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التى جاءت فى كتابه « دول العرب وعظماء الاسلام » نقف موقف الاعجاب والاكبار ، لأن التاريخ الذى كنا نحفظه ، والأحداث التى كنا نعرفها ، والمواقف التى كنا نعى أخبارها ، أصبحت أمام ذلك كله شيئا آخر ، فلا فيها ملامح ما نحفظ ، ولا آثار ما نعى ، كأن الحقيقة هنا غيرها هنالك وهكذا ... فميلاده الذى أحاط به اليتم ، ونشأته التى اكتنف بها الفقر ، ودعوته التى قابلوها بالصد والاعراض ، وايذاء قريش له ، وصنيع اليهود معه ، واضطراره أمام

ذلك كله الى الحرب كشر لابد منه؟ هذه أمور لاينكرها مؤرخ ولاينكرها صيرورة هذه كلها قضايا اشبه بالقضايا ـ كذلك ـ صديق ولا عدو ، لكن صيرورة هذه كلها قضايا أشبه بالقضايا التى يقول عنها علماء القانون انها ذات مبادىء يأخذ الناس منها دستوراً ، ويمدون منها خيوطا ، ويجعلون منها مصدرا من مصادر التشريع ، هو ما يلفت النظر ، ويدعو الى التأمل ، ويحمل على التفكير والدراسة ، واذا كان الشعر يخلق من الحبة قبة ـ أوجبه ـ فان ميزة هذا الشعر الذى يسجل فيه شوقى تاريخ النبوة الطاهرة ، لايدعك فى صحراء موحشة ، ولا فى قفر بل تنتقل فيه من حزن الى سهل ، أو تصعد الى جبل ثم تنزل الى سفح، من غير ترويح لنفسك ، وامتاع لخاطرك ، يعرض عليك نشأة الطفولة فى كنف الفقر واليتم ، وكفالة جده له ، ثم عمه من بعده ، وأن ذلك كله لم يتناول اباءه وعزة نفسه ، شأن أمثاله الذين يشبون على هذا الدين، ويعقب عليه بقوله :

فشب حلوا سمته ودله
ليس له من اليتيم ذله
مرتسما فى أدب الاسلام
من اجتناب الخمر والأزلام
منحرفا عن الدمى صبيا
وهكذا من يجتبى نبيا
مبرأ من نزق وطيش
وخيلاء فى بنى قريش
ملقبا فى البلد الأمين
دون بنى الأعيان بالأمين
فات قريشا بمكارم الخلق
مثل ابن عبد الله للسبق خلق
قد حاز من مواهب السعادة
ما لا يحوز بشر فى العادة
أكرم من صوب الحيا نصابا
وأجود الناس بما أصابا
وقائد الخيل فتى وكهلا
وكان فى المهد لذاك أهلا
كان قبيل البعث رب مال
وتاجرا ميسر الأعمال
يضرب فى حزن الفلا وسهله
بمال عمه ومال أهله
مبارك الرحلة والاقامة
مستصحب الجد والاستقامة

وهو فى هذه الأبيات يطوى صفحات من التاريخ ، ويمر بفترة من الزمن ويملأ سمعيك بحقائق أنت لاتنكرها، لأنك مررت بها طويلا ، ودارت بها رحى المناسبات أكثر من مرة،ووعيتها وعيا يجعلها منك بمنزلة اليقين الذى

لا تنكره ، والحق الذى لا تشك فيه ، والبديهى الذى لا تطلب عليه الدليل ، وهى - مع هذا - لا تتفاوت فيها أقلام الكاتبين ، وبخاصة حينما يريدون بها - أو منها - أن تكون تسجيلا أو سردا ، الا أن الشاعر وهو يخاطب الناس بذوق السادة ، وأدب الخاصة ، وادراك العلية ، وشعور الموهوبين ، والهام الفلاسفة ، يرتفع بهم عن هذا التراب القاتم ، والجو الملبد ، والأفق الذى تعيش فيه الهوام والحشرات ، وهنالك ترى صورا أخرى ، وحقائق لا عهد لك بها من قبل ، وحينئذ لا تشك فى أن هذا الطفل الذى كان يدرج بينهم ، ويعيش معهم ، وكانت العناية الالهية تحرسه وترعاه ، وتحفظه وتصونه ، وتأخذ بيده فى كل أحواله وأعماله ، وقصده واتجاهه ، لتكون صفحات حياته أبيض من الصبح ، وأنقى من النجوم ، وأطهر من ماء المزن ، وأكرم على الله وعلى الناس من كل شىء بعد ذلك ، ولهذا فقد كان له من هذا الماضى رصيد ضخم من الفخر الذى لم يتطاول كبرياء أحد من أهل مكة الذين كانت لهم السيادة على العرب ، والعزة فيهم ، وكان هذا الرصيد عونه الأول على كفايته عليهم ، وتقدمه فيهم ، واستحقاقه دونهم جميعا ، أن يكون هو الرجل الذى يكون له السبق ، وتكون له الصدارة ، حينما يفتقدون انسانا لنزاع قائم ، أو خلاف طارىء ، أو خصومة عارضة ، أو حق يتجاذبون أطرافه ، وفى كتب السيرة أكثر من شاهد واحد على أنه فى سن مبكرة كان يحكم فى الأمور ، ويؤخذ برأيه فى النزاع ، وينزل الناس على توجيهاته فيما يشتبه عليهم من الأشياء ، وكأن ذلك كله كان هو الارهاص الذى يسبق المعجزة . وقد عهدت البشرية فى الأبطال أو العظماء ألا تجرى نشأتهم منذ الطفولة على النسق العادى ، أو الأسلوب المألوف ، وانما يكون لهم سمت خاص ، وسلوك فريد ، واستقامة على الجادة ، قد يكون لهم فى بعض الأحايين أن ينسبوها الى البيئة أو الوراثة أو ما شئت من أسباب وعلل ، أما أن تكون ولا شىء من ذلك كله يرتبط بها ، أو يمكن أن يجعل علة لها ، فذلك هو الذى يحتاج الى نظر واعتبار يذكرنا به ماقيل فى أسباب نزول سورة «الضحى» من أنه صلى الله عليه وسلم فى مبدأ أمره فتر عنه الوحى مدة طويلة ساعدت على افتراءات قريش أن محمدا تخلى عنه ربه فلم يعد يصله بجبريل ،

ولا ينزل عليه القرآن . ولا يشرفه بأن يكون همزة الوصل بينه وبين الناس ، وفى هذه الآونة كان لابد أن يقول له « والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلا وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى...الخ السورة » وفيها الدليل على اجتبائه له ، واهتمامه به ، وأنه كان يصنعه على عينه ، لا يتخلى عنه ، ولا يتركه وشأنه أبدا ، وليس بعجيب بعد ذلك أن يكون فى طباعه وسمته ، وأدبه وسلوكه ، وحركته وسكونه ، واقباله وادباره ، وقوله وفعله ، نموذجا للكمال ، وصورة من صور الفضيلة ، ومعنى من معانى الانسانية الصحيحة التى لا تمويه فيها ولا زيف ، ولا تشبويه فيها ولا مسخ ، لأنه عنوان تحدى الله به كل العناوين،وجعله فى قمة المصطفين الأخيار من عباده...ولعل من المواقف الرائعة الدالة على أنه سبحانه وتعالى كان دائم الرعاية له ، والاهتمام به، والدفاع عنه ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، هذا الموقف كان فى هجرته صلى الله عليه وسلم على الرغم من اجماع رأيهم على قتله ، ووقوفهم بباب داره لكى يحولوا بينه وبين الهرب منهم ، ولكن ذلك كما تقول الآية القرآنية « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » فانه كان على مرأى أبصارهم ولم يروه ، ورمى بالتراب فى وجوههم وهو يقول شاهت الوجوه ، وكأن الله قد غطى على أعينهم .. ولهذه الصورة حقيقتها كما يتخيلها الانسان ، أوكما يتوهمها المتوهم ، لأنها على ما هى عليه فى كتابة المؤرخين وأرباب السير تتسع للاضافات والزيادات الا أن الشاعر الكبير وهو يبدع نسجها ، ويحكم تأليفها ، يجيء بها على شكل آخر يجعل لها قبولا واذعانا ، ورضا واطمئنانا .

فخرج الله من البيت به
لم يره الجمع ولم ينتبه ..
وسار فى ركابه الصديق
وفى البلاء يعرف الصديق
فانتشرت خيل قريش تطلبه
من ينصر الرحمان من ذا يغلبه
مروا على الغار مضللينا
وأخذوا السبل مسائلينا

ولا يزال يمشى على هذا النهج ، ويأتى من غرره بهذا النسج ، فلا يذكر تاريخا ولكنه ينظم دروا ، لا فى الصياغة والبلاغة ، وانما فى

التحليل والتعليل ، وبتلك اللمسات الخفيفة اللطيفة التى يعلق بها ، أو يعلن فيها رأيه ، وبخاصة حينما يدرك انه امام آراء تتصارع ، أو خلافات يناقض بعضها البعض ، وهكذا كان سنته فى كل المواقف الاسلامية التى تصدى لخوض فيها ، أو الحديث عنها ، له شخصية الأستاذ الكبير ، والقاضى الذى يعتمد الى جانب علمه بالقانون،وفقهه للموضوع على اجتهاده وذوقه ، ومقارنته وترجيحه ، والاستعانة بالظروف والملابسات التى يمكن أن يكون لها اعتبار فى القضية أو الحادثة ، وعلى الرغم من أن الشعر لا يصح أن يدخل فيه التعليل والتحليل لأن ذلك يخرج به عن أن يكون شعورا الا أننا تعودنا منه أن يكون كذلك ،وان كانت لباقة تصويره،وحسن عرضه ، وجمال أدائه ، تنأى به عن أن يفقد شعره تلك الخاصية ؛ خاصية الشعور الذى يكون من أثره اهتزاز القلب ، وطرب النفس ، وارتياح الخاطر واطمئنان الفؤاد .. وقد يكون السبب فى هذا... كل السبب أنه شذ عن القواعد ، وخرج عن المعايير ، ولأصحاب المواهب والعبقريات مقاييس أخرى غير مقاييس الناس ، وسنرى ان شاء الله ونحن نتابع حديثه عن الخلفاء الراشدين ، ولكل واحد منهم سمات وملامح كانت مثار جدل ، ومحل خلاف عند كثير من الكتاب أو المؤرخين ، الى أى مدى كان هو صاحب شخصية استقلالية ، يعرض الرأى،أو يفصل فى القضية ، فيدلك بذلك كله على أنه كان اليافعة الذى كانت تترقبه الجماهير،أوالحكم الذى طوى الناس بعده الأوراق ، وهذه احدى مزاياه التى فاق بها غيره، وتقدم بها على سواه ، أنه مع الشاعرية الكبيرة ، وبراعة التصوير ، وجمال النسج ، كان يملك ناصية المنطق ، ويجيد استخدام الحجة ، ويتمتع بقسط وافر من مهارة الاستدلال التى تقرن جولاته دائما أبدا بالفلج والبلج ، ومن حقك أن تشاركه هنا التشفى بهؤلاء الذين بغوا وطغوا ، واستبدوا واشتدوا ، فدارت عليهم الدوائر ، وصاروا عبرة للناس ، وهنالك تحمد للشعر تلك الموسيقى ، وتكبر فيه ذلك الرنين . وتشكر له هذه النبرات .

روما التى راع الساقَ ملكها
وهت يواقيت القرى من سلكها

أمست هوت من عرشها المعظم
وأصبح التاج كأن لم ينظم ..
لم تتق الله ولا الأياما
فى أمم سبتهمو أيامى
بنو الزمان فوقهم بنوها
تكبرا وسنة سنوها

ومن هذا الطراز ، وذلك اللون ، كان أمير الشعراء ، يخيل اليك ـ كما جاء فيمقدمة الكتاب ـ أنه يقطع الوقت ، ويروح عن النفس ، وينظم نظما يردده الأطفال ، ويعرفون به شيئا عن أمجاد أمتهم ، وأخبار أسلافهم ، لا أكثر ولا أقل ، وهوفى الوقت نفسه يضيف الى أمجاد أمته أمجادا ، والى أخبار أسلافه أخبارا ، سوف يتناقلها جيل عن جيل ، ليعلم بحق أن الرجل كان جيلا وحده ، وأمة بمفرده ، وفخرا لوادى النيل وللعروبة التى كان درة فى جبينها ؟

دكتور / ابراهيم على أبوالخشب

حقوق الإنسان في الإسلام والنظم الدولية المعاصرة

للأستاذ توفيق علي وهبه

خلق الله الانسان حرا ، فقدر له رزقه ، وقرر له حقوقه ؛ فأمر سبحانه بالعدل والاخاء والمساواة بين الناس .. لا فرق بين غني وفقير ، ولا حاكم ومحكوم ؛ فالكل سواء ؛ يرفع الانسان عمله الصالح ؛ ومحافظته على حقوق غيره فلا يعتدى حتى لا يعتدى عليه ولا يسلب الناس حقوقهم ، فيسلب حقه .

ففى العصور الأولى كان الأفراد يعيشون فى المجتمع محتفظين بكافة حقوقهم ، لا يمكن لانسان أن يعتدى على حق آخر ، والا لجأ هذا الأخير الى استعادة حقه المهضوم بالقوة فالقوة وحدها هي الوسيلة الى المحافظة على الحق ، بل هي رمز وجود الحق نفسه .

وتطور المجتمع ، وظهر نظام الأسرة والقبيلة ، وأصبح لرب الأسرة ورئيس القبيلة بعض الحقوق على هؤلاء الافراد ؛ وبمعنى آخر أن هؤلاء الأفراد تنازلوا عن بعض حقوقهم لرب الأسرة ولرئيس القبيلة مقابل مايتمتعون به من أمان واستقرار فى ظل الأسرة أو القبيلة .

وبدأت سلطة رب الأسرة تكبر شيئا فشيئا ؛ حتى سلب الخاضعين لسلطته كافة حقوقهم ولم يبق لهم الا الولاء والطاعة لرب الأسرة الذى يستطيع أن يبيعهم أو يتنازل عنهم أو يخرجهم من الأسرة أو يقتلهم دون ما رقيب عليه .

واستمرت سلطة رب الأسرة هذه الى أن ظهر نظام الدولة بالمعنى المعروف ، وتنازل أرباب الأسرة ورؤساء القبائل عن بعض سلطاتهم شيئا فشيئا . وحدث نفس الشيء الذى حدث للأفراد اذ بعد أن قوى الحاكم سلب أرباب الأسرة ورؤساء القبائل جميع سلطاتهم وأصبحوا كالأفراد العاديين ، سواء بسواء .. وأصبح الحاكم ـ الملك أو

أو الامبراطور - يجمع فى يده كل السلطات .. فكان الملك هو الدولة يملك الأرض والمال والأفراد، لا ينازعه فى ذلك منازع ، وقد كانت سلطة الملوك مبنية على أساس دينى فى بعض المجتمعات - كما كان فى مصر - وعلى أساس التفويض الالهى فى بعضها الآخر - كما كان فى اليونان .

ورغم هذا الظلم وهذا الاستبداد فقد عرفت المجتمعات القديمة بعض حقوق الانسان ، ودعت الى المحافظة عليها ، فاعترفت له بحريته ؛ وبانسانيته وكرامته .. فقد ظهر فى دول الشرق القديم ما يدل على أنهم قد احترموا حقوق الأفراد ؛ فى مصر القديمة وسومر والهند والصين وظهر المصلحون أمثال حمورابى ، وبوذا وزرادشت وكونفوشيوس وغيرهم ، ثم ظهرت تلك الحقوق فى بلاد الغرب عند الأغريق والرومان .

وعندما عرف نظام المدن السياسية عند الاغريق انقسم المجتمع الى ثلاث طبقات رئيسية تختلف كل منها عن الأخرى (١) .

١ - طبقة الأرقاء وكانوا يمثلون ثلث سكان أثينا ، ولم يكن لهم أى حقوق مدنية أو سياسة معترف بها .

٢ - طبقة الأجانب وكانوا من الأجانب الذين يقومون بالتجارة، وان اعترف لهم ببعض الحقوق الا أنهم يحرمون من الحقوق السياسية .

٣ - طبقة الأحرار ويعترف لهم بالحقوق السياسية وغيرها ، ولهم حق تولى الوظائف العامة ولم تقتصر الدعوة الى حقوق الانسان على هؤلاء فى الشرق وأولئك فى الغرب ، ولكن ظهرت أيضا فى الاديان السماوية جميعا .. قديمها وحديثها ، فكانت دعوة اليهودية الى احترام الانسان وعدم ظلمه أو اهانته واضحة فى التوراة .

وظل الحال على ذلك الى أن جاءت المسيحية ، فدعت الى الاخاء والمساواة. دعت الى العدل ونهت عن الظلم ... هكذا كانت المسيحية السمحة التى تميزت فى أول ظهورها بالفصل

---

(١) تاريخ القانون للدكتور صوفى ابو طالب .

المطلق بين الكنيسة والدولة (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر) ولكن هذا النظام لم يكن الا الى حين ، فما أن قويت المسيحية وكثر أنصارها حتى بدأ النزاع يدب بين الكنيسة والدولة . وضاعت حقوق الشعب بين رجلين البابا والامبراطور .

وظل هذا الصراع قائما حتى انتصرت السلطة الزمنية على الكنيسة فى القرن الخامس عشر .

وابان فترة الضعف والانحلال التى انقسمت فيها أوربا على نفسها ، واشتد فيها العداء بين الكنيسة والامبراطور ، كل يريد أن يقبض على زمام الأمور ، كان الاسلام قد انتشروظهرت دعوته الحقة الى مزج الدين بالدولة ؛ ولذلك كانت الخلافة عند المسلمين رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا .. وأخذ الاسلام بمبادىء العدالة والمساواة . وأقام الحريات المدنية والدينية والسياسة .. وغير ذلك من نظم الحريات المعروفة فى العصر الحديث .

واعترف كذلك للانسان بحقوقه الطبيعية التى لم تصل اليها حتى الآن معظم التشريعات والدساتير الحديثة .

ثم كان عصر النهضة فى أوربا بعد انتصار الدولة على الكنيسة ، وفى هذه الفترة ظل نظام الطبقات ، ولم يعترف للانسان الا بحقوق طفيفة وذلك طبقا للتطور الذى أدت اليه النهضة الحديثة وبعد أن ظهر كثير من الكتاب والمفكرين الذين نادوا بحقوق الفرد ، ووقفوا ضد نظام الحكم الفاسد الذى كان يقوم على أساس التفويض الالهى . ولا يعترف للأفراد بأية حقوق ــ اللهم الا القليل من الاشراف الذى كانوا يساعدون الامبراطور ــ بينما يلاقى عامة الشعب ــ الذى لاحق لهم قبل الدولة ــ ما يلاقونه من الاضطهاد والتعذيب .

وما أن قامت الثورة الامريكية والثورة الفرنسية حتى ظهرت فى الأفق ما يعرف بحقوق الانسان فأصدرت الثورة الامريكية وثيقة الحقوق » وأصدرت الثورة الفرنسية وثيقة حقوق الانسان ، التى تعترف لكل شخص بحقوقه الطبيعية ، وتدعو الى محاربة الظلم وعدم اهانة الانسان واهدار كرامته .. نادت بالحرية والمساواة بين المواطنين » وقررت حرية التملك لعامة الشعب الذى كان

وقفا على الاشراف ، كما قررت حرية العمل وحرية الصناعة والتجارة،ودعت الى اقامة العدالة بين الأفراد ، دون التدخل فى نشاطهم الاقتصادى ، وأكد اعلان حقوق الانسان فى فرنسا أن للانسان حقوقا طبيعية وثابته ، وأن الدولة لا تخلق هذه الحقوق ؛ لانها حقوق طبيعية ولاصقة بالفرد " وقامت الدولة لحماية هذه الحقوق لا لتقريرها .

كماتضمنت وثيقة الحقوق الامريكية نصوصا تؤكد أن للافراد حقوقا ثابتة وسابقة على نشأة الجماعة وأنه يجب على الدولة أن تحمى هذه الحقوق .

ولكن الذين نادوا بهذه الحقوق ، هم الذين انتهكوها ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تفرق قوانينها بين البيض والسود وتقتل جيوشها المطالبين بحرياتهم فى فيتنام والدمينيكان وغيرهما . وكذا فرنسا التى نادت بحوق الانسان ارتكبت فى عهد جمهورياتها السابقة أبشع الجرائم فى المستعمرات التى استولت عليها " فقتلت الأبرياء وعذبت المجاهدين ، ونكلت بالأحرار .

ان مافعلته فرنسا فى الجزائر لايمكن للضمير الانسانى أن ينساه ، ولا يمكن لانسان حر أن يقبله .

وما يقال عن فرنسا ؛ يقال بالنسبة لبريطانيا ؛ التىارتكبت من الجرائم فى حقوق الانسانية مايندى له جبين كل حر.ان سياسة الاستعمار واحدة فى كل زمان ومكان ، سياسة لاتعترف بحقوق البشر ؛ بل تتنافى مع أبسط القيم والمبادىء الانسانية . . .

وفى العصر الحاضر عندما وجدت الأمم المتحدة أن حقوق الانسان مهدرة . . وأن حرياته مصادرة أصدرت الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨الذى ينادى بحق كل انسان الطبيعى فى الحرية والعدالةوالمساواة

ولكن بعض الدول لم تنفذ هذا الاعلان ، وتعتدى عليه اعتداء صارخا بل ان بعضها الآخر امتنع عن التصويت عندما عرض الاعلان على الجمعية العامة للامم المتحدة ـ كما أن الحكومة الامريكية باقرارها لسياسة التفرقة العنصرية ، انما تعتدى على أهم حق من حقوق الانسان وهو المساواة بين المواطنين ، وكذا حكومة جنوب افريقيا التى تقرر التفرقة

العنصرية ؛ وتعمل على هضم حقوق الملونين – أصحاب البلاد الشرعيين وعدم الاعتراف بآدميتهم ، واستباحة حرياتهم .

ان حكومة اتحاد جنوب افريقيا لاتعترف الا بحقوق البيض ؛ وتفرق قوانينها بين مواطنيها وفى هذا تعد صريح على الحقوق الطبيعية للانسان وعلى ميثاق الامم المتحدة . .

والأمم المتحدة التى أصدرت الاعلان العالمى لحقوق الانسان هى نفسها التى أضاعت حقوق شعب فلسطين باعترافها بقيام اسرائيل ولم وان تستطيع أن تعيد اليهم حقوقهم ولكن يقع على العرب أنفسهم استعادة هذه الحقوق بأيديهم .

ان الاسلام بما قرره من حقوق للانسان – لايمكن الاعتداء عليها أو المساس بها انما قد سبق جميع الدول فى اقرارها . ان الدساتير الحديثة التى تنص على حقوق الأفراد ، انما تقرر حقوقا طبيعية لايجوز الاعتداء عليها . . ولكن تلك القوانين تلقى الاهمال وعدم الاكتراث من بعض الدول ، وليس لها من القوة الملزمة الا رونق الصياغة . .

ولكن الاسلام دأب على المحافظة على الحقوق ، وأقام الحريات ، ونهى عن الاعتداء على حقوق الآخرين ، وأعطى لولى الامر الحق فى التدخل لمنع الأفراد من الاعتداء على حقوق بعضهم البعض ، أو الحد من استعمالهم لبعض حقوقهم اذا أضروا بغيرهم لأن من القواعد الأصولية لهذا الدين ألا ضرر ولا ضرار ... ولم تكن دعوة الاسلام نظرية ولكن التطبيق العملى لازمها كروح لها .

ان الاسلام هو دين الفطرة الخالد الذى يحمى الانسان ، ويقرر حرياته ، ويحافظ على حقوقه ، ويرفع من شأنه ، ويكرم انسانيته ، ويصون كرامته ..

توفيق على وهبه

قيمة الرأى العام فى الإسلام

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

ما قيمة رضا الناس أو عدم رضاهم عن عمل الخير الذى يقوم به فرد من الأفراد ؟

وبعبارة أوضح : هل يجوز للواحد منا أن يصرف النظر تماما عن رضا الناس عنه اذا كان ما يؤديه من عمل الخير خالصا لوجه الله الكريم ، فلا يبالى بعد ذلك أرضى الناس أم سخطوا . ؟ أم أنه ينبغى عليه مع اخلاصه فى العمل لوجه الله ، أن يعطى لكلام الناس عنه شيئا من الاعتبار .. ؟

وبعبارة عصرية :

ما قيمة الرأى العام فى الاسلام ؟

ذلكم هو السؤال الذى سأله الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : « أرأيت الرجل الذى يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه » .. ؟

ولقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم : بقوله « تلك عاجل بشرى المؤمنين » .

يعنى : أن حمد الناس له ، علامة رضا الله عنه ، فتلك بشرى عجلت له فى حياته الدنيا ، تدل على منزلة كريمة ادخرت له عند الله فى الآخرة يقول صلى الله عليه وسلم (ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل . ثم ينادى فى السماء فيقول: ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض) « من الصحاح : المصباح للبغوتى » .

معنى هذا أن للرأى العام قيمة فى الاسلام ، وأنه ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار وأن ينال الاهتمام المناسب له. لكن ...

هل قيمة الرأى العام فى الاسلام، مطلقة بلا حدود ؟ كما هو الحال فى

المجتمعات الحديثة التى لا صلة لها بالاسلام ؟.

هل يصبح للرأى العام فى الاسلام أن يفرض ارادته ، أو يصنع قيمه الخاصة ، مهما تكن مخالفة للشريعة أو بعيدة عن روح الاسلام ؟

الجواب على ذلك : كلا بالتأكيد .

فانه لابد أولا : ألا يكون هذا الرأى العام معاديا للشريعة الاسلامية، وعاملا على هدمها .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان،ومن يتولهم منكم، فاؤلئك هم الظالمون » (التوبة/٢٣).

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو عشيرتهم .. » (٥٨ المجادلة) .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم .. » .

وانه ثانيا : لابد أن يلتزم الرأى العام الاسلامى بنصوص الشريعة ، وبأهدافها ، وتعاليمها » .

انه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

فطاعة الله هى الأساس .

وطاعة رسوله أساس آخر يرتكز على هذا الأساس الأول :

«من يطع الرسول فقد أطاع الله»

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فيأنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

وانه لابد ثالثا من أن يكون هذا الرأى العام نابعا فى مجتمع ملتزم بالشريعة الاسلامية سلوكا وتطبيقا ، — على وجه الاجمال وبقدر الطاقة البشرية العادية — فوق التزامه بها عقيدة ، وفكرا وعلما .

١ — واذن : فلا قيمة للرأى العام الذى يدين بعقيدة غيرعقيدة الاسلام.

٢ — ولا قيمة للرأى العام الذى يريد أن يسقط الشريعة الاسلامية ويرى أنها غير مناسبة للعصر الحديث .

٣ ـ ولا قيمة للرأى العام الذى يرى البطولة فى مصارع للثيران ، ولا يراها فى فدائى يدافع عن دينه ووطنه .

٤ ـ ولا قيمة للرأى العام الذى تستهويه أعمال الشر لبراعتها وحنكتها وعلو صوتها ، ويغفل عن أعمال الخير لضعف أصحابها ، وقلة حيلتهم ، وانكسار حالتهم .

٥ ـ ولا قيمة للرأى العام الذى يغلب على أصحابه الاستهتار بالقيم الخلقية ، والتهاون فى فرائض الدين وواجباته الأساسية .

معنى ذلك أن الرأى العام الذى له اعتباره فى الاسلام ، له ضوابط وقيود ، هو الرأى العام الذى ينبع فى مجتمع اسلامى حقيقى .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » .

فالناس الذين يعتبر رضاهم أو سخطهم ، هم المسلمون الملتزمون بدينهم : فكرا ، وعقيدة ، وسلوكا بقدر الطاقة البشرية العادية .

هذا هو الشرط الأول لقيمة الرأى العام فى الاسلام . وهو شرط يطلب من قبل المجتمع .

أما الشرط الثانى فيطلب من قبل الفرد الذى ينبغى عليه أن يعطى للرأى العام الاسلامى قيمته واعتباره .

ذلك هو ألا يجعل من رضا الناس عنه هدفا فى حد ذاته يخرجه من دائرة الاخلاص لله وايثاره على من سواه ، فيهبط بذلك من مستوى العبودية لله الى مستوى العبودية للناس . ويقع من ثم فى حضيض الشرك أو الرياء .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرياء . يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه .

وقال صلى الله عليه وسلم : لايقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء .

فاذا عرفنا هذين الشرطين من جانب المجتمع الذى ينبغى أن يكون مستقيما على شريعة الله ، ومن جانب الفرد الذى ينبغى عليه ألا يطلب رضا الرأى العام عنه لثواب يتلقاه منه ، وانما ليطمئن الى أنه يسلك الطريق المستقيم .

بقى أن نعرف أن حمد الناس لفرد من الأفراد أو طلب الفرد لرضا الرأى العام له حد يجب أن يقف عنده .

ذلك أن لا يغالى فيه حتى يصاب الفرد المحمود بالغرور والكبر .

يقول تعالى فى ذم الغرور :

« ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى ... » .

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

وروى أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

ويحك قطعت عنق صاحبك (يقوله مرارا) ان كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا ؟ وكذا ان كان يرى أنه كذلك وحسبه الله ، ولا يزكى على الله أحدا » .

(البخارى)

والسؤال الآن هو :

ما فائدة الاهتمام بالرأى العام اذا كان المرجع أولا وأخيرا هو محاسبة النفس على أساس العبودية لله والاخلاص له ، والتوجه اليه وحده ؟ .

والجواب على ذلك أن هذه الفائدة تتبين من أمرين :

١ ـ ان رضا الرأى العام الاسلامى المستقيم على شريعة الله يطمئن الفرد الى أنه يسلك طريق الله دون انحراف أو عوج ، فهو علامة على الاستقامة .

٢ ـ أن رضا الرأى العام الاسلامى المستقيم على شريعة الله يدل طريق الله فيما لم يأت فيه نص من الكتاب أو السنة أو يدل عليه قياس .

والخلاصة اذن :

أن للرأى العام قيمته فى الاسلام ولكن بالشروط التى ذكرناها : بأن يكون مستقيما على الشريعة الاسلامية .

وأن لا يكون مستندا الى الرياء .

وأن لا يؤدى الى كبر أو غرور .

فاذا لم يكن كذلك كان لا قيمة له فى الاسلام ، أو بمعنى آخر كان بحيث ينبغى الحذر منه ؛ وتقويمه .

أما اذا توفرت له تلك الشروط فان فائدته تتبين فى كونه علامة يطمئن بها الفرد الى أنه انما يسلك الطريق القويم الذى يؤدى الى رضا الله عنه، فرضا الله هو الغاية وهو الهدف...

يحى هاشم حسن فرغل

من أعلام الصحابة

سعيد بن زيد

"أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه"

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

هو الصحابى الجليل ، الطيب ابن الطيب ... سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل القرشى العدوى .

ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى كعب بن لؤى بن غالب .

وأمه فاطمة بنت بعجة من خزاعة .

واذا ذكر الحنفاء الذين فروا الى الله ، واجتنبوا الرجس من الأوثان قبل بعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجدنا زيد بن عمرو أبا سعيد فى مقدمة هؤلاء الحنفاء .

فقد بحث زيد بن عمرو بفطرته عن الحق طويلا ؟ حتى هداه الله اليه وكان يتعبد على دين الخليل ابراهيم عليه السلام .

تقول السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول : « يامعشر قريش ! والله ما فيكم أحد على دين ابراهيم غيرى » .

وكان اذا رأى أحدا من الجاهليين يؤذى ابنته أو يحاول وأدها منعه من ذلك ويقول له « اكفف عن هذا الفعل القبيح ، وأنا أكفيك مؤونتها لو شئت » .

عن عامر بن ربيعة قال :

كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين ، وكره عبادة الأوثان والحجارة فقال لى : « انى خالفت قومى واتبعت ملة ابراهيم ، وأنا أنتظر نبيا من ولد

اسماعيل يبعث ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فان طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام • قال عامر: « فلما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا » •

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال :

« يبعث يوم القيامة أمة وحده » •

وكان زيد بن عمرو ينشد هذه الأبيات :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

اذا سقيت بلدة من بلاد
سيقت اليها فسحت سجالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها
سواء وأرسى عليها الجبالا

وعاش زيد عابدا موحدا ، نموذجا وحده في الخلق الرفيع والسجايا الحميدة •

ومن هذا العنصر الطيب الصالح انحدر الصحابي الجليل سعيد بن زيد رضي الله عنه •

اسلامه

قال ابن سعد في طبقاته :

« أسلم سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها » •

وبهذا كان سعيد بن زيد من السابقين للاسلام ؛ وأسلمت معه زوجته فاطمة بنت الخطاب ؛ وتحول بيتهما الى دار القرآن الكريم ؛ ومنطلقا للدعوة الاسلامية •

وفي هذا البيت رفرفت ظلال الهداية حول عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بعد أن قرأ فيه آيات من سورة طه أو الحديد •

صفته وهجرته

قال الواقدي : كان سعيد بن زيد رجلا آدم (أي أسمر) طويلا ؛ أشعر (أي ذا شعر كثير) •

وقد هاجر هو وزوجته فاطمة الى المدينة المنورة ــ العاصمة الجديدة للدولة الاسلامية ــ ونزلا هناك على رفاعة بن المنذر أخى أبى لبابة .

وبدأ الصحابى الجليل حياته الاسلامية الجديدة مع أخوانه المؤمنين المتراحمين المتعاونين ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

اشتراكه فى بناء المجتمع الجديد

كان الصحابى الجليل سعيد بن زيد لبنة هامة من لبنات المجتمع الاسلامى الصاعد فى المدينة المنورة، وكان حركة مستمرة ، لا يهدأ ، ولا تعرف الراحة اليه سبيلا ... فكنت تراه كسوبا اذا غدا ، باسم الثغر اذا بدا .. يجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستمع منه ، ويعى عنه ، ويروى الحديث بعد الحديث .

ومن الأحاديث التى رواها لنا هذا الصحابى الجليل ، هذا الحديث الذى ينهى الناس عن الظلم وعواقبه الوخيمة .

عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من ظلم من الأرض شبرا طوقه (١) من سبع أرضين ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد » .

وله ثمانية وأربعون حديثا اتفق البخارى ومسلم على حديثين ، وانفرد البخارى بحديث له .

وكان سعيد بن زيد رضوان الله عليه يحرص على الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلتزم بأخلاق الاسلام فى جميع تصرفاته وأحواله .

وكان نموذجا رفيعا للمسلم فى بيعه وشرائه ، وسماحته وصفائه ، وأخذه وعطائه .

وكان رضى الله عنه يشترك اشتراكا فعليا فى كل عمل تعاونى بناء .

---

(١) اى طوقه الله واحاط به بسبب ظلمه .

جهاده فى سبيل الله

انطلق الصحابى الجليل سعيد بن زيد فى حياة الجهاد ، والكفاح ، مشمرا عن ساعد الجد ، وباذلا النفس والنفيس فى سبيل الله .

فالمجتمع الاسلامى فى صدر الاسلام كان بحق مجتمع جهاد واستشهاد ونضال وقتال لتكون كلمة الله هى العليا ؛ وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

وكانت أول مهمة قام بها سعيد بن زيد رضى الله عنه مع طلحة بن عبيد الله بتكليف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فعندما بلغه أن عير قريش قادمة من الشام وهى محملة بأنواع التجارة أرسل طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسبان خبر العير ؛ فخرجا حتى بلغا الحوراء فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت بهما العير ، فرجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبراه الخبر .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بلغه خبر العير ، فأسرع بأصحابه يريد لقاءها ، وتحول الأمر الى القتال فى غزوة بدر الكبرى ، التى انتصر فيها المسلمون ، وانهزم فيها المشركون .

وعندما رجع الصحابيان الجليلان ـ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ـ الى المدينة سمعا بتحرك المسلمين الى القتال ، فلم يستريحا من عناء السفر ، ولم يفرا من الجهاد بل واصلا السير ، وكانت أمنيتهما أن تجلجل سيوفهما فى رقاب الكفار وأن يشهدا ساحة الوغى .

فلما وصلا الى مكان المعركة وجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتهى من قتال المشركين ، فأسفا على حرمانهما من القتال أسفا شديدا .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم صدق نيتهما فأعلن أن لهما أسهما كأسهم المقاتلين وأجرا كأجر المجاهدين .

وقد كان للصحابى الجليل مهمات أخر ، وبطولات نضالية فى غزوة أحد ، وغزوة الخندق ، وغزوة خيبر ، وفتح مكة ، وغزوة حنين .

فقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن سعد فى طبقاته . ولا شك أنه

كان للصحابى الجليل دور عظيم فى فى حروب الردة وفى المواقع الاسلامية التاريخية المشهورة ذلك لأنه كان يرى الجهاد هو المقياس الذى يقاس به المؤمن والميزان الذى يوزن به المسلم فى هذه الحياة .

تفضيله الجهاد على الولاية :

كثير من الناس يتسابقون الى كراسى الحكم ، وطلب الجاه . وغاب عن هؤلاء الكثيرين أن الحكم مسئولية دقيقة أمام الله عز وجل ، وأن الحاكم أو الوالى اذا لم يعدل فى حكمه أو ولايته تعرض لعقاب الله وسخطه .

وفى هذا المقام تبرز بطولة أخرى من جوانب البطولة النادرة فى الصحابى الجليل حين يكبح جماح نفسه فيبتعد عن الحكم وملحقاته ، ويزهد فى الولاية واغراءاتها بعد أن يصبح واليا بالفعل .

ولا يترك الولاية ليؤثر السلامة ، والحياة الهانئة الوادعة .. بل يتركها طلبا للجهاد وركضا وراء الاستشهاد . وهذا هو الذى يجعلنا ننظر الى الصحابى الجليل بما هو أهل له من حب واعجاب وتقدير .

فقد كان رضى الله عنه مشتركا مع الجيوش الاسلامية الجرارة فى فتح الشام .. وبعد أن تم الفتح ولاه أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح ولاية دمشق وكان سعيد بن زيد أهلا لهذه الولاية لأمانته وصدقه وورعه وزهده ، ولكنه جلس مع نفسه ورأى أنه قد حرم من الجهاد بسبب الولاية فكره الولاية وقلاها . وكتب الى أبى عبيدة هذا المكتوب الخالد .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من سعيد بن زيد الى أبى عبيدة ابن الجراح .. سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو .. أما بعد .. فانى ماكنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسى وعلى مايدنينى (١) من مرضاة ربى فاذا أتاك كتابى هذا فابعث الى عملك من هو أرغب اليه منى فانى قادم عليك وشيكا ان شاء الله تعالى . والسلام عليك .. فلما بلغ الكتاب أبا عبيدة دعا يزيد

---

(١) يقربنى .

ابن أبى سفيان فقال : اكفنى دمشق والتحق الصحابى الجليل جنديا فى الجيش الاسلامى الفاتح .

وكان خط الزهد خطا عاما ومستقيما فى حياة الصحابى الجليل سعيد بن زيد رضى الله عنه .

فلم ينغمس فى الدنيا الواسعة . ولم يؤثر عنه فى حياته ترف عريض .

وقد يزهد بعض الناس من قلة ، فاذا ملكوا اتسعت مطامعهم ، ورق دينهم .

أما الصحابى الجليل فانه زهد فى الولاية بعد أن وصل اليها ، وزهد فى الدنيا بعد أن جاءه نصيبه الوافر من أرض السواد ، وهو نصيب يجعل المسلم فى عداد الأغنياء الأثرياء .

وجاء تسجيل زهد سعيد فى تقرير عام شامل ، طلبه الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب من أمين الأمة أبى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنهما .

فقد روى أن عمر أرسل الى أبى عبيده يقول له :

« أخبرنى عن حال الناس ، واخبرنى عن حال خالد بن الوليد أى رجل هو ، وأخبرنى عن يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص كيف هما ونصيحتهما للمسلمين ، وعن أخويك سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل كيف حالهما . والسلام » .

فكتب أبو عبيدة الى عمر بعد الديباجة يقول :

« أما بعد .. فخالد خير رجل وأنصحه للمسلمين ، وأشده على عدوهم ، وعمرو ويزيد نصحهما وجدهما كما تحب ... وأما عن سعيد ومعاذ فكما عهدت الا أن السواد زادهما فى الدنيا زهدا ، وفى الآخرة رغبة » .

شهادة النبى صلى الله عليه وسلم له بالجنة

ولقد كان للصحابى الجليل سعيد ابن زيد منزلة سامقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترجم لهذه المنزلة هذا الحديث .

* عن عبد الرحمن بن عوف قال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » .

(أخرجه أحمد والترمذى والبغوى فى المصابيح الحسان) .

الشخصية الممتدة

اتسعت جوانب الخير فى شخصية الصحابى الجليل سعيد بن زيد رضى الله عنه فكان موضع تقدير كبار الصحابة ، لما يرونه من عظيم فضله ، وانتشار بره ، وصادق عهده .

واذا لم يرد اسم سعيد بن زيد فى أصحاب الشورى الذين اختارهم الخليفة الثانى عمر بن الخطاب بعد طعنه فليس معنى هذا لتهمة علقت به ، ولا لأنه أقلهم شأنا ، ولكن ذلك يرجع الى المقاييس العمرية الدقيقة .. فقد رأى رضوان الله عليه أن يبعد عن الخلافة ولده عبد الله بن عمر ، وأن يبعد عن الخلافة والاستشارة ختنه وابن عمه سعيد بن زيد ، كى لا يقدم أحدا من أقاربه لهذه المسئولية الخطيرة ، مسئولية الخلافة والحكم بين الناس .

وكان سعيد رضى الله عنه مجاب الدعوة ، لأنه كان يحرص على المطعم الحلال ، والرزق الطيب الصالح ، والخوف من الله وخشيته فى كل حال .

واشتهر صلاح سعيد بن زيد ، كما زاد الرجاء فى قبول دعائه حتى أوصته احدى أمهات المؤمنين أن يصلى على جنازتها .. وانها لمنزلة عالية لا يصل اليها الا القليل القليل .

وعاش الصحابى الجليل حياة حافلة بالخير ، ذاخرة بالحركة ، ممتدة بالتقوى والعمل الصالح والمائدة المدودة والانفتاح على سبل الصلاح والفلاح .

وفاته

وانطوت صفحة من صفحات التاريخ المسطرة بأحداث الجهاد والكفاح ، فمات الصحابى الجليل سعيد بن زيد بالعقيق ثم حمل الى

المدينة ودفن بها . وكان ذلك سنة خمسين أو احدى وخمسين هجرية عن بضع وسبعين سنة (١) .

وكانت وفاته يوم جمعة ، وأشرف على تجهيزه الصحابيان الجليلان سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

رحمك الله ياسعيد بن زيد .

كان أبوك أمة وحده ، وكنت أنت من بعده أمة وحدك ، فرضى الله عنك وأرضاك ، وأنزلك المنزل الكريم وأحسن مثواك . آمين .

احمد عبد الجواد الدومى

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٨٠ وراجع سيرة الصحابى الجليل فى كتاب الرياض النضرة للمحب الطبرى والاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى .

تعقيبات على ما يكتب وما يذاع
لا «مشبعات» ولا «مغذيات»

للأستاذ على حسن البولاقى

— ٢ —

(فى بعض كتب الفقه الحنفى) مامعناه « قليل الرضاع وكثيره يوجب تحريم النكاح عندنا ، وقال الشافعى لا يوجب التحريم الا خمس رضعات مشبعات » .

(وفى بعض كتب الفقه المالكى) مثل ذلك ، الا أنه قال « مغذيات » بدل « مشبعات » .

(أقول) ان «مشبعات» و«مغذيات» اللتان نسبهما الكاتبان الى امامنا الشافعى — لا تصح نسبتهما اليه ولا الى أحد من أصحابه بل لا تصح نسبتهما الى أحد الأئمة الأربعة وأتباعهم ، فالامام أبو حنيفة وأصحابه والامام مالك وأصحابه يقولون ان قليل الرضاع يفيد التحريم ولو كان الواصل الى معدة الطفل قطرة واحدة ، وبهذا قال أحمد فى احدى روايات ثلاث عنه ، وقال فى الرواية الثانية لا تحريم الا بثلاث رضعات ، وفى الرواية الثالثة لا تحريم الى بخمس رضعات وهذه هى الرواية التى رجحها أصحابه ، وقال الشافعى لا تحريم الا بخمس رضعات ، ولم يقيد بالاشباع ولا بالتغذى ، وهذه كتب الشافعية مخطوطها ومطبوعها تملأ الرحب من دور الكتب فى مصر وفى سائر بلاد العالم ، ولم نجد فى أمهاتها ما ينسب الى الشافعى أو الى غيره اشتراط الاشباع أو التغذى فى التحريم بالارضاع ، بل أفادت نصوصها أن الرضعة يضبطها العرف وقد يكون الواصل منها الى معدة الطفل قطرة واحدة .

وقد ضربوا للعرف الذى تضبط به الرضعة أمثلة فقالوا :

لو قطع الرضيع الرضاع اعراضا عن الثدى ثم عاد اليه ولو من فوره

فالرضاع السابق على الاعراض يعتبر رضعة كاملة ويكون احدى الخمس ، والذى يليه يعتبر رضعة أخرى .

ولو قطعته عليه المرضعة اعراضا عنه بغير اختياره فانه يعتبر رضعة كاملة حتى لو أعادته الى الثدى أو عاد هو اليه ولو فى الحال لم يلحق بما قبله بل يكون رضعة ثانية .

وليس للمقدار الذى اعتبر رضعة حد ، فالقليل والكثير منه سواء ، حتى القطرة الواحدة كما ذكرنا .

ولو طارت قطرة فدخلت فم الطفل بغير اختياره فوصلت الى معدته فانها تعتبر رضعة اذ لا يشترط أن يتناول الطفل الثدى ولا أن يمص منه اللبن ولا أن يشرب اللبن باختياره ولا أن يكون متيقظا كما لا يشترط أن يكون لبن المرضعة بحالة فلو نزع الزبد منه بعد حلبه فشرب اللبن من غير زبد أو أكل الزبد وحده أو السمن أو الجبن المصنوع منه فكل ذلك يعتبر رضاعا موجبا للتحريم .

ولو لم يكن قطع الرضاع للاعراض عنه بل كان للتنفس أو اللهو أو ازدراد اللبن المتجمع فى الفم أو النوم الخفيف أو نحو ذلك ، فان عاد الى الرضاع فى الحال كان ما بعد العود تابعا لما قبله فيكونان رضعة واحدة ، وان لم يعد فى الحال كان ماقبل القطع رضعة وما بعد العود رضعة أخرى وذلك لطول الفصل بينهما .

ولو قطعته المرضعة لشغل خفيف ولم تقصد الاعراض عن الرضاع فان عاد فى الحال فما بعد العود وما قبله يعتبران رضعة واحدة ، وان لم يعد فى الحال فما قبل القطع يحسب رضعة وما بعد العود المتراخى فى الزمان يحسب رضعة أخرى .

ولو حولته المرضعة من ثدى الى ثدى فما قبل التحويل ومابعده يكونان رضعة واحدة ، بخلاف ما لو تحول هو بنفسه أو حوله عن الثدى انسان آخر غير المرضعة ففى هاتين الحالتين يعتبر ما بعد التحويل رضعة مستقلة .

ولو نام الطفل طويلا أو سكت عن الرضاع طويلا فان عاد للرضاع والثدى لا يزال فى فمه كان ما قبل العود وما بعده رضعة واحدة ، فان لم يستمر الثدى فى فمه قبل النوم والسكوت يعتبر رضعة كاملة وما بعد العود يعتبر رضعة أخرى .

(فان قال قائل) كيف تعتبر القطرة رضعة في العرف ؟ ولو سألنا الناس هل تعتبر رضعة ؟ لأنكروا ذلك .

(قلنا) ان الشافعي وأصحابه الأولين رحمهم الله كان عصرهم قريبا من عصر النبوة ولم يكن اللسان العربي والعرف العربي غريبين كما في زماننا هذا ، وقد ضربوا لنا الأمثلة التي اقتبسوها من عرف عصرهم ، وهي أمثلة مستوفية جامعة لجميع الفروض والاحتمالات ، ونصوا فيما نصوا على أن الاعراض والتحول يجعلان ماقبلهما رضعة وان لم يصل الى معدة الطفل قبل الاعراض والتحول سوى قطرة واحدة ، وهذه تعتبر رضعة حتى في عرف زماننا ، فليس من المستبعد أن تحسب القطرة رضعة حتى لو طارت الى فم الطفل قهرا عنه فوصلت الى معدته .

(وان قال قائل) كيف تعتبر القطرة رضعة مع أن ذلك مخالف لما يؤخذ من الأحاديث الصحيحة المعتبرة .

فقد روى أبو داود من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا رضاع الا ما أنشر العظم وأنبت اللحم » ومعنى « أنشر » أحيا ، وهو يفيد أن الرضاع الموجب للتحريم هو الذى يحيى العظم وينبت اللحم ، والقطرة بل القطرات الخمس المتفرقة لا تحيى عظما ولا تنبت لحما .

وروى الترمذى من حديث أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء فى الثدى وكان قبل الفطام » ومعناه لايكون الرضاع موجبا للتحريم الا ما وصل الأمعاء فشقها فغذاها ، وقوله « فى الثدى » معناه : فى زمان الارتضاع من الثدى » وهو ما قبل بلوغ الطفل حولين ، ولاشك أن القطرة بل القطرات الخمس المتفرقة لا تشق الأمعاء ولا توسعها بل الذى يشقها ويوسعها مقدار كثير ولو لم يكن مشبعا .

وروى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى رجل قاعد ، فاشتد ذلك عليه ، ورأيت الغضب فى وجهه فقلت « يارسول الله انه أخى فى

الرضاعة » فقال صلى الله عليه وسلم « انظرن من اخوانكن من الرضاعة، فانما الرضاعة من المجاعة » يعنى أن الرضاع الذى تثبت به الحرمة وتحل به الخلوة بين الرضيعة وابن المرضعة أو بين الرضيع وابنة المرضعة انما هو حيث يكون الرضيع أو الرضيعة يسد اللبن جوعتهما ومعلوم أن القطرة والقطرات الخمس المتفرقات لا تسد جوع الطفل ولا تغنيه عن طلب غيرها ٠

(قلت) ان الأحاديث الثلاثة وما بمعناها لا تتنافى مع حسبان القطرة الواحدة رضعة كاملة حيث لم يتصل بها قطرات قبلها أو بعدها ، اذ ما من شك فى أنه لو كانت ملايين القطرات يحيى مجموعها العظم وينبت اللحم ويفتق الأمعاء ويسد من المجاعة ـ فكل قطرة من هذه القطرات لها دخل فى الاحياء والانبات والفتق وسد الجوع ، فليس المقصود من الأحاديث أن يكون للرضاع مقدار كثير يغذى أو يشبع الطفل وانما المقصود أن يكون الرضاع فى زمن الصغر فان لبن المرضعة من شأنه فى هذا الزمن أن يحيى العظم وينبت اللحم ويفتق الأمعاء ويسد المجاعة بخلاف حال الكبر فان اللبن لايكفى فيها وانما يكفى الطعام المنوع من خبز وبقول وخضر ولحم وغير ذلك فالأحاديث ترشد الى اشتراط الصغر كما ترشد الى اشتراط وصول اللبن الى المعدة فلاتحريم بما يجمعه الطفل فى فمه من اللبن ثم يمجه ولا بما يتقيؤه قبل وصوله الى المعدة كما لا عبرة بتقطير اللبن فى أذنه أو ادخاله بالحقنة فى قبله أو دبره أو دهن جسده به فكل ذلك لا يعتبر رضاعا موجبا لتحريم النكاح ٠

ثم ان الذين نسبوا الى الشافعى اشتراط الرضعات المشبعات أو المغذيات لا ينفعهم التمسك بهذه الأحاديث وانما الذى ينفعهم أن يبينوا أن ما نسبوه الى الشافعى منصوص عليه فى كتبه أو كتب أصحابه القدامى أو المحدثين ، وهذا دون خرط القتاد ، فان أمهات الكتب صرحت بخلافه فى مباحث الرضاع، وأذكر منهاكتاب الأم للامام الشافعى، والحاوى الكبير للماوردى ، والشرح الكبير للرافعى ، والروضة للنووى وشروح البهجة والروضة والمنهاج والمنهج وحواشيها ، فليرجع اليها من شاء ، فانه سيجد فيها النص على أن

الرضعة ليس لها حد وأنه لو لم يحصل منها فى معدة الطفل سوى قطرة واحدة فهى احدى الخمس .

وبعد فان كلمة « مغذيات » لم تشتهر نسبتها الى الشافعى وانما اشتهر فى عصرنا هذا نسبة كلمة « مشبعات » اليه لأن السادة الحنفيين الذين قرءوها فى بعض كتبهم حسبوها صحيحة وقد ارتقى كثير منهم الى مناصب القضاء والفتيا والتدريس فأشاعوها وتناقلتها عنهم أجهزة الاعلام المختلفة وتكررت فى الاذاعة بنوعيها حتى حفظها العوام فضلا عن الخواص وأفتى بها بعضهم بعضا وهذا ضلال مبين ، وما أصدق قول القائل :

ان الكبير اذا غوى وأطاعه
قوم غووا معه فضاع وضيعا

مثل السفينة ان هوت فى لجة
تغرق ويغرق كل من فيها معا

وانى كتبت خطابات كثيرة منذ عشر سنين وخمس سنين وسنتين وفى هذه السنة الى القائمين على الاذاعة فأغمضوا أعينهم ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ، وهأنذا قد بلغت ، اللهم فاشهد .

على حسن البولاقى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ١١ —

١٤٣ — ويقولون كما قال أبو عبيد: فاض الرجل من بابى باع وجلس فيضا وفيوضا اذا مات أما الأصمعى فيرى أنه لا يقـال فى هذا المعنى : فاض الرجـل ، ولا فاضت نفسه ، وانما يفيض الدمع والمـاء والدم ، ولهـذا لم يتعـرض الأساس لهـذا التعبير بموافقة أو منع ، والأفصح — خروجا من هـذا الخـلاف — أن يقال كما فى المصباح : فاظ الرجل بالظاء من غير ذكر النفس يفيظ فيظا من باب باع ، ومنهم من لم يجز غيره .

وقال الزمخشرى : من قـاظ (١) بتهامة فقـد فاظ ، أى مات من شدة حرها صـيفا وفى القـاموس : فاظ فوظا ، وفواظا مات ، كفاظ فيظا ، وفيظوظة ، وفيظانا ، وفيوظا بالضم ، وأفاظه الله تعالى أماته ، وفاظ فلان نفسه قاءها ، وحان فيظه وفوظه أى موته .

١٤٤ — ويسمون بعض أبنائهم باسم عبد العاطى ، زاعمين أن العاطى من أسماء اللـه الحسنى ، وليس الأمر كذلك ، والفصيح أن يكون الاسـم عبد المعطى اسم فاعل من أعطى .

أما العاطى فهو الظبى ، تقـول : عطا الظبى يعطو عطوا من باب عـدا اذا تطاول الى الشجر ليتنـاول من ثمرة ، فهو عاط ، وعطو وزان عدو ، فالعطو هـو التنـاول ورفع الرأس واليدين ، قال الشاعر يصف ظبية .

تحك بقرنيها برير (٢) أراكة
وتعطو بظلفيها اذا الغصن طالها

ولهذا قالوا : هـذا الشىء طويل لا تعطوه الأيدى ، أى لا تتنـاوله ، قال امرؤ القيس .

تعطو برخص غير شثن (٣) كأنه
أساريع (٤) ظبى أومساويك اسحل (٥)

---

(١) قاظ بتهامة : أقام بها صيفا .

(٢) البرير : الأول من ثمر الأراك .   (٣) الشثن : الخشن .

(٤) الأساريع : جمع أسروع بالضم وهو عصبة تستبطن الرجل واليد .

(٥) الاسحل : شجر يستاك به .

أما أبو المعاطى فهو اسم صحيح ، لأن المعاطى جمع معطاء بمعنى كثير العطاء ، صفة للرجل والمرأة .

١٤٥ ـــ ويقولون: بلغ فلانا أن أباه عائد من السفر بالطائرة، وعلى الرغم من أنه سار عدة مشاوير الى المطار لم يجده ، فهم يطلقون ـــ خطأ ـــ كلمة المشوار على المسافة بين المنزل والمطار ، والعرب تقول : ان المشوار هو المكان الذى تعرض فيه الدواب للبيع : تقول : شرت الدابة وشورتها اذا عرضتها للبيع ، وشور دابتك تنظر كيف مشوارها ، أى اختبرها تعرف كيف سيرها ، وتقول : هذا فرس حسن المشوار أى حسن العرض ، وأعرضه فى المشوار ، أى فى مكان العرض ، قال جرير :

طاح(١) الفرزدق فى الغبار وغمه
غمر البديهة صادق المشوار

ويقال : اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار ، أى صعبة العرض ، والمشوار أيضا ما أبقت الدابة من علفها (معرب) ، وكذلك هو وتر المندف .

١٤٦ ـــ ويقولون: اجتمعنا فى نادى التجديف ، يعنون النادى المعروف بهذا الاسم ، وهذه التسمية خطأ ، لأن للتجديف معنى لا صلة له بالمعنى الذى يريدونه ، ففى اللسان وسائر أمهات اللغة : والتجديف هو الكفر بالنعم ، يقال منه جدف يجدف تجديفا اذا كفر بنعمة الله ولم يقنع بها ، وفى الحديث « لاتجدفوا بنعمة الله » أى لا تكفروها ، وتستقلوها ، وقيل : هو أن يسأل القوم وهم بخير : كيف أنتم ؟ فيقولون : نحن بشر ، « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل شر ؟ قال : التجديف ، قالوا وما التجديف ، قال : أن تقولوا ليس لنا وليس عندنا » فأنت قد رأيت كيف أخطأوا فى هذه التسمية وحاكوا العامة فى تعبيرهم ، والفصيح أن يسمى بنادى الجدف وزان العدل ، تقول : جدف الطائر جدوفا اذا طار وهو مقصوص كأنه يرد جناحيه الى خلفه ، وجناحاه مجدفاه ، ومنه مجداف السفنة ويجوز أن يقال له : محذاف بالذال كما فى (معيار اللغة) للشيرازى .

---

(١) طاح : هلك .

قال ابن سيده : مجداف السفينة خشبة فى رأسها لوح عريض تدفع به مشتق من جدف الطائر وفى الأساس: جدف الملاح السفينة اذا دفعها بالمجداف ، قال أعشى همدان

لمن الظعائن (١) سيرهن تزحف
عوم السفين اذا تقاعس(٢) تجدف

١٤٧ ــ ويقولون فى تحية الضيف: على الرحب والسعة بفتح الراء ، والصواب ضمها ، وذلك لأن مضموم الراء هو المصدر ، تقول: رحب المكان رحبا كحسن حسنا أى اتسع، ومثله رحب رحابة كفصح فصاحة ، ففى الأساس : ضاقت على الأرض برحبها أو بما رحبت ، وانزل فى الرحب والسعة بضم الراء فى التعبيرين ، وفى القاموس : ورحب به ترحيبا دعاه الى الرحب ، وفى المصباح : رحب المكان رحبا من باب قرب فهو رحيب ورحب بفتحهما ، وفى الصحاح : الرحب بالضم هو السعة ، والرحب بالفتح هو الواسع ومثله الرحيب ، ومنه قولهم : فلان رحيب الصدر مما عرضنا من أقوال أصحاب المعاجم اللغوية استبان أن مضموم الراء مصدر ومعناه الاتساع وهو المناسب للسعة ، أما مفتوحها فهو اسم فاعل تقول : رحب فهو رحب كضخم فهو ضخم .

وهذا الفعل يتعدى بالحرف فيقال : رحب بك المكان ثم كثر حتى تعدى بنفسه فقالوا : رحبتكم الدار ورحبكم الدخول فى طاعة الأمير ؛ أى وسعكم ، وهذا شاذ فى القياس .

ويقال فى هذا المعنى : مرحبا وأهلا أى أتيت سعة وأهلا فاستأنس ولا تستوحش ومرحبا وسهلا أى صادفت سعة ومكانا سهلا، ومرحبك ومسهلك ، ومرحبا بك الله ومسهلا، قال الجعدى :

ومستأذن يبتغى نائلا
أذنت له ثم لم يحجب
فآب بصالح ما يبتغى
وقلت له ادخل ففى المرحب

١٤٨ ــ واذا أراد أحدهم أن يشكر لصديقه قال : أنا ممنون ، أو ممنون منك ، والصواب أن يقال : أنا

---

(١) الظعائن : جمع ظعينة وهى المراة المرتحلة ما دامت فى الهودج .
(٢) تقاعس: أصله تتقاعس أى تبطىء وتتأخر .

شاكر لك ، أو حامد صنيعك ، أو مثن عليك بما أنت له أهل ، أو نحو ذلك .

وذلك لأن المن هو الانعام ،تقول من الله على عباده ، ومن الأمير على على قومه اذا أنعم عليهم . واصطنع عندهم صنيعة .

وفى امكانه أن يصلح عبارته السابقة اذا قال : أنا ممنون على منك لأن الفعل من لايتعدى الى المفعول الأول الا بعلى فى هذا المعنى كما فى قوله تعالى « يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » .

والمن من الانسان على غيره هو تعديد صنائعه ، وقد نهى الشارع عنه بقوله « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » .

ومن معانيه أيضا القطع ، تقول : من فلان الحبل اذا قطعه ، ومن هذا قوله سبحانه:«فلهم أجر غير ممنون» وقوله « وان لك لأجرا غير ممنون» أى غير مقطوع ولا محسوب ، ومن ذلك قالوا : المن أخو المن أى عد النعم والصنائع أخو القطع والهدم.

١٤٩ — ويقولون : ايراد فلان الشهرى خمسون دينارا ، أما أخوه فليس له ايراد ثابت ، والصواب أن يقال : دخله الشهرى كذا ، والدخل بفتح فسكون هو ما يدخل على الانسان من عقاره أو تجارته ، أو عمله ، تقول : دخل فلان أكثر من خرجه .

أما الايراد فليس لمعناه صلة بمعنى الدخل ، لأنه خلاف الاصدار ، تقول أوردته الماء ايرادا اذا أوصلته اليه ، والأصل : ورد فلان الماء يرده ورودا اذا ذهب اليه ليستقى فهو وارد ، وهم واردة ، ووراد ، وورد تسمية بالمصدر ، ويقال أيضا : أورد فلان الشىء ايرادا اذا أحضره ، وأورد الرجل أخاه اذا أحضره المورد كاستورده ، وتقول لمن أنهى اليك خبرا مؤلما : لقد أوردت على ما غمنى .

١٥٠ ـ ويسمون البلدة التى بناها المعتصم بالله (سامرا أو سامراء) والصواب أن يقال لها : (سر من رأى) على ما نطق به فى الأصل ، لأن المسمى بالجملة يحكى على صيغته الأصلية ، كما يقال : صلى تأبط شرا ، وصام جاد الله ؛ وسبب تسميتها بهذا الاسم أن المعتصم حين شرع فى انشائها ثقل ذلك على عسكره ، فلما أقيمت وانتقلوا اليها سر كل منهم برؤيتها فسميت سر من رأى ، ولزمها هذا الاسم ، قال دعبل الخزاعى فى ذمها :

بغداد دار الملوك كانت
حتى دهاها الذى دهاها

ما سر من را بسر من را
بل هى بؤسى لمن رآها

عباس ابوالسعود

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٨ —

الشارع الأعظم

عندما أنشأ جوهر القائد القاهرة المعزية ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) جعل فى السور الشمالى بابين متباعدين هما باب النصر وباب الفتوح . وفى السور الجنوبى بابين متجاوين هما بابا زويلة .

وجعل شارعا رئيسيا من باب الفتوح الى بابى زويلة عرفه المؤرخون باسم الشارع الأعظم . ونعرفه الآن باسم شارع المعز لدين الله .

وضاقت القاهرة بسكانها بعد ١٢٠ سنة من انشائها . فأراد أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى توسعتها . فنقل فى المدة من سنة ٤٨٠ـ سنة ٤٨٤ هـ أسوراها البحرية والشرقية والقبلية .

فنقل بابى الفتوح والنصر شمالا من موقعهما السابق الى موقعهما الحاضر بحوالى ١٥٠ مترا . كما نقل بابى زويلة جنوبا الى الموقع الحالى بحوالى ١٥٠ مترا . وجعلهما بابا واحدا بدلا من بابين متجاورين .

وبالسور الشرقى نقل باب التوفيق (الذى ظهر أخيرا سنة ١٩٥٧) . وباب القراطين (المعروف بالباب المحروق) شرقا من موقعهما السابق بحوالى ٣٧٫٥ مترا تقريبا . أما السور الغربى فظل على حاله كما أنشأه القائد جوهر . وكان يبعد عن الخليج المصرى بحوالى ٣٠ مترا .

والأسوار التى أنشأها بدر الجمالى كانت من لبن وواجهات الأبواب من حجر . وكان عرض السور عشرة أذرع هاشمية (٦٫١٦) ولا تزال الأبواب التى أنشأها بدر الجمالى : باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة وباب التوفيق باقية للآن شاهدة على عظمة هذه المدينة وما كان لها من عز ومنعة ورفعة شأن .

والمسافة من باب الفتوح شمالا الى باب زويلة جنوبا الحاليين ١٥٠٠ مترا تقريبا . وهو طول القاهرة الفاطمية . أما عرضها من الشرق الى الغرب فكان ١١٠٠ مترا تقريبا . وبهذه التوسعة أصبحت مساحة القاهرة الفاطمية ٤٠٠ فدانا تقريبا .

وأسماء أبواب النصر والفتوح والتوفيق من أسماء التفاؤل . وباب القراطين لعل اسمه نسبة الى القرط أى البرسيم وهو العشب الأخضر الذى ترعاه الماشية . ولعله كان يدخل المدينة من هذا الباب . وعرف باب القراطين فيما بعد بالباب المحروق لأنه بعدأن قتل المعز أيبك التركمانى الفارس اقطاى (والمعز هو أول سلاطين المماليك البحرية اذا استبعدنا شجرة الدر) أراد أن يقضى على باقى المماليك البحرية.فأمر باغلاق أبواب المدينة. وعندما اتجهت البحرية وعلى رأسهم بيبرس وقلاوون (وهمااللذان توليا السلطة فيما بعد باسم الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون) الى باب القراطين . وجدوه مغلقا . فأحرقوه وهربوا منه الى الشام . وعرف هذا الباب بالباب المحروق من هذا التاريخ .

بوابة المتولى :

واسم باب زويلة نسبة الى قبيلة زويلة احدى فرق العسكر الفاطمى. والعامة تسمى هذا الباب بوابة المتولى . ويرجع البعض هذه التسمية الى أن والى القاهرة كان يجلس عندها . ولا نجد فى كتب التاريخ ما يؤيد هذا الرأى . ولكننى أعتقد أن التسمية ترجع الى مراتب الوصول عند الصوفية .

فقد قالوا أن النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أو الأقطاب أربعة ، والغوث واحد .

وقالوا سكن النقباء بلاد المغرب . وسكن النجباء مصر . وسكن الأبدال الشام . والأخيار سياحون فى الأرض . والعمد أو الأقطاب الأربعة فى زوايا الارض . والغوث بمكة . واذا عجز من فى مرتبة عن نفاذ أمر لجأ الى من فى المرتبة الأعلى . فهى دولة لها حكامها ووزراؤها وقضاتها وأحكامها وتعدد درجات التقاضى فيها .

وقد ذكرنا فى مقال سابق (المقال رقم ٤ عن جاردن سيتى) عندالكلام عن زاوية الشيخ الأربعين خلف فندق سمير اميس أن الشائع بين عامة الصوفية فى مصر أن العمد أوالأقطاب الأربعة هم : ١ـ السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ ـ ٥٧٠هـ) مدفون بأم عبيد بالعراق ، ٢ـ السيد عبد القادر الجيلى (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ) مدفون ببغداد ، ٣ـ السيد أحمد البدوى (٥٩٦ ـ ٦٧٥ هـ) مدفون بطنطا ، ٤ـ السيد ابراهيم الدسوقى (٦٣٣ ـ ٦٧٦ هـ) مدفون بدسوق .

والأقطاب الأربعة مقامهم بزوايا الأرض يتولى كل منهم شؤون جهته . فكان الاعتقاد أن القطب المتولى شؤون مصر يتردد على باب زويلة . ولذلك كانت العامة تعلق خرقة من ملبوس صاحب الحاجة وتدقها بمسمار على باب زويلة . ليقضى القطب اذا حضر حاجة صاحب (الأثر) وسميت البوابة بوابة القطب المتولى . ثم اختصر الاسم الى بوابة المتولى .

القصران الشرقى والغربى :

وأنشأ القائد جوهر على الجانب الشرقى من الشارع المذكور قصرا للخليفة المعز لدين الله عرف فيما بعد باسم القصر الشرقى الكبير . وهذا لأن العزيز بن المعز أنشأ مقابل هذا القصر فى الجانب الغربى من الشارع قصرا صغيرا آخر عرف باسم القصر الغربى الصغير . وعرف الشارع الأعظم فى هذا الجزء باسم بين القصرين . ولا تزال هذه التسمية باقية للآن .

وكان ما بين القصرين ميدانا فسيحا يتسع لعشرة آلاف فارس . ولا تنظر لعرض الشارع الحالى .

فقد كان باب الذهب ـ أحد أبواب القصر الشرقى ـ موقعه محل محراب مدرسة الظاهر بيبرس التى اخترقها شارع بيت القاضى ولاتزال منها للآن بقية . وكان موقع هذا المحراب يبعد عن الشارع الحالى بحوالى سبعين مترا . كما يقدر على مبارك أن المنصور قلاوون عند انشائه المارستان (المستشفى) المنصورى فى مقابل مدرسة الظاهر المذكورة دخل فى الشارع بحوالى ١٥ مترا . فاذا أضفنا الى هاتين المسافتين عرض الشارع الحالى . لكان ما بين القصرين مائة متر تقريبا .

وكانت مساحة القصر الشرقى ٧٠ فدانا تقريبا . وذكر له المؤرخون

تسعة أبواب • وقد أمكن تحـديد مواقع هـذه الأبواب • ومن ذلك عرفت مساحته • فقـد كان بالريح الغربى للقصر على الشـارع الأعظم بـاب الذهب • ثم باب البحـر • وبالريح الشـمالى باب الريح • ثم باب الزمرد • ثم باب العيد • ومنه كان يخرج الخليفة لصـلاة العيدين لمصلى العيـد خارج باب النصر • وبالريح الشرقى باب قصر الشوق • ثم باب الديلم • وكان يتوصل منه للمشهد الحسينى والجامع الأزهر • وبالريح الجنوبى باب تربة الزعفران وكان يتوصل منه الى مقابر القصر محـل خان الخليلى حاليا • ثم باب الزهومة حيث كانت المطابخ وكان موقعه بحارة الصالحية الحالية عند مسجد ومدرسة الصالح نجم الدين أيوب التى لا تزال منها للآن بقيـة بجهة خان الخليلى •

ولم تكن هذه الأبواب جميعهامن انشاء القائد جوهر • بل زيدت فى القصر زيادات متعـددة على أيدى الخلفاء الفاطميين طوال حكمهم • وهو فى الحقيقة لم يكن قصرا واحدا بل عدة قصور أطلق عليها القصور الزاهرة •

أما القصر الغربى الصغير فقد كان موضعه على وجـه التقريب ما بين شارع الخرنفش الحالى شمالا وبين شارع المقاصيص بالصاغة جنوبا • وحده الشرقى الشارع الأعظم •ومن ضمن مساحته جـزء من البسـتان الكافورى يصل به غربا الى السور الغربى على الخليج •

وقال على باشا مبارك (جـ٣ص١٥) أن طول القصر الغربى من الشارع الأعظم الى السور الغربى للقـاهرة هو ٤٢٥ مترا • وعرضه من شارع الخرنفش الى شـارع المقـاصيص ٢٧٥ مترا •

واستنتج ـــ رحمه الله ـــ من هذه الأطوال أن مساحة القصر الغـربى أكثر من ثلثمائة فدان • وهى غلطة حسابية فهذه الأطوال تنتج ٢٧فدانا وكسورا فقط • وقد سبق أن ذكرنا أن مساحة القصر الشرقى الكبيركانت ٧٠ فدانا •

البستان الكافورى ومنظرة اللؤلؤة

والبستان الكافورى كان بسـتانا على الخليج أنشأه كافور الأخشيدى وكان بجوار ميدان أنشأه محمد بن طغج الأخشـيد للرماية والفروسـية

وألعاب الأكره وغيرها . فلما أنشأ جوهر القاهرة أدخل البستان والميدان ضمنها .

وكان البستان الكافورى متنزها للخلفاء الفاطميين . وكانوا يتوصلون اليه من سراديب مبنية تحت الأرض ينزلون اليها من القصر الشرقى الكبير ويسيرون فيها بالدواب الى البستان ومنظرة اللؤلؤة بحيث لا تراهم الأعين .

ومنظرة اللؤلؤة أو قصر اللؤلؤة أشهر مناظر الفاطميين . وكان قصرا من أحسن القصور وأجملها زخرفة . وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة فقد كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج المصرى . ولم يكن غربى الخليج غير البساتين . منها بستان المقسى وبستان الدكة وبركة بطن البقرة التى عرف جزء منها فيما بعد ببركة الأزبكية . ووراء ذلك كله النيل . وكان موقعها خلف ضريح الشعرانى بباب الشعرية .

وورث الأيوبيون الدولة الفاطمية . وأنزل صلاح الدين الايوبى أباه نجم الدين أيوب بقصر اللؤلؤة حتى مات سنة ٥٦٧هـ . وبانتقال مركز الحكم الى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) تضاءل شأن منظرة اللؤلؤة وشأن الجهة . ثم أزيل البستان الكافورى سنة ٦٥١ ولعل المنظرة مما أزيل أيضا . ثم حكرت الأرض مبانى .

وقال المقريزى : ومازال البستان عامرا حتى زالت الدولة (يعنى دولة الفاطميين) وبنى فيه . سنة ٦٥١هـ أما الأقباء والسراديب فانها عملت أسربة للمراحيض . وهى باقية الى يومنا هذا (يعنى وقته) تصب فى الخليج . والمقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ

الحشيش والقهوة والدخان :

وسبب ازالة البستان انه انتشرت فيه زراعة الحشيش واستفحل أمره بين بعض فقراء الصوفية وتعداهم الى عامة الناس .

وينسب اكتشاف أثر هذا العقار الى أن شيخ الشيوخ حيدر من بلدة تسترنجراسان كان كثير الرياضة الروحية والمجاهدة فى العبادة قليل الاستعمال للغذاء . وقد فاق فى زهده وتعبده . وكان قد اتخذ له زاوية فى جبل . وبصحبته جماعة

من الفقراء (١) . وانقطع بالزاويـة أكثر من عشر سنين لا يدخل عليه أحد الا انسان مكلف بخدمته . فخـرج ذات يوم شديد الحرارة الى الصحراء منفردا وعاد متهلل الوجه منشرحا . وتبسط مع أتباعه ومريديه فى الكلام بعد هذا الصمت الطويل . فسألوه فقال أنه وجد نباتا قطف منه أوراقا وأكلها فحدث عنده ارتياح وانتعاش وأراهم النبات . فعرفوا أنه نبات القنب . فأمرهم باستعماله وأوصاهم ألا يطلعوا عليه أحد من عامة الناس وألا يخفوه عن الفقراء أمثـالهم . واستمر وأتباعه يستعملونه حتى مات الشيخ حيدر سنة ٦١٨ هـ وأوصاهم قبل موته أن يزرعوا منه فوق ضريحه وشاع أمره فى خراسان وباقى بـلاد ايران وعرف باسم حشيشة الفقراء. ثم انتقلت الى العراق فى أيام المستنصر العباسى سـنة ٦٢٨ هـ . ثم انتقلت الى الشام ومصر .

واستعملوه بطرق مختلفة .وأعجب به الكثيرون حتى مدحوه . وغالطوا بأنه لم يرد فيه نص بالتحريم مثـل الخمر . ومما قيل فيه :

هى البكر لم تنكح بماء سحابة
ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عيث الخسيس يوما بكأسها
ولا قربوامن دنهـا كل مقعـد
ولا نص فى تحريمها عند مالك
ولا حد عند الشـافعى وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها
فخـذها بحـد المشرفى المهنـد
وكف أكف الهم بالكف واسترح
ولا تطرح يوم السرور الى غد

والأكف جمع كف أى اليـد . والكف من أسماء الحشيش عندهم والنعمان هو الامام أبو حنيفة النعمان وأحمد هو الامام أحمد بن حنبل . أى ذكر أئمة المذاهب الأربعة.وكان من أسماء الحشيش أيضا الشهدانج وكان الحشاشون فى القرن العـاشر الهجرى يعرفون بأهل الكنبة . وهى محرفة عن القنب الهندى .والحشيش باللاتينية اسمه Conabis Irdica

ونسبة اكتشاف أثر الحشيش الى حيدر المذكور مشكوك فيه .فالعقار قديم ذكره بقراط وجـالينوس من حكماء اليونان . كما عرفه الهنود .

(١) الفقراء : تعبير يقصـد به أتباع أحدى الطرق الصوفية . ويقال أيضا المريدون لاتباع شيخ بعينه .

ومن الهند انتقل الى ايران ثم الى باقى الدول الاسلامية . وربما استعمله بعض فقراء الصوفية لما اعتقدوا انهم يجدون فيه اعانة على التأمل واضعاف الشهوة وكثرة العبادة . وان كان فى الحقيقة معينا على البلادة .

وحارب استعماله الصالحون من علماء ومفكرين وحاكمين . وأسموه الشجرة الملعونة . وكان التذبذب بين الشدة فى منع زراعته واستعماله وبين التهاون فيهما على ممر العصور حتى أنه فى أوائل القرن الحاضر لغاية سنة ١٩٢٨ كانت العقوبة على زراعته هى مجرد تخليع الزراعة وغرامة عشرة جنيهات عن كل فدان ثم رؤيت خطورته على الطبقات الكادحة من آثار صحية وأخلاقية . وأن أعداء الوطن يسهلون تهريبه باعتباره وسيلة لتحطيم معنويات الشعب بما يبعثه فى المتعاطين من جبن وخمول فتشدد القانون فى محاربته. فرفع عقوبة الاتجار فيه الى حد الاعدام . وعقوبة احرازه الى الأشغال الشاقة .

واذا كان استعمال الحشيش قد عرف فى مصر فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى فللاستطراد نذكر أن استعمال البن (القهوة) قد عرف فى مصر سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥ م) . واستعمال الدخان فى سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) .

ونعود الى موضوعنا الأصلى :

باب الذهب :

وكان باب الذهب أهم أبواب القصر الشرقى الكبير . وقيل فى تسميته أن المعز لدين الله الفاطمى عند ما قدم القاهرة سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢م) حمل معه الذهب مسبوكا على شكل أرحية . أى أقراصا كبيرة كرحى الطواحين . وكانت على خمسمائة جمل على كل جمل ثلاث أرحية . وأنه عمل عضادتى الباب من تلك الأرحية واحدة فوق الاخرى فسمى باب الذهب .

ومن باب الذهب كانت العساكر ورجال الدولة يدخلون قاعة الذهب أو قصر الذهب . يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وكان بها سرير الملك حيث يجلس الخليفة فى اليومين المذكورين . وكان يعمل بها سماط شهر رمضان طوال الشهر وسماط العيدين .

وكان بجوار أبواب القصر الشرقى على الشـارع الأعظم ثـلاث مناظر أسماؤها الزاهرة والفاخرة والناضرة يجلس الخليفـة فى احـداها عنـد استعراض العسكر .

وقد ذكرنا فى مقال سابق منظـرة المقسى بالقرب من ميـدان رمسيس يجلس فيها الخليفة لتوديع الأسطول أو استقباله عند الميناء النهرى للقاهرة وقتذاك خلف جامـع أولاد عنـان بشـارع الجمهورية . كمـا ذكرنا منظـرة باب الفتوح يجلس فيهـا الخليفة لتحية الجيش فى ذهابه للحرب أو عودته .

الشارع الأعظم :

ولم يكتسب الشارع الأعظم هذا اللقب لاعتباره الشـارع الرئيسى داخل القاهرة الفاطمية فحسـب . ولكن ما أن مضى ثلاثون عاما على انشاء القاهرة حتى اتصلت ببـاقى أجزاء المدينة من القطائع والعسـكر والفسطاط . وامتد الشارع جنوبا خارج باب زويلة حتى مقام السيدة نفيسة ومنها الى الفسطاط . كما امتد شمالا خارج باب الفتوح بحى الحسينية والبيومى والظـاهر حتى أقصى عمران المدينة وقتذاك . وكان الناس يسيرون من القاهرة الفاطمية الى الفسطاط فى شـارع متصـل البنيان والعمران .

هذا هو الشارع الأعظم . وقد عبر عنه المقريزى بأنه قصبة القاهرة وقـال انه كان عـامرا بالمتـاجر والأسواق حتى بلغ عدد الحوانيت من الحسـينية خارج باب الفتوح حتى السيدة نفيسه ١٢٠٠٠ حانوت .

هذا الشارع طوله من ميـدان الجيش بأول العباسية حتى موقـع السيدة نفيسة ٤٨٠٠ مترا تقريبا . منهـا ٩٠٠ مترا تقريبـا خارج باب الفتوح + ١٥٠٠ مترا تقريبـا داخـل القاهرة الفاطمية من باب الفتوح الى باب ذويلة + ٨٠٠ متر تقريبا من باب زويلة حتى تقاطعه مع شارع القلعة (محمـد على سـابقـا) + ١٦٠٠ مترا تقريبا من هذا التقاطع حتى السـيدة نفيسة .

ومن هذه الأطوال نعلم أن عدد الحوانيت التى ذكرها المقريزى على الشارع الأعظم فيه بعض المبالغة .

وعرف الشارع باسماء مختلفة تبعا للأحياء والأسواق التى يمر بها .

فقد ذكرنا أسماء البيومى والحسينية خارج باب الفتوح • ونذكر من باب الفتوح الى باب زويلة داخل القاهرة الأسماء الآتية على التوالى : باب الفتوح ـ الكليبانى ـ الأمشاطية ـ بين القصرين ـ النحاسين ـ الصاغة ـ الغورية ـ العقادين ـ المناخلية ـ السكرية • ونذكر خارج باب زويلة حتى تقاطع شارع القلعة أسماء : قصبة رضوان ـ الموازين ـ الخيامية المغربلين ـ السروجية ونذكر بعد ذلك اسماء : الحلمية ـ السيوفية ـ الركبية ـ الخليفة ـ الأشرف حتى مقام السيدة نفيسة •

ثم أطلق شارع المعز لدين الله على الجزء من الشارع الأعظم داخل القاهرة الفاطمية من باب الفتوح الى باب زويلة • وهو موضوع هذا المقال •

عادات وتقاليد :

ظل هذا الجزء من الشارع الأعظم ما بين باب الفتوح شمالا وباب زويلة جنوبا ـ محترما له مكانته سواء فى عهد الفاطميين أو الأيوبيين أو السلاطين المماليك • وكانت له تقاليد تراعى : منها ألا يمر به حمل تبن أو حمل حطب • ولا يسوق أحد به فرسا • ولا يمر به سقاء الا وراويته مغطاة • وعلى أصحاب الحوانيت ان يعلق كل منهم على حانوته قنديلا موقدا طول الليل • وأن يعد كل منهم زيرا مملوءا بالماء مخافة الحريق فى أى مكان فيطفأ بسرعة •

وكان هناك أشخاص معينون للكنس والرش ورفع ما يرمى من الأوساخ فى الطرقات حتى لا يعلو الشارع • وآخرون خفراء بالليل يطوفون بالحوانيت والدور ليلا لحراستها • وهذا منذ أيام العزيز ابن المعز لدين الله •

وأمر الحاكم بأمر الله بن العزيز ألا يدخل الشارع أحد راكبا • ومنع المكارين (أى الحمارة) من المرور فيه بحميرهم • كما أمر ألا يمشى أحد ملاصقا للقصر •

واذا قضيت صلاة العشاء بالقصر • وقف على باب الذهب أحد الأمراء المعينين للحراسة • فيأمر بضرب النوابات من الطبل والبوق وتوابعهما من الآلات الموسيقية فى عدة وافرة بطريقة مستحسنة ونغمات مستحبة ويظل عزف الموسيقى حتى يخرج من القصر أحد الأستاذين المكلفين

بالخدمة . فيقول : أمير المؤمنين يرد عليكم السلام . فيأمر بوقف الموسيقى . وغلق الأبواب . ويضع أمامها الحرس . وترمى السلسة فى المضيق بين القصرين فيمتنع المرور فى الشارع حتى فجر اليوم التالى . وكان هذا المضيق فيما بين حارتى الصالحية والصاغة الحاليين تقريبا .

وكان من التقاليد أيضا فى زمن الفاطميين ـ وهو ما نعبر عنه الآن بالبروتوكول ـ أنه اذا قدم رسول من ملوك الأفرنج ينزل عند باب الفتوح . ويقبل الأرض وهو ماشى الى أن يصل الى القصر . كذلك من يغضب عليه الخليفة يحر . الى باب الفتوح ويكشف رأسه . ويستغيث بعفو الخليفة . حتى يؤذن له بالوصول الى القصر .

وأمر الحاكم بأمر الله أن يمتد وقود الشارع الى جميع المدينة شاملة القاهرة والفسطاط . وكان ينزل ليلا بمفرده . آمرا حراسه بالابتعاد عنه . ليمر بالمدينة . فتبارى أصحاب الحوانيت والمتاجر والدور والقياسر فى الوقود والزينة . وصار الناس طول الليل فى بيع وشراء . وأوقدوا الشموع الضخمة . وأنفقوا الأموال الجمة. وتبسطوا فى المآكل والمشارب وسماع الأغانى وخرج الناس من دورهم ليلا للفرجة . وغلبت النساء الرجال فى الخروج ليلا . وعظم الازدحام فى الشوارع والطرقات . وأظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات فى الحوانيت والشوارع. واستمر هذا خمسة أيام فقط فى سنة ٣٩١هـ . .فلما تزايد الأمر أمر الحاكم بأمر الله بمنع النساء من الخروج ليلا بعد العشاء . ثم منع الناس من الجلوس فى الحوانيت . وفى سنة ٣٩٥ هـ . منع الناس رجلا ونساء من الخروج بعد العشاء . وهو ما نسميه الآن بحظر التجول ليلا .

---

(١) القياس : جمع قيسارية . تعنى المحلات التجارية تعلوها مساكن أيضا للتجارة أو للسكن . وبينهاشوارع خصوصية مثل الممر التجارى وممر الكونتننتال وغيرهما مما هو معروف الآن. وغالبا تكون من شارعين متعامدين . على شكل صليب . ومن هنا جاءت التسمية التى أصلها قيصرية ـ مثل العملية الجراحيةالمعروفة بالقيصرية (للوضع فى حالة تعسر الولادة) والاصل فى هذا هوالتخطيط الرومانى للمدن .

ومن بعد الفاطميين كان من يلى الحكم من سلاطين بنى أيوب يدخل من باب الفتوح بملابس السلطنة — وهى خلعة الخليفة العباسى — راكبا فرسه . والوزير بين يديه على فرس آخر . ويحمل الوزير فوق رأسه عهد الحكم الصادر للسلطان من الخليفة . وجميع الأمراء والعساكر مشاة بين يديه . حتى يخرج الموكب من باب زويلة . فيركب الجميع الى القلعة .

وقال المقريزى أن أول من ركب بخلع الخليفة فى القاهرة هو صلاح الدين الأيوبى . والخلعة جبة سوداء (١) وطوق من ذهب .

واستمر هذا طوال عهد السلاطين المماليك . ولو أن بعضهم كانوا يكتفون بعقد مجلس فى القلعة يحضره الخليفة والقضاة الأربعة . وتتم فيه مراسيم العهد بالحكم .

وعندما دخل سليم الأول العثمانى مصر . استقر بمعسكره أولا بصحراء العباسية . ثم أراد أن ينتقل الى ساحل النيل — (فيما بين بولاق وجاردن سيتى) — فدخل بموكبه فى باب النصر ثم عرج الى الشارع الأعظم حتى باب زويلة . ثم انعطف فى شارع تحت الربع (أحمد ماهر حاليا) وتوجه الى بولاق من هناك .

وكان الولاة المعينون فى استانبول يحضر أغلبهم عن طريق النيل الى ساحل بولاق . فيستقبل الأمراء المماليك الوالى الجديد . ويركب فى موكب وعليه خلع السلطنة العثمانية . فيدخل من باب البحر (بالقرب من نهاية شارع كلوت بك عند ميدان رمسيس) . ويسير الى أن يدخل القاهرة الفاطمية من باب القنطرة (بالقرب من ميدان باب الشعرية) فيشق سوق مرجوش (شارع أمير الجيوش) حتى يصل الى الشارع الأعظم . فيسير فيه حتى يخرج من باب زويلة . ثم ينعطف يسارا فى شارع الدرب الأحمر الى طريق التبانة وباب الوزير والمحجر حتى يصل الى القلعة .

---

(١) السواد : كان شعار العباسيين . كما كان البياض شعار العلويين . ولذلك يقال المسودة والمبيضة .

وعندما انتصر ابراهيم باشا بن محمد على على الوهابيين بالحجاز سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨م) • أرسل زعيمهم عبدالله بن سعود أسيرا • فدخل من باب النصر راكبا على هجين • وأمامه طائفة من الدلاة:(١)• وخلفه بعض أتباعه • وضربوا عند دخوله المدافع من القلعة وبولاق • وذهبوا به الى قصر اسماعيل باشا ابن محمد على بالجزيرة • واستقبله محمد على فى اليوم التالى بقصر شبرا • وعاتبه على العصيان • ثم أرسله الى استانبول فطافوا به المدينة • ثم قتلوه فى مكان يعرف بباب همايون • وقتلوا أتباعه فى نواحى متفرقة من المدينة • فذهبوا مع الشهداء •

وعاد ابراهيم باشا من الحجاز فى أوائل سنة ١٢٣٥ هـ • عن طريق القصير • فنودى بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها • وبات ابراهيم باشا بقصره بجزيرة الروضة • وزينوا له موكبا فى اليوم التالى دخل به من باب النصر • وعلى رأسه شعار الوزارة • وشق الموكب المدينة بالشارع الأعظم • وحضر والده الى الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه • ووصل الموكب القلعة • وطلع اليها • ثم صار الى جهة مصر القديمة حيث عبر النيل الى قصره بالروضة على جسر عملوه من المراكب •ربطت بعضها من البر الى البر • وردموا فوق المراكب الأتربة ليتمكن الموكب من السير عليها •

الشارع الأعظم وقاهرة المقريزى واسواقها :

ذكر المقريزى ما كان عليه الشارع الأعظم فى عهده من النشاط التجارى وما كان فى أسواقه من التخصص • وتحسر على أن ما فى وقته ليس الا جزءا يسيرا مما كان قبلا •واذا رجعنا بالخيال الى عهد المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) لوجدنا فى الشارع الأعظم من باب الفتوح الى باب زويلة على التوالى الأسواق الآتية : سوق باب الفتوح • وكانت عامرة بأصناف المأكولات من اللحوم والخضر والبقول وغيرها •

---

(١) الدلاة : فرقة من الجيش الغير نظامى . وهى غالبا من اكراد سوريا واشتهروا بالشجاعة . واللفظ معناه اصلا مجنون .

وتليها سوق المرحلين . وكانت متخصصة فيما يلزم للراحلين من عدد الجمال وغيرها . ويشتد نشاط هذه السوق فى موسم الحج . وتليها سوق الرواسين . عند رأس شارع أمير الجيوش . وكانت متخصصة فى بيع رؤوس الأغنام والبقر بعد تجهيزها وتليها سوق حارة برجوان . وكانت عامرة بأصناف المأكولات من اللحم البقرى والضانى وبها عدد كبير من الزياتين والجبانين (تجار الزيت والجبنة) والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية (بائعى المرطبات) بل بلغ التخصص ببعض الحوانيت أنها لا تبيع الا حوائج المائدة من بقل وكرات ونعناع وغيرها .

وتليها سوق الشماعين . عند الجامع الأقمر . وكانت متخصصة فى بيع الشموع بأنواعها وأحجامها المختلفة . وهناك كانت تجلس بعض البغايا لتحريض المارة على الفسق . ويشتد الرواج فى هذه السوق فى شهر رمضان . وذكر المقريزى أن بعض الشموع كانت تزن أكثر من قنطار . وتحمل على عجل . فضلا عن الشموع الصغيرة التى يحملها الصبيان فى مواكب رمضان وصلاة التراويح . ولا يزال أولادنا يحتفلون فى رمضان بحمل الفوانيس . وان كان بعضها يضاء ببطاريات الكهرباء .

وتليها سوق الدجاجين . وتصل الى رأس شارع الخرنفش . وكانت فيه فضلا عن تجارة الدواجن التى تؤكل مثل الدجاج والأوز . تجارة الطيور المسموعة من الببغاوات والحمام القمارى والهزارى والسمان . وكان الناس يقبلون على شرائها ويدفعون فيها الأثمان الغالية . وكان هناك محل لبيع العصافير للصبيان ليقتنوها . اذ يفهم صاحب الحانوت الصبى أن هذا العصفور يسبح الله . فمن أعتقه دخل الجنة . فيشتريه الصبى بفلس ثم يطلقه ليدخل الجنة .

وتليها سوق بين القصرين وكانت أكبر هذه الأسواق وكانت عامرة بجميع أصناف المأكولات نيئة ومطبوخة . وكان الناس يذهبون لقضاء مصالحهم أو للفرجة والنزهة فيزدحم المكان كأنه مهرجان .

وتليها سوق السلاح • وكانت لبيع القسى والنشاب والزرديات وأدوات السلاح • وكان يجلس بها الصيارف أيضا لغاية العصر • وبعد العصر يجلس بائعو المأكولات •

وبعد زمن المقريزى جدت سوق أخرى للسلاح خلف شارع محمد على الحالى بالقرب من القلعة ذكرها الجبرتى ولا يزال هناك شارع يحمل اسم شارع سوق السلاح •

وتليها سوق القفيصات (بصيغة التصغير والجمع) وهى أقفاص صغيرة ترص فوقها الطرائف من فصوص وحلقان وخواتم وأساور وخلاخيل النساء • وكان مكانها بجوار المارستان المنصورى • وكان أصحاب الأقفاص يدفعون للدولة أجرا للمكان • ومكانها حاليا سوق النحاسين •

وتليها سوق باب الزهومة عند باب مطابخ القصر الشرقى •

ويقابلها سوق السيوفيين •لتجارة وصناعة السيوف • ونسبت لهذه السوق المدرسة السيوفية التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى هناك وهى أول مدرسة أوقفت على الحنفية بمصر • وبالمدرسة السيوفية تلقى دروسه العارف بالله شمس الدين عمر بن على الفارض (توفى سنة ٦٣٢ هـ) ودفن بسفح المقطم • وقبره يزار • وديوانه مشهور بين الصوفية برقيق معانيه ورقيق مراميه فى التغزل ومحبة الذات الالهية • وانبرى لشرحه الكثيرون •

فاذا تركنا تقاطع الشارع الأعظم مع شارعى القائد جوهر والأزهر — وكانت فى هذه المسافة سوق الوراقين لتجارة الكتب وسوق الصنادقية لصناعة الصناديق والصناديق كانت تستعمل بدل الدواليب لحفظ الملابس والأمتعة • نجد بعد ذلك الأسواق الآتية :

سوق المهامزين وتتلوها سوق اللجميين • الأولى نسبة الى المهماز • وهو حديدة توضع بخلف الحذاء على شكل عجلة لها أسنان مدببة لغمز الجواد • وحثه على الركض • والثانية نسبة الى اللجم جمع لجام وهو ما يقاد به الجواد •

وكانت المهاميز واللجم تعمل من الذهب أو الفضة الخالصين ولايترك هذا الا عن ورع وتدين • فيعمل من حديد مطلى بالذهب والفضة • وكانت تعمل بالسوق بدلات (جمع بدلة) الخيل من الفضة الخالصة • وتصنع بالسوق السروج العربية وما بها من لجام وركاب ومهماز وخلاف ذلك • وكان القربوس ـ وهو القائم بالسرج أمام وخلف الراكب ـ به عدة أطواق من الفضة المذهبة • ولا يتورع عن ذلك الا القضاة ورجال الدين • كماكانت تصنع بها الدوى (جمع دواه) والطرف التى بها الذهب والفضةمثل سكاكين الأقلام وغيرها •

وتتلوها سوق الجوخيين : نسبة الى الجوخ وهو نوع من الصوف مستورد من بلاد الأفرنج •

وتتلوها سوق الشرابشيين • وقد استجدت بعد الدولة الفاطمية • وتباع فيه الخلع التىيلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم• والشربوش هو من الخلعة التى يلبسها السلطان • وهو يشبه التاج مثلث الشكل • ويلبس على الرأس بدون عمامة • وقد بطل الشربوش فى دولة المماليك البرجية • ولم تكن تجارة هذه السوق قاصرة على الشرابيش بل كانت أيضا لبيع وشراء التشاريف [1] التى يخلعها السلطان والأمراء •

وتتلوها سوق الحوائصين • نسبة الى الحوائص (جمع حياصة) وهى أصلا حزام يشد به السرج على بطن الفرس • ثم أطلقت على المنطقة أو الحزام فى وسط الرجل • وكانوا يتغالون فى صنعها • ويتباهون بها • حتى عملت من الذهب الخالص المرصع بالجواهر • ويفرق السلطان كل سنة على مماليكه من حوائص الذهب والفضة الشىء الكثير •

وتتلوها سوق الحلاويين لصناعة الحلاوة وما يصنع منها • وكانت

---

(١) التشاريف : جمع تشريفة وبدلة التشريفة هى ما يلبس فى الحفلات الرسمية . ولكل رتبة زى خاص . وفى مصر فى عهد عباس حلمى الاول صدر أمران سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩م)الاول لديوان الجهادية والثانى لكتخدا مصر بضرورة لبس الكسوة الرسمية للتشريفة فى الايام الرسمية. والايرفض قبولهم فى تشريفات العيدين وغيرهما من الاعياد الرسمية .

صناعة متقدمة • وكانوا يشكلون الحلوى على شكل الخيول والسباع والقطط وعلى هيئة العرائس والفرسان والقصور والحصون وغير ذلك • وكانت تسمى العلاليق • لأنها كانت تشترى وتعلق فى أغلب البيوت وكان موسم صناعتها رجب ورمضان ولايزال أثر هذه الصناعة للآن مما نجده فى حلويات المولد النبوى الشريف •

وتلوها سوق الشوايين أى صناعة الشواء (مثل الحاتى) •

وبعدها سوق الخلعيين أى تجارة الملابس الخليعة أى القديمة • وكان موقعها أمام جامع المؤيد عند باب زويلة كما ذكر المقريزى أنه كان يجلس هناك باعة الجبن المجلوب من الشام • وكانت تعمل هناك المناخل والغرابيل للدقيق والغلال •

وكانت هناك حوانيت يجلس فيها ناس لعلاج من يتصدع أو يكسر له عظم أو يصيبه جرح ويسمون المجبرين وتغيرت أوضاع هذه الأسواق وتنوعت أنواع التجارة فى كل مكان • وتضاءل شأن الشارع الأعظم باتساع المدينة • ونشأة شوارع أعظم منه طولا وعرضا بالتخطيط الجديد للمدينة وضواحيها وانتقال مركز الحكم للقلعة ثم لعابدين والقبة •

محمد كمال السيد

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

علم اصول الفقه
للشيخ عبد الوهاب خلاف

هـذا الـكتاب الذى نشرته دار العلم بالكويت يقع فى مائتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، ولا أظن أن المؤلف رحمه الله رحمة واسـعة الا غنيا كل الغنى عن التعريف ،فقد كان من العلماء القلائل المتفوقين علما وخلقا ومرونة وسعة أفق ، لم يكن مجرد أستاذ للشريعة الاسلامية فى كليـة الحقوق ، كان أسـتاذ جيل بأسره ، قدم للمكتبة الاسلامية زادا طيبا أصيلا من الفكـر الاسـلامى الخصب .

والطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة التاسعة للكتاب ، والدراسة التى بين دفتى الكتاب من الدراسـات الأصيلة فى الفكر الاسلامى ، وهى من نتاج فكر المجتهدين من أئمة المسـلمين ، الذين بذلوا ـ كما يقول المؤلف ـ أقصى جهودهم العقلية فى استمداد الأحكام الشرعية من مصـادرها ، واستخرجوا من نصـوص الشريعة وروحها ومعقولها كنـوزا تشريعية ثمينة ، كفلت مصالح المسلمين على اختلاف أجناسـهم وأقطـارهم ، ونظمهـم ومعاملاتهم ، ولم تضـق بحاجة من حاجاتهم ، بل كان فيهـا تشريع لأقضية لم تحدث ، ووقائـع فريضـية ، وهذه موضـوعات الفقه آيات تنطق بما بذلوه من جهد ، وما كان حليفهم من توفيق .

لقد كتب المؤلف مقدمة مسـهبة تضمنت موازنة عامة ، بين علم الفقه وعلم أصول الفقه من حيث التعريف بكل منهما ، وبيان موضوعه ، وغايته ، ونشـأته وتطـوره ، فعلم الفقه فى الاصـطلاح الشرعى : هـو العلم بالأحكـام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية أو هو مجموعة الأحكـام الشرعية العملية المستفادة من أدلتهـا التفصـيلة ، أمـا علم أصـول الفقـة فى الاصـطلاح

الشرعى ، فهو : العلم بالقواعد والبحوث التى يتوصل بها الى استفادة الأحكام الشريعة العملية من أدلتها التفصيلية .

ثم قسم المؤلف ــ رحمه الله الدراسة الى أربعة أقسام : الأول منها فى الأدلة التى تستمد منها الأحكام الشرعية ، والثانى منها فى مباحث الأحكام الشرعية الأربعة : الحاكم والحكم ، والمحكوم فيه والمحكوم عليه ، والثالث منها ، فى القواعد الأصولية اللغوية التى تطبق فى فهم الأحكام من نصوصها ، أما الرابع من هذه الأقسام ، ففى القواعد الأصولية التشريعية التى تطبق فى فهم الاحكام من نصوصها، وفى الاستنباط فيما لا نص فيه ..

وبعد .. فلئن كان الموت قد طوى المؤلف ، كما طوى أعلام الفكر الاسلامى من قبل ومن بعد ، فان ما تركه من ثروة علمية كفيل بأن يظل فى سجل الخالدين ، ولئن كانت وسائل الاعلام تتجاهل فضل هذا العالم الفقيه الكبير ، حتى لا تكاد تذكره ، فهذا مما لا غرابة فيه ، فقد عودتنا وسائل الاعلام ألا تتذكر الا الحثالة ممن تطلق عليهم فنانين وفنانات ...

*** تأملات فى سورة يس**
للدكتور حسن محمد باجودة

هذا كتاب فى أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ، نشرته دار الاعتصام بالقاهرة ، والمؤلف مشرف الدراسات العليا العربية ، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ..

يذكر المؤلف فى مقدمته : أن هذه الدراسة المتأملة للسورة المكية الكريمة سورة يس .. قلب القرآن الحكيم ــ كما لقبها سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، استهدفت تبيين القضايا التى تعالجها هذه السورة المباركة ، والأقسام التى تتكون منها ، ومظاهر الاعجاز الأسلوبى فيها ، والأسباب التى جعلت فيها الفضائل المتعلقة بها حتى انها لقبت بقلب القرآن .. وهذا وقد قسم المؤلف هذه الدراسة الطيبة الى ستة أقسام ، هى بمثابة قضايا ست ، كلها ــ كما يقول ــ تخدم غرضا واحدا ، هو ارساء دعائم عقيدة التوحيد بعبادة الله وحده

لا شريك له،أما هذه القضايا الست، فهى : الرسول الكريم عليه السلام والقرآن الحكيم معجزته الكبرى الخالدة، والفئة القليلة أول الأمر — المؤمنة — من أتباعه عليه السلام، والفئة الكثيرة أول الأمر —الكافرة— من قومه، وقضية البعث بعدالموت، أما السادسة والأخيرة، فهى حث المكذبين للرسول .. المنكرين للبعث — على تصحيح موقفهم الخاطىء .

وبعد — فالحق أن المؤلف العالم الجليل، أمتعنا بدراسة قيمة حرص فيها على توافر الوحدة العضوية، للسورة، وعلى تحويل السورة الى قضايا جديرة بالدراسة والتأمل، وهذا الاتجاه فى التفسير اتجاه لهتقديره، وقد سبق اليه بعض العلماء الأجلاء. كالمغفور لهما : الشيخ شلتوت والشيخ عبد الوهاب خلاف وغيرهما ومما أمتعنا به المؤلف، وقوفهطويلا عند مدلول اللفظ اللغوى، وأوجه البلاغة فيه، ثم اعتماده أساسا فى التفسير على القرآن ذاته ..

فقط، كنا نود مثلا فى قضية الموت والبعث والنشور وهى القضية الخامسة، أن يعنى المؤلف بالرد على الفكر الالحادى بخاصته فيما يتصل بالبعث، كذلك كنا نود أن يعنى المؤلف بالدقة فى الأحاديث النبوية القليلة التى أوردها ،ولاسيما أن حديث : يس قلب القرآن .. حديث ضعيف كما أشار الى ذلك الترمذى .

*** الصلاة عماد الدين :**

للدكتور حسن الترابى

هذا كتاب جديد للمؤلف نشرته الشركة المتحدة للتوزيع فى بيروت فى زهاء مائة وستين صفحة من القطع المتوسط، والمؤلف من مواطنى السودان الشقيق، ومن أبرزالعاملين فى الحركة الاسلامية هناك، ومن الذين عانوا الكثير من المتاعببسبب عقيدته ..

لم يهدف المؤلف الى أن تكون دراسته عن .. الصلاة .. دراسة فقهية، فقد تكفلت بذلك أمهات الكتب الفقهية، وانما قصد الى أن تكون دراسته فى معانى الصلاة وآثارها فى حياة المسلم، من حيث أنها أم العبادات، وانها تربية كاملة للمسلم تورثه نفسا بشرية بمعانى

الايمان جميعا ، وحياة طيبة عامرة بالعبادة وصالح الأعمال ، كذلك تعتبر الدراسة عن الصلاة - بيانا للحكم البالغة ، والمقاصد الجليلة التى جعلت من الصلاة عمادا لكل شعب الايمان ، وقاعدة لكل صنوف الطاعات ، حتى كادت - كما يقول المؤلف فى مقدمته - أن تكون جماعا لأركان الدين ..

لذلك جعل المؤلف دراسته تتناول مباحث عشرة :

الصلاة أولى الفرائض العملية فى الدين ، الصلاة هى السمة المميزة لأهل الاسلام ، الصلاة استغراق دائم فى عبادة الله ، الصلاة توجه الى الله والى القبلة الدائمة ، الصلاة خشوع وطاعة لله وللرسول ، الصلاة تمام التجرد والاخلاص لله ، الصلاة طهارة وانابة وتقوى ، الصلاة تزكية للايمان وقوة لدوافع الايمان ، صلاة الجماعة تربية اجتماعية كاملة ، ثم خسران المسلمين باضاعة الصلاة ..

وبعد - فالحق أن المؤلف الذى يعيش اليوم مهاجرا الى الله بعيدا عن مسقط رأسه - جعلنا نعيش بين دفتى دراسته رحلة روحية ممتعة، فهى دراسة على مستوى رفيع أسلوبا ومعنى ، انها دراسة تبحث فى فقه العبادة .. الصلاة التى هى عماد الدين ، وكم نحن اليوم فى حاجة الى فقه العبادات ..

* **مجلة المسلم المعاصر :**

هذا هو العدد الثالث من مجلة المسلم المعاصر ، وصاحب الامتياز ، ورئيس التحرير هو الدكتور جمال الدين عطية المحامى ، وهذه المجلة فصليه ، أى تصدر كل ثلاثة شهور والعدد الثالث الذى بين أيدينا يقع فى زهاء مائتى صفحة ، ومن الموضوعات التى تناولها العدد : الثقافة والحضارة للدكتور عثمان أمين ، وفلسفة التاريخ كما بينها القرآن للأستاذ يوسف كمال ، والفقه الاسلامى بين الأصالة والتجديد للدكتور يوسف القرضاوى ، وأدب الحوار للدكتور أحمد كمال أبو المجد كما تضمن العدد الجزء الثالث من دليل الباحث فى الاقتصاد الاسلامى لرئيس التحليل ، واختتم بأخبار النشاط الاسلامى فى شتى بقاع العالم .. هذا وقد أفسحت المجلة صدرها للحوار الذى استوعب بعض النقد لمقالاتها السابقة ، ومع ذلك

فالمجلة لايزال ينقصها الكثير ،لأنها لاتزال فى بداية الطريق .. فالاعطاء الثقافى والفكرى وحده لا يكفى . بل لابد أيضا أن تتصدى المجلة للمخططات الرهيبة التى يعانى الشعب المسلم منها الكثير ، هذه المخططات صليبية كانت أم الحادية أم وثنية ، لاتزال راسخة القدم لمناوءة الاسلام : فكرا وعقيدة وتراثا وشعوبا ومما يرثى له أن بعض الأنظمة فى بعض الدول المسلمةتبارك هذه المخططات ايجابا أو سلبا وفى ايجاز نود أن نرى مجلة المسلم المعاصر لاتقف عند تبنى قضايا الفكر الاسلامى ، بل أيضا قضايا الشعوب المسلمة أيضا ، ولا سيما الأقليات المسلمة التى لاتزال تتعرض لحروب الابادة . التى تشنهاالصليبية والشيوعية على السواء .

قراءات :

« ان تجربة نصف قرن من قيادة الحزب الشيوعى لطائفة من دول العالم ، أظهرت بوضوح عدم قدرة الشيوعية على كشف جذر الخطأ ، وهو الذى يتلخص فى المفهوم المادى للحياة .. ومن هنا فان النظام الاسلامى استطاع أن يقضى على الاستغلال ، ليس بتبديل شخص المستغل من زيد الى عمرو ،ولاتبديل صفته .. بل بتبديل النظرة المادية الى نظرة روحية .. »

من كتاب « الفكر الاسلامى مواجهة حضارية »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر
تقديم عبد الفتاح حسن الزيات

السؤال :

يريد شاب الزواج من فتاة ، له أخت رضعت من أم الفتاة وللفتاة أخ رضع من أم هذا الشاب /فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد : حيث لم يرضع هذا الشاب من أم الفتاة والفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز له أن يتزوجها .

ولا يغير هذا الحكم كون أخته قد رضعت من أم الفتاة أو أن أخ الفتاة قد رضع من أم الشاب والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطنة السيدة / زينب ابراهيم

لا أستطيع السفر الى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ولى أخ حج عن نفسه من قبل فهل أستطيع تكليفه للقيام بالحج عن نفسى وتكون هذه الحجة لى ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

يصح انابة أخيك فى أن يحج عنك بالنيابة بشرط أن يكون قد حج عن نفسه والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطن السيد / عبد الرحمن الحاج أبو بكر

١ — لدينا جمعية خيرية نشترك فيها باشتراك شهرى بمبلغ يستطيع العضو دفعه ويتجمع هذا المبلغ فى صندوق للصرف منه على شراء الكتب الدراسية أو ثمن تذاكر السفر ، وقد يمر الحول على هذه المبالغ فهل تجب فيها زكاة ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه لا زكاة على هذه الاموال لأنها ليست مملوكة لشخص معين بل هى باسم الجمعية الخيرية التى تتولى الصرف منها على شئون الاعضاء والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطن السيد / محمد هلال

ماحكم بيع الحيوان الحى بالكيلو جرام ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن بيع الحيوان الحى المرأى لكلا المتعاقدين وزنا جائز اذ لاوجه لبطلانه حيث أن الوزن لاينقص العلم بالمبيع الحاصل برؤيته بل يزيده . ألا ترى جراز بيع كل ماله قشرة طبيعية وبذر فى داخله مع شىء من الجهالة كالبرتقال والخوخ والجوز وغيره والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطن السيد / نعمان عبد الله زغلول .

خطبت فتاة وقبضت مؤخر الصداق ، ثم مرض الخاطب وأثناء مرضه طلب اتمام عقد الزواج — فحضر المأذون وشهود العقد وتم عقد الزواج وفى اليوم التالى توفى الزوج فهل العقد صحيح وهل للزوجة مؤخر صداقها ؟ وهل لها حق فى تركته مع الاحاطة بأن له أخ وأخت شقيقين ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن عقد زواج هذا الشخص صحيح وبموته حل مؤخر صداق زوجته وتأخذه من تركته والباقى يكون ميراثا له ويكون لها الربع فرضا لعدم وجود الولد والباقى للاخ والاخت الشقيقين تعصيبا للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم.

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

بيان فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

أعلن فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية بمناسبة عيد الفطر المبارك ، قال فيه :

(... اذا كانت أمتنا اليوم تفطر بعد صيام ، وتنال بعد حرمان ، فانها تتطلع الى النوال الأكبر بالنصر ، والى الغنم الاعظم بالفتح ، نصر ترد به الأرض المغتصبة ، وفتح تدخل به المسجد الاقصى ... .

ثم قال : (... ان النصر الذى حققناه بايماننا وكفاحنا فى العاشر من رمضان ، وفيما بعد العاشر من رمضان ، وما تلى ذلك فى أيام أخرى قريبة مضت ، وما سوف يتلوها فى أيام توشك شمسها أن تطلع ، انما كان بفضل الله وتوفيقه ...) .

وختم فضيلته بيانه بقوله : (اننى فى هذه المناسبة المباركة ـ باسم علماء الأزهر الشريف وطلابه أدعو أمتنا الى وحدة الصف وجمع الكلمة ، وشد الأزر « انما المؤمنون اخوة ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » ...

كما أبعث بالتحية والتهنئة الى الرجل الذى اعطى من قلبه وروحه أسمى ما يعطى قائد لأمته الرئيس المؤمن محمد انور السادات ....

وابعث بالتحيات المباركات ، والتقدير الوافر الى قواتنا المسلحة الذين فتح الله بهم فتحا مبينا وأعز ونصر ..

... وتحياتنا لشعبنا الصامد الصابر الذى برهنت الأحداث على أنه الأبى الصادق المعطاء أبدا .

وبأطيب التهـانى وخالص الأمانى الى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية وشـعوبها مع خالص الشكر على وقفاتهم المشرفة التى كانت وستظل أمضى سـلاح ينصر الله به أمتنـا ، ويرهب به ويخذل أعداء الله وأعدائنا

والله أسـال أن يعز دينه ، وأن يجمـع كلمة العرب والمسـلمين ، ويوفق قـادتهم الى مـافيه الخير والسداد) •

مد خدمة فضيلة الدكتور وكيل الأزهر :

أصدر ممدوح سالم رئيس الوزراء قرار رقم ٨٧٥ لسنة ١٩٧٥ م بمـد خـدمة فضـيلة الـدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الازهر لمدة عامين اعتبارا من ٢١ أكتوبر ١٩٧٥م

امين عام مسـاعد لمجمع البحوث الاسلامية :

أصدر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قرار رقم ١٦٩ فى ٧ من رجب ١٣٩٥ هـ ١١ من سبتمبر سنة ١٩٧٥ م بتعيين فضيلة الشيخ الدكتور عبد الجليل عبده شلبى أمينا عاما مساعدا لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر •

مسابقة دولية لتلاوة القرآن الكريم بماليزيا :

أقيم فى شهر سبتمبر المـاضى فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا مسـابقة لتلاوة القرآن الكريم بمقر أسـتاذ مبرديكا واشتركت فى المسـابقة ١٢ دولة آسيوية •

حظر اليانصيب فى الهند :

نشرت صحيفة الميثاق المغربية فى عددها ٢٠٢ أن حكومة ولاية تامل نادو فى الهند أصدرت أمرا بحظر رواج أوراق اليانصيب على مستوى الولاية ، وقد لاقى هذا الأمر ارتياحا كبيرا فى الأوساط الاسلامية بالهنـد وأرسـل أمير الجماعة الاسـلامية خطـابا الى الوزير الأعلى يهنئه فيـه ويقول : انه لاينبغـى أن نصرف أنظـارنا عن القيم الخلقية لأجـل الارباح المـالية فمسئولية الحكومة من ناحية رفـع المسـتوى الخلقى للجماهير أهم من مسئوليتها عن رفع المستوى الاقتصادى ، وقد قدمتم

بهذا العمل نموذجا للولايات الأخرى فى البلاد .

قبول جميع الناجحين فى مسابقة دخول الثانوى الأزهرى :

تم قبول جميع الناجحين فى مسابقة دخول الثانوى الازهرى هذا العام من الحاصلين على الاعدادية العامة .

وكان عدد المتقدمين للمسابقة من البنين والبنات ١٢ ألفا ، نجح منهم ٤٧٧٩ من البنين ، ٢٤٧٠ من البنات ، وبذلك يكون عدد الناجحين الذين تم قبولهم من البنين والبنات ٧٢٤٩ طالبا وطالبة .

صرح بذلك الاستاذ احمد نصار مراقب عام الامتحانات بالازهر .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٢٥٦٥-١٩٧٥-٩٠٠٢

practise usury or conclude contractes which Islam regards as invalid. This is because a protege deals with Muslims and should as such be governed by the same rules as apply to them. In matters of marriage and divorce, however, a protege just as Zimmis, is governed by his own religious beilefs.

Punishment is divided into two groups : (a) penalties applied for transgression on people's rights such as encroachment on the right af a Muslim, an alien, or a fellow protege. The punishment here shall be the same prescribed for Muslims or aliens for it is necessary to meet justice to those wronged; and (b) penalties prescribed for transgression on a right of God such as adultery, theft or libel. In this context, a majority of scholars hold the view that a protege should suffer the same punishment as a Muslim or a Zimmi for such crimes and their like would spoil the Muslim society and are counted among the acts recognised as vices by all the religions. Islam deems the defence of virtue a basis for all the human relations and an offending protege should thus suffer the same punishment as a Muslim.

Abu Hanifa differed from this majority opinion for the basis of punishment in his view is full subjection from both the actual and the juridical points of view. A protege from the juridical standpoint, belongs to a country other than the Muslim state.

The scholars' view is verily rational and more in conformity with religious provisions.

A Protege's Heritage :

As already stated the money of protege should pass to his heirs after his death, contrary to Al-Shafei's views. In the event., however, of the existence of relationship between a protege and a Zimmi, will the former inherit the latter or vice versa in the event of the Zimmi's death ? In reply, we would state that in case the Zimmi dies while the protege lives in another state, or the protege dies while the Zimmi resides in a Muslim land, there can be no inheritance between them because of different countries.

But in case either of them dies while the protege lives in Muslim land, could there be inheritance despite the difference in urisdiction ? Abu Hanifa advised against inheritance in such a case for he regards such juridical difference as the criterion. But many scholars said inheritance was possible because of the same residence although agreeing that different jurisdictions would impede inheritance.

shall never forfeit such property even if bears arms to fight Muslims.

This veiw was held by most of the scholars as evidenced by a report in (Moghni) by Ibn Qadama, to the effect that : "If a Zimmi enetrs a Muslim land in peace, where he deposits his money with a Muslim or a Zimmi or lends such money to them, and then returns to a land of war, the case shold be considered thus : if the man has entered that land of war as a merchant, a messenger or a tourist, or for some business before he gets back to the land of Islam, he should be assured of both his life and property for he had not deviated from the intention of residing in the land of Islam. Should a Zimmi enter a land of war for residence, hid life as distinct from his property, shall no longer be secure. This is because his entry into the land of Islam, security was established for his property, so that when the security of his life is no more following his entering the land of war, the security remains valid for his property.

The scholars in connection with the theory of continued security for such person's property, have laid the rule that in the event of the death of a protege in a land of war or his being murdered in battle between his country and Muslims, his entitlement to his own property shall not be forfeited, and the property shall pass to his heirs. The Islamic State has to transfer such property to him safe and sound.

According to Al-Shafei, however, the money shall not pass to such man's heirs for, it was him and not his heirs that enjoyed security pledge, and because the money was his. The scholars on the other hand, consider the security a right attached to moeny which being the property of the protege in his life, should pass to his heirs after he dies, just as any other rights.

Scholars would authorise the confiscation of a protege's money in one single case ; this is in the event of his return back to his country and his fighting the Muslims, and falling a prisoner of war. In such a case he is not deemed eligible for ownership and his property should accrue to the Muslim Common Fund for there can be no money without owner. Should he be creditor of some Muslims, his debt shall be forfeited for there is no money without claimant. According to certain scholars it is the Muslim Common Fund that should claim such money as its right.

Application of the Muslim Code to Proteges :

In relation to financial dealings, a protege is subject to the Muslim Code in that he is forbidden to

suffer obligations beyond his power, will be my enemy on the Day of Reckoning". Omar ibn Al-Khatab on his death bed, also said, "I recommend the Caliph after me to abide by the Prophet's commandments in fulfilling Zimmis' contract, to fight for their protection and not to impose obligations on them beyond their endurance".

Abu Yussef elsewhere in his same work has said, "It is related that Omar ibn AlKhatab passing by the door of certain people's house, found a blind and elderly beggar knocking at it. Omar asked, "From whom of the people of the Book are you ?" The beggar said he was a Jew. Omar again asked, "what has reduced you to this pitiable state ?" The beggar answered, "Ask the tribute, the need and the age", whereupon Omar took the man's hand and led him to his own house where he gave him some money. Omar then sent for the treasurer of Baitulmal (Muslims' Fund) and ordered that he should pay him a permanent allowance, saying, "Look after this man and his like for God will not grant us justice if we eat up his youth and let him down in old age. Charity is prescribed for the poor and the destitute the poor are the Muslims and this man is one of the destitute from amongst the People of the Book. Omar ordered that the tribute payable by him and his like should be waived.

The **Protege** :

A protege is a person who enters a Muslim land without the intention of living in it, but only for a specified stay under a contract known by the name of a residence contract. He may simply be given the right of residence for trade, tourism or vist. Such residence was normally limited to a specified period, renewable for further periods. If it developed into permanent residence, the protege was deemed a Zimmi.

Islam, being tolerant and because it considered wars a temporary circumstance that they were confined to camps and would not extend to peoples, made the door of its lands wide upon for proteges to enter. This was so even in case such persons who belonged to a country at war with the Muslims. Islam also safeguarded proteges lives and property against all aggression so long as they held to the security contract. They were likewise left free to exercise their commercial and other activities unrestricted.

In this respect Al-Sarakhsi said, "Their property has come to be guaranteed by the security pledge and cannot be taken away as legitimate prize".

He who remains in Muslim land keeps his property which never goes out of him even though he returns to the land of war ; he

allowed by a Zimmi's religion, the forbidding of anything permitted cannot in all cases be deemed interference in personal liberty. Such interference materialises only where a Zimmi's religion orders something for which the Muslims are punished. Permission in such a case would be tantamount to the abrogation of a religious law.

It should be noted, however, that the non-application of Islamic rules to the marriage and divorce affairs of Zimmis is to consolidate their liberty in family matters and to ensure that such affairs will continue to be governed by their religious beliefs, thereby strengthening family bonds. This is not a privilege for Zimmis but a grant as already stated. A grantor has no doubt the right to withdraw the grant if it should engender manifest harm which in this case, is the harm of "privilege".

The protection of a Zimmi is incumbent upon the state for his blood is safe-guarded and he must not be the target of aggression. His personal liberty is also guaranteed against all encroachment; so is his dignity for he is a man with safe-guarded dignity.

Since the execution of these lofty and equitable principles could be difficult to some people in the presence of divergent religions, religious laws have stressed the necessity of respecting Zimmis' rights lest religious over-enthusiasm by some Muslims should waste Zimmis' rights. The Prophet has also said, "He who harms a Zimmi will be my enemy on the Day of Judgement ; and he with whom I am unreconciled will be an adversary"

It was also the practice of Omar ibn el-Khatab to send spies to watch the Walies (rulers) and see to what extent they deal justly with their subjects. The thing that occupied his best attention was their treatment of the Zimmis. Everytime deputations came to him from the provinces, his first enquiry was about such treatment.

Scholars in all the ages were most anxious to recommend Muslim rulers to be just with the Zimmis. An example of this solicitude is provided by an address reported in "Al-Kharaj" by Abu Yussef, to Haroun Al-Rasheed as follows :

"It might be necessary O Commander of the Faithful to whom may God be gracious, to treat Zimmis with equity in abidance with the tradition of our Prophet and your cousin, Mohamed on whom be God's peace and blessings, and to inspect their conditions lest they should be wronged and to spare them any harm or obligations beyond their ability, and so that nothing of their property be taken from them without right. For the Prophet has said. "He who wrogs a covenanted person or have him

for it is the juridical and not the actual considerations that count Muslims, they hold, are Muslim citizens from the juridical viewpoint.

State Sovereignty Over non-Muslims :

A state has also an established sovereignty over those residing in its land. These are dividing into Zimmis and proteges.

A Zimmi is a non-Muslim living among the Muslims, having the same rights and obligations. He is a Muslim citizen by virtue of the contract he had with the Muslims,' which imposed obligations and accorded rights to civilians. It was a perpetual contract that applied to the contracting party and his posterity as well.

Scholars have laid two conditions for Zimmi contracts :

a) Zimmis should meet certain financial obligations to be levied on those who can afford it as contribution to state development; they should also subscribe to the financial resources of the state.

b) They should comply with Muslim rules in financial dealings and Muslim penalties so as to enjoy the same rights and incur the same obligations as Muslims.

As for family affairs in matters of marriage and divorce, the authorities left them free to practice such matters, being connected with their religion. According to Hanafi scholars Zimmis could drink alcoholic drinks and eat swine flesh if they thought this was permissible in their religion lest any restriction on their consumption of these commodities should be considered intervention in their personal freedom. Zimmis, therefore, were not punished for drinking liquor except where they incite Muslim youth to drink, by words or action. It is for this deed only that they are punished.

The same school of thought for the protection of Zimmis' freedom in this respect to the extent that a Muslim who spilled a Zimmi's liquor or killed his swine, should pay indemnity for the harm he had done. In the oppoiste case the offending Zimmi was not to indemnity the Muslim for such commodities constitute respected property for the Zimmi and not the Muslim.

Abu Hanifa differed from this majority view which declared such commodities unlawful for non-Muslims and that such prohibition in Islam was by way of protecting society against their evil. What is prescribed as protection for society should thus form part and parcel of the public order which must apply to all.

Supposing for the sake of argument that those commodities are

THE LANDS OF ISLAM, OF WAR AND OF COVENANT - II

By

(Late) Sheikh Muhammad Abu Zahra

A Muslim is a Muslim Subject :

Despite the regional difference of contemporary times and of past differences, scholars establish the rule that Muslims and the People of the Book holding a Muslim pledge of secwity should be regarded as Muslim citizens. Muslim of whatever nationality : be he English, French German, or American is a Muslim citizen wherever he is while the People of the Book so long as they are covered by Muslim citizenship, should be governed by its dictates.

These rules entail the following consequences :

A—A Faithful who lives in a non-Muslim State should emigrate and reside in a state governed by a Muslim ruler if physically capable of making the trip.

B—A Muslim can inherit another Muslim whatever his home country and nationality,an English Muslim would thus inherit an Egyptian Muslim in the presence of a relationship between them in support of such heritage.

C—A Muslim who commits a crime in lands other than Muslim lands, and on his arrival in Muslim territory, his crime has been proved to a Muslim judge, he must suffer punishment according to Muslim tenets whatever the penalty prescribed for the crime so long as the victim could not be lawfully killed. This was the view held by a majority of scholars, but Abu Hanifa held a different opinion, he said that a crime committed in non-Muslim lands should not be punished by the state on the ground that a Muslim culprit to be punished should have been subject to the Muslim state from the actual and juridical points of view at the time he prepared the crime. A person who committed a crime in a land of war cannot be deemed as actually subject to the Muslim state although he might juridically be subject to it because of his citizenship.

If a Muslim perpetrates a crime on a land of war that carries the capital penalty such as the deliberate murder of another Muslim, and his crime has been proved in Muslim land, he should also according to Abu Hanifa, suffer such a sentence but should rather he ordered to pay ransom so that Muslim blood may be spared.

A majority of scholars held the different view that the culprits should suffer the capital penalty,

abolished this inequality, and delicts against the woman were placed no the same level as those against the man, whether they concerned person or property or honor. One may even say that in certain cases the rights of women are held to be more important. For instance the Quran (24/4-5) decrees that if a man accuses a woman of immorality and does not produce proof, he is exposed not only to the penalty prescribed for a false accusation, but to be declared for perpetuity as unworthy of giving an evidence before a tribunal (this in addition to the Divine punishment in the Hereafter, which however may be effaced in case of repentance). There is almost a consensus of opinion that repentance effaces the sin in the eschatological sense, et the incapacity of evidence remains constant in spite of the recognized repentance. The Quran seems to require the purging of society from the evil of inconsiderate talks, particularly in matters where injury is easy to inflict and difficult to remedy.

(to be continued)

the more apt to create peace at home On another occasion, the Prophet said : "The world is an ephemeral thing, of which one takes temporary advantage; and among the worldly things nothing is better than a good (pious) wife". idem, No. 1855). At Tirmudi and an-Nasa'i report another saying of the Prophet : "The perfect believer is the one who has a perfect character and is kind to one's wife".

As we have just remarked, Islam attaches particular importance to morality. Hence it is that promiscuity is ordered to be suppressed by every means. According to the Quran (4/34) : if one fears immorality (nushuz), cf. s 382) on the part of ones's wife, one should first admonish, then exert pressure by separating the beds, and finally may even scourge, though not heavily. If there is no means of reform, divorce - which has been characterized as "the most detestable among the lawful things", by the Prophet - may solve the problem. This obligation of chastity is reciprocal. A little later, the Quran (4 : 128-30) says that if a woman fears immorality (nushuz) or indifference, on the part of her husband, she should try to arrange things and in the last resort she too has the right to demand judicial separation.

A good mutual understanding implies identity of views of the couple. This may take place at times spontaneously : both husband and wife arriving at the same conclusions; at others one of the couple will to make the concession and to renounce his personal opinion. However there is a limit to it, and one should not be astonished that the Quran (29/8) and the Hadith prescribe : "No obedience to a creature in the disobedience of the Creator". One is allowed to make concessions of all sorts, by love or for simple expediencey, provided that this dose not affect a formal law of Islam, above all the religious injuctions should on no account be violated.

One thing was very dear to the Holy Prophet, and he talked of it at several occasions, that men should avoid effeminate practices, and that girls should not behave as boys in coiffure, in dress, in the manner of talking and so on. One should rather develop ones's self in the natural direction, and not in the opposite way; otherwise it is the "curse of God" which shall befall the person who violates this direction.

Rights of Women

The pre-Islamic Arabs attached less importance to the person of a woman than to that of a man. Thus, if the culprit was a man and the victim a woman, retaliation could not take place. The Quran

epoch of Islamic history, including the time of the Prophet, one sees Muslim women engaged in every profession that suited them. They worked as nurses, teachers, and even as combatants by the side of men when necessary, in addition to being hair- dressers, cooks, etc. Caliph Omar employed a lady, Shifa' bint 'Abdallah, as inspector in the market at the capital (Madinah), as Ibn Hajar (Isabah) records. The same lady had taught Hafshah, wife of the Prophet, how to write and read. The jurists admit the possibility of women being appointed as judges of tribunals, and there are several examples of the kind. In brief, far from becoming a parasite, a woman could collaborate with men, in Muslim society, to earn her livelihood and to develop her talents.

According to the Quran (30/21) : "And of His signs is this : He created for you helpmates from yourselves that ye may find rest in them, and He ordained between you love and mercy". Women and men mutually form complements of one another (Q. 2/187); therefore they should accomodate one another for their mutual interest. Two equals cannot be in accord with each other in a hundred percent of cases; mutual concessions would be needed in the interests of the home and for the better comprehension inside the family. The counsel of the Quran (4/19), given to the husband regarding the treatment of the wife, provides food for thought : "...... but consort with them in kindness, for if ye hate them it may happen that ye hate a thing wherein God hath placed much good". In fact the wiser one is, the greater the concession one makes, especially when one is also more powerful.

One seeks and prefers for the purpose of marriage the person one loves. But the qestion of love has quite a gloomy history in the annals of man. The motives of love, especially among the young, are often fantastic and ephemeral : a sweet voice, a delicious manner of smiling, the eyes, the colour, the coiffure or any other passing gesture starts the drama. However, for true conjugal life this does not suffice. The Prophet Muhmmad has given us a very wise counsel in this respect : "Do not marry only for the sake of beauty; may be the beauty becomes the cause of moral degradation. Do not marry even for the sake of wealth; may be the wealth becomes the reason of insubordination. Marry rather on the ground of religious devotion".? (Ibn Majah, No. 1859 As the Islamic religion regulates all domains of life, it goes without saying that the one who observes scrupulously one's religious duties is

There are also social duties. With a view to distribute the national wealth equitably, the means leading to the accumulation of wealth in the hands of the few are forbidden, as in the case of interest and games of chance. A Muslim woman is as much subject to the rules as a man. Lotteries and speculations on racing, etc., are harmful to the economic equilibrium of society, and remain expressly forbidden, for both men and women.

Let us recall another source of numberless misfortunes and that is alcohol. It is the express duty of every Muslim to abstain from it. The Quran (5/90) calls it the work of Satan. Its hygienic, economic, moral and other evils are too well known to require description. Alcoholic drinks have a particualr aspect concerning the woman : it is she who nourishes her baby with her blood, and then with her milk, thus transmitting her health or her ailment to her baby, to the new generation and to the future of humanity.

A very comprehensive duty is that of morality. If spirituality is our duty in our relations with our Creator, morality has the same place in our mutual relations with our fellow-beings. In his ardent desire to attack the very sources of evil, and not merely certain of its manifestations, Islam has imposed recommended, or otherwise encouraged certain practices, which astonish us sometimes if we do not take into consideration their profound motives. All religions say that fornication and adultery are crimes, but Islam would go farther and would prescribe means to diminish the temptations. It is easy to hope that every one would develop one's individual morality in order to resist the temptations; but it is wiser to diminish the occasions in which persons with weak characters - who constitute the majority of men - need to engage in a battle where defeat is a foregone conclusion.

It is thus that the Quran (33/59) first exhorted "to put on their jalabib" (sort of cloak or overall, covering from head to foot), in order to diminsh the occasions of attraction and protecting women from the wickedness of men, as the verse explains. Then came the revelation (24/30-31) for behavibur inside the house with friends and visitors : "Tell the believing men to lower their gaze and be chaste; that is purer for them; lo ! God is aware of what they do. And tell the believing women to lower their gaze and be chaste and to display their adornment only that which is apparent, and to draw their Khumur (veils covering the face) over their bosoms..." In every

If there is a certain natural inequality between the two sexes, in many other aspects of life they resemble each other. Therefore their rights and obligations in these domains will also be similar.

This sums up, in a way, the Islamic teaching on a woman : She is considered equal to man in certain respects and not so in certain others. This could be understood better in the description of her obligations and her rights :

Obligations of Woman

In religious matters, her first duty, even as that of the man, is to believe in the Oneness of God, which is the only means of salvation in the Hereafter. One knows that Islam has formally prohibited the use of compulsion to convert anybody to Islam — and it may be recalled by the way that the non-Muslim woman of a Muslim husband has the full right to conserve her religion, and to practise it in her individual capacity, even while she is the wife of a Muslim — and one also knows that inside the Muslim community a rigorous discipline is maintained for its conservation as a whole and the preservation of its system of life. Treason in this respect is punished ; yet cerain cases of the time of the Orthodox Caliphs show that the punishment of women on account of apostasy is less severe than that of men.

Among the religious practices, it is incumbent upon women, as also upon men, to celebrate the services of worship, though with certain concessions. An adult woman is exempt during several days every month from performing the daily services of worship. As to the congregational prayer of Friday, it is optional for her, while it is obligatory for man. The rigour of fasts is also lightened to her, and at the moment of child-birth, monthly course etc., she has the right to postpone her fasts of the month of Ramadan. With regard to Hajj (pilgrimage of Mecca) also, there are certain rites from which she is exempted, if she cannot perform them for feminine reasons. To be breif, Islam is lenient and considerate to her. As to the last of the basic duties, viz, the payment of zakat-tax, she has equality with man, though certain schools of law—the Shafi'ite for instance—make her certain concessions. So, there is a tax on the savings, yet the savings converted by a woman into ornaments of personal use are exempt from tax. In spite of the fact that Islam lays emphasis on the constant circulation of the national wealth for the purpose of continually increasing it, and discourages hoarding by subjecting it to a tax, it has nevertheless made a concession in favour of women and their feminine tastes.

upon them. As to what is incumbent upon them in your regard, is that they should not let your beds be trampled by others than you, should not allow those to enter your houses whom you do not like without your authorization, and should not commit turpitude. If they do commit that, then God has given you permission to reprimand them, to separate yourself from them in beds, and to strike them but not hard. If they abstain and obey you, then it is incumbent upon you to provide their food and dress in accordance with good custom. And I command you to treat women well, because they are like captives in your houses, possessing nothing for themselves, and you, on your part, take them as a deposit from God, and permit yourselves the enjoyment of their persons by means of a word of God. Have therefore the fear of God with regard to women, and I order you treat them well. Attention ! Have I communicated ? O God, be witness :" (cf. Ibn Hisham).

With regard to woman as a daughter, the Islamic attitude can be gusses from the reproaches which the Quran makes against the pagan, pre-Islamic behaviour at the birth of daughters : "And they assign unto daughters... be He purified (from, this) ! and unto themselves what they desire (i.e., sons); and when if one of them receiveth tidings of the birth of a female, his face remaineth darkened, and he is worth inwardly. He hideth himself from the folk because of the evil of that whereof he hath tidings, (asking himself) : Shall he keep it in contempt, or bury it beneath the dust ? Verily evil is their judgement". Q 16 : 57-59). The Quran reminds ceaselessly that God has created all things in pairs, and for procreation both the sexes are equally indispensable, each one having its particular function. And it proclaims : "...unto men a fortune from that which they have earned, and unto women a fortune from that which they have earned" (4 : 32).

Nature has not willed a perfect equality among the two sexes, but a distribution of avocations and functions. For instance, it will not be possible for man to conceive a baby; similarly the natural attributes of men cannot be exercised by women. She has a more delicate physical constitution, affecting even the weight of her brain and bones, and she will have a taste moer in conformity with the need of the consevation of this delicasy. More robust, man will have greater strength and therefore more endowed to engage in the more painful parts of life. To each will be according to his (or her) requirements, both natural and reasonable.

THE MUSLIM WOMAN

By

Dr. Muhammad Hamidullah

When studying the principal rights and obligations of women in Islam, it must be pointed out at the very outest that, in spite of the capacity of Muslim law to adopt itself and to develop according to circumstances, there will be no question of recognizing the extreme liberty which a woman enjoys today in fact and in practice, in certain sections of social life, both in the capitalistic and the communistic West. Island demands that a woman should remain a reasonable being. It does not expect her to become either an angel or a demon. "The golden means is the best of thing" said the Prophet Muhammad. If one wants to compare or contrast her position in Islam with that in other civilizations or legal systems, one should take into consideration all the facts, and not merely isolated practices. In fact, in regard to certain aspects of morality, Islam is more rigid and more puritan than certain other systems of life in our times.

Generalities

The position of mother is very exalted in Islamic tradition. The Prophet Muhammad has gone so far as to say : "Even Pradise lies underneath the feet of your mothers". Al-Bukhari reports : Somebody asked the Prophet which work pleases God most ? He replied : "The service of worship at the appointed hour". And when it was continued : "And what afterwards?" the prophet replied : "To be bounteous to your father and mother". The Quran reverts to this often, and reminds man that he must always keep in mind the fact thatit was his mother who had borne him in her womb, suffered much on his account and reared him up after making all kinds of sacrifices.

As regards the women as wife, the saying of the Prophet is well known : "The best among you is the one who is best towards his wife". In his memorable Farewell Discourse, prounced on the occasion of the Last Pilgrimage, the Prophet spoke of woman at length, and said in particular :

"Well then, people : Verily there are rights in favour of your women which are incumbent upon you, and there are rights in favour of you which are incumbent

the hearts of the people, thus they derived guidance and inducement for morals and values which are indispenssible for a virtuous life, and strength of leadership. When this was achieved, the slamic people in abundant happiness, and they maintained their spirituall strength and liveliness of conscience. In such a society the individual endeavours for the good of the whole and the community labors collectively so that the individual could be endowed with happiness.

In a true Quranic society, believing only in the Guidance of the Almighty God and the traditions of His messengers, one could find no corruption, no embezzlement, no forgers or reckless people. Instead, one could find self-denial and love among the individuals, and no hatred or dissension.

The real aims and objects of understanding of the Quran can be achieved when it is occupying the hearts and not mere words reiterated by tongues. Referring to history, we can easily see the progress achieved by the faithful Muslims when the Quran filled their hearts and dominated their feelings. When the Quran was recieted among them their eyes were filled with tears, their hearts were filled with fear of sinning, their minds were roming in the celestial kingdom and they subsequently strengthened their belief and confidence in the Almighty God. It was also the secrete in which they found their happiness and the key to all good.

This was their trend of life and their souls were elevated by the spirit of God and their hearts enlightened by the light of the Quran. The Quran was their guidance in morals as well as in social, economic and other aspects of the human affairs. Hence their manners became refined, their affairs were led in the right direction, and their happiness redoubled.

God has promised the internal state of satisfaction and peace of mind to those who turn to Him and follow His Guidance, for He is the Supreme Master, the Supreme Protector and the Source of all help. Referring to this fact the Holy Quran says ·

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب •

الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب ـ الوعد ٢٨ ، ٢٩

It means : "Those who believe and whose hearts find satisfaction in the remembrance of God : For without doubt in the remembrance of God do hearts find satisfaction. For those who believe and work righteousness is (every) blessedness, and a beautiful place of final return" (13 : 28-29).

preconceived notions and get an acquainted with the distinctive features of this Unique Book. The reader should also understand the real nature of the Quran. He will have to consider, as a starting point, the claim that is put forward by itself and its bearer, the Prophet, that it is the Divine Guidance to Mankind. Thus the Subject it deals with is Man; as it discuss those aspects of his life that lead either to his real success or failure in this life and the life to come. The central theme that runs through the Quran is the exposition of the Reality and the invention of the Right Way based on it. The aim and the object of the Quran is to invite mankind to that way. It also presents the Guidance which leads man to that Right Path.

One can understand fully the Quran only if he keeps these facts in mind. The aim of the Quran is not to teach Nature study or philosophy or history or any other science or art. The thing with which it is concerned is to impress the Truth upon the minds, and to invite humanity to the Right Path. When Quran is studied with this understanding one could find that the whole of reason arguments and there is continuity of subjects throughout the Book. He also should understand the backgrounds of the revelations of the different Verses; for, the Quran was not revealed as a complete book at one and the same time; nor it was handed over as a written copy to Prophet Muhammad (peace be on him). The Quran adopts its own style to suit the guidance of the Islamic Movement that was started by the Messenger of God by His direct Command in order to meet the requirements of it in different stages and circumstances.

The Quran is the source of unbroken youth for the hearts of the believers. Those who learn its verses, digest their meanings and principles, are always endowed with exeeding strength and the utmost tenacity.

They live with in a framework of sound freedom given to them by God, compassionate and cooperative themselves. The true followers of the Quran seek no other goal than to live with peace, sympathy and love among themselves and with other nations. The early Muslims believed in the sublimity of the Quran as the source of power and the way of all good. Hence they geve the Holy Quran the highest esteem. They bent themselves to the task of learning it, understanding its meaning and following its teachings and guidance.

Those foremost Muslims realised the effect of the Quran's teachings on the soul and bearing on

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FOUDA

DHU'L QA'DAH 1395	ENGLISH SECTION	NOVEMBER 1975

THE HOLY QURAN — AS THE SOURCE OF HAPPINESS FOR MANKIND

By

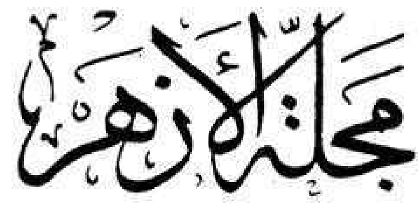
Dr. A. M. Mohiaddin Alwaye

In the previous issue, we have seen some miraculous characters of the Holy Quran, and its position as the standing miracle of Islam. In this article let us strive for understanding some aspects of it as being the source of happiness for all mankind, in their life in this world and in the Hereafter. The search for a source of happiness is a fundamental question effecting all mankind today.

It is a fact that the Quran is a Unique Book quite different from the books one usually reads. The Quran does not contain information, ideas and arguments about specific themes arranged in a literary order. Its style and method of explaining things are also quite different from those of other Books. That is why a stranger to the Quran, on his first approach to it, is baffled when he does not find the enunciation of the subjects it deals with or separate treatment of different topics and instructions for different aspects of life arranged in a serial order. But he finds that it deals with creeds, gives moral instructions, lays down laws, draws lessons from historical events, all blended together in a wonderful manner.

Its style and method of explaining things are also quite different from those of other books one commonly reads. It is not a book on Religion in the sense this word is generally understood. In order to understand the distinctive features of the Quran, one should first of all free his mind from

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة السابعة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٥ هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

يخلق ما يشاء ويختار

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ويختص برحمته من يشاء، وقد اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، ومن الأرض المساجد ، ومن المساجد البيت الحرام ، فجعله القبلة التى يؤمها المؤمنون فى كل صلاة ، ويتجهون اليها من كل جانب ، كما يفهم من قوله لرسوله ولهم جميعا : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» ثم توج هذا التوجيه بايجاب حجه كما يفهم من قوله : «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» وجعل اهمال هذا الواجب مع القدرة عليه ، بمنزلة الكفر ، كما يفهم من قوله : « ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

٢ - والمتأمل فى القرآن الكريم يجد مكانة البيت ومكانة الحج بالصورة الكريمة العظيمة التى بينها النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة) فهو أقدم وأعظم بيوت الله فى الأرض كما يقول الله : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » وقد سماه الله البيت العتيق أى القديم الكريم ، وقرن به اليمن والأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وجعل المكان الذى يقوم فيه حرما آمنا ، وسمى البلد الذى بنى حوله البلد الأمين ، والشهور التى يحج فيها الأشهر الحرم ، فله ولمكانه ولزمان حجه . ما ليس لبيت أو مكان أو زمان من الحرمة والجلال ..

٣ - أما من يقصدونه بحج أو عمرة فقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم - وهو مبلغ عن الله - وفد الله ، وبين مكانتهم عنده وقربهم منه بقوله عليه السلام : (الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم) فأى شرف أغلى وأعلى من هذا الشرف العظيم ، وأى مقام لجماعة من الناس أسمى وأسنى من هذا المقام الكريم .. ؟ هذا الى أن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ، فانه يفهم منه أن الحج والعمرة تصفو بهما النفوس كما تصفو المعادن بتخليصها من كل ما يشوبها ويعيبها ، فان أعمال الحج ومناسكه . ومشاهده . وقرباته وذكرياته وحرماته تذيب عن النفوس صدأها . وتزيل عنها ما علق بها من أوضار الذنوب والآثام ، وتعود بها الى فطرتها الصافية النقية التى يتألق فيها دين الفطرة ويشرق عليها نور الاسلام .

٤ ـ وليس فى أرض الله الواسعة بقعة أو رقعة شهدت ما شهدته هذه الأرض التى تؤدى فيها مناسك الحج من ذكريات عاطرة، وأحداث عظيمة ، فاليها أقبل ابراهيم بزوجه هاجر وولده اسماعيل من بلاد الشام المرعة الخصيبة ، ثم تركهما حيث لا أنيس ولا جليس ، واتجه الى الله يدعوه ويقول ما يحكيه القرآن عنه : «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» وفيها سعت هاجر بين الصفا والمروة مكدودة باحثة عن ماء لتنقذ به حياة ولدها وقد كاد يقتله الظمأ بين يديها وأمام عينيها ، ثم تداركتهما رحمة الله بماء عذب غزير يتفجر من زمزم . ويجذب اليه أنظار البعيدين عنه فيقبلون عليه . ويقيمون حوله ، ويعمر بهم المكان .. وبها ضرب ابراهيم واسماعيل أروع المثل فى امتثال أمر الله . والتضحية بالولد والنفس فى سبيل مرضاته اذكان منهما ما يذكره القرآن عنهما حيث يقول الله فيهما : «فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

٥ ـ وقد أبقى الله اسماعيل ، ورزق ابراهيم ولدا آخر . فكان منهما شجرة النبوة التى عطرت الوجود بنفحات السماء . وأضاءت الكون بهدى الأنبياء وكان منها محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول الله فيه : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وكما يقول له : « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

ورحم الله البوصيرى اذ يقول فيه وفى الأنبياء قبله :

فانه شمس فضل هم كواكبها
يطلعن أنوارها للناس فى الظلم

٦ ـ ولا يتسع هذا المقال للافاضة فى الحديث عن عبير تلك الأماكن التى كرمها الله وجعلها مناسك فى الحج ، وحسبنا أن نذكر المسلمين بما ذكره الله فى آخر سورة الحج اذ يقول جل شأنه : « ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم • وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم (اختاركم واصطفاكم) ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» وصدق الله اذ يقول : « وربك يخلق مايشاء ويختار » •

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

متى شرع الإعلام بالصلاة وكيف شرع

للأستاذ مصطفى محمد الحديدي الطير

يقول الله تعالى :
« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »
ويقول سبحانه :
« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »

البيان

فرضت الصلاة على المسلمين فى ذروة الاضطهاد الدينى من قريش لهم ، فكانوا يؤدونها بمكة فرادى ، بلا أذان ولا اقامة ، حذرا من أذى المشركين ، ولما أذن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بالهجرة من مكة الى المدينة ، أدركته أول صلاة يجتمع فيها شمل المسلمين على العبادة ، فى أرض بنى سالم بن عوف قرب المدينة ، فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصلاها بمن معه من الأنصار ، الذين خرجوا من المدينة ، لاستقباله والترحيب بمقدمه الشريف .

وكان عددمن صلاها معه فى هذا اليوم مائة ، وكانت خالية من الأذان ومن الاقامة ، لأنهما لم يشرعا بعد .

وقد خطب الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الصلاة ، خطبة جليلة قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه :

« أما بعد — أيها الناس — فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وأتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزى الحسنة عشرة أمثالها ، الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

هكذا كانت خطبته لهم يومئذ ، وكانت الصلاة والخطبة ، بمسجد بناه بنو سالم بن عوف فى أرضهم قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم ، وأطلق عليه بعدها مسجد الجمعة .

وبعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فى جو ينتشر فيه عبير الايمان ، أوجب الله على المؤمنين الهجرة ، ليسلموا ويسلم دينهم من أذى المشركين ، ولينعموا بجو الايمان والحرية بالمدينة الى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، وحكم الله على من تخلف عن الهجرة وهو قادر عليها بأنه آثم ومأواه جهنم،واستثنى المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة النساء « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » ولم يكتف بذلك ، بل حبب اليهم الهجرة ، بما سيجدونه فى المهجر من رغد العيش وسعته ووعدهم بأن من لم يبلغ دار الهجرة بل مات فى طريقه اليها ، فقد وقع أجره على الله تعالى ، وفى ذلك يقول سبحانه «ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » فاندفع المتخلفون على الهجرة ،ولقوا من أهل المدينة مزيدا من الحب والترحيب والايثار وفى ذلك يقول الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

الأذان ومراحل تشريعه

الأذان فى اللغة الاعلام مطلقا ، وفى الشريعة الاسلامية الاعلام بالصلاة ، وقد شرع بعد الهجرة الى المدينة ، حين كثر المسلمون وتباعدت دورهم ، واحتاجوا الى ما يعلمهم

بمواقيت الصلاة ، ويدعوهم الى الاجتماع عليها ، بعد أن أصبحوا فى ظل المدينة آمنين على أنفسهم ودينهم .

وكانت مشروعيته على مرحلتين (أولاهما) اعلام الناس ودعاؤهم الى الصلاة بغير ألفاظه المعهودة وفى ذلك يروى الامامان ـ البخارى ومسلم بسنديهما ، عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال (كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون ويتحينون الصلاة ليس ينادى بها، فتكلموا يوما فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال قم فناد بالصلاة » .

فأنت ترى فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يدعو الناس الى الصلاة ، من غير أن يحدد له عبارات معينة لدعوتهم ، فكان يناديهم بما يجول فى خاطره من عبارات .

(والمرحلة الثانية) اعلامهم بألفاظ وعبارات محددة ، يرويها أبو داود عن عبد الله بن زيد باسناد صحيح قال فى ضمن حديثه : (طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت : ياعبد الله أتبيع الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعو به الى الصلاة ، فقال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت : بلى ، فقال : (تقول الله أكبر الله أكبر : الله أكبر الله أكبر) فذكر التكبير أربع مرات ، ومضى فى الأذان حتى كان آخره : لا اله الا الله ، ثم قال بعد أن ذكر أنه علمه الاقامة : (فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت فقال : « انها رؤيا حق ان شاء الله ؛ فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت ، فليؤذن به ، فانه أندى صوتا منك » فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه فيؤذن به ، فسمع ذلك عمر ابن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج يجر رداءه يقول : والذى بعثك بالحق يارسول الله : لقد رأيت مثل ما أرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلله الحمد » .

مذاهب العلماء فى الفاظ الأذان :

يرى عدد كبير من أهل العلم ، أن الأذان يكبر فى أوله أربع تكبيرات ، وعلى هذا الرأى أبو حنيفة والشافعى والثورى وأحمد واسحاق وغيرهم ،

وحجتهم فى ذلك الحديث الصحيح السابق الذى حدث به عبد الله بن زيد ، وما صح عن أبى محذورة فيما رواه عنه أبو دادود ويرى الامام مالك أن يكبر فى أول الأذان مرتان فقط ، وحجته فى ذلك عمل أهل المدينة فى عهده ، فانه كان يؤثره على النصوص الفردية ، ويؤيده فى ذلك رواية مسلم لحديث أبى محذورة ، فقد جاء فيها التكبير مرتان ، فمما تقدم استبان أن من يكبر أول الأذان أربعا ، يستند الى أصل صحيح ، ومن يكبر مرتين يستند الى أصل صحيح أيضا ، فلا ينبغى أن يعيب أحد الفريقين الآخر، فان كليهما مرتكز على دعامة متينة .

مذاهب العلماء فى الشهادتين

أجمع العلماء على أن الأذان لايصح بغير النطق مرتين بالشهادتين ، واقتصر فريق منهم على ذلك ، ومنهم أبو حنيفة وسفيان الثورى وأحمد فى رواية عنه ، وحجتهم فى ذلك حديث عبد الله بن زيد الذى ذكرنا بعضه ، حيث جاء فيه بعد التكبير : أشهد أن لا اله الا الله مرتين ، وأشهد أن محمدا رسول الله مرتين .

وأكثر العلماء ـ ومنهم الشافعى ـ يرون مع ذلك الترجيع فيهما ، وهو أن يقول المؤذن كلتا الشهادتين سرا مرتين ، ثم يجهر بهما كذلك ، فالمرتان الأوليان يقولهما اخلاصا من أعماق قلبه واحتسابا لوجه الله ، والأخريان يقولهما لذلك مع الاعلام بمبقات الصلاة ، وهو سنة عند هؤلاء وليس ركنا من أركان الأذان يبطل بفقده ، فمن تركه عمدا أو سهوا صح أذانه ، وفاته فضيلة الترجيع ، وقيل هو ركن يبطل الأذان بتركه ، والرأى الأول أصح ، لأنه قد جاءت أحاديث عديدة لم يذكر فيها الترجيع ، ومنها حديث عبد الله بن زيد السابق ، ولو كان ركنا لم يحذف ، ولأنه ليس فى حذفه اخلال ظاهر ، بخلاف باقى الكلمات .

واستدل من رأوا أنه ركن فى الأذان بحديث أبى محذورة ، حيث ثبت فيه بتلقين النبى صلى الله عليه وسلم اياه ، وبعمل أهل الحرمين ، وبأن فيه زيادة ، وزيادة الثقة مقبولة ، وبأن اسلام أبى محذورة متأخر ، فحديثه ينسخ المتقدم .

ونحن نقول : أنه لا يلزم من كل ذلك أن يكون الترجيع ركنا فى الأذان يبطل بعدمه ، فلماذا لا يكون سنة

فقط ، ومن أجل هذا يكون من أذن بترجيع فى الشهادتين مرتين سرا قبل الجهر بهما ، مستندا الى أصل صحيح ، ومن أذن بدون ترجيع يكون مستندا الى أصل صحيح آخر ، واختلاف الروايات لبيان الجواز ، فلا ينبغى لفريق أن يلزم آخر بما التزمه؛ اذ الالزام لايكون الا بالمجمع عليه •

التثويب فى الأذان

التثويب أن يقول المؤذن بالفجر خاصة بعد حى على الفلاح ـ الصلاة خير من النوم ـ مأخوذ من ثاب بمعنى رجع ، كأن المؤذن رجع الى الدعوة للصلاة مرة أخرى بعد حى على الصلاة •

أما الصلوات الأخرى فلا تثويب فيها ، وقد رواه خاصا بالفجر أبو داود وغيره بسند جيد ، كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والدارقطنى والبيهقى باسناد صحيح عن أنس قال : (من السنة اذا قال المؤذن فى أذان الفجر حى على الفلاح قال : الصلاة خير من النوم، الله أكبر الله أكبر ، لا اله الا الله) وممن قال بالتثويب عمر ابن الخطاب وابنه ، وأنس والحسن وابن سيرين وغيرهم •

مذاهب العلماء فى الاقامة

عندما يتهيأ المسلمون لصلاة الجماعة يدعوهم المؤذن أن يقيموا الصلاة بذكر يشبه ذكر الأذان ، غير انه فرادى فيما عدا التكبير أولها وآخرها واقامة الصلاة ، فان ذلك يذكر مرتين ، دليل ذلك حديث أنس «أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة الا الاقامة ، أخرجه البخارى ومسلم ، وروى البيهقى باسناد صحيح (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (انما كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرتين ، والاقامة مرة مرة ، غير أنه يقول : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، أخرجه أبو داود والسنائى باسناد صحيح •

قد يقول قائل : ان التكبير فى أول الاقامة شفع وليس وترا ، وكذا آخرها ؛ اذ يقول المقيم فى كليهما : الله أكبر الله أكبر ، قلت ان الوترية فى أحاديث الاقامة اما محمولة على معظم الذكر ، أو محمولة على أن المقيم ينطق التكبير المزدوج فى أولها

وآخرها في نفس واحد ، فهو لهذا كأنه وتر

وانما نطق التكبير فيها شفعا ، لأنه المروى في أحاديثها ، ففي حديث عبد الله بن زيد ، ثم تقول اذا أقمت الصلاة : الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة ، حي على الفلاح قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله » .

سؤال وجواب

قدفهمنا مما تقدمأن أساس تشريع الأذان والاقامة ، رؤيا رآها عبد الله ابن زيد وعمر بن الخطاب في ليلة واحدة،ولم ينزل بها الوحي ، فكيف يسمى هذا تشريعا من الله والجواب أن الله تعالى قال لرسوله صلىالله عليه وسلم « ان أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» فهذا يدل على أن الرسول له أن يجتهد .

وأيضا قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وموافقة الرسول على ما جاء في الرؤيا فيه تبيين منه لمشروعية الأذان للصلاة التي أنزلها الله وأوجبها في القرآن الكريم بقوله « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

وأيضا أن الله قد أقر هذا الاجتهاد ، فلم ينزل ماينافيه ، وبذلك يكون الأذان تشريعا من الله تعالى .

ومعلوم أن الرسول كاناذا اجتهد ولم يوافق الله على اجتهاده ، فانه تعالى كان يعلمه عدم موافقته ، ومن ذلكأنه عليه السلام حين وافق على أخذ الفدية من أسارى بدر ، أنزل الله عتابا له على ذلك قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ... » الآية ٦٧ من سورة الأنفال .

أما ان وافق على اجتهاده – كما هنا في موضوع الأذان – فانه يكون من تشريع الله تعالى .

ما يستحب في الأذان والاقامة

يستحب التأني في الأذان والاسراع في الاقامة ، لما روى عن ابن الزبير مؤذن بيت المقدسفي عهد عمر رضي الله عنه أن عمر قال له :

(اذا أذنت فترسل ، واذا أقمت فاحذم) والترسل التأني والترتيل وترك العجلة ، وهو أولى وأليق

بالأذان لأنه للغائبين ، والحذم (١) الاسراع وهو أليق بالاقامة ؛ فانها للحاضرين ، والاسراع بها أن يصل بعضها ببعض .

ويكره تمطيط الأذان والتطريب به،لما روى أن رجلا قال لابن عمر : انى لأحبك فى الله ،قال : وأنا أبغضك فى الله ، انك تبغى فى أذانك) قال حماد: يعنى التطريب ،وقال الأزهرى: البغى أن يكون فى رفع صوته ، يحكى كلام الجبابرة والمتكبرين وقال غيره:هو تعميم الكلام والتشادق فيه، قال الشاش فى المعتمد : الصواب أن يكون صوته بتحزين وترقيق ، ليس فيه جفاء كلام الأعراب،ولالين كلام المتماذنين .

ويستحب أن يرفع صوته ، لما فى البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، أن أبا سعيد الخدرى قال له : (انى أراك تحب الغنم والبادية ، فاذا كنت فى غنمك أو باديتك ، فأذنت للصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ، فانه لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شىء الا شهد له يوم القيامة) قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويستحب أن لا يكون رفعه شاذا يضر به ، لما روى أن عمر سمع أبا محذورة قد رفع صوته فقال له : أما خشيت أن ينشق مريطاؤك ؟ والمريطاء ـ كما قال ابن فارس ـ من الصدر الى العانة .

ما شرع له الأذان والأقامة

شرعا للصلوات الخمس ، ولم يشرعا لغيرها بلا خلاف ، وينادى للعيد والكسوف والاستسقاء ـ الصلاة جامعة ـ وكذا التراويح اذا صليت جماعة ولايستحب ذلك فى صلاة الجنازة على أصح الوجهين ، لكن الامام الغزالى قطع باستحباب ذلك فيها ، والمذهب الأول

الأذان أفضل من الاقامة

الراجح أن الأذان أفضل من الاقامة لما رواه مسلم عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المؤذنون أطول أعناقا يوم القيامة » ولما رواه البخارى عن أبى هريرة قال: «لو يعلم الناس ما فى النداء والصف

---

(١) بالحاء المهملة .

الأول ، ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا ، أما مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء والأئمة على الاقامة ولم يؤذنوا ، فمحمول على أنهم كانوا مشغولين بمصالح المسلمين التى تحول بينهم وبين مراعاة أوقات الأذان وتحديد أوقات الصلاة بالاجتهاد بنحو القراءة وحركات الشمس ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى باسناد صحيح عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال: لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة لأذنت

بعض أحكام الأذان والاقامة

قيل هما سنة فى الصلوات الخمس والسفر والجماعة والانفراد فان تركا صحت الصلاة ، وبه قال جمهور العلماء ، وقيل فرض كفاية فى حق الجماعة حضرا وسفرا ، فى مسجد أو غيره ، وقيل ذلك فى مسجد الجماعة ، وليسا شرط صحة لها ، وقيل هما شرط فى صحة الصلاة ، والله تعالى هو الموفق للصواب .

مصطفى محمد الحديدى الطير

التوعية الشعبية
نظام إسلامي مقرر

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن ابى أمامة الشيبانى قال : رأيت أبا ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال : كيف تقول فى هذه الآية ؟ عليكم انفسكم، قال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوام ، فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم .

أخرجه الترمذى والنسائى .

استثارة همم الناس الى الخير واستيقافهم عن الشر وهو ما يعرف بالتوعية الشعبية نظام اسلامى مقرر بعنوان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأمر بالمعروف هو طلب فعل الخير على وجه التأكيد ، والنهى عن المنكر : هو طلب الكف عن القبيح على وجه يظهر فيه الاشفاق والاستبشاع .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل اجتماعى تدعو اليه المحبة والحرص على الخير الخاص للفرد ، والخير العام للجماعة ، فلا يأمر انسان انسانا بمعروف ولا ينهاه عن منكر الا بدافع المحبة والحرص عليه حتى يبصره بعواقب مايدعوه اليه بأمره ونهيه وينبهه الى خطره ؟ أما من يكره انسانا فانه يكون ابعد الناس عن تبصيره وتنبيهه ويود بجدع الأنف ان يسترسل فى غوايته وضلاله ليلقى ما يتمناه له من سوء ومكروه .

لذا فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل انسانى تبعث عليه النفس الخيرة الفاضلة ذات الشعور النبيل التى تألم لآلام الناس وتشعر بشعورهم وهو الى ذلك عمل دينى قررته الأديان وشددت فيه وشغل منها ركنا كبيرا

وأوعدت من يتخلف عنه أو يتوانى فيه وهو أهل له بأقسى ماوعدت بهمن عذاب فقد جاء فى القرآن الكريم : «لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون» .

والاسلام هو امتداد للأديان السماوية وخاتم لها ومهيمن عليها أولى ذلك الأمر عنايته وتمثلت تلك العناية فيما جاء فى القرآن الكريم من آيات وأحاديث تفوق الحصر .

فمن الآيات قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون» . وقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وقوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) .

ومن مزايا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أنه رقابة اجتماعية عامة ، لكل مسلم أو على كل مسلم قادر أو مسلمة قادرة نصيب منها بحكم ايمانه كما يقول تعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قانون اسلامى أدبى غير ملزم تجاه أى سلطان غير سلطان الضمير والايمان فلا مسئولية على من يخالفه سواء فى ذلك الآمر أو المأمور وانما مسئولية المخالفة مسئولية ايمانية يتولى الله الحساب عنها والجزاء عليها وهو من هذه الناحية يخالف القوانين الجزائية كما أنه يخالفها من ناحية اتساع دائرة التطبيق فلا يتناول طائفة خاصة مما ينكر أو يعرف بل يتناولها جميعا ، فكل ما يصدق عليه اسم المعروف أو المنكر فهو داخل فى دائرة اختصاص الآمر أو الناهى ، فالمعروف كما يقول ابن الأثير : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع

ونهى عنه من المحرمات والمقبحات ، والمنكر ضد المعروف وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه كما يخالفه من جهة انه القائم به يباشره تطوعا واحتسابا لوجه الله لا يبتغى بذلك الارضاه وحسن ثوابه ولقد برز فى هذا الميدان الجليل جماعة من المسلمين ندبوا أنفسهم له غيرة على الدين ورغبة فى سلوك المسلمين الطريق المستقيم وخشية ان تضل الجماعة الاسلامية طريق الرشاد فلا تبلغ غايتها من النصر والتمكين ، وواجهوا فى سبيل ذلك المخاطر وتصدوا للخلفاء والامراء وتعرضوا للاضطهاد ثم السجن والقتل .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من ألوان التوعية الاجتماعية لها آثارها الطيبة وخاصة اذا حسن أسلوبها وتوافر فيها الكفاية والخبرة والعلم والمعرفة وحسنت فيها المقاصد وخلصت النيات ؛ ولها لغة خاصة تتسم باللين والرفق ، ولكل مقام فيها مقال ، وللكناية والتعريض والاشارة مجال ، والقدوة فى ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية فمع القطع بان المشركين كانوا على ضلال كان النبى يحاسنهم فى المقال ويقول لهم : وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وكان اذا أراد أن ينبه أصحابه على شىء لا يجبهه بالتأنيب بل كان يقول : مابال أقوام يفعلون كذا ولقد اقتنع بجدواها جماعة من حكام المسلمين فى بعض مراحل التاريخ فأولوها عنايتهم واستغلوها فى التوجيه والاصلاح وجعلوها وظيفة شبه رسمية وخولوا القائمين بها بعض السلطات التى تضفى عليهم هيبة تعينهم على أهدافهم وسموا تلك الوظيفة حسبة وسموا القائمين بها محتسبين وبطول الممارسة والتجربة أصبح لها نظم وقواعد مستمدة من الكتاب أو السنة أو مستلهمة من روحها ومناخها ، وألفت فيها كتب توضح أهدافها ومراميها وهى معروفة للباحثين والدارسين ومن فرسان ذلك الميدان بل فارسه المجلى الامام الغزالى فى كتابه الأحياء فقد جمع أشتاتها وأحاط بأطرافها وأوفى بها على الغاية وكشف عن سرها وفضلها ومنزلتها من عوامل التوجيه الاسلامى ولأهمية هذا الأمر أعنى أمر التوعية بالأمر والنهى للتغيير والاصلاح ألزم الاسلام المسلمين كافة كل بحسب وسعه وطاقته فمن استطاع تغيير المنكر باليد فليفعل ومن استطاع باللسان فليغير ومن استطاع بالقلب فليغير ، ومعنى التغيير بالقلب

الاعراض عن مرتكب المنكر واظهار البغض له وتحاشى معونته ومخالطته، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) وهو تفسير وتفصيل لقوله تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وذلك الواجب لا يسقط عن المسلم الا حين ييأس من جدواه وفى ظروف خاصة أشار اليها الحديث وسنتناولها بعد قليل، ومن فهم من قوله تعالى: « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » انها تعفى المسلم من ذلك الواجب فقد فهم خطأ، فقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال: ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده).

ومعنى ذلك أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على كل مسلم أو على جماعة غير معينة منهم تكفى عنهم ولا يسقط هذا الفرض الا حين تفشو الرذائل وتصم الآذان عن نداء الايمان وتعمى البصائر عن رؤية الحق والصواب وحين تجف أشجار المجتمع فلا تورق وتذوى فلا تثمر ويصبح كالحديد البارد لا تلينه المطارق والمعاول، وحين يضن الغنى بماله على سبل الخير وتنقاد نفسه الى مايزين شيطانه فلا يخفق قلبه لأنه محروم ولا تنزعج نفسه لصرخة مكلوم، وحين يتخذ بعض الناس الهه هواه، ويغضى عن دعوة الاله ولا يستجيب الا لنداء شهواته ولذائذه مهما شابها من رجس وباطل فيصبح - وان كان من الناس - كبهيمة الأنعام، وحين يعجب المرء بنفسه فلا يصغى الى نصح ولا يقتنع بصواب يصرفه عن غروره واستكباره واستبداده برأيه وان جانف الحق ودين الله، وحين تكون الدنيا أكبرهم الناس يصرفون اليها قلوبهم وجهودهم، ويغفلون عن ذكر الله وعن الآخرة ولا يشتغلون بالاعداد لها، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث: (ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب المرء بنفسه فعليك نفسك ودع عنك العوام).

لأنه حين يكون المجتمع على هـذه الصورة فقد عظم البلاء وانقطع الرجاء وتعذر الاصلاح فلا جدوى من الموعظة ووجب اعتزال الناس والانزواء عنهم حتى لا يشاهدوا منكم وحتى يسلم ذو الدين بدينه • وقد لا يستطيع المرء فى هذا الجو أن ينهض بشعائر دينه ولا ما وجب عليه لما يحس به من الغربة ولما يلقاه من السخرية به والضيق بتقواه وصلاحه فان صبر واحتمل وقام بما افترض عليه كان له من الأجر أضعاف ما لغيره من المسلمين فى زمان تهيأت لهم فرص العمل وصفا من حولهم الجو ـ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث :

(وان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون عملكم) وفى بعض روايات الحديث زيادة : لأنكم تجدون على الخير أعوانا •

هذا ولم يبين الحديث متى يصير المسلمون هذا المصير ومتى يسود هذا الظلام ومتى يبلغ المجتمع الاسلامى هذا المبلغ من الضلال والانحلال ، فلنفهمه على أنه اخبار بالغيب كغيره من الغيوب علينا أن نؤمن به ولانخوض فى توقيته وتفصيله حتى لا تكذب ظنونا بيقين ما تأتى به الأيام •

ابو الوفا المراغى

من هدى السنة :

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٤ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا ، بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة .

(رواه البخارى)

تمهيد :

قلنا فيما مضى عند بيان أهداف الحديث : ان شريعة الاسلام قامت على مبدأ رفع الحرج ، والتيسير فى التشريع ، والترفق بالمكلفين ، وذكرنا ثلاثة أمثلة يتجلى فيها اليسر والسماحة وفى هذا المقال نحاول أن نذكر بعضا آخر من الأمثلة فنقول وبالله التوفيق:

٤ - من مظاهر التيسير أيضا فى التشريع الاسلامى ان الله عز وجل - اقتضت حكمته - أن يحرم على الحائض الصلاة والصوم ، لكنه أسقط عنها الصلاة ، فلم يلزمها بقضائها وأمرها بقضاء الصوم ،

روى الجماعة عن معاذة (١) قالت : سألت عائشة ، فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ قالت : كان يصيبنا ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

وروى الحديث برواية أخرى لفظها ما يأتى :

(عن معاذة قالت : سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ،

---

(١) معاذة ، بضم الميم ، وهى بنت عبدالله العدوية ، ومعدودة فى فقهاء التابعين ، انظر « فتح البارى لابن حجر » .

ولا تقضى الصلاة ؟ فقالت : أحرورية أنت ؟ قلت : لست بحرورية ، ولكننى أسأل ، قالت : كان يصيبنا ذلك ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة) .

قولها : (أحرورية أنت ؟) بفتح الحاء وضم الراء الأولى نسبة الى حروراء ، قرية بقرب الكوفة ، كان أول اجتماع الخوارج بها ، أى أخارجة أنت ؟ فان طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة الفائتة زمن الحيض ، وهو خلاف الاجماع ا هـ قسطلانى على البخاوى ، وظاهر أن الحكمة فى عدم أمر الحائض بقضاء الصلاة ــ رفع المشقة عنها ، اذ أن الصلاة تتكرر فى كل شهر ، وفى كل يوم ، فيلحقها الحرج فى القضاء ، بخلاف الصوم ، فانه يكون فى السنة مرة ، فلا حرج فى قضائه .

٥ ــ ومن مظاهر التيسير أيضا أن الله تعالى اشترط لصحة الصلاة ــ الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر ومعروف أن هذه الطهارة تكون بالماء الطهور ، وكان مقتضى الظاهر أن من عجز عن الطهارة بالماء ــ لا يكون محصلا للطهارة شرعا ، فلا تصح صلاته ، ولكن الله تعالى ــ رحمة منه بعباده ، وتيسيرا عليهم ــ شرع لهم التيمم اذا لم يتيسر لهم وجود الماء ، أو كانوا مرضى يضرهم استعماله ، ويكون التيمم بمسح الوجه واليدين بتراب طاهر ، أو بغير التراب كالرمل مما صعد على وجه الأرض بشرط أن يكون طاهرا ، واعتبر الشارع الحكيم التيمم حينئذ طهارة مطلقة نهائية عن الوضوء فى حال وجوب التطهر من الحدث الأصغر ، وعن الغسل فى حال وجوب التطهر من الحدث الاكبر وتصح بها الصلاة ، قال الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (١) قوله

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٦

تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط » أى المنخفض من الأرض ، وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة ، وكنى به عن الحدث ، كالتبول مثلا أو التبرز .

قوله : «فتيمموا صعيدا طيبا» التيمم لغة : مطلق القصد ، قال الشاعر العربى .

ولا أدرى اذا يممت أرضا
أريد الخير أيهما يلينى

أى قصدتها ، وفى الشرع : قصد الصعيد الطاهر ، واستعماله بصفة مخصوصة لاقامة القربة ، والصعيد ، وجه الأرض سواء كان ترابها أوغيره كالرمل مثلا : قال صاحب المصباح : (الصعيد) وجه الأرض تربها كان أو غيره ، قال الزجاج : ولا أعلم اختلافا بين أهل اللغة فى ذلك ، ا هـ والطيب: الطاهر ، والمراد بقوله : (فتيمموا صعيدا طيبا) اقصدوا الصعيد لمسح الوجه واليدين بنية استجابة الصلاة ونحوها .

ويدل أيضا على شرعية التيمم عند وجود عذر يقتضيه ـ ما روى عن عمران بن حصين قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فصلى بالناس ، فاذا هو برجل معتزل ، فقال : (ما منعك أن تصلى ؟ قال : أصابتنى جنابة ، ولا ماء قال : عليك بالصعيد ، فانه يكفيك) (١) قوله : (أصابتنى جنابة ولا ماء) يريد أنه احتلم ، ولا يجد ماء يغسل به . قوله : (عليك بالصعيد) الزمه لتتيمم به .

ويدل على شرعيته أيضا ، وصحة الصلاة على الأرض مطلقا ـ اذا كانت طاهرة ـ ماذكره عليه الصلاة والسلام فى معرض ماخصه الله به من عطاء كريم ، حيث قال :

(جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل) (٢) وما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى .

(جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا اينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت) (١) وما روى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جعلت الأرض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا ، فأينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده ، وعنده طهوره) (٢) •

قوله : (جعلت لى الارض مسجدا) أى موضع سجود وصلاة ، لايختص السجود والصلاة منها بموضع دون موضع ،بخلاف من قبله عليه الصلاة والسلام ، لأنه انما أبيحت لهم الصلاة فى أماكن مخصوصة ، وهى أماكن العبادة ، ويؤيدهذا ما جاء فى رواية أخرى لعمرو بن شعيب بلفظ :

(وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم) وما أخرجه البزار من حديث ابن عباس وفيه : (ولم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه) •

قوله : (وطهورا)بفتح الطاء ، أى مطهرة •

ففى اعتبار التيمم طهارة مع أنه استعمال للتراب الملوث - مظهرعظيم من مظاهر التيسير ، وفى الحكم بترتب الطهارة على استعمال شىء يتحقق وجوده غالبا ـ مظهر قوى من مظاهر التيسير ، وفى جعل المسح بالتراب مقصور على الوجه واليدين مظهر جلى من مظاهر التيسير •

وكذلك فى الحكم بجعل التيمم نائبا عن كل من الوضوء عند التطهر من الحدث الأصغر ، وعن الغسل عند التطهر من الحدث الأكبر ـ مع أنه لم يمسح فيه من الجسم الا مساحة ضيقة ـ مظهر واسع من مظاهرالتيسير والترفق بالمكلفين •

هذا وجعل التيمم طهارة شرعا ـ يعتبر أمرا تعبديا يعلو فهمه على العقول ـ لذا خفيت بعض أحكامه عقب شرعيته ـكما تدل على ذلك الواقعة الآتية التى حصلت لفريق من الصحابة رضوان الله عليهم ـ أيام حياته صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه الامام احمد •

(٢) رواه الامام احمد ايضا •

فقد كان جماعة من الصحابة في سفر ، وفيهم عمر ومعاذ رضى الله عنهما ، فأصبح كلاهما جنبا ، ولا ماء ، فبذل كل منهما اجتهاده ، فأما معاذ فقاس الطهارة الترابية على الطهارة المائية ، وتمرغ فى التراب ، وصلى وأما عمر فلم ير ذلك ، وأخر الصلاة ، فلما رجعا الى الرسول صلى الله عليه وسلم بين لهما الصواب ، وأشار الى أن قياس معاذ فاسد الوضع ، لأنه فى مقابلة النص ، وهو قوله تعالى : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » وقال له : يكفيك أن تفعل هذا مشيرا الى كيفية التيمم ، وأفهمه أن التيمم كما يرفع الحدث الأصغر يرفع الأكبر (١) .

(يتبع)

منشاوى عثمان عبود

---

(١) انظر هذه الواقعة فى كتاب تاريخ التشريع ـ تاج السايس .

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

— ١٠ —

وترجمة البخارى لهذا الحديث جزء من فحوى الحديث ، لأنها بمثابة تفسير له ، وتعريض بسببه وفى التراجم التى سجلها الامام البخارى من مراعاة الأصول الشرعية والاجتهادات الفرعية وايضاح المسائل التى يمكن أن تبنى على حديث الباب الكثير والكثيروانظر هذه الترجمة التى جاءت بين يدى هذا الحديث الذى سقناه فى البحث المار — ٨ — وهو الذى نستكمل بحثه ودفع الشبهات التى اثارها المفلوكون حوله الآن قال الامام البخارى رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا بعلومه : (باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وان اقرضه الى أجل مسمى جاز) ثم أتى بالحديث المعلق الذى أتى فيه الجنى فى شكل انسى يحثو من صدقة الفطر ولم يكن أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يعلم الا أنه انسان فقير ألمت به حاجة وهو ذوعيال،ولم يفهم أبوهريرة من قوله صلى الله عليه وسلم (أما أنه قد كذبك وسيعود) النهى عن اعطائه وانما هو اخبار عن خصلة فى هذا الرجل فلعله رضى الله عنه ترك له بعض مال الصدقة بعد أن وعده برده ، فكان حكم الرسول عليه بأنه لن يرد اليك شيئا ، ولعله تسرب الى ذهنه رضى الله عنه ترجيح جانب العفو عما أخذه هذا الجانى ، ولعله تسرب الى ذهنه معنى كذبه فى ادعاء الفاقة والادقاع، فرجح جانب الاقراض ومنحه ليرد ما اخذه ، فهو على أى حال لم يدرك من كذبه أكثر من هذا حتى أوضح له النبى صلى الله عليه وسلمفى المرة الثالثة أنه شيطان ، وكان هذا تفسيرا ضخما لمعنى (لقد كذبك) اذ يكون انتحاله صفة البشرية وتشكلهفى هذا المنظر الانسى أعظم كذبة .

وقد يحسن بنا أن نسوق أقوال الفلاسفة القدماء والمحدثين ـ بفتح الدال المخففة ـ وهم لا شك أكثر اعتمادا على عقولهم ونأيا عن الاذعان للأوهام والخرافات. ونحن اذ نسوق كلامهم ننبه على اننا غير ملتزمين بكل ما فيه من تفصيلات عقلانية ، يكون جانب الوحي له الكلمة الفاصلة والحكم الأعلى ومن ثم يكون النقل عندنا أسلم وأحكم بل وأعلم . قال ابن سينا فى كتاب الحدود : الجن حيوان هوائى ناطق مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة.

وقال أبو البقاء وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده وقدرته على التشكل واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة .

وفى بعض رسائل أبى نصر الفارابى جوابا عن مسألة الجن فقال: الجن حيوان غير ناطق غير مائت ، وذلك على ما توجبه القسمة التى يتبين منها حد الانسان المعروف عند الناس أعنى الحى الناطق المائت وذلك أن الحى منه ناطق مائت وهو الانسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم، ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن فقال السائل : الذى فى القرآن مناقض لهذا وهو قوله تعالى « استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » والذى هو غير ناطق كيف يستمع ؟ وكيف يقول ؟ فقال : ليس ذلك بمناقض وذلك أن السمع والقول يمكن أن يوجد للحى من حيث هو حى ، لأن القول والتلفظ غير التمييز الذى هو النطق ، وترى كثيرا من البهائم لاقول لها وهى حية ، وصوت الانسان مع هذه المقاطع هو له طبيعى من حيث هو حى بهذا النوع كما أن كل نوع من أنواع الحى لايشبه صوت غيره من الأنواع ، كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التى للانسان مخالف لأصوات غيره من أنواع الحيوان . وأما قولنا غير مائت فالقرآن يدل بذلك فى قوله تعالى « قال : رب أنظرنى الى يوم يبعثون . قال : انك من المنظرين » ا هـ

وقال أبو محمد على بن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل : لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم فى العالم أيضا بضرورة العقل ، لكن علما بضرورة العقل امكان كونهم لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق مايشاء ، ولا فرق بين أن يخلق خلقا

عنصرهم التراب والمـــاء فيسكنهم الأرض والهواء والماءبوبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والأرض ، بل كل ذلك سواء وممكن فى قدرته ، لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيدهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص كلام الله عز وجل على وجود الجن فى العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون • وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود وهم يروننا ولانراهم• قال تعالى : (انه يراكم هو وقبيلة من حيث لاترونهم) فصح أن الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل (الا ابليس كان من الجن) •

واذ أخبر الله تعالى أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا أن يكون من الأنبياء عليهم السلام ، فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال : فأخذته فذكرت دعوة أخى سليمان ولولا ذلك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة ، أوكما قال عليه الصلاة والسلام وكذلك فى رواية أبى هريرة (وهى هذه التى يلاحى فيها المأفونون) الذى رأى ما رأى انما هى معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جنى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هى منقطعات أو عمن لاخير فيه • ثم قال : وهو أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم ، وعنصرهم النار كما أن عنصرنا التراب ، وبذلك جاء القرآن قال الله عزوجل (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) •

والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما ، وانما حدث اللون فى النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والأدهان وغير ذلك ، ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية هوائية لادركناهم بحاسة اللمس •

وبعد ذلك تكلم عن مظاهر تأثير الجن فى النفس البشرية ، وأتى على الفرق بين الوسوسة والصرع

والمس الى أن قال : فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالاعلم به وهذا حرام لايحل. قال عزوجل (ولاتقف ماليس لك به) وهذه الأمور لايمكن أن تعرف البته الا بخبر صحيح عنه صلى اللهعليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ماذكرنا وباللهالتوفيق [١] اهـ

وقال الامام حبر الأمة محمد بن ادريس الشافعي رضيالله عنه وأرضاه: (من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته الا أن يكون نبيا) وهو يعنى صورته الحقيقية .

وقال الامام عالم المعقول والمنقول الفخر الرازى فى الجزء الأول من تفسيره :

(أطبق الكل على أنه ليس الجن والشياطين عبارة عن أشخاص جسمانية كثيفة تجيءوتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الأول) أنها اجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال صعبة شاقة .

(والقول الثاني) انكثيرا منالناس أثبتوا أنها موجودات غير متحيزة ولا حالة فى المتحيز . وزعموا أنها موجودات مجردة عن الجسمية قالوا: وهذه الأرواح قد تكون مشرقة الهية خيرةسعيدة وهى المسماةبالصالحين من الجن . وقد تكون كدرة سفليةشريرة وهي المسماة بالشياطين . واعلم أن قوما من الفلاسفة طعنوا فى هذاالمذهب وزعموا أن المجرد يمتنع عليه ادراك الجزئيات والمجرداتيمتنع كونهافاعلة للأفعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين:

(الأول) أنه يمكننا أن نحكم على هذا الشخص المعين بأنه انسان وليس بفرس ، والقاضى على الشيئين لابد وأن يحضره المقضى عليهما فههنا شيء واحد وهو مدرك للكلى وهو النفس ، فيلزم أن يكون المدرك للجزئى هو النفس .

(الثانى) هب أن النفس المجرد لا تقوى على ادراك الجزئيات ابتداءلكن لانزاع أنه يمكنها أن تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم لايجوز أن يقال : ان تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كرة الأثير أو من كرة الزمهرير ثم انها بواسطة الآلات الجسمانية تقوى على ادراك الجزئيات وعلى التصرف فى هذه الأبدان .

وقال أبو الحسن الماوردى امام شافعية البصرة وقاضى قضاتها فى كتابه (أعلام النبوة) الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون ويموتون وأشخاصهم محجوبة عن الأبصار وان تميزوا بأفعال وآثار الا أن الله تعالى يخص برؤيتهم من يشاء .

واذا زعم هؤلاء الأدعياء أنهم يمتون الى مذهب السلف بصلة ، وأنهم من حزب السلفين جئناهم ومن لف لفهم ونصرهم ووسوس لهم بهذا الحدث الذى حاق بهم وزرة وطوقهم اثمه وجللهم عارة ، أقول جئناهم من أعلى من قمة السلفية ، وداعيتها المدره العملاق ذلكم هو الامام الفقية الأصولى المحدث البارع المتخرج بابن تيمية ومعبده شمس الدين الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ، قال رحمه الله تعالى فى كتابه (زاد المعادفى هدى خير العباد) ج ٢ ص ٢٢٣ بتحقيق محمد حامد الفقى «ولما عزمت قريش على الخروج ذكروا مابينهم وبين بنى كنانة من الحرب فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة ابن مالك المدلجى ، وكان من أشراف كنانة فقال لهم: لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه فخرجوا والشيطان جار لهم لايفارقهم ، فلما انبعثوا للقتال ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء فرونكص على عقبيه فقالوا الى أين ياسراقة ؟ ألم تكن قلت : انك جار لنا لاتفارقنا ؟ فقال : انى أرى مالا ترون انى أخاف الله ، والله شديد العقاب وصدق فى قوله (انى أرى مالا ترون) وكذلك فى قوله « انى أخاف الله » » .

وأما الاحتجاج بقوله تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) فالجواب أن النفى للرؤية انما يقع على رؤية الجن فى صورته الحقيقية

ولماذا أيها الناس الحملة على الاسلام وعلى كتب السنة لما فيها من ذكر هذه الكائنات التى ثبت وجودها بنص الكتاب العزيز ، هل يريدون أن يؤيد هذا كلام أحد الخواجات حتى نلتمس اسكاتهم بعد أن احتججنا بالصدق من كلام ربنا وسنة نبينا وأقوال أئمة ديننا ، وطلبنا الفلج بالحق ، ووأسفا ان المعمود ليضطرب لمرأى أطايب الطعام والأعشى ليقذى بساطع الضياء ، وهما مع ذلك يدركان لذة الطعام السائغ وبهاء النور الوضاء .

انظروا ياهؤلاء هذا كتاب فوست أشهر مؤلفات جوته أكبر شاعر ألمانى

وقد يكون أكبر أدباء أوربا بطله من الجن واسمه مفستوفيليس ، وحديثه الذى سارت به الركبان فى كل مكان فى أوربا وغيرها ونظمه الشعراءوتغنى به الممثلون والممثلات وعقدت لمعانية أدوار الموسيقى على أجمل الأنغام .
ووضع وليم شكسبير قبل جوته قصة هملت وهى تدور على ظهور الجن لهملت فى صورة أبيه الملك المقتول ولشكسبير أيضا رواية العاصفة ومدارها على الجن وتدخلهم فىأعمال البشر وتدبيرهم لشئونهم فما من أمة فىالأرض إلا والجن جزء من فلسفتهم وشعرهم وأدبهم وتاريخهم (لاتبديل لخلق الله) ويقول سبنسر فى ص ١٧٣ من ج ١ من كتابه مبادىء علم الاجتماع : ان اليونان الأقدمين كانوا يعتقدون بالجن وأنهم يقطنون(هاديس) وأن للجن فى اعتقاد اليونان أشباحا تكاد تكون مادية ، وأنها تشرب دماء الذبائح وتخشىالقتل فتمكن (بولس) من تخويفها بسيفه ، وفى الياذة هوميروس كلام كثير عن الجن وكان الاسرائيليون يعتقدون فى الجن ص ١٧٤ من الكتاب نفسه ، وأ نبعض قبائل الهنود تعبد الجن ومعظم الأمم الحديثة تعتقد فى الجن وتروى عنها الأخبار والنوادر ، وهؤلاء جميعا لم يجرؤ أحد من هؤلاء الجهال أن يصنف كتابا فى استهجان عقائدهم ، أو تسفيه آدابهم ومثلهم . ولكن شهوة الحقد على السنة جعلتهم ولاهم لهم الا الطعن فيها والاجهاز عليها

(يتبع)

محمد نجيب المطيعي

التفسير الوسيط

وملاحظات على نقاط فيه

للأستاذ كمال أحمد عون

— ٢ —

(١٦) (ص ٤٣١) في المفردات فسر (الحى) بأنه : الباقى ، الدائم البقاء الذى لاينالهُ الفناء ا هـ •

أقول : الحى ، والباقى : اسمان من أسماء الله الحسنى ، وكل يدل على صفة خاصة من صفاته تعالى ، وهما الحياة ، والبقاء ، فتفسير الحى بالباقى •• الخ غير دقيق ، والمناسب أن يكون الحى (من أسمائه تعالى) بمعنى : من له الحياة الذاتية أزلية وأبدية •• وبهذا يتفق معنى الحى مع ما ذكره فى تفسير الحى (ص ٤٣٢ ، ٥١٢) من أنه الذى له الحياة الكاملة الأزلية •• وأنه الدائم الحياة الذى لا يموت أبدا •

(١٧) (ص٤٤١) أو كالذى مرعلى قر ية •• الخ قال : لم يرد فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة النبوية مايعين صاحب هذه القصة •

وأقول : ان القول بأنه لم يرد فى السنة النبوية كذا •• يستدعى الاحاطة بالسنة الشريفة ، أو أن يكون الأمر مما لا يعقل صدوره عن المعصوم لمخالفته - على ما قيل - المعقول ، أو المنقول ، أو الأصول - والأولى أن يقال لم نجد فى السنة النبوية كذا أو لا نعلم فى السنة كذا •

(١٨ (ص ٤٦٥) : ليس عليك هداهم •• ،قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يهتدى الناس لما هداهم اليه •

(أقول : لعل التعبير المراد : حريصا على أن يهتدى الناس لما دعاهم اليه،وهوأوفق ببقية كلامه في شرح الآية الكريمة •

(١٩) (ص٤٩٠) : (وليملل الذى عليه الحق) •• قال : وانما أعطى

حق الاملاء للمدين ، لأنه هو المشهور • وعليه ، فلا بد أن يكون هو المقر •

فى العبارة خطأ مطبعى ، وصوابه : لأنه هو المشهود عليه •

(٢٠) (ص ٤٩١) قال : فى تفسير آية المداينة والضعيف من لايقدر على الاملاء لكونه : صبيا ، أو شيخا خرفا ، أو مريضا ــ ومن لا يستطيع الاملاء نحو الأخرس ، فهؤلاء أربعة أصناف ، لا يملى على الكاتب سوى أولهم • أقول : جعل الصبى ممن لا يقدر على الاملاء فى أول العبارة ، وجعله قادرا على الاملاء فى آخرها•

(٢١) (ص٥٠٤) (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) قال عبر بالكسب مع الطاعة ، والاكتساب مع المعصية ، من باب التلوين فى نمط الكلام ، كما فى قوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ا هـ •

أقول : لم يكلف نفسه أن ينفعل فى معنى الكسب والاكتساب شيئا لائقا مما قاله العلماء ، سواء فى المختصرات أو المطولات : كالنسفى وأبى السعود والقرطبى والمنار وغيرها ومن ذلك فى القرطبى عن ابن عطية مافحواه : ان الحسنات تكتسب دون تكلف ، لأن كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه ، وان السيئات يتكلف كاسبها فى أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى عنه • وفى هذا ونحوه محاولة لفهم بعض أسرار التعبير ، وتنزيه لكلام الله جل جلاله ــ وهو منزه ولا ريب ــ عن أن يكون لمجرد التلوين •

(٢٢) (ص ٥٠٤ ، ٥٠٥) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) •

استشكل المفسر أن يقيد ظاهر الآية ــ على ما قال ــ التكليف وقت النسيان والخطأ ، وهو لا يصح لأنه تكليف بما ليس في وسعنا ــ والمخرج ــ فى نظره أن يفسر النسيان بالترك عمدا ، لأنه من معانيه ــ واستشهد ببيت من الشعر ، وهو فى الحقيقة لايشهد له (١) • ــ كما فسر الخطأ بفعل أو ترك الصواب كسلا أو غواية

---

(١) قال ومنه (أى النسيان بمعنى الترك عمدا ، قول الشاعر :
ولم أكن عند الجود قاليا ولا كنت يوم الردع للطاغين ناسيا ــ ولم يعلق عليه ــ والبيت لا يشهد لما أراد ، بل معنى ناسيا : ذاهلا عنهم لشدة الروع ، فهو يصف نفسه بالشجاعة كما وصفها بالكرم ، وعند اللقاء لا يذهله الروع ، بل هو ذاكر ومقاتل وثابت الجنان .

أو انحرافا • ثم قال : فان فسر بذلك استقام الدعاء بعدم المؤاخذة عليهما •

أقول : هذا الكلام بعيد كل البعد عن الصواب ، ويكاد لايحتاج الى بيان ، وان كان لابد منه ، فلنثبت مايلى :

١ ـ الحمد الله ليس من هذا الخطأ شىء فى التفاسير القريبة التى بين أيدينا من مثل النسفى وأبى السعود والقرطبى والمنار •• وقد وجهت المعنى بالمعروف المناسب ،وكان من اليسير الرجوع اليها والانتفاع بها •

٢ ـ تفسير النسيان بالترك عمدا ، والخطأ بفعل أو ترك الصواب • • كسلا أو غواية أو انحرافا ، لايجمل بالمؤمنين القائلين سمعنا وأطعنا أن يطلبوا رفع المؤاخذة فى ذلك ، وانما تجب المبادرة الى التوبة الصادقة والاستغفار من المعاصى •

٣ ـ تفسير النسيان والخطأ بالمتبادر المعروف من معناهما يتلاءم سباقا مع سابق الكلام ولاحقه وقد فسر النسيان : بالترك سهوا ، والخطأ فى الأمر بعدم الاصابة عن غير عمد •

٤ ـ فيما ذكره المفسر أخيرا عن الزمخشرى ما يبين وجه الدعاء بعدم المؤاخذة ، اذ يقول : « ذكر الخطأ والنسيان ، والمراد ماهما سببان عنه من التفريط والاغفال : وقد انتبه المفسر الى ذلك وأشار اليه ، وكان يغنيه عن الاعتساف الظاهر فى فهم كلام الله جل علاه •

حزب « ٦ »

(٢٣) (ص ٥٣٤) (شهد الله أنه أنه لا اله الا هو ••)الاية قال : المعنى هذه الشهادة موجهة الى أهل نجران أقول : لماذا هذا التخصيص فى التوجيه لأهل نجران ، وان كان لهم فى سبب النزول شأن ؟ بل هى موجهة لكل المكلفين ، وتقرير لحقيقة قائمة مسلمة عند جميع المؤمنين •

(٢٤) (ص ٥٤٥) فى تفسير قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك) قال:

الملك ـ بضم الميم ـ فى حق الله تعالى هو على ما قال المحققون ـ صفة قائمة بذاته تعالى ، متعلقة بما سواه ، تعلق التصرف التام •• الخ •

١ ـ لم يذكر من هؤلاء المحققون المشار اليهم •

٢ ـ لم نجد فيما بين أيدينا من التفاسير القريبة من قال : ان الملك صفة قائمة بذاته تعالى (النسفى او أبو السعود ـ أو ابن كثير أو المنار)

٣ ـ كيف يكون الملك صفته تعالى وهو مالكه وبيده «تبارك الذى بيده الملك»

٤ ـ لماذا لا يكون الملك : كل ما فى الأرض والسماء وما بعد ذلك وكل ما فى الأولى والآخرة ؟ فجميع ذلك فى قبضة قدرته يؤتى من ملكه ما شاء لمن شاء •

حزب « ٧ »

(٢٥) (ص ٦٢١) فى تفسير قوله تعالى : « كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه» اختار المفسر ان اسرائيل (يعقوب) حرم لحوم الابل وألبانها على نفسه لأمر شخصى ، يتعلق به نفسه وفاء ينذره لقهر النفس ، وقهر النفس من المقاصد الشرعية • • • وقال : « فكل نذر يجب الوفاء به فى حق صاحبه دون غيره » •

واقول : انه أجمل فى قوله :فكل نذر يجب الوفاء به فى حق صاحبه حتى كانت العبارة قاصرة ، وكان عليه أن يبين أن النذر الواجب الوفاء ما كان طاعة لله ، وفى الحديث : من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ، وتحريم الحلال فى شرعنا لا يجوز ، وترك العبارة على عمومها يوهم غير الصحيح » •

(٢٦) (ص٦٨٠) فى تفسير قوله تعالى : «ومنكم من يريد الاخرة» قال وهم عبدالله بن جبير وأصحابه الذين ثبتوا حتى استشهدوا ـ ولوقال ومن هؤلاء (الذين يريدون الآخرة) عبد الله بن جبير الخ لكان أرق ، حتى لا يغمط غير ابن جبير وأصحابه من سادة الصحابة حقهم على ما توهم عبارته •

حزب « ٨ »

(٢٧) (ص ٧٠٩) قال :ولما دارت الدائرة على المسلمين فى أحد بسبب موقف المنافقين أولا ، وبسبب ترك الرماة أماكنهم فوق الجبل لحماية ظهور المسلمين ثانيا ••

أقول كان السبب الوحيد فيما أصاب المسلمين فى أحد ـ بعد قضاء

الله تعالى وقدره ـ هو ترك جل الرماة أماكنهم مخالفين الأمر الجازم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أما موقف المنافقين ورجوع عبد الله بن أبى بثلثمائة فلم يكن من أسباب الهزيمة، بدليل انتصار المسلمين على قريش انتصارا باهرا ، وسقوط لوائهم ، وقتل كل من تعاقب على حمله منهم الى ان شغل المسلمون بجمع الغنائم وهذا معروف وظاهر ـ وقد أجمل الموقعة فى ص ٦٦٩ ، واعتبر سبب الهزيمة ترك الرماة أماكنهم .

(٢٨) (ص ٧١٧) عند تفسير قوله تعالى : «الذين قالوا ان الله عهد الينا» قال فى المفردات :

(عهد الينا) العهد : حفظ الشىء ومرعاته حالا بعد حال .

أقول : العهد : الوصية (كما فى التفسير الوسيط حزب (١ص ٧٠) وعهد الينا : امرنا فى التوراة وأوصانا (النسفى وأبو السعود) .

أما حفظ الشىء ومراعاته فهو أثر وثمرة للوفاء بالعهد .

« سورة النساء »

(٢٩ (ص ٧٤٢) أهم مقاصد السورة : فصل فى بعض المقاصد من أول السورة، ثم أجمل فى الباقى ولم يرتب حتى يعطى تسلسلا مناسبا لترتيب أغراضها .

(٣٠) (ص٧٤٥) عند تفسير قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم » .

فى المفردات : (وآتوا)قال :المراد باتيانها ان يحافظوا عليها ....حتى يسلموها . الخ المناسب باتيانها مصدر آتى (الرباعى) ولعل التغير مطبعى .

(٣١) (ص ٧٤٨) فى تفسير قوله تعالى: «وان خفتم ألا تقسطوا» قال: وان خفتم عقاب الله بسبب ما علمتموه أو غلب على ظنكم من عدم العدل الخ

أقول : المعنى المناسب لمنطوق الآية الكريمة : وان خفتم الجور وعدم العدل ..وهذا هو ما ذكره بعد فى (ص ٧٥٢) فى السطرين (٤،٢) بقوله وآمرهم بالزواج من غير اليتيمات عند خوف عدم العدل معهن .

حزب « ٩ »

(٣٢) (ص ٧٩٦) فى نكاح المحصنات المؤمنات للمستطيع ، والمملوكات لمن يجد طولا .. الخ وعند قوله تعالى : « وان تصبروا خير لكم..قال : أى وصبركم عن زواج المملوكات ، وعن الوقوع فى الزنا خير لكم ، لئلا يصير الولد رقيقا .. الخ .

أقول : جملة وعن الوقوع فى الزنا فى غير موضعها ، ويحتم الاستغناء عنها ، أو اصلاح التعبير قوله بعد سطور : وان لم تصبروا وضعفت نفوسكم عما هو خير لكم فلا تثريب عليكم أقول يعنى لا تثريب عليكم فى نكاح الاماء فقط لا فى الوقوع فى الزنا أيضا - وما هى الا العجلة والتسرع فى التفسير تكثر من السهو والخطأ .

(٣٣) (ص ٨٠٥) فى تفسير : واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن ، قال : الهجر : الترك عن كراهية أقول عبارة عن كراهية غير سديدة ، فالله تعالى لا يأمر بهجرهن كراهية ، بل اعراض للتأديب .

(٣٤) ص (٨٣٢) فى تفسير قوله تعالى : «ان الذين كفروا ... كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها .. » قال : « أى جلودا جديدة أخرى ، ليستمر عذابهم ، ويدوم لهم بها ، وذوقهم لها ، لأنهم كانوا مصرين على الكفر » أقول : المعنى سليم . والعبارة قلقة .

(٣٥) (ص ٨٤١) فى تفسير قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون « حتى يحكموك فيما شجر بينهم »...

قال فى المفردات : (فلا وربك) : اللام لتأكيد القسم .

وأقول : ليس هنا لام التأكيد ، بل الموجود : لا ، وهو رد على ما تقدمت الاشارة اليه ، أى فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك .. الخ (ينظر القرطبى وغيره) وقد أشار المفسر الى مضمونه فى ص (٥٤٣) .

وقال أيضا فى المفردات : شجر بينهم : اختلط عليهم من الأمور . وأقرب منه فى المعنى أن يكون « ما شجر بينهم » أى تنازعوا فيه واختلفوا .

(٣٦) (ص ٨٤٣) فى تفسير قوله تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم »

قال فى المفردات : كتبنا : قدرنا - أقول : وهذا غير دقيق ، فما قدر يكون . والمناسب : أوجبنا عليهم وأمرناهم - وفى الشرح ما يوافق ما أشرت اليه .

(٣٧) (ص ٨٤٩) فى تفسير قوله تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله .. » قال : وقد فرض الله الجهاد فى سبيل الله على المؤمنين الصادقين - قال تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا ... » الآية .

أقول : المناسب لصحة الحكم وموضوع الاستدلال أن تكون عبارة المفسر : وقد مدح الله تعالى المؤمنين الصادقين بأنهم الذين لم يرتابوا وجاهدوا .. الخ أما فرضية الجهاد فهى على جميع القادرين من المسلمين والثناء والمدح للمؤمنين الصادقين ..

(٣٨) ص (٨٥٣) فى تفسير قوله تعالى : (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ...) الآية جاء فى سبب النزول ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له ، أتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة (وشكوا عدوان المشركين) فقال انى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم ، فلما حوله الله الى المدينة أمره بالقتال فكفوا ، فانزل الله الآية .

أقول : سياق الكلام على هذا يوهم أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له كفوا أيديهم بعد الأمر بالقتال وهذا بعيد عن الواقع فقد جاهد المؤمنون الصادقون أعظم الجهاد ، وفى مقدمتهم عبد الرحمن وأمثاله رضى الله عنهم والآية الكريمة تقول : اذا فريق منهم يخشون الناس - والقتال فرض على جميع المسلمين فتعلل فريق ينسب الى المسلمين وخافوا الناس كما يخافون الله أو أشد ، وهم غير المؤمنين الصادقين .

ولقد حرر المفسر المعنى وبينه فى الصفحة التالية ، وذكر أنهم المنافقون وهم لاشك بعيدون عن مستوى المؤمنين فضلا عن الصفوة المبشرين بالنعيم المقيم . وبالله التوفيق .

كمال احمد عون

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٢ —

وسوف نحاول أن نوضح مفاهيم الاستراتيجية العسكرية بأسلوب مبسط :

العقيدة العسكرية :

العقيدة العسكرية هى السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعية الحرب وغاياتها (من وجهة نظرها) وطرق ادارتها والأسس الجوهرية لاعداد البلاد وجيشها للحرب •

وتحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى فى الدولة أى بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا لتحقيق الأهداف والغايات القومية العليا •

وقد ورد فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية أن العقيدة (هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده) والأصل اللاتينى للفظ عقيدة Doctrine يعنى النظرية العلمية والفلسفية •

وبمعنى آخر فالعقيدة العسكرية هى مخ السياسة العليا للدولة فى مسألة الصراع المسلح •

ومن الطبيعى أن ينبثق منهاسياسة متخصصة فى كل مجال من مجالات حياة الدولة فيكون منها مثلا سياسة اقتصادية وسياسة تعليمية وسياسة اجتماعية لأن هذه المجالات تؤدى دورها فى الحرب وهو دور حيوى للنصر فيها ، ومن هذه السياسات المتخصصة طبعا السياسة العسكرية وقد تعارف العسكريون على تسميتها بالاستراتيجية العسكرية •

فالاستراتيجية العسكرية :

بعبارة بسيطة هى السياسة العسكرية أو الخطة المرسومة التى تتصل بالجانب العسكرى من الصراع (وقد يستعار كلمة الاستراتيجية فى المجالات الأخرى فيقال مثلا الاستراتيجية الاقتصادية تعبيرا عن السياسة الاقتصادية) .

والاستراتيجية العسكرية تختص بالدراسة التخصصية العسكرية للأمور المرتبطة بالحرب وادارتها التى تتولاها القيادات العسكرية مثل توزيع القوات وأسلوب استخدامها لاحراز النصر فى الحرب .

عقيدة الجهاد فى سبيل الله :

ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ـ من وجهة النظر الفنية ـ المصدر الأساسى الأصيل للعقيدة العسكرية ، فهما مصدر الاسلام ، والاسلام قد نظم كافة أمور الحياة دينا ودنيا ، وعالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ووضع خير المناهج لكل مايتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وآدابها وقوانينها .

وقد قال صلى الله عليه وسلم القرآن والسنة فى حجة الوداع « تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعدى ، كتاب الله وسنة نبيه » وقال تعالى فيهما: « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

واذا كانت العقائد العسكرية لدول العالم تصوغها وتضع مبادئها القيادات السياسية العسكرية العليا فى ضوء نظرتها نحو الحرب وتقديرها لطبيعتها وأهدافها السياسية وامكانياتها الاقتصادية وغير ذلك من الظروف، فان شأن هذه العقائد شأن القوانين الوضعية التى تنتجها عقول المشرعين من البشر وتخضع للظروف وتنطوى على الصواب والخطأ معا ، وهذا ما تثبته أحداث التاريخ على مر العصور فانها تؤثر وتغير فى المبادىء والقواعد التى تقوم عليها العقائد العسكرية بحكم تأثرها نفسها وتغيرها من وقت لآخر، ومن عصر الى عصر ، وفى الظروف والأحوال المختلفة التى تتقلب فيها الدولة أو تتطور .

أما العقيدة العسكرية والاسلامية فانها - بحكم انبثاقها من القرآن والسنة - تتبوأ مكانة عالية وتتميز بالاستقرار والثبوت ؛ لأنها من هدى الدين وليست ميراثا لحروب البشر •

فالرسالة الاسلامية ليست من صنع انسان يخطىء ويصيب ، وانما هى من الله أنزلها على رسوله بالتعبير الألهى نفسه ، كما أنها فى غاية الاحكام والدقة جملة وتفصيلا ؛ لأنها من لدن حكيم خبير لا يخطىء ولا يخفى عليه شىء وقد أودعها كتابا « أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » •

« وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » •

وقد تكفل الله بحفظ هذا الكتاب على مر العصور والأيام فلا يتغير ولا يتبدل ، كما يفهم من قوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وكما يفهم من الواقع التاريخى الذى يشهد بأنه لم ينله تحريف أو تزييف بل ظل محفوظا فى الصدور والسطور؛ ليظل حجة على الناس الى يوم القيامة ؛ ويتصل بوسائل حفظه ما جاء به العلم حديثا من وسائل التسجيل على الاسطوانات والأشرطة ليتسع الانتفاع بهديه على أوسع نطاق وليقع الاستماع اليه فى كل مكان فى الأرض • ولا تزال - وستظل كذلك - سنة الرسول صلى اللهعليه وسلم مذكرة تفسيرية لهذا الكتاب ؛ فانها بيان له كما يقول الله « كتاب أنزلناه اليك لتبين للناس ما نزل اليهم »

وقد كان صلى الله عليه وسلم كما قالت عائشة « كان خلقه القرآن » وتتبلورالمبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية أخذا من القرآن الكريم والسنة الشريفة فى « عقيدة الجهاد فى سبيل الله »

فقال تعالى « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج »

وقال تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » •

وعن أبى داود باسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (أخرجه النسائى)وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من اغبرت قدماه للجهاد فى سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار » (أخرجه الطبرانى فى الأوسط) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله أى الناس أفضل ؟ قال « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله »(أخرجه البخارى)

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجهاد ماض الى يوم القيامة » •

والجهاد بوجه عام يعتبر مبدأ من مبادىء الاسلام التى أخذت مكانتها بين عقائده وفروعه ، واستقرت دعوة القرآن الى الجهاد ـ على عمومه ـ متعلقة بذمة المسلمين جماعة وأفرادا وهى تقتضيهم أن يؤمنوا بتشريع الجهاد ـ عامة كايمانهم بأى معتقد سواه وأن يقوموا بتنفيذه كما يجب أن ينفذوا غيره مما فرض الله وقد قرن الله الجهاد بالايمان وجعله دليلا عليه أو ثمرة طبيعية له كما يفهم من قوله تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » فان ذلك يفهم منه أن الجهاد بالأموال والأنفس آية على عمق الايمان وصدقه فى النفوس •

ولقد جعل الله تعال الجهاد هو الوظيفة الشريفة التى كرم بها الأمة الاسلامية كما يفهم من قوله تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » (أى اختاركم) فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها الله فى خير منزلة بين الأمم فى قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وفى قوله سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ومعنى أمة وسطا أى خيارا معتدلين (خير الأمور الوسط) ومعنى شهداء على الناس أى فى مقام عال فان الشهيد لغويا هو الذى ينظر من عل •

ولقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون أمة محمد أمة مجاهدة عزيزة الجانب ولم يرد لهاأن تخضع ولا أن ترضى بالذلة ولا أن تستكين الى هوان لذلك أوجب الاسلام على المسلمين الجهاد فى سبيله واعلان كلمته ونصرة الحق والدفاع عن العقيدة والوطن والأمة .

الجهاد يكفل بناء الكيان العسكرى للأمة :

والواقع أن قوة الأمم لا تقاس بقوة جيشها العامل فحسب بل تقاس بقوة كيانها العسكرى كأمة .

والكيان العسكرى للأمة يقوم على أساس قاعدة عريضة تضم أبناء الأمة جميعا فى ظل احساس عام بالخطر المحدق وفىظل ايمان راسخ وعقيدة قوية وشعور بالواجب والمسئولية وايجابية واخلاص فى العمل وبذل للدم والروح فى سبيل الدفاع عن الحق والشرف والكرامة .

أى أن الكيان العسكرى للأمة يقوم على أساس الكيان العسكرى لكل فرد من أبناء هذه الأمة والكيان العسكرى للفرد هو احساسه النابع من عقله وقلبه بأن شخصيته ووجوده بتأهبه الدائم واستعداده بكل قدراته ومصيره ، وآماله ترتبط ارتباطا كليا بتأهبه الدائم واستعداده بكل قدراته لرد العدوان عن أمته مهما تكن التضحيات وهذا ماكان عليه المسلمون فى أول عهدهم بالاسلام اذ كان الشعب كله جيشا مجاهدا (Nation in Arms) يؤدى كل فرد فيه ما يستطيع أداءه ويسهم الجميع فى توفير أسباب النصر .

فالجهاد يكفل للأمة الاسلامية بناء كيانها العسكرى لأنه تكليف لها كلها سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين اذ يقتضى من كل مسلم التأهب الدائم والاعداد والتدريب والاستعداد بكل ما لديه من قدرات علمية وفنية وبدنية ومعنوية لأداء دوره فى دفع العدوان عن أمته فلا فرق بين جيش وشعب بل الجميع مجاهدون كل منهم يؤدى دوره بالعمل المناسب وفى الموضع المناسب لتحقيق الهدف المشترك .

ومن المناسب هنا أن تنبه الى أن فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين واذا لم يقم به فريق أثم الجميع بتركه ووقعوا تحت طائلة العقاب فسقوطه عن بعضهم لا يعفيهم من المسئولية اذا تعطل ولم يقم به القادرون عليه ومن ثم يجب تأهب الجميع للنهوض بهذا الواجب وبذلك يكون البناء العسكرى قائما دائما لمواجهة الأحداث وقمع الظلم وردع العدوان .

(للبحث بقية)

محمد جمال الدين

الشريعة الإسلامية وحاجات البشر

للدكتور عبد الحكيم حسن العيلى

كثر الحديث حول صلاحية الشريعة الاسلامية كنظام كامل للوفاء بحاجات البشر وثار الجدل بين القائلين بأن فى العودة الى الشريعة رجوعا الى الماضى وتوقفا عن السير فى ركب الحضارة لعدم مجاراة القديم لأوضاع العصر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وبين الداعين لهذا التطبيق باعتبار الشريعة الاسلامية هى شريعة رب العالمين • ومن ثم فليس لنظام وضعى ـ أيا كان مصدره ـ أولوية على نظام شرعه خالق الناس وهو أعلم بما فيه سعادتهم وخيرهم « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

والحقيقة التى لا مراء فيها أن تطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية ليس رجوعا الى الماضى وليس جمودا على القديم كما يزعمون • تلك دعوى داحضة • ذلك أن الاسلام – وقد جاء نظاما دائما منذ بعث به النبى صلى الله عليه وسلم حتى تقوم الساعة ـ لم يكن ليتناول تنظيما مفصلا لكل مبادىء الحكم وشئون الحياة ، والا ماكان هناك مجال لمسايرة التطور فى أحوال الناس والتغير فى الظروف والاختلاف فى العادات •

لذلك وضع الكتاب والسنة المبادىء الكلية لنظام الدولة الاسلامية تاركين الفروع والتفاصيل لظروف كل عصر وعرف كل أمة درءا للمشقة على الناس وتلافيا لجمود القواعد ودفعا للمسلمين الى مواكبة ركب الحضارة فى كل زمان ومكان تنفيذا لقول النبى الكريم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » •

ومن أمثلة ذلك من المبادىء الكلية التى شرعها الاسلام فى مجال الحكم

١ ـ مبدأ العدل : فقد جاء مبدأ عاما مجردا تلتزم كل حكومة اسلامية بتطبيقه ولا تستطيع الخروج عنه فلا تختص به فردا دون فرد ، ولا تنفذه فى طائفة دون أخرى ولا تطبقه فى بلد دون بلد ، بل يستوى فيه الناس أجمعون مسلمهم وغير مسلمهم ، أبيضهم وأسودهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صديقهم وعدوهم . وقد جاءت النصوص الكلية آمرة بذلك .

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى »

« لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

أما وسائل تنفيذ العدل كتنظيم هيئات القضاء وتعدد درجات التقاضى وتقرير الفصل بين سلطة الادارة وتحديد اجراءات الدعاوى فذلك مما يختص به أولو الأمر فى كل بلد وفى كل عصر وفقا لعادات الناس وأعرافهم وطبقا لما تستلزمه حاجاتهم ومصالحهم .

٢ ـ ومبدأ المساواة : جاء به الاسلام عاما مطلقا يطبق على المستوى الانسانى كله فلا تمايز بسبب جنس ولاتفاضل فى لون ولا تفاخر بنسب

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا »

« الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى »

٣ ـ ومبدأ الشورى : شرعه الاسلام لأتباعه ليأخذوا حياتهم به ؛ وليطبقوه فى كافة شئونهم ويقيموا عليه نظام حكمهم . يقول الله تعالى لنبيه الكريم : « وشاورهم فى الأمر »

ويصف المؤمنين بقوله :

« وأمرهم شورى بينهم »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستشير الصحابة فيما يعرض له من

أمور فتارة يستشير خواص الصحابة وحينا يستشير عامة الناس ، وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كلما حزبه أمر كان يجمع صحابته ويقول : « أشيروا على أيها الناس »

أما طريقة تنفيذ الشورى فقد تركتها النصوص لأعراف الناس وظروفهم يقرزها أهل كل بلد وكل أمة في كل عصر بالطريقة التي تلائمهم .

فقد تكون الشورى ديمقراطية مباشرة أو عن طريق نواب الأمة وقد يتم اختيار النواب بالانتخاب المباشر أو ممن تتوافر فيهم شروط معينة أو صفات خلقية . كل ذلك متروك لأولى الأمر في الأمة يقررونه طبقا لما فيه مصلحتهم .

وفي مجال المعاملات حيث تدرك العقول وجه المصلحة ووجه الضرر فيهما اكتفى الاسلام بتحديد القواعد الكلية فجاءت هذه القواعد مقررة للوفاء بالعقود بتنفيذها وناهية عن الغبن والاحتكار .

« يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود »

« وأحل الله البيع وحرم الربا »

« لا يبع أحدكم على بيع أخيه »

« من احتكر طعاما أربعين يوما برئت منه ذمة الله ورسوله » .

وفيما دون ذلك يكون للأفراد أن يحددوا شروط المعاملات ووسائل التجارة وطرق تنفيذ العقود اعمالا لمبدأ حرية الارادة وسبيلا الى اكتشاف الأصلح اذ أنها بحكم تعددها قابلة للتغيير والتبديل في حدود ما جاء به الكتاب والسنة فالمسلمون عند شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما .

تلك أمثلة للأمور التى عالجها الاسلام بأحكام كلية تاركا التفاصيل الى اجتهاد أولى الأمر ، وأصحاب الرأى في الأمة الاسلامية يقررونها حسبما تمليه عليهم مصالحهم ومدنياتهم وأعرافهم وظروفهم ، وذلك ربطا بين القديم بسموه وشموخه والجديد بتجاربه وابتكاراته ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

على أن ذلك مجاله نظام الحياة والمعاملات ، أما العبادات والعقائد والتكاليف الشرعية فهي مما يخرج عن هذا النطاق ، اذ أنها أمور ثابتة

لا تتغـير ولا تتبـدل بتغير الزمان أو المكان .

ومن أجل ذلك وجـدت المصـادر الفرعيــة للتشريع ومنهـا القيـاس والاستحقاق والمصالح المرسلة وشرع الاجتهاد لتحقيق مصالح الناس فما وجدت الأحـكام الا لتحقيق هـــذه المصـالح فكمـا يقـول الآمدى : ان الأحكام انما شرعت لمقاصد العباد أى مصالحهـم لأن الاجماع قائم على أن أحكام الله لا تخلو من حكمة ومقصود وليس ذلك لمنفعة عائدة الى الله تعالى بل لمنفعة الناس وقد قال الله تعالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقال : « ورحمتى وسعت كل شىء » ، فلو خلت الأحكام من حـكمة عائدة الى الناس لكانت نقمة لا رحمة. وقد قال النبى عليـه الصلاة والسـلام : « لا ضرر ولا ضرار » فلو لم يـكن التكليف قائمـا على مصالح تعود الى العباد لكان ضررا محضا ، فما شرع الله حكما فى الاسلام الا لكفالة أمر ضرورى للناس أو لرفع الحرج عنهم أو لتكميلهم وتجميل حياتهم وهـذه هى عناصر مصالحهم .

ولقدكان فى واقع الدولة الاسلامية ما أكد ثراء الحضـارة الاسلاميــة بعلومها وآدبهـا وفنونها وأنهـا بذلك تستطيع فى يسر دفع عجـلة التطور الفكرى فتسـهم فى اسعـاد البشرية ودفعهـا قـدما فى طريق التقـــدم الحضارى .

وقـــد كان السـبيل الى ذلك هو السلوك التربوى الذى قامت عليـــه رسالة الاسلام اذ قامت أساسا على فك العقول من تعظيم غيرالله وذلك بتحرير العقيدة التى هى لب الايمان وأساس الحريات . فثبتت القيم الروحية فى ضمير أبناء الاسلام. وأصبحت راسخة فى كيانهـم مستقرة فى وجـــدانهم وأنظمتهـم دهـــرا طويلا ثم خفتت شيئا فشيئا باهمال المسلمين شئون دينهم حتى أصبح السؤال الذى يتردد هل الى عود من سبيل ؟

د. عبد الحكيم حسن العيلى

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ٧ —

تكلمنا فى الأعـداد السابقة عن النظريات الأساسية التى ترددت فى الأخذ بهـا الشرائع الوضعية عنـد تنظيمها للعقود وقلنا ان هذه الشرائع قسمت العقود الى عقود شكلية لاتنعقد الا اذا تم التعبير عن الارادة فيهـا بشكل معين والى عقود رضائية تنعقد بمجرد تبادل الايجاب والقبول كما ترددت هذه الشرائع من ناحية وقت ومكان انعقاد العقد بالمراسلة بين أربع نظريات هى نظرية اعـلان القبـول ونظرية تصدير القبول ونظرية تسليم القبول ونظرية العلم بالقبول كذلك عند تفسير العقد ترددت هذه الشرائع بين الأخذ بالارادة المعلنة أى الظاهرة وبين الارادة الباطنية • أما من ناحية القوة الملزمة للعقد فقد قسمت هـذه الشرائع العقود الى عقود صحيحـة لها قوتها الملزمة وعقود قابلة للابطال وهى تعتبر صحيحـة وملزمة الى أن يحكم القضاء ببطلانهـا وعقود باطلة وهى عقود ليست لها أية قوة الزامية منذ وقت انعقادها •

وتكلمنا فى العدد المـاضى عن نظام العقود فى القانون الانجليزى وسنتكلم فى هذا العـدد عن النظام القـانونى للعقود فىالشريعة الاسلامية مع اجراء المقارنة بين هـذا النظام ومقـابله فى القانون الانجليزى •

اذا أبعدنا عقـد الزواج عن دائرة العقود الأخرى باعتبار الزواج نظام كامل بذاته من ناحية الانعقاد والانحلال وآثار كل منهمـا التى لا تتشـابه مع سائر العقود فان أول ما نلاحظه أن الشريعة الاسلامية لاتأخذ بنظام العقود الشـكلية فانه يكفى لانعقـاد العقـد وترتيبه لكل آثاره مجـرد التراضى أى تبـادل الايجـاب والقبول دون اشتراط شكل معين للتعبير عن هـذا

التراضى كل ما فى الأمر هو أن يكون كل من الايجاب والقبول بتعبير قاطع وجاد فى التعاقد فلا يكون بصيغة الاستفهام مثلا ولا يكون بقول هزل وسواء كان هذا التعبير بالقول أو بالاشارة أو بالكتابة أو بالفعل • فالايجاب والقبول وحدهما كافيان فى تكوين العقد متى كان القبول مطابقا للايجاب وفى مجلس العقد •

ومجلس العقد هو المكان الذى يوجد فيه المتعاقدان وهو وحدة زمنية تبدأ من وقت صدور الايجاب ويبقى المجلس منعقدا مادام المتعاقدان منصرفين الى التعاقد ولم ينشغل أى منهما عنه بأمر آخر ويكون للموجب سحب ايجابه طالما لم يلحقه قبول الطرف الآخر •

ويشترط أن يسمع الموجب قبول الطرف الآخر فلا يكفى أن يعلن القابل قبوله فى مجلس العقد دون أن يسمعه الموجب متى كان التعاقد بين حاضرين أو بالتليفون • أما اذا كان التعاقد بالمراسلة فان الايجاب ينتقل للموجب له نقلا ماديا سواء بالرسالة أو بالرسول ويبدأ مجلس العقد من من وقت وصول الرسالة الى الموجب له ويشترط أن يصل الى الموجب ما يفيد قبول الموجب له ومن هذا يتضح أن الشريعة الاسلامية تأخذ بنظرية العلم بالقبول سواء فى التعاقد بين الحاضرين أو فى التعاقد بالمراسلة •

وحتى ينتج تبادل الايجاب والقبول أثره فى تكوين عقد صحيح ملزم فانه يجب أن يقترن بالشروط الآتية :

أولا ـ أن يصدر التعبير عن الارادة سواء كان ايجابا أو قبولا عن شخص مميز فالطفل غير المميز والمجنون والمعتوه والمريض أو السكران الى حد فقد التمييز وغير هؤلاء ممن انعدم فيهم التمييز لايعتد بتعبيرهم واذا صدر عن أحدهم تعبير عن ارادة فهذا التعبير لا وجود له شرعا مهما يكن له من وجود من حيث الواقع •

وسن التمييز فى الشريعة الاسلامية تبدأ من السابعة فكل من لم يبلغ هذه السن يعتبر فاقدا للتمييز وبالتالى غير أهل لابرام أى عقد من العقود ومتى بلغ هذه السن فتصبح له أهلية قبول التبرعات أى ابرام العقود والتصرفات النافعة له نفعا محضا ويظل كذلك الى البلوغ فمتى أصبح بالغا بالامارات

(ظهور علامات الرجولة عليه) أو بالسن (بلوغ الخامسة عشر) أصبحت أهليته كاملة وأصبح قادرا على ابرام جميع أنواع العقود والتصرفات بما فيها التبرعات الصادرة منه كالهبة والوصية والوقف والكفالة بشرط أن يكون قد بلغ وهو رشيد اما ان بلغ وهو غير رشيد فيستمر الحجر عليه الى أن يظهر رشده مهما طال الزمن .

واحكام الأهلية فى الشريعة الاسلامية سواء بالنسبة للرجل والمرأة فكل بالغ عاقل من الجنسين يعتبر أهلا لمباشرة جميع التصرفات وابرام جميع أنواع العقود .

ثانيا - ان يكون محل العقد مقدور التسليم ومعينا أو قابلا للتعين صالحا للتعامل فيه أى مالا متقوما مملوكا .

والمال هو كل ما تواضع الناس على اعتباره ذو قيمة مالية يمكن تقييمها بالنقود سواء كان شيئا ماديا أو منفعة وهذا أمر نسبى يختلف من عصر لعصر فقديما كان لا يصح التعاقد على تلاوة القرآن أو تعليم أحكام الدين بينما يصح مثل هذا التعاقد فى الوقت الحاضر .

وكل مال محرم على المسلمين لا يعتبر متقوما فى الشريعة الاسلامية وان كان يعتبر متقوما ومعترفا به فى الشرائع الأخرى فلا يصح بيع الخمر أو الخنزير بين مسلمين أو بين مسلم وغير مسلم .

ثالثا - الا يصدر التعبير عن الارادة نتيجة اكراه والا يكون المقصود بالعقد مجرد الضرر وألا يتضمن أى شرط فاسد أو ربا أو غرر وان تكون الفائدة المقصودة من العقد مباحة شرعا .

والاكراه يبطل جميع العقود والتصرفات لقوله عليه الصلاة والسلام: « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

والاكراه هو حمل الغير على ما لا يرضاه فالاكراه يعدم الرضا ولكن يبقى الاختيار فالمكره يختار أخف الضررين وهو امضاء العقد دون أن يكون راضيا بأيهما .

ويجب أن يكون الاكراه جسيما وهذا أمر نسبى يتوقف على حالة الشخص الذى يقع عليه الاكراه وسواء كان الخطر يتهدد المتعاقد فى نفسه أو جسمه أو ماله أو اعتباره

بين الناس وسواء كان الخطر يتهدده نفسه أو ذوى قرباه من المحارم ففى كل هذه الصور يبطل العقد ولكن يشترط أن يكون الاكراه واقعا على المتعاقد نفسه مباشرة لا على أحد هؤلاء . ولا يتحقق الاكراه اذا كان القصد منه الوصول الى غرض مشروع فالبيع الذى يتم لسداد الدين نتيجة تهديد القاضى للمدين يعتبر صحيحا لأنه اكراه بحق أو جبر شرعى .

ويشترط أن يكون المكره قادرا على ايقاع الأذى الذى هدد به المكره ولكن لا يشترط أن يكون الاكراه صادرا من المتعاقد الآخر نفسه فيكفى أن يكون المتعاقد الآخر متواطئا مع الغير الذى وقع منه الاكراه أو عالما به أو قادرا على العلم به .

أما الغرر فهو كل ما ينطوى على قمار أو مخاطرة أوجهالة مما يترتب عليه أكل الأموال بالباطل بغير عوض ولا هبة ومثله بيع حيوان هارب أو البيع بالعربون اذا كان العربون ثمنا للعدول عن البيع فالمبلغ الذى يدفعه المشترى للبائع ولا يسترده منه اذا عدل عن الشراء لا حق للبائع فى الاستيلاء عليه شرعا ويعتبر من قبيل أكل الأموال بالباطل وهو أمر منهى عنه بصريح القرآن « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل – البقرة ١٨٨ » .

وقد بلغ من شدة حرص الفقهاء على تفادى كل صور الغرر أن قالوا ببطلان بيع كل ما هو غير موجود وقت ابرام العقد وان كان وجوده محققا فى المستقبل كبيع محصول القطن قبل البدء فى زراعته مثلا حتى أصبح انعدام الشىء فى ذاته سببا للبطلان ولو لم يكن هناك غرر وخلطوا بين انعدام الشىء أصلا وبين الغرر والرأى الصحيح هو أن الشريعة الاسلامية لم تحرم بيع ما هو غير موجود وقت ابرام العقد الا بقدر ما ينطوى عليه من الغرر فبيع المعدوم باطل للغرر لا للعدم فالأصل اذن هو الغرر فان كان فاحشا كان البيع باطلا وان كان يسيرا كان البيع صحيحا وعلى ذلك اذا باع شخص ما فى مخازنه من بضائع أو محصول أرضه جزافا كان ذلك ينطوى على غرر فاحش أما ان باعه بسعر الوحدة فان الغرر يكون يسيرا ويصح العقد وهذا هو الرأى الصحيح شرعا

والذى يفى بحاجات التعامل فى هذا العصر •

هذه هى الأركان والشروط التى يتحتم أن تتوافر مجتمعة ليتم تكوين العقد صحيحا فى الشريعة الاسلامية فاذا تخلف أى شرط من هذه الشروط كان العقد باطلا أو على الأصح لم ينشأ عقد أصلا فالعقد فى الشريعة الاسلامية اما أنه عقد صحيح وملزم لجميع أطرافه وواجب الوفاء به واما أنه عقد باطل أو عقد غير موجود شرعا فلا يوجد فى الشريعة الاسلامية هذا النوع من العقود القابلة للابطال والتى تعتبر فى الشرائع الوضعية صحيحة الى أن يحكم القضاء ببطلانها فلا يعتبر عقدا فى الشريعة الاسلامية الا التراضى الصحيح المقترن بالشروط التى ذكرناها آنفا وهذا ما يتفق مع صريح القرآن « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود •• » المائدة : ١ فكل ما هو (عقد له كيان شرعى) واجب الوفاء أما مالا يعتبر (عقدا) وان كان له كيان مادى وهو ما يوصف بالعقد الباطل فلا قيمة له وعلى ذلك يكون البطلان النسبى غير مأخوذ به فى الشريعة الاسلامية •

وقد تكلم الفقهاء عن ثمانية عشر عقدا هى الاجارة والاستصناع والبيع والكفالة والحوالة والوكالة والصلح والشركة والمضاربة والهبة والرهن والمزارعة والمساواة والوديعة والعارية والقسمة والوصايا والقرض •

وليس معنى ذلك أن العقود فى التشريع الاسلامى هى على سبيل الحصر فان ما ذكره الفقهاء من عقود انما كان قاصرا على العقود التى كان يقع بها التعامل فى زمنهم فقط وعلى ذلك لا يوجد ما يمنع من انشاء أنواع جديدة من العقود مثل عقود النقل البحرى والنقل الجوى والعقود المتصلة بأعمال البنوك والتأمين وغيرها وذلك لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « المؤمنون عند شروطهم » وحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » فالقيد الوحيد على استحداث أنواع جديدة من العقود تفى بحاجة المعاملات فى العصر الذى نعيش فيه هو ألا تتضمن هذه العقود شروطا تتعارض مع أحكام القرآن وفيما عدا ذلك فالحرية مطلقة لاستحداث جميع أنواع العقود التى تفى بحاجة العصر بالنسبة للمعاملات •

وفيما يتعلق بتفسير العقد فالملاحظ أن الفقه الاسلامى ذو نزعة موضوعية بارزة فهو يعتد بالتعبير عن الارادة دون الارادة ذاتها أى يأخذ بنظرية الارادة الظاهرة ولا يأخذ بنظرية الارادة الباطنة فيجب الوقوف عند الارادة الظاهرة وما تضمنته من بواعث وواقع ولا يصح البحث عن النوايا الخفية .

ولا يأخذ التشريع الاسلامى بأى تمييز بين أحكام العقد بسبب أطرافه فأحكام عقد البيع أحكام واحدة تسرى على كل بيع سواء كان هذا البيع بين تجار أو غير تجار أو بين الأفراد وبين الدولة ولذلك لا يأخذ التشريع الاسلامى بما جرت عليه بعض التشريعات الوضعية فى التمييز بين أحكام العقد الواحد بسبب صفات أطرافه وتقسيم العقود الى عقود مدنية وعقود تجارية وعقود ادارية .

ومتى نشأ العقد صحيحا شرعا فانه ينتج أثره فورا فاذا كان بيعا مثلا تملك المشترى المبيع على الفور واستحق البائع الثمن فلا يأخذ التشريع الاسلامى بما تأخذ به الشرائع الوضعية من أن العقد يرتب بين العاقدين مجرد حقوق والتزامات شخصية .

ويلتزم كل من المتعاقدين فى التشريع الاسلامى بتنفيذ ما تعهد به فى العقد تنفيذا عينيا ويجبر على ذلك بل ويعاقب جنائيا على عدم التنفيذ مادام التنفيذ ممكنا .

ولا تسقط الحقوق الناشئة عن العقد بمضى المدة أو بالتقادم مهما طال الزمن لقوله عليه الصلاة والسلام « لا يبطل حق امرىء مسلم وان قدم » .

هذه هى المعالم الرئيسية للتنظيم القانونى للعقود فى التشريع الاسلامى وننتقل بعد ذلك الى اجراء المقارنة بينها وبين أسس التنظيم القانونى الانجليزى لنتبين أوجه الخلاف والاتفاق بين النظامين .

فبالنسبة لانعقاد العقد لا يأخذ التشريع الاسلامى بالعقود الشكلية مهما كان موضوع العقد وأهميته فكل العقود فى الشريعة الاسلامية تنعقد بمجرد تبادل الايجاب والقبول وهذا أوفى بحاجات التعامل والحجج التى بنيت عليها الشكلية بالنسبة للعقارات

والهبات لا تستند الى دليل صحيح فان بعض المنقولات فى العصر الحديث تفوق فى قيمتها بعض العقارات آلاف المرات كما أن التروى فى ابرام أى عقد أمر مطلوب فى جميع العقود من تبرعات ومعاوضات وليس مطلوبا فى التبرعات وحدها .

وبينما يأخذ القانون الانجليزى فى تحديد وقت ومكان انعقاد العقد بنظرية العلم بالقبول فى التعاقد بين الحاضرين او بالتليفون وبنظرية تصدير القبول (ايداع القبول مكتب البريد أو التلغراف) فى التعاقد / بالمراسلة نجد أن التشريع الاسلامى يأخذ بنظرية العلم بالقبول فى كلا الحالين (التعاقد بين حاضرين أو بالمراسلة) وهذه النظرية تحقق استقرارا أكثر للتعامل وعدالة أكثر فالعقد فى القانون الانجليزى ينعقد بمجرد ايداع الرسالة مكتب البريد ويبدأ سريانه منذ هذه اللحظة ويسأل المتعاقد الآخر عن التأخير متى أثبت المرسل ايداعه للرسالة بينما تكون قد فقدت فى البريد ولم يتسلمها الموجب بالمرة وفى هذا نجد أن التشريع الاسلامى يفضل القانون الانجليزى أيضا فى هذه الناحية .

كذلك يختلف التشريعات بالنسبة لتنفيذ العقد ففى القانون الانجليزى يكون لكل من المتعاقدين حرية عدم تنفيذ التزامه ودفع التعويض فالتنفيذ بطريق التعويض يصبح بذلك هو الأصل ويصبح التنفيذ العينى هو الاستثناء أما فى التشريع الاسلامى فالتنفيذ العينى هو الأصل ويجبر كل من الطرفين على الوفاء بالتزامه وفاء كاملا بل ويعاقب فى بدنه ان لم يقم بالتنفيذ فالأصل التنفيذ العينى والاستثناء هو التنفيذ بطريق التعويض وفى هذا نجد أن التشريع الاسلامى أيضا أكثر تحقيقا للعدالة والاستقرار فى التعامل ولا يخفى أثر ذلك على سرعة التداول بين الناس فى المعاملات وما يصحب ذلك من ازدهار .

ويختلف التشريع الاسلامى عن القانون الانجليزى بالنسبة لبطلان العقود فبينما يأخذ القانون الانجليزى بما درجت عليه الشرائع الوضعية من تقسيم العقود الى عقود صحيحة وعقود قابلة للابطال (باطلة بطلانا نسبيا) وعقود باطلة بطلانا مطلقا نجد أن التشريع الاسلامى يقتصر على تقسيم العقود الى عقود صحيحة وعقود باطلة فالعقد اما أنه صحيح واجب

النفاذ واما أنه باطل أى معدوم ولا قيمة له ولا نفاذله وما يأخذ به التشريع الاسلامى أفضل بكثير مما درجت عليه الشرائع الوضعية بما فيها القانون الانجليزى من اعتبارها العقد القابل للابطال عقدا صحيحا ومنتجا لآثاره الى أن يحكم القضاء ببطلانه وهو وضع مذبذب فكيف نقول ان العقد صحيح وباطل فى نفس الوقت الى جانب ما يثيره الحكم بالبطلان من مشاكل عند اعادة كل من المتعاقدين الى مركزه الأصلى قبل التعاقد خاصة اذا كان كل منهما قد تعلل مع الغير استنادا الى هذا العقد القابل للابطال هذا فضلا عن فتح باب المنازعة وادعاء البطلان وأثر كل ذلك على تعطيل المعاملات .

ويختلف التشريعان فى تحديد سن الرشد فبينما نجده فى القانون الانجليزى محدد باحدى وعشرين سنة تجده فى التشريع الاسلامى لا يتجاوز الخامسة عشر .

ويتفق التشريعان فى عدم اجراء أى تمييز بين العقود بسبب شخصية أطرافها فلا يعرف القانون الانجليزى أيضا . تقسيم العقود الى عقود ادارية وعقود تجارية وعقود مدنية فأحكام عقد بيع البضائع أحكام واحدة سواء كان المشترى لهذه البضائع الدولة أو أحد التجار أو أحد الموظفين .

كذلك يتفق التشريعان فى الأخذ بنظرية الادارة الظاهرة عند تفسير العقد ولا يخفى على أحد مزايا الأخذ بهذه النظرية فى تحقيق استقرار التعامل وآثار ذلك من الناحية الاقتصادية .

كما يتفق التشريعان فى عدم سقوط الحقوق الناشئة عن العقد بالتقادم مهما طال الزمن وهو أمر يحقق أكبر قدر من العدالة ويقضى على ظاهرة أكل أموال الناس بالباطل نتيجة وضع اليد او المماطلة فى الوفاء

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن التنظيم القانونى للعقود والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله حيث نبدأ الكلام عن المسئولية المدنية .

حسن حسب الله

أول أمير للحج

للأستاذ السيد حسن قرون

الحج ركن من أركان الدين الاسلامي الخمسة ، وله منزلة عظيمة في طبيعة الاجتماع وفطرة التدين ، وقد كانت الكعبة وهي قبلة المسلمين لها مكانة القداسة والتجلة منذ ابراهيم واسماعيل اللذين خوطبا بقوله تعالى « أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » وقد كان أمر الله لابراهيم عليه السلام : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وكان رسول الله محمد بن عبد الله منذ هاجر الى المدينة يود أن يعيدها ـ كعهدها الأول ـ طاهرة نقية من الأوثان والأصنام ، عالية على الخرافات والاوهام ،وحينما كان الصراع عنيفا مخيفا بينه وبين قريش شاء أن يذهب اليها معتمرا سنة ست من الهجرة ، ووقفت قريش منه موقفا سيئا لامها عليه أنصارها ، اذ كيف تحول بين رجل مثله وزيارة الكعبة وقد ارتحل اليها ؟ وكان ما كان من صلح الحديبية ، وكان من شروطه:ان تقوم هدنة بين الرسول وقريش مدتها عشر سنوات ، وأن يزور محمد الكعبة في العام القابل ، ومن أراد أن يدخل في حلفه فله ما أراد ومن أرد أن يدخل في حلف قريش كان له ذلك .

وأنا أسجل هذا الخبر لأبين الى أي حد كان شوق الرسول الى قبلة المسلمين ، ومناسك ابراهيم واسماعيل . لقد كانت الكعبة في يد كفار قريش ، فتعنتوا مع الرسول وأصحابه ، لايرعون حرمتها ، ولايرضون حريتها ، ومن تعنت

قريش ماجرى (لسعد بن النعمان الانصارى) فقد وفد من المدينةمعتمرا فعدا عليه ابو سفيان فحبسه بابنه (عمرو)الذى أسر فى غزوة بدر ولم يطلق سراح سعد بن النعمان الا بعد أن فك أسر عمرو بن ابى سفيان . وقد كان صلح الحديبية فتحا مبينا استطاع الرسول بهدنته أن يكتب الى الملوك والامراء فى جزيرة العرب وخارجها بدعوته العامة ، فذهبت رسله الى أمراءالعرب وكسرى الفرس ، وقيصر الروم والمقوقس عظيم مصر تؤدى عنه وكان أن نقضت قريش عهد الصلح ففتح الرسول مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأخذ البناء الاسلامى يرتفع مضيئا وضيئا فىسيره الطبيعى ، وتتضح صورة المجتمع الاسلامى ، واستقبل العام التاسع للهجرة أحداثا جساما ، وأعمالا كبارا ، فقد أسلمت ثقيف بالطائف وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم (تبوك) ولم يلق كيدا ، وجاءتهوفود القبائل تبايعه وتؤمن برسالته فسمى عام الوفود وأخذت سرايا الرسول تحطمالأصنام فى كل مكان ، واشترك أبو سفيان والمغيرة فى هدم الطاغية بالطائف .

وآن لرسول الله أن يملك الكعبة بعد أن حطم أصنامها ، وأن يكون أمر الحج حسب سنته ، وأن يطارد الشر حتى يقضى عليه وأن تقوم الدولة الاسلامية بنقائها ونظمها واصلاحاتها الثورية فى الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد مبرأة من الجاهلية وتقاليدها البالية التى حاربها وانتصر عليها فى مواطن كثيرة ، وفى جهاد كبير بدأ بالقرآن ، ثم بالقرآن والسيف معا . ثم عزم على أن يقيم للناس حجهم فى هذا العام . قال [1] الرواة . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ؛ ليقيم للناس حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم على عهد الجاهلية ، ومعنى هذا أن النظم القديمة ماتزال متبعة ، فالأمر يتطلب حسما للأمر ، وبيانا شافيا لما يتبع ، وأوامر يجب أن تصدر حتى يعرف كل مكانه بعد اليوم ، وحين فصل أبو بكر بمن معه من الحجيج لم يكن فى ذهنه شىء الا أنه يؤدى

(١) سيرة ابن هشام ــ حج ابى بكر بالناس .

الحج هو ومن معه وكانوا ثلثمائة حاج ، ويبين للناس مناسكهم ، كانت الفرحة بادية على وجوه الجميع،فهاهم أولاء المسلمون يذهبون الى الحج ، ويسلكون الطرق المعروفة ، قد ذهب الخوف الى غير رجعة ، فقد دخلت قريش الاسلام ، فتبعتها معظم القبائل، وساق أبو بكر أمامه خمس بدنات لنفسه ، وعشرين بدنة لرسول الله قلدها وأشعرها بيده ، عليها ناجية بن جندب الأسلمى ، وسارت القافلة السعيدة يرفرف عليها علم الاسلام ، متجهة الى المسجد الحرام ، تلفهم الآمال العراض ، والأمانى الحسان . فلما كانوا (بالعرج) توقفت القافلة وانتظرت القادم الذى يهوى اليهم هويا ، ويغذ السير ويطوى الأرض طيا ، وعرف القادم ، انه على بن أبى طالب .

قالوا : لما نزلت (براءة) (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر فى طريقه الى مكة ـ قيل لرسول الله: لو بعثت بها الى أبو بكر . فقال (٢) : لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا عليا ابن أبى طالب . فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته.حمل على صدر براءة ثلاثين آية، وركب ناقة رسول الله (العضباء) وانطلق ليلحق أبا بكر ، وكان العرج الملتقى ، ومن أجل ذلك توقفت القافلة . فلما رآه أبو بكر قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ثم مضيا حتى بلغا الحرم ، فقام أبو بكر بما أمر به ، أقام للناس حجهم،والعرب كما هى على منازلها، كل قبيلة فى مكانها ، تغيير واحد أحست به ، وهو أن الحج يقوم به المسلمون ، وأمير الحج أبو بكر ، فلما جاء يوم النحر عرفت التغيير الكامل ، وأنه لامكان للجاهلية بعد اليوم ، قام على بن أبى طالب ، فأعلن ما أمره رسول الله به ، وتلا عليهم من سورة براءة ماحمله فى صدره . قال تعالى : « براءة من الله

(١) لها أسماء كثيرة منها التوبة والمبعثرة ، والشرودة ، والفاضحة ..
(٢) كتب السيرة والتفسير .

ورســـوله الى الذين عاهـدتهم من المشركين ، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الـكافرين • وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشـركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم» ومعنى هذا أن الله ورسـوله قد برئا من العهـد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهـم ، وأن لهـم الأمـان أربعـة أشهر يسيحون فى الأرض ثم يجب قتالهم الا أن يتوبوا ويؤمنوا بالله •

وتمضى الأيات متحدثة عن المشركين وعهودهم ، وأن من له عهد فهو الى مـدته من الذين لم ينقضوا العهـد مثل بنى ضمرة وبنى كنانة ، وتكشف الأيات عن نفسيات المشركين ، وأنهم لا عهد لهم ولا قرابة ، وأنهم آذوا الرسـول وأخرجوه ، ويبطل أمـر الجاهلية ابطـالا تامـا ، فالسـقاية والحجابة والعمـارة أمور عفى عليها الزمن ، وليس للعبـاس أن يفخر بالسقاية ولا لشيبة من بنى عبد الدار أن يعتز بعمـارة البيت ، فالعز كلـه للمؤمن التقى الذى يجعل المسـجد لعبادة الله وحده •

« انما يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكـونوا من المهتـدين • أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لايسـتون عند الله والله لايهدى القوم الظالمين » ثم يخاطب الله المؤمـنين مبينا واجبهم : « يأيهـا الـذين آمنـوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم علية فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليكم حكيم » هنا اتضحت القضية ، وأعلنت الأحكام ولابد من التنفيـذ وتشير الآيـة الى التخـوف من الفقر بمنـع المشركين من الحج ، فيبين الله أن المـال ليس متوقفا على المشركين فهناك فضل الله من الغنائم والمطر والنبات وضروب التجارة فى ظل الاسلام ، وقد تحقق فضل الله عليهم حين قاموا بالفتوحات واشتغلوا بالتجارة والزراعة فـكانوا أنعم الناس •

وعلى هذا استقام الأمر ، فلم يحج بعد هذا العام كافر ، ولم يطف بالبيت

عريان . ثم أخذ أبو بكر وعلى يستعدان للسفر الى المدينة ليبلغا رسول الله ما قاما به وما أدياه فى الحج

واختيار أبى بكر وعلى لما قاما به تكريم لهما ، لما لهما من السبق الى الايمان ، والجهاد فى سبيل الله والاثر الحميد فى نشر الدين ومؤازرة الرسول ، والطاعة له ، وكفاحهما فضلا أن يقال عنهما : ان أبا بكر أول من أسلم من الرجال وثانى اثنين اذ هما فى الغار ، وأن يقال عن على : انه أول من أسلم من الصبيان وأول من صلى مع رسول الله ، وانه بطل من أبطال الجهاد .

من هذا العام أصبح للحج أمير كل عام ، وكان تمهيدا لحجة عظيمة يكون رسول الله قائما بها ، وهى حجة الوداع أو حجة الاسلام كما يرى ذلك عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

وها نحن أولاء نذهب الى أداء فريضة الحج ، فنذكر تلك الأيام الجليلة من أيام الله ،فتنبض القلوب بالايمان وتهتز المشاعر بالتقوى ، ونسعد بالارض المكرمة حيث ذكريات ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وحيث مولد الهادى ومنزل الوحى وحيث يلتقى المسلم والمسلم على الحب والخير والايمان ، والعمل على رفعة الاسلام وأهله فنكون خير خلف لأعظم سلف .

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل مافعلوا

السيد حسن قرون

فلسفة التربية فى الإسلام

للأستاذ على القاضى

تمهيد :

لو أننا نظرنا الى الأديان والى الفلسفات الانسانية فى تاريخها الطويل لما وجدنا لها فكرة شاملة عن القوى الانسانية والكونية بل لوجدناها تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية تنكر احداها وتعترف بالاخرى او تعترف بهما وبوجود تصادم وخصام بينهما .

فالمسيحية والبوذية والهندوكية ترى كل منها ان خلاص الروح مرهون بكبت الجسد أو بافنائه أو على الأقل باهماله والكف عن لذائذه .

والفلسفات المعاصرة كالشيوعية والوجودية تعنى كل منها بالناحية المادية وحدها وتنكر الناحيةالروحية انكارا تاما .

أما الاسلام فله ايدلوجية أساسية خاصة فى مجال النظرة الى الله والكون والحياة والانسان والمجتمع وله منهج فكرى كامل شامل للحياة وما فيها والانسان وصلته بالكون الذى يعيش فيه وبالله الاعلى الذى خلقه وخلق الكون .

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وجعل الانسان خليفة له فى الأرض يؤدى رسالته فى هذه الحياة طبقا للنظام الذى أراده الله ولا يصح للانسان أن يدعى الأصالة فيضع لنفسه المنهج الذى يسير عليه أو يطلق العقل فيما لا مجال فيه للعقل ـ وهذا المنهج يحقق للانسان الاستقرار والاطمئنان ولا يوجد مجالا للخلاف بين الناس أو عداوة بين فلسفات تظهر فى غيبة النظام الالهى . وهذا النظام كفيل بأن يسعد هذا العالم الحائر لو أنه حاول أن يستفيد منه لكن الفلسفات الحديثة لا تحاول الاستفادة من الاسلام بل هى تسعى جاهدة يعاونها الاستعمار فى ذلك

لاخراج الاسلام عن مقوماته النفسية والروحية والاجتماعية المنبثقة عن الاسلام ومحاولاتها مستمرة لغزو الفكر الاسلامى واخراجه عن قيمه ومناهجه بل لتدمير مقوماته وادخال مفاهيم أخرى للقضاء على استقلاله وذاتيته .

الكون واسراره :

هذا الكون حافل بالأسرار عامر بالقوى المختلفة التى تتفاعل مع حياة الانسان والمسلم يعرف هذا وهذه المعرفة تجعله فاهما للكون الذى يعيش فيه عارفا لمكانته فيه بالنسبة لمن حوله - والله سبحانه وتعالى الذى خلق الانسان وفضله على كثير من مخلوقاته وجعله خليفة له فى الأرض أعانه على أداء رسالته فيها بتسخير أشياء كثيرة له فى الكون وبيان أشياء من الغيب هو فى حاجة اليها لأنها تعينه على أداء هذه الرسالة، وهو وحدة وبامكانياته المحدودة لا يستطيع أن يصل اليها لأنها خارجة عن دائرة حواسه كمعرفة الملائكة والشياطين والمنشأ والمصير وما الى ذلك .

وقد عرف هذا الجانب عن طريق الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لهداية عباده .. وقد اكتفى المؤمنون بما جاء به الرسل فى هذا المجال وأحسوا بعظمة الله سبحانه وتعالى وعرفوا موقف الانسان فى الأرض من هذه العوالم والأرواح ثم شغلوا طاقاتهم العقلية فيما يعود عليهم بالفائدة - فى الكشف فى حدود هذه الأرض وما حولها واستعملوا هذه المعلومات فى عمارة الأرض والقيام بخلافة الله فيها على هدى من الله .

والمسلم يرتبط دائما بربه فى كل أعماله ويرى أنه مهما أحرز من سبق فان ذلك كله بفضل الله وبهذا يتجه الى الحضارة وجهة ربانية يعرف أن قيمتها الكبرى تكمن فى دعم الايمان بالله ويسعى جاهدا الى تقوية الصلة به لأن الارتباط بالله والاستناد اليه مصدر قوة عظمى تعين على المضى فى رحلة الحياة وتفيض على القلوب أنسا وراحة وهو فى هذا المجال مطلوب منه ألا يشغل نفسه بغير ذلك « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » كما أنه فى مجال الشعائر ، على الانسان أن يفهمها بالكيفية التى طلبها الله منه بلا جدال ولا مناقشة فالله الذى طلب اقامة هذه

الشعائر هو الذى حدد نظامها وكيفيتها فلا مجال فيها للعقل .

ولكن مجال العقل فى النظر والتجربة يكمن فى الكون الذى يراه الانسان ويحس به ومطلوب منه أن يفكر وأن ينظر وأن يجرب والا فانه ملوم على تقصيره « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

صلة الانسان بالله :

الكون الذى نعيش فيه مكون من طاقات مادية وطاقات روحية متصلة ومن وراء ذلك قوة الله سبحانه وتعالى تسيطر على ذلك كله — والانسان خلق لا يعلم شيئا ثم جعل الله له الاحساس والشعور بالتدريج ثم أعطاه الله قوة أخرى هى قوة العقل فهو يتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له السلطان على الكائنات فيسخرها ويذللها بعد ذلك بوساطة العقل . والانسان بعقله يصبح ذا طاقة ضخمة فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه فى الكون تصرفا لا حد له فقد أعطاه الله مواهب ليظهر بها أسرار خليقته ، أعطاه الأرض وسخر له ما عليها كما أعطاه شرائع حدد له حدودا لأعماله وأخلاقه ، هذه الحدود تحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض . والانسان المخلوق الضعيف يستطيع أن يتصل بالله الخالق القوى فى أى وقت يريد ، يتصل به فى الصلاة وفى الدعاء وفى كل عمل يستهدف به رضا الله سبحانه وتعالى — والله سبحانه وتعالى جعل الحياة بما فيها هى وحدها الطريق الى الآخرة والمسلم يحس بحقيقة الصلة بينه وبين ربه ، ويشعر بقدرته فى كل ما يحيط بالناس وكل ما يستمتع به مما سخره الله له وهو محض تفضل منه تعالى لأن الانسان لا يقدر على فعل شىء الا بارادة الله — وكل هذه المشاعر كفيلة باستبقاء القلب البشرى فى حالة يقظة حساسة لا تغفل مراقبة الله ولا تجمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان ، فالايمان هو اتصال الانسان بالله وبالكون وبالنواميس وبالقوى الموجودة فيه ، وقد عرف (وليام أوزلر) الطبيب الكندى المشهور — الايمان بالله بأنه (القوى الدافعة الكبرى التى لا يستطيع أن تزنها فى الميزان أو تختبرها فى الجفنة ولا يمكن أن يتم الاعتقاد فى وجود الله دون هذا الايمان) .

صلة الانسان بالكون :

المؤمن يحس بأن الكون صديق له وهو يتعامل مع الوجود كله ومن فيه وما فيه على أساس من التعارف والتعاون والألفة والمودة وهو لذلك يحس بالأمن والاطمئنان كما يحس بأن للحياة طعما غير ما لها في نفس من لايؤمن بالله،ذلك لأنه يعيش في جو صديق،فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها والذى يقرأ سورة النحل يجد في آياتها أنواعا من المخلوقات التى سخرها الله للانسان - وبذلك يدرك أن الله سبحانه وتعالى تولى رعايته ويؤمن بأن الناس الذين يعيشون معه في هذا الكون اخوانه وهم جميعا مخلوقون من ذكر وأنثى ومتساوون أمام الله لا فرق بين انسان وآخر الا بالتقوى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ومن شذ عن هذا الطريق بأسلوب أو بآخر أعيد الى الجماعة بالصلح أو بالقوة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله) فان حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادا فلابد من موقف حازم معهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) وبذلك تكون الجماعة الاسلامية قوية متماسكة فتتفرغ لتحقيق رسالتها في هذا الوجود ...

واذا كان هذا التعامل مع جماعة المؤمنين فان الاسلام أظهر الحكمة في التعامل مع غير المسلمين لأن الهدف سام لا لتحصين الجماعة الاسلامية وحدها بل يستهدف أيضا المحافظة على مقدسات الأديان الأخرى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) وهذا السلوك ضرورى لصلاح الضمير واستقامته وتنسيق حركته مع حركة الكون العامة ووضوح الارتباطات بين الانسان وخالقه وبين الانسان وبين الكون وما فيه وما يتبع هذا من تأثيرات أخلاقية وسلوكية واجتماعية وانسانية عامة في كل مجال من مجالات الحياة .

الفرق بين الانسان وغيره :

والشىء الواضح الذى يميزالانسان عن غيره من الحيوان وجود الهدف والغاية عند الانسان فهو يعرف الغاية من الوجـود الانسـانى ومن وجـود المخلوقات كلها من حوله ، وارتقاؤه فى سلم الانسانية ينبع من شعوره هذا ودقة تصوره لوجود النـاموس والارتباط بالأحداث ، والمسلم لذلك لا يعيش عمره لحظة لحظة بل يرتبط فى تصـــوره بالزمان وبالمكان كله وبالوجود كله وقوانينه،ويرتبط بالتالى بارادة الله العليـا المدبرة التى خلقت الناس لهدف واضح،فهو يعمل لتحقيقه وبذلك يدرك القلب البشرى على قدر ما يطيق حقيقته الألوهيـة وعظمتهـا فيعيش فى حساسية وخوف ورجاء ثم يحس بالوجود كله متجها الى خالقه فيتجه معه اليه مسبحا بحمـده معترفا بقدرته ويحس بالراحـة والاستقرار ويعمل على أداء رسالتـه فى هـــذه الحيـاة ومن هنـا فقــد طلب من المسـلمين أن يؤمنوا بالله وبمـا أنزل اليهم على رسوله الأمين وبمـا أنزل الى الأنبيـاء جميعـا بلا تفريق بين واحـد وآخر (قولوا آمنـا بالله وما أنزل الينـا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى مـوسى وعيسى ومـا أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحـد منهم ونحن له مسلمون) .

والانسان له الى جوانب الخواص المعروفة قلب يدرك به أمورا لاتستطيع الحواس أن تدركهـا يدرك الحقائق الباطنة فى هذا الكون (فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) والفيلسوف (ديكارت) يقرر أن للانسان حواس داخلية أو باطنية تدرك الحقائق الخفية فى الكون فى مقابلة الحواس الظـاهرة التى تدرك بها الحقائق الظاهرة،والانسان يستطيع أن يستخـــدم فى حيـاته الثروات المختلفة كالحديد والنحاس والبترول ذلك ؛ لأن الانسان له فطرة التحضر التى تتطلب احتيـاجات . لا نجـدها فى مكونات تلك الأرض من معـادن وحجارة وغيرها ـ وقوانين الطبيعة فى ذهن الانسان وحده لوجود خاصيـة تلائم نظام القوانين ـ وقد سويت على الوضع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعض (ما ترى فى خلق الرحمـن من تفاوت) ومن هذه النواميس عقل الانسان ـ وبهذا التطابق تعمل جميع النواميس فى تـاسق وتكامل ثم ان

الانسان يحس بأن عليه عمارة الأرض (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أى طلب منكم عمارتها بالزرع والمصانع والأبنية اللازمة، فالله سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم علمه ما ينظم صلته بواقعه وما تتحقق به مصلحته يقول (انشتاين) (ان الشعور الديني الذي يجده الباحث في الكون هو أقوى حافز على البحث العلمي وصنع الحضارة وان هذا الايمان عندي يؤلف معنى الله) . وللحضارة الانسانية جانبان : جانب مادي وجانب انساني وهما متلازمان في الحضارة الاسلامية أما في غيرها فغير متلازمين والجانب المادي تقدم فكر وعلم وتجربة وصناعة ، والجانب الانساني تقدم وجدان وخلق وسلوك - والجانب المادي يلفت النظر أكثر لأنه واضح ويملك التجريب والتدبير الا أن ضرره اذا سار وحده أكثر من نفعه - ودعوة الاسلام لذلك تقوم على العناية بالجانب المادي وبالجانب الروحي والتخلي عن الأنانية وقيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الاسلامية وحدها - والمجتمع الاسلامي ليس مجتمع عدد ولكن مجتمع قيم انسانية عليا - ومن هنا فان المسلم يتجه دائما الى الله يطلب منه العون

والآية الكريمة (ففروا الى الله) توحي بالاثقال والقيود التي تشد النفس البشرية الى هذه الأرض ومن ذلك مطالب العيش والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرية وما الى ذلك. الأمر الذي جعل الآية الكريمة تطلب من المسلمين الفرار الى الله من هذه القيود الى الله وحده المنزه عن كل شريك .

وظيفة المسلم فى هذه الحياة :

وظيفة المسلم في هذه الحياة ضخمة وأثره كبير في هذا الوجود الكبير فهو جزء من هذا الكون والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ماسواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان .. انه سيد الكون كله وليس عبدا الا لله الواحد القهار - ثم ان الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوء مشاعره وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع تصورهم للوجود الانساني كله وبقدر ما يكشف لهم أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره - والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه في أحسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه وجعل

الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الأرض .

والاسلام بهذا يرسى القواعد الأساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ، ولا تعدد المذاهب ولا تنوع البيئات،فمن أقام بها وأداها كاملة فقد أدى وظيفته وحقق غاية وجوده - ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أصبح بلا وظيفة فى هذه الحياة بعد أن نكل عن وظيفته الحقيقية - وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذى تستمد منه قيمتها الأولى ثم اذا به يسير الى الضياع الذى يصيب كل كائن يتخلى عن وظيفته ويتفلت من ناموس الوجود الذى يربطه به ويحفظه ويكفل له البقاء .

ووظيفة الانسان فى هذه الحياة تربط الجن والانس بناموس الوجود وهى العبادة لله .. ومن هنا يتبين أن معنى العبادة أعم وأشمل من اقامة الشعائر المعروفة اذ أن معناها يحقق خلافة الله فى الأرض وهى تقتضى ألوانا من النشاط الحيوى فى عمارة الأرض والتعرف على قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ثم تستخدم استخداما يحقق رسالة الانسان فى هذه الحياة..(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) فمعنى العبادة يتحقق فى استقرار معنى العبودية لله فى النفس وفى استقرار الشعور على أن لله خليفة ليعبده وجعله خليفة له فى الأرض فهو يتوجه اليه بكل حركة،فى الضمير وفى الجوارح وفى الحياة،وبهذا يتحقق معنى العبادة ويصبح كل عمل يعمله الانسان من اقامة الشعائر الى الجهاد فى سبيل الله الى اقامة العدالة بين الناس هدفه عمارة الأرض ، والقيام بخلافة الله والنهوض بتكاليفها حسب النظام الذى وضعه الله - ثم أن تصبح قيمة الأعمال التى يقوم بها الانسان مستمدة من بواعثها لا من نتائجها فالانسان عليه أن يعمل فى الاطار الذى رسمه الخالق ، وجزاؤه عند الله يكون بالنية والعمل (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) لا بالنتائج التى توصل اليها ولذلك يقول الله لنبيه (ان أنت الا نذير) ويقول (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) والمسلم يضع علاقته بربه على هذا الأساس ومع غيره فى موضعها الذى لا تعداه

فهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولايملكون له موتا ولاحياة ولانشورا وهم مخلوقون مثله فهم عباده مثله وبذلك لا تتوزع طاقاته ومشاعره بين آلهة مختلفة،ولا بين متسلطين عليه من بنى البشر ، والمسلم يتلقى تشريعات الله تلقيا خاصا ؛ لينفذ مهمته فى هذا الكون ويؤثر قانون الله على ما عداه ؛ لأنه هو الذى ينسق بين حركة البشر وحركة الكون العام وهو صادر من الله الذى خلق الكون وهو أدرى باحتياجاته ، والمسلم يعرف أن الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت فى مناهب الأفراد ، وفيما يمكن أن يؤديه كل فرد والتفاوت فى مدى اتقان هذا العمل ، وهذا التنوع ضرورى لتنوع الأدوار المطلوبة للخلافة فى الأرض — فالتفاوت قاعدة ولكن نسبة التفاوت فى الرزق تختلف من مجتمع الى مجتمع (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) أما مبدأ الرزق فقد تكفل الله به (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها) ثم ان المسلم يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أنزل شريعة تفرق بين المسيئين والمصلحين فى جميع الأحوال وسيجازى الله كل نفس بما كسبت، وفى ذلك تحقيق العدالة للناس أجمعين .

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) . والاسلام يريح المسلم من الأسئلة التى لا يستطيع أن يجيب عنها ولا يجد من آية فلسفة اجابة شافية عليها مثل من أين جئت ؟ ولماذا جئت ؟ والى أين أذهب ؟ وهذه الاجابة تجعله يحس بأن وقته كله مشغول بتحقيق وظيفته فى هذا الوجود .

والمسلم بعد هذا كله له شخصية مستقلة وهو مسئول عن نفسه وعن عمله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

الاسلام دين الوحدة :

الاسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا وبين توحيد الله والأديان جميعا (ان هذه أمتكم أمة واحدة) وعن تلك الوحدة تصدر تشريعاته وبذلك تتبين لنا أسس التربية الاسلامية التى تتناول الضمير والوجدان والسلوك والقيم ومن هنا فان الحياة فى نظر الاسلام حياة تراحم وتواد وتعارف

وتكامل بين المسلمين وبين جميع أفراد الانسانية ـ وحين تطبق هذه الحقيقة تطبيقا كاملا فانها تؤتى ثمارها وذلك حين توجد العقلية الواعية الفاهمة التى تطبقها على الأساس الذى أراده الله فتعمل على اقامة حضارة اسلامية عمادها نشر العدالة والأمن والطمأنينة وتستخدم ما فى الأرض من خيرات وثروات وعلم وموهبة ؛ ليكون لها دورها فى اقامة هذه الحضارة (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فالنفس الراضية المطمئنة الى الايمان الحقيقى لاتستريح الا فى الدأب لعرفة أسرار الكون وسننه كيما تزداد بالله اتصالا ، وسبيلها الى هذه المعرفة البحث والنظر فى خلق الله بما فى الكون نظرا علميا دعا اليه القرآن ، والغاية فى الاسلام ترمى الى حسن العرفان بالله عرفانا كلما ازداد زدنا ايمانا به جل شأنه والتى ترمى الى حسن العرفان من جانب الجماعة كلها لا من جانب الفرد وحده والمسلم دائما يلتمس العون من الله ، واتجاه الانسان اليه يعليه درجة للاهتداء الى أسرار الكون وسنن الحياة (واستعينوا بالصبر والصلاة) على حين ترمى فى الغرب الى الاستفادة المادية من الكون •

والوحدة الكونية التى يحس بها المسلم تفيد السلام الدائم بين الانسان ونفسه وبين الانسان والكون وهذا السلام يطلق للروح نشاطها كما يطلق للجسد نشاطه ثم يوجد هذا النشاط ويتجه به الى الخير والصلاح يتجه به الى عمارة الكون والى تحقيق خلافة الله فى الأرض • وهذا السلام لا يعتمد على حساب الروح ولا على حساب الجسد كما لا يعقد على حساب الفرد ولا على حساب الجماعة وفى الوقت نفسه لا يعقد على حساب طائفة من الناس أو جيل من الأجيال وهكذا ينطلق نشاط الفرد كما ينطلق نشاط الجماعة لبناء الحياة وانمائها •• وكل هذا يتم حين يعيش الانسان بوجدانه وذهنه فلا يكون فى هذا الكون الا التفكير المتمشى مع ما أراده الله ولايجد فيه الا الطاقات الايجابية لله ولا يرى نفسه الا منفذا لمشيئة الله (وما تشاءون الا أن يشاء الله) ويترتب على هذا ان صلة الانسان بالله هى صلة مباشرة بلا وساطة من انس أو جن أو غير ذلك (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) حتى الذين أساؤا الى أنفسهم وأسرفوا فى الاساءة لا ينبغى أن يقنطوا من

رحمة الله بل ان البـاب مفتوح على مصراعيه لمن أراد العودة الى الله (قل ياعبـادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنـوب جميعـا انـه هـو الغفـور الرحيم) .

خاتمة :

حين ننظر الى الكون الذى نعيش فيه نجد أن مشاغل الحياة ظلت تظهر فى محـيط الحس الى أن تغطى على الحاسة الباطنة فاذا بالانسان لا يرى الا الحس . والاسلام قد عالج هذه النـاحية بأن جعل له منهجـا تربويا يحرص فيه على ربط الانسان بخالقه وتذكيره دائما به ، وبالتدبر في مخلوقات الله وفى انعـامه عليـه (أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبـل ولم يك شيئا) كما عالجها بأن عمل على أن يقى الحاسة الباطنة من موجات هذه الأهواء والشهوات التى تهب كالأعاصير فأمر أن يقى الانسان حاسته الباطنة موجات هذه الشهوات ومن هنا كان معنى التقوى استمرار المدافعة .

يستطيع الانسان أن يقى نفســه هذه الموجات المتوالية القاسية فتصبح حاســته سليمة (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) .

وتعلق الانسان بعقيدته راسخـة معنـــاه الاستقرار الفكرى ومنع الاضطراب والتقلب والتردد (أفمن يمشى مكبا على وجهــه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) .

واذا كانت الفلسفات الحديثة لم تصـل الى هـذا المسـتوى من الفهم والادراك والتعمق فى معرفة الله فان (هكسلى) وهو واحد من أكبر علمائها فى هذا المجال قال (ما علينـا الا أن نكون متواضعين وتسلم بأن فكرتنا عن الله فكرة لاتزال الى حـد كبير غير كاملة وأن هناك الاها أكبر بكثير من فكرتنا ومعارفنا الحاضرة عن الله وان هذا الاله لم يكتشف بعد) كمـا أن (هارى أرسون) فى كتابه :كيف تكون رجلا يقول (انه ما من انسان يستطيع أن يكون غير مؤمن فقد ركب الانسان من النـاحية النفسانيـة بحيث أصبح مضطرا الى الايمان بالله أو بغيره فمتى فات الايمان الايجـابى فان السـلبى يحل محله ويتعلق بالآراء التى تجعل منا عبيدا للحياة لا سادة لهـا) وقوة الفلسفات الحـديثة التى تنكر وجود الله ليس فى ذاتها بل بتكرار الدعوة اليها وقوة القانون فى السلطة القائمة على تنفيذه والخصومة المذهبيـة طابع

الفلسفات الحديثة وسبب اختلاف القوانين كون الانسان محدودا ومحدودية الانسان تجعل عيوب القوانين كثيرة ، وطبيعة الانسان فى الفلسفة والقانون سبيل الى عدم العصمة وهى بالتالى سبيل الى التراخى فى التنفيذ والطاعة •

لكن فلسفة التربية الاسلامية تجعل ضمير الانسان يقظا ولذلك فان ضمير المسلم بمثابة السلطة الذاتية على عكس القانون الوضعى ، والانسان فى تربيته الاسلامية يحس بأنه ليس وحده فى هذا الكون الفسيح فان من حوله وفى كل اتجاه وحينما امتد به النظر أو طاف به الخيال اخوان له من خلق الله مختلفون فى الصور والأشكال ولكنهم يتجهون الى الله ويسبحون بحمده وان كان لا يفهم تسبيحهم وهو فى النهاية خليفة الله فى الأرض يحق الحق ويبطل الباطل ويشعر بأن الكون صديق له ومعينه على أداء رسالته فيعيش آمنا مطمئنا وهو فى الأرض ولكن قلبه معلق بالسماء •

على القاضى

دخول المرافق في الأيدي والكعبين في الأرجل

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

اتفق الفقهاء على أن تطهير الأيدى والأرجل من فرائض الوضوء • ثم اختلفوا فى دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل عند تطهيرها فى الوضوء على قولين :

القول الأول : تدخل المرافق فى الأيدى والكعبان فى الأرجل فلا يتحقق تطهير الأيدى الا بتطهير المرافق معها كما لا يتحقق تطهير الأرجل الا بتطهير الكعبين معها • ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء •

القول الثانى :لاتدخل المرافق فى الأيدى ولا الكعبان فى الأرجل فيتحقق تطهير الأيدى دون المرافق كما يتحقق تطهير الأرجل دون الكعبين ذهب الى ذلك زفر وبعض الظاهر •

استدل أصحاب القول الأول على دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل •
بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى فى آية الوضوء•••وأيديكم الى المرافق •• وأرجلكم الى الكعبين ، ووجه الدلالة أن « الى » فى الآية وردت فى اللغة بمعنى « مع » ووردت بمعنى « لغاية» فان كانت بمعنى «مع» أفادت دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل بالنص ، وان كانت بمعنى « الغاية » أفادت أيضا دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل لأن الحد يدخل فى حكم المحدود اذا كان من جنسه ؛ كقولهم « بعت الأشجار من هذه الشجرة الى هذه الشجرة » فان كلا من الشجرتين داخل فى البيع بلا شك • والمرافق من جنس الأيدى والكعبان من جنس الأرجل لأن اليد اسم شامل لما بين أطراف الأصابع الى الابط واسم الرجل الشامل لما بين أطراف الأصابع الى الفخذ • واذا ثبت أن المرافق من جنس الأيدى والكعبين من جنس الأرجل ثبت دخول المرافق فى

الأيدى والكعبين فى الأرجل فيجب تطهير المرافق عند تطهير الأيدى كما يجب تطهير الكعبين عند تطهير الأرجل بنص الآية بناء على أن «الى» فى الآية بمعنى « مع » أو بظاهرها بناء على أن « الى » بمعنى « الغاية » •

وأما السنة : فما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم مسح رأسه • ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع فى الساق • ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع فى الساق ثم قال : « هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ » •

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله « حتى أشرع فى العضد » وقوله « حتى أشرع فى الساق » صريحان فى دخول المرافق فىاليدين ودخول الكعبين فى الساقين فلو لم يكونوا داخلين فى المأمور به لما فعل ذلك أبو هريرة • ولكن فعله دليل على دخولها لأنه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم • بدليل قوله « هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ » وفعل النبى صلى الله عليه وسلم بيان للمأمور به •

واستدل أصحاب القول الثانى : على عدم دخول المرفقين فى الأيدى والكعبين فى الأرجل بقوله فى أية الوضوء « •• وأيديكم الى المرافق•• وأرجلكم الى الكعبين » •

ووجه الدلالة : أن « الى » للغاية فلا يدخل ما بعدها فيما قبلها • والله تعالى قد أمر بغسل الأيدى الى المرافق والأرجل الى الكعبين فجعل المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل غاية للطهارة ودل عليها بلفظ « الى » وذلك بمقتضى أن المرافق لا تأخذ حكم الأيدى والكعبين لا يأخذان حكم الأرجل فى التطهير كما فى قوله تعالى « وأتموا الصيام الى الليل » فانالصيام ينتهى بأول الليل فالغاية خارجة فيه باتفاق فكذلك المرافق والكعبان غاية فلا تدخل المرافق فى الأيدى والكعبان فى الأرجل •

واعترض على هذا الاستدلال : بأن قولكم « ما بعد الغاية لا يدخل فيما قبلها » ليس على اطلاقه بل ما بعد الغاية يدخل فيما قبلها اذا كان من جنسه والمرافق من جنس الأيدى فتدخل فى حكم اليد والكعبان من

جنس الأرجل فيدخلان فى حكم الأرجل فيجب غسل المرافق والكعبين عند غسل الأيدى والأرجل فى الوضوء ولو سلمنا أنها لا تدخل وضعا فانها تدخل فى هذه الآية بقرينة فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا للمأمور به .

القول الراجح : والقول الراجح هو القول الأول الذى يوجب دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل لقوة دليله ولما فى تطهير المرافق والكعبين من الاحتياط الذى يوجب الخروج من العهدة بيقين كما فى مقدمة الواجب .

الدلك فى الوضوء

المراد بالدلك فى الوضوء امرار اليد على أعضاء الوضوء مع اسالة الماء عليها وقد اختلف الفقهاء فى حكمه فى الوضوء على قولين :

القول الأول : أنه فرض من فرائض الوضوء فحقيقة الوضوء لا توجد بدونه .ذهب الى ذلك المالكية .

القول الثانى : أنه ليس بفرض من فرائض الوضوء فحقيقة الوضوء توجد بدونه ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء .

استدل أصحاب القول الأول : على أن الدلك فرض من فرائض الوضوء بالكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » .

ووجه الدلالة : أن الغسل معناه فى اللغة اسالة الماء على الجسم مع امرار اليد عليه . والدلك امرار اليد على الجسم فيكون الدلك جزءا من مفهوم الغسل والغسل مأمور به بقوله تعالى « فاغسلوا » فيكون الدلك واجبا كأسالة الماء على العضو لتحقيق الغسل المأمور به .

وأما السنة : فما رواه أحمد عن عبد الله بن زيد : « أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول : هكذا يدلك » .

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن فعل النبى صلى الله عليه وسلم الدلك امتثال للأمر فى قوله تعالى « فاغسلوا » فيكون الدلك واجبا .

واعترض على هذا الاستدلال بهذا الحديث : بأن الفعل المحكى عنه صلى الله عليه وسلم لا يدل على الوجوب وانما يدل على المشروعية ولا خلاف فيها •

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن الفعل المحكى عنه صلى الله عليه وسلم وقع بيانا للغسل المأمور به فى قوله تعالى « فاغسلوا » فيكون واجبا •

واستدل أصحاب القول الثانى على أن الدلك ليس بفرض من فرائض الوضوء بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » •

ووجه الدلالة من الآية أن الغسل معناه فى اللغة اسالة الماء على الجسم • والدلك امرار اليد على الجسم فالغسل يتحقق باسالة الماء على الجسم ••• ومنه قول العرب « غسله العرق اذا عمه » وبهذا يظهر أن الدلك ليس جزءا من مفهوم الغسل فلا يكون واجبا •

واعترض على هذا الاستدلال : بمنع أن الغسل معناه – فى اللغة – اسالة الماء على الجسم وقول العرب « غسله العرق اذا عمه » مجاز باستعمال « غسل » فى معنى أسال ولا يصار اليه فى الآية الا لقرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى ولا قرينة هنا • ولو سلمنا أن الغسل فى اللغة الاسالة – أيضا – فيكون مشتركا لفظيا حقيقة فى الاسالة مع الدلك وحقيقة فى الاسالة فقط • والمشترك يرجع فى بيان المراد منه الى القرينة• والقرينة على المراد منه فى الآية فعل الرسول صلى الله عليه وسلم • فقد روى عن عبد الله بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول : هكذا يدلك » فيحمل الغسل عليه فيكون الدلك واجبا •

وأما السنة : فان كل من حكى صفة وضوء النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيه دلكا ولو كان واجبا لفعله ولنقل عنه لتوفر الدواعى على نقله ، وحيث لم ينقل الدلك عنه صلى الله عليه وسلم دل ذلك على عدم فعله وعدم فعله دليل على عدم وجوبه •

واعترض على هذا الاستدلال : بأن عدم نقل الدلك فى وضوء النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس ليسوا فى حاجة الى نقله ماداموا مجمعين على أنه كان يغسل الأعضاء ومن ضرورة الغسل الدلك .

القول الراجح : الراجح ما ذهب اليه المالكية من القول بأن الدلك فرفض من فرائض الوضوء لقوة دليله ولما فيه من التنظيف وتحسين الهيئة الظاهرة للأعضاء للقيام بين يدى الله ولما فيه من التأكد من وصول الماء الى البشرة ودفع توهم وجود حائل يمنع وصول الماء اليها ولو كان الحائل خفيفا .

د. ابراهيم دسوقى الشهاوى

هذا البيت الذى نحجه
ونستقبله فى كل صلاة

للأستاذ محمود محمد رسلان

يتشوف المسلمون جميعا لأداء فريضة الحج ، وزيارة بيت الله الحرام ، وما أن تهل أشهر الحج حتى تتعلق القلوب ، وتثار المناقشات حول هذه الفريضة المقدسة التى يشترك فيها القلب ، والبدن ، والمال ، وربما انفردت بهذه الخصوصية دون غيرها ، وما أن يعزم المسلم على أداء هذه الفريضة حتى يبدأ فى الاحرام ، فيتجرد من المخيط والمحيط ، ومن كل أنواع الزينة ، والترف والرياء ، وتبدأ هذه الفريضة بطواف القدوم كما تختم بطواف الوداع ، وعلى المسلم وهو يولى وجهه شطر المسجد الحرام أن يعرف نبذة عن تاريخ الكعبة بيت الله الحرام ، وما اكتنف هذا البيت من رعاية وتقديس حتى يزداد له تعظيما ولخالقه اكبارا ؟ فمكانته قديمة قدم الانسانية ، وقد تحدث القرآن عنه ، وكذلك السنة المطهرة ، فرسخت عظمته فى القلوب ، وتعلقت به ، وتوجهت اليه فى صلاتها ، ونستصحب التاريخ الى الوراء لنرى مكانة هذا البيت وما كتب عنه .

فقد قال الله فيه : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا» آل عمران ٩٦ ، ٩٧

وقال سبحانه : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » البقرة ١٢٧

ابراهيم عليه السلام وأهله عند البيت

صحب ابراهيم عليه السلام زوجه سارة ، وابنه اسماعيل حتى وصلا الى البيت الحرام ، يذكر البخارى فى صحيحه عن ابن عباس فيقول « ...ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها

اسماعيل وهى ترضعه ، حتى وضعها عند البيت دومة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يؤمئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعها هناك ؛ ووضع عندها جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : ياابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شىء ؟ ! فقالت له ذلك مرارا ؛ وجعل لا يلتفت اليها ؛ فقالت له : آلله الذى أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : اذن لا يضيعنا . ثم رجعت ؛ فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه وقال : « رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . ابراهيم ٣٧ وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ونظرت هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ؛ ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما ؛ فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت صه . تريد نفسها ثم تسمعت ، فسمعت أيضا فقالت : قد اسمعت ان كان عندك غواث ، فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف .

قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ، أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال : فشربت ، وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة ، فان هاهنا بيتا يبنى هنا الغلام وأبوه ؛ وان الله لايضيع أهله ... ثم لبث — ابراهيم عنهم ماشاء ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ثم قال ياسماعيل : ان الله أمرنى بأمر أن ابنى هنا بيتا ؛ وأشار الى أكمة مرتفعة على ماحولها ، قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى

اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان «ربنا تقبل منا انك السميع العليم»(١) قال سبحانه « واذ بوأنا لا ابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » (٢) وقال « وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » (٣) .

اطوار بناء الكعبة :

وبعد أن أتم ابراهيم بناء البيت أذن فى الناس بالحج كما أمره الله ؛ ثم وقعت الكعبة فى يد الجراهمة ؛ فظلت فى أيديهم زهاء ألف سنة ثم انتقلت بعد ذلك الى ايدى بنى خزاعة الذين أقاموا عليها أكثر من مائتى سنة ، وكثيرا ما كانت تدمر بسبب السيول التى تجتاحها ، ثم أعاد بناءها قصى بن كلاب الذى جعل لها سقفا وكانت حتى زمنه مكشوفة لاسقف لها وفى خلال هذه القرون الطويلة تطورت العبادة فى الكعبة حتى أصبحت موئل الأصنام ، وعبادتها ، بعد أن كانت بيتا لعبادة الله جل وعلا ويذكر المؤرخون العرب أن عمرو بن لحى الخزاعى كان أول من أدخل الأصنام الى بلاد العرب ؛ وأنه جلب أول صنم اليها وهو هبل من مدينة هيث فى العراق ، ومن ذلك الوقت أصبحت الكعبة مجمعا لكل القبائل ومقر أصنامهم ، وكان قصى أول من بنى حول الكعبة بيوتا ، ولم يترك بين البيوت والكعبة الا قدر المطاف ، وأشرف قريش على الكعبة بعد قصى فأصابها حريق فأعاد بناءها ... وأقاموا بداخل البناء ستة أعمدة ليعتمد عليها السقف ثم وضعوا تمثال هبل الى جدار فى داخل الكعبة .

الكعبة قبل البعثة وبعدها :

وقبل البعثة النبوية أصاب الكعبة سيل أوهن جدرانها فهدمها القوم بعد تردد ثم أعادوا بناءها حتى اذا وصلوا الى مكان الحجر الاسود اختلفوا ،

(١) صحيح البخارى ١٧٢/٤
(٢) الحج ٢٦ ، ٢٧
(٣) سورة البقرة .

وكادت تنشب حرب أهلية بينهم لولا أن احتكموا الى أول داخل من باب الصفا؛ فكان محمدا فرأى بحكمتهأن يفض النزاع فوضع الحجر الأسود على ثوب ، ثم كلف رؤساء القبائل برفعه ثم وضعه فى مكانه بيده ... وبعد أن فتح الله مكة طهر النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة من كل أثر للوثنية ، فحطم الأصنام ، وطمس الصور ،وهو يتلوا قول الله سبحانه « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ثم أعاد الى الكعبة نقاء التوحيد ...

وفى سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠) م هطل مطر عظيم ارتفع حتى وصل الى الكعبة وأوهن بناءها ، وتساقطت أحجارها ، فهلع الناس واضطربوا، وأرسل والى مصر اذ ذاك محمد باشا الألبانى جماعة من المهندسين ــ والمعلمين ــ المصريين ، فهدموا بقية الجدران وابتدأوا يبنونها عمارة جديدة ؛ وربطوا الحجر الأسود بسوار من الفضة لأنه كان قد تصدع، ولما فرغ القوم من بناء الكعبة كتبوا محضرا وأرسلوه الى مصر فيه شهادة المكيين بحسن عمارة البيت ، وبناء الكعبة القائم الآن هوالبناء الذى شاركت فيه مصر بالحظ الأوفر وأنفقت من ميزانيتها بعد أن أرسلت جميع ما يلزم من أدوات العمارة ، ستة عشر ألفا من الجنيهات لاتمامها .. (١) .

ولعلك أيها القارىء الكريم ــ قد استصحبت معك نبذة عن تاريخ البيت ؛ وحفظ الله له على مر الزمن ليظل مثابة للناس وأمنا وقبلة للمسلمين وسكنا ، تعال لنستشرف بعض مشاهد الحج لتتم الفائدة :

دوى فى سمع الزمان نداء الخليل ابراهيم « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم(٢) فلبى ويلبى هذا النداء كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة ، ثم ان الحاج يؤدى المناسك طائعا مختارا وفى أدائه لها يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال : « خذوا عنى مناسككم » وأول هذه المناسك :

---

(١) عصر ما قبل الاسلام ــ محمد مبروك نافع بتصرف .
(٢) الحج (٢٧) .

الاحرام : فيقول نويت الحج ثم يلبى والتلبية يقول عنها الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا آل محمد، من حج منكم فليهل فى حجه أو حجته » (١) والتلبية أن يقوم كما قال صلى الله عليه وسلم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك،ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

الطواف بالبيت :

ويشترط فيه الطهارة ، وستر العورة ، وأن يكون سبعة أشواط كاملة ، يبدأ بالحجر الأسود وينتهى اليه ، وأن يكون البيت عن يساره ، وأن يكون الطواف خارج البيت ، وأن يوالى فى سعيه ، وأن يدعو بهذا الدعاء : «بسم الله ، والله أكبر، اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة النبى صلى الله عليه وسلم » ، ويستحب صلاة ركعتين بعدأشواط الطواف عند مقام ابراهيم لقوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

السعى بين الصفا والمروة :

الأصل فيه ما ذكر آنفا من قصة اسماعيل وبئر زمزم ، أما حكمه فالسعى ركن (٢) من أركان الحج لقوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » ، ويستجب الدعاء بينهما بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم » .

الوقوف بعرفة والمشعر الحرام :

روى فى فضلهما أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تئوب فقال : يابلال أنصت لى الناس . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأنصت الناس فقال : معشر الناس ، آتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فأقرأنى من ربى السلام ، وقال ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يارسول الله هذا لنا خاصة ؟ قال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة . فقال عمر رضى الله عنه ـ كثر خير الله وطاب.

(١) رواه أحمد ، وابن حبان .
(٢) عند مالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم انظر السيد سابق فقه السنة جـ ٥

وحكمة الوقوف : أنه ركن الحج الأعظم ، ووقت الوقوف يبدأ من زوال يوم التاسع الى طلوع فجر يوم العاشر ، وأنه يكفى الوقوف فى أى جزء من الليل (١) .

رمى الجمار :

حكمه الوجوب ، وأما حكمته فلما روى أن النبى صلى الله عليه قال لما أتى ابراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض قال ابن عباس رضى الله عنهما : الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون .

الهدى :

هو كل ما يهدى من النعم الى الحرم تقربا الى الله سبحانه لقوله تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ـ الى قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (٢) .

الحلق والتقصير :

الحلق ازالة شعر الرأس بالموسى ونحوه ، والتقصير أن يأخذ من شعر الرأس ولو قيد أنملة ؛ وحكمه الوجوب ، ووقته بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر .

حكمة المناسك :

وقبل أن نختم الحديث عن مناسك الحج بطواف الوداع نشير الى بعض الذين خفى عنهم حكمة هذه المناسك فيصفوها بأنها من مظاهر الوثنية القديمة . يقول صاحب مجلة الشهاب عليه رحمة الله :

« وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة ، والنظرة السامية فى هذا التشريع الحكيم ، هذه الفرصة ، فيغمزون الاسلام بأنه لايزال متأثرا ببقية من وثنية العرب ، وان الكعبة والطواف من حولها ، والحجر الأسود ، واستلامه ، وما يحيط بذلك من معانى التقديس

(١) فقه السنة جـ ٥

(٢) الحج : ٣٦ ، ٣٧

والتكريم ، ان هو الا مظهر من مظاهر هذا التأثر ، وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة أويستلم الحجر ، يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع ، ولكنه يقدس فيها هذا المعنى الرمزى البديع ، معنى الأخوة الانسانية الشاملة ، والوحدة العالمية الجامعة ، ويذكى ذلك قول الله العلى الكبير « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » (١) ، « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، واذا غابت حكمة المناسك عن بعض الناس فان هناك من وصفها وصفا ، فان لكل عمل من أعمال المناسك سرا وحكمة ينبغى للمسلم أن يتنبه اليها وهو يؤدى هذه الأعمال فما الاحرام فى حقيقته ، وهو أول المناسك الا التجرد من شهوات النفس والهوى ..

وما التلبية الا شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة ، والامتثال ، وما الطواف بعد التجرد الا دوران القلب حول قدسية الله ؟ صنع المحب مع المحبوب المنعم ، الذى ترى نعمه ، ولا تدرك ذاته ، وما السعى بعد هذا الطواف الا التردد بين علمى الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان ، وما الوقوف بعد السعى الا بذل المهج فى الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية ؟ وأيد مرفوعة بالرجاء ، وآمال صادقة فى أرحم الراحمين .

وما الرمى بعد هذه الأعمال التى تشرق بها على القلوب أنوار ربها ، الا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر ، ألا وهو رمز مادى لصدق العزيمة فى طرد الهوى المفسد للقلوب .

وما الذبح ، وهو الخاتمة فى درج الترقى الى مكانة الطهر والصفاء الا اراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها فى بناء الفضيلة .. هذا هو معنى الحج فى حقيقته ، والعبادات كلها وان اختلفت صورها ، تلتقى عند غاية واحدة ، هى تحقيق معنى العبودية لله والاخلاص فى طاعته ، والتوجه اليه

---

(١) المائدة ٩٧ ، العبادة فى الاسلام د. يوسف القرضاوى ص ٢٦٤ ،

وحده والاستعانة به وحده والتخلص من سلطان الأثرة البشرية المظلمة (١)•

طواف الافاضة والوداع :

ونختتم هذا الحديث بطواف الافاضة والوداع•أما طواف الافاضة فهو ركن منأركان الحج ـ اذا ترك بطل لقوله تعالى : « وليطوفوا بالبيت العتيق » ووقته يبدأ من طلوع فجر يوم النحر ويمتد وقته الى آخر شهر ذى الحجة أما طواف الوداع : فهو آخر ما يفعله الحاج اذا أراد مغادرة مكة لفوره؛ وحكمه أنه سنة :

قال صلى الله عليه وسلم : «لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت » (٢) •

فهنيئا لزوار بيت الله الطائفين العاكفين ـ جعلنا الله منهم انه سميع مجيب •

محمود محمد رسلان

---

(١) المرحوم الشيخ محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ١٤٠، ١٤١ بتصرف .

(٢) فقه السنة ج ٥

الأعياد بين الجاهلية والإسلام

للدكتور السيد رزق الطويل

العيد معنى عظيم يرتبط بيوم من أيام العمر ؛ ولذا فهو يتكرر ويعود ، وفيه يذكر الانسان قيمة يعتز بها ، ويتيسر له فى ظلالها جانب من اللهو والمتاع .

وهو بهذا ضرورة انسانية واجتماعية ؛ اذ لابد للانسانية فى رحلتها الطويلة والعسيرة فى صحراء الحياة من واحات تستريح عندها ، وتتفيأ فى ظلالها وتنسى بين الماء والثمر مكابدة السير ، وعثاء الطريق .

ومن هنا كانت معرفة الانسان بالعيد قديمة قدم وجوده ، وعريقة عراقة حضارته ، فاختلس الانسان منذ قديم هذه الأيام من عمر الزمن يتخفف فيها من الأعباء ، ويتناسى المتاعب والآلام ، ويسترخى ذهنيا وجسميا أمام مشاق العيش ومسئوليات الحياة .

والدارس لتاريخ الأعياد فى حياة الانسان ، الباحث عما وراءها من بواعث تعزز وجودها ، وتدعم كيانها ، وتشرب قلوب بنى الانسان محبتها ، وتقديسها يجد أن وراءها مثلا يحترمها ، وتختلف هذه المثل سموا وضعة باختلاف موقف الانسان من دين الله الذى ارتضاه للناس .

فالوثنيون كانت أعيادهم مرتبطة بأوثانهم ، وكانت كثيرة ومتعددة ، ولكل قبيلة وثن ، ولكل وثن عيد ، وهناك أوثان لها شهرة ذائعة فعيدها عيد للقبائل جميعا .

ويحدثنا القرآن الكريم عن يوم الزينة الذى حدده فرعون ميقاتا ، يتبارى فيه سحرة مصر مع نبى الله موسى ، وهو واحد من الأعياد الكثيرة التى عرفها المصريون القدماء .

وأعياد الوثنية بصفة عامة ترتبط بقيمة أدنى ، كصنم ، أو نصب ، أو قبر رجل صالح ، أو أثر خلفه بشر ، ولها طابع الكثرة والتعدد الذى تستحيل معه حياة البشر الى فراغ • حتى من اهتدوا برسالات السماء من أهل الكتاب انحرف عندهم معنى العيد ، فكثرت أعيادهم لمناسبات ابتدعتها أهواؤهم ، وارتبط معظمها بقيمة أدنى •

وعندما جاء الاسلام يهدى البشرية للتى هى أقوم ، ويجدد شباب الرسالات السماوية التى عبثت بها يد البشر كان فى حسابه وفى منهجه التسامى بمعنى العيد ، الى مستوى أرفع وأفضل مما عليه الناس بحيث يؤدى رسالته السامية فى الناس وفى المجتمعات •

وفكرة العيد - وهو ضرورة اجتماعية - راودت جماهير المسلمين بعد الهجرة ؟ اذ ذكروا للنبى عليه الصلاة والسلام أعيادا للعرب فى الجاهلية تعج فيها حياتهم باللهو واللغو والمرح ، فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام : ان الله أبدلكم بها خيرا منها : عيد الفطر وعيد الأضحى •

ومن هنا نرى الاسلام أضاف شيئا جديدا ومجيدا لمعنى العيد بحيث يؤدى رسالة الترويح عن النفس فى سمو ، والتنفيس عن المشاعر فى ترفع وعلو ، ورفع اللأى عن الوجدان فى حكمة واتزان •

ويبدو ذلك فى أمور :

١ - الحد من كثرة الأعياد ، حفاظا على الجد فى حياة المسلمين ، وحتى لا تتحول - كما تحولت فى عصور الجاهلية - الى فراغ وضياع ، فأبدل الله المسلمين بأعياد الجاهلية الكثيرة عيدين اثنين فحسب •

٢ - ارتبط هذان العيدان بعبادتين من أعظم العبادات تأثيرا فى سلوك بنى الانسان ، ارتبط أولهما وهو عيد الفطر بعبادة الصيام ، وعبادة الصيام فيها ما فيها من التسامى بالمشاعر ، وتربية الضمير ، وتغليب ما هو أسمى فى الانسان على ما هو أدنى • وهذه أمور تتطلب مجاهدة ومكابدة ، ومصابرة ومجالدة تحدد أبعاد المسئولية الضخمة التى يتحملها الصائم ، والتى يعد نهوضه بها عملا عظيما ، ترضى به النفس ، ويسعد له القلب ويرتاح الضمير ، ويعبر عن

هذه الأحاسيس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : للصائم فرحتان ـ فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

ويصف القرآن الكريم ما ينبغي للمسلم أن يعمله تعبيرا عن سروره بأداء هذا العمل العظيم ، فيقول الله تعالى : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) .

كما ارتبط الثاني وهو عيد الأضحى الذي يحمل معنى التضحية، وفيه يذبح المسلمون أضحياتهم رمزا لمعنى الفداء الذي به تصدق قضية الايمان ، والذي سبق اليه أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، كما يرتبط زمنيا بعبادة هامة ، تربي في الانسان ملكات سامية هي الحج فبينما نرى الحجيج يحسون بسعادة غامرة تملأ جوانب نفوسهم ، وقد أفاضوا من عرفات ذاكرين مهللين ، مولين وجوههم شطر منى ليرموا الجمار ، ويذبحوا الهدي ، ويتحللوا من الاحرام وهذه أمور تملأ النفس لذة، روحية ، وتمتعها متعة قدسية ، فغير الحجيج في أنحاء الأرض أراد الله لهم أن يشاركوهم مسرتهم ، ويشاطروهم متعتهم ، فكان عيد الأضحى يعيش في ظلاله المسلمون من غير الحجيج .

٣ ـ في الاعياد الاسلامية حيث تلاقت الروح بالمادة ، والدين بالدنيا لهو بريء ، ومتعة سامية ، وتسرية عن النفس في غير افراط ، ومودة وتواصل ، وتوسعة على الأهل والولد ، وسلوك النبي عليه الصلاة والسلام في العيد مصداق لذلك ، فكان ينهى عن الصيام فيه ، ويحول وجهه عن المقابر اذا مر بها ، كما كان يغتسل ، ويتطيب ، ويلبس أحسن ثيابه ، ويوسع على أهله ، وفي بعض أيام الأعياد يستمع الى غناء عف بريء ، ويشهد لعبا بالحراب. قال لأبي بكر عندما نهر الجاريتين المغنيتين : دعهما يا أبا بكر ، ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا ورآى الحبشة وهم يلعبون بالحراب في مسجده وتابع لعبهم ومن خلفه السيدة عائشة ، وقال : لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة وأنني بعثت بالحنيفية السمحة .

وبجانب ذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يحي ليالي الاعياد بالعبادة ، ويحي آيامها بالتهليل والتكبير ،وبذل الصدقات ، ووصل الأهل والأقرباء .

٤ ـ العيد فى الاسلام ـ اذن ـ فترة يعيش فيها المسلم بذاته متكاملة، موصولة بالله وبالناس ؛ ويحقق منها المجتمع الاسلامى ملامحه كاملة من تحاب فى الله ، وتواد وتعاطف وتراحم فى سبيله بحيث يكون كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ويتم ذلك فى اطار مناسبة تشد الجميع الى الله وتدمغهم الى اخلاص العبادة لعوحده

٥ ـ والعيد فى الاسلام ـ كما أتصوره ـ وسيلة رائعة لعرض ماديات الانسان من مطالب جسدية ،ورغبات مادية فى اطار كريم ؛ اذ يربطها بالمثل ؛ ويصلها بالقيم ؛ فلا تهوى بالانسان نحو الحيوانية الجامحة ، ولا تنحط به الى درجات المادية الطاغية ؛ ولذا يبدأ المسلم يوم العيد بشعيرة الصلاة فى جو من التكبير والتهليل ؛ وتسبقها صدقة تقدم لكل محتاج فى مجتمع المسلمين فى عيد الفطر ، ويعقبها تضحية وفداء فى عيد النحر •

وكأن هذه العبادات التى تمثل أعلى درجات القنوت والاخبات بمثابة المنطلق الكريم نحو متعة كريمة ، ولذه وقورة ؛ ومسرة معتدلة •

وهى ـ بهذا ـ كانت السياج الذى يصون المتعة ويحقق لها الاعتدال والاتزان •

٦ ـ ونتيجة لعرض هذه السمات التى يتسم بها العيد فى الاسلام ارى أن من المخالفة لمنهج الاسلامى فى الأعياد ما يملأ حياتنا من أعياد ابتكرناها ارتبط بعضها بشخصيات لها زعامة وطنية أو دينية ، وارتبط بعضها الآخر بمناسبات قومية •

وهذا كله فى تقديرى افتئات على منهج الاسلام فى الأعياد •

واذا أردنا احياء ذكرى انسان ذهب فليكن ذلك بترسم أعماله ؛ والانتفاع بسمو سلوكه فى دينه ودنياه على أن نتحاشى أن نتخذ من مولده أو من وفاته عيدا نصنع فيه ما نصنع فى عيدى الاسلام •

ولنا أن نختص بمناسباتنا القومية بما يتناسب مع قيمتها وتأثيرها على ان لا نسميها أعيادا فهذا اطلاق لا يكون الا على يومى « الفطر » « والفداء » •

دكتور السيد رزق الطويل

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٢ —

١٥١ - ويقولون : يرجوك فلان أن تزوره ؛ ونرجو الله أن يمدنا بعظيم عفوه ، فيجعلون الفعل في التعبيرين نصابا مفعولين ، والحق أنه لاينصب الا مفعولا به واحدا ، كما في قوله تعالى « أولئك يرجون رحمة الله » وقوله « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » .

وهو لايتعدى الى مفعول آخر الا بثلاثة أحرف ، هي : من ، وفي ، واللام فمن الأول قوله جل شأنه : « وترجون من الله مالا يرجون » ، ومن الثاني قولك : أرجو في ولدي ، الرشد ومن الثالث قولك : أرجو لجيشنا الانتصار ، وقوله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقارا » .

ويقال : رجاه بالتضعيف كما في قول بشر يخاطب ابنته :

فرجي الخير وانتظري ايابي
اذا ما القارظ (١) الفنزى آبا

والرجاء أصله التأميل والتوقع ، وقد يجيء بمعنى الخوف كما في قوله تعالى « وقال الذين لايرجون لقاءنا » أي لا يخشونه ولا يخافونه ، وقول أبي ذؤيب :

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وحالفها في بيت نوب (٢) عواسل

١٥٢ - ويقولون لواحدة الحصى : حصوة والفصيح أن يقال لها حصاة ، وتجمع أيضا على حصيات ، تقول : هم أكثر من الحصى ، ووقعت الحصاة في مثانته ، ومن المجاز قولك : لم أر أكثر منهم حصى عددا ، قال الأعشى :

فلست بالأكثر منهم حصى
وانما العزة للكاثر

---

(١) القارظان : هما يذكر بن عنزة ، وعامر بن رهم خرجا يجمعان القرظ فلم يعودا .

(٢) النوب : النحل تنوب الى الخلايا .

والحصاة أيضا الرزانة والوقار ، تقول : فلان ذو حصاة اذا كان رزينا وقورا ، قال طرفة :

وان لسان المرء ما لم تكن له
حصاة على عوراته لدليل

١٥٣ – ويقولون : أخذ الرجل عمولته بضم العين ، يعنون أنه تناول أجر ما عمل ، وهذا ضلال بعيد ، لأن هذه الكلمة لم ترد فى العربية ، والصواب أن يؤدى هذا المعنى بقولنا : أخذ عمالته مثلثة العين ، أو أخذ عملته بكسر العين وضمها ، أما العملة بفتح العين فهى السرقة أو الخيانة ، وتقول مستفهما : من الذى عمل عليكم ؟ ببناء الفعل للمجهول ، أى نصب عليكم عاملا ، وعملته على البلد تعميلا اذا وليته عليه ، وفلان يتعمل فى حاجات المسلمين أى يتعنى ويجتهد ، أنشد سيبويه .

ان الكريم وأبيك يعتمل
ان لم يجد يوما على من يتكل

أو يؤدى بقولنا : أخذ العامل جعالته مثلثة الجيم ، أو جعله بضمها ، أو جعاله بكسرها ، أو جعيلته وزان سفينه ، وتقول : أعط العمال جعالاتهم وجعائلهم .

أما اذا أرادوا الرشوة فانه يقال : أخذ الرجل جعالته بالفتح لاغير ، ويقال جاعله مجاعلة اذا رشاه وفلان يجاعل فلانا أى يصانعه برشوة .

والجعالة بالفتح أيضا هى ما يجعل للغازى اذا غزا عن غيره يجعل ، وهى بالكسر والضم خرقة ينزل بها القدر كالجعال بالكسر وزان كتاب ؛ تقول : أجعل الطاهى القدر اذا أنزلها بالجعال .

١٥٤ – ويقولون : فلان يقلس على فلان ، يعنون أنه يسخر منه ، ويتخذه ضحكة ، والصواب أن يقال : هو يسخر منه ، ويتخذه سخريا ، وفى التنزيل « أتخذتموهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار » أو يقال هو يهزأ به أو منه ويتخذه هزوا ، قال تعالى « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا » .

أما التقليس فله معنيان لاصلة لكل منهما بالسخرية .

أحدهما الضرب بالطبول ، والغناء واستقبال الولاة بأصناف اللهو عند قدومهم ، تقول قلس المقلسون تقليسا

وهم الذين يلعبون بين أيدى الأمراء والولاة بالسيوف والحراب ، ليدخلوا على نفوسهم السرور ، ويهنوهم بكريم المقدم ، وفى الحديث « لما قدم عمر رضى الله عنه الشام لقيه المقلسون بالسيوف والريحان »قال الكميت :

ثم استمر يغنيه الذباب كما
غنى المقلس بطريقا بمزمار

والآخر : الخضوع ووضع اليدين على الصدر ، تقول : قلس الذمى اذا وضع يده على صدره وخضع قبل التكفير ، وقلس فلان اذا خضع لأمير أو كبير ، قال الفرزدق :

اذا ما رأونا قلسوا من مهابة
ويسعى علينا بالطعام جرير

١٥٥ - ويقولون :ابتعنا طنا من الأرز بكسر الطاء ، يعنون مقدارا خاصا يزن اثنين وعشرين قنطارا ونصف قنطار ، وفى هذا التعبير أغلوطتان : احداهما أن الطن ليس بالكسر ، وانما هو بضم الطاء والأخرى أن الطن ليس مما يوزن به ، وانما هو حزمة من الحطب أو القصب ، واحدته طنة بالضم أيضا ، وجمعه أطنان وطنان بالكسر كحر وأحرار ، وحرار •

قال ابن الأعرابى : ويقال لبدن الانسان وغيره من سائر الحيوان طن ، قال ومنه قولهم : فلان لا يقوم بطن نفسه •

أما الطن بفتح الطاء فهو رطب أحمر شديد الحلاوة ،والطنين صوت الذباب والبعوض والطست تقول : طن يطين من باب ضرب طنا وطنينا اذا صوت ،وطنت أذن فلان طنينا ، وطنت طنطنة ، والطنطنة ايضا صوت الطنبور ، وضرب العود ذى الأوتار ، وكذلك هى كثرة الكلام ويقال : طن ذكرك فى البلاد اذا سار وانتشر ، ولفلان ذكر طنان أى ذائع ، وهذه قصيدة طنانة ، أى شائعة بين الناس ولها فى نفوسهم أثر عظيم •

١٥٦ - ويقولون : وقع فلان على الرسالة ، أو على الشكوى أوعلى عقد البيع ، وهذا خطأ بين ووجه الكلام أن يقال : وقع فى الشىء توقيعا أى تستعمل مع هذا الفعل (فى) لا (على) وأصل التوقيع أن يرفع الانسان شكاية الى الوالى ، وبعد أن يفحص الوالى عما فيها يكتب فى اسفلها ،أو على ظهرها :ينظر فى أمر هذا الشاكى ، ويستوفى له حقه اذا

كان صادقا فيما ادعى ، وقال الأزهرى هو أن يجعل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول ويستعمله المحدثون مجازا فى توثيق ما كتب ، وذلك بأن يكتب الكاتب اسمه كاملا فى اسفل الكتاب أوالعقد دلالة على صحة ما جاء بكل منهما •

١٥٧ ـ ويقولون لمن لاصلة له بمساله من المسائل : ان فلانا لا دخل له فى هذه المسألة ، فيزعمون أن الدخل بسكون الخاء والدخول معناهما واحد ، والحق ان الدخول ضد الخروج •

أما الدخل فله معنيان : أحدهما أنه ضد الخرج ، وهو ما دخل عليك من ضيعتك أو عقارك أو تجارتك ، تقول : دخل فلان أكثر من خرجه •

والآخر معناه العيب والريبة ، ومن كلامهم : ترى الفتيان كالنخل وما يدريك (١) بالدخل ، وكذا الدخل بالتحريك ،يقال فى هذا الأمر دخل أى شك وريبة ، ومن هذا قوله تعالى « ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم » أى مكرا وخديعة ،وفى المثل «اتخذ الباطل دخلا » ويضرب للماكر الخادع •

١٥٨ ـ ويقولون :ان فلاناسيسافر باكرا أو بكرة الى مكة ،يعنون انه سيسافر فى اليوم التالى ، وهذا تعبير فاسد ، لأن البكرة هى ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغدوة بالضم ، والغداة بالفتح ، وكل منها ضد العشى كما فى قوله جل شأنه « ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » •

تقول :أتيت فلانا بكرة أو باكرا ، والمراد بهذين اللفظين المبادرة والاسراع ،وكل من بادر الى شىء فقد أبكر اليه ،يقال :بكر المسافر وأبكر ، وتبكر اذا خرج فى البكرة، قال ذو الرمة :

خوص(٢) برى(٣) أشرافها التبكر
قبل انصداع الفجر والتهجر

وبكر فلان بالصلاة اذا صلاها فى أول وقتها ، وفى الحديث « لايزال

(١) وفى رواية وما يدريك ما الدخل .
(٢) الخوص : جمع حوصاء وهى شدة الحر .
(٣) برى اشرافها التبكر : هزلهم .

الناس بخير ما بكروا لصلاة المغرب ولاصلاح تعبيرهم ينبغي أن يقال: انه سيسافر غدا ، كما في قولـه تعالى حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام «أرسله معنا غدا يرتع ويلعب» وأصل غد غدو وزان فلس ، حذفت الواو ، وجعلت الدال حرف اعراب ؛ قال الشاعر :

لا تقلواها (١) وادلواها دلوا
ان مع اليوم أخاه غدوا

١٥٩ – ويقولون في النسب الى أمس أمسى ، وأمسوى بفتح الهمزة ، والفصيح أن يقال : امسى بكسر الهمزة على غير قياس ،هكذا ورد عن العرب ،قال العجاج : (وجف منه العرق الأمسى) .

١٦٠ – ويقولون في نسب الانسان الى حرمي مكة والمدينة : حرمي تبعا للقاعدة المعروفة والصواب ان يقال : رجل حرمي ،وامرأة حرمية ، بكسر الحاء فيهما .

نعم يقال :ثوب حرمي ،ومنازل حرمية على القياس ،أي أن هناك فرقا بين الانسان وغيره في النسب اليهما فان كان المنسوب انسانا كان النسب بكسر الحاء ، وان كان غيره كان بفتحها .

قال الأعشى :

لا تأوين لحرمي مررت به
يوما وان القى الحرمي في النار

وقال أبو ذؤيب :

لهن نشيج (٣) بالنشيل كأنها
ضرائر حرمي تفاحش (٤) غارها

وقال النابغة :

من قول حرمية قالت وقد ظنوا
هل في مخففكم من يشترى أدما(٥)

عباس ابوالسعود

---

(١) لا تقلواها : لا تسوقا الابل سوقا عنيفا . .
(٢) ادلواها : سوقاها رويدا سوقا رفيقا .
(٣) النشيج : غصة في الحلق بسبب البكاء .
(٤) تفاحش غارها : أتى فرجها بالفاحشة .
(٥) الأدم : جمع أديم وهو الطعام المأدوم .

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٩ —

اسماء ومسميات من القاهرة الفاطمية

ذكرنا فى مقالنا السابق عن الشارع الأعظم المعروف الآن بشارع المعز لدين الله أن القصرين الفاطميين : الشرقى الكبير كان شرقى الشارع المذكور . والقصر الغربى الصغير كان غربيه . وأن المساحة بينهما عرفت ببين القصرين . وأن هذه التسمية باقية لتلك الجهة للآن . كما ذكرنا أن القصر الغربى الصغير كان فى المسافة بين شارعى الخرنفش وحارة الصاغة الحاليين .

حارة الأمراء أو درب شمس الدولة:

وكان جنوبى القصر الغربى الصغير حارة كبيرة عرفت باسم حارة (١) الأمراء . ويعرف جزء منها الآن باسم درب شمس الدولة . وقد قطع شارع القائد جوهر (السكة الجديدة سابقا) الدرب المذكور . وهو موازى تقريبا للشارع الأعظم .

وعرفت الحارة المذكورة بحارة الأمراء . لأنه كان يسكنها الأشراف أقارب الخليفة فى أيام الفاطميين . ثم لما زالت دولتهم . سكن الحارة شمس الدولة توران شاه بن أيوب (أخو صلاح الدين). فنسبت اليه . وعرفت بدرب شمس الدولة .

وشمس الدولة توران شاه المذكور غزا بلاد النوبة سنة ٥٦٨ هـ . وفى سنة ٥٦٩ توجه الى اليمن فاستولى على زبيد . وأزال ملك بنى مهدى . واستولى على عدن وتعز وصنعاء وظفار وغيرها من مدن اليمن . وتلقب بالملك الأعظم توران شاه . وعاد من اليمن سنة ٥٧١ هـ فأنعم عليه صلاح الدين

---

(١) قال المقريزى أن الحارة فى القاهرة بمنزلة الخطة فى الفسطاط (بكسر الخاء) . فتكون الحارة معناها الحى أو الجهة . وليست كمفهومنا عنها فى الوقت الحاضر .

بالاسكندرية . فظل بها حتى توفى سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) [١] ودفن بها . وكان كريما واسع العطاء . توفى وعليه دين مائتا ألف دينار قضاها عنه صلاح الدين بعد موته .

دار المأمون البطائحى :

وكانت بحارة الأمراء دار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله الفاطمى من سنة ٥١٥ هـ الى أن قتل المأمون سنة ٥١٩ هـ . ولعل موقعها الآن بجوار جامع الجوهرى خلف الصاغة .

جامع الجوهرى :

وجامع الجوهرى أصله زاوية للسادة القادرية أى أتباع السيد عبد القادر الجيلانى . ودفن بها الشيخ أحمد الجوهرى . وابنه الشيخ أحمد . وحفيده السيد محمد هادى (ذكرهم الجبرتى فى وفيات سنة ١١٨٢ هـ ـ وسنة ١١٨٧ هـ ـ وسنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) . وكان الأخير محل الاحترام من أمراء المماليك لأنه كان يتعفف عنهم . ولا يقبل هداياهم . وكان له الفضل فى تعيين الشيخ أحمد العروسى شيخا للأزهر وايثاره على الشيخ عبد الرحمن العريشى .

ثم أنشأ الجامع حفيدهم السيد محمد أبو المعالى الجوهرى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) .

واسم الجوهرى يرجع الى أن جدهم والد الشيخ أحمد الكبير كان يتجر فى الجوهر .

دار عباس والمدرسة السيوفية :

وجنوبا من دار المأمون البطائحى . كانت دار عباس بن يحيى الصنهاجى . الوزير فى عهد الظافر بأمر الله الفاطمى (وسيأتى ذكره فيما بعد باذن الله) .

ثم آل جزء من دار عباس المذكور الى المدرسة السيوفية التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى وأوقفها على الحنفية . وهى أول مدرسة أوقفت على الحنفية فى مصر . وسميت بالسيوفية لأن سوق السيوفيين ـ أى تجارة وصناعة السيوف ـ كان على بابها وقت صلاح الدين . ومحل المدرسة السيوفية الآن الزاوية المعروفة باسم الشيخ مطهر وقد أخذ جانبا

---

(١) نميل الى استعمال التاريخ الهجرى لسلسلة أحداث التاريخ الاسلامى ، وربطها ـ قربا وبعدا ـ بمبدأ الدعوة الاسلامية . مع ذكر مايقابله من التقويم الميلادى بين الحين والآخر .

منها شارع السكة الجديدة (القائد جوهر حاليا) عند امتداده فى عهد أسرة محمد على .

بالمدرسة السيوفية تلقى دروسه العارف بالله شمس الدين عمر بن على الفارض . واشتهر أبوه على الفارض بهذا اللقب لبراعته فى علم الفرائض أى تقسيم المواريث . وولد عمر بن الفارض بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ وتوفى سنة ٦٣٢ هـ . ودفن بسفح المقطم . وقبره هناك يزار . والجبانة التى فيها قبره تعرف باسم جبانة سيدى عمر بن الفارض . وهى قبل جبانة الامام الشافعى بقليل .

وديوان ابن الفارض . مشهور بين الصوفية برقيق معانية ودقيق مراميه فى التغزل ومحبة الذات الالهية .

وانبرى لشرحه الكثيرون (١) .

القرافة الكبرى والقرافة الصغرى :

وأود أن ألفت النظر الى خطأ وقعت فيه بلدية القاهرة .حيث أسمت الشارع الذى يبدأ من باب قايتباى عند مسجد السيدة عائشة بالقرب من القلعة ويخترق جبانة عمر بن الفارض المذكورة – أسمته شارع القرافة الكبرى . وهو خطأ نبه اليه المرحوم أحمد باشا تيمور فى كتابه (قبر الامام السيوطى وتحقيق موضعه) . وذكر أن صحة الاسم القرافة الصغرى . فالقرافة الكبرى كانت شرقى الفسطاط . أما القرافة الصغرى فقد بدأت بانشاء الكامل الأيوبى قبة الامام الشافعى . وامتدت شمالا بعد ذلك حتى باب قايتباى المذكور . وتلاشى أمر القرافة الكبرى .

وأعلق على رأى المرحوم أحمد باشا تيمور أن القرافة الصغرى كانت معروفة قبل الكامل الأيوبى (٦١٥ – ٦٣٥ هـ) بدليل ما ذكره المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ٣٦٦) فى ترجمة القاضى الفاضل عبد الرحيم البيانى أنه توفى سنة ٥٩٦ ودفن بتربته بالقرافة الصغرى .

ماساة تاريخية :

وكانت بدار عباس المذكورة مأساة تاريخية لا بأس من ذكرها .

---

(١) منهم الشيخ حسن البوريني والشيخ عباس النابلسى . وقد جمع شرحهما وزاد عليه الشيخ رشيد بن غالب (طبع دار الطباعة بمصر سنة ١٢٨٩ هـ) .

فقد كان عباس بن يحيى الصنهاجي المذكور ربيبا لعلى بن السلار وزير الظافر بأمر الله الفاطمي • لأن بلاوة أم عباس كانت زوجة على بن السلار• وقد أمكن لابن السلار ـ مستعينا بربيبه عباس ـ القضاء على ابن مصال الوزير السابق له • وتولى الوزارة مكانه سنة ٥٤٤ هـ •

وكان الخليفة الظافر بن الحافظ لدين الله صغير السن • فقد تولى الخلافة سنة ٥٤٤ هـ • وعمره سبعة عشر عاما • فاستوحش من ابن السلار • لانه لم يكن له من الحكم شيء • فاتفق مع عباس على قتله •

وكان لعباس ابن يسمى نصرا • ويلقب بناصر الدين • فأمره أبوه بقتل ابن السلار • ونفذ الأمر • سنة ٥٤٨ هـ • وتولى عباس الوزارة •

وكان نصر بن عباس قريبا من الظافر فى العمر • فتصادقا صداقة أكيدة • حتى لم يكن الظافر يطيق ابتعاده عنه • فاما أن يكون معه فى القصر•واما أن يذهب الظافر لزيارته بدار عباس •

وغاظت هذه الصداقة بعض الحاسدين • فأوغلوا الى تأويلها الى علاقة جنسية • وأن الظافر يحب نصرا كما تحت النساء (يصيغه المبنى للمجهول) • وانتشرت الاشاعات حتى وصلت الى عباس • فكلم ابنه نصرا • وحرضه على قتل الظافر حسما للأقاويل•وأذعن نصر للأمر • فلما حضر الظافر لزيارته قتلوه • ودفنوه فى غرفة بالدار سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) • وأقام عباس الفائز بنصر الله بن الظافر ـ وهو ابن ثلاث سنين خليفة مكان أبيه • وقتل عمين له متهما لهما بقتل أخيهما الظافر لتعمية الجريمة •

وثار الجند ومن فى القصر • وأرسلوا الى الصالح طلائع بن رزيك والى المنيا يستنجدون به ويستقدمونه وضمن الرسالة شعور بعض سيدات القصر • فحضر الصالح بجيشه • يرتدون السواد • ويحملون الرايات السوداء • وقد رفعوا على الرماح الرسالة وشعور السيدات • وهرب عباس وابنه نصر الى الشام ومعهما ما أمكنهما حمله من المال والتحف • فاعترضهما الافرنج بالطريق • وكانوا مستولين على بيت المقدس وبعض بلاد فلسطين والشام • فقتلوا عباسا ونهبوا ما كان معه • أما نصر فقد أرسلوه

للصالح مقابل مبلغ من المـال • فقتله الصالح فى القصر ثم صلبه على باب زويلة •

وقصد الصالح بلبس السواد اظهار الحداد على الظافر • ولكنه كان فألا عجيبا • فالسواد شعار العباسيين • لم يمض على هذه الحادثة خمسة عشر عاما حتى قـدم أسـد الدين شيركوه وابن أخيـه صـلاح الدين الأيوبى بجيشهما وراياته السـوداء من قبل السلطان نور الدين – عندما استنجد به العـاضد لدين الله آخر الخلفـاء الفاطميين •

خط خشيبة (بضم الخاء فى الكلمتين) :

وأخرج الصـالح جثـة الظافر • ونقلها فى تابوت الى القصر • وغسلها وكفنها ودفنها بمقابر القصر المعروفة بتربة الزعفران (محل خان الخليلى حاليـا) • وبنى مكان دفنـه السابق مسجدا ذكره المقريزى باسم المشهد أو مسجد الخلفـاء • ونصبت هنـاك خشبته علامة على المكان حتى لا يمر أحد فى هذا الموضع راكبا • فعرف بخط خشيبة (بصيغة التصغير) •

وبعد زوال دولة الفاطميين أزال صلاح الدين هذه الخشبة • وغلب اسم شمس الدولة توران شـاه على المكان لسكنه به •

ولايزال للآن اسـم درب شمس الدولة •

دار السبع قاعات وابن زنبور :

ومـن الـدور التى كانت بتـلك الجهة – بالقرب من دارى المأمـون البطائحى وعبـاس الصنهاجى – دار السبع قاعات • وهى من ضمن اسطبل الجميزة بين حارة الأمراء المذكـورة وحارة زويلة المشهور جزء منها الآن بحارة اليهود •

ودارالسبع قاعات • أنشأها الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن ابراهيم المعروف بابن زنبور • وكان أبوه قبطيا وأسلم •

وتولى ابن زنبور الوزارة من سنة ٧٥١ – ٧٥٣ هـ فى السلطنة الأولى للناصر حسن وسلطنة الصالح صالح ابن الناصر محمد بن قلاوون • وكان الأمير صرغتمش (صاحب المدرسـة والجامع بشارع الصليبة بقرب جامع ابن طولون) يكرهه • فتمـكن من

عزله والقبض عليه وتعذيبه لاستصفاء أمواله • ومصادرتها •

فوجدت له أموال طائلة نذكر منها عدد ٢ (أردبين ذهب مصكوك قيمتها ٢٠٤٠٠٠ دينار) ، عدد ٣ أرادب دراهم فضية) ، عدد ٦٠ (ستين رطلا من اللؤلؤ) ، عدد ٦٠٠ (ستمائة قنطار أوانى ذهبية وفضية) ، عدد ٧٠٠ (سبعمائة دابة عاملة) ، عدد ٦٠٠ (ستمائة دابة حلابة) ، عدد ١٠٠ (ألف من الخيل والبغال) ، عدد ٧٠٠ (سبعمائة مركب) ، عدد ٢٥ (خمسة وعشرين معصرة سكر)، عدد ٧٠٠ (سبعمائة جارية) ، عدد ١٤٠٠ (ألف وأربعمائة ساقية) • فضلا عن سبعمائة اقطاع عن كل اقطاع ٢٥٠٠٠ درهم سنويا • وأملاك تقدر بثلثمائة ألف دينار • وغير هذا كثير من الملابس والمفروشات والأوانى النحاسية والسروج المزركشة • والحياصات (المناطق) الذهبية والمرصعة بالجواهر • وغير ذلك •

وشككوا فى اسلامه • واشتدوا فى تعذيبه بالقلعة حتى أشرف على الهلاك • ثم كفوا عن تعذيبه بتدخل بعض الأمراء • ونفوه الى قوص فى اوائل سنة ٧٥٤ هـ حيث توفى هناك فى نفس السنة •

اسطبل الجميزة والصبيان الحجرية :

واسطبل الجميزة السابق ذكره كان أحد اسطبلات الخيول الفاطمية • وكان هناك اسطبلان آخران • أحدهما وهو الأكبر كان اسمه اسطبل الطارمة (١) بالقرب من الجامع الأزهر • والآخر اسطبل الصبيان الحجرية على يمين الداخل من باب الفتوح • وبلغت أحيانا عدة خيول اسطبل الحجرية خمسة آلاف فرس •

وكان للخليفة فى اسطبل الطارمة واسطبل الجميزة — بخلاف اسطبل الحجرية — ألف رأس • سواء لركوبات الخليفة الخاصة • أو ما يعاد لأصحاب الوظائف فى المواسم • ولكل رأس شداد يسيرها • ولكل ثلاث رؤوس سائس يتولى خدمتها • ولكل عشرين سائس عريف يكون مؤتمنا على استلام السروج — وهى محلاة بالذهب والفضة — من خزائن السلاح قبل المواكب واعادتها للخزانة بعدها •

(١) الطارمة بيت من خشب . وهو لفظ أعجمى .

ولكل اسطبل رائض . وهو الذى كان يسمى بأمير أخور (١) فى الدولة الأيوبية ودولتى السلاطين المماليك بعد الفاطميين .

والصبيان الحجرية شبان كانوا يختارون من ذوى الأجسام السليمة . ويدربون تدريبا خاصا وتخصص لهم حجرات يقيمون فيها على قدم الاستعداد لكل طلب . ومن هنا جاء الاسم . فهم كالحرس الخاص أو هى فكرة نظام المماليك الذى انتشر فى عهد الصالح نجم الدين أيوب . مع الفارق أن الحجرية أحرار يختارون . والمماليك رقيق يشترون . وهذا النظام أوجده الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى . وكان مقر الصبيان الحجرية بالقرب من باب النصر .

فرس الخليفة :

وقبل خروج الخليفة فى الموكب . يروض الرائض فرسين أو ثلاثة عليها السرج الذى يستعمله الخليفة ويضع الرائض بينه وبين السرج حائلا — احتراما لمقعد الخليفة ! ! — ويركب أحد الأستاذين بغلة وهو ممسك بالمظلة . ويسيران فى براح الاسطبل ساعات . والأبواق تنفخ والطبول تدق . وهذا لمدة أيام حتى تتعود الأفراس الحركة والأصوات . فلا تجفل ولا تنفر والفرس والبغلة اللتان تهيئان هما ما يركبهما الخليفة وحامل المظلة فى الموكب .

ويقال أنه ما راثت دابة أو بالت والخليفة راكبها . ولا بغلة صاحب المظلة أيضا . لغاية نزولهما عنهما .

حارة الوزيرية والسلطان الصاحب :

وننتقل الى مكان آخر فى القاهرة الفاطمية .

---

(١) ذكرت فى مقال سابق (القصر العينى) وظيفة أمير اخور وانها كانت من الوظائف الكبرى فى دولتى السلاطين المماليك . فهو الذى يتولى مباشرة اسطبلات السلطان بما فيها من الخيل والابل . والكلمة مركبة من كلمتين : احداهما عربية (أمير) . والثانية فارسية (آخور) ومعناها المعلف اى مكان العلف غذاء الدواب . ولفت النظر للتشابه بين هذه الكلمة وبين لفظ (ecurie) الفرنسية . ولفظ (stable) الانجليزية . ومعناهما مكان الخيول .

فاذا كنت فى شارع الأزهر متجها للجامع الأزهر ، فستجد بعد تقاطعه مع شارع الخليج على يمينك شارعا باسم شارع درب سعادة موازيا تقريبا لشارع الخليج ومتجها للجنوب حتى باب الخلق خلف مديرية الأمن .

وستجد على يمينك بعد شارع درب سعادة متفرعا أيضا من شارع الأزهر شارعا باسم شارع السلطان الصاحب . وهذا الشارع الأخير ينحرف قليلا ثم يسير موازيا تقريبا لشارع الأزهر . وامتداده يعرف بسكة اللبودية .

وفى اسم السلطان الصاحب خطأ سنوضحه فيما بعد باذن الله .

وكانت هذه الجهة تسمى أولا بالوزيرية لما سكنها الوزير يعقوب ابن كلس .

يعقوب بن كلس :

وكان يعقوب يهوديا من أهل بغداد . وقدم مصر فى زمن كافور الأخشيدى . ووجد الدين اليهودى مانعا من تحقيق طموحه . فأسلم ولعله أخلص فيما بعد فى اسلامه بدليل مؤلفاته التى سنذكرها . فضلا عن تاريخ حياته .

ونزح من مصر الى المغرب . حيث التحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمى . وعاد معه الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ . وولاه المعز الخراج وجميع وجوه الأموال من أعشار وجوالى وأحباس وكذلك الحسبة والسواحل .

وبعد وفاة المعز استمر فى عهد ابنه العزيز فى رفعة وعلو مقام . حتى لقب بالوزير الأجل . وهو أول وزير للفاطميين . ونصب فى داره الدواوين . وجعل فيها خزائن للكتب والمال والدفاتر والمستغلات . وأقام لكل خزانة ناظرا .

ورتب فى داره الأطباء والكتاب . وجمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء والمتكلمين وأرباب لعلوم . ورتب فى داره مجالس أسبوعية يتناظر فيها الفقهاء والأدباء والعلماء .

---

(١) الأعشار جمع عشر (بضم العين) . والجوالى هى الجزية التى كانت تجبى من اهل الذمة بواقع كل نفس منهم . والأحباس هى الأوقاف .

ورتب بالجامع الأزهر رواتب لجماعة من الفقهاء يعملون فيه حلقات للتدريس • وكان عددهم خمسة وثلاثين فقيها • وبنى لهم دارا بجانب الجامع • وكانت تطلق لهم – فضلا عن المرتبات – الخلع والصلات فى المواسم من دارالخلافة ودارالوزارة• مما جعل الأزهر أقدم جامعة فى العالم تولتها الدولة بالانفاق عليها واستمرت حتى العهد الحديث •

وألف كتبا فى الفقه والقراءات • منها كتاب فى القراءات • وكتاب فى الأديان • وكتاب فى آداب الرسول وكتاب فى علم الأبدان واصلاحها • وكتاب فى الفقه مما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله

وكان لا يمنع أحدا من الخاص أو العام من مجلسه عنه قراءة هذه الكتب •

وتوفى سنة ٣٨٠ هـ•وزاره العزيز فى مرض موته • وبكى قائلا : وددت لو أفديك بمالى أو ولدى •

وكان فى حشرجة الموت يقول : لا يغلب الله غالب •

وأمر العزيز القاضى محمد بن النعمان بغسله • وكفنه فى خمسين ثوبا • منها ثلاثون منسوجة بالذهب• وأقام العزيز ثلاثة أيام لا يأكل على مائدته العامة • وأقام المأتم على قبره• ثلاثين يوما• يقرأ فيها القراء القرآن • وتندب النائحات • وتحضر يوميا نساء الخاصة والعامة • وتقوم الجوارى بخدمتهن بتقديم المرطبات فى أقداح البللور وملاعق الفضة •

وكان عليه دين ستة عشر ألف دينار • سددها العزيز عنه للدائنين على قبره • فما أعظم هذا ! ! يتولى كل شئون المال للدولة ما يقرب من العشرين عاما مع سعة النفوذ وعلو المكانة ويموت مدينا •

ونورد هنا حكاية لطيفة عنه تدل على ما كان به من ذكاء أو لباقة • ومايكون عند الحاكمين أحيانا من تفاهة •

فقد رغب العزيز فى الذهاب الى دمشق • فسأله الوزير عن السبب • فقال : قد اشتهيت القراصيا وهذا موسمها • فخرج الوزير وأرسل بالحمام الزاجل الى الوالى هناك بدمشق يكلفه بارسال جانب من القراصيا على أجنحة الحمام • فجعل

فى جناح كل حمامة حبة من القراصيا، وأطلقها • فلم تمض ثلاثة أيام على حديث العزيز حتى وصل الحمام • وكان مئات • فجمع ما تحمله فى طبق • وذهب الى العزيز وقدمه اليه. فأعجب به وقال : مثلك من يخدم الملوك ! !

دار الوزارة :

وظلت دار الوزير يعقوب بن كلس سكنا للوزراء الفاطميين حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى عهد المستنصر بالله الفاطمى • فلم يسكنها، وسكن دارا بحارة برجوان (بين شارعى أمير الجيوش والخرنفش)• وجعلها مقرا للوزارة • وبعد وفاة أمير الجيوش سنة ٣٨٦ هـ • نقل ابنه الأفضل مقر الوزارة الى مكان آخر برحبة باب العيد بالشمال الشرقى للقصر الشرقى الكبير • وظلت دار الوزارة هناك حتى نقلت الى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى سنة ٦١٥ هـ •

وترك الأفضل دار حارة برجوان لأخيه المظفر جعفر بن أمير الجيوش• فعرفت بدار المظفر • ثم قتل المظفر جعفر المذكور • وقبره معروف باسم زاوية جعفر بالقرب من جامع سليمان أغا السلحدار • ونسبت العامة القبر المذكور الى الامام جعفر الصادق سادس الأئمة عند الشيعة • وهو خطأ نبه عليه المقريزى • فجعفر الصادق توفى سنة ١٤٨ هـ • أى قبل انشاء القاهرة الفاطمية بأكثر من قرنين من الزمان •

ثم عملت دار المظفر المذكورة دار للضيافة لاقامة الرسل الموفدين من الملوك الى الخلفاء الفاطميين حتى نهاية الدولة الفاطمية • فأنزل بها صلاح الدين الأيوبى أولاد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وآل بيته • فظلوا بها حتى نقلهم الكامل بن العادل الأيوبى الى القلعة •

سكن المقريزى :

ثم بيعت الدار فى زمن المنصور قلاوون • وبنى الكثيرون مكانها الدور والمساكن • وممن سكن محل الدار المذكورة تقى الدين أحمد بن على المقريزى المؤرخ الكبير الذى تعد كتبه عن تاريخ وخطط القاهرة المرجع الأساسى لكل ما يكتب الآن فى خطط مصر القاهرة •

دار الديباج :

ولما نقل بدر الجمالى مقر الوزارة الى سكنه بحارة برجوان بدلا من دارالوزير يعقوب بن كلس بالوزيرية كما سبق ذكره • تحولت الدار الى مكان ينسج فيه الحرير والديباج برسم الخلفاء الفاطميين فعرفت بدار الديباج • وعرف الخط كله بخط دار الديباج بعد أن كان يعرف بالوزيرية •

خط الصاحب بن شكر :

ثم سكن الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن الحسين المعروف بابن شكر فى هذه الحارة فعرف الخط بخط الصاحب • وعرفت سوقها بسويقة الصاحب •

والصاحب بن شكر كان فى خدمة العادل بن أيوب عندما أحال عليه أخوه صلاح الدين شؤون الاسطول واستوزره العادل عندما تولى السلطنة • فظل يرقى شأنه ويعلو أمره فى عهد العادل وابنه الكامل حتى توفى سنة ٦٢٢ هـ •

وكان صلب المراس شديد الحفيظة جلدا قويا حل به مرة مرض الدوسنطاريا فعندما اشتد به الألم أحضر من كان في حبسه وقال لهم : لا والله أأتألم وأنتم مرتاحون !!وأمر بأدوات التعذيب لهم وبات الليل وهو يصرخ من المرض وهم يصرخون من التعذيب •

وأنشأ الصاحب بن شكر بجوار داره مدرسة كانت تعرف بالمدرسة الصاحبية• مكانها زاوية موجودةللآن باسم زاوية الست بيرم • وضريح الصاحب بن شكر موجود للأن بجوار زاوية الست بيرم المذكورة •

وقد تبرعت بلدية القاهرة بأن اطلقت على الشارع الآخذ من شارع الازهر اسم السلطان الصاحب • والصاحب لم يكن سلطانا بل وزيرا فى عهد الأيوبيين • وقد نبه المرحوم احمد باشا زكى شيخ العروبة الى خطأ هذه التسمية •وبرغم ان هذا التنبيه كان من نصف قرن تقريبا ولكن لايزال الاسم ثابتا على خطئه

السلطان !! بيبرس الخياط :

وأريد ان أسجل خطأ آخر • فقد تبرعت مصلحة المساحة فى خرائطها للقاهرة بأن اطلقت اسم السلطان بيبرس الخياط على جامع موجود بالجودرية بالقرب من سويقة الصاحب والمذكور لم يكن سطانا •

ولم يحكم مصر سلطان باسم بيبرس غير الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ – ٦٧٦ هـ) والمظفر بيبرس الجاشنكير (٧٠٨ – ٧٠٩) هـ .

وقد ذكر على مبارك (الخطط التوفيقية جـ٤ ص ٦٩) أن الجامع المذكور أنشىء سنة ٦٦٢ هـ . ولكن فى بدائع الزهور لابن اياس فى حوادث سنة ٩٢١ هـ أن الأمير بيبرس وهو قريب السلطان (الغورى) أتم مدرسته بجهة الجودرية وخطب فيها فى رمضان سنة ٩٢١ هـ كما ذكر فى حوادث سنة ٩٢٢ أن بيبرس هذا قتل فى معركة مرج دابق وهى المعركة الفاصلة بين السلطان الغورى سلطان مصر والسلطان العثمانى سليم الأول . التى فقد فيها الغورى وكانت مقدمة لاستيلاء سليم على مصر .

محمد كمال السيد محمد

رسالة إلى حقود

للدكتور عفيفي محمود

- ١ -

حملت فأسا لتهدم ومعولا لتحطم !
فازداد صرحي شموخا وعاد فأسك يثلم
لنعمتي كنت بابا وكنت للمجد سلم
وكلما رحت تبغي تأخري .. أتقدم
فازداد نجمي سطوعا وازداد حظي تبسم
ياصاح ! أعليت شأني من حيث لم تك تعلم !!
وكلما جف مني نبع تكشف منجم
أو دست زهرة مجد فتحت لي الف برعم
وأنبت العود حقلا ثماره تتكلم
أعددت للحقد عرسا فصار عرسك مأتم
يا كم شربنا كؤوسا ملأى بشهد وعلقم
فصار شهدك صابا وصار سمي بلسم
فبين جنبيك قلب من ظلمة الليل أظلم
وبين جنبي قلب يحب ... لوكنت تفهم

- ٢ -

يا من تعمدت كيدى ... مازلت أهلا لودى
برغم مارحت تخفى ... عنى ؛ ومارحت تبدى
أقسمت بالحقد يفرى ... حشا صديقى الألد
بكل ليل طويل ... محلولك مربد
أسلمت نفسك فيه ... الى عذاب وسهد
لأنت خير ؛ وأبقى ... وأنت أثمن عندى
من ألف ألف صديق ... يصون عهدى ويفدى
حملت عبء عدائى ... وقمت بالحب وحدى !
ان كان بعضك سيفا ... محبتى خير غمد
أشهر سلاحك واضرب ... كن بادئا بالتعدى
لقد تحداك حبى ... هلا قبلت التحدى ؟ !

- ٣ -

ياصاحبى كف شرك ... وليقبل الحب عذرك
حتام تخطب هجرى ؟ ... وتجعل المهر هجرك ؟
وان أثلتك صدرى ... أوليتنى أنت ظهرك ؟
ان كنت ضقت بحلمى ... فالله يشرح صدرك
سامح وفائى ؟ فان لم ... تقدر ... أعرنى عذرك
أرده لك حبا ... يطيل ياصاح عمرك !!
تعالى ... جرب عناقى ... دعنى أقبل نحرك
من قبل أن نتوارى ... تحت التراب ونترك
اذا انقضى أجلانا ... مافاتنا .. كيف يدرك ؟
ولست تملك أمرى ... ولست أملك أمرك
وقد توسد قبرى ... وقد أوسد قبرك ! !

دكتور عفيفى محمود

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

※ **الاسلام يتحدى :**
تاليف : وحيد الدين خان

هذا الكتاب قام بنقله الى العربية الأستاذ ظفر الله خان ، وبمراجعة الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بدار العلوم والتقديم له ، والذى قام بنشره المختار الاسلامى بالقاهرة فى أكثر من ١٦٠ ص من القطع الكبير .. هو مدخل الى الايمان ، والمؤلف من المفكرين الاسلاميين الطلائع بالهند ، الذين يتصدون بفكر عميق للتحديات التى يواجهها الاسلام اليوم .

لقد أبان المؤلف فى المقدمة عن فكرة دراسته ومنهجها اذا أشار الى ان العصر الحديث هو عصر الالحاد لانكاره الدين ...وهذا الالحاد ليس محض ادعاء بل يرى أصحاب نظريته أنها طريقة ودراسة اهتدى اليها الانسان بعد التطور الحديث فى ميادين العلم المختلفة ...اذن فالمؤلف يواجه الالحاد على هذا الاساس لاثبات أحقية الدين اما الفكر المادى الجديد وهذا الاثبات يتخذ لنفسه اسلوبين ان تستدل بأن الدين ليس ماديا بل فوق المادة .. وان تتبع نفس الطرق العلمية التى يتبعها العلماء الملحدون لاثبات معتقداتهم ..

ان المؤلف يعرض جوهر فلسفات ثلاث تزعمها نيوتن ، وفورويد ، ومـاركس ، وهى الفلسفات التى قادت فى مجموعها قطعانا من البشر فى وادى الالحاد وانكار وجود الله وتأليه المادة ، الأول بطل الانقلاب فى البيولوجيا ؟ وهو الذى عرض على الدنيا فكرة تثبيت ان الكون مرتبط بقوانين ثابتة ، تتحرك فى نطاقها الاجرام السماوية ، ثم جاء من بعده فأعطوه الفكرة مجالا عمليا أوسع حتى قيل :ان كل ما يحدث فى

الكون من الأرض الى السماء خاضع لقانون معلوم سموه « قانون الطبيعة » .

والثانى بطل الانقلاب فى علم النفس « فرويد » الذى يعتبر الدين نتاج اللاشعور الانسانى ..وليس انكشافا لواقع خارجى ، أما الثالث فهو ماركس الذى يرى ان الدين خدعة تاريخية ..

ولقد تصدى المؤلف لهذه الفلسفات المادية الملحدة بالنقد العلمى الموضوعى ، أى انه اختار فى نقده طريقة الاستدلال العلمى .. وهى الطريقة الجديدة التى اكتشفها العلم الحديث بعد التطورات فى ميادينه العديدة .. ثم أكد المؤلف بعد ذلك أن الطبيعة ذاتها تشهد بوجود الاله..ثم عرض لموضوع الآخرة ومشكلات الحضارة ،وختم الدراسة ببحث قيم رسم فيه منهج الحياة التى يجب علينا أن ننشدها .

وبعد ــ فلا جدال أننا أمام دراسة متفوقة ، نحن فى أمس الحاجة اليها اليوم لأنها تتصدى للتيارات المادية الالحادية ، التى يجب أن يمنحها مفكرو الاسلام قسطا كبيرا من الجهد ... وكلمة تقدير للأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين الذى راجع الدراسة وقدم لها بمقدمة موجزة جديرة بكل تقدير .

*** فضل آل البيت للمقريزى**
تحقيق : د. محمد احمد عاشور

هذا الكتيب الذى يقع فى زهاء مائة صفحة من القطع الصغير ، وقامت بنشره دار الاعتصام بالقاهرة ، بحث طيب عن « معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم » وهو العنوان الأصلى الذى اختاره المؤلف المقريزى لبحثه ، واختصره المحقق الى « فضل آل البيت » تمشيا مع تطورات فن الطباعة والمقريزى غنى عن التعريف . مصرى المولد . لبنانى الأصل ؛ يعتبر من أشهر مؤرخى مصر الاسلامية فى القرن التاسع الهجرى ؛ كان من أبرز تلاميذه العلامة ابن خلدون ؛ وقد توفى ٨٤٥ هـ بعد حياة امتدت نحو ثمانين عاما .

والموضوع الذى عالجه المؤلف من الموضوعات ذات الحساسية الخاصة التى يشغف بها عامة المسلمين .. عالجه من خلال تفسيره لخمس آيات من القرآن : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ــ والذين آمنوا واتبعتهم

ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم ـ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا ـ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ـ قل لاأسألكم عليه أجرا؟ الا المودة فى القربى » وهذه الآيات الخمس هى مستنده فى بحثه .

الحق أن المقريزى كان موفقا فى عرضه لآراء المفسرين فى الآيات لغة وشرحا الا أنه كان متكلفا حين اعتبر الآيات الخمس مستنده فى الموضوع الذى عالجه ، يمكن التسليم له بالآية الأولى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت .. فحتى الآية الأخيرة ... الا المودة فىالقربى .. قد اختلف المفسرون فى المقصود بلفظ القربى ؟ وأكثرهم على أن المقصود : القرابة التى بين الرسول وكفار قريش .. أما الرؤى والحكايات التى سردها معتمدا فيها على السماع من شيوخه ومعاصريه لتكون لهمستندا آخر لبحثه ،فهى مما لايصلح منهجيا فى تحقيق قضية وما كان أغنى المقريزى عن هذا التكليف ...

وبعد ـ فمن حق المحقق لهذاالبحث علينا الدكتور محمد أحمد عاشور أن نشير الى الجهد الكبير الذى بذله كتب مقدمة قيمة ـ على ايجازها عن المقريزى مؤرخا ، هى بمثابة تقويم لمنهجه فى البحث والدراسة ضبط النص وترجم للأعلام وخرج الأحاديث وأبرز مراجع النصوص وسجل فى نهاية الكتاب الفهارس للآيات والأحاديث والأعلام والقبائل والأماكن والشعر ..

فقد كنت أود من المحقق أن يكون له ـ رأى فيما كتب المقريزى ؛ وهذا مايقتضيه مدلول التحقيق الموضوعى لاسيما وأن المحقق له من علمهوثقافته ما يؤهله لأن يكون له رأى . . .

* مع القرآن الكريم لمجموعة من العلماء

ما فى هذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من مائتى صفحة رؤية مستنيرة وعصرية لحقائق الايمان والعلم والشريعة والبيان فى كتاب الله .. هذه الرؤية المستنيرة تلمسها من خلال اجابات نموذجية عن أسئلة مختارة فى شكل مسابقة قرآنية ؛ والاجابات التى تتصدر الكتاب ليست

بأقلام المتسابقين ، وانما بأقلام بعض العلماء والكتاب الاسلاميين ، ثم يضاف اليها نماذج من اجابات بعض المتسابقين الفائزين .

ان الكتاب الذى بين أيدينا هو الحلقة الثالثة من هذه التجربة التى تضطلع بها « المقاولون العرب » ويشرف عليها الأستاذ عبد الفتاح عساكر ـ ادارة شئون العاملين ـ بالشركة ، وأسئلة هذه الحلقة تتصل بلغة القرآن وبيانه ، وموقف القرآن من العلم ، واقتصاد المجتمع ، والقومية العربية ، والتشريع ، وقدم الاجابات النموذجية عن الأسئلة المطروحة : الشيخ عبد الجليل عيسى ، والأساتذة : عبد الكريم الخطيب ، وعبد الحليم الجندى ، وأحمد موسى سالم .

الحق أن هذه التجربة تجربة رائعة من ناحية ... ومن ناحية أخرى ، تشجيع للعاملين بشركة .. « المقاولون العرب » على الاطلاع فى مجال الفكر الاسلامى .. فقط نرى أن التجربة الرائدة تسير ببطء ؛ حيث أن كل حلقة تظهر فى سنة ، كما نلمس ملامح التكرار الخفيف ، والتداخل الطفيف فى الأسئلة المطروحة واجابات العلماء .

وبعد ـ فكم كنا نود أن تحذو المؤسسات والشركات فى مصر والبلاد العربية ، حذو شركة « المقاولون العرب » فتسهم فى نشر الوعى الاسلامى بين العاملين بها ، بدلا من أن تنفق فى بذخ فى الدعاية والاعلان ، وكلمة أخيرة تنم عن تقديرنا للأستاذ عبد الفتاح عساكر لنجاحه فى اعداد التجربة اعدادا طيبا جديرا بكل تقدير .

* الرذيلة .. والقوانين القاصرة

نشرت «أخبار اليوم» تحت عنوان ضبطت الزوجة يوم عيد ميلادها فتنازل الزوج عن البلاغ ..قصة فى مأساة ..فقد تم ضبط الزوجة وعشيقها داخل شقته ..وبكت الزوجة أمام وكيل النيابة وهى تقول : كنا نحتفل معا بعيد ميلادى .. العيد الذى نسيه زوجى .. وتأثر الزوج فتنازل عن البلاغ ..أمر وكيل النيابة بحفظ الدعوى .. ونزل الزوجان اللذان لم يمض على زواجهما أكثر من سبعة شهور .. من النيابة معا .. ليستكملا الاحتفال بعيد الميلاد ...!
ليس من المعقول ان نفرض على الزوج الغيرة على عرضه وشرفه مادام ليس

لديه استعداد لذلك ٠٠والقوانين الوضيعة رذيلة الخيانة الزوجية مما يمس المجتمع ككل ، وانما تمس الزوج وحده ، ولذلك فهو يملك العفو والعقوبة ؛ وهذه القوانين أيضا لاسيطرة لها على الرجل الذى هو الطرف الآخر فى الرذيلة ٠٠وازاء ذلك أصبح من المقرر أن هذاالقصور فى القوانين الوضيعة هو الذى يشجع على انتشار الرذيلة والعبث بالأعراض

* **قراءات :**

« كان الاسلام عاملا أساسيافى كل حركات التحرر التى قامت بها الشعوب المستعبدة فى عصرنا ٠٠وان النضالات الوطنية قد انطلقت جميعها تحت راية الجهاد فى سبيل الوطن وكان الاسلام فى أغلب هذهالنضالات رمز المقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعمار ٠٠

المفكر الفرنسى روجيه جارودى »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ عبد الفتاح حسن الزيات
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

السؤال :

من السيد/عبدالحميدأحمد حسن

١ - أنا موظف حاليا بالمعاش وأرغب فى تأدية فريضة الحج للعام المقبل ولدى مشروع استبدال مبلغ جنيه واحد من المعاش لمساعدتى على هذه الرسالة .

٢ - تخصم هيئة التأمين والمعاشات مبلغ ١٣جنيها من المبلغ المستبدل فمن هذا هل يعتبر فوائد .

٣ - هل اذا قمت بالحج بالمبلغ الباقى يكون حلال أوفيه شىء من التحريم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اما بعد فنفيد بأن صندوق المعاشات وما يتفرع عنه وضع على أنه من باب التعاونيات وليس من باب المعارضات رأى ولى الأمر تنظيمه والعمل به لما فيه من المصلحة العامة وعليه فمسألة الاستبدال من المعاش لأداء فريضة الحج أو غيره لامانع منه فأنه من باب التعاون على الخير والله تعالى أعلم .

السؤال :

١ - من السيد / محمد أحمد الكورانى .

ما رأى الدين فى الحج عن الغير وما شرطه وهل يجوز للمرأة أن تحج عن الرجل وبالعكس .

الجواب

من استطاع السبيل الى الحج ثم عجز عنه بمرض أو شيخوخة لزمه احجاج غيره عنه لأنه آيس من الحج بنفسه لعجزه فصار كالميت فينوب عنه غيره لحديث الفضل بن عباس أن امرأة من خثعم قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج

أدركت أبى شيخا كبيرا لايستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم وذلك فى حجة الوداع رواه الجماعة وقال الترمذى حسن صحيح وبه يقول الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق وقال مالك اذا أوصى أن يحج عنه حج عنه وفى هذا الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحج عن الرجل والمرأة وأن الرجل يجوز له أن يحج عن الرجل والمرأة ولم يأت نص يخالف ذلك ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمه فقال : أحججت عن نفسك؟ قال لا : قال فحج عن نفسك أولا ثم حج عن شبرمه رواه أبو داود وابن ماجه وقال البيهقى هذا اسناده صحيح وليس فى الباب أصح منه •

٢ ـ من السائل نفسه •

مارأى الدين فيمن نذر أن يحج وعليه حجة الاسلام ؟

الجواب :

أفتى ابن عباس وعكرمة بأن من حج لوفاء نذر عليه ولم يكن قد حج حجة الاسلام أنه يجزىء عنهما وأفتى ابن عمر وعطاء بأن يبدأ بفريضة الحج أولا ثم يفى بنذره بعد ذلك وهذا هو الصحيح لأن كلا من فريضة الحج والوفاء بالنذر أمر واجب ولا يندرج واجبان فى واجب

٣ ـ من السائل نفسه •

ما حكم الاقتراض للحج •

الجواب :

عن عبد الله بن أبى أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج ؟ قال : لا : رواه البيهقى •

السؤال :

٤ ـ من السيد/فريد حلاوه ناظر مدرسة كفر ميت الحارق •

ما رأى الدين فى الحج من مال حرام ؟ •

الجواب :

اختلف الفقهاء فى ذلك فالأكثرون يجيزونه مع الأثم وقال الامام أحمد

لا يجزى وهو الأصح لما جاء فى الحديث الصحيح « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا » وروى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة «أى حلال » وضع رجله فى الغرز « وهو الركاب يعتمد عليه الراكب حين يركب ويحل محله الآن الطيارة أو السيارة أو الباخرة » فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور واذا خرج بالنفقة الخبيثة « الحرام » فوضع رجله فى الغرز فنادى لبيك ناداه من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور ؟ قال المنذرى رواه الطبرانى فى الأوسط ورواه الأصبهانى من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلا مختصرا .

٥ ــ من السائل نفسه .

هل يجوز للحاج أن يتاجر وأن يؤاجر ويتكسب وهو يؤدى فريضة الحج .

الجواب :

لا بأس بذلك كله : قال ابن عباس ان الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفات وسوق ذى المجاز « موضع بجوار عرفه » ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم فأنزل الله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » كانوا لا يتجروا بمنى » فأمروا ان يتجروا اذا أفاضوا من عرفات رواه أبو داود .

وعن أبى أمامة التميمى أنه قال لابن عمر انى رجل أكرى (أى أؤجر الرواحل للركوب) فى هذا الوجه وان اناسا يقولون لى ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وترمى الجمار ؟ وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات قال : قلت : بلى أى نعم قال فان لك حجا : فقد جاء رجل الى رسول الله صلى عليه وسلم فسأله عن مثل ماسألتنى فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فأرسل اليه وقرأ عليه هذه الآية وقال لك حج رواه أبو داود وسعيد ابن منصور وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا سأله فقال أوجز نفسى من هؤلاء القوم فأنسك معهم المناسك الى أجر ؟ قال ابن عباس نعم أولئك لهم نصيب مما اكتسبوا والله سريع الحساب رواه البيهقى والدارقطنى .

السؤال :

الحنث فى الايمان والكفارة

١ - رجل حلف على المصحف وعاهد الله تعالى ألا يشترى لحما من جزار معين لخلاف وقع بينهما ثم زال هذا الخلاف ويريد الشراء منه فهل تلزمه كفارة يمين اذا اشترى وهل تقدم على الحنث أم تؤخر عنه .

٢ - مؤذن رسمى معين من وزارة الأوقاف حصل بينه وبين بعض المصلين خلاف فحلف أنه لا يؤذن ولا يصلى بالناس وعاهد الله على ذلك وأناب عنه شخصا آخر فى اقامة الشعائر وأصر على ذلك اصرارا .

الجواب :

يجيب على هذين السؤالين فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف فيقول عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) متفق عليه وذلك بذكر لفظ الجلالة أو اسم آخر من أسمائه تعالى كالرحمن والرحيم والقدير أو صفة من صفاته التى يحلف بها عرفا على ما ذهب اليه مشايخ الحنفية فيما وراء النهر ؛ لا بتناء الايمان على العرف سواء كانت الصفة صفة ذات كعزة الله وجلاله أو صفة فعل وهى التى يجوز وصفه بها وبضدها كالرحمة والغضب لجواز أن يقال رحم الله المؤمنين ولم يرحم الكافرين وغضب على اليهود دون المسلمين .

وذهب العراقيون من الحنفية الى ان الحلف بصفات الذات يمين بصفات الفعل ليس بيمينه والأول هو الأصح كما نقل عن البرهان وصححه الزيلعى واختاره صاحب الهداية والعناية .

الحلف بالقرآن : لقد تعارف الناس الحلف بالقرآن بقولهم والقرآن الكريم أو وحق القرآن الكريم لأفعلن كذا أو لا أفعل كذا ؛ فذهب الأئمة الثلاثة والمتأخرون من الحنفية الى أنه يمين لكونه حلفا بصفة من صفاته تعالى وهى الكلام فهو كالحلف بعزته وجلاله كما ذكره الكمال فى

القتح ونص عليه فى الفتاوى الهندية ورد المختار ؛ وقال ابن قدامة فى المغنى ان الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين ؛ وبه قال ابن مسعود والحسن وقتاده ومالك ، الشافعى وأبو عبيد وعامة أهل العلم .

الحلف بالمصحف . وكذلك تعارف الناس على الحلف بالمصحف يريدون به ما بين بين دفتيه من كلام الله تعالى فهو حلف بصفة الكلام فيكون يمينا .

قال العينى وعندى أنه لو حلف بالمصحف أو وضع يده عليه أو قال وحق هذا فهو يمين لاسيما فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ورغبة العوام فى الحلف بالمصحف : واليه ذهب الأئمة الثلاثة كما فى الفتح ورد المختار والمغنى .

الحلف بعهد الله وميثاقه ؛ واذا حلف بعهد الله أو قال : على عهد الله أو قال على عهد فهو يمين لأن عهد الله ميثاقه ومعناه كما ذكره الراغب فى مفرداته ما ذكره الله فى عقولنا أو ما أمرنا الله به فى كتابه وعلى لسان رسله والمعنى الأول راجع الى صفة الفعل كالخلق والمعنى الثانى راجع الى صفة الكلام وهى صفة ذات لأن الأمر والنهى من أنواعه كما تقرر فى علم الكلام ؛ وقد جرى العرف بالحلف بذلك فهو يمين عند الحنفية اذا أطلق الحالف ولم ينو ؛ وكذا عند مالك وأحمد أو نوى اليمين وأما اذا نوى عدم اليمين فلا يكون يمينا فيما بينه وبين الله تعالى كما يؤخذ من عبارة فتح القدير وقال ابن قدامة ان كونه يمينا مذهب الحسن وطاوس والشعبى والحارس القللى وقتاده والأوزاعى ومالك ؛ وقال عطاء وأبو عبيد وابن المنذر لا يكون يمينا الا بالنية ؛ قال الشافعى لا يكون يمينا الا اذا نوى بعهد الله صفته تعالى : هل تقدم الكفارة على الحنث أو تؤخر عنه .

تجب الكفارة بالحنث فى اليمين المنعقدة واتفق الأئمة على أنها اذا أتى بها قبل الحلف لا تجزىء واختلفوا فى الاتيان بهابعد الحلف وقبل الحنث

فمذهب الحنفية الى أنها لا تجزىء لأن سبب الكفارة هو الحنث والشيء لايتقدم على سببه وذهب جمهور الأئمة الى أنها تجزىء نقل ذلك الشوكانى عن ابن المنذر والقاضى عياض والمازرى وغيرهم من الأئمة ورجح مذهب الجهمور وأيده بحديث عبدالرحمن بن سمرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اذا حلفت على يمين فكفر عن يمينك ثم ائت الذى هو خير) رواه النسائى وأبو داود وهو كما فى المنتقى صريح فى تقديم الكفارة •

هل الحنث أفضل أم التمادى فيه

وقد دل الحديث السابق برواية النسائى وأبى داود وبلفظ البخارى ومسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك » وبلفظ فكفر عن يمينك وأت الذى هو خير (متفق عليه) على أن الحنث فى اليمين أفضل من التمادى فيه اذا كان فى الحنث مصلحة وذلك باختلاف المحلوف عليه فان حلف على فعل واجب ، أو ترك محرم فيمينه طاعة والتمادى واجب والحنث معصية وان حلف على واجب أو فعل حرام فيمينه معصية والتمادى حرام والحنث واجب وان حلف على فعل نفل فيمينه طاعة والتمادى مستحب والحنث مكروه •

وان حلف على ترك مندوب فالتمادى مكروه والحنث مستحب وان حلف على مباح فان كان يتجاوبه الفعل والترك فذلك يختلف باختلاف الأحوال على ما قاله ابن الصباغ من الشافعية وان كان مستوى الطرفين كالحلف على ألا يأكل هذا الخبز أو لا يلبس هذا الثوب فالتمادى أولى كما ذكره الشوكانى وهو مذهب الحنفية كما فى فتح القدير والحنث والتمادى مباحان عند الحنابلة كما فى المغنى •

اذا علمت هذا فالمحلوف عليه فى السؤال الأول وهو عدم شراء اللحم من جزار معين وهو والشراء منه أمران مباحان لا مرجح لأحدهما على

الآخر من حيث ذاتهما فاذا وجد هناك مرجح من أمر خارج كما اذا كان هذا الجزار قريب الحالف أو جاره مثلا فالحنث أفضل رعاية لحق القرابة أو الجوار واذا كان هناك جزار آخر أقرب الى الحالف فالتمادى أفضــل واذا لم يكن هناك أى مرجح فهــو مخير بين التمادى والحنث والظاهر عندى ترجيح الحنث ازالة لمـا تتركه القطيعة فى النفوس أما المحلوف عليه فى الســؤال الثـانى فهو ترك اقامة الشعائر فى المسجد المعين فيــه على الدوام فى حين أنه يتقاضى على اقامتها فيه مرتبا شهريا لا يستحقه شرعا الا فى مقابلة العمل ولا ترضى الوزارة بصرفه اليه الا اذا أدى عمله فيه ولا تقبل الامامة الا اذا كانت بتصريح منها فقياما بواجبه ودفعا للضرر عن نفسه وتحقيقا لمصلحته يجب عليه أن يكفر عن يمينه ويعود الى عمله حتى يحل له أجره فذلك خير له وأنفع والله أعلم .

عبد الفتاح الزيات

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر بحضر ندوة علماء الهند :**

أقيم فى الهند فى الأول من نوفمبر ١٩٧٥ م ندوة علماء الهند ؛ وذلك بمناسبة ٨٥ عاما على انشائها ••

وحضر الندوة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ؛ وفضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ؛ ووفد من علماء الأزهر الشريف ؛ ووفود من علماء المسلمين يمثلون مختلف الدول الاسلامية ••

وكان فى استقبال شيخ الأزهر والوفد المرافق له بمطار الهند السيد/ شاه فواز خان وزير الأوقاف والشئون الدينية بالهند ؛ والسيد/ زكريا العدلى امام سفير مصر بالهند ؛ وكبار المسئولين بوزارة الخارجية الهندية ••

وألقى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر خطبة الافتتاح الرئيسية ؛ ورأس جميع جلسات الندوة ؛ والتقى بالمسئولين هناك ؛ وألقى سلسلة من المحاضرات فى الجمعيات والهيئات الاسلامية ••

كما ألقيت فى الندوة أيضا سلسلة من البحوث والموضوعات العلمية الهامة التى تناولت كثيرا من القضايا الاسلامية المعاصرة ومن أهمها :

١ ـ وسائل النهوض بالدعوة الاسلامية ••

٢ ـ تطوير مناهج التعليم الدينى بما يحقق متطلبات العصر ؛ وحاجات الجيل على أساس من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ••

ومن أهم التوصيات التى انتهت اليها اللجنة :

١ ـ ضرورة العمل على انشاء هيئة علمية على مستوى العالم الاسلامى تعمل على التحرر من الاستعمار الفكرى والثقافى ••

٢ ـ صياغة المناهج التعليمية وفقا للعقيدة الاسلامية ..

٣ ـ مطالبة الحكومات الاسلامية بمنع عرض فيلم محمد رسول الله ..

*** رسالة من الرئيس الى ندوة علماء الهنـد :**

وجه الرئيس محمد أنور السادات رسالة الى أعضاء ندوة علماء الهنـد التى أقيمت فى الهند فى الأول من نوفمبر المـاضى بمناسبة مرور ٨٥ عاما على انشائها ..

وتلى رسالة الرئيس فى جلسة افتتاح الندوة فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ..

قال الرئيس فى رسالته :

(.. . انه لمن دواعى سرورى واغتباطى أن أغتنم هذه الفرصة التى سنحت باجتماعكم لأحيى جهود ندوتكم فى نشر الدعوة الاسلامية ؛ والتمكين لقيامها؛ والتوعية بأحكامها ،

ولعل أشـد ما يستوقف النظر اعجابا وتقديرا ما يعقده الآن المسلمون من ندوات وملتقيات واجتماعات ومؤتمرات لدراسة أحوالهم أو لتنسيق جهودهم ؛ أو لازالة أسباب الفرقة التى بذرتها فى القديم قوى الاستعمار، ومكنت لها قوى الجهل ..

وما أظن الا أننا نقف الآن بهذه الجهود على أبواب مرحلة من وحدة الصف ؛ نابعة من وحـدة العقيـدة ووحدة الهدف ...) ..

ثم قال :

(.. . اذا كانت ندوتكم قـد اتجهت الى دراسة المناهج التعليميـة على أسس من كتـاب اللـه وسنة رسوله فانها بذلك تكون قد لمست لب الصواب ؛ واستهدفت المدخل السليم للتقدم والارتقاء ؛ والقضاء على ماعشى عقيـدتنا فى عهـود الظـلام من أوهام ...) ..

*** من خطاب الرئيس فى الكونجرس الامريكى :**

من الخطـاب الهـام الذى ألقـاه الرئيس محمـد أنور السـادات فى الكونجرس الأمريكى فى الخـامس من نوفمبر المـاضى قوله :

(... ان تعاليم الاسلام السمحة ؛ وتقاليدنا الحضارية ؛ تحتم علينا أن

تحترم الشعوب الأخرى ؛ وأن نتعامل مع الدول على قدم المساواة ؛ لأننا نؤمن بأن الاسلام استمرار لعملية خضوع الانسان للارادة الالهية منذ بدء الخليقة ..

وقد أمرنا القرآن الكريم أن نقول :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

فالسلام بالنسبة لنا ليس مجرد أصل ومثل أعلى ؛ بل أنه احدى الوصايا الآمرة التى أنزلت الينا ونلتزم بها ؛ وسبيلنا الى التعبير عن اجلالنا وتوقيرنا للأنبياء هو أن نصلى لله ونبتهل اليه أن ينزل السلام على أرواحهم ..

فهل غريب اذن أن تكرس الأمة العربية جهدها لخدمة قضية السلام ...) .

تحية من الأزهر لقائد النصر ؛ ورئيس دولة العلم والايمان ؛ وصانع قرار العبور الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ؛ ودعاء بأن يؤيده الله بنصره ؛ ويمده بعونه بقدر ما قدم لأمته ودينه من جهاد فى سبيل التقدم والرخاء واعلاء كلمة الله ونصرة دينه ونشر مبادئه وتعاليمه .

* فضيلة الدكتور وكيل الأزهر يرأس بعثة الحج الأزهرية :

يرأس فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر بعثة الحج الأزهرية هذا العام .

وصرح فضيلته لمجلة الأزهر بأن عدد أعضاء البعثة ٤٠ عضوا تم اختيارهم بطريق الاقتراع من بين العلماء الذين سيقومون بمهمة الوعظ والارشادوالفتاوى بين الحجاج ؛ وأنه قد وضع للبعثة برنامج عمل فى البواخر وفى مواقع شعائر الحج فى الأماكن المقدسة ؛ بحيث تكون البعثة بعثة عمل طبقا لبرنامج معين ؛ وتؤدى واجبها بين أفراد الحجيج من مختلف أنحاء العالم .

*** مجمع اسلامى على مدخل قنــاة السويس :**

تم عمـل التصميمات للمجمع الاسلامى الذى سيقام على مدخل قناة السويس عند بورتوفيق ، على مساحة ٣٠٠٠ متر مسطح ..

ويضم المجمع مسـجدا ، أطلق عليـه اسم مسـجد بـدر . وادارة للمسجد ، ومعهـدا دينيا ، ومكتبـة اسـلامية ، ومكتبـة عامة ، وقاعة اجتماعات كبرى ، وفصـول تقوية للطلبة والطالبات ، وجناحا لاستقبال العلماء ، ومستوصفا خيريا وصيدلية وناديا رياضيا ..

ابراهيم حامد النويهى

فهرس أبجدى عام

لمجلة الأزهر

الجزء السابع والأربعون

١٣٩٥ ـ ١٩٧٥

صفحة

(أ)

صفحة

(ب)

(ت)

(ح)

صفحة

(خ)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

(ص) صفحة

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

صفحة

(هـ)

(و)

(ى)

هدايا صدرت مع المجلة

١ ـ أحاديث مختارة .

٢ ـ أحاديث مختارة .

٣ ـ أسماء وألقاب اسلامية .

٤ ـ أول هجرة فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)

٥ ـ أيمن مولود فى الوجود .

٦ ـ بين الجاهلية وصدر الاسلام .

٧ ـ حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

٨ ـ زيد بن حارثة .

٩ ـ الهجرة النبوية .

١٠ ـ الرسالة العسكرية للمسجد .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٩٠٠٢-١٩٧٥-١٣٣٥٥

three foundations :

a) The establishment of justice and the realisation of human under-standing and beneficial cooperation among people in implementation of Quranic ordinances.

b) Preventing Muslim aggression on other people for Islam has forbidden aggression in all forms.

c) The protection of non-Muslims' freedoms especially the religious.

league regulating Muslim relations, is imperative as means of obviating inter-Muslim aggressions.

The second form is the case where war is already raging between one Muslim and another non-Muslim State in which case neutrality shall also be unjustified, for aggression on a Muslim should bring about a rally of Muslim forces to repell it. Aggression on a Muslim Party is but aggression on all the Muslims combined ; the Prophet himself having fought the Romans for thier aggression on the Muslims of Syria. A Muslim state might well be the aggresser. The duty of Muslims in such a case is to use their good offices towards a settlement through counsel and calling the people to the road of righteousness. Third form. The event of fighting between two non-Muslim states, which has three sub-divisions :

The situation where either fighting state is on hostile terms with the Muslim, and a truce or temporary armistice is being observed. The true in this case is binding unless it be discovered that the truce is intended to gain time for an aggression on Mulsims.

ii) The situation where a support-treaty exists between the Muslims and either fighting country in which case the Muslims could not adopt a neutral stand for they should put the treaty into execution. The Prophet declared war on Quraish for having violated the covenant by attacking Khoza' who had jointed the Prophet's ranks.

iii) A situation where neither fighting country has a covenant or treaty with the Muslims. According to sources, Muslims are bound to hold to neutrality in such case for the origin of Muslim relations is peace. This is so long as no aggression is waged on Muslims by either country at war. Malik has advised non-belligerance in this case for "God to punish a wrong-doer by another wrong-doer and also because Muslim intervention might entail support for either evil party. The Prophet has also said : "He who backs an unjust party will suffer Hell. Fire". Neutrality in cases such as this will also spare Muslim force.

Supposing, however, that either country is just and the other not, will a Muslim intervention in support of the wronged be justifiable ? Muslim logic would advise intervention with due regard to Muslim intersts as in cases of supporting the weak or the distressed provided that ample safeguards are obtained for the benifit of Muslims.

To sum up, international relations in peace-time are based on

that name to Muslim scholars hence the contention by some contemporary writers that the neutral system was not known in Islam. such contentions are erroneous, however, for situations are related in the Quran where war flared up between Muslims and other peoples while other countries, desirous of neutrality, kept allof from the conflict. The Quran has made it imperative to respect such countries neutralism as in God's words :

Except those who seek refuge with a people between whom and you here is a covenant, or (those who) come unto you because their hearts forbid them to make war on you or make war on their own folk. Had Allah willed He could have given them power over you so that assuredly they would have fought you. So, if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them.

This text is frank in that whoever wishes neutrality should have it without condition other than to make sure that he harbours no intention of aggressoin nor does he use the proclamation of neutrality as means of passing time for an early war. In the event of such aggressive intentions being ascertained, precautions should be taken as in God's words, "O ye who believe ! Take you precautions, then advance the proven ones, or advance all together."

This is the case of neutrality if called for by non-Muslims. As for neutrality in the event of war between two countries it has three forms :

First form : The occurrence of a dispute between two parties of believers such as happened at the time when dissensions were wide-open among the Muslims and they had no league to bring them together and prevent inter-Muslim aggressions. The Quran covered this case in God's Words, "And if two parties of believers fall to fighting, then make peace between them. And if one party of them doth wrong to the other, fight ye that which doth wrong till it return unto the ordinance of Allah; then, if it return, make peace between them justly, and act equitably. Lo ! Allah loveth the equitable. The believers are naught else than brothers. Therefore make peace between your brethren and observe your duty to Allah that haply ye may obtain mercy."

Neutrality in this case is unpermissible for a non-belligerant Muslim state should work towards conciliation and if either of the warring parties continues the aggression, it (the neutral) should join the vicitim to bring about a decisive conclusion to the dispute. Undoubtedly, the set up of a Muslim

necessary the fulfilment of pledges unless treachery is feared. This is borne out by God's saying: "And if thou fearest treachery from any flok, then throw back to them (their treaty) fairly. Lo! Allah loveth not the treacherous."

Zimmis and Covenanted Peoples' Treaties :

It is to be noted that the security pledge given to Zimmis under a covenant could only be permanent. The divergence of opinion over permanent peace does not cover this kind of pledge neither does it affect the treaty with a covenanted people which must always be everlasting in case the Muslims assume such people's defence.

It has already been stated that a covenanted people are that of country governed by its own sons who are left free by the Muslims to manage their own affairs provided they (the Muslims) would defend them against all aggression- in return for pavment towards the equipments of the defending army.

The prophet has also stressed the necessity of fulfilling pledges towards covenanted peoples and their proection as in the prophet's words "If you fight and conquer a people and such people would protect themselves against you by thier money and not their sons,you must come to term with them over this and get nothing from their thereafter."

These treaties are possibly made with the Kings but since Islam always has a special regard to the interests of the people themselves without flattering their kings, a treaty should be based on justice to the people-Al-Sarakssi in his 'Mabsut' said :

If a Zimmi King should ask to his Kingdom in the way he likes by killing crucifiction or other means which are not tolerated in the land of Islam,his demand should not be complied with ,for the recognition of injustice with prohibition being possible,is an unlawful act because a Zimmi is a person who is bound to abide by the rulings of Islam on dealings and any conditions in his security pledge which run counter to Islam, are invalid as stated by the prophet in the words "Every condition that exists not in God's Book is invalid."

NEUTRALITY

Neutrality is imposed where there exist two contesting powers, influence and the desire to dominate. It is also imposed upon the occurrence of war between two or more states, when one or more states would declare having nothing to do with such war or dispute.

Neutrality would, however, appaer to have not been known by

and could not help advising except in the light of actual situations. They thought peace to be a sort of forbidden weakness quoting in support of this view by God's words "Faint not nor grieve, for ye will overcome them if ye are (indeed) believers."

But permanent peace through power is in point of fact the height of human relations and not weakness or submission.

Some scholars absolutely confirmed permanent peace as did Ibn Taymieh in his Treatise on Fighting.

Divisions of Treaties :

Treaties are of two parts : Provisional treaties which continue to be valid until their expiry and Absolute in the sense that they are tied to no time-limit. A third division is of permanent treaties on which scholars' views have already been quoted.

Provisional treaties should be carried out until their expiration. As for the absolute treaties for which no time-limit has been set, the point has been raised whether they should be deemed to be valid for all times as if they were perpetual. The scholars did not interpret the absoluteness of such treaties as perpetuality but made it contingent upon the circumstances in which the treaties have been concluded.

They said that so long as such circumstances existed the treaties should be regarded as valid otherwise Muslims could have the treaties annulled. But if the treaties were no longer required could they be legitimately cancelled ? To this scholars said there should be no fight under changed conditions unless there be aggression or suspected aggression as borne out by God's words, "...except those with whom ye made a treaty near the sacred Mosque ? As long as these stand be true to them."

A school of thought has said all treaties in the interest of Muslims should be fullfilled where such interest would be served through fulfilment, otherwise they should be returned to the contracting party. This view was held by a certain section of Hanafi scholars who further stated that treaties are concluded for the benefit of Muslims at the time when they are held. Should conditions change with the result that the continued application of a treaty and abidance by its terms would prejudice Muslim interests, it should be annulled. This would be tantamount to the abolition of contracts for changed conditions , treaties being of the same nature as contracts, are affected by emergencies.

This in point of fact, is contradictory to the Quranic texts and the Prophet's tradition that render

Messenger of God, to Beni Damra, is to pledge security for their lives and property, and that they will be accorded victory over those antagonistic towards them ; and that they will respond to the Prophet if he calls on them for support ; ;they are bound to this pledge by the conscience of God and His Prophet, and he amongst them who will act charitably and piously, will be granted victory.

All these treaties are evidently pacts for the establishment of peace and good nighbourliness.

It will also be seen that the Prophet's treaties were in most cases aimed at the regulation of peace. Some of them such as the Hodaybeih peace-treaty had appeasement or truce for their objective. In the times of the Prophet's successors, treaties were not intended for the regulation of peace but rather for the cessation of hostilities or to offer the choice between covenants, Islam or the fight before warfare was launched. Among the treaties that stemmed from such choice was the one which Commander of the Faithful Omar ibnAl-Khattab with the people of Jerusalem.

The Umayyed and subsequent eras witnessed treaties for the temporary cessation of war. Peace then was of the nature of an arma stics and not a permanent peace.

This happened in the age of Idjtihad when Mohammad ibn Abu Yussef and Al-Shafei recorded their veiws on war and peace while the battle was raging. Only temporary peace pacts were known there for the Muslims in the expectation of an enemy aggression at any time, could not conclude a permanant peace. Al-Sarakshi in the commentary the "Al-Siyar Al-Kabir" said that permanent peace was not permissible, quoting the Prophet's temporary peace at Hodeybieh in confirmation of his view. He stressed that, only that form of peace was familiar while fighting raged. All-Rakhi confirmed this as the majority opinion.

The Hodaybieh peace undoubtedly was different from a provisional peace-pact but it did not impede the possibility of a permanent peace. It is established in God's words, "... so, if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them."

The turth is that those who said the basis of relation between Muslims and others was peace have permitted permanent peace, being a return to normal conditions, and considered war mere emergency. Those who have been influenced by accomplished facts, have been likewise influenced in connection with peace by stating that peace cannot be permanent. They had seen relations to be permanent war

PACTS AND PEACE

By

(LATE) SHEIKH MUHAMMAD ABU ZAHRA

Treaties before Islam were used by the strong as means of imposing their domination over the weak or the conquered. Once the weak grew strong, they discarded the treaties and fought to liberate themselves from the yoke of the strong. This continued to be the practice of the strong until very recently, and still prevails in contemporary relations. Pacts are resorted to in some cases to regulate peace but, it is the unjust form of peace that imposes on the weak the will of the powerful. The Holy Quran takes a different attitude towards treaties for it orders the fulfilment of pledges in an absolute manner unrestricted by power or weakness.

Since the basis of internal relations in Islam is peace as we have already concluded, treaties could be aimed either at the termination of a causal war and the return to a state of permanent peace, or the establishment of peace and the consolidation of its bases to obviate any future aggression.

This latter aim was the purpose of the Prophet's Covenant with the Jews of Al-Madinah at the time of Hijrah. The covenant was designed to establish peace and good neighbourliness, and based upon cooperation to check any external enemy or aggression.

When the covenant was concluded the Prophet in an instrument confirming it, wrote, "This is a pledge to you upon the conscience of God and of His Messenger, that you will be reassured about your lives, your religion, your wealth, your slaves and all your possessions, and that no army will tread your soil. He of You who goes on a journey will be safe through the protection of God and of His Messenger : There is no compulsion in religion".

It will be seen from this covenant that the Prophet undertook to provide full protection for the Jews' religious freedom, and concluding the text he quoted God's words "No compulsion in religion" The Jews, nevertheless, violated the pledge and broke the covenant.

Another pledge to protect covenanted peoples' lives and property was made by the Porphet in his covenant with the Arab tribes of Beni Damra ; the pledge said, "This letter by Mohammad, the

hesitate to deduce the legality of polygamy from the parable of the ten virgins, spoken of in the Gospel of Mathew (25 : 1-12), for Jesus Christ envisages there the possibility of the marriage of one man with as many as ten girls simultaneously. If the Christians do not want to profit by the permission (which the founder of their religion seems to have given them the law is not changed for all that. This is true of the Muslims also, whose law is moreover the only one in history which expressly limits the maximum permissible number of polygamous wives. (For Christian theory and practice, as well as for general discussion. cf. also Encyclopaedia Britanica. under the articles, Marriage, and Polygamy ; Westermarck, History of Human Marriage, 3 Vols).

The possibility of the annulment of a marriage has also existed in Muslim law since all time. There is the unilateral right acquired by husband, to divorce his wife. The wife also may acquire a similar right while contracting the marriage. The court of justice also possesses the right of separation of the couple on the plaint of the wife, if the husband is incapable of fulfilling his conjugal duties, or if he is suffering from a particularly serious sickness, or if he disappears for year without leaving a trace, etc. Further, there is also the bilateral separation, when the two mates agree mutually, on conditions, to discontinue their martial tie. The Quran (4/35) insists that the two should refer their quarrels to an arbitration, before deciding for definite separation. The saying of the Prophet may be remembered : "The most detestable of the permitted things in the eyes of God is the divorce". The law, the eithics, and the exhortations, all complete each other ; and the source of all these is the same, namely the Quran and the Hadith.

(concluded)

It is true that Islam permits polygamy, but on this point Muslim law is more elastic and more in harmony with the requirements of society than the other systems of law which admit polygamy in no case. Supposing there is a case, in which a woman has young children, and falls chronically ill, becoming incapable of doing the household work. The husband has no means of employing a maid-servant for the purpose, not to speak of the natural requirements of the conjugal life. Supposing also that the sick woman gives her consent to her husband to take a second wife, and that a woman is found who agrees to marry the individual in question. Western law would rather permit immorality than a legal marriage to bring happiness to this afflicted home.

In fact, Muslim law is nearer to reason. For, it admits polygamy when a woman hereself consents to such a kind of life. The law does not impose polygamy, but only permits it in certain cases. We have just remarked that it depends solely on the agreement of the woman. This is true of the first wife as well as with the second one in prospect. It goes without saying that the second woman may refuse to marry a man who has already one wife ; we have seen that no one can force a woman to enter into a marriage tie without her own consent. If the woman agrees to be a co-wife it is not the law which should be considered as cruel and unjust with regard to women and as favouring only men. As to the first wife, the fact of polygamy depends on her. For, at the time of her marriage, she may demand the acceptance and insertion, in the document of the nuptial contract, of the clause that her husband would practise monogamy. Such a condition is as valid as any other condition of a legal contract. If a woman does not want to utilize this right of hers, it is not legislation which would oblige her to do that. We have just spoken of exceptional cases ; and the law must have possible remedies. Polygamy is not the rule, but an exception ; and this exception has multifarious advantages, social as well as other — the details would be burdensome here — and the Islamic law is proud of this elasticity.

In the religious laws of antiquity, there is no restriction to the number of wives a man may have. All the biblical prophets were polygamous. Even in Christianity which has become synonymous with monogamy, Jesus christ himself never uttered a word against polygamy ; on the other hand there are eminent Christian theologians, like Luther, Melanchthon Bucer, etc. (cf. Dictionaire de la Bible by Vigouroux, Polygamie), who would not

that the Legislater has taken into consideration the rights of a woman in their entirety, together with the fact that laws are framed for normal cases of life and not for rare exceptions (for which latter, exceptional means are always provided). We have already mentioned that the woman possesses her property separately, on which neither her father nor her husband nor any other relative excercises any right whatsoever. Further, in addition to this separation of her proprietary rights, she has the right to maintenance (food, dress, lodging, etc.) ; and the court obliges her father, husband, son, etc., to satisfy on their sole expenses these needs of the woman. Again the woman obtains from her husband the 'mahr' a contractual sum, which went before Islam to the father of the woman, but which in Islam remains vested exclusively in the woman herself. This mahr is a necessary element without which no marriage is valid. Thus it will be seen that a woman has lesser material needs to satisfy on her own account than man, who has heavier obligations. In such conditions, it is easy to understand that a man has the right to a greater part of heritage than a woman. It should be remembered that, in spite of the fact that the woman has the right to be maintained at the expense of others, Islam accords her a supplementary right to property in the form of inheritance. It goes without saying that a good household requires mutual co--operation, and the woman also works to increase the income of the family, or to diminish the expenses which would follow if she does not work ; but we are speaking of the rights of woman, and not of the social practices which may vary according to individuals. The notion of the maintenance goes so far in Islam that, according to the law, a wife is not obliged even to give her breast to her suckling ; it is the duty of the father of a child to proccure for it a foster mother at his own expense, if the mother does not want to suckle it.

Let us speak of marriage, which also raises numerous questions. Marriage, according to Islam, is a bilateral contract, based on the free consent of the two contracting parties. The parents certainly aid by their counsel and their experience in searching or selecting the companion of life for their child, yet it is the couple who have the last say in the matter. In this respect, there is no differrence between man and woman, in so far as the law is concerned. Illegal practices may exist in varying degrees from region to region and class to class ; but the law does not recognise the customs which contravene its provisions.

ans of the Levant. According to this law (cf. Quran 4/7-12 and 4/176), different female relatives have obtained the right to inheritance; wife, daughter, mother, and sister in particular. With regard to inheritance, Islam makes no difference between the movable and immovable property; every thing must be divided among the rightful heirs. In order to avoid evil caprices, Islam has also prohibited the bequest of property by testament to strangers and the deprivation of the near relatives. In fact these latter do not require to be mentioned in a will; they inherit automatically. A will cannot even diminish or increase the rights of individual relatives to inheritance, the rights being fixed and determind by the law itself. The will is valid solely in favour of "strangers", i.e., those who have no right to inherit directly the property of the deceased. Islam has fixed the maximum, which one bequeath by will, and that is one - third of the whole property, the two-thirds going to near relatives. A will for more than one-third is valid only if the heirs unaimously accept it at the moment of distribution of the heritage.

The law of inheritance is complicated enough, for the shares of different heirs vary according to individual circumstances : the daughter alone or in the presence of a son, the mother alone or in the presence of the father, with children or without them, the sister alone or in the presence of the brother, father or children of the deceased, inherit in difference proportions according to individual cases. It is not our intention to describe it here in all details. The shares of female heirs may however be mentioned briefly. The wife gets one-eighth if the deceased leaves also a child ; otherwise she gets a fourth. The daughter when alone gets a half, several daughters get two-thirds which divide among themselves in equal proportions; - all this when there is no son. In the presence of a son, the daughter gets half of her brother. The mother, when alone, gets a third, in the presence of father, child or brothers and sisters of the deceased she gets one-sixth. The sister does not inherit if the deceased leaves a son ; but when alone, she gets a half ; two or more sisters get two-thirds which they divide among themselves equally. In the presence of a daughter, the sister gets one-sixth ; in the presence of a brother, she gets the half of what he gets. There are also differences between the shares of full sisters, consanguine sisters and uterine sisters.

It is perhaps necessary to give explanation justifying the inequality between sister and brother, between mother and father, and between daughter and son. It seems

THE MUSLIM WOMAN—II

By

DR. MUHAMMAD HAMIDULLAH

The perfect and complete indiviuality of the person of the woman as manifest in a most striking manner in the matter of property- According to the Islamic law, the woman possesses a most absolute right over her property. If she has attained majority, she may dispose of it according to her will without referrence to anybody else, wether it be her father, brother, husband or son or any other person. There is no difference in this matter between a man and a woman. The property of a woman cannot be touched even if her husband or father or any other relative has liabilities exceeding his assets. Similary, these relatives are not held responsible if she contracts debts. A woman has the same rights as man for acquiring property. She may inherit it, receive it in gift or donation, earn it by her own work and toil; and all this remains hers and hers alone. She is absolute mistress of her property to enjoy it or to give it to whomsoever she likes as a gift, or to dispose of it, by sale or any other legal means, at her will. All these rights are inherent in a woman; there is no question of obtaining them through special contracts, with the husband for instance or by an award depending on somebody else.

The right to inheritance requires some explanation. A pre-Islamic Arab woman had no right to inherit from anybody, either her father or even her husband. The Prophet did not pay attention to this question during the first fifteen years of his mission. The chroniclers mention that in the year 3 H., a rich Ansarite. Aus ibn Thabit died, leaving a widow and four daughters of tender age. According to the Madinan customs, only male adults, capable of taking up arms in a war, had the rihgt to inheritance ; and even a minor son had no right to the property of his deceased father. So the cousins of Aus took possession of all that he had left, and the family became overnight completely destitute and deprived of the means of livelihood. At that moment a passage of the Quran was revealed, promulgating the law of inheritance which is ever since practised by Muslims, and even by some other communities such as Christi-

the place of the (holy) House, saying : Ascribe thou nothing as partner unto Me, and purify My House for those who make the round (thereof) and those who stand and those who bow and make prostration. And proclaim unto mankind the Pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel; they will come from every deep ravine. That they may witness thnigs that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days over the beast of cattle that He hath bestowed upon them. They eat there-of and feed therewith the poor unfortunate" (22—28).

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال فى الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزادالتقوى واتقون ياأولى الألباب • — البقرة ١٩٧

It means : "The pilgrimage is (in) the well-known months, and whoever is minded to perform the pilgrimage therein (let him remember that) there is (to be) no lewdness nor abuse nor angry conversation on the pilgrimage. And whatsoever good ye do Allah knoweth it. So make provision for yourselves (Hereafter); for the best provision is to ward - off evil. Therefore keep your duty unto Me, O men of understanding'' (2 : 197)..

---

give up many other amenities of life and live the life of an ascetic.

A Muslim is taught to hold connection with God in a remote corner, in the dead of nights, and thus all alone he goes through the experience of drawing nearer to God But there is yet a higher spiritual experience to which he can attain in the Hajj which generally comes only once in a life time, and therefore, while it leading the pilgrim through the highest spiritual experience — the experience of a mighty concourse gathered together in one place. Thus, to concentrate all one's ideas on God in the company of others is the major object of Hajj.

Although many pre-Islamic practices were retained in the Hajj but, as has been shown above, the origin of these practices is traceable to Prophet Abraham, and every one of them carries with it a spiritual significance. The whole atmosphere of Hajj isa demonstration of the greatness of God and the equality of mankind. The Hajj is, the final stage in man's spiritua progress.

This great assemblage of Muslims from all quarters of the world may also be made the occasion of other advantages of a material or cultural nature and should serve the purpose of unifying the Muslim world and removing the misunderstandings between nation and nation. But looking broadly at the scene at Mecca during the Hajj days, one is struck in first place by the unity which is achieved among the discordant elements of humanity.

The Holy Quran speaks of Hajj as follows :

ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وهدى للعالمين • فيه آيات بينات مقام ابراهيم
ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى
عن العالمين ... آل عمران ٩٦و٩٧

It means : "Lo- the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (another name of Mecca), a blesed place, a guidance to the peoples; Wherein are plain memorials (of Allah's guidance); the place where Abraham stood up to pray; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither. As for him who disbelieveth, (let him know that) lo! Allah is Independent of (all) creatures" (3 : 96-97).

واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك
بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع
السجود • واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق •
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام
معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا
منها واطعموا البائس الفقير • — الحج ٢٦—٢٨

It means : "And (remember) when We prepared for Abraham

refer to the details of Hajj actions, in a material sense. In order to remove some misconceptions in this regard we have to notice the following points :

The word Hajj means, literally, repairing to a thing for the sake of a visit, and in Islamic terminology, the repairing to Mecca to observe the necessary rites. The sacredness of Mecca and its connection with the names of Abraham and Ismael finds clear mention in the early revelations. The Kaba is stated in the Holy Quran to be the First House of Divine worship appointed for mankind (Quran 3 : 96). All the main features of Hajj were based on the authority of Abraham, who had not only rebuilt the Kaba and purified it of alll traces of idolatory, but he also enjoined Hajj with its main features which were, therefore, based on Divine revelation.

Abrahmic origin of chief features of Hajj reminds the unity of the Divin commandment and commemorates the sacrifices of Abraham, Father of the prophets. One of the wonderful feature of the Hajj is its influence in levelling all distinctions of race, colour and rank. People of all races and all countries meet togther in service of the Almighty God, and they are all clad in one simple dress.

It is Hajj alone that brings into the domain of practicality what would otherwise seem impossible, namely that all people to whatever class or country they belong should speak one language and wear the one dress. Thus passing through that gate of equality leads to broad broherhood. Hajj is the only occasion on which they are taught how to live in one way, how to act in one way and how to feel in one way. All men and women are equal in birth and death : they come into life in one way and they pass out of it in one way.

The significance of Hajj is evident from another point of view. Their appearance, as well as the words which are on their lips, show that they are standing in the Divine Presence, are so engrossed in the contemplation of the Divine Being that they have lost all ideas of self. Islam lays the greatest stress upon the spiritual development of man, and in its four main institutions; prayer, zakat, Fasting and Hajj. The five daily prayers require the sacrifice of a small part of his time, and without in any way interfering with his everyday life, enable him to realise the Divine Presence. The institution of zakat demands the giving up of a small portion of his wealth. Fasting requires the giving up of food and drink for a particular period. But the pilgrim is required not only to give up his regular work for number of days for the sake of the journey to Mecca, but he must, in addition,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Ḥijjah 1395	ENGLISH SECTION	DECEMBER 1975

HAJJ—A SUPREME SPIRITUAL EXPERIENCE

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The higher significane of Hajj is evident from the spiritual experience which is made possible by this unique assemblage of people from all walks of life. To concentrate all one's ideas on God, not in solitude but in the company of others, is the main object of Hajj. This is the deeper kind of spiritual experience beacause it is not of the hermit who cut off from the world, not of the devotee in the corner of solitude, but of the man living in the world, in the company of the vast concourse of people assembled in one place.

By this unique assemblage, one feels that all those veils which keep him away from God, are entirely removed and he is standing in the Divine Presence. Every member of this great assemblage sets out from his home with that object in view. He discards all those comforts of life which act as a veil against the inner sight. The comforts of life usually become a veil which shut out the other world from human sight, and sufferings and privations certainly, make a man turn to God.

The company of a man who is inspired by similar feelings and who is undergoing a similar experience would undoubtedly give additional force to the spiritual experience of each one of such companions. This is an undeniable truth and there is a mysterious way from one heart to another.

It is true that the cheif features of Hajj centre round the Kaba in Mecca. Some writers, deliberately or otherwise, take notice only of its outward actions and have never tried to discover their inner values and real significance. They also